

الجزء الخامس من مفاتيح الصيب المشتهر بالتفسير  
الكبير للامام محمد الازي فخر الدين  
ابن العلامة ضياء الدين عمر  
المشتهر بخطيب الري  
نفع الله به المسلمين  
آمين

م  
\* ( وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود ) \*

صحيفة

- ٥ المسئلة الاولى في بيان طريق اثبات نبوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ١٣ المسئلة الاولى في بيان حقيقة الولي
- ١٥ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أن أهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيامة
- ٥٠ ( سورة هود عليه السلام وفيها المسائل الآتية )
- ٨٣ المسئلة الثانية في بيان صفة سفينة نوح عليه السلام
- ١٠٧ المسئلة الثالثة في بيان قصة ابراهيم عليه السلام مع ضيفه
- ١٤٩ ( سورة يوسف عليه السلام وفيها من القصص ما لا يخفى )
- ٢٥٨ ( سورة الرعد وفيها المسائل الآتية )
- ٢٥٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال باحوال السموات على وجود الصانع
- ٢٦٢ الكلام في الاستدلال بخلاقة الارض وأحوالها على وجود الصانع
- ٢٦٤ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال بعجائب خلقة النبات على وجود الصانع
- ٢٦٦ المسئلة الاولى في بيان أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث لاجل الاتصالات الفلكية
- ٢٧٩ المسئلة الثالثة في بيان الاستدلال بحدوث البرق والسحاب والرعد على قدرة الله تعالى وحكمته
- ٢٨٥ المسئلة الاولى في بيان استدلال أهل السنة على مسألة خلق الافعال
- ٢٨٦ المسئلة الثانية في بيان انه هل يجوز أن يطلق عليه تعالى اسم الشيء أم لا
- ٢٨٦ المسئلة الثالثة في بيان استدلال المعتزلة على قولهم ان الله تعالى عالم بذاته لا بالعلم
- ٢٩٧ الكلام في بيان شبهات منكري النبوة والجواب عليها
- ٣١٠ المسئلة الخامسة في ابطال استدلال الرافضة على قولهم ان البداء جائز على الله تعالى
- ٣١٢ الكلام في بيان الاستدلال على نبوته عليه الصلاة والسلام
- ٣١٣ ( سورة ابراهيم عليه السلام وفيها المسائل الآتية )
- ٣١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على قولهم ان أفعال الله تعالى معللة بالأغراض
- ٣١٤ المسئلة الرابعة في بيان استدلال المعتزلة على ابطال القول بالجبر
- ٣١٧ المسئلة الثالثة في بيان استدلال أهل السنة على أن الخالق لافعال العباد هو الله تعالى

- ٣١٩ المسئلة الثانية في بيان استدلال بعض الناس على ان اللغات اصطلاحية  
لاتوقيفية
- ٣١٩ المسئلة الثالثة في بيان استدلال العيسوية على أن محمدًا مرسل الى العرب خاصة
- ٣١٩ المسئلة الرابعة في بيان استدلال أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله  
تعالى
- ٣٢٨ المسئلة الثانية في بيان أن الفطرة الاولية شاهدة بوجود الصانع الحكيم
- ٣٣٠ المسئلة الرابعة في بيان استدلال أهل السنة على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير  
توبة
- ٣٤٢ المسئلة الاولى في بيان استدلال المعتزلة على أن العبد خالق لافعال نفسه
- ٣٤٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أن الشيطان الاصلى هو النفس وفي بيان  
حقيقتها
- ٣٥٤ الكلام في بيان الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المختار
- ٣٥٩ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الكفر والايان بخلق الله  
تعالى
- ٣٧٢ ( سورة الحجر وفيها المسائل الآتية )
- ٣٧٧ المسئلة الثالثة في بيان استدلال أهل السنة على ان من قتل فهو ميت بأجله
- ٣٨١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على ان الله تعالى يخلق الباطل في قلوب  
الكفار
- ٣٨٥ الكلام في الاستدلال بالاحوال السماوية على وجود الصانع المختار
- ٣٨٦ الكلام في الاستدلال بالاحوال الارضية على وجود الصانع المختار
- ٣٩٠ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على أن المعدوم تبي والجواب عنه
- ٣٩٢ الكلام في الاستدلال بحصول الاحياء والامانة لهذه الحيوانات على وجود  
الصانع المختار
- ٣٩٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أنه لا بد من انتهاء الناس الى انسان هو  
أول الناس
- ٤٠٠ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على أن الكذب في غاية الخساسة
- ٤٢١ ( سورة التحل وفيها المسائل الآتية )
- ٤٢٥ الكلام في بيان أن دلائل الالهيات هي التمسك بطريقة الامكان اما في الذات  
أو في الصفات
- ٤٢٦ الكلام في الاستدلال على وجود الصانع بخلقه الانسان

صحيفة

٤٢٧ المسئلة الاولى في بيان وجه الاستدلال بأحوال النفس الانسانية على وجود

الصانع

٤٢٨ المسئلة الثانية في بيان منافع الانعام

٤٢٢ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على أنه يجب على الله تعالى الارشاد

والهداية

٤٣٢ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أنه تعالى ما شاء هداية الكفار

٤٣٢ الكلام في بيان الاستدلال بعجائب أحوال النبات على وجود الصانع الحكيم

المختار

٤٣٥ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث

بتأثير الطبائع

٤٣٧ الكلام في بيان الاستدلال على وجود الصانع بعجائب أحوال العناصر وفي بيان

منافع البحار

٤٣٩ الكلام في ذكر بعض الامم التي خلقها الله تعالى في الارض

٤٤٢ المسئلة الاولى في بيان ابطال عبادة غير الله تعالى

٤٤٣ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أن العبد غير خالق لافعال نفسه

٤٤٣ المسئلة الاولى في بيان أن العبد لا يمكنه الاتيان بالعبودية على سبيل التمام

والكمال

٤٤٤ المسئلة الثانية في بيان انه هل لله على الكافر نعمة أم لا

٤٥٤ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله

تعالى

٤٥٧ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على قدم القرآن

٤٥٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أنه تعالى ما ارسل أحدا من النساء ولا من

اللائكة

٤٦٠ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه

٤٦٧ المسئلة اثنان في بيان استدلال القائلين بالتوقيفية والجواب عنه

٤٦٧ المسئلة الرابعة في بيان استدلال من قال ان الملك أفضل من البشر

٤٦٨ المسئلة الاولى في بيان قوله لا تتخذوا الهين اثنين وفي تقرير ان الانبياء منافية

للالهية

٤٧١ المسئلة الثانية في بيان استدلال أهل السنة على ان الايمان حصل بخلق الله

٤٧٥ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على بطلان القول بالجبر وحواب أهل

السنة عند

- ٤٧٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء والجواب عند  
 ٤٧٦ المسئلة الثانية في بيان الاحتجاج على أن الاصل في المضار الحرمه  
 ٤٨١ المسئلة الثالثة في بيان كيفية هضم الاغذية ووصول منافعها الى الاعضاء  
 ٤٨٢ المسئلة الرابعة في بيان احتمال حدوث اللبن في الثدي على حكم عجيبه وأسرار بديعه  
 ٤٨٤ المسئلة الخامسة في بيان الاستدلال بحدوث اللبن على امكان الحشر والتشر  
 ٤٨٥ المسئلة الاولى في بيان ما يصدر من التحل من الاعمال العجيبه التي يعجز عنها البشر  
 ٤٨٩ المسئلة الاولى في بيان مراتب عمر الانسان وفي استدلال الطبائعين على قولهم

والجواب عند

- ٤٩٧ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الفقهاء على أن العبد لا يملك شيئاً  
 ٥٠٠ المسئلة الثالثة في بيان أقسام المعارف والعلوم  
 ٥٠١ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال بخلق الطير حيرها في الجوع على قدرة الله

وحكمته

- ٥٠٨ المسئلة الاولى في بيان فضائل قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآتية  
 ٥١٣ المسئلة الثالثة في اتفاق أهل السنة والمعتزلة على ان تذكر الاشياء من فعل الله

تصالي

- ٥٢٠ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الشافعي رضي الله عنه على ان القرآن لا ينسخ  
 بالسنة

- ٥٢٠ الكلام في حكاية شبهة من شبهه منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتقرير  
 الجواب عنها

- ٥٢٤ المسئلة الرابعة في بيان الاكراه الذي يجوز عنده التلغظ بكلمة الكفر  
 ٥٢٤ المسئلة السادسة في بيان الاستدلال على انه لا يجب على المكروه التكلم بكلمة الكفر

- ٥٢٥ المسئلة الثامنة في بيان ما يقبل الاكراه عليه من الافعال وما لا يقبل

- ٥٢٥ المسئلة العاشرة في بيان الاستدلال على أن محل الايمان هو القلب

- ٤٠ ﴿ سورة بنى اسرائيل وفيها المسائل الآتية ﴾

- ٥٤٠ المسئلة الثانية في بيان الاختلاف في كيفية الاسراء

- ٥٤٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على قولهم في مسئلة القضاء والقدر

- ٥٦٠ المسئلة الثالثة في استدلال أهل السنة على أن وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل

بل بالسمع

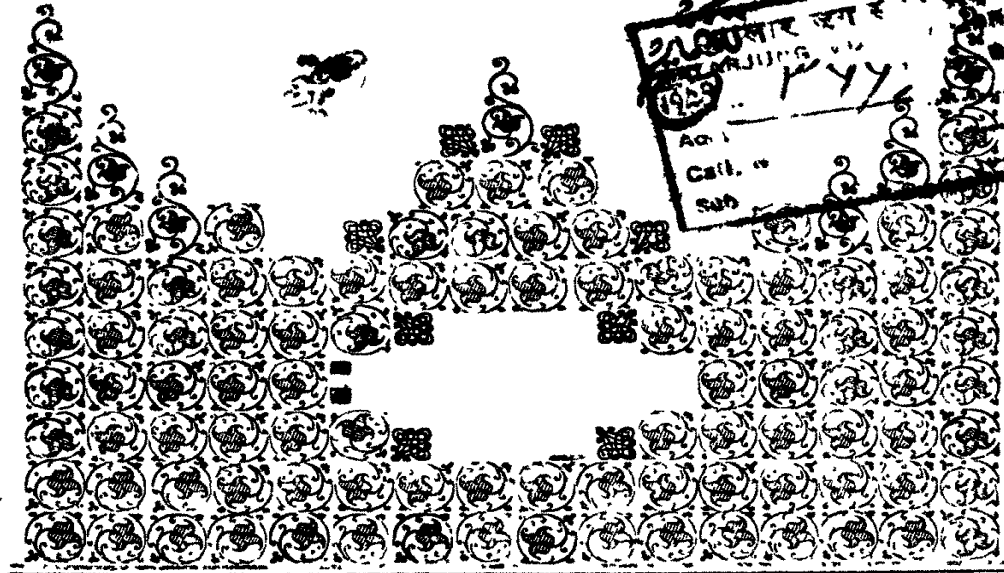
- ٥٦٢ المسئلة الثانية في بيان استدلال أهل السنة على صحة مذهبهم في الارادة

- ٥٨١ المسئلة الثانية في بيان أن الاصل في اقتل هو الحرمة المغلظة
- ٥٨٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على أن افعال الله تعالى معللة بالاعراض  
والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على انه تعالى ما أراد الايمان من الكفار  
الكلام في ذكر النعم التي بها فضل الانسان على غيره
- ٦٢٦ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء والجواب عنه
- ٦٢٦ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أنه لا عصمة عن المعاصي  
الابتوفيق الله
- ٦٣١ المسئلة الخامسة في بيان فوائد قوله تعالى وقرآن العجبر الآية
- ٦٣٧ الكلام في بيان أن القرآن شفاء من الامراض الروحانية ومن الامراض الجسمانية
- ٦٤٠ المسئلة الاولى في بيان المراد من الروح المذكورة في قوله تعالى ويسألونك عن  
الروح الآية
- ٦٤١ المسئلة الثانية في ذكر سائر الاقوال المقولة في الروح المذكورة في هذه الآية
- ٦٤٣ المسئلة الثالثة في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان
- ٦٤٦ المسئلة الرابعة في شرح مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود في داخل  
البدن
- ٦٤٨ المسئلة الخامسة في بيان دلائل مثبتى النفس من جهة العقل
- ٦٥٤ المسئلة السادسة في اثبات أن النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية
- ٦٥٦ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على قولهم بأن القرآن مخلوق والجواب عنه
- ٦٥٦ المسئلة الاولى في بيان كيفية اعجاز القرآن
- ٦٦٤ المسئلة اثناوية في بيان ما ذكر في القرآن من معجزات موسى عليه السلام
- ٦٧٢ (سورة الكهف وفيها المسائل الآتية )
- ٦٧٣ المسئلة الثالثة في بيان انزال الكتاب نعمة على الرسول عليه الصلاة والسلام  
ونعمة علينا
- ٦٧٦ المسئلة الثانية في بيان الطوائف الذين أثبتوا الولد لله تعالى وفي ابطال مقالانهم
- ٦٨٣ المسئلة السادسة في بيان احتجاج أهل السنة الصوفية على صحة القول بالكرامات
- ٦٩١ المسئلة السابعة في بيان الفرق بين الكرامات والاستدراج
- ٦٩٣ المسئلة الثامنة في بيان أن الولي هل يعرف كونه وياأم لا
- ٧٠٤ المسئلة الثالثة في مذهب أهل السنة والمعتزلة في ارادة الافعال وعدمها

- ٧٠٤ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج القائلين بان المدوم شئ على قولهم والجواب عنه
- ٧٠٧ المسئلة الرابعة في بيان اختلاف الناس في زمار أهل الكهف وفي مكانهم
- ٧٠٨ المسئلة الخامسة في بيان أن مدار القول بالبعث والقيامة على أصول ثلاثة
- ٧١٠ المسئلة الاولى في بيان احتجاج أهل السنة على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل  
والعقلة
- ٧١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على ان الكفر والايمان والطاعة والمعصية  
مفوض الى العبد
- ٧١٣ المسئلة الثالثة في بيان فوائد قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
- ٧٢٥ المسئلة الثانية في بيان استدلال المشبهة على انه تعالى يحضر في المكان والجواب عنه
- ٧٤١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على ان الاستطاعة لا تكون قبل الفعل
- ٧٤١ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء على قولهم والجواب عنه
- ٧٥٠ المسئلة الثانية في بيان ان ذا القرنين من هو وفي سبب تسميته بهذا الاسم
- ٧٥٢ المسئلة الثالثة في بيان ان ذا القرنين هل كان من الانبياء أم لا
- ٧٦٢ ﴿ سورة مريم عليها السلام وفيها المسائل الآتية ﴾
- ٧٧٧ القول في فوائد قصة زكريا عليه السلام
- ٧٩٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على قدم كلام الله تعالى
- ٨٠٨ الكلام في تقرير احتجاج من طعن في عصمة الانبياء والجواب عنه
- ( تمت )

(ويستنبئونك) أي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستمراء أو الإنكار (أحق هو) أحق خير قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للإمام عليه السلام قوله تعالى أنه خلق أو مبتدأ والضمير نفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب

يستنبئونك وقرى أحق هو تعريضا بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا اطل أو أهو الحق سميتوه أخلق (قل) لهم غير ملتفت إلى استمراءهم مفضيا عما قصدوا وبانيا للامر على أساس الحكمة (أي وربي) أي من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه (أنه) أي العذاب الموعود (الحق) لثابت البتة أكد الجواب بآتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه (وما أنتم بمعجزين) أي بفصائين العذاب بالهت وهو لاحق بكم لاحتمال وهو اما معطوف على جواب القسم أو مستأنف سبق لبيان معجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور (ولو أن لكل نفس ظلت) بالشرك أو التعدي على الغير أو غير ذلك من أصنام الظلم ولو مرة حسب ما يفيد كون الصفة فعلا (ما



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\* قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي أنه خلق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلت ما في الأرض لا قدرت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) اعلم أنه سبحانه أخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعدان كنتم صادقين وأجاب عنه بما تقدم فحكي عنهم أنهم رجعوا إلى الرسول مرة أخرى في عين هذه الواقعة وسألوه عن ذلك السؤال مرة أخرى وقالوا أحق هو واعلم أن هذا السؤال جهل محض من وجوه (أو أيها) أنه قد تقدم هذا السؤال مع الجواب فلا يكون في إعادة فائدة (وثانيها) أنه تقدم ذكر الدلالة العقلية على كون محمد رسولا من عند الله وهو بيان كون القرآن مجزأ وإذا صحت نبوته لزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه فهذه المعاني توجب الأعراض عنهم وترك الالتفات إلى سوء الهمة واختلافوا في الضمير في قوله أحق هو قيل أحق ما جئت به من القرآن والنبوة والشرائع وقيل ما تعدنا من البعث والقيامة وقيل ما تعدنا من نزول العذاب علينا في الدنيا ثم أنه تعالى أمره أن يجيبهم بقوله قل أي وربي أنه خلق والفائدة فيه أمور (أحدها) أن يستلهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن من أخبر عن شيء أو كده بالقسم فقد أخبر عنه عن الهزل وادخله في باب الجد (وثانيها) أن الناس طبقات فمنهم من لا يقرب إلى البرهان الحقيقي ومنهم من لا يتفهم البرهان الحقيقي بل ينفع بالاشياء الأفتاعية نحو القسم فان الاعرابي الذي جاء الرسول عليه السلام وسأل عن نبوته ورسالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذا ههنا ثم أنه تعالى أكد ذلك بقوله وما أنتم بمعجزين ولا بد فيه من تقدير محذوف فيكون المراد وما أنتم بمعجزين

في الأرض) أي ما في الدنيا من خرائطها وأموالها ونافعها فاطبة بما كثرت (لا قدرت به) أي جعلته فديتها لها ﴿ لمن ﴾ من العذاب من اقتداه بمعنى فداه (وأسروا) أي التقوم المدلول عليها بكل نفس والمدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الأفراد أيضا لفائدة تهويل الخطب بكون الأسرار بطريق المعية والاجتماع والاعمال يراع ذلك فيما سبق لتحقيق



ما يؤخذ من فرض كون جميع مافي الارض لكل واحد من النفوس فإثارة صيغة جمع المذكور لفظ النفس على الشخص أول تعذيب كورمدلوله على انائه (الندامة) على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها ولكن لالاصطبار والتجملد هيات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا (لما رأوا العذاب) أي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاحوال مالم يكونوا يحسبون فلم يقدروا على أن ينطقوا ﴿ ٣ ﴾ بشي فلما بعنى حين منصوب بأسروا أو حرق شرط حذف

جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل أسرها رؤساؤهم من أضلوهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم ولكن الامر أشد من أن يعترف بهم هناك سئ غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلصها أولان سر الشئ خالصته حيث تخى ويضن بها فقيه تهكم بهم وقيل اطهروا الندامة من قولهم سر السئ وأسره اذا أظهره حين عيل صبره وفنى تجلده (وقضى بينهم) أي أوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به (بالقسط) بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين

لمن وعدكم بالعذاب ان ينزله عليكم والغرض منه التنبيه على أن أحدا لا يجوز ان يعانق ربه ويدافعه عما أراد وقضى ثم انه تعالى بين ان هذا الجنس من الكلمات انما يجوز عليهم ماداموا في الدنيا فاما اذا حضروا محفل القيامة وعانوا قهر الله تعالى وآثار عظمته تركوا ذلك واشتغلوا بأشياء أخرى ثم انه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء (أولها) قوله واوان اكل نفس طلت مافي الارض لا فندت به الا ان ذلك متعذر لانه في محفل القيامة لا يملك شيئا كما قال تعالى وكلهم آتبه يوم القيامة فردا وبتقدير ان يملك خزان الارض لا ينقسه الغداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال في صفة هذا اليوم لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة (وثانيها) قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب واعلم ان قوله وأسروا الندامة جاء على لفظ الماضي والقيامه من الامور المستقبله الا انها لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي واعلم ان الاسرار هو الاخفاء والاطهار وهو من الاضداد أما ورود هذه اللفظة بمعنى الاخفاء فظاهر وأما ورودها بمعنى الاظهار فهو من قولهم سر الشئ وأسره اذا أظهره اذا عرفت هذا فتقول من الناس من قال المراد منه اخفاء تلك الندامة والسبب في هذا الاخفاء وخوجه (الاول) انهم لما رأوا العذاب الشديد صاروا مهوتين متحيرين فلم يطيقوا عنده يكاء ولا صراخا سوى اسرار الندم كالحال فيمن يذهب به ليصلب فانه يبق مهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة (الثاني) انهم أسروا الندامة من سفاتهم واتباعهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم فان قيل ان مهابة ذلك الموقف تمنع الانسان عن هذا التدبير فكيف قدموا عليه قلنا ان هذا الكتمان انما يحصل قبل الاحتراق بالنار فاذا احترقوا تركوا هذا الاخفاء واطهروه بدليل قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا (الثالث) انهم أسروا تلك الندامة لانهم اخلصوا الله في تلك الندامة ومن اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم يعني انهم لما اتوا بهذا الاخلاص في غير وقتهم ينفعهم بل كان من الواجب عليهم ان يأتوا به في دار الدنيا وقت التكليف وأما من فسر الاسرار بالاظهار فقوله ظاهر لانهم انما اخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة وفي القيامة بطل هذا الغرض فوجب الاظهار (وثالثها) قوله تعالى وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون فقيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم واعلم ان الكفار وان اشركوا في العذاب فانه لا بد وان يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وخانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقل لعذاب الباقي لان العدل يقتضى أن يتصف للمظلومين من الظالمين ولا سبيل اليه الا بان يخفف من عذاب المظلومين وينقل في عذاب الظالمين \* قوله تعالى (الان لله مافي السموات والارض الان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون) اعلم ان من الناس من قال ان تعلق هذه الآية بما قبلها هو انه تعالى

والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أوليا (وهم) أي الظالمون (لا يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولو ازمه الضرورية (الان لله مافي السموات والارض) أي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتها أو خارجا عنها ممكنا فيهما وكلمة ما تطلب غير العلاء على العلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء

ويان لا تدرج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا ﴿ ٤ ﴾ واعداما واثابة وصفا (الان وعد الله)

اظهار الاسم الجليل  
لتفخيم شأن الوعد  
والاشعار بعلية الحكم  
وهو اما بمعنى الموعود  
أى جميع ما وعد به كأننا  
ما كان فيندرج فيه  
العذاب الذى استجلوه  
وما ذكر فى أثناء بيان  
حاله اندارجا أو وليا أو  
بمعناه المصدري أى  
وعده بجميع ما ذكر  
فمعنى قوله تعالى (حق)  
على الاول ثابت واقع  
لا محالة وعلى الثانى  
مطابق للواقع وتصدير  
الجملة ببحر فى التنبيه  
والتحقيق للتسجيل على  
تحقق مضمونها  
المقرر لمضمون ما سلف  
من الآيات الكريمة  
والتنبيه على وجوب  
استحضاره والمحافظة  
عليه (ولكن أكثرهم)  
لقد صور عقولهم واستيلاء  
الغفلة عليهم والفهم  
بالاحوال المحسوسة  
المتعادلة (لا يعلمون)  
ذلك فيقولون ما يقولون  
ويفعلون ما يفعلون  
(هو يحيى ويميت)  
فى الدنيا من غير دخل  
لاحد فى ذلك (وايه

قال قبل هذه الآية ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لا قدرت به فلا جرم قال فى هذه  
الآية ليس للظالم شئ يفندى به فان كل الاشياء ملك الله تعالى وملكه واعلم ان هذا  
التوجيه حسن اما الاحسن أن يقال اننا قد ذكرنا أن الناس على طبقات فمنهم من يكون  
انتفاعه بالاقناعات أكثر من انتفاعه بالبرهانيات أما المحققون فانهم لا يلتفتون الى  
الاقناعات وانما تعويلهم على الدلائل البينة والبراهين القاطعة فلما حكى الله تعالى  
عن الكفار انهم قالوا أحق هو أمر الرسول عليه السلام بأن يقول اى وربي وهذا جار  
مجرى الاقناعات فلما ذكر ذلك أتبعه بما هو البرهان القاطع على صحته وتقريره ان القول  
بالنبوة والقول بصحة المعاد يتفرغان على اثبات الاله القادر الحكيم وان كل ما سواه فهو  
ملكه وملكه فعبّر عن هذا المعنى بقوله الان الله ما فى السموات والارض ولم يذكر الدليل  
على صحة هذه القضية لانه تعالى قد استقصى فى تقريره هذه الدلائل فيما سبق من هذه  
السورة وهو قوله ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض وقوله  
هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل فلما تقدم ذكر هذه الدلائل  
القاهرة اكتفى بذكرها وذكر ان كل ما فى العالم من نبات وحيوان وجسد وروح  
وظلمة ونور فهو ملكه وملكه ومتى كان الامر كذلك كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل  
المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن النقائص والآفات فهو تعالى لكونه قادرا  
على جميع الممكنات يكون قادرا على ازالة العذاب على الاهداء فى الدنيا وفى الآخرة  
ويكون قادرا على ايصاله الرحمة الى الاولياء فى الدنيا وفى الآخرة ويكون قادرا على  
تأييد رسوله عليه السلام بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة ويكون قادرا على اعلاء  
شأن رسوله واظهار دينه وتقوية شرعه ولما كان قادرا على كل ذلك فقد بطل الاستهزاء  
والتعجب ولما كان منزها عن النقائص والآفات كان منزها عن الخلف والكذب وكل  
ما وعد به فلا بد وان يقع هذا اذا قلنا انه تعالى لا يراعى مصالح العباد اما اذا قلنا انه تعالى  
يراعىها فنقول الكذب انما يصدر عن العاقل اما العجز أو الجهل أو الحاجة ولما كان الحق  
سبحانه منزها عن الكل كان الكذب عليه محالا فلما اخبر عن نزول العذاب بهؤلاء  
الكفار وبحصول الحشر والنشر وجب القطع بوقوعه فثبت بهذا البيان ان قوله تعالى  
الان الله ما فى السموات والارض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله الان وعد الله حق ثم  
قال ولكن أكثرهم لا يعلمون والمراد انهم غافلون عن هذه الدلائل مفرورون بطواهر  
الامور فلا جرم بقوا محرومين عن هذه المعارف ثم انه أكد هذه الدلائل فقال هو يحيى  
ويميت واليه ترجعون والمراد انه لما قدر على الاحياء فى المرة الاولى فاذا أماته وجب أن  
يبنى قادرا على احياؤه فى المرة الثانية فظهر بما ذكرنا انه تعالى أمر رسوله بأن يقول اى  
وربى ثم انه تعالى اتبع ذلك الكلام بذكر هذه الدلائل القاهرة واعلم ان فى قوله الان الله  
ما فى السموات والارض دققة اخرى وهى كلمة الاوذلك لان هذه الكلمة انما تذكر عند

تنبيه الغافلين وايضا التائمين وأهل هذا العالم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيقولون البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو فيضيفون كل شيء الى مالك آخر والخلق لكونهم مستغرقين في نوم الجهل ورقدة الغفلة يظنون صحة تلك الاضافات فالحق نادى هؤلاء التائمين الغافلين بقوله ألا ان الله ماني السموات والارض وذلك لانه لما ثبت بالعقل ان ماسوى الواحد الاحد الحق ممكن لذاته وثبت ان الممكن مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان ماسواه ملكه وملكه واذا كان كذلك فليس لغيره في الحقيقة ملك فلما كان أكثر الخلق غافلين عن معرفة هذا المعنى غير طالبين به لاجرم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يذكر هذا النداء لعل واحدا منهم يستيقظ من نوم الجهالة ورقدة الضلالة \* قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء عليهم السلام أمران (الاول) أن نقول ان هذا الشخص قد ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقاً وصدقا وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في هذه السورة وقرره على أحسن الوجوه في قوله وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا يرب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية ما يقوى الدين ويورث اليقين ويزيل الشكوك والشبهات ويبطل الجهالات والضلالات (وأما الطريق الثاني) فهو أن نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق اليه وحلهم عليه وكانت لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر الى الايمان ومن الاعتقاد الباطل الى الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية الى الدنيا الى الاعمال الداعية الى الآخرة فهو النبي الحق الصادق المصدق وتقريره ان نفوس الخلق قد استولى عليها أنواع النقص والجهل وجب الدنيا ونحن نعلم بعقولنا ان سعادة الانسان لا تحصل الا بالاعتقاد الحق والعمل الصالح وحاصله يرجع الى حرف واحد وهو ان كل ما قوى نفرتك عن الدنيا ورغبتك في الآخرة فهو العمل الصالح وكل ما كان بالضد من ذلك فهو العمل الباطل والمعصية واذا كان الامر كذلك كانوا محتاجين الى انسان كامل قوى النفس مشرف الروح علوى الطبيعة ويكون بحيث يقوى على نقل هؤلاء الناقصين من مقام النقصان الى مقام الكمال وذلك هو النبي فالخصل أن الناس أقسام ثلاثة الناقصون والكاملون الذين لا يقدر على تكميل الناقصين والقسم الثالث هو الكامل الذي يقدر على تكميل الناقصين فالقسم الاول هو عامة الخلق والقسم الثاني هم الاولياء والقسم الثالث هم الانبياء ولما كانت القدرة على نقل الناقصين من درجة النقصان الى درجة

(يا أيها الناس) التفات  
ورجوع الى استمالتهم  
نحو الحق واستترالهم  
الى قبوله واتباعه غيب  
تحذيرهم من غوائل  
الضلال بما تلى عليهم  
من القوارع الناعية  
عليهم سوأ قبائحهم وايدان  
بأن جميع ذلك مسوق  
لمصالحهم ومنافعهم  
(قد جاءكم موعظة)  
هي والوعظ والعظة  
التذكير بالعواقب سواء  
كان بالاجر والترهيب  
أو بالاستمالة والترقيب  
وكلمة من في قوله تعالى  
(من ربكم) ابتدائية  
متعلقة بجاءتكم أو  
تبعيضية متعلقة بمحذوف  
وقع صفة لوعظة أى  
موعظة كآفة من مواظ  
ربكم وفي العرض  
لعنوان الربوبية من  
حسن الموقع ما لا يخفى  
( وشفاء لما في الصدور  
وهدى ورحمة للمؤمنين)

الكمال مراتبها مختلفة ودرجاتها متفاوتة لا جرم كانت درجات الانبياء في قوة النبوة مختلفة ولهذا السرا قال النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمي كأنياء بني اسرائيل اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى لما بين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة في هذه الآية بين صحة نبوته بالطريق الثاني وهذا الطريق طريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لما هيتهما فالاستدلال بالمعجز هو الذي تسميه المنطقيون برهان الان وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان الهم وهو أشرف وأعلى وأكمل وأفضل (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى وصف القرآن في هذه الآية بصفات أربعة (أولها) كونه موعظة من عند الله (وثانيها) كونه شفاء لما في الصدور (وثالثها) كونه هدى (ورابعها) كونه رحمة للمؤمنين ولا بد لكل واحد من هذه الصفات من فائدة مخصوصة فنقول ان الارواح لما تعلقت بالاجساد كان ذلك التعلق بسبب عشق طبيعي وجب الروح على الجسد ثم ان جوهر الروح التذمبشهيات هذا العالم الجسداني وطبيياته بواسطة الحواس الخمس وتمرن على ذلك وألقت هذه الطريقة واعتادها ومن العلوم ان نور العقل انما يحصل في آخر الدرجة حيث قويت العلائق الحسية والحوادث الجسدانية فصارت ذلك الاستغراق سببا للحصول العقائد الباطلة والاخلاق الذميمة في جوهر الروح وهذه الاحوال تجري مجرى الامراض الشديدة لجوهر الروح فلا بد لها من طبيب حاذق فان وقع في المرض الشديد فان لم يتفق له طبيب حاذق يعالجه بالعلاجات الصائبة مات لامحالة وان اتفق ان صادفه مثل هذا الطبيب وكان هذا البدن قابلا للعلاجات الصائبة فر بما حصلت الصحة وزال السقم اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب الحاذق وهذا القرآن عبارة عن مجموع أدويته التي يتركبها تعالج القلوب المرضية ثم ان الطبيب اذا وصل الى المريض فله معه مراتب أربعة (الاولى) أن ينهأ عن تناول ما لا ينبغي ويأمره بالاحتراز عن تلك الاشياء التي يسببها وقع في ذلك المرض وهذا هو الموعظة فانه لا معنى للوعظ الا الزجر عن كل ما يبعد عن رضوان الله تعالى والمنع عن كل ما يشغل القلب بغير الله (وثانيها) الشفاء وهو أن يسقيه أدوية تزيل عن باطنه تلك الاخلاط الفاسدة الموجبة للمرض فكذلك الانبياء عليهم السلام اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهرة عن فعل ما لا ينبغي فيجئ ثديا أمر ونههم بطهارة الباطن وذلك بالمجاهدة في ازالة الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الحميدة وأوائلها ما ذكره الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وذلك لاننا ذكرنا ان العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة جارية مجرى الامراض فاذا ازالا فقد حصل الشفاء للقلب وصار جوهر الروح مطهرا عن جميع النقوش المانعة عن مطالعة عالم الملكوت (والمرتبة الثالثة) حصول الهدى وهذه المرتبة لا يمكن حصولها الا بعد المرتبة الثانية لان جوهر الروح الناطقة قابل للجلايا القدسية والاضواء الالهية وفيض الرحمة

أى كتاب جامع لهذه الفوائد ويتفاد فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنها وسيئاتها مرغوب في الاولى وراذع عن الاخرى ومبين للمعارف الحققة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والتفان وغيرها من العقائد الزائفة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الاتقان والانس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات الجنان والتكفير في الكل للتفخيم

تام غير منقطع على ما قال عليه الصلاة والسلام ان ربكم في أيام دهركم نفعات الافتراضوا  
 لها وأيضاً فالنعم انما يكون اما للعجز أو للجهل أو للبخل والكل في حق الحق ممتنع فالنعم في  
 حقه ممتنع فعلي هذا عدم حصول هذه الاضواء الروحانية انما كان لاجل ان العقائد  
 الفاسدة والاخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة وعند قيام الظلمة يمتنع حصول النور فاذا  
 زالت تلك الاحوال فقد زال العائق فلا بد وأن يقع ضوء عالم القدس في جوهر النفس  
 القدسية ولا معنى لذلك الضوء الا الهدي فعند هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد  
 انطبع فيها نقش الملكوت وتجلي لها قدس اللاهوت وأول هذه المراتبة هو قوله يا أيها  
 النفس المطمئنة ارجعي الى ربك وأوسطها قوله تعالى ففر الى الله وأخرا قوله قل الله  
 ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ومجموعها قوله والله غيب السموات والارض واليه يرجع  
 الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه ومار بك بغافل عما تعملون وسيجيء تفسير هذه الآيات في  
 مواضعها باذن الله تعالى وهذه المراتبة هي المراد بقوله سبحانه وهدي (وأما المراتبة الرابعة)  
 فهي أن تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروجانية والمعارج الربانية بحيث تفيض  
 أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وذلك  
 هو المراد بقوله ورحمة للمؤمنين وانما خص المؤمنين بهذا المعنى لان أرواح المعاندين  
 لا تستضيء بأنوار أرواح الانبياء عليهم السلام لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس  
 هو الذي يكون وجهه مقابلاً لوجه الشمس فان لم تحصل هذه المقابلة لم يقع ضوء الشمس  
 عليه فكذلك كل روح للملم تتوجه الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم تنفع بأنوارهم  
 ولم يصل اليها آثار تلك الارواح المطهرة المقدسة وكما أن الاجسام التي لا تكون مقابلة  
 لقرص الشمس مختلفة الدرجات والمراتب في البعد عن هذه المقابلة ولا تزال تتزايد درجات  
 هذا البعد حتى ينتهي ذلك الجسم الى غاية بعده عن مقابلة قرص الشمس فلا جرم يضيء  
 خالص الظلمة فكذلك تتفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الانوار عن أرواح الانبياء  
 ولا تزال تتزايد حتى تنتهي الى النفس التي كنت ظلماتها وعظمت شقاوتها وانتهت في العقائد  
 الفاسدة والاخلاق الذميمة الى أقصى الغايات وأبعد النهايات فالخاصل أن الموعظة اشارة  
 الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشقاء اشارة الى تطهير الارواح عن  
 العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى وهو اشارة الى ظهور نور الحق  
 في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة وهي اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق  
 الى حيث تصير مكتملة للناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول  
 عليها بهذه الالفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخر ذكره ولما نبه  
 الله تعالى في هذه الآية على هذه الاسرار العالية الالهية قال قل بفضل الله وبرحمته  
 فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والمقصود منه الاشارة الى ما قرره حكماء الاسلام من  
 أن السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية وقد سبق في مواضع كثيرة

(قل) تلوين للخطاب  
 وتوجهه الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليأمر  
 الناس بان يقتنوا ما في  
 مجي القرآن العظيم من  
 الفضل والرحمة  
 (بفضل الله وبرحمته)  
 المراد بهما اما ما في مجي  
 القرآن من الفضل  
 والرحمة واما الجنس وهما  
 داخلان فيه دخولا  
 أوليا والباء متعلقة بمحذوف  
 وأصل الكلام ليفرحوا  
 بفضل الله وبرحمته  
 وتكرير الباء في رحمة  
 للايدان باستقلالها في  
 استيجاب الفرح ثم قدم  
 الجار والمجرور على الفعل  
 لافادة القصر ثم أدخل  
 عليه الفاء لافادة معنى  
 السببية فصار بفضل الله  
 وبرحمته فليفرحوا ثم قيل  
 (فبذلك فليفرحوا)  
 للتأكيد والتقرير ثم حذف  
 الفعل الاول لدلالة  
 الثاني عليه والفاء الاولى  
 جزائية

من هذا الكتاب المبالغة في تفرير هذا المعنى فلا فائدة في الاعادة انتهى ( المسئلة الثالثة )  
 قوله قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا تقديره بفضل الله و برحمته فليفرحوا ثم  
 يقول مرة أخرى فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد و أيضا قوله فبذلك فليفرحوا يفيد  
 الحصر يعني يجب أن لا يفرح الانسان الا بذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على أمرين  
 ( أحدهما ) أنه يجب أن لا يفرح الانسان بشئ من الاحوال الجسمانية و يدل عليه وجوه  
 ( الاول ) ان جاعة من المحققين قالوا لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام  
 والمعنى العدمي لا يستحق أن يفرح به ( والثاني ) ان بتقدير أن تكون هذه اللذات صفات  
 ثبوتية لكنها مضموية من وجوه ( الاول ) ان الضرر بالآلام أقوى من الانتفاع بلذاتها  
 الا ترى ان أقوى اللذات الجسمانية لذة الوقاع ولا شك ان الالتذاذ بها أقل مرتبة من  
 الاستضرار بألم القواقع وسائر الآلام القوية ( والثاني ) أن مداخل اللذات الجسمانية  
 قليلة فانه لا سبيل الى تحصيل اللذة الجسمانية الا بهذين الطريقين أعني لذة البطن والفرج  
 وأما الآلام فان كل جزء من أجزاء بدن الانسان معه نوع آخر من الآلام و لكل نوع  
 منها خاصية ليست للنوع الأخرى ( والثالث ) ان اللذات الجسمانية لا تكون خالصة البتة  
 بل تكون ممزوجة بانواع من المسكاره فلو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الاتعاب النفس  
 في مقدماتها وفي لواحقها لكفى ( الرابع ) ان اللذات الجسمانية لا تكون باقية فكلما  
 كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد ولذلك  
 قال المعري ان حزنا في ساعة الموت أضعا \* فسرور في ساعة الميلاد  
 فمن العلوم ان الفرح الحاصل عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته  
 ( الخامس ) ان اللذات الجسمانية حال حصولها تكون ممتعة البقاء لان لذة الاكل لا تبقى  
 بمالها بل كما زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل ولا يمكن استبقاء تلك اللذة ( السادس )  
 ان اللذات الجسمانية التذاذ باشياء خسيصة فانها التذاذ بكيفيات حاصلة في أجسام  
 رخوة سريعة الفساد مستعدة للتغير فاما اللذات الروحانية فانها بالصد في جميع هذه  
 الجهات فثبت ان الفرح باللذات الجسمانية فرح باطل وأما الفرح الكامل فهو الفرح  
 بالروحانيات والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء ( والبحث الثاني ) من مباحث  
 هذه الآيات أنه اذا حصلت اللذات الروحانية فانه يجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث  
 هي بل يجب أن يفرح بها من حيث انها من الله تعالى و بفضل الله و برحمته فلهذا  
 السبب قل الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشرك أما من  
 فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك هو غاية الكمال ونهاية  
 السعادة فقوله سبحانه قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا يعني فليفرحوا بتلك النعم  
 لان من حيث هي هي بل من حيث انها بفضل الله و برحمته فهذه اسرار غاية اشتملت  
 عليها هذه الاقناظ التي ظهرت من عالم الوحي والتنزيل هذا ما تلخص عندنا في هذا الباب

والشأنية للدلالة على  
 السببية والاصل ان  
 فرحوا بشئ فبذلك  
 لفرحوا لا بشئ آخر  
 ثم أدخل الغاء للدلالة  
 على السببية ثم حذف  
 الشرط ومعنى البعد في  
 اسم الاشارة للدلالة على  
 بعد درجة فضل الله  
 تعالى ورحمته ويجوز  
 أن يراد بفضل الله  
 و برحمته فليعتوا فبذلك  
 فليفرحوا ويجوز أن  
 يتعلق الباء بجاء تكلم أي  
 جاء تكلم موعظة بفضل  
 الله و برحمته فبذلك  
 أي فبجيبها فليفرحوا  
 وقرئ فلتفرحوا وقرأ  
 أبي فافرحوا وعن أبي  
 بن كعب ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم تلا  
 قل بفضل الله و برحمته  
 فقال بكتاب الله والاسلام  
 وقيل فضله الاسلام  
 ورحمته ما وعد عليه  
 ( هو ) أي ما ذكر من  
 فضل الله ورحمته ( خير  
 مما يجمعون ) من حطام  
 الدنيا وقرئ يجمعون  
 أي فبذلك فليفرح  
 المؤمنون هو خير مما  
 يجمعون أيها المخاطبون

(قل رأيتم) اي خبروني (ما انزل الله لكم من رزق) ما منصوبة المحل بما بعدها و بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجملة منزل الله مقدر في السماء محصل هو او ما يتوقف عليه وجوده او بقاءه باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين (فجعلتم منه) اي جعلتم بعضه (حراما) اي حكمتم بانها حرام (وحلالا) اي جعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه ﴿ ٩ ﴾ انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة

لذكورنا ومحرم على انا واجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجمل فيه ودوران التوييح عليه (قل) تنكير لأكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني (الله اذن لكم) في ذلك الجمل فانتم فيه ممثلون بأمره تعالى (أم على الله تغفرون) أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيك لتحقيق العلم بالشق الاخير قطعاً كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تغفرون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال فحج افتراءهم وتأكيدهم للتبكيك اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوييح والجزء بانكار الاذن الى ما يفيد هزئها من التوييح على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تغفرون (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير

أما المفسرون فتأولو افضل الله الاسلام ورجته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورجته ان جعلكم من أهله (المسئلة الرابعة) قرئ فلتفرحوا بالثناء قال الفراء وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالثناء وقال معناه فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد وخير مما يجمع الكفار قال وقريب من هذه القراءة قراءة أبي فبذلك فافرحوا والاصل في الامر للمخاطب والغائب اللام نحو لتقم يا زيد وليقم زيد وذلك لان حكم الامر في صورتين واحدا لان العرب حذفوا اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله وحذفوا التاء أيضا وأدخلوا ألف الوصل نحو اضرب واقتل ليقيم الابتداء وكان الكسائي يعيب قولهم فليفرحوا لانه وجده قليلا فجعله عيبا الآن ذلك هو الاصل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض المشاهد لتأخذوا مصافكم يريد به خذوا وهذا كله كلام الفراء وقرئ تجتمعون بالثناء ووجهه انه تعالى عنى المخاطبين والغائبين الا أنه غلب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث فكان أنه أراد المؤمنين هكذا قاله أهل اللغة وفيه دققة عقلية وهو أن الانسان حصل فيه معنى يدعو الى خدمة الله تعالى والى الاتصال بعالم الغيب ومعارض الروحانيات وفيه معنى آخر يدعو الى علم الحس والجسم والذات الجسدانية وما دام الروح متعلقا بهذا الجسد فانه لا ينفك عن حب الجسد وعن طلب اللذات الجسمانية فكان أنه تعالى خاطب الصديقين العارفين وقال حصلت الخصومة بين الحوادث العقلية الالهية وبين النوازع النفسانية الجسدانية والترجيح لجانب العقل لانه يدعو الى فضل الله ورجته والنفس تدعو الى جمع الدنيا وسهواتها وفضل الله ورجته خير لكم مما تجتمعون من الدنيا لان الآخرة خير وأبقى وما كان كذلك فهو أولى بالطلب والتحصيل ﴿ قوله تعالى (قل رأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا هل آذن لكم أم على الله تغفرون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله نذوفضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن الناس ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوها ولا أستحسن واحدا منها والذي يخطر بالبال والعلم عند الله تعالى وجهان (الاول) ان المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في اثبات النبوة وتقريره انه عليه الصلاة والسلام قال للقوم انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فهذا الحكم تقولونه على سبيل الافتراء على الله تعالى وتعلمون أنه حكم حكم الله به والاول طريق باطل بالاتفاق فلم يبق الا الثاني ثم من المعلوم انه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة ولما بطل هذا ثبت ان هذه الاحكام انما وصلت اليكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اليكم وحاصل الكلام ان حكمكم بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها مع اشتراك الكل في الصفات المحسوسة والمنافع المحسوسة يدل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكنكم أن تبالغوا هذه المبالات العظيمة في انكار

داخل تحت القول المأثور به والتعبير عنهم ﴿ ٢ ﴾ خا بالوصول في موقع الاضمار اطع احتمال الشق الاول من التزديد التسهيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كد بالاظهار كال فحج ما فعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولها محذوفان وقوله عز وجل (يوم اقامة) ظرف للنفس الظن اي أي شيء ظنهم في ذلك

اليوم يوم فرض الافعال والاقوال والمجازاة عليهما مثقالا بمثقال والمراد تنويعه وتفطيره بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح أمره في التقرر والتحقق منزلة المسبب عندهم أي شيء ظنهم لما سبق يوم القيامة يحسبون أنهم لا يستلون عن افتراءهم أو لا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلائهم ﴿ ١٠ ﴾ لفي أشد العذاب لان معصيتهم أشد المعاصي ومن

أظلم من افتري على الله كذبا وقرى على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيامة وأراد صيغة الماضي لانه كأنه فكأنه قد كان (ان الله لذو فضل) أي عظيم لا يكتنه كنهه (على الناس) أي جميعا حيث أنهم عليهم بالعقل المميزين الحق والباطل والحسن والقيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وأرشدتهم الى ما يحتملهم من أمر المعاش والمعاد (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الابوه وقد فضل عليهم ببيان ماسبقه يوم القيامة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تنديل سبق مقرر لمضمونه (وما تكون في شأن) أي في أمر من شأنه شأنه أي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول (وما تتلون منه) الضمير للشأن والظرف صفة المصدر محذوف

النبوة والرسالة وحمل الآية على هذا الوجه الذي ذكرته طريق حسن معقول (الطريق الثاني) في حسن تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة نبوة نفسه وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في انكارها أتبع ذلك ببيان فساد طريقهم في شرائعهم وأحكامهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بالحل والحرم مع أنه لم يشهد بذلك لعقل ولا نقل طريق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم في آديانهم وفي أحكامهم وأنهم ليسوا على شيء في باب من الابواب (المسئلة الثانية) المراد بالشيء الذي جعلوه حراما ما ذكره من تحريم البجيرة والسائية والوصيلة والحام وأيضا قوله تعالى وقالوا هذه أنعام وحرث حجر الى قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وأيضا قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والدليل عليه أن قوله فجعلتم منه حراما إشارة الى أمر تقدم منهم ولم يحك الله تعالى عنهم الا هذا فوجب توجه هذا الكلام اليه ثم لما حكى تعالى عنهم ذلك قال رسوله عليه الصلاة والسلام قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وهذه القسمة صحيحة لان هذه الاحكام اما أن تكون من الله تعالى أو لم تكن من الله فان كانت من الله تعالى فهو المراد بقوله الله أذن لكم وان كانت ليست من الله فهو المراد بقوله أم على الله تفترون ثم قال تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب وهذا وان كان في صورة الاستعلام فالمراد منه تعظيم وعيد من يفتري على الله وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه أي ظن ظنوه يوم القيامة وحي به على لفظ الماضي لما ذكرنا ان احوال القيامة وان كانت آية الا انها لما كانت واجبة الوقوع في الحكمة لاجرم عبر الله عنها بصيغة الماضي ثم قال ان الله لذو فضل على الناس أي باعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب ولكن أكثرهم لا يشكرون فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله ولا ينتفعون باستماع كتب الله (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى قل رأيتم ما أنزل الله فيه وجهان (أحدهما) بمعنى الذي فينتصب رأيتم والاخر أن يكون بمعنى أي في الاستفهام فينتصب بأنزل وهو قول الزجاج ومعنى أنزل ههنا خلق وأنشأ قوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وجزأ أن يعبر عن الخلق بالانزال لان كل ما في الارض من رزق فما أنزل من السماء من ضرع وزرع وغيرهما فلما كان ايجادها بالانزال سمي انزالا ﴿ قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلون منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب. بين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه لما أطال الكلام في أمر الرسول بإيراد الدلائل على فساد مذاهب الكفار وفي أمره بإيراد الجواب عن شبهاتهم وفي أمره بتحمل أذاهم وبالرفق معهم ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السلوة والسرور للمطيعين وعمام الخوف والفرح لاهل الذنوب

أي تلاوة كائنه من الشأن اذ هي معظم شؤنه عليه السلام أول التنزيل والاضمار قيل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية ﴿ وهو ﴾ أو تبعيضية أو لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى (من قرآن) مزيدة لتأكيد التفي أو ابتدائية على الوجه الاول وبيانية أو تبعيضية على الثاني والثالث (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقدر وعي في كل من القامين ما يليق به حيث ذكر أولامن الاعمال ما فيه فحماة وجلالة وثابا ما يتناول الجليل



والخبر ( الاكنا عليكم شهودا ) استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أي ما تلبسون بشئ منها في حال من الأحوال الاحال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له ( اذ تفيضون فيه ) أي تخوضون وتندفعون فيه وأصل الافاضة الارتفاع بكثرة أو بقوة وحيث اريد بالأفعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي أيضا أوتر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تقدم المضارع معنى ﴿ ١١ ﴾ الماضي ( وما يعرب عن ربك ) أي لا يبعد ولا يقرب عن علمه الشامل

وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللفظ ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي ( من مقال ذرة ) كلمة من مزيدة لنا كيد التي أي ما يعرب عنه ما يساوي في الثقل ثلثة صغيرة أو هباء ( في الارض ولا في السماء ) أي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما بمكان ليس في أحدهما أو متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال أهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ( ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ) كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس وأصغرا سواها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً كأنه قيل لا يعرب عن ربك شئ ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعرب عنه شئ منها وقيل يجوز أن يكون الاستثناء متصلاً ويعرب بمعنى بين ويصدر والمعنى

وهو كونه سبحانه علماً يعمل بكل واحد و ياتي قلبه من الدواعي والصورف فان الانسان ربما أظهر من نفسه نسكا وطاعة وزهدا وتقوى ويكون باطنه مملواً من الخبث وور بما كان بالعكس من ذلك فاذا كان الحق سبحانه علماً بما في البواطن كان ذلك من أعظم أنواع السرور للمطيعين ومن أعظم أنواع التهديد للذابين ( المسئلة الثانية ) أعلم أنه تعالى خصص الرسول في أول هذه الآية بالخطاب في أمرين ثم أتبع ذلك بتعميم الخطاب مع كل المكلفين في سئ واحد أما الامران المخصوصان بالرسول عليه الصلاة والسلام ( فالاول ) منهما قوله وما يكون في شأن واعلم ان ما ههنا سجدوا لشأن الخطب والجمع السؤن تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله قال الاخفش وتقول ما شأنك شأنه أي ما عملت عمله وفيه وجهان قال ابن عباس وما يكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوادثك فيها ( والثاني ) منهما قوله تعالى وماتلو منه من قرآن واختلفوا في أن الضمير في قوله منه إلى ماذا يعود وذكروا فيه ثلاثة أوجه ( الاول ) أنه راجع إلى الشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه وعلى هذا التقدير فكان هذا داخلاً تحت قوله وما تكون في شأن الا أنه خصه بالدكر تنبيها على علو مرتبته كما في قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وكما في قوله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم ( الثاني ) ان هذا الضمير عائد إلى القرآن والتقدير وماتلو من القرآن وذلك لانه كما أن القرآن اسم للمجموع فكذلك هو اسم لكل جزء من أجزاء القرآن والاضمار قبل الذكريدل على التمثيل ( الثالث ) أن يكون التقدير وماتلو من قرآن من الله أي نازل من عند الله وأقول قوله وما تكون في شأن وماتلو منه من قرآن أمران مخصوصان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما قوله ولا تعملون من عمل فهذا خطاب مع النبي ومع جميع الأمة والسبب في أن خص الرسول بالخطاب أولاً ثم عم الخطاب مع الكل هو ان قوله وما تكون في شأن وماتلو منه من قرآن وان كان بحسب الطاهر خطاباً بمختص بالرسول الا ان الأمة داخلون فيه ومرادون منه لانه من المعلوم أنه اذا خوطب رئيس القوم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب والدليل عليه قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ثم انه تعالى بعد أن خص الرسول بذنك الخطابين عم الكل بالخطاب الثالث فقال ولا تعملون من عمل فدل ذلك على كونهم داخلين في الخطابين الاولين ثم قال تعالى الاكنا عليكم شهودا وذلك لان الله تعالى ساعد على كل شئ وعالم بكل سئ أما على أصول أهل السنة والجماعة فالامر فيه ظاهر لانه لا يحدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من أفعال العباد وأعمالهم الطاهرة والباضنة فكلها حصلت بإيجاد الله تعالى واحداثه والموجد للشيء لا يبدو أن يكون علماً به فوجب كونه تعالى علماً بكل المعلومات وأما على أصول المعتزلة فقد قالوا انه تعالى سخي وكل من كان حياً فانه يصح أن يعلم كل واحد من المعلومات

لا يصدر عنه تعالى سئ الا هو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ ( الا ان أولياء الله ) يان على وجه التبشير والوعدها هو نتيجة لأعمال المؤمنين وغاية الماذكر قبله من كونه تعالى مهيباً على نبيه عليه السلام وأمنه في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتاً في الكتاب المبين بعدما أشير إلى فطاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما سيترجم من الهول اشارة اجالية على طريق

التهديد والوعيد وصدرت الجملة بخر في التنبية والتحقيق لزيادة تفرير مضمونها والولي لغة التريب والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين لقر بهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيصح عنه تفسيرهم (لاخوف عليهم) في الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب اي لا يعترتهم ما يوجب ذلك لانه يعترتهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعترتهم خوف وحرز أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور وكف لاواستشعار ﴿ ١٢ ﴾ الخوف والحشية استعظاما لجلال الله

سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والقر بين والمراد بيان دوام انتفاهما لبيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا للمرمرار من أن النبي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعترتهم ذلك لان مقصدهم ليس الاطاعة لله تعالى ونبيل رضوانه المستمع للكرامة والزلفي وذلك مما لا يرب في حصوله والاحتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى وأماما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمنزلة من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعندما حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل (الذين آمنوا) اي بكل ما جاء من عند الله تعالى ( وكانوا يتقون) اي يقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم

والموجب لتلك العالمية هو ذاته سبحانه فنسبة ذاته الى اقتضاء حصول العالمية ببعض المعلومات كنسبة ذاته الى اقتضاء حصول العالمية بسائر المعلومات فلما اقتضت ذاته حصول العالمية ببعض المعلومات وجب أن تقتضي حصول العالمية بجميع المعلومات فثبت كونه تعالى عالما بجميع المعلومات أما قوله تعالى اذ تفيضون فيه فاعلم ان الافاضة ههنا الدخول في العمل على جهة الانصب اليه وهو الانبساط في العمل يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وقد افاضوا من عرفة اذا دفعوا منه بكثرتهم ففرقوا فان قيل اذههنا بمعنى حين فيصير تقدير الكلام الا كنا عليكم شهودا حين تفيضون فيه وشهادة الله تعالى عبارة عن علمه فيلزم منه أن يقال انه تعالى ما علم الاشياء الا عند وجودها وذلك باطل قلنا هذا السوال البناء على أن شهادة الله تعالى عبارة عن علمه وهذا ممنوع فان الشهادة لا تكون الا عند وجود المشهود عليه وأما العلم فلا يمتنع تقدمه على الشيء والدليل عليه ان الرسول عليه السلام لو أخبرنا عن زيد أنه يأكل غدا كنا من قبل حصول تلك الحالة عالين بها ولا نوصف بكوننا شاهدين لها واعلم ان حاصل هذه الكلمات أنه لا يخرج عن علم الله شيء ثم انه تعالى أكد هذا الكلام زيادة تأكيد فقال وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) أصل العزوب من البعد يقال كلاً عازب اذا كان بعيدا المطلوب وعزب الرجل بابه اذا أرسلها الى موضع بعيد من المنزل والرجل سمي عزبا لبعده عن اهل وعزب الشيء عن علي اذا بعد ( المسئلة الثانية ) قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي والباقون بالضم وفيه لغتان عزب يعزب وعزب يعزب ( المسئلة الثالثة ) قوله من مثقال ذرة اي وزن ذرة ومثقال الشيء ما يساويه في الثقل والمعنى ما يساوي ذرة والذرة صفار النمل واحدها ذرة وهي تكون خفيفة الوزن جدا وقوله في الارض ولا في السماء فلهذا ظاهر فان قيل لم يقدم الله ذكر الارض ههنا على ذكر السماء مع انه تعالى قال في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلنا حق السماء أن تقدم على الارض الا انه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أحوال أهل الارض وأعمالهم ثم وصل بذلك قوله لا يعزب عنه ناس أن تقدم الارض على السماء في هذا الموضع ثم قال ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وفيه قراءتان قرأ حزة ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما والباقون بالنصب واعلم ان قوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة تقديره وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فلفظ مثقال عند دخول كلمة من عليه مجرور بحسب الظاهر ولكنه من فروع في المعنى فالعطف عليه ان عطف على الظاهر كان مجرورا الا ان لفظ أصغر وأكبر غير منصرف فكان مفتوحا وان عطف على المحل وجب كونه من فوعا ونظيره قوله ما أتاني من أحد عاقل وعاقل وكذا قوله مالكم من الخيره وغيره وقال الشاعر ﴿ فلست بالجليل ولا الحديد ﴾ هذا ما ذكره النحويون قال صاحب

وأشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤل ومحل الوصول الرفع على انه خبر ليد المحذوف (الكشاف) كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المحيين عن كل شر وقيل محله النصب أو الرفع على المدح أو على انه وصف مادح الاولياء ولا يندح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة

لما تحتها من مرتبة التوفى عن الشرك التي يفيدها الايمان أيضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤتم من فعل وترك اعني تنزه  
الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبطل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي للمأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا  
اتقوا الله حق تقاته و به يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل  
معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ﴿ ١٣ ﴾ ولا تعملون من عمل خلا أن لهم في شأن التبطل والتنزه درجات

متفاوتة حسب تفاوت درجات  
استعداداتهم الفائضة عليهم  
بموجب المشيئة الميضية على  
الحكم الاية اقصاها ما انتهى  
اليه هم الانبياء عليهم السلام  
حتى جمعوا بذلك بين رياستي  
النبوّة والولاية ولم يعقهم  
التعلق بعالم الاشباح من  
الاستغراق في عالم الارواح  
ولم تصدهم الملابس بمصالح  
الخلق عن التبطل الى جناب  
الحق لكمال استعداد نفوسهم  
الركيعة المويّدة بالقوة القدسية  
فلاك أمر الولاية هو التقوى  
المذكور فالولياء الله هم المؤمنون  
المتقون ويقرب منه ما قيل  
من انهم الذين تولى الله  
هدايتهم بالبرهان وتولوا  
القيام بحق عبودية الله  
تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه  
ما قيل من انهم الذين يذكر الله  
برؤيتهم لما روى عن سعيدين  
جبر ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سئل من أولياء الله  
فقال هم الذين يذكر الله  
برؤيتهم اي بسنتهم واختباتهم  
وسكيتهم ولا ما قيل من انهم  
المتحابون في الله لما روى عن عمر  
رضي الله عنه أنه قال سمعت  
النبي صلى الله عليه وسلم يقول

الكشاف اوضح هذا العطف لصار تقدير هذه الآية وما يعرب عنه نبي في الارض  
ولافي السماء لافي كتاب وحينئذ يلزم أن يكون النبي الذي في الكتاب خارجا عن علم الله  
تعالى وانه باطل وأجاب بعض المحققين عنه بوجهين (الاول) أنايينان العزوب عبارة  
عن مطلق البعد واذابت هذا فتقول الاشياء المخلوقة على قسمين قسم أوجده الله تعالى  
ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده الله بواسطة  
القسم الاول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ولاشك ان هذا القسم  
الثاني قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود فقوله  
وما يعرب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر لافي كتاب  
مبين اي لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب  
مبين وهو كتاب كتبه الله تعالى وأثبت صور تلك المعلومات فيه ومضى كان الامر كذلك  
فتد كان عالمها محيطا بأحوالها والغرض منه الرد على من يقول انه تعالى غير عالم  
بالجزئيات وهو المراد من قوله انا كنا نسئسخ ما كنتم تعملون (والوجه الثاني) في الجواب  
أن يجعل كلمة لافي قوله لافي كتاب مبين استثناء مقطعا بمعنى لكن هو في كتاب مبين  
وذكر أبو علي الجرجاني صاحب النظم عند جواب آخر فقال قوله وما يعرب عن ربك من  
مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ههنا تم الكلام وانقطع  
ثم وقع الابتداء بكلام آخر وهو قوله لافي كتاب مبين اي وهو أيضا في كتاب مبين قال  
والعرب تضع الاموضع واوالنسق كثيرا على معنى الابتداء كقوله تعالى اني لا يخاف  
لدى المرسلون الامن ظلم يعني ومن ظلم وقوله ثلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين طلبوا  
يعني والذين طلبوا وهذا الوجه في غاية التعسف وأجاب صاحب الكشاف بوجه رابع  
فقال الاشكال انما جاء اذا عطفنا قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على قوله من مثقال  
ذره في الارض ولا في السماء اما بحسب الظاهر أو بحسب المحل لكننا نقول ذلك بل نقول  
الوجه في القراءة بالنصب في قوله ولا أصغر من ذلك المحل على نفي الجنس وفي القراءة بالرفع  
المحل على الابتداء وخبره قوله في كتاب مبين وهذا الوجه اختيار الزجاج \* قوله تعالى  
(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى  
في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا يتبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) اعلم اننا بينا ان  
قوله تعالى وما يكون في شأن وماتلو منه من قرآن مما يشوي قلوب المطيعين وما يكسر  
قلوب الفاسقين فأتبعه الله تعالى بشرح أحوال المخلصين الصادقين الصديقين وهو  
المذكور في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم اننا نحتاج في تفسير هذه الآية  
الى أن نبين أن الولي من هو ثم نبين تفسير نفي الخوف والحزن عنه فنقول أما ان الولي من  
هو فيدل عليه القرآن والخبر والاثر والمعقول أما القرآن فهو قوله في هذه الآية الذين  
آمنوا وكانوا يتقون فقوله آمنوا اشارة الى كمال حال القوة النظرية وقوله وكانوا يتقون

ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يعبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة اكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا  
من هم وما أعمالهم فقلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم  
لنور وانهم لعل من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فانما ذكر من حسن السمات والسكينة  
المذكورة لله تعالى والحباب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان

والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من أفهام الناس قد أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبا يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين أو غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فاعمل الحاضرين أولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مقترين الى تأليف قلوبهم ﴿ ١٤ ﴾ وخطبها نحو المؤمنين الذين لاعلاقة بينهم وبينهم

من جهة النسب والقرابة وتأكيدها بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفع مكانتها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجرها من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم وأما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيراً لتوليتهم اياه تعالى وقوله عز وجل (اهم البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير لتوليتهم تعالى اياهم ولاريب في أن اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والتمسك بها وبشارتهم بانوارها وتأنجها بل محل ذلك اذا التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجوده سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله

اشارة الى كمال حال القوة العملية وفيه مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ثم نصف الولي بانه كان متقيا في الكل أما التقوى في موقف العلم فلا تجلال الله اعلى من أن يحيط به عقل البشر فالصديق اذا وصف الله سبحانه بصفة من صفات الجلال فهو بقدر الله عن أن يكون كماله وجلاله مقتصر على ذلك المقدار الذي عرفه ووصفه به واذا عبد الله تعالى فهو بقدر الله تعالى عن أن تكون الخدمة اللاتمة بكبريائه متقدرة بذلك المقدار فثبت انه ابدى يكون في مقام الخوف والتقوى وأما الاخبار فكثيرة روى عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ هذه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هم الذين يذكر الله تعالى برويتهم قال أهل التحقيق السبب فيه أن مشاهدتهم تذكرا أمر الآخرة لما يشاهد فيهم من آيات الخسوع والخضوع ولما ذكر الله تعالى سبحانه في قوله سيباهم في وجودهم من أثر السجود واما الأثر فقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه وأما المعقول فنقول ظهر في علم الاشتقاق أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب فولى كل شئ هو الذي يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بالمكان والجهة محال فالتقرب منه انما يكون اذا كان القلب مستغرقا في نور معرفة الله تعالى سبحانه فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في خدمة الله وان اجتهد اجتهد في طاعة الله فهناك يكون في غاية القرب من الله فهذا الشخص يكون وليا لله تعالى واذا كان كذلك كان الله تعالى وليا له ايضا كما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ويجب ان يكون الامر كذلك لان القرب لا يحصل الا من الجانبين وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة فهذا كلام مختصر في تفسير الولي وأما قوله تعالى في صفتهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ففيه بحثان (البحث الاول) أن الخوف انما يكون في المستقبل بمعنى أنه يخاف حدوث شئ في المستقبل من الخوف والحزن انما يكون على الماضي اما الاجل أنه كان قد حصل في الماضي ما كرهه أو لانه فات شئ أحبه (البحث الثاني) قال بعض المحققين ان نفي الحزن والخوف اما أن يحصل للاولياء حال كونهم في الدنيا وحال انتقالهم الى الآخرة والاول باطل لوجوه (أحدها) أن هذا لا يحصل في دار الدنيا لانها دار خوف وحزن والمؤمن خصوصا لا يخلو من ذلك على ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعلى ما قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (وثانيها) ان المؤمن وان صفا عيشه في الدنيا فانه لا يخلو من هم بأمر الآخرة شديد

ولا يعلمون لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بحاسن آثارها بل التولى ﴿ وحزن ﴾

بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التزليل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم أن الاول تفسير للاولياء حسبا شرح والثاني بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان إنجازهم من شروعهما ومكارههما والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل

لهم ما يسترهم في الدارين وتقديم الاول لما أن التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه مر من اعادة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين ونجمل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالطلب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايدان بأن انتفاء الخوف والحزن لاتقاهم عما يودى اليهما من الاسباب والبسرى \* ١٥ \* مصدر أريده المبشربه من الخيرات العاجلة كالنصر

والفتح والغنية وغير ذلك والاجلة الغنية عن البيان واشار الابهام والاجال للايدان يكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البسرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة اى عاجلة وآجلة أو من الضمير المجرور اى حال كونهم في الحياة الخ ومن البسرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس \* عن أبي ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البسرى مصدر والظرفان متعلقان به \* أما البسرى في الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هى الرويا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت البشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيمهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تنزل عليهم الملائكة

وحزن على ما يقوته من القيام بطاعة الله تعالى واذا بطل هذا القسم وجب حل قوله تعالى لاخوف عليهم ولا هم يحزنون على أمر الآخرة فهذا كلام محقق وقال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب فولى الله تعالى هو الذى يكون في غاية القرب من الله تعالى وهذا التقرير قد فسرناه باستغراقه في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شئ مما سوى الله في هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة حاصلة فان صاحبها لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شئ وكيف يعقل ذلك والخوف من الشئ والحزن على الشئ لا يحصل الا بعد الشعور به والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى فيمتنع أن يكون له خوف أو حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذوقها لم يعرفها ثم ان صاحب هذه الحالة قد تنزل عنه هذه الحالة وحينئذ يحصل له الخوف والحزن والرعب والرغبة والرغبة بسبب الاحوال الجسمانية كما يحصل لغيره وسمعت أن ابراهيم الخواص كان بالبادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمر بدتسلق على رأس شجرة خوفا منها والشئ ما كان فازعا من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فأطهر الجزع من تلك البعوضة فقال المر يد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ انا انما تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما ظن ذلك الوارد وأنا أضعف خلق الله تعالى (المسئلة الثانية) قال أكثر المحققين ان أهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيامة واحتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون وبقوله تعالى لا يحزنهم الفرح الاكبر وتلقاهم الملائكة وأيضا ما قيامه دار الجزاء فلا يليق به ايصال الخوف ومنهم من قال بل يحصل فيه أنواع من الخوف وذكر وافية أخبار اتدل عليه الا أن ظاهر القرآن أولى من خبر الواحد وأما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون ففيه ثلاثة أوجه (الاول) النصب بكونه صفة للاولياء (والثاني) النصب على المدح (والثالث) الرفع على الابتداء وخبر لهم البشرى وأما قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ففيه أقوال (الاول) المراد منه الرويا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البشرى هى الرويا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت البشرات وعنه عليه الصلاة والسلام الرويا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلا يخافه فليتعوذ منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فإنه لا يضره وعنه صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعن ابن مسعود الرويا ثلاثة اللهم بهم به الرجل من النهار فيراه في الليل وحضور الشيطان والرويا التى هى الرويا الصادقة وعن ابراهيم الرويا ثلاثة فالبشرة من الله جزء من سبعين جزءا من النبوة والشئ بهم به أحدكم بالنهار فاعله يراه بالليل والخوف من الشيطان فاذا رأى أحدكم كما يحزنه

أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة \* وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة ايهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بإيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيق من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لالذواتها ولا يخفى أن صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلاله شأن التنزيل الكريم

(للتبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله التي من جلالتها مواعيدة الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاق فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرويا بالصالحه فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتي بطريق الوعد ﴿ ١٦ ﴾ من قوله تعالى لهم البشرى فقدر (ذلك) اشارة

الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز زور له وفيه تفسير لما أجهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله أو هذه تذييل والسابقة اعتراض (ولا يخزنك قولهم) تسليمة للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه الصلاة والسلام بأنه عز وجل ينصره ويعز عليه اثر بيان أنه لا يتبعه ائمن من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرى ولا يخزنك من أحزنه وهو في الحقيقة نهى له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبالي بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثر ينهي عن التأثر باصله ونفي له بالرة وقديوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي

فليقل أعوذ بما عادت به ملائكة الله من شر رؤياي التي رأيتها أن تضرنى في دنياي أو في آخري واعلم أنا اذا جئنا قوله لهم البشرى على الرويا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم والعقل أيضا يدل عليه وذلك لان نولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان كذلك فهو عند انوم لا يبقى في روحه الا معرفة الله ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يفيد الا الحق والصدق وأما من يكون متسوزع الكفر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم فإنه اذا نام يبقى كذلك فلا جرم لا اعتماد على رؤياه فلهمذا السبب قال لهم البشرى في الحياة الدنيا على سبيل الحصر والتخصيص (القول الثاني) في تفسير البشرى أنها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن واعلم أن المباحث العقلية تقوى هذا المعنى وذلك أن الكمال محبوب لذاته لا لغيره وكل من اتصف بصفة من صفات الكمال صار محبوبا لكل أحد ولا يكال للبعد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق اللسان بذكر الله مستغرق الجوارح والاعضاء بعبودية الله فاذا ظهر عليه أمر من هذا الباب صارت الالسة جارية بمدحه والقلوب مجبولة على حبه وكلما كانت هذه الصفات الشريفة أكثر كانت هذه المحبة أقوى وأيضاً فنور معرفة الله مخدوم بانبات في أي قلب حضر صار ذلك الانسان مخدوما بالطبع الا ترى ان البهائم والسباع قد تكون أقوى من الانسان ثم انها اذا شاهدت الانسان هابت منه وفرت منه وماذا ك الالمهابة النفس الناطقة (والقول الثالث) في تفسير البشرى أنها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وسلام الله عليهم كما قال سلام قولاً من رب رحيم ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله في هذا الكتاب الكريم من يياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يلقون فيها من الاحوال السارة فكل ذلك من المبشرات (والقول الرابع) ان ذلك عبارة عما يشتره الله عباده المتقين في كتابه وعلى السنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه ودليله قوله ييشرهم ربهم برحمة منه ورضوان واعلم ان لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ومجموع الامور المذكورة مشتركة في هذه الصفة فيكون الكل داخلا فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله وفي الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر صفة أولياء الله وشرح أحوالهم قال تعالى لا تبديل لكلمات الله والمراد انه لا خلف فيها والكلمة والقول سواء ونظيره قوله ما يبديل القول لدى وهذا أحد ما يقوى أن المراد بالبشرى وهذا الله بالشواب

عن الملزوم كافي قولك لأرنيك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالاراد مع شمول النهي السابق ﴿ الكرامة ﴾ للحزن أيضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهي عنه وور بما كان يعتربه عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى (ان العزة) تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي الغلبة والقهر (لله جميعا) اي في ملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئا منها أصلا لهم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم

وقد كان كذلك فهي من جلة المبشرات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل أي لان العزة لله (هو السمع العظيم) بفتح ما يقولون في حقه ويعلم ما يعززون عليه وهو كما فهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) أي العقلاء من الملائكة والنفوس وتخصيصهم بالذكر الايدان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيد له سبحانه متهورين تحت قهره وملكته فاعداهم ﴿ ١٧ ﴾ من الموجودات أولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيديا

سبق من اختصاص العزة لله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى (وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء) ويرهان على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها وما امانا فيه وشركاء مفعول ينبغ ومفعول يدعون محذوف اظهروه أي ما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقصر على أحدهما اظهره دلالة على الآخر ويجوز أن يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول ينبغ محذوفا لان فهمه من قوله تعالى (ان يتبعون الاالظن) أي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاء وهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة أو دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيد له

والكرامة لمن أطاعه بقوله يشركهم ربهم رحمة منه ورضوان ثم بين تعالى ان ذلك هو الفوز العظيم وهو كقوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ثم قال القاضي قوله لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع أن يكون قديما ونظير هذا الاستدلال بحصول التسخين على ان حكم الله تعالى لا يكون قديما وقد سبق الكلام على أمثال هذه الوجوه \* قوله تعالى ( ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان الله من في السموات ومن في الارض وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الاالظن وان هم الايخرون ) اعلم ان القوم لما أوردوا أنواع الشبهات التي حكاها الله تعالى عنهم فيما تقدم من هذه السورة وأجاب الله عنها بالاجوبة التي فسرناها وقررناها ادلوا الى طريق آخر وهو انهم هددوه وخوفوه وزعوا ان أصحاب التبع والمال ففسح في قهره وفي ابطال أمره والله سبحانه أجاب عن هذا الطريق بقوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا واعلم أن الانسان انما يحزن من وعيد الغير وتهديده ومكره وكيد لوجوز كونه مؤثرا في حاله فاذا علم من جهة علام الغيوب أن ذلك لا يؤثر يخرج من أن يكون سببا لمزته ثم انه تعالى كما أزال عن الرسول حزن الآخرة بسبب قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك أزال حزن الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا فاذا كان الله تعالى هو الذي أرسله الى الخلق وهو الذي أمره بدعوتهم الى هذا الدين كان لا محالة ناصر له ومعينا ولما ثبت ان العزة والقهر والغاية ليست الا له فقد حصل الامن وزال الخوف فان قيل فكيف آمنه من ذلك ولم يزل خائفا حتى احتاج الى الهجرة والهرب ثم من بعد ذلك يخاف حالا بعد حال قلنا ان الله تعالى وعده الظفر والنصرة مطلقا والوقت ما كان معينا فهو في كل وقت كان يخاف من أن لا يكون هذا الوقت المعين ذلك الوقت فحينئذ يحصل الانكسار والانهمزام في هذا الوقت وأما قوله تعالى ان العزة لله جميعا ففيه اثبات ( البحث الاول ) قال القاضي ان العزة بالالف المكسورة وفي قبحها فساد يقارب الكفر لانه يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا وان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحزنه ذلك أما اذا كسرت الالف كان ذلك استثناء وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب قال صاحب الكشاف وقرأ أبو حية ان العزة بالفتح على حذف لام العلة يعني لان العزة على صريح التعليل ( البحث الثاني ) فائدة ان العزة لله في هذا المقام أمور (الاول) المراد منه ان جمع العزة والقدرة هي لله تعالى يعطى ما يشاء لعباده والغرض منه أنه لا يعطى الكفار قدرة عليه بل يعطيه القدرة عليهم حتى يكون هو بذلك أعز منهم فآمنه الله تعالى بهذا القول من اضرار الكفار به بالقتل والايذاء ومثله قوله تعالى كتب الله لاغلبن أناورسلى اننا لننصر رسنا (الثاني) قال الاصم المراد ان المشركين يعززون بكثرة خدمهم وأموالهم ويخوفونك بها وتلك الاشياء كلها لله تعالى فهو القادر

سبحانه واما استفهامية ﴿ ٣ ﴾ خا أي وأي شيء يتبعون أي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الاالظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تبعون من دونه الأسماء سميتها الخ وقرئ تدعون بالياء فالاستفهام للتبكي والتوبيخ كأنه قيل وأي شيء ينبغ الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين تقرير الكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة

ثم تصرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقبل ان يتبع هو الامم المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبون من الحق  
 (وان هم الايخرسون) يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويجزرون ويقعدون انهم شركاء تقديرا باطلا (هو الذي جعل لكم  
 الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تشبيه على تفردته تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق  
 العبادة وتقرير المسلف من كون جميع الموجودات الممكنة \* ١٨ \* تحت قدرته وملكوته المقصوح عن اختصاص العزة به

سبحانه والجل ان كان بمعنى  
 الابداع والخلق فبصرا حال  
 والافلكم مفعوله الثاني وهو  
 حال كما في الوجد الاول والمفعول  
 الثاني لتسكنوا فيه وهو  
 محذوف يدل عليه المفعول  
 الثاني من الجملة الثانية كما ان  
 العلة الغاية منها محذوفة  
 اعتمادا على ما في الاول والتقدير  
 هو الذي جعل لكم الليل مطلقا  
 لتسكنوا فيه والنهار مبصرا  
 لتحركوا فيه لمصالحكم كما  
 سيحيى نظيره في قوله تعالى وان  
 يمسهك الله بضرف فلا كاشف  
 له الا هو وان يردك بخير فلا راد  
 لفضله الآية فمخذف في كل  
 واحد من الجانبين ما ذكر في  
 الآخر اكفاء بالذكور عن  
 المتروك واستناد الابصار الى  
 النهار مجازي كالذي في نهاره  
 صائم (ان في ذلك) أي في  
 جعل كل منهما كما وصف  
 أو فيها وما في اسم الإشارة  
 من معنى البعد لا يذان بيعد  
 منزلة المشار اليه وعلو مرتبة  
 (الآيات) عجيبة كثيرة وآيات  
 أخر غير ما ذكر (لقوم يسمعون)  
 أي هذه الآيات المتلوة  
 ونظائر المنبهة على تلك  
 الآيات التكوينية الآمرة

على أن يسلب منهم كل تلك الاشياء وان يصرك وينقل أموالهم وديارهم اليك فان قيل  
 قوله ان العزة لله جميعا كالمضاد لقوله تعالى والله العزة وله والمؤمنين قلنا لا مضادة لان  
 عزة الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي لله أما قوله هو السميع العليم أي يسمع ما يقولون  
 ويعلم ما يعزمون عليه وهو يكافئهم بذلك وأما قوله ألا ان الله من في السموات ومن  
 في الأرض ففيه وجهان (الاول) انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة ألا ان الله  
 ما في السموات والأرض وهذا يدل على ان كل ما لا يعقل فهو ملك لله تعالى وملك له وأما  
 ههنا فكلمة من مختصة بمن يعقل فتدل على ان كل العقلاء داخلون تحت ملك الله وملكه  
 فيكون مجموع الآتين دال على ان الكل ملكه وملكه (والثاني) ان المراد من  
 في السموات العقلاء المميزون وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم بالذكر ليدل على ان  
 هؤلاء اذا كانوا في ملكه فالجمادات أولى بهذه العبودية فيكون ذلك قد حان في جعل  
 الاصنام شركاء لله تعالى ثم قال تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء  
 ان يتبعون الا الظن وفي كلمة ما قولان (الاول) انه نفي وجمد والمعنى انهم ما اتبعوا شركاء  
 الله تعالى انما اتبعوا شيئا ظنوه شركاء لله تعالى ومثاله ان أحدنا لو ظن ان زيدا في الدار  
 وما كان فيها فخاطب انسانا في الدار ظنه زيدا فانه لا يقال انه خاطب زيدا بل يقال  
 خاطب من ظنه زيدا (الثاني) ان ما استفهام كأنه قيل أي سئ اتبع الذين يدعون  
 من دون الله شركاء والمقصود تعميم فعلهم بمعنى انهم ليسوا على شيء ثم قال تعالى ان  
 يتبعون الا الظن والمعنى انهم انما اتبعوا ظنونهم الباطلة وأوها مهمم الفاسدة ثم بين  
 ان هذا الظن لاحكم له وان هم الايخرسون وذكرنا معنى الخرص في سورة الانعام عند  
 قوله ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرسون \* قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الليل  
 لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) اعلم انه تعالى لما ذكر  
 قوله ان العزة لله جميعا احتج عليه بهذه الآية والمعنى انه تعالى جعل الليل ليرزق الشعب  
 والكلال بالسكون فيدوجعل النهار مبصرا أي مضيئا تهتدوا به في حوائجكم بالابصار  
 والمبصر الذي يبصر النهار يبصر فيه وانما جعله مبصرا على طريق نقل الاسم من السبب  
 الى المسبب فان قيل ان قوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه يدل على انه تعالى  
 ما خلقه الالهذا الوجه وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يدل على انه تعالى  
 أراد بتخليق الليل والنهار أنواعا كثيرة من الدلائل قلنا ان قوله تعالى لتسكنوا لا يدل  
 على انه لاحكمة فيه الا ذلك بل ذلك يقتضي حصول تلك الحكمة أما قوله تعالى  
 ان في ذلك لايات لقوم يسمعون فالمراد يتدبرون ما يسمعون ويعتبرون به \* قوله تعالى  
 (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض ان عندكم من  
 سلطان بهذا أتقولون على الله ما لاتعلمون) اعلم ان هذا نوع آخر من الاباطيل التي  
 حكها الله تعالى عن الكفار وهي قولهم اتخذ الله ولدا ويحتمل أن يكون المراد حكاية

بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لا هو قول  
 انهم المنتفعون بها (قالوا) شروع في ذكر ضرب آخر من أباطيلهم وبيان بطلانه (اتخذ الله ولدا) أي بناه (سبحانه)  
 ثم يه وتقدس له عما نسبوا اليه وتجب من كلهم الجفاء (هو الغني) على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتزييه  
 سبحانه وايدان بأن اتخاذ الولد من أحكام الحاجة وقوله



عز وجل (له ما في السموات وما في الارض) أي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق ما لكيبته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى (ان عندكم من سلطان) أي حجة (بهذا) أي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح بطلانه بتحقيق سلامة ما أقيم من البرهان الساطع عن المعارض فن في قوله تعالى من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره أو مرتفع على أنه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا تعلق اما بسلطان لانه يعني ﴿ ١٩ ﴾ الحجة والبرهان واما محذوف وقع صفته واما بما في عندكم

من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والاتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الازام والافهام وتأكيد ما في قوله تعالى (اتقولون على الله ما لاتعلمون) من التوبيخ والتفريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي وأن التقليد بمعزل من الاعتداده (قل) تلاوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مقبتهم ووخامة عاقبتهم (ان الذين يفترون على الله الكذب) أي في كل أمر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا أوليا (لا يفلحون) أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلا وتخصيص عدم النجاة والغور بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء على سبحانه (متاع في الدنيا) كلام مستأنف سبق لبيان

قول من يقول الملائكة بنات الله ويحتمل أن يكون المراد قول من يقول الاوثان اولاد الله ويحتمل أن يكون قد كان فيهم قوم من النصارى قالوا ذلك ثم انه تعالى لما استنكر هذا القول قال بعده هو الفنى له ما في السموات وما في الارض واعلم ان كونه تعالى غنيا ما لا كفا لكل ما في السموات والارض يدل على أنه يستحيل أن يكون له ولد وبيان ذلك من وجوه (الاول) أنه سبحانه غنى مطلقا على ما في هذه الآية والعقل أيضا يدل عليه لانه لو كان محتاجا لافتقر الى صانع آخر وهو محال وكل من كان غنيا فانه لا بد وان يكون فردا منجزا عن الاجزاء والابعض وكل من كان كذلك امتنع أن يفصل عنه جزء من أجزائه والولد عبارة عن أن يفصل جزء من أجزاء الانسان ثم تولد عن ذلك الجزء مثله واذ كان هذا محالاً ثبت ان كونه تعالى غنيا يمنع من ثبوت الولد له (الحجة الثانية) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا كان قديما أزليا باقيا سرمديا وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء والولد انما يحصل للشيء الذي يتقضى ويتقضى فيكون ولده قائما مقامه فثبت ان كونه تعالى غنيا يدل على انه يمتنع أن يكون له ولد (الحجة الثالثة) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا فانه يمتنع أن يكون موصوفا بالشهوة واللذة واذ امتنع ذلك امتنع أن يكون له صاحبة وولد (الحجة الرابعة) انه تعالى غنى وكل من كان غنيا امتنع أن يكون له ولد انما يتخذ الولد انما يكون في حق من يكون محتاجا حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة والمتوقعة فن كان غنيا مطلقا امتنع عليه اتخاذ الولد (الحجة الخامسة) ولد الحيوان انما يكون ولده بشرطين اذا كان مساويا له في الطبيعة والحقيقة ويكون ابتداء وجوده وتكونه منه وهذا في حق الله تعالى محال لانه تعالى غنى مطلقا وكل من كان غنيا مطلقا كان واجب الوجود لذاته فلو كان لواجب الوجود ولد لكان ولده مساويا له فيلزم أن يكون ولده واجب الوجود أيضا واجب الوجود لكن كونه واجب الوجود يمنع من تولده من غيره واذ لم يكن متولدا من غيره لم يكن ولدا فثبت ان كونه تعالى غنيا من أقوى الدلائل على انه تعالى لا ولده وهذه الثلاثة مع الثلاثة الاول في غاية القوة (الحجة السادسة) أنه تعالى غنى وكل من كان غنيا امتنع أن يكون له أب وأم وكل من تقدر عن الوالدين وجب أن يكون مقدسا عن الاولاد فان قيل بشكل هذا بالوالد الاول قلنا الوالد الاول لا يمتنع كونه ولدا لغيره لانه سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق الوالد الاول من أبوين يقدمانه اما الحق سبحانه فانه يمتنع افتقاره الى الابوين والا لما كان غنيا مطلقا (الحجة السابعة) انه تعالى غنى مطلقا وكل من كان غنيا مطلقا امتنع أن يفتقر في احداث الاشياء الى غيره اذ ثبت هذا فنقول هذا الولد اما أن يكون قديما وحادنا فان كان قديما فهو واجب الوجود لذاته اذ لو كان يمكن الوجود لافتقر الى المؤثر وافتقار القديم الى المؤثر يقتضي اتحاد الوجود وهو محال واذ كان واجب الوجود لذاته لم يكن ولدا لغيره بل كان موجودا مستقلا بنفسه واما ان كان هذا الولد حادثا والحق

أن ما يترامى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والغور بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق أو في ضمن افتراءهم بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم قليل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم أشير الى انتفاء النجاة عن المكروه أيضا بقوله عز و علا (ثم اليانم رجوعهم) أي بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فينبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر وكفرهم في الدنيا فأبى من الفلاح

وقيل البدء المحذوف حياتهم أو تعلقهم وقد قيل انه افتراء وهم ولا يخفى ان المتأخر انما يطلق على ما يكون متبوعا عند النفس  
مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه أفتح القبايح عند النفس  
فضلا عن أن يكون مطبوعا عندها وعنده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه  
ما ذكره أولا وليس بعيدا قيل ان المحذوف هو الخبر أي لهم \* ٢٠ \* متاع والآية امامسوقة من جهة الله تعالى لتحقيق

سبحانه غنى مطلقا فكان قادرا على احداثه ابتداء من غير تسريك شي آخر فكان هذا  
عبدا مطلقا ولم يكن ولدا فهذه جملة الوجوه المستنبطة من قوله هو الغنى الدالة على انه  
يتمتع أن يكون له ولدا ما قوله ما في السموات وما في الارض فاعلم انه نظير قوله ان كل  
من في السموات والارض الآت الرحمن عبدا وحاصله يرجع الى أن ماسوى الواحد  
الاحد الحق ممكن وكل ممكن محتاج وكل محتاج محدث فكل ماسوى الواحد الاحد  
الحق محدث والله تعالى محدثه وخالقه وموجده وذلك يدل على فساد القول باثبات  
الصاحبة والولد ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما اضافوا اليه عطف عليهم  
بالانكار وان توخي فقال ان عندكم من سلطان بهذا منبها بهذا على انه لا حجة عندهم في  
ذلك البتة ثم بالغ في ذلك الانكار فقال أتقولون على الله ما لا تعلمون وقد ذكرنا أن هذه  
الآية يحتج بها في ابطال التقليد في أصول الديانات ونفاة القياس وأخبار الآحاد قد  
يحتجون بها في ابطال هذين الاصلين وقد سبق الكلام فيه \* قوله تعالى (قل ان الدين  
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الياسر جمعهم ثم يديهم العذاب  
الشد يد بما كانوا يكفرون) اعلم انه تعالى لما بين بالدليل القاهر أن اثبات الولد لله تعالى  
قول باطل ثم بين انه ليس لهذا القائل دليل على صحة قوله فقد ظهر أن ذلك المذهب افتراء  
على الله ونسبة لما لا يليق به اليه فيبين ان من هذا حاله فانه لا يفلح البتة ألا ترى انه تعالى قل  
في أول سورة المؤمنون قد أفلح المؤمنون وقال في آخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون  
واعلم أن قوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يدخل فيه هذه الصورة ولكنه  
لا يختص بهذه الصورة بل كل من قال في ذات الله تعالى وفي صفاته قولاً بغير علم وبغير حجة  
بينه كان داخلا في هذا الوعيد ومعنى قوله لا يفلح قد ذكرناه في أول سورة البقرة في قوله  
تعالى وأولئك هم الفلحون وبالجملة فالفلاح عبارة عن الوصول الى المقصود والمطلوب  
فمعنى انه لا يفلح هو انه لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطلوبه بل حاب وخسر ومن الناس من اذا  
فاز بشي من المطالب العاجلة والمقاصد الخبيسة ظن انه قد فاز بالمقصد الاقصى والله  
سبحانه أزال هذا الخيال بأن قال ان ذلك المقصود الخسيس متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من  
الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وأن يذيقه الله  
العذاب الشديد بسبب ذلك الكفر المتقدم وهذا كلام في غاية الانتظام ونهاية الحسن  
والجزالة والله أعلم \* قوله تعالى (وابل عليهم نيا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم  
مقامي وتدكبري بايات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم  
صليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فاسألتكم من أجران أجرى الاعلى الله  
وأمرت أن أكون من المسلمين) اعلم انه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والبيئات وفي  
الجواب عن الشبه والسؤالات شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء عليهم السلام  
لوجوه (أحدها) ان الكلام اذا طال في تقرير نوع من أنواع العلوم فر بما حصل نوع

عدم افلاحهم غير داخلة  
في الكلام المأمور به كما يقتضيه  
ظاهر قوله تعالى ثم الينا قوله  
تعالى ثم نذيقهم واما داخلة  
فيه على أن النبي عليه الصلاة  
والسلام مأمور بنقله وحكاية  
صنعه عز وجل (واتل عليهم)  
أي على المشركين من أهل  
مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق  
من أنهم لا يفلحون وأن ما يتعوز  
به على جناح القوات وأنهم  
مشرفون على العذاب الخالد  
(نيا نوح) أي خبره الذي له  
شأن وخطر مع قومه الذين هم  
أضراب قومك في الكفرو  
العناد ليتدبروا ما فيه من زوال  
ما تمعوا به من النعيم وحلول  
عذاب الفرق الموصول  
بالعذاب المقيم ليتزجروا بذلك  
غماهم عليه من الكفر أو تنكسر  
شدة سكينتهم أو يعترف بعضهم  
بصحة نبوتك بأن عرفوا أن  
ما تلوه موافقا لما ثبت عندهم  
من غير مخالفة بينهما أصلا  
مع علمهم بانك لم تسمع ذلك  
من أحد ليس الا بطريق  
الوحي وفيه من تقرير ما سبق  
من كون الكل لله سبحانه  
واختصاص العزة به تعالى  
واتفاء الخوف والحزن عن

أوليائه عز وجل عاطفة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى \* من \*  
(اذ قال) معمول لنبا أو يدل منه بدل استعمال وأيا ما كان فالراد بعض نبه عليه السلام لاكل ما جرى بينه وبين قومه واللام  
في قوله تعالى (لقومه) للتبليغ (يا قوم ان كان كبر) أي عظم وشق (عليكم مقامي) أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي  
لفلان ومنه قوله تعالى ولئن خاف مقام ربك أي خاف به أو قيامي ومكني بين ظهر انبيكم مدي

طوبية اوقياى (وتذكيرى بايات الله) فانهم كانوا اذوا وضوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة تعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم (فعلى الله توكلت) جواب للشرط اى دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل (فاجعوا امركم) عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لالترتيب نفس الاجماع تليه وهو الجواب وما سبق جملة معترضة \* ٢١ \* والاجماع العزم قبل هو متعدي بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال

السدوسى اجعت الامر  
افصح من اجعت عليه وقال  
ابوالهيثم اجمع امره جعله  
مجموعا بعد ما كان منفردا وتفرقه  
انه يقول مرة اذ فعل كذا  
واخرى اذ فعل كذا واذا عظم  
على امر واحد فقد جمعه اى  
جعله جميعا (وشركاءكم)  
بالنصب على ان الواو بمعنى  
مع كما يدل عليه القراءة بالرفع  
عطفًا على الضمير المتصل  
تنزيلا للفصل منزلة التأكيد  
واسناد الاجماع الى الشركاء  
على طريقة التهمك وقيل انه  
عطف على امركم بحذف  
المضاف اى امر شركائكم  
وقيل منصوب بفعل محذوف  
اى وادعوا شركاءكم وقد  
قرئ كذلك وقرئ فاجعوا  
من الجمع اى فاعزموا على  
امركم الذى تريدون بي من  
السعي فى اهلاى واحشدا  
فيه على اى وجه يمكنكم  
(ثم لا يكن امركم) ذلك  
(عليكم غمة) اى مستورا من  
غمه اذا ستره بل مكشوفاه مشورا  
تجاهر ونى به فان السر انما  
يصار اليه لسبب تدارك  
الخلاص بالهرب أو نحوه  
في حيث استحال ذلك فى حتى

من أنواع الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر انشرح صدره وطاب قلبه ووجد من نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميل اقويا (وثانيها) ليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولاصحابه اسوة بمن سلف من الانبياء فان الرسول اذا سمع ان معاملته هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت الاعلى هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت (وثانيها) ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا فى ايداء الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى اعانهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم كان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل فى صدورهم وحينئذ يقولون من أنواع الايداء والسفاهة (ورابعها) ان اقدد للناس على ان محمد عليه الصلاة والسلام لم يتم علمه ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه الاقاصيص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم انما عرفها بالوحى والتنزيل \* واعلم انه تعالى ذكر فى هذه السورة من قصص الانبياء عليهم السلام ثلاثة (فان قصة الاولى) قصة نوح عليه السلام وهى المذكورة فى هذه الآية وفيها وجهان من الفائدة (الاول) ان قوم نوح عليه السلام لما اصرروا على الكفر والجدع لجدع الله هلاكهم بانفرق فذكر الله تعالى قصتهم لتبصير تلك القصة عبرة لهؤلاء الكفار وداعية الى مفارقة الجحد والتوحيد والنبوة (والثاني) ان كفار مكة كانوا يستعجلون العذاب الذى يذكره الرسول عليه السلام لهم وكانوا يقولون له كذبت فانه ما جاءنا بهذا العذاب فالتعالى ذكر لهم قصة نوح عليه السلام لانه عليه السلام كان يخوفهم بهذا العذاب وكانوا يكذبونه فيه ثم بالآخرة وقع كما اخبر فكذا ههنا (المسئلة الثانية) ان نوحا عليه السلام قال لقومه ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت وهذا جملة من السرط والجزاء اما السرط فهو مركب من قيدين (القيد الاول) قوله ان كان كبر عليكم مقامى قال الواحدى فى البسيط يقال كبر يكبر كبرا فى السن وكبر الامر والشئ اذا عظم يكبر كبرا وكبارة قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم وعظم امره عندكم والمقام بفتح الميم مصدر كالاقامة يقال اقام بين أظهرهم مقاما واقامة والمقام بضم الميم الموضع الذى يقام فيه وأراد بالمقام ههنا مكشدا وبنه فيهم وبالجملة فقوله كبر عليكم مقامى جار مجرى قولهم فلان ثقل الظل واعلم ان سبب هذا الثقل امران (أحدهما) انه عليه السلام مكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (والثاني) ان أولئك الكفار كانوا قد أنفوا تلك المذاهب الفاسدة والطرائق الباطلة والغالب أن من ألف طريقة فى الدين فانه يثقل عليه أن يدعى الى خلافها ويذكر له ركائزها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان أثقل وأشد كراهية فان اقترن به ايراد الدلائل القاهرة على فساد ذلك المذهب كانت النفرة أشد فهذا هو السبب فى حصول ذلك الثقل (والقيد الثاني) هو قوله وتذكيرى بايات الله واعلم ان الطبايع المشغوفة بالدين الحار بصلة على طلب اللذات

لم يكن للسروجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهار لعدم المبالاة بهم وانهم لم يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه و بما وعده من عصمته وكلايته فكلمة ثم التراخى فى الرتبة واطهار الامر فى موقع الاضمار لزيادة تقرير يقتضيها مقام الامر بالاطهار الذى يستلزمه النهى عن التستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعترضهم من جهته عليه السلام من الخصال الشديدة هليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكرية والكرب و ثم للتراخى الزمانى والمعنى لا يمكن

حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من نفل مقامي وتذكيري ولا يظني أنه لا يساعده قوله عز وجل (ثم أقضوا الي ولا تنظرون) أي يادوا الى أي أحكموا ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تهملوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أو أدوا الى ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضى الرجل غريمه فان توسط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعرض على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر و لحائه وقرى أفضوا ﴿ ٢٢ ﴾ بالفاء أي انتهوا الى بشركم وأبرزوا الى من أفضى

العاجلة تكون شديدة النفرة عن الامر بالصاعات والنهي عن المعاصي والمنكرات قوية الكراهة لسماع ذكر الموت وتقيح صورة الدنيا ومن كان كذلك فانه يستنقل الانسان الذي يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وفي الآية وجه آخر وهو أن يكون قوله ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله معناه انهم كانوا اذا وعظوا بالجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم ظاهر او كلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود واعلم ان هذا هو الشرط المذكور في هذه الآية أما الجزء فغية قولان (الاول) ان الجزء هو قوله فعلى الله توكلت يعني ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ابدائي وانا لأقابل ذلك الشر بالالتوكل على الله واعلم أنه عليه السلام كان أبدا متوكلا على الله تعالى وهذا اللفظ بوجه أنه توكل على الله في هذه الساعة لكن المعنى انه انما توكل على الله في دفع هذا الشر في هذه الساعة (والقول الثاني) وهو قول الاكثرين ان جواب الشرط هو قوله فاجعوا أمركم وشركاءكم وقوله فعلى الله توكلت كلام اعترض به بين الشرط وجوابه كما تقول في الكلام ان كنت أنكرت على شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد واعلم أن جواب هذا الشرط مشتق على قيود خمسة على الترتيب (التيد الاول) قوله فاجعوا أمركم وفيه بحثان (البحث الاول) قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وأنشد

يا ليت شعري والمنى لا ينفح \* هل اغدون يوما وأمرى بجمع  
فاذا أردت جمع التفرق قلت جمعت التوم فهمم بجموعون وقال أبو الهيثم أجم أمره أي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا قال وتفرقه أي جعل يتدبره فيقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعا فهنا هو الاصل في الاجماع ومنه قوله تعالى وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل أجمت على الامر أي عزمت عليه والاصل أجمت الامر (البحث الثاني) روى الاصمعي عن نافع فاجعوا أمركم بوصول الالف من الجمع وفيه وجهان (الاول) قال أبو على الفارسي فاجعوا ذوى الامر منكهم فحنف المضاف وجرى على المضاف اليه ما كان يجري على المضاف لو ثبت (الثاني) قال ابن الانباري المراد من الامر ههنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير ولا تدعوا من أمركم شيئا الأضرمتوه (والقيد الثاني) قوله وشركاءكم وفيه ابحت (البحث الاول) الواو ههنا بمعنى مع والمعنى فاجعوا أمركم مع شركائكم ونظيره قولهم لو تركت الناقة وفصيلها رضعها ولو خليت نفسك والاسد لا كلك (البحث الثاني) يحتمل أن يكون المراد من الشركاء الاوثان التي سموها بالالهة ويحتمل أن يكون المراد منها من كان على مثل قولهم ودينهم فان كان المراد هو الاول فانما حث الكفار على الاستعانة بالاوثان بناء على مذهبهم من أنها تضر وتنفع وان كان المراد هو الثاني فوجه الاستعانة بها ظاهر (البحث الثالث) قرأ الحسن وجماعة من القراء

اذا خرج الى الفضاء ( فان توليتم) الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي بخصوص أي ان أعرستم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني من مخايل صحة ما أقول ودلائلها التي من جلتها دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من سوء غيرمبال بكم و بما يأتي منكم واجمامكم من الاجابة علما منكم بأنى على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز (فاسألتكم) بمقابلة وعظي وتذكيري (من أجز) تؤدونى الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم اما لانتهاكم اباي بالطمع والسؤال واما لتقل دفع المسؤل عليكم أو حتى يضرك توليكم المؤدى الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يسمونه والثاني لاظهار هدم مبالته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فائفاء الجزائية لسببية الشرط لاهلام مضمون الجزء لانفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا أن ليس في صحح له ولا تأمر منه وقوله

عز وجل (ان أجرى الاعلى الله) ينظم المعنيين جميعا خلا أنه على الاول نأ كيدو على الثاني تعليل لاستغنائهم \* وشركاؤكم عليه السلام عنهم أي ما نوابي على العظة والتذكير الاعلى تعالى يثبني به آمتم أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين لحكمه لأخالف أمره ولا أرجو غيره أو المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء في طاعة الله تعالى (فكذبوه) فأصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما ألزمهم الحججة وبين لهم الحججة وحقق أن توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا

جرم حنت عليهم كلمة العذاب فحسيناه ومن معه في الفلاك ) من المسلمين وكانوا ثمانين ( وجعلناهم خلائف ) من الهالكين ( وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا ) أى بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الأنبياء والاستخلاف حسبا ووقع في قوله عز وجل وما لاجأ أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصلحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لظهور كمال الصاية بشأن المقدم ولتجليل المسرة للسامعين ولا يذبان \* ٢٣ \* بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الرؤية على الغضب

الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين ( فانظر كيف كان عاقبة المستندرين ) تمويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول عليه الصلاة والسلام وتسلبه له عليه السلام ( ثم بعثنا ) أى أرسلنا ( من بعده ) أى من بعد نوح عليه السلام ( رسلا ) التكرير للتفخيم ذاتا ووصفا أى رسلا كراما ذوى عدد كثير ( الى قومهم ) أى الى اقوامهم لكن لا بان أرسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل أو الى قوم ماى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك بمن قص منهم ومن لم يقص ( نجواؤهم ) أى جاء كل رسول قومه المخصوصين به ( بالبينات ) أى المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على أنها التعليلية أو بتحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا أى ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتى كل رسول بيينة واحدة بل بينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد

وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المرفوع والتقدير فأجمعوا أنتم وشركاؤكم قال الواحدى و جاز ذلك من غير تأكيد الضمير كقوله اسكن أنت وزوجك الجنة لان قوله أمركم فصل بين الضمير وبين المنسوق فكان كالعوض من التوكيد وكان القراء يستفتح هذه القراءة لانها توجب أن يكتب وشركاؤكم بالواو وهذا الحرف غير موجود في المصاحف ( القيد الثالث ) قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمعة قال ابو الهيثم أى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مفهوم اذا التبس قال طرفة لعمرى ما أمرى على بغمعة \* نهارى ولا ليلى على بسرمد وقالت الليث انه لفي غمعة من أمره اذا لم يتبدله قال الزجاج أى ليكن أمركم ظاهرا منكسفا ( القيد الرابع ) قوله ثم اقضوا الى وفيد بثمان ( البحث الاول ) قال ابن الانبارى معناه ثم امضوا الى بكر وهكم وما تواعدوننى به تقول العرب قضى فلان يريدون مات ومضى وقال بعضهم قضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه و به يسمى القاضى لانه اذا حكم فقد فرغ فقوله ثم اقضوا الى أى افرغوا من أمركم وامضوا ما فى أنفسكم واقطعوا ما بينى وبينكم ومنه قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب أى علمناهم اعلاما قاطعا قال تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال القفال رحمة الله تعالى وحجاز دخول كلمة الى فى هذا الموضع من قولهم برئت اليك وخرجت اليك من العهد وفيه معنى الاخبار فكانه تعالى قال ثم اقضوا الى ما يستقر رأيكم عليه محكما مفروضا منه ( البحث الثانى ) قرئ ثم اقضوا الى بالفاء بمعنى ثم انتهوا الى بشركم وقبل هو من أفضى ال رجل اذا خرج الى القضاء أى أصحروا به الى وبرزوه الى ( القيد الخامس ) قوله ولا تنتظرون معناه لا تمهلون بعد اعلامكم اباى ما اتفقتم عليه فهذا هو تفسير هذه اللفاظ وقد نظم القاضي هذا الكلام على أحسن الوجوه فقال انه عليه السلام قال فى أول الامر فعلى الله توكلت فانى واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد ولا تظنوا أن تهديدكم اباى باقتل والايداء بمنعنى من الدعاء الى الله تعالى ثم انه عليه السلام أو رد ما يدل على صحة دعوته فقال فأجمعوا أمركم فكانه يقول لهم أجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب التى توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل أمرهم أن يضموا الى أنفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يعقوب بكمالهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثا وهو قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمعة وأراد أن يبلغوا فيه كل غاية فى المكاشفة والمجاهرة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليها رابعا فقال ثم اقضوا الى والمراد أن وجهوا كل تلك الشرور الى ثم ضم الى ذلك خامسا وهو قوله ولا تنتظرون أى سجدوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انظار فهذا آخر هذا الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على أنه عليه السلام كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله تعالى وانه كان قاطعا بان كيدهم لا يصل اليه ومكرهم لا ينفذ فيه \* وأما قوله تعالى فان توليتم فاسألتكم من أجر

انما هي فيما بين ضميرى جاؤهم كما أشير اليه ( فا كانوا يؤمنوا ) بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لالعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرة أى فاصح وما استقام لقوم من أولئك الاقوام فى وقت من الاوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتعا منهم لشدة شكيتهم فى الكفر والعناد ثم ان كان المحكى آخر حال كل قوم حسبا بدل عليه حكاية قوم نوح فلراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصيرارهم على ذلك بعد اليقظة والتى وبما أشير

اليه في قوله عز وجل ( بما كذبوا به من قبل ) تكذيبهم من حين مجيئ الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للوصول ايذانا بانه بين نفسه غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع ﴿ ٢٤ ﴾ التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان

المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكره ولا كفرهم المسترغى حين مجيئ الرسل الى آخره وبما أشير اليه آخره تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي أوجبت عليها الرسل قاطبة ودعواهم اليها أثر في أثير الاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولو زعمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيئ رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أوثاق الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كتمود من بقايا عاد وادم من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيئ الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما أوجبت عليه كافة الرسل فلا ن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا

فقال المفسرون هذا اشارة الى أنه ما أخذ منهم ما لا على دعوتهم الى دين الله تعالى ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلب وعندى فيه وجه آخر وهو أن يقال انه عليه السلام بين انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه وذلك لان الخوف انما يحصل بأحد شيئين اما بإيصال الشر أو بقطع المنافع فيبين فيما تقدم انه لا يخاف شرهم وبين بهذه الآية انه لا يخاف منهم بسبب أن يقطعوا عنه خيرا لانه ما أخذ منهم شيئا فكان يخاف أن يقطعوا منه خيرا \* ثم قال ان أجرى الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين وفيه قولان ( الاول ) انكم سواء قبلا من دين الاسلام أو لم تقبلوه فانما أمور بأن أكون على دين الاسلام ( والثاني ) أني أمور بالاستسلام لكل ما يصل الى لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه أليق بهذا الموضوع لانه لما قال ثم اقضوا الى بين لهم أنه ما مور بالاسلام لكل ما يصل اليه في هذا الباب والله اعلم \* قوله تعالى ( فكذبوه فحينئذ ومن معه في الفلك وجعلناهم خلاف ) وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبه المندرين اعلم انه تعالى لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح وبين أوثاق الكفار ذكر ما اليه رجعت عاقبة تلك الواقعة أما في حق نوح وأصحابه فأمر ان ( أحدهما ) انه تعالى نجاهم من الكفار ( الثاني ) أنه جعلهم خلاف بمعنى أنهم يخلفون من هلك بالفرق وأما في حق الكفار فهو انه تعالى أغرقهم وأهلكهم وهذه القصة اذا سمعها من صدق الرسول ومن كذب به كانت زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للؤمنين على الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتخدير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المتدا وعلى هذا الوجه ذكر تعالى أقاصيص الانبياء عليهم السلام وأما تفاصيل هذه القصة فهي مذكورة في سائر السور \* قوله تعالى ( ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذبك نطبع على قلوب المعتدين ) اعلم أن المراد ثم بعثنا من بعد نوح رسلا ولم يسمهم وكان منهم هود وصالح و ابراهيم ولوط وشعيب صلوات الله عليهم أجمعين بالبينات وهي المعجزات القاهرة فأخبر تعالى عنهم انهم جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزرهم ما بلغهم من اهلاك الله تعالى المكذبين من قوم نوح عن ذلك فلهذا قال فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل وليس المراد عين ما كذبوا به لان ذلك لم يحصل في زمانهم بل المراد بمثل ما كذبوا به من البينات لان البينات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام أجمع كأنها واحدة ثم قال تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين واحتج أصحابنا على أن الله تعالى قد يمنع المكلف عن الايمان بهذه الآية وتقريره ظاهر قال القاضي الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء ( والجواب ) ان الكلام في هذه المسئلة قد سبق على الاستقصاء في تفسير

بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما ﴿ قوله ﴾ يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها يانا لاعتراقهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمان الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل يؤمنوا بما كذب بتمثله قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف

وقيل الباء السببية أي بسبب نعوذهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كاهور أي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركزا في الاذهان ما لا يخفى من التصسف (كذلك) أي مثل ذلك الطبع المحكم (نطبع) نون العظمة وقرى بالياء على أن الضمير لله سبحانه (على قلوب المعتدين) المتجاوزين عن الحدود ﴿ ٢٥ ﴾ المعهودة في الكفر والعدا المتجاسفين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك

بمخذلانهم ومخلياتهم وشأنهم لأنهما كهم في النغي والضلال وفي أمثال هذه دلالة على أن الافعال وافعة بقدره الله تعالى وكسب العبد (ثم بعثنا) عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسالا الى قومهم عطف قصدا على قصة (من بعدهم) أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام (موسى وهرون) خصت بعثتهم لعلهم السلام باندرج خبرهما فيما أشير اليه اشارة اجالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأثر في ذلك ضرب تفصيل اذنا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نياتنا عن عليه السلام (الى فرعون وملئه) أي اشرف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح ولمهمات ومرامجة الكل التوازيهم في الملأ (بآياتنا) أي تبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف (فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والقاء فصيحة أي فآياتهم فبلغناهم الرسالة فاستكبروا عن

قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فلا فائدة في الاعادة (القصة الثانية) قصة موسى عليه السلام \* قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحرة مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرونا ولا يفلح الساحرون) اعلم أن هذا الكلام غني عن التفسير وفيه سؤال واحد وهو ان القوم لما قالوا ان هذا السحرة مبين فكيف حكى موسى عليه السلام أنهم قالوا أسحرونا على سبيل الاستفهام (وجوابه) ان موسى عليه السلام ما حكى عنهم أنهم قالوا أسحرونا بل قال أتقولون للحق لما جاءكم ما تقولون ثم حذف عنه مفعول أتقولون لدلالة الحال عليه ثم قال مرة أخرى أسحرونا وهذا استفهام على سبيل الإنكار ثم اجمع على أنه ليس بسحرونا وهو قوله ولا يفلح الساحرون يعني أن حاصل صنعهم تخييل وتمويه ولا يفلح الساحرون وأما قلب العاصية وخلق البحر فعلوم بالضرورة أنه ليس من باب التخيل والتمويه فثبت أنه ليس بسحرونا قوله تعالى (قالوا أجنسنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) تكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحرة ان الله سيضلله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى حكى عن فرعون وقومه أنهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام وعللوا عدم القبول بأمرين (الاول) قوله أجنسنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا قال الواحدى اللفت في أصل اللغة الصرف عن أمر وأصله اللى يقال لفت عنته اذا لواها ومن هذا يقال التفت اليه أي أمال وجهه اليه قال الازهرى لفت الشيء وقلته اذا لواها وهذا من المقلوب واعلم ان حاصل هذا الكلام انهم قالوا لا نترك الدين الذي نحن عليه لاننا وجدنا آباءنا عليه فقد تمسكوا بالتقليد ودفعوا الجملة الظاهرة بمجرد الاصرار (والسبب الثاني) في عدم القبول قوله وتكون لكما الكبرياء في الارض قال المفسرون المعنى ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا فالتبني اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته نصار أكبر القوم واعلم أن السبب الاول اشارة الى التمسك بالتقليد والسبب الثاني اشارة الى الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ولما ذكر القوم هذين السببين صرحوا بالحكم وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين واعلم ان القوم لما ذكروا هذه المعاني حاولوا بعد ذلك وأرادوا أن يعارضوا معجزة موسى عليه السلام بأنواع من السحر ليظهروا عند الناس ان ما أتى به موسى من باب السحر فيجمع فرعون السحرة وأحضرهم فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فان قل كيف أمرهم بالكفر السحر

اتباعها وذلك قول العين لموسى عليه السلام ألم نترك ﴿ ٤ ﴾ خا فينا وليد اوليت فينا من عمرك سنين الخ (وكانوا قوما مجرمين) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كانوا عادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي الجثة فلذلك اجترأوا على ما جرتوا عليه من الاستهانة برسالة الله تعالى وجل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله

عن رسولاً (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين) فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجي الحق الذي سموه سحراً اعني العصا واليد البيضاء كما ينبي عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهره عليه السلام من الآيات العظام والقاء فيه ايضاً فصحة معرفة بما صرح به في مواضع أخر كما انه قيل قال موسى قد جئتم بيئته من ربكم الى قوله تعالى فأتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وتزعزعه فاذاهي بيضاء لناظرين فلما جاءهم ﴿ ٢٦ ﴾ الحق من عندنا وعر فوه قالوا من فرط عنوهم

والامر بالكفر كفر قلنا انه عليه السلام أمرهم بالقاء الحبال والعصى ليظهر الخلق ان ما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لاعلى طريق انه عليه السلام أمرهم بالسحر فلما أتوا حبالهم وعصاهم قال لهم موسى ما جئتم به هو السحر الباطل والغرض منه ان القوم قالوا لموسى ان ما جئتم به سحر قد كرموسى عليه السلام ان ما ذكرتموه باطل بل الحق ان الذي جئتم به هو السحر والتوويه الذي يظهر بطلانه ثم أخبرهم بأن الله تعالى يحق الحق ويبطل الباطل وقد أخبر الله تعالى في سائر السور انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب ان ذلك الثعبان قد تلقف كل تلك الحبال والعصى (المسئلة الثانية) قوله ما جئتم به السحر ما ههنا موصولة بمعنى الذي وهى مرتفعة بالابتداء وخبرها السحر قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب كلام سبق الأثرى انهم قالوا لما جاءهم موسى هذا سحر فقال لهم موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت طادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلاً فيقول له من الرجل فيعيده بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع في فهمه اسأله عن الرجل الذي ذكره وقرأ أبو عمر والسحر بالاستفهام وعلى هذه القراءة ما استفهامية مرتفع بالابتداء وجئتم به في موضع الخبر كما انه قيل أى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع السحر كقوله تعالى أأنت قلت للناس والسحر بدل من المبتدا ولزم أن يلحقه الاستفهام ليساوى المبدل منه في أنه استفهام كما تقول كم مالك أعشرون أم ثلاثون فجعلت أعشرون بدلاً من كم ولا يلزم أن يضم للسحر خبر لانك اذا أبدلته من المبتدا صار في موضعه وصار ما كان خبراً عن المبدل منه خبراً عنه ثم قال تعالى ان الله سيذله أى سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين أى لا يقويه ولا يكمله ثم قال ويحق الله الحق ومعنى احقاق الحق اظهاره وتقويته وقوله بكلماته أى بوعد موسى وقيل بما سبق من قضائه وقدره وفي كلمات الله أبحاث غامضة عميقة عالية وقد ذكرناها في بعض مواضع من هذا الكتاب \* قوله تعالى ( فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملثهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين ) واعلم أنه تعالى بين فيما تقدم ما كان من موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة وما ظهر من تلقف العصا لكل ما أحضروه من آيات السحر ثم انه تعالى بين أنهم مع مشاهدة المعجزات العظيمة ما آمن به منهم الاذرية من قومه وانما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يفتن بسبب اعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر فيبين ان له في هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لان الذى ظهر من موسى عليه السلام كان في الاعجاز في مرأى العين أعظم ومع ذلك فما آمن به منهم الاذرية واختلفوا في المراد بالذرية على وجوه (الاول) ان الذرية ههنا معناها تقليل العدد قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل الى حمله على التحقير على وجه الاهانة في

وعنادهم ان هذا السحر مبين أى ظاهر كونه سحراً أو فائق في بابه واضح في بين أضرابه وقرى السحر (قال موسى) استشاف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كما انه قيل فاذا قال لهم موسى حيث ذقيل قال على طريقة الاستفهام الانكارى التوبيخى (أتقولون للحق) الذى هو أبعد شئ من السحر الذى هو الباطل البحت (لما جاءكم) أى حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه أو من أول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافى القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايدانا بأنه مما لا ينبغي أن يتفوه به ولو على نهج الحكاية أى أتقولون له ما تقولون من انه سحر يعنى به أنه مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم أو القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوه ونظيره ان ذكر في قوله تعالى سمعنا فى يذكركم الخ فيستغنى عن المفعول أى أتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين

فقوله عز وجل (أسحر هذا) انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحراً وتكذيب قولهم وتوبيخ لهم على (هذا) ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل أما على الاول فظاهر وأما على الثانى فوجه ايشارة انكار كونه سحراً على انكار كونه معيباً بان يقال مثلاً افيه صب حجباً يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما طابوه به بعد التنبيه



بالانكار السابق على أن ليس فيه شائبة هيبة ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات  
 الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد  
 معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممن له عين مبصرة وتقدم الخبر للايدان بانه مصعب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من أتى  
 به سحرا أكد الانكار السابق وما فيه ﴿ ٢٧ ﴾ من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ( ولا يفلح الساحرون ) وهو جملة

حالية من ضمير المخاطبين  
 والرابط هو الواو بلا ضمير  
 كافي قول من قال جاء الشتاء  
 ولست أملك عدة وقولك جاء  
 زيد ولم تطلع الشمس أى  
 أتقاولون الحق انه سحر والحال  
 أنه لا يفلح فاعله أى لا يظفر  
 بمطلوب ولا ينجو من مكروه  
 فكيف يمكن صدوره من مثلى  
 من المؤيدين من عند الله  
 العزيز الحكيم الفائز بكل  
 مطلب الناجين من كل محذور  
 وقوله تعالى أسحر هذا جملة  
 معترضة بين الحال وصاحبها  
 أكد بها الانكار السابق ببيان  
 استحالة كونه سحرا بالنظر  
 الى ذاته قبل بيان استحالة  
 بالنظر الى صدوره عنه عليه  
 السلام هذا وأما تجوز أن  
 يكون الكل مقول القول على  
 أن المعنى أجشما بالسحر  
 تطلبان به الفلاح ولا يفلح  
 الساحرون فيما لا يساعده النظم  
 الكريم أصلا أما أولادنا  
 ما قالوا هو الحكم بأنه سحر  
 من غير أن يكون فيه دلالة على  
 ما تعسف فيه من المعنى بوجه  
 من الوجوه فصرف جوابه  
 عليه السلام عن صريح ما  
 خاطبوه به الى ما لا يفهم منه

هذا الموضوع فوجب حله على التصغير بمعنى قلة العدد (الثاني) قال بعضهم المراد أولاد من  
 دطاهم لأن الآباء استمروا على الكفر أما لان قلوب الاولاد ألين أو ودواعيهم على الثبات  
 على الكفر أخف ( الثالث ) ان الذرية قوم كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهااتهم من  
 بنى اسرائيل ( الرابع ) الذرية من آل فرعون آسية امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه  
 وما شغلتهما وأما الضمير في قوله من قومه فقد اختلفوا أن المراد من قوم موسى أو من قوم  
 فرعون لان ذكرهما جميعا قد تقدم والظاهر أنه تأيد الى موسى لانه أقرب المذكورين  
 ولانه نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بنى اسرائيل أما قوله على خوف من فرعون  
 وملئهم أن يفتنهم فيه أبحاث ( البحث الاول ) ان أولئك الذين آمنوا بموسى كانوا  
 خائفين من فرعون جدا لانه كان شديدا البطش وكان قد أظهر اعداؤه مع موسى فاذا علم  
 ميل القوم الى موسى كان يباليغ في ايذائهم فلهذا السبب كانوا خائفين منه (البحث الثاني)  
 انما قال وملئهم مع أن فرعون واحد لوجوه ( الاول ) انه قد يعبر عن الواحد بلفظ  
 الجمع والمراد التعظيم قال الله تعالى انما نحن نزلنا الذكر ( الثاني ) أن المراد بفرعون  
 آل فرعون ( الثالث ) ان هذا من باب حذف المضاف كأنه اريد بفرعون آل فرعون  
 ثم قال أن يفتنهم أى بصرف فهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم ثم قال وان فرعون  
 لعال في الارض أى لعالم فيها قاهر وانه لمن المسرفين قيل المراد انه كثير القتل كثير  
 التعذيب لمن يخالفه في أمر من الامور والغرض منه بيان السبب في كون أولئك المؤمنين  
 خائفين وقيل انما كان مسرفا لانه كان من أخس العبيد فادعى الالهية \* قوله تعالى  
 ( وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله  
 توكلنا ربنا لا يجعلنا فتنه للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ) في الآية  
 مسائل ( المسئلة الاولى ) ان قوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين جزء  
 معلق على شرطين أحدهما متقدم والآخر متأخر والفقهاء قالوا المتأخر يجب أن  
 يكون متقدما والمتقدم يجب أن يكون متأخرا ومثاله أن يقول الرجل لامرأته ان دخلت  
 الدار فأنت طالق ان كلمت زيدا وانما كان الامر كذلك لان مجموع قوله ان دخلت  
 الدار فأنت طالق صار مشروطا بقوله ان كلمت زيدا والمشروط متأخر عن الشرط وذلك  
 يقتضى أن يكون المتأخر في اللفظ متقدما في المعنى وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخرا  
 في المعنى والتقدير كأنه يقول لامرأته حال ما كلمت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق  
 فلو حصل هذا التعليق قبل ان كلمت زيدا لم يقع الطلاق اذا عرفت هذا فتقول قوله ان  
 كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرطا  
 لان يصيروا مخاطبين بقوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكأنه تعالى يقول للمسلم حال  
 اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام عبارة عن  
 الاستسلام وهو اشارة الى الانقياد للتكاليف الصادرة عن الله تعالى واظهار الخضوع

أصلا بما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على أمثاله وأما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من  
 يتمسك بالحق المدين دون الكفرة التشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص  
 عدم الافلاح بمن زعموا سحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة وأما ثالثا فلان قوله عز وجل ( قالوا أجنثنا ) الخ مسوق  
 لبيان أنه عليه السلام ألصقهم الجحرفان قطعوا عن

الآيات بكلامه تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب كل  
 ماجر محجوج ودين كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال  
 موسى الخ حسبا أشير اليه كأنه قيل فإذا قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فليل قالوا طاجرين عن المحاجة أجتنا  
 (لتلفتنا) أي لتصرفنا فان القتل والفت اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) ﴿ ٢٨ ﴾ أي من عبادة الاصنام ولا ريب

وترك التردد وأما الايمان فهو عبارة عن صيرورة القلب طارفا بأن واجب الوجود لذاته  
 واحد وان ماسواه محدث مخلوق تحت تديره وقهره وتصرفه واذا حصلت هاتان  
 الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور  
 التوكل على الله فهذه الآية من لطائف الاسرار والتوكل على الله عبارة عن تفويض  
 الامور بالكلية الى الله تعالى والاعتماد في كل الاحوال على الله تعالى واعلم أن من  
 توكل على الله تعالى في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات لقوله ومن يتوكل على الله  
 فهو حسبه (المسئلة الثانية) أن هذا الذي أمر موسى قومه به وهو التوكل على الله هو  
 الذي حكاه الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال فعلى الله توكلت وعند هذا يظهر  
 الفاوت بين الدرجتين لأن نوحا عليه السلام وصف نفسه بالتوكل على الله تعالى وموسى  
 عليه السلام أمر قومه بذلك فكان نوح عليه السلام تاما وكان موسى عليه السلام فوق  
 التمام (المسئلة الثالثة) انما قال فعلى الله توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد  
 الحصر كأنه عليه السلام أمرهم بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على الغير والامر  
 كذلك لانه لما ثبت أن كل ماسواه فهو مملوكه وملكه وتحت تصرفه ونسخيره وتحت  
 حكمه وتديره امتنع في العقل أن يتوكل الانسان على غيره فلهذا السبب جاءت هذه  
 الكلمة بهذه العبارة ثم بين تعالى أن موسى عليه السلام لما أمرهم بذلك قبلوا قوله  
 وقالوا على الله توكلنا أي توكلنا عليه ولا نلتفت الى أحد سواه ثم لما فعلوا ذلك اشتغلوا  
 بالدعاء فطلبوا من الله تعالى شيئين (أحدهما) أن قالوا ربنا اجعلنا فتنة للقوم الظالمين  
 وفيه وجوه (الاول) أن المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع  
 في قلوبهم اننا لو كنا على الحق لما سلطتهم علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم  
 على الكفر فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم (الثاني) انك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا  
 العقاب الشديد في الآخرة وذلك يكون فتنة لهم (الثالث) لا تجعلنا فتنة لهم أي موضع  
 فتنة لهم أي موضع عذاب لهم (الرابع) أن يكون المراد من الفتنة المقتون لان اطلاق لفظ  
 المصدر على المفعول جائز كالخلق بمعنى المخلوق والتكوين بمعنى المكون والمعنى لا تجعلنا  
 مقتونين أي لا تمكنهم من أن يحملونا بالظلم واقهرهم على أن تصرف عن هذا الدين الحق  
 الذي قبلناه وهذا التأويل ما كذبنا ذكره الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله فما آمن  
 لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وأما المطلوب الثاني  
 في هذا الدعاء فهو قوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واعلم أن هذا القريب  
 يدل على أنه كان اهتمام هؤلاء بأمر دينهم فوق اهتمامهم بأمر دنياهم وذلك لانا ان جعلنا  
 قولهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين على انهم ان سلطوا على المسلمين صار ذلك شبهة  
 لهم في ان هذا الدين باطل فتضرعوا الى الله تعالى في أن يصون اولئك الكفار عن هذه  
 الشبهة وقدموا هذا الدعاء على طلب النجاة لانفسهم وذلك يدل على ان عنايتهم بمصالح

في أن ذلك انما يتسنى يكون  
 ما ذكر من تمة كلامه عليه  
 السلام على اوجه الذي  
 شرح اذ على تقدير كونه  
 محكيما من قبلهم يكون جوابه  
 عليه السلام خاليا عن التبكيت  
 المجبي لهم الى العدول من  
 سنن المحاجة ولا ريب في أنه  
 لا هلافة بين قولهم أجتنا الخ  
 وبين انكاره عليه السلام لما  
 حكي عنهم مصححة لكونه  
 جوابا عنه (ونكون اكما  
 الكبرياء) أي الملك أو التكبر  
 على الناس باستتباعهم وقرى  
 ويكون بالياء التختانية وكلمة  
 في قوله تعالى (في الارض)  
 أي أرض مصر متعلقة بتكون  
 أو بالكبرياء أو بالاستقرار في  
 لكمال وقوعه خيرا أو بمحذوف  
 وقع حالا من الكبرياء أو من  
 الضمير في لكمال التحمله اياه  
 (وما نحن لكم بمؤمنين) أي  
 بمصدقين فيما جئنا به وثنية  
 الضمير في هذين الموضعين  
 بعد افراده فيما تقدم من المقامين  
 باعتبار سمول الكبرياء لهما  
 عليهما السلام واستلزام  
 التصديق لاحدهما التصديق  
 للآخر وأما اللفظ والمجبي له  
 فثبت كانا من خصا نص

صاحب الشريعة أسندا الى موسى عليه السلام خاصة (وقال فرعون) توحد الفعل لان الامر من وظائف ﴿ دين ﴾  
 فرعون أي قال لله يا أمرهم بترتيب مبادئ الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس من الزامهما بما أتوا (أتوني بكل ساحر عليم)  
 بضون السحر حاذق ما هرفيه وقرى سحار (فلجاء السحرة) عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة  
 امتثالهم لامر فرعون كما هو شأن الغاء القصيدة في كل مقام أي

فاتوا به فلما جاؤا ( قال لهم موسى ) لكن لاني ابتداء مجيئهم بل يفند ما قالوا له عليه السلام ما حكى عنهم في السور الاخر  
من قولهم اما ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين ونحو ذلك ( اتقوا ما انتم ملقون ) اي ملقون له كأننا ما كان من اصناف السحر  
( فلأتقوا ) ما اتقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم ( قال ) لهم ( موسى ) غير مكثرت بهم  
و بما صنعوا ( ما جئتم به السحر ) ما موصولة وقعت ﴿ ٢٩ ﴾ مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه

من آيات الله سبحانه أو هو  
من جنس السحر يرهم أن  
حاله بين لا يعبأ به كأنه قال  
ما جئتم به مما لا ينبغي أن يجابهه  
وقرى السحر على الاستفهام  
فاستفهامية أي أي شيء  
جئتم به أهو السحر الذي  
يعرف حاله كل أحد ولا يتصدى  
له عاقل وقرى ما جئتم به سحر  
وقرى ما أتيتهم به سحر  
ودلائهما على المعنى الثاني  
في القراءة المشهورة أظهر  
( ان الله سيبيطله ) اي سيحفظه  
بالكلية بما يظهره على يدي  
من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلا  
أو سيظهر بطلانه للناس  
والسين للتأكيد ( ان الله لا يصلح  
عمل المفسدين ) اي عمل جنس  
المفسدين على الاطلاق  
فيدخل فيه السحر دخولا  
أوليا أو عملكم فيكون من باب  
وضع المظهر موضع المضر  
للتسهيل عليهم بالافساد  
والاشعار بعلو الحكم وليس  
المراد بعدم اصلاح عملهم  
عدم جعل فسادهم صلاحا  
بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبت  
ولا يكمله ولا يديمه بل يحفظه  
ويهلكه ويسلط عليه الدمار  
والجمله تعليل لما سبق من قوله

دين أعدائهم فوق عنايتهم بمصالح أنفسهم وان حملناه على أن لا يمكن الله تعالى أولئك  
الكفار من أن يحملوهم على ترك هذا الدين كان ذلك أيضا دليل على أن اهتمامهم بمصالح  
أديانهم فوق اهتمامهم بمصالح أديانهم وعلى جميع التقديرات فهذا لطيفة شريفة قوله  
تعالى ( وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة  
وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ) اعلم أنه لما شرح خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر منهم  
من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون باتخاذ المساجد والاقبال على  
الصلوات يقال تبوأ المكان أي اتخذ مبعوا كقوله توطئه اذا اتخذ وطنا والمعنى اجعلوا  
بمصر بيوتا لقومكما ومرجعنا رجوعنا اليه للعبادة والصلوة ثم قال واجعلوا بيوتكم قبلة  
وفيه أبحاث ( البحث الاول ) من الناس من قال المراد من البيوت المساجد كما في قوله  
تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ومنهم من قال المراد مطلق البيوت  
أما الاولون فقد فسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة ثم قالوا والمراد من قوله  
واجعلوا بيوتكم قبلة أي اجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقال الفراء  
واجعلوا بيوتكم قبلة أي الى القبلة وقال ابن الاباري واجعلوا بيوتكم قبلة أي قبلا  
بمعنى مساجد فأطلق لفظ الوجدان والمراد الجمع واختلفوا في أن هذه القبلة أي كانت  
فضاها أن لفظ القرآن لا يدل على تعيينه الا أنه نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة  
قبلة موسى عليه السلام وكان الحسن يقول الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول  
عنها بأمر الله تعالى في أيام الرسول عليه السلام بعد الهجرة وقال آخرون كانت تلك  
القبلة جهة بيت المقدس وأما القائلون بأن المراد من لفظ البيوت المذكورة في هذه  
الآية مطلق البيت فهو هؤلاء لهم في تفسير قوله قبلة وجهان ( الاول ) المراد يجعل تلك  
البيوت قبلة أي متقابلة والمتصود منه حصول الجمعية واعتضاد البعض ببعض وقال  
آخرون المراد واجعلوا دوركم قبلة أي صلوا في بيوتكم ( البحث الثاني ) انه تعالى خص  
موسى وهرون في أول هذه الآية بالخطاب فقال أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا ثم عمم هذا  
الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة والسبب فيه أنه تعالى أمر موسى وهرون أن يتبوأ  
لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم جاء الخطاب بعد ذلك عاما لهمما  
وتعمومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الكل ثم خص موسى عليه  
السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال وبشر المؤمنين وذلك لان الغرض الاصلى من  
جميع العبادات حصول هذه البشارة فخص الله تعالى موسى بها ليدل بذلك على ان  
الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وأن هرون تبع له ( البحث الثالث ) ذكر  
المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة ( الاول ) ان موسى عليه السلام ومن  
معه كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا  
عليهم فيؤذوهم ويستوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام

ان الله سيبيطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على أن السحر افساد وتوابعه لاحقيقه ( ويحق الله الحق ) عطف  
على قوله سيبيطله اي يثبت ويقيه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لاقاء الروعة وترية المهابة ( بكلماته )  
بأوامره وقضايه وقرى بكلمته ( ولو كره المجرمون ) ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم ( فأمن  
لموسى ) معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخرى فألقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الخ وانما لم يذكر تعويلا

على ذلك وإيثار الإيجاز وإيداناً بقوله تعالى إن الله سيطلبه مما لا يحتمل الخلف أصلاً وعظفه على ذلك بالفاء مع كونه صمداً مستمراً من قبيل ماقوله عز وجل فاتبعوا أمر فرعون وما في قولك وعظته فليتهظ وصحت به فليتهجر والسرف في ذلك أن الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الافلاح عنه وان كان استمراراً عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث أي فأمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة ﴿٣٠﴾ (الأذرية من قومه) أي الأولاد من أولاد قومه بني

في مكة (الثاني) قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون (الثالث) أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهرون وقومهما بأخذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل تعالى أنه يصونهم عن شر الاعداء \* قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه زينة وأمواالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتعلمان سبيل الذين لا يعلمون) اعلم أن موسى لما بلغ في اطهار المعجزات الظاهرة القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والعداوة والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أو لا سبب أقدمه على تلك الجرائم وكان جرمهم هو أنهم لاجل حبهم الدنيا تركوا الدين فلهذا السبب قال موسى عليه السلام ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه زينة وأمواالا وازينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب وأثاث البيت والمال ما يزيد على هذه الاشياء من الصامت والناطق ثم قال ليضلوا عن سبيلك وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وعاصم ليضلوا بضم الياء وقرأ الباقون بفتح الياء (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم وتقريره من وجهين (الاول) ان اللام في قوله ليضلوا لام التعليل والمعنى أن موسى قال يارب العزة انك أعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل أن يضلوا فدل هذا على انه تعالى قادر يداضل المكلفين (الثاني) أنه قال واشدد على قلوبهم فقال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وذلك أيضا يدل على المقصود قال القاضي لا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم ويدل عليه وجوه (الاول) انه ثبت انه تعالى منزّه عن فعل التبجح واردة الكفر قبحة (والثاني) أنه لو أراد ذلك لكان الكفار مطيعين لله تعالى بسبب كفرهم لانه لا معنى للطاعة الا الاتيان بما يوافق الارادة ولو كانوا كذلك لما استحقوا الدعاء عليهم بطمس الاموال وشد القلوب (والثالث) اننا لو جازنا أن يريد اضلال العباد لجوزنا أن يبعث الانبياء عليهم السلام للدعاء الى الضلال ولجاز أن يقوى الكذابين المضالين المضلين باظهار المعجزات عليهم وفيه هدم الدين وابطال الثقة بالقرآن (والرابع) أنه لا يجوز أن يقول لموسى وهرون عليهما السلام قولاه قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى وأن يقول ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ثم انه تعالى أراد الاضلاله منهم وأعطاهم نعم لكي يضلوا لان ذلك كالتناقضة فلا بد من حل أحدهما على موافقة الآخر (الخامس) أنه لا يجوز أن يقال ان موسى عليه السلام دعاربه بان يطمس على أموالهم لاجل ان لا يؤمنوا مع تشدده في ارادة الايمان واعلم أن بالغنا في نكثير هذه الوجوه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب

اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون واجاتته طائفة من شيانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شيانهم آمنوا به عليه السلام أو مؤمن أن فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعد (على خوف) أي كاثنين على خوف عظيم (من فرعون ومثلهم) الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا ياباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد أولان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أول الذرية أول القوم أي على خوف من فرعون ومن أشرف بني اسرائيل حيث كانوا ينعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يفتنهم) أي يعذبهم وهو يدل اشتمال أو مفعول خوف فان أعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً أو مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الأمر بالتعذيب (وان فرعون لعالم في الارض) لغالب

في أرض مصر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعنوج حتى ادعى الربوبية ﴿٣١﴾ واذا واسترق أسباط الانبياء والجلتان اعتراض تذييلي مؤكداً لمضمون ما سبق (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين منه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فعلية توكلوا) وبه ثقوا ولا تخافوا أحداً غيره فإنه كافيكم كل شر وضمر (ان كنتم مسلمين) مسدسين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليل الحكم بشرطين فان

المعلق بالإيمان وجوب التوكل عليه تعالى فإنه المتعنى له والمشروط بالاسلام وجوده فإنه لا يتحقق مع التصليب ونظيره  
 ان أحسن اليك زيد فأحسن اليه ان قدرت عليه (قالوا) مجيبين له عليه السلام من غير تلثم في ذلك (على الله توكلنا)  
 لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) اي موقع فتنة (للقوم الظالمين) اي لا تسلطهم  
 علينا حتى يعذبونا أو يفوتونا عن ديننا أو يفوتونا **﴿ ٣١ ﴾** ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقوله تعالى

(ونحن برحمتك من القوم  
 الكافرين) دعاء منهم بالانجاء  
 من سوء جوارهم وشوئهم  
 مصاحبهم بعد الانجاء  
 من ظلمهم ولذلك عبر عنهم  
 بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم  
 وفي ترتيب الدعاء على التوكل  
 تلويح بأن الداعي حقه أن يبنى  
 دعاءه على التوكل على الله تعالى  
 (وأوحينا الى موسى وأخيه  
 أن تبوا) أن مفسرة لان في الوحي  
 معنى القول اي اتخذنا مباءة  
 (اقومكم بما صر بيوتا) تسكنون  
 فيها وترجعون اليها للعادة  
 (واجعلوا) آتيا وقومكم  
 (بيوتكم) تلك (قبله) مصلى  
 وقيل مساجد متوجهة نحو  
 القبلة يعنى الكعبة فان موسى  
 عليه السلام كان يصلى اليها  
 (وأقربوا الصلوة) اي فيها أمر  
 بذلك في اول أمرهم لئلا يظهر  
 عليهم الكفرة فيؤذوهم  
 ويفتوهم عن دينهم (وبشر  
 المؤمنين) بالنصرة في الدنيا  
 اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى  
 وانما هي الضمير أو لان التبوأ  
 للقوم واتخاذ المعابد بما يتولاه  
 رؤساء القوم تشاور ثم جم  
 لان جعل البيوت مساجد  
 والصلوة فيها مما عمله

واذا ثبت هذا فنقول وجب تأويل هذه الكلمة وذلك من وجوه (الاول) أن اللام  
 في قوله ليضلوا لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا  
 ولما كانت عاقبة قوم فرعون هو الضلال وقد أعلمه الله تعالى لاجرم عبر عن هذا المعنى  
 بهذا اللفظ (الثاني) أن قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك أي لئلا يضلوا عن سبيلك فحذف لا  
 لدلالة المقول عليه كقوله بين الله لكم أن تضلوا والمراد أن لا تضلوا وكقوله تعالى قالوا  
 بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة والمراد لئلا تقولوا ومثل هذا الحذف كثير في الكلام  
 (الثالث) أن يكون موسى عليه السلام ذكر ذلك على سبيل التحجب المقرون بالانكار  
 والتقدير كأنك آتيتهم ذلك لهذا الغرض فانهم لا ينفقون هذه الاموال الا فيه وكانه  
 قال آتيتهم زينة وأموا لاجل أن يضلوا عن سبيل الله ثم حذف حرف الاستفهام  
 كافي قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط \* غلس الظلام من الرباب خيالا  
 أراد أ كذبتك فكذا ههنا (الرابع) قال بعضهم هذه اللام لام الدعاء وهي لام مكسورة  
 تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيقال ليغفر الله للمؤمنين وليعذب الله الكافرين  
 والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (الخامس) أن هذه اللام لام التعليل لكن  
 بحسب ظاهر الأمر لاني نفس الحقيقة وتقريره أنه تعالى لما أعطاهم هذه الاموال  
 وصارت تلك الاموال سبيل يزيد البغي والكفر أشبهت هذه الحالة حالة من اعطى المال  
 لاجل الاضلال فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لاجل هذا المعنى (السادس) بينا  
 في تفسير قوله تعالى يضل به كثيرا في أول سورة البقرة ان الضلال قد جاء في القرآن بمعنى  
 الهلاك يقال ضل الماء في اللين أي هلك فيه اذا ثبت هذا فنقول قوله ربنا ليضلوا عن  
 سبيلك معناه ليهلكوا ويموتوا ونظيره قوله تعالى فلا تجعلك أموالهم ولا أولادهم اتما يريد  
 الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا فهذا جلة ما قيل في هذا الباب واعلم اننا قد أجبتنا عن هذه  
 الوجوه مرارا كثيرة في هذا الكتاب ولا بأس بأن نعيد بعضها في هذا المقام فنقول الذي  
 يدل على أن حصول الاضلال من الله تعالى وجوه (الاول) ان العبد لا يقصد الاحصول  
 الهداية فلما لم يحصل الهداية بل حصل الضلال الذي لا يريد علمنا أن حصوله ليس من  
 العبد بل من الله تعالى فان قالوا انه من هذا الضلال انه هدى فلا جرم قد أوقعه وأدخله  
 في الوجود فنقول فعلى هديكون اقدمه على تحصيل هذا الجهل بسبب الجهل السابق  
 فلو كان حصول ذلك الجهل السابق بسبب جهل آخر زعم التسلسل وهو محال فثبت ان  
 هذه الجهالات والضلالات لا بد من انتهاءها الى جهل أول وضلال أول وذلك لا يمكن أن  
 يكون باحداث العبد وتكوينه لانه كرهه وانما أراد ضده فوجب أن يكون من الله  
 تعالى (الثاني) انه تعالى لما خلق الخلق بحيث يحبون المال والجاه حبا شديدا لا يمكنه  
 ازالة هذا الحب عن نفسه البتة وكان حصول هذا الحب يوجب الاعراض

كل أحد ثم وحدلان شارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدهم بالإيمان والأشعار  
 بأنها مدار في التبشير (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاة زينة) اي ما يترين به من اللباس والمراكب ونحوها  
 (وأموالا) وأنواعا كثيرة من المال (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الأمر مما عمل بممارسة أحوالهم  
 أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت

أولامة لان ايشاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا نكر برا للاول تاكيدا أو تبيينها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمه لقوله تعالى ( ربنا اطمس على أموالهم ) الطمس المحو وقرى بضم الميم أي أهلكتها ( واشدد على قلوبهم ) أي اجعلها قاسية واطمح عليها حتى لا تشرح للايمان كما هو قضية شأنهم ﴿ ٣٢ ﴾ ( فلا يؤمنوا ) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي

عن يستخدمه و يوجب التكبر عليه وترك الالتفات الى قوله وذلك يوجب الكفر فهذه الاشياء بعضها تأدى الى البعض تأديا على سبيل اللزوم و يجب أن يكون فاعل هذا الكفر هو الذي خلق الانسان مجبولا على حب المال والجاه ( الثالث ) وهو اللمحة الكبرى ان القدرة بالنسبة الى الضدين على السوية فلا يرجح أحد الطرفين على الثاني الا لمرجح وذلك المرجح ليس من العبد والاعمال الكلام فيه فلا بد وان يكون من الله تعالى واذا كان كذلك كانت الهداية والاضلال من الله تعالى ( الرابع ) انه تعالى أعطى فرعون وقومه زينة وأموال وقوى حب ذلك المال والجاه في قلوبهم وأودع في طباعهم نفرة شديدة عن خدمة موسى عليه السلام والانقياد له لاسيما وكان فرعون كالنعم في حقه والمربي له والنفرة عن خدمة من هذا شأنه راسخة في القلوب وكل ذلك يوجب اعراضهم عن قبول دعوة موسى عليه السلام واصرارهم على انكار صدقه فثبت بالدليل العقلي ان اعطاء الله تعالى فرعون وقومه زينة الدنيا وأموال الدنيا لا بد وأن يكون موجبا لاضلالهم فثبت ان ما أشعر به ظاهر اللفظ فقد ثبت صحته بالعقل الصريح فكيف يمكن ترك ظاهر اللفظ في مثل هذا المقام وكيف يحسن حل الكلام على الوجوه المتكلفة الضعيفة جدا اذا عرفت هذا فنقول ( أما الوجه الاول ) وحل اللام على لام العاقبة فضعيف لان موسى عليه السلام ما كان عالما بالواقب فان قالوا ان الله تعالى أخبره بذلك قلنا فلما أخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون كان صدور الايمان منهم محال لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله كذبا وهو محال والمغضى الى المحال محال ( وأما الوجه الثاني ) وهو قولهم يحمل قوله ليضلوا عن سبيلك على أن المراد ان لا يضلوا عن سبيلك فنقول ان هذا التاويل ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره وأقول انه لما شرع في تفسير قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ثم نقل عن بعض أصحابنا انه قرأ من نفسك على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار ثم انه استبعد هذه القراءة وقال انها تقتضى تحريف القرآن وتفسيره وتفتح باب تاويلات الباطنية وبالغ في انكار تلك القراءة وهذا الوجه الذي ذكره ههنا شرمن ذلك لانه قلب النبي اثباتا والاثبات نفيًا وتجويزه يفتح باب أن لا يبقى الاعتماد على القرآن لاق نفيه ولا في اثباته وحينئذ يطل القرآن بالكلية وهذا بعينه هو الجواب عن قوله المراد منه الاستفهام بمعنى الانكار فان تجويزه يوجب تجويزه مثله في سائر المواضع فلعله تعالى انما قال أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة على سبيل الانكار والتعجب وأما بقية الجوابات فلا يخفى ضعفها ثم انه تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه قال ربنا اطمس على أموالهم وذكرنا معنى الطمس عند قوله تعالى من قبل أن نطمس وجوها واطمس هو المسخ قال ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيةها صحاحا وأصفا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة ثم قال واشدد على قلوبهم ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها

أو عطف على ليضلوا وما بينهما ذم معترض ( بنى ) يروا العذاب الاليم ) أي يعابون ويوقنوا به بحيث لا ينعفهم ذلك اذ ذلك ( قال قد أجيت دعوتكما ) يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغر في المواقع الثلاثة ( فاستقيا ) فآثبنا على ما آثبنا عليه من الدعوة والزام اللمحة ولا تستجلا فان ما طلبنا كان في وقته لا محالة روى انه مكث فيهم بعد الدماء أربعين سنة ( ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ) أي بعبادات الله سبحانه في تطبيق الامور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة في الاستعمال أو عدم الوثوق بوعده الله تعالى وقرى بالنون الخفيفة وكسرهما الالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتمان أيضا ( وجاوزنا بني اسرائيل البحر ) هو من جاوز المكان اذا تخطفه وخلفه والباء للتعدية أي جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناهم يسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرى جاوزنا وهو من التجوز المرادف للمجازة لانه هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول

الاعشى \* كما جاوز السكى في الباب فيتق \* والاقبل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وحلا النظم ﴿ الايمان ﴾ الكريم عن الايدان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الانهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في اخرق بين أذنه وذهب به ( فأتبعهم ) يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فطقته أي أدر صكهم ولحقهم ( فرعون وجنوده ) حتى ترامت القتاتن وكاد يجمع الجمعان ( بنيا وعدوا ) ظلما واعتداء أي بلقين

وطادين أولبغى والعدوان وقرىء وقدوا وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل على ختين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل ﴿ ٣٣ ﴾ إلى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكتهم باق على

حاله يبسا فسلكته بمنوده  
أجمعين فلما دخل آخرهم  
وهم أولتهم بالخروج  
غشيبهم من اليم ماغشيبهم  
(حتى إذا أدركه الفرق)  
أى لحقه وأجله (قال أمنت  
انه) أى بانه والضمير  
للشأن وقرىء انه على  
الاستئناف بدلا من أمنت  
وتفسيره (لا اله الا الذى  
أمنت به بنو إسرائيل)  
لم يقل كما قاله السحرة  
أمنار رب العالمين رب  
موسى وهرون بل عبر  
عنه تعالى بالوصول  
وجعل صلته إيمان بنى  
إسرائيل به تعالى للاشعار  
برجوعه عن الاستعصاء  
وباتباعه لمن كان يستتبعهم  
طمعافى القبول والانتظام  
معهم فى سلك النجاة  
(وأنا من المسلمين) أى  
الذين أسلموا نفوسهم  
لله أى جعلوها سالمة  
خالصة له تعالى وأراد  
بهم اما بنى إسرائيل  
خاصة واما الجنس وهم  
داخلون فيه دخولا  
أوليا وبالجملة على الاول  
عطف على أمنت واينار  
الاسمية لادعاء الدوام  
والاستمرار وعلى الثانى

الإيمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك بمن يشاء واولا ذلك لما حسن من موسى عليه السلام هذا السؤال ثم قال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وفيه وجهان (احدهما) أنه يجوز أن يكون معطوفا على قوله ليضلوا والتقدير ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقوله ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم يكون اعتراضا (والثانى) يجوز أن يكون جوابا لقوله واشدد والتقدير اطبع على قلوبهم وقسها حتى لا يؤمنوا فانها تستحق ذلك ثم قال تعالى قد أجيبت دعوتكما وفيه وجهان (الاول) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال قد أجيبت دعوتكما وذلك لان من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو أيضا داع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما أن الداعى سائل أيضا (الثانى) لا يعد أن يكون كل واحد منهما ذكر هذا الدعاء غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاة زينة وأموالا الا أن هذا لا ينافى أن يكون هرون قد ذكر ذلك الدعاء أيضا وأما قوله فاستقيما على الدعوة والرسالة والزيادة فى الزام الحجمة فقد لىث نوح فى قومه ألف سنة الا قليلا فلا تستجلا قال ابن جرير ان فرعون لىث بعد هذا الدعاء أربعين سنة وأما قوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ففيه بحثان (البحث الاول) المعنى لا تتبعان سبيل الجاهلين الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل فى الحال فر بما أجاب الله تعالى دعاء انسان فى مطلوبه الا أنه انما يوصله اليه فى وقته المقدر والاستعمال لا يصدرا لامن الجهال وهذا كما قال لئوح عليه السلام انى أعظك أن تكون من الجاهلين واعلم ان هذا النهى لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كأن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه (البحث الثانى) قال الزجاج قوله ولا تتبعان موضعه جزم والتقدير ولا تتبعان الا أن النون الشديدة دخلت على النهى مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التى قبلها فاخترتها الكسرة لانها بعد الالف تشبه نون التثنية وقرأ ابن عامر ولا تتبعان بتخفيف النون ﴿ قوله تعالى ﴾ (وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فاتبعتهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الفرق قال أمنت أنه لا اله الا الذى أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) اعلم أن تفسير اللفظ فى قوله وجاز ونا بنى إسرائيل البحر المذكور فى سورة الاعراف والمعنى أنه تعالى لما أجاب دعاءهما أمر بنى إسرائيل بالخروج من مصر فى الوقت المعلوم وبسرلهم أسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج على عقبهم وقوله فاتبعهم أى لحقهم يقال اتبعه حتى لحقه وقوله بغيا وعدوا البغى طلب الاستعلاء بغبرحق والعدو الظلم روى أن موسى عليه السلام لما خرج مع قومه وصلوا الى طرف

يحتمل الحالية أيضا من ضمير ﴿ ٥ ﴾ خا المتكلم أى أمنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراشخين فيه وقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المقضى الى التمام وهيهايات بعد ما فات ما فات وأنى ما هوات وقوله عز وجل (الآن) مقول لقول مقدر معطوف على قال أى قبل الآن وهو

الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما أظهمه بارد على وجه الإنكار التوبيخي على تأخيره وتقر بعد بالصيان والافساد وغير ذلك ﴿ ٣٤ ﴾ وفي حذف الفعل المذكور وباراز الخبر المحكي

في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى من أن جبريل بس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تأكيد للرد القول بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليقه بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل أنه قال للنبي عليها السلام فلور أيتني يا محمد وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة إذ المراد بها الرحمة الدنيوية أي التجابة التي هي طلبية المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر إذ لا استهانة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التغوه بكامة الايمان وان كان ذلك في حالة البأس واليأس فيحمل وسه عليه السلام على سداب الاجتمال البعيد لكامل الغيظ وشدة

البحر وقرب فرعون مع عسكره منهم فوقوا في خوف شديد لانهم صاروا بين بحر مغرق وخدمه هلك فأنع الله عليهم بأن أظهر لهم طريق البحر على ما ذكر الله تعالى هذه القصة بتامها في سائر السور ثم ان موسى عليه السلام مع أصحابه دخلوا وخرجوا وأتق الله تعالى ذلك الطريق يسأل يطعم فرعون وجنوده في التمكن من العبور فلما دخل مع جمه أغرقه الله تعالى بان أوصل أجزاء الماء يمينها وأزال القلق فمعه قوله فاتبعهم فرعون وجنوده وبين ما كان في قلوبهم من البغي وهي محبة الاوراط في قلوبهم وطلبهم والعدو وهو تجاوز الحد ثم ذكر تعالى انه لما أدركه الفرق أظهر كلمة الاخلاص ظانمته أنه ينجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان (السؤال الاول) ان الانسان اذا وقع في الغرق لا يمكنه أن يلفظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه أنه ذكر ذلك (والجواب) من وجهين (الاول) ان مذهبنا أن الكلام الحقيقي هو كلام النفس لا كلام اللسان فهو انما ذكر هذا الكلام بالنفس لا بكلام اللسان ويمكن أن يستدل بهذه الآية على اثبات كلام النفس لانه تعالى حكى عنه أنه قال هذا الكلام وثبت بالدليل انه ما قاله باللسان فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب (الثاني) أن يكون المراد من الفرق مقدماته (السؤال الثاني) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت وثانيها قوله لاله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فا السبب في عدم القبول والله تعالى متعال عن أن يلحقه غيظ وحقه حتى يقال انه لاجل ذلك الحقد لم يقبل منه هذا الاقرار (والجواب) العلماء ذكر وافية وجوها (الاول) انه انما آمن عند نزول العذاب والايان في هذا الوقت غير مقبول لان عند نزول العذاب يصير الحال وقت الاجزاء وفي هذا الحال لا يكون التوبة مقبولة ولهذا السبب قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (الوجه الثاني) هو انه انما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع تلك البلية الحاضرة والمحنة الناجزة فا كان مقصوده من هذه الكلمة الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف بعزة الربوبية وذلة العبودية وعلى هذا التقدير فا كان ذكر هذه الكلمة مقرونا بالاخلاص فلهذا السبب ما كان مقبولاً (الوجه الثالث) هو أن ذلك الاقرار كان مبنيًا على محض التقليد ألا ترى أنه قال لاله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فكأنه اعترف بأنه لا يعرف الله الا أنه سمع من بني اسرائيل أن للعالم الها فهو أقرب بذلك الاله الذي سمع من بني اسرائيل أنهم أقروا بوجوده فكان هذا محض التقليد فلهذا السبب لم تصر الكلمة مقبولة منه ومزيد التحقيق فيه أن فرعون على ما بيناه في سورة طه كان من الدهرية وكان من المنكرين لوجود الصانع تعالى ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الابنور الحجج القطعية والدلائل اليقينية وأما بالتقليد المحض فهو لا يفيد لانه يكون ضمنا ظلمة التقليد الى ظلمة الجهل السابق (الوجه الرابع) رأيت في بعض الكتب أن بعض أقوام من بني اسرائيل لما جاؤوا البحر

الجزر فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف أن يقدر مؤخرًا ليتوجه الإنكار والتوبيخ الى تأخير ﴿ اشتغلوا ﴾ الايمان الى حديثه قبله فيه أي الآتية من حين ينست من الحياة وأيقنت باللمات وقوله عز وجل (وقد عصيت قبل) حال من فاعل الفعل المقدر يحي به لتشديد التوبيخ والتقرير على تأخير الايمان الى



هَذَا الْآنَ بَيَانٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَأْخِيرُهُ لَمَذْمٍ يَلُوحُ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْتِدْبِيرَ فِي ذَلَالَتِهِ وَأَيَّانَهُ وَلَا شَيْءَ آخَرَ تَمَاطَفَى لِيَتَعَدَّزَا  
فِي التَّأْخِيرِ بَلْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ الرَّدِّ وَالِاسْتِعْصَاءِ وَالْإِفْسَادِ فَانْقَوْلُهُ تَعَالَى (وَكُنْتُمْ مِنَ الْمَفْسُودِينَ) عَطَفَ عَلَى عَضَيْتِ  
دَاخِلٍ فِي حَيْزِ الْحَالِ أَيْ وَكُنْتُمْ ۞ ۳۵ ۞ مِنَ الْعَالِينَ فِي الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ عَنِ الْإِيمَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى الَّذِينَ كَفَرُوا

وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ  
زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ  
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ  
فَهَذَا عِبَارَةٌ عَنِ فُسَادِهِ  
الرَّاجِعِ إِلَى نَفْسِهِ وَالسَّارِي  
إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِي  
وَصَدُّ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ عَنِ  
الْإِيمَانِ وَالْأَوَّلِ عَنِ  
عَصْيَانِهِ الْخَاصِّ بِهِ  
(فَالْيَوْمَ نَجْجِكَ) أَيْ  
نَخْرِجُكَ مِمَّا وَقَعْتَ فِيهِ  
قَوْمِكَ مِنْ قَعْرِ الْبَحْرِ  
وَنَجْعَلُكَ طَافِيًا فِي التَّعْبِيرِ  
عَنْهُ بِالتَّجْمِيعِ تَلْوِيحًا  
بِأَنَّ مَرَادَهُ بِالْإِيمَانِ هُوَ  
النَّجَاةُ كَمَا مَرَّتْ فِيهِمْ بِهِ  
أَوْ نَتَّقِيكَ عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ  
الْأَرْضِ لِسَبْرِكَ بِنُورِ  
إِسْرَائِيلَ وَقُرْبِي تَجْمِيعًا  
مِنَ الْإِنجَاءِ وَتَجْمِيعًا بِالْحَاءِ  
مِنَ التَّجْمِيعِ أَيْ نَتَّقِيكَ  
بِنَاحِيَةِ السَّاحِلِ (بِدَنْكَ)  
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ طَعْمِ  
الْمُخَاطَبِ أَيْ تَجْمِيعًا  
مَلْبَسًا بِدَنْكَ فَقَطْ  
لِأَنَّ رُوحَكَ كَمَا هُوَ  
مَطْلُوبٌ فَهُوَ تَجْمِيعٌ  
لَهُ وَحَسْمٌ لِطَمَاحِهِ  
بِالْمَرَّةِ أَوْ طَارِيَعِنَ الْبَلْبَاسِ  
أَوْ كَامِلًا سَوِيًّا أَوْ  
بِدَرْعِكَ وَكَانَتْ لَهُ دَرَعٌ  
مِنَ الذَّهَبِ يَعْرِفُ بِهَا

اشْتَغَلُوا بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ فَلَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
انصرفت ذلك إلى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكاحفة في حقه  
سبباً لزيادة الكفر (الوجه الخامس) أن اليهود كانت قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم  
ولهذا السبب اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم أنه تعالى حل في جسد ذلك العجل ونزل فيه  
فلما كان الأمر كذلك وقال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فكانت  
آمن بالله الموصوف بالخصمية والحلول والنزول وكل من اعتقد ذلك كان كافراً ولهذا  
السبب ما صح إيمان فرعون (الوجه السادس) لعل الإيمان إنما كان يتم بالأقرار  
بواحدانية الله تعالى والأقرار بنبوة موسى عليه السلام فهمنا لما أقر فرعون بالوحدانية  
ولم يقرب بالنبوة لاجرم لم يصح إيمانه ونظيره أن الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد  
أن لا إله إلا الله فإله لا يصح إيمانه إلا إذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول الله فكذلك ههنا  
(الوجه السابع) روى صاحب الكشاف أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتية  
فيها ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته ووجد حقه وادعى  
السيادة دونه فكتب فرعون فيها يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد  
الخارج على سيده الكافر بنعمته أن يعرق في البحر ثم إن فرعون لما عرق رفع جبريل  
عليه السلام فتياه إليه \* أما قوله تعالى آلاّن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين  
ففيه سوالات (السؤال الأول) من القائل له آلاّن وقد عصيت قبل (الجواب) الأخبار  
دائمة على أن قائل هذا القول هو جبريل وإنما ذكر قوله وكنت من المفسدين في مقابلة  
قوله وأنا من المسلمين ومن الناس من قال إن قائل هذا القول هو الله تعالى لأنه ذكر بعده  
فاليوم نجيك بيدك إلى قوله وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون وهذا الكلام  
ليس إلا كلام الله تعالى (السؤال الثاني) طاهر اللفظ يدل على أنه إنما لم تقبل توبته  
للمعصية المتقدمة والفساد السابق وصحة هذا التعليل لا تمنع من قبول التوبة  
(والجواب) مذهب أصحابنا أن قبول التوبة غير واجب عقلاً وأحد دلالاتهم على صحة  
ذلك هذه الآية وأيضا فالتعليل ما وقع بمجرد المعصية السابقة بل بتلك المعصية مع كونه  
من المفسدين (السؤال الثالث) هل يصح أن جبريل عليه السلام أخذ يملأه من الطين  
لثلاث توبت غضبا عليه (والجواب) الأقرب أنه لا يصح لأن في تلك الحالة إما أن يقال  
التكليف كان ثابتاً أو ما كان ثابتاً فإن كان ثابتاً لم يجز على جبريل عليه السلام أن يمنعه  
من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا على  
البر والتقوى ولتعاونوا على الإثم والعدوان وأيضا فلومنه بما ذكره لكانت التوبة  
ممكنة لأن الآخر قد توبت بأن يندم بقلبه ويعزم على ترك معاودة القبيح وحينئذ لا يبقى  
لما فعله جبريل عليه السلام فائدة وأيضا لومنه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على  
الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بالله تعالى أن يقول لموسى وهرون عليهما

وقرى بأبدانك أي بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدرهك كأنه كان مظهراً بينها (لتكون لمن  
خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمتهم

ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بفرقه آلي ان طابوة مطر ساع على  
 بحرهم من الساحل أو تكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مال أمرك من شاهدك عبدة ونكالا من العظيان أوجه  
 تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان ﴿ ٣٦ ﴾ وعلوا الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك

مقهور بعيد عن مظان  
 ال بوبية وقرى لمن  
 خلقت فعلا ماضيا اي  
 لمن خلقت من الجبارة  
 وقرى لمن خلقت بالقاف  
 اي لتكون لخالك آية  
 كسائر الآيات فان  
 افراده سبحانه اياك  
 بالالقاء الى الساحل  
 دليل على أنه قصد منه  
 لكشف تزويرك واماطة  
 الشبهة في امرك وبرهان  
 نير على كمال علمه وقدرته  
 وحكمته وارا دته  
 وهذا الوجه محتمل على  
 القراءة المشهورة أيضا  
 وفي تعليل تهيته بما  
 ذكر ايدان بأنها ليست  
 لاعزازة أو لفائدة  
 أخرى عائنة اليسبل  
 لكمال الاستهانة به  
 وتفضيحه على رؤس  
 الاشهاد وزيادة تفضيح  
 حاله كمن يقتل ثم يجر  
 جسده في الاسواق  
 أو يدار برأسه في البلاد  
 واللام الاولى متعلقة  
 بنجيك والثانية بمحذوف  
 وقع حالا من آية اي  
 كأنه لمن خلقت (وان  
 كثيرا من الناس عن  
 آياتنا لغافلون)

السلام فقولا له قولا لنا لعله يتذكر أو يخشى ثم يأمر جبريل عليه السلام بأن يمنع من  
 الايمان ولو قيل ان جبريل عليه السلام انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله تعالى  
 فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الا بأمر ربك وقوله تعالى في صفتهم وهم من خشيته  
 مشفقون وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأما ان قيل ان التكليف كان  
 زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحيث لا يبق لهذا الفعل الذي نسب جبريل اليه فائدة  
 أصلا ثم قال تعالى فاليوم نجيك بيدك وفيه وجوه (الاول) نجيك بيدك اي نلقيك  
 بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع (الثاني) نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه  
 قومك من قعر البحر ولكن بعد أن تفرق وقوله بيدك في موضع الحال اي في الحال التي  
 أنت فيه حينئذ لا روح فيك (الثالث) ان هذا وعدله بالنجاة على سبيل التهكم كما في قوله  
 فبشرهم بعذاب أليم كأنه قيل له نجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك  
 ومثل هذا الكلام قد يذكر على سبيل الاستهزاء كما يقال نعتك ولكن بعد الموت  
 ونخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت (الرابع) قرأ بعضهم تحييك بالماء المهمل اي  
 نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الفرق بجانب من جوانب البحر قال  
 كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور وأما قوله بيدك ففيه وجوه (الاول) ما ذكرنا  
 أنه في موضع الحال اي في الحال التي كنت بدنا محضاً من غير روح (الثاني) المراد نجيك  
 بيدك كاملا سويا لم تغير (الثالث) تحييك بيدك اي نخرجك من البحر عريانا من غير  
 لباس (الرابع) تحييك بيدك اي بدرعك قال الليث البدن هو الدرع الذي يكون قصير  
 الكمين فقوله بيدك اي بدرعك وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من  
 ذهب يعرف بها فأخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف أقول ان صح هذا فقد كان  
 ذلك معجزة لموسى عليه السلام وأما قوله لتكون لمن خلقت آية ففيه وجوه (الاول) أن  
 قوما ممن اعتقدوا فيه الالهية للملئيشاهدوا غرقه كذبوا بذلك وزعموا أن مثله لا يموت  
 فأنظر الله تعالى أمره بأن أخرج من الماء بصورته حتى شاهدوه وزالت الشبهة عن  
 قلوبهم وقيل كان مطرحه على مر بنى اسرائيل (الثاني) لا يبعد أنه تعالى أراد أن يشاهده  
 الخلق على ذلك الذل والمهانة بعد ما سمعوا منه قوله أنار بكم الاعلى ليكون ذلك زجرا  
 للخلق عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالامس في نهاية الجلالة والعظمة ثم آل امره  
 الى ما يرون (الثالث) قرأ بعضهم لمن خلقت بالقاف اي لتكون لخالك آية كسائر آياته  
 (الرابع) انه تعالى لما أغرقه مع جميع قومه ثم انه تعالى ما أخرج أحدا منهم من قعر  
 البحر بل خصه بالاخراج كان تخصيصه بهذه الحالة العجيبة دالا على كمال قدرة الله تعالى  
 وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة وأما قوله وان كثيرا من الناس عن  
 آياتنا لغافلون فالظاهر انه تعالى لما ذكر قصة موسى وفرعون وذكر حال طابوة فرعون  
 وختم ذلك بهذا الكلام وخالب به محمدا عليه الصلاة والسلام فيكون ذلك زاجرا لامته

لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي يجي به عند الحكاية تقرير الفعوى الكلام ﴿ عن ﴾  
 الهكي (وتدبو أنابى اسرائيل) كلام مستأنف سبق لبيان النعم الفاضلة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجال

واخلالهم بشكرها وأداء حقوقها إلى أسكنائهم وأزوتائهم بعدما تجتنبناهم وأهلكنا أعداءهم (مبوا صدق) أي منزلا  
صالحا مرصيا وهو الشام ومصر ملكوهما بعد ﴿ ٣٧ ﴾ الفراعنة والعمالقة وتمكوا في نواحيهما حسبما نطق به

قوله تعالى وأورثنا  
القوم الذين كانوا  
يستضعفون مشارق  
الأرض ومغار بها التي  
باركنا فيها (ورزقناهم  
من الطيبات) أي اللذات  
(فما اختلفوا) في أمر  
دينهم (حتى جاءهم  
العلم) أي الأبعد ما جاءهم  
العلم بقرايتهم التوراة  
وعلمهم بأحكامها أو  
في أمر محمد عليه الصلاة  
والسلام إلا من بعدما  
علموا صدق نبوته  
وتظاهر معجزاته فالمراد  
بالمختلفين أعقابهم الذين  
كانوا في عصر النبي عليه  
الصلاة والسلام أن  
ربك يقضى بينهم يوم  
القيامة فيما كانوا فيه  
يختلفون (فيميز بين الحق  
والبطل بالاثابة والتعذيب  
فان كنت في شك) أي  
في شك ما يسير على  
الغرض والتقدير فان  
مضمون الشرطية إنما  
هو تعليق سي بنى  
من غير تعرض لامكان  
شيء منهما كيف لا وقد  
يكون كلاهما ممتعا  
كقوله عرو وجل قل ان  
كان للرحن ولد فأنا أول

عن الاعراض عن الدلائل وباعتلالهم على التأمل فيها والاعتبار بها فان المقصود من  
ذكر هذه القصص حصول الاعتسار كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب  
﴿ قوله تعالى ( ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا  
حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) اعلم انه تعالى  
لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده ذكر أيضا في هذه الآية ما وقع عليه  
الختم في أمر بنى اسرائيل وههنا بحثان (البحث الاول) ان قوله بوأنا بنى اسرائيل مبوا  
صدق أي أسكنائهم مكان صدق أي مكانا محمودا وقوله مبوا صدق فيه وجهان (الاول)  
يجوز أن يكون مبوا صدق مصدرا أي بوأناهم تبوا صدق (الثاني) أن يكون المعنى  
منزلا صالحا مرصيا وانما وصف المبوا بكونه صدقا لان عادة العرب أنها اذا مدحت شيئا  
أضافته إلى الصدق تقول رجل صدق وقدم صدق قال تعالى وقل رب أدخلني مدخل  
صدق وأخر جني مخرج صدق والسبب فيه أن ذلك النبي إذا كان كاملا في وقته صالحا  
للفرض المطلوب منه فكل ما يظن فيه من الخير فانه لا بد وأن يصدق ذلك الطن (البحث  
الثاني) اختلفوا في أن المراد بنى اسرائيل في هذه الآية أم اليهود الذين كانوا في زمن  
موسى عليه السلام أم الذين كانوا في زمن محمد عليه الصلاة والسلام (أما القول الاول)  
فقد قال به قوم ودليلهم أنه تعالى لما ذكر هذه الآية عقيب قصة موسى عليه السلام كان  
جل هذه الآية على أحوالهم أولى وعلى هذا التقدير كان المراد بقوله ولقد بوأنا  
بنى اسرائيل مبوا صدق الشام ومصر وتلك البلاد فانها بلاد كثيرة انحصب قال تعالى  
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله  
والمراد من قوله ورزقناهم من الطيبات تلك المنافع وأيضا المراد منها أنه تعالى أورث  
بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي قوم فرعون من الناطق والصامت والحراث  
والسل كما قال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغار بها ثم قال  
تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم والمراد أن قوم موسى عليه السلام بقوا على ملّة  
واحدة ومقالة واحدة من غير اختلاف حتى قرؤوا التوراة فحيث تنبهوا للسائل  
والمطالب ووقم الاختلاف بينهم ثم بين تعالى أن هذا النوع من الاختلاف لا بد وأن يبقى  
في دار الدنيا وانه تعالى يقضى بينهم يوم القيامة (وأما القول الثاني) وهو أن المراد  
بنى اسرائيل في هذه الآية اليهود الذين كانوا في زمان محمد عليه الصلاة والسلام  
فهذا قال به قوم عظيم من المفسرين قال ابن عباس وهم قر يضة والنضير وبنو قينقاع  
أزوتائهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات والمراد ما في تلك  
البلاد من الرطب والتمر التي ليس مثلها طيبا في البلاد ثم انهم بقوا على دينهم ولم يظهروا فيها  
الاختلاف حتى جاءهم العلم والمراد من العلم القرآن النازل على محمد عليه الصلاة  
والسلام وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسب محاز مشهور

العايدين وقوله تعالى لئن أشركت أحبطن عمالك ونظائرهما (مما أنزلنا إليك) من القصص إلى من جلتها قصة فرعون  
وقومه وأخبار بنى اسرائيل (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما  
ألقينا إليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو

المستور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة أصلاً أو وصف أهل الكتاب بالسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام أو تهيجه عليه السلام وزيادة تهيئة على ما هو عليه من اليقين \* ٣٨ \* لا يجوز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال

عليه السلام لأشك ولا  
أسأل وقيل المراد بالوصول  
مؤمنواهل الكتاب  
كعبدالله بن سلام وعميم  
الداري وكعب وأضرابهم  
وقيل الخطاب للنبي عليه  
السلام والمراد أمته أو  
لكل من يسمع اى ان  
كنت أبها السامع في  
شك مما أنزلنا اليك على  
لسان نبينا وفيد تنبيه  
على أن من خالجه شبهة  
في الدين ينبغي أن يسارع  
الى حلها بالرجوع الى  
اهل العلم وقري فاسأل  
الذين يقرون الكتب  
(لقد جاءك الحق) الذي  
لا محيد عنه ولا ريب في  
حقيقته (من ربك) وطهر  
ذلك بالآيات القاطعة  
التي لا يحوم حولها شائبة  
الارتباب وفي التعرض  
لضنوان الربوبية مع  
الاضافة الى ضميره عليه  
السلام من التسريفة  
ملا يخفى (فلا تكونين  
من الممترين) التزلزل  
عما أنت عليه من الجزم  
واليقين ودم على ذلك  
كما كنت من قبل (ولا  
تكونين من الذين كذبوا  
بآيات الله) من باب التهيج

والالهاب والمراد به اعلام أن التكذيب من القبح والمحدورة بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور \* مؤمنا \*  
امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن انصافه به وفيه قطع لاطباع الكفرة (فكونين) بذلك (من الخاسرين)  
أنفسيا وأعمالا (انا الذين حقت عليهم) شروع

في بيان سر استمرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة (كلمة بك) حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لا ملان جهنم الى آخره (لا يؤمنون) ابدا اذ لا كذب ﴿ ٣٩ ﴾ لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا

في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون (ولو جاءتهم كل آية) واخضة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك (حتى يروا العذاب الاليم) كدأب آل فرعون واضرابهم (فلولا كانت) كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الاتي بيانا ليكون قوم يونس عليه السلام بمن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلاوقرى كذلك اى فهلا كانت (قربة) من القرى المهلكة (آمنت) قبل معاينة العذاب ولم توخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه (ففعها ايمانها) بأن يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها (الاقوم يونس) استثناء منقطع اى ليكن

مؤمننا الا ان قوله ليس بحجة لاسيما وقد تقرر انما في ايديهم من التوراة والانجيل فان كل مصحف محرف فثبت ان الحق هو ان هذا الخطاب وان كان في الظاهر مرم الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الامير الذي جعله أميراً عليهم ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم (الوجه الثاني) انه تعالى علم ان الرسول لم يشك في ذلك الا ان المقصود انه متى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يارب لا أشك ولا أطلب الحجية من قول أهل الكتاب بل يكفي ما أنزته على من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى لللائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانه أنت وينا من دوزهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال عيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله والمقصود منه ان يصرح عيسى عليه السلام بالبراءة عن ذلك فكذا ههنا (الوجه الثالث) هو ان محمداً عليه الصلاة والسلام كان من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة في قلبه من الجائزات وتلك الخواطر لا تندفع لا بإيراد الدلائل وتقرير البينات فهو تعالى أنزل هذا النوع من التقريرات حتى ان بسببها ترول عن خاطره تلك الوسوس ونظيره قوله تعالى فلعنك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وأقول تمام التقرير في هذا الباب ان قوله فان كنت في شك فافعل كذا وكذا قضية سرطانية والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بأن الشرط وقع أولم يقع ولا بأن الجزاء وقع أولم يقع بل ليس فيها الايمان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزاء فقط والدليل عليه أنك اذا قلت ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمنساو بين فهو كلام حق لان معناه ان كون الخمسة زوجا يستلزم كونها منقسمة بمنساو بين ثم لا يدل هذا الكلام على ان الخمسة زوج ولا على أنها منقسمة بمنساو بين وكذا ههنا هذه الآية تدل على أنه لو حصل هذا الشك اكان الواجب فيه هو فعل كذا وكذا فأما ان هذا الشك وقع أولم يقع فليس في الآية دلالة عليه والفسادة في انزال هذه الآية على الرسول أن تكثير الدلائل وتقويتها مما يريد في قوة اليقين وطمأنينة النفس وسكون الصدر ولهذا السبب أكثر الله في كتابه من تقرير دلائل التوحيد والنبوة (والوجه الرابع) في تقرير هذا المعنى أن تقول المقصود من ذكر هذا الكلام استمالة قلوب الكفار وتقريرهم من قبول الايمان وذلك لانهم طالبوهم مرة بعد أخرى بما يدل على صحة نبوته وكآتهم استحبوا من تلك المعاودات والمطالبات وذلك الاستحياء صار مانعاً لهم عن قبول الايمان فقال تعالى فان كنت في شك من نبوتك فتمسك بالدلائل القلائل يعنى أولى الناس بأن لا يشك في نبوته هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هومن نفسه دليلاً على نبوة نفسه بعدما سبق من الدلائل الباهرة والبيانات القاهرة فانه ليس فيه

(آمنت) قبل معاينة العذاب ولم توخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه (ففعها ايمانها) بأن يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها (الاقوم يونس) استثناء منقطع اى ليكن

قوم يونس ( لما آمنوا ) أول مارأوا أماراة العذاب ولم يوثخروا الى حلوله ( ككشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ) بعد ما أظلمهم وكاد يحل بهم ويجوز أن تكون الجملة ﴿ ٤٠ ﴾ في معنى النبي كما يفسح عنه حرف

الخصيصة فيكون  
الاستثناء متصلا اذا المراد  
بالقري أها لها كانه قيل  
ما آمنت طائفة من الامم  
العاصية فنفغهم ايمانهم  
الا قوم يونس عليه السلام  
فيكون قوله تعالى لما آمنوا  
استثنا فالبيان نفع ايمانهم  
ويؤيده قراءة الرفع على  
البديلة (ومتناهم) بتناع  
الدنيا بعد كشف العذاب  
عنهم (الى حين) مقدر لهم  
في علم الله سبحانه روى  
أن يونس عليه السلام  
بعث الى نينوى من أرض  
الموصل فكذبوه فذهب  
عنهم مغاضبا فلما فقدوه  
خافوا نزول العذاب  
فلبسوا المسوح وعجوا  
أربعين ليلة وقيل قال  
لهم يونس عليه السلام  
أجلكم أربعون ليلة  
قالوا ان رأينا أسباب  
المهلك آمنابك فلما مضت  
خمس وثلاثون أغامت  
السماء غيما اسودها ثلاثا  
يدخن دخانا شديدا ثم  
يهبط حتى يفتشى مدينتهم  
ويسود سطوحهم  
فلبسوا المسوح وبرزوا  
الى الصعيد بأنفسهم  
ونسأهم وصيبياتهم ودوا بهم

عيب ولا يحصل بسببه نقصان فاذا لم يستفتح منه ذلك في حق نفسه فلان لا يستفتح من  
غيره طلب الدلائل كان أول ثبت ان المقصود بهذا الكلام استعماله القوم وازالة الحياء  
عنهم في تكثير المناظرات ( الوجه الخامس ) أن يكون التقدير انك لست شا كالبيتة  
ولو كنت شا كاللكن لك طرق كثيرة في ازالة ذلك الشك كقوله تعالى لو كان فيها آلهة  
الا لله لفسدتا والمعنى أنه لو فرض ذلك الممتنع واقعا لزم منه المحال الفلاني فكذا ههنا  
ولو فرضنا وقوع هذا الشك فارجع الى التوراة والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك  
زائل وهذه الشبهة باطلة ( الوجه السادس ) قال الزجاج ان الله خاطب الرسول في قوله  
فان كنت في شك وهو شامل الخلق وهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقت النساء قال وهذا  
أحسن الاقوال قال القاضي هذا بعيد لانه متى كان الرسول داخلا تحت هذا  
الخطاب فقد عاد السؤال سواء أريد معه غيره أو لم يرد وانجاز أن يراد هو مع غيره  
فوالذي يمنع أن يراد بانفراده كما يقتضيه الظاهر ثم قال ومثل هذا التأويل يدل على قلة  
التحصيل ( الوجه السابع ) هو أن لفظ ان في قوله ان كنت في شك للنفي أي ما كنت  
في شك قبل يعني لأن أمرك بالسؤال لانك شاك لكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه  
السلام بمعاينة احياء الموتى يقينا ( وأما الوجه الثاني ) وهو أن يقال هذا الخطاب ليس  
مع الرسول فتقريره أن الناس في زمانه كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له  
والتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها  
الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك  
على صحة نبوته وانما وحده الله تعالى ذلك وهو يريد بالجمع كما في قوله يا أيها الانسان ما أمرك  
بربك الكريم الذي خلقك ويا أيها الانسان امك كادح وقوله فاذا مس الانسان ضر  
ولم يرد في جميع هذه الآيات انسانا بعينه بل المراد هو الجماعة فكذا ههنا ولما ذكر الله  
تعالى لهم ما يزيد ذلك الشك عنهم حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون  
فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ( المسئلة الثالثة )  
اختلفوا في أن السؤال منه في قوله فاسأل الذين يقروئن الكتاب من هم فقال المحققون  
هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وعميم الداري  
وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء كانوا من المسلمين  
أو من الكفار لانهم اذا بلغوا عدد التواتر ثم قرؤا آية من التوراة والانجيل ونلك الآية  
دالة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الفرض فان قيل اذا  
كان مذهبكم أن هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغير فكيف يمكن التعويل  
عليها قلنا انهم انما حرفوها بسبب اخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة  
والسلام فان بقيت فيها آيات دالة على نبوته كان ذلك من أقوى الدلائل على صحة نبوة محمد  
عليه الصلاة والسلام لانها لما بقيت مع توفردوا عليهم على ازالتها دل ذلك على أنها كانت

و فرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فمن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والمعجم ﴿ في غاية ﴾  
وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة

وهن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظلم حتى إن الرجل كان يفتلح الحجر وقد وضع عليه أساس بناه فبرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بنية ﴿ ٤١ ﴾ علمائهم قسوا الوافد نزل بنا العذب فارتى قسألهم

قولوا يا حي حين لا حي  
وياحي يحي الموتى وياحي  
لا اله الا أنت قسوا الوها  
فكشفت عنهم وعن  
الفضيل ابن عياض  
قالوا ان ذنوبنا قد عظمت  
وجلت وأنت أعظم  
منها وأجل افضل بنا ما  
أنت أهله ولا تفعل بنا ما  
نحس أهله (واوشاء برك  
لا من من في الارض)  
تحقيق لدور ان ايمان  
كافة المكلفين وجودا  
وعدا على قطب مسيئته  
تعالى مطلقا اثيريان تبعية  
كفر الكفرة لكلمته  
ومفعول المشيئة محذوف  
لوجود ما يقتضيه من  
وقوعها شرطا وكون  
مفعولها مضمون الجراء  
وأن لا يكون في تعلقها به  
غرابية كما هو المهورأى  
اوشاء سبحانه ايمان من في  
الارض من الثقلين لا من  
(كلهم) بحيث لا يشد  
عنهم احد (جميعا)  
محتجبين على الايمان  
لا يختلفون فيه لكنه  
لا يشاؤه لكونه مخالفا  
للحكمة التي عليها بني  
أساس التكوين والتشريع  
وفيه دلالة على أن من

في غاية الظهور واما ان المقصود من ذلك السؤال معرفة اى الاشياء ففيه قولان (الاول)  
أنه القرآن ومعرفة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم (والثاني) أنه رجع ذلك الى قوله تعالى  
فاختلفوا حتى جاءهم العلم والاول أولى لانه هو الاله والحاجة الى معرفته أتم واعلم انه  
تعالى لما بين هذا الطريق قل بعده تمجداك الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين ولا  
تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أى فأنبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المريضة عنك  
وانتفاء التكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون ذلك على طريق التهميم واطهار التسدد  
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق ثم قال ولا  
تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين واعلم أن فرق المكلفين ثلاثة اما  
أن يكونن من المصدقين بالرسول أو من المتوقفين في صدقه أو من المكذبين ولا شك ان أمر  
المتوقف أسهل من أمر المكذب لاجرم قدم ذكر المتوقف بقوله ولا تكونن من الممتريين ثم  
اتبعه بذكر المكذب وبين انه من الخاسرين ثم انه تعالى لما فصل هذا التفصيل بين أنه  
عباد اقصى عليهم بالشقاء فلا يتغيرون وعباد اقصى لهم بالكرامة فلا يتغيرون فقال ان الذين  
حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر كلمات  
على الجمع وقرأ الباقون كلمة على لفظ الواحد وأقول انها كلمات بحسب الكثرة النوعية أو  
الصنغية وكلمة واحدة بحسب الوحدة الجنسية (المسئلة الثانية) المراد من هذه الكلمة  
حكم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في المبدع مجموع القدرة والداعية الذي هو موجب  
لحصول ذلك الاثرا اما الحكم والاخبار والعلم فظاهر وأما مجموع القدرة والداعية وظاهر  
أيضا لان القدرة لما كانت سالحة للطرفين لم يترجح أحد الجانبين على الآخر المرجح وذلك  
المرجح من الله تعالى قطعا للتسلسل وعند حصول هذا المجموع يجب الفعل وقد اخرج  
أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في اثبات القضاء الا لازم والقدر اواجب وهو حق  
وصدق ولا يحصى عنه ثم قال تعالى ولوجاهتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم والمراد  
انهم لا يؤمنون البتة ووجاهتهم الدلائل التي لاحد لها ولا صبر وذلك لان الدليل لا يهدى  
الاباطانة الله تعالى فاذا لم تحصل تلك الاطانة ضاعت تلك الدلائل (القصة الثالثة) من  
التصنيف المذكورة في هذه السورة قصة يونس عليه السلام \* قوله تعالى (فلولا كانت  
قرية آمنت فنقمها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة  
الدنيا وتمتعناهم الى حين) اعلم انه تعالى لما بين من قبل ان الذين حققت عليهم كلمة ربك  
لا يؤمنون ولوجاهتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم اتبعه بهذه الآية لانه لا يهدى الا على ان  
قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وذلك يدل على ان الكفار فريقان  
منهم من حكم عليه بخاتمة الكفر ومنهم من حكم عليه بخاتمة الايمان وكل ما قضى الله به  
فهو واقع وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في كلمة لولا في هذه الآية طريقان (الاول)  
ان معناه النبي روى الواحدى في البسيط قال قال أبو مالك صاحب ابن عباس كل

شأن الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة ﴿ ٦ ﴾ حا (أفأنت تكفره الناس) على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبغي عنه حرف  
الامتناع في الشرطية وانفاء السطف على تقدير ينسب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فأنت تكفرهم (حتى يكونوا  
مؤمنين) فيكون الإنكار منه جها

قوله وما بال بع من اجدهو بقية بيت لنا بضة وقفت فيها أصيلا لاسائلها \* هبت جوابا وما بال بع من احد \* وقوله الا اوارى اول البيت الذي بعده اى اواخى الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن تكون الغاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهمة متأخرة في الاعتبار \* ٤٢ \* وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأى

الجمهور وأيا ما كان فالشبهة على اطلاقها اذ الفائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الأجزاء خاصة في انكار الترتيب عليه أو ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايدان بأن الاكراه امر يمكن لكن الشأن في المكروه من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايدان باعتبار الاجزاء في المشيئة كما اشير اليه (وما كان لنفس) بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلى عليها وجودا وعندما أى ماصح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تعالى أنها تؤمن (ان تؤمن من الاباذن الله) أى بتسهيله ونحوه للالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله لان الاستثناء

ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فغناه هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها معناه فا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها وكذلك فلولا كان من القرون من قبلكم معناه فا كان من القرون فعلى هذا تقدير الآية فا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصب قوله الا قوم يونس على انه استثناء منقطع عن الاول لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد أهلها ووقع استثناء القوم من القرية فكان كقوله \* وما بال بع من احد \* الأوارى وقرى أيضا بالرفع على البدل (الطريق الثانى) أن لولا معناه هلا والمعنى هلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكتها ثابت عن الكفر وأخلصت في الايمان قبل معاينة العذاب الا قوم يونس وظاهر اللفظ يقتضى استثناء قوم يونس من القرى الا ان المعنى استثناء قوم يونس من أهل القرى وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا فاعلمنا بهم كذا وكذا (المسئلة الثانية) روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العقاب فلبسوا المسوح وعجوا أر بعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنابك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم أسود شديد السواد فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا الى الصحراء وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فخن بعضها الى بعض فعلت الاصوات وكثرت النضرات وأطهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من تو بهم أن يردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر بعد ان وضع عليه بناء أساسه فيرده الى مالكه وقيل خرجوا الى شيخ من بقة علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فأتى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى يا حى الموتى ويا حى لا اله الا أنت فقالوا فكشف الله العذاب عنهم وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (المسئلة الثالثة) ان قال قائل انه تعالى حكى عن فرعون أنه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل توبتهم فالفرق (والجواب) ان فرعون انما تاب بعد ان شاهد العذاب وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت لهم امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان شاهدوا فظهر الفرق \* قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) اعلم ان هذه السورة من أولها الى هذا الموضع فى بيان حكاية شبهات الكفار فى انكار النبوه مع الجواب عنها وكانت احدى شبهاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم بنزول العذاب على الكافرين وبعد اتباعه ان الله ينصرهم ويعلى شانهم ويقوى جانبهم ثم ان الكفار ما رأوا ذلك فجعلوا ذلك

مفرغ من اعم الاحوال أى ما كان لنفس أن تؤمن فى حال من أحوالها الاحال كونها ملايسة باذنه تعالى \* شبهة \* فلا بد من كون الايمان بما يؤل اليه حالها كما أن الموت ما كل لكل نفس بحيث لا يحصى لها منه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التى علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال



تو من فيها حتى يستثنى تلك الخصال من غيرها (ويجمل الرجس) أي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن الصبح المستند للمستكره لكونه علما ﴿ ٤٣ ﴾ في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب أو الخذلان المؤدى اليه

وقرى بسون العظمة  
 وقرى بالزاي أي يجعل  
 الكفر ويقيه (على الذين  
 لا يعقلون) لا يستعملون  
 عقولهم بالنظر في الحجج  
 والآيات أو لا يعقلون  
 دلالته وأحكامه لما على  
 قلوبهم من الطبع فلا  
 يحصل لهم الهداية التي  
 عبر عنها بالاذن فيبقون  
 مغرورين بقبائح الكفر  
 والضلال أو مقهورين  
 بالعذاب والنكال والجملة  
 معطوفة على مقدر ينسحب  
 عليه النظم الكريم كأنه  
 قيل فيأذن لهم بنسخ  
 اللطاف ويجعل الخ  
 (قل) مخاطبا لأهل مكة  
 بعثهم على التدبر في  
 ملكوت السموات والأرض  
 وما فيها من تعجيب  
 الآيات الأنفسية والآفاقية  
 ليتضح لك أنهم من  
 الذين لا يعقلون وحقت  
 عليهم الكلمة (انظروا)  
 أي تفكروا وقرى بنقل  
 حركة الهمزة إلى لام  
 قل (ماذا في السموات  
 والأرض) أي أي شيء  
 بديع وبها من عجائب  
 صنعها الدال على وحدته  
 وكال قدرته على أن ماذا

شبهة في الطعن في نبوته وكانوا يباليون في استجبال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم إن الله سبحانه وتعالى بين أن تأخير الموعود به لا يندح في صحة الوعد ثم ضرب لهذا أمثلة وهي واقعة توح وواقعة موسى عليهما السلام مع فرعون وامتدت هذه البيانات إلى هذه المقامات ثم في هذه الآية بين أن جد الرسول في دخولهم في الإيمان لا ينعف ومبالغته في تقرير الدلائل وفي الجواب عن الشبهات لا تفيد لأن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله تعالى ومشيئته وإرشاده وهديته فإذا لم يحصل هذا المعنى لم يحصل الإيمان وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) احتج أصحابنا على صحة قولهم بأن جميع الكائنات بمشيئة الله تعالى فقالوا كلمة لتوفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يقتضى أنه ما حصلت تلك المشيئة وما حصل إيمان أهل الأرض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد إيمان الكل أجاز الجبائي والقاضي وغيرهما بأن المراد مشيئة الاجاء أي لو شاء الله أن يجتهدهم إلى الإيمان لقد ر عليه ولصح ذلك منه ولكنه ما فعل ذلك لأن الإيمان الصادر من العبد على سبيل الاجاء لا ينعفه ولا يفيد فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الاجاء الله تعالى إياهم إلى ذلك أن يعرفهم اضطرابا أنهم لو حاولوا تركه حال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بد وأن يفعلوا ما الجثوا إليه كما أن من علم منا أنه إن حاول قتل ملك فانه يمنع منه قهر المليك تركه لذلك الفعل سببا لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا واعلم أن هذا الكلام ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) ان الكافر ان كان قادرا على الكفر فهل كان قادرا على الإيمان أو ما كان قادرا عليه فان قدر على الكفر ولم يقدر على الإيمان فحينئذ تكون القدرة على الكفر مستلزمة للكفر فاذا كان خالق تلك القدرة هو الله تعالى لزم أن يقال انه تعالى خلق فيه قدرة مستلزمة للكفر فوجب أن يقال انه أراد منه الكفر وأما ان كانت القدرة صالحة للضدين كما هو مذهب القوم فرجنا أحد الطرفين على الآخر ان لم يتوقف على المرجح فقد حصل الرجحان للمرجح وهذا باطل وان توقف على مرجح فذلك المرجح اما أن يكون من العباد ومن الله تعالى فان كان من العباد اتقسيم فيه ولزم التسلسل وهو محال وان كان من الله تعالى فحينئذ يكون مجموع تلك القدرة مع تلك الداعية موجبا لذلك الكفر فاذا كان خالق القدرة والداعية هو الله تعالى فحينئذ عاد الالزام (الثاني) ان قوله ولو شاء ربك لا يجوز حله على مشيئة الاجاء لان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يطلب أن يحصل لهم إيمان لا يفيدهم في الآخرة فبين تعالى انه لا قدرة للرسول على تحصيل هذا الإيمان ثم قال ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا فوجب ان يكون المراد من الإيمان المدكور في هذه الآية هو هذا الإيمان النافع حتى يكون الكلام متظما فاما حل العطف على مشيئة القهر والاجاء فانه لا يليق بهذا الموضوع (الثالث) المراد بهذا الاجاء اما أن يكون هو أن يظهر له آيات هائلة يعظم خوفه عند رؤيتها ثم يأتي بالإيمان عنها واما أن يكون المراد خلق الإيمان فيهم والاول باطل لانه تعالى

جعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين قلبت ما والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق

بالاستفهام (وما نفى) أي ما تنفع وقرئ بالتذكير (الآيات) وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والأرض  
(والنذر) جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي ﴿ ٤٤ ﴾ لا تنفع الآيات والرسول المنذرون أو الانذارات

بين فيما قبل هذه الآية ان انزال هذه الآيات لا يفيد وهو قوله ان الذين حقت عليهم  
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال أيضا ولو أنزلنا اليهم  
الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله وان كان  
المراد هو الثاني لم يكن هذا الجاء الى الايمان بل كان ذلك عبارة عن خلق الايمان فيهم ثم  
يقال لكنه ما خلق الايمان فيهم فدل على انه ما أراد حصول الايمان لهم وهذا عين مذهبتنا  
واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين والمعنى انه  
لا قدرة لك على التصرف في أحد ما المقصود منه بيان أن القدرة القاهرة والمشيتة النافذة  
ليست الا للحق سبحانه وتعالى (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا على صحة قولهم انه لا حكم  
للاشياء قبل ورود الشرع بقوله وما كان لنفس أن تؤمن من الا باذن الله قالوا وجه الاستدلال  
به أن الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحرج وصرح هذه الآية يدل على انه قبل  
حصول هذا المعنى ليس له أن يقدم على هذا الايمان ثم قالوا والذي يدل عليه من جهة  
العقل وجوه (الاول) أن معرفة الله تعالى والاشتغال بشكره والثناء عليه لا يدل العقل  
على حصول نفع فيه فوجب أن لا يجب ذلك بحسب العقل بيان الاول ان ذلك النفع اما أن  
يكون عائدا الى المشكور أو الى الشاكر والاول باطل لان في الشاهد المشكور ينفع بالشكر  
فيسره الشكر ويسوء الكفران فلا جرم كان الشكر حسنا والكفران قبيحا أما الله  
سبحانه فانه لا يسره الشكر ولا يسوء الكفران فلا ينفع بهذا الشكر أصلا (والثاني)  
أيضا باطل لان الشاكر يتعب في الحال بذلك الشكر ويبدل الخدمة مع أن المشكور  
لا ينفع به البتة ولا يمكن أن يقال ان ذلك الشكر علة الثواب لان الاستحقاق على الله  
تعالى محال فان الاستحقاق على الغير انما يعقل اذا كان ذلك الغير بحيث لو لم يعط لاوجب  
امتناعه من اعطاء ذلك الحق حصول نقصان في حقه ولما كان الحق سبحانه منزها عن  
النقصان والزيادة لم يعقل ذلك في حقه فثبت ان الاشتغال بالايمان وبالشكر لا يفيد نفعا  
بحسب العقل المحض وما كان كذلك امتنع أن يكون العقل موجبا له فثبت بهذا البرهان  
القاطع صحة قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله قال القاضي المراد أن  
الايمان لا يصدر عنه الا بعلم الله أو بتكليفه أو باقداره عليه وجوابنا ان جل الاذن على  
ما ذكرتم ترك للظاهر وذلك لا يجوز لاسيما وقد بينا أن الدليل القاطع العقلي يقوى قولنا  
(المسئلة الثالثة) قرأ أبو بكر عن عاصم وجعل بالنون وقرأ الباقر بالباء كناية عن اسم الله  
تعالى (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على صحة قولهم بان خالق الكفر والايمان هو الله  
تعالى بقوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وتقريره أن الرجس قد يراد به  
العمل القبيح قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا  
والمراد من الرجس ههنا العمل القبيح سواء كان كفرا أو معصية وبالطهيرات نقل العبد من  
رجس الكفر والمعصية الى طهارة الايمان والطاعة فلما ذكر الله تعالى فيما قبل هذه الآية

(عن قوم لا يؤمنون)  
في علم الله تعالى وحكمه  
فانافية والجملة اما حالية  
أو اعتراضية ويجوز كون  
ما استفهامية انكارية  
في موضع النصب على  
المصدرية أي اغناء  
تغني الخ فالجملة حيثند  
اعتراضية (فهل ينظرون)  
أي مشركو مكة وأضرابهم  
(الامثل ايام الذين خلوا)  
أي الايام مثل ايام الذين  
خلوا (من قبلهم) من  
مشركي الامم الماضية أي  
مثل وقائهم ونزول باس  
الله بهم اذ لا يستحقون غيره  
من قولهم ايام العرب لوقا  
نعمها (قل) تهديد لهم  
(فانظروا) ما هو عاقبتكم  
(اني معكم من المنتظرين)  
لذلك (ثم نبجي رسلنا)  
بالتشديد وقرئ بالتخفيف  
وهو عطف على مقدر يدل  
عليه قوله مثل ايام الذين  
خلوا وما بينهما اعتراض  
يحيى به مسارعة الى  
التهديد ومبالغة في تشديد  
الوعيد كأنه قيل اهلكنا  
الامم ثم نبجي رسلنا المرسله  
اليهم (والذين آمنوا)  
وصيغة الاستقبال لحكاية  
الاحوال الماضية تمهويل

أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى قبحيناه ومن ﴿ ان ﴾  
معنى في القلق الخ ونظاره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وجل (كذلك) أي مثل ذلك الانجاء (حقا علينا)

اصراض بين العامل والمعمول أي حتى ذلك حقا وقبل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي أنجاه مثل ذلك حقا والكافي متعلقة بقوله تعالى (نبي المؤمنين) أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بلوؤمنين اما الجنس المتناول للرسول ﴿ ٤٥ ﴾ عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط

وانما لم يذكر أنجاه الرسل  
أيذا نابعدم الحاجة اليه  
وأيا ما كان فقيه تبيينه  
على أن مدار أجهاته هو  
الايان (قل) لجمهور  
المشركين (بأيها الناس)  
أوثر الخطاب باسم  
الجنس مصدر الجحرف  
التبيه تعميما للتبليغ  
واظهار الكمال العناية  
بشأن ما بلغ اليهم  
(ان كنتم في شك من  
دينى) الذى اتعبد الله  
عز وجل به وأدعوكم  
اليه ولم تعلموا ما هو  
وما صفته (فلا أعبد  
الذين تعبدون من دون  
الله) في وقت من الاوقات  
(ولكن اعبد الله الذى  
يتوفاكم) ثم يفعل بكم  
ما يفعل من فنون العذاب  
اى فاعلموا أنه تخصيص  
العبادة به ورفض عبادة  
ما سواه من الاصنام  
وغيرها مما تعبدونه  
جهلا وتقديم ترك  
عبادة الغير على عبادته  
تعالى لتقدم الخلية على  
التولية كما في كلمة التوحيد  
ولا يذان بالخالفه  
من أول الامر أو ان كنتم  
في شك من محمده دينى

أن الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى وتخليقه ذكر بعده أن الرجس لا يحصل الا بتخليقه وتكوينه والرجس الذى يقابل الايمان ليس الا الكفر فثبت دلالة هذه الآية على ان الكفر والايمان من الله تعالى أجاب أبو على الفارسي النحوي عنه فقال الرجس يحتمل وجهين آخرين (أحدهما) أن يكون المراد منه العذاب فقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون أى يلحق العذاب بهم كما قال ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات (والثاني) أنه تعالى يحكم عليهم بانهم رجس كما قال انما المشركون نجس والمعنى ان الطهارة الثابتة للمسلمين لم تحصل لهم والجواب اننا قد بينا بالدليل العقلي ان الجهل لا يمكن أن يكون فعلا لا مبدء لانه لا يريد ولا يقصد الى تكوينه وانما يريد ضده وانما قصد الى تحصيل ضده فلو كان به لما حصل الا ما قصده واوردنا الاسئلة على هذه الجملة وأجبنا عنها فيما سلف من هذا الكتاب وأما محل الرجس على العذاب فهو باطل لان الرجس عبارة عن الفاسد المستقدر المستكره فحمل هذا اللفظ على جهلهم وكفرهم أول من حمله على عذاب الله مع كونه حقا صا قاصوبا وأما محل لفظ الرجس على حكم الله برجاستهم فهو في غاية البعد لان حكم الله تعالى بذلك صفة فكيف يجوز أن يقال ان صفة الله رجس فثبت ان الجملة التي ذكرناها ظاهرة بقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تفى الآيات والفرع عن قوم لا يؤمنون) فى الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قرأ اصم وحرمة قل انظروا بكسرا اللام لالتقاء الساكنين والاصل فيه الكسر والباقون بضمها نقلوا حركة الهمة الى اللام (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لمساين فى الآيات السالفة ان الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر بالنظر والاستدلال فى الدلائل حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض واعلم ان هذا يدل على مطلوبين (الاول) انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالتدبر فى الدلائل كما قال عليه الصلاة والسلام تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق (والثاني) وهو ان الدلائل اما أن تكون من عالم السموات أو من عالم الارض أما الدلائل السماوية فهي حركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد وأما الدلائل الارضية فهي النظر فى أحوال العناصر العلوية وفى أحوال المعادن وأحوال النبات وأحوال الانسان خاصة ثم ينقسم كل واحد من هذه الاجناس الى أنواع لانهاية لها ولوان الانسان أخذ يفكر فى كيفية حكمة الله سبحانه فى تخليق جناح بعوضة لانه قطع عقله قبل أن يصل الى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكمة والفوائد ولا شك ان الله سبحانه أكثر من ذكر هذه الدلائل فى القرآن المجيد فلماذا السبب ذكر قوله قل انظروا ماذا فى السموات والارض ولم يذكر التفصيل فكأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية حتى ان العاقل يتنبه لاقسامها وحينئذ يشرع فى تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية البشرية ثم

وسداده فاعلموا أن خلاصته اخلاص العبادة لمن يبيده الابدان والاعدام دون ما هو بمنزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم وأجبلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وفى تخصيص التوفى بالذكر متعابهم

مالا يتفق من التهذيب والتصير فحاشهم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بقدم الصحة للإيدان بأن أقصى ما يمكن حروضة للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعندهما فما لا سبيل إليه أو ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أنني لا أتركه أبدا ( وأمرت أن أكون من المؤمنين ) ﴿ ٤٦ ﴾ بادل عليه النقل ونطق به الوحي وهو

تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وان يكون خاصا كما في قوله بفعل الامر ﴿ امرتك الخيرا ففعل ما أمرت به ﴾ ( وأن أقم وجهك للدين ) عطف على أن أكون حلا أن صلة أن تحكية بصيغة الامر ولا ضمير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف الا بالجل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبدااد فيه بأداء الأمور به والانتهاض عن النهي عنه أو باستقبال القبلة في الصلاة وعدم

انه تعالى لما أمر بهذا التفكير والتأمل بين بمد ذلك ان هذا التفكير والتدبر في هذه الآيات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى عليه في الازل بالشقاء والضلال فقال وماتني الآيات والتذرع عن قوم لا يؤمنون وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال التحويون ما في هذا الموضع تحتل وجهين ( الاول ) أن تكون نفيًا بمعنى ان هذه الآيات والتذرع لا تفيد القائدة في حق من حكم الله عليه بانه لا يؤمن كقولك ما يضي عنك المال اذا لم تنفق ( والثاني ) أن تكون استفهاما كقولك أي شيء يعني عنهم وهو استفهام بمعنى الانكار ( المسئلة الثانية ) الآيات هي الدلائل والتذرع الرسل المنذرون أو الانذارات ( المسئلة الثالثة ) قرئ وما يعني بالياء من تحت ﴿ قوله تعالى ( فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم تجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا نجبي المؤمنين ) واعلم أن المعنى هل ينتظرون الأياما مثل أيام الامم الماضية والمراد ان الانبياء المتقدمين عليهم السلام كانوا يتوعدون كفار زمانهم بجي أيام مشتملة على أنواع العذاب وهم كانوا يكذبون بها ويستجلبونها على سبيل السخرية وكذلك الكفار الذين كانوا في زمان الرسول عليه الصلاة والسلام هكذا كانوا يفعلون ثم انه تعالى أمره بان يقول لهم فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم انه تعالى قال ثم تجي رسلنا والذين آمنوا وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ الكسائي في رواية نصيرتجي خفيفة وقرأ الباقر مشددة وهما لغتان وكذلك في قوله نجبي المؤمنين ( المسئلة الثانية ) ثم حرف عطف وتقدير الكلام كانت عادتنا فيما مضى ان نهلكهم سريرا ثم تجي رسلنا ( المسئلة الثالثة ) لما أمر الرسول في الآية الاولى أن يوافق الكفار في انتظار العذاب ذكر التفصيل فقال العذاب لا ينزل الا على الكفار وأما الرسول وأتباعه فهم أهل النجاة ثم قال كذلك حقا علينا نجبي المؤمنين وفيه مسثلتان ( المسئلة الاولى ) قال صاحب الكشاف أي مثل ذلك الانبياء نصير المؤمنين ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا ( المسئلة الثانية ) قال القاضي قوله حقا علينا المراد به الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب الى الثواب واجب ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الافعال السابقة واذا ثبت وجوبه لهدا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم والجواب أن نقول انه حق بسبب الوعد والحكم ولانقول انه حق بسبب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على حاله شيئا ﴿ قوله تعالى ( قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الطالبين ) واعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله بإظهار دينه وبإظهار المباشرة عن المشركين لكي تزول السكوك والشبهات في أمره وتخرج عبادة الله من طريقة السر الى الاظهار فقال

الائتفات الى اليمين والشمال ( حنيفا ) حال من الدين أو الوجه أي ما تلا عن الاديان الباطلة ﴿ قل ﴾ ( ولا تكون من المشركين ) عطف على أقم داخل تحت الامر اي لا تكون منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز و علا

(ولادع) عطفتهم على قولهم تعالى قل يا أيها الناس خير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين ﴿ ٤٧ ﴾ منسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل

قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني واعلم ان ظاهر هذه الآية يدل على أن هؤلاء الكفار ما كانوا يعرفون دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر انهم كانوا يقولون فيه قد صبا وهو صابي فأمر الله تعالى أن يبين لهم أنه على دين ابراهيم حينما سما قولهم تعالى ان ابراهيم كان أمة فانا لله حينما وقوله وجهي للذي فطر السموات والارض حينما وقوله لا أعبد ما تعبدون والمعنى انكم ان كنتم لا تعرفون ديني فانا أبينه لكم على سبيل التفصيل ثم ذكر فيه أموراً ( فالقيد الاول) قوله فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله وانما وجب تقديم هذا النفي لما ذكرنا أن ازالة النقوش الفاسدة عن اللوح لا بد وأن تكون مقدمة على اثبات النقوش الصحيحة في ذلك اللوح وانما وجب هذا النفي لان العبادة غاية التعظيم وهي لا تليق الا بمن حصلت له غاية الجلال والاکرام وأما الاوثان فانها أحجار والانسان أسرف حالها وكيف يليق بالاشرف أن يشتغل بعبادة الاخص ( القيد الثاني) قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والمقصود أنه لما بين انه يجب ترك عبادة غير الله بين أنه يجب الاشتغال بعبادة الله فان قيل ما الحكمة في ذكر المعبود الحق في هذا المقام بهذه الصفة وهي قوله الذي يتوفاكم قلنا فيه وجوه (الاول) يحتمل أن يكون المراد اني أعبد الله الذي خلقكم أو لا ثم يتوفاكم ثانياً ثم يعيدكم ثالثاً وهذه المراتب الثلاثة قد قررناها في القرآن مرارا وأطواراً فهنا اكتفى بذكر التوفى منها لكونه منبهاً على البواقي (الثاني) ان الموت أشد الاشياء مهابة فخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع (الثالث) انهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم نهي رسلاً والذين آمنوا فهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقي المؤمنين ويقوى دواتهم فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لاجرم قال ههنا ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وهو اشارة الى ما قرره وبينه في تلك الآية كانه يقول أعبد ذلك الذي وعدني باهلاكهم وابقائي ( والقيد الثالث ) من الامور المذكورة في هذه الآية قوله وأمرت أن أكون من المؤمنين واعلم انه لما ذكر العبادة وهي من جنس أعمال الجوارح انتقل منها الى الايمان والمعرفة وهذا يدل على أنه ما لم يصر الظاهر من بناها لأعمال الصالحة فانه لا يحصل في القلب نور الايمان والمعرفة (والقيد الرابع) قوله وأن أقم وجهك للدين حينما وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) الواو في قوله وأن أقم وجهك حرف عطف وفي المصطوف عليه وجهان (الاول) ان قوله وأمرت أن أكون قائم مقام قوله وقيل لي كن من المؤمنين ثم عطف عليه وأن أقم وجهك (الثاني) أن قوله وأن أقم وجهك قائم مقام قوله وأمرت باقامة الوجه فصار التقدير وأمرت بأن أكون من المؤمنين وباقامة الوجه للدين حينما ( المسئلة الثانية ) اقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين لان من يريد أن ينظر الى شيء نظراً بالاستقضاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث

تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجل فيه اظهار الكمال العناية بالامر وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع (من دون الله) استقلالاً ولا اشتراكاً (ما لا ينفك) اذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب (ولا يضررك) اذا تركته بسبب المحبوب دفعاً ورفعاً أو بياقاع المكروه وتقديم النفع على الضرر غنى عن بيان السبب (فان فعلت) أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويهاً لئلا يضر عليه السلام وتذنبها على رفعة مكانه من أن ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية ( فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهى عنه (وان يمسك الله بضر) تقرير لما ورد في حيز الصلوة من سلب النفع من الاصنام وتصوير اختصاصه به سبحانه (فلا كاشف له) عنك كأننا من كان وما كان

(الاهو) وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه أدنى مراتب النفع فاذا اتقى اتقى النفع بالكلية (وان يردك بخير) تحقيق لسلب الضرر الوارد





(سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل أنه لعمدته والاول هو الاظهر كأشير اليه في سورة يونس او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكراً وافرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطلاق الاكثر أو لا محله من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في أخواته وقوله تعالى ﴿ ٥٠ ﴾ (كتاب) خبره على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف

على الوجوه الباقية (أحكمت آياته) نظمت نظماً متقناً لا يعتربه خلل في الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً أو أيدت بالجمع القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأرأى تفسيره بالمنع من الفساد أخذاً من قوله (أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمتعها من الجماع ففيد ايها ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على اوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموضع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى (ثم فصلت) أي جعلت فصولاً من الاحكام

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الكتاب) أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله الراسم للسورة وهو مبتدأ وقوله كتاب خبره وقوله أحكمت آياته ثم فصلت صفة للكتاب قال الزجاج لا يجوز أن يقال الر مبتدأ وقوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت خبر لان الر ليس هو الموصوف بهذه الصفة وحده وهذا الاعتراض فاسد لانه ليس من شرط كون الشيء مبتدأ أن يكون خبره محصوراً فيه ولا أدري كيف وقع الزجاج هذا السؤال ثم ان الزجاج اختار قولاً آخر وهو أن يكون التقدير هذا كتاب أحكمت آياته وعندى أن هذا القول ضعيف لوجهين (الاول) أن على هذا التقدير يقع قوله الر كلاماً باملا لا فائدة فيه (والثاني) انك اذا قلت هذا كتاب فقولك هذا يكون إشارة الى أقرب المذكورات وذلك هو قوله الر فيصير حينئذ الخبراً عنه بانه كتاب أحكمت آياته فيلزمه على هذا القول ما لم يرض به في القول الاول فثبت ان الصواب ما ذكرناه (المسئلة الثانية) في قوله أحكمت آياته وجوه (الاول) أحكمت آياته نظمت نظماً صيغاً محكملاً لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف (الثاني) ان الاحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كأنسخت الكتب والشرائع بها واعلم ان على هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكملاً لانه حصل فيه آيات منسوخة الا انه لما كان الغالب كذلك صح اطلاق هذا الوصف عليه اجراء للحكم الثابت في الغالب مجرى الحكم الثابت في الكل (الثالث) قال صاحب الكشاف أحكمت يجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكماً أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم (الرابع) جعلت آياته محكمة في أمور (أحدها) ان معاني هذا الكتاب هي التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وهذه المعاني لا تقبل النسخ فهي في غاية الاحكام (وثانيها) ان

والدلائل والمواعظ والقصاص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد ﴿ الآيات ﴾ المجازي والتفسير يجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على أحكامها بكلمة التزاخي وأما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زماناً حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها أحكام أو فصلت بعد ان لم تكن كذلك إذا اعلان من قبيل قولهم سبحان من صغرا لبعض



وكبر القيل الا انها حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع أحكاما مخصوصة وآثار معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب أن يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان جل جعلها آية آية على معنى تفر يق بعضها عن بعض يكون من هذا القيل الا أنه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار أو فرقت في التنزيل منجزة بحسب المصالح فان أريد تنزيلها ﴿ ٥١ ﴾ المنجم بالفعل فالترخي زماني وان أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه

الحكمة والمصلحة فهو رتبتي لان ذلك وصف لازم لها تحقيق بأن يرتب على وصف احكامها وقرى أحكامت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل (من لدن حكيم خبير) صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدائين على علورتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة أو خبر بعد خبر للبتد المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفي بناءهما للمفعول ثم اراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلالاتها ودقائقها منكرها بالتكثير التفضيحي ور بطها به لاعلى النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونها على اكل ما يكون مالا يكتنه كنهه (الاتعبدوا الا الله) مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعطل جريا على سنن القياس المطرد

الآيات الواردة فيه غير متناقضة والتناقض ضد الاحكام فاذا خلت آياته عن التناقض فقد حصل الاحكام ( وثالثهما ) ان الفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة الى حيث لا تقبل المعارضة وهذا ايضا مشعر بالقوة والاحكام (ورابعها) ان العلوم الدينية اما نظرية او عملية اما النظرية فهي معرفة الاله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب والرائل واليوم الآخر مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها واما العملية فهي أما أن تكون تجارة عن تهذيب الاعمال الظاهرة وهو الفقه أو عن تهذيب الاحوال الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس ولا نجد كتابا في العالم يساوي هذا الكتاب في هذه المطالب فثبت أن هذا الكتاب مشتمل على أشرف المطالب الروحية وأعلى المباحث الالهية فكان كتابا محكما غير قابل للنقض والهدم وتام الكلام في تفسير المحكم ذكرناه في تفسير قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (المسئلة الثالثة) في قوله فصلت وجوه (أحدها) ان هذا الكتاب فصل كما تفصل الدلائل بالفوائد الروحية وهي دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص ( والثاني ) أنها جعلت فصولا سورة سورة وآية آية ( الثالث ) فصلت بمعنى انها فرقت في التنزيل وما نزلت جلة واحدة ونظيره قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات والمعنى مجي هذه الآيات متفرقة متعاقبة ( الرابع ) فصل ما يحتاج اليه العباد أي جعلت مبينة لمخضة ( الخامس ) جعلت فصولا حلالا وحراما وأمثالا وترغيبا وترهيبا ومواعظا وأمرأ ونهايا كل معنى فيها فصل قد أفرد به غير مختلط بغيره حتى تستكمل فوأمثالا واحد منها ويحصل الوقوف على كل باب واحد منها على الوجه الاكل ( المسئلة الرابعة ) معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للترخي في الوقت لكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وكما تقول فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل ( المسئلة الخامسة ) قال صاحب الكشف قرى أحكام آياته ثم فصلت أي أحكامها أنام فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل ( المسئلة السادسة ) اخرج الجبائي بهذه الآية على ان القرآن محدث مخلوق من ثلاثة أوجه ( الاول ) قال المحكم هو الذي أتقنه فاعله ولولا أن الله تعالى يحدث هذا القرآن والالم يصح ذلك لان الاحكام لا يكون الا في الافعال ولا يجوز أن يقال كان موجودا غير محكم ثم جعله الله محكما لان هذا يقتضي في بعضه الذي جعله محكما أن يكون محدثا ولم يقل أحديان القرآن بعضه قديم وبعضه محدث ( الثاني ) ان قوله ثم فصلت يدل على أنه حصل فيه انفصال وافتراق ويدل على ان ذلك الانفصال والافتراق انما حصل بجعل جاعل وتكوين مكون وذلك أيضا يدل على المطلوب ( الثالث ) قوله من لدن حكيم خبير والمراد من عنده والقديم لا يجوز أن يقال انه حصل من عند قديم آخر لانها لو كانا قديمين لم يكن القول بان أحدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس أجاب أصحابنا بان هذه

في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكام آياته ثم فصلت ثلاثا تعبدوا الا الله أي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يفرغ عليهم من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أي قيل لاتعبدوا الا الله ( انني لكم منه ) من جهة الله تعالى ( نذير ) انذركم عن ذنابه ان لم تتركوا

عليه السلام عبادته غير الله تعالى (بشير) أفسر كما بثوابه ان اتمتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شون الكتاب  
 ربتدا مع عصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر من التوحيد وترك الاشراك  
 في المقام نحو فرينه أعنى الاستغفار والتوبة ذكر أن من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ أحكامه  
 على نعت العبد بوحدات من الوعد والوعيد الايذان بان التوحيد في أقصى ﴿ ٥٢ ﴾ مراتب الاهمية حتى أفرد بالذ كر وايد

على الوجه بلطاب غيب الكتاب  
 آياته باوحي بانه كما لا يتحقق في  
 نفسه الامتار الحكم برسائه  
 عليه السلام كذلك في الذكر  
 لا يتفك أحدهما عن الآخر  
 وقد روي في سوق الخطاب  
 بتقديم الانذار على التبشير ما  
 روي في الكتاب من تقديم  
 النبي على الائمة والتولية  
 هي التولية لتجاوب أطراف  
 الكلام ويجوز أن يكون قوله  
 تعالى أتعبدوا الا الله كلاما  
 منقطعا عما قبله واردة على  
 لسانه عليه السلام اغراء لهم  
 على اختصاصه تعالى بالعبادة  
 كما عليه السلام قال ترك  
 عبادته غير الله أي الزموا على  
 معنى اتركوا عبادته غير الله تركا  
 مستمرا اني لكم من جهة الله  
 تعالى نذير وبشير أي نذير  
 أنذركم من عقابه على تقدير  
 استمراركم على الكفر وبشير  
 أفسر كما بثوابه على تقدير  
 ترككم له وتوحيدكم وما سبق  
 اليهم حديث التوحيد وأكد  
 ذلك بخطاب الرسول صلى الله  
 عليه وسلم على وجه الانذار  
 والتبشير شرع في ذكر ما هو  
 من ثماته على وجه يتضمن  
 تفصيل ما اجل في وصف

النعوت طائفة الى هذه الحروف والاصوات ونحن معترفون بانها محدثة مخلوقة وانما الذي  
 ندعي قدمه أمر آخروى هذه الحروف والاصوات (المسئلة السابعة) قال صاحب  
 الكشاف قوله من لدن حكيم خبير يحتمل وجوها (الاول) أنا ذكرنا أن قوله كتاب خبر  
 وأحكمت صفة لهذا الخبر وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية والتقدير الكتاب من لدن  
 حكيم خبير (والثاني) أن يكون خبرا بعد خبر والتقدير من لدن حكيم خبير (والثالث)  
 أن يكون ذلك صفة لقوله أحكمت وفصلت أي أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى  
 هذا التقدير فقد حصل بين أول هذه الآية وبين آخرها نكتة لطيفة كأنه يقول  
 أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير عالم بكيفيات الامور \* قوله تعالى  
 أأنعبدوا الا الله اني لكم من نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يتعبدكم منا  
 حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير  
 الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير اعلم أن في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن  
 في قوله أتعبدوا الا الله وجوها (الاول) أن يكون مفعولا له والتقدير كتاب أحكمت  
 آياته ثم فصلت لاجل أتعبدوا الا الله وأقول هذا التأويل يدل على أنه لا مقصود من  
 هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب  
 فقد ضاع وخسر (الثاني) أن يكون أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول  
 والجل على هذا أولى لان قوله وأن استغفروا معطوف على قوله أتعبدوا فيجب ان يكون  
 معناه أي لا تعبدوا ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى لا تعبدوا يمنع  
 عطف الامر عليه (والثالث) أن يكون التقدير الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من  
 لدن حكيم خبير ليأمر الناس أن لا يعبدوا الا الله ويقول لهم اني لكم من نذير وبشير  
 والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية مشتقة على التكليف من وجوه (الاول)  
 انه تعالى أمر بان لا يعبدوا الا الله واذا قلنا الاستثناء من النبي اثبات كان معنى هذا  
 الكلام النهي عن عبادة غير الله تعالى والامر بعبادة الله تعالى وذلك هو الحق لا نابتنا  
 أن ما سأل الله فهو محدث مخلوق مربوب وانما حصل بتكوين الله وابدائه والعبادة  
 عبارة عن اظهار الخضوع والخسوع ونهاية التواضع والتذلل وهذا لا يليق الا بالخالق  
 المدبر الرحيم المحسن فثبت أن عبادة غير الله منكرا والاعراض عن عبادة الله منكر  
 واعلم أن عبادة الله مشروطة بتحصيل معرفة الله تعالى قبل العبادة لان من لا يعرف  
 معبوده لا ينتفع بعبادته فكان الامر بعبادة الله أمرا بتحصيل المعرفة أولا ونظيره قوله  
 تعالى في أول سورة البقرة يا أيها الناس اعبدوا ربكم ثم أتبعه بالدلائل الدالة على وجود  
 الصانع وهو قوله الذي خلقكم والذين من قبلكم ما كنا حسن ذلك لان الامر بالعبادة  
 يتضمن الامر بتحصيل المعرفة فلا جرم ذكر ما يدل على تحصيل المعرفة ثم قال اني لكم منه  
 نذير وبشير وفيه ما حث (الاول) أن الضمير في قوله منه عائد الى الحكيم الخبير والمعنى

البشير والنذير فقيل (وأن استغفروا ربكم) وهو معطوف على أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ﴿ اني ﴾  
 أن مصدرية تجوز كون صلتها امر أو نهي كما في قوله تعالى وأن أم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة  
 على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي  
 لا توصف بها الا اذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي

فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسبا ساغ وقوع الفعل  
فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلاة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ( ثم توبوا اليه ) عطف  
على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا  
منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم رجعوا اليه ﴿ ٥٣ ﴾ بالطاعة أو استمروا على ما أتم عليه من التوحيد والاستغفار

أو تستغفروا من الشرك  
وتوبوا من المعاصي وعلى  
الثاني أن مفسرة أي قيل  
في أثناء تفصيل الآيات  
لا تعبدوا الا الله واستغفروا  
ثم توبوا اليه والتعرض لوصف  
الربوبية تلقين للمخاطبين  
وارشادهم الى طريق الابتغال  
في السؤال وترشيع لما يقبه  
من التمتع وابتداء لفضل بقوله  
تعالى ( يمتعكم متاعا حسنا )  
أي تمتعوا وانتصبا على أنه  
مصدر حذف منه الزوائد  
بقوله تعالى انبئكم من الارض  
نباتا وعلى أنه مفعول به وهو  
اسم لما تمتع به من منافع الدنيا  
من الاموال والبنين وغير  
ذلك والمعنى يمتعكم بعبادتهم  
مرضيا لا يفوتكم فيه شيء  
بما تشتهون ولا ينقصه شيء  
من المكدرات ( الى أجل  
مسمى ) مقدر عند الله عز وجل  
وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك  
غاية لا يطمح وراءها طامح  
جري التمتع اليها مجرى  
التأيسر عادة أو لا يهلككم  
بعذاب الاستئصال ( ويؤت  
كل ذي فضل ) في الطاعة  
والعمل ( فضله ) جزاء فضله  
اما في الدنيا أو في الآخرة

انني لكم نذير وبشير من جهته ( البحث الثاني ) ان قوله لا تعبدوا الا الله مشتمل على المنع  
عن عبادة غير الله وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى فهو عليه الصلاة والسلام نذير على  
الاول بالخاق العذاب الشديد لمن لم يأت بها وبشير على الثاني بالخاق الثواب العظيم لمن  
أى بها وأعلم أنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الا للهدى من الامور المذكورة في هذه الآية  
ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي ( المرتبة الثانية ) من الامور المذكورة في هذه الآية  
قوله وأن استغفروا بكم ( والمرتبة الثالثة ) قوله ثم توبوا اليه واختلفوا في بين الفرق  
بين هاتين المرتبتين على وجوه ( الاول ) أن معنى قوله وأن استغفروا اطلبوا من ربكم  
المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي  
الى التوبة والمعرض عليها هو الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة وهذا يدل على  
انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا بالطهارات التوبة والامر في الحقيقة كذلك لان  
الذنب معرض عن طريق الحق والمعرض بالمتعدي في التباعد ما لم يرجع عن ذلك  
الاعراض لا يمكنه التوجه الى المقصود بالذات فالله صود بالذات هو التوجه الى المطلوب  
الا ان ذلك لا يمكن الا بالاعراض عما يضاده فثبت أن الاستغفار مطلوب بالذات وأن  
التوبة مطلوبة لكونها من مميزات الاستغفار وما كان آخرها في الحصول كان أولا في  
الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ( الوجه الثاني ) في فائدة هذا  
الترتيب أن المراد استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا اليه في المستقبل ( الثالث ) وأن  
استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا من الاعمال الباطلة ( الرابع ) الاستغفار طلب  
من الله لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الانسان في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار  
ليدل على أن المرء يجب أن لا يطلب الشيء الا من مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم  
بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان ويتوسل به الى دفع المكروه  
والاستعانة بفضل الله تعالى مقدمة على الاستعانة بسعي النفس واعلم انه تعالى لما ذكر  
هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يترتب عليها من الآثار النافعة والنتائج المطلوبة  
ومن المعلوم أن المطالب محصورة في نوعين لانه اما أن يكون حصولها في الدنيا أو في  
الآخرة أما المنافع الدنيوية فهي المراد من قوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى وهذا  
يدل على ان المقبل على عبادة الله والمستغل بها يبقى في الدنيا منتظما الحال مرفه البال  
وفي الآية سؤالات ( الاول ) أليس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن  
وجنة الكافر وقال أيضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالمثل وقال تعالى  
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقفا من فضة فهذه  
النصوص دالة على ان نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلىة ومتنضي  
هذه الآية أن نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما الجواب  
من وجوه ( الاول ) المراد انه تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستئصال كما استاصل أهل القرى

وهذه تكملها لما أجل من التمتع الى أجل مسمى وتبين للمعاصي بعسرفهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت  
الحال بين العاملين قرب انسانه فضل طاعة وعمل لا يتبع في الدنيا أكثر مما مع آخر دونه في الفضل ور بما يكون الفضول  
أكثر تمتعا فليل ويعط كل فافضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما امر له  
وهذا ضرب تفصيل لما أجل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل ( وان تولوا )

أى تتولوا عمالي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وإنما أخر عن البشارة جربا على سنن تقدم الرحمة على الغضب أولان العذاب قد علق بالتولى عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقا ذكره وقرىء تولوا من ولى (فانى أخاف عليكم) بموجب الشفقة والرأفة أو توقع (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى أليظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم أمالكونه كذلك في نفسه ﴿٥٤﴾ أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل

في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بجمعها أكلوا فيه الجيف وأياما كان في إضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له (الى الله مرجعكم) رجوعكم بالموت ثم البعث الجراء في مثل ذلك اليوم لالى غيره (وهو على كل نبي قدير) فيندرج في تلك الكليسة قدرته على اماتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما أتى اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسبق اليهم ما يدعي أن ساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذى تجرله صم الجبال هل قابلوه بالاقبال أم تبادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقبل مصدر ايكامة التنبية اشعارا بأن ما يعقبها من هاتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه (ألا انهم ينون صدورهم) يزورون عن الحق ويحرفون عنه أى يستترون على ما كانوا عليه من التولى والاعراض

الذين كفروا (الثانى) انه تعالى يوصل اليهم الرزق كيف كان واليه الاشارة بقوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك (الثالث) وهو الاقوى عندى أن يقال ان المشتغل بعبادة الله وبمحبته الله مشتغل بحب شىء يمتنع تغيره وزواله وفناؤه فكل من كان امعانه في ذلك الطريق أكثر وتوفقه فيه أتم كان انقطاعه عن الخلق أتم وأكل وكما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور أتم لأنه أمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوبه فامان كان مشتغلا بحب غير الله كان أبدا في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله فكان عينه متغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال الله تعالى في صفة المشتغلين بخدمته فلحبيبه حياة طيبة (السؤال الثانى) هل يدل قوله الى أجل مسمى على ان للعبد أجلا من أنه يقع في ذلك التقديم والتأخير والجواب لاومعنى الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان أجله في الوقت الفلانى ولو أعرض عنها لكان أجله في وقت آخر ولكنه تعالى علم بانها لو اشتغل بالعبادة أم لا فان أجله ليس الا في ذلك الوقت المعين فثبت أن لكل انسان أجلا واحدا فقط (السؤال الثالث) لمسمى منافع الدنيا بالمتاع الجواب لاجل التنبيه على حقاقتها وقتها ونبه على كونها متفضية بقوله تعالى الى أجل مسمى فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيصة متفضية ثم لما بين تعالى ذلك قال ويؤت كل ذى فضل فضله والمراد منه السعادات الاخرى ووفيهما الطائف وفوائد الفائدة الاولى) ان قوله ويؤت كل ذى فضل فضله معناه ويؤت كل ذى فضل موجب فضله ومعلوله والامر كذلك وذلك لان الانسان اذا كان في نهاية البعد عن الاشتغال بغير الله وكان في غاية الرغبة في تحصيل أسباب معرفة الله تعالى فحينئذ يصير قلبه فصالت نفس الملكوت ومرآة يعجلى بها قدس اللاهوت الا ان العلائق الجسدانية الطمائية تذكر تلك الانوار الروحانية فاذا زالت هذه العلائق أشرقت تلك الانوار وتلاوات تلك الاضواء وتوالت موجبات السعادات فهذا هو المراد من قوله ويؤت كل ذى فضل فضله (الفائدة الثانية) ان هذا تنبيه على أن مراتب السعادات في الآخرة مختلفة وذلك لانها مقدرة بقدار الدرجات الحاصلة في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية فكذلك مراتب السعادات الاخرى بغير متناهية فلهذا السبب قال ويؤت كل ذى فضل فضله (الفائدة الثالثة) انه تعالى قال في منافع الدنيا بمتعمكم متاما حسنا وقال في سعادات الآخرة ويؤت كل ذى فضل فضله وذلك يدل على أن جميع خيرات الدنيا والآخرة ليس الامنه وليس الا بيجاده وتكويته واعطائه وجوده \* وكان الشيخ الامام الوالد رحمه الله تعالى يقول لولا الاسباب لما رتاب مراتب فأكثر الناس عقولهم ضعيفة واشتغال عقولهم بهذه الوسائط الفانية يعميها عن مشاهدة أن الكل مند فأما الذين توغلوا في المعارف الالهية وخاضوا في بحار أوار الحقيقة علموا أن ما سواها ممكن لذاته موجود بايجاده فانقطع نظرهم عما سواها وعلموا أنه

لان من أعرض عن شىء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشمه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا ﴿ سبحانه ﴾ نحو العلامة الرخشى ولكن حيث لم يصلح التولى سببا للاستخفاء في قوله عز وجل (ليستخفوا منه) التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في قود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانطلق أى فاضرب فانطلق ولا يخفى أن

انسحاق اللهن الى توسط الارادة بين ثنى الصدور و بين الاستخفاء ليس كأنسياقه الى توسط الضرب بين الامر به و بين الانفلاق ولعل الاظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيما كان يعطف الشاب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره أو إيماء الى أن ظهوره مغل عن ذكره ﴿ ٥٥ ﴾ أو ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خبير فيه من الامور المذكرة

فيدخل فيه ما ذكر من توابهم عن الحق الذي ألقى اليهم دخولا أو ليا فحينئذ يظهر وجهه كون ذلك سبب الاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها زلت في الاخس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للمحدث يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضم في قلبه ما يصادها وقال ابن شداد انها زلت في بعض المنافقين كان اذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه الخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه ورمي يودي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرى ثنوني صدورهم بالياء والناء من اثنوني افعول من الثنى كاحلولى من الخلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثنوني وقرى ثنون ٢ وأصله ثنوتون من تفعل من الثن وهو ما هس من الكلا وضمف يريد

سبحانه وتعالى هو الضار والنافع والمعطي والمانع ثم انه تعالى لما بين هذه الاحوال قال وأن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير والامر كذلك لان من اشتغل بعبادة غير الله صار في الدنيا أعشى ومن كان في هذه أعشى فهو في الآخرة أعشى وأضل سبيلا والذي بين ذلك أن من أقبل على طلب الدنيا ولذاتها وطيباتها قوى حبه لها ومال طبعها اليها وعظمت رغبته فيها فادامات بقى معه ذلك الحب الشديد والميل التام وصارما جزا عن الوصول الى محبو به فحينئذ يعظم البلاد ويتكامل الشقاء فهذا القدر المعلوم عندنا من عذاب ذلك اليوم وأما ما قيل تلك الاحوال فهي غائبة عنا مادنا في هذه الحياه النبوية ثم بين أنه لا بد من الرجوع الى الله تعالى بقوله الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير واعلم أن قوله الى الله مرجعكم فيه دققة وهي ان هذا اللفظ يفيد الحصر يعنى ان مرجعنا الى الله لا الى غيره فيدل هذا على أنه لا مديبر ولا متصرف هناك الا هو والامر كذلك أيضا في هذه الحياه النبوية الا ان اقواما اشتغلوا بالنظر الى الوسائط فمجرؤا عن الوصول الى سبب الاسباب فظنوا أنهم في دار الدنيا قادرين على سئى وأما في دار الآخرة فهذا الحال الفاسد زائل أيضا فلهذا المعنى بين هذا الحصر بقوله الى الله مرجعكم ثم قال وهو على كل سئى قدير وأقول ان هذا تهديد عظيم من بعض الوجوه وبشارة عظيمة من سائر الوجوه أما انه تهديد عظيم فلان قوله تعالى الى الله مرجعكم يدل على أنه ليس مرجعنا الا الله وقوله وهو على كل سئى قدير يدل على أنه قادر على جميع المقدرات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته والرجوع الى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل وأمانه بشارة عظيمة فلان ذلك يدل على قدرة غالبة وجلالة عظيمة لهذا الحاكم وعلى ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد والملك القاهر العالى الغالب ان ارأى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ملكك فاسبح \* يقول مصنف هذا الكتاب قد أفنت عمري في خدمة العلم والمطالعة للكتب ولا رجاء لي في شئ الا انى في غاية الذلة والقصور والكره اذا درغفر وأسألك يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين وسائر عيوب المعيوبين ومجيب دعوة المضطرين أن تقيض سبحانه رحمتك على ولدي وفلذة كبدي وأن تخصصنا بالفضل والتجاوز والجود والكرم \* قوله تعالى (الا انهم يننون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليهم بذات الصدور) اعلم انه تعالى لما قال وان تولوا يعنى عن عبادته وطاعته فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير بين بعده أن التولى عن ذلك باطنا كالتولى عنه ظاهرا فقال الا انهم يعنى الكفار من قوم محمد صلى الله عليه وسلم يننون صدورهم ليستخفوا منه واعلم أنه تعالى حكى عن هؤلاء الكفار شيئين (الاول) أنهم يننون صدورهم يقال ثبت الشئ اذا عطفته وطويته وفي الآية وجهان (الاول) روى أن طائفة من المشركين قالوا اذا أغلقنا أبوابنا وأرسلنا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثينا

مطالعة صدورهم للثنى كما ثبت الهش من ٢ قوله وقرى ثنون الخ أفاد الشهاب انه بمشاة فوقية مفتوحة فثلثة ساكنة فنون مفتوحة تلوها واومكسورة وبعدها نون مشددة وأصله ثنوتون على وزن تفعل وقوله من الن أى بكسر اللثة وتشديد النون كافي القاموس \* وقوله وقرى ثنن أى على وزن تطنن بأن يجعل مكان الواو والمكسورة في القراءة السابقة همزة مكسوة كافي زادهاه

التيبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرى تثبت من اثبات افعال منه ثم من كاقبل اياضت وادهامت وقرى تشوي  
 يورث تصوي (الاحين يستغشون ثيابهم) اي يتغطون بها الاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدرون  
 بلباسهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه  
 ويقول هل يعلم الله ما في قلبي (يعلم مايسرون) اي يضمرون في قلوبهم ﴿ ٥٦ ﴾ (وما يعلنون) اي يستوي بالنسبة الى علم المحيط

سرهم وعلتهم فكيف يخفي  
 عليه ما عسى يظهره وانما  
 قلم السر على العس نيا عليهم  
 من اول الامر ما صنعوا وايدانا  
 باقتضاحهم ووفوع ما يحذرونه  
 وتحصيا للمساواة بين العليين  
 على ابلغ وجه فكان علمه  
 بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه  
 ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا  
 ما في صدوركم او تبدوه يعلمه  
 الله حيث قدم فيه الاخفاء  
 على الابداء على عكس ما وقع  
 في قوله تعالى وان تبدوا ما في  
 انفسكم او تخفوه يحاسبكم به  
 الله اذ لم يتعلق باسمه ان  
 المحاسبة بما يخفونه اولى منها  
 بما يبديونه غرض بل الامر  
 بالعكس واما هنا فقد تعلق  
 باسمه كون تعلق  
 علمه تعالى بما يسرونه اولى  
 منه بما يعلنونه غرض مهم  
 مع كونهما على السوية كيف  
 لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس  
 بطريق حصول الصورة بل  
 وجود كل شئ في نفسه علم  
 بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى  
 لا يختلف الحال بين الاشياء  
 البارزة والكامنة واما قوله تعالى  
 واعلم ما تبديون وما كنتم تكتمون  
 فحيث كان واردا بصدد

صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا التقدير كان قوله يشون صدورهم كناية  
 عن التفاق فكانه قيل يضمرون خلاف ما يظهرهون ليستخفوا من الله تعالى ثم نيه بقوله  
 الاحين يستغشون ثيابهم على انهم يستخفون منه حين يستغشون ثيابهم (الوجه الثاني)  
 روى ان بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله ثني صدره وولى ظهره واستعدى ثيابه  
 والتقدير كانه قيل انهم ينصرفون عنه ليستخفوا منه حين يستغشون ثيابهم لئلا يسمعا  
 كلام رسول الله وما تلون القرآن ولقولوا في انفسهم ما يشتهون من الطعن وقوله الا  
 لتثيبه قلبه اولا على انهم ينصرفون عنه ليستخفوا ثم كرر كلمة الاللتثيبه على ذكر الاستخفاء  
 لئنه على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم كانه قيل الا انهم ينصرفون عنه  
 ليستخفوا من الله الا انهم يستخفون حين يستغشون ثيابهم ثم ذكر انه لا فائدة لهم في  
 استخفائهم بقوله يعلم مايسرون وما يعلنون ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما من دابة في الارض الا على  
 الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين) اعلم انه تعالى لما ذكر في الآية  
 الاولى انه يعلم مايسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات  
 فذكر ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى فلولا يكن عالما بجميع المعلومات لما  
 حصلت هذه المهمات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج الدابة اسم لكل  
 حيوان لان الدابة اسم مأخوذ من الديب وبيت هذه اللفظة على هاء التانيث واطلق على  
 كل حيوان ذي روح ذكر انا او اناثي الا انه بحسب عرف العرب اختص بالفرس والبراد  
 بهذا اللفظ في هذه الآية الموضوع الاصلى القوي فيدل فيه جميع الحيوانات وهذا  
 متفق عليه بين المفسرين ولا شك ارقسام الحيوانات وانواعها كثيرة وهي الاجناس  
 التي تكون في البر والبحر والجبال والله يخصصها دون غيره وهو تعالى عالم بكيفية طبائعها  
 واعضائها واحوالها واعذيتها وسمومها ومسكنها وما يوافقها وما يخالفها فالاله المدير  
 لاطباق السموات والارضين وطبائع الحيوان والنبات كيف لا يكون عالما باحوالها  
 روى ان موسى عليه السلام عند نزول الوحي اليه تعلق قلبه باحوال اهلها فامر الله تعالى  
 ان يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت  
 وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فمها شئ  
 يجرى مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن سم موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول سبحان  
 من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (المسئلة الثانية) تعلق بعضهم  
 بانه يجب على الله تعالى بعض الاشياء بهذه الآية وقال ان كلمة على للوجوب وهذا يدل على  
 ان ايصال الرزق الى الدابة واجب على الله وجوابه انه واجب بحسب الوعد والفضل  
 والاحسان (المسئلة الثالثة) تعلق اصحابنا بهذه الآية في اثبات ان الرزق قديكون حراما  
 قالوا لانه ثبت ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد  
 وبحسب الاستحقاق والله تعالى لا يخجل بالواجب ثم قدرى انسانا لا يأكل من الحلال طول

الخطاب مع الملائكة عليهم السلام الميزة مقامهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر ﴿ عمره ﴾  
 والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض يجوز ان ذلك  
 باعتبار ان مرتبة السر منقذمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمرة في القلب فعلم علمه  
 سبحانه جلالة الاولى مقدم

نقله بخالته الثانية (انه عليم بدات الصدور) لتليل لما سبق وبعبره واقع بوقع السبى من العيسوى حيه ان بين  
وتحلية الصدور بلام الاسترقاق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ  
في الاحاطة بمضرات جمع لناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تغارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون  
وما يعلنون ويجوز أن يراد بدات الصدور القلوب من ﴿ ٥٧ ﴾ قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى

انه عليم بالقلوب وأحوالها

فلا يخفى عليه سر من أسرارها

(وما من دابة في الارض

الا على الله رزقها) غداؤها

اللائق بها من حيث الخلق

ومن حيث الايصال اليها

بطريق طبيعي أو ارادى

لتكفله اياه تفضلا ورحمة

وانما سجي به على طريق

الوجوب اعتبارا لسبق الوعد

وتحقيقا لوصوله اليها البتة

وحملا للمكلفين على الثقة به

تعالى والاعراض عن اتعاب

النفس في طلبه (وبعلم مستقرها)

محل قرارها في الاصلاب

(ومستودعها) موضعها

في الارحام وما يجرى مجراها

من البيض ونحوها وانما خص

كل من الاسمين بما خص به من

المحلين لان النطفة بالنسبة

الى الاصلاب في حيزها

الطبيعي ومنشأ الخلق

وأما بالنسبة الى الارحام

وما يجرى مجراها فهي مودعة

فيها الى وقت معين او

مسكنها من الارض حين

وجدت بالفعل ومودعها من

المواد والمقار حين كانت

بعد بالقوة ولعل تقديم محلها

باعتبار حالتها الاخيرة رعاية

عمره فلولم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى ما وصل رزقه اليه فيكون تعالى قد أدخل  
بالواجب وذلك محال فقلنا أن الحرام قديكون رزقا وأما قوله ويعلم مستقرها  
ومستودعها فالمستقر هو مكانه من الارض والمستودع حيث كان مودعا قبل  
الاستقرار في صلب أو رحم أو بضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوى اليه ليلا أو نهارا  
ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقدمضى استقصاء تفسير المستقر والمستودع  
في سورة الانعام ثم قال كل في كتاب مبين قال الزجاج المعنى ان ذلك ثابت في علم الله تعالى  
ومنهم من قال في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدة ذلك في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب  
مبين قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء  
ليدلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا  
ان هذا الاسحرمبين) واعلم أنه تعالى لما أثبت بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات أثبت  
بهذا الدليل كونه تعالى قادرا على كل المقدرات وفي الحقيقة فكل واحد من هذين  
الدليلين يدل على كمال علم الله وعلى كمال قدرته واعلم أن قوله تعالى وهو الذي خلق  
السموات والارض في ستة أيام قدمضى تفسيره في سورة يونس على سبيل الاستقصاء بقى  
ههنا أن نذكر وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله تعالى يا قوته خضراء ثم نظر اليها  
بالهبة فصارت ماء برعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متها ثم وضع العرش على الماء قال  
أبو بكر الاصم معنى قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على  
سبيل كون أحدهما ملتصقا بالآخر وكيف كانت الواقعة فذلك يدل على أن العرش  
والماء كانا قبل السموات والارض وقالت المعتزلة في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل  
خلقهما لانه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد يتفجع بالعرش والماء لانه تعالى لما خلقهما فاما  
أن يكون قد خلقهما لمنفعة أول المنفعة والثاني عبث فبقي الاول وهو انه خلقهما لمنفعة  
وتلك المنفعة اما أن تكون عائدة الى الله وهو محال لكونه متعاليا عن النفع والضرر وألى  
الغير فوجب أن يكون ذلك الغير حيوان غير الحى لا يتفجع وكل من قال بذلك قال ذلك  
الحى كان من جنس الملائكة وأما أبو مسلم الاصفهاني فقال معنى قوله وكان عرشه على  
الماء أى بناؤه السموات كان على الماء وقدمضى تفسير ذلك في سورة يونس وبين أنه تعالى  
اذا بنى السموات على الماء كانت أبداع وأعجب فان البناء الضعيف اذا لم يؤسس على أرض  
صلبة لم يثبت فكيف بهذا الامر العظيم اذا بسط على الماء وههنا سوالات (السؤال  
الاول) ما الفائدة في ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والارض (والجواب)  
فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه (الاول) ان العرش مع كونه أعظم من السموات  
والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امسك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك  
(والثاني) انه تعالى أمسك الماء على قراره والازم أن يكون أقسام العالم غير متناهية

المناسبة بينها وبين عنوان ﴿ ٨ ﴾ خا كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث

كانت من أما كنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار

المتباينة ومقارها المتنوعة وبيض عليها في كل مرتبة ما يليق بهما من مبادئ وجودها وكالاتها المنفرعة عليه وقد فسّر المستودع

بأماكنها في المات ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها ومستقرها

ومستودعها ( في كتاب مبین ) اى مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما ابلت فيه للنظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتهالى منتهائها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل ( وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ) السموات في يومين والارض ﴿ ٥٨ ﴾ في يومين وما عليهما من انواع الحيوانات والنبات

وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تمت خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تمة زمان خلقها في قوله تعالى في أربعة ايام أى في تمة أربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كافي قوله تعالى ومن بولهم يومئذ بره أى في ستة اوقات أو مقدار ستة ايام فان اليوم في المعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقهما مدرج اعم القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استائر يعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته واشار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام ( وكان عرشه ) قبل خلقهما ( على الماء ) ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعا على متنه كما ورد

وذلك يدل على ما ذكرناه ( والثالث ) أن العرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامه تحته ولا علاقة فوقه وذلك يدل أيضا على ما ذكرناه ( السؤال الثاني ) هل يصح ما يروى انه قيل يا رسول الله أين كان ربنا قبل خلق السموات والارض فقال كان في عاء فوقه هواء وتحت هواء ( والجواب ) ان هذد الرواية ضعيفة والاولى أن يكون الخبر المشهور أولى بالقبول وهو قوله صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شئ ثم كان عرشه على الماء ( السؤال الثالث ) اللام في قوله ليلوكم أيكم أحسن عملا يقتضى انه تعالى خلق السموات والارض لابتلاء المكلف فكيف الحال فيه والجواب ظاهر هذا الكلام يقتضى ان الله تعالى خلق هذا العالم الكثير لمصلحة المكلفين وقد قال بهذا القول طوائف من العقلاء ولكل طائفة فيه وجه آخر سوى الوجه الذي قال به الآخرون وشرح تلك المقالات لا يليق بهذا الكتاب والذين قالوا ان أفعاله وأحكامه غير معاملة بالمصالح قالوا لام التعليل وردت على ظاهر الامر ومعناه انه تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من تجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض ( السؤال الرابع ) الابتلاء انما يصح على الجاهل بعواقب الامور وذلك عليه تعالى محال فكيف يعقل حصول معنى الابتلاء في حقه ( والجواب ) ان هذا الكلام على سبيل الاستعصاء ذكرناه في تفسير قوله تعالى في أول سورة البقرة لعلمكم تقون واعلم انه تعالى لما بين انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم فهذا يوجب القسط يحصل الحسن والشكر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسي بالعباق وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالاعاد والقيامه فمئد هذا خاطب محمدا عليه الصلاة والسلام وقال ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقول الذين كفروا ان هذا الاسحريين ومعناه انهم يتكرون هذا الكلام ويحكمون بفساد القول بالبعث فان قيل الذي يمكن وصفه بأنه سحر ما يكون فعلا مخصوصا وكيف يمكن وصف هذا القول بأنه سحر قلنا الجواب عنه من وجوه ( الاول ) قال القائل معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتوهما لمنع الناس عن لذات الدنيا واحراز الهمم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ( الثاني ) أن معنى قوله ان هذا الاسحريين هو أن السحر أمر باطل قاله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ما جئتم به السحر ان الله سيبطله فقوله ان هذا الاسحريين أى باطل مبین ( الثالث ) ان القرآن هو الحاكم بحصول البعث وطعنوا في القرآن بكونه سحرا لان الطعن في الاصل يفند الطعن في الفرع ( الرابع ) قرأ حرة والكسائي ان هذا الاسحريين يدون النبي صلى الله عليه وسلم والساحر كاذب \* قوله تعالى ( ولئن أخرجنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يجبهه اايوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ) اعلم انه تعالى حكي عن الكفار انهم يكذبون

في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا اولد لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على ﴿ الرسول ﴾ كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ( ليلوكم ) متعلق بخلق أى خلق السموات والارض وما فيها من المخلوقات التي من جلتها أتم ورتب فيها جميع ما يحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع في تضاعفهما من



تعاجيب الصنائع والمعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يتلىكم (أيكم أحسن عملاً) فيجازيكم بالثواب والعتاب غيبتين المحسن من المسمى وأمتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاد أنهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل ومراتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسر عليه السلام ﴿ ٥٩ ﴾ بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فان لكل

من القلب والقلب عملاً مخصوصاً به فكما أن الاول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي أثر واتما طر يقها النظرى التفكير في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في النفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوى الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقدروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الارض وتعليق فعل البلوى أى تعقيب بحرف الاستفهام لالتعليق المشهور السدى يقتضى عدم ايراد المفعول أصلام اختصاصاً بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر

الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم ان هذا الاسحرمين فحكى عنهم في هذه الآية نوعاً آخر من أباطيلهم وهو أنه متى تأخر عنهم العذاب الذى توعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم به أخذوا في الاستهزاء ويقولون ما السبب الذى حبسه عنا فأجاب الله تعالى بأنه اذا جاء الوقت الذى عينه الله لتزول ذلك العذاب الذى كانوا يستهزؤن به لم ينصرف ذلك العذاب عنهم وأحاط بهم ذلك العذاب \* بقى ههنا سؤالات (السؤال الاول) المراد من هذا العذاب هو عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة (الجواب) للمفسرين فيه وجوه (الاول) قال الحسن معنى حكم الله في هذه الآية أنه لا يعذب أحداً منهم بعذاب الاستئصال وأخذ ذلك الى يوم القيامة فلما أخر الله عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذى حبسه عنا (والثاني) ان المراد الامر بالجهاد ومازل بهم يوم بدر وعلى هذا الوجه تأولوا قوله وحق بهم أى نزل بهم هذا العذاب يوم بدر (السؤال الثاني) ما المراد بقوله الى أمة معدودة (الجواب) من وجهين (الاول) ان الاصل في الامه هم الناس والفرقة فاذا قلت جاءنى أمة من الناس فالمراد طائفة محتمة قال تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله واذا كر بعد أمة أى بعد انقضاء أمة وفنائها فكذا ههنا قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة أى الى حين تقضى أمة من الناس انقرضت بعد هذا الوعيد بالقول لقالوا ماذا يحبسنا عنا وقد انقرض من الناس الذين كانوا متوعدين بهذا الوعيد وتسمية النبي باسم ما يحصل فيه كتوك كنت عند فلان صلاة العصر أى في ذلك الحين (الثاني) ان اشتقاق الامه من الأثم وهو التصد كانه يعنى الوقت المقصود بإيقاع هذا الموعود فيه (السؤال الثالث) لم قال وحق على لفظ الماضى مع ان ذلك لم يقع (والجواب) قد مر في هذا الكتاب آيات كثيرة من هذا الجنس والضابط فيها انه تعالى أخر عن أحوال القيامة يلغظ الماضى مبالغة في التأكيد والتقرير \* قوله تعالى ( ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كقور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه أفرح بخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) اعلم أنه تعالى لما ذكر ان عذاب أولئك الكفار وان تأخر الا أنه لا بد وأن يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال ولئن أذقنا الانسان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ الانسان في هذه الآية فيه قولان (الاول) ان المراد منه مطلق الانسان ويدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى استثنى منه قوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والاستثناء يخرج من الكلام ما يؤول لدخل فثبت ان الانسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر وذلك يدل على ما قلناه (الثاني) ان هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وموافقة أيضاً لقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً (الثالث) ان مزاج الانسان مجبول على الضعف والعجز قال ابن جرير

ونظيره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل أو الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقمة الى الحسن والقيح أيضاً لالى الحسن والاحسن فقط للايدان بأن المراد بالبلاء والمقصود الاصلى مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك التمثل الرائب انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على أتم الوجوه اللائقة وأكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بوجبه بحيث لا يجحد أحد عن سننه المستبين بل يمتدى

كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف والكثرة والقلّة وأما  
 الأعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى الضلال فيعزل من الأندراج تحت الوقوع فضلا عن أن ينظم ظهوره في سلك العلة  
 الغائبة لذلك الصنع البديع وأما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير صحح له ولا تقرب ولا يخفى ما فيه من الترغيب  
 في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة \* ٦٠ \* نقائضها والله تعالى أعلم (ولئن قلت انكم

مبعوثون من بعد الموت )  
 على ما يوجب قضية الابتلاء  
 ليرتب عليه الجزاء المترفع  
 على ظهور مراتب الاعمال  
 (يقولون الذين كفروا) ان وجه  
 الخطاب في قوله تعالى انكم  
 الى جميع المكلفين فالوصول  
 مع صلته للتخصيص أى  
 يقولون الكافرون منهم وان  
 وجه الى الكافرين منهم  
 فهو وارد على طريقه الدم  
 (ان هذا الاسحريين) أى  
 مثله في الخديعة أو البطلان  
 وهذا اشارة الى القول المذكور  
 او الى القرآن فان الاختيار  
 عن كونهم مبعوثين وان لم  
 يجب كونه بطريق الوحي  
 المتلو الا أنهم عند سماعهم  
 ذلك تخلفوا الى القرآن لانبائه  
 عنه في كل موضع وكونه علما  
 عندهم في ذلك فعمدوا الى  
 تكذيبه وتسميته سحرا تاديا  
 منهم في العناد وتغاديا عن  
 سنن الرشاد وقيل هو اشارة  
 الى نفس البعث ولا يلائمه  
 التسمية بالسحر فانه انما يطلق  
 على شئ موجود ظاهرا لا  
 أصل له في الحقيقة ونفس البعث  
 عندهم معدوم بحت وتعلق

في تفسير هذه الآية يا ابن آدم اذا نزلت بك نعمة من الله فانت كفور فاذا زعت منك  
 فيؤس قنوط (والقول الثاني) ان المراد منه الكافر ويدل عليه وجوه (الاول) ان  
 الاصل في المفرد المحلى بالالف واللام ان يحمل على المعهود السابق او الالمانع وههنا لامانع  
 فوجب حمله عليه والمعهود السابق هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة (الثاني) ان  
 الصفات المذكورة للانسان في هذه الآية لا تليق الا بالكافر لانه وصفه بكونه يؤسا  
 وذلك من صفات الكافر قوله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ووصفه  
 أيضا بكونه كفورا وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضا بأنه عند وجد ان الراحة يقول  
 ذهب السيأت عني وذلك جراءة على الله تعالى ووصفه أيضا بكونه فرحا والله لا يحب  
 الفرحين ووصفه أيضا بكونه فخورا وذلك ليس من صفات أهل الدين ثم قال الناظرون  
 لهذا القول وجب أن يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء المتقطع حتى  
 لا تلزمنا هذه المحذورات (المسئلة الثانية) لفظ الاذاعة والذوق يفيد أقل ما يوجد به الطعم  
 فكان المراد أن الانسان يوجد ان أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التردد  
 والطغيان وبادراك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفر ان  
 فالدنيا في نفسها قليلة والحاصل منها للانسان الواحد قليل والاذاعة من ذلك المقدار خير  
 قليل ثم انه في سرعة الزوال يشبه أحلام النائمين وخيالات الموسوسين فهذه الاذاعة قليل  
 من قليل ومع ذلك فان الانسان لا طاقة له بحملها ولا صبره على الايمان بالطريق الحسن  
 معها وأما النعماء فقال الواحدى انها انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر  
 أثرها على صاحبه لانهما خرجت من جوارح الاحوال الظاهرة نحو جفاء وعوراء وهذا هو  
 الفرق بين النعمة والنعماء والمضرة والضراء (المسئلة الثالثة) اعلم أن أحوال الدنيا غير  
 باقية بل هي أبدا في التغير والزوال والتحول والانتقال الأنا الضابط فيه انه اما ان يحول  
 من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن  
 ينتقل من المكروه الى المحبوب ومن المحرمات الى المنهيات (أما القسم الاول) فهو المراد  
 من قوله واذا ذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفورا وحاصل الكلام انه  
 تعالى حكيم على هذا الانسان بأنه يؤس كفورا وتقرير ان يقال انه طال زوال تلك النعمة  
 يصير يؤسا وذلك لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاق ثم انه  
 يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى فلا جرم يستبعد حدوث تلك النعمة فيقع في اليأس  
 وأما المسلم الذي يعتقد أن تلك النعمة انما حصلت من الله تعالى وفضله واحسانه وطوله  
 فانه لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها الى بعد ذلك أكمل وأحسن وأفضل مما  
 كانت وأما حال كون تلك النعمة حاصلة فانه يكون كفورا لانه لما اعتقد أن حصولها  
 انما كان على سبيل الاتفاق أو بسبب أن الانسان حصلها بسبب جده وجهده فيحسب  
 لا يشتغل بشكر الله تعالى على تلك النعمة فالخاصل ان الكافر يكون عند زوال تلك

الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما أشير اليه من تمت الابتلاء المذكور فكانه قبل الامر كما \* النعمة \*  
 ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تمامه لا يتلعمون في الردو يعدون ذلك من قبيل ما لا صحة  
 له أصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تمامه واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع مخلوقات  
 ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بأنه يعيدهم تارة أخرى وهو أهون عليه يقولون

ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرآخرة والكسائي الاساخر على أن الاشارة الى القائل أو الى القران على اسلوب شعر شاعر  
 وقرى بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو على أن أنك بمعنى عنك في علك أي ولئن قلت لعليكم مبعوثون على أن الرجاء والتوقع  
 باعتبار حال المخاطبين أي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره أو على انه مجازة معهم في الكلام يخرج على المساعدة لثلاثا يسارعوا الى  
 اللجاج والعدا ريثما فرغ اسماعهم بت القول بخلاف \* ٦١ \* ما الفوا وانفوا عليه آباءهم من انكار البعث ويكون ذلك

أدعى لهم الى التأمل والتدبر  
 وما فعلوه قائلهم الله أنى  
 يوفى فكون (ولئن أخرنا عنهم  
 العذاب) المترب على بعضهم  
 أو العذاب الموعود في قوله تعالى  
 فان توفوا فاني أخاف عليكم  
 عذاب يوم كبير وقيل عذاب  
 يوم بدر وعن ابن عباس  
 رضى الله عنهم أنه قتل جبريل  
 عليه السلام للمستهزئين  
 والظاهر أن المراد به العذاب  
 الشامل للكفرة دون ما يخص  
 بعض منهم على أنه لم يكن  
 موعودا يستجل منه المجرمون  
 (الى أمة معدودة) الى طائفة  
 من الايام قليلة لان ما يحصره  
 العدد قليلة (يقولن ما يحبسها)  
 أى أى شئ يمنعها من المجئ  
 فكانه يرده فيمنعه مانع وانما  
 كانوا يقولون بطريق  
 الاستعجال استهزاء بقوله تعالى  
 ما كانوا يستهزئون ومرادهم  
 انكار المجئ والحبس رأسا  
 الاعتراف به والاستفسار عن  
 حاسبه (الايوم يا ايهم) ذلك  
 (ليس مصر وفا) محبوسا  
 (عنهم) على معنى أنه لا يرفه  
 رافع أبدا ان ارى يده عذاب  
 الآخرة أو لا يدفعه عنكم دافع  
 بل هو واقع بكم ان ارى يده

النعمة يؤثروا وعند حصولها يكون كفورا (وأما القسم الثاني) وهو أن ينقل الانسان  
 من المكروه الى المحبوب والحننة الى النعمة فهنا الكافر يكون فرحا فخورا أما قوة  
 الفرح فلان منتهى طمع الكافر هو الفوز بهذه السعادات الدنيوية وهو منكر  
 للسعادات الاخرى الروحية فاذا وجد الدنيا فكانه قد فاز بغاية السعادات فلا جرم  
 يعظم فرجه بها وأما كونه فخورا فلانه لما كان الفوز بسائر المطلوب نهاية السعادة  
 لا جرم يتفخر به فحاصل الكلام انه تعالى بين أن الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين  
 وعند الفوز بالعصاة لا يكون من الشاكرين ثم لما قرر ذلك قال الا الذين صبروا وعملوا  
 الصالحات والمراد منه ضدا متقدما فقوله الا الذين صبروا والمراد منه أن يكون عند البلاء  
 من الصابرين وقوله وعملوا الصالحات المراد منه أن يكون عند الراحة والخير من  
 الشاكرين ثم بين حالهم فقال أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فجمع اهلهم بين هذين المطلوبين  
 (أحدهما) زوال العقاب والخلص منه وهو المراد من قوله لهم مغفرة (والثاني) الفوز  
 بالثواب وهو المراد من قوله وأجر كبير ومن وقف على هذا التفصيل الذي ذكرناه علم ان  
 هذا الكتاب الكريم كما أنه مجزى بحسب الفاظه فهو أيضا مجزى بحسب معانيه \* قوله  
 تعالى (فلا تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك أن يقولوا ولولا أنزل عليه كثر  
 أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل) اعلم أن هذا نوع آخر من كلمات  
 الكفار والله تعالى بين أن قلب الرسول ضاق بسببه ثم انه تعالى قواه وأيده بالاكرام  
 والتأييد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رؤساء  
 مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة  
 يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فتركت هذه الآية واختلفوا في المراد بقوله تارك  
 بعض ما يوحى اليك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال المشركون للنبي صلى الله  
 عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نبتعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه  
 لا يقول أن الساعة آتية وقال بعضهم المراد نسبتهم الى الجهل والتقليد والاصرار على  
 الباطل (المسئلة الثانية) أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام  
 أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحى اليه لان تجويزه يؤدى الى الشك  
 في كل الشرائع واشكاليف وذلك يقدح في النبوة وأيضا فلمقصود من الرسالة تبليغ  
 تكاليف الله تعالى وأحكامه فاذا لم تحصل هذه المائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تنفيذ  
 فادتها المطلوب منها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله فلعلك تارك بعض  
 ما يوحى اليك شيئا آخر سوى أنه عليه السلام فعل ذلك وللناس فيه وجوه (الاول)  
 لا يتم أن يكون في معاروم الله تعالى أنه انما يترك التقصير في أداء الوحي والتنزيل لسبب  
 يرد عليه من الله تعالى أمثال هذه التهديدات البليغة (الثاني) انهم كانوا لا يعتقدون  
 بالقرآن و يتهاونون به فكان يضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم

عذاب الدنيا و يوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذا المعمول تابع للعامل فلا يقع  
 الا حيث يقع متبوعه ورد بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يقدم المعمول حيث لا مجال لتقديم العامل كما في قوله  
 تعالى فاما اليقيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فان اليقيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما  
 على لا التايهية مما امتناع تقدم الفعلين عليها

قال أبو خيان وقد تبعت جملة من ذواو من العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر \* فيا بني فايزداد الحاجة \* وكنت ايا في الخناست أقدم \* (وحاق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب الذي كانوا يستعملون به استهزاء وفي التعبير عنه بالوصول تهويل لمكانه وأشعار بعليه ما ورد في حيز المصلحة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد ﴿٦٢﴾ على عادة الله تعالى في اخباره لانه في اخبرها لا نه في تحقها وتيقها

بمثلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأنه وتبروت تقرير وقوع الخبر به ما لا يخفى (ولئن أذقنا الانسان منارحة) أي أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها اليه بحيث يجد لذتها (ثم نرضاهم منه) أي سلبناه اياها وايراد النزاع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها (أنه ليؤس) شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثاله عاجلاً أو آجلاً بفضل الله تعالى لقلته صبره وعدم توكله عليه وثقته به (كفور) عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه إشارة الى أن النزاع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقبلون فيه من نعم الله عز وجل وتأخير عن وصف بأسهم مع تقدمه عليه لرعاية القواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة أمثاله في العاجل وايصال أجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة أيضاً (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء

ملا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه الله تعالى لاداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات الى استهزائهم والغرض منه التنبيه على أنه ان أدى ذلك الوحي وقع في سخريةهم وسفاهتهم وان لم يؤد ذلك الوحي اليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي ايقاع الحيانة فيه فاذا لا يد من تحمل احد الضررين وتحمل ضرر سفاقتهم أسهل من تحمل ايقاع الحيانة في وحي الله تعالى والغرض من ذكر هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك يشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في جانب الترك أعظم وأقوى سهل عليه ذلك الفعل وخف فالتقصود من ذكر هذا الكلام ما ذكرناه فان قيل فوله قلنا لك كلمة شك فما الفائدة فيهما قلنا المراد منها الزجر والعرب تقول للرجل اذا أرادوا ابعاده عن أمر لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه ويقول لولده لو أمره لعلك تقصر فيما أمرتك به ويريد تو كيدا الامر فعناه لانترك وأما قوله وضائق به صدرك فالضائق بمعنى الضيق قال الواحدى الفرق بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أقصح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد جواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد والمعنى ضائق صدرك لاجل أن يقولوا لولا أنزل عليه فان قيل الكثر كيف ينزل قلنا المراد ما يكثر وجرت العادة على أنه يسمى المال الكثير بهذا الاسم فكان القوم قالوا ان كنت صادقا في أنك رسول الاله الذي تصفد بالقدرة على كل شئ وانك عزيز عنده فهلا أنزل عليك ما تستغنى به وتغنى أحبابك من السكدة والعناء وتستعين به على مهماتك وتعين أنصارك وان كنت صادقا فهلا أنزل الله معك ملكا يشهدك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فتقول السبحة في أمرك فللم فعل الهك ذلك فأنت غير صادق فبين تعالى أنه رسول منذر بالعقاب ومبشر بالثواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذي أرسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه في فعله وفي حكمه ومعنى وكيل حفيظ أي يحفظ عليهم أعمالهم أي يجازيهم بها ونظير هذه الآية قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وقوله قالوا لن نؤمن بك الى قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا \* قوله تعالى (أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استعظتم من دون الله ان كنتم صادقين) اعلم ان القوم لما طلبوا منه المعجز قال معجزى هذا القرآن ولما حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة بغيا وجهلا ثم قرر كونه معجزا بان تحداهم بالمعارضة وتقرر هذا الكلام بالاستقصاء قد تقدم في سورة البقرة وفي سورة يونس وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) الضمير في قوله افتراء عائد الى ما سبق من قوله يوحى اليك أي ان قالوا ان هذا الذي يوحى اليك مفترى فقل لهم حتى يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقوله مثله بمعنى أمثاله جلا على كل واحد من تلك السور ولا يبعد أيضا أن يكون

مسته (كسحة بعد قسمه وجدة بعد عدمه وفرج بعد شدته وفي التعبير عن ملا بسة الرحمة والنعماء بالدوق المؤذن \* المراد \* بلذتها وكونها مما يرغب فيه وعن ملا بسة الضراء بالمس المشهر بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسم الملاقة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ملا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى انما هو ابصال الخيرة المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأنه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما

بنالهم ذلك بسوء اختيارهم نيل يسيرا كما نيل الصق البشرية من غير تأثير واما نزاع الرحمة فاما صدر عنه بعضيه الخلد الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتكبير الرحمة باعتبار لحوق الزمخ بها (ليقولن ذهب السبات عنى) أى المصائب التى تسويى ولن تعترينى بعد أمثالها كما هو شأن أولئك الاشرار فان الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش (انه لفرح) بطروا وأشر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس بما وى \* ٦٣ \* من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقوقها واللام فى لئن فى

الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط (الا الذين صبروا) على ما أصابهم من الضراء سابقا أو لاحقا إيماننا بالله واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكر اعلى الآله السالفة والآتفة واللام فى الانسان اما الاستغراق الجنس فالاستثناء متصل أو للعهد فتقطع (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايدان علو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وان جت (رأى) ثواب لاعمالهم المستند (كبير) ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قباهن من حيث ان اذافة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقم موقع التفصيل من الاجال الواقعة فى قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا والمعنى ان كلامنا اذافة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان أى شكر أم يكفر لا يهتدى (٢) الى سنن الصواب

المراد هو المجموع لان مجموع السور العشرة شىء واحد (المسئلة الثانية) قال ابن عباس هذه السورة التى وقع بها هذا التحدى معينة وهى سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس وهود عليهما السلام وقوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات اشارة الى السور المتقدمة على هذه السورة وهذا فيه اشكال لان هذه السورة مكية وبعض السور المتقدمة على هذه السورة مدنية فكيف يمكن أن يكون المراد من هذه العشر سور التى ما نزلت عندها الكلام فالاولى أن يقال التحدى وقع بمطلق السور التى يطهر فيها قوة تركيب الكلام وتأليفه واعلم ان التحدى بعشر سور لا بد وأن يكون سابقا على التحدى بسورة واحدة وهو مثل أن يقول الرجل لغيره أكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال قد أقصرت منها على سطر واحد مثله اذا عرفت هذا فنقول التحدى بالسورة الواحدة ورد فى سورة البقرة وفى سورة يونس كما تقدم أما تقدم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر لان هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما فى سورة يونس فالاشكال زائل أيضا لان كل واحدة من هاتين السورتين مكية والدليل الذى ذكرناه يقتضى أن تكون سورة هود متقدمة فى النزول على سورة يونس حتى يستقيم الكلام الذى ذكرناه (المسئلة الثالثة) اختلف الناس فى الوجه الذى لاجله كان القرآن مجزا فقال بعضهم هو الفصاحة وقال بعضهم هو الاسلوب وقال ثالث هو عدم التناقض وقال رابع هو اشتماله على العلوم الكثيرة وقال خامس هو الصبر وقال سادس هو اشتماله على الاخبار عن الغيوب والمختر عندي وعند الأكثرين أنه معجز بسبب الفصاحة واحجوا على صحة قولهم بهذه الآية لانه لو كان وجه الانحياز هو كثرة العلوم والاخبار عن الغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقوله مغربات معنى أما اذا كان وجه الانحياز هو الفصاحة مع ذلك لان فصاحة القصص تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا وكذبا وايضا لو كان الوجه فى كونه مجزا هو الصبر لكان دلالة الكلام الركيك النازل فى الفصاحة على هذا المطلوب أو كدم دلالة الكلام العالى فى الفصاحة ثم انه تعالى لما قرر وجه التحدى قال وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين والمراد ان كنتم صادقين فى ادعاء كونه مغترى كما قال أم يقولون افتراه واعلم أن هذا الكلام يدل على انه لا بد فى اثبات الدين من تقرير الدلائل والبراهين وذلك لانه تعالى أورد فى آيات نبوة محمد عليه السلام هذا الدليل وهذه الحجية ولو لأن الدين لا يتم الا بالدليل لم يكن ذكره فائدة \* قوله تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل يعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) اعلم ان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين (أحدهما) خطاب الرسول وهو قوله قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (والثانى) خطاب الكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله فلما أتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لتعذرها عليهم واحتمل ان من

بل يجيد فى كلتا الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه باحسن عمل الامن الصابرين الصالحين أو من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم العذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان ٢ قوله لا يهتدى الخ ظاهر العبارة خلوا الجملة من رابط يربطها باسم ان لان الضمير المستتر فى يهتدى عائد على الانسان كما لا يخفى ففعل الرابط محذوف والتقدير لا يهتدى فيه الخ تأمل اه محصح

تجولة على ذلك ( فلهك تارك بعض ما يوحى اليك ) من بينات الدالة على حقية نبوتك المنساذية بكونها من عند الله عزوجل لمن له اذن واعية ( وضائق به صدرك ) أى عارض لك ضيق صدر بلاوته عليهم وتبليغه اليهم في أثناء الدعوة والمحاجة ( أن يقولوا ) لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على أحد من له أدنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح ( لولا أنزل عليه كثر ) \* ٦٤ \* مال خطير محزون يدل على صدقه ( أوجاه معه

ملك ) يصدقه قيل قاله عبد الله بن أمية المخزومي \* وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا وقال آخرون ائتنا باللائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فزلت فكأنه عليه الصلاة والسلام لما عين اجترأهم على اقتراح مثل هذه العظام غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالكذب والاستهراء وتسميتها سحرا مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق قيل ( انما أنت نذير ) ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقول ( والله على كل شيء وكيل ) يحفظ أحوالك وأحوالهم فتوكل عليه في جمع أمورك فانه فاعل بهم ما يلقى بحالهم والاقتصار

ادعونه من دون الله لم يستجيبوا فلهذا السبب اختلف المفسرون على قولين في بعضهم قال هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والمراد ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الايمان بالمعاصرة فاعلموا انما أنزل بعلم الله والمعنى فأتدوا على العلم الذى أتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله ومعنى قوله فهل أتمتم لمون أى فهل أتمتم مخلصون ومنهم من قال فيه اضمار والتقدير فقولوا أيها المسلمون للكفار اعلموا انما أنزل بعلم الله والى قول الثانى ان هذا خطاب مع الكفار والمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا لكم فى الاعانة على المعارضة فاعلموا أيها الكفار ان هذا القرآن انما أنزل بعلم الله فهل أتمتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا أولى من القول الاول لانكم فى القبول الاول اختلفتم الى أن حلتكم قوله فاعلموا على الامر بالثبات أو على اضمار القول وعلى هذا الاحتمال لاحاجة فيه الى اضمار فكان هذا أولى وأيضا فعود الضمير الى أقرب المذكورين واجب وأقرب المذكورين فى هذه الآية هو هذا الاحتمال الثانى وأيضا ان الخطاب الاول كان مع الرسول عليه الصلاة والسلام وحده بقوله قل فاتوا بعشر سور و الخطاب الثانى كان مع جماعة الكفار بقوله وادعوا من استطعتم من دون الله وقوله فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الجماعة فكان حله على هذا الذى قلناه أولى لئلا يفتى فى الآية سوالات ( السؤال الاول ) ما الذى الذى لم يستجيبوا فيه ( الجواب ) المعنى فان لم يستجيبوا لكم فى معارضة القرآن وقال بعضهم فان لم يستجيبوا لكم فى جملة الايمان وهو بعيد ( السؤال الثانى ) من المشار اليه بقوله لكم والجواب ان حملنا قوله فان لم يستجيبوا لكم على المؤمنين فذلك طاهر وان حملناه على الرسول فمته جوابان ( الاول ) المراد فان لم يستجيبوا لكم وللمؤمنين لان الرسول عليه السلام والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك ما علم ( والثانى ) يجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ( السؤال الثالث ) أى تعلق بين الشرط المذكور فى هذه الآية وبين ما فيها من الجراء ( الجواب ) أن القوم ادعوا كون القرآن مقبرى على الله تعالى فقال لو كان مقترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما أنزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلى ( السؤال الرابع ) أى تعلق قوله وأن لا اله الا هو بعجزهم عن المعارضة والجواب فيه من وجوه ( الاول ) أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار أن يستعينوا بالاصنام فى تحقيق المعارضة ثم طهر عجزهم عنها فحيث طهرانها لا تنفع ولا تضرب فى شيء من المطالب البتة ومتى كان كذلك فقد بطل القول بالثبات كونهم آلهة فصارت عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لالهية الاصنام ودللا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قوله وأن لا اله الا هو اشارة الى ما طهر من فساد القول بالهية الاصنام ( الثانى ) انه ثبت فى علم

على التنذير فى أقصى غاية من اصابة المحن ( أم يقولون افتراه ) اضراب بام المتقطعة عن ذكر ترك \* الاصول \* اعتدادهم بما يوحى وتها ونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عزوجل وعلى حقية نبوته عليه الصلاة والسلام ونسروع فى ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن فى افتراه للنبى صلى الله عليه وسلم

والبارز لما يوحى أى بل يقولون افتراء وليس من عند الله (قل) ان كان الامر كما تقولون (فاتوا) أتيم أيضا (بعشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور أى أمثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحد منها أولان المطابقة ليست بنسرت حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى أنو من لبشرين مثلنا أو لاياء الى أن وجه السبب ومدار المسائلة في الجمع شى واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة \* ٦٥ \* الإعجاز فكان أن الجميع واحد (مفتريات) صفة أخرى لسور أخرت

عن وصفها بالمماثلة لما يوحى

لانها الصفة المقصودة

بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم

وقعودهم عن المعارضة

وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به

غرض يدور عليه سى في

مقام التحدى وإنما ذكر على

نسخ المساهلة وارضاء العنان

ولانه لو عكس الترتيب

ربساتوهم أن المراد هو

المماثلة في الافتراء والمعنى

فاتوا بعشر سور مماثلة له في

البلاغة مخلفات من عنده

أنفسكم ان صح أني اخترقه

من عندي فانكم أقدروا على

ذلك منى لانكم عرب فصحاء

بلغاء قد مارستم مبادئ ذلك

من الخطب والاشعار وحفظتم

الوقائع والايام وزاوتهم

أساليب النظم والنز (وادعوا)

للاستظهار في المعارضة

(من استطعتم) دعاه

والاستعانة به من أمتكم التي

تزعمن أنها ممددة لكم في كل

مانأتون وما تدرن والكهنة

ومدارهم الذين تلجئون الى

آرائهم في الملمات ليسعدوكم

فيها (من دون الله) متعلق

بادعوا أى متجاوزين الله تعالى

(ان كنتم صادقين) في أنى

الاصول ان القول بنى الشريك عن الله من المسائل التي يمكن اثباتها بقول الرسول عليه السلام وعلى هذا فكانه قيل لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الرسالة ثم انه كان يخبر عن أنه لا اله الا الله فلما ثبت كونه محققا في دعوى النبوة ثبت قوله أن لا اله الا اله (الثالث) ان ذكر قوله وان لا اله الا هو جار مجرى التهديد كأنه قيل لما ثبت بهذا الدليل كون محمد عليه السلام صادقا في دعوى الرسالة وعلمت أنه لا اله الا الله فكانوا خائفين من قهره وعذابه واتركوا الاصرار على الكفر واقبلوا الاسلام ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر آية التحدى فان لم تفعلوا وان تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وأما قوله فهل أنتم مسلمون فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه الترغيب في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه الترغيب في أصل الاسلام \* قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) اعلم أن الكفار كانوا ينازعون محمد صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال فكانوا يظهرن من أنفسهم ان محمدا مبطل ونحن محقون وانما بالغ في منازعته لتحقيق الحق وابطال الباطل وكانوا كاذبين فيه بل كان غرضهم محض الحسد والاستكاف من المتابعة فانزل الله تعالى هذه الآية لتقرر هذا المعنى ونظير هذه الآية قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله من كان يريد الآخرة زدناه في حرته ومن كان يريد حرت الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان في الآية قولين (الاول) انها مختصة بالكفار لان قوله من كان يريد الحياة الدنيا يندرج فيه المؤمن والكافر والصدىق والزندىق لان كل أحد يريد التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها الا ان آخر الآية يدل على ان المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر لان قوله تعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون لا يلىق الا بالكفار فصارت تقدير الآية من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط اى تكون ارادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالبا لسعادات الآخرة كان حكمه كذا وكذا ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فيه فمنهم من قال المراد منهم منكر والبعض فانهم ينكرون الآخرة ولا يريدون الا في سعادات الدنيا وهذا قول الاصم وكلامه ظاهر (والقول الثاني) ان الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول عليه السلام الغنائم من دون أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها (والقول الثالث) ان المراد اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس (والقول الرابع) وهو الذى اختاره القاضى ان المراد من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها وعمل الخير قسمان العبادات وايصال المذممة الى

افتريته فان ذلك يستلزم امكان \* ٩ \* خا الاتيان بمثله وهو أيضا يستلزم قدر تكلم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور (فان لم يستجيبوا لكم) أى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة اعناه الى أنه عليه الصلاة والسلام على كالأ من من أمره كأن أمره لهم بالاتيان بمثله دعاهم الى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتظيم كما في قول من قال

وان عشت حرمت النساء سواء كن اولاد للمؤمنين لانهم اتباع له عليه الصلاة والسلام في الامر بالتصدق وفيه تنبيه لطيف على ان حتمهم ان لا يتفكروا عنه عليه الصلاة والسلام ويناصبوا معه لعارضه المعارضين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك ارتب عليه قوله عز وجل (فاعلموا) اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهاكمهم ﴿٦٦﴾ عليها عملنا يقينا متاخا لعين اليقين بحيث لا مجال

منه لشأبة رب يوجد من الوجوه كان ماعداه من مراتب العالمين بل لا اشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سراير ادكلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة السك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم (انما انزل) ملتبسا (بعلم الله) المخصوص به بحيث لا يعوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والخبصار بالعب (وان لا اله الا هو) اي واعلموا ايضا ان لاسريك له في الالهية واحكامها ولا يقدر على ما يغدر عليه احد (فهل اتم مسلمون) اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخل تحت الامر بالتعدي والضمير في لم يستجيبوا لمن

الحيوان ويدخل في هذا القسم الثاني البروصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر وتسوية للطرق والسعي في دفع الشرور واجراء الانهار فهذه الاشياء اذا اتى بها الكافر لاجل اثناء في الدنيا فان بسببها تصل الخيرات والمنافع الى المحتاجين فكلها تكون من اعمال الخير فلا جرم هذه الاعمال تكون طاعات سواء صدرت من الكافر او المسلم واما العبادات فهي انما تكون طاعات بنيات مخصوصة فاذا لم يوثق بتلك النية وانما اتى فاعلمها على طلب زينة الدنيا وتحصيل الرزاق والسعة فيها صار وجودها كعدمها فلا تكون من باب الطاعات واذا عرفت هذا فتقول قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها المراد منه الطاعات التي يصح صدورها من الكافر (القول الثاني) وهو ان تجرى الآية على ظاهرها في العموم وتقول انه يندرج فيه المؤمن الذي ياتي بالطاعات على سبيل الرزاق والسعة ويندرج فيه الكافر الذي هذا صفة وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يلقى بل هو من الا اذا قلنا المراد اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار بسبب هذه الافعال الفاسدة والافعال الباطلة المقرونة بالرياء ثم القائلون بهذا القول ذكروا اخبارا كثيرة في هذا الباب روى ان الرسول عليه السلام قال تعوذوا بالله من جب الحزن قيل لا يجب الحزن قال عليه الصلاة والسلام واد في جهنم يلقى فيه القراء المراءون وقال عليه الصلاة والسلام اشهد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا او يروى عنه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة يدعى برجل جمع القرآن فيضال له ما عملت فيه فيقول يا ربقت به انا الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان قارى وقد قيل ذلك ويوثق بصعب المال فيقول الله تعالى ألم اوسع عليك فاذا عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدق فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويوثق بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جري وقد قيل ذلك فالأبو هريرة رضي الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا باهريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعير بهم النار يوم القيامة وروى ان اباهريرة رضى الله عنه ذكر هذا الحديث عند معاوية قال الراوى فبكي حتى ظننا انه هالك ثم افاق وقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها (المسئلة الثانية) المراد من توفية اجور تلك الاعمال هو ان كل ما يستحقون بها من الثواب فانه يصل اليهم حال كونهم في دار الدنيا فاذا خرجوا من الدنيا لم يبق معهم من تلك الاعمال اثر من آثار الخيرات بل ليس لهم منها الا النار واعلم ان العقل يدل عليه قطعا وذلك لان من اتى بالاعمال لاجل طلب اثناء في الدنيا ولاجل الرزاق فذلك لاجل انه قلب على قلبه حب الدنيا ولم يحصل في قلبه حب الآخرة اذ لو عرف حقيقة الآخرة وما فيها من

استطعت اي فان لم تستطع لكم آلهتمك وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملساتكم الى السعادات المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من حائق القوى والقدرة فايراد كلمة الشك حيث ندم الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتمك بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم



واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطرتهم الى ذلك وضافت عليكم الخيل وعيت  
بكم اللعل او من حيث ان من يستمدون بهم أقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك  
قبل ظهور عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهر وأوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمنزل عن رتبة الشركة في الاوهية وأحكامها  
فهل أتم داخلون في الاسلام اقل يبق بعد شأبة ٦٧ شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك

فيدخل فيه الاذعان ليكون  
القرآن من عند الله تعالى  
دخولا اوليا أو متفادون  
للحق الذي هو كون القرآن  
من عند الله تعالى وتاركون  
لما كنتم فيه من المكابرة والعناد  
وفي هذا الاستفهام ايجاب  
بليغ لما فيه من معنى الطلب  
والتنبيه على قيام الموجب  
وزوال العذر واقناط من أن  
يجيرهم آلهتهم من بأس الله  
عز سلطانه هذا والاول أنسب  
لما سلف من قوله تعالى  
وضائق به صدرك ولما سيأتي  
من قوله تعالى فلا تك في  
مرية منه وأشد ارتباطا بما  
يعقبه كما ستحيط به خيرا (من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها)  
اي ما زينتها ويحسنها من الصحة  
والامن والسعة في الرزق  
وكثرة الاولاد والرياسة وغير  
ذلك والمراد بالارادة ما يحصل  
عند مباشرة الاعمال لا مجرد  
الارادة القلبية لقوله تعالى  
(نوف اليهم أعمالهم فيها)  
وادخال كان عليها للدلالة  
على استمرارها منهم بحيث  
لا يكادون يريدون الآخرة  
أصلا وليس المراد بأعمالهم  
أعمال كلهم فانه لا يجدر كل

السعادات لامتع أن يأتي بالخيرات لاجل الدنيا وينسى أمر الآخرة فثبت ان الآتي  
أعمال البر لاجل الدنيا لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في الدنيا عديم الطلب للآخرة ومن  
كان كذلك فاذا مات فانه يفوته جميع منافع الدنيا ويبقى عاجزا عن وجدانها غير قادر على  
تحصيلها ومن أحب شيئا ثم حيل بينه وبين المطلوب فانه لا بد وأن تشتعل في قلبه نيران  
الحسرات فثبت بهذا البرهان العقلي أن كل من أتى بعمل من الاعمال لطلب الاحوال  
الدنيوية فانه يجرد تلك المنفعة الدنيوية اللائقة بذلك العمل ثم اذا مات فانه لا يحصل له  
منه الا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطا باطلا عديم الاثر لقوله تعالى  
(أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اما مورا وجه أولئك  
يؤمنون به من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك في مرية منه انه الحق من ربك  
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر والتقدير أفمن كان  
على بينة من ربه من يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار الا انه حذف  
الجواب لظهوره ومثله في القرآن كثير لقوله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان  
الله يضل من يشاء وقوله آمن هو قانت آباء الليل ساجدا وقائما وقوله قل هل يستوي  
الذين يعلمون والذين لا يعلمون واعلم ان اول هذه آياته مشتعل على ألفاظ أربعة كل  
واحد منها مجمل (فالاول) ان هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه من هو  
(والثاني) انه ما المراد بهذه البينة (والثالث) المراد بقوله يتلوه القرآن أو كونه حاصلا  
عقيب غيره (والرابع) ان هذا شاهد ما هو فلهذه الالفاظ الاربعة مجمل فلهذا كثرت  
اختلاف المفسرين في هذه الآية (أما الاول) وهو أن هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه  
على بينة من ربه من هو فقيل به النبي عليه الصلاة والسلام وقيل المراد به من آمن  
من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره وهو الاظهر لقوله تعالى في آخر الآية أولئك  
يؤمنون به وهذا صيغة جمع فلا يجوز رجوعه الى محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالبينة  
هو البيان والبرهان الذي عرف به صحة الدين الحق والضمير في يتلوه يرجع الى معنى البينة  
وهو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو القرآن ومنه اي من الله ومن قبله كتاب موسى  
اي ويتلوه ذلك البرهان من قبل مجيء القرآن كتاب موسى واعلم ان كون كتاب موسى  
تابعا للقرآن ليس في الوجود بل في دلالة على هذا المطلوب واما ما نصب على الحال  
فالخاصل أنه يقول اجتمع في تقرير صحة هذا الدين أمور ثلاثة (أولها) دلالة البينات  
العقلية على صحته (وثانيها) شهادة القرآن بصحته (وثالثها) شهادة التوراة بصحته  
فعند اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحته شك ولا ارتياب فهذا القول أحسن الاقوال بل  
في هذه الآية وأقربها الى مطابقة اللفظ وفيها أقوال آخر (فالقول الاول) ان الذي  
وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه هو محمد عليه السلام والبينة هو القرآن والمراد  
بقوله يتلوه هو التلاوة بمعنى القراءة وعلى هذا التقدير فذا كروا في تفسير الشاهد وجوها

متمن ما يتمناه ولا كل أحد يتال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان  
يريد العاجلة عجزت له فيها ما نشاء لمن يريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجراء والجزاء  
من أعمال البر وقد اطلقت وأريد بها ثمراتها فاعني توصل اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوفى على الاسناد  
الى الله عز وجل وتوفى بالفوقانية على البناء المفعول ورفع أعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف ورفع لكون الشرط ماضيا لقوله

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لإثائب مالي ولا جرم (وهم فيها) أي في الحياة الدنيا (لا يبيضون) أي لا يتقصون وإنما جبر  
 عن ذلك بالتخص الذي هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شأبة حق فيما أتوه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق  
 مع أن أعمالهم يعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء الأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة في نفي  
 النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع ﴿ ٦٨ ﴾ والعسور عن الكريم أصلا والمعنى أنهم فيها

(أحدها) أنه جبريل عليه السلام والمعنى أن جبريل عليه السلام يقرأ القرآن على محمد  
 عليه السلام (وثانيها) أن ذلك الشاهد هو لسان محمد عليه السلام وهو قول الحسن  
 ورواية عن محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنهما قال قلت لابي أنت التالي قال وما معنى  
 التالي قلت قوله وتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ولما كان الإنسان إنما يقرأ القرآن وتلوه بلسانه لا جرم جعل اللسان تابعا على  
 سبيل المجاز كما يقال عين باصرة وأذن سامعة ولسان ناطق (وثالثها) أن المراد هو علي بن  
 أبي طالب رضي الله عنه والمعنى أنه يتلوتك البينة وقوله منه أي هذا الشاهد من محمد  
 وبعض منه والمراد منه تشریف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام (ورابعها)  
 أن لا يكون المراد بقوله وتلوه القرآن بل حصول هذا الشاهد عقيب تلك البينة وعلى  
 هذا الوجه قالوا أن المراد ان صورة النبي عليه السلام ووجهه ومخاليه كل ذلك يشهد  
 بصدقه لأن من نظر إليه بعقله علم أنه ليس بمجنون ولا كاهن ولا ساحر ولا كذاب والمراد  
 بكون هذا الشاهد منه كون هذه الأحوال متعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم (القول  
 الثاني) أن الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من المؤمنين وهم أصحاب النبي صلى الله  
 عليه وسلم والمراد بالبينة القرآن وتلوه أي وتلوا الكتاب الذي هو الحجية بمعنى ويعقبه  
 شاهد من الله تعالى وعلى هذا القول اختلفوا في ذلك الشاهد فقال بعضهم أنه محمد عليه  
 السلام وقال آخرون بل ذلك الشاهد هو كون القرآن واقعا على وجه يعرف كل من نظر  
 فيه أنه معجزة وذلك الوجه هو استماله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة وكونه  
 بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثله وقوله شاهد منه أي من تلك البينة لأن أحوال  
 القرآن وصفاته من القرآت متعلقة به (وثالثها) قال الفراء وتلوه شاهد منه يعني  
 الانجيل يتلوا القرآن وان كان قد أنزل قبله والمعنى أنه يتلوه في التصديق وقرره أنه تعالى  
 ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل وأمر بالايان به واعلم أن هذين القولين وان كانا  
 محتملين لأن القول الاول أقوى وأتم واعلم أنه تعالى وصف كتاب موسى عليه السلام  
 بكونه اماما ورحمة ومعنى كونه اماما أنه كان مقتدى العالمين وامامهم يرجعون اليه  
 في معرفة الدين والشرائع وأما كونه رحمة فلأنه يهدي الى الحق في الدنيا والدين وذلك  
 سبب لحصول الرحمة والثواب فلما كان سببا للرحمة أطلق اسم الرحمة عليه اطلاقا لاسم  
 المسبب على السبب ثم قال تعالى أولئك يؤمنون به والمعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على  
 بينة من ربهم في صحة هذا الدين يؤمنون واعلم أن المطالب على قسمين منها ما يعلم صحتها  
 بالبيدته ومنها ما يحتاج في تحصيل العلم بها الى طلب واجتهاد وهذا القسم الثاني على  
 قسمين لأن طريق تحصيل المعارف اما بالحجة والبرهان المستنبط بالعقل واما الاستعادة من  
 الوحي والالهام فهذان الطريقان هما الطريقان اللذان يمكن الرجوع اليهما في تعريف  
 المجهولات فاذا اجتمعا واعتضد كل واحد منهما بالآخر بلغا الغاية في القوة والثبوت

خاصة لا يتقصون ثمرات  
 أعمالهم وأجورها نقصا  
 كليا مطرد ولا يجبر مؤنها  
 حرمانا كليا وأما في الآخرة  
 فهم في الحرمان المطلق  
 والياس المحقق كما يخطق به  
 قوله تعالى (أولئك) الخ  
 فانه اشارة الى المذكورين  
 باعتبار ارادتهم الحياة  
 الدنيا أو باعتبار توفيتهم  
 أجورهم من غير نجس  
 أو باعتبار هماما وما فيه من  
 معنى البعد لا يذان بعد  
 منزلتهم في سوء الحال أي  
 أولئك المريدون للحياة  
 الدنيا ويزيدونها الموفون فيها  
 ثمرات أعمالهم من غير نجس  
 (الدين ليس لهم في الآخرة  
 الا النار) لان همهم كانت  
 مصروفة الى الدنيا وأعمالهم  
 مقصورة على تحصيلها وقد  
 اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا  
 يريدون بها شيئا آخر فلا جرم  
 لم يكن لهم في الآخرة الا النار  
 وعذابها المخلد (وحطما  
 صنعوا فيها) أي ظهر في الآخرة  
 حبوط ما صنعوه من الاعمال  
 التي كانت تؤدي الى الثواب  
 لو كانت معمولة للآخرة  
 أو حبط ما صنعوه في الدنيا  
 من أعمال البراذ شرط الاعتداد

بها الاخلاص (وباطل) أي في نفسه (مأ كانوا يعملون) في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل أن ﴿ ثم ﴾  
 الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وأن عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط  
 علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل النبي عن الحدوث وبالتالي البطلان المفصح عن كونه بحيث  
 لا يطائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازماله ثابتا فيه وفي زيادة

كان في الثاني ذون الاول ايماء الى ان صدور أعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدينية وقرى و بطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من الخطوط الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرى وباطلا ما كانوا يعملون على أن ما بهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام \* ٦٩ \* وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ

اليهود والنصارى ان أعطوا سائلا أو وصلوا رجاء عجل لهم جزء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الفئام وأنت خير بأن ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارى فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل أعمال البر لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب أعمالهم الربانية الا ذلك والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فانه عز وجل لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزدادوا عملوا بيقينا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على سئ أصلا ويجههم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون

ثم ان في انبياء الله تعالى كثرة فاذا تواقفت كلمات الاتيياء على صحته وكان البرهان اليقيني قائما على صحته فهذه المرتبة قد بلغت في القوة الى حيث لا يمكن الزيادة عليها فقوله أفن كان على بينة من ربه المراد بالبينة الدلائل العقلية اليقينية وقوله و يتلوه شاهد منه اشارة الى الوحي الذي حصل لمحمد عليه السلام وقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اشارة الى الوحي الذي حصل لموسى عليه السلام وعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والظهور والجلال الى حيث لا يمكن الزيادة عليه ثم قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده والمراد من الاحزاب أصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود والنصارى والمجوس روى سعيد بن جبير عن أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقال بعضهم لما دلت الآية على أن من يكفر به فالنار موعده دلت على أن من لا يكفر به لم تكن النار موعده ثم قال تعالى فلاتك في مريم منته انه الحق من ربك وفيه قولان (الاول) فلاتك في مريم من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله تعالى فكان متعلقا بما تقدم من قوله تعالى أم يقولون افتراء (الثاني) فلاتك في مريم من ان موعده الكفار النار وقرى مريم بضم الميم ثم قال ولكن أكثر الناس لا يؤمنون والتقدير لما ظهر الحق ظهورا في الغاية فكان أنت متابعا له ولا تبال بالجهل سواء آمنوا أو لم يؤمنوا والا قرب أن يكون المراد لا يؤمنون بما تقدم ذكره من وصف القرآن \* قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاسهاد هو هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله و ينفونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) اعلم أن الكفار كانت لهم عادات كثيرة وطرق مختلفة فهاشدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم في محصلها وقد أبطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزنتها الى آخر الآية ومنها انهم كانوا ينكرون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم و يقدحون في معجزاته وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله أفن كان على بينة من ربه ومنها انهم كانوا يزعمون في الاصنام أنها شفعاءهم عند الله وقد أبطل الله تعالى ذلك بهذه الآية وذلك لان هذا الكلام افتراء على الله تعالى فلما بين وعيد المفترين على الله فقد دخل فيه هذا الكلام واعلم أن قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا انما يورد في معرض المبالغة وفيه دلالة على ان الافتراء على الله تعالى أعظم أنواع الظلم ثم انه تعالى بين وعيد هؤلاء بقوله أولئك يعرضون على ربهم وما وصفهم بذلك لانهم مختصون بذلك العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال وعرضوا على ربك صفا وانما أراد به أنهم يعرضون فيبغضونهم بأن يقولوا الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فحصل لهم من الخزي والنكال

من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤنهم الموهمة لكونهم على شيء في الجلة من نيلهم الخطوط العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية و بيان أن ذلك يعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل (أفن كان على بينة من ربه) أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حبة ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو

القرآن وباختباره أو بتأويل البرهان ذكر الضمير راجع اليها في قوله تعالى (ويتلوه) أي يتبعه (شاهد) يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز في نظم المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الأخبار بالغيب وكلاهما وصفت تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله ﴿ ٧٠ ﴾ بشهادة الإعجاز (منه) أي من القرآن غير خارج عنه

أو من جهة الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التفسير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضا من الشواهد التابعة للقرآن الوارد من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا فهل أتم دخولا أوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالبينه دليل العقل والشاهد القرآن فالضمير في منه لله تعالى أو البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظ الأولى هو الأول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى بحيث لا يفارق في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينه باقية على وجه

الأمز يد عليه وفيه سوالات (السؤال الأول) إذا لم يجوز أن يكون الله تعالى في مكان فكيف قال يعرضون على ربهم (والجواب) أنهم يعرضون على الأماكن المعدة للحساب والسؤال ويجوز أيضا أن يكون ذلك عرضا على من ساء الله من الخلق بأمر الله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين (السؤال الثاني) من الشهادات الذين أضيف اليهم هذا القول (الجواب) قال مجاهد الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال قتادة ومقاتل الشهادات الناس كما يقال على رؤس الشهادات يعني على رؤس الناس وقال الآخرون هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فلنستلن الذين أرسل اليهم ولنستلن المرسلين والفائدة في اعتبار قول الشهادات المبالغة في اظهار الفضيحة (السؤال الثالث) الشهادات جمع فواحدة والجواب يجوز أن يكون جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب وناصر وأنصار ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل شريف وأشرف قال أبو علي الفارسي وهذا كأنه أرجح لان ما جاء من ذلك في التنزيل جاء على فعيل كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وحتنا بك على هؤلاء شهيدا ثم لما أخبر عن حالهم في عذاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال فقال ألعنة الله على الظالمين و بين أنهم في الحال للمعونون من عند الله ثم ذكر من صفاتهم أنهم يصدون عن سبيل الله ويعفونها عوجا يعني أنهم كما ظلموا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضفوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات وتعمييج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي يبغى عوجا وإنما يقال ذلك فيمن يعرف كيفية الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم قال وهم بالآخرة هم كافرون قال الزجاج كلمة هم كررت على جهة التوكيد لنباتهم في الكفر \* قوله عز وجل ( أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء بضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون ) اعلم أن الله تعالى وصف هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض الذم (الصفة الأولى) كونهم مفترين على الله وهي قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (والصفة الثانية) أنهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والحزى والنكال وهي قوله أولئك يعرضون على ربهم (والصفة الثالثة) حصول الحزى والنكال والفضيحة العظيمة وهي قوله ويقولون الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم (والصفة الرابعة) كونهم ملعونين من عند الله وهي قوله ألعنة الله على الظالمين (والصفة الخامسة) كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق وهي قوله الذين يصدون عن سبيل الله (الصفة السادسة) سعيهم في القاء الشبهات وتعمييج الدلائل المستقيمة وهي قوله ويبغونها عوجا (الصفة السابعة) كونهم كافرين وهي قوله وهم بالآخرة هم كافرون (الصفة الثامنة) كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله وهي

الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله ﴿ قوله ﴾ عزقأثلا (ومن قبله كتاب موسى) على فاعله مع كونه مقدا عليه في النزول فكأنه قيل أفن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازملا غير مفارق عنه وعرفاته في وصف التلو والتكبير في بينة وشاهد للتفخيم

(اماما) ابي مؤتمنا به في الدين ومقتدى وفي العرض لهذا الوصف بصدور بيان تلوان الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان التلو (ورحة) اي نعمة عظيمة على من أنزل اليهم وهم بعدهم الى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء ٧١ الذين من غير عشر على دقائق الحقائق وصفهم بانهم (يؤمنون به)

اي يصدقون حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيقته (ومن يكفر به) اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة (من الاحزاب) من أهل مكة ومن محزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها الاحمال حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشار بالآلة فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب (فلا تك في مرتبة منه) اي في سك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غيبا شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به (انه الحق من ربك) الذي يريك في دينك ودنياك (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك اما تصور أنظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فن في قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره أفن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين صبرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتاً عظيماً بحيث لا يكاد

قوله أولئك لم يكونوا معجزين في الارض قال الواحدى معنى الاعجاز المنعم من تحصيل المراد يقال أعجزنى فلان أى منعى عن مرادى ومعنى معجزين في الارض أى لا يمكنهم أن يهربوا من عذابنا فان هرب العبد من عذاب الله محال لانه سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالبعد والقرب والقوة والضعف (الصفة التاسعة) انهم ليس لهم أولياء يدفعون عذاب الله عنهم والمراد منه الرد عليهم في وصفهم الاصنام بأنها شفعاء لهم عند الله والمقصود ان قوله أولئك لم يكونوا معجزين في الارض دل على انهم لا قدرة لهم على الفرار وقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء هو أن أحدا لا يقدر على تخليصهم من ذلك العذاب فجمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة ثم اختلفوا فقال قوم المراد ان عدم نزول العذاب ليس لاجل انهم قدروا على منع الله من انزال العذاب ولا لاجل ان لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب عنهم بل انما حصل ذلك الامهال لانه تعالى امهلهم كي يتوبوا فيزولوا عن كفرهم فاذا أبوا الا التيبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب في الآخرة وقال بعضهم بل المراد لم يكونوا معجزين في عمار يد انزاله عليهم من العذاب في الآخرة وفي الدنيا ولا يجنون ولا ينصرون ويدفع ذلك عنهم (والصفة العاشرة) قوله تعالى يضاعف لهم العذاب قيل سبب تضعيف العذاب في حقهم أنهم كفروا بالله وبالبعث والنشور فكفرهم بالبدا والمعاد صار سببا لتضعيف العذاب والاصوب أن يقال انهم مع ضلالهم الشديد سعوا في الاضلال ومنع الناس عن الدين الحق فلهذا المعنى حصل هذا التضعيف عليهم (الصفة الحادية عشرة) قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون والمراد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلب وعمى النفس واحتجب أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى قد يخلق في المكلف ما يمنعه الايمان روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال انه تعالى منع الكافر من الايمان في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا ففي قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فهو وقوله يدعون الى السجود فلا يستطيعون وحاصل الكلام في هذا الاستدلال انه تعالى أخبر عنهم انهم لا يستطيعون السمع فاما أن يكون المراد انهم ما كانوا يستطيعون سماع الاصوات والحروف واما أن يكون المراد كونهم عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى والقول الاول باطل لان البداهة دلت على انهم كانوا يسمعون الاصوات والحروف فوجب حمل اللفظ على الثاني اجاب الجبائى عنه بان السمع اما أن يكون عبارة عن الحاسة الخصوصية أو عن معنى بخلقه الله تعالى في صمخ الاذن وكلاهما لا يقدر العبد عليه لانه لو اجتهد في أن يفعل ذلك أو يتركه لتقدر عليه واذا ثبت هذا كان اثبات الاستماع فيه محالاً واذا كان اثباتها محالاً كان نفي الاستماع عنه هو الحق فثبت ان ظاهر الآية لا يقدح في قولنا ثم قال المراد بقوله ما كانوا يستطيعون السمع اهمالهم له

بترامى نارهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هنتهم كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل كما قوله تعالى أفأخذتم من دونه أولياء أى أبعد أن علموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء

قوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بان نسب اليه ما لا يليق به  
 قولهم للملائكة يا ربنا انزل علينا كتابا نقرأ قالوا سنعلم كلامك ومن اتى الله بحكمتنا وسعة من نعمنا وما كنا غافلين  
 تعالى مفترون عليه كذبا وهذا الترتيب وان كان سبكه على انكار أن يكون أحدا ظلم منهم غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن  
 المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة \* ٧٣ \* أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبي عنده ما سئلتني من قوله

ونفورهم عنه كما يقول القائل هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يحجه سمعي وذكر  
 غير الجبائي عذرا آخر فقال انه تعالى نفي أن يكون لهم أولياء مراد الاصنام ثم بين نفي  
 كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون  
 للولاية والجواب أما حل الآية على أنه لا قدرة لهم على خلق الحاسة وعلى خلق المعنى فيها  
 فباطل لان هذه الآية وردت في معرض الوعيد فلا بد وأن يكون ذلك معنى مختصا بهم  
 والمعنى الذي قالوه حاصل في الملائكة والانبيا فكيف يمكن حمل اللفظ عليه وأما قوله  
 ان ذلك محمول على أنهم كانوا يستقلون سماع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وابصار  
 صورته فالجواب انه تعالى نفي الاستطاعة فهم على معنى آخر خلاف الظاهر وأيضا ان  
 حصول ذلك الاستقلال اما أن يمنع من التفهم والوصول الى الغرض أولم يمنع فان منع  
 فهو المقصود وان لم يمنع منه فيحتمل ان ذلك سببا اجنبيا عن المعاني المعتبرة في لفهم  
 والادراك ولا تختلف أحوال التطبيق في العلم والمعرفة بسببه فكيف يمكن جعله ذمالمهم  
 في هذا المعرض وأيضا قد بينا مرارا كثيرة في هذا الكتاب أن حصول الفعل مع قيام  
 الصارف محال فلما بين تعالى كون هذا المعنى صارفا عن قبول الدين الحق وبين فيه انه  
 حصل حصولا على سبيل الزوم بحيث لا يزول البتة في ذلك الوقت كان المكلف في ذلك  
 الوقت ممنوعا عن الايمان وحينئذ يحصل المطلوب وأما قوله فانما يجعل هذه الصفة من صفة  
 الاوثان فبعيد لانه تعالى قال بضاعف لهم العذاب ثم قال ما كانوا يستطيعون السمع  
 فوجب أن يكون الضمير في هذه الآية المتأخرة تأييدا الى عين ما عاين اليه الضمير المذكور  
 في هذه الآية الاولى وأما قوله وما كانوا يبصرون فقيل المراد منه البصيرة وقيل المراد منه  
 أنهم عدلوا عن ابصار ما يكون حجة لهم (الصفة الثانية عشرة) قوله أولئك الذين خسروا  
 أنفسهم ومعناه أنهم اشتروا عبادة الألهة بعبادة الله تعالى فكان هذا الخسران أعظم  
 وجوه الخسران (الصفة الثالثة عشرة) قوله وفضل عنهم ما كانوا يفتنون والمعنى أنهم  
 لما باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا لانهم أعطوا الشر يف ورضوا بما أخذوا الحسب وهذا  
 عين الخسران في الدنيا ثم في الآخرة فهنا الخسب يضيع ويهلك ولا يبقى منه أثر وهو  
 المراد بقوله وفضل عنهم ما كانوا يفتنون (الصفة الرابعة عشرة) قوله لا جرم أنهم في الآخرة  
 هم الاخسر ون وتقريره ما تقدم وهو انه لما أعطى الشر يف الرقيق ورضى بالحسب  
 الوضع فقد خسر في التجارة ثم لما كان هذا الحسب بحيث لا يبقى بل لا بد وأن يهلك  
 وبقي انقلب تلك التجارة الى النهاية في صفة الخسارة فلماذا قال لا جرم أنهم في الآخرة  
 هم الاخسر ون وقوله لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثرت استعمالها حتى  
 صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم انك محسن على معنى حقا انك محسن وأما الخويون  
 فلهم فبد وجوه (الاول) لا حرف نفي وجره نفي قطيع فاذا قلنا لا جرم معناه انه لا قطع قاطع  
 عنهم أنهم في الآخرة هم الاخسر ون (الثاني) قال الزجاج ان كلمة لا نفي لما ظنوا انه

عز وجل لا جرم أنهم في  
 الآخرة هم الاخسر ون  
 قيل من أكرم من الأن أول  
 أفضل منه فالمراد منه حتما  
 أنه أكرم من كل كريم وأفضل  
 من كل فاضل (أولئك)  
 الموصوفون بالظلم البالغ الذي  
 هو الافتراء على الله تعالى  
 وبهذه الاشارة حصلت الغنية  
 عن اسناد العرض الى أعمالهم  
 واكتفى باسناد اليهم حيث قيل  
 (يعرضون) لان عرضهم  
 من تلك الحثية وبذلك العنوان  
 عرض لأعمالهم على وجه  
 أبلغ فان عرض العامل بعمله  
 أقطع من عرض عمله مع  
 غيبته (على ربهم) الحق  
 وفيه إيمان الى بطلان رأيهم  
 في اتخاذهم آربا من دون الله  
 عز وجل (وبقول الشهداء)  
 عند العرض من الملائكة  
 النبيين أو من جوارحهم وهو  
 جمع شاهد أو شهيد كما صحاح  
 وأشرف (هؤلاء الذين كذبوا  
 على ربهم) بالافتراء عليه  
 كأن ذلك أمر واضح غني  
 عن الشهادة بوقوعه وانما  
 المحتاج الى الشهادة تعيين من  
 صدر عنه ذلك فلذلك لا

يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالشهاد الحضار وهم جميع أهل الموقف على ما قاله \* يتفهمهم \*  
 قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذمالمهم بذلك لاشهادهم عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقولون دون  
 ويشهد الخ وتوطئة ما اعنيه من قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على  
 ما نوجه الاول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحقق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك

من الخزي على رؤس الاشهاد (الذين يصدون) لى كل من يقدرون على صدّه او يفعلون الصد (عن سبيل الله) عن ذنبه التمزؤ  
(ويغفونها عوجا) انحرافا أي يصفونها بغيره أو يغفون أهلها أن ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا أو شرأى  
طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالله من عند الله (وهم بالآخرة هم كافرون) أي يصفونها بالعوج والحال أنهم  
كافرون بها لانهم يؤمنون بهم في الدنيا من لها \* ٧٣ \* سيلا سوا ييهدون اناس اليه وتكرر الضمير لتأكيد كفرهم

واختصاصهم به كان كفر  
غيرهم ليس بشئ عند كفرهم  
(أولئك) مع ما وصف  
من أحوالهم الموجبة للتدمير  
(لم يكونوا معجزين) الله تعالى  
مقتلين بأنفسهم من أخذه  
لو أراد ذلك (في الارض) مع  
سعتها وان هربوا منها كل  
مهرب (وما كان لهم من دون  
الله من أولياء) ينصر ونهم  
من بأسه ولكن أخذ ذلك الحكمة  
تقتضيه والجمع اما باعتبار أفراد  
الكفرة كأنه قيل وما كان لاحد  
منهم من ولي أو باعتبار تعدد  
ما كانوا يدعون من دون الله  
تعالى فيكون ذلك يانا الحال  
آلهتهم من سقوطها عن زينة  
الولاية (يضاعف لهم  
العذاب) استئناف يتضمن  
حكمة تأخير المؤاخذة وقرا  
ابن كثير وابن عامر ويعقوب  
بالتشديد (ما كانوا يستطيعون  
السمع) لفرط تصامهم عن  
الحق وبعضهم له كآتهم  
لا يقدرون على السمع ولما كان  
قبح حالهم في عدم ادعائهم  
للقرآن الذي طريق تلقيه  
السمع أشد منه في عدم قبولهم  
لسائر الآيات المنوطة بالبصار  
بالغ في نفي الاول عنهم حيث

ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم  
الحسرة في الدنيا والآخرة وذكرنا جرم بمعنى كسب في تفسير قوله تعالى لا يجرم منكم شئ ان  
قوم قال الازهرى وهذا من احسن ما قيل في هذا الباب (الثالث) قال سيبويه والاختش  
لارد على أهل الكفر كما ذكرنا جرم معناه حق وصحح والتأويل انه حق كفرهم وقوع  
العذاب والحسرة بهم واخرج سيبويه بقول الشاعر  
ولقد طعنت بأبعينة طعنة \* جرمت فزارة بعدها ان يعضبوا

أراد حقت الطعنة فزارة أن يعضبوا \* قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
وأخستوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) اعلم انه تعالى لما ذكر عقوبة  
الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر أحوال المؤمنين والاختبات هو الخشوع والخضوع  
وهو مأخوذ من الخت وهو الارض المطشنة وخبث ذكره أي خفي فقوله أخبت أي  
دخل في الخبت كما يقال فبين صار الى نجد أجد والى تهامة أتهم ومنه الخبت من الناس  
الذي أخبت الى ربه أي اطمان اليه ولفظ الاختبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلنا أخبت  
فلان الى كذا فعناه اطمان اليه واذا قلنا أخبت له فعناه خشع له اذا عرفت هذا فتقول  
قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع الاعمال الصالحة وقوله وأخبتوا  
اشارة الى ان هذه الاعمال لا تنفع في الآخرة الا مع الاحوال القلبية ثم ان فسرنا الاختبات  
بالطمأنينة كان المراد أنهم يعبدون الله وكانت قلوبهم عند أداء العبادات مطشنة بذكر  
الله فارغة عن الالتفات الى ماسوى الله تعالى أو يقال انما قلوبهم صارت مطشنة الى  
صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقاب وأما ان فسرنا الاختبات بالخشوع كان  
معناه أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين من ان يكونوا اتوا بها مع وجود  
الاخلاق والتعصير ثم بين ان من حصل له هذه الصفات الثلاثة فهم اصحاب الجنة ويحصل  
لهم الخلود في الجنة \* قوله تعالى (مثل الغريقين كالاعمى والاصم والبصير والسمع هل  
يستويان مثلا فلا تذكرون) واعلم انه تعالى لما ذكر الغريقين ذكر فيهما مثلا لما يطابقان  
اختلفوا وقيل انه راجع الى من ذكر آخر من المؤمنين والكافرين من قبل وقال آخرون  
يل رجوع الى قوله أفر كان على بينة من ربه ثم ذكر من بعده الكافرين ووصفهم بأنهم  
لا يستطيعون السمع ولا يبصرون والسمع والبصير والاعمى والاصم والبصير والسمع هل  
يستويان واعلم ان وجه التشبيه هو انه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس  
وكان للجسد بصرا وسمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر وكان الجسد اذا  
كان أعمى أصم بقي متخيرا لا يهتدى الى شئ من المصالح بل يكون كاتسائه في حضيض  
الظلمات لا يبصر نوراً يهتدى به ولا يسمع صوتاً فكذلك الجاهل الضال المضل يكون أعمى  
وأصم القلب فيبقى في ظلمات الضلالات حاراً \* قال تعالى أفلا تذكرون منبها على  
انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم واذا كان العلاج يمكن من الضرر الحاصل بسبب

نفي عنهم الاستطاعة واكتفي في الثاني \* ١٠ \* خا بنى الابصار فقال تعالى (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله  
المبسوطة في النفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا  
يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعياعليهم من أول الامر سوء العاقبة (أولئك)  
المنعوتون بما ذكر من القبائح (الذين خسروا أنفسهم) باشتراك عبادة الآلهة

بقيادة الله عز وجل سلطانه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الالهة وشغاعتها وخسرها وما بذلوا ووضاع عنهم ما حصلوا القريب  
 منهم سوى الحسرة والتدامة (لاجرم) فيه ثلاثة اوجه الاول ان لانافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله  
 والمعنى لا يتفهم ذلك الفعل حتى (انهم في الآخرة هم الاخسرون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده  
 مقوله وفعاله ما دل عليه الكلام أى كسب ذلك خسراهم فالعنى ﴿ ٧٤ ﴾ ما حصل من ذلك الاظهار خسراهم

حصول هذا العمى وهذا الصمم وجب على العاقل ان يسعى في ذلك العلاج بقدر الامكان  
 واعلم انه قد جرت العادة بانه تعالى اذا اورد على الكافر انواع الدلائل اتبعها بالقصص  
 ليصير ذكرها موشا كدلائل الدلائل على ما قررنا هذا المعنى في مواضع كثيرة وفي هذه السورة  
 ذكر انواعا من القصص (القصة الاولى) قصة نوح عليه السلام \* قوله تعالى (ولقد ارسلنا  
 نوحا الى قومه انى لكم عيب ان لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم )  
 اعلم انه تعالى قد بدأ بذكر هذه القصة في سورة يونس وقد اداها في هذه السورة ايضا لما فيها  
 من زوائد الفوائد وبادئ الحكم وفيه مستلطان (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمرو  
 والكسائى انى بفتح الهمة والمعنى ارسلنا نوحا بائى لكم نذير مبين ومعناه ارسلناه  
 ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين فلما اتصل به حرف الجر وهو الباء فتح كما  
 فتح في كان واما سائر القراء فقرأوا انى بالكسر على معنى قال انى لكم نذير مبين (المسئلة  
 الثانية) قال بعضهم المراد من النذير كونه مهيدا للعصاة بالعقاب ومن المبين كونه مبينا  
 ما عدا الله للمطيعين من الثواب والاولى ان يكون المعنى انه نذير للعصاة من العقاب وانه  
 مبين بمعنى انه بين ذلك الانذار على الطريق الاكل والبيان الاقوى الاظهر ثم بين تعالى  
 ان ذلك الانذار انما حصل في النهى عن عبادة غير الله وفي الامر بعبادة الله لان قوله  
 ان لاتعبدوا الا الله استثناء من التنى وهو يوجب نفي غير المستثنى واعلم ان تقدير  
 الآية كانه تعالى قال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير  
 مبين ثم قال ان لاتعبدوا الا الله فقوله ان لاتعبدوا الا الله بدل من قوله انى لكم نذير  
 ثم انه أكد ذلك بقوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم والمعنى انه لما حصل الالم العظيم  
 في ذلك اليوم أسند ذلك الالم الى اليوم كقولهم نهارك صائم وليك قائم \* قوله تعالى  
 ( فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم  
 اراذلنا بادي الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) اعلم انه تعالى لما حكي  
 عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى حكي عنهم انهم طعنوا في نبوته  
 بثلاثة انواع من الشبهات (فالشبهة الاولى) انه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين آحاد  
 البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين (والشبهة  
 الثانية) كونه ما يتبعه الأراذل من القوم كالحياكة وأهل الصنائع الخسيسة قالوا  
 ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف منهم ونظيره قوله تعالى في سورة  
 الشعراء انو من لك واتبعك الارذلون (والشبهة الثالثة) قوله تعالى وما نرى لكم علينا من  
 فضل والمعنى لا نرى لكم علينا من فضل لافى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة  
 الجدل فاذا لم نشاهد فضلنا علينا فى شئ من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك  
 علينا فى أشرف الدرجات وأعلى القاب \* هذا خلاصة الكلام فى تقرير هذه الشبهات  
 واعلم ان الشبهة الاولى لاتلىق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق أما

والثالث ان لاجرهم بمعنى لا بد  
 أى لا بد انهم فى الآخرة هم  
 الاخسرون وأيا امكن فعناه  
 انهم أخسر من كل خاسر فبين  
 انهم أظلم من كل ظالم وهذه  
 الايات الكريمة كما ترى مقررة  
 لما سبق من انكار المماثلة بين  
 من كان على بينة من ربه وبين  
 من كان يريد الحياة الدنيا أبلغ  
 تقرير فانهم حيث كانوا أظلم  
 من كل ظالم وأخسر من كل  
 خاسر لم يتصور مماثلة بينهم  
 وبين أحسد من الظلمة  
 الاخسر بن حافظك بالمماثلة  
 بينهم وبين من هو فى أعلى  
 مدارج الكمال ولما ذكر فريق  
 الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم  
 وما لهم شرع فى بيان حال  
 أصدادهم أعنى فريق المؤمنين  
 وما يؤهل اليه أمرهم من  
 العواقب الجيدة تكمله لما سلف  
 من محاسنهم المذكورة فى قوله  
 تعالى أفن كان على بينة من ربه  
 الآية ليتبين ما بينهما من  
 التباين البين حالا وما لا يقبل  
 ( ان الذين آمنوا ) أى بكل  
 ما يجب أن يؤمن به فيندرج  
 تحتهم ما نحن بصدد من الايمان  
 بالقرآن الذى عبر عنه بالكون  
 على بينة من الله وانما يحصل

ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك فى النفس والآفاق أو فعلوا الايمان كما فى يعطى ﴿ الشبهتان ﴾  
 وينع (وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهى الارض  
 المطمئنة ومعنى أخبت دخل فى الخبت كآتهم وأنجد دخل فى تهامة ونجد ( أولئك ) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب  
 الجنة فيها خالدون) دائمون وبعديان تباين جاليتها عقلا أريد بيان تباينها حيا



قبيل (مثل الفريقين) المذكورين في حالهما الغيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعشى والاصم والبصير والسميع) أي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعشى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانساب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع ﴿ ٧٥ ﴾ وبعدم الابصار أن يحمل على تشبيه الفريق الاول بن جمع

بين العمى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بن جمع بين البصر والسميع على أن تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع له لطف الصفة على الصفة كما في قوله من قال \* الى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتبية في المزدحم \* وأياما كان فالظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعبرة في جانب التشبيه من تعامى الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعشى اطهر وأشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبار حسبما فسر به فيما مر فلا يكون

الشبهتان الباقيتان فيمكن أن يتمسك بهما من أقرب نبوة سائر الانبياء وفي لفظ الآية مسائل (المسئلة الاولى) الملائ الاشراف وفي اشتقاقه وجوه (الاول) انهما أخذوا من قولهم ملي يكذا اذا كان مطبقا له وقد ملوا بالامر والسبب في اطلاق هذا اللفظ عليهم انهم ملوا بترتيب المهمات وأحسنوا في تدبيرها (الثاني) أنهم وصفوا بذلك لانهم يتألمون أي يتظاهرون عليه (الثالث) وصفوا بذلك لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس أهبة (الرابع) وصفوا به لانهم ملوا العقول الراجحة والآراء الصائبة ثم حكي الله تعالى عنهم الشبهة الاولى وهي قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وهو مثل ما حكي الله تعالى عن بعض العرب انهم قالوا لولا أنزل عليه ملك وهذا جهل لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدليل والبرهان والتثبت والحجة لا بالصورة والخلق بل نقول ان الله تعالى اوبعث الى البشر ملكا لكانت الشبهة أقوى في الطعن عليه في رسالته لانه يخطر بالبال ان هذه المعجزات التي ظهرت لعل هذا الملك هو الذي أتى بهما من عند نفسه بسبب أن قوته اكل وقدرته أقوى فلهذه الحكمة ما بعث الله الى البشر رسولا الامن البشر ثم حكي الشبهة الثانية وهي قوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي والمراد منه قلة ما لهم وقلة جاههم ودناءة حرفهم وصناعتهم وهذا أيضا جهل لان الرفعة في الدين لا تكون بالحسب والمال والمناصب العالية بل الفقراء هون على الدين من الغنى بل نقول الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة ثم حكي الله تعالى الشبهة الثالثة وهي قوله وما نرى لكم علينا من فضل وهذا أيضا جهل لان الفضيلة المعبرة عند الله ليست الاباعلم والعمل فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا في هذه الفضيلة ثم قالوا بعد ذلك هذه الشبهات لتروح عليه السلام ومن اتبعه بل نظنكم كاذبين وفيه وجهان (الاول) أن يكون هذا خطأ ما مع نوح ومع قومه والمراد منه تكذيب نوح في دعوى الرسالة (الثاني) ان يكون هذا خطأ ما مع الاراذل فتسبوهم الى أنهم كذبوا في أن آمنوا به واتبعوه (المسئلة الثانية) قال الواحدى الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ورجل رذل الثياب والفعل والاراذل جمع الارذل كقولهم أكابر بحر منها وقوله عليه الصلاة والسلام أحاسنكم اخلافا فاعلى هذا الاراذل جمع الجمع وقال بعضهم الاصل فيه أن يقال هو أرذل من كذا ثم كثر حتى قالوا هو الارذل فصارت الالف واللام عوضا عن الاضافة وقوله بادي الرأي البادي هو الظاهر من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه يقال بادية اظهروها وروزها للناظر واختافوا في بادي الرأي وذكر وافية وجوها (الاول) اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه (الثاني) يجوز أن يكون المراد اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي وما احتاطوا في ذلك الرأي وما أعطوه حقه من الفكر الصائب والتدبر الواقي (الثالث) انهم لما وصفوا القوم بالاذلة قالوا كونهم كذلك بادي الرأي امر ظاهر لكل من يراهم والرأي على هذا المعنى من رأى العين لا من رأى القلب

التشبيه تمثيلا لاجب الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في أحدهما ومن النعم المقيم في الاخر فان اعتبار ذلك يترجم الى كون التشبيه تمثيلا بان يتزعج من حال الفريق الاول في تصامهم وتعامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة تشبه بهيئة منترعة من فقد مشعرى البصر والسمع فيخبط في مسلكه فوقع

في مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبا  
 بلخي وفوزهم بدار الخلود هيئة قشبية بهيئة منترعة بمن له بصرو وسمع يستعملهما في مهماته فيهندي الى سبيله وينال  
 خزانة (هل يستويان) يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المائلة في قوله عز وجل  
 أفمن كان على بينة الآية (مثلا) أي حالوصفة وهو تمييز من فاعل ﴿ ٧٦ ﴾ يستويان (أفلا تذكرون) أي أتشكون

في عدم الاستواء وما بينهما  
 من التباين أو تغفلون عنه  
 فلا تذكرونه بالتأمل فيما  
 ضرب لكم من المثل فيكون  
 الانكار واردا على المعطوفين  
 معا أو تسمعون هذا فلا  
 تذكرون فيكون راجعا الى  
 عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب  
 وجوده وهو المثل المضروب  
 كما في قوله تعالى أفان مات  
 أو قتل انقلبتم على أعقابكم  
 فان لقاء هناك لانكار الانقلاب  
 بعد تحقق ما يوجب عدمه  
 من علمهم بخلو الرسل قبل  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أو أفلا تعلمون التذكرة  
 أو أفلا تعلمون ومعنى الهمة  
 انكار عدم التذكرة واستبعاد  
 صدوره عن المخاطبين وأنه  
 ليس مما يصح أن يقع لامن  
 قبيل الانكار في قوله تعالى أفمن  
 كان على بينة من ربي وقوله تعالى  
 هل يستويان فان ذلك لنتي  
 المائلة ونفي الاستواء ولما بين  
 من فاتحة السورة الكريمة  
 الى هذا المقام أنها كتاب  
 محكم الآيات مفصلها نازل  
 في شأن التوحيد وترك عبادة  
 غير الله سبحانه وأن الذي أنزل  
 عليه نذير وبشير من جهته  
 تعالى وقرر في تضاعيف ذلك

ويتأ كدهذا التأويل بمنقل عن مجاهد أنه كان يقرأ الا الذين هم أرادنا بادي رأى العين  
 (المسئلة الثالثة) قرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادي بالهمزة والباقون بالياء غير مهموز  
 فن قرأ بادي بالهمزة فالعنى أول الرأى وابتداؤه ومن قرأ بالياء غير مهموز كان من بادي يديو  
 أي ظهرو بادي نصب على المصدر كقولك ضربت أول الضرب \* قوله تعالى (قال  
 يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزلنا مكموها  
 واتم لها كارهون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما حكى شبهات منكري  
 نبوة نوح عليه الصلاة والسلام حكى بعده ما يكون جوابا عن تلك الشبهات (فالشبهة  
 الاولى) قولهم ما أنت الا نسر مثلنا قتال نوح حصول المساواة في البشر به لا يمنع من  
 حصول المقارفة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الدال على امكانه فقال أرأيتم ان  
 كنت على بينة من ربي من معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز عليه ثم انه  
 تعالى آتاني رحمة من عنده والمراد بتلك الرحمة اما النبوة واما الهجرة الدالة على النبوة  
 فعميت عليكم أي صارت مظنة مشبهة ملتبسة في عقولهم فهل أقدر على أن أجعلكم  
 بحيث تصلون لي معرفتها ثم أم آيتيم والمراد اني لا أقدر على ذلك البتة وعن قتادة والله  
 لو استطاع نبي الله لآزمها ولكنه لم يقدر عليه وحاصل الكلام انهم لما قالوا وما نرى لكم  
 علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ذلك بسبب ان الحجة عميت عليكم واشتبهت فاما  
 لو تركتم العناد واللجاج ونظرت في الدليل لظهر المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم  
 فضلا عظيما (المسئلة الثانية) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت عليكم بضم  
 العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله بمعنى البست وشبهت والباقون بفتح العين مخففة الميم  
 أي التبست واشتبهت واعلم ان الشيء اذا تقي مجهولا محضاً أشبه المعنى لان العلم نور  
 البصيرة الباطنة والابصار نور البصر الظاهر فحسن جعل كل واحد منها محازا عن الآخر  
 وتحقيقه أن البينة توصف بالابصار قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة وكذلك توصف  
 بالعمى قال تعالى فعميت عليهم الانباء وقال في هذه الآية فعميت عليكم (المسئلة الثالثة)  
 أنزلنا مكموها فيه ثلاث مضمرات ضمير المكلم وضمير العائب وضمير المخاطب وأجاز الفراء  
 اسكان الميم الاولى وروى ذلك عن أبي عمر وقال وذلك ان الحركات توالى فسكنت الميم  
 وهي أيضا مرفوعة وقبلها كسرة والحركة التي بعدها ضمة ثقيلة قال الزجاج جمع  
 الحويين البصريين لا يجيزون اسكان حرف الاعراب الا في ضروره الشعر وما يروى عن  
 أبي عمرو فلم يضبطه عنه الفراء وروى عن سيبويه أنه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا  
 هو الحق وانما يجوز الاسكان في الشعر كقول امرئ القيس \* قال يوم أشرب غير مستحقب  
 \* قوله تعالى (ويا قوم لا أسألكم عليه أجر ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارذ الذين  
 آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرفني من الله ان  
 طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك

فاله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة ولا  
 على كونه من عند الله تعالى وتسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم بما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة  
 وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا وأخرى مفتري وثبنته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه  
 على أبلغ وجه وأبدع أسلوب شرع في تحقيق ما ذكره وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

المشتملة على ما شتمت عليه فاتحة السورة الكريمة ليناكد ذلك بطريق أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعة مما أطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني أن ذلك انما عمله رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيقته كلام أصلا ولنسلي بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أممهم ومقاساتهم الشدان من جهتهم فتمتل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحر فة الباء ﴿ ٧٧ ﴾ لا الواو كافي سورة الاعراف اثلا يجتمع واوان ولا يكاد تطلق

هذه اللام الاعم قد لانها مظنة التوقع وأن المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن ادريس عليهما السلام وهو أول نبي بعث بعده \* قال ابن عباس رضی الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين من عمره وبعث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة قيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (انني لكم نذير) بالكسر على ارادة القول أي فقال أوقائلا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالفتح على اخصار حرف الجر أي أرسلناه ملتبساً بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كافتح في كائن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه

ولا أقول الدين زدري أعينكم لن يوتيتهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان هذا هو الجواب عن الشبهة الثانية وهي قولهم لا ينبغي الا الا راذل من الناس وتقرير هذا الجواب من وجوه (الاول) انه عليه الصلاة والسلام قال أنا لأطلب على تبليغ دعوة الرسالة ما لا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وانما أجرى على هذه الطاعة الشاقة على رب العالمين واذا كان الامر كذلك فسواء كانوا فقراء أو أغنياء لم يتفاوت الحال في ذلك (الثاني) كأنه عليه الصلاة والسلام قال لهم انكم لما نظرتم الى ظواهر الامور وجدتموني فقيرا وظنتم اني انما اشتغلت بهذه الحرفة لا توسل بها الى أخذ أموالكم وهذا الظن منكم خطأ فاني لا أسئلكم على تبليغ الرسالة أجزان أجرى الاعلى رب العالمين فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (والوجه الثالث) في تقرير هذا الجواب انهم قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل فهو عليه السلام بين انه تعالى أعطاه أنواعا كثيرة توجب فضله عليهم ولذلك لم يسع في طلب الدنيا وانما يسعى في طلب الدين والاعراض عن الدنيا من أمهات الفضائل يتوافق الكل فلعل المراد تقرير حصول الفضيلة من هذا الوجه فاما قوله وما أنا بطارد الذين آمنوا فهذا كالدليل على ان القوم سألوهم طردهم رفعا لانفسهم عن مشاركة أو تلك الفقراء روى ابن جرير انهم قالوا ان أحببت يانوح أن تبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فقال عليه الصلاة والسلام وما أنا بطارد الذين آمنوا وقوله تعالى حكاية عنهم انهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أرادنا بادي الرأي كالدليل على أنهم طلبوا منه طردهم لانه كالدليل على انهم كانوا يقولون لو اتبعك أشرف القوم لوافقناهم ثم انه تعالى حكى عنه انه ما طردهم وذكر في بيان ما يوجب الامتناع من هذا الطرد أمور (الاول) انهم ملاقوا ربهم وهذا الكلام محتمل وجوها منها انهم قالوا هم مناقفون فيما أطهر وافلا تغتربهم فأجاب بان هذا الامر ينكشف عند لقاء ربهم في الآخرة ومنها انه جعله علة في الامتناع من الطرد وأراد انهم ملاقوا ما وعدهم ربهم فان طردتهم استخصموني في الآخرة ومنها انه نبه بذلك الامر على انما يجتمع في الآخرة فاعاقب على طردهم فلا جد من ينصرني ثم بين أنهم بينون امرهم على الجهل بالعواقب والاعتذار بالظواهر فقال ولكني اراكم قوما تجهلون ثم قال بعده ويقوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلاتذكرون والمعنى ان العقل والشرع تطابقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر التي ومن اهانة الفاجر الكافر فلو قلبت القصة وعكست القضية وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم وطردت المؤمن التي على سبيل الاهانة كنت على ضد امر الله تعالى وعلى عكس حكمه وكنت في هذا الحكم على ضد ما امر الله تعالى من ايصال الثواب الى المحققين والعقاب الى المبطلين وحيث اصبحت مستوجبا للعقاب العظيم فن ذا الذي ينصرني من الله تعالى ومن الذي يخلصني من عذاب

عليه الصلاة والسلام نذير الا لان دعوته عليه الصلاة والسلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله تعالى قلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يفتنوا مغامر ايشاره عليه الصلاة والسلام (مبين) أي بين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور لا مجرد التحذير والازواج بل للتحذير منه في تعلق صفته بكلا وصفيه (ألا تعبدوا الا الله) أي بأن لا تعبدوا على أن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا

والإلهية أي أرسلناه مكتسباً بنهيم نحن الشرك لأنه وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه نذيراً مبيناً ليكون أدخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لتلايفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو نذيراً ومفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من أي لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلق وهو عبادة الله تعالى وقوله ﴿ ٧٨ ﴾ تعالى (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) تعليل

للموجب النهي والمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالأيام على الاستاد المجازي للبالغة كافي نهاره صائم وهذه المقابلة وما في معناها بما قاله عليه الصلاة والسلام في أثناء الدعوة على ما عرى اليد في سائر السور للمتم تصد رعه عليه الصلاة والسلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على مناطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها والقول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام بعد اللتي والتي بالفاء التعقيبية فقيل (فقال الملا الذين كفروا من قومه) أي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا أي مطبق له لانهم ملوا بكهايل الامور ولانهم ملوا القلوب هيبة والمجالس أبهة أولانهم ملوا بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الامر لان بعض اشرافهم ليسوا يكفرة (ما نراك الا بشرنا مثلنا) مرادهم ما أنت الا بشر ﴿ فقراء ﴾ مثلنا ليس فيك من يمتخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأينا لأن ذلك محتمل ولكن لا تراه وكذا الحال في قولهم (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي) فالفعلان من روية العين وقوله تعالى الا بشرنا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال مند اما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من روية القلب

الله افلاتذكرون فتلون ان ذلك لا يصح ثم أكد هذا البيان بوجه ثالث فقال ولا أقول لكم عندي خزائن الله أي كما لا أسألكم فكذلك لا ادعي اني أملك ما لا ولاي غرض في المال لأخذنا ولا دفعا ولا اعلم الغيب حتى أصل به الى ما أريد لنفسى ولا اتبعى ولا أقول اني ملك حتى اتعظم بذلك عليكم بل طر يبق الخضوع والتواضع ومن كان هذا شأنه وطريقه فانه لا يستكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلطين وانما شأنه طلب الدين وسيرته مخالطة الخاضعين والخاصعين فلما كانت طريقي توجب مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيبا على ثم انه أكد هذا البيان بطريق رابع فقال ولا أقول للذين تزدري أعينكم ان يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم وهذا كالدلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق فقال اني لأقول ذلك لانه من باب الغيب والغيب لا يعلم الا الله فربما كان باطنهم كظواهرهم فيؤتيهم الله ملك الآخرة فأكون كاذبا فيما أخبرت به فاني ان فعلت ذلك كنت من الظالمين لنفسى ومن الظالمين لهم في وصفهم بانهم لا خير لهم مع ان الله تعالى آتاهم الخيرة في الآخرة (المسئلة الثانية) احيى قوم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء وقالوا ان الانسان اذا قال أنا لا ادعي كذا وكذا فهذا انما يحسن اذا كان ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل فلما كان قائل هذا القول هو نوح عليه السلام وجب أن يكون درجة الملائكة أعلى وأشرف من درجات الانبياء ثم قالوا وكيف لا يكون الامر كذلك والملائكة داوموا على عبادة الله تعالى طول الدنيا مدخلوا الى أن تقوم الساعة وتمام التقرير أن الفضائل الحقيقية الروحانية ليست الا ثلاثة أشياء (اولها) الاستغناء المطلق وجرت العادة في الدنيا أن من ملك المال الكثير فانه يوصف بكونه غنيا فقوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله اشارة الى أني لا ادعي الاستغناء المطلق (وثانيها) العلم التام والبه الاشارة بقوله ولا اعلم الغيب (وثالثها) القدرة التامة الكاملة وقد تقرر في الخواطر أن اكل المخلوقات في القدرة والقوة هم الملائكة والبه الاشارة بقوله ولا أقول اني ملك والمقصود من ذكر هذه الامور الثلاثة بيان انه ما حصل عندي من هذه المراتب الثلاثة الا ما يليق بالقوة البشرية والعنافة الانسانية فاما الكمال المطلق فاننا لا ادعيه واذا كان الامر كذلك فقد ظهر أن قوله ولا أقول اني ملك يدل على انهم اكل من البشر وايضا يمكن جعل هذا الكلام جوابا عما ذكره من الشبهة فانهم طعنوا في اتباعه بان فقر فقال ولا أقول لكم عندي خزائن الله حتى اجعلهم اغنياء وطعنوا فيهم ايضا بانهم منافقون فقال ولا اعلم الغيب حتى اعرف كيفية باطنهم وانما جرى الاحوال على الطواهر وطعنوا فيهم بانهم قديراتون بافعال لا كما ينبغي فقال ولا أقول اني ملك حتى اكون مبرا عن جميع الدواعي الشهوانية والبواعث النفسانية (المسئلة الثالثة) احيى قوم بهذه الآية على صدور الذنب من الانبياء فقالوا ان هذه الآية دلت على ان طرد المؤمنين اطلب من ضاة الكفار من اصول المعاصي ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم طرد

بذلك من أول الامر لان بعض اشرافهم ليسوا يكفرة (ما نراك الا بشرنا مثلنا) مرادهم ما أنت الا بشر ﴿ فقراء ﴾ مثلنا ليس فيك من يمتخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأينا لأن ذلك محتمل ولكن لا تراه وكذا الحال في قولهم (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي) فالفعلان من روية العين وقوله تعالى الا بشرنا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال مند اما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من روية القلب

وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وعلق الراي في الاول بالثلثية لابل بشرية فحفظ وانما لم يتوا العول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارامة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصرنا على ذكر الظن فيماتى وتعر ايضا من اول الامر برأى المتبعين فكان قولهم وما تراك جواب عما يرد عليهم من أنه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عين دلائل نبوته وانتم ﴿ ٧٩ ﴾ اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا أن هؤلاء أرادنا

أى اخساؤنا وأدانينا جمع  
أرذل فإنه صار بالغلبة جاريا  
مجرى الاسم كالكبير والاكابر  
أوجع أرذل كالكاب وأكلبوا  
كلب يعنون أنه لاعبرة باتباعهم  
لك اذ ليس لهم رزانة عقل  
ولا اصالة راى وقد كان ذلك  
منهم في بادى الراى أى ظاهرة  
من غير تعمق من البدو وفى اوله  
من البدء والياء مبدلة من الهمزة  
لانكسار ما قبلها وقد قرأه  
ابو عمرو وبها وانتصا به  
على الظرفية على حذف المضاف  
أى وقت حدوث بادى الراى  
والعامل فيه اتبعك وانما استر  
ذلوهم مع كونهم أولى الالباب  
الراجعة لقرهم فانهم لمالم يعلموا  
الاطاهر الحياة الدنيا كان  
الاشرف عندهم الاكثر منها  
حظا والارذل من حررها  
ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله  
جناح بعوضه وأن النعم انما هو  
نعيم الاخرة والاشرف من فاز به  
والارذل من حرمه نعوذ بالله  
تعالى من ذلك (وما ترى لكم)  
أى لك ولتبعيك فغلب المخاطب  
على الغائبين (علينا من فضل)  
يعنون ان اتباعهم لك لا يدل  
على نبوتك ولا يجذبهم فضيلة  
تستمتع اتباعنا لكم واقتصارهم

قراء المؤمنين لطلب مرساة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون  
ر بهم بالعداة والعشى يريدون وجهه وذلك يدل على اقدم محمد صلى الله عليه وسلم على  
الذنب والجواب يحمل الطرد المذكور في هذه الآية على الطرد المطلق على سبيل التأييد  
والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم على التقليل في أوقات معينة لرعاية  
المصالح (المسئلة الرابعة) احتج الجبائى على انه لا يجوز الشفاعة عند الله في دفع العقاب  
بقول نوح عليه السلام من ينصرنى من الله ان طردتهم معناه ان كان هذا الطرد محرما  
فمن ذا الذى ينصرنى من الله أى من الذى يخلصنى من عقابه ولو صكانت الشفاعة  
جائزة لكانت في حق نوح عليه السلام أيضا جائزة وحيث يدبطل قوله من ينصرنى من الله  
واعلم ان هذا الاستدلال يشبه استدلالهم في هذه المسئلة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى  
نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون والجواب المذكور هناك هو الجواب عن هذا  
الكلام \* قوله تعالى ( قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت  
من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمحجزين ولا ينفعكم نصيحى ان أردت  
ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ) في الآية مسائل  
( المسئلة الاولى ) اعلم ان الكفار لما أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه السلام عنها  
بالجوابات الموافقة الصحيحة أورد الكفار على نوح كلامين (الاول) أنهم وصفوه بكثرة  
المجادلة فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد  
أكثر في الجدل معهم وذلك الجدل ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا  
يدل على ان الجدل في تقرير الدلائل وفي ازالة الشبهات حرفة الانبياء وعلى ان التقليد  
والجهل والاصرار على الباطل حرفة الكفار (والثاني) أنهم استجلوا العذاب الذى كان  
يتوعدهم به فقالوا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه السلام أجاب عنه  
بجواب صحيح فقال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمحجزين والمعنى أن انزال العذاب  
ليس الى وانما هو خلق الله تعالى في فعله ان شاء كما شاء واذا أراد انزال العذاب فان أحدا  
لا يعجزه أى لا يمنعه منه والمعجز هو الذى يفعل ما عنده تعذر مراد الغير فيوصف بانه أعجزه  
قوله وما أنتم بمحجزين أى لا سبيل لكم الى فعل ما عنده فلا يمنع على الله تعالى ما يشاء من  
العذاب ان أراد انزاله بكم وقد قيل معناه وما أنتم بمانعين وقيل وما أنتم بمصونين وقيل  
وما أنتم بسابقين الى الخلاص وهذه الاقوال متقاربة واعلم ان نوحا عليه السلام لما أجاب  
عن شبهاتهم ختم الكلام بخاتمة فاطمة فقال ولا ينفعكم نصيحى ان أردت ان أنصح لكم أى  
ان كان الله يريد أن يغويكم فانه لا ينفعكم نصيحى البتة واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن  
الله تعالى قدير يد الكفر من العبد وأنه اذا أراد منه ذلك فانه يمتنع صدور الايمان منه  
قالوا ان نوحا عليه السلام قال ولا ينفعكم نصيحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد  
أن يغويكم والتقدير لا ينفعكم نصيحى ان كان الله يريد أن يغويكم ويضلكم وهذا صريح

ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم بذاتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم  
انهم كانوا أرذل قبل اتباعهم لك ولا ترى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا (بل نظنكم كاذبين) جميعا لكون  
كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم  
عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه الصلاة والسلام بطريق الارادة على نهم الانصاف

(قال يا قوم أرايتم) أي أخبروني وفيه إيماء إلى ركائز رأيهم المذكور (ان كنت على بينة) برهان ظاهر (من ربي) وشاهد يشهد بصحة دعواي (وإتاني رحمة من عنده) هي النبوة و يجوز أن تكون هي البينة نفسها حتى بها أيذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه أفراد الضمير في قوله تعالى (فعميت عليكم) حيث شاهد ظاهر وأنار يدها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالأفراد ﴿ ٨٠ ﴾ لإرادة كل واحدة منهما أو لتكون الضمير

البينة والاكتفاء بذلك لا يجزئ  
 خفائها خفاء النبوة والتقدير  
 فعل آخر بعد البينة معني عميت  
 اخفيت وقرئ عميت ومعناه  
 خفيت وحقيقته ان الحجة كما  
 تجعل بصيرة وبصيرة تجعل  
 عياء لان الاعمى لا يهتدي  
 ولا يهتدي غيره وفي قراءة  
 ابي فعمها عليكم على الاسناد  
 الى الله عز وجل (انزلكموها)  
 اي انكرهكم على الاهتداء بها  
 وهو جواب ارايتم وساد مسد  
 جواب الشرط وقرأ أبو عمرو  
 باخفاء حر كة الميم وحيث  
 اجتمع ضميران منصوبان  
 وقد قدم اعر فهمما جاز في الثاني  
 الوصل والفصل فوصل  
 كما في قوله تعالى نسيفكم الله  
 (واتم لها كارهون) لا تختارونها  
 ولا تأملون فيها ومحصول  
 الجواب أخبروني ان كنت  
 على حجة ظاهرة دلالة على صحة  
 دعواي الا انها خافية عليكم غير  
 مسلمة عندكم كما يمكن ان نكرهكم  
 على قبولها واتم معرضون  
 عنها غير متدبرين فيها  
 اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر  
 بصدوره عنه عليه الصلاة  
 والسلام بطريق اظهار اليأس  
 عن الزامهم والقعود عن محاجتهم  
 كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي

في هذا أما المعتزلة فانهم قالوا ظاهر الآية يدل على ان الله تعالى ان أراد اغواء القوم  
 لم ينشأ بتصح الرسول وهذا مسلم فاننا نعرف ان الله تعالى لو أراد اغواء عبدا فانه لا ينفعه  
 نصح اناصحين لكن لم قلت انه تعالى أراد هذا الاغواء فان النزاع ما وقع الا فيه بل نقول ان  
 نوحا عليه السلام انما ذكر هذا الكلام ليبدل على انه تعالى ما اغواهم بل فوض الاختيار  
 اليهم و بيانه من وجهين (الاول) انه عليه السلام بين انه تعالى لو أراد اغواهم لما بقي  
 في النصح فائدة فلو لم يكن فيه فائدة لما أمر به بان ينصح الكفار وأجمع المسلمون على انه عليه  
 السلام ما أمر بدعوة الكفار ونصحتهم فعلنا ان هذا النصح غير خال عن الفائدة واذالم  
 يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما اغواهم فهذا صار حجة لنا من هذا الوجه  
 (الثاني) انه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى اغواهم لصار هذا عذر الهم في عدم اتيانهم  
 بالايان ولصار نوح منقطعاً في مناظرتهم لانهم يقولون له انك سلت ان الله اذا اغوانا فانه  
 لا يبق في نصحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة فاذا ادعيت بأن الله تعالى قد اغوانا فقد  
 جعلتنا معذورين فيم يلزمنا قبول هذه الدعوة فثبت ان الامر لو كان كما قاله الخصم لصار  
 هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام ومعلوم ان نوحا عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاما  
 يصير بسببه مفحماً ملزماً عاجزاً عن تقرير حجة الله تعالى فثبت بذكرنا ان هذه الآية  
 لا تدل على قول المجبرة ثم انهم ذكروا وجوها من اننا ويلات (الاول) أو انك الكفار كانوا  
 مجبرة وكانوا يقولون ان كفرهم بإرادة الله تعالى فعند هذا قال نوح عليه السلام ان نصحه  
 لا ينفعهم ان كان الامر كما قالوا ومثاله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد لا أقدر  
 على غير ما أن عليه فيقول الوالد فلن ينفعك اذا نصحتي ولا زجري وليس المراد انه يصدقه  
 على ما ذكره بل على وجه الانكار لذلك (الثاني) قال الحسن معني يغويكم أي يهديكم  
 والمعنى لا ينفعكم نصحي اليوم ان انزل بكم العذاب فأنتم في ذلك الوقت لان الايمان عند  
 نزول العذاب لا يقبل وانما ينفعكم نصحي اذا آمنتم قبل مشاهدة العذاب (الثالث) قال  
 الجبائي القواية هي الخيبة من الطلب بدليل قوله تعالى فسوف يلقون غيماً أي خيبة من خير  
 الآخرة قال الشاعر \* ومن يغوي لا يهدم على الغي لأنا \* (الرابع) انه اذا أصر على الكفر  
 وتمادى فيه منع الله تعالى اللطاف وفوضه الى نفسه فهذا شبه ما اذا أراد اغواءه فلهذا  
 السبب حسن أن يقال ان الله تعالى اغواهم هذا جملة كلمات المعتزلة في هذا الباب والجواب  
 عن امثال هذه الكلمات قد ذكرناه مراراً وطواراً فالفائدة في الاعادة (المسئلة الثانية)  
 قوله ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم جزاء معلق على  
 شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي أن يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدماً في الوجود وذلك  
 لان الرجل اذا قال لامر أنه أنت تطلق ان دخلت الدار كان المفهوم كون ذلك الطلاق  
 من لوازم ذلك الدخول فاذا ذكر بعده شرط آخر مثل أن يقول ان أكلت الخبز كان المعنى  
 أن تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بمحصول هذا الشرط الثاني والشرط

الخ ولكنه محمول على أن مراده عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر ﴿ مقدم ﴾  
 فيها بصرف الانكار الى الازام حال كراهتهم لها الى الازام مطلقاً هذا و يجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل  
 الذي هو ملاك الفضل وبجسبه يمتاز أفراد البشر بعضها من بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتهاد للرسالة  
 وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن الضمير للبينة عدم ادراكهم

لكونه عليه الصلاة والسلام عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله الامن له فضيلة على سائر الناس مستتعبة لاختصاصه به دونهم أخبروني ان امتزت عنكم بزيادة منزلة وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فحققت عليكم تلك البيعة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن ﴿ ٨١ ﴾ حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انزمتكم

قبول نبوتي التسابعة لها  
والحال أنكم كارهون لذلك  
فيكون الاستفهام للحمل  
على الاقرار وهو الانسب بتمام  
الحاجة وحثذ يكون كلامه  
عليه الصلاة والسلام جوابا  
عن شبههم التي ادرجوها  
في خلال مقالهم من كونه  
عليه السلام بنسب اقصاري  
أمره أن يكون مثلهم من  
غير فضل له عليهم وقطعا  
لسأفة آرائهم الركيكة  
(ويا قوم لأسألکم علی) أي  
على ما قلته في أثناء دعوتكم  
(مالا) تؤذونه الى بعدايمانكم  
واتباعكم لي فيكون ذلك  
أجرالي في مقابلة اهدائكم  
(ان اجري الاعلى الله) الذي  
يثبتني في الآخرة وفي التعبير  
عنه حين نسب اليهم بلال  
ملايخني من المرية (وما أنا  
بطارد الذين آمنوا) جواب  
عما لخوا به بقوايمهم وما تراك  
اتبعت الا الذين هم أراذلتهم  
أنه لو اتبعه الاشراف لو افقوهم  
وأن اتباع الفقرا مانع لهم  
عن ذلك كما صرحوا به في  
قولهم أنؤمن لك واتبعت  
الأردنون فكان ذلك التماسا  
منهم لطردهم وتعليق الايمان بهم به

مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول اما ان لم يوجد الشرط المذكور الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول هذا هو التحقيق في هذا التركيب فلهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى واعلم أن نوحا عليه السلام لما قرر هذه المعاني قال هو ربكم واليه ترجعون وهذا نهاية الوعيد أي هو الهكم الذي خلقكم ورباكم ويملك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مرجعكم اليه وهذا يفيد نهاية التحذير بقوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا بى مما يجرمون) اعلم أن معنى افتراه اختلقه واقطعه وجاء به من عند نفسه والهاء ترجع الى الوحي الذي بلغه اليهم وقوله فعلى اجرامى الاجرام اقتراح المحظورات واكتسابها وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلى عقاب اجرامى وفي الآية محذوف آخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلى عقاب جرمي وان كنت صادقاً وكذبتونى فعلى عقاب ذلك التكذيب الأنا أنه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليه كقوله آمن هو قات آناه الليل ولم يذكر البقية وقوله وأنا بى مما يجرمون أى عقاب جرمكم وأكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح عليه السلام وهذه هي قصة محمد صلى الله عليه وسلم في أثناء حكاية نوح وقولهم بعيد جدا و أيضا قوله قل ان افتريته فعلى اجرامى لا يدل على أنه كان شاكا الا أنه قول يقال على وجه الانكار عند اليأس من القبول \* قوله تعالى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قدامن فلا تبئس بما كانوا يفعلون) فيه مسائل (المسئلة الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما جاءه هدامن عند الله تعالى دعا على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله فلا تبئس أى لا تحزن قال أبو زيد ابتأس الرجل اذا بلغه شئ يكرهه وأشد أبو عبيده

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس \* به وأقعد كى ما ناعم البال

أى غير حزين ولا كاره (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في القضاء والقدر وقالوا انه تعالى أخبر عن قومه انهم لا يؤمنون بعد ذلك فلو حصل ايمانهم لكان امامهم بقاء هذا الخبر صدقا ومع بقاء هذا العلم علما أو مع انقلاب هذا الخبر كذبا ومع انقلاب هذا العلم جهلا والاول ظاهر البطلان لان وجود الايمان مع أن يكون الاخبار عن عدم الايمان صدقا ومع كون العلم بعدم الايمان حاصل حال وجود الايمان جمع بين التقيضين والثاني ايضا باطل لان انقلاب خبر الله كذبا وعلم الله جهلا محال ولما كان صدور الايمان منهم لا بد وأن يكون على هدى القسامين وثبت ان كل واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محال مع أنهم كانوا أموريين به وأضاحقهم كانوا أموريين بالايمان ومن الايمان تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه ومنه قوله انه

عليه الصلاة والسلام ﴿ ١١ ﴾ خا بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد (انهم ملاقور بهم) لتبليغ الامتناع عليه السلام عن طردهم أى انهم فآزرون في الآخرة ببقاء الله عز وجل كانه قيل لأطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لترقية وجوب ربانيتهم وتختم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا ببقاءهم موقوفون به عالون أنهم ملاقور لا محالة فكيف أطردهم وحله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح

ثابت كإظهاره أو على خلاف ذلك مما تعرّفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما على أن أشق عن قلوبهم وأنعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون بإياه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كإسياتي وإيضافهم إنا قالوا إن اتباعهم لك إثمنا هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمواخذة في الآخرة غايته أن ﴿ ٨٢ ﴾ لا يكونوا في مرتبة الموقنين وأدعاه أن بناء الإيمان على

ظاهر الرأى ~~الذي~~ إلى الرجوع عنه عند التسأل فكأنهم قالوا إنهم اتبعوك بلا تأمل فلا يشنون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى (ولكني أراكم قوماً تجهلون) بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بقاء الله عز وجل وبمزالته عنده وباستجاب طردهم لغضب الله كإسياتي وبر كآفة رأيهم في التماس ذلك وتوحيف إيمانهم عليه أنفة عن الانظام معهم في سلك واحد وزعمانهم أن الرذالة بالفقر والشرف بانغني وانشار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار أو تنساقهون على المؤمنات بنسبهم إلى الخساسة (ويا قوم من ينصرني من الله) بدفع حلول سخطه عنى (إن طردتهم) فإن ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلماً موجبا للحلول السخط قطعاً وانما لم يصرح به استعاراً بأنه غنى عن البيان لا سيما غمياً فدم ما يلوح به من أحوالهم فكأنه قيل من يدفع عنى غضب الله تعالى إن طردتهم وهم بذلك المثابة من الكرامة والرفق كما ينبغي عنده قوله تعالى

لن يؤمن من قومك إلا من قدامن فليزمن أن يقال إنهم كانوا مومنين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بالجمع بين التقيضين وتقرير هذا الكلام قد مر في هذا الكتاب مراراً وأطواراً (المسئلة الثالثة) اختلفت المعتزلة في أنه هل يجوز أن ينزل الله تعالى عذاب الاستئصال على قوم كان في المعلوم أن فيهم من يؤمن أو كان في أولادهم من يؤمن فقال قوم أنه لا يجوزوا احتجاجاً بما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك لن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً وهذا يدل على أنه إنما حسن منه تعالى أنزال عذاب الاستئصال عليهم لأجل أنه تعالى علم أنه ليس فيهم من يؤمن ولا في أولادهم أحد يؤمن بالله تعالى والقاضى وقال كثير من علمائنا إن ذلك من الله تعالى جائز وإن كان منهم من يؤمن ~~بما~~ ما قولهم ~~هو~~ هو عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً فذلك يدل على أنه إنما سأل ذلك من حيث أنه كان في المعلوم أنهم يضلون عبادك ولا يلدون إلا فاجراً كفاراً وذلك يدل على أن ذلك الحكم كان قولاً بجموع هاتين العلتين وإيضافاً لدليل فيه على أنهما لو لم يحصلوا لما جاز أنزال الأهلاك والأقرب أن يقال إن نوحاً عليه السلام لهاته محبته لايمانهم كان سأل ربه أن يقيمهم فأعلمه أنه لا يؤمن منهم أحد ليزول عن قلبه فكان قد حصل فيه من تلك المحبة ولذلك قال تعالى من بعد فلا تبئس بما كانوا يفعلون أي لا تحزن من ذلك ولا تغتم ولا تظن أن في ذلك مذلة فإن الدين عزيز وإن قل عدد من يتسلسل به والباطل ذليل وإن كثرة عدد من يقول به قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا نخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرورون) واعلم أن قوله تعالى أنه إن يؤمن من قومك إلا من قدامن يقتضى تعريف نوح عليه السلام أنه معذبهم ومهلكهم فكان يحتمل أن يعذبهم بوجوه التعذيب فعرفه الله تعالى أنه يعذبهم بهذا الجنس الذى هو الفرق ولما كان السبيل الذى به يحصل التجارة من الفرق نكوب السفينة لاجرم أمره الله تعالى بإصلاح السفينة وأعدادها فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها على مثال جوؤجؤ الطائر فإن قيل قوله تعالى واصنع الفلك أمر إيجاب أو أمر إباحة قلنا الاظهر أنه أمر إيجاب لأنه لا سبيل له إلى صون روح نفسه وأرواح غيره عن الهلاك إلا بهذا الطريق وصون النفس عن الهلاك واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ويحتمل أن لا يكون ذلك الأمر أمر إيجاب بل كان أمر إباحة وهو بمنزلة أن يأخذ الإنسان لنفسه داراً يسكنها ويقوم بها أما قوله بأعيننا فهذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره من وجوه (أحدها) أنه يقتضى أن يكون لله تعالى أعين كثيرة وهذا يناقض ظاهر قوله تعالى ولنصنع على عيني (وثانيها) أنه يقتضى أن يصنع نوح عليه السلام ذلك الفلك بتلك الأعين كما يقال قطعت بالسكين وكتبت بالقلم ومعلوم أن ذلك باطل (وثالثها) أنه ثبت بالدلائل القطعية العقلية كونه تعالى منزهاً عن الأعضاء والجوارح والاجزاء والابحاض فوجب المصير فيه إلى التأويل

(أفلاتدكرون) أى أتسترون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى ~~هو~~ وهو تعرفوا أن ما أتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر للدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم (ولأقول لكم) حين أدعى النبوة (عندى خزائن الله) أى رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما ترى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أمر من أن تتال



باسباب دنيو يفوذوها بعزل عن اذناه المال والجاه (ولأعلم الغيب) أي لا ذم في قول ابي لكم نذير مبين أي أخاف عليكم عذاب يوم أقيم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد (ولأقول اني ملك) حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشي منها \* ٨٣ \*

مساعدة لكم كما تقولون  
(الذين تزدري أعينكم) أي  
تقتحمهم وتحتقرهم من زراه  
اذا عابه واسناد الازدراء الى  
أعينهم بالنظر الى قولهم  
وما نراك تبعلك الا الذين هم  
أراد لنا واما الاشعار بأن ذلك  
لتصور نظرهم ولو تدبروا في  
شأنهم ما فعلوا ذلك أي لا أقول  
في شأن الذين استزدلتهم  
لفقرهم من المؤمنين (لن  
يوثبهم الله خيرا) في الدنيا  
أوفي الآخرة فعسى الله أن  
يوثبهم خيرا الدارين  
ان قلت هذا القول ليس مما  
تستكره الكفرة ولا مما يتوهمون  
صدوره عند عليه السلام  
أصالة أو استنباحا كأدعاء  
الملكية وعلم الغيب وحياسة  
الخرائن مما نفاه عليه الصلاة  
والسلام عن نفسه بطريق  
التبرؤ والتزه عنه فمن أي وجه  
عطف نفيه على نفيها قلت  
من جهة أن كلال التفتين رد  
قياسهم الباطل الذي تسكوا به  
فيما سلف فانهم زعموا أن  
النبوة تستمع الامور المذكورة  
وأنها لا تنسى ممن ليس على  
تلك الصفات فان العثور على  
مكانها واغتنام مغامها ليس

وهومن وجوه (الاول) ان معنى بأعيننا أي بعين الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ  
السفينة يقال فلان عين على فلان نصب عليه ليكون متفحفا عن أحواله ولا تحول عنه  
عينه (الثاني) أن من كان عظيم العناية بالشئ فإنه يضع عينه عليه فلما كان وضع العين  
على الشئ سبيل المبالغة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط فلهذا قال  
المفسرون معناه بحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك وحاصل الكلام  
ان اقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين (أحدهما) ان لا ينعته أعداؤه عن ذلك  
العمل (والثاني) أن يكون عالما بانه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفن الشر  
عنه وقوله ووحينا اشارة الى أنه تعالى يوحى اليه أنه كيف ينبغي عمل السفينة حتى يحصل  
منه المطلوب وأما قوله ولا تخاطبني في الدين طلبوا انهم مفرقون ففيه وجوه (الاول)  
يعني لا تطلب مني تأخير العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح عليه  
السلام ذلك دعا عليهم بعد ذلك وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا  
(الثاني) ولا تخاطبني في تعجيل ذلك العقاب على الذين ظلموا فاني لما قضيت ازال ذلك  
العذاب في وقت معين كان تعجيله ممتعا (الثالث) المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان  
\* قوله تعالى (ويصنع الفلك وكلم امر عليه ملا من قومه تسخروا منه قال ان تسخروا منا  
فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف نعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب  
مقيم) أما قوله تعالى ويصنع الفلك ففيه مسلتان (المسئلة الاولى) في قوله ويصنع الفلك  
قوله (الاول) انه حكاية حال ماضية أي في ذلك الوقت كان يصدق عليه أنه يصنع الفلك  
(الثاني) التقدير وأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك (المسئلة الثانية)  
ذكروا في صفة السفينة أقوالا كثيرة (فأحدها) أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة  
في سنتين وقيل في أربع سنين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها  
في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن  
الاسفل الوحوش والسياب والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن  
الاعلى جلس هو ومن كان معه مع ما احتاجوا اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه  
السلام (وثانيها) قال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع واعلم ان  
أمثال هذه المباحث لا تعجبني لانها أمور لا حاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة  
أصلا وكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يدل على  
الجانب الصحيح والذي نعلم أنه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه  
ولما يحتاجون اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن  
فأما غير ذلك القدر فغير مذكور أما قوله تعالى وكلم امر عليه ملا من قومه تسخروا منه  
ففي تفسير الملا وجهان قيل جماعة وقيل طبقة من أشرفهم وكبرائهم واختلفوا  
فيما لاجله كانوا يسخرون وفيه وجوه (أحدها) انهم كانوا يقولون له يا نوح كنت تدعي

من دأب الاراذل فأجاب عليه الصلاة والسلام بنفي ذلك جيماف كما أنه قال لا أقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم  
المال والجاه من موانع الخير (الله أعلم بما في أنفسهم) من الايمان وانما اقتصرت على نفي القول المذكور مع أنه عليه الصلاة والسلام  
جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الايمان جري على سنن الانصاف مع القوم  
واكتفاء بخالفه كلامهم

وارشاد الهم الى مسلك الهداية بين اللاتق لكل أحد أن لا يبت القول الا فيما يعمله يقينا وبنى أمورهم على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة ( اني اذا ) أي اذا قلت ذلك ( لمن الظالمين ) لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لانفسهم بذلك فان وبالاه راجع الى انفسهم وفيه تعرض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واستزاد الهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة ﴿ ٨٤ ﴾ الحزان وهو بعيد لان تبعه تلك الاقوال مغنية

رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا (وثانيها) انهم كانوا يقولون له لو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يفتيك عن هذا العمل السابق ( وثالثها ) انهم مارأوا السفينة قبل ذلك وما عرفوا كيفية الانقاع بها وكانوا يتعجبون منه ويسخرون ( ورابعها ) ان تلك السفينة كانت كبيرة وهو كان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جدا وكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون ( وحامسها ) انه لما طالت مدته مع القوم وكان يندرهم بالفرق وما شاهدوا من ذلك المعنى خبرا ولا رأيا غلب على طنونهم كونه كاذبا في ذلك المقال فلما استعمل عمل السفينة لاجرم سخروا منه كل هذه الوجوه محتملة ثم انه تعالى حكى عنه انه كان يقول ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم كما تسخرون وفيه وجوه ( الاول ) التقدير ان تسخروا منا في هذه الساعة فاننا نسخر منكم سخرية مثل سخر يتكم اذا وقع عليكم العرق في الدنيا والخزي في الآخرة ( الثاني ) ان حكمتم علينا بالجهل فيما صنع فاننا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكبر والتعرض لسخط الله تعالى وعدابه فانتم أولى بالسخرية منا ( الثالث ) ان تسخروا منا فاننا نسخر منكم واستجهالكم أقبح وأشد لانكم لا تستجهلون الا لاجل الجهل بحقيقة الامر والاعتزاز بطاهر الحلال كما هو عادة الاطفال والجهال فان قتل السخرية من آثار المعاصي فكيف يليق ذلك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام قلنا انه تعالى سمي المقابلة سخرية كافي قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها أما قوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية ومن هو أحد عاقبة وفي قوله من يأتيه عذاب وحهان ( أحدهما ) أن يكون استفهاما بمعنى أي كأنه قيل فسوف تعلمون أي يأتيه عذاب وعلى هذا الوجه فحمل من رفع بالابتداء ( والثاني ) أن يكون بمعنى الذي ويكون في محل النصب وقوله تعالى ويحمل عليه عذاب مقيم أي يجب عليه وينزل به \* قوله تعالى ( حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال صاحب الكشاف حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من السرط والجرا ووقعت غاية أقوله وبصنع الفلك أي فكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد ( المسئلة الثانية ) الامر في قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا يحتمل وجهين ( الاول ) انه تعالى بين انه لا يحدث نبي الا بأمر الله تعالى كما قال انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقوله كمن فيكون فكان المراد هدا ( والثاني ) أن يكون المراد من الامر ههنا هو العذاب الموعدة ( المسئلة الثالثة ) في التنور قولان ( أحدهما ) أنه التنور الذي يخبر فيه ( والثاني ) أنه غيره أما الاول وهو انه التنور الذي يخبر فيه فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد وهو لاء اختلفوا فيهم \* قال انه تنور لتهج عليه السلام وقيل كان لآدم قال الحسن كان

عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين ( قالوا يا نوح تدجاد لتنا ) خاصمتنا ( فأكرت جدالنا ) أي أطلتته أو أتيتته بأنواعه فان اكثار الجدال يحقق بعد وقوع أصله فذلك عطف عليه بالفاء وأردت ذلك فأكثرته كافي قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حثهم عليه الصلاة والسلام وأبرز لهم بينات واضخمة المدلول وجمعها تلتقاها العقول بالقبول وألقمهم الحجر برد شههم الماطلة ضافت عليهم الحيل وعيت بهم العلاء وقالوا ( فاننا بما نعدنا ) من العذاب المحمل أو العذاب الذي أشير اليه في قوله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون الرد باليوم يوم القسامة ( ان كنت من الصادقين ) فيما تقول ( قال انما يأتيكم به الله ان شاء ) يعني ان ذلك ليس موكولا الى ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يولاه الله الذي كفرتم به وعصيتوه يأتيكم به عاجلا أو آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعد فكانه قيل الا تيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل ( وما أنتم بمعجزين ) بالهرب أو بالدعوة كاتفا فعوتى ﴿ تنورا ﴾ في الكلام ( ولا ينفعكم نصحي ) النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته انحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه العس وقيل هو اعلام موقع التي ليتى وموضع الرشد يقتضى لا ان أردت أن أنصح لكم ( شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة

القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل ( وما أنتم بمعجزين ) بالهرب أو بالدعوة كاتفا فعوتى ﴿ تنورا ﴾ في الكلام ( ولا ينفعكم نصحي ) النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته انحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه العس وقيل هو اعلام موقع التي ليتى وموضع الرشد يقتضى لا ان أردت أن أنصح لكم ( شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة

ليل على ما حذفت من جواب قول تعالى (ان كان الله يريد أن يغويكم) والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه قوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام \* ٨٥ \* متعلق بقولهم قد جادلنا فأكثرت جدانا صدر عنه عليه الصلاة

والسلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحج والبيات لتماذيرهم في العناد وايدانا بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين ومحاض النصيح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصيح ب ارادته مع أنه محقق لاحالة الايدان بأن ذلك النصيح منه مقارن للارادة والاهتمام به وتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقبل ان كان الله يغويكم بمبالغة في بيان غلبته جنايه عز وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمها رتبة وللدلالة على تجردها

تنورا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح عليه السلام واختلفوا في موضعه فقال الشعبي انه كان بناحية الكوفة وعن علي رضي الله عنه أنه في مسجد الكوفة قال وقد صلى في سبعون نيبا وقيل بلثمام بموضع يقال له عين وردان وهو قول مقاتل وقيل فارالتور بالهند وقيل ان امرأته كانت تجذب في ذلك التور فأخبرته بخروج الماء من ذلك التور فاشتغل في الحال بموضع تلك الاشياء في السفينة (القول الثاني) ليس المراد من التور تنور الخبز وعلى هذا التقدير ففيه أقوال (الاول) أنه انفجر الماء من وجه الارض كما قال فقبحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فاتى الماء على امر قد قدر والعرب تسمى وجه الارض تنورا (الثاني) ان التور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقد أخرج اليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك معجزة له وأيضا المعنى انه لما نبع الماء من أعلى الارض ومن الامكنة المرتفعة فشبهت لارتفاعها بالنتانير (الثالث) فارالتور أى طلع الصبح وهو مقول عن علي رضي الله عنه (الرابع) فارالتور يحتمل أن يكون معناه اشتد الامر كما يقال حتى الوطيس ومعنى الآية اذا رأيت الامر يشتد الماء يكثر فأنج بنفسك ومن معك الى السفينة فان قيل فما الاصح من هذه الاقوال قلنا الاصل حل الكلام على حقيقته ولفظ التور حقيقة في الموضع الذي يجبر فيه فوجب حل اللفظ عليه ولا امتناع في العقل في أن يقال ان الماء نبع أولا من موضع معين وكان ذلك الموضع تنورا فان قيل ذكر التور بالالف واللام وهذا انما يكون معهود سابق معين معلوم عند السامع وليس في الارض تنور هذا شأنه فوجب أن يحمل ذلك على ان المراد اذا رأيت الماء يشتد نبوعه والامر يقوى فأنج بنفسك وبن معك قلنا لا يبعد أن يقال ان ذلك التور كان معلوما لنوح عليه السلام بان كان تنور آدم أو حواء أو كان تنورا عينه الله تعالى لنوح عليه السلام وعرفه انك اذا رأيت الماء ينفور فاعلم أن الامر قد وقع وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى صرف الكلام عن ظاهره (المسئلة الرابعة) معنى فارنج على قوة وشدة تشبيها بغليان القدر عند قوة النار ولاشبهة في أن نفس التور لا ينفور فالمراد فار الماء من التور والذي روي أن فور التور كان علامة لهلاك القوم لا يمتنع لان هذه واقعة عظيمة وقبوعه الله تعالى المؤمنين النجاة فلا بد وأن يجعل لهم علامة بها يعرفون الوقت المعين فلا يبعد جعل هذه الحالة علامة لحدوث هذه الواقعة (المسئلة الخامسة) قال الليث التور لفظة عمت بكل لسان وصاحبه تنار قال الازهرى وهذا يدل على ان الاسم قد يكون أعجميا فعربه العرب فيصير عربيا والدليل على ذلك ان الاصل تنار ولا يعرف في كلام العرب تنور قبل هذا ونظيره ما دخل في كلام العرب من كلام الجهم الديباج والدينار والسننيس والاسترق فان العرب لما تكلموا بهذه الالفاظ صارت عربية واعلم أنه لما فارالتور فعند ذلك أمره الله تعالى بأن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء (فالاول) قوله قلنا اجل

واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتينا بعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من أول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن ارادة تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى التفصيل غوى اذا بشم وهلك (هور يكم) خالقكم ومالك أمركم (وايه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم لا عمالة

(أم يقولون افتراء) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني نوحا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل أيقول قوم نوح ان نوحا افتري ما جاء به مسندا الى الله عز وجل (قل) يا نوح (ان افتريته) بالفرض البحت (فعلى اجرامى) ائمتي ووالى اجرامى وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان فسرهم الاولون بانامى (وأنا برى مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم عنى وهاذا تكمل وقال مقاتل يعنى محمدا عليه الصلاة \* ٨٦ \* والسلام ومعناه بل أيقول مشرك كوميكة افتري

رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خير نوح فكانه انما جئ به  
فى تضاعيف القصة عند  
سوق طرف منها تحقيقا  
لحقيتها وتأكيدها لوقوعها  
وتشويقنا للسامعين الى  
استماعها لاسيما وقد نص منها  
طائفة متعلقة بما جرى بينه  
عليه السلام وبين قومه  
من الحاجة وبقيت طائفة  
مستقلة متعلقة بعذابهم  
(وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن  
من قومك) أى المصرين  
على الكفر وهو اقنط له عليه  
السلام من ايمانهم واعلام  
لكونه كالحال الذى لا يصح  
توقعه (الامن قد آمن) الا  
من قد وجد منه ما كان يتوقع  
من ايمانه وهذا الاستثناء  
على طريقه قوله تعالى الا  
ما قد سلف (فلا تبئس بما  
كانوا يفعلون) أى لا تحزن  
حزن بئس مستكين ولا تقم  
بما كانوا يتعاطونه من  
الكذب والاستهزاء والابذاء  
فى هذه المدة الطويلة فقد  
اتتهى أفعالهم وحان وقت  
الانتقام منهم (واصنع الفلآك)  
ملتبسا (بأعيننا) أى بحفظنا  
وكلاؤنا كأن معه من الله

من كل زوجين اثنين قال الاخفش تقول الاثنان هما زوجان قال تعالى ومن كل سى زوجين فالسما زوج والارض زوج والشاء زوج والصيف زوج والنهار زوج والليل زوج وتقول للمرأة هى زوج وهو زوجها قال تعالى وخلق منها زوجها يعنى المرأة وقال وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى فثبت ان الواحد قد يقال له زوج ومما يدل على ذلك قوله تعالى ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين اذا عرفت هذا فتقول الزوجان عبارة عن كل شيتين يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى والتقدير كل شيتين هما كذلك فاحل منهما فى السفينة اثنين واحد ذكر والآخر أنثى ولذلك قرأ حفص من كل بالتونين وأراد واحل من كل سى زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج لا يقال عليه ان الزوجين لا يكونان الا اثنين فما القادة فى قوله زوجين اثنين لاننا نقول هذا على مثال قوله لا تتخذوا الهين اثنين وقوله نفخة واحدة وأما على القراء المشهورة فهذا السؤال غير وارد واختلقوا فى أنه هل دخل فى قوله زوجين اثنين غير الحيوان أم لا فتقول أما الحيوان فداخل لان قوله من كل زوجين اثنين يدخل فيه كل الحيوانات وأما النبات فاللفظ لا يدل عليه الا أنه بحسب قرينة الحال لا يعد بسبب ان الناس محتاجون الى النبات بجميع أقسامه وجاء فى الروايات عن ابن مسعود رضي الله عنهما أنه قال لم يستطع نوح عليه السلام أن يحمل الاسد حتى ألقيت عليه الحصى وذلك أن نوحا عليه السلام قال يارب من أين أطمع الاسد اذا حلت له قال تعالى فسوف أشغله عن الطعام فسلط الله تعالى عليه الحصى وأمثلة هذه الكلمات الاولى تركها فان حاجة الغيل الى الطعام أكثر وليس به حصى (الثانى) من الاشياء التى أمر الله نوحا عليه السلام بحملها فى السفينة قوله تعالى وأهلك الامن سبق عليه القول قالوا كانوا سبعة نوح عليه السلام وثلاثة أبناء له وهم سام وحام ويافت ولكل واحد منهم زوجة وقيل أيضا كانوا ثمانية هؤلاء وزوجة نوح عليه السلام رأما قوله الامن سبق عليه القول فلراد ابنه وامرأته وكانا كافرين بحكم الله تعالى عليهما بالهلاك فان قيل الانسان اشرف من جميع الحيوانات فما السبب انه وقع الابتداء بذكر الحيوانات قلنا الانسان عاقل وهو لعقله كالمضطر الى دفع أسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه الى المبالغة فى الترغيب بخلاف السعى فى تخليص سائر الحيوانات فللهذا السبب وقع الابتداء به واعلم أن أصحابنا احتجوا بقوله الامن سبق عليه القول فى اثبات القضاء اللازم والقدر الواجب قالوا لان قوله سبق عليه القول مشعر بأن كل من سبق عليه القول فانه لا يتغير عن حاله وهو كقوله عليه الصلاة والسلام السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه (النوع الثالث) من تلك الاشياء قوله ومن آمن قالوا كانوا ثمانين قال مقاتل فى ناحية الموصلى قرية يقال لها قرية التمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها فسمت بهذا الاسم وذكروا ما هو أزيد منه وما هو أنقص منه وذلك

عز وجل حفاظا وحراسا يكلونه بأعينهم من التعدى من الكفره ومن الزنى فى الصنعة (ووحينا) البك \* مما كيف تصنعها وتعلمنا والهانا \* عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلآك فأوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جوؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الفرق الابيه فيجب كوجوبها واللام اماله العهدين يحمل على أن هذا سبق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام أنه سيهلكهم بالعرف ويبيده ومن معه بشى \*

يصنعه بامر الله تعالى ووجهه من شأنه كيث وكيت واسمه كذا واما الجنس قيل صنعها عليه الصلاة والسلام في ستين وقيل في  
 اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج و جعلت ثلاثة بطون حل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن  
 الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مما يحتاجون اليه من الزاد وحل معه جسد آدم عليه  
 الصلاة والسلام وقيل جعل في الاول الدواب \* ٨٧ \* والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قل كان قولها

ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين  
 ذراعا وسماها ثلاثين ذراعا  
 وقال الحسن كان طولها ألفا  
 ومائتي ذراع وعرضها ستمائة  
 ذراع وقيل ان الخواريين قالوا  
 لعيسى عليه الصلاة والسلام  
 لو بعثت لنا رجلا شهد  
 السفينة محدثا عنهما فانطلق  
 بهم حتى انتهى الى كتيب  
 من تراب فاخذ كفا من ذلك  
 التراب فقال أتدرون من هذا  
 قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا  
 كعب بن حاتم قال فضرب  
 بعصاه فقال قباذن الله فاذا  
 هو قائم ينفخ التراب عن  
 رأسه وقد شاب فقال له عيسى  
 عليه الصلاة والسلام أهكذا  
 هلكت قال لامت وأنا شاب  
 ولكنني ظننت أنها الساعة فخن  
 ثمة شبت فقال حدثنا عن  
 سفينة نوح قال كان طولها ألفا  
 ومائتي ذراع وعرضها ستمائة  
 ذراع وكانت ثلاث طبقات  
 طبقة للدواب والوحش وطبقة  
 للانس وطبقة للطير ثم قال عد  
 باذن الله تعالى كما كنت فعاد  
 ترابا ( ولا تخاطبني في الذين  
 ظلوا ) أي لا تراجعني فيهم  
 ولا تدعني باستدفاع العذاب

علا سبيل الى معرفته الا ان الله تعالى وصفهم بالقلة وهو قوله تعالى وما آمن معه الا قليل  
 فان قيل لما كان الذين آمنوا معه ودخلوا في السفينة كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما  
 في قوله ان هؤلاء لشردمة قليلون قلنا كلا اللفظين جائز والتقدير ههنا وما آمن معه الا نفر  
 قليل فاما الذي يروي ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري  
 أو هو أثنى وكيف يؤثر الفرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه وخبر صحيح ما ورد فيه  
 فالاولى ترك الخوض فيه \* قوله تعالى ( وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها امر ساهان  
 ربي لغفور رحيم ) أما قوله وقال يعني نوح عليه السلام لقومه اركبوا والركوب الطلوع على  
 ظهر الشيء ومنه ركوب الدابة وركوب السفينة وركوب البحر وكل شئ علا شيا فقد ركبه  
 يقال ركبه الدين قال الليث وتسمى العرب من يركب السفينة راكب السفينة  
 وأما الركبان والركب من ركبوا الدواب والا بل قال الواحدى ولغظة في قوله اركبوا  
 فيها لا يجوز أن تكون من صلة الركوب لانه يقال ركبت السفينة ولا يقال ركبت  
 في السفينة بل الوجه أن يقال مفعول اركبوا محذوف والتقدير اركبوا الماء في السفينة  
 وأيضا يجوز أن يكون فائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا في جوف الفلك لا على  
 ظهرها فلو قال اركبوا لتهووا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة أما قوله تعالى  
 بسم الله مجرىها ومرساها ففيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حمزة والكسائي وحفص  
 عن عاصم مجرىها بفتح الميم والباقون بضم الميم وانفقوا في مرساها أنه بضم الميم وقال  
 صاحب الكشاف قرأ مجاهد مجرىها ومرساها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين  
 لله تعالى قال الواحدى المجرى المصدر كالاجراء ومثله قوله منزلا مباركا وأدخلني مدخل  
 صدق وأخرجني مخرج صدق وأما من قرأ مجرىها بفتح الميم فهو أيضا مصدر مثل الجرى  
 وأخرج صاحب هذه القراءة بقوله وهي تجرى بهم ولو كان مجراها لكان وهي تجرى بهم  
 ووجه من ضم الميم أن جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى فاذا قال تجرى بهم فكأنه  
 قال تجرى بهم وأما المرسي فهو أيضا مصدر كالارساء يقال رسا الشيء يرسوا فثبت وارساه  
 غيره قال تعالى والجبال أرساها قال ابن عباس يريد تجرى بسم الله وقدرته وترسو بسم الله  
 وقدرته وقيل كان اذا أراد أن تجرى بهم قال بسم الله مجرىها فتجربى واذا أراد أن ترسو  
 قال بسم الله مرسيها فترسو ( المسئلة الثانية ) ذكر وافي عامل الاعراب في بسم الله وجوها  
 ( الاول ) اركبوا بسم الله ( والثاني ) ابدؤا بسم الله ( والثالث ) بسم الله اجرواؤها  
 وارساؤها وقيل انها سارت لاول يوم من رجب وقيل لعشر مضين من رجب فسارت  
 ستة أشهر واستوت يوم العاشر من المحرم على الجودي ( المسئلة الثالثة ) في الآية  
 احتمالان ( الاول ) أن يكون مجموع قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها ومرساها  
 كلاما واحدا والتقدير وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها ومرساها يعني ينبغي أن يكون  
 الركوب مقرونا بهذا الذكر ( والاحتمال الثاني ) أن يكونا كلامين والتقدير أن نوحا

عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية كذا التعليل فقليل ( انهم مفرقون ) أي  
 محكوم عليهم بالاغراق قدمضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا  
 للآخرين ( ويصنع الفلك ) حكاية حال ماضية لاسم حضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ بصنم الفلك أو قبل يصنعها  
 فاقصر على يصنع وأياما كان فيه ملامة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة

حالا من ضميره أعني قوله تعالى (وكلمهم عليه ملا من قومه سخر وامنه) استهزؤا به لعملة السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والاتفاخ بها فتعجبوا من ذلك وسخر وامنه واما لانه كان يصنعها في قرية بها في أبعدموع ضد من الماء وفي وقت عزته عزه شديدا وكانوا يتضاحكون ويقولون ياتونح صرت نجارا عندما كنت نبيا وقيل لانه عليه الصلاة والسلام كان ينذرهم الفرق فطاطال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا أثر احدوه ﴿٨٨﴾ من باب المحال ثم لاروا واشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك

فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعملة عليه الصلاة والسلام عاقبة جيدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاه عليه السلام في ذلك (قال ان تسخروا منا) مستجهلين لنا فيما نحن فيه (فانا نسخر منكم) أي نستجهلكم فيما أتت عليه واطلاق السخر به عليه المشاكلة وجع الضمير في منا اما لان سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام سخر به من المؤمنين أيضا أو لانهم كانوا يسخرون منهم أيضا الا أنها اكتفى بدكر سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاه عليه الصلاة والسلام اياهم بما فعلوا من السخر به باعتبار اطهاره ومنافهته عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك والافعه عليه الصلاة والسلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويدرون أمر مطرد لا تعلق له بسخرية منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى لاطهاره جريا على نوع الاحلاق الحميدة وانما اطهره جزاء بما عساه وبعدها للتيا والتي فان سخر يتهم كانت مستره \* نص \*  
 وتجدده حسب تجدد مروهم عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا قيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما أجازهم بعد بلوغ أذاهم الغاية بما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا سال فقال فامنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا أي ان تذبونا فيما نحن بصدده

فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعملة عليه الصلاة والسلام عاقبة جيدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاه عليه السلام في ذلك (قال ان تسخروا منا) مستجهلين لنا فيما نحن فيه (فانا نسخر منكم) أي نستجهلكم فيما أتت عليه واطلاق السخر به عليه المشاكلة وجع الضمير في منا اما لان سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام سخر به من المؤمنين أيضا أو لانهم كانوا يسخرون منهم أيضا الا أنها اكتفى بدكر سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاه عليه الصلاة والسلام اياهم بما فعلوا من السخر به باعتبار اطهاره ومنافهته عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك والافعه عليه الصلاة والسلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويدرون أمر مطرد لا تعلق له بسخرية منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى لاطهاره جريا على نوع الاحلاق الحميدة وانما اطهره جزاء بما عساه وبعدها للتيا والتي فان سخر يتهم كانت مستره \* نص \*  
 وتجدده حسب تجدد مروهم عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا قيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما أجازهم بعد بلوغ أذاهم الغاية بما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا سال فقال فامنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا أي ان تذبونا فيما نحن بصدده

فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعملة عليه الصلاة والسلام عاقبة جيدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاه عليه السلام في ذلك (قال ان تسخروا منا) مستجهلين لنا فيما نحن فيه (فانا نسخر منكم) أي نستجهلكم فيما أتت عليه واطلاق السخر به عليه المشاكلة وجع الضمير في منا اما لان سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام سخر به من المؤمنين أيضا أو لانهم كانوا يسخرون منهم أيضا الا أنها اكتفى بدكر سخر يتهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاه عليه الصلاة والسلام اياهم بما فعلوا من السخر به باعتبار اطهاره ومنافهته عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك والافعه عليه الصلاة والسلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويدرون أمر مطرد لا تعلق له بسخرية منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى لاطهاره جريا على نوع الاحلاق الحميدة وانما اطهره جزاء بما عساه وبعدها للتيا والتي فان سخر يتهم كانت مستره \* نص \*  
 وتجدده حسب تجدد مروهم عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا قيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما أجازهم بعد بلوغ أذاهم الغاية بما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا سال فقال فامنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا أي ان تذبونا فيما نحن بصدده

من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسهروا منا لاجله فاننا نسبكم اليه فيما أرتبتم فيه من الاعراض هن استدفاعه بالامان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جلتهما استجبالكم ايانا وسخر يتكم منا والتشبيه في قوله تعالى (كاسخرون) اما في مجرد التحق والوقوع أو في التجدد والتكريم حسبما صدر عن ملاعب ملاقي الكيفيات والاحوال ﴿ ٨٩ ﴾ التي لا تليق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام فكلا الامرين واقع

في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخر يتكم اذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداده لان حالهم اذ ذلك ليس مما يلائمه السخرية أو ما يجري مجراها فتأمل (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) وهو عذاب الفرق (ويحل عليه) حلول الدين المؤجل (عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو تهديد يبلغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع أو موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين أو مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخر يتهم استجبالهم اياه عليه الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الغادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قبل بعدا استجبالهم فسوف

نص عليه فقال ونادى نوح ابته نوح أيضا نص عليه فقال يابني وصرف هذا اللفظ الى ان ربه فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته الى مجازه من غير ضرورة وانه لا يجوز والذين خالفوا هذا الظاهر انما خالفوه لانهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافرا وهذا بعيد فانه ثبت ان والدرسونا صلى الله عليه وسلم كان كافرا ووالدا ابراهيم عليه السلام كان كافرا بنص القرآن فكذلك ههنا قائمون بهذا القول اخنلقوا في أنه عليه السلام لما قال رب لا تدرك على الارض من الكافرين ديارا فكيف ناداهم تكفره فأجابوا عنه من وجوه (الاول) انه كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب بجاته (والثاني) انه عليه السلام كان يعلم انه كافر لكنه ظن انه لما شاهد الفرق والاهوال العظيمة فانه يقبل الايمان فصار قوله يابني اركب معنا كالدلالة على انه طلب منه الايمان وتأكد هذا بقوله ولا تكن مع الكافرين أي تابعهم في الكفر واركب معنا (والثالث) ان شفقة الأبوة لعلها جعلت على ذلك النداء والذي تقدم من قوله الامن سبق عليه القول كان كالمجمل فعله عليه السلام جوز أن لا يكون هو داخليا فيه (القول الثاني) انه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن البصري ويروي ان عليا رضي الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير به بفتح الهاء يريدان ابنها الا انها اكتفيا بالفتحة عن الالف وقال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من أهلي وأنت تقول ما كان ابنه فقال لم يقل انه مني ولكنه قال من أهلي وهذا يدل على قول (القول الثالث) انه ولد على فراشه لغير رشدة والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فحانتاهما وهذا قول خبيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الغضبية لاسيما وهو على خلاف نص القرآن اما قوله تعالى في ذاتهما فليس فيه ان تلك الخيانة انما حصلت بالسبب الذي ذكره قيل لابن عباس رضي الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجي مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيقه اذا نزلوا به ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وأيضا قوله تعالى الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وبالجملة فقد دللتنا على ان الحق هو القول الاول وأما قوله وكان في معزل فاعلم ان المعزل في اللغة معناه موضع منقطع عن غيره وأصله من العزل وهو التحية والابعاد تقول كنت بمعزل عن كذا أي بموضع قد عزل منه واعلم ان قوله وكان في معزل لا يدل على انه في معزل من أي شيء فلهذا السبب ذكروا وجوها (الاول) أنه كان في معزل من السفينة لانه كان يظن ان الجبل يمنعه من الفرق (الثاني) انه كان في معزل عن أبيه واخوته وقومه (الثالث) انه كان في معزل من الكفار كما انه انفرده عنهم فظن نوح عليه السلام ان ذلك

تعلون من يأتيه العذاب يعني أن ما أبشره ليس ﴿ ١٢ ﴾ خا فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من المعذب ولقد أصاب العلم بعد استجبالهم محزه ووصف العذاب بالآخرة لما في الاستهزاء والسخرية من حقوق الخزي والعارعادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للبالغ في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالانبياء في غاية الجزالة (حتى اذا جاء أمرنا) حتى هي التي تبدأ بالكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع

فكذلك قوله ويضع وما يتبعه من الخبر فيه وسخر واخذ جوابا لكل ما وقل استثنافى على تقدير سؤال مماثل كما ذكرناه  
 وقيل هو الجواب وسخر وامنه بذلك من امر أو صفة للاوقد عرف أن الحق هو الاول لان المقصود بيان تنابهم في ايدانه عليه  
 الصلاة والسلام ومحملة لاذنهم لاسارته عليه الصلاة والسلام الى جوابهم كما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام (وفارالتور)  
 نوح منه الماء ارتفع بشدة كما تفور القدر بظلماتها ﴿٩٠﴾ والتور تنور الخبر وهو قول الجمهور روى أنه قيل لنوح عليه الصلاة

والسلام اذا رايت الماء يفور  
 من التور فاركب ومن معك  
 في السفينة فلما سم الماء أخبرته  
 امر أنه فركب وقيل كان تنور  
 آتم عليه الصلاة والسلام  
 وكان من جارة فصارا الى نوح  
 وانما نوح منه وهو أبعد شئ من  
 الماء صلى خرق العادة وكان في  
 الكوفة في موضع مسجد لها  
 من عين الداخل مما يلي باب  
 كندة وكان على السفينة في  
 ذلك الموضع أو في الهند أو في  
 موضع بلشليم يقال له عين وردة  
 وعن ابن عباس رضى الله  
 تعالى عنهما وصكره الزهري  
 أن التور وجه الارض وعن  
 قتادة أشرف موضع في الارض  
 اى أصلا وعن علي رضى الله  
 تعالى عنه فارالتور طلع النجر  
 (قلنا حل فيما) اى في السفينة  
 وهو جواب اذا (من كل) اى  
 من كل نوح لا بد منه في الارض  
 (زوجين) الزوج ماله مشاكل  
 من نوحه فالذ كرزوج للانثى  
 كما هي زوج له وقد يطلق على  
 مجموعهما فيقال الفرد  
 ولازلة ذلك الاحتمال قيل  
 (انين) كل منهما زوج الآخر  
 وقيل جلى الاضافة وانما قدم  
 ذلك على أهله وسائر المؤمنين

انما كان لانه أحب مفارقهم أما قوله يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فنقول  
 قرأ حفص عن عاصم يا بنى بفتح الياء في جميع القرآن والباقون بالكسر قال أبو على الوجه  
 الكسر وذلك ان اللام من ابن ياء أو واو فاذا صغرت الحقت ياء التحقير فلم يرد اللام  
 المحذوفة واللام ان تحرك ياء التحقير بحركات الاعراب لكنها لا تحرك لانها لو حركت لزم  
 أن تنقلب كما تنقلب سائر حروف المد واللين اذا كانت حروف اعراب نحو صاوقفا ولو  
 انقلبت بطلت دلالتها على التحقير ثم اذا أضفت الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات (الاولى)  
 منها التحقير (والثانية) لام الفعل (والثالثة) التي للاضافة تقول هذا بنى فاذا ناديت به صار  
 فيه وجهان اثبات الياء وحذفها والاختيار حذف الياء التي للاضافة وبقاء الكسرة  
 دلالة عليه نحو يا غلام ومن قرأ يابنى بفتح الياء فانه أراد الاضافة أيضا كما أرادها من قرأ  
 بالكسر لكنه أبدل من الكسرة القسمة ومن الياء الالف تخفيفا فصار يا بنى كما قال  
 \* يا بنى عمالاتوى واهجى \* ثم حذف الالف للتخفيف واعلم انه تعالى لما حكى عن  
 نوح عليه السلام انه دعاه الى أن يركب السفينة حكى عن ابنه انه قال سأوى الى جبل  
 يعصمى من الماء وهذا يدل على ان الابن كان متماديا في الكفر مصرا عليه مكذبا لايه  
 فيما أخبرته فعند هذا قال نوح عليه السلام لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم  
 وفيه سؤال وهو ان الذى رجه الله معصوم فكيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم  
 وهو قوله لا عاصم اليوم من أمر الله وذكروا في الجواب طرقا كثيرة (الاول) انه تعالى  
 قال قبل هذه الآية وقال اركبوا فيه باسم الله بحجر يهاومر ساها ان ربي لغفور رحيم فيبين  
 انه تعالى رحيم وانه برحمة يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الفرق اذا عرفت  
 هذا فنقول ان ابن نوح عليه السلام لما قال سأوى الى جبل يعصمى من الماء قال نوح  
 عليه السلام أخطأت لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم والمعنى الاذلة الذى ذكرت  
 انه برحمة يخلص هؤلاء من الفرق فصارت تقدير الآية لا عاصم اليوم من عذاب الله الامن  
 الرحيم وتقديره لا فرار من الله الا الى الله وهو نظير قوله عليه السلام في دعائه وأعوذ بك  
 منك وهذا تأويل في غاية الحسن (الوجه الثاني) في التأويل وهو الذى ذكره صاحب حل  
 المقدان هذا الاستثناء وقع من مضمرة هو في حكم المفقوظ لظهور دلالة اللفظ عليه  
 والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من أمر الله الامن رحم وهو كقولك لا تضرب اليوم الا  
 زينا فان تقديره لا تضرب أحدا الا زيدا الا انه ترك التصريح به لدلالة اللفظ عليه  
 فكنا ههنا (الوجه الثالث) في التأويل ان قوله لا عاصم أى لا ذاعصمة كما قالوا راح  
 ولابن ومعناه نورمخ وذولبن وقال تعالى من ما عداق وعبسة راضية ومعناه ما ذكرنا  
 فكنا ههنا وعلى هذا التقدير العاصم هو فوالعصمة فبدخل فيه المعصوم وحينئذ يصح  
 استثناء قوله الامن رحم منه (الوجه الرابع) قوله لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم  
 عنى بقوله الامن رحم نفسه لان نوحا وطائفة هم الذين خصهم الله تعالى برحمته والمراد

لكونه هر يفا فيما أمر به من اجل لانه يحتاج الى من اوله الاعمال منه عليه الصلاة والسلام في تمييز بعضه من لا عاصم  
 بعض وتعيين الازواج فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف أحل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع  
 والطير وغيرها فجعل يضرب يديه في كل جنس فيقع الذك في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة وأما البشر



فانما يدخل الفلك باختياره فيصنف فيه معنى الخلق اولها انما يحصل بباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد تولدهم اياها  
 (واهلك) عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرى وهو بنوه ونساؤهم (الامن سبق عليه القول) بانه من المفرقين  
 بسبب ملهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واهله فانهما كانا كافرين والاستفهام  
 منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايماناً وهو الظاهر ﴿ ٩١ ﴾ كما استعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابته ويكفي في صحة الاستفهام

المعلومية عند المراجعة الى  
 احوالهم والتفحص عن أعمالهم  
 وحتى يعلى ليكون السلب  
 ضاراً لهم كما يحيى باللام فيما  
 هو نافع لهم من قوله عز وجل  
 ولقد سبقت كلتا العبادتين المرسلين  
 وقوله ان الذين سبقت لهم  
 منا الحسنى (ومن آمن) من  
 تغيرهم وافراد الاهل منهم  
 للاستثناء المذكور وايشار  
 صيغة الافراد في آمن بمحاظفة  
 على لفظ من لا يبدان مبتلهم  
 كما عرّب عنه قوله عز قائل  
 (وما آمن منه الا قليل) قبل  
 كانوا ايماناً بآية نوح عليه الصلاة  
 والسلام واهله وبنوه الثلاثة  
 ونساؤهم وعن ابن اسحق  
 كانوا اثنتي عشرة نخسة رجال  
 ونخسة نسوة وعنه أيضاً أنهم  
 كانوا عشرة سوى نسايتهم وقبل  
 كانوا اثنين وسبعين رجلاً  
 وامرأة واولاد نوح سام وحلم  
 ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية  
 وسبعون نصفهم رجال  
 ونصفهم نساء واعتبار المعية  
 في ايمانهم للايمان الى المعية في  
 مقر الامان والنجاة (وقال)  
 اي نوح عليه الصلاة والسلام  
 لمن معه من المؤمنين كما يحيى  
 عنه قوله تعالى ان ربى لظهور  
 رحيم ولورجح الضمير الى الله

لا حاصم لك الا الله بمعنى ان بسببه تحصل رحمة الله كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه  
 السلام في قوله واوحى الموتى لاجل ان الاحياء حصل بدعائه (الوجه الخامس) ان قوله  
 الامن رحم استثناء منقطع والمعنى لكن من رسم الله معصوم ونظيره قوله تعالى ما لهم به  
 من علم الا اتباع الظن ثم انه تعالى بين بقوله وحال بينهما الموجب اي بسبب هذه الخيلولة  
 خرج من ان يخاطبه نوح فكان من المفرقين ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقيل يا ارض ابلى ملك  
 و باسماء اقلبي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم  
 الظالمين) اعلم ان المقصود من هذا الكلام وصف آخر لواقعة الطوفان فكان التقدير  
 انه لما انتهى امر الطوفان قيل كذا وكذا يا ارض ابلى ماءك يقال بلع الماء يبلعه بلعاً  
 اذا شربه وابتلع الطعام ابتلاعاً اذ لم يمضغه وقال اهل اللغة القصيح بلع بكسر الهمزة  
 بفتحها وياسماء اقلبي يقال اقلع الرجل عن عمله اذا كف عنه واقلعت السماء بعد  
 ما مطرت اذا امسكت وغيض الماء يقال غاض الماء يغيض غيضاً ومغاضاً اذا نقص  
 وغيضته انا وهذا من باب فعل الشيء وفعلته انا ومثله جبر العظم وجبرته وقر القوم وقرته  
 ودلع اللسان ودلغته ونقص الشيء ونقصته فقوله وغيض الماء اي نقص وما بقي منه شيء  
 واعلم ان هذه الآية مشتبهة على ألفاظ كثيرة كل واحد منها ادعى على عظيمة الله تعالى وعلو  
 كبريائه (فاولها) قوله وقيل وذلك لان هذا يدل على انه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة  
 بحيث انه متى قيل قبل لم ينصرف العقل الا اليه ولم يتوجه الفكر الا الى ان ذلك القائل  
 هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه على انه تقرر في العقول انه لا حاكم في العالمين ولا  
 منصرف في العالم العلوي والعالم السفلي الا هو (وثانها) قوله يا ارض ابلى ماءك وياسماء  
 اقلبي فان الحس يدل على عظيمة هذه الاجسام وشدها وقوتها فاذا شمر العقل بوجود  
 موجود قاهر لهذه الاجسام مستول عليها منصرف فيها كيف شاء واراد صار ذلك سبباً  
 لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قهره وكمال قدرته ومشيبته  
 (وثالثها) ان السماء والارض من الجمادات فقوله يا ارض وياسماء مشعر بحسب الظاهر  
 على ان امره وتكليفه نافذ في الجمادات فعند هذا يحكم الوهم بانه لما كان الامر كذلك  
 فلان يكون امره نافذاً على العقلاء فان اولي وليس مرادى منه انه تعالى يا امر الجمادات  
 فان ذلك باطل بل المراد ان توجيه صيغة الامر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية  
 الشديدة يقرر في الوهم نوع عظمتهم وجلاله تقرر كما لا وما قوله وقضى الامر فلراد  
 ان الذي قضى به وقدره في الازل قضاء جزماً حتماً قد وقع تنبئها على ان كل ما قضى الله  
 تعالى فهو واقع في وقته وانه لا دافع لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه في ارضه وسمائه فان  
 قيل كيف يليق بحكمة الله تعالى ان يفرق الاطفال بسبب جرم الكفار قلنا الجواب عنه  
 من وجهين (الاول) ان كثيراً من المفسرين يقولون ان الله تعالى احصا رحامهم فسامهم قبل  
 الفرق بأربعين سنة فلم يفرق الامن بلغ سنة الى الاربعين وقائل ان يقول لو كان الامر

تعالى لتاسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال امر بحمله في الفلك من الأزواج كما قيل فحمل الأزواج وأدخلها  
 في الفلك وقال المؤمنون (اركبوا فيها) كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب الطوع على شيء متحرك ويتحصى  
 بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأثور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان أظهر الروايات انه عليه السلام  
 حمله الله حشاً ونظراً لها

وقوله ويضغ وما يتهمه... وقوله هو من منه في الاعمال لرتابة بيئات المحلقة والمكاتب في التلث والسرفه  
 وقيل هو الجواب ويضغ وما يتهمه... وقوله هو من منه في الاعمال لرتابة بيئات المحلقة والمكاتب في التلث والسرفه  
 وقوله هو من منه في الاعمال لرتابة بيئات المحلقة والمكاتب في التلث والسرفه

منه الماء وارتفع  
 والاسماء في الاول  
 من في الكرم والاسماء

على ما ذكرتم لكان ذلك آية عجيبه فاهرة ويعد مع ظهورها استمرارهم على الكفر واية  
 فهب انكم ذكروا ما ذكرتم فاقول لكم في اهلاك الطير والوحش مع انه لا تكلف عا  
 البتة والجواب الثاني وهو الحق انه لا اعتراض على الله تعالى في افعاله لا يسأل عا  
 وهم يسألون واما المعتزلة فهم يقولون انه تعالى أغرق الاطفال والحيوانا ذلك  
 مجرى اذنه تعالى في ذبح هذه الجسام وفي استعمالها في الاعمال الشاقبة الشديده  
 تعالى واستوت على الجودي فالمعنى واستوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له اجرة  
 وكان ذلك الجبل جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دايما على انقطاع مادة ذلك  
 الماء وكان ذلك الاستواء يوم عاشوراء واما قوله تعالى وقيل بعبه للقوم الظالمين ففيه  
 وجهان (الاول) انه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل التنبيه والطرده (والثاني) أن  
 يكون ذلك من كلام نوح عليه السلام وأصحابه لان الغالب من يسلم من الامر الهائله  
 بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا اهلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى  
 الدعاء عليهم فعمله من كلام البشر أليق \* قوله تعالى (ونادى ابراهيم بقوله رب ان ابني من  
 اهل... وان وعدك الحق وانك ارحم الراحمين قال بائس من اهلك انه عمل غير صالح  
 فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعطتك ان يكون من الجاهلين قال رب اني اهدوك ان  
 أسألك ما ليس لي به علم والافتقر لي وترجني اكن من الخاسرين) وفيه مستلذان (المسئلة  
 الاولى) اعلم ان قوله رب ان ابني من اهل فقد ذكرنا الخلاف في انه هل كان ابنه أم لا فلا  
 نعيده ثم انه تعالى ذكر انه قال يا نوح انه ليس من اهلك واعلم انه لما ثبت بالدليل انه كان  
 ابنه وجب حمل قوله انه ليس من اهلك على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون المراد  
 انه ليس من اهل دينك (والثاني) المراد انه ليس من اهلك الذين وعدت أن أنجيهم معك  
 والقولان متقاربان (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان العبرة بقراءة الدين  
 لا بقراءة النسب فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن  
 لما انتفت قرابة الدين لاجرم نعماء الله تعالى بأبلغ الالفاظ وهو قوله انه ليس من اهلك  
 ثم قال تعالى انه عمل غير صالح قرأ الكسائي عمل على صيغة الفعل الماضي وغير بالنصب  
 والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح يعني أشرك وكذب وكلمة غير نصب لانها نعت لمصدر  
 محذوف وقرأ الباقون عمل بالرفع والتووين وفيه وجهان (الاول) ان الضمير في قوله انه عائد  
 الى السؤال يعني ان هذا السؤال عمل وهو قوله ان ابني من اهل وان وعدك الحق غير صالح  
 لان طلب نجات الكافر بعد ان سبق الحكم الجزم بانه لا ينجي أحدا منهم سؤال باطل  
 (الثاني) أن يكون هذا الضمير عائدا الى الابن وعلى هذا التقدير ففي وصفه بكونه عملا غير  
 صالح وجوه (الاول) ان الرجل اذا كثرت عليه واحسانه يقال له انه عمل وكرم وجود فكذا  
 وهنا لما كثرت اقسام ابن نوح على الاعمال الباطلة حكم عليه بأنه في نفسه عمل باطل (الثاني)  
 أن يكون المراد انه ذو عمل باطل فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (الثالث) قال بعضهم

نوع منه الماء وارتفع  
 والسلام انت خرقها (بسم الله)  
 متعلق باركيوا حال من فاعله  
 اي اركبوا مسمين الله تعالى  
 أو قائلين بسم الله (مجرى بها  
 ومر ساها) نصب على  
 الظرفية أي تحت جريها  
 وارتباطها على اسمها  
 زمان أو مصدران كالأجراء  
 والارساء بمعنى الوقت كقولك  
 آتيك خفوق النجم أو اسما  
 مكان انتصبا بما في بسم الله  
 من معنى الفعل أو ارادة القول  
 ويجوز أن يكون بسم مجريها  
 ومر ساها مستقلة من مبتدأ وخبر  
 في موضع الحال من ضمير القلق  
 أي اركبوا فيها بجمرة ومر ساها  
 باسم الله بمعنى التقدير كقوله  
 تعالى ادخلوها خالدين أو جملة  
 مقتضية على أن نوحا أمرهم  
 بالركوب فيها ثم أخبرهم بأن  
 اجراءها وارساءها باسم الله  
 تعالى فيكونان كلامين له  
 عليه الصلاه والسلام قيل كان  
 عليه السلام اذا أراد أن يجريها  
 يقول بسم الله فنجري واذا  
 أراد أن يرسبها يقول بسم الله  
 فترسو ويجوز أن يكون الاسم  
 مقصدا كما في قوله \* الى الحول  
 ثم اسم السلام \* عليكم اريد

بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وأمره وقرى مجريها ومرسبها على صيغة الفاعل مجرورى المحل \* معنى \*  
 صفتين لله عز وجل ومحراهما ومرسبها بفتح الميم مصدرين أو زمانين أو مكانين من جري ورسا (المراد لغفور) للذنوب  
 والخطايا (رحيم) لبعاده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم  
 ليست بسبب استحقاقهم لها بل بحض فضل الله سبحانه وغفرانه

وراجعنا على غلغلته رأى أهل السنة (وهي تجري بهم) (في موج كالجبال) وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كيجل في ارتفاعها وراكها وما قبل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالخوت فغير ثابت والشهور أنه علاشوا مع الجبال خمسة عشر ذراعاً وأربعين ﴿٩٣﴾ ذراعاً ولئن صح ذلك فهذا الجريان إنما هو قبل

أن يتفاهم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى (ونادى نوح ابنه) فان ذلك إنما يتصور قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة والبر إذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلاة والسلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء إلى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرى ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان بيده وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظمة لا يقدر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه أرفع من أن يشار اليه بأصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرى أبناءه على الندبة وليكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بأنه لا يلائمه الاستدعاء إلى السفينة فانه صريح في أنه لم يقع في حياته بأس بعد (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وأخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطب باركبوا واحتاج إلى النداء المذكور وقيل في معزل عن الكفار

معنى قوله انه عمل غير صالح أي انه ولد زنا وهذا القول باطل قطعاً ثم انه تعالى قال لئول عليه السلام فلانسان يلبس لك به علم اني أعطتك أن تكون من الجاهلين وفيه مستلذان (المسئلة الأولى) اخرج بهذه الآية من قدح في عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه (الأول) ان قراءة عمل بالرفع والتثوين قراءة متواترة فهي محكمة وهذا يقتضي عود الضمير في قوله انه عمل غير صالح اما إلى ابن نوح واما إلى ذلك السؤال فالتقول بأنه عائد إلى ابن نوح لا يتم الا باضمار وهو خلاف الظاهر ولا يجوز المصير إليه الا عند الضرورة ولا ضرورة ههنا لانا اذا حكمنا بعود الضمير إلى السؤال المتقدم فقد استغنيا عن هذا الضمير فثبت ان هذا الضمير تأد إلى هذا السؤال فكان التقدير ان هذا السؤال عمل غير صالح أي قولك ان ابني من أهلي اطلب نجاة عمل غير صالح وذلك يدل على أن هذا السؤال كان ذنباً ومعصية (الثاني) ان قوله فلانسان يلبس لك به علم اني أعطتك ان تكون من الجاهلين هو قوله ان ابني من أهلي عدل هذا على انه تعالى نهى عن ذلك السؤال فكان ذلك السؤال ذنباً ومعصية (الثالث) ان قوله فلانسان يلبس لك به علم اني أعطتك ان تكون من الجاهلين هو صدر لاعتق العلم والقول بفسير العلم ذنب لقوله تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (الرابع) ان قوله تعالى اني أعطتك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان محض الجهل وهذا يدل على غاية التقريع ونهاية الجزع وأيضا جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن قال تعالى يصمون السوء بجهالة وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (الوجه الخامس) ان نوحا عليه السلام اعترف باقدامه على الذنب والمعصية في هذا المقام فانه قال اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والاتغفري وترجئني أكن من الخاسرين واعترافه بذلك يدل على انه كان مذنباً (الوجه السادس) في التمسك بهذه الآية ان هذه الآية تدل على ان نوحا نادى ربه لطلب تخليص ولده من الفرق والآية المقدمة وهي قوله ونادى نوح ابنه وقال يا بني اركب معنا تدل على انه عليه السلام طلب من ابنه الموافقة فتقول اما ان يقال ان طلب هذا المعنى من الله كان سابقا على طلبه من الولد أو كان بالعكس والأول باطل لان تقدير أن يكون طلب هذا المعنى من الله تعالى سابقا على طلبه من الابن لكان قد سمع من الله انه تعالى لا يخلص ذلك الابن من الفرق وانه تعالى نهى عن ذلك الطلب وبهذا كيف قال له يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وأما ان قلنا ان هذا الطلب من الابن كان متقدما فكان قد سمع من الابن قوله سألني الى جبل يعصيني من الماء وظهر بذلك كفره فكيف طلب من الله تخليصه وأيضا انه تعالى أخبر ان نوحا لما طلب ذلك منه وامتنع هو صار من المفرقين فكيف يطلب من الله تخليصه من الفرق بعد ان صار من المفرقين فهذه الآية من هذه الوجوه السنة تدل على صدور المعصية من نوح عليه السلام واعلم انه لما دلت الدلائل الكثيرة على وجوب تزييه الله تعالى الانبياء عليهم السلام من المعاصي ويجب

قد انفرد عنهم وظن نوح أنه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه إلى السفينة وقيل كان يناقق أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان يعلم أنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأحوال يبرز عما كان عليه وقيل الإيمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الامن سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخل تحته بل كان كالجمل في حملته شفقة الابوة على ذلك (يا بني) يقع الياء إقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة

في قولك يا ليليا وقرى بكسر الياء اظن ان عليه من يد الاضافة اوسعت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بقدهما  
 ساكنة (اركب هنا) قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقار بهما في المخرج وانما اطلق الركوب  
 عن ذكر الفلك لتعنيها واللايدان بضيق المقام حيث حال الجربض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك (ولا تكن مع  
 الكافرين) اي في المكان وهو الله الارض خارج الفلك ﴿ ٩٤ ﴾ لافي الدين وان كان ذلك مما يوجب كفاي ركبوه

معده عليه الصلاة والسلام  
 كونه صفة في الايمان لانه عليه  
 الصلاة والسلام يصدد  
 التحذير عن الهلكة فلا يلائمه  
 التهي عن الكفر (قال سآوى  
 الى جبل) من الجبال (بعضني)  
 بارتفاعه (من الماء) زعمته  
 أن ذلك كسار المياء في أزمة  
 السيول المعتادة التي ربما تقي  
 منها بالصعود الى اليا واني له  
 ذلك وقد بلغ السيل الزاى  
 وجهلابان ذلك انما كان لاهلاك  
 الكفرة وان لا يحصى من ذلك  
 سوى الاتجاه الى مجامع المؤمنين  
 فلذلك اراد عليه الصلاة  
 والسلام ان يبين له حقيقة الحال  
 ويصرفه عن ذلك الفكر  
 المحال وكان مقتضى الظاهر  
 ان يجيب بما ينطبق عليه كلامه  
 ويتعرض لثني ما ائبه للجبل  
 من كونه ماصا له من الماء  
 بأن يقول لا يصحك منه مفيدا  
 لثني وصف العصبة عنه فقط  
 من غير تعرض لنفيه عن غيره  
 ولانني الموصوف أصلا لكنه  
 عليه الصلاة والسلام حيث  
 (قال لا عاصم اليوم من أمر الله)  
 سلك طريقة نفي الجنس المنتظم  
 لثني جميع أفراد العاصم ذاتا  
 وصفة كما في قولهم ليس فيه

حل هذه الوجوه المذكورة على ترك الافضل والاكل وحسنات الارار سيآت المقربين  
 فلهذا المنسب حصل هذا العتاب والامر بالاستغفار لا يدل على سابقة الذنب كما قال اذا  
 جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك  
 واستغفره من كل ذنوبهم ان محي نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا ليست  
 بذنب يوجب الاستغفار وقال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وليس جميعهم  
 مذنبين فدل ذلك على ان الاستغفار قد يكون بسبب ترك الافضل (المسئلة الثانية) قرأ  
 نافع برواية ورش واسماعيل بتشديد النون واثبات الياء تسألني وقرأ ابن عامر ونافع برواية  
 قالون بتشديد النون وكسرها من غير اثبات الياء وقرأ أبو عمرو بتخفيف النون وكسرها  
 وحذف الياء تسألني أما التشديد فلانكيد وأما اثبات الياء فعلى الاصل وأما ترك التشديد  
 والحذف فلان تخفيف من غير اخلال واعلم انه تعالى لما نهى عن ذلك السؤال حكى عنه أنه  
 قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والاتفقرى وترجنى أكن من الخاسرين  
 والمعنى انه تعالى لما قال له فلان سأل ما ليس لك به علم فقال عند ذلك قبلت يارب هذا  
 التكليف ولأعود اليه الا أنى لا أقدر على الاحتراز منه الا باطاعتك وهدايتك فلهذا بدأ  
 اول بقوله انى أعوذ بك واعلم ان قوله انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم اخبار عما في  
 المستقبل أى لأعود الى هذا العمل ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال والاتفقرى  
 وترجنى أكن من الخاسرين وحقيقة الوبة تقتضى أمرين (أحدهما) في المستقبل  
 وهو العزم على الترك واليه الاشارة بقوله انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم (والثاني)  
 في الماضي وهو الندم على ما مضى واليه الاشارة بقوله والاتفقرى وترجنى أكن من  
 الخاسرين ونختم هذا الكلام بالبحث عن الزلة التي صدرت عن نوح عليه السلام في هذا  
 المقام فنقول ان أمة نوح عليه السلام كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن  
 يعلم ايمانه وجمع من المنافقين وقد كان حكم المؤمنين هو الهجة وحكم الكافرين هو  
 الفرق وكان ذلك معلوما وأما أهل التفاق فبقي حكمهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان  
 يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون من الاب في حق الابن تجعله  
 على حل أعماله وأفعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فلما رآه بمنزل عن  
 القوم طلب منه أن يدخل السفينة فقال سآوى الى جبل بعضني من الماء وذلك لا يدل  
 على كفره لجواز ان يكون قد ظن أن الصعود على الجبل يجرى مجرى الركوب في السفينة  
 في أنه يصونه عن الفرق وقول نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رجم لا يدل الا على  
 انه عليه السلام كان يفرر عن دابته انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وهذا أيضا  
 لا يدل على انه علم من ابنه أنه كان كافرا فعنده هذه الحالة كان قد بقي في قلبه ظن ان ذلك  
 الابن مؤمن فطلب من الله تعالى تخليصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في  
 السفينة واما بان يحفظه على قله جبل فمعد ذلك أخبره الله تعالى بانه منافق وانه ليس من

داع ولا يجيب أى أحد من الناس للبالغة في نفي كون الجبل ماصا بالوجهين المذكورين وزاد ﴿ أهل ﴾  
 اليوم للتشبيه على أنه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتل فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالاتجاه  
 الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بأمر الله أى عذابه الذي أشير اليه حيث قيل حتى اذا جاءه  
 أمرنا نتخيمنا لشأنه ونهبو بلا امره وتنبها لابنه على

خطي في تسميته ماء وتوهم أنه كسائر المياه التي تنقى منها بالهريب الى بعض الهارب المعهودة وتعليل التي للمذكور فان امر الله لا يقابل وعدا به لا يرد وتعميق الحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لاعاصم من امر الله الاله هو وانما قيل (الامن رحم) تفخيما لانه الجليل بالابهام ثم التفسير بالاجمال ثم التفصيل وانما عبار بعلية رحته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه الصلاة والسلام \* ٩٥ \* تحقيق ما يوحاه من نجاته ابنة بيان شان الداهية وقطع الطماعه

الفارغة وصرفه عن التعلل  
بما لا يفنى عنه شيئا وارشاده الى  
العباد بالمعاد الحق عز وجله  
وقيل لا مكان يعصم من امر الله  
الامكان من رحمة الله وهو  
الفلك وقيل معنى لاعاصم لاذ  
عصمة الامن رحمة الله تعالى  
(وحال بينهما الموج) اي بين  
نوح وبين ابنة فانقطع ما بينهما  
من المجاورة لابن ابنة وبين  
الجليل لقوله تعالى (فكان من  
المغرقين) اذ هو انما يترفع على  
حيلولة الموج بينه عليه الصلاة  
والسلام وبين ابنة لا بينه وبين  
الجليل لانه بمعزل من كونه  
حاصما وان لم يحل بينه وبين  
الملتجى اليه موج وفيه دلالة  
على هلاك سائر الكفرة على  
أبلغ وجه فكان ذلك أمرا  
مقرر الوقوع غير مفقود  
البيان وفي ايراد كل دون  
صار مبالغة في كونه منهم  
(وقيل يا أرض ابلعي) اي  
انشق استعمله من ازدراد  
الحيوان ما ياكله للدلالة على  
أن ذلك ليس كالتشف المعتاد  
التدريجي (ماهك) اي ما على  
وجهك من ماء الطوفان دون  
المياه المعهودة فيها من العيون

أهل دته قازلة الصادرة عن نوح عليه السلام هو انه لم يستص في تعريف ما يدل على  
نفاقه وكفره بل اجتهد في ذلك وكان يظن أنه مؤمن مع أنه أخطأ في ذلك الاجتهاد لانه كان  
كافرا فليصدر عنه الاخطأ في هذا الاجتهاد كما قررنا ذلك في ان آدم عليه السلام لم تصدر  
عنه تلك الزلة الا لانه أخطأ في الاجتهاد فثبت بما ذكرنا ان الصادر عن نوح عليه السلام  
ما كان من باب الكبار وانما هو باب الخطأ في الاجتهاد والله أعلم \* قوله تعالى (قيل  
يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمعتهم ثم عصبهم فلئلا  
يؤلمهم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى أخبر عن السفينة انها استوت على  
الجودي فهناك قد خرج نوح وقومه من السفينة لاصحالة ثم انهم نزلوا من ذلك الجبل الى  
الارض فقوله اهبط يحتمل أن يكون أمرا بالخروج من السفينة الى أرض الجبل وان  
يكون أمرا بالهبوط من الجبل الى الارض المستوية (المسئلة الثانية) انه تعالى وعده عند  
الخروج بالسلامة أولا ثم بالبركة تانيا اما الوعد بالسلامة فيحمل وجهين (الاول) انه تعالى  
أخبر في الآية المتقدمة ان نوحا عليه السلام تاب عن زلته وتضرع الى الله تعالى بقوله  
والانفردى وترجى أكن من الخاسرين وهذا التضرع هو عين التضرع الذي حكاه  
الله تعالى عن آدم عليه السلام عند توبته من زلته وهو قوله بناطلنا أنفسنا وان لم تغفر لنا  
وترحمنا لنكونن من الخاسرين فكان نوح عليه السلام محتاجا الى أن بشره الله تعالى  
بالسلامة من التهديد والوعيد فلما قيل له يا نوح اهبط بسلام منا حصل له الامن من جميع  
المكاره المتعلقة بالدين (والثاني) ان ذلك الفرق لما كان عاما في جميع الارض فعند  
ما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم انه ليس في الارض شيء مما يتع به من النبات  
والحيوان فكان كالحائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من  
المأكل والمشروب فلما قل الله تعالى اهبط بسلام منازل عنه ذلك الخوف لان ذلك يدل  
على حصول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك الامع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما  
وعده بالسلامة أردف به بان وعده بالبركة وهي عبارة عن الدوام والبقاء واشبات ونيل الامل  
ومنه برك الأبل ومنه البركة لشبوت الماء فيها ومنه تبارك وتعالى أي ثبت تعظيمه ثم  
اختلف المفسرون في تفسير هذا الشبات والبقاء فان اوله انه تعالى صبر نوحا أبا البشر  
لان جميع من بقي كانوا من نسله وعند هذا قل هذا القائل انه لما خرج نوح من السفينة  
مات كل من كان معه من لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته فالخلق كلهم من  
نسله وذريته وقال آخرون لم يكن في سفينة نوح عليه السلام الامن كان من نسله وذريته  
وعلى التقديرين فالخلق كلهم انما تولدوا منه ومن اولاده والدليل عليه قوله تعالى وحملنا  
ذريتهم الباقين فثبت ان نوحا عليه السلام كان آدم الاصغر فهذا هو المراد من البركات  
التي وعدها الله بها (والقول الثاني) انه تعالى لما وعده بالسلامة من الآفات وعده بان  
موجبات السلامة والراحة والفراغة يكون في التزايد واشبات والاستقرار ثم انه تعالى

والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لامقام التخمير والتهويل (وياسماء  
أقلعي) اي أمسكي عن ارسال المطر يقال أقلعت السماء اذا انقطع مطرها وأقلعت الحمى اي كفت (وضغن الماء) اي نقص  
ما بين السماء والارض من الماء (وقضى الامر) اي أنجز ما وعده الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه بأهله أو أم الامر  
(واستوت) اي استقرت الفلك

(على الجودي) هو جبل الموصل أو القامشلي أو ما ملأ روعي عليه الصلاة والسلام هو كلب في القامشلي في ما بين القامشلي والموصل  
 باسم الحرم فقام ذلك اليوم شكر أفضله (وقيل يبدأ القوم الظالمين) أي جلا كالمهم والتمرض لوصف الظلم الأشرار يطيه  
 للهلاك وتند كبيره ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرورون ولقد بلغت الآية الكريمة من غير ترتيب الاعجاز  
 فاصيها وملكك من غرر المراتب انما صحتها في تصدي لتفصيلها المهره ﴿ ٩٦ ﴾ التثنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه

المواصفون فعري بأن نوجز  
 الكلام في هذا الباب ونقوض  
 الامر الى تأمل اولى الالباب  
 والله عنده علم الكتاب (ونادى  
 نوح ربه) أي أراد ذلك بدليل  
 الفاء في قوله تعالى (فقال رب  
 ان ابني من أهلي) وقد وعدتني  
 انجياهم في ضمن الامر  
 بصلتهم في القلت أو التداء  
 على الحقيقة والفاء لتفصيل  
 ما فيه من الاجال (وان وعدك  
 الحق) أي وعدك ذلك أو ان  
 كل وعد نعه حتى لا يتطرق  
 اليه خلف فيدخل فيه الوعد  
 المعهود دخولا أو ليا (وانت  
 أحكم الحاكمين) لانك أعلمهم  
 وأعدلهم وأنت أكره حكمه  
 من ذوى الحكم على أن الحاكم  
 من الحكمة كالدارع من الدرع  
 وهذا الدعاء منه عليه الصلاة  
 والسلام على طريقة دعاء  
 أيوب عليه الصلاة والسلام  
 اذا نادى ربه أي معنى الضمر  
 وأنت أرحم الراحمين (قال  
 يانوح) لما كان دعاؤه عليه  
 الصلاة والسلام بتدبير وعده  
 جل ذكره مبنيا على كون كنعان  
 من أهله نفي أو لا كونه منهم  
 بقوله تعالى (انه ليس من أهلك)

لما شكره على السلامة والبركة شرح بعده حال أولئك الذين كانوا معه فقال وعلمهم من معك  
 واختلفوا في المراد منه على ثلاثة أقوال منهم من حمله على أولئك الاقوام الذين نجوا معه  
 وجعلهم أمما وجاعات لانه ما كان في ذلك الوقت في جميع الارض أحد من البشر الا هم  
 فلنهذا السبب جعلهم أمما ومنهم من قال بل المراد من معك نسلا وتولدا قالوا وادبيل ذلك  
 انه ما كان معه الا الذين آمنوا وقد حكم الله تعالى عليهم باقله في قوله تعالى وما آمن معه  
 الا قليل ومنهم من قال المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك  
 والمختار هو القول الثاني ومن في قوله من معك لا ابتداء الغاية والمعنى وعلى أمم ناشئة من  
 الذين معك واعلم انه تعالى جعل تلك الامم الناشئة من الذين معه على قسمين (أحدهما)  
 الذين عطفهم على نوح في وصول سلام الله وبركاته اليهم وهم أهل الامان (والثاني) أمم  
 وصفهم بأنه تعالى سيقتهم مدة في الدنيا ثم في الآخرة يسهم عذاب ألم فحكم تعالى بان  
 الامم الناشئة من الذين كانوا مع نوح عليه السلام لا بد وأن ينقسموا الى مؤمن وإلى  
 كافر قال المفسرون دخل في تلك السلامة كل مؤمن وكل مؤمنة الى يوم القيامة ودخل  
 في ذلك المناع وفي ذلك العذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيامة ثم قال أهل التحقيق انه  
 تعالى انما عظم شأن نوح بإيصال السلامة والبركات منه اليه لانه قال بسلام منا وهذا  
 يدل على ان الصديقين لا يفرحون بالنعمة من حيث انها نعمة وانما يفرحون  
 بالنعمة من حيث انها من الحق وفي التحقيق يكون فرحهم بالحق وطلبهم للحق وتوجههم  
 الى الحق وهذا مقام شريف لا يعرفه الا خواص الله تعالى فان الفرح بالسلامة وبالبركة  
 من حيث هما سلامة وبركة غير الفرح بالسلامة والبركة من حيث انهما من الحق غير  
 والاولى نصيب عامة الخلق والثاني نصيب المقر بين ولهذا السبب قال بعضهم من آثر  
 العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاص لجنة  
 الوصول وأما أهل العقاب فقد قال في شرح أحوالهم وأمم ستمتعهم ثم يسهم منا عذاب  
 ألم فحكم بأنه تعالى يعطيهم نصيبا من متاع الدنيا فدل ذلك على خسارة الدنيا فانه تعالى  
 لما ذكر أحوال المؤمنين لم يذكر الجنة أنه يعطيهم الدنيا لم لا ولا ذكر أحوال الكافرين  
 ذكر انه يعطيهم الدنيا وهذا تبييه عظيم على خسارة السعادات الجسمانية والترغيب في  
 المقامات الروحية ﴿ قوله تعالى (تلك من آباء القيب توحىها اليك ما كنت تعلمها أنت  
 ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) واعلم انه تعالى لما شرح قصة نوح عليه  
 السلام على التفصيل قال تلك أي تلك الآيات التي ذكرناها وتلك التفاصيل التي  
 شرحناها من آباء القيب أي من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق بقوله تلك في محل  
 الرفع على الابتداء ومن آباء القيب الخبر وتوحىها اليك خبر ثان وما بعده أيضا خبر ثالث  
 ثم قال تعالى ما كنت تعلمها أنت ولا قومك والمعنى انك ما كنت تعرف هذه القصة بل قومك  
 ما كانوا يعرفونها أيضا ونظيره أن تقول لانسان لا تعرف هذه المسئلة لأنك لا تعلمها

أي ليس منهم أصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر وأليس من أهلك الذين ﴿ يلدك ﴾  
 أمرتك بحملهم في القلت لخروجه عنهم بالاستثناء على التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجياهم ثم حلل عدم كونه منهم  
 على طريقة الاستثناء الحقيقي بقوله تعالى (انه حمل خير صالح) أصله انه فوعلى خير صالح فيحمل نفي الحمل  
 مبالغة كما في قول الخنساء ﴿ فانيها هي اقبال وادباره

وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد بما يطبق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد  
المحض كالقتل والمظالم واما الملوغ بان نجاه من نجا انما هي اصلاحه ووراء الكسائي ويعتوب انه عمل غير صالح اي عملا غير صالح  
ولما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نبى ذلك وحقق ببيان علته  
فرع على ذلك النهي عن سؤال أنجائه ﴿ ٩٧ ﴾ الا انه يجي بالنهي على وجه عام يتدرج فيه ذلك اندراجا أولا وقبل

(فلا نسألني) اي اذا وقفت  
على جليلة الحال فلا تطلب  
مني (ما ليس لك به علم) اي  
مطلبا لا تطلب يقينا أن حصوله  
صواب وموافق للحكمة  
على تقدير كون ماعبارة عن  
المسؤل الذي هو معلول للمسؤل  
أو طلبا لا تعلم أنه صواب على  
تقدير كونه عبارة عن المصدر  
الذي هو مفعول مطلق فيكون  
النهي واردا بصريحه في  
كل من معلوم الفساد ومشتبه  
الحال ويجوز أن يكون المعنى  
ما ليس لك علم بأنه صواب  
أو غير صواب فيكون النهي  
واردا في مشتبه الحال ويفهم  
منه حال معلوم الفساد بالطريق  
الاولى وعلى التقديرين  
فهو عام يتدرج تحته ما نحن  
فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى  
صريح في أن ندائه عليه  
الصلاة والسلام ربه عز و علا  
ليس استفسارا عن سبب عدم  
انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء  
أهله وهو منهم كما قيل فان  
النهي عن استفسار ما لم يعلم  
غير موافق للحكمة اذ عدم  
العلم بالشيء داع الى الاستفسار  
عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه

يلدك فان قيل أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند اهل العلم ولنا  
تلك القصة بحسب الاجان كانت مشهورة اما النفاصيل المذكورة فما كانت معلومة  
ثم قال فاصبر ان العاقبة للمتقين والمعنى يا محمد اصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار  
كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار وفيه نبيه على ان الصبر عاقبتهم ما صبر  
والطفر والفرح والسرور كما كان نوح عليه السلام وقومه فان قال قائل انه تعالى  
ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم انه أعادها ههنا مرة أخرى فالقائدة في هذا التكرير  
فلنا ان القصة الواحدة قد يسمع بها من وجوه في السورة الاولى كالالكفار يستجاون  
نزول العذاب فقد ذكر تعالى قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب  
ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذلك واقعة محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة  
ذكر هذه القصة لاجل ان الكفار كانوا يبالغون في الايحاش فذكر الله تعالى هذه القصة  
ليبين ان اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان حاصل في زمان نوح الا انه عليه  
السلام لما صبر نال الفرح والظفر فذكر يا محمد كذلك لتسال المقصود ولما كان وجه الانفعال  
هذه القصة في كل سورة من وجه آخر لم يكن يذكرها خاليا عن الفائدة قوله تعالى  
(والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الامفترون يا قوم  
لا أسئلكم عليه اجرا ان أجرى الا على الذي فطرني أفلا تعقلون) اعلم ان هذا هو القصة  
الثابتة من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة واعلم ان هذا معطوف على قوله  
ولقد أرسلنا نوحا والتقدير ولقد أرسلنا نوحا عاد أخاهم هودا وقوله هودا عطف بيان واعلم  
انه تعالى وصف هودا بأنه أخوهم ومعلوم ان تلك الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت  
في النسب لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا  
بناحية اليمن ونظيره ما يقال للرجل بأخائهم ويا أخا سليم والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى  
قال في ابن نوح انه ليس من أهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد اذ لم تحصل قرابة الدين  
وههنا أثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين فالفرق بينهما فلنا المراد من هذا  
الكلام استمالة قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان قومه كانوا يستبدون في مجدهم أنه  
واحد من قبيلتهم أن يكون رسولا اليهم من عند الله فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا  
من عاد وان صالحا كان واحدا من عاد لانه لا زالة هذا الاستبعاد واعلم انه تعالى حكى عن هود  
عليه السلام انه دعا قومه الى أنواع من الكالف (فانوع الاول) انه دعاهم الى  
التوحيد فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الامفترون وفيه سؤال وهو  
أنه كيف دعاهم الى عبادة الله تعالى قبل ان أقام الدلالة على ثبوت الاله تعالى فلنا دلائل  
وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والانسفس وقلا توجد في الدنيا طائفة ينكرون  
وجود الاله تعالى ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات  
والارض ليقولن الله\* قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له

لانجاء ابنه حين حال الموح ﴿ ١٣ ﴾ خا بينهما ولم يعلم بهلا كما بعد ما يتقر به الى الغياك بتلاطم الامواج أو بتقريرها  
اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل ويا باه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الغياك وقوله تعالى لا عاصم اليوم  
من أمر الله الامن رحم ومجرد حيلولة الموح بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى  
اياه برحمته وقد وعد بانجاء أهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام

إن يلهو إلى الفلك أو يدعوز به لأجائه واعتزاله عند عليه الصلاة والسلام وقصدته الأتجاه إلى الجبل ليس ينص في الأصرار على الكفر اظهور جواز أن يكون ذلك لجهله بأحصار التجاة في الفلك وزعمه أن الجبل أيضا يجرى مجراه أولكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله ما أوى إلى جبل يعصني من الماء بعد ما قال له نوح عليه الصلاة والسلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطعمه عليه السلام في إيمانه حيث لم يقل أكون معهم أو ساوياً ﴿ ٩٨ ﴾ أو يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفقلين

المذكورين ربما يشربان فراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامثاله ببعض ما أمر به نوح عليه الصلاة والسلام إلا أنه عليه الصلاة والسلام لو تأمل في شأنه حتى التأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويذر لما اشبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل (إني أهظك أن تكون من الجاهلين) فمير عن ترك الأولى بذلك وقرئ فلا تسأن بغيره الأضافة والتون الثقيلة بياوم بغيره (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك) أي أطلب منك من بعد (ما ليس لي به علم) أي مطلوب بالأعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلب بالأعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشبهه الحلال أو بالأعلم أنه صواب أو غير صواب على ما روي هذه توبة منه عليه السلام بمواقع منه وانسالم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة واطهر أثاراً للرغبة والتشاطف فيها وتبر كما يذكر ما لقنه الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك

بالحسنى دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبوعين على الاعتراف بوجود الإله وأكثرت بلاد الترك أيضاً كذلك وإنما الشأن في عبادة الأوثان فانها آفة عمت أكثر أطراف الأرض وهكذا الأمر كان في الزمان القديم أعنى زمان نوح وهود وصالح عليهم السلام فهو لاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا عندهم من عبادة الأصنام فكان قوله اعبدوا الله معناه لا تعبدوا غير الله والدليل عليه أنه قال عقبيه مالكم من الله غيره وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الأصنام وأما قوله مالكم من الله غيره فقرئ غير بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ بالجر صفة على اللفظ ثم قال إن أتم الافترون يعني انكم كاذبون في قولكم ان هذه الأصنام تحسن عبادتها أو في قولكم انها تستحق العبادة وكيف لا يكون هذا كذباً وانتراه وهي جادات لا حس لها ولا ادراك والانسان هو الذي ركبها وصورها فكيف يليق بالانسان الذي صنعها أن يعبدها وأن يضع الجبهة على التراب تعظيماً لها ثم انه عليه الصلاة والسلام لما أرشدهم إلى التوحيد ومنعهم عن عبادة الأوثان قال ويا قوم لا أسألكم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذي فطرني وهو عين ما ذكره نوح عليه السلام وذلك لان الدعوة إلى الله تعالى اذا كانت مطهرة عن دنس الطمع قوى تأثيرها في القلب ثم قال أفلا تعقلون يعني أفلا تعقلون اني مصيب في المنع من عبادة الأصنام وذلك لان العلم بصحة هذا المنع كأنه مر كوز في بدائه العقول ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) اعلم أن هذا هو النوع الثاني من التكليف التي ذكرها هود عليه السلام لقومه وذلك لانه في المقام الأول دعاهم إلى التوحيد وفي هذا المقام دعاهم إلى الاستغفار ثم إلى التوبة والفرق بينهما فقد تقدم في أول هذه السورة قال أبو بكر الأصم استغفروا أي سلوه أن يغفر لكم ماتقدم من شرككم ثم توبوا من بعده بالندم على ما مضى وبالعرض على أن لا تعودوا إلى مثله ثم انه عليه السلام قال انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عندكم ويؤوبكم على الانتفاع بتلك النعم وهذا غاية ما يراد من السعادات فان النعم ان لم تكن حاصلة تعذر الانتفاع وان كانت حاصلة إلا أن الحيوان قام به المنع من الانتفاع به لم يحصل المقصود أيضاً ما اذا كثرت النعمة وحصلت القوة الكاملة على الانتفاع بها فهمنا تحصل غاية السعادة والبهجة فقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدراراً إشارة إلى تكثير النعم لان مادة حصول النعم هي الامطار الموافقة وقوله ويزدكم قوة إلى قوتكم إشارة إلى كمال حال القوى التي بها يمكن الانتفاع بتلك النعمة ولا شك ان هذه الكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادات وان الزيادة عليها ممتعة في صريح العقل ويجب على العاقل أن يتأمل في هذه اللطائف ليعرف ما في هذا الكتاب الكريم من الاسرار الخفية وأما المفسرون فانهم قالوا القوم كانوا مخصوصين في الدنيا بنوعين من الكمال (أحدهما) أن بسايتهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب

أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمراً هائلاً محذوراً لا يحصى منه إلا بالعوذ بالله تعالى وأن ﴿ والبهجة ﴾ قدرته قاصرة عن التجاة من المكاره إلا بذالك (والانغفر لي) ما صدر عني من السؤال المذكور (وترحمني) بقبول توبتي (اكن من الخاسرين) أعمالاً بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي التجاة وهلاك الإهتداء والاشتغال بما لا يعني خصوصاً بمبادئ خلاص من قيل في شأنه إنه عمل خير صالح والتضريح إلى الله تعالى



في أمره معاملة غير رابحة وخسرتان مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يملو من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر صيب قوله تعالى فكان من الفرقين حسبا ووقع في الخارج اذ حيث يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بفرض مهم هو جعل قرابة الدين عامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم ﴿ ٩٩ ﴾ في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة

البقرة من تقديم ذكر الامر بذمها على ذكر القتل الذي هو اول القصة وكان حقه أن يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قتلنا اذبحوا بقرة فاضر بوه بغضها كما قررى موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناباتهم المتوعدة وثنية القرى عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الخ لتقرى بهم على الاستنزاه وترك المسارعة الى الامثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذا قتلتم نفسا الخ لتقرى على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لغات الفرض الذي هو ثنية القرى ولظن أن المجموع تفرغ واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية عامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من

والهجة والدليل عليه قوله ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد (والثاني) أنهم كانوا في غاية القوة والبطش ولذلك قالوا من أشد مناقرة ولما كان انقوم مقتضين على سائر الخلق يهذين الامرين وعدهم هو دعه السلام انهم لو تركوا عبادة الاصنام واشتغلوا بالاستغفار والتوبة فان الله تعالى يقوى حالهم في هذين المثلين ويزيدهم فيها درجات كثيرة ونقل أيضا ان الله تعالى لما بعث هو دعه السلام اليهم وكذبوه وحبس الله عنهم المطرسنين وأعلمهم ارحام نساءهم فقال لهم هو دان آتمتم بالله أحياء الله بلادكم وورزقكم المال والولد فذلك قوله يرسل السماء عليكم مدرارا والمدرار الكثير الدر وهو من أبنية المبالغة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم ففسروا هذه القوة بالمال والولد والشدة في الاعضاء لان كل ذلك مما يتقوى به الانسان فان قيل حاصل الكلام هو أن هو دعه السلام قال لو اشتغلتم بعبادة الله تعالى لا تفتح عليكم ابواب الخيرات الدنيوية وليس الامر كذلك لانه عليه الصلاة والسلام قال خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فكيف اجمع بينهما وأيضا قد جرت عادة القرآن بالترغيب في الطاعات بسبب ترتيب الخيرات الدنيوية والاخرى فاما الترغيب في الطاعات لاجل ترتيب الخيرات الدنيوية عليها فذلك لا يليق بالقرآن بل هو طريق مذكور في التوراة (الجواب) انه لما أكثر الترغيب في السعادات الاخرى يعلم بعد الترغيب أيضا في خير الدنيا بقدر الكفاية وأما قوله ولاتنولوا مجرمين فمناه لاتعرضوا عني وعماد دعواكم اليه وأرغبكم فيه مجرمين أي مصرين على اجراءكم وآثامكم ﴿ قوله تعالى ( قالوا يا هود ما جئنا بينة وما نحن بتارى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان تقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء قال لاني أشهد الله واشهدوا أنى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنتظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) اعلم انه تعالى لما حكى عن هو دعه السلام ما ذكره للقوم حكى أيضا ما ذكره القوم له وهو أشياء (أولها) قولهم ما جئنا بينة أى بحجة والبنية سميت بنية لانها تبين الحق من الباطل ومن المعلوم أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزات الآن القوم بجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات (وثانيها) قولهم وما نحن بتارى الهتنا عن قولك وهذا أبيضار كيك لانهم كانوا يعترفون بأن النافع والضار هو الله تعالى وان الاصنام لاتنفع ولا تضر ومتى كان الامر كذلك فقد ظهر في بديهة العقل أنه لا تجوز عبادتها وتركهم الهتهم لا يكون عن مجرد قوله بل عن حكم نظر العقل وبديهة النفس (وثالثها) قوله وما نحن لك بمؤمنين وهذا يدل على الاصرار والتقليد والجمود (ورابعها) قولهم ان تقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء يقال اعتراه كذا اذا غشبه وأصابه والمعنى انك شتمت آلهتنا فجعلتك مجنوننا وأفسدت عقلك ثم انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك قال هو دعه السلام انى أشهد الله واشهدوا أنى برى مما تشركون من دونه وهو ظاهر ثم قال فكيدونى جميعا ثم لا تنتظرون وهذا نظير

الجواب المستدعى لذكر ما مر من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيحى مفصلا ولازيب في أن هذه المعاني آخذ بعضها بحجة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك بما يتبم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم

أقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المفرقين ولهذه التكنة ازيد احسن  
 موقع الايجاز البالغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله تعالى فكان  
 من المفرقين لم يأتواهم من أول الامر الى أن يرد قوله انه ليس من أهلاك أنه يجوز بدعائه عليه الصلاة والسلام فنص على هلاكه  
 من أول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو ﴿ ١٠٠ ﴾ عبارة عن تعلق الارادة الاربانية الازلية بما ذكر

ما قاله نوح عليه السلام لقومه فأجمعوا أمركم وشركائكم الى قوله ولا تنظرون واعلم ان  
 هذا معجزة قاهرة وذلك أن الرجل الواحد اذا قبل على القوم العظيم وقال لهم بالنوا  
 في عداوتي وفي موجبات ايذائي ولا تؤجلون فانه لا يقول هذا الا اذا كان واثقا من عند  
 الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه عن كيد الاعداء ثم قال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها قال  
 الازهرى ان ناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر انابت هناك  
 ناصية باسم منبته واعلم أن العرب اذا وصفوا انسانا بالدلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان  
 الايد فلان أي انه مطيع له لان كل من أخذت بناصيته فقد قهرته وكانوا اذا أسروا  
 الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة لقهره فخوطبوا في  
 القرآن بما يعرفون فتولاه ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها أي ما من حيوان الا هو تحت  
 قهره وقدرته ومفاد لقضائه وقدره ثم قال أن ربي على صراط مستقيم وفيه وجوه (الاول)  
 انه تعالى لما قال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها شعر ذلك بقدرته عالية وقهره عظيم فأتبعه  
 بقوله ان ربي على صراط مستقيم أي انه وان كان قادرا عليهم لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم  
 الا ما هو الحق والعدل والصواب قالت المعتزلة قوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها يدل على  
 التوحيد وقوله ان ربي على صراط مستقيم يدل على العدل فثبت ان الدين انما يتم بالتوحيد  
 والعدل (الثاني) انه تعالى لما ذكر أن سلطانه قهر جميع الخلق أتبعه بقوله ان ربي على  
 صراط مستقيم يعني أنه لا يخفى عليه مستر ولا يفوته هارب فذكر الصراط المستقيم وهو  
 يعني به الطريق الذي لا يكون لاحد مسلك الاعليه كما قال ان ربك بالمرصاد (الثالث) أن  
 يكون المراد ان ربي يدل على الصراط المستقيم أي يبحث أو يحملكم بالدعاء اليه ﴿ قوله  
 تعالى (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضررونه  
 شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ) اعلم أن قوله فان تولوا يعني فان تولوا ثم فيه وجهان  
 (الاول) تقدير الكلام فان تولوا لم أعان على تقصير في الايلاخ وكنتم محجوجين كأنه  
 يقول انتم الذين أصرتم على التكذيب (الثاني) فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم  
 ثم قال ويستخلف ربي قوما غيركم يعني يخلق بعدكم من هواطوع الله منكم وهذا اشارة  
 الى نزول عذاب الاستئصال ولا يضررونه شيئا يعني ان اهلاكم لا ينقص من ملكه شيئا  
 ثم قال ان ربي على كل شيء حفيظ وفيه ثلاثة أوجه (الاول) حفيظ لامال العباد  
 حتى يجازيهم عليها (الثاني) يحفظني من سرهم ومكرهم (الثالث) حفيظ على كل شيء  
 يحفظه من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء ﴿ قوله تعالى ( ولما جاء أمرنا نجينا هودا  
 والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات  
 ربهم وعصوا رسالته واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم  
 القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم الأبعدا لعساد قوم هود ) اعلم أن قوله ولما جاء أمرنا  
 أي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله بها سبع ليال وثمانية أيام

من الغيظ والافلاخ وبين  
 بلوغ أسى الله محله وجريان  
 قضائه ونفوذ حكمه عليهم  
 بهلاك من هلك ونجاة من نجا  
 بتام ذلك الطوفان واستواء  
 الفلك على الجودي فقصدت  
 القصة الى هذه المرتبة وبين  
 ذلك أي بيان ثم تعرض لما  
 وقع في تضاعيف ذلك بما جرى  
 بين نوح عليه السلام وبين  
 رب العزة جلت حكمته فذكر  
 بعد توبته عليه الصلاة  
 والسلام قبولها بقوله  
 ( قيل يا نوح اهبط ) أي انزل  
 من الفلك وقرئ بضم الباء  
 ( بسلام ) ملتبسا بسلامة  
 من الكاره كأنسة ( منا )  
 أو بسلام ونحية منا عليك  
 كما قال سلام على نوح في العالمين  
 ( و بركات عليك ) أي خيرات  
 نامية في نسلك وما يقوم به  
 معاشك ومعاشهم من أنواع  
 الارزاق وقرئ بركة وهذا  
 اعلام و بشارة من الله تعالى  
 يقبول توبته و خلاصه  
 من الحسران بفيضان أنواع  
 الخيرات عليه في كل ما يأتي  
 وما يندر ( وعلى أم ) ناشئة  
 ( بمن معك ) الى يوم القيامة  
 متشعبة منهم فن ابتدائية

والمراد الام المؤمنة المتناسلة بمن معه الى يوم القيامة ( وأم ستمتعهم ) أي ومنهم على انه خبر حذف للدلالة ﴿ تدخل ﴾  
 ماسبق عليه فان اراد الام المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني  
 ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم أم ممنوعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون  
 مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا عليهم صريحوا انما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام

ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أي وعلى أمهم الذين معك وانما سموا بالانهم امهم محزنة  
وجاهات متفرقة أولان جميع الامم اثنا عشر منهم فحيث يكون المراد بالام المشار اليهم في قوله تعالى وأمهم سمعهم بعض الامم  
المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبقى أمر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول  
عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره ﴿ ١٠١ ﴾ المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية أو ابتدائية

فأمل ( ثم بمسهم ) اما في  
الآخرة أوفي الدنيا أيضا  
( مناعذاب ألم ) عن محمد بن  
كعب القرظي دخل في ذلك  
السلام كل مؤمن ومؤمنة  
الى يوم القيامة وفيما بعده من  
المتاع والعذاب كل كافر وعن  
ابن زيد هبطوا والله عنهم  
راض ثم أخرج منهم نسلا  
منهم من رحم ومنهم من عذب  
وقيل المراد بالام المنعقة قوم  
هود وصالح ولوط وشيب  
عليهم السلام وبالعذاب ما نزل  
بهم ( تلك ) اشارة الى ما قص  
من قصة توح عليه الصلاة  
والسلام اما لكونها بتقصيها  
في حكم البعيدا وللدلالة على  
بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره  
( من انباء الغيب ) أي من  
جنسها أي ليست من قبيل  
سائر الانبياء بل هي نسج وحدها  
منفردة عما عداها أو بعضها  
( نوحيا اليك ) خبر ثان  
والضمير لها أي موحة اليك  
او هو الخبر ومن انباء متعلق به  
فالتفسير بصيغة المضارع  
لاستحضار الصورة أو حال  
من انباء الغيب أي موحة اليك  
( ما كنت تعلمها أنت ولا قومك )

تدخل في مناخرهم وتخرج من أديبارهم وتصرعهم على الارض على وجوههم حتى  
صاروا كأنهم نخل خاوية فان قيل فهذه الريح كيف تؤثر في اهلاكهم قلنا محتمل أن  
يكون ذلك لشدة حرها أو لشدة بردها أو لشدة قوتها فتخطف الحيوان من الارض  
ثم تضر به على الارض فكل ذلك محتمل وأما قوله نجينا هودا فاعلم أنه يجوز اتیان البلية  
على المؤمن وعلى الكافر معا وحيث تكون تلك البلية رحمة على المؤمن وعذابا على  
الكافر فأما العذاب النازل بمن يكذب الانبياء عليهم السلام فانه يجب في حكمة الله تعالى  
أن ينجي المؤمن منه ولو لذلك لما عرف به كونه عذابا على كفرهم فلهمنا السبب قال الله  
تعالى ههنا نجينا هودا والذين آمنوا معه \* وأما قوله برحمة منا فقيه وجوه (الاول) أراد  
أنه لا ينجوا أحد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة من الله (والثاني) المراد  
من الرحمة ما هداهم اليه من الايمان بالله والعمل الصالح (الثالث) أنه رحمهم في ذلك  
الوقت وميرهم عن الكافرين في العقاب \* وأما قوله ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد  
من العذاب الاولي هي العجاة من عذاب الدنيا والعجاة الثانية من عذاب القيامة وانما وصفه  
بكونه غليظا تنبيها على أن العذاب الذي حصل لهم بعد موتهم بالنسبة الى العذاب الذي  
وقعوا فيه كان عذابا غليظا والمراد من قوله تعالى ونجيناهم أي حكمنا بأنهم لا يستحقون  
ذلك العذاب الغليظ ولا يقعون فيه واعلم أنه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى  
الله عليه وسلم فقال وتلك عاد فهو اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سيروا  
في الارض فانظروا اليها واعتبروا \* ثم انه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم  
في الدنيا والآخرة فاما أوصافهم فهي ثلاثة (الصفة الاولى) قوله جحدوا بايات ربهم  
والمراد انهم جحدوا دلالة المعجزات على الصدق أو جحدوا دلالة المحذورات على وجود  
الصانع الحكيم ان ثبت أنهم كانوا زنادقة (الصفة الثانية) قوله وعصوا رسله والسبب فيه  
أنهم اذا عصوا رسولا واحدا فقد عصوا جميع الرسل لقوله تعالى لانفرق بين أحد من  
رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود عليه السلام (الصفة الثالثة) قوله واتبعوا أمر كل جبار  
عنيذ والمعنى ان السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم والمراد من  
الجبار المرتفع المتمرد والعنيذ العنود والمعاند وهو المنازع المعارض \* واعلم أنه تعالى لما ذكر  
أوصافهم ذكر بعد ذلك أحوالهم فقال واتبعوا في هذه الدنيا عنة ويوم القيامة أي جعل  
اللعن رديف لهم ومتابعا ومصاحبا في الدنيا وفي الآخرة ومعنى اللعنة الابعاد من رحمة  
الله تعالى ومن كل خير ثم انه تعالى بين السبب الاصل في نزول هذه الاحوال المكروهة بهم  
فقال ألا ان عادا كفروا ربهم قيل أراد كفروا ربهم فحذف الباء وقيل الكفر هو الجحد  
فالتقدير ألا ان عادا جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف أي كفروا نعمة ربهم  
ثم قال أابعدا لاعداد قوم هود وفيه سؤالان (السؤال الاول) اللعن هو البعد فلما قال  
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة فالقائدة في قوله أابعدا لعاد (والجواب)

خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) أي من قبل ايماننا اليك واخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كتبته  
بالوحي أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحيا أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه  
على أنه عليه الصلاة والسلام تعلمه اذ لم يتخاطبهم وانهم مع كثرتهم لم يعلموه فكيف بواحد منهم (فاعتبر) متفرع على  
الايحاء أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل



قال (يا قوم اعبدوا الله) أي وحدته كما يلي حنه فوله تعالى (ما لكم من الخيرة) فإنه استثناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل الأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم من الهواه وغيره بالرفع صفة لأنه باعتبار مجمله وقرى بالجر جلاله على لفظه (ان أنتم) ما أنتم بتأخذكم الا صنم شركاء له أو يقولكم ان الله أمرنا بعبادتها (الامفوتون) عليه تعالى من ذلك علوا كبيرا (يا قوم لا أسألكم عليه أجر) ١٠٣ ﴿ ان أجرى الاعلى الذى فطرني ) خاطب به كل نبي قومه اذ اذاعة لما

عسى يتوهمونه واحسانا للنصيحة فانها مادامت مشوبة بالمطامع بعزل عن التأثير و ايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الغائضة من جناب الله تعالى المستوجبة لشكر الذى لا يتأتى الا بالجرىان على موجب أمر الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التى من جلتها الاجر (أفلا تعقلون) أى أتعقلون عن هذه القضية أو لا تفكرون فيها فلا تعقلونها أو تجهلون كل شئ فلا تعقلون شيئا أصلا فان هذا مما لا ينبغي أن يخفى على أحد من العقلاء (ويا قوم استغفرا ربكم) أى اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايان والطاعة (ثم توبوا اليه أى توسلوا اليه بالتوبة وأيضا التبرؤ من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده ( يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) أى كثير الدرور (ويزدكم قوة) مضافة ومنضجة (الى قوتكم) أى يضاعفها لكم وانما رغبتهم بكثرة المطر

قريب بالعلم والسمع محيب دعا المحتاجين بفضلهم ورحمتهم بين تعالى أن صالحا عليه السلام لما قرر هذه الدلائل قالوا يا صالح قد كنت فينا من جواقيل هذا وفيه وجوه (الاول) انه لما كان رجلا قوى العقل قوى الخاطر وكان من قبيلتهم قوى رجاؤهم في أن ينصر دينهم ويقوى مذهبهم ويقرر طريقتهم لأنه متى حدث رجل فاضل في قوم طمعه وفيه من هذا الوجه ( الثالث) قال بعضهم المراد انك كنت تعطف على قفرنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا وقوى رجاؤنا فيك انك من الانصار والاحباب فكيف أظهرت العداوة والبغضة ثم انهم أضافوا الى هذا الكلام التعجب الشديد من قوله فقالوا أنت هنا ان نعبد ما يعبد آباؤنا والمقصود من هذا الكلام التمسك بطريق التقليد ووجوب متابعة الآباء والاسلام ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا جعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ثم قالوا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مر يب والشك هو أن يبقى الانسان متوقفا بين النبي والاثبات والمر يب هو الذى يظن به السوء فقوله واننا لفي شك يعنى به انه لم يترجح في اعتقادهم صحة قوله وقوله مر يب يعنى انه ترجح في اعتقادهم فساد قوله وهذا ما بلغه في تزيف كلامه \* قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فأتاني يدونني غير تخسير) اعلم أن قوله ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين تام في امره الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب الى القبول فكانه قال قدروا أنى على بينة من ربي وأنى نبي على الحقيقة وانظروا انى ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامرهم فمن يعنى من عذاب الله فأتاني يدونني على هذا التقدير غير تخسير وفي تفسير هذه الكلمة وجهان (الاول) ان على هذا التقدير تخسرون أعمالى وتبطلونها (الثاني) ان يكون التقدير فأتاني يدونني بما تقولونى ومحمولونى عليه غير أن أخسر كم أى أنسبكم الى الخسران وأقول لكم انكم خاسرون والقول الاول أقرب لان قوله فمن ينصرني من الله ان عصيت كالدلالة على انه أراد ان أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذى دعوتونى اليه لم ازد الا خسرانا في الدين فأصبر من الهالكين الخاسرين \* قوله تعالى ( ويا قوم هذه ناقه الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ) اعلم ان العادة فيمن يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام أن يتدعى بالدعوة الى عبادة الله ثم يتبعه بدعوى النبوة لابدؤا أن يطلبوا منه المجزوء أمر صالح عليه السلام هكذا كان \* يروى أن قومه خرجوا في عيد لهم فسأوه أن يأتيهم بآية وأن يخرج لهم من صخرة معينة أشاروا اليها ناقه فدعا صالح ربه فخرجت الناقة كما سألوا واعلم أن تلك الناقة كانت معجزة من وجوه (الاول) انه تعالى خلقها من الصخرة (وثانيتها) انه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل (وثالثها) انه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ( ورابعها ) انه خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة

لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر وأقمهم ثلاث سنين فوعدهم عليه الصلاة والسلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالناسل على الايمان والتوبة ( ولا تتولوا ) أى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه (بجر مين) مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ) أى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتيادهم بما جاءهم من البينات القائمة بالحصر ( وما نحن بتاركى آلهتنا ) أى بتاركى

عبادتها ( عن قولك ) أي صادز بن عنه أي صادر أتر كنعن ذلك بأستاذ حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على أبل وجه دلالة على كونه علة فاعلية ولا يفيد الباء واللام وهذا قولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف أجتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ( وما نحن لك بمؤمنين ) أي بمصدقين في شيء مما أتى وتذرفيندرج تحته مادعا هم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في ﴿ ١٠٤ ﴾ العتومالا يخفي ( ان نقول الاعتراف ) أي مانقول

الاقولنا اعتراف أي أصابك ( بعض آلهتنا بسوء ) يجنون لسبك آياها ووصفها عن عبادتها وحطك لها عن ربه الالهوية والمعبودية بماسر من قولك مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون والتكفير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في السوء كما ينبغي عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغولان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهديانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدق ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكتوا في طريقته المخالفة والعدا الى سبيل الترفي من الادنى الى الاعلى حيث

( وخامسها ) ماروي أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب يوم آخر ( وسادسها ) انه كان يحصل منها ابن كثير يكتفي الخلق العظيم وكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي وليس في القرآن الا أن تلك الناقة كانت آية ومعجزة فأما بيان أنها كانت معجزة من أي الوجوه فليس فيه بيانه \* ثم قال فذروها تأكل في ارض الله والمراد انه عليه السلام رفع عن القوم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا ينتفعون بلبنها على ماروي انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فان الخصب لا يجب ظهور حجة خصمه بل يسعى في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلهمذا احتاط وقال ولا تمسوها بسوء وتوعدهم ان مسوها بسوء بعذاب قريب وذلك تحذير شديد لهم من اقدام على قتلها ثم بين الله تعالى انهم مع ذلك عقروها وذبحوها ويحتمل أنهم عقروها لابطال تلك الحجة وأن يكون لانها ضيقت الشرب على القوم وأن يكون لانهم رغبوا في شحمها ولحمها وقوله فأخذكم عذاب قريب يريد اليوم الثالث وهو قوله تتعوا في داركم \* ثم بين تعالى ان القوم عقروها فعند ذلك قال لهم صالح عليه السلام تتعوا في داركم ثلاثة أيام ومعنى التمتع التلذذ بالمتاع والملاذاتي تدرك بالحواس ولما كان التمتع لا يحصل الا للحي عبر به عن الحياة وقوله في داركم فيه وجهان ( الاول ) ان المراد من الدار البلد وتسمى البلاد بالديار لانه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر أي بلادهم ( الثاني ) ان المراد بالديار الدنيا \* وقوله ذلك وعد غير مكذوب أي غير كذب والمصدر قدير بلفظ المفعول كالمجلود والمقول و بأيكم المقتون وقيل غير مكذوب فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم في الايمان وذلك لانهم لما عقروا والناقاة أنذرهم صالح عليه السلام ب نزول العذاب فقالوا وما علامة ذلك فقال تصبر وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني حمرة وفي الثالث مسودة ثم بأيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم قد اسودت أيقنوا بالعذاب فاحتسبوا واستعدوا للعذاب فصبحهم اليوم الرابع وهي الصيحة والصاعقة والعذاب فان قيل كيف يعقل أن تظهر فيهم هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه السلام ثم يتعوا مصرين على الكفر قلنا ما دامت الامارات غير باغية الى حد الجرم واليقين لم يمتنع بقاؤهم على الكفر واذا صارت يقينية قطعية فقد انتهت الى حد الاجاء والايمان في ذلك الوقت غير مقبول \* قوله تعالى ( فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز ) الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا بهم الابدان لثمود ) اعلم ان مثل هذه الآيات قد مضى في قصة عاد وقوله ومن خزي يومئذ فيه مسائل ( المسئلة الاولى ) الواو في قوله ومن خزي واو العطف وفيه وجهان ( الاول ) أن يكون التقدير نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا من العذاب النازل بقومه ومن الخزي

أخبروا أو لا عن عدم مجيئه بالبينه مع احتمال كون ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجة في نفسه وان لم تكن \* الذي \* واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضا حيث قالوا ما قالوا آلهتهم الله



يعني انكم وان بذاتكم في مضارتي مجمودكم لا تقدرون على شي مما تريدون في غاتي متوكل على الله تعالى وانما جئ بلفظ الماضي لكونه  
 أدل على الانشاء المناسب للمقام ووائق بكلامتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يبصر عنكم شي ولا يصيبني أمر  
 الأبارادته ومثبته ثم برهن عليه بقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي الا هو مالك لها قادر عليها بصرفها كيف يشاء غير  
 مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك \* ١٠٦ \* (ان ربي على صراط مستقيم) لتعليل لما يدل عليه التوكل من

رضي الله عنهما \* ثم قال تعالى فأصبحوا في ديارهم جائعين والجنوم هو السكون يقال للطير  
 اذا باتت في أوكارها انها جئمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت  
 فوصف الله تعالى هؤلاء المهلكين بأنهم سكنوا عند الهلاك حتى كأنهم ما كانوا أحياء  
 وقوله كأن لم يفنوا فيها أي كأنهم لم يوجدوا والمعنى المقام الذي يعقب الحى به يقال غنى  
 الرجل بمكان كذا اذا أقام به \* ثم قال تعالى ألا ان تمود كفروا ربهم الا بعد التمود قرأ حزة  
 وحفص عن عاصم ألا ان تمود غير ممنون في كل القرآن وقرأ الباقون ءود بالثوين ولثود  
 كلاهما بالصرف والصرف للذهاب الى الحى أو الى الاب الأكبر ومنعه للتعريف  
 والأيت بمعنى القبلة \* قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبرى قالوا اسلما قال  
 سلام فآلبت أن جاء بجمل حينئذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة  
 قالوا لا تخف اننا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكك فبشرناها باسمحق ومن وراءه  
 اسحق يعقوب) اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة  
 وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الخويون دخلت كلمة قد ههنا لان السامع لقصص  
 الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة وقد لتوقع ودخلت اللام في لقلنا كيد  
 الخبر ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة فهذا يفيد القطع بمحصل ثلاثة وأما الزائد على هذا  
 العدد فلا سبيل الى اثباته الا بدليل آخر وأجروا هلى أن الاصل فيهم كان جبريل عليه  
 السلام ثم اختلفت الروايات فقيل أنه جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكا على  
 صورة العلمان الذين يكونون في غاية الحسن وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس  
 رضي الله عنهما كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وهم الذين  
 ذكرهم الله في سورة والذاريات في قوله هل أتاك حديث ابراهيم وفي الحجر  
 ونبثهم عن ضيف ابراهيم (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بالبرى على وجهين  
 (الاول) ان المراد ما بشره الله بعد ذلك بقوله فبشرناها باسمحق ومن وراءه اسحق  
 يعقوب (الثاني) ان المراد منه أنه بشر ابراهيم عليه السلام بسلامة لوط وبأهلاك  
 قومه \* وأما قوله قالوا اسلما قال سلام فقيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة  
 والكسائي قالوا سلم قال سلم بكسر السين وسكون اللام بغير ألف وفي والذاريات مثله  
 قال القراء لافرق بين القراءتين كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام لان في التفسير انهم لما  
 جاؤا سلموا عليه قال أبو على الفارسي ويحتمل أن يكون سلم خلاف العدو والحرب كأنهم  
 لما امتنعوا من تناول ما قدمه اليهم نكرهم وأوجس منهم خيفة قال اناسم ولست بحرب  
 ولا عدو قلتنا متنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو وهذا الوجه عندي  
 بعيد لان على هذا التقدير ينبغي أن يكون تكلم ابراهيم عليه السلام بهذا اللفظ بعد  
 احضار الطعام الا أن القرآن يدل على ان هذا الكلام انما وجد قبل احضار الطعام لانه  
 تعالى قال قالوا اسلما قال سلام فآلبت أن جاء بجمل حينئذ والفاء للتعقيب فدل ذلك على

عدم قدرتهم على اضراره أي  
 هو على الحق والعدل فلا يكاد  
 يسلطكم على اذ لا يضيع عنده  
 معتصم ولا يفتات عليه ظالم  
 والاقصا ر على اضافة الرب  
 الى نفسه اما بطريق الاكتفاء  
 لظهور المراد واما لان فائدة  
 كونه تعالى مالك لهم أيضا راجعة  
 اليه عليه الصلاة والسلام  
 (فان تولوا) أي تتولوا بخذف  
 احدى التاءين أي ان تستروا  
 على ما كنتم عليه من التولى  
 والاعراض (فقد أبلغتكم  
 ما أرسلت به اليكم) أي لم أعاتب  
 على تفريط في الإبلاغ وكنتم  
 محجوجين بان بلغكم الحق  
 فأيتيم الاتكذيب والجحود  
 (ويستخلف ربي قوما غيركم)  
 استخاف بالوعيد انهم بأن الله  
 تعالى يهلكهم ويستخلف في  
 ديارهم وأموالهم قوما آخرين  
 أو عطف على الجواب بالفاء  
 ويؤيده قراءة ابن مسعود  
 رضي الله عنه بالجرم عطف على  
 الموضوع كأنه قيل فان تولوا  
 يعذرنى ويهلككم ويستخلف  
 مكانكم آخرين وفي اقتصار  
 اضافة الرب عليه عليه السلام  
 رمز الى اللطف به والتدبير

للخطاطين (ولا تضرونه) توليكم (شيئا) من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط منه النون \* أن  
 (ان ربي على كل شي حفيظ) أي رقيب مهين فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شي فكيف  
 يبصره شي وهو حافظ لكل (ولما جاء أمرنا) أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالبحر



ملائق من التخميم والتحويل أو ورد أمر بالعداب (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة الاف (رحمة) عظيمة كاشتهل (منار) وهي الايمان الذي نعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه (ونجيناهم من عذاب غليظ) أي كانت تلك النجاة تهيبة من عذاب غليظ وهي السعوم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أديارهم فقطعهم اربا ربا وقيل أريد بالثابتة النجاة من عذاب الآخرة ولا عذاب ﴿ ١٠٧ ﴾ أغلظ منه وأشد وهذه النجاة وان لم تكن مفيدة بمجيء الامر

لكن جئ بها تكملة للنعمة عليهم وتعرضا بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسعوم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة أولان الإشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم (كفروا بها بعدما سبقوها) وعصوا رسوله (جمع الرسل مع أنه لم يرسل اليهم غير هود عليه الصلاة والسلام تفضيها لحالهم واطهارا لكسال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصبان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لانفرق بين أحد من رسله فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وقبه زيادة ملائمة لما تقدم من جميع الآيات وما أخرج من قوله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) من كبر أنهم ورؤسائهم الدعاء الى الضلال والى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار وهذا الوصف

أن مجيئه بذلك العجل الحنيد كان بعد ذكر السلام (المسئلة الثانية) قالوا سلاما تقديره سلمنا عليك سلاما قال سلام تقديره أمرى سلام أي لست مريدا غير السلامة والصلح قال الواحدى ويحتمل أن يكون المراد سلام عليكم فجاء به مر فوعا حكاية لقوله كما قال وحذف عنه الخبر كما حذف من قوله فصبر جيل وإنما يحسن هذا الحذف اذا كان المقصود معلوما بعد الحذف وههنا المقصود معلوم فلا جرم حسن الحذف ونظيره قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام على حذف الخبر واعلم أنه انما سلم بعضهم على بعض رعاية للاذن المذكور في قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلطوا على أهلها (المسئلة الثالثة) أكثر ما يستعمل سلام عليكم بغير ألف ولام وذلك لانه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك فان قيل كيف جاز جعل النكرة مبتدأ قلنا النكرة اذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدأ فاذا قلت سلام عليكم فالتكثير في هذا الموضع يدل على التمام والكمال فكأنه قيل سلام كامل تام عليكم ونظيره قولنا سلام عليك وقوله تعالى قال سلام عليك سأستغفر لك ربي وقوله سلام قولنا من رب رحيم سلام على نوح في العالمين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فاما قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فهذا أيضا جاز والمراد منه الماهية والحقيقة وأقول قوله سلام عليكم أكل من قوله السلام عليكم لان التكثير في قوله سلام عليكم يفيد الكمال والمبالغة والتمام وأما لفظ السلام فإنه لا يفيد الامساكية قال الاخفش من العرب من يقول سلام عليكم فيعربى قوله سلام عن الالف واللام والتنوين والسبب في ذلك أن كثرة الاستعمال أباح هذا التخفيف والله أعلم \* ثم قال تعالى فآبث أن جاء بعجل حنيدا قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك ثم جاءه الملائكة فرأى اضيفا فلم ير مثلهم فجعل وجاء بعجل حنيد فقوله فآبث أن جاء بعجل حنيد معناه فآبث في الجحى به بل بعجل فيه أو التقدير فآبث مجيئه والعجل ولد البقرة أما الحنيد فهو الذي يشوى في حفرة من الارض بالبحارة المحمأة وهو من فحل أهل البادية معروف وهو مخنوذ في الاصل كما قيل طبخ ومطبوخ وقيل الحنيد الذي يقطر دسمه يقال حنذت الفرس اذا ألقيت عليه الجمل حتى تقطر عرقا ثم قال تعالى فلما رأى أيديهم لاتصل اليه أي الى العجل وقال القراء الى الطعام وهو ذلك العجل نكرهم أي أنكروهم يقال نكروه وأنكروه واستكروه واعلم أن الاضياف انما امتنعوا من الطعام لانهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون وانما أتوه في صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوبا بالاضيفة وأما ابراهيم عليه السلام فقوله اما أن يقال انه عليه السلام ما كان يعلم أنهم ملائكة بل كان يعتقد فيهم أنهم من البشر أو يقال انه كان عالما بأنهم من الملائكة اما على الاحتمال الاول فسبب خوفه أمران (أحدهما) أنه كان ينزل في طرف من الارض بعيد من الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف أن يريد وابه مكرهها (وثانيها) ان من

ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فمنهم فان الاتباع للامر من أوصاف الاسافل دون الرؤساء وعين دفعيل من عند عندا وعندا اذا طفا والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى وأطاعوا من دعاهم الى الردى (واتبعوا في هذه الدنيا العنة) ابعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت العنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتعبية للمبالغة فكأنها لاتفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل يتبوء معهم حثيا داروا ولو وقع في صحبة اتباعهم رؤسائهم يعني أنهم

لما تبغوهم أتبعوا ذلك جزاء أصفهم جزاء وفاقا ( ويوم القيامة ) أي أتبعوا يوم القيامة أيضا لئلا وهي عذاب النار  
 الخلد حدثت لدلالة الأولى عليها وللايدان بكون كل من العنتين نوعا برأسه لم يجعما في قرن واحد بأن يقال وأتبعوا  
 في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كافي قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة أئدانا باختلاف نوعي الحسنتين  
 فان المراد بالحسنة الدنيا بخير الصحة والكفافي والتوفيق ﴿ ١٠٨ ﴾ للخير وبالْحسنة الآخرة والثواب والرحمة (ألا إن عادا

لا يعرف اذا حضر وقدم اليه طعام فان أكل حصل الامن وان لم يأكل حصل الخوف  
 وأما الاحتمال الثاني وهو انه عرف انهم ملائكة الله تعالى فسبب خوفه على هذا التقدير  
 أيضا أمران ( أحدهما ) انه خاف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله تعالى عليه ( والثاني )  
 انه خاف أن يكون نزولهم لتعذيب قومه \* فان قيل فأى هذين الاحتمالين أقرب وأظهر قلنا  
 أما الذي يقول انه ما عرف انهم ملائكة الله تعالى فله أن يحتج بأمور ( أحدها ) أنه سارع  
 الى احضار الطعام ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك ( وثانيها ) أنه لما رآهم  
 ممنوعين من الاكل خافهم واوعرف كونهم من الملائكة لما استبدل بترك الاكل على  
 حصول الشر ( وثالثها ) انه رآهم في أول الامر في صورة البشر وذلك لا يدل على كونهم  
 من الملائكة وأما الذي يقول انه عرف ذلك احتج بقوله لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط  
 وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف بأى سبب ارسلوا \* ثم بين تعالى أن الملائكة أزالوا  
 ذلك الخوف عنه فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط ومعناه ارسلنا بالعباد الى قوم لوط  
 لانه أضم لقيام الدليل عليه في سورة أخرى وهو قوله انا ارسلنا الى قوم محرمين لنزل  
 عليهم حجارة \* ثم قال تعالى وامر أنه قائمته يعني ساره بنت آزر بن باحورا بنت عم ابراهيم  
 عليه السلام وقوله قائمته قيل كانت قائمته من وراء الستر تستمع الى الرسل لانهار بما خافت  
 أيضا وقيل كانت قائمته تخدم الاضياف و ابراهيم عليه السلام جالس معهم وبؤكدها  
 التأويل قراءة ابن مسعود وامر أنه قائمته وهو قاعد \* ثم قال تعالى فضحكك فبسرناها باسحق  
 واختلفوا في الضحك على قولين منهم من حله على نفس الضحك ومنهم من حل هذا اللفظ  
 على معنى آخر سوى الضحك أما الذين حله على نفس الضحك فاختلفوا في أنها لم ضحكك  
 وذكرها ووجوها ( الأول ) قال القاضي ان ذلك السبب لا بد وأن يكون سببا جرى ذكره في  
 هذه الآية وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال ذلك الخوف عن ابراهيم عليه السلام حيث  
 قالت الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وعظم سروره بسبب سروره بزوال خوفه  
 وفي مثل هذه الحالة قد يضحك الانسان وبالجملة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة  
 ل ابراهيم عليه السلام لا تخف فكان كالبشارة فقبل لها نيجل هذه البشارة بشارتين فكما  
 حصلت البشارة بزوال الخوف فقد حصلت البشارة أيضا بحصول الولد الذي كنتم  
 نطلبونه من أول العمر الى هذا الوقت وهذا تأويل في غاية الحسن ( الثاني ) يحتمل أنها  
 كانت عظيمه الانكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث فلما أظهروا  
 انهم جاؤا لاهلاكهم لحقها السرور فضحكك ( الثالث ) قال السدي قال ابراهيم عليه  
 السلام لهم أنا كلون قالوا لا أنا كل طعاما الا بالثمن فقال ممنه ان تذكروا اسم الله تعالى  
 هلى أوله ونحمدوه على آخرة فقال جبريل ليكايل عليهما السلام حق لثل هذا الرجل أن  
 يتخذ به خيلا فضحكك امر أنه فرحانها بهذا الكلام ( الرابع ) ان سارة قالت ل ابراهيم  
 عليه السلام أرسل الى ابن أخيك وضمه الى نفسك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى

كفروا ربهم ( أي ربهم )  
 أو نعمة ربهم جلالة على  
 نقيضه الذي هو الشكر  
 أو وجدوه ( الألباطل )  
 ذعاب عليهم بالهلاك مع كونهم  
 هالكين أي هلاك تسجيلا  
 عليهم باستحقاق الهلاك  
 واستيجاب الدمار وتكرير  
 حرف التثنية واعادة عاد للبالغة  
 في تفضيخ حالهم والحث على  
 الاعتبار بقصتهم ( قوم  
 هود ) عطف بيان لعاد قائمته  
 التمييز عن عاد الثانية عاد ارم  
 والاياء الى أن استحقاقهم  
 للبعد بسبب ما جرى بينهم  
 وبين هود عليه الصلاة  
 والسلام وهم قومه ( والى عمود  
 أخاهم صالحا ) عطف على  
 ما سبق من قوله تعالى والى عاد  
 أحاهم هودا وعمود قبيلة من  
 العرب سموها باسم أبيهم الأكبر  
 عمود بن عابر بن ارم بن سام  
 وقيل انما سموها بذلك لقلته ما هم  
 من النمد وهو الماء القليل  
 وصالح عليه الصلاة والسلام  
 هو ابن عبيد بن اسف بن ماشع  
 بن عبيد بن جادر بن عمود  
 ولما كان الاخبار بارساله اليهم  
 مظنة لان يسئل ويقال ماذا  
 قال لهم قيل جوابا عنه بطريق

الاستئناف ( قال يا قوم اعبدا الله ) أي ربحه وعلل ذلك بقوله ( مالكم من العزيرة ) ثم يز يد فيما بينهم ﴿ يعذبهم ﴾  
 على الايمان والتوحيد ويحتمل على زيادة الاخلاص فيه بقوله ( هو أنشأكم من الارض ) أي هو كونكم وخلقكم منها لاخيرة  
 قصر قلب أو قصر افراد فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق بلجم أفراد البشر منها للمر مرارا من أن خلقته  
 عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت عمودا جامعوا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد

الى يوم القيامة انظروا اجاليا وقيل ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من الزمان  
انشاء بلجج الخلق من الارض فندبر ( واستعمركم ) من العمرى هر كم واستبقاكم ( فيها ) أو من العماره أى أقدركم على  
عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعماركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو وجه لكم معمرين دياركم  
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها للشككم ﴿ ١٠٩ ﴾ ( فاستغفروهم ثم بوا اليه ) فان ما فصل من فنون الاحسان داع

الى الاستغفار عما وقع منهم  
من التفريط والتوبة عما كانوا  
يباشرونه من القبائح وقد زيد  
في بيان ما يوجب ذلك فقيل  
( ان ربي قريب ) أى قريب  
الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله  
قريب من المحسنين ( محجب )  
لمن دعاه وسأله وقدر وعى  
في النظم الكريم نكتة حيث  
قدم ذكر العلة الباعثة المقدمة  
على الامر بالاستغفار والتوبة  
وأخرعته ذكر الغاية المتأخرة  
عنها في الوجود أعني الاجابة  
( قالوا يا صالح قد كنت فينا  
مرجوا ) أى كنا نرجو منك  
لما كنا نرى منك من دلائل  
السداد ومحابل الرشاد  
أن تكون لنا سيديا ومستشارا  
في الامور وعن ابن عباس  
رضي الله تعالى عنهم افاضلا  
خيرا تقدمك على جيعنا وقيل  
كنا نرجو أن تدخل في ديننا  
وتوافقنا على ما نحن عليه ( قبل  
هذا ) الذى باشرته من الدعوة  
الى التوحيد وترك عبادة الآلهة  
أوقبل هذا الوقت فكانهم  
لم يكونوا الى الآن على باس  
من ذلك ولو بعد الدعوه  
الى الحق فالآن قد انصرم  
عنيك رجائنا وقرأ الطلحة

يعنيهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم عليه السلام فلما أخبروه بأنهم  
انما جاؤا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها بمحصول  
الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة ( الخامس ) ان الملائكة لما أخبروا ابراهيم  
عليه السلام أنهم من الملائكة لامن البشر وانهم انما جاؤا لاهلاك قوم لوط طلب ابراهيم  
عليه السلام منهم مجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء الجبل المشوى  
فطفر ذلك الجبل المشوى من الموضع الذي كان موضوعا فيه الى مرطاه وكانت امرأة  
ابراهيم عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك الجبل المشوى قد طفر من موضعه  
( السادس ) انها ضحكت تعجبا من أن قوماً اتاهم العذاب وهم في غفلة ( السابع ) لا بعد  
أن يقال ادهم بشروها بمحصول مطلق الولد فضحكت اما على سبيل التعجب فانه يقال انها  
كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة و ابراهيم عليه السلام ابن مائة سنة واما على  
سبيل السرور ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بان ذلك الولد هو اسحق ومن وراء اسحق  
يعقوب ( الثامن ) انها ضحكت بسبب أنها تعجبت من خوف ابراهيم عليه السلام من  
ثلاث أنفس حال ما كان معه حسبه وخدمه ( التاسع ) ان هذا على التقديم والتأخير  
والتقدير وامرأته قائمة فبشرناها باسحق فضحكت سرورا بسبب تلك البشارة فقدم  
الضحك ومعناه التأخير ( الثاني ) هو أن يكون معنى فضحكت حاضت وهو منتول عن  
مجاهد وعكرمة فالضحك اى حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف فلما ظهر حينها  
بشرت بمحصول الولد وانكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت قال أبو بكر  
الانباري هذه اللغة ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث في هذه الآية  
فضحكت طمئت وحكى الأزهرى عن بعضهم ان أصله من ضحكك الطلعة يقال ضحكت  
الطلعة اذا انشقت واعلم ان هذه الوجوه كلها زوائد وانما الوجه الصحيح هو الاول ثم قال  
تعالى ومن وراء اسحق يعقوب وفيه مسئلتان ( المسئلة الاولى ) قرأ ابن عامر وحرزة  
وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع أما وجه النصب فهو أن يكون  
التقدير بامرأته باسحق ومن وراء اسحق وهبنا ليعقوب وأما وجه الرفع فهو أن يكون  
التقدير ومن وراء اسحق يعقوب مولود أو موجود ( المسئلة الثانية ) في لفظ وراء قولان  
( الاول ) وهو قول الأكثرين ان معناه بعد أى بعد اسحق يعقوب وهذا هو الوجه الظاهر  
( والثاني ) ان وراء ولد الولد عن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من وراء وكان ولد  
ولده وهذا الوجه عندي شديد التعسف واللفظ كانه ينبوعه \* قوله تعالى ( قالت

يا وبلقي ألد وأنا محجوز وهذا يعلى شيخنا ان هذا لشي محجب قالوا أن تعجبين من أمر الله رحمة  
الله وير كانه عليكم أهل البيت انه جيد مجيد ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال  
الفراء أصل الويلوى وهو الخزى و يقال وى لفلان أى خزى له فقوله وى لك أى خزى لك  
وقال سيبويه ويح زجر لمن أشرف على الهلاك وويل لمن وقع فيه قال الخليل ولم أسمع

مرجوا بالمد والهمزة ( أنتهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا ) أى عبدهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية  
( وانا لفي شك مما تدعوننا اليه ) من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة ( مريب ) أى موقع  
في الرية من أرابه أى أوقعه في الرية أى قلق النفس واستغفاء الطمأنينة أو من أراب اذا كان ذاربية وأيهما كان فلا سناد  
بجازى والتنوين فيه وفي شك للتعظيم ( قال يا قوم أرايتم ) أى أخبروني ( ان كنت

فالحقيقة (عليه) اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة (من زبي) مالكي وتقول امرى (واتاني منه) من جهته (رحمة) نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبار الحال المخاطبين ورعاية لحسن المخاطرة لاستئثارهم عن الكابرة (فن ينصرتني من الله) أي ينجي من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والغناء لترتيب انكار التصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه ﴿ ١١٠ ﴾ على تقدير العصيان حسب ما يرب عنه قوله تعالى

(ان عصيته) أي بالمساهلة  
على بناءه الا ويح ووس وويك وويه وهذه الكلمات متقاربة في المعنى وأما قوله  
يا ويلنا فممن من قال هذه الالف ألف الندبة وقال صاحب الكشاف الالف في ويلنا  
مثلة من ياء الاضافة في يا ويلتي وكذلك في يالهفا وباجبا ثم ابدل من الياء والكسرة  
الالف والفتحة لان الفتح والالف أخف من الياء والكسرة أما قوله ألدوأنا عجوز وهذا  
بعلی شیخا ففیه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وألد بهمزة ومدة  
والباقون بهمزتين بلامد (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول انها تعجبت من قدرة الله تعالى  
والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر بيان المقدمة الاولى من ثلاثا واجزة (أولها)  
قوله تعالى حكاية عنهما في معرض التعجب ألدوأنا عجوز (وثانيها) قوله ان هذا الشيء عجيب  
(وثالثها) قول الملائكة لها أنجيبن من أمر الله واما بيان ان التعجب من قدرة الله تعالى  
يوجب الفكر فلان هذا التعجب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى وذلك يوجب الكفر  
(والجواب) انها انما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فان الرجل المسلم  
لو أخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقبل هذا الجبل ذهابا ابريزا فلا شك انه يتعجب نظر الى  
أحوال العادة لا لاجل أنه استنكر قدرته الله تعالى على ذلك (المسئلة الثالثة) قوله وهذا  
بعلی شیخا فاعلم ان شیخا منصوب على الحال قال الواحدی رحمة الله وهذا من لطائف  
الحوو وغامضة فان كلمة هذا للاشارة فكان قوله وهذا بعلی شیخا قائم مقام أن يقال أشيرالى  
بعلی حال كونه شیخا والمقصود نعرف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيوخوخة (المسئلة  
الرابعة) قرأ بعضهم وهذا بعلی شیخ على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلی وهو شیخ  
أو بعلی بدل من المبتدأ وشیخ خبر أو يكونان معا خبرين ثم حكى تعالى ان الملائكة قالوا  
أتعجبين من أمر الله والمعنى انهم تعجبوا من تعجبها ثم قالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل  
البيت والمقصود من هذا الكلام ذكر ما يزيل ذلك التعجب وتقديره ان رحمة الله عليكم  
مكاثرة وبركاته لديكم متوالية متعاقبة وهي النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق  
للخيرات العظيمة فاذا رأيت ان الله خرق العادات في تخصيصكم بهذه الكرامات العالية  
الرفيعة وفي اظهار خوارق العادات واحداث البنسات والمعجزات فكيف يليق به  
التعجب وأما قوله أهل البيت فانه مدح لهم فهو نصب على النداء أو على الاختصاص ثم  
أكدوا ذلك بقولهم انه جيد مجيد والمجيد هو المحمود وهو الذي يحمده أفعاله والمجيد  
الماجد وهو ذو الشرف والكرم ومن محامد الأفعال ايصال العبد المطيع الى مراده  
ومطلوبه ومن أنواع الفضل والكرم ان لا يمنع الطالب عن مطلوبه فاذا كان من المعلوم  
انه تعالى قادر على الكل وأنه جيد مجيد فكيف يبني هذا التعجب في نفس الامر فثبت  
ان المقصود من ذكر هذه الكلمات ازالة التعجب \* قوله تعالى ( فلما ذهب عن ابراهيم  
الروح وجاءته البشرى بمجادنا في قوم لوط ان ابراهيم حلیم أو اهتمب ) اعلم ان هذا هو  
الفصحة الخامسة وهي قصة لوط عليه السلام واعلم ان الروح هو الخوف وهو ما أوجس

في تليخ الرسالة والمجاهد معكم  
فيما أتون وتذرون فان العصيان  
من ذلك شأنه أبعدها الواحدة  
عليه أزم وانكار نصرته أدخل  
(فأتر يدوني) اذن باستباعتكم  
اي اي كايبي عنده قولهم  
قد كنت فينا مرجوا قيل  
هذا أي لا تفيدوني اذ لم يكن  
فيه أصل الحسرة ان حتى  
يزيدوه (غير تخسير) أي غير  
أن يجعلوني حاسرا بابطال  
أعمالي وتعريضى لسخط الله  
تعالى أو فأتري يدوني بما تقولون  
غير أن أنسبكم الى الحسرة  
وأقول انكم انكم لخاسرون  
فالزيادة على معناه والقضاء  
لترتيب عدم الزيادة على انتفاء  
الناصر المفهوم من انكاره  
على تقدير العصيان مع تحقق  
ما يفهم من كونه عليه الصلاة  
والسلام على بينة من ربه  
وايتاء النبوة (وياقوم هذه  
ناقة الله) الاضافة للشريف  
والنبيه على أنها مفارقة لسائر  
ما يجانسها من حيث الخلقة  
ومن حيث الخلق (لكم آية)  
معجزة دالة على صدق نبوتى  
وهي حال من ناقة الله والعمل  
ماني هذه من معنى الفعل ولكم

حال من آية مقدمة عليها لكونها نكرة لو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا  
من هذه أو عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل في أرض الله) ترغيباتها وتشرب مائها  
واضافة الارض الى الله تعالى لترية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتكرها وشأنها (ولا تمسوها بسوء) بولغ في النهي عن  
التعرض لها بما يضربها حيث ينهى عن المس الذي هو من مبادئ الاصابة وتكر السوء أي لا تضربوها ولا تطردوها

ولا تروها بئس من السوء فضلا عن عقربها وقتلها ( فيأخذكم فحداب قريبت ) أي قريب المنزل روى أنهم طلبوا منه أن يخرج من صحفة تسمى الكاتبة ناقة عسراء مختربة بجوفها و براء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليه الصلاة والسلام عليهم مواليهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقانونهم فصلى ودعا به فتخضت الصخرة تخض التوج بولدها فانصدعت عن ناقة عسراء ﴿ ١١١ ﴾ كما وصفوا وهم ينظرون ثم أنتجت ولدا مثلها في العظم فأمن به

جندع بن عمرو في جاعة ومنع  
 الباقين من الايمان دواب بن عمرو  
 والحباب صاحب أو ثائم ورباب  
 كاهنهم فكثت الناقة مع ولدها  
 ترعى الشجر وترد الماء غياغا ترفع  
 رأسها من البرح حتى تشرب  
 كل ما فيها ثم تنفخ فيحبون  
 ماشاوا حتى تمتلى أو ائيمهم  
 فيشربون ويدخرون وكانت  
 تصيف بظنر الوادي فترب  
 منها أنعامهم الى بطنه وتشتو  
 بطنه فتهرب مواشيهم  
 الى ظهره فشق عليهم ذلك  
 ( فقروها ) قيل زينت عقربها  
 لهم عيرة أم غنم وصدقت بنت  
 المختار فقروها واقسموا لهما  
 فرقى سة بها جلا اسمه فارة فرغا  
 ثلاثا فقال صالح لهم أدر كوا  
 الفصيل عسى ان يرفع عنكم  
 العذاب فلم يقدروا عليه  
 وانفجرت الصخرة بعد رغانه  
 فدخلها ( فقال ) لهم صالح  
 ( تمتعوا ) أي عيشوا ( في داركم )  
 أي في منازلكم أوفى الدنيا  
 ( ثلاثة أيام ) قيل قال لهم تصح  
 وجوهكم خدام صفرة وبعد  
 غد حجرة واليوم الثالث مسودة  
 ثم يصحبكم العذاب ( ذلك ) إشارة  
 الى ما يدل عليه الامر بالتنع  
 ثلاثة أيام من نزول العذاب

من الخليفة حين أنكر أضيافه والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجي  
 البشرى بحصول الولد أخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب لما هو قوله أخذ الا انه حذف  
 في اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروح جادلنا واعلم أن قوله  
 يجادلنا أي يجادل رسلنا فان قيل هذه المجادلة ان كانت مع الله تعالى فهي جراءة على الله  
 والجراءة على الله تعالى من أعظم الذنوب ولان المقصود من هذه المجادلة ازالة ذلك الحكم  
 وذلك يدل على أنه ما كان راضيا بقضاء الله تعالى وانه كفر وان كانت هذه المجادلة مع  
 الملائكة فهي أيضا عجيبة لان المقصود من هذه المجادلة أن يتركوا اهلاك قوم لوط فان  
 كان قد اعتقد فيهم أنهم من تلقاء أنفسهم يجادلون في هذا الاهلاك فهذا سوء ظن بهم  
 وان اعتقد فيهم أنهم بأمر الله جأوا فهذه المجادلة تقتضي أنه كان يطلب منهم مخالفة أمر  
 الله تعالى وهذا منكر ( والجواب ) من وجهين ( الاول ) وهو الجواب الاجمالي أنه تعالى  
 مدحه عقيب هذه الآية فقال ان ابراهيم خليل أواه منيب ولو كان هذا الجدل من  
 الذنوب لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم ( والوجه الثاني ) وهو الجواب التفصيلي  
 أن المراد من هذه المجادلة سعي ابراهيم في تأخير العذاب عنهم وتقديره من وجوه ( الاول )  
 ان الملائكة قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية فقال ابراهيم أرايتم لو كان فيها خسون  
 رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأر بعون قالوا لا قال فلاتون قالوا لا حتى بلغ  
 العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها  
 لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة الضحى فقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى  
 قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم  
 بمن فيها نتجنيه وأهله الامر أنه كانت من الغابر ين ثم قال ولما أن جاءت رسلنا لوطا سئ  
 بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انما هو كذوب وأهلك الامر أنك فبان بهذا  
 ارجاد لقا ابراهيم عليه السلام انما كانت في قوم لوط بسبب مقام لوط فيما بينهم ( الثاني )  
 يحتمل أن يقال أنه عليه السلام كان يعجل الى أن تلحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم رجاء  
 أنهم ربما أقدموا على الايمان والتوبة عن المعاصي وور بما وقعت تلك المجادلات بسبب  
 ان ابراهيم كان يقول ان أمر الله ورد بإيصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور بل  
 يقبل التراخي فاصبروا مدة أخرى والملائكة كانوا يقولون ان مطلق الامر يقبل الفور  
 وقد حصلت هناك قرآن دالة على الفور ثم أخذ كل واحد منهم يقرر مذهبه بالوجوه  
 المعلومة فحصلت المجادلة بهذا السبب وهذا الوجه عندي هو المعتد ( الوجه الثالث ) في  
 الجواب لعل ابراهيم عليه السلام سأل عن لفظ ذلك الامر وكان ذلك الامر مشروطا  
 بشرط فاختلغوا في أن ذلك الشرط هل حصل في ذلك القوم أم لا فحصلت المجادلة بسببه  
 وبالجملة نرى العلة في زماننا يجادل بعضهم ببعضنا عند التمسك بالخصوص وذلك لا يوجب  
 القدح في واحد منها فكنا ههنا ثم قال تعالى ان ابراهيم خليل أواه منيب وهذا مدح عظيم

عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد بتخصيصه ( وعدغير مكذوب ) أي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله  
 \* و يوم شهدناه سلموا و امرنا \* أو غير مكذوب كأن الواو صقل له أي بك فان وفي به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب علم أنه  
 مصدر كالجلود والمعقول ( فلما جاء أمرنا ) أي غذائنا وأمرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التحويل ( نجينا صالحا والذين آمنوا معه )  
 متعلق بـ نجينا أو يأمنوا ( برحمة ) بسبب رحمة عظيمة ( منا ) وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر أو ملتبسين

في الحرقه (على ينفرو من خري يومئذ) أي ويحيناهم من خري يومئذ وهو ذلك يوم القيامة ثم لا تعلق في حياهم من شباب  
 نبوة وهذه الامني أنه كانت تلك النجبة نجية من خري يومئذ أي من ذلته ومهائمه أو ذلهم وقصصتهم يوم القيامة كما فسره  
 لاستزالي العليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تحييتنا لهم من عذاب الدنيا وعن ما وقع بالفتح  
 المعلي اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج ﴿ ١١٢ ﴾ في قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرى بالسون

وتصوب يومئذ (ان ربك )  
 الخطاب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم (هو القوي العزيز)  
 القادر على كل شيء والغالب  
 عليه لا غيره ولكون الاخبار  
 بتحية الاولياء لا سيما عند الانبياء  
 بحلول العذاب أهم ذكرها  
 اولاً ثم أخبرهم بالهلاك الاعداء قتال  
 (وأخذ الذين ظلموا) عدل  
 عن المضمر الى المظهر سبحانه  
 عليهم بالظلم واشعارا بعليته  
 لزلول العذاب بهم (العجبة)  
 أي صيحة جبريل عليه الصلاة  
 والسلام وقيل أنهم من السماء  
 صيحة فيها صوت كل صاعقة  
 وصوت كل شيء في الارض  
 فتقطعت قلوبهم في صدورهم  
 وفي سورة الاعراف فاخذتهم  
 الرحفة ولعلها وقعت عقيب  
 الصيحة المستتعبة لتموح الهواء  
 ( فأصبحوا ) أي صاروا  
 ( في ديارهم ) أي بلادهم  
 أو مساكنهم (جاثمين) هامدين  
 موتي لا يتحركون والمراد كونهم  
 كذلك عند ابتداء نزول العذاب  
 بهم من غير اضطراب وحركة  
 كما يكون ذلك عند الموت المعتاد  
 ولا يخفى ما فيه من الدلالة  
 على شدة الاخذ وسرعة اللهم  
 اننا نعوذ بك من حلول غضبك

من الله تعالى ابراهيم أما الخليم فهو الذي لا يحبل بمكافاة غيره بل يتأني فيه فهو خير ويغفوب  
 ومن هنا حاله فانه يحب من غيره هذه الطريقة وهذا كالدلالة على أن جده له كان في أمر  
 متعلق بالعلم وتأخير العقاب ثمهم الى ذلك ماله تعلق بالعلم وهو قوله أو اواه منيب لان من  
 يستعمل العلم في غيره فانه يتأوه اذا شاهد وصول الشدائد الى الغير فلما رأى مجي  
 الملائكة لاجل اهلاك قوم لوط عظم حرته بسبب ذلك وأخذ يتأوه عليه فذلك وصفه الله  
 تعالى بهده الصفة ووصفه أيضا بأنه منيب لان من ظهرت فيه هذه الشقة العظيمة على  
 الغير فانه يتيب ويتوب ويرجع الى الله في ازالة ذلك العذاب عنهم أو يقال ان من كان  
 لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فان لا يرضى بوقوع نفسه فيها كان أولى ولا طريق الى  
 صون النفس عن الوقوع في عذاب الله الا بالتوبة والامانة فوجب حين هذا شأنه أن  
 يكون منيباً \* قوله تعالى ( يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وادهم آتيهم  
 عذاب غير مردود ولامحبات رسلنا لوطا سى بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)  
 اعلم أن قوله يا ابراهيم أعرض عن هذا معناه ان الملائكة قالوا له اترك هذه المجادلة لانه  
 قد جاء أمر ربك بايصال هذا العذاب اليهم واذا لاح وجه دلالته النص على هذا الحكم فلا  
 سبيل الى دفعه فلذلك أمره بترك المجادلة ولما ذكروا أنه قد جاء أمر ربك ولم يكن في هذا  
 اللفظ دلالته على ان هذا الأمر بما ذاباه لاجرم بين الله تعالى أنهم آتيهم عذاب غير مردود أي  
 عذاب لا يسيل الى دفعه وردته ثم قال ولامحبات رسلنا لوطا سى بهم وضاق بهم ذرعا وهو أولاد  
 الرسل هم الرسل الذين بشروا ابراهيم بالولد عليهم السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما  
 انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبين القرينين أربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب  
 مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة الله وذكروا فيه سنة  
 أو وجه (الاول) انه ظن أنهم من الانس فضاف عليهم خبث قومه وان يعجزوا عن مقاومتهم  
 (الثاني) ساء محبتهم لانه ما كان يجد ما ينفعه عليهم وما كان قادرا على القيام بحق ضيانتهم  
 (والثالث) ساء ذلك لان قومه منعوه من ادخال الضيف داره (الرابع) ساء محبتهم لانه  
 عرف بالحدز انهم ملائكة وأنهم اتما جاؤا لاهلاك قومه والوجه الاول هو الاصح لدلالة  
 قوله تعالى وجاء قومه يهرعون اليه وبقي في الآية الفاظ ثلاثة لابد من تفسيرها  
 (اللفظ الاول) قوله سى بهم ومعناه ساء محبتهم وساء بسوء فعل لازم مجاوز يقال سوته  
 فسى مثل شعلته فشعل وسرته فسرقا الزجاج أصله سوى بهم الا ان الواو سكنت  
 ونقلت كسرتها الى السين (واللفظ الثاني) قوله وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع  
 يوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع يديه في سيره ذرعا على قدر سبعة خطوته  
 فاذا حل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضصف ومدعفته فيجبل ضيق  
 الذرع صبارة عن قدر الوسع والطاقة فيقال مالى به ذرع ولا ذراع أى مالى به طاقة  
 والدليل على صحة ما قلناه انهم يجعلون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بالامر

قبل لما رأوا العلامات التي بينتها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله ﴿ ذرعا ﴾  
 عليه الصلاة والسلام فجهاد الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحضنوا وتكفوا  
 بالانطاع فأتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا ( كما نل يفتوا ) أى كأنهم لم يفتوا ( فيها ) في بلادهم أو في مساكنهم  
 وهو في موقع الحال أى أصبحوا جاثمين بمائلين لمن لم يوجد

ولم يقم في مقام قط (ألا ان ثمود) وضع مرضع الضمير لزيادة البيان ونونه أبو بكر هنا وفي الجهم وقرأ حفص هنا وفي الفرغان  
والعنكبوت بغير تنوين (كفر واراهم) صرح بكفرهم مع كونه معلوماً مما سبق من أحوالهم تقبيل الحالمهم وتعليل الاستحسان فيهم  
بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى (ألا بعدا لثمود) وقرأ الكساء بالتانين (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم) وهم  
الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم جبريل \* ١١٣ \* وملائكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم  
السلام وقال الضحاك كانوا

تسعة وعن محمد بن كعب  
جبريل ومعه سبعة وعن السدي  
أحد عشر على صور الغلمان  
الوضاء وجوههم وعن  
مقال كانوا اثني عشر  
ملكاً وإنما أسند اليهم مطلق  
الجنى بالبسرى دون الأرسال  
لانهم لم يكونوا مرسلين اليه  
عليه السلام بل الى قوم  
لوط لقوله تعالى انا أرسلنا  
الى قوم لوط وانما جاءوا لنداعية  
البشرى ولما كان المتصودق  
السورة الكريمة ذكر سو  
صنع الائم السالف مع الرسل  
المرسله اليهم ولحوق العذاب  
بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع  
قوم ابراهيم عليه الصلاة  
وان السلام بمن لحق بهم العذاب  
بل اندلج بقوم لوط منهم  
خاصة غير الاسلوب المطرد  
فيما سبق من قوله تعالى والى  
عاد اخاهم هود والى ثمود  
أخاهم صالح ثم رجع اليه  
حيث قيل والى مدين أخاهم  
شعيباً (بالبشرى) اى ملتبسين  
بها قيل هي مطلق البسرى  
المنتظمة للبشارة بالولد من  
سارة لقوله تعالى فبسرناها  
باسحق الثانية وقوله تعالى

ذراعاً) واللفظ الثالث) قوله هذا يوم عصيب أي يوم شديد وانما قيل للشديد عصيب  
لانه يعصب الانسان بالشر \* قوله تعالى (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا  
يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزنون في ضربي  
ليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما ناسا في بناتك من حق وانك لتعلم ما تريد  
قال لو ان لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه  
لمادخلت الملائكة دار لوط عليه السلام مضت امرأته عجوز السوء فقالت لقمود دخل  
دارنا قوم مارأيت أحسن وجوهاً ولا أنظف ثياباً ولا أطيب رائحةً منهم فجاءه قومه  
يهرعون اليه اى يسرعون ويبن تعالى أن اسراعهم ربما كان لطلب العمل الخبيث  
بقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات نقل أن القوم دخلوا دار لوط وأرادوا أن يدخلوا  
البيت الذي كان فيه جبريل عليه السلام فوضع جبريل عليه السلام يده على الباب  
فلم يطيعوا فتحه حتى كسروه فشمخ أعينهم بيده فعموا فقالوا يا لوط قد أدخلت علينا  
السمرة وأظهرت الفتنة ولاهل اللغة في يهرعون قولان (الاول) ان هذا من باب  
ما جاءت صيغة الفاعل فيه على لفظ المفعول ولا يعرف له فاعل فتعدياً واع فلان في الامر  
وأرعد زيدوز هي عمر ومن الزهو (والقول الثاني) انه لا يجوز ورود الفاعل على لفظ  
المفعول وهذه الافعال حذف فاعلوها فأو بل أو اع زيد أنه أو اع طبعه وأرعد الرجل  
أرعدته غضبه وزهى عمر ومعناه جعله ماله زاهياً واهرع معناه أهرعه خوفاً أو حرصه  
واختلفوا أيضاً فقال بعضهم الأهراع هو الاسراع مع الرعدة وقال آخرون هو العدو  
الشديد أما قوله تعالى قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ففيه قولان قال قتادة المراد  
بناته لصلبه وقال مجاهد وسعيد بن جبير المراد نساء أمته لانهن في أنفسهن بنات ولهن  
اضافة اليه بالتابعة وقبول الدعوة قال أهل النحو يكفي في حسن الاضافة أدنى سبب  
لانه كان نبيا لهم فكان كالأب لهم قال تعالى وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وهذا القول  
عندي هو المختار ويدل عليه وجوه (الاول) ان اقدام الانسان على عرض بناته على  
الأوباش وانما بعد لا يلبق بأهل المروءة فكيف بأكابر الانبياء (الثاني) وهو  
انه قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فبناته اللواتي من صلبه لا تكني للجمع العظيم أما نساء  
أمته ففيهن كفاية لكل (الثالث) انه صحت الرواية انه كان له بنان وهما زنتا وزعورا  
واطلاق لفظ البنات على البنين لا يجوز لما ثبت أن أقل الجمع ثلاثة فأما القائلون بالقول  
الاول فقد اتفقوا على أنه عليه السلام مادعا القوم الى الزنا بالنسوان بل المراد انه دعاهم  
الى التزوج بهن وفيه قولان (أحدهما) انه دعاهم الى التزوج بهن بشرط أن يقدموا  
الايان (والثاني) انه كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته وهكذا كان  
في أول الاسلام بدليل أنه عليه السلام زوج ابنته زينب من أبي العاص بن الربيع وكان  
مشركاً وزوج ابنته من عتبة بن أبي لهب ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ولا تشكروا للمشركات

وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه \* ١٥ \* حا بغلام حليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب  
عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كإسأى وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط وبآياه  
مجادلته عليه الصلاة والسلام في شأنهم والاطهر أنها البشارة بالولد وسعترف سرتفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار  
بجهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بأنهم ما قالوا أجيب بأنهم (قالوا اسلاما) اى سلمنا أو نسلم عليك سلاما

ويجوز أن يكون نصبه بقالوا أي قالوا قولاً إذا سلام أو ذكروا سلاماً (قال سلام) أي عليكم سلام أو سلام عليكم حياتهم  
ياحسب من تحيتهم وقرئ سلم تحريم في حرام وقرأ ابن أبي عمير قال سلاماً وحنه أنه قرأ بالرفع فيهما (غالب) أي إبراهيم  
(إن جاء بعجل) أي في الحجية به أو ماليث بحجته بعجل (حينئذ) أي مشوي بالرضف في الاخذود وقيل معين يقطرود ك  
تقوله بعجل سبعين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال ﴿ ١١٤ ﴾ (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) لا يمدون إليه

أيديهم للاكل (نكرهم)  
أي أنكروهم يقال نكره  
وأنكره واستنكره بمعنى وانما  
أنكرهم لأنهم كانوا اذا نزل بهم  
ضيف ولم يأكل من طعامهم  
ظنوا أنه لم يجي بخير وقد روي  
أنهم كانوا ينكتون بقداح  
كانت في أيديهم في اللحم  
ولا تصل إليه أيديهم وهذا  
الانكار منه عليه الصلاة  
والسلام راجع الى فعلهم  
المذكور وأما انكاره المتعلق  
بأنفسهم فلا تعلق له بروية  
عدم أكلهم وانما وقع ذلك  
عند رؤيتهم لعدم كونهم  
من جنس ما كان يعهده من  
الناس ألا يرى الى قوله تعالى  
في سورة الذاريات سلام قوم  
منكرون (وأوجس منهم)  
أي أحس أو أخضر من  
جهنهم (خيفة) لما ظن أن  
نزولهم لأمر أنكروه الله تعالى  
عليه أو تعذيب قومهم وانما  
أخر المفعول الصريح عن  
الظرف لأن المراد الاخبار  
بأنه عليه الصلاة والسلام  
أوجس من جهنهم شيئاً  
هو الخيفة لأنه أوجس الخيفة  
من جهنهم لأن جهنهم  
و بحقيقته أن تاخير ما حقه

حتى يؤمن ويقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا واختلفوا أيضا فقال الأكثرون  
كان له بنتان وعلى هذا التقدير ذكر الاثنان بلفظ الجمع كافي قوله فان كان له اخوة  
فقد صغت قلوبكما وقيل انهن كن أكثر من اثنتين \* أمأقوله تعالى هن أطهر لكم ففيه  
مستلثان (المسئلة الاولى) ظاهر قوله هن أطهر لكم يقتضي كون العمل الذي يطلبونه  
طاهرا ومعلوم انه فاسد ولانه لا طهارة في نكاح الرجل بل هذا جار مجرى قولنا الله أكبر  
والمراد انه كبير وقوله تعالى أذلك خير نزلام شجرة الزقوم ولا خير فيها ولما قال أبو سفيان  
اعل أحدوا واهل هبل قال النبي الله أعلى وأجل ولا مقاربة بين الله وبين المصنم (المسئلة  
الثانية) روي عن عبد الملك بن مروان والحسن وعيسى بن عمراً أنهم قرؤوا هن أطهر لكم  
بالنصب على الحال كما ذكرنا في قوله تعالى وهذا بعلي شيخا الا ان أكثر النحويين اتفقوا  
على أنه خطأ قالوا الوقرى هؤلاء بناتى هن أطهر كان هذا نظير قوله وهذا بعلي شيخا الآن  
كلمة هن قد وقعت في البين وذلك يمنع من جعل أطهر حالا وطواؤا فيه \* ثم قال فانقوا الله  
ولا تخزوني في ضيبي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو ونافع ولا تخزوني بآيات  
الباء على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف ودلالة الكسر عليه (المسئلة الثانية)  
في لفظ لا تخزوني وجهان (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تفضخوني في أضيافي  
يريد انهم اذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة (والثاني) لا تخزوني في ضيبي  
أي لا تخجلوني فيهم لان مضيف الضيف يلزمه الحجة من كل فعل فيجوز ان يصل الى الضيف  
يقال خزي الرجل اذا استحي (المسئلة الثالثة) الضيف ههنا قائم مقام الاضياف كما قام  
الطفل مقام الاطفال في قوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا ويجوز أن يكون الضيف  
مصدرا فبستغنى عن جمعه كما يقال رجال صوم ثم قال أليس منكم رجل رشيد وفيه  
قولان (الاول) رشيد بمعنى مرشداى يقول الحق ويرده هواء الا وباش عن أضيافي  
(والثاني) رشيد بمعنى مرشد والمعنى أليس فيكم رجل أرشده الله تعالى الى الصلاح  
وأسعده بالسداد والارشاد حتى يمنع عن هذا العمل القبيح والاول أول ثم قال تعالى قالوا  
لقد علمت ما لناق بناتك من حق وفيه وجوه (الاول) ما لناق بناتك من حاجة ولا شهوة  
والتقدير أن من احتاج الى شئ فكأنه حصل له فيه نوع حق فلهذا السبب جعل نبي الحق  
كناية عن نبي الحاجة (الثاني) أن تجرى اللفظ على ظاهره فتقول معناه انهن لسن لنا  
بازواج ولا حق لنا فيهن البتة ولا يميل أيضا طبعنا اليهن فكيف قيامهن مقام العمل  
الذي زينه وهو اشارة الى العمل الخبيث (الثالث) ما لناق بناتك من حق لانك دعوتنا  
الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نجيبك الى ذلك فلا يكون لنا فيهن حق \* ثم انه تعالى  
حكى عن اوط انه عند سماع هذا الكلام قال لو أنى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد  
وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) جواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير لمنتكم  
ولبالت في دفعكم ونظيره قوله تعالى ولو أن قرأنا سيرت به الجبال وقوله ولو ترى اذ وقفوا

التقديم يوجب ترقب النفس اليه فتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (قالوا لا تحف) ما قالوه بمجرد ما ﴿ على ﴾  
وأوامه تخايل الخوف اذ لم يمهل بعد اظهاره عليه الصلاة والسلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انما انتم ويطون ولم  
يذكر ذلك ههنا كثرة بلفظ (انما أرسلنا) ظاهره أنه استتلف في معنى التليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انما امرت لقتل  
لذلك فان ارسالهم الى قوم آخر يوجب أنهم من الخوف ان أرسلنا اطراف (القوم لوط) خاصة لانهم كانوا مشركين



تعالى قال فما خطبكم أي المرسلون قالوا أنا أرسلنا إلى قوم مجرمين صريح في أنهم قالوه جواباً عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد أوجر الكلام اكتفاء بذلك (وامرأته قائمة) وراى الستر بحيث تسمع محاورتهم وعلى رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا أي قالوه وهي قائمة تسمع مقالاتهم (فضحكتم) سرور بزوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما جميعاً وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت ﴿ ١١٥ ﴾ تقول لاراهيم اخيم اليك لو طافاني أرى أن العذاب نازل بهؤلاء

القوم وقيل ضحكتم حاضت ومنه ضحكتم الشجرة اذا سال صيغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها يا اسحق) أي عقبنا سرورها بسروراً ثم منته على السنة رسلنا (ومن وراء اسحق يعقوب) بالنصب على أنه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها أي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف أي من بعد اسحق يعقوب مولوداً أو موجوداً وكلا الاسمين داخل في البشارة كيجي أو واقع في الحكاية بعد أن ولداً فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا ايها مع أن الاصل في ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بعلام حلیم وبشروه بعلام عليم للايدان بأن ما بشر به يكون منهما ولو كونهما عقيمة حريصة على الولد (قالت) استئناف ورد جواباً عن سؤال من سأل وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت (يا ويلنا) أصل الويل الخزي ثم شاع في كل أمر فظيع والالف مبدل من

على النار قال الواحدى وحذف الجواب ههنا لان الوهم يذهب الى أنواع كثيرة من المنع والدفع (المسئلة الثانية) لو أنى بكم قوة اى لو أنى ما أتقوى به عليكم وتسمية موجب القوة بالقوة جائز قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل والمراد السلاح وقال آخرون القدرة على دفعهم وقوله أو أوى الى ركن شديد المراد منه الموضع الحصين النعيم تشبيهاً به بالركن الشديد من الجبل فان قيل ما الوجه ههنا في عطف الفعل على الاسم قلنا قال صاحب الكشاف قرئ أو أوى بالنصب باضمار أن كأنه قيل لو أنى بكم قوة أو أوى واعلم ان قوله لو أنى بكم قوة أو أوى الى ركن شديد لا بد من حمل كل واحد من هذين الكلامين على فائدة مستقلة وفيه وجوه (الاول) المراد بقوله لو أنى بكم قوة كونه بنفسه قادر على الدفع وكونه متمكناً امان بنفسه واماناً بغيره على قهرهم وتاديبهم والمراد بقوله أو أوى الى ركن شديد هو أن لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن يأمن من سرهم بواسطته (الثالث) انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك على نفسه وقال بل الاولى أن أوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى وعلى هذا التقدير قوله أو أوى الى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له به وبهذا الطريق لا يلزم عطف الفعل على الاسم ولذلك قال النبي عليه السلام رحم الله أخى لو طاف كان بأوى الى ركن شديد ﴿ قوله تعالى (قالوا يا لوط اننا نرسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) اعلم أن قوله تعالى مخبراً عن لوط عليه السلام أنه قال لو أنى بكم قوة أو أوى الى ركن شديد يدل على أنه كان في غاية القلق والحزن بسبب اقدام أولئك الاوباش على ما يوجب الفضيحة في حق أضيافه فلما رأته الملائكة تلك الحالة نشره بأنواع من البشارات (أحدها) انهم رسل الله (وثانيها) ان الكفار لا يصلون الى ما هموا به (وثالثها) انه تعالى يهلكهم (ورابعها) انه تعالى ينجيهم مع أهلهم من ذلك العذاب (وخامسها) ان ركنك شديد وان ناصر لك هو الله تعالى فيحصل له هذه البشارات وروى ان جبريل عليه السلام قال له ان قومك لن يصلوا اليك فاقمح الباب فدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يبتدون الى بيوتهم وذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيقه فطمسنا أعينهم ومعنى قوله ان يصلوا اليك أي بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك ثم قال فأسر بأهلك قرأ نافع وابن كثير فأسر موصولة والباقون بقطع الالف وهما لغتان يقال سريت بالليل وأسريت وأنشد حسان \* أسرت اليك ولم تكن تسرى \* فجاء بالفتن فن قرأ بقطع الالف فحجته قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ومن وصل فحجته قوله والليل اذا يسروا السرى السير في الليل يقال يسرى يسرى اذا سار بالليل وأسرى بفلان

يد الاضافة كما في بالهفاو يا محبا وقرأ الحسن على الاصل وأمالها أبو عمرو وعاصم في رواية ومعنا يا ويلتى احضرى فهذا أو ان حضورك وقيل هي ألف التندية ووقف عليها ماء السكت (أألدوا نا عجوز) بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة (وهذا) الذي يشاهدونه (بلى) أي زوى وأصل البلى القبايل بالامر (شيعنا) وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الجلال والمامل معنى الاشارة مقابلة بالذم على أنه شيعنا معناه شيعنا

أؤخبر بعد ذلك وهو الخبر وعلى بل من اسم الإشارة أو بيان له وكلنا الجملتين وقعت حلا من الضمير في الدلتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليقه أي الدلوكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة والسلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر إذ بما يولد المشيوخ من الشواب أما العجايز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صر يحاولان العكس في البيان بما يؤهم من أول الامر نسبة المانع من الولادة الى جانب ﴿ ١١٦ ﴾ ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه

ما لا يخفى من المحذور واقصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد وأما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد (ان هذا) أي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادي لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى (قالوا أتعجبين من أمر الله) أي قدرته وحكمته أو نكويته أو شأه أنكروا عليه تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها أن تتوقرو ولا يزيد هيها ما يزيد سائر النساء من أمثال هذه الخوارق من أطفاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعته الفائضة على كل أحد مما يتعلق بذلك مشيئته الازلية لاسيما على أهل بيت

إذا سير به بالليل والقطع من الليل بعضه وهو مثل القطعة يريد اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح قال نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبرني عن قول الله بقطع من الليل قال هو آخر الليل سحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقال آخرون هو نصف الليل فانه في ذلك الوقت قطع بنصفين \* ثم قال ولا يلتفت منكم أحد نهى من معه عن الالتفات والالتفات نظر الانسان الى ما وراءه والظاهر ان المراد انه كان لهم في البلدة أموال وأقسه وأصدقاؤه فلما نكته أمر وهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الاشياء ولا يلتفتوا اليها اليه وكان المراد منه قطع تعلق القلب عن تلك الاشياء وقديرا منه الانصراف أيضا كقوله تعالى قالوا أجتثنا لنفتنا أي لنصرفنا وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله ولا يلتفت منكم أحد التهمي عن الخلف \* ثم قال الامر أنك قرأين كثير وأبو عمرو الامر أنك بالرفع والباقون بالنصب قال الواحدى من نصب وهو الاختيار فقد جعلها مستثناة من الاهل على معنى فأسر بأهلك الامر أنك والذي يشهد بحجة هذه القراءة ان في قراءة عبدالله فأسر بأهلك الامر أنك فأسقط قوله ولا يلتفت منكم أحد من هذا الموضع وأما الدين رفعوا فالتقدير ولا يلتفت منكم أحد الامر أنك فان قيل فهذه القراءة توجب انها أمرت بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم أحد الا يزيد كان ذلك أمر ازيد بالقيام وأجاب أبو بكر الانباري عند فقال معنى الالهنا الاستثناء المنقطع على معنى لا يلتفت منكم أحد لكن امر أنك تلتفت فيصيبها ما أصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها معصية وبتأكد ما ذكرنا بما روى عن قتاده انه قال انها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هذا العذاب التفت وقالت باقوماه فأصابها حجر فأهلكها واعلم ان القراءة بالرفع أقوى لان القراءة بالنصب تمنع من خروجها مع أهلها لكن على هذا التقدير الاستثناء يكون من الاهل كانه أمر لوط بأن يخرج بأهله ويترك هذه المرأة فانها هالكه مع الهالكين وأما القراءة بالنصب فانها أقوى من وجه آخر وذلك لان مع القراءة بالنصب يبقى الاستثناء متصلا ومع القراءة بالرفع يصير الاستثناء منقطعا \* ثم بين الله تعالى انهم قالوا انه مصيبها ما أصابهم والمراد انه مصيبها ذلك العذاب الذي أصابهم ثم قالوا ان موعدهم الصبح روى انهم لما قالوا لوط عليه السلام ان موعدهم الصبح قال أريد أن يعجل من ذلك بل الساعة فقالوا أليس الصبح يقرب قال المفسرون ان لوطا عليه السلام لما سمع هذا الكلام خرج بأهله في الليل \* قوله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في الامر وجهان (الاول) ان المراد من هذا الامر ما هو ضد التهمي ويدل عليه وجوه (الاول) ان لفظ الامر حقيقة في هذا المعنى مجاز في غيره دفعا للاشتراك (الثاني) ان الامر لا يمكن حمله ههنا على العذاب وذلك لانه تعالى قال فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وهذا

النبوة الذين ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كراتب سائر الناس وأن تسبح الله تعالى وتحمده وتجيده والى ذلك ﴿ الجبل ﴾ اشاروا بقوله تعالى (رحمة الله) التي وسعت كل شيء واستنبت كل خير وانما وضع المظهر موضع الضمير لزيادة تشرى فيها (ويركاته) أي خيراته التامة المتكاثرة في كل باب التي من جعلتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الإسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد

ابراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم أهل البيت) نصب على المدح أو الاختصاص لانهم أهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه الصلاة والسلام أيضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان حطر بياله مثل ما خطر بيالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تجبها كما أنه قيل ليس المقام مقام التجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم بأهل بيت ﴿ ١١٧ ﴾ النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحته المستبقة لكل خير الواسعة

لكل شيء وبركاته اي خيراته  
 التامة الفاضلة منه بواسطة  
 تلك الرحمة الواسعة لازمة  
 لكم لاتفارقكم (انه جيد)  
 فاعل ما يستوجب الحمد  
 (مجيد) كثير الخير والاحسان  
 الى عباده والجملة لتعليل ما  
 سبق من قوله رحمة الله وبركاته  
 عليكم (فلما ذهب عن ابراهيم  
 الروح) اي ما أوجس منهم  
 من الخيفة واطمان قلبه  
 بعرفانهم وعرفان سبب  
 مجيئهم والفاء ربط بعض  
 أحوال ابراهيم عليه الصلاة  
 والسلام ببعض غب انفسالها  
 بما ليس بأجنبي من كل وجه  
 بل له مدخل تام في السباق  
 والسباق وتأخير الفاعل  
 عن الظرف لانه مصب  
 الفائدة فان تأخيرها حقه  
 التقديم تبقى النفس منتظرة  
 الى وروده فيمكن فيها عند  
 وروده اليها فضل تمكن  
 (وجاءته البشرية) ان فسرت  
 البشرية بقولهم لا تخف  
 فسيبية ذهاب الخوف ومجيئ  
 السرور للمجادلة المدلول  
 عليها بقوله تعالى (يجادلنا  
 في قوم لوط) اي جادلرسلنا  
 في شأنهم وعدل الى صيغة

الجملة هو العذاب فدللت هذه الآية على ان هذا الامر شرط والعذاب جزاء والشرط غير  
 الجزاء فهذا الامر غير العذاب وكل من قال بذلك قال انه هو الامر الذي هو ضد النهي  
 (والثالث) انه تعالى قال قبل هذه الآية اننا أرسلنا الى قوم لوط فدل هذا على انهم كانوا  
 مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب الى قوم لوط ويايصال هذا العذاب اليهم اذا عرفت  
 هذا فنقول انه تعالى أمر جمعا من الملائكة بأن يخرجوا تلك المدائن في وقت معين فلما جاء  
 ذلك الوقت أقدموا على ذلك العمل فكان قوله فلما جاء أمرنا اشارة الى ذلك التكليف  
 فان قيل لو كان الامر كذلك لوجب أن يقال فلما جاء أمرنا جعلوا عاليها سافلها لان الفعل  
 صدر عن ذلك المأمور قلنا هذا لا يلزم على مذهبننا لان فعل العبد فعل الله تعالى عندنا  
 وأيضا ان الذي وقع منهم انما وقع بأمر الله تعالى وبقدرته فلم يعد اضافته الى الله عز وجل  
 لان الفعل كما تحسن اضافته الى المباشر فقد تحسن أيضا اضافته الى السبب (القول  
 الثاني) أن يكون المراد من الامر ههنا قوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له  
 كن فيكون وقد تقدم تفسير ذلك الامر (القول الثالث) أن يكون المراد من الامر  
 العذاب وعلى هذا التقدير فيحتاج الى الاضمار والمعنى ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليها  
 سافلها (المسئلة الثانية) اعلم أن ذلك العذاب قد وصفه الله تعالى في هذه الآية بنوعين  
 من الوصف (فالاول) قوله جعلنا عاليها سافلها روى ان جبريل عليه السلام أدخل  
 جناحه الواحدة تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء  
 نهيق الجير ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنكفي اهلهم جرة ولم ينكب اهلهم اناء ثم قلبها  
 دفعة واحدة وضر بها على الارض واعلم ان هذا العمل كان معجزة قاهرة من وجهين  
 (احدهما) ان قلع الارض واصعادها الى قريب من السماء فعل خارق للعادات  
 (والثاني) ان ضررها من ذلك البعد البعيد على الارض بحيث لم تتحرك ساكن القرى  
 المحيطة بها البتة ولم تصل الآفة الى لوط عليه السلام وأهله مع قرب مكانهم من ذلك  
 الموضع معجزة قاهرة أيضا (الثاني) قوله وأمطرنا عليها حجارة من سجيل واختلفوا  
 في السجيل على وجوه (الاول) انه فارسي معرب وأصله سنككل وانه شيء مركب من  
 الحجر والطين بشرط أن يكون في غاية الصلابة قال الازهرى لما عرته العرب صار عربيا  
 وقد صرت حروفا كثيرة كالديباج والديوان والاستبرق (والثاني) سجيل اي مثل  
 السجيل وهو الدلو العظيم (والثالث) سجيل اي شديد من الحجارة (الرابع) مرسله عليهم  
 من أسجلته اذا أرسلته وهو فعيل منه (الخامس) من أسجلته اي أعطيته تقديره مثل  
 العطية في الادرار وقيل كان كتب عليها أسماء المعذنين (السادس) وهو من السجيل  
 وهو الكتاب تقديره من مكتوب في الازل اي كتب الله أن يعذبهم بها والسجيل أخذ من  
 السجيل وهو الدلو العظيم لانه يتضمن أحكاما كثيرة وقيل مأخوذ من المساجلة وهي  
 المفاخرة (والسابع) من سجين اي من جهنم أبدلت النون لاما (والثامن) من السماء

الاستقبال لاستحضار صورتها أو طفق مجادلنا ظاهرة وأمان فسرت بيشارة الولد أو بما يحتمل فعل سببها لها من حيث  
 انها تغيد زيادة الطمئنان قلب بسلامته وسلامة أهله كافة ومجادلته اياهم أنه قال لهم حين قالوا له انما هلكوا اهل هذه القرية  
 ارايتم لو كان فيها خسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا الا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة  
 قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فند ذلك قال ان

فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما نتجسبه وأهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام أن يكون ابراهيم عليه السلام قد علم أنهم من سلون  
 لأهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح  
 فرغ لهام أن ذهاب الروح انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فلما كان لوط عليه السلام على  
 شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ﴿ ١١٨ ﴾ ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة أمته

التي من جلتهم قوم لوط  
 ولا ريب في تقدم هذا الخوف  
 على قولهم لا تخف وأما الذي  
 علمه عليه السلام بميادته  
 عن الخوف فهو اختصاص  
 قوم لوط بالهلاك لا دخولهم  
 تحت العموم فتأمل والله  
 الموفق (ان ابراهيم حلیم)  
 غير مجبول على الانتقام ممن  
 أساء اليه (أواه) كثير التأوه  
 على الذنوب والتأسف على  
 الناس (منيب) راجع الى الله  
 تعالى والمقصود بتعداد  
 صفاته الجميلة المذكورة بيان  
 ما حمله عليه السلام على ما  
 صدر عنه من المجادلة  
 (يا ابراهيم) اي قالت الملائكة  
 يا ابراهيم (أعرض عن هذا)  
 الجدال (انه) اي الشأن  
 (قد جاء أمر ربك) اي قدره  
 الجاري على وفق قضائه  
 الاولي الذي هو عيارة عن  
 الارادة الازلية والعناية  
 الالهية المتفضية لنظام  
 الموجودات على ترتيب  
 خاص حسب تعلقها بالاشياء  
 في أوقاتها وهو المعبر عنه  
 بالقدر (وانهم آتاهم عذاب  
 غير مردود) لا يجدال ولا بداء  
 ولا يغيرها (ولما جاءت رسلنا

الدينيا ونسبى سجلا عن أبي زيد (والناسع) السجيل الطين لقوله تعالى حجارة من طين وهو  
 قول عكرمة وقادة قال الحسن كان أصل الحجر هو من الطين الا انه صلب بمرور الزمان  
 (والعاشر) سجيل موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة ومنه قوله تعالى من جبال فيما من  
 برد \* واعلم أنه تعالى وصف تلك الحجارة بصفات (فالصفة الاولى) كونها من سجيل  
 وقد سبق ذكره (الثاني) قوله تعالى منضود قال الواحدى هو مفعول من التضد وهو وضع  
 الشيء بعضه على بعض وفيه وجوه (الاول) ان تلك الحجارة كان بعضها فوق بعض  
 في النزول فأتى به على سبيل المبالغة (والثاني) ان كل حجر فان ما فيه من الاجزاء منضود  
 بعضها ببعض وملصق بعضها ببعض (والثالث) انه تعالى كان قد خلقها في معادنها  
 ونضد بعضها فوق بعض وأعد لها لاهلاك الظلمة واعلم ان قوله منضود صفة للسجيل  
 (الصفة الثالثة) مسومة وهذه الصفة صفة للاججار ومعناها المعقدة وقد مضى الكلام  
 فيه في تفسير قوله والخليل المسومة واختلفوا في كيفية تلك العلامة على وجوه (الاول)  
 قال الحسن والسدى كان عليها أمثال الخوازم (الثاني) قال ابن صالح رأيت منها  
 عند أم هانئ حجارة فيها خطوط حرة على هيئة الجزع (الثالث) قال ابن جرير كان عليها  
 سيما لا تشارك حجارة الارض وتدل على انه تعالى انما خلقها للعذاب (الرابع) قال الزبيد  
 مكتوب على كل حجر اسم من رمى به ثم قال تعالى عند ربك اى في خزائنه التي لا يتصرف فيها  
 أحد الا هو ثم قال وماهى من الظالمين بعبديعنى به كفار مكة والمقصود انه تعالى يرميهم بها  
 عن أنس أنه قال سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن هذا فقال  
 يعنى عن ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة  
 وقيل الضمير في قوله وماهى للقرى اى وماتلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة من  
 كفار مكة بعبد وذلك لان تلك القرى كانت في الشام وهي قريب من مكة \* قوله تعالى  
 ( والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا  
 المكيال والميزان اى أراكم بخبرواى أحاف عليكم عذاب يوم يحيط ويا قوم أوفوا  
 المكيال والميزان بالقسط ولا تبحسوا الناس أشياءهم ولا تعشوا في الارض مفسدين بقية  
 الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) اعلم ان هذا هو القصة السادسة من  
 القصص المذكورة في هذه السورة واعلم ان مدين اسم ابن لبراهيم عليه السلام ثم صار  
 اسما للقبيلة وكثير من المفسرين يذهب الى أن مدين اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم  
 عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فخذف الأهل واعلم اننا  
 ان الانبياء عليهم السلام يسرعون في أول الامر بالدعوة الى التوحيد ولهذا قال شعيب  
 عليه السلام ما لكم من اله غيره ثم انهم بعد الدعوة الى التوحيد يشرعون في الاهم ثم  
 الاهم ولما كان المعتاد من أهل مدين البحس في المكيال والميزان دعاهم الى ترك هذه  
 العادة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص فيه على وجهين (أحدهما) أن يكون

لوطا) قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين ﴿ الايفاء ﴾  
 القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مردحسان الوجوه فلذلك (سى بهم) اى ساءه بحبهم لظنه أنهم أناس  
 فخاف أن يقصدهم قومه ويحجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو عمرو سى وسيتت باسم السين الضم  
 \* زوى أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع

شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال أشهد بالله انها الشرقرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخر جت امر أنه فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لو طربا الاماريت مثل وجوههم قط (وضاق بهم ذرعا) اي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الاتقياض للجزع عن مدافعة المكروه والاحتياال فيه وقيل ﴿ ١١٩ ﴾ ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل

وهو المساحة وكانه قدر  
البدن مجازا أي ان بدنه ضاق  
قدره من احتمال ما وقع وقيل  
الذراع اسم للجراحة من  
المرفق الى الانامل والذرع  
مدها ومعنى ضيق الذرع في  
قوله تعالى ضاق بهم ذرعا  
قصرها كما أن معنى سعتها  
و بسطتها طولها ووجه  
التميل بذلك أن القصير  
الذراع اذا مدها ليتناول ما  
يتناول الطويل الذراع  
تقاصر عنه ويجز عن تعاطيه  
فضرب مثلا للذي قصرت  
طاقته دون بلوغ الامر (وقال  
هذا يوم عصيب) شديد من  
عصبه اذا شده ( و جاءه )  
اي لو طاهو في بيته مع أضيافه  
( قومه يهرعون اليه ) اي  
يسرعون كما يمدفون دفعا  
اطلب الفاحشة من أضيافه  
والجمله حال من قومه وكذا  
قوله تعالى ( ومن قبل ) اي  
من قبل هذا الوقت كانوا  
يعملون السيآت ) اي جاءوا  
مسرعين والحال أنهم كانوا  
منهمكين في عمل السيآت  
فضرروا بها وتمرروا فيها حتى  
لم يبق عندهم قباحتهم ولذلك  
لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم

الايفاء من قبلهم فينقصون من قدره ( والآخر ) أن يكون لهم الاستيغناء فإخذون أزيد  
من الواجب وذلك يوجب نقصان حق الغير وفي القسمين حصل النقصان في حق الغير ثم  
قال اني أراكم بخبر وفيه وجهان ( الاول ) انه حذرهم من غلاء السعر و زال النعمة  
ان لم يتوبوا فكانه قال اتركوا هذا التطفيف والا أزال الله عنكم ما حصل عنكم من  
الخير والراحة ( والثاني ) أن يكون التقدير انه تعالى أنا كما بالخير الكثير والمال والرخص  
والسعة فلا حاجة بكم الى هذا التطفيف ثم قال واني أخاف عليكم عذاب يوم يحيط وفيه  
أبحاث ( البحث الاول ) قال ابن عباس رضى الله عنهما أخاف أي أعلم حصول عذاب  
يوم يحيط وقال آخرون بل المراد هو الخوف لانه يجوز أن يتروا ذلك العمل خشية أن  
يحصل لهم العذاب ولما كان هذا التخويف قائما فالخوف هو الظن لا العلم ( البحث  
الثاني ) انه تعالى توعدهم بعذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد والمحيط من صفة  
اليوم في الظاهر وفي المعنى من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب  
( البحث الثالث ) اختلفوا في المراد بهذا العذاب فقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة لانه  
اليوم الذي نصب لاحاطة العذاب بالمعذبين وقال بعضهم بل يدخل فيه عذاب الدنيا  
والآخرة وقال بعضهم بل المراد منه عذاب الاستئصال في الدنيا كما في حق سائر الانبياء  
والاقرب دخول كل عذاب فيه واحاطة العذاب بهم كاحاطة الدائرة بما في داخلها  
فينالهم من كل وجه وذلك مبالغة في الوعيد كقوله وأحيط بمره ثم قال ويا قوم أوفوا  
المكيال والميزان بالتوسط فان قيل وقع التكرير في هذه الآية من ثلاثة أوجه لانه قال  
أولا ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال  
ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فإلا الفائدة في هذا التكرير قلنا ان فيه  
وجوها ( الاول ) ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل فاخيج في المنع منه الى المبالغة  
والتأكيد والتكرير يفيد التأكيد وشدة العناية والاهتمام ( والثاني ) ان قوله  
ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء  
العدل والنهي عن ضد الشيء مغاير للامر به وليس اقائل أن يقول النهي عن ضد الشيء  
أمر به فكان التكرير لازما من هذا الوجه لانا نقول ( الجواب ) من وجهين ( الاول )  
انه تعالى جمع بين الامر بالشيء وبين النهي عن ضده للمبالغة كما تقول صل قرابتك  
ولا تقطعهم فبدل هذا الجمع على غاية التأكيد ( الثاني ) أن نقول لانسلم ان الامر كما ذكرتم  
لانه يجوز أن ينهى عن التقيص وينهى أيضا عن أصل المعاملة فهو تعالى منع من  
التقيص وأمر بإيفاء الحق ليدل ذلك على انه تعالى لم يمنع عن المعاملات ولم ينه عن  
المبايعات وانما منع من التطفيف وذلك لان طائفة من الناس يقولون ان المبايعات  
لا تنفك عن التطفيف ومنع الحقوق فكانت المبايعات محرمة بالكلية فلا جل ابطال  
هذا الخيال منع تعالى في الآية الاولى من التطفيف وفي الآية الاخرى أمر بالإيفاء

مهرعين مجاهر بن ( قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ) فتر وجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيئهم لخبثهم وعدم  
كفائتهم لالعدم مشروعية فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي عليه الصلاة والسلام ابنته من عبته بن أبي  
لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنته  
وأياها كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه

تجربى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واطهار الشدة امتعاضة مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستهيوهمه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيزجر واعماداً قدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لامناحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما استغف عليه (فاتقوا الله) بترك الفواحش أو يابنارهن عليهم (ولا تخزون في ضيق) اي لا تفضحوني في شأنهم فان ﴿ ١٢٠ ﴾ اخزاء ضيف ال رجل و جاره اخزاه له أو لا تجعلوني من

وأما قوله ثالثاً ولا نبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير لانه تعالى خص المنع في الآية السابقة بالنقصان في المكيال والميزان ثم انه تعالى عمم الحكم في جميع الاشياء فظهر بهذا البيان انها غير مكررة بل في كل واحد منها فائدة زائدة (والوجه الثالث) انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تقصوا المكيال والميزان وفي الثانية قال أوفوا المكيال والميزان والايفاء عبارة عن الاتيان به على سبيل الكمال والتمام ولا يحصل ذلك الا اذا أعطى قدرًا زائداً على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء انه تعالى أمر بفعل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من أجزاء الرأس فالحاصل انه تعالى في الآية الاولى نهى عن التقصان وفي الآية الثانية أمر باعطاء قدر من الزيادة ولا يحصل الجرم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة فكانه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً تحصل له تلك الزيادة وفي الثانية أمر بالسعي في تقصص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة وقوله بالقسط يعني بالعدل ومعناه الامر بإيفاء الحق بحيث يحصل معه اليقين بالخروج عن العهدة فالامر بإيتاء الزيادة على ذلك غير حاصل ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم والبخس هو التقصص في كل الاشياء وقد ذكرنا ان الآية الاولى دللت على المنع من التقصص في المكيال والميزان وهذه الآية دللت على المنع من التقصص في كل الاشياء ثم قال ولا تعثوا في الارض مفسدين فان قيل العثو الفساد التام فقلوه ولا تعثوا في الارض مفسدين جار مجرى أن يقال ولا تفسدوا في الارض مفسدين قلنا فيه وجوه (الاول) أن من سعى في ايصال الضرر الى الغير فقد حل ذلك الغير على السعي الى ايصال الضرر اليه فقلوه ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه ولا تسعوا في افساد مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعى منكم في افساد مصالح أنفسكم (والثاني) أن يكون المراد من قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مصالح دنياكم وآخرتكم (والثالث) ولا تعثوا في الارض مفسدين مصالح الاديان ثم قال بقية الله خير لكم قري تقيه الله وهي تقواه ومرافقه التي تصرف عن المعاصي ثم نقول المعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف يعني المال الحلال الذي يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق البخس والتطفيف وقال الحسن بقية الله أي طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان ثواب الطاعة يبقى أبداً وقال قتادة حظكم من ربكم خير لكم وأقول المراد من هذه البقية اما المال الذي يبقى عليه في الدنيا واما ثواب الله واما كونه تعالى راضياً عنه والكل خير من قدر التطفيف اما المال الباقي فلان الناس اذا عرفوا انساناً بالصدق والامانة والبعد عن الخيانة اعتمادوا عليه ورجعوا في كل المعاملات اليه فيفتح عليه باب الرزق واذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يخاطبوه اليه قضيت أبواب الرزق عليه وأمان حملناه هذه البقية على الثواب فالامر ظاهر لان كل الدنيا تقضي وتنقض وثواب الله باق وأمان حملناه على حصول رضا الله

الخرابة وهي الحياء (ليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق الصريح ويرعوى عن الباطل القبيح (قلوا) معرضين عما تصحهم بهم من الامر بتقوى الله والنهي عن اخزائه محيين عن أول كلامه (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت أن لاسبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضت الاعرض سابري ولا مطعم لنا في ذلك (وانك تعلم ما تريد) من اتيان الذكران ولما يبس عليه السلام من ارعوا ثم عمهم عليه من الغي (قال لو أنزل بكم قوة) اي لعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرآناسيرت به الجبال أوقطعت به الارض أو كلتم به الموتى (أو أوى الى ركن شديد) عطف على أنلى بكم الى آخره لما فيه من معنى الفعل اي اوقويت على دفعكم بنفسى أو أويت الى ناصر عز يزقوى أمتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة روى عن النبي صلى الله عليه

سلم رحم الله أخى لوطاً كان يأوى الى ركن شديد روى أنه عليه السلام أعلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم ﴿ تعالى ﴾ وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (قلوا) اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة يمه (يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بضرر ولا مكروه فاقم الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن بريل عليه السلام ربه رب المرة جل جلاله في عقوقتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها

فقتل جناحة وله جناحان وعليه وشاح من در من مظلوم وهو برأى الشياطين بضرب جناحة وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال  
 عز وعلا فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون الجاه النجاه فان في بيت لوط قوما مسخرة (فأسر بأهلك)  
 بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم  
 المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه ﴿ ١٢١ ﴾ عليه السلام (بقطم من الليل) بطائفة منه (ولا يلتفت منكم)

أى لا يتخلف أو لا ينظر الى  
 ورائه (أحد) منك ومن أهلك  
 وانما نوا عن ذلك ليجدوا في  
 السرى فان من يلتفت الى ما وراءه  
 لا يتلوع عن أدنى وقفة أو وثلا  
 يروا ما ينزل بقومهم من العذاب  
 فيرقوا لهم (الامر أنك)  
 استثناء من قوله تعالى فأسر  
 بأهلك وأؤيده أنه قرى فأسر  
 بأهلك بقطع من الليل  
 الامر أنك وقرى بالرفع على  
 البدل من أحد فالانفقات بمعنى  
 التخلف لا بمعنى النظر الى  
 الخلف كيلا يلزم التناقض  
 بين القراءتين المتواترتين فان  
 النصب يقتضى كونه عليه  
 السلام غير مأور بالاسراء بها  
 والرفع كونه مأورا بذلك  
 والاعتذار بأن مقتضى الرفع  
 انما هو مجرد كونها معهم وذلك  
 لا يستدعى الامر بالاسراء بها  
 حتى يلزم المناقضة لجواز أن  
 تسرى هي بنفسها كما يرى  
 انه عليه السلام لما أسرى  
 بأهله تبعتهم فلما سمعت هدة  
 العذاب التفت وقالت يا قوم ما  
 فأدر كما حجر قتلها وأن  
 يسرى بها عليه السلام من  
 غير أمر بذلك اذ موجب

تعالى فالامر فيه ظاهر ثبت بهذا البرهان ان بقية الله خير ثم قال ان كنتم مؤمنين  
 وانما شرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين مقرين بالثواب والعقاب  
 عرفوا ان السعى في تحصيل الثواب وفي الحذر من العقاب خيرا لهم من السعى في تحصيل  
 ذلك القليل واعلم ان المعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فهذه الآية تبدل بظاهرها  
 على ان من لم يحترز عن هذا التطفيف فانه لا يكون مؤثما قال تعالى وما أنا عليكم بحفيظ  
 وفيه وجهان (الاول) أن يكون المعنى انى نصحتكم وأرشدتكم الى الخير وما أنا عليكم  
 بحفيظ أى لا قدرته على منعكم عن هذا العمل القبيح (الثاني) انه قد أشار فيما  
 تقدم الى ان الاشتغال بالبخس والتطفيف يوجب زوال نعمة الله تعالى فقال  
 وما أنا عليكم بحفيظ يعنى لو لم نتركوا هذا العمل القبيح زالت نعم الله عنكم وألا أقدر  
 على حفظها عليكم في تلك الحالة ﴿ قوله تعالى ﴿ قاتوا باسبيب أصلاتك تأمرك أن نترك  
 ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد ﴾ في الآية مسائل  
 (المسئلة الاولى) قرا حرة والكسأى وحفص عن عاصم أصلاتك بغير واو والباقون  
 أصلو انك على الجمع (المسئلة الثانية) اعلم ان شعبا عليه السلام أمرهم بشيئين بالتوحيد  
 وترك البخس فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة فقوله ان نترك  
 ما يعبد آباؤنا اشارة الى انه أمرهم بالتوحيد وقوله أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء اشارة  
 الى أنه أمرهم بترك البخس أما الاول فقد اشار وا فيه الى التمسك بطريقة التقليد لانهم  
 استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباؤهم يعنى الطريقة التي أخذناها  
 من آباؤنا وأسلافنا كيف نتركها وذلك تمسك بمحض التقليد (المسئلة الثالثة) في لفظ  
 الصلاة ههنا قولان (الاول) المراد منه الدين والايمان لان الصلاة أظهر شعار الدين  
 فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين أو نقول الصلاة أصلها من الاتباع ومنه أخذ المصلى  
 من الخيل الذى يتلو السابق لان رأسه يكون على صلوى السابق وهما ناحيتا الفخذين  
 والمرادينك بأمرك بذلك (والثاني) ان المراد منه هذه الاعمال المخصوصة روى أن شعبيا  
 كان كثير الصلاة وكان قومه اذارواه بصلى تغامر واوتضا حكاوا فصدوا بقولهم  
 أصلو انك تأمرك بالسخرية والهزؤ وكأنتك اذارأت معنوها يطالع كتاب ثم يذكر كلاما  
 فاسدا فيقال له هذا من مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزؤ والسخرية فكذا ههنا فان  
 قيل تقدير الآية أصلو انك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء وهم انما ذكروا وهذا  
 الكلام على سبيل الانكار وهم ما كانوا ينكرون كونهم فاعلين في أموالهم ما يشاؤون  
 فكيف وجه التأويل قلنا فيه وجهان (الاول) التقدير أصلو انك تأمرك أن نترك ما يعبد  
 آباؤنا وان نترك فعل ما نشاء وعلى هذا فقوله أو أن نفعل معطوف على ما في قوله ما يعبد  
 آباؤنا (والثاني) أن يجعل الصلاة آمرة وناهية والتقدير أصلو انك تأمرك أن نترك عبادة  
 الأوثان وتنهاك أن تفعل في أموالنا ما نشاء وقرأ ابن أبى عبة أو أن تفعل في أموالنا

النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها ﴿ ١٦ ﴾ خا لا النهى عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها  
 مخالفا للنهى لا يجدى نفع لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعى بقاء الأهل على العموم فيكون الاسراء بها مأورا به  
 قطعا وفي حل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التعكم والاعتساف  
 كره على ما قرئ منه من المناقضة فالاول حينئذ حمل الاستثناء

كحلي القرءة تخرج من قوله لا يلقث مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوا الا قليل منهم فان ابن طامر قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع  
الجلل ولا يمدنى كون اكثر القرءة على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح والنبذ  
علاه على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما اصابهم) من العذاب وهو امطار الاجار وان لم يصبها الخسف والضمير في انه  
للسان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة ﴿ ١٢٢ ﴾ خبر لان الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من

تخيم شأن ما اصابهم ولا يحسن  
جعل الاستثناء منقطعاً على  
قرءة الرقص (ان موعدهم  
الصبح) أي موعدهم عذابهم  
وهلاكهم لتعليل الامر  
بالاسراء والتهيب عن الالتفات  
المشعر بالحث على الاسراع  
(ليس الصبح بقريب) تأكيد  
للتعليل فان قرب الصبح داع  
الى الاسراع في الاسراء  
للتباعد عن مواقع العذاب  
وروى انه قال للملائكة متى  
مؤعد هلاكهم قالوا الصبح  
قال اريد اسرع من ذلك  
فقالوا ذلك وانما جعل ميقات  
هلاكهم الصبح لانه وقت  
الدعة والراحة فيكون حلول  
العذاب حينئذ افظع ولانه  
اناسب بكون ذلك عبرة للناظرين  
(فلما جاء امرنا) أي وقت عذابنا  
ومؤعدده وهو الصبح (جعلنا  
عليها) أي طلي قري قوم لوط  
وهي التي عبر عنها بالوثوقات  
وهي خمس مدائن فيها  
اربعمائة الف الف (ساقطها)  
أي قلبناها على تلك الهيئة  
وجعل عليها مفعولاً اول للجعل  
وساقطها مفعولاً ثانياً وان  
تمتق القلب بالعكس أيضاً

ماتشاء بناء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والافتقار  
بالخلال القليل وأنه خير من الحرام الكثير ثم قال تعالى حكاية عنهم انك لانت الحليم  
الرشيد وفيه وجوه (الاول) أن يكون المعنى انك لانت السفيه الجاهل الا أنهم عكسوا  
ذلك على سبيل الاستهزاء والمخزبة به كما يقال للبخيل الخسيس لوراك حاتم لسجدك  
(والثاني) أن يكون المراد انك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد (والوجه  
الثالث) انه عليه السلام كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد فلما أمرهم بمفارقة طريقهم  
قالوا له انك لانت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب فكيف تنهانا عن دين  
ألفينا من آباءنا وأسلافنا والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفاً بالحلم  
والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه \* قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة  
من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم الى ما أنتم تأمرونني ان أريد

الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الابالله عليه توكلت واليه أتيب ويا قوم لا يجر منكم  
شفاقى أن يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم  
يبعد واستغفر وار بكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود) في الآية مسائل (المسئلة  
الاولى) اعلم انه تعالى حكى عن شعيب عليه السلام ما ذكره في الجواب عن كلماتهم  
فالاول قوله أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وفيه وجوه (الاول)  
ان قوله ان كنت على بينة من ربي إشارة الى ما آتاه الله تعالى من العلم والهداية والدين  
والنبوة وقوله ورزقني منه رزقاً حسناً إشارة الى ما آتاه الله من المال الخلال فانه يروى  
أن شعيباً عليه السلام كان كثير المال واعلم أن جواب ان الشرطية محذوف والتقدير  
انه تعالى لما آتاني جميع السعادات الروحانية وهي البينة والسعادات الجسمانية وهي  
المال والرزق الحسن فهل يسعني مع هذا الانعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه  
في أمره ونهيه وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك لانهم قالوا له انك لانت الحليم  
الرشيد فكيف يليق بك مع حملك ورسدك أن تنهانا عن دين آباءنا فكانه قال انما  
أقدمت على هذا العمل لان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرني بهذا التبليغ والرسالة  
فكيف يليق بي مع كثرة نعم الله تعالى على أن أخاف أمره وتكليفه (الثاني) أن يكون  
التقدير كأنه يقول لما ثبت عندي أن الاشتغال بعبادة خيرا لله والاشتغال بالبخس  
والتطفيف عمل منكم ثم أثار جل أريداً صلاح أحوالكم ولأحتاج الى أموالكم لأجل  
ان الله تعالى آتاني رزقاً حسناً فهل يسعني مع هذه الاحوال أن أخون في وحي الله تعالى  
وفي حكمه (الثالث) قوله ان كنت على بينة من ربي أي ما حصل عنده من الهجرة وقوله  
ورزقني منه رزقاً حسناً المراد انه لا يسألهم أجراً ولا جعلاً وهو الذي ذكره سائر الانبياء  
من قولهم لا اسألكم عليه أجراً ان أجرى الاعلى رب العالمين (المسئلة الثانية) قوله ورزقني  
منه رزقاً حسناً يدل على أن ذلك الرزق انما حصل من عند الله تعالى وبعائته وأنه لا مدخل

لتمويل الامر وتفضيح الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم ساقطها أشده عليهم وأشق من جعل  
ساقطها عاليها وان كان مستزماً به \* روى انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء  
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجمل والامطار الى ضميره سبحانه باعتباره الميسب لتفخيم الامر وتهويل  
الخطب (وأمرنا عليها) على أهل المدائن أو شدادهم



حجارة من تعجیل) من طين منحجر كقوله حجارة من طين وأضله سنك كل ضرب وقيل هو من أصله إذا أرسله أو در عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية في الادرار أو من السجل أى بما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فأبليت نونه لاما (منضود) تضد في السماء تضدا معدا لامذاب وقيل يرسل بعضهم بعض كقطار الأمطار (مسومة) حيلة للعذاب ﴿ ١٢٣ ﴾ وقيل معلة بياض وحرارة أو بسما تميز به عن حجارة الأرض

أوباسم من ترمى به (عند ربك) في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل (وما هي) أى الحجارة الموصوفة (من الظالمين) من كل ظالم (يعبد) فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وما لبسوا بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة ﴿ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امك ما من ظالم منهم الا وهو معرض حجر بسطة طاعليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من ظالمى مكة يبرون بها في مسائرهم وأسفارهم الى الشام وتذ كبر البعد على تأويل الحجارة بالحجر أو اجرائه على موصوف مذ كرى أى بشىء بعيد أو بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض الا انها حين هوت منها فهي أسرع شىء لحوقها بهم فكانها يمكن قريب عنهم أولانه على زنة المصدر كازفير والصهيل والصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث (والى مدين) أى أولاد

للكسب فيه وفيه تنبيه على أن الاعزاز من الله تعالى والاذلال من الله تعالى وإذا كان لكل من الله تعالى فأنا لأبلى بمخالفتكم ولا أفرح بمواقفتكم وإنما أكون على تفرير ذين الله تعالى وابطح شرائع الله تعالى (وأما الوجه الثاني) من الاجوية التي ذكرها شعيب عليه السلام وقوله وما أرى يدان أخالفكم الى ما أنهما كم عنه قال صاحب الكشف يقال خالفنى فلان الى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه إذاولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فساله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه وارد أو ما ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أرى يدان أخالفكم الى ما أنهما كم عنه يعنى أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبدها دونم فهذا بيان اللغة وتحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا بأنه حلیم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الا صوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلى فاعلموا أن الذى اختاره عقلى لنفسى لا بد وأن يكون أصوب الطرق وأصلحها والدعوة الى توحيد الله تعالى وترك البغى والنقصان يرجع حاصلهما الى جزأين العظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وأما مواظب علمها غير تارك لها حتى شىء من الاحوال البتة فلما اعترفتم لي بالحلم والرشد وترون انى لأترك هذه الطريقة فاعلموا أن هذا الطريق خيرا للطرق وأشرف الاديان والشرائع (وأما الوجه الثالث) من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله ان أريد الاصلاح ما استطعت والمعنى ما أريد الا ان أصلحك بموعظتى ونصيحتى وقوله ما استطعت فيه وجوه (الاول) أنه ظرف والتقدير مدة استطاعتى للاصلاح وما مدت متمكنامنه لا ألوفيه جهدا (والثاني) انه يدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعت منه (والثالث) أن يكون مفعولاه أى ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه واعلم ان المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حلیم رشيد وانما أقروا بذلك لانه كان مشهورا فيما بين الخلق بهذه الصفة فكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالى أنى لأسعى الا فى الاصلاح وازالة الفساد والخصومة فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ابداء الناس فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضى منه ايقاع الخصومة وإثارة الفتنة فانكم تعرفون أنى ابغض ذلك الطريق ولا أدور الاعلى ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتى وذلك هو الاصلاح والانداز وأما الاجبار على الطاعة فلا أقدر عليه ثم انه عليه السلام أكد ذلك بقوله وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وبين بهذا أن توكله واعتماده في تنفيذ كل الاعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته واعلم ان قوله عليه السلام توكلت اشارة الى محض التوحيد لان قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر وهو أنه لا ينبغي للانسان أن يتوكل على أحد الا على الله تعالى وكيف وكل ما سوى الحق سبحانه يمكن لذاته فان بذاته ولا يحصل الا بما يجاده وتكويته واذا كان كذلك لم يجز التوكل الا على الله

مدين بن ابراهيم عليه السلام أو جعل اسما للقبيلة بالقبيلة أو أهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمى باسمه (أخاهم) أى نسيهم (شعبيا) وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى عمود أخاهم صالحا أى وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا (قال) استثناء وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فاذا قال لهم فقبل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شيئا (مالكم من اله

بغيره) تحقيق التوحيد وتعليل للاهلية و بعد ما أمرهم بما هو ملاك أمر الدين وأول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب  
 أميادي ما اعتادوه من الجحس والتطيف عادة مستمرة فقال (ولا تنقصوا الكيال والميزان) كي تتوسلوا بذلك الى جحس  
 جقوق الناس (اني اراكم بخير) أي ملتبسين بثرة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما أتونه  
 من المساحة والفضل على الناس شكر اعليها أو أراكم بخير فلا تزيلوه ﴿ ١٢٤ ﴾ بما أتم عليه من الشر وهو على كل حال علة

للهي صفت بعله أخرى أعنى  
 قوله عز وجل (وأني أخاف  
 هلكم) ان لم تنتهوا عن ذلك  
 (عذاب يوم يحيط) لا يشد  
 منه شاذمكم وقيل عذاب  
 يوم مهلك من قوله تعالى  
 وأحيط بثمره وأصله من احاطة  
 العدو والمراد عذاب يوم  
 القيامة أو عذاب الاستئصال  
 ووصف اليوم بالاحاطة وهي  
 حال العذاب على الاستناد  
 المجازي وفيه من المبالغة  
 ما لا يخفى فان اليوم زمان  
 يشتمل على ما وقع فيه من  
 الحوادث فاذا احاط بعذابه  
 فقد اجتمع للعذب ما اشتمل  
 عليه منه كما اذا احاط بشيء  
 ويجوز أن يكون هذا تعليلا  
 للامر والنهي جميعا (ويا قوم  
 أو فوا المكيال والميزان بالقسط)  
 أي بالعدل من غير زيادة  
 ولانقصان فان الزيادة  
 في الكيل والوزن وان كان  
 تفضلا مندوبا اليه لكنها  
 في الآلة محظورة كالنقص  
 فقل الزائد للاستعمال عند  
 الاكتيال والناقص للاستعمال  
 وقت الكيل وانما أمر  
 بتسويةيهما وتعدلهما  
 صبر يحا بقصد النهي عن

تعالى وأعظم مراتب معرفة المبدأ هو الذي ذكرناه وأما قوله واليه أنيب فهو إشارة الى  
 معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر لان قوله واليه أنيب يدل على انه لا مرجع للخلق الا الى  
 الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيب عليه السلام قال  
 ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته في كلامه بين قومه (وأما الوجه الرابع) من  
 الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله ويا قوم لا يجر منكم شقاق أن يصيبكم  
 قال صاحب الكشاف جرم مثل كسب في تعدته تارة الى مفعول واحد وأخرى الى  
 مفعولين يقال جرم ذنبا وكسبه وجرمه ذنبا وكسبه اياه ومنه قوله تعالى لا يجر منكم  
 شقاق أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير يجر منكم بضم  
 الياء من أجرته ذنبا اذا جعلته جارماله أي كاسباله وهو منقول من جرم المتعدى الى  
 مفعول واحد وعلى هذا فلا فرق بين جرته ذنبا وأجرته اياه والقراءتان مستوئتان في  
 المعنى لا تفاوت بينهما الا أن المشهورة أفصح لفظا كما ان كسبه مالا أفصح من اكسبه  
 اذا عرفت هذا فنقول المراد من الآية لا تكسبنكم معاداتكم اياي أي يصيبكم عذاب  
 الاستئصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الفرق ولقوم هود من الریح  
 العقيم ولقوم صالح من الرجفة ولقوم لوط من الحسف وأما قوله وما قوم لوط منكم بعيد  
 فقيه وجهان (الاول) ان المراد نفي البعد في المكان لان بلاد قوم لوط عليه السلام قريبة  
 من مدين (والثاني) ان المراد نفي البعد في الزمان لان اهلاك قوم لوط عليه السلام اقرب  
 الاهلاكات التي هرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام او على هذين التقديرين فان  
 القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الاحوال فكانه  
 يقول اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعتة حتى لا ينزل بكم مثل  
 ذلك العذاب فان قيل لم قال وما قوم لوط منكم بعيد وكان الواجب أن يقال بعيدين أجاب  
 عنه صاحب الكشاف من وجهين (الاول) أن يكون التقدير ما اهلا كههم شي بعيد  
 (الثاني) أنه يجوز أن يسوى في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المذكر والمؤنث اورودها  
 على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق ونحوهما (وأما الوجه الخامس) من الوجوه  
 التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله واستغفروا بكم عن عبادة الاوثان ثم توبوا  
 اليه عن الجحس والنقصان ان ربي رحيم بأوليائه ودود قال أبو بكر الاتباري الودود في  
 أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده وقال الازهرى في كتاب شرح  
 أسماء الله تعالى ويجوز أن يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان  
 عبادة الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة فضاله واحسانه على الخلق واعلم أن هذا الترتيب  
 الذي راعاه شعيب عليه السلام في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف وذلك لانه بين  
 اولاً أن ظهور البتة له وكثرة انعام الله تعالى عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة في  
 وحى الله تعالى ويصد عنه التهاون في تكليفه ثم بين ثانياً أنه مواظب على العمل بهذه

نقصهما بالغة في الحمل على الايفاء والمانع من الجحس وتبديها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والجحس ﴿ الدعوة ﴾  
 بل يجب عليهم اصلاح ما أفسدوه وجعلوه معيار الظلم وقانونا لعدوانهم (ولا تجحسوا الناس) بسبب نقصهما وعدم  
 البعد لهما (أشياءهم) التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن الجحس بعدما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار  
 والامر بإيفاءه لهما بشأنه وترغيباً في ايفاء الجحوق بعد الترهيب والترغيب عن نقصها ويجوز أن

بكن والمراد بالامر بإفناء المكيا والميزان الامر بإفناء المكليات والموزونات ويكون النهي عن البخس تاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ( ولا تشواقي الارض مفسدين ) فان العشي يتم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل البخس المكس كأخذ المشورق في العائلات قال زهير بن أبي سلمى \* أنى كل أسواق العراق اتارة \* وفي كل مباح أمر ومكس درهم \* والعشي في الارض السرقة وقطع \* ١٢٥ \* الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصده

الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تشواقي في الارض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم (بقية الله) أي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التزهد عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما يتجمعون بالبخس والتطريف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم أن فيه خيرا كقوله تعالى يحق الله ان يوا وير في الصدقات (ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فان خير يتها باستباح الثواب مع الجحاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة وان كنتم مصدقين لي في مقالي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرى بقية الله باقوا قايمة وهي تقوا من المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القبائح وأحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد أذذرت اذا نذرت ولم آل في ذلك جهدا أو ما انا بحافظ ومستيق طيكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما أتتم عليه من سوء الصنيع (قالوا

الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليما رشيدا ثم بين صحته بطريق آخر وهو أنه كان معروفا بمحصل مميزات الصلاح واخفاء موجبات الفتن فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته أشار الى نفي المعارض وقال لا ينبغي أن تحملكم عداوتي على مذهب ودين تقعون بسببه في العذاب الشديد من الله تعالى كما وقع فيه أقوام الانبياء المتقدمين ثم انه لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد الى تقرير ما ذكره أولا وهو التوحيد والمنع من البخس بقوله ثم تو بوا اليه ثم بين لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الايمان والطاعة لانه تعالى رحيم ودود يقبل الايمان والنبوة من الكافر والفاسق لان رحمة لعباده وجهه لهم يوجب ذلك وهذا التقرير في غاية الكمال \* قوله تعالى (قالوا يا شيعب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لئرا كفينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) اعلم انه عليه السلام لما بالغ في التقرير والبيان اجابوه بكلمات فاسدة فالاول قولهم يا شيعب ما نفقه كثيرا مما تقول وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقائل ان يقول انه عليه السلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه والعلماء ذكروا عنه أنواعا من الجوابات (فالاول) أن المراد ما نفقه كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه افهامهم لشدة نفرةهم عن كلامه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (الثاني) انهم فهموه بقلوبهم ولكنهم ما أقاموا له وزنا فذكروا هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا مجدثه ما أدري ما تقول (الثالث) ان هذه الدلائل التي ذكرها ما أقتنعتهم في صحة التوحيد والنبوة والبعث وما يجب من ترك الظلم والسرقة فقولهم ما نفقه أي لم نعرف صحة الدلائل التي ذكرتها على صحة هذه المطالب (المسئلة الثانية) من الناس من قال الفقه اسم لعلم مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه واحتجوا بهذه الآية وهي قوله ما نفقه كثيرا مما تقول فاضافه الفقه الى القول ثم صار اسما لتويع معين من علوم الدين ومنهم من قال انه اسم لطلق الفهم يقال أوتي فلان فقهها في الدين أي فهمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين أي يفهمه تأويله (والنوع الثاني) من الاشياء التي ذكروها قولهم وانا لئرا كفينا ضعيفا وفيه وجهان (الاول) انه الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه (والثاني) ان الضعيف هو الاعشى بلغة جبر وعلم أن هذا القول ضعيف لوجوه (الاول) أنه ترك للاظهار من غير دليل (والثاني) ان قوله فينا يبطل هذا الوجه ألا ترى انه لو قال انا لئرا كفينا كان فاسدا لان الاعشى أعشى فيهم وفي غيرهم (الثالث) أنهم قالوا به ذلك ولولا رهطك لرجمناك فنقوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصره وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصره والذين جلاوا اللفظ على ضعف البصر لعلمهم انما جلاوه عليه لانه سبب للضعف واعلم أن اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء لان هذا اللفظ لا يحسن

يا شيعب أصلاتك تمارك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الاوثان اجابوا بذلك أمره عليه السلام اياهم بعبادة الله وحده المتضمن لتبهم عن عبادة الاصنام وتبدلوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الأمر بذلك حتى ادعوا أن لأمر به من العقل واللب أصلا وأنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استنفاهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلاتك التي هي من نتائج

الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك بأن نترك عبادة الاوثان التي توارثناها أباعن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا هم ان المصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وخير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاه نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة معروف بذلك ﴿ ١٢٦ ﴾ وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضحكون

الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لما بيناه وأما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه لا يجوز لكونه متعبدا فانه لا يمكن الاحتراز عن الجاسات ولانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان أولى والكلام فيه لا يليق بهذه الآية لانا بينا أن الآية لا دلالة فيها على هذا المعنى (والوع الثالث) من الاشياء التي ذكروها قولهم ولولا رهطك لرجناك وفيه مستلطان (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وقد كان رهطه علمتهم قالوا لولا حرمة رهطك عندنا بسبب كونهم علمت لارجناك والمقصود من هذا الكلام انهم بينوا أنه لا حرمة له عندهم ولا وقوعه في صدورهم وانهم انما يقتلوه لاجل احترامهم رهطه (المسئلة الثانية) الرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالججارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سموا القتل رجما وقد يكون بالقول الذي هو القذف كقوله رجما بالغيب وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وقد يكون بالشتم واللعن ومنه قوله الشيطان الرجيم وقد يكون بالطرد كقوله رجوما للشياطين اذا عرفت هذا ففي الآية وجهان (الاول) لرجناك لقتلاك (الثاني) لشتناك وطردناك (النوع الرابع) من الاشياء التي ذكروها قولهم وما أنت صليبا بعز يز ومعناه انك لما لم تكن علينا عز يز اسهل علينا الاقدام على قتلك وايدناك واعلم أن كل هذه الوجوه التي ذكروها ليست دافعا لما قرره شيب عليه السلام من الدلائل والبيانات بل هي جارية مجرى مقابلة الدليل والجملة بالشتم والسفاهة \* قوله تعالى ( قال يا قوم أرهطى أعر عليكم من الله واتخذتموه

وراءكم ظهر يا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعلموا علم ما كانتكم اني تأمل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا اني معكم رقيب ) اعلم ان الكفار لما خوفوا شعيا عليه السلام بالقتل والابناء حكى الله تعالى عنه ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان من الكلام ( فالنوع الاول ) قوله يا قوم أرهطى أعر عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهر يا ان ربي بما تعملون محيط والمعنى ان القوم زعموا أنهم تركوا ايذاه رعاية بجانب قومه فقال أتم تزعمون أنكم تزكون قتلي اكراما رهطى والله تعالى أولى أن ينبع أمره فكانه يقول حفظكم اباي رعاية لامر الله تعالى أولى من حفظكم اباي رعاية لحق رهطى وأما قوله واتخذتموه وراءكم ظهر يا فالعنى أنكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به قال صاحب الكشاف والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسى بكسر الهمة وقوله ان ربي بما تعملون محيط يعنى انه عالم باحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ( والنوع الثاني ) قوله ويا قوم اعلموا علم ما كانتكم اني تأمل والمكانة الحالة يتمكن بها صاحبها من عمله والمعنى اعلموا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم من ابصال الشرور الى فاني أيضا تأمل بقدر ما أتاني الله تعالى من

فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرى أصولا ت ( أو ان فعل في أموالنا ما نشاء ) جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهيه عن الجش والنقص معطوف على ماى أو ان نترك أن نعمل في أموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرى بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك اى صلاتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما نشاء وتجوز العطف على ما قبل يستدعى أن يراد بالتك معنيان متخالفان والمراد به له عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لانفس الايفاء فان ذلك ليس من أفعالهم عليه السلام بل من أفعالهم وانما نقل عطفا على أن نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام اياهم وأمره بذلك والمعنى أصولك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصولك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك نعيضا منهم برعاية رأيه عليه السلام

﴿ القدرة ﴾

واستهزاء به من تلك الجهة بآياه دخول الهمة على الصلاة دون الامر ويستدعى أن يصدر

عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو بوجهه وأنى ذلك فتأمل وقرى بالتون في الاول والتاء في الثاني عطفا على أن نترك أى أو أن نعمل نحن في أموالنا عند المعاملة ما نشاء أنت من التوسية والايفاء ( انك لانت الجليم الرشيد ) ويصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما أرادوا بذلك

وصفه بتضديهما كقول الخرنبة ذى انك أنت العزى الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكره على معنى انك لانت الخليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بما على الحقيقة فيأيه مقام الاستهزاء اللهم الآن يراد بالصلاة الدين كما قيل (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة) أى حجة واضحة وبرهان يردع بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقاتلهم الشعا في جعلهم أمره وذهبه \* ١٢٧ غير مستند الى سند (من ربي) ومالك أموري وإيراد حرف الشرط

مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاوره معهم كما ذكرناه في نظائره (ورزقني منه) أى من لدنه (رزقا حسنا) هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهما بذلك تنبيهها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الا بدعيته ولا مته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فعوى الكلام أى أتقولون في شأنى ماتقولون والمعنى انكم نظمتونى في سلك السفهاء والغواة وعدتم ما صدر عنى من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجه له نوه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بى وبأفئد حتى قلت ان ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطيف ليس مما يأمركم به أمر العقل ونقضى به قاضى الغفنة وانما يأمركم به صلاتك التى هى من أحكام الوسوسة والجنون فأخبرونى ان كنت من جهة ربي ومالك أموري نابتا على النبوة والحكمة التى ليس وراءها غاية للكمال

القدرة ثم قال سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لما قيل لم يقل فسوف تعلمون والجواب ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصول واما حذف الفاء فانه يجعله جوابا عن سؤال مقدر والتقدير انه لما قال ويا قوم اعلموا على مكانتكم انى عامل فكأنهم قالوا فاذا يكون بعد ذلك فقال سوف تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء ههنا أكمل في باب الغطاعة والتهويل ثم قال وارتقبوا انى معكم رقيب والمعنى فانظروا العاقبة انى معكم رقيب أى منتظر والرقيب بمعنى الرقيب من رقبه كالضرب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والتديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى الفقير والمرتفع \* قوله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جائعين كأن لم يغنوا فيها الا بعد المدين كما بعدت ثمود) روى الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم وقوله ولما جاء أمرنا يحتمل أن يكون المراد منه ولما جاء وقت أمرنا ملكا من الملائكة بتلك الصيحة ويحتمل أن يكون المراد من الامر العقاب وعلى التقديرين فأخبر الله انه نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين برحمة منه وفيه وجهان (الاول) أنه تعالى انما خلصه من ذلك العذاب لمحض رحمة نبيها على ان كل ما يصل الى العبد فليس الا بفضل الله ورحمته (والثاني) أن يكون المراد من الرحمة الايمان والطاعة وسائر الاعمال الصالحة وهى أيضا ما حصلت الا بتوفيق الله تعالى ثم وصف كيفية ذلك العذاب فقال وأخذت الذين ظلموا الصيحة وانما ذكر الصيحة بالذلف واللام اشارة الى العهد السابق وهى صيحة جبريل عليه السلام فاصبحوا فى ديارهم جائعين والجائهم الملازم لكانه الذى لا يتحول عنه يعنى أن جبريل عليه السلام لما صاح بهم تلك الصيحة زهق روح كل واحد منهم بحيث يقع فى مكانه ميتا كأن لم يفضوا فيها أى كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين ثم قال تعالى الا بعد المدين كما بعدت ثمود وقد تقدم تفسير هذه اللفظة وانما قلنا حالهم على ثمود لما ذكرنا أنه تعالى عذبهم مثل عذاب ثمود \* قوله تعالى (ونقد أرسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا فى هذه لعنوا يوم القيامة بئس الورد المرفود) واعلم ان هذه هى القصة السابعة من القصص التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة وهى آخر القصص من هذه السورة أما قوله باياتنا وسلطان مبين ففيه وجوه (الاول) أن المراد من الآيات التوراة مم ما فيها من الشرائع والاحكام ومن السلطان المبين المعجزات القاهرة الباهرة والتقدير وقد أرسلنا موسى بشرائع وأحكام وتكاليف وأيدناه بمعجزات القاهرة وبيئات باهرة (الثاني) ان الآيات

ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك رزقا حسنا أتقولون فى شأنى وشأن أفعالى ماتقولون بما لا خير فيه ولا شروء هذا هو الجواب الذى يستدعيه السياق والسياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف أيسجلى أن لا أمر كم يترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى أو هل يسعنى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخبرني فى وحيد وأخالفه فى أمره

وتهيمة فبمزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان جعل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الذين على معنى أدنك بأمرك  
 أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفتنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي  
 أن يصدر عنك فانك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا  
 قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به ﴿ ١٢٨ ﴾ وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن

الحلال الذي آتاه الله تعالى  
 والمعنى حينئذ أخبروني ان كنت  
 نبيا من عند الله تعالى ورزقني  
 ما لا حلالا أستغني به عن العالمين  
 أصبح أن أخالف أمره أو أوافقكم  
 فيما تأتون وما تدرين (وما أريد)  
 ينهي إياكم عما أنما كم عنه  
 من الجس والتطيق  
 (ان أخالفكم الى ما أنما كم عنه)  
 أي أقصده بعد ما وابتع عنه  
 وأستبد به دونكم يقال خالفت  
 زيدا الى كذا اذا قصده  
 وهو مول عنه وخالفته عن كذا  
 اذا كان الامر على العكس  
 (ان أريد) أي ما أريد  
 بما أبشيرة من الامر والنهي  
 (الاصلاح) الا أن أصل الحكم  
 بالصححة والوعظة  
 (ما استطعت) أي مقدار  
 ما استطعت من الاصلاح  
 والتقيده بالاحتراز عن الاكفاء  
 بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة  
 ما ليس في وسع منه (وما توفيتي)  
 أي كوني موقفا لتحقيق  
 ما أتت به من اصلا حكم  
 (الاباثة) أي بتأييده ومعونته  
 بل الاصلاح من حيث الخلق  
 مستند اليه سبحانه وانما أنا  
 من مباديه الظاهرة فله عليه  
 السلام تحقيق الحق وازاحة

هي المعجزات والبيئات وهو كقوله ان عندكم من سلطان بهذا وقوله ما أنزل الله بها من  
 سلطان وعلى هذا التقدير في الآية وجهان (الاول) أن هذه الايات فيها سلطان مبین  
 لموسى على صدق نبوته (الثاني) أن يراد بالسلطان المدين العصاله أشهرها وذلك لانه تعالى  
 أعطى موسى تسع آيات بينات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع  
 والدم ونقص من الثمرات والانس ومنهم من أبدل نقص الثمرات والانس باطلال الجبل  
 وقلق البحر واختلفوا في أن الحجة لم سميت بالسلطان فقال بعض المحققين لان صاحب  
 الحجة يقهر من لاجه معه عند النظر كما يقهر السلطان غيره فلهذا توصف الحجة بانها  
 سلطان وقال الزجاج السلطان هو الحجة والسلطان سمي سلطانا لانه حجة الله في أرضه  
 واشتقاقه من السليط والسليط ما يضاء به ومن هذا قيل للزيت السليط وفيه قول ثالث  
 وهو أن السلطان مشتق من التسليط والعلاء سلاطين بسبب كآلهم في القوة العلية  
 والملوك سلاطين بسبب مامعهم من القدرة والمكنة الا أن سلطنة العلماء أكمل وأقوى  
 من سلطنة الملوك لان سلطنة العلماء لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة الملوك تقبلهما ولان  
 سلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلماء وسلطنة العلماء من جنس سلطنة الانبياء وسلطنة  
 الملوك من جنس سلطنة الفراعنة فان قيل اذا حلت الآيات المذكورة في قوله بآياتنا  
 على المعجزات والسلطان أيضا على الدلائل والمبين أيضا معناه كونه سببا للظهور  
 فالفرق بين هذه المراتب الثلاثة قلنا الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات التي  
 تفيد الظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين وأما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين  
 الا أنه اسم للقدر المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس وبين الدلائل التي لم تتأكد  
 بالحس وأما الدليل القاطع الذي تأكد بالحس فهو السلطان المبين ولما كانت معجزات  
 موسى عليه السلام هكذا لا جرم وصفها الله بآياتها سلطان مبین ثم قال الى فرعون  
 وملائته يعني وأرسلنا موسى بآياتنا بمثل هذه الآيات الى فرعون وملائته أي  
 جاعته ثم قال فاتبعوا أمر فرعون ويحتمل ان يكون المراد أمره إياهم بالكفر بموسى  
 ومعجزاته ويحتمل أن يكون المراد من الامر الطريق والشان ثم قال تعالى وما أمر فرعون  
 برشيد أي برشد الى خبر وقيل رشيد أي ذى رشد واعلم أن بعد طريق فرعون عن الرشد  
 كان ظاهر انه كان دهر ينافي بالصانع والمعاد وكان يقول لاله للعالم وانما يجب على أهل  
 كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وأنكر أن يكون الرشد  
 في عبادة الله ومعرفته فلما كان هو نافي الهدى الامر ين كان خاليا عن الرشد بالكلية ثم انه  
 تعالى ذكر صفته وصفة قومه فقال يقدم قومه يوم القيامة فأورد هم النار وفيه بحثان  
 (البحث الاول) من حيث اللغة يقال قدم فلان فلانا بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الرجل  
 كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش (والبحث الثاني) من حيث المعنى وهو  
 ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال حال ما كانوا في الدنيا وكذلك مقدمهم الى النار

لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك (عليه توكلت) في ذلك معرضا ﴿ وهم ﴾  
 فاعدها فانه القادر على كل مقدور وما عدها عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمزل عن مرتبة  
 الاستعداد به والاستظهار (والله أئيب) أي أرجع فيما نابضه ويجوز أن يكون المراد وما كوني موقفا لاصابة الحق  
 بالصواب في كل ما آتي وأثر الاجتهاد ومعونته عليه توكلت وهو إشارة الى محض

التوحيد الذاتي والفعل والبدن أي عليه أقبل بشر أشرف نفسي في مجامع أموري وأبشار ضيفة الاستقبال على الماضي الأنسب للترور والحق في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستزال والمحافظة على قواعد حسن المجارة والمحاوراة وتمهيد معاهد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به في أموره وحسم ﴿ ١٢٩ ﴾ أطباع الكفار وأظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما

تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يهمة (ويأقوم لا يجبر منكم) أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا (شفاق) معاداتي وأصلهما ان أحد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر (أن يصيبكم) مفعول ثان ليجر منكم أي يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (وقوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم اياه من أجرته ذنبا اذا جعلته جار ماله أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل آكسبه المال من كسب المال فكما لافرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لافرق بين جرمته ذنبا وأجرته اياه في المعنى الآن الاول أصح وأدور على أسنة الفصحاء وقرأ أبو حية مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير تمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن

وهم يتبعونه أو يقال كما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم في البحر وأغرقهم فكذلك يتقدمهم يوم القيامة فيدخلهم النار ويحرقهم ويجوز أيضا أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد أي وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضا حاله أي كيف يكون أمره رشيدا مع ان عاقبته هكذا فان قيل لهم يقل يقدم قومه فبوردهم النار بل قال يقدم قومه فأوردهم النار بلفظ الماضي قلنا لان الماضي قد وقع ودخل في الوجود فلا سييل البتة الى دفعه فاذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل على غيبة المبالغة ثم قال ويئس الورد المورد وفيه بحثان (البحث الاول) لفظ النار مؤنث فكان ينبغي أن يقال وبئست الورد المورد الا ان لفظ الورد مذكر فكان التذكير والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فن ذكر غلب المنزل ومن أنث بنى على تأنيث الدار هكذا قاله الواحدى (البحث الثاني) الورد قد يكون بمعنى الورد فيكون مصدر او قد يكون بمعنى الورد قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقد يكون بمعنى الورد عليه كالماء الذي يورد عليه قال صاحب الكشاف الورد المورد الذي حصل وورده فشبّه الله تعالى فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردين الى الماء ثم قال بئس الورد الذي يوردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ثم قال وأتبعوا في هذه لعنة و يوم القيامة والمعنى انهم أتبعوا في هذه الدنيا لعنة وفي يوم القيامة أيضا ومعناه ان اللعن من الله ومن الملائكة والانبيا ملتصق بهم في الدنيا وفي الآخرة لا يزول عنهم ونظيره قوله في سورة القصص وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبوحين ثم قال بئس الرفذ المرفود والرفذ هو العطية وأصله الذي يعين على المطلوب سأل نافع بن الأزرق ابن عباس رضى الله عنهم عن قوله بئس الرفذ المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة قال قتادة ترا دفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عوننا لشيء فقد رفته به \* قوله تعالى (ذلك من آباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظنناهم ولكن طلبوا أنفسهم فأغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء للمجاء أمر ربك وما زادهم غير تبييب) اعلم أنه تعالى لما ذكر قصص الاولين قال ذلك من آباء القرى نقصه عليك والغادة في ذكرها أمور (أولها) ان الانتفاع بالدليل العقلي المحض انما يحصل للانسان الكامل وذلك انما يكون في غاية الندرة فاما اذا ذكرت الدلائل ثم أكثرت بأقاصيص الاولين صار ذكر هذه الاقاصيص كالوصول لتلك الدلائل العقلية الى العقول (الوجه الثاني) انه تعالى خلط بهذه الاقاصيص أنواع الدلائل التي كان الانبياء عليهم السلام يتمسكون بها ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم في دفعها ثم يذكر عقبيها مما أجوبة الانبياء عنها ثم يذكر عقبيها انهم لم أصروا واستكبروا وقعوا في عذاب الدنيا وبقي عليهم اللعن والعقاب في الدنيا وفي الآخرة فكان ذكر هذه القصص سببا لايصال الدلائل والجوابات

نطقت \* حامة في غصون ذات ﴿ ١٧ ﴾ خا أوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهي للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على اللطف أسلوبه وأبدعه كما في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرم منكم مثبنا قوم الآية (وما فهم لو طم منكم بعيد) زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المبدودة فاعتبروا بهم

فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرخ بأصابعهم بل اكتفى بذكر قريتهم ايذانا بان ذلك مفعن عن ذكره لشبهة كونه منظوما في سخط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة اوليسوا يعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وافراد البعيد مع تذكره لان المراد وما اهلاكمهم على نية المضاف أو وما هم بشئ بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لان حيث خصوصية كونهم قوما أو ﴿ ١٣٠ ﴾ ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك

لكونه على زنة المصادر كالنبيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه سبحانه في ارعواهم عما كانوا فيه يفهمون من طغيا فهم بالجمل على الاستغفار والتوبة فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) مرتفسير مثله في أول السورة (ان زبي زحيم) عظيم الرحمة لانايبين (ودود) لمبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما (قالوا) يا شيب ما نفعه كثيرا مما تقول) الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي مانفهم مرادك وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه وضافت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك الى سبيل الشفاء كما هو دين المنعم المحجوج يقابل بينات بالسبب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع

عن الشبهات الى قلوب المتكرين وسببا لازالة القوة والغلظة عن قلوبهم فثبت ان احسن الطرق في الدعوة الى الله تعالى ما ذكرناه (الفائدة الثالثة) انه عليه السلام كان يذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلذذ لاحد وذلك معجزة عظيمة تدل على النبوة كما قررناه (الفائدة الرابعة) ان الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزنديق والموافق والمنافق الى ترك الدنيا والخروج عنها الا ان المؤمن يخرج من الدنيا مع الشاء الجمل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة فاذا تكررت هذه الاقاصيص على السمع فلا بد وأن يلين القلب وتخضع النفس ونزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال فهذا كلام جليل في فوائد ذكره هذه القصص أم اقوله ذلك من انباء القرى ففيه ابحاث (البحث الاول) ان قوله ذلك اشارة الى الغائب والمراد منه ههنا الاشارة الى هذه القصص التي تقدمت وهي حاضرة الا ان الجواب عنه ما تقدم في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه (الثاني) أن لفظ ذلك بشار به الى الواحد والاثنين والجماعة لقوله تعالى لا مارض ولا يكر عوان بين ذلك وأيضا يحتمل ان يكون المراد ذلك الذي ذكرناه هو كذا وكذا (البحث الثالث) قال صاحب الكشاف ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نفعه عليك خير بعد خبر أي ذلك المذكور بعض انباء القرى مقصوص عليك ثم قال منها قائم وحصيد والضبير في قوله منها يعود الى القرى شبه ما بقى من آثار القرى وجد رانها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منه شيء وبعضها هلك وما بقى منه أثر البتة ثم قال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وفيه وجوه (الاول) وما ظلمناهم بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية (الثاني) ان الذي نزل بالاقوم ليس بظلم من الله بل هو عدل وحكمة لاجل ان اقوم اولاطموا أنفسهم بسبب اقدامهم على الكفر والمعاصي فاستوجبوا الاجل تلك الاعمال من الله ذلك العذاب (الثالث) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون ان تصنعهم من التعميم في الدنيا وارزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحق الله تعالى ثم قال فأنعمت عنهم آهتهم التي يدعون من دون الله من شيء أي مانفتم تلك الالهة في شيء البتة ثم قال وما زاد وهم غير تذيب قال ابن عباس رضي الله عنهما غير تحسير يقال تب اذا خسرت بيه غيره اذا أوقعه في الخسران والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضار ثم انه تعالى أخبر انهم عند مساس الحاجة الى المعين ما وجدوا منها شيئا لاجل نفع ولا دفع ضرر ثم كالم يجدوا ذلك فقد وجدوا ضده وهو ان ذلك الاعتقاد زال عنهم به منافم الدنيا والآخرة وجلب اليهم مضار الدنيا والآخرة فكان ذلك من أعظم موجبات الخسران قوله تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذها ايم شديدا في ذلك لاية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم

العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدجواني ضمن ذلك أن في تضاعيفه ﴿ مشهود ﴾ ما يستوجب أقصى ما يكون من المواخذه والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا (وانا لئلك فينا) فيما بيننا (ضيفا) لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع (ولو لا رهطك) لو لا مراعاة جانبهم لالولاهم يمانعوننا ويدافعوننا (رجنك) فان ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة أو الى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفين



بما لا يكاد يوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل (وما أنت علينا بنزير) مكرم محترم حتى تمتنع من رجلك وانما تكف عنه للمحافظة على حرمة رطبك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا واولا الضمير حرف النبي وان لم يكن الخبر فعليا في خبره خال عن الدلالة على رجوع النبي الى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولو لارطبك كانه قيل وما أنت علينا بنزير بل رطبك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من ﴿ ١٣١ ﴾ عظمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانية

حسبما يوجه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وبقضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار (قال) عليه السلام في جوابهم (يا قوم) ارطى اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يعززالا به عز وجل استهانة بجناحه العزيز وانما أنكر عليهم أعز بقوله رططة منه تعالى مع أن ما أثبتوه انما هو مطلق عزة رططة لأعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لثنية التفرع وتكرير التوخيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبه الرطط على جنبه الله تعالى وثانيا بنى العزة بالمرء والمعنى ارطى أعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا (واتخذتموه) بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الابامر (وراءكم ظهر يا) أي شيئا مشبوذا وراه الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس

مشهود وما يؤخره الاجل معدود) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم والحمدري اذا أخذ القرى بالف واحدة وقرأ الياقون بالفتن (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما أخبر الرسول عليه السلام في كتابه بما فعل بأبم من تقدم من الانبياء لما خالفوا الرسل وردوا عليهم من عذاب الاستئصال وبين أنهم طلبوا أنفسهم فحل بهم العذاب في الدنيا قال بعده وكذلك اخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة فبين ان عذابه ليس بمقتصر على من تقدم بل الحال في أخذ كل الظالمين يكون كذلك وقوله وهي ظالمة الضمير فيه عائدا الى القرى وهو في الحقيقة عائدا الى أهلها ونظيره قوله وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت عيشتها واعلم أنه تعالى لما بين كيفية أخذ الامم المتقدمة ثم بين انه انما يأخذ جميع الظالمين على ذلك الوجه أتبعه بما يزيد تأكيدا وتقوية فقال ان أخذهم أليم شديد فوصف ذلك العذاب بالايام والشدة ولا منقصة في الدنيا الا الالم ولا تشديد في الدنيا وفي الآخرة وفي الوهم والعقل الانشديد الالم واعلم ان هذه الآية تدل على أن من أقدم على ظلم فانه يجب عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة لثلايقم في الاخذ الذي وصفه الله تعالى بانه أليم شديد ولا ينبغي أن يظن ان هذه الاحكام مختصة بأوئك المتقدمين لانه تعالى لما حكى أحوال المتقدمين قال وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة فبين ان كل من شارك أولئك المتقدمين في فعل ما لا ينبغي فلا بد وأن يشاركهم في ذلك الاخذ الالم الشديد ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة قال القفال تقرير هذا الكلام أن يقال ان هؤلاء انما عذبوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبياء واشراؤهم بالله فاذا عذبوا في الدنيا على ذلك وهي دار العمل فلان يعذبوا عليه في الآخرة التي هي دار الجزاء كان أولى واعلم أن كثيرا ممن تنبه لهذا البحث من المفسرين عولوا على هذا الوجه بل هو ضعيف وذلك لان على هذا الوجه الذي ذكره القفال يكون ظهور عذاب الاستئصال في الدنيا دايلا على ان القول بالقيامة والبعث والنشروح وصدق وظاهر الآية يقتضي ان العلم بان القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال وهذا المعنى كالمضاد لما ذكره القفال لان القفال يجعل العلم بعذاب الاستئصال أصلا للعلم بان القيامة حق فبطل ما ذكره القفال والاصوب عندي أن يقال العلم بان القيامة حق موقوف على العلم بان المدبر لو جوده هذه السموات والارضين فاعل مختار لا موجب بالذات ومالم يعرف الانسان أن الله العالم فاعل مختار وقادر على كل الممكنات وان جميع الحوادث الواقعة في السموات والارضين لا تحصل الا بتكوينه وقضائه لا يمكنه أن يعتبر بعذاب الاستئصال وذلك لان الذين يزعمون ان المؤثر في وجود هذا العالم موجب بالذات لفاعل مختار يزعمون ان هذه الاحوال التي ظهرت في أيام الانبياء مثل الفرق والحرق والخسف والمسحوخ والصيحة كلها انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واتصال بعضها ببعض واذا كان الامر كذلك فحينئذ لا يكون

(ان ربى بما تعملون) من الاعمال السيئة التي من جعلتها عدم مراعاتكم لجانبه (محيط) لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما دعوا انهم لا يكفون عن رجعه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رططة رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جانب القوي فكيف تراعون جانب رططى الاذلة (ويا قوم اعلموا) لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وأنهم لا يرجعون

تجاههم عليه من المعاصي حتى اجتروا على العظيمة التي هي الاستهانة به والمرية على رجة لولا حرمة ربه على طريقتهم  
 التهديد اعلموا (على مكاتبتكم) أي على غاية تمكينكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا مكن أبلغ التحنن وانما قاله عليه السلام ربما  
 لما دعوا أنهم أقوياء قادرين على رجه وأنه ضعيف فيما بينهم لاصرة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان  
 ومكانة كقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والشاكلة ﴿ ١٣٢ ﴾ وسائر ما أنتم عليه مما لا خبر فيه وابتدأوا

حصولها دليلا على صدق الانبياء فأما الذي يؤمن بالقيامة فلا يتم ذلك الايمان الا اذا  
 اعتقد ان الله العالم فاهل مختار وانه عالم بجميع الجزئيات واذا كان الامر كذلك لم  
 القطع بان حدوث هذه الحوادث الهائلة والوقائع العظيمة انما كان بسبب ان الله العالم  
 خلقها وأوجدها وانها ليست بسبب طوابع الكواكب وقراناتها وحينئذ ينتفع بسماع  
 هذه القصص ويستدل بها على صدق الانبياء فثبت بهذا صحة قوله ان في ذلك لآية  
 لمن خاف عذاب الآخرة ثم قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود واعلم انه  
 تعالى لما ذكر الآخرة وصف ذلك اليوم بوصفين (أحدهما) انه يوم مجموع له الناس والمعنى  
 ان خلق الاولين والاخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون (والثاني) انه يوم  
 مشهود قال ابن عباس رضى الله عنهما يشهده البر والفاجر وقال آخرون يشهده أهل  
 السماء وأهل الارض والمراد من الشهود الحضور والمقصود من ذكره انه رجا وقوع في قلب  
 انسان انهم لما جمعوا في ذلك الوقت لم يعرف كل أحد الا واقعة نفسه فبين تعالى ان تلك  
 الوقائع تصير معلومة لكل بسبب المحاسبة والمساءلة ثم قال تعالى وما نؤخره الا لاجل  
 معدود والمعنى ان تأخير الآخرة وافناء الدنيا موقوف على أجل معدود وكل ماله عدد فهو  
 متناه وكل ما كان متناهيافاته لا بد وان يفنى فيلزم ان يقال ان تأخير الآخرة سينتهي الى  
 وقت لا بد وان يقيم الله القيامة فيه وأن تخرب الدنيا فيه وكل ما هو آت قريب \* قوله  
 تعالى (يوم يأتي لاسلكم نفس الاباذنه فتهم شتى وسعيدا ما الذين شقوا في النار لهم فيها  
 زفير وشهيق خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يفعل لما يريد  
 وأما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء  
 غير محذوذ) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو وعاصم وجرزة يأت بحذف الياء  
 والباقون يأتون الياء قال صاحب الكشاف وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير  
 في لغة هذيل ونحوه قولهم لأدر حكا الخليل وسبويه (المسئلة الثانية) قال صاحب  
 الكشاف فاعل يأتي هو الله تعالى كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله وقوله أو يأتي ربك  
 وبعضه قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء أقول لا يعجبني هذا التأويل لان قوله هل ينظرون  
 الا أن يأتيهم الله حكاه الله تعالى عن أقوام والظاهر أنهم هم اليهود وذلك ليس فيه حجة  
 وكذا قوله أو يأتي ربك أماهنا فهو صريح بكلام الله تعالى واسناد فعل الايمان اليه  
 مشكل فان قالوا فاقولك في قوله تعالى وجاء ربك فقلنا هناك تأويلات وأيضا فهو صريح  
 فلا يمكن دفعه فوجب المصير الى التأويل أماهنا فليس اللفظ صريحا في اسناد الايمان الى  
 الله تعالى فوجب الامتناع منه بل الواجب أن يقال المراد منه يوم يأتي النبي المهيب  
 الهائل المستعظم فحذف الله تعالى ذكره بتعيينه ليكون أقوى في التخويف (المسئلة  
 الثالثة) قال صاحب الكشاف العامل في انتصاب الظرف هو قوله لا تتكلموا واضمارا ذكر  
 اما قوله لا تتكلم نفس الاباذنه فغيب حذف والتقدير لا تتكلم نفس فيه الاباذن الله تعالى فان

جهدكم في مضارتي وايفاع  
 ما في نيتكم واخراج ما في  
 أمنيته من القوة الى الفعل  
 (اني عامل) على مكاتبتى حسبما  
 يويدني الله ويوقني بأنواع  
 التأيسد والتوفيق (سوف  
 تعلمون) لما هددهم عليه  
 السلام بقوله اعلموا على  
 مكاتبتكم اني عامل كان مظنة  
 أن يسأل منهم سائل فيقول فاذا  
 يكون بعد ذلك فليل سوف  
 تعلمون (من يأتيه عذاب  
 يخزيه) وصف العذاب  
 بالاخزاء تعر يضامبا أو عدوه  
 عليه السلام به من الرجم فانه  
 مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر  
 حيث لا يكون الاجنبية عظيمة  
 توجبه (ومن هو كاذب)  
 عطف على من يأتيه لا على  
 أنه قسيمه بل حيث أو عدوه  
 بالرجم وكذبوه قيل سوف  
 تعلمون من المعذب ومن  
 الكاذب وفيه تعر يض بكذبهم  
 في ادعائهم القوة والقدرة على  
 رجه عليه السلام وفي نسبه  
 الى الضعف والهوان وفي  
 ادعائهم الابقاء عليه لرعاية  
 جانب الرهط والاختلاف بين  
 المدطوفين بالفعلية والاسمية

لان كذب الكاذب ليس بمرتبة كاتيان العذاب بل انما المرتبة ظهور الكذب السابق المستمر من اما استهامة ﴿ قيل ﴾  
 معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون انما يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب واما ما وصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه  
 عذاب والذي هو كاذب (وارتقبوا) وانتظروا ما ل أقول (اني معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الرقيب كالصرير والمراقب  
 كالشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهر منه

عليه السلام لكمال الوثوق بأمره (ولما جاء أمرنا) أي هذا بما كنا نبئهم عنه قوله تعالى سوف نعاون من يأتيه عذاب نحر به أو وقته فان الارتعاب مؤذن بذلك (نجيبا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) وهي الايمان الذي وقفناهم له أو برحمة كأنه من الهمهم بما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما نزلهم بسيفه فيها ذكر وعدي يجرى مجرى السبب المقضى لدخول الغاء في معاوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك ﴿ ١٣٣ ﴾ وعدي غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح (وأخذت الذين ظلموا)

عدل اليه عن الضمير تجميل  
عليهم بالظلم واشعارا بأن  
ما أخذهم إنما أخذهم بسبب  
ظلمهم الذي فصل فيما سبق  
فتونه (الصحيحة) قل صاحب بهم  
جبريل عليه السلام فهل كوا  
وفي سورة الاعراف فأخذتهم  
الرجفة وفي سورة العنكبوت  
فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة  
ولعلها من روادف الصحة  
المنتبعة لتتوج الهواء المقضى  
اليها كما مر فيما قبل (فأصبحوا  
في ديارهم جائعين) ميتين  
لازمين لاما كنهم لا براح لهم  
منها وللملم يجعل متعلق العلم  
في قوله تعالى سوف تعلمون  
من يأتيه عذاب الخ نفس  
مجيئ العذاب بل من يجيئه  
ذلك جعل مجيئه بعد ذلك  
أمرا مسل الوقوع غنيا عن  
الاخبار به حيث جعل شرطها  
وجعل تيجية شعيب عليه  
السلام واهلاك الكفرة جوابا له  
ومقصود الافادة وانما قدم  
تيجية اهتماما بشأنها وايدانا  
يسبق الرحمة التي هي مقضى  
ال روية على الغضب الذي  
يظهر أثره بموجب جرأهم  
وجرائهم (كان لم يفتوا)  
أي لم يفتوا (فيها) متصرفين

قيل كيف اجمع بين هذه الآيات وبين سائر الآيات التي توهم كونها مناقضة لهذه الآية منها قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ومنها أنهم يكذبون ويخلفون بالله عليهم وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ومنها قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون ومنها قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون والجواب من وجهين (الاول) أنه حيث ورد المنع من الكلام فهو محمول على ذكر الاعذار الكاذبة الباطلة وحيث ورد الاذن في الكلام فهو محمول على الجوابات الحقية الصحيحة (الثاني) ان ذلك اليوم يوم طويل وله موافق في بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام وفي بعضها يؤذن لهم فيكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم أما قوله عنهم شقي وسعيد ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الضمير في قوله عنهم لاهل الموقف ولم يذكر لانه معلوم ولان قوله لا تكلم نفس الا باذنه يدل عليه لانه قد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (المسئلة الثانية) قوله عنهم شقي وسعيد يدل ظاهره على أن أهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل أليس في الناس مجازين وأطفال وهم خارجون عن هذين القسمين قلنا المراد من يحشر من أطلق للحساب وهم لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل قد احتج القاضي بهذه الآية على فساد ما يقال ان أهل الاعراف لاني الجنة ولا في النار فما قولكم فيه قلنا لما سلم أن الأطفال والمجانين خارجون عن هذين القسمين لانهم لا يحاسبون فلم لا يجوز أيضا أن يقال ان أصحاب الاعراف خارجون عنه لانهم أيضا لا يحاسبون لان الله تعالى علم من حالهم ان ثوابهم يساوي عذابهم فلا فائدة في حسابهم فان قيل القاضي استدلل بهذه الآية أيضا على ان كل من حضر عرصة القيامة فانه لا بد وأن يكون ثوابه زائدا او يكون عقابه زائدا فأما من كان ثوابه مساويا لعقابه فانه وان كان جائزا في العقل الا أن هذا النص دل على أنه غير موجود قلنا الكلام فيه ما سبق من ان السعيد هو الذي يكون من اهل الثواب والشقي هو الذي يكون من اهل العقاب وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث والدليل على ذلك ان أكثر الآيات مشتملة على ذكر المؤمن والكافر فقط وليس فيه ذكر ثالث لا يكون لامؤمننا ولا كافرا مع ان القاضي اثبتة فاذا لم يلزم من عدم ذلك الثالث عدمه فكذلك لا يلزم من ذكر هذا الثالث عدمه (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى حكم الآن على بعض اهل القيامة بانه سعيد وعلى بعضهم بانه شقي ومن حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الامر امتنع كونه بخلافه والالزم ان يصير خبر الله تعالى كذبا وعلمه جهلا وذلك محال فثبت ان السعيد لا ينقلب شقيا وان الشقي لا ينقلب سعيدا وتقر بهذا الدليل مر في هذا الكتاب مرارا لا تحصى وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى عنهم شقي وسعيد قلت يا رسول الله فعلى ماذا نعمل على شيء قد فرغ منه ام على شيء لم يفرغ منه فقال على شيء قد فرغ منه يا عمر وجفت به الافلام وجرت به الاقدار ولكن كل ميسر لما خلق له وقامت المعتزلة تنقل عن الحسن انه

في أطرافها متقلين في اكنافها (الأبعدا لمدن كما بعدت بمود) العادل عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم أعني بمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانها اهل كتاب يتوبون من العذاب وهو الصحيحة خبر أن هو لا يصح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بمدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للكسور (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

هي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والعمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والابحار ومنهم من جعلها آية واحدة وعدمها الظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول أحكام التوراة حين اياه بنو اسرائيل والبناء متعلقة بمخدوف وقع حالاً من مفعول أرسلنا أو نعتاً لمصدره المؤكد أي أرسلناه حال كونه ملتبساً بآياتنا أو أرسلناه ارسالاً ملتبساً بها (وسلطان مبین) هو المعجزات الباهرة منها أو هو العصا والافراد \* ١٣٤ \* بالذکر لاظهار شرفها لكونها أبهرها

قال ختمهم شقي بعمله وسعيد بعمله قلنا الدليل القاطع لا يدفع بهذه الروايات وأيضا فلا نزاع انه انما شقي بعمله وانما سعاد بعمله ولكن لما كان ذلك العمل حاصلًا بقضاء الله وقدره كان الدليل الذي ذكرناه باقيا واعلم انه تعالى لما قسم اهل القيامة الى هذين القسمين شرح حال كل واحد منهما فقال فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكروا في الفرق بين الزفير والشهيق وجوها (الاول) قال الليث الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ولم يخرج منه والشهيق أن يخرج ذلك النفس وقال الفراء يقال للغرس انه عظيم الزفرة أي عظيم البطن واقول ان الانسان اذا عظم غمّه انحصر روح قلبه في داخل القلب فاذا انحصر الروح قويت الحرارة وعظمت وعند ذلك يحتاج الانسان الى النفس القوي لاجل أن يستدخل هواء كثيرا باردا حتى يقوى على ترويح تلك الحرارة فلهذا السبب يعظم في ذلك الوقت استدخال الهواء في داخل البدن وحينئذ يرتفع صدره وينفتح جنباه ولما كانت الحرارة الغريزية والروح الحيوانية محصورا في داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجة فربما عجزت آلات النفس عن دفع ذلك الهواء الكثيرة المستنشقة فيبقى ذلك الهواء الكثير محصر في الصدر ويقرب من أن يخنق الانسان منه وحينئذ تجتهد الطبيعة في اخراج ذلك الهواء فعلى قياس قول الاطباء الزفير هو استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة في اخراجه وكل واحد من هاتين الحالتين تدل على كرب شديد وغم عظيم (الوجه الثاني) في الفرق بين الزفير والشهيق قال بعضهم الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالشهيق وأما الشهيق فهو بمنزلة آخر صوت الحمار (الوجه الثالث) قال الحسن قد ذكرنا أن الزفير عبارة عن الارتفاع فنقول الزفير لهيب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى أعلى درجات جهنم وطعموا في أن يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بقمامع من حديد ويردونهم الى الدرك الاسفل من جهنم وذلك قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فاارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة أخرى هو الشهيق (الوجه الرابع) قال أبو مسلم الزفير ما يجمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما تبعتهما الغشية وربما حصل عقبيه الموت (الوجه الخامس) قال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر (الوجه السادس) قال قوم الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف (الوجه السابع) قال ابن عباس رضي الله عنهما لهم فيها زفير وشهيق يريدندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع وحزنا لا يندفع (الوجه الثامن) الزفير مشعر بالقوة والشهيق بالضعف على ما قررناه بحسب اللغة اذا عرفت هذا فنقول لم يعد أن يكون المراد من الزفير قوة ميلهم الى عالم الدنيا والى اللذات الجسدانية والمراد من الشهيق ضعفهم عن الاستعداد

أو المراد بالآيات ما عداها أو هما عبارتان عن شئ واحد أي أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له قلى نبوته واضحا في نفسه أو موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا وهو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز أن يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكم فا بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة أو ادراجها في جملة الآيات يرد قوله عز وجل (الى فرعون وملئه) فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يدرون وأما فرعون وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فتنه الياغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملته بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الرأى وتبديل الامور واتباع غيرهم لهم في الورد والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله \* بعالم \* تعالى وانها كما فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملته فقيل (فأتبعوا أمر فرعون) أي امره بالكفر بما عليه موسى عليه السلام من الحق المبين للايدان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملته بذلك أمر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحاً وانما المحتاج الى ذلك شأن ملته المتردد بين هادى الى الحق وداع الى الضلال فتنى عليهم سواء اختارهم

لاصالتهم في الرأى وتبديل الامور واتباع غيرهم لهم في الورد والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله \* بعالم \* تعالى وانها كما فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملته فقيل (فأتبعوا أمر فرعون) أي امره بالكفر بما عليه موسى عليه السلام من الحق المبين للايدان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملته بذلك أمر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحاً وانما المحتاج الى ذلك شأن ملته المتردد بين هادى الى الحق وداع الى الضلال فتنى عليهم سواء اختارهم

وأراد الفاء في آتباعهم أهمل ترتيب على أمر فرعون النبي على كفره المستبوق ببلوغ الرسالة للاشعار بما جاتهم في الاتباع ومسارة فرعون  
الى الكفر وأمرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم  
ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائفة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته  
فلم تعظ وصحت به فلم يترجرفان الا بيان بالشيء (١٣٥) بعد ورود ما يوجب الافلاح عنه وان كان استمرار اعليه لكنه بحسب العنوان

بعالم الروحانيات والاستكمال بالانوار الالهية والمعارج القدسية ثم قال تعالى خالدين فيها  
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال قوم ان  
عذاب الكفار منقطع وله نهاية واحتجوا بالقرآن والمعقول أما القرآن فآيات منها هذه  
الآية والاستدلال بها من وجهين (الاول) انه تعالى قال ما دامت السموات والارض  
دل هذا النص على ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض ثم توافقنا على ان  
مدة بقاء السموات والارض متناهية فلزم أن تكون مدة عقاب الكفار منقطعة (الثاني)  
ان قوله الا ما شاء ربك استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال ذلك العذاب في وقت  
هذا الاستثناء وما تمسكوا به أيضا قوله تعالى في سورة عم ينساء لون لابسين فيها أحقابا  
بين تعالى ان ابئهم في ذلك العذاب لا يكون الا أحقابا معدودة وأما العقل فوجهان  
(الاول) ان معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لانهاية له ظلم وانه  
لا يجوز (الثاني) ان ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون فيجبايان خلوه عن النفع  
أن ذلك النفع لا يرجع الى الله تعالى لكونه متعاليا عن النفع والضرر ولا الى ذلك المعاقب  
لانه في حقه ضرر محض ولا الى غيره لان أهل الجنة مشغولون بلذاتهم فلا فائدة لهم  
في الالنادا بالعذاب الدائم في حق غيرهم فثبت ان ذلك العذاب ضرر خال عن جميع  
جهات النفع فوجب أن لا يجوز وأما الجمهور الاعظم من الامة فقد اتفقوا على ان  
عذاب الكافر دائم وعند هذا احتاجوا الى الجواب عن التمسك بهذه الآية أما قوله  
خالدين فيها ما دامت السموات والارض فقد كروا هذه جوابين (الاول) قالوا المراد سموات  
الآخرة وأرضها قالوا والدليل على ان في الآخرة سماء وأرضا قوله تعالى يوم تبدل  
الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض ننبؤا من الجنة حيث نشاء وأيضا  
لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلمهم وذلك هو الارض والسموات ولقائل أن يقول  
التشبيه انما يحسن ويجوز اذا كان حال المشبه به معلوما مقررا فيشبه به غيره تأكيذا  
لثبوت الحكم في المشبه ووجود السموات والارض في الآخرة غير معلوم وبتقدير أن  
يكون وجوده معلوما الا أن بقاءها على وجد لا يغني البتة غير معلوم فاذا كان أصل  
وجودها مجهولا لاكثر الخلق ودوامها ايضا مجهولا لاكثر كان تشبيه عقاب الاستياء  
به في الدوام كلاما عديم الفائدة أقصى ما في الباب أن يقال لما ثبت بالقرآن وجود سموات  
وأرض في الآخرة وثبت دوامهما ووجب الاعتراف به وحينئذ يحسن التشبيه الا أن نقول  
لما كان الطريق في اثبات دوام سموات اهل الآخرة ودوام أرضهم هو السمع ثم السمع دل  
على دوام عقاب الكافر فيثبت الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الاصل حاصل بعينه  
في الفرع وفي هذه الصورة أجمعوا على ان القياس ضائع والتشبيه باطل فكذا هيئنا  
(والوجه الثاني) في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد بقولهم ما دامت  
السموات والارض ونظيره أيضا قولهم ما اختلف الليل والنهار وما طمها البحر وما أقام

فعل جديد وصنع حادث فتأمل  
وترك الاضمار لدفع توهم  
الرجوع الى موسى عليه السلام  
من أول الامر وزيادة تقييح  
حال المشعين فان فرعون علم  
في الفساد والافساد والضلال  
والاضلال فاتباعه لفرط  
الجهالة وعدم الاستبصار  
وكذا الحال في قوله تعالى (وما  
أمر فرعون برشيد) الرشد  
ضد النقي وقدير اذ به محمودية  
العاقبة فهو على الاول بمعنى  
المرشد أو ذي الرشد حقيقة  
لغوية والاسناد مجازي وعلى  
الثاني مجاز والاسناد حقيقي  
(يقدم قوله) جميعا من  
الاشراف وغيرهم (يوم  
القيامة) أي يتقدم بهم من  
قدمه بمعنى تقدمه وهو  
استئناف لبيان حاله في الآخرة  
أي كما كان قدوة لهم في الضلال  
كذلك يتقدمهم الى النار  
وهم يتبعونه أو لتوضيح عدم  
صلاح مال أمره وسوء عاقبته  
(فأورد هم النار) أي يورد هم  
وايثار صيغة الماضي للدلالة  
على تحقق الوقوع لامالة  
يشبه فرعون بالفارط الذي  
تقدم الواردة الى الماء أتباعه

بالمر ردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قبل (ويتس الورد المورود) أي يتس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يرد لتسكين  
اله طش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك (واتبعوا) أي الملا الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة)  
عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة فهي  
تأدية لهم حثما سارا وادارة معهم انما داروا في الموقف

فكما اتبعوا فرعون اتبعهم اللعنة في الدارين جزاء وفاؤا اكتفى بدين حالهم الفطوح وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فانك بحال من اغواهم واقامهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا اعوانا للتبوع جعلت اللعنة وقدالهم على طريقة التهكم فقيل ( بنس الرفد المرفود ) أي بنس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام وأصله ما يضاف الى غيره ليعمد والمخصوص بالذم محذوف ﴿ ١٣٦ ﴾ أي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا

من حيث ان كل لعنة منها معينة وعمدة لصاحبها ومؤيدة اها (ذلك) اشارة الى ما قص من ابناء الامم وبعده باعتبار تفضيه في الذكروا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره ( من ابناء القرى ) المهلكة بما جنته أي اهلها (نقصه عليك) خبرا بعد خبر أي ذلك النبأ بعض ابناء القرى مقصود عليك ( منها ) أي من تلك القرى ( قائم وحصيد ) أي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وماء غا و بطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ( وما ظلمناهم ) بأن اهلكتناهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن جعلوا عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبهم ( فاغنت عنهم ) قانفتهم ولا دفعت بس الله تعالى عنهم ( آلمتهم التي يدعون ) أي يعبدونها ( من دون الله ) أو ترصيفه المضارع حكاية للحال الماضية أو دلالة على استمرار عبادتهم لها ( من شيء ) في موضع المصدر أي

الجيل وانه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا هذه الاشياء بناء على اعتقادهم انها باقية أبدا لا يباد علمنا ان هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد الابد والدوام الخالي عن الانقطاع ولقائل أن يقول هل تسلمون ان قول القائل خالدين فيها مادامت السموات والارض يمنع من بقائها موجودة بعد فناء السموات أو تقولون انه لا يدل على هذا المعنى فان كان الاول فالاشكال لازم لان النص لما دل على أنه يجب أن تكون مدة كونهم في النار مساوية لمدة بقاء السموات وينع من حصول بقائهم في النار بعد فناء السموات ثم ثبت انه لا بد من فناء السموات فعندها يلزمكم القول بانقطاع ذلك العقاب وأما ان قلتم هذا الكلام لا يمنع بقاء كونهم في النار بعد فناء السموات والارض فلا حاجة بكم الى هذا الجواب البتة ثبت ان هذا الجواب على كلا التقديرين ضائع واعلم أن الجواب الحق عندي في هذا الباب شيء آخر وهو أن المعهود من الآية انه متى كانت السموات والارض دائمتين كان كونهم في النار باقيا فهذا يقتضي أن كلما حصل الشرط حصل المشروط ولا يقتضي انه اذا عدم الشرط بعدم المشروط الا ترى أنا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان أما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج أنه ليس بحيوان لانه ثبت في علم المنطق أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا فكذا هنا اذا قلنا متى دامت السموات دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات دائمة لزم أن يكون عقابهم حاصلًا أما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم دوام عقابهم فان قالوا فاذا كان العقاب حاصلًا سواء بقيت السموات أو لم تبق لم يبق لهذا التشبيه فائدة قلنا بل فيه أعظم الفوائد وهو أنه يدل على نفاذ ذلك العذاب دهر اداها وزمانا لا يحيط العقل بطوله وامتداده فاما انه هل يحصل له آخرام لا فذلك يستفاد من دلائل أخرى وهذا الجواب الذي قرره جواب حق ولكنه انما يفهمه انسان ألف شيئا من العقول ( وأما الشبهة الثانية ) وهي التمسك بقوله تعالى الا ما شاور بك فقد ذكرنا فيه أنواعا من الاجوبة ( الوجه الاول ) في الجواب وهو الذي ذكره ابن قتيبة وابن الانباري والفراء قالوا هذا استثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله البتة كقولك والله لا ضرب بك الا أن أرى غير ذلك مع أن عن يمتك تكون على ضربه فكذا هنا وطواوا في تقرير هذا الجواب وفي ضرب الامثلة فيه وحاصله ما ذكرناه ولقائل أن يقول هذا ضعيف لانه اذا قل لا ضرب بك الا أن أرى غير ذلك معناه لا ضرب بك الا اذا رأيت أن الاول ترك الضرب وهذا لا يدل البتة على ان هذه الرواية قد حصلت أم لا بخلاف قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاور بك فان معناه الحكم بخلودهم فيها الالمدة التي شاور بك فلهذا الغلطيل على أن هذه المشبهة قد حصلت جزما فكيف يحصل قياس هذا الكلام على ذلك الكلام ( الوجه الثاني ) في الجواب أن يقال ان كلمة الاهنا وردت بمعنى سوى والمعنى أنه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض فهم منه أنهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات

شيئا من الاغناء (لما جاء أمر ربك) أي حين يحيى عذابه وهو منصوب بأغنت وقرى آلمتهم اللاتي ويدعون ﴿ والارض ﴾ على البناء للجهول (وما زادوهم غير تنبيذ) أي اهلالتو تخسير فانهم انما هلكوا وخسرنا بسبب عبادتهم لها ( وكذلك ) أي وحمل ذلك الاخذ الذي من بيانه وهو رفع على الابنما وخبر قوله (أخسر بك) وقرى اخذ بك فمحل الكافي التصيب على انه مصدر مؤكد (اذا أخذ القرى) أي اهلها وانما ايند اليها بالإشارة بسريين أثره اليها

حسبما ذكره قريء اذاخذ (وهي ظلمة) حال من القري وهي في الحقيقة لاهلها الكنهالما اقيمت مقامهم في الاخذ اجر بيت الحال عليهم او فائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم (ان اخذه اليم شديد) وجميع صعب على الماخوذ لا يرجي منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير (ان في ذلك) أي في اخذه تعالى الامم المهلكة أو في قصصهم (آية) لعبرة (لن خاف عذاب الآخرة) فانه المعتبر به حيث يستدل ﴿ ١٣٧ ﴾ بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات

على أحوال عذاب الآخرة  
وأما من انكر الآخرة وأحال  
فناء العالم وزعم أن ليس هو  
ولاشئ من أحواله مستندا  
الى الفاعل المختار وأن ما يقع  
فيه من الحوادث فائساق  
لا سبب تقتضيه من أوضاع  
فلكية تتفق في بعض الاوقات  
لانما ذكر من المعاصي التي يفتقر  
فيها الامم المهلكة فهو بمنزل  
من هذا الاعتبار تباهم ولما  
لهم من الافكار (ذاك) اشارة  
الى يوم القيامة المدلول عليه  
بذكر الآخرة (يوم مجموع له  
الناس) أي يجمع له الناس  
للمحاسبة والجزاء والتعسير  
للدلالة على ثبات معنى الجمع  
وتحقق وقوعه لا محالة وعدم  
انفكاك الناس عنه فهو أبلغ  
من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم  
الجمع (وذلك) أي يوم القيامة  
مع ملاحظه عنوان جمع الناس  
له (يوم مسعود) أي مسعود  
فيه حيث يشهد فيه أهل  
السموات والارضين فانسع  
فيه باجراء الظرف مجرى  
المفعول به كما في قوله في محفل  
من نواصي الناس مشهود\*  
أي كثير شاهدوه ولو جعل

والارض في الدنيا ثم قال سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم فذكر أولاً في خلودهم ما ليس  
عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله الاماشاء ربك والمعنى  
الاماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها (الوجه الثالث) في الجواب وهو أن المراد من هذا  
الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف فكانه تعالى قال فأما الذين شقوا في النار الا وقت  
وقوفهم للمحاسبة فانهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار وقال أبو بكر الاصم المراد  
الاماشاء ربك وهو حال كونهم في القبر والمراد الاماشاء ربك حال عمرهم في الدنيا وهذه  
الاقوال الثلاثة متقاربة والمعنى خالدون فيها بمقدار مكنتهم في الدنيا وفي البرزخ أو مقدار  
وقوفهم للحساب ثم يصبرون الى النار (الوجه الرابع) في الجواب قالوا الاستثناء يرجع  
الى قوله لهم فيهما زفير وشهيق وتقريره أن نقول قوله لهم فيهما زفير وشهيق خالدون فيهما يفيد  
حصول الزفير والشهيق مع الخلود فاذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل وقت  
لا يحصل فيه هذا المجموع لكنه ثبت في المعقولات أنه كما ينبغي للمجموع بانتفاء جميع  
أجزائه فكذلك ينبغي بانتفاء فرد واحد من أجزائه فاذا انتهوا آخر الامر الى ان يصبروا  
ساكنين هامين خامدين فيثدلم يبق لهم زفير وشهيق فانتفى أحد أجزاء ذلك المجموع  
فحينئذ يصح ذلك الاستثناء من غير حاجة الى الحكم بانقطاع كونهم في النار (الوجه  
الخامس) في الجواب أن يحمل هذا الاستثناء على أن أهل العذاب لا يكونون أبداً في النار  
بل قد ينقلون الى البرد والزهرير وسائر أنواع العذاب وذلك يكفي في صحة هذا الاستثناء  
(الوجه السادس) في الجواب قال قوم هذا الاستثناء يبيد اخراج أهل التوحيد من  
النار لان قوله فاما الذين شقوا في النار يفيدان جملة الاشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم  
ثم قوله الاماشاء ربك يوجب أن لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفي في زوال حكم  
الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم فوجب أن لا يبقى حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما  
ثبت أن الخلود واجب للكفار وجب أن يقال الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من  
أهل الصلاة وهذا كلام قوي في هذا الباب فان قيل فهذا الوجه انما يتعين اذا فسدت  
سائر الوجوه التي ذكرتها وهما هذا الدليل على فسادهما وأيضاً فنل هذا الاستثناء مذكور  
في جانب السعداء فانه تعالى قال واما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت  
السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجذوذ قلنا انما بهذا الوجه بينا ان هذه الآية  
لا تدل على انقطاع وعيد الكفار ثم اذا أردنا الاستدلال بهذه الآية على صحة قولنا في أنه  
تعالى يخرج الفساق من أهل الصلاة من النار قلنا أما محل كلمة الاعلى سوى فهو عدول  
عن الظاهر وأما محل الاستثناء على حال عمر الدنيا والبرزخ والموقف فبعد أيضاً لان  
الاستثناء وقع عن الخلود في النار ومن المعلوم أن الخلود في النار كيفية من كيفيات  
الحصول في النار قبل الحصول في النار امتنع حصول الخلود في النار واذا لم يحصل الخلود  
لم يحصل المستثنى منه وامتنع حصول الاستثناء وأما قوله الاستثناء فائد الى الزفير

وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل أي الله عز وجل فإن المقام مقام تعظيم شأن اليوم وقرئ بآيات الباء على الأصل (لا تكلم نفس) أي لا تكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو العامل في الطرف أو الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الأجل معدود أي يشهي الأجل يوم يأتي أو المضمرة المهودأ عني اذكر (الابادته) عز سلطانه في التكلم بقوله تعالى لا تكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا في موطن من موطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ﴿١٣٨﴾ ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما أن

قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وآخرتها أو المأذون فيها الجوابات الحقة والمنوع عنه الاعتذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها أيضا لطهار بطلانها كما في قول الكفرة والله بنا ما كنا مشركين ونظائرهم (فمنهم شقي) وجبت له النار بموجب الوعيد (وسعيد) لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس أو للناس وتقديم الشقي على السعد لان المقام مقام التحذير والانذار (فأما الذين شقوا) أي سبقت لهم الشقاوة (ففي النار) أي مستقرون فيها (لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والسهيق رده واستعمالهما في اول الشهيق وآخره قال السماخ يصف حمار الوحش \* بعيد مدى التطريب اول صوته \* زفيره يتلوه شهيق محشرح \* والمرابما وصف سدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه أو تشبيه

والشهيق فهذا ايضا ترك للظاهر فلم يبق للآية محل صحيح الا هذا الذي ذكرناه وأما قوله المراد من الاستثناء نقله من النار الى الزمهرير فنقول لو كان الامر كذلك لوجب ان لا يحصل العذاب بالزمهرير الا بعد انقضاء مدة السموات والارض والاخبار الصحيحة دلت على ان النقل من النار الى الزمهرير وبالعكس يحصل في كل يوم مرارا فبطل هذا الوجه وأما قوله ان مثل هذا الاستثناء حاصل في جانب السعداء فنقول أجمعت الأمة على أنه يمتنع أن يقال ان أحدا يدخل الجنة ثم يخرج منها الى النار فلاجل هذا الاجماع افقرنا فيه الى حل ذلك الاستثناء على أحد تلك التأويلات أما في هذه الآية لم يحصل هذا الاجماع فوجب اجراؤها على ظاهرها فهذا تمام الكلام في هذه الآية واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء قال ان ربك فعال لما يريد وهذا يحسن انطباقه على هذه الآية اذا حللنا الاستثناء على اخراج الفساق من النار كما أنه تعالى يقول أظهرت القهر والقدرة ثم أظهرت المغفرة والرحمة لاني فعال لما يريد وليس لاحد على حكم البتة ثم قال وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين والباقون بفتحها وانما جاز ضم السين لانه على حذف الزيادة من أسعدوا لان سعدا لا يتعدى وأسعد يتعدى وسعدوا وسعد بمعنى ومنه المسعود من أسماء الرجال (المسئلة الثانية) الاستثناء في باب السعداء يجب حمله على أحد الوجوه المذكورة فيما تقدم وههنا وجه آخر وهو انه ربما اتفق لبعضهم أن يرفع من الجنة الى العرش والى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها الا الله تعالى قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقوله عطاء غير محذوف وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) جذبه يجذبه جذا اذا قطعه وجذ الله دابرههم فقوله غير محذوف أي غير مقطوع ونظيره قوله تعالى في صفة نعيم الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى لما صرح في هذه الآية أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة فلما خص هذا الموضوع بهذا البيان ولم يذكر ذلك في جانب الاشقياء دل ذلك على أن المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع فهذا تمام الكلام في هذه الآية \* قوله تعالى (فلانك في مربة مما يعبد هولاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانالو فوهم نصيبهم غير متقوص) اعلم أنه تعالى لما سرح أقاصيص عبدة الاوثان ثم أتبعه باحوال الاشقياء وأحوال السعداء سرح للرسول عليه الصلاة والسلام أحوال الكفار من قومه فقال فلانك في مربة والمعنى فلانك الآن أنه حذف النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقع على طرف الكلام لم يبق عند التلغظه الا مجرد الغنة فلا جرم أسقطوه والمعنى فلانك في شك من حال ما يعبدون في أنها لا تضر ولا تنفع ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل والمراد انهم اشبهوا آباءهم في زوم الجهل والتقليد ثم قال وانالو فوهم

صراخهم بأصوات الجمر وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا \* نصيبهم \* وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار ومن الضمير في الجار والمجرور قوله عز اسمه (خالدين فيها) خلا أنه ان أراد حدوث كونهم في النار فالحال مقدره (مادامت السموات



والارض) اي مدة ذوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأيد ودفق الانقطاع بناء على منهاج قول العرب مادام نعاروما أقام  
 ثيرووما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات  
 والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان أريد التعليق فالمراد سموات الآخرة  
 وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى ﴿١٣٩﴾ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض

نبتوا من الجنة حيث نساء  
 وجزم كل أحد بان أهل  
 الآخرة لا بد لهم من مظلة  
 ومقلة دائمتين يكفى في تعليق  
 دوام قرارهم فيها بدوامهما  
 ولا حاجة الى الوقوف على  
 تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما  
 (الامام شامرك) استثناء من  
 الخلود على طريقة قوله تعالى  
 لا يدوقون فيها الموت الا الموبة  
 الاولى وقوله ولا تشكوا ما تكح  
 آباؤكم من النساء الا ما قد سلف  
 وقوله تعالى حتى يلج الجمل  
 في سم الحياض غير أن استعماله  
 الامور المذكورة معلومه  
 بحكم العقل واستعماله ملحق  
 المشيئة بعدم الخلود معلومة  
 بحكم النقل يعني أنهم مستقرون  
 في النار في جميع الازمنة الا في  
 زمان مشيئة الله تعالى لعدم  
 قرارهم فيها واذا لمكان  
 تلك المشيئة ولا زمانها بحكم  
 النصوص القاطعة الموجبة  
 الخلود فلا مكان لانتها  
 مدة قرارهم فيها ولدفع  
 ماعسى يشوه من كون  
 استعماله ملحق مشيئة الله تعالى  
 بعدم الخلود بطريق الوجوب  
 على الله تعالى قال (ان ريك  
 فعال لما يريد) يعني انه

نصيبتهم غير مقصود فيحتمل أن يكون المراد اناموفوهم نصيبهم أي ما يخصهم من العذاب  
 ويحتمل أن يكون المراد انهم وان كفروا وأعرضوا عن الحق فاناموفوهم نصيبهم من  
 الرزق والخيرات الدينوقية ويحتمل أيضا ان يكون المراد اناموفوهم نصيبهم من ازالة  
 العذر وازاحة العلل واطهار الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ويحتمل أيضا أن  
 يكون الكل مرادا \* قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمه  
 سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم انى شك منه مريب وان كلاما لوفى بهم ربك أعمالهم  
 انه بما يعملون خبير) اعلم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار  
 التوحيد بين أيضا اصرارهم على انكار نبوته عليه السلام وتكذيبهم بكتابه وبين تعالى ان  
 هؤلاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسده مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك  
 مثلا وهو انه لما أنزل التوراه على موسى عليه السلام اختلفوا فيه فقبله بعضهم وأكروه  
 آخرون وذلك يدل على أن عاده الخلق هكذا ثم قال تعالى ولولا كلمه سبقت من ربك لقضى  
 بينهم وقبه وجوه (الاول) ان المراد ولولا ما تقدم من حكم الله تعالى بتأخير عذاب هذه  
 الامه الى يوم القيامة لكان الذي يستحقه هؤلاء الكفار عند عظيم كفرهم ارال عذاب  
 الاستئصال عليهم لكن المتقدم من قضائه أخر ذلك عنهم في دنياهم (الثاني) لولا كلمه سبقت  
 من ربك وهى ان الله تعالى انما يحكم بين المختلفين يوم القيامة والا كان من الواجب تمييز  
 المحق عن المبطل في دار الدنيا (الثالث) ولولا كلمه سبقت من ربك وهى ان رحمة سبقت  
 غضبه وان احسانه راجح على قهره والاقضى بينهم ولما قرر تعالى هذا المعنى قال وانهم  
 لى شك منه مريب يعنى ان كفار قومك لى شك من هذا القرآن مريب ثم قال تعالى  
 وان كلا لما لوفى بهم ربك أعمالهم وفيه مسائل (المسئله الاولى) المعنى ان من عجلت  
 عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسل ومن كذب فحالهم سواء في أنه تعالى يوفى بهم جزاء  
 أعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد فان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم  
 وتوفية جزاء المعاصى وعبد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خبير تؤكد للوعد والوعد  
 فانه لما كان طالبا بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصى فكان عالما  
 بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فيحينئذ لا يضيع سى من الحقوق والاجزى وذلك هاية  
 البيان (المسئله الثانية) قرأ أبو عمرو والكسافى وان مشددة التون لما خفي قال أبو على  
 اللام في الماهى التي تقتضيه ان وذلك لان حرف ان يقتضى ان يدخل على خبرها أو اسمها  
 لام كقوله ان الله لغفور رحيم وقوله ان فى ذلك لآية واللام الثانية هى التي تجى بعد  
 القسم كقولك والله لتفعلن ولما اجتمع لاما دخلت ما انفصل بينهما فكلمة ما على هذا  
 التقدير زائده وقال الفراء ما موصولة بمعنى من وبقية التقرير كما تقدم ومثله وان منكم  
 لمن ليطئن (واقراءه الثانية) فى هذه الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم وان  
 كلاما محققان والسبب فيه انهم أعلموا أن محققا كما يعمل مشددة لان كلمة أن تشبه

في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئة الجارية على سنن حكمته  
 الداعية الى ترتيب الاجزىة على أفعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لزيادة المهابة وزيادة التقرير وقيل  
 هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعدون بالزهرير وبأنواع أحر من العذاب وبما هو أغلظ  
 منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسوفهم واهانتهم

أياهم وأنت تدري أنا وان شئنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فخلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك أن تقول أنهم لبسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من أفاضل العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وهو العقوبات والآلام الروحية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام ﴿ ١٤٠ ﴾ الطبيعة المقصور ادراكهم على ما ألفوا من

الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقى ما وراء ذلك من الاحوال الروحية اذا ألقى اليهم ولذلك طهيت عرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجالية المنبثثة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت اعم بهم وهم في النار لكنهم يدسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الاعمى سوى وهو أوفق بما ذكره وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالعنى ان الذين شئوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض) الكلام فيه كاللحظ فيما سبق خلا أنه لم يدكر ههنا أنهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أنه لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانداز (الاماشاء ربك) ان حل على طريقة التعليق بالحال فقوله سبحانه (عطاء غير مجدود) نصب

الفعل فكما يجوز اعمال الفعل تاما ومحدودا في قواك لم يكن زيد قائما ولم يك زيد قائما فكذلك ان وان (والقراءة الثالثة) قرأ حزة وابن عامر وحفص وان كلا لما شددتان قالوا وأحسن ما قيل فيه ان أصل لما بالتنوين كقوله أكلما والمعنى ان كلا لمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا (المسئلة الثالثة) سمعت بعض الافاضل قال انه تعالى لما أخبر عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التوكيدات (أولها) كلمة ان وهي للتأكيد (وثانيتها) كلمة كل وهي أيضا للتأكيد (وثالثتها) اللام الداخلة على خبر ان وهي تفيد التأكيد أيضا (ورابعها) حرف ما اذا جعلناه على قول الفراء موصولا (وخامسها) القسم المضمرة فان تقدير الكلام وان جميعهم والله ليوفينهم (وسادسها) اللام الثانية الداخلة على جواب القسم (وسابعها) النون المؤكدة في قوله ليوفينهم فجميع هذه الاقاط السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على أن امر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر ثم أرفقه بقوله انه بما يعملون خبير وهو من أعظم المؤكدات \* قوله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطعوا انه بما تعملون بصير ولا تتركوا الى الذين طلموا فتمسككم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما أظن في سرح الوعد والوعيد قال رسول الله فاستقم كما أمرت وهذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالاعتقاد والاعمال سواء كان مختصا به أو كان متعلقا بتبليغ الوحي وبيان السرائر ولا شك أن البناء على الاستقامة الحقيقيه مشكل جدا وأنا أضرب لذلك مثلا لا يقرب صعوبة هذا المعنى الى العقل السليم وهو ان الخط المستقيم الذي يفصل بين الطل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض الآن عين ذلك الخط مما لا يتميز في الحس عن طرفه فانه اذا قرب طرف الطل من طرف الضوء اشتبه البعض بالبعص في الحس فلم يقع الحس على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه اذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع ابواب العبودية (فأولها) معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يقي العبد مصونا في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك وأيضا قلة الغضب والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفا افراطا وتفریطا وهما مذمومان والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل الى أحد الجانبين والوقوف عليه صعب ثم العمل به أصعب فثبت أن معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة وبتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لاجرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية وهذا قال عليه الصلاة والسلام شيتني هود وأخوانها وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك انك قلت

على المصدرية من معنى الجملة لان قوله في الجنة خالدون فيها يقتضى اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء ﴿ شيتني ﴾ وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء أو مصدر يحدق الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا وان حل على ما عدا الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بالاعين رأيت ولا أفن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر المشبهة أو تمييز فان نسبة مشبهة الخروج الى الله تعالى يحتمل أن تكون على جهة عطاء مجدود وعلى جهة

عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا التعمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه (فلاتك في مربة) أي في شك والفاء لترتيب النهي على مانص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخرية (ما يعبد هو لاه) أي من جهة عبادة هؤلاء ﴿ ١٤١ ﴾ المشركين وسوء عاقبتها أو من حال ما يعبدونه من الاوثان

من عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل قبيل مثل الفريقيين كالاعشى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من أبناء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثه اليهم ما تذكر به المتذكر نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والاجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقبل (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) الذين قصت عليك قصصهم (من قبل) أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عباده الاكبادتهم أو ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيحلقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي

شبيتهن هود وأخواتها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله فاستقم كما أمرت (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة باداء الايل من الايل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به وضدي أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لم يدل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله فاستقم كما أمرت والعمل بالقياس انحراف عنه ثم قال ومن تاب معك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى من في محل الرفع من وجوه (الاول) أن يكون عطفًا على الضمير المستتر في قوله فاستقم وأغنى الوصل بالجار عن تأكيده بضمير المتصل في صحة العطف أي فاستقم أنت وهم (والثاني) أن يكون عطفًا على الضمير في أمرت (والثالث) أن يكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم (المسئلة الثانية) ان الكافر والفاسق يجب عليهما الرجوع عن الكفر والفسق في تلك الحالة لا يصح اشتغالهما بالاستقامة واما الثابت عن الكفر والفسق فإنه يصح منه الاشتغال بالاستقامة على مناهج دين الله تعالى والبقاء على طريق عبودية الله تعالى ثم قال ولا تطغوا ومعنى الطغيان أن يجاوز المقدار قال ابن عباس يريد تواضعوا لله تعالى ولا تكبروا على أحد وقيل ولا تطغوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقيل لا تجاوزوا ما أمرتم به وحدلكم وقيل ولا تمدوا عن طريق شكره والتواضع له عند عظم نعمه عليكم والاولى دخول الكل فيه ثم قال ولا تتركوا الى الذين ظلموا والركون هو السكون الى الشيء والميل اليه بالحسنة ونقيضه التفور عنه وقرأ العامة بفتح التاء والكاف والماضى من هذا ركن كعلم وفيه لغة أخرى ركن يركن قال الازهرى وليست بقصيدة قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا باعليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ومعنى قوله فتمسك النار أي أنكم ان ركنتم اليهم فهذه طائفة الركون ثم قال ومالككم من دون الله من أولياء أي ليس لكم أولياء يخاصونكم من عذاب الله ثم قال ثم لاتنصرون والمراد لاتنجدون من ينصركم من تلك الواقعة واعلم أن الله تعالى حكم بان من ركن الى الظلمة لابد وأن تمسه النار واذا كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه \* قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة أردفه بالامر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) رأيت في بعض كتب القاضي أبي بكر الباقلاني ان الخوارج تمسكوا بهذه الآية في اثبات أن الواجب ليس الا الفجر والعشاء من وجهين (الاول) انها واقعان على طرفي

تماثل المسببات (وانما لو فهم) أي هؤلاء الكفرة (نصيبهم) أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرأهم من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا آباءهم انصاءهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون يانا الوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجب (غير منقوص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم ولتيم مدبرين وفأنته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه

مبنى على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) أي التوراة ( فاختلف فيه ) أي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا أنزل عليه كثر أوجاهمه ملاك وزعمهم أنك افتريته ( ولولا كلمة سبقت من ربك ) وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداغية الى ذلك ( لقضى بينهم ) أي لا وقع ﴿ ١٤٢ ﴾ القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب

الذي يستحقه المبطلون ليميزوا به عن المحتين وقيل بين قوم موسى وليد بذلك ( وانهم ) أي وان كفار قومك أريد به بعض من رجح اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس ( لفي شك ) عظيم ( منه ) أي من القرآن وان لم يجزله ذكر فان ذكر آيتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما بصدد التسليية ينادى به نداء غير خفي ( مرئب ) موقع في الرية ( وان كلاب التتوين عوض عن المضاف اليه أي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ( لاليوفينهم ربك أعمالهم ) أي أجزية أعمالهم واللام الاولى موثقة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة أو الموصوفة وأصلها من ما قبلت التون مما اللادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذي أولن خلق أولن فر يق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على أن ما من ردة

النهار والله تعالى أوجب اقامة الصلاة طرفي النهار فوجب أن يكون هذا القدر كافيا فان قيل قوله وزلفا من الليل يوجب صلوات أخرى قلنا لانسلم فان طرفي النهار موصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون لبلاغية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف الا أن ذلك كثير في القرآن والشعر ( الوجه الثاني ) أنه تعالى قال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يشعر بأن من صلى طرفي النهار كان اقامتهما كفارة لكل ذنب سواهما فبتقدير أن يقال ان سائر الصلوات واجبة الا ان اقامتهما يجب أن تكون كفارة لتلك سائر الصلوات واعلم أن هذا القول باطل يأجج الامة فلا يلتفت اليه ( المسئلة الثانية ) كثرت المداهب في تفسير طرفي النهار والاقرب ان الصلاة التي تقام في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفي النهار طلوع الشمس والطرف الثاني منه غروب الشمس فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حل الطرف الثاني على صلاة العصر اذا عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول أبي حنيفة رحمه الله في أن التوير بالفجر أفضل وفي أن تأخير العصر أفضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلاة في طرفي النهار وبيتا أن طرفي النهار هما الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان الثاني لغروبها وأجمعت الامة على أن اقامة الصلاة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروعة فقد تعذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حله على المجاز وهو أن يكون المراد أتم الصلاة في الوقت الذي يقرب من طرفي النهار لان ما يقرب من الشيء يجوز أن يطلق عليه اسمه واذا كان كذلك فكل وقت كان أقرب الى طلوع الشمس والى غروبها كان أقرب الى ظاهر اللفظ واقامة صلاة الفجر عند التوير أقرب الى وقت الطلوع من اقامتها عند التغليس وكذلك اقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شيء مثليه أقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شيء مثله والمجاز كما كان أقرب الى الحقيقة كان حل اللفظ عليه اولى فثبت أن ظاهر هذه الآية يقوى قول أبي حنيفة في هاتين المسلتين وأما قوله وزلفا من الليل فهو يقتضي الامر باقامة الصلاة في ثلاث زلف من الليل لان أقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب التوير حتى يحصل زلف ثلاثة يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب التوير في حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق غيره لقوله تعالى واتبعوه ونظير هذه الآية يعينها قوله سبحانه وتعالى وسبح بحمدر بك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالذي هو قبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر والذي هو قبل غروبها هو صلاة العصر ثم قال تعالى ومن آتاه الليل فسبح وهو نظير قوله وزلفا من الليل ( المسئلة الثالثة ) قال المفسرون نزلت هذه الآية في رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماتقول في رجل أصاب من امرأه محرمة كلما يصيبه الرجل من امرأته غير الجماع فقال عليه الصلاة والسلام ليتوضأ وضوا

للفصل بين اللامين والمعنى وان جمعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتتوين أي جيعا كقوله ﴿ حسنا ﴾ سبحانه أكلما وقرأ أبي وان كل لما ليوفينهم على أن نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به ( انه بما يعملون ) أي بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر ( خير ) بحيث لا يخفى عليه شيء من جلاله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزبة أعمالهم فان الاطاعة بتفاصيل أعمال الفريقين وما يستتوجهه كل عمل يقتضي الحكمة من الجزاء

المخصوص توجب توفية كل ذي جح حق حقه ان خيرا فخير وان شرافشر ( فاستقم كما أمرت ) للمابين في تضاعف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير الى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وأن نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لو لم تسبق كلمة ﴿ ١٤٣ ﴾ القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة

الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل  
بآبائهم من قبل وأنهم يوفون  
نصيبهم غير منقوض وأن كل  
واحد من المؤمنين والكافرين  
يوفي جزاء عمله أمر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة  
كأمر به في العقائد والاعمال  
المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين  
ولاسيما الاعمال الخاصة به  
عليه السلام من تبليغ الاحكام  
الشرعية والقيام بوظائف النبوة  
وتحمل أعباء الرسالة بحيث  
يدخل تحته ما أمر به فيما سبق  
من قوله تعالى فلعنك تارك  
بعض ما يوحي اليك وضائق به  
صدرك الآية وبالجملة فهذا  
الامر منتظم لجميع محاسن  
الاحكام الاصلية والفرعية  
والكلمات النظرية والعملية  
والخروج عن عهدته في غاية  
ما يكون من الصعوبة ولذلك  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
شيتني سورة هود (ومن تاب  
معك) أي تاب من الشرك والكفر  
وشاركك في الايمان وهو المعنى  
بالعبودية وهو معطوف على المستكن  
في قوله فاستقم وحسن من غير  
تأكيد لكان الفصل القائم مقامه  
وفي الحقيقة هو من عطف الجملة  
على الجملة اذ المعنى وليستقم

حسنا ثم ليقيم وليصل فانزل الله تعالى هذه الآية فقل للنبى عليه الصلاة والسلام هذا  
خاصة فقال بل هو للناس عامة وقوله وزلفا من الليل قال الليث زلفة من أول الليل طائفة  
والجمع الزلف قال الواحدي وأصل الكلمة من الزنى والزنى هي القرى يقال أزلفته  
فأزلف أى قربته فاقرب ( المسئلة الرابعة ) قال صاحب الكشاف قرى زلفا بضمين  
وزلفا باسكان اللام وزنى بوزن قرى فالزلف جمع زلف كظم جمع ظلمة والزلف بالسكون  
نحو بسرة وبسر والزلف بضمين نحو يسر في بسر والزلف بمعنى الزلفة كما ان القرى بمعنى  
القرية وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل في تفسير قوله وزلفا من الليل وقرى بامن  
الليل ثم قال ان الحسنات يذهبن السيئات وفيه مستثنان ( المسئلة الاولى ) في تفسير  
الحسنات قولان ( الاول ) قال ابن عباس المعنى ان الصلوات الخمس كفارات لسائر  
الذنوب بشرط الاجتناب عن الكبائر ( والثاني ) روى عن مجاهد أن الحسنات هي قول  
العبد سبحان الله والمجد لله ولاله الا الله والله أكبر ( المسئلة الثانية ) احتج من قال ان  
المعصية لا تضر مع الايمان بهذه الآية وذلك لان الايمان أشرف الحسنات وأجلها  
وأفضلها ودلت الآية على أن الحسنات يذهبن السيئات فلا يمان الذي هو أعلى الحسنات  
درجة يذهب الكفر الذي هو أعلى درجة في العصيان فلا تيقوى على المعصية التي هي  
أقل السيئات درجة كان أولى فان لم يفد ازالة العقاب بالكلية فلا أقل من أن يفيد ازالة  
العذاب الدائم المؤبد ثم قال تعالى ذلك ذكرى للذاكرين فقوله ذلك اشارة الى قوله فاستقم  
كما أمرت الى آخرها ذكرى للذاكرين عظة للمتعبين وارشاد للمسترشدين ثم قال واصبر  
فان الله لا يضيع أجر المحسنين قيل على الصلاة وهو كقوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر  
عليها قوله تعالى ( فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في  
الارض الا قليلا ممن أجبنا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين ) اعلم أنه  
تعالى لما بين ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمران  
( السبب الاول ) أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال تعالى فلو لا كان  
من القرون والمعنى فهلا كان وحكى عن الخليل أنه قال كل ما كان في القرآن من كلمة لولا  
فمعناه هلا الا التي في الصافات قال صاحب الكشاف وما سحت هذه الرواية عنه بدليل قوله  
تعالى في غير الصافات لولا أن تداركته نعمة من ربه لنذبنا العراء ولولا رجال مؤمنون ولولا  
أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقوله أولو بقية فالمعنى أولو فضل وخبر وسمى  
الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي بما يخرج به أجوده وأفضله فصار هذا اللفظ مثلا  
في الجودة يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي  
الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى اليسوى كالتقية بمعنى التقوى أى فهلا  
كان منهم ذو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وقرى أولو بقية بوزن لقيه  
من بقاء ببقية اذا راقبه وانتظره والبقية المرة من مصدره والمعنى فلو لا كان منهم أولو

من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ( ولا تطغوا )  
ولا تتحرفوا عما حدثكم بافراط أو تفريط فان كلا طرف في قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا  
أو تغليب الخال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام ( انه بما تعملون بصير ) فيجازيكم على ذلك وهو تعطيل الامر والنهي وفي

الآية دلالة على وجوب اتباع النصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال وأما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لمثل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما أمر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد (ولا تتركوا) أى لا تميلوا أدنى ميل (الى الذين ظلموا) أى الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار رجعية المخاطبين وما قيل من أن ذلك للبالغين من حيث (١٤٤) ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم

انما يتم أن لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك (فتسكم) بسبب ذلك (النار) واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا حافظت بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومناذرتهم ويلي شراسره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتبع بالنزق في زهرهم ويعد عينه الى زهرتهم انما يتقو بغبطهم بأوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحب طفيف ومن جناح البعوض خفيف يعزل عن أن تمل اليد انقلب ضعف الصائب والمطلوب والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى أحد طرفي الافراط والتفر يطلم على نفسه أو على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من أركنه (ومالككم من دون الله من أولياء) أى من أنصار يفتنونكم من النار

مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى ثم قال الا قليلا ولا يمكن جملة استثناء متصلا لانه على هذا التقدير يكون ذلك ترغيبا لأولى البقية في النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصالحاء منهم تريد استثناء الصالحاء من المرغبين في قراءة القرآن واذا ثبت هذا قلنا انه استثناء منقطع والتقدير لكن قليلا من أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسأرهم تاركون للنهي (والسبب الثاني) لزول عذاب الاستئصال قوله واتبع الدين ظلما ما أترفوا فيه والتزود النعمة وصبي مترف اذا كان مع البدن المترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيشة وأراد بالذين ظلما تاركي النهي عن المنكرات أى لم يتوابعوا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات والذوات واشغلوا بتحصيل الرياسات وقرأ أبو عمرو في رواية الجمع واتبع الدين ظلما ما أترفوا أى واتبعوا حراما أترفوا فيه ثم قال وكانوا محرمين ومعناه ظاهر فواله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) اعلم أنه تعالى بين انه ما أهلك أهل القرى الا بظلم وفيه وجوه (الأول) ان المراد من الظلم ههنا الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعنى انه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مسركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحاصل أن عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا أساؤا في المعاملات وسعوا في الأبداء والظلم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى منها على المسامحة والسماحة وحقوق العباد منها على الضيق والتضييق يقال في الاثر الملك يتبع مع الكفر ولا يتبع مع النظم فعنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أى لا يهلككم بمجرد شرككم اذا كانوا مصلحين يعامل بعضهم بعضا على الصلاح والسادد وهذا تأويل أهل السنن لهذه الآية قالوا والدليل عليه ان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب انما نزل عليهم عذاب الاستئصال لما حكي الله تعالى عنهم من ابداء الناس وظلم الخلق (والوجه الثاني) في التاويل وهو الذي تختاره المعتزلة هو انه تعالى لو أهلككم حال كونهم مصلحين لما كان متعاليا عن الظلم فلا جرم لا يفعل ذلك بل انما يهلككم لاجل سوء أفعالهم ثم قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة والمعتزلة يحملون هذه الآية على مشيئة الاجراء والاجبار وقد سبق الكلام عليه ثم قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك والمراد افتراق الناس في الأديان والاخلاق والأفعال واعلم انه لا سبيل الى استقصاء مذاهب العالم في هذا الموضوع ومن أراد ذلك فليطالع كتابنا الذي سميناه بالرياض الموقفة الا اننا نذكره هنا تقسيما عاما للمذاهب فتقول الناس فريقان منهم من أقر بالعلوم الحسية كعلمنا بان النار حارة والشمس مضيئة والعلوم البديهية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ومنهم من

والجملة نصب على الحالية من قوله فتسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم \* انكرها \* أولياء حتى يصدق أن يكون له ولي بل لما كان لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل دينهم بتصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام (ثم لا تنصرون) من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في كنهه أن يعذبكم بركونكم اليهم

ولا يبق عليكم ثم لتأخى رتبة كونهم خير منصورين من جهة الله بعد ما وعدهم بالعذاب واوجبة عليهم ويزال ان يكون  
مترلا منزلة الغاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يتقدم اتيح انهم لا يبصرون أصلا (واقم  
الصلوة طرفي النهار) اي غدوة وعشية وانتصايه على الظرفية لكونه معسافا الى الوقت (وزلفا من الليل) اي ساعات  
منه قريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قر به جمع ﴿ ١٤٥ ﴾ زلفه عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلاة

الغداة والعصر وقيل الظهر  
موضع العصر لان ما بعد  
الزوال عشى وبصلاة الزلف  
المغرب والعشاء وقرى زلفا  
بضمهين وضمة وسكون كبير  
وسروراني بمعنى زلفة كقري  
بمعنى قرية (ان الحسبات)  
التي من جللتها بل عمدتها  
ما أمرت به من الصلوات  
(يذهبن السيئات) التي  
قلما تخلونها البشرأى يكفرنها  
وفي الحديث ان الصلاة الى  
الصلاة كفارة لما بينهما  
ما احتب الكبار وقيل نزلت  
في أبي اليسر الانصاري  
اذ قبل امرأة ثم ندم فأتى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فأخبره بما فعل فقال عليه  
السلام أنتظر أمر ربى فلما  
صلى صلاة العصر نزلت  
قال عليه السلام نعم اذهب  
فانها كفارة لما عملت أو يمنع  
من اقترافها كقوله تعالى  
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء  
والمنكر (ذلك) اشارة الى  
قوله تعالى فاستقم فما بعده  
وقيل الى القرآن (ذكرى  
لذا كرى) اي عظة للتعظين  
(واصبر) على مشاق ما أمرت به  
في تضاعيف الاوامر السابقة

انكرها والمنكرون هم السوفسطائية والمقرون هم الجمهور الاعظم من أهل العالم وهم  
فريقان منهم من سلم انه يمكن تركيب تلك العلوم البديهي بحيث يستتج منها نتائج علمية  
نظرية ومنهم من أنكره وهم الذين ينكرون أياضا النظر الى العلوم وهم قليلون  
والاولون هم الجمهور الاعظم من أهل العالم وهم فريقان منهم من لا يثبت لهذا العالم  
الجسماني مبدأ أصلا وهم الاقلون ومنهم من يثبت له مبدأ وهو لاء فريقان منهم من يقول  
ذلك المبدأ واجب بالذات وهم جمهور الفلاسفة في هذا الزمان ومنهم من يقول انه  
فاعل مختار وهم أكثر أهل العالم ثم هؤلاء فريقان منهم من يقول انه ما أرسل رسولا الى  
العباد ومنهم من يقول انه أرسل الرسول فالاولون هم البراهمة والقسم الثاني أرباب  
الشرايع والاديان وهم المسلمون والنصارى واليهود والمجوس وفي كل واحد من هذه  
الطوائف اختلافات لاحد لها ولا حصر والعقول مضطربة والمطالب غامضة ومنازعات  
الوهم والخيال غير منقطعة ولما حسن من بقراط أن يقول في صناعة الطب العمر قصير  
والصناعة طويلة والقضاء عسر والتجربة خطر فلان يحسن ذكره في هذه المطالب  
العالية والمباحث الغامضة كان ذلك أولى فان قبل انكم حلتم قوله تعالى ولا يزالون  
مختلفين على الاختلاف في الاديان فا الدليل عليه ولم لا يجوز أن يحمل على الاختلاف  
في الالوان والالسنة والارزاق والاعمال فلنا الدليل عليه ان ما قبل هذه الآية هو قوله  
ولو شاربك لجعل اناس أمة واحدة فيجب حل هذا الاختلاف على ما يخرجهم من أن  
يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية هو قوله الامن رحم ربك فيجب حل هذا  
الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه قوله الامن رحم ربك وذلك ليس الا ما قلنا ثم  
قال تعالى الامن رحم ربك بهذه الآية على أن الهداية والايان لا تحصل  
الا بتخليق الله تعالى وذلك لان هذه الآية يدل على أن زوال الاختلاف في الدين لا يحصل  
الا بن خصه الله برحمته وذلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال  
الرسول وازال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن  
يقال تلك الرحمة هو انه سبحانه خلق فيه تلك الهداية والمعرفة قال القاضي معناه الامن  
رحم ربك بأن يصير من أهل الجنة والثواب فيرحه الله بالثواب ويحمل الامن رحمه الله  
بألطافه فصار مؤمنا بألطافه وتسهيله وهذان الجوابان في غاية الضعف (أما الاول)  
فلان قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك يفيد ان ذلك الاختلاف انما زال بسبب  
هذه الرحمة فوجب أن تكون هذه الرحمة جارية مجرى السبب المتقدم على زوال هذا  
الاختلاف والثواب شيء متأخر عن زوال هذا الاختلاف فالاختلاف جار مجرى  
السبب له ومجرى المعلول فحمل هذه الرحمة على الثواب بعيد (وأما الثاني) وهو حل هذه  
الرحمة على الاطلاق فتقول جميع الانطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة أيضا  
في حق الكافر وهذه الرحمة امر اختص به المؤمن فوجب أن يكون شيئا زائدا على تلك

وأما ما نهى عنه من الطغيان ﴿ ١٤٩ ﴾ منا والركون الى الذين ظلوا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له  
ألهم الآن يراد به ما لا يمكن عادة خلوا البشر عنه من أدنى ميل بحكم الطبيعة عن الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم  
البشرية الى من وجده من ظلمة فان في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يخفى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) اي يوفيههم  
أجور أعمالهم من غير نحس أصلا واما عبر عن ذلك بنى الاضاعة مع أن عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير

موجبة للشواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدور عنه سبحانه من القباح وازرار الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى أن الصبر على ما ذكر من باب الاحسان (فلولا كان) فهلا كان (من القرون) الكاشنة (من قبلكم) \* ١٤٦ \* على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كاشنة من قبلكم

الاطراف وأيضا فحصول تلك الاطراف هل يوجب رجحان وجود الايمان على عدمه أو لا يوجب فأن لم يوجب كان وجود تلك الاطراف وعدمها بالنسبة الى حصول هذا المقصود سياتى فلم يك لطف فيه وان أوجب الرجحان فقد بينا في الكتب العقلية انه متى حصل الرجحان فقد ووجب وحينئذ يكون حصول الايمان من الله وبما يدل على أن حصول الايمان لا يكون الا بتخليق الله انه مالم يميز الايمان عن الكفر والعلم عن الجهل امتنع القصد الى تكوين الايمان والعلم وانما يحصل هذا الامتياز اذا علم كون أحد هذين الاعتقادين مطابقا للمعتقد وكون الآخر ليس كذلك وانما يصح حصول هذا العلم ان اوعرف ان ذلك المعتقد في نفسه كيف يكون وهذا يوجب انه لا يصح من العبد القصد الى تكوين العلم بالشئ الابعد ان كان عالما وذلك يقتضى تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وهو محال فثبت ان زوال الاختلاف في الدين وحصول العلم والهداية لا يحصل الا بتخليق الله تعالى وهو المطلوب ثم قال تعالى ولذلك خلقهم وفيه ثلاثة أقوال (القول الاول) قال ابن عباس وللرحمة خلقهم وهذا اختيار جمهور المعتزلة قالوا ولا يجوز أن يقال والاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه (الاول) ان عود الضمير الى أقرب المذكورين أولى من عوده الى أبعدهما وأقرب المذكورين ههنا هو الرحمة والاختلاف أبعدهما (والثاني) انه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الايمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه اذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف (الثالث) اذا فسرنا الآية بهذا المعنى كان مطابقا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان قيل لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقول ولتلك خلقهم ولم يقل ولذلك خلقهم قلنا ان تأنيب الرحمة ليس تأنيبا حقيقيا فكان محجولا على الفضل والغفران كقوله هذا رحمة من ربي وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين (والقول الثاني) ان المراد للاختلاف خلقهم (والقول الثالث) وهو المختار انه خلق أهل الرحمة وللرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة ثلاثا يختلفوا وأهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا والذي يدل على صحة هذا التأويل وجوه (الاول) الدلائل القاطعة الدالة على أن العلم والجهل لا يمكن حصولهما في العبد الا بتخليق الله تعالى (الثاني) أن يقال انه تعالى لما حكم على البعض بكونهم مختلفين وعلى الآخرين بأنهم من أهل الرحمة وعلم ذلك امتنع انقلاب ذلك والالزم انقلاب العلم جهلا وهو محال (الثالث) انه تعالى قال بعده وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهذا نصريح بانه تعالى خلق أقواما للهداية والجنة وأقواما آخرين للضلالة والنار وذلك يقوى هذا التأويل \* قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للذين آمنوا) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين

أولو بقية (من الرأى والعقل) أو لوفضل وخبر وسما بها لان الرجل انما يستبني مما يخرج منه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل في الزوانا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اى فهلا كان منهم ذوا بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المره من مصدر بقاء يقيه اذا راقبه وانتظره اى أولو امر اقيه خشية من عذاب الله تعالى كأنهم يظنون نزوله لاشفاقهم (يشهون عن الفساد في الارض) الواقع منهم حسب ما حكى عنهم (الافلا من أئجينا منهم) استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم أئجيناهم لكونهم على تلك الصفة على أن من للبيان لالتبعض لان جميع التاجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولى البقية على النهى المذكور الا لقليل من التاجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصالحاء منهم مريدا لاستثناء الصالحاء من المضامين \* من على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتخصيص فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية (واتبع الذين ظلموا) بمباشرة الفساد وترك النهى عنه (ما أتر فوافيه) أى أعموا من الشهوات واهتموا

من المضامين \* من على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتخصيص فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية (واتبع الذين ظلموا) بمباشرة الفساد وترك النهى عنه (ما أتر فوافيه) أى أعموا من الشهوات واهتموا



تخصيها اما المباشرون فظاهر واما الساهلون فلما هم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا التهي و أنت  
خير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد في الظلم والاجرام عبارة (وكانوا مجرمين) اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال  
الام المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك التهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضر دل  
عليه الكلام اي لم ينفوا واتبع الخ فيكون ﴿ ١٤٧ ﴾ العدول الى المظهر لادراج المباشري معهم في الحكم والاستحسان

عليهم بالظلم واللاشعار بعبارة  
ذلك لما حق بهم من العذاب  
أو على استئناس يترتب على  
قوله الا قليلا اي الا قليلا بمن  
أنجنا منهم نحو اعن الفساد  
واتبع الذين ظلموا من مباشرى  
الفساد وتارى التهي عنه فيكون  
الاطهار مقتضى الظاهر وقوله  
وكانوا مجرمين عطف على  
أترفوا أى اتبعوا الاتراف  
وكونهم مجرمين لان تابع  
الشهوات مغبور بالآثم أو  
أرى يدبالاجرام اغفالهم للشكر  
وعلى اتبع اي اتبعوا وشهواتهم  
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين  
ويجوز أن يكون اعتراضا  
وتسجيلا عليهم بأنهم قوم  
مجرمون وقرى واتبع اي  
اتبعوا جزاء ما أترفوا فكون  
الواو للحال ويجوز أن يفسر به  
المشهورة وبعضه تقدم  
الانجاء (وما كان ربك ليهلك  
القرى) اي ماصح وما استقام  
بل استحالة في الحكمة أن  
يهلك القرى التي أهلكتها  
حسبا بلغك أنباؤها ويعلم  
من ذلك حال باقيها من القرى  
الظالمة واللام لنا كيد النفي  
وقوله (ظلم) اي ملتبساً به

من الفائدة (أولهما) تثبت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك  
لان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبليّة فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال  
المصيبة اذا عمت خفت فاذا سمع الرسول هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء  
صلوات الله عليهم مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه  
(والفائدة الثانية) قوله وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وفي قوله في هذه  
وجوه (أحدها) في هذه السورة (وثانيها) في هذه الآية (وثالثها) في هذه الدنيا وهذا  
بعيد خيرا لائق بهذا الموضوع واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجئ الحق فيها أن  
يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور في هذه السورة  
أكل حالاً مما ذكر في سائر السور ولو لم يكن فيها الا قوله فاستقم كما أمرت لكان الامر  
كما ذكرنا ثم انه تعالى بين انه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة الحق والموعظة والذكرى  
(أما الحق) فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة (وأما الذكرى)  
فهى اشارة الى الارشاد الى الاعمال الباقية الصالحة (وأما الموعظة) فهى اشارة الى  
التنفر عن الدنيا وتقيح أحوالها في الدار الآخرة والمذكورة لما هنالك من السعادة  
والشقاوة وذلك لان الروح انما جاء من ذلك العالم الا انه لاستقراره في محبة الجسد  
في هذا العالم نسي أحوال ذلك العالم فالكلام الالهى يذكره أحوال ذلك العالم فلهذا  
السبب صح اطلاق لفظ الذكر عليه (ثم ههنا دقيقة أخرى عجبية) وهى ان المعارف  
الالهية لا بد لها من قابل ومن موجب وقابلها هو القلب والقلب ما لم يكن كاملاً  
الاستعداد لقبول تلك المعارف الالهية والتجليات القدسية لم يحصل الانتفاع بسماع  
الدلائل فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر اصلاح القلب وهو تثبيت الفؤاد ثم لما ذكر  
صلاح حال القابل أردفه بذكر التوجب وهو محي هذه السورة المستتلة على الحق  
والموعظة والذكرى وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة \* قوله تعالى (وقل للذين  
لا يؤمنون اعلموا على مكاتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون والله غيب السموات  
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) اعلم أنه  
تعالى لما بلغ الغاية في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب أتبع ذلك بأن قال للرسول  
وقل للذين لا يؤمنون ولم تؤثرو فيهم هذه البيانات البالغة اعلموا على مكاتكم انا عاملون  
وهذا عين ما حكاها الله تعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه والمعنى افعلوا كل  
ما تقدرون عليه في حق من الشر فحزن أيضا عاملون وقوله اعلموا وان كانت صيغته  
صيغة الامر الا ان المراد منها التهديد كقوله تعالى لا بليس واستفز من استطلعت منهم  
بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك و قوله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وانتظروا  
ما يعذبكم الشيطان من الخذلان فانا منتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع الفقران  
والاحسان قال ابن عباس رضى الله عنهما وانتظروا الهلاك فانا منتظرون لكم

قيل هو حال من الفاعل اي ظالماتها والتكبير للتفخيم والايذان بأن اهلاك المسلمين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك  
بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والافلاظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كأنما كان لما تقر من قاعدة أهل  
السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بضالما للعبيد وقوله تعالى (وأهلها صلحون) حال من  
المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله أعني بظلم

لدلالته على تعيدنى في الاهلاك نظما بحال كون أهلها مصلحين ولا ريب في فساد بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد العلم الشرك والباء  
 للسيبى اى لا يهلك القرى بسبب اشراك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمنون الى شركهم فليسوا بذلك  
 لفرط رحمة ومساحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الى الغنى  
 الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع العلم وأنت تدري أن مقام ﴿ ١٤٨ ﴾ النهى عن المنكرات التى أقبحها الاشرار

يا لله لا يلائمه فان الشرك داخل  
 في الفساد في الارض دخولا  
 أوليا ولذلك كان ينهى كل  
 من الرسل الذين قضوا انبأؤهم  
 أمته أو لاعن الاشراك ثم عن  
 سائر المعاصى التى كانوا  
 يتعاطونها فالوجه حل العلم  
 على مطلق الفساد الشامل  
 للشرك وغيره من أصناف  
 المعاصى وحل الاصلاح على  
 اصلاحه والاقلاع عنه يكون  
 بعضهم متصددين للنهى عنه  
 وبعضهم متوجهين الى الاتعاط  
 غير مصرين على ما هم عليه  
 من الشرك وغيره من أنواع  
 الفساد (ولو شاء ربك لجعل  
 الناس أمة واحدة) مجمعة  
 على الحق ودين الاسلام بحيث  
 لا يكاد يختلف فيه أحد ولو كان  
 لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين  
 على الحق (ولا يزالون مختلفين)  
 في الحق اى مختلفين له كقوله  
 تعالى وما اختلف فيه الا الذين  
 أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات  
 بغيا بينهم (الامن رحم ربك)  
 الاقواما فهداهم الله تعالى  
 بفضلته الى الحق فاتفقوا عليه  
 ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه  
 وحله على مطلق الاختلاف

العداب ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة  
 فقال والله عيب السموات والارض واعلم أن مجموع ما يحتاج الانسان الى معرفته أمور  
 ثلاثة وعى الماضى والحاضر والمستقبل أما الماضى فهو أن يعرف الموجود الذى  
 كان موجودا قبله وذلك الموجود المتقدم عليه هو الذى نقله من العدم الى الوجود وذلك  
 هو الاله تعالى وتقدس واعلم أن حقيقة ذات الاله وكنهه هو بيته غير معلومة للبشر البتة  
 وانما المعلوم للبشر صفاته ثم ان صفاته قسمان صفات الجلال وصفات الاكرام أما صفات  
 الجلال فهى سلوب كقولنا انه ليس بجوهر ولا جسم ولا كذا ولا كذا وهذه السلوب  
 فى الحقيقة ليست صفات الكمال لان السلوب عدم والعدم المحض والتنى الصرف  
 لا كمال فيه فتقوننا لا تأخذ سنة ولا نوم انما أماد الكمال لدلالته على العلم المحيط الدائم  
 المبرا عن التغير ولولا ذلك كان عدم النوم ليس يدل على كمال أصلا ألا ترى ان الميت  
 والجماد لا تأخذ سنة ولا نوم وقوله وهو يطعم ولا يطعم انما أماد الجلال والكمال  
 والكبرياء لان قوله ولا يطعم بعيد كونه واجب الوجود لذاته غنيا عن الطعام والشراب  
 بل عن كل ما سواه فثبت ان صفات الكمال والعز والعلوهى الصفات النبوية وأشرف  
 الصفات النبوية الدالة على الكمال والجلال صفتان العلم والقدرة فهذا السبب وصف  
 الله تعالى ذاته فى هذه الآية بهما فى معرض التعظيم والثناء والمدح أما صفة العلم  
 فقوله والله غيب السموات والارض والمراد ان علمه نافذ فى جميع الكليات والجزئيات  
 والمعسومات والموجودات والحاضرات والغائبات وتمام البيان والشرح فى دلالة  
 هذا اللفظ على نهاية الكمال ما ذكرناه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى وعنده مفاتيح الغيب  
 لا يعلمها الا هو وأما صفة القدرة فقوله واليه يرجع الامر كله والمراد ان مرجع الكل  
 اليه وانما يكون كذلك لو كان مصدر الكل ومبدأ الكل هو هو والذى يكون مبدأ  
 لجميع الممكنات واليه يكون مرجع كل المحادثات والكائنات كان عظيم القدرة  
 نافذ المشيئة قهारा للعدم بالوجود والتحصيل جبارا له بالقوة والفعل والتكميل فهذان  
 الوصفان هما المذكوران فى شرح جلال المبدأ ونعت كبريائه (والمرتبة الثانية) من  
 المراتب التى يجب على الانسان كونه عالما بها أن يعرف ما هو مهمله فى زمان حياته  
 فى الدنيا وما ذلك الا تكميل النفس بالمعارف الروحانية والجلال القدسية وهذه المرتبة  
 لها بداية ونهاية اما بدايتها فالاستغفال بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات  
 الجسدانية فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السكنات الصيام وأنفع البر الصدقة  
 وأما العبادة الروحانية فهى العكر والتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى ملكوت  
 السموات والارض كما قال تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض وأمانهاية هذه  
 المرتبة عاليتها من الاسباب الى مسببها وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات وتوجيه  
 حدقة العقل الى نور عالم الجلال واستغراق الروح فى اضواء عالم الكبرياء ومن وصل الى

الشامل لما يصدر من الحق والمبطل بآبائه الاستثناء المذكور (ولذلك) اى ولما ذكر من الاختلاف (خلقهم) اى هذه \*  
 الذين بقوا بعد التناوهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للترجم فالضمير لمن واللام فى معناها أولهما معا فالضمير للناس كافة  
 واللام بمعنى محسازى عام لكلا المعنيين ( وتمت كلمة ربك ) اى وعبيده أو قوله للملائكة ( لا ملأن جهنم من الجنة  
 والناس أجمعين ) اى من عصاتها

أجمعين أو متبعضهما لأجمعين (وكلا) أي وكل نبأ بالتثنية عوض عن المضاف إليه (نقص عليك) تخبرك به وقوله تعالى (من أنباء الرسل) بيان لكلا وقوله تعالى (ما ثبت به فؤادك) بدل منه والظاهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليب نقص عليك من أنباء الرسل وقوله تعالى ما ثبت به فؤادك مفعول لنقص وفأدته النبيه على ﴿ ١٤٩ ﴾ أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه

وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمان أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال ومالقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق (وجاءك في هذه) السورة أو الأنبياء المقصودة عليك (الحق) الذي لا يحيد عنه (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين وكون الوصف الأول حاله في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الطرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنبياء المقصودة فيها واستمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لابان كون ذلك فيها لافي غيرها ولان عندنا خير ما حقه التقديم تقي النفس مترقبته اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بمحابب أطراف النظم الكريم (وقل للذين لا يؤمنون) بهذا الحق

هذه الدرجة رأى كل ما سواه مهرولاتها في ساحة كبريائه هالكا فانبا في فناء سناء أسمائه وحاصل الكلام ان أول درجات السير إلى الله تعالى هو عبودية الله وآخرها التوكل على الله فهذا السبب قال فاعبده وتوكل عليه (والمرتبة الثالثة) من المراتب المهمة لكل عامل معرفة المستقبل وهو انه يعرف كيف يصير حاله بعد انقضاء هذه الحياة الجسمانية وهل لأعماله أثر في السعادة والشقاوة واليه الاشارة بقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون والمقصود انه لا يضيع طاعات المطيعين ولا يهمل أحوال المتردين الجاهدين وذلك بأن يحضروا في موقف القيامة ويحاسبوا على التقير والقطمير ويعاتبوا في الصغبر والكبر ثم يحصل عاقبة الامر فريق في الجنة وفريق في السعير فظهر ان هذه الآية وافية بالارشاد الى جميع المطالب العلوية والمقاصد القدسية وانه ليس وراءها للعقول مرتقى ولا لغواطر منتهى والله الهادي للصواب تمت السورة بحمد الله وعونه وقد وجد بخط المصنف رضى الله عنه في النسخة المنقل منها تم تفسير هذه السورة قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب ختمه الله بالخير والبركة سنة احدى وستائة وقد كان لي ولد صالح حسن السيرة فتوفي في الغربة في عتفوان شبابه وكان قلبي كالمحترق لذلك السبب فانما أنشد الله اخواني في الدين وشركائي في طلب اليقين وكل من نظرت في هذا الكتاب وانتفع به أن يذكر ذلك الشاب بالرحمة والمغفرة وأن يذكر هذا المسكين بالدعاء وهو يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

\* ( سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية مكية ) \*

\* ( بسم الله الرحمن الرحيم ) \*

(الزئلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقد ذكرنا في أول سورة يونس تفسير الزئلك آيات الكتاب الحكيم فقوله تلك اشارة الى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة الرهي آيات الكتاب المبين وهو القرآن وانما وصف القرآن بكونه مبينا لوجوه (الاول) ان القرآن معجزة قاهرة وآية بينة لحمد صلى الله عليه وسلم (والثاني) انه بين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام وما بينت هذه الاشياء فيه كان الكتاب مبينا لهذه الاشياء (الثالث) انه بينت فيه قصص الاولين وشرحت فيه أحوال المتقدمين ثم قال انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية لتتمكنوا من فهمها ويقدرها على تحصيل المعرفة بها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على الكل

ولا يتعظون به ولا يتذكرون (اعملوا على مكاتبتكم) على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان (انما عاملون) على حالتنا وهو الايمان والاتعاظ والتذكر به (واتتظروا) بنا الدوائر (انما متظنون) أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) ليرجع لامحالة أمرك وأمرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجوع رجوعا (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك والغاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى





قطوه وتعليل لكونه موجي والتعبير عن عدم العمل بالفعله لاجلال شان النبي عليه السلام وان غفل عنه بعض الفاعلين (اذ قال يوسف) نصيبا بخمار اذ كرو وشروع في القصة انجاز اللوعده باحسن الاقتصاص أو بدل من أحسن القصص على تقدير كونه مغفولا بديل اشتغال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصود من حيث اشتغاله عليه اقتصاص للمقصود ويوسف اسم عبري لا عربى نخلوه عن سبب آخر غير التعريف وقبح السين وكسر ها \* ١٥٢ \* على بعض القراءت بناء على التلعب به لا على أنه مضارع

بني للمفعول أو الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته (لايه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد روى عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (بأيت) أصله يابى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبها في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وأكثرها لانها عوض عن حرف يناسبها وقبحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة أصلها أو لان الاصل يابى فحذف الالف وبقي القحمة وانما لم يجر يابى لانه جمع بين العوض والعوض وقرى بالضم اجراء لها محرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كأصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (الى رأيت) من الرويا لان الروية لقوله لاتقصص روياك هذا تاويل روياى ولان الظاهر ان وقوع

عن يعقل كما قال في صفة الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وكفى قوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (السؤال الثاني) قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد اللفظ الرويا مرة ثمانية وقال رأيتهم لى ساجدين فالغائبة في هذا التكرير (الجواب) قال القفال رحمه الله ذكر الروية الاولى لتدل على أنه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية لتدل على مشاهدة كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له كيف رأيت فقال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحدهما من الروية والآخر من الرويا وهذا القائل لم يبين ان أيهما يحمل على الروية وأيها على الرويا فذكر قولنا بمجلا غير مبين (السؤال الثالث) لم أخرج الشمس والقمر قلنا أخرجهما لفضلهما على الكواكب لان التخصيص بالذكري يدل على مز يد الشرف كفى قوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال (السؤال الرابع) المراد بالسجود نفس السجود أو التواضع كما في قوله ترى الا كم فيه سجدا للسواقر \* قلنا كلاهما محتمل والاصل في الكلام حله على حقيقته ولا مانع أن يرى في المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له (السؤال الخامس) متى رأى يوسف عليه السلام هذه الرويا قلنا لا شك أنه رآها حال الصغر فاما ذلك الزمان بعينه فلا يعلم الا بالاخبار قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طولا كان مركزه في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعها فذكر ذلك لآبيه فقال اياك أن تذكر هذا اخوتك ثم رأى وهو ابن ثلثي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على آبيه فقال لا تذكرها لهم فيكيدوا لك كيدا وقيل كان بين روى يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون سنة واعلم أن الحكماء يقولون ان الرويا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب والرويا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب في ذلك أن رحمة الله تقتضى أن لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخبر فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخبر أكثر وأتم (السؤال السادس) قال بعضهم المراد من الشمس والقمر أبوه وخاتمه فالسبب فيه قلنا انما قالوا ذلك من حيث ورد في الخبر أن والدته توفيت وما دخلت عليه حال ما كان بمصر قالوا ولو كان المراد من الشمس والقمر آياه وأمه لما ماتت لان روى الانبياء عليهم السلام لا بد وأن تكون وحيا وهذه الجملة غير قوية لان يوسف عليه السلام ما كان في ذلك الوقت من الانبياء (السؤال السابع) وما تلك الكواكب قلنا روى صاحب الكشاف أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام لليهودى ان أخبرتك هل تسلم

مثل هذه الامور بالديعة في عالم الشهادة لا يختص بروية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس \* قال \* (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله عليه وسلم فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي رأى يوسف عليه السلام فسكت النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال عليه السلام اذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال عليه السلام جريان والطارق

والذئب وقابس وحموذان والقلبي والمصنخ والضروخ والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اى والله انها الاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما آخر الشمس والقمر عن الكواكب لظهور من يتهاوشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليهما كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ﴿ ١٥٣ ﴾ وقد جوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع

الشمس والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة الى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لآخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة نبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لايه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الفوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون (رأيتهم لى ساجدين) استثناف بيان حالهم التي رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وانما أجريت مجرى

قال نعم قال جريك والطارق والذئب وقابس وعمودان والقلبي والمصنخ والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له فقال اليهودي اى والله انها الاسماؤها واعلم أن كثيرا من هذه الاسماء غير مذكور في الكتب المصنفة في صورة الكواكب والله أعلم بحقيقة الحال \* قوله تعالى ( قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما أنهما على ابويك من قبيل ابراهيم واسحقى ان ربك عليم حكيم ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حفص يابى بفتح الياء والباقون بالكسر ( المسئلة الثانية ) ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك المعنى يعقوب عليه السلام بالامارات الكثيرة فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها أن اخوته وأبويه يخصمون له فقال لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيدا ( المسئلة الثالثة ) قال الواحدى الرؤيا مصدر كالنشرى والسقيا والبقيا والشورى لأنه لما صار اسمها لهذا المتخيل في المنام جرى مجرى الاسماء قال صاحب الكشاف الرؤيا بمعنى الرؤية لأنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فلا جرم فرق بينهما بجرى في التأنيث كما قيل القرية والقرى وقرى رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمم الكسائي بقرأ رباك وركبك بالادغام وضم الراء وكسر ها وهى ضعيفة ثم قال تعالى فيكيدوا لك كيدا وهو منصوب باختماران والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قيل فلم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى فكذا هذه اللام تأكيدا لصلته كقوله للرؤيا تعبرون وكقولك نصحتك ونصحت لك وشكرت لك وشكرت لك وقيل هى من صلة الكيد على معنى فيكيدوا كيدا لك قال أهل التصديق وهذا يدل على أنه قد كان لهم علم بتعبرار رؤيا الالم يعلمون هذه الرؤيا ما يوجب حقا وغضبا ثم قال ان الشيطان للانسان عدو مبين والسبب في هذا الكلام انهم لو اقدموا على الكيد لكان ذلك مضافا الى الشيطان ونظيره قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان ثم ان يعقوب عليه السلام قصد بهذه النصيحة تغيير تلك الرؤيا وذكر أمور (أولها) قوله وكذلك يجتبيك ربك يعنى وكما اجبتك مثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظام قال الزجاج الاجتباء مشتق من جببت الشئ اذا خلصته لنفسك ومنه جببت الماء في الحوض واختلفوا في المراد بهذا الاجتباء فقال الحسن يجتبيك ربك بالنبوة وقال آخرون المراد منه اعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة فاما تعين النبوة فلا دلالة في اللفظ عليه (وثانيها) قوله ويعلمك من تأويل الاحاديث وفيه وجوه (الاول) المراد منه تعبير الرؤيا باسماء تأويلها لانه يؤل أمره الى ما رآه في المنام يعنى تأويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم قالوا انه عليه السلام كان في علم التعبير غاية

العقلاء في الضمير لوصفها بوصف ﴿ ٢٠ ﴾ خا العقلاء أعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لظهور العناية والاهتمام بما هو الالهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة (قال يابى) صفه للشفقة أولها ولصغر السن وهو أيضا استثناف مبنى على سؤال من قال بماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب اعليه السلام من

هذه الرواية أن يوسف بلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة و بصطفية للنسبة و يتم عليه بشرق الدار بن كافل بابائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة و بغيرهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق و مقاساة الاحزان وان كان وانما بأن الله تعالى سمح في ذلك لا محالة و طمعا في حصوله بلا مشقة (لا تنقص رويك) هي ما في المنام كأن الرواية ما في اليقظة فرق بينهما بحر في التأنيت كافي القربى والقربة ﴿ ١٥٤ ﴾ و حقيقتها ارتسام الصورة المحذرة من أفق المخيلة الى

الحس المشترك والصادقة منها انما تكون بانصال النفس باللكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المخيلة تحاكيه بصورة تناسب قترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاسير والبالكلية والجزئية استغنت الرواية عن التعبير والاحتاجت اليه (على اخوتك فيكيدوا) نصب باختيار أن أي فيفعلوا (لك) أي لا جلك ولا هلاكك (كيدا) متينارا سخفا لا تقدر على التصفي عنه أو خفيا عن فهمك لا تصدى لمداقته وهذا أوفق بمقام التصدير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل مادته الرواية على وقوعه وهذا

(والثاني) تأويل الاحاديث في كتب الله تعالى والايخبار الرواية عن الانبياء المتقدمين كما ان الواحد من علماء زماننا يشتمل بتفسير القرآن وتأويله وتأويل الاحاديث الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم (والثالث) الاحاديث جمع حديث والحديث هو الحادث وتأويلها ما كها وما آل الحوادث الى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من تأويل الاحاديث كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته (وثالثها) قوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب واعلم أن من فسر الاجتهاد بالنسبة لا يمكنه أن يفسر اتمام النعمة ههنا بالنسبة أيضا والازم التكرار بل يفسر اتمام النعمة ههنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات الدنيا فالأكثر من الاولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والحشم واجلاله في قلوب الخلق وحسن الشاه والحمد وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى وأما من فسر الاجتهاد بنيل الدرجات العالية فههنا يفسر اتمام النعمة بالنسبة ويتأكد هذا بامور (الاول) ان اتمام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة كاملة خالية عن جهات النقصان وما ذلك في حق البسرا بالنسبة فان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة الى كمال النبوة فالكمال المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة (والثاني) قوله كما اتهم على ابيك من قبل ابراهيم واسحق ومعلوم أن النعمة التامة التي بها حصل امتياز ابراهيم واسحق عن سائر البشر ليس الا النبوة فوجب أن يكون المراد باتمام النعمة هو النبوة واعلم انما لفسرنا هذه الآية بالنسبة لزم الحكم بأن اولاد يعقوب كلهم كانوا انبياء وذلك لانه قال ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب فلما كان المراد من اتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا أبناءه فوجب أن يبقى معمولا به في حق اولاده وأيضا ان يوسف عليه السلام قال اني رأيت أحد عشر كوكبا وكان تأويله أحد عشر نفسا لهم فضل وكال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الارض لانه لاشي أضوأ من الكواكب وبها تم تدي وذلك يقتضي أن يكون جلة اولاد يعقوب انبياء ورسلا فان قيل كيف يجوز أن يكونوا انبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام فلماذا وقع قبل النبوة وصدنا العصمة انما تعتبر في وقت النبوة لا قبلها (التول الثاني) أن المراد من قوله ويتم نعمته عليك خلاصه من المحن ويكون وجه التشبيه في ذلك بابراهيم واسحق عليهما السلام هو انعام الله تعالى على ابراهيم باجائه من النار وعلى ابيد اسحق بتخليصه من الذبح (والقول الثالث) أن اتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه في الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة واعلم أن القول الصحيح هو الاول لان النعمة التامة في حق البشر ليست الا النبوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة اليها تمامه

الاسلوبية كمن أن يقال فيكيدون كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا لا يتبع وقد قيل ﴿ عليه ﴾ اجماع واللام تضمنت معنى الاعتبال التعدي باللام لغير معنى المضمن والمضمن فيه لنا كيد أي فيجتالوا لك ولا هلاك حيلة وكيدوا المراد بغيره من الذين يتخسروا عليهم وكيدهم



بنوعلاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر وودنة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالى وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر وأما بنيامير الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وأمه ساراحيل التى تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة أختها ليا أوفى حياتها اذا لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس \* ١٥٥ \* بداخل تحت هذا النهى اذ لا يتوهم مضرتة ولا يخشى

معرته ولم يكن معدودا معهم فى الرويا اذ لم يكن معهم فى السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرويا عليهم كلا أو بعضا ( ان الشيطان للانسان عدو مبين ) ظاهر العداوة فلا يالو جهدا فى اغواء اخوتك واضلالهم وجاهلهم على ما لا خير فيه وهو استشفاف كأن يوسف عليه السلام قال كيف بصدر ذلك عن اخوتى الناشئين فى بيت النبوه فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نهى عليهما السلام على أن رويها شأن عظيم يستتبع منافع وخذره اشاعتها المؤدية الى أن يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو يعصروا سبيل وصولها شرع فى تعبيرها وتأويلها على وجه اجالى فقال ( وكذلك ) أى ومثل ذلك الاجتهاد البديع الذى شاهدت آثاره

عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بعبارة ان ربك عليهم حكيم فقوله عليهم اشارة الى قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقوله حكيم اشارة الى أن الله تعالى مقدس عن السفه والعمث لا يوضع النبوة الا فى نفس قدسية وجوهرة مشرقة علوية فان قيل هذه البشارات التى ذكرها يعقوب عليه السلام هل كان قاطعا بمصحتها أم لا فان كان قاطعا بمصحتها فكيف حزن على يوسف عليه السلام وكيف جاز أن يشبهه عليه أن الذئب أكله وكيف خاف عليه من اخوته أن يهلكوه وكيف قال لا خوته وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون مع علمه بأن الله سبحانه سيحببه ويجعله رسولا فاما اذا قلنا انه عليه السلام ما كان عالما بمصحة هذه الاحوال فكيف قطع بها وكيف حكم بوقوعها حكما جازما من غير تردد قلنا لا بعد أن يكون قوله وكذلك يجتنبك ربك مشروطا بأن لا يكيدوه لان ذلك قد تقدم وأيضاً بتقدير أن يقال انه عليه السلام كان قاطعا بأن يوسف عليه السلام سيصل الى هذه المناصب الا أنه لا يمتنع أن يقع فى المضايق الشديدة ثم يتخلص منها ويصل الى تلك المناصب فكان خوفه لهذا السبب ويكون معنى قوله وأخاف أن يأكله الذئب الزجر عن التهاون فى حفظه وان كان يعلم أن الذئب لا يصل اليه \* قوله تعالى ( لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى ابنا منا ونحن عصبة ان ابانا لى ضلال مبين ) فى هذه الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر صاحب الكشاف أسماء اخوة يوسف يهودا روبييل شمعون ولاوى ربالون يشجر دينسة دان نفتالى جاد آشر ثم قال السبعة الاولون من ليا بنت خالته يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج يعقوب أختها ساراحيل فولدت له بنيامين ويوسف ( المسئلة الثانية ) قوله آيات السائلين قرأ ابن كثير آية بغير ألف حله على شأن يوسف والباقيون آيات على الجمع لان أمور يوسف كانت كثيرة وكل واحد منها آية بنفسه ( المسئلة الثالثة ) ذكرها فى تفسير قوله تعالى آيات للسائلين وجوها ( الاول ) قال ابن عباس دخل حبر من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فسئله عن قراءة يوسف فمد الى اليهود فاعلمهم أنه سمعها منه كما هي فى التوراة فانطلق نفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له من علمك هذه القصة فقال الله علمنى فنزل لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وهذا الوجه عندى بعيد لان المفهوم من الآية ان فى واقعة يوسف آيات للسائلين وعلى هذا الوجه الذى نقلناه ما كانت الآيات فى قصة يوسف بل كانت الآيات فى اخبار محمد صلى الله عليه وسلم عنها من غير سبق تعلم ولا مطالعة وبين الكلامين فرق ظاهر ( الثانى ) ان أهل مكة أكثرهم كانوا آتارب الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتكرون نبوته ويظهرون العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فذكر الله تعالى هذه القصة وبين أن اخوة يوسف بالنوا فى ايدائه لاجل الحسد وبالآخرة فان الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده ورايته ومثل هذه الواقعة اذا سمعها العاقل كانت زاخرة له عن الاقدام على الحسد

فى عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وقته ( يجتنبك ربك ) يتخارك لجناب كبريائه ويستنبوك اقتعال من جنابه اذا جمعه ويصطفيك على أشرف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرويا فى عالم الشهادة حسب ما طابنته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المصحة بين الصور البرية فى عالم المثال وبين ما وقعت هى صوراً وأشباحه من

هذه الروايات بوجه بحسبها في عالم الشهادة أي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس وتواصيتهم الكرام فاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابي به واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا بان اعته ( ويعلمك ) كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقتها وتوطيئ نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به على طريقه التيسير والتأويل ( ١٥٦ ) كما أنه قال وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث)

( والثالث ) أن يعقوب لما عبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك ان الله تعالى لما وعد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الاعداء فاذا تأخر ذلك الموعود مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبا فيه فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه ( الرابع ) ان اخوة يوسف بالغوا في ابطال أمره ولكن الله تعالى لما وعد بالانصر والظفر كان الأمر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الاعداء فكذلك واقعة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله لما ضمن له اعلام الدرجة لم يضره سعي الكفار في ابطال أمره وأما قوله للسائلين فاعلم أن هذه القصة فيها آيات كثيرة لمن سأل عنها ولم يسأل عنها وهو كقوله تعالى في أربعة أيام سواء للسائلين ثم قال تعالى اذا قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا ونحن عصبة وفيه مستلطان ( المسئلة الاولى ) قوله ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وانما قالوا أخوه وهم جميعا أخوة لان أهمها كانت واحدة والعصبة والعصبة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين وهو بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ونقل عن عكرضى الله عنه انه قرأ ونحن عصبة بالانصب قيل معناه ونحن كجتماع عصبة ( المسئلة الثانية ) المراد منه بيان السبب الذي لاجله قصدوا اذياد يوسف وذلك ان يعقوب كان يفضل يوسف وأحاه على سائر الاولاد في الحب وانهم تأذوا منه لوجوه ( الاول ) انهم كانوا أكبر سنا منها ( وثانيتها ) انهم كانوا أكثر قوة وأكثر قياما بمصالح الاب منها ( وثالثها ) انهم قالوا ان نحن القائمون بدفع المفسد والافات والمستغلون بتحصيل المنافع والخيرات اذا ثبت ما ذكرناه من كونهم متقدمين على يوسف وأخيه في هذه الفضائل ثم انه عليه السلام كان يفضل يوسف وأخاه عليهم لاجرم قالوا ان ابانا في ضلال مبين يعني هذا حيف ظاهر وضلال بين وههنا سوالات ( الاول ) ان من الامور المعلومة ان تمثيل بعض الاولاد على بعض يورث الحقد والحسد ويورث الافات فلما كان يعقوب عليه السلام طالما بذلك فلم أقدم على هذا التفضيل وأيضا الاسن والاعلم والانفع أفضل فلم قلب هذه القضية ( والجواب ) انه عليه السلام ما فضلها على سائر الاولاد الا في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معدورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم ( السؤال الثاني ) ان اولاد يعقوب عليه السلام ان كانوا قد آمنوا بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى فكيف اعترضوا عليه وكيف زيفوا طريقته وطعنوا في فعله وان كانوا مكذبين لنبوته فهذا يوجب كفرهم ( والجواب ) انهم كانوا مؤمنين بنبوته أيهم مقرين بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى الا انهم اعلمهم جوزوا من الانبياء عليهم السلام أن يفعلوا افعالا مخصوصة بمجرد الاجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أيهم في ذلك الاجتهاد وذلك لانهم كانوا يقوون هما صبيان ما يلنا العقل الكامل ونحن متقدمون عليهم في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات واصراره على

أي ذلك الجنس من العلوم أو طرفا صالحا منه فقطع على حقيقة ما أقول ولا يخفى حافيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقى ما سياتي بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الروايات اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة أو احاديث النفس أو الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع الحديث كالأباطيل اسم جمع للأباطل لاجمع احدوثه وقيل كانوا جمعوا حديثا على احديثه ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطع وأقطع وقيل هو تأويل ضوامض كتب الله تعالى وسن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر ونسبة التعبير تأويل لانه جعل المرئي آتلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه

الصلاة والسلام أشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ﴿ تقديم ﴾ ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها بتمام النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة سببا لظهور أمره عليه السلام

تكون معرفة حلية السلام لذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمحليهم في الدنيا  
الله تعالى لثل هذه الروايات لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل أمثالها وتمييز ما هو آفاق منها مما هو أنفسي كقطع كان  
تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بته  
العالمو بما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها ﴿ ١٥٧ ﴾ في عالم الشهادة وأقوى وقوة على النسب الواقعة بين

الصورة المعانية في أحد  
ذيتك السالمين وبين  
الكائنات الظاهرة على  
وقتها في العالم الآخر  
وأن هذا الشأن البديع  
لا بد أن يكون انموججا  
لظهور أمر من اتصف  
به ومدار الجريان أحكامه  
فان لكل نبي من الانبياء  
عليهم الصلاة والسلام  
معجزة بها تظهر آثاره  
وتجربى أحكامه (و يتم  
نعته عليك) بأن يضم  
الى النبوة الاستفادة  
من الاجتهاد الملك ويجعله  
تتم لها وتوسيط ذكر  
التعليم المذكور بينهما  
لكونه من لوازم النبوة  
والاجتهاد ولرعاية ترتيب  
الوجود الخارجى ولما  
أشترنا اليه من كون  
أثره وسيلة الى تمام النعمة  
ويجوز أن يعد نفس  
الروايات نعم الله تعالى  
عليه فيكون جميع النعم  
الواصله اليه بحسبها  
مصداقها تماما تلك  
النعمة ( وعلى آل  
يعقوب ) وهم أهله

تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل وأما يعقوب عليه السلام فعليه كان يقول زيادة  
الحبة ليست في الوسع والطاقة فليس لله على فيه تكليف وأما تخصيصها بمزيد البر  
فيحتمل انه كان لوجوه (أحدها) ان أمه حامات وهما صغار (وثانيها) لانه كان يرى  
فيه من آثار الرشد والنجابة الملم يجد في سائر الاولاد (وثالثها) لعله عليه السلام وان كان  
صغيرا الا انه كان يخدم ابيه بأنواع من الخدم أشرف وأعلى مما كان يصدر عن سائر الاولاد  
والحاصل ان هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل النفس وموجبات الفطرة  
فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخصمين في دين الآخر أو في عرضه  
(السؤال الثالث) انهم نسبوا أباهم الى الضلال المبين وذلك مبالغة في الذم والاطعن ومن  
بانع في الطعن في الرسول كقر لاسيا اذا كان الطاعن ولذا فان حق الابوة يوجب مزيد  
التعظيم (والجواب) المراد منه الضلال عن رماية المصالح في الدنيا لا البعد عن طريق  
الرشد والصواب (السؤال الرابع) ان قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا محض  
الحسد والحسد من أمهات الكبار لاسيا وقد أقدموا على الكذب بسبب ذلك الحسد  
وعلى تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه في ذل العبودية وتبعيده عن الاب المشفق وألقوا  
أباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم وأقدموا على الكذب فابقيت خصلة مذمومة  
ولأطريقة في الشر والفساد الا وقد أتوا بها وكل ذلك بقدر في العصمة والنبوة  
(الجواب) الامر كما ذكرتم الا ان المعبر عندنا عصمة الانبياء عليهم السلام في وقت  
حصول النبوة وأما قبلها فذلك غير واجب والله أعلم ﴿ قوله تعالى (اقتلوا يوسف  
وأطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من يمدء قوما صالحين قال قائل منهم  
لاقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) واعلم انه لما  
قوى الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا بأحد  
طريقتين القتل أو التريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر  
يلغى الحسد أعظم من ذلك ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم يخل لكم وجه أبيكم والمعنى  
ان يوسف شغله عنا وصرف وجهه اليه فاذا فقدته أقبل علينا بالليل والمحبة وتكونوا من  
بعده قوما صالحين وفيه وجوه (الاول) انهم علموا ان ذلك الذي عزموا عليه من الكبار  
فقالوا اذا فعلنا ذلك تنبأ الى الله ونصير من القوم الصالحين (والثاني) انه ليس المقصود  
ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند أبيكم وبصيرأ بوكم بحبالكم مشتغلا بشأنكم  
(الثالث) المراد انكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تتفرغون لاصلاح مهمهم فاذا  
زالت هذه الوحشة تفرغتم لاصلاح مهماتكم واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر  
بالقتل من كان على قولين (أحدهما) ان بعض اخوته قال هذا (والثاني) انهم شاوروا  
أجنيبا فأشار عليهم بقتله ولم يقل ذلك أحد من اخوته فأما من قال بالاول فقد اختلفوا  
فقال وهب انه شيعون وقال مقاتل يويل فان قيل كيف يليق هذا بهم وهم أنبياء قلنا من

من بنيه وغيرهم فان رواية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بأوارها من نعم الله تعالى عليهم  
لدلائها على مصير أمرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك  
النعمة لا بحالة وأما إذا أريد تمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار أنهم

هذه الرواية أن العز والجاه والمال ( كما أنهما على أبيك ) نصب على المصدرية أي ويتم نعمته عليك انما  
 الكرام نعمته على أبيك وهي نعمة الرسالة والنبوة وانماها على ابراهيم عليه السلام بانخذه خليلا وانجاهه  
 بالطار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجاهه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والاسباط من صلبه  
 وكل ذلك نعم جلييلة وقعت تنمة لنعمة النبوة ﴿ ١٥٨ ﴾ ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب

المشبه به مثل ما وقع  
 في جانب المشبه من كل  
 وجه ( من قول ) أي  
 من قبل هذا الوقت  
 أو من قبلك ( ابراهيم  
 واسحق ) عطف بيان  
 لا يوبك والتعبير عنهما  
 بالاب مع كونهما أباجده  
 وأبأبيه للاشعار بكمال  
 ارتباطه بالانبياء الكرام  
 عليهم الصلاة والسلام  
 وتذكيره معنى الولد سر  
 أيه ليطمئن قلبه بما  
 أخبر به في ضمن التعبير  
 الاجمالي لرواياه والا  
 فتصاريق المشبه به على  
 ذكر انعام النعمة من غير  
 تعرض للاجتناب من باب  
 الاكتفاء فان انعام  
 النعمة يقتضي سابقة  
 النعمة المستدعية  
 الاجتناب لاحالة  
 ( ان ربك ) استئناف  
 لتحقيق مضمون الجمل  
 المذكورة أي يفعل ما ذكر  
 لانه ( عظيم ) بكل شيء  
 فيعلم من يستحق الاجتناب  
 وما يفرغ عليه من  
 التعليم المذكور وانعام  
 النعمة العامة على

الناس من أجاب عنه بأنهم كانوا في هذا الوقت من اهتقين وما كانوا بالنعين وهذا ضعيف  
 لانه بعد من مثل نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام أن يهتج جماعة من الصبيان من غير  
 أن يكون معهم انسان طفل يمنعهم عن القباح وأيضا انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما  
 صالحين وهذا يدل على انهم قبل النبوة لا يكونون صالحين وذلك ينافي كونهم من الصبيان  
 ومنهم من أجاب بأن هذا من باب الصفات وهذا أيضا بعيد لان ابتداء الاب الذي هو نبي  
 هوسوم والكتب منه والسعي في اهلاك الاخ الصغير كل واحد من ذلك من أمهات الكبار  
 بل الجواب الصحيح أن يقال انهم ما كانوا أبناء وان كانوا أبناء الان هذه الواقعة  
 انما أقدموا عليها قبل النبوة \* ثم انه تعالى حكى ان قاذلا قتل لاقتلوا يوسف قبل ان كان  
 رويلا وكان ابن خالة يوسف وكان أحسنهم رأيا فيه فنعهم عن القتل وقيل ~~كان~~ وكان  
 أقدمهم في الرأي والفضل والسن \* ثم قال والقوه في غيبة الجب وفيه مسائل ( المسئلة  
 الاولى ) قرأ نافع في غيبات الجب على الجمع في الحرفين هذا والذي بعده والياقون غيبة  
 على الواحد في الحرفين اما وجه الغيبات فهو ان الجب أقطار أو واحي فيكون فيها غيبات  
 ومن وحد قال المقصود موضع واحد من الجب يغيب فيه يوسف فالتوحيد أخص وأدل  
 على المعنى المطلوب وقرأ الجحدرى في غيبة الجب ( المسئلة الثانية ) قال اهل اللغة الغيبة  
 كل ما غيب شيئا وستره غيبة الجب غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله  
 والجب البئر التي ليست بمطوية تسميت جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها غير الالطع من  
 طي أو ما أشبهه وانما ذكرت الغيبة مع الجب دلالة على ان المشير أشار بطرحه في موضع  
 مظلم من الجب لا يطمئه نظر الناظرين فأفاد ذكر الغيبة هذا المعنى اذا كان محتمل أن يلقى  
 في موضع من الجب لا يحول بينه وبين الناظرين ( المسئلة الثالثة ) الالف واللام في الجب  
 تقتضى المعهود السابق واختلفوا في ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت القعس وقال  
 وهب هو بأرض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة فرائح من منزل يعقوب وانما عينوا  
 ذلك الجب للعله التي ذكروها وهي قولهم يلتقط بعض السيارة وذلك لان تلك البئر كانت  
 معروفة وكانوا يردون عليها كثيرا وكان يعلم انه اذا طرح فيها يكون الى السلامة أقرب  
 لان السيارة اذا جاز وأوردوها واذا وردوا فيها شاهدوا ذلك الانسان فيها واذا شاهدوه  
 أخرجوه وذهبوا به فكان القاؤه فيها أبعد عن الهلاك ( المسئلة الرابعة ) الالتقاط تناول  
 الشيء من الطريق ومنه اللقطه والقبض وقرأ الحسن تلتقطه بالته على المعنى لان بعض  
 السيارة أيضا سيارة والسيارة الجماعة الذين يسبرون في الطريق لسفر قال ابن عباس يريد  
 المارة وقولهم ان كنتم فاعلين فيه إشارة الى ان الاولى أن لا تفعلوا شيئا من ذلك وأما ان كان  
 ولا بد فاقصروا على هذا التدر ونظيره قوله تعالى وان حاقبتم فعاقبوا بمثل ما هو قبتم به  
 يعني الاولى أن لا تفعلوا ذلك \* قوله تعالى ( قالوا يا انا مالك لا تأمنا على يوسف واتاله  
 لناصون أرسله معنا غاد يرتع ويبعب واتاله الحافظون ) اعلم ان هذا الكلام يدل على ان

الوجه المذكور ( حكيم ) فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل ﴿ يعقوب ﴾  
 كما يفعل جريا على سنتن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الر بوية في الموضعين لترية تحقق وقوعه ذكر  
 من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة أي وكما اجتنابك لمثل هذه الروايات الدالة على شرف وعز  
 وكال نفس بجنتيك ربك

لثبوت الملك او لامور عظام ويتم نعمته عايك بالثبوت او بان يصل نعمة الدنيا بذمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا  
انبيا وعلوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلا في الجنة كما أمرها على ابيك بالرسالة فتأمل والله الهادي (تدكان  
في يوسف واخوته) أي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين أيضا حصة من القصة أو بنو علاته  
المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها (آيات) ﴿ ١٥٩ ﴾ علامات عظيمه الشأن دالة على قدرة الله تعالى

القاهرة وحكمته الباهرة  
(السائلين) لكل من سأل  
عن قصتهم وعرفها  
أو الطالبين للآيات  
المتعبرين بها فانهم الواقفون  
عليها والمتفهمون بالبرهان  
من عداهم ممن اندرج  
تحت قوله تعالى وكأني من  
آية في السموات والارض  
يمرون عليها وهم عنها  
معرضون فالمراد بالقصة  
نفس المقصود أو علم  
نبوته عليه السلام لمن سأل  
من المشركين أو اليهود  
عن قصتهم فاخبرهم بذلك  
على ما هي عليه من غير  
سماح من أحد ولا ممارسة  
شي من الكتب فالمراد بها  
اقتصاصها وجمع الآيات  
حينئذ للاشعار بأن  
اقتصاص كل طائفة  
من القصة آية بينة كافية  
في الدلالة على نبوته عليه  
السلام على نحو ما ذكر في  
قوله تعالى مقام ابراهيم  
على تقدير كونه عطف  
بيان لقوله تعالى آيات  
بينات لا لما قيل من انه  
لعدد جهة الاعجاز

يعقوب عليه السلام كان يخافهم على يوسف ولولا ذلك والالما قالوا هذا القول واعلم انهم  
لما احكموا العزم ذكروا هذا الكلام وأظهروا عند أيهم انهم في غاية المحبة ليوسف  
وفي غاية الشفقة عليه وكانت عادتهم أن يغيبوا عنه مدة الى الرعي فسألوه أن يرسله معهم  
وقد كان عليه السلام يحب تطيب قلب يوسف فاختر بقولهم وارسله معهم وفي الآية  
مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف لا تأمنا قرى باطها لثونين وبالادغام  
باشمام وبغير اشمام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نحبه وزيد الخبز به (المسئلة الثانية)  
في رقع و يلعب خمس قرآت (الاولى) قرأ ابن كثير بالتون ويكسر عين زرع من الارتعاء  
وي لعب بالياء والارتعاء افتعال من رعت يقال رعت الماشية الككلا ترعاه رعيًا اذ  
أكلته وقوله زرع الارتعاء للابل والمواشي وقد أضافوه الى أنفسهم لان المعنى زرع ابلنا  
ثم نسبوه الى أنفسهم لانهم هم السبب في ذلك الرعي والحاصل انهم أضافوا الارتعاء  
والقيام بحفظ المال الى أنفسهم لانهم بالغون كاملون وأضافوا اللعب الى يوسف لصغره  
(القراءة الثانية) قرأ نافع كلاهما بالياء وكسر العين من زرع أضاف الارتعاء الى يوسف  
بمعنى انه يباشر رعي ابل ليتد رب بذلك فرة يزرع ومرة يلعب كفعل الصبيان (القراءة  
الثالثة) قرأ أبو عمرو وابن عامر زرع بالتون وجزم العين ومثله نلعب قال ابن الاعرابي  
الزرع الاكل بشره وقيل انه الخصب وقيل المراد من اللعب الاقدام على المباحات وهذا  
يوصف به الانسان وأما نلعب فروى انه قيل لابي عمرو كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال  
لم يكونوا يومئذ انبياء وأيضا جاز أن يكون المراد من اللعب الاقدام على المباحات لاجل  
ان شراح الصدر يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجاير فهلا بكراتلا عيها  
وتلاعبك وأيضا كان لعبهم الاستباق والغرض منه تعلم المحاربة والمقاتلة مع الكفار  
والدليل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته (القراءة الرابعة) قرأ  
أهل الكوفة كلاهما بالياء وسكون العين ومعناه استناد الزرع واللعب الى يوسف عليه  
السلام (القراءة الخامسة) يزرع بالياء ونلعب بالتون وهذا بعيد لانهم انما سألوا ارسال  
يوسف معهم ليفرح هو باللعب لا ليفرحوا بالعب والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قال اني ليخزني  
أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه فاعلمون قالوا لئن أكله الذئب ونحن  
عصبة انا اذا جلسرون) اعلم انهم لما طلبوا منه أن يرسل يوسف معهم اعتذر اليهم بشيئين  
(احدهما) ان فها بهم به ومفارقتهم اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة (والثاني)  
خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه يرعيهم أو لعبهم لقله اهتما مهم به قيل انه رأى  
في النوم ان الذئب شد على يوسف فكان يحذره فن هذا ذكر ذلك وكأني لقنهم الجملة  
وفي أمثالهم البلاد موكل بالذئب وقيل الذئب كاتب في اراضيتهم كثيرة وقرى الذئب بالهمز  
على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تدهبت الريح اذا أنت من كل جهة فلما ذكر  
يعقوب عليه السلام هذا الكلام أجابوا بقولهم لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا

لفظا ومعنى ومرأ ابن كبرآية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم  
خبر يوسف و بني اخوته عليه لما رأى من بني قومه عليه ليا نسي به (اذ قالوا ليوسف وأخوه) أي شقيقه بنيامين  
وانما لم يذكر

باسمه تلوينا بان مدارا الحجة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى الى انهم كيف اكتنوا الخراج يوشع من البيه  
من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف (أحب الى ايتامنا) ورجع الخبر مع نمته المبتدأ ان أفضل من كذا لا يفرق  
فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب للفرق واذا اضيف جاز الاسمان وقاعدة لام  
الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده ﴿ ١٦٠ ﴾ (ومن عصبه) أي والملك أنا جماعة قادرين

على الحل والعقد أحقاه  
بالحبة والعصبة والعصابة  
العشرة من الرجال  
فصاعدا، هو بذلك  
لان الامور تعصب بهم  
(إن أنا) في ترجيحها  
علينا في المحبة مع فضلنا  
عليها وكونها بمنزل  
من كفاية الامور بالصغر  
والقلة (لن ضلال)  
أي ذهاب عن طريق  
التعديل اللائق وتزليل  
كل من منزلته (مبين) ظاهر  
الحال روى أنه كان أحب  
اليه لما يرى فيه من مخايل  
الخبر وكانت اخوته  
يحسدونه فلما رأى  
الرويا ضاعف له المحبة  
بحيث لم يبر عنه فضاغف  
حسد هم حتى جعلهم  
على مباشرة ما قص عنهم  
(اقتلوا يوسف أو اطرحوه  
أرضا) من جلة ما حكي  
بعد قوله اذ قالوا وقد قاله  
بعض منهم مخاطبا للباقيين  
بقضية الصيغة فكانهم  
رضوا بذلك كما يروى  
أن القائل شمعون أو دنان  
والباقيون كانوا ارضين  
الامن قال لا تقتلوا الخ

تخاسرون وفيه سوالات (السؤال الاول) ما فائدة اللام في قوله لئن أكله الذئب  
(والجواب) من وجهين (الاول) ان كلمة ان تفيد كون الشرط مستلزما للجراد أي ان  
وقعت هذه الواقعة فحسن خاسرون فهذه اللام دخلت لتأكيد هذا الاستلزام (الثاني)  
قال صاحب الكشاف هذه اللام تدل على اضمحار القسم تقديره والله لئن أكله الذئب لكننا  
خاسرين (السؤال الثاني) ما فائدة الواو في قوله ونحن عصبه (الجواب) انها واو الحال  
حلقوا لئن حصل ما خافه من خطف الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال يمثلهم  
تعصب الامور وتكفي الخطوب انهم اذا القوم خاسرون (السؤال الثالث) ما المراد من  
قولهم انا اذا الخاسرون (الجواب) فيه وجوه (الاول) خاسرون أي هالكون ضعا وعجزا  
ونظيره قوله تعالى لئن أطعتم بشر امثلكم انكم اذا الخاسرون أي لما جزون (الثاني) انهم  
يكونون مسحقين لان يدعى عليهم بالحسارة والدمار وان يقال خسروا الله تعالى ودمروهم  
حين أكل الذئب أخاهم وهم خاسرون (الثالث) المعنى انا ان لم نخدر على حقا فخيرنا فقد  
هلكت مواشيتنا وخسرناها (الرابع) انهم كانوا قد اتعبوا أنفسهم في خدمة أيهم  
واجتهدوا في القيام بمهماتهم وانما حملوا تلك المتاعب ليفوزوا منه بالدعاء والثناء فقالوا  
لو قصرنا في هذه الخدمة فقد أحبطنا كل تلك الاعمال وخسرنا كل ما صدر مما من أنواع  
الخدمة (السؤال الرابع) ان يعقوب عليه السلام اعتذر بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما  
دون الآخر (والجواب) ان حقدهم وغبطهم كان بسبب العذر الاول وهو شدة حبه له  
فلما سمعوا ذلك المعنى تغافلوا عنه ﴿ قوله تعالى (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه  
في غيابة الجب وأوحينا اليه لتبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) اعلم انه لا بد من  
الاضمار في هذه الآية في موضعين (الاول) ان تقدير الآية قالوا لئن أكله الذئب ونحن  
عصبه انا اذا الخاسرون فأذن له وأرسله معهم ثم حصل به قوله فلما ذهبوا به (والثاني) انه لا بد  
لقوله فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب من جواب اذ جواب لما غير مذكور  
وتقديره فجعلوه فيها وحذف الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذکور دليلا عليه  
وهنا كذلك قال السدي ان يوسف عليه السلام لما رجع اخوته أظنوا له الصداوة  
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضرب به ولا يرى فيهم رحما فيضربوه  
حتى كادوا يقتلونه وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابك فقال يهودا أليس قد  
أعطيتوني موتقا ان لا تقتلوه فاصطقبوا به الى الجب يدونه فيه وهو متطق بشعر البئر فزها  
فحصه وكان عرضهم أن يلطخوه بالدم ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قبيص  
لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا لتؤنسك ثم دلوه في البئر حتى اذا  
بلغ نصفها اتقوا ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى حفرة فقام بها وهو يبكي  
فنادوه فلظن انه رجعة أدر كشمهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بحفرة فقام يهودا فخنسهم  
وكان يهودا ياتيه بالطعام وروى انه عليه السلام لما ألقى في الجب قال يا شاهدا غير

قبلوا كأنهم الثمانون وأدبروا تحت القول المسند الى الجميع أو قاله كل واحد منهم مخاطبا ﴿ غالب ﴿  
القيصة وهو يدل على مسيرتهم الى ذلك القول وتشكبر أرضا وخلوها من الوصف للابهام أي أرضا متذكورة  
بجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت بظن الظروف البهمة (يخل) بالجرم جواب الأمر

أى يخلص (لكم وجه أسبكم) فقبل عليكم بكنيته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا يسألكم في محبته أخذ فذكر الوجه  
لتصوير معنى اقباله عليهم (وتكونوا) بالجزم عطفا على يخل أو بالنسب على اصمارة أن أو الواو بمعنى مع مثل قواه  
وتكته والحق وإيثار الخطاب في لكم وما بعده للبراعة في جملهم على القبول فإن اعتناء المرء بشأن نفسه وإهتمامه  
بتحصيل منافعه أهم وأكل (من بعده) من بعد ﴿ ١٦١ ﴾ يوسف أى من بعد الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه

(قوما صالحين) تازين  
إلى الله تعالى عما جنتهم  
أو صالحين مع أيكم  
بإصلاح ما بينكم وبينه  
عذرته ودونه أو صالحين  
في أمر دنياكم بما نظامها  
بعده بخروج وجه أيكم  
(قال قائل منهم) هو يهودا  
وكان أحسنهم فبدرأيا  
وهو ما قال فلن أرح  
الأرض الخ وقيل رويل  
وهو استئناف مبنى على  
سؤال من سأل وفان  
أعتقوا على ما عرس  
عناهم من خصلان  
الضيق أم خافهم في  
ذلك أحد فقل قال قائل  
منهم (لا تقبلوا يوسف)  
أطهره في مقام الأسماء  
استحبابا لاستفقتهم عليه  
أو استعظاما لقلبه وهو  
هو فانه يروى أنه قال لهم  
اقبل عظيم وام بصرح  
بنتهم عن الخصلة  
الأخرى وأحاله على  
أولوية ما عرسنا به  
بقوله (والقوة في غيابة  
الجب) أى في قعره وغوره  
سمى بها الغيبة عن عين  
النظر والجب البئر التى

غائب وبأقربا غير بعيد وياغالب غير مغلوب اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا وروى  
أن إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام  
بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى اسحق واسحق إلى يعقوب  
فعله يعقوب في تيمية وعلقها في عنق يوسف عليه السلام فجاء جبريل عليه السلام  
فأخرجه وألبسه إياه ثم قال تعالى وأوحينا اليك آياتنا لعلهم يشعرون  
وفيه مسائل (المسئلة الأولى) في قوله وأوحينا اليه قولان (أحدهما) أن المراد  
منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا  
القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت باعاً أو كان صبياً قال بعضهم  
انه كان في ذلك الوقت بالغاً وكان سندس عشرة سنة وقال آخرون انه كان صغيراً إلا أن  
الله تعالى أكل عقله وجعله صالحاً لقبول الوحي والنبوة كافي حق عيسى عليه السلام  
(والقول الثاني) أن المراد من هذا الوحي الإلهام كافي قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى  
وقوله وأوحى ربك إلى النحل (والاول) أولى لأن الظاهر من أوحى ذلك فإن قيل كيف  
يجعله تبا في ذلك الوقت وليس هناك أحد يبلغه الرسالة قلنا لا يمنع أن يشرف بالوحي  
والتنزيل ويأمره بتبليغ الرسالة بعد وفاته ويكون فأنه تقديم الوحي تأسيساً راسكين  
نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه (المسئلة الثانية) في قوله وهم لا يشعرون قولان  
(الاول) المراد أن الله تعالى أوحى إلى يوسف أنك لخبرن أخوتك بصنعهم بعد هذا اليوم  
وهم لا يشعرون في ذلك الوقت بأنك يوسف والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص  
عن هذه المحنة ويصبر مستولياً عليهم ويصيرون تحت قهره وفدرة وروى أنهم حين دخلوا  
عليه لطلب الخنطة وعرفهم وهم لم ينكروا دعاباً لصواع فوضع على يدهم نقره فطن فقال  
انه الخبيرني هذا الجانم انه كان لكم أخ من أيكم يقال له يوسف فطرحوه في البئر فلم  
لا ييكم أكله الذئب (والثاني) أن المراد أنا وأوحينا إلى يوسف عليه السلام في ابتزازك  
تلي أخوتك بهذه الاعمال وهم ما كانوا يشعرون بزول الوحي عليه والفائدة في اخفاء  
زول ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه فرما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله  
(المسئلة الثالثة) إذا حلقنا قوله وهم لا يشعرون على التفسير الاول كان هذا أمر من الله  
تعالى نحو يوسف في أن يسترفسه عن أيده وأن لا يخبره بأحوال نفسه فلم هذا السبب كتم  
أخبار نفسه عن أيه طول تلك المدة مع علمه بوجد أيده به خوفاً من مخالفة أمر الله تعالى  
وصبر على تجرع تلك المرارة فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام أن  
يوصل إليه تلك الغموم الشديدة والهجوم العظيم ليكبر رجوعه إلى الله تعالى ويتقطع  
تعلق فكره عن الدنيا فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بحمل  
الحن السديدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وجاءوا بأباهم عشاء سكوناً قانوا أنا يا أنا ذهابنا  
نسبق وتركتنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على

لم تطو بعد لانها أرض جيت جبا ﴿ ٢١ ﴾ خا من غير أن يزداد على ذلك شئ وقرأ نافع في غيابات الجب في  
الموضعين كأن لتلك الجب غيابات أو أراد بالجب الجنس أى في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة (يلتقطه)  
بأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شئ مشرف على الضياع (بعض السيارة)  
أى بعض طائفة تسير في الأرض واللام في السيارة

كافي الجب وما فيه ما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يوحاه من ترويح كلامه بموافقته لقرضهم الذي هوناني يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله \* كما شرقت صدره القناة من الدم \* ومنه قطعت بعض أصابعه (ان كتم فاعلين) بمشورتي لم يدت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تا ليفالقلبيهم وتوجيهالهم الى \* ١٦٢ \* رأيه وحذران من نسبتهم له الى التحكم والافتيات

قبيصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون اعلم انهم لما طرحو يوسف في الجب رجعوا الى أيهم وقت العشاء باكين ورواه ابن جني عشايضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء فعند ذلك فرح يعقوب وقال هل أصابكم في غمكم شيء قالوا لا قال فافعل يوسف قالوا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فبكي وصاح وقال أين القميص فطرحه على وجهه حتى تخضب وجهه من دم القميص وروى أن امرأة تحاكت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية ما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف بيكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضى الا بالحق واختلفوا في معنى الاستباق قال الزجاج بسابق بعضهم بهضاني الرمي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا سبق الا في خوف أو حافر يعني بالنصل الرمي وأصل السبق في الرمي بالسهم هو أن يرمى اثنان ليتبين أيهما يكون أسبق سهما أو بعد غلوة ثم يوصف المتراميان بذلك فيقال استبقا وتساقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أسبق سهما ويدل على صحة هذا التفسير ما روى أن في قراءة عبد الله انا ذهبنا ننضل (والقول الثاني) في تفسير الاستباق ما قاله السدي ومقاتل نستبق نستد ونعد وليتبين أينا أسرع عدوا فان قيل كيف جازان يستبقوا وهم رجال بالغون وهذا من فعل الصبيان قلنا الاستباق منهم كان مثل الاستباق في الخيل وكانوا يجربون بذلك أنفسهم ويدرونها على العدو ولانه كالآلة لهم في محاربة العدو ومدافعة الذئب اذا اختلس الساة وقوله فأكله الذئب قيل أكل الذئب يوسف وقيل عرضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع والوجه هو الاول ثم قالوا وما انت بمؤ من تناولوا كنا صا د قين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ليس المعنى أن يعقوب عليه السلام لا يصدق من يعلم أنه صادق بل المعنى لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتهمتنا في يوسف لشدة محبتك اياه واضننت أنا قد كذبنا والحاصل اننا وان كنا صا د قين لكنك لا تصدقنا لانك تهتمنا وقيل المعنى اننا وان كنا صا د قين فانك لا تصدقنا لانه لم تظهر عندك اماره تدل على صدقنا (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على ان الايمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق لان المراد من قوله وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق واذا ثبت أن الامر كذلك في أصل اللغة وجب أن يبقى في عرف الشرع كذلك وقد سبق الاستقصاء فيه في أول سورة البقرة في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب ثم قال تعالى وجاءوا على قبيصه بدم كذب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم ليؤهم كونهم صا د قين في مقالتهم قيل ذبحوا جديا ولطخوا ذلك القميص بدمه قال القاضي ولعل غرضهم في نزع قبيصه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيذا لصدقهم لانه يبعد أن يفعلوا ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقرن بها الخذلان فلو خر قومه مع لطخه بالدم لكان الابهام أقوى فلما شاهد به قرب القميص صححها علم كذبهم (المسئلة الثانية) قوله وجاءوا على قبيصه بدم كما يقال جاءوا على جمالهم

أو ان كتم فاعلين ما أزمعتم عليه من ازالته من عند أبيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فافعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه أو لا أوجب بطريق الاستئناف على وجه أد رج في تضاعيفه فبولهم له بما سيحجى من قوله وأجروا أن يجعلوه في غيابة الجب فتبيل (قالوا يا أبا ناس) خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتد كيرال ابطنة الاخوة بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام ليتسببوا بذلك الى استزاله عليه السلام عن رأيه في حفة ظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغى فكأنهم قالوا (مالك) أي أي شيء لك (لا تأمنا) أي لا تجعلنا أمناء (على يوسف) مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا (واناله لنا صحنون) مر يدونه الخير و مشفقون عليه

ليس فينا ما يحل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع رضي الله عنه \* باجال \* ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (يرتع) أي يتسع في أكل الفواكه ونحوها فان الرفع هو الاتساع في الملاذ (ويلاعب) بالاستباق والتناضل ونظائرهما بما يبعد من باب التأهب للفرز وانما عبر واعن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استحباب يوسف عليه السلام بتصويرهم له



بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نزع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نزع من ارتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي ياعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (واناله لحافظون) من أن يناله مكروه أكدوا مقاتلهم بأصناف التأكيد من إيراد الجملة اسمية وتحليلها بيان واللام واسناد الحفظ إلى كلهم وتقديمه على الخبر احتياقياً في تحصيل مقصدهم (قال) استئناف مبنى على \* ١٦٣ \* سؤال من يقول فاذا قال يعقوب عليه السلام قويل قال (اني

ليحزني) اللام الابتداء  
كقافي قوله عز وجل ان  
ربك ليحكم بينهم (أن  
تذهبوا به) لشدة مفارقتة  
على وقلة صبري عنه  
(و) مع ذلك (أخاف أن  
يأكله الذئب) لان  
الارض كانت مداية  
والحزن ألم القلب بفوت  
المحبوب والخوف ازواج  
النفوس لنزول المكروه  
ولذلك أسند الاول الى  
الذهاب به المفوت لاستمرار  
مصاحبته ومواصلته  
ليوسف والثاني الى  
ما يتوقع نزوله من أكل  
الذئب وقيل رأى في  
المنام أنه قد شد عليه  
عليه السلام ذئب وكان  
يحذره فقال ذلك وقد  
لغتهم العلة ان البلاد موكلة  
بالمناطق وقرأ ابن كثير  
ونافع في رواية البرزى  
بالهمز على الاصل  
وأبو عمرو به وقفاً وعاصم  
وابن عامر وجرزة درجا  
وقيل اشتقاقه من تءأتبت  
الريح اذا هاجت من كل  
جانب وقال الاصمعي

باجال (المسئلة الثالثة) قال أصحاب العرب يفوهم الفراء والمبرد والراجح وابن الأثير  
بدم كذب أي مكذوب فيه الأنة وصف بالمصدر على تقدير دم ذي كذب ولكنه جعل  
نفسه كذبا للمبالغة قالوا والمفعول والفاعل يسيان بالمصدر كما يقال ماء سكب أي  
مسكوب ودرهم ضرب الامير وثوب نسج العين والفاعل كقوله أن أصبح ماؤكم غورا  
ورجل عدل وصوم ونساء نوح ولما سمي بالمصدر سمي المصدر أيضا بهما فقالوا والعقل المعقول  
والجلد المجلود ومنه قوله تعالى يا أيكم المغفون وقوله اذا من قتم كل منزق قال الشعبي قصة  
يوسف كلها في قيصة وذلك لانهم لما القوا في الجب نزعوا قيصه ولطخوه بالدم وعرضوه على  
أيه ولما شهد الشاهد قال ان كان قيصة قدم من قبل ولما أتى بقيصه الى يعقوب عليه  
السلام فالتقى على وجهه ارتد بصيراثم ذكر تعالى أن اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام  
واحتجوا على صدقهم بالقيص الملتصق بالدم قال يعقوب عليه السلام بل سوات لكم  
أنفسكم أمر اقل ابن عباس معناه بل زينت لكم أنفسكم أمرا والتسويل تقدير معنى  
في النفس مع الطمع في اتمامه قال الأزهرى كأن التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو  
أمنيته التي يطلبها فترين لطالبها الباطل وغيره وأصله مهموز غيران العرب استقلوا فيه  
الهمز وقال صاحب الكشاف سوات سهلت من السؤل وهو الاسترخاء اذا عرفت هذا  
فنعول قوله بل ردقولهم أكله الذئب كأنه قال ليس كما تقولون بل سوات لكم أنفسكم  
في شأنه أمر أي زينت لكم أنفسكم أمرا غير ماتصفون واختلفوا في السبب الذي به  
عرف كونهم كاذبين على وجوه (الاول) أنه عرف ذلك بسبب أنه كان يعرف الحسد الشديد  
في قلوبهم (والثاني) أنه كان عالما بأنه حي لانه عليه الصلاة والسلام قال ليوسف وكذلك  
يجتبيك ربك وذلك دليل قاطع على انهم كاذبون في ذلك (القول الثالث) قال سعيد بن جبير  
لما جاءوا على قيصة بدم كذب وما كان مخزقا قال كذبتم أو أكله الذئب لخرق قيصة وعن  
السدي انه قال ان يعقوب عليه السلام قال ان هذا الذئب كان رحيماً فكيف أكل لحمه  
ولم يخرق قيصة وقيل انه عليه السلام لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله الاصوص فقال  
كيف قتلوه وتركو قيصة وهم الى قيصة أخرج منه الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف  
بسبب ذلك كذبهم ثم قال يعقوب عليه السلام فصبرجيل وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
منهم من قال انه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير فصبرجيل أولى من الجزع  
ومنهم من اضمر المبتدأ قال الخليل الذي أفعله صبرجيل وقال قطرب معناه فصبري صبر  
جيل وقال الفراء فهو صبرجيل (المسئلة الثانية) كان يعقوب عليه السلام قد سقط  
حاجباه وكان يرفعهما بخرقه فتقبل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله  
تعالى اليه يا يعقوب أنشكوني فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وروى عن عائشة  
رضي الله عنها في قصة الافك انها قالت والله لئن خلفت لاتصدقوني وان اعتذرت  
لاتعذروني فبئني ومثلكم كمثل يعقوب وولده فصبرجيل والله المستعان على ما تصفون

الامر بالعكس وهو اظهر لفظاً ومعنى (وأتمم عنه خافلون) لاشتغالكم بالرتع والعب أو لقله اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن أكله  
الذئب ونحن عصبة) أي والحال أنا جماعة كثيرة جدية بأن يعصب بنا الامور العظام وتكني الخطوب بأرثاوتدبيراتنا  
واللام الداخلة على الشرط موطنة للقسم وقوله (انا اذا خاسرون) جواب مجزئ عن الجزء أي لها لكون ضعفا وخورا  
وعجزاً أو مستهينون للهلاك اذا لغناه

عهدنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسروهم الله تعالى ودمرهم حيث أكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل إن لم تقدر على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصرنا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من أكل الذئب لانه السبب القوي في المنع ذون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب (فلما ذهبوا وأجمعوا) أي أزمعوا ﴿ ١٦٤ ﴾ (أن يجعلوه) مفعول لاجمعوا يقال أجمع أجمع

فانزل الله عز وجل في عندها ما أنزل (المسئلة الثالثة) عن الحسن أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل فقال صبرا لا شكوى فيه فن بشام بصبر ويدل عليه من القرآن قوله تعالى انما أشكوا بي وحزني الى الله وقال مجاهد فصبر جميل أي من غير جزع وقال الثوري من الصبر أن لا يحدث بوجهك ولا بعصيتك ولا تزكى نفسك وههنا بحث وهو ان الصبر على قضاء الله تعالى واجب فاما الصبر على ظلم الظالمين ومكر الماكرين فغير واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائذ الي الغير وههنا ان اخوة يوسف لما ظهر كذبهم وخيانتهم فلم صبر يعقوب على ذلك ولم يبلغ في التفتيش والبحث سعيامنه في تخلص يوسف عليه السلام عن البلية والشدة ان كان في الاحياء وفي اقامة القصص ان صح أنهم قتلوه فثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم وبما يقوى هذا السؤال انه عليه الصلاة والسلام كان عالما بأنه سي سليم لانه قال له وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث والظاهر أنه انما قال هذا الكلام من الوحي واذا كان عالما بأنه سي سليم فكان من الواجب أن يسعي في طلبه وأيضا ان يعقوب عليه السلام كان رجلا عظيم القدر في نفسه وكان من بيت عظيم شريف وأهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون فيه ويعظمونه فلو بالغ في الطلب والتفحص لظهر ذلك واشتهر وزال وجه التلبس فالسبب في أنه عليه السلام مع شدة رغبته في حضور يوسف عليه السلام ونهاية حبه لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجبات فثبت ان هذا الصبر في هذا المقام مذموم عقلا وشرعا (والجواب) عنه أن نقول لاجواب عنه الآن يقال انه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديدا للحننة عليه وتغليظ الامر عليه وأيضا لعله عرف بقرائن الاحوال ان أولاده أقوياء وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ في البحث فر بما أقدموا على ايذائه وقتله وأيضا لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والحننة وان أمره سي عظيم بالأخرة ثم لم يرد هنك أستار سرا ترا أولاده وما رضى بالقائهم في السنة الناس وذلك لان أحدا الولدين اذا ظلم الآخرون وقع الاب في العذاب الشديد لانه ان لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وان انتقم فانه يحترق قلبه على الوالد الذي ينتقم منه فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى ان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر الى الله تعالى بالكلية (المسئلة الرابعة) قوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قسمين منه ما قد يكون جيلا وما قد يكون غير جميل فالصبر الجميل هو أن يعرف أن منزل ذلك البلاء هو الله تعالى ثم يعلم أن الله سبحانه مالك الملك ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملك نفسه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاه من اظهار الشكاية (والوجه الثاني) أنه يعلم ان منزل هذا البلاء حكيم لا يجهل وعالم لا يغفل عليم لا ينسى رحيم لا يظننى واذا كان كذلك فكان كل ما صدر عنه حكمة وصوابا فعند ذلك يسكت ولا يعترض (والوجه الثالث) أنه ينكشف له أن هذا البلاء من الحق فاستغرقه في شهود نور المبلى ينعمه من الاشتغال

الامر ومنه فأجمعوا أمركم ولا تستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي اني علمها في غيابة الجب) قيل هي بئر ارض الاردن وقيل بين مصر ومدن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام يكتمان التي هي من نواحي الاردن كما أن مدني كذلك وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس فبرده التعليل بالنقاط السيارة ومحيطهم بأباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذنا بظهوره واشعارا بأن تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ويجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى أنهم لما برزوا الى الصحراء أخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فعمل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما اهاه دعوني أن

لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فتعلق بشياهم فزعوها من يديه فذلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ﴿ بالشكاية ﴾ وزعوا قيصة لما عزموا عليه من تطيخه بالدم احتيالا لايه فقال يا اخوتاه ردوا على قيصي لأتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فذلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فينادوه

واظن أنها رجة أدر كنتهم فاجابهم فرادوا أن يرضخوه فنعهم به وذاو كان ياتيه بالطعام كل يوم ويروي ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وجد عن ثيابه أناه جبريل عليه السلام يقبض من حر الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فعمله يعقوب في تيممة وعظماها في عنق يوسف فبناه جبريل عليه السلام فأخرجه من التيممة فألبسه اياه (وأوحينا اليه) عند ذلك \* ١٦٥ ﴿ تبشيرا له بما يؤول اليه أمره وازالة لوحشته وائناسه قيل كان ذلك

قبل ادراكه كما أوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن رضى الله عنه كان له سبع عشرة سنة ( انبئتهم بأمرهم هذا ) أى لتخلصن مما أنت فيه من سوء الحال وضيق المجال وتحدثن اخوتك بما فعلوا بك ( وهم لا يشعرون ) بأنك يوسف لتبأين حالك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبر ياد سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وقيل بعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول أدخل في التسلية روى أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكر ون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نفره فظن فقال انه يخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتوه في غيابة الجب وقلتم لا يكمل أكله الذئب

بالشكاية عن البلاء ولذلك قيل المحبة التامة لاتزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها لو ازيدت بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجميل أما اذا كان الصبر للاجل الرضا بقضاء الحق سبحانه بل كان لسائر الاعراض فذلك الصبر لا يكون جيلا والضابط في جميع الافعال والاقوال والاعتقادات ان كل ما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حسنا والافلا وههنا يظهر صدق ما روى في الاثر استفت قلبك ولو أفنك المغنون فليتمأمل الرجل تأملا شافيا ان الذى أتى به هل الحامل والباعث عليه طلب العبودية أم لا فان أهل العلم لو أفنونا بالشيء مع أنه لا يكون في نفسه كذلك لم يظهر منه نفع البتة ولما ذكر يعقوب قوله فصبر جميل قال والله المستعان على ما تصفون والمعنى أن اقدمه على الصبر لا يمكن الا بمعونة الله تعالى لان الدواعى النفسانية تدعو الى اظهار الجزع وهى قوية والدواعى الروحانية تدعو الى الصبر والرضا فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين فلم تحصل اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يجرى مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان على ما تصفون يجرى مجرى قوله واياك نستعين \* قوله تعالى (وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسرره بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بمن نحس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) اعلم أنه تعالى بين كيف سهل السبيل في خلاص يوسف من تلك المحنة فقال وجاءت سيارة يعنى رفقة تسير للسفر قال ابن عباس جاءت سيارة أى قوم يسرون من مدين الى مصر فاختطوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير طريق فبهبطوا على أرض فيها جب يوسف عليه السلام وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للارعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين أتى فيه يوسف عليه السلام فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخراعى ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم فادلى دلوه ونقل الواحدى عن عامة أهل اللغة أنه يقال أدلى دلوه اذا أرسلها في البئر ودلاها اذا نزعها من البئر يقال أدلى يدلى ادلاء اذا أرسل ودلا يدلو دلو اذا جذب وأخرج والدلو معروف والجمع دلاء \* قال يا بشرى هذا غلام وههنا محذوف والتقدير فظهر يوسف قال المفسرون لما أدلى الوارد دلوه وكان يوسف في ناحية من قعر البئر تعلق بالحبل فنظر الوارد اليه ورأى حسنه نادى فقال يا بشرى وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحجرة والكسائى بشرى بغير الالف وبسكون الياء والباقون يا بشرى بالالف وفتح الياء على الاضافة (المسئلة الثانية) في قوله يا بشرى قولان (الاول) انها كلمة تذكر عند البشارة ونظيره قولهم يا عجباً من كذا وقوله يا أسفا على يوسف وعلى هذا القول في تفسير النداء وجهان (الاول) قال الزجاج معنى النداء في هذه الاشياء التى لا تجيب تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة فاذا قلت يا عجباً فكانت قلت اعجبوا (الثانى) قال أبو على كأنه يقول يا أيها البشرى هذا الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب نحو طبت

وبعته بمن نحس ويجوز أن تعلق وهم لا يشعرون بالاحياء على معنى أنا أنسناه بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة التى اورتوه وهم لا يشعرون بذلك ويجبسون انه مرهق ومستوحش لا تيسر له وقرى انبئتهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لاغير (وجاوا آباهم عشاء) آخر النهار وقرى عشا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى

اي عشوا من البكاء (يكون) متباكين روى انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاهم فرح وقال مالكم يا بني واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستيق) اي متسابقين في العدو والرمي وقد يشترك الاعمال والتفاعل كالاتصال والتفاضل ونظائرهما (وتركنا يوسف عند متاعنا) اي ما نتعم به من الثياب والازواد وغيرهما (فاكله الذئب) عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفتد والتعهد وحيث لا يكاد يطرغ المتاع عادة \* ١٦٦ \* الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه

الآن ولامرت بالحضور واعلم ان سبب البشارة هو انهم وجدوا غلاما في غاية الحسن وقالوا ابيعه بن عظيم ويصير ذلك سببا للحصول الغني (والقول الثاني) وهو الذي ذكره السدي ان الذي نادى صاحبه وكان اسمه بشري فقال يا بشري كما تقول يا زيد وعن الاعمش انه قال دعا امرأة باسمها بشري يا بشري قال ابو علي الفارسي ان جعلنا البشري اسما للبشارة وهو الوجه جاز ان يكون في محل الرفع كما قيل يا رجل لا خصاصه بالنداء وجاز ان يكون في موضع النصب على تقدير انه جعل ذلك النداء شائعا في جنس البشري ولم يخص كما تقول يا رجلا وباحسرة على العباد \* واما قوله تعالى واسروه بضاعة ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) الضمير في واسروه الى من يعود فيه قولان (الاول) انه عائد الى الوارد واصحابه اخفوا من الرقعة انهم وجدوه في الجب وذلك لانهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب ان نقول ان اهل الماء جعلوه بضاعة هندا على ان يبيعه لهم بمصر (والثاني) نقل عن ابن عباس انه قال واسروه يعني اخوة يوسف اسروا شانه والمعنى انهم اخفوا كونه اخالهم بل قالوا انه عبد لنا ابق منا وتابهم على ذلك يوسف لانهم توعدوه بالقتل بلسان العبرانية والاول اولى لان قوله واسروه بضاعة يدل على ان المراد انهم اسروه حال ما حكموا بانه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لانه اخوة يوسف (المسئلة الثانية) البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت اللحم اذا قطعت قال الزجاج وبضاعة منصوبه على الحال كانه قال واسروه حال ما جعلوه بضاعة \* ثم قال تعالى والله عليم بما يعملون والمراد منه ان يوسف عليه السلام لما رأى الكواكب والشمس والقمر في النوم سجدت له وذكر ذلك حسده اخوته عليه واحتالوا في ابطال ذلك الامر عليه فأوقوه في البلاء الشديد حتى لا يتسر له ذلك المقصود وأنه تعالى جعل وقوعه في ذلك البلاء سببا الى وصوله الى مصر ثم تمادت وقائعه وتتابع الامر الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فكان العمل الذي عمله الاعداء في دفعه عن ذلك المظلوم صيره الله تعالى سببا للحصول ذلك المطلوب فلهذا المعنى قال والله عليم بما يعملون \* ثم قال تعالى وشروه بن نحش دراهم معدودة اما قوله وشروه ففيه قولان (الاول) المراد من الشراء هو البيع وعلى هذا التقدير في ذلك البائع قولان (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان اخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا طادوا بعد ثلاث يعرفون خبره فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا هذا عبدنا ابق منا فقالوا لهم فيبعوه منافعوهم منهم والمراد من قوله وشروه أي باعوه يقال شريت الشيء اذا بيعته وانما وجب حل هذا الشراء على البيع لان الضمير في قوله وشروه وفي قوله وكانوا فيه من الزاهدين عائد الى شيء واحد لكن الضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين عائد الى الاخوة فكذلك في قوله وشروه يجب ان يكون عائد الى الاخوة واذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حل هذا الشراء على البيع (والقول الثاني) ان بائع

السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لاسيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا اننا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في ما نمتناو مجعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتزاهى غايته وما فارقتاه الا ساعة بسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان (وما انت يؤمن لنا) بمصدق لنا في هذه المقالة الدال على هدم تقصيرنا في امره (ولو كنا) عندك وفي اعتقادك (صادقين) موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سي الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لوفي امثال هذه المواقع ابيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب او المنق على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجال بادخالها على

ابدها منه واشدها منافاة له ليطهر بثبوته واتفائه معه ثبوته واتفائه مع غيره من الاحوال بطريق \* يوسف \* الاولى بل ان الشيء متى تحقق مع المتناقى القوي فلا ن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله

في سورة البقرة عند قوله تعالى أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى أو لو كنا  
 كارهين (وجاؤا على قيصه) محله النصب على الظرفية من قوله (بدم) أي جاؤا فوق قيصه بدم كاتقول جاء على جاله  
 بأحاله أو على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفا (كذب) مصدر ووصف به الدم  
 مبالغة أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه ﴿١٦٧﴾ أو بمعنى ذى كذب أي ملابس لكذب وقرى كذبا على أنه

حال من الضمير أي جاؤا  
 كاذبين أو مفعول له  
 وقرأت عائشة رضي الله  
 عنها بغير المعجمة أي  
 كدر وقيل طرى قال ابن  
 جني أصله من الكذب  
 وهو الفوق البياض  
 الذي يخرج على اظفار  
 الاحداث كأنه دم قد  
 أثر في قيصه روى أنهم  
 ذبحوا سخلة ولطخوه  
 بدمها وزل عنهم أن  
 يرفوه فلما سمع يعقوب  
 بخبر يوسف عليها  
 السلام صاح بأعلى  
 صوته وقال أين القميص  
 فأخذه وألقاه علا وجهه  
 وبكى حتى خضب وجهه  
 بدم القميص وقال تالله  
 ما رأيت كاليوم ذنبا أحلم  
 من هذا أكل ابني ولم  
 يرق عليه قيصه وقيل  
 كان في قيص يوسف  
 عليه السلام ثلاث آيات  
 كان دليلا يعقوب على  
 كذبهم وألقاه على وجهه  
 فارتد بصيرا ودليلا على  
 براءة يوسف عليه السلام  
 حين قدم من دبر (قال)  
 استثناف مبني على سؤال

يوسف هم الذين استخرجوه من البر و قال محمد بن اسحق ر بك أعلم أخوته باعوه أم  
 السيارة وههنا قول آخر وهو أنه يحتمل أن يقال المراد من الشراء نفس الشراء والمعنى أن  
 القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين لانهم علموا بقرائن الحال أن اخوة يوسف كذابون  
 في قولهم انه عبدناور بما عرفوا أيضا أنه ولد لدية يعقوب فكرهوا و اشراه خوفا من الله تعالى  
 ومن ظهور تلك الواقعة الا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة لانهم اشتروه بمن قليل مع انهم  
 أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين و غرضهم أن يتوصلو بذلك الى تقليل الثمن  
 ويحتمل أيضا ان يقال ان الاخوة لما قالوا انه عبدناور بما عرفوا أيضا أنه ولد لدية يعقوب فكرهوا  
 مجاهد وكانوا يقولون استوثقوا منه لثلاثا ببق ثم اعلم أنه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات  
 ثلاث (الصفة الاولى) كونه بخس قال ابن عباس يريد حراما لان ثمن الحر حرام وقال كل  
 بخس في كتاب الله نقصان الا هذا فانه حرام قال الواحد سما الحرام بخسا لانه ناقص  
 البركة وقال قتادة بخس ظلم والظلم نقصان يقال ظلمه أي نقصه وقال عكرمة والشعبي قليل  
 وقيل ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا وقيل كانت الدراهم زيوفانا قصة العيار قال  
 الواحدى رحمه الله تعالى وعلى الاقوال كلها فالبخس مصدر و وضع موضع الاسم والمعنى  
 بمن مخسوس (الصفة الثانية) قوله دراهم معدودة قيل تعدد عددا ولا توزن لانهم كانوا  
 لا يزنون الا اذا بلغ أوقية وهي الاربعون وبعدون مادونها فقيل للقليل معدود لان  
 الكثيرة يمتنع من عددها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي  
 اثنين وعشرين درهما قالوا واوا الاخوة كانوا أحد عشر فكل واحد منهم أخذ درهمين الا  
 يهودا لم يأخذ شيئا (الصفة الثالثة) قوله وكانوا فيه من الزاهدين ومعنى الزهد قلة الرغبة  
 يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه وأصله القلة يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع  
 وفيه وجوه (احدها) أن اخوة يوسف باعوه لانهم كانوا فيه من الزاهدين (والثاني) أن  
 السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لانهم التقطوه والملتقط الشئ منها ون به لا يبالي  
 بأى شئ يبيعه او لانهم خافوا أن يظهر المستحق فيترعه من يدهم فلا جرم باعوه باوكس  
 الايمان (والثالث) ان الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين وقد سبق توجيه هذه الاقوال  
 فيما تقدم والضمير في قوله فيه يحتمل أن يكون عائدا الى يوسف عليه السلام ويحتمل أن  
 يكون عائدا الى الثمن البخس والله أعلم بقوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لأمه أنه

أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من  
 تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وفيه مسائل  
 (المسئلة الاولى) اعلم انه ثبت في الاخبار ان الذي اشتراه اما من الاخوة أو من الواردين  
 على الماء ذهب به الى مصر و باعه هناك وقيل ان الذي اشتراه قطفير أو اظفير وهو العزيز  
 الذي كان يلي خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن  
 بيوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام فلك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف الى

فكأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أم لا فقيل قال لم يكن ذلك (بل سوت لكم أنفسكم) أي زينت  
 وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شئ في النفس مع الطمع في اتمامه قال الأزهرى كان  
 التسويل تفعليل من سؤال الانسان وهو أمنيته التي يطلبها فترين اطالها الباطل وغيره وأصله مهموز

وقيل من السؤل وهو الاسترخاء (أمر) من الأمور منكر الأيوصف ولا يعرف (فصير نجيل) أي فأمرني صير نجيل أو فصير جليل أو أجل أو أمثل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي إلى الخلق والافتقار يعقوب عليه السلام إنما أشكوا بني وحرني إلى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بمصاوبة قفيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب أنشكوفني قال يارب ﴿ ١٦٨ ﴾ خطيئة فافخرها لي وقرأ أبي فصبراً جليلاً (والله

المستعان) أي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة (على ما تصفون) على اظهم احوال ما تصفون و بيان كونه كذبا و اظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وهو الا ليق بما سيحكي من قوله تعالى فصبر جليل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه بآياه تكديبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما أشير اليه (وجاءت) شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ من ذكر ما وقع بين اخوته وبين آبيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة إلى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل

الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أر بعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترة فعوف في ثمنه حتى بلغ ثمنه ما يساويه في الوزن من المسك والورق والحرير فاتباعه قطعير بذلك الثمن وقالوا اسم تلك المرأة زليخا وقيل راحيل \* واعلم ان شيئا من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ولم يثبت أيضا في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فالإيق بالعاقلة أن يحتزم من ذكرها (المسئلة الثانية) قوله كرمي مشوا أي منزله ومقامه عندك من قولك تويت بالمكان اذا أقت به ومصدره الثواء والمعنى اجعل منزله عندك كرميما حسنا مرضيا بليل قوله انه ربي أحسن مشواي وقال المحققون أمر العزيز أمر آته باكرام مشواه دون اكرام نفسه يدل على انه كان ينظر إليه على سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي ولما أمرها باكرام مشواه علل ذلك بان قال عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا أي يقوم باصلاح مهماتنا أو نتخذه ولدا لانه كان لا يولد له ولد وكان حصورا \* ثم قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بان عطفنا عليه قلب العزيز حتى توصل بذلك إلى أن صار متمكنا من الأمر والنهي في أرض مصر واعلم ان الكمالات الحقيقية ليست الا القدرة والعلم وانه سبحانه لما حاول اعلاما شأن يوسف ذكره بهذين الوصفين اما تكميله في صفة القدرة والمكنة فإليه الاشارة بقوله مكنا ليوسف في الارض واما تكميله في صفة العلم فإليه الاشارة بقوله وتعلمه من تأويل الاحاديث وقد تقدم تفسير هذه الكلمة \* واعلم اناد كرنا انه عليه السلام لما ألقى في الجب قال تعالى وأوحينا اليه لتبئتهم بأمرهم هذا وذلك يدل ظاهرا على انه تعالى أوحى اليه في ذلك الوقت وعندنا الارهاص جائز فلا يعبدان يقال ان ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت ما كان لاجل بعثته إلى الخلق بل لاجل تقوية قلبه وازالة الحزن عن صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام ثم انه تعالى قال ههنا وتعلمه من تأويل الاحاديث والمراد منه ارساله إلى الخلق بتبليغ التكليف ودعوة الخلق إلى الدين الحق ويحتمل أيضا أن يقال ان ذلك الوحي الاول كان لاجل الرسالة والنبوة ويحمل قوله وتعلمه من تأويل الاحاديث على انه تعالى أوحى اليه بزيادات ودرجات يصير بها كل يوم اعلم حالها كما كان قبله وقال ابن مسعود أشد الناس فراسة ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرآته كرمي مشواه عسى أن ينفعنا والمرآة لما رأت موسى فقالت يا أبت استاجره وأبو بكر حين استخلف عمر ثم قال تعالى \* والله غالب على أمره وفيه وجهان (الاول) غالب على أمر نفسه لانه فعال لما يريد لادافع لقضائه ولا مانع

إلى مكان يوسف وفي اشارة على المرور أو الاتيان أو نحوهما ايماء إلى كونه عليه السلام في الكرامة \* عن \* والزلق عند ملك مقتدر والظاهر أن الجب كان في أعم المشاء فان المتبادر من اسناد المجيء إلى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت (سيارة)

أى رفته تسير من جهة مدين الى مصر وقوه باعشار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلقه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن الا لرعاة فأخطوا الطريق فزوا قريبيامته وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين أتى فيه عليه السلام (فارسا واوردهم) الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخراعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى الجي أعني الجب للايدان ﴿ ١٦٩ ﴾ بأن ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا

(فأدلى دلوه) أى أرسلها الى الجب والحذف لما عرفته فندلى بها يوسف فخرج (قال) استئناف مبنى على سؤال يقتضيه الحال (يا بشرى هذا غلام) كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أوئك حيث فاز بجمعة باردة وأى نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللغظين وقرأ يا بشرى بالادغام وهى لغة وبشرى على قصد الوقف (وأسروه) أى أخفاه الوارد وأصحابه عن بنية الرقعة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لئيبه لهم عصر وقيل الضمير لآخوة يوسف وذلك أن يه وذا كان يأتي

عن حكمه فى أرضه وسماه (والثانى) والله غالب على أمر يوسف يعنى ان انتظام أموره كان الهيا وما كان بسعيه واخوته ارادوا به كل سوء ومكره والله اراد به الخير فكان كما اراد الله تعالى ودبر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله واعلم ان من تأمل فى احوال الدنيا ومجائب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله غالب \* قوله تعالى (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) وجه النظم أن يقال بين تعالى ان اخوته لما أساؤا اليه ثم انه صبر على تلك الشدائد والمحن مكنه الله تعالى فى الارض ثم لما بلغ أشده آتاه الله الحكم والعلم والمقصود بيان ان جميع ما فاز به من النعم كان كالجزء على صبره على تلك المحن ومن الناس من قال ان النبوة جزاء على الاعمال الحسنة ومنهم من قال ان من اجتهد وصبر على بلاء الله تعالى وشكر نعماء الله تعالى وجد من نصب الرسالة واحببوا على صحة قولهم به تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك المحن ذكر انه اعطاه النبوة والرسالة ثم قال وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على ان كل من أتى بالطاعات الحسنة التى أى بها يوسف فان الله يعطيه تلك المناصب وهذا به يلائق العلماء على ان النبوة غير مكتسبة واعلم ان من الناس من قال ان يوسف ما كان رسولا ولا نبيا التة وانما كان عبدا أطاع الله تعالى فأحسن الله اليه وهذا القول باطل بالاجماع وقال الحسن انه كان نبيا من الوقت الذى قال الله تعالى فى حقه وأوحينا اليه لتبئنه بأمرهم هذا وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من هذا الوقت أعنى قوله ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ومنهم من قال انه كان رسول من الوقت الذى أتى فى غيابة الجب (المسئلة الثانية) قال أبو عبيدة تقول العرب بلغ فلان أشده اذا انتهى متها فى شبابه وقوته قبل أن يأخذ فى نقصان وهذا اللفظ يستعمل فى الواحد والجمع يقال بلغ أشده وبلغوا أشدهم وقد ذكرنا تفسير الاشد فى سورة الانعام عند قوله حتى يبلغ أشده وأما التفسير فروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة وأقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية وذلك لان الاطباء قالوا ان الانسان يحدث فى أول الامر ويترأى بكل يوم شيئا فشيئا الى أن ينتهى الى غاية الكمال ثم يأخذ فى التراجع والانتقاص الى أن لا يبقى منه شئ فكانت حاله شبيهة بحال القمر فانه يظهره لاضعيفا ثم لا يزال يزداد الى ان يصير بدرا تاما ثم يتراجع الى أن ينتهى الى العدم والمحاق اذا عرفت هذا فنقول مدة دور القمر ثمانية وعشرون يوما وكسرها فاجعلت هذه الدورة أربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة ايام فلا جرم رتبوا احوال الابد ان على الاسابيع فالانسان اذا ولد كان ضعيف الخلقه نحيف التركيب الى أن يتم له سبع سنين ثم اذا دخل فى السبعة الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة ثم لا يزال فى الترقى الى أن يتم له أربع عشرة سنة فاذا دخل فى السنة الخامسة عشرة دخل فى الاسبوع الثالث وهناك يكمل العقل ويبلغ الى حد التكليف

كل يوم بطعام فأتاه يومئذ فلم يجد فيه ﴿ ٢٢ ﴾ خا فأخبر اخوته فاتوا الرقعة وقالوا هذا غلامنا أبى منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد (بضاعة) نصب على الحالية أى أخفوا حال كونه بضاعة أى مناصا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه أى قطعت للتجارة (والله عليم بما يعملون) وصبراهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للإبتدال

بالبسج والشراوم ما دبر وافى ذلك من الحيل ( وشروه ) أى باعوه والضمير للوارد وأصحابه (بثن بخس) زيف ناقص العيار (دراهم) بدل من ثمن أى لادناتير (معدودة) أى غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدار ابعديان نقصانه في نفسه اذا المتعاد فيما يبلغ أو بعين العدون الوزن فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت عشرين درهما وعن السدى رضى الله عنه أنها كانت اثنين وعشرين درهما (وكانوا) أى البائعون ﴿ ١٧٠ ﴾ (فيه) في يوسف (من الزاهدين) من الذين لا يرغبون

وتحرك فيه الشهوة ثم لا يزال يرتقى على هذه الحالة الى أن يتم السنة الحادية والعشرين وهناك يتم الاسبوع الثالث ويدخل في السنة الثانية والعشرين وهذا الاسبوع آخر أسابيع النشو والنماء فإذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشو والنماء وينقل الانسان منه الى زمان الوقوف وهو الزمان الذي يبلغ الانسان فيه أشده وتتمام هذا الاسبوع الخامس يحصل الانسان خمسة وثلاثون سنة ثم ان هذه المراتب مختلفة في الزيادة والنقصان فهذا الاسبوع الخامس الذي هو اسبوع الشدة والكمال يتدأ من السنة التاسعة والعشرين الى الثالثة والثلاثين وقد تمتد الى الخامسة والثلاثين فهذا هو الطريق المعقول في هذا الباب والله أعلم بحقائق الاشياء (المسئلة الثالثة) في تفسير الحكم والعلم وفيه أقوال (الاول) ان الحكم والحكمة أصلهما حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشتهي فالمراد من الحكم العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لان أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية وأما أصحاب الافكار العقلية والافطار الروحية فانهم يصلون الى الحكمة النظرية أولاً ثم يترقون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الاول لانه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات فلماذا السبب قال آتينا حكما وعلما (القول الثاني) الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين (والقول الثالث) يحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعينة عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس وتحقق القول في هذا الباب ان جوهر النفس الناطقة خلقت قابلة للمعارف الكلية والانوار العقلية الا أنه قد ثبت عندنا بحسب البراهين العقلية وبحسب المكاشفات العلوية ان جواهر الارواح البشرية مختلفة بالمجاهات فتهاذكية وبليدة ومنها حرة ونذلة ومنها شريفة وخسيسة ومنها عظيمة الميل الى عالم الروحانيات وعظيمة الرغبة في الجسمانيات فهذه الاقسام كثيرة وكل واحد من هذه المقامات قابل للاشد والاضعف والاكمل والانقص فاذا اتفق ان كان جوهر النفس الناطقة جوهر اشرفا شريفا شديدا الاستعداد لقبول الاضواء العقلية واللوائح الالهية فهذه النفس في حال الصغر لا يظهر منها هذه الاحوال لان النفس الناطقة انما تقوى على أفعالها بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وهذه الآلات في حال الصغر تكون الرطوبات مستوية عليها فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة القريرية على البدن فضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الآلات البدنية صالحة لان تستعملها النفس الانسانية واذا كانت النفس في أصل جوهرها شريفة فعند كمال الآلات البدنية تكمل معارفها وتقوى أنوارها ويعظم

فيما يديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن الخس وسبب ذلك أنهم لم يقطعوا والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فبيعه من أول مساوم بأوكس ثمن ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى وهم غير راضين في شراة خشية ذهاب مالهم لما طن في أذانهم من الأباقي والعدول عن صيغة الأفعال المنبثة عن الاتخاذ لما مر من أن أخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتهاد والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كأنه قيل في أى شى زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطيفر أو اطفيرو بيان كونه

من مصر لثرية ما يتفرع عليه من الامور مع الإشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن ﴿ لمعان ﴾ الخس وكان لذلك يوسف بن الوليد العملي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به فلكل بعده قابوس بن مصعب فدناها الى الإسلام ما بي وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عليه السلام فاشأر بعجائبة



سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العيز فقبل بعشر بن ديناراً وزوجي نعل وتو بين أبيضين وقيل أدخلوه في السوق بعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً ووزنه ورقاً ووزنه حراً فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذلك سبع عشرة ﴿ ١٧١ ﴾ سنة وأقام في منزله مع مامر عليه من مدة لبثه في السجن

ثلاث عشرة سنة  
 واستوزره الربان وهو ابن  
 ثلاثين سنة وآناه الله أعلم  
 والحكمة وهو ابن ثلاث  
 وثلاثين سنة وتوفي وهو  
 ابن مائة وعشرين سنة  
 (لامرأته) راعيل  
 أو زليخا وقيل اسمها  
 هو الاول والثاني لقبها  
 واللام متعلقة بقال  
 لا يشتراه (أكرمي مثواه)  
 اجعلي محل اخاتمه كريماً  
 مرضيا والمعنى أحسن  
 تعهده (عسى أن ينفعنا)  
 في ضياعنا وأموالنا  
 ونستظهر به في مصالحنا  
 (أو نتخذها ولداً) أي  
 نبنسها وكان ذلك  
 لما نفرس فيه من محابيل  
 الرشد والتجارية ولذلك  
 قيل أفرس الناس ثلاثة  
 عز يز مصر وابنة شعيب  
 التي قالت يا بئس استأجره  
 وأبو بكر حين استخلف  
 عمر رضي الله عنهما  
 (وكذلك) نصب على  
 المصدرية وذلك إشارة  
 الى ما يفهم من كلام  
 العيز وما فيه من معنى  
 البعد لتفخيمه أي مثل

لعان الاضواء فيها فقوله ولما بلغ أشده إشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناها حكماً وعلماً إشارة الى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية والله أعلم \* قوله تعالى (ورأودته التي هو في بيتها من نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) اعلم ان يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال والحسن فلما رأى المرأة طمعت فيه ويقال أيضاً ان زوجها كان عاجزاً يقال راود فلان جاريتة عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل واحد منهما الوطء والجماع وغلقت الابواب والسبب ان ذلك العمل لا يؤدي به الا في المواضع المستورة لاسيما اذا كان حراماً ومع قيام الخوف الشديد وقوله وغلقت الابواب أي أغلقتها قال الواحدى وأصل هذا من قولهم في كل شيء تثبت في شيء فلزمه قد غلق يقال غلق في الباطل وغلق في غضبه ومنه غلق الرهن ثم بعدى بالانف فيقال أخلق الباب اذا جعله بحيث يعسر فتحه قال المفسرون وانما جاء غلقت على التكثير لانها غلقت سبعة ابواب ثم دعت الى نفسها ثم قال تعالى وقالت هيت لك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويد اوصده ومد ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة وقال الاخفش هيت لك مفتوحة الهاء والتاء ويجوز أيضاً كسر التاء ورفعها قال الواحدى قال أبو الفضل المنذرى أفادني ابن التبريزي عن أبي زيد قال هيت لك بالمعربة هيا لحي أي تعالى عز به القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى بكة فتكلموا بها قال ابن الانباري وهذا وفاقي بين لغة قريش وأهل حوران كما انفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في القساق ولغة العرب والحبيشة في ناشئة الليل (المسئلة الثانية) قرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وقح التاء وقرأ ابن كثير هيتك مثل حيث وقرأ هشام بن عمار عن أبي عامر هيتك بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء مثل جئت من تهيأت لك والباقون يفتح الهاء واسكان الياء وقح التاء ثم انه تعالى قال ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف عليه السلام معاذ الله انه ربي أحسن مثواي فقوله معاذ الله أي أعوذ بالله معاذوا الضمير في قوله انه للشان والحديث ربي أحسن مثواي أي ربي وسيدى ومالكي أحسن مثواي حين قال لك أكرمي مثواه فلا يليق بالعقل أن اجازيه على ذلك الاحسان بهذه الخيانة القبيحة انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الاحسان بالاساءة وقيل أراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم أولان عملهم يقتضي وضع الشيء في غيره موضعه وهنا سوالات (السؤال الاول) ان يوسف عليه السلام كان حراً وما كان عبداً لاحد فقوله انه ربي يكون كذبا وذلك ذنب وكبيرة (الجواب) انه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبداً وايضا انه ربه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربه كونه مربياله وهذا من باب المعارض الحسنه فان أهل الظاهر يحملونه على

ذلك التمكين القديم (مكننا يوسف في الارض) اي جعلنا له فيها مكاناً يقال مكنه فيه أي أثبتته فيه ومكن له فيه أي جعل له فيه مكاناً ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض نالهم ثمكناهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كزينا في منزل العيز أو مكننا علياً في قلبه حتى

أمر امرأته دُونَ سائر حواشيه باكرام مثواه جعلناه مكانة رفيعة في أرض مصر ولعله عبارة عن جملة وجبها بين أهلها ومحبيها في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لأنه الذي يؤدى إلى الفساية المذكورة في قوله تعالى ( ولعلهم من تأويل الاحاديث ) أى توفقه لتعريف بعض الثامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبى السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمنى ربى سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدره ينساق اليها ﴿ ١٧٢ ﴾ الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل

كونه رب له وهو كان يعنى به انه كان مرييا له ومنعما عليه ( السؤال الثانى ) هل يدل قول يوسف عليه السلام معاذ الله على صحة مذهبه فى القضاء والقدر (الجواب) انه يدل عليه دلالة ظاهرة لان قوله عليه السلام أعوذ بالله معاذ اطلب من الله أن يعيده من ذلك العمل وتلك الاعادة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل والآلة وازاحة الاعذار وازالة الموانع وفعل الاطاف لان كل ما كان فى مقدور الله تعالى من هذا الباب فقد فعله فيكون ذلك اما طلبا لتحصيل الحاصل أو طلبا لتحصيل الممتنع وانه محال فعلنا ان تلك الاعادة التي طلبها يوسف من الله تعالى لامعنى لها الا ان يخلق فيه داعية جازمة فى جانب الطاعة وأن يزيل عن قلبه داعية العصية وذلك هو المطلوب والدليل على ان المراد ما ذكرناه ما نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع بصره على زينب قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وكان المراد منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية العصية فكنا ههنا وكذا قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فالمراد من الاصبعين داعية الفعل وداعية التلك وهاتان الداعيتان لا يحصلان الا بخلق الله تعالى والا لا تفترت الى داعية أخرى ولزم التسلسل فثبت ان قول يوسف عليه السلام معاذ الله من أدل الدلائل على قولنا والله أعلم ( السؤال الثالث ) ذكر يوسف عليه السلام فى الجواب عن كلامها ثلاثة أشياء ( أحدها ) قوله معاذ الله ( والثانى ) قوله تعالى عنه انه ربى أحسن مثواى ( والثالث ) قوله انه لا يفلح الظالمون فوجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض (الجواب) هذا الترتيب فى غاية الحسن وذلك لان الانتقياد لامر الله تعالى ونكليفه أهم الاشياء لكثرة انعامه وأطافه فى حق العبد فقوله معاذ الله اشارة الى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية فلما كان هذا الرجل قد أنعم فى حق يقم مقابلة انعامه واحسانه بالاساءة وأيضا صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة لذة قليلة وتبعها خرى فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة واللذة القليلة اذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضى تركها والاحتراز عنها فقوله انه لا يفلح الظالمون اشارة اليه فثبت ان هذه الجوابات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب \* قوله تعالى ( ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ) اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها وفى هذه الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) فى انه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا وفى هذه المسئلة قولان ( الاول ) ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشة قال الواحدى فى كتاب البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم هم يوسف أيضا بهذه المرأة هما صحبها وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه قال جعفر الصادق رضى الله عنه باسناده عن على رضى الله تعالى انه قال طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيها انه هم أن يحل التكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حل الهيمان

ومثل ذلك التمكن مكننا يوسف فى الارض وجعلنا قلب أهلها كافة محال محبة ليعترب عليه ما تر تب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولتعاله بعض تأويل الاجاديت وهو تأويل الروايات المذكورة فيؤدى ذلك الى الرياضة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه محررا بالذات أو جعلناه علة لعل محذوف كأنه قيل واهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكن دون غيرها مما ليس له طاقه جيدة هذا ولا يخفى عليك أن الذى عليه تدرو هذه الامور انما هو التمكن فى جانب العزيز وأما التمكن فى جانب الناس كافة فتأديسه الى ذلك انما همى باعتبار اشتماله على ذلك التمكن فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكننا يوسف على أن يكون هو عبارة عن التمكن فى قلب العزيز

أو فى منزله وكون ذلك تمكينا فى الارض بما لبسته أنه عز يز فيها الاعن تمكين آخر يشبهه به كما مر \* وجلس \* فى قوله تعالى وكذلك جعلنا كم أمة وسطا من أن ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لالى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجمل به فالكاف معمم للدلالة على فحامة شان المشار اليه اقماما لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قواهم مثلك لا يبخل وهكيدا بنفى أن يحقق المقام وأما

التكفين بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالأمر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجها المنفرة عليه كما عرفته لامن مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غايته ولم يهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب النماات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها ههدا محسنا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في أمر السنين فانما هو عمل بموجب الروايات السابقة ﴿ ١٧٣ ﴾ العهوده اللهم الآن يراد بتعليم تأويل

الاحاديث ماسبق من تفهيم غوامض أسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ يمكننا له في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولتعلمه معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضى بها فيما بين أهلها والتعليم الاجالى لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متأخر عن تمكنه بذلك المعنى الآن تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من التوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غايته ( والله غالب على أمره ) لا يستعصى عليه أمر ولا يمانعه شيء بل انما أمره لشيء اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤنه المتعلقة بيوسف دخولا أوليا أو متوليا على أمر يوسف لا يكله الى

وجلس منها مجلس الخائن وعنه أيضا انها استقلتله وجلس بين رجاها يترزع ثيابها ثم ان الواحدى طول في كلات عديدة القائدة في هذا الباب وما ذكر آية يحجج بها ولا حديثا صحيحا يعول عليه في تصحيح هذه المقالة وما أمعن النظر في تلك الكلمات العارضة من القائدة روى ان يوسف عليه السلام لما قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرى نفسى ثم قال والذين أنبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الانبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا عنهم فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب ( والقول الثانى ) ان يوسف عليه السلام كان بريئا عن العمل الباطل والله المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين و به نقول وعنه نذب واعلم ان الدلائل الدالة على وجوب عصمة الانبياء عليهم السلام كثيرة ولقد استقصيناها في سورة البقرة في قصة آدم عليه السلام فلا نعيدها الا نزيد ههنا وجوها ( فالجدة الاولى ) ان الزنا من منكرات الكبار والخيانة في معرض الامانة أيضا من منكرات الذنوب وأيضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب وأيضا العصى اذا تربي في حجر انسان وبقى مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه الى زمان شبابه وكما قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال أقمح أنواع الاساءة الى ذلك المنعم العظيم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع ومثل هذه المعصية لو نسبت الى أفسق خلق الله تعالى وأبدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز اسنادها الى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه تعالى قال في غير هذه الواقعة كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ولا شك ان المعصية التي نسبوها اليه أعظم أنواع السوء وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع انه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء وأيضا فالآية تدل على قولنا من وجه آخر وذلك لاننا نقول هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تفيد المدح العظيم واثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن انسان اقدامه على معصية عظيمة ثم انه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والاثنية عقيب ان حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض حبيده أقمح الذنوب وأفحش الاعمال ثم انه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا والله أعلم ( الثالث ) ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استغفروا ذلك واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والتواضع ولو كان يوسف عليه السلام أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى

غيره وقد أرى يديه من الفتنة ما أرى يدمرة غيب مرة فلم يكن الاماراد الله له من العاقبة الحميدة ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أن الامر كذلك فيأتون و يذرون زعما منهم أن لهم من الامر شيئا وأنى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل أولايعلمون لطائف صنمه وخفايا فضله ( ولما بلغ أشده ) أى منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل بين الشباب ومبدأ بلوغ الحلم والاول هو الاظهر

لقوله تعالى (آتيناهم حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس وقفها اونيوة (وعلم) اي تفهها في الدين وتكبرهما للتفخيم أي حكما وعلما لا يكتفه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل آيتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء العجيب \* ١٧٤ \* (نجزى المحسنين) أي كل من يحسن في عمله

فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جعلتها مماناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولاصحته الا أن يخص بعلم تاويل روي الملك فان ذلك حيث كان عند تنهاى أيام البلاء صح أن يعد آيتاؤه من جملة الجزاء وأما روي صاحبى السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بطيبة الاحسان له وتنبية على أنه سبحانه آتاه ما آتاه لكونه محسنا في أعماله متقيا في عنفوان أمره هل جزاء الاحسان الا الاحسان (ورادته التي هو في بيتها) رجوع الى شرح ماجرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته باكرام مشواه وقوله تعالى وكذلك مكن يوسف الى هنا اعتراض بجي به أنموذجا للقصة ليعلم السامع

بالتو بقول الحكيم الله تعالى عنه آتيانه بها كافي سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية (الرابع) ان كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والسوء والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب وابليس أقر أيضا ببراءته عن المعصية واذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للسوء ولقد راودتني عن نفسي فاستعصم وأيضاً قالت الآن ححص الحق أنا راودتني عن نفسي وانه لمن الصادقين وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله انه من كيدك ان كيدك عن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك وأما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان فيصده قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات (أولها) قوله لنصرف عنه السوء واللام للتأكيد والمبالغة (والثاني) قوله والفحشاء أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (والثالث) قوله انه من عبادنا مع انه تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ( والرابع) قوله المخلصين وفيه قراءة تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول فووروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقرابات مع صفة الاخلاص وووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرتة وعلى كلا الوجهين فانه من أدل الالفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وأما بيان ان ابليس أقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لا اغو بينهم أجمعين الاعداء منهم المخلصين فاقربانه لا يمكنه اغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين فكان هذا اقرارا من ابليس بانه ما اغواه وما أضله عن طريق الهدى وعند هذا نقول هو لاء الجاهل الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته ولعلمهم بقاوان كفا في أول الامر تلامذة ابليس الى أن نخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت امرأ من جند ابليس فارتقي \* بي الدهر حتى صار ابليس من جندي

فلومات قبلي كنت أحسن بعده \* طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بري عما يقول هو لاء الجاهل واذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين (المقام الاول) أن نقول لانسلم أن

من أول الامر أن ماقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكي بتفاصيلها غاية جيلة وعاقبة \* يوسف \* جيدة وأنه عليه السلام محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يجمل بزهته ولا يحق أن مدار حسن التلخص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكن البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانباء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك

مكنا كما فعله الجمهورناه من التريب فتأمل والمرادة المطالبة من راديروداذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد  
اطالب الما والكللا وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومحاولة المديون ومداواة الطبيب ونظائرهما بما يكون  
من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت  
أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها **﴿ ١٧٥ ﴾** صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبنى

على اعتبار دقيق تحقيقه  
أن سبب الشيء يقام مقامه  
ويطلق عليه اسمه  
كافي قولهم كما تدن يدان  
أي كما تجرى مجرى فان فعل  
البادي وان لم يكن جزاء  
لكنه لكونه سببا للجزاء  
أطلق عليه اسمه وكذلك  
ارادة القيام الى الصلاة  
وارادة قراءة القرآن حيث  
كانت سببا للقيام والقراءة  
غير عنهما جها فقيل  
اذ اقم الى الصلاة فاذا  
قرأت القرآن وهذه قاعدة  
مطردة مستمرة ولما كانت  
أسباب الافعال المذكورة  
فيما نحن فيه صادرة  
عن الجانب المقابل  
لجانب فاعلم فان مطالبة  
الدائن للمحاولة التي  
هي من جانب الغريم  
وهي منه للمطالبة التي  
هي من جانب الدائن  
وكذا مداواة الطبيب  
للمرض الذي هو من جانب  
المريض وكذلك مرادتها  
فيما نحن فيه لجمال يوسف  
عليه السلام نزل صدورهما  
عن محالها بمنزلة صدور  
مسيباتها التي هي تلك

يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه  
وجواب لولاها هم مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن  
الزجاج في هذا الجواب من وجهين (الاول) أن تقديم جواب لولا شاذ وغير موجود في  
الكلام الفصيح (الثاني) ان لولا يجب جوابها باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال  
ولقد همت ولهم بها لولا وذكر غير الزجاج سؤالا ثالثا وهو انه لو لم يوجد لهم لما كان لقوله  
لولا ان رأى برهان ربه فائدة واعلم ان ما ذكره الزجاج بعيد لاناسم أن تأخير جواب لولا  
حسن جائز الا ان جوازه لا ينم من جواز تقديم هذا الجواب وكيف ونقل عن سيبويه  
انه قال انهم يقدمون الهم فالهم والذي هم بشانه أعنى فكان الامر في جواز التقديم  
والتأخير مر بوطا بشدة الاهتمام وأما تعيين بعض الالفاظ بالنوع فذلك مما يليق بالحكمة  
وأيضاً ذكر جواب لولا باللام جائز أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز ثم انما ذكر  
آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى ان كادت لتبدي  
به لولا أن ربنا على قلبها (وأما السؤال الثالث) وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا  
ان رأى برهان ربه فائدة فنقول بل فيه أعظم القوائد وهو بيان ان ترك الهم بها ما كان  
لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته هليهن بل لاجل أن دلائل دين الله منعه عن ذلك  
العمل ثم نقول ان الذي يدل على أن جواب لولا ما ذكرناه ان لولا تستدعي جوابا وهذا  
المذكور يصلح جوابا له فوجب الحكم بكونه جوابا له لا يقال اننا نضمر له جوابا وترك  
الجواب كثير في القرآن لانا نقول لانزاع أنه كثير في القرآن الا أن الاصل أن لا يكون  
محدوفاً وأيضاً فالجواب انما يحسن تركه وحذفه اذا حصل في اللفظ ما يدل على تعيينه  
وهنا يتقدر أن يكون الجواب محدوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعيين ذلك الجواب فان  
ههنا أنواعاً من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها أول من  
اضمار الباقي فظهر الفرق والله أعلم (المقام الثاني) في الكلام على هذه الآية أن نقول  
سلباً أن الهم قد حصل الا أن نقول ان قوله وهم بها لا يمكن حله على ظاهره لان تعليق الهم  
بذات المرأة محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية فثبت أنه  
لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكوفهم زعموا  
أن ذلك المضمر هو اي قاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيئاً آخر بغير ما ذكره وبيانه من وجوه  
(الاول) المراد انه عليه السلام هم يدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لان الهم هو  
القصد فوجب ان يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به فاللائق بالمرأة القصد الى  
تحصيل اللذة والتتم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى زجر العاصي  
عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقال هممت بفلان أي بضره به ودفعه  
فان قالوا فعلى هذا التقدير لا يبق لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلنا بل فيه أعظم  
القوائد وبيانه من وجهين (الاول) انه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لوهم بدفعها

الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان أسند الفعل الى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل  
ويجوز أن يراد بصيغة الغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك  
ويجوز ان يكون من الرويد وهو الفرق والحمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالعني خادعته (عن نفسه)  
أي فعلت ما يفعل

المخادغ لصاحبه عن تنبي لاير يد اخراجه من يده وهو يخال ان ياخذ منه وهي عبارة عن التحمل في موافقة اباها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على السر أو للاستهجان بذكره وابراد الموصول لتقرير المرادة فان كونه في يديها مما يدعو الى ذلك فيل لواحد ما حالك ما أنت عليه مما لاخير فيد قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال زاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام ١٧٦ \* مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه

تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والزاهة (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة ولدلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للبساعة في الايثاق والاحكام (وقالت هيت لك) قري بفتح الهاء وكسرهما مع فتح التاء وبنوؤه كبناء أين وعيط وهيت كبير وهيت كيث اسم فعل معناه أقبل وبادرو الام للبيان أي لك أقول هذا كما في هيت لك وفري هيت لك على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهي كجاء يهي اذا تهيأ وهيت لك واللام صلة للفعل (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذاً ما تدعيني اليه وهذا الاجتناب منه على أتم الوجوه و اشاره الى التعليل بأنه منكرها بل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهد به بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو

لقلته أو لكانت بأمر الحاضرين بقله فاعلم الله تعالى ان الامتناع من ضرر بها أولى صونا للنفس عن الهلاك (والثاني) انه عليه السلام لو اشغل بدفعها عن نفسه فر بما تعلمت به فكان يتمق ثوبه من قدام وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمق من قدام لكان يوسف هو الخائن ولو كان ثوبه مرقان خلف لكانت المرأة هي الخائنة فانه تعالى أعلم بهذا المعنى فلا جرم لم يشغل بدفعها عن نفسه بل ولي هار ما عنها حتى سارت شهادة الشاهد حجة له على راعته عن المعصية (الوجه الثاني) في الجواب أن يفسر الهم بالشهوة وهذا مستعمل في المفاذ الشائعة يقول القائل فبالاستهبة ما يهمني هذا وفيما يشتهيه هذا أهم الاشياء الى فسمى الله تعالى شهوة يوسف عليه السلام هما بمعنى الآية وقد اشتهته وانتهاهما والاول أن رأى برهان ربه فندخل ذلك العمل في الوجود (الثالث) أن يفسر الهم بحدث النفس وذلك لان المرأة العائقة في الحسن والجمال اذا تزيت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل محاذبات ومازعات فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة فالهم عبارة عن جواف الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية ومثال ذلك أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف اذا رأى الجلاب المبرد بالسبح فال طبيعة تحمله على شربه الا أن دينه وهداه يمنعه منه فهذا لا بدل على حصول الذنب بل كلما كانت هذه الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل فتدظهر بحمد الله تعالى صحة هذا القول الذي ذهب اليه ولم يبق في يد الواحدى الابجد التصلف وتعدد أسماء المفسرين واو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لاجبنا عنها الا أنه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما كذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات فقلت الاولى أن لا تقبل مثل هذه الاحبار فقال على طريق الاستكار فان لم تقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له يا مسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام وان رددنا لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك أن صون ابراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب اذا عرفت هذا الاصل فتقول للواحدى ومن الذى يضمن لنا ان الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين والله أعلم (المسئلة الثانية) في ان المراد بذلك البرهان ما هو ما المحققون المبينون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه (الاول) أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب (والثاني) أن الله تعالى طهر نفوس الانبياء عليهم السلام عن الاخلاق الدنية بل نقول انه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فالمراد بروية البرهان هو حصول تلك الاخلاق وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الافدام على

عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل (انه ربى أحسن مثواى) \* المنكرات \*

تعليل الامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعيا لها الى اعتباره التنبية على سببه الدائق الذى لا تكاد تقبله لمسولته لها نفسها والضمير للسأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغيبة عن ذكره وفائدة يصدير الجملة به الايدان بفحامة مضمونها مع مافيه من زيادة

تفريزة في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الاشان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يفتنه لا يمكن  
عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي اى احسن  
تهدى حيث امرك باكرامى فكيف يمكن أن أسيء اليه بالخطيئة في حرمة وفيه ارشادها الى رعاية حق العزيز  
بالطرف وجه وقيل الضمير لله عز وجل ور بي خبران ﴿ ١٧٧ ﴾ وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والاول بدل

من الضمير والمعنى ان  
الحال هكذا فكيف  
أعصيه بارتكاب تلك  
الفاحشة الكبيرة وفيه  
تحذير لها من عقاب الله  
عز وجل وعلى التقديرين  
ففي الاقتصار على  
ذكر هذه الحالة من  
غير تعرض لاقتضاها  
الامتناع عمادته اليه  
ايدان بأن هذه المرتبة  
من البيان كافية في  
الدلالة على استحاثه  
وكونه مما لا يدخل تحت  
الوقوع أصلاً وقوله  
تعالى ( انه لا يبلغ  
الظالمون ) تعليل للامتناع  
المذكور رغب تعليل  
والفلاح الظفر وقبل  
البقاء في الخير ومعنى  
أفلح دخل فيه كما صح  
وأخواته والمراد بالظالمين  
كل من ظلم كأنما من كان  
يبدخل في ذلك المجازون  
للا حسان بالاساءة  
والعصاة لامر الله تعالى  
دخولاً وألبوا وقيل الزناة  
لانهم ظللون لانفسهم  
ولم يزنى بأهله ( ولقد  
هت به ) بمخالطته

المتكرات ( والثالث ) أنه رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة  
وساء سيلاً ( والرابع ) انه النبوة المسانعة من ارتكاب الفواحش والدليل عليه أن  
الانبياء عليهم السلام يمشون الخلق عن القبائح والغضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها  
ثم أقدموا على أفحج أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى يا أيها الذين  
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتدا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وأيضاً ان الله  
تعالى عبر اليهود بقوله أنأمرون الناس بالبر ونسون أنفسكم وما يكون عيباً  
في حق اليهود كيف ينسب الى الرسول المؤيد بالمجرات \* وأما الذين نسبوا المعصية  
الى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أموراً ( الاول ) قالوا ان المرأة  
قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف لم فعلت  
ذلك قالت أستحي من الهى هذا أن يراني على معصية فقال يوسف أنتسحين من صنم  
لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من الهى القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا أفضل ذلك  
أبداً قالوا فهذا هو البرهان ( الثاني ) نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمثل له يعقوب  
فرآه عاضاً على أصابعه ويقول له أتعمل عمل النجسار وأنت مكتوب في زمرة الانبياء  
فأستحي منه قال وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك  
ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبيرة تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته  
من أنامله ( والثالث ) قالوا انه سمع في الهواء قائلاً يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير  
يكون له ريش فاذا زنا ذهب ريشه ( والرابع ) نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن  
يوسف عليه السلام لم يترجر بروية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق  
فيه شيء من الشهوة الاخرج ولما نقل الواحدى هذه الروايات تصلف وقال هذا الذي  
ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عن شاهد التنزيل فيقال له انك لا تأتينا  
البتة الا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين هذا من الحجج والدليل وأيضا فان ترادف  
الدلائل على الشيء الواحد جازوا انه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب  
الدلائل الاصلية فلما انضاف اليها هذه الزواجر قوى الانزجار وكل الاحتراز والعجب  
أنهم نقلوا ان جروداً دخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقى هناك بغير علمه قالوا فامتنع  
جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوماً وهما زعموا أن يوسف عليه السلام  
حال اشتغاله بالفاحشة ذهب اليه جبريل عليه السلام والعجب أيضاً أنهم زعموا أنه  
لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم  
كان مشتغلاً بفاحشة فاذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استجابته وفرور لذلك  
العمل وهما انه رأى يعقوب عليه السلام عرض على أنامله فلم يلتفت اليه ثم ان جبريل  
عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضاً عن ذلك التقيح بسبب حضوره حتى  
احتاج جبريل عليه السلام الى أن يركضه على ظهره فغسأ الله أن بصوتنا عن النبي

اذ لهم لا يتعلق بالاعين اى ﴿ ٢٣ ﴾ ما قصدتها وعزمت عليها حرماً جازماً لا يلو بها عنه صارف بعدما  
باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من الراودة وتطبيق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك  
ولها تصدت هنالك لافعال أخر من بسط يديها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى  
الهرب نحو الباب والتأكيديهم ما عسى يتوهم من

احتمال أقلاهما عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر (وهم بها) بمخالطتها أي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصدها قصد الاختيار بالآري إلى ما سبق من استعصامه النبي عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا لتسهيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما ﴿ ١٧٨ ﴾ وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها

في الذكر بطريق المشاكلة  
 لا يشبهه به كما قيل ولقد  
 أشار الى تباينهما حيث  
 لم يلز في قرن وللمحد من  
 التعبير بأن قيل ولقد هما  
 بالمخالطة أو هم كل  
 منهما بالآخر وصدر  
 الاول بما يقرر وجوده  
 من التوكيد التسمي  
 وعقب الثاني بما يغفر  
 أثره من قوله عز وجل  
 (لولا أن رأى برهان ربه)  
 أي حجه الباهرة الدالة  
 على كمال قبح الزنا وسوء  
 سبيله والمراد برؤيته  
 لها كمال إيقانه بها  
 ومشاهدته لها  
 مشاهدة واصله الى  
 مرتبة عين اليقين الذي  
 تتجلى هناك حقائق  
 الاشياء بصورها  
 الحقيقية وتتخلع عن  
 صورها المستعارة التي  
 بها تظهر في هذه الأنشأة  
 على ما نطق به قوله عليه  
 السلام حفت الجنة  
 بالمكاره وحفت النار  
 بالشهوات وكأنه عليه  
 السلام قد شاهد اننا  
 بموجب ذلك البرهان  
 التي على ما هو عليه في

في الدين والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المختص في هذه المسئلة والله أعلم  
 (المسئلة الثالثة) في الفرق بين السوء والفحشاء وفيه وجوه (الاول) ان السوء جنابة  
 اليد والفحشاء هو الزنا (الثاني) السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة  
 والفحشاء هو الزنا أما قوله انه من عبادنا المخلصين أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ومن  
 فتح اللام أراد الذين خلصهم الله من الاسواء ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية ابراهيم  
 عليه السلام الذين قال الله فيهم انا أخلصناهم بخالصة (المسئلة الرابعة) قرأ ابن كثير  
 وابن عامر وأبو عمر والمخلصين يكسر اللام في جميع القرآن والباقيون بفتح اللام قوله  
 تعالى (واستيقا الباب وقدت قبضه من دبر والقياسيد هالدي الباب قالت ماجزاء من  
 أراد بأهلك سوا الآن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من  
 أهلها ان كان قبضه قدم من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبضه قدم من دبر  
 فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قبضه قدم من دبر قال انه من كيدك ان كيدك ان  
 عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) اعلم أنه تعالى  
 لما حكى عنها أنها همت أتبعه بكيفية طلبها وهر به فقال واستيقا الباب والمراد أنه هرب  
 منها وحاول الخروج من الباب وعدت المرأة خلفه لتجذبه الى نفسها والاستناق طلب  
 السبق الى النبي ومعناه تبادر الى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه فان سبق  
 يوسف فتح الباب وخرج وان سبقت المرأة أمسكت الباب لتلايخرج وقوله واستيقا  
 الباب أي استيقا الى الباب كقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لاى من قومه واعلم  
 أن يوسف عليه السلام سبقها الى الباب وأراد الخروج والمرأة تعد وخلفه فلم تصل الا الى  
 دبر القميص فقدته أي قعطته طولاً وفي ذلك الوقت حضر زوجها وهو المراد من قوله  
 والقياسيد هالدي الباب أي صادفها بعلها تقول المرأة لبعليها سيدي وعالمنا يقل سيديها  
 لان يوسف عليه السلام ما كان مملوكاً لذلك الرجل في الحقيقة فعند ذلك خافت المرأة من  
 التهمة فسأدت الى أن رمت يوسف بالفعل القبيح وقالت ماجزاء من أراد بأهلك سوا  
 الآن يسجن أو عذاب أليم والمعنى ظاهر \* وفي الآية لطائف (احداها) ان ما يحتمل أن  
 تكون نافية أي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز أيضاً أن تكون استفهامية يعني أي شيء  
 جزاؤه الا أن يسجن كما تقول من في الدار الا زيد (وثانيها) أن حبها الشديد ليوسف جعلها  
 على رعاية دقيقتين في هذا الموضوع وذلك لانها بدأت بذكر السجن وأخرت ذكر العذاب  
 لان الحب لا يسعى في ايلام المحبوب وأيضا انها لم تذكر أن يوسف يجب أن يعامل بأحد  
 هذين الامرين بل ذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمحسوب عن الذكر بالسوء والام وأيضا  
 قالت الا أن يسجن والمراد أن يسجن يوما أو أقل على سبيل التخفيف فأما الحبس الدائم  
 فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين الا ترى أن فرعون  
 هكذا قال حين تهدم موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الهما غيري لاجعلنك من

حد ذاته أقمح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم المسجونين  
 بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا جرى  
 على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدته من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه  
 الشرطية بيان أن امتناعه



عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والزاهدة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة تجري التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد يضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يصدق هناك هم أصلا وقد جوز أن يكون ﴿ ١٧٩ ﴾ وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز

التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث اتنى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه اتنى الهم رأسا هذا وقد فسره هم عليه السلام بأنه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعديين شه باور وورثته للبرهان بأنه سمع صوتا اياكواياها فلم يكثر ثم وثم الى أن تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أتمته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحاظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فليس ينجم فتال الله

المسجونين (وثانها) انها لما شاهدت من يوسف عليه السلام أنه استعصم منها مع انه كان في عنقوان العرو وال القوة ونهاية الشهوة عظيم اعتقادها في طهارته وزاهاه فاستحيت أن تقول ان يوسف عليه السلام قصدني بالسوء وما وجدت من نفسي أن ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا التعريض فانظر الى تلك المرأة ما وجدت من نفسي أن ترميه بهذا الكذب وان هؤلاء الحشوية يرمونه بعد قريب من أربعة آلاف سنة بهذا الذنب القبيح (ورابها) أن يوسف عليه السلام أراد أن يضر بها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك بالنسبة اليها جاريا بجري السوء فقولها ما جزاء من أراد بأهلاك سوا جار مجرى التعريض فعلها بقلبها كانت تريد اقدامه على دفعها ومنعها ووقى ظاهر الامر كانت توهم انه قصدني بما لا ينبغي واعلم أن المرأة لما ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف عليه السلام احتاج يوسف الى ازالة هذه التهمة فقال هي راودتني عن نفسي وأن يوسف عليه السلام ما هتك سترها في أول الامر الا أنه لما خاف على النفس وعلى العرض أظهر الامر \* واعلم أن العلامات الكثيرة كانت دالة على أن يوسف عليه السلام هو الصادق (فالاول) أن يوسف عليه السلام في ظاهر الامر كان عبدا لهم والبعدا لم يكنه أن يتسلط على مولاه الى هذا الحد (والثاني) انهم شاهدوا أن يوسف عليه السلام كان يعدو عدوا شديدا ليخرج الرجل الطاباب للمرأة لا يخرج من الدار على هذا الوجه (والثالث) انهم رأوا أن المرأة زينت نفسها على اكمل الوجوه وأما يوسف عليه السلام فما كان عليه أثر من آثار تزوين النفس فكان الحاق هذه الفتنة بالمرأة أولى (الرابع) انهم كانوا قد شاهدوا أحوال يوسف عليه السلام في المدة الطويلة فأرأوا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذا الفعل المنكرو ذلك أيضا ما يقوى الظن (الخامس) ان المرأة ما نسبتته الى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت كلاما مجملابها وأما يوسف عليه السلام فانه صرح بالامر ولو أنه كان منهما لما قدر على التصريح باللفظ الصريح فان الخائن خائف (السادس) قيل ان زوج المرأة كان عاجزا وآثار طلب الشهوة في حق المرأة كانت متكاملة فالحاق هذه الفتنة بها أولى فلما حصلت هذه الامارات الكثيرة الدالة على أن سبدا هذه الفتنة كان من المرأة استحيا الزوج وتوقف وسكت لعله بأن يوسف صادق والمرأة كاذبة ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه يرى عن الذنب وأن المرأة هي المذنبية وهو قوله وشهد شاهد من أهلها وفي هذا الشاهد ثلاثة أقوال (الاول) انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيميا واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجليلة من وراء الباب وشق القميص الأمانا لندري أيكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظر والى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من

عز وجل لجبريل ادرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فأنحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزير وقيل ان كل ذلك الاخراقات وأبا طيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان وبل لمن لا كها ولقها أو سمعها وصدقها (كذلك) الكاف منصوب المحل

وذلك اشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهانا  
 فيما قبل اى الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك التثبيت بنبته (لنصرف عنه السوء) على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد  
 دخولا اوليا (والفحشاء) والى بالانه مفطر في القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالعصية  
 ولا توجه اليها قط والاقبل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ﴿ ١٨٠ ﴾ ذلك من خارج فصرفه الله

تعالى عنه بما فيه من  
 موجبات العقوب والعصمة  
 فتأمل وقرء بصرف  
 على اسناد الصرف الى  
 ضمير الرب (انه من عبادنا  
 المخلصين) تعليل لما سبق  
 من مضمون الجملة بطريق  
 التحقيق والمخلصون هم  
 الذين اخلصهم الله  
 تعالى اطاعته بأن عصمهم  
 عما هو قادح فيها وقرئ  
 على صيغة الفاعل وهم  
 الذين اخلصوا دينهم لله  
 سبحانه وعلى كلا المعنيين  
 فهو منتظم في سلكهم  
 داخل في زميرتهم من  
 اول امره بقضية الجملة  
 الاسمية لأن ذلك حدث له  
 بعد أن لم يكن كذلك  
 فانحسم مادة احتمال  
 صدور الهم بالسوء منه  
 عليه السلام بالكلية  
 (واستبقا الباب) متصل  
 بقوله وقد همت به وهم  
 بها لولا ان رأى برهان  
 ربه وقوله كذلك الى  
 آخره اعتراض يبي به  
 بين المعطوفين تقريرا  
 لزاوته عليه السلام

كيد كن ان كيد كن عظيم اى من عملكن ثم قال ليوسف اعرض عن هذا واكنه وقال  
 لها استغفري لذنبك وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين (والثاني) وهو ايضا منقول  
 عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبيرة والضحاك ان ذلك الشاهد كان صيبا  
 أنطقه الله تعالى في المهدي فقال ابن عباس تكلم في المهدي أربعة صغار شاهد يوسف وابن  
 ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب قال الجبائي والقول الاول  
 أولى لوجوه (الاول) انه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله انها كاذبة  
 كافيا و برهانا قاطعا لانه من البراهين القاطعة القاهرة والاستدلال بتزيق القميص  
 من قبل ومن دردايل ظني ضعيف والعدول عن الحجة القاطعة حال حضورها وحصولها  
 الى الدلالة الظنية لا يجوز (الثاني) انه تعالى قال وشهد شاهد من أهلها وانما قال من  
 أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة لان الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة  
 ومن أهلها أن لا يتقصدها بالسوء والاضرار فالقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها  
 تقوية قول ذلك الرجل وهذه الترجيحات انما بصار اليها عند كون الدلالة ظنية ولو كان  
 هذا القول صادرا عن الصبي الذي في المهدي لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين  
 أن يكون من أهلها وبين أن لا يكون من أهلها وحينئذ لا يبقى لهذا القيد أثر  
 (والثالث) ان لفظ الشاهد لا يقع في العرف الاعلى من تقدمت له معرفة بالواقعة واحاطة  
 بها (والقول الثالث) ان ذلك الشاهد هو القميص قال مجاهد الشاهد كون قميصه  
 مشقوقا من دبره وهذا في غاية الضعف لان القميص لا يوصف بهذا ولا ينسب الى الاهل  
 واعلم أن القول الاول عليه أيضا اشكال وذلك لان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على  
 براءة يوسف عليه السلام عن العصية لان من المحتمل أن الرجل قصص المرأة لطلب الزنا  
 فالمرأة غضبت عليه فهرب الرجل فعدت المرأة خائف الرجل وجذبت له قصصا أن تضرب به  
 ضربا وجيعا فعلى هذا الوجه يكون القميص مشقوقا من دبره أن المرأة تكون بريئة عن  
 الذنب والرجل يكون مذنبيا (وجوابه) اننا بينا أن علامات كذب المرأة كانت كثيرة بالغة  
 مبلغ اليقين فضموا اليها هذه العلامة الاخرى لاجل أن يعولوا في الحكم عليها بل لاجل  
 أن يكون ذلك جارا يجرى المقويات والمبرجات ثم انه تعالى أخبر وقال فلما رأى قميصه  
 وذلك يحتمل السيد الذي هو زوجها ويحتمل الشاهد فلذلك اختلفوا فيه قال انه من  
 كيد كن اى ان قولك ما جرد من أراد بأهالك سوا من كيد كن ان كيد كن عظيم فان قيل  
 انه تعالى لما خلق الانسان ضعيفا فكيف وصف كيد المرأة بالعظم وأيضا فكيد الرجال  
 قد يزيد على كيد النساء (والجواب) عن الاول ان خلقه الانسان بالنسبة الى خلقه  
 الملائكة والسموات والكواكب خلقه ضعيفا وكيد النساء بالنسبة الى كيد البشر  
 عظيم ولا منافاة بين القولين وأيضا فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل  
 ما لا يكون للرجال ولان كيدهن في هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال واعلم

كقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى قد همت به وأبى هو واستبقا الباب ﴿ أنه ﴾  
 اى تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وأوصل  
 الفعل الى المجرور محو وإذا كالوهم أوضن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليها مع  
 أن مرادها مجرد منع يوسف وذالا يوجب

الاتهام الى الباب لانها لما رأتها يسرع الى الباب ليتخلص منها أسرعته هي أيضا تسبقه اليه وتمنعه عن القبح والخروج أو عبر  
عن اسرارها أثر بذلك مبالغة (وقد تبصده من دير) اجتذبت من ورائه فانشق طولاً وهو القديك أن الشق عرضها هو  
القط وقد قيل في وصفه على رضى الله عنه انه كان اذا اعلى قدوا اذا اعترض قطوا اسناد القديك اليها خاصة مع أن لقوة  
يوسف أيضا دخلا فيه اما لانها الجزية \* ١٨١ \* الاخير للعلم التامة واما للايدان بما لفتها في منعه عن الخروج

و بذل مجهودها في ذلك  
لغوت المحبوب أو لحوف  
الافتضاح ( وألقيا  
سيدها ) اي صادفا  
زوجها واذالم يكن ملكه  
ليوسف عليه السلام  
صحبها لم يقل سيدهما  
قبل ألقيا مقبلا وقيل  
كان جالسا مع ابن عم  
للرأة (لدى الباب) اي  
البراني كما روى كعب  
رضي الله عنه أنه لما هرب  
يوسف عليه السلام  
جعل فراش القفل ينثر  
ويستط حتى خرج  
من الابواب ( قالت )  
استثاف مني على سؤال  
سائل يقول فاذا كان  
حين ألقيا العزيز عند  
الباب فقيل قالت  
( ما جزاء من أراد ياهلك  
سوا ) من الزنا ومحوه  
( الا ان يسجن أو عذاب  
أليم ) ما مافية اي ليس  
جزاؤه الا السجن  
أو العذاب الاليم قيل  
المراد به الضرب بالسياط  
أو استفهامية أي أي  
شي جزاؤه غير ذلك  
أو ذلك ولقد أتت

أنه لما ظهر للقوم براءة يوسف عليه السلام عن ذلك الفعل المنكر حتى تعالى عنه أنه قال  
يوسف أعرض عن هذا فقيل ان هذا من قول العزيز وقيل انه من قول الشاهد ومعناه  
أعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها وكان أمر  
يوسف بكتمان هذه الواقعة أمر المرأة بالاستغفار فقال واستغفري لذنيك وظاهر ذلك  
طلب المغفرة و يحتمل أن يكون المراد من الزوج ويكون معنى المغفرة العفو والصفح  
وعلى هذا التقدير فالأقرب ان قائل هذا القول هو الشاهد و يحتمل أن يكون المراد  
بالاستغفار من الله لان أولئك الاقوام كانوا يبتون الصانع الا انهم مع ذلك كانوا  
يبدون الاوثان بدليل أن يوسف عليه السلام قال أرباب متفرقون خير أم الله الواحد  
القهار وعلى هذا التقدير فيجوز أن يكون القائل هو الزوج وقوله انك كنت من الخاطئين  
نسبة لها الى أنها كانت كثيرة الخطا فيما تقدم وهذا أحد ما يدل على أن الزوج عرف  
في أول الامر ان الذنب للرأة لا ليوسف لانه كان يعرف منها اقدامها على ما لا ينبغي  
وقال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها بالاستغفار قال صاحب  
الكشاف وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليا للذكور على الاناث و يحتمل أن  
يقال المراد انك من نسل الخاطئين فمن ذلك النسل سرى هذا العرق الخليل فيك والله  
أعلم \* قوله تعالى ( وقال نسوه في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها  
حبا انا ليزاها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن منكا  
وأتت كل واحدة منهن سكيئا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرته وقطعن أيديهن  
وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى )  
لم لم يقل وقالت نسوه قلنا لوجهين ( الاول ) أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير  
حقيقي فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث ( الثاني ) قال الواحدي تقديم الفعل يدعو الى  
اسقاط علامة التأنيث على قياس اسقاط علامة التثنية والجمع ( المسئلة الثانية ) قال  
الكلبي هن أربع امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازة وامرأة صاحب سجنه وامرأة  
صاحب دوابه وزاد مقاتل وامرأة الخلاب والاشبه أن تلك الواقعة شاعت في البلد  
واشتهرت وتحدث بها النساء \* وامرأة العزيز زهيم هذه المرأة المعلومه تراود فتاها عن  
نفسه الفتى الحدث الشاب والفتاة الجارية الشابة \* قد شغفها حبا وفيه مستلطان  
( المسئلة الاولى ) ان الشغاف فيه وجوه ( الاول ) ان الشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال  
لها غلاف القلب يقال شغفت فلانا اذا أصبت شغافه كما تقول كبדתه اذا أصبت كبده  
فقوله شغفها حبا اي دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب ( والثاني ) أن حبه أحاط بقلبها  
مثل احاطة الشغاف بالقلب ومعنى احاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغالها بحبه صار  
حجابا بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر بياها الاياه ( والثالث )  
قال الزجاج الشغاف حبة القلب وسويداء القلب والمعنى أنه وصل حبه الى سويداء قلبها

في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضها  
وهما تيرته ساحتها بما يلوح من ظاهر الحال واستزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم موافقته على مرادها  
بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقفه لها كرها عند نفسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره

ليسبحن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امر المحققا مغروا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبا بقضيه قانون الابالة وفي ابهام المريد تنويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كاشان كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ماتوجاه \* ١٨٢ \* بحكم الغضب والحجة (قال) استئناف

وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم (المسئلة الثانية) قرأ جماعة من الصحابة والتابعين شعفا بالعين قال ابن السكيت يقال شعفه الهوى اذا بلغ الى حد الاحتراق وشعف الهناء البعير اذا بلغ منه الالم الى حد الاحتراق وكشف أبو عبيدة عن هذا المعنى فقال الشعف بالعين احراق الحب القلب مع لذة يجدها كما ان البعير اذا هنيء بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح اليه وقال ابن الانباري الشعف رؤس الجبال ومعنى شعف بفلان اذا ارتفع حبه الى أعلى المواضع من قلبه (المسئلة الثالثة) قوله حبا نصب على التمييز ثم قال انما نراها في ضلال ميين اي في ضلال عن طريق الرشيد بسبب حبا اياه كقوله ان ابا بالي ضلال ميين ثم قال تعالى فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن متكأ وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) المراد من قوته فلما سمعت بمكرهن أنها سمعت قولهن وانما سمى قولهن مكر لوجوه (الاول) أن النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن أنهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليمهد عندها عندهن (الثاني) أن امرأة العزيز أسرت اليهن حبا ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما أظهرن السر كان ذلك عذرا ومكرا (الثالث) أنهن وقعن في غيبتها والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر (المسئلة الثانية) انها لما سمعت أنهن يلتهن على تلك المحبة المفرطة أرادت ابداء عذرها فانخذت مائدة ودعت جماعة من أكابرهن وأعدت لهن متكأ وفي تفسيره وجوه (الاول) المتكأ التمرق الذي يتكأ عليه (الثاني) أن المتكأ هو الطعام قال العنبي والاصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وساده فسمى الطعام متكأ على الاستعارة (والثالث) متكأ أترجا وهو قول وهب وانكر أبو عبيد ذلك ولكنه محمول على أنها وضعت عندهن أنواع الفاكهة في ذلك المجلس (والرابع) متكأ طعاما يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام متى كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكأ عليه عند القطع ثم نقول حاصل ذلك انهما دعيت أولئك النسوة وأعدت لكل واحدة منهن مجلسا معيناً وأنت كل واحدة منهن سكيناً اي لاجل أكل الفاكهة أو لاجل قطع اللحم ثم انها أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج اليهن ويعبر عليهن وانه عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها فلما رأته أكبرته وقطعن أيديهن وهنأ مسائل (المسئلة الاولى) في أكبرته قولان (الاول) أعظمته (والثاني) أكبرن بمعنى حضن قال الازهرى والهاء للسكت يقال أكبرت المرأ اذا حضنت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحض تخرج من حد الصغرى الى حد الكبر وفيه وجه آخر وهو ان المرأ اذا خافت وفرعت فر بما أسقطت ولدها فحاضت فان صح تفسير الأكار بالحض فالسبب فيه ما ذكرناه وقوله وقطعن أيديهن كناية عن دهشتهم وحيرتهم والسبب في حسن هذه الكناية أنها لما دهشت فكانت نظن انها تقطع الفاكهة وكانت تقطع بنفسها أو يقال انها لما دهشت صارت

وجوابها يقال فاذا قال يوسف حينئذ وقيل قال (هي رزاق) أي من نفسي (أي طالبتي للمواتة لا أتي أردت بها سواء كما قالت وانما قاله عليه السلام لتعزبه نفسه عما أسند اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الادب مع الائمة الى الاعراض عنها (ونهد شاهد من أهلها) قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها الذي الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ايوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما أتى الله سبحانه الشهادة الى من هو من أهلها

يكون أدل على نزاهته عليه السلام وأني للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صيبا في المهد أنطقه الله \* بحيث \* تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبي

هريرة رضى الله عنه وقال صحیح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها البيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها أو من غيرهم (ان كان قيصة قدم من قبل) اي ان علم أنه قدم من قبل من قبل ونظيره ان أحسنت الى فقد أحسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعديا بحسبك الى فاعتد باحسانى السابق اليك (فصدقت) بتقدير قد لانها تقرب الماضى الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال \* ١٨٣ في قوله فكذبت وهى وان لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوا الأنا

كلامها حيث كان واضح  
الدلالة عليه أسند اليها  
الصدق والكذب بذلك  
الاعتبار فأما كما يعرضان  
لللكلام باعتبار منطوقه  
يعرضان له باعتبار ما  
يستلزمه وبذلك الاعتبار  
يعرضان للانشآت  
(وهو من الكاذبين)  
وهذه الشرطية حيث لا  
ملازمة عقلية ولا عادية  
بين مقدمها وتاليها  
ليست من الشهادة في  
شئ وانما ذكر توسيعا  
للدائرة وارضاء للعنان  
الى جانب المرأة باجراء  
ماعسى يحتمله الحال في  
الجملة بأن يتم القدم من  
قبل بمدافعتها له عليه  
السلام من فسها عند  
ارادته المخالطة والتكشيف  
بمجرى الظاهر الغالب  
الوقوع تقريرا لما هو  
المقصود باقامة الشهادة  
أعني مضمون الشرطية  
الثانية التي هي قوله  
عز وجل (وان كان  
قيصه قدم من دبر فكذب  
وهو من الصاقين) الى

بمحيث لا يميز نصابها من حديدها وكانت تأخذ الجانب الحاد من ذلك السكين بكفهها فكان يحصل الجراح في كفها (المسئلة الثانية) اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرنه بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل قيل كان فضل يوسف على الناس في الفضل والحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت بيوسف عليه السلام ليلة عرج بي الى السماء فقلت لجبريل عليه السلام من هذا فقال هذا يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثا لو وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وهذا القول هو الذى اتفقوا عليه وعندى انه محتمل وجها آخر وهو أنهم انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسيا الراس والقوائم الخضوع والاحتشام وشاهدن منه مهابة النبوة وهيبة الملكية وهى عدم الانغاث الى المطعوم والنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيبة فتعجب من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وعظمته ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن وعندى أن حل الآية على هذا الوجه أولى فان قيل فاذا كان الامر كذلك فكيف ينطبق على هذا التأويل قولها فذلكن الذى لمتنى فيه وكيف تصير هذه الحالة عند الهام في قوة العشق وافراط المحبة فلنا قد تقرر ان المنوع متبوع فكأنها قالت لهن مع هذا الخلق العجيب وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة فحسبه يوجب الحب الشديد وسيرته الملكية توجب اليأس عن الوصول اليه فلهذا السبب وقعت في المحبة والخسرة والارق والقلق وهذا الوجه في تأويل الآية أحسن والله أعلم (المسئلة الثالثة) قرأ أبو عمرو قلن حاشا لله باثبات الالف بعد الشين وهى رواية الاصمعي عن نافع وهى الاصل لانها من المحاشاة وهى التخمية والتعبد والباقون بحذف الالف للتخفيف وكثرة دورها على اللسان اتباعا للمصحف وحاشا كلمة تعيد معنى التزيه والمعنى ههنا تزيه الله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جليل مثله وأما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (المسئلة الرابعة) قوله ما هذا بشرا ان هذا الاملك كريم فيه وجهان (الاول) وهو المشهور ان المقصود منه اثبات الحسن العظيم له قالوا لانه تعالى ركز في الطباع أن لاسى أحسن من الملك كما ركز فيها أن لاسى أفسح من الشيطان ولذلك قال تعالى في صفة جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين وذلك لما ذكرنا انه تفرق في الطباع أن أفسح الاشياء هو الشيطان فكذا ههنا تفرق في الطباع ان أحسن الاحياء هو الملك فلما أرادت النسوة المبالغة في وصف يوسف عليه السلام بالحسن لاجرم شبهه بالملك (والوجه الثانى) وهو الاقرب عندى ان المشهور عند الجمهور ان الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة وجواذب الغضب ونوازع الوهم والخيال فطعمهم توحيد الله تعالى وشرابهم الناء على الله تعالى ثم ان النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلقن البهن البتة ورأين عليه

التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب الى الوقوع وأدل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها أبعاضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال أو بتقدير القول اي شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع أنه لاحكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤدا هابل لانها شهادة على الحقيقة وحكم

بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة ر  
الشرطية للايدان بان ذلك طاهر من العلام أيضا وأما على تقدير كونه غيره فلا ن الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي  
عليه اما مشاهدة أو اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى و بوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم  
باتفائه تالي الاولى و يوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار ﴿ ١٨٤ ﴾ بكذبها و صدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته

هيبه النبوة وهيبه الرسالة وسيا الطهارة قلن انما رأينا فيه أنما من أثر الشهوة ولا شيا  
من البشرية ولا صفة من الانسانية فهذا قد تطهر عن ججع الصفات المفروزة في البشر  
وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية فان قالوا فان كان المراد ما ذكرتم فكيف  
يتعهد عذر تلك المرأة عند السوء فالجواب قد سبق والله أعلم (المسئلة الخامسة)  
القائلون بان الملك أفضل من البشر احمجوا بهذه الآية فقالوا الاشك أنهم انما ذكرن  
هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف عليه السلام فوجب أن يكون اخراجه من  
البشرية وادخاله في الملكية سببا لتعظيم شأنه واعلاء مرتبته وانما يكون الامر كذلك  
لو كان الملك أعلى حالا من البشر ثم نقول لا يتخلو اما أن يكون المقصود بيان كمال حاله  
في الحسن الذي هو الخلق الظاهر أو كمال حاله في الحسن الذي هو الخلق الباطن والاول  
باطل لوجهين (الاول) انهم وصفوه بكونه كريما وانما يكون كريما بسبب الاخلاق  
الباطنة لا بسبب الخلق الظاهرة (والثاني) أنا نعلم بالضرورة ان وجه الانسان لا يشبه  
وجوه الملائكة البتة اما كونه بعيدا عن الشهوة والغضب معرضا عن اللذات الجسمانية  
متوجها الى عبودية الله تعالى مستغرق القلب والروح فيه فهو أمر مشترك فيه بين  
الانسان الكامل وبين الملائكة واذا ثبت هذا فنقول تشبيه الانسان بالملك في الامر  
الذي حصلت المشابهة فيه على سبيل الحقيقة أولى من تشبيهه بالملك في عالم تحصل المشابهة  
فيه البتة فثبت أن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك في هذه الآية انما وقع في الخلق  
الباطن لا في الصورة الظاهرة و ثبت انه متى كان الامر كذلك وجب أن يكون الملك أعلى  
حالا من الانسان في هذه الفضائل فثبت ان الملك أفضل من البشر والله أعلم (المسئلة  
السادسة) لغة أهل الججاز اعمال ما عمل ليس وبها ورد قوله ما هذا بشر او منها قوله  
ماهن أمهاتهم ومن قرأ على لغة بني تميم قرأ ما هذا بشر وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا  
بشرا أي ما هو بعبد مملوك للبشر ان هذا الامك كريم ثم نقول ما هذا بشر أي حاصل  
بشرا بمعنى هذا مشرى وتقول هذا بشر أم بكرا والقراءة المعتبرة هي الاولى لما وقعت  
المصحف ولقابلة البشر للملك \* قوله تعالى ( قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته  
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسمجن وليكونا من الصاغرين) اعلم ان النسوة  
لما قلن في امرأة العزيز قد شغفها حبا انالزاه في ضلال مبین عظم ذلك عليها فجمعتهن  
فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فعند ذلك ذكرت انهن باللوم أحق لانهن ينظرن واحدة  
لحقهن أعظم مما نالها مع انه طال مكثه عندها فان قيل فإم قالت فذلكن مع أن يوسف  
عليه السلام كان حاضرا (والجواب) عنه من وجوه (الاول) قال ابن الانباري أشارت  
بصيغة ذلكن الى يوسف بعد انصرفه من المجلس (والثاني) وهو الذي ذكره صاحب  
الكشاف وهو أحسن ما قيل ان النسوة كن يقنن انها عشقت عبدها الكنعاني فلما  
رأينه ووقعن في تلك الدهشة قالت هذا الذي رأيتوه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني

مسا قأما من الجرح  
والطعن حيث صورها  
بصورة الشرطية  
المتزدة ظاهرا بين  
نفعها ونفعه وأما حقيقة  
فلا ترد فيها قطعاً لان  
الشرطية الاولى تعليق  
لصدقها بما يستحيل  
وجوده من قد القميص  
من قبل فيكون محالا  
للمحالة ومن ضرورته  
تقرر كذبها والثانية  
تعليق لصدقها عليه السلام  
بأمره محقق الوجود  
وهو القدم من دبر فيكون  
محققا البتة وهذا كما قيل  
فيم قال لامرأة تزوجني  
نصك فقالت لي زوج  
فكذبها في ذلك فقالت  
ان لم يكن لي زوج فقد  
زوجتك نفسي فقبل  
الرجل فاذا الزوج  
لها فهو نكاح اذ تعليق  
الشيء بأمر مقرر تهجير له  
وقرئ من قبل ومن دبر  
بالضم لانها قطعاً عن  
الاضافة كقبل وبعد  
وبالفتح كأنها جعلها  
علين للجهتين فنعما

الصرف للتأنيث والعلية وقرئ بسكون العين ( فلما رأى قيصه قد من دبر ) كأنه لم يكن رأى \* فيه \*  
ذلك بعد أولم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال ( قال انه ) أي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن  
ارادة السوء التي أسندت الى يوسف وتديير عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوا إلى آخره لكن لا من حيث

صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك اثلا يخلو قوله تعالى (من كيدكن) أي من جنس حياتكن ومكركن أيتها النساء لمن غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يمكن تجر يده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق أفاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهره فتأمل وتعميم الخطاب للتبسيه على أن ذلك حلق لمن عريق \* ولا تحسبا هندا لها القدر وحدها \* سجيبة نفس كل غاية \* ﴿ ١٨٥ ﴾ هندا \* ورجع الضمير الى قوله اما جزاء من أراد بأهلاك سوا

فقد عدول عن البحث  
عن أصل ما وقع فيه النزاع  
من أن ارادة السوء من هي  
الى البحث عن شعبد من  
شعبه وجعله لسوء أو للامر  
المعبر به عن طمعه في  
يوسف عبيد السلام  
يا بابه الحبر فان الكيد  
يستدعي أن يبر مع ذلك  
هناك أحر من قبلها كما  
أشرفنا اليه (ان كيدكن  
عظيم) فانه أنطف  
وأعلق با قلب وأسد  
بأثير في النفس وعن بعض  
العلماء ان أخاف من اساء  
مالا أخاف من الشيطان  
فانه تعالى يقول ان كيد  
الشيطان كان ضعيفا  
وقال للنساء ان كيدكن  
عظيم ولان الشيطان  
يوسوس مسارقه وهن  
يواجهن به الرجال  
(يوسف) حذف منه  
حرف لنداء لقر به وكال  
تفطنه للحديد وقد  
تقريب له وتلطيف للحلا  
(أعرض عن هذا) أي  
عن هذا الامر وعن  
التحديث به واكبه فقد

فيه يعني انكن لم تتصورنه حق تصويره واوحصلت في خيالكن صورته لئلا تكن هذه الملامة واعلم انها لما أظهرت عذرها عند النسوة في شدة محبتها له كسفت عن حقيقة الحال فقالت واقدر اودته عن نفسه فاستعصم واعلم ان هذا تصريح بأنه عليه السلام كان بريئا عن تلك التهمة وعن السدي أنه قال فاستعصم بعد حل السراويل وما الذي يحمله على الحاق هذه الزيادة الفاسدة الباطلة بنص الكتاب ثم قال ولئن لم يفعل ما أمره لسيجنن وليكونا من الصاغرين والمراد ان يوسف عليه السلام ان لم يوافقها على مرادها يوقع في السجن وفي الصغار ومعلوم ان التوعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع النفس عظيم الخطر مثل يوسف عليه السلام وقوله وليكونا كان حرة والسكسائي يقفان على وليكونا بالالف وكذلك قوله لنسفا والله أعلم \* قوله تعالى (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والاتصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهليين) سيجار له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) واعلم ان المرأة لما قالت ولئن لم يفعل ما أمره لسيجنن وليكونا من الصاغرين وسائر النسوة سمعن هذا التهديد فالظاهر انهن اجتمعن على يوسف عليه السلام وقلن لا مصلحة لك في مخالفة أمرها والواقعت في السجن وفي الصغار فمن ذلك اجتمع في حق يوسف عليه السلام أنواع من الوسوسة (أحدها) ان زليخا كانت في غاية الحسن (والثاني) انها كانت ذات مال وثروة وكانت على عزم ان تبذل الكل ليوسف بتقدير ان يساعدها على مطلوبها (والثالث) ان النسوة اجتمعن عليه وكل واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه بطريق آخر ومكر النساء في هذا الباب شديد (الرابع) انه عليه السلام كان خائفا من شرها واقدمها على قتله واهلاكه فاجتمع في حق يوسف جميع جهات الترغيب على موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها فخاف عليه السلام أن يؤثر هذه الاسباب القوية الكثيرة فيه واعلم أن القوة البشيرية والضائقة الانسانية لا تفي بمصون هذه العصمة القوية فعند هذا التجأ الى الله تعالى وقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وقرئ بالسجين بالفتح على المصدر وفيه سؤالان (السؤال الاول) السجن في غاية المكروهية وما دعونه اليه في غاية المطلوبية فكيف قال المشقة أحب الي من اللذة (والجواب) ان تلك اللذة كانت تستعقب آلاما عظيمة وهي الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة وذلك المكروه وهو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة وهي المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة فلهذا السبب قال السجن أحب الي مما يدعونني اليه (السؤال الثاني) ان حبسهم له معصية كان الزنا معصية فكيف يجوز ان يحب السجن مع أنه معصية (والجواب) تقدير الكلام انه اذا كان لا بد من التزام أحد الامرين أعني الزنا والسجن فهذا أولى لانه متى وجب التزام أحد اثنين كل واحد منهما سر فأخفهما ولاهما بالتحمل ثم قال والاتصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهليين أصب اليهن أمل اليهن يقال صبا الى اللهو يصبو صبوا اذا مال واحتج أصحابنا

ظهر صدقك وزاهتك (واستغفري) ﴿ ٢٤ ﴾ خا أنت يا هذه (لذنبك) الذي صدر عنك وثبت عليك (انك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب أو من جنسهم يقال خطي اذا اذنب عبدا وهو تمليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العن يزر جلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مواخبتها وقيل كان قليل

الغيرة (وقال نسوة) أى جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب  
 الدخن وامرأة الخاحب والنسوة اسم يجمع المرأة وتأنيده غير حقيقى كتنابيث اللمة وهى اسم لجماعة النساء والشبة وهى  
 اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث (فى المدينة) طرف لقال أى أشعن الامر فى مصر أو صفة لنسوة (امرأة  
 العرير) أى الملك يردن قطغير واصافهن لها اليه بذلك ﴿ ١٨٦ ﴾ العنوان دون أن يصرحن باسمها واسمها ليست

بالمعنى على ان الانسان لا يصرف عن المعصية الا اذا صرفه الله تعالى عنها قالوا لان  
 هذه الآية تدل على انه تعالى ان لم يصرفه عن ذلك القبيح وقع فيه وتقريره ان قدره  
 والداعى الى الفعل والترك ان استويا امتنع الفعل لان الفعل رجحان لاحد الطرفين  
 ومرجوحية للطرف الآخر وحصولهما حال استواء الطرفين جمع بين التقيضين وهو  
 محال وان حصل الرجحان فى أحد الطرفين فذلك الرجحان ليس من العبد والالذبت  
 المراتب الى غير انتهائية بل هو من الله تعالى فالصرف عبارة عن جطه مرجوحا لانه متى صار  
 مرجوحا صار امتنع الوقوع لان الوقوع رجحان فلو وقع حال المرجوحية لحصل الرجحان  
 حال حصول المرجوحية وهو يقتضى حصول الجعم بين التقيضين وهو محال فثبت بهذا ان  
 انصرف العبد عن القبيح ليس الا من الله تعالى وتوجهه الى الطاعة ليس الا من الله تعالى  
 ويمكن تقرير هذا الكلام من وجه آخر وهو انه كان قد حصل فى حق يوسف عليه السلام  
 جمع الاسباب المرغبة فى تلك المعصية وهو الاتضاع بالمال والجاه والتمتع بالمتكوح  
 والمطعموم وحصل فى الاعراض عنها جيم الاسباب المنفرة ومتى كان الامر كذلك فقد  
 هويت الدواعى فى الفعل وضعفت الدواعى فى البرك فطلب من الله سبحانه وتعالى أن  
 يحدث فى قلبه أنواعا من الدواعى المعارضة النافية لدواعى المعصية اذ لو لم يحصل هذا  
 المعارض لحصل المرجح للوقوع فى المعصية خاليا عما يعارضه وذلك يوجب وقوع الفعل  
 وهو المراد بقوله أصب اليهن وأكر من الجاهلين ﴿ قوله تعالى ﴾ ثم بدالهم من بعد ما رأوا  
 الآيات ليسبحنه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أراى أعصر خرا  
 قال الآخر انى أراى أحمل فوق رأسى خبزا كل الطير منه نبتنا بيا ويله انما نراك من  
 المحسنين ) وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان زوج المرأة لما ظهر له براهه ساحة  
 يوسف عليه السلام فلا جرم لم يتعرض له فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الخيل حتى تحمل  
 يوسف عليه السلام على موافقتها على مرادها فلم يلبثت يوسف اليها فلما أيست منه احتالت  
 فى طريق آخر وقالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى فضحنى فى الناس يقول لهم انى راودته  
 عن نفسه وأنا لأفدر على اطهار عذرى فاما ان بأذنلى فأخرج واعتدروا ما ان يحبسها كما  
 حبستنى فعند ذلك وقع فى قلب العرير ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر  
 هذا الحديث وحتى تقل القضيحة فهذا هو المراد من قوله ثم بدالهم من بعد ما رأوا الآيات  
 ليسبحنه حتى حين لان البداء عبارة عن تعبير الرأى عما كان عليه فى الاول والمراد من  
 الآيات براهته بقدا القبيص من دير وخش الوجسه والزمام الحكم اياها بقوله انه من  
 كيد كن ان كيدكن عظيم وذكرنا انه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ  
 القطع ولكن اقوم سكواعنها سعييا فى احفاء القضيحة ( المسئلة الثانية ) قوله بدالهم  
 فعل وفاعله فى هذا الموضع قوله ليسبحنه وظاهر هذا الكلام يقتضى اسناد الفعل الى فعل  
 آخر الا ان المحو بين اتفقوا على ان اسناد الفعل الى الفعل لا يجوز فاذا قلت خرج ضرب

لقصد الممانعة فى الساعة  
 الخبر يحكم ان النفوس  
 الى سماع أعمار ذوى  
 الاحطار رأسى كإقبل  
 اذ ليس مراد من بفضيح  
 العرير بل هى لقصد  
 الاسباع فى اومها بقولهن  
 (تراودفتها) أى رطابيد  
 بمواقفة اهما وسجل  
 فى ذلك وتخاذعد (عن  
 نفسه) وقيل تطلب منه  
 اما حسنة ويا سارهن  
 لصيه المصارع للدلالة  
 على دوام المرادة والفق  
 من الناس الشاب واصله  
 وقته لهم فتان واقتوة  
 سادة وجمعه فتيه وبيان  
 و اسعار الملوك وهو  
 المراد ههنا وفى الحديث  
 لا يقل احدكم عبنى  
 وأمتى بلقل فتاى وفاتى  
 وبعينهن عن يوسف  
 عليه السلام بذلك مضافا  
 اليها الاى العزير الذى  
 لا سلم الا صافة الد  
 الهوان بل ربما يشعر  
 بنوع عرة لا يابته ما بينهما  
 من التباين بين الناس  
 عن المناكية والمناكية

وكل ذلك لبرية ما من من الممانعة والاسباع فى الموم فان من لزوج لها من النساء ولها زوج حتى قد تندر ﴿ لم يعد ﴾  
 فى مرادة الاحدان لاسيما اذا كان فيهم علوا لجاب وأما التى لها زوج وأى زوج عرير مصر فرادتها لغيره لاسيما ابدها  
 الذى لا كفاة بينها وبينه أصلا وتناديها فى ذلك غاية النغي ونهاية الضلال (قد شققها حيا) أى سق حبه سفافى  
 قلبها وهو حجابها



أوجلد رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقرى شعفا بالعين من شعف البعير اذا نهاه فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشنف الحب القائل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشنف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان أو حال من فاعل تراود أو من مفعوله وأما كان فهو تكرر اللوم وتأكيده للمدل بيان اختلال أحوالها القلبية كاحوالها ١٨٧ القلبية وجعلها تعليل له. واما المرادة من حيث الآية

مصير إلى الاستدلال  
على الاجلي بالآخني  
ومن حيث اللية ميل  
إلى تمهيد العذر من  
قبلها ولن بذلك المقام  
وانتصاب حبا على  
الخير لنقله عن الفاعلية  
إذا لاصل قد شعفها  
حبه كما أشار إليه (انالغراها)  
أى نعلمها علما متاخجا  
للمشاهدة والعيان فيما  
صنعت من المرادة  
والحجة المفرطة مستتره  
(في ضلال) عن طريق  
الرشد والصواب أو عن  
سنن العقل (مبين)  
واضح لا يخفى كونه  
ضلالا على أحد أو مظهر  
لامرهابين الناس فالجملة  
مقررة لمضمون الجملة  
السابقتين المسوقتين  
للوم والتشجيع وتسجيل  
عليها بأنها في أمرها  
على خطا عظيم وإنما  
لم يقلن انها في ضلال  
مبين اشعارا بان ذلك  
الحكم غير صادر عنهن  
محازفة بل عن علم ورأي  
مع التلويح بأنهن  
متزهات عن أمثال

لم يفد البتة فعند هذا قالوا تقدير الكلام ثم بداهم مجننه الا انه أقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وأقول الذوق يشهد بان جعل الفعل مخبر عنه لا يجوز وليس لاحد أن يقول الفعل خبر جعل الخبر مخبر عنه لا يجوز لانا نقول الاسم قديكون خبرا كقولك زيد قائم فقائم اسم وخبر فعلنا ان كون الشيء خبرا لا ينافي كونه مخبرا عنه بل نقول في هذا المقام شكوك (أحدها) انا اذا قلنا ضرب فعل فالتخبر عنه بانه فعل هو ضرب فالفعل صار مخبر عنه فان قالوا المخبر عنه هو هذه الصيغة وهي اسم فنقول فعلى هذا التقدير يلزم أن يكون المخبر عنه بانه فعل اسم لافعل وذلك كذب وباطل بل نقول المخبر عنه بانه فعل ان كان فعلا فقد ثبت ان الفعل يصح الاخبار عنه وان كان اسما كان معناه انا أخبرنا عن الاسم بانه فعل ومعلوم انه باطل وفي هذا الباب مباحث عميقة ذكرناها في كتب العقولات (المسئلة الثالثة) قال أهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه وعلى الطويل وقال ابن عباس يريد الى انقطاع المقالة وما شاع في المدينة من الفاحشة ثم قيل الحين ههنا خمس سنين وقيل بل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس يوسف اثنتي عشرة سنة والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وإنما القدر المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادكر بعدأما قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان فههنا محذوف والتقدير لما أرادوا حبسه حبسوه وحذف ذلك للدلالة قوله ودخل معه السجن فتيان عليه قيل هما غلامان كانا للملك الأكبر بمصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن ان الآخر يساعده عليه فأمر بحبسهما حتى في الآية تسؤالات (الاول) كيف عرفانه عليه السلام عالم بالتعبير (والجواب) لعله عليه السلام سألهما عن حربيهما ونعمهما فذكرا انارأينا في المنام هذه الرؤيا ويحتمل انها رؤياه وقد أظهر معرفته بامور منها تعبیر الرؤيا فبند هذا ذكره ذلك (السؤال الثاني) كيف عرف انهما كانا عبيد للملك (الجواب) لقوله فيسقى ربه خيرا أى مولاه وتقول اذ كرني عند ربك (السؤال الثالث) كيف عرف ان أحدهما كان صاحب شراب الملك والآخر صاحب طعامه (والجواب) رؤيا كل واحد منهما تناسب حرفته لان أحدهما رأى انه يعصر الخمر والآخر كأنه يحمل فوق رأسه خبزا (السؤال الرابع) كيف وقعت رؤية المنام (والجواب) فيه قولان (الاول) ان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين هلم فلتخبر هذا العبد العبراني برؤيا تخبرها له فسالاه من غير أن يكونا رأيا شيئا قال ابن مسعود ما كانا رأيا شيئا وإنما محملا لاختبر اعلمه (والقول الثاني) قال مجاهد كانا قد رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف عليه السلام فسألاه عنها فقال السابق أيها العالم اني رأيت كافي في بستان فاذا باصل عنبه حسنه فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجئتها وكان كأس الملك يدي فعصرت هافيه وسقيتها الملك فشر به فذلك قوله اني رأيت اعصر جرا وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز وأوان الاطعمة

ماهى عليه (فلما سمعت بمكرهن) ناغيتا من وسوء قاتهن وقولهن امرأه العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكررا لكونه خفية منها كذكر الماكر وان كان ظاهرا غيرها وقيل استكتمت سرها فأفضيت به عليها وقيل انما قلن ذلك لترين يوسف عليه السلام (أرسلت اليهن) تدعوهن قيل دعوت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعبدت) أى أحضرت وهيات (لهن متكأ) أى ما يتكئن عليه

الغيرة (وقال نسوة) أي حُرِّبَتْ لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكلمون للطعام والشراب والحديث كعادة المرتفعين  
السجين واحرازه الخاج أن يأكل متكا وقيل متكا طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان أي طعنا قال جميل فظلمنا نعمة  
اسم الجماعة الرجاس بن الحلال من قلة وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع  
العري (أي له طوع بالسكين وقرى بغيرهم وقرى بلاد) ١٨٨ \* باشباع حركة الكاف كمنزح في منزه وبنباع

لقصده وقرى متكا  
ازهو الاترج وأنشدوا  
وأهدت متكة لى ايها \*  
تحب العنقة الوجاج  
أوما يقطع من متك  
السى اذا بشكده ومتكا  
من تكي اذا سكي (وأتت  
كل واحدة منهن سكي)  
لتستعمله في قطع ما يعهد  
قطعه مما قدم بين أيديهن  
وقرب اليهن من اللحم  
والفواكه ونحوها وهن  
متكثات وغرضها  
من ذلك ما سبق من  
تقطيع أيديهن (وقالت)  
ليوسف وهن مشغولات  
بمعالجة السكاكين  
واعمالها فيما بأيديهن  
من الفواكه وأضربها  
والعطف بالواو وربما  
يسبر الى أن قولها (اخرج  
عليهن) أي ابرز لهن  
لم يكن عقيب ترتيب  
أموهن ليم غرضها  
من استغفالهن (فلا  
رأيت) عطف على  
مقدر يستدعيه الامر  
بالخروج وينسحب  
عليه الكلام أي فخرج  
عليهن فرأيت وانما حذف

وإذا سباع الطير تهش منه فذلك قوله تعالى وقال الآخر أني أراني أحل فوق رأسي خبزنا  
تأكل الطير مند (السؤال الخامس) كيف عرف يوسف عليه السلام ان المراد من قوله اني  
أراني أعصر رارويا المنام (الجواب) لوجوه (الاول) انه لولم يقصد النوم كل ذكر قوله  
أعصر رارويا من ذكر قوله أراني (والثاني) دل عليه قوله نبينا بأويله (السؤال السادس)  
كيف يشيل خصرا الحمر (الجواب) فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أن يكون المعنى أعصر عنب  
نخر أي العنب الذي يكون عصيره نخرا حذف المضاف (الثاني) ان العرب تسمى النبي  
باسم ما يؤكل اليه اذا نكش المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ ديسا وهو يطبخ عصيرا  
(والثالث) قال أبو صالح أهل عمان يسمون العنب بالحمر فوقت هذه اللفظة الى أهل مكة  
فقطقوا بها قال الضحك نزل القرآن بالسنة جميع العرب (السؤال السابع) ما معنى  
التأويل في قوله نبينا بأويله (الجواب) تأويل الشيء ما يرجع اليه وهو الذي يؤول اليه آخر  
ذلك الامر (السؤال الثامن) ما المراد من قوله ان انا نارك من الحسين (الجواب) من وجوه  
(الاول) معناه ان انا نارك تؤثر الاحسان وتأتي بمكارم الاخلاق وجميع الافعال الحميدة  
قبل انه كان يعود مرضاهم ويؤنس حرينهم فقالوا انك من المحسنين أي في حق الشركاء  
والاصحاب وقيل انه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا انك  
من المحسنين في أمر الدين ومن كان كذلك فانه يؤثق بما يقوله في بهر الروايات في سائر الامور  
وقيل المراد ان انا نارك من المحسنين في علم التعبير وذلك لامتي عبر لم يخط كما قال وعلمني من  
تأويل الاحاديث (السؤال التاسع) ما حقيقة علم التعبير (الجواب) القرآن والبرهان  
يدلان على صحته أما القرآن فهو هذه الآية وأما البرهان فهو انه قد ثبت انه سبحانه خلق  
جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ  
والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن وفي وقت النوم يقل هذا التشاغل فتقوى  
على هذه المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من الاحوال تركت آثارا مخصوصة مناسبة  
لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فالعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك  
الادراكات العقلية فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور في الكتب العقلية والشريعة  
مؤكده روى عن النبي عليه السلام أنه قال الرويا ثلاثة رويا ما يحدث به الرجل نفسه  
ورويا تحدث من الشيطان ورويا التي هي الرويا الصادقة حقة وهذا تقسيم صحيح في العلوم  
العقلية وقال عليه السلام رويا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة \* قوله  
عز وجل (قال لا يا تي كما طعام رزقا له الانبا تكما بنا ويله قبل ان يا تي كما ذلك كما علمني ربي اني  
تركته ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم باخرة هم كافرين واتبعته ملة آباءي ابراهيم واسحق  
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من سى ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكذ  
الناس لا يشكرون) في الاية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المذكور في هذه الآية ليس  
بجواب لما سأل عنه فلا بد ههنا من بيان الوجه الذي لاجله عدل عن ذكر الجواب الى هذا

تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة \* الكلام \*  
في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا أتيتك به قبل ان يرد اليك طرفك وفيه ايدان بسرعة امت له  
عليه السلام بأمرها فيملا يشاهد مضرتة من الافاعيل (أكبره) عطشه وهن حسنة الفائق وجماله الرائع الراب  
فان فضل جماله على جمال كل جميل

كان كفضائل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب \* عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلاكؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاطلسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام \* حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المنبي \* خف الله واسترنا الجمال ببرقع \* فان لحت \* ١٨٩ \* حاضت في الحدور العواتق ( وقطعن أيديهن )

أي جرحنها بما في أيديهن  
من السكاكين لفرط  
دهشتهم وخروج حركات  
جوارحهم عن منهاج  
الاختيار والاعتیاد حتى  
لم يعلن ما فعلن وفي  
التعير عن الجرح بالقطع  
ماليخفي من الدلالة على  
كثرة جرحهن ومع ذلك  
لم يبالي بذلك ولم يشعرن  
به ( وقلن حاش لله )  
تنزيها له سبحانه عن  
صفات النقص والجز  
وتعجا من قدرته على  
مثل ذلك الصنع البديع  
وأصله حاشا كما قرأه  
أبو عمرو في الدرج فحذفت  
الفه الأخيرة تخفيفا وهو  
حرف جر يفيد معنى  
التنزيه في باب الاستثناء  
فلا يستثنى به إلا ما يكون  
موجبا للتنزيه فوضع  
موضعه فغنى حاشا لله  
تنزيه الله وبراءة الله  
وهي قراءة ابن مسعود  
رضي الله عنه واللام  
ليسان المنزه والمبرك في  
سقبالك والدليل على  
وضعه موضع المصدر  
قراءة أبي السمال حاشا

الكلام والعلماء ذكروا فيه وجوها (الاول) انه لما كان جواب أحد السائلين أنه يصلب ولا شك انه متى سمع ذلك عظم حزنه وتشتد نفرتة عن سماع هذا الكلام قرأ في أن الصلاح أن يقدم قبل ذلك ما يؤتممه بعلمه وكلامه حتى اذا جاءها من بعد ذلك خرج جوابه عن أن يكون بسبب تهمة وهداوة (الثاني) لعلة عليه السلام أراد أن يبين ان دور في العلم اعلم وأعظم مما اعتقدوا فيه وذلك لانهم طلبوا منه علم التعبير ولا شك أن هذا العلم مبي على الظن والتخمين فبين لهما انه يمكنه الاخبار عن الغيوب على سبيل القطع واليقين مع عجز كل الخلق عنه واذا كان الامر كذلك فبأن يكون فائضا على كل الناس في علم التعبير كان أولى فكان المقصود من ذكر تلك المقدمة تقرير كونه فائضا في علم التعبير واصلا فيه الى ما لم يصل غيره (والثالث) قال السدي لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم بين بذلك أن عمله بتأويل الروايليس بمقصود على تني دون غيره ولذلك قال الانبا تكما بتأويله (الرابع) لعلة عليه السلام لما علم أنهما اعتدافيه وقبل قوله فاورد عليهما ما يدل على كونه رسولا من عند الله تعالى فان الاشتغال باصلاح مهمات الدين أولى من الاشتغال بمهمات الدنيا (والخامس) لعلة عليه السلام لما علم أن ذلك الرجل سيصلب اجتمه في أن يدخله في الاسلام حتى لا يموت على الكفر ولا يستوجب العقاب الشديد وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة (والسادس) قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبا تكما بتأويله محمول على اليقظة والمعنى أنه لا يأتيكما طعام ترزقانه الا أخبرتكما أي طعام هو وأي لون هو وكه هو وكيف يكون عاقبته أي اذا أكله الانسان فهو يفيد الصحة أو السقم وفيه وجه آخر قيل كان الملك اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما سموما فارسله اليه فقال يوسف لا يأتيكما طعام الا أخبرتكما ان فيه سما ما لهذا هو المراد من قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبا تكما بتأويله وحاصله راجع الى أنه ادعى الاخبار عن الغيب وهو مجرى مجرى قول عيسى عليه السلام وأنتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فالوجوه الثلاثة الاول لتقرير كونه فائضا في علم التعبير والوجوه الثلاثة الاخر لتقرير كونه نبيا صادقا من عند الله تعالى فان قيل كيف يجوز حل الآية على ادعاء المعجزة مع انه لم يقدم ادعاء النبوة قلنا انه وان لم يذكر ذلك لكن يعلم لانه لا يد وأن يقال انه كان قد ذكره وأيضا ففي قوله ذلكما بما علمني ربي وفي قوله واتبع مله آتاني ما يدل على ذلك ثم قال تعالى ذلكما بما علمني ربي أي ليست اخبر كما على جهة الكهانة والتجسيم وإنما اخبرتكما بوحى من الله وعلم حصل بتعليم الله ثم قال انى تركت مله قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقائل ان يقول في قوله انى تركت مله قوم لا يؤمنون بالله توهم انه عليه السلام كان في هذه الملة فتقول جوابه من وجوه (الاول) ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه ان يكون قد كان خائضا فيه (والثاني) وهو الاصح أن يقال انه عليه السلام كان صعب الهم بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايان خوفا منهم على سبيل التقية ثم انه أطهره في هذا الوقت

بالتنوين وقراءة أبي ع ويحذف الالف الاخرة وقراءة الاعمش يحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيه منزلته وعدم التنوين لمراعاة أصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله عدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمة وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الجشا الذي \* النياحية وفاعله ضمير يوسف

أى صار في ناجية من أن يقارن ما رتبته به الله أى لطافته أولئك أوجانب المعصية لاجل الله ( ما هذا بشرا ) على أعمال ما يعنى ليس وهى لتستعمل الجواز لشاركتها في نفي الخال وقرى بشر خليفة ميم و بشرى أى يعبد مشرى ثم نعين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبرى الذى لم يعهد مثاله في البشر وقصر على الملكية بقولهن ( ان هذا الاملك كريم ) بناء على ما ركز في العقول \* ١٩٠ \* من أن لاسى أحسن من الملك كإركب فيها

أن لا أفتح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبههما كل مثاه في الحسن والتصح وخرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال ( قالت فذلكن ) الفاء قصيدة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذى وصفته به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والعنى ان كان الامر كما قلت فذلكن الملك الكريم التالى عن المراتب البشرية هو ( الذى لمتنى فيه ) أى غيرتنى في الافتتان به حيث ربأتني بحلى ينسبني الى العزيز ووضعت قدره بكونه من الممالك أو بالعنوان الذى وصفته به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر مبتدأ محذوف أى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن في أنفسكن

فكان هذا جارا بحرى ترك له أولئك الكفرة بحسب الظاهر ( المسئلة الثانية ) نكرير لفظهم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون لبيان اختصاصهم بالكفر ولعمل انكارهم للمعاد كان اشد من انكارهم للبدا فلجل مبالغتهم في انكار المعاد كرر هذا اللفظ للتأكيد واعلم ان قوله انى تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله اشارة الى علم المبدأ وقوله وهم بالآخرة هم كافرون اشارة الى علم المعاد من تأمل في القرآن المجيد وتفكر في كيفية دعوة الانبياء عليهم السلام علم أن المقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب صرف الخلق الى الاقرار بالتوحيد وبالبداء والمعاد وان ما وراء ذلك عبث ثم قال تعالى واتبعتملة آياتى ابراهيم واسحق ويعقوب وفيه سوالات ( السؤال الاول ) ما الفائدة في ذكر هذا الكلام ( الجواب ) انه عليه السلام لما ادعى النبوة وتحدى بالمجزة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة وان أباه وجده وأبيه كانوا أنبياء الله ورسوله فان الانسان متى ادعى حرفة أباه وجده لم يستبد ذلك منه وأيضا فكما أن درجة ابراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب كان أمرا مشهورا في الدنيا فاذا ظهر أنه ولد لهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له أتم وتأثر قلوبهم بكلامه أكل ( السؤال الثانى ) لما كان نبيا فكيف قال انى اتبعتملة آياتى والنبي لا بدوان يكون مختصا بشريعة نفسه فلنا لعل مراده التوحيد الذى لم يتغير وأيضاً لعله كان رسولا من عند الله الأنة كان على شريعة ابراهيم عليه السلام ( السؤال الثالث ) لم قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء وحال كل المكلفين كذلك ( الجواب ) ليس المراد بقوله ما كان لنا أنه حرم ذلك عليهم بل المراد انه تعالى طهر آباءه عن الكفر ونظيره قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ( السؤال الرابع ) ما الفائدة في قوله من شىء ( الجواب ) ان أصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة فقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق وارشاد الى الدين الحق وهو أنه لا موجد الا الله ولا خالق الا الله ولا رازق الا الله ثم قال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وفيه مسئلة وهى أنه قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ثم قال ذلك من فضل الله فقوله ذلك اشارة الى ما تقدم من عدم الاشرک فهذا يدل على ان عدم الاشرک وحصول الايمان من الله ثم بين أن الامر كذلك في حقه بعينه وفي حق الناس ثم بين أن أكثر الناس لا يشكرون ويجب أن يكون المراد أنهم لا يشكرون الله على نعمة الايمان حكى أن واحدا من أهل السنة دخل على بشر بن المعتمر وقال هل تشكر الله على الايمان أم لا فان قلت لا فقد خالفت الاجماع وان شكرته فكيف تشكره على ما ليس فعلاه فقال له بشر انما تشكره على انه تعالى أعطانا القدرة والعقل والآلة فيجب علينا أن نشكره على اعطاء القدرة والآلة فاما أن نشكره على الايمان مع ان الايمان ليس فعلاه فذلك باطل وصعب الكلام على بشر فدخل عليهم تمامة بن الاشمرس وقال انما لانشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا

وقلت في وفي ما قلت فالآن قد علمت من هو وما قولكن فينا وأما ما يقال تعنى انكن لم تصورنه ﴿ عليه ﴾ بحق صورته ولو صورته بما طابنت لعذرتنى في الافتتان به فلا بلأتم المقام فان مرادها بدعوتهن ومجهيد مامهدته لهن تبيكينهن وتديهنسن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا يزيد عليه وما ذكر من المقال فعق العتدر قبل ظهور معذرتة وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق

والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو أيضا لا يلام قولها فذلكم الذي لنتفي فيه فان عنوان  
العصمة مما بنا في تشيئة مراتبها ثم بعد ما أقامت عليهم بالجملة وأوضحت لديهن عدرها وقد أصابهن من قبله  
عليه السلام ما أصابها باحتالهن ببقية سرها فقالت ( وتقدر اودته عن نفسه ) حسبما قلت وسمعتن ( فاستعصم )  
امتتم طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل \* ١٩١ \* على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو

يجتهد في الاستزادة منها  
كافي استمسك واستجمع  
الرأي وفيه برهان نير  
على انه لم يصدر عنه  
عليه السلام شيء مخل  
باستعصامه بقوله معاذا الله  
من المهم وغيره اعترفت  
لهن أو لا بما كن يسمعه  
من مر اودتها له وأكده  
اظهار الالتهاب بها بذلك  
ثم زادت على ذلك أنه  
أعرض عنها على أبلغ  
ما يكون ولم يعمل بها فط  
ثم زادت عليه أيضا أنها  
مسترة على ما كانت  
عليه غير مرغوبة عنه  
لا بلوم العواذل  
ولا باعراض الحبيب فقالت  
( ولئن لم يفعل ما أمره )  
أي أمر به فيما سيأتي  
كالم يفعل فيما مضى فحذف  
الجار وأوصل الفعل  
الى الضمير كافي أمرتك  
الخبر فالضمير للوصول  
أو أمرى إياه أي موجب  
أمرى ومقتضاه  
فما صدرية والضمير  
ليوسف وعبرت عن  
مر اودتها بالامر اطهارا  
لجر بان حكومتها عليه

عليه كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا فقال بشر لما صعب الكلام سهل واعلم ان الذي  
الزمه تمامه باطل بنص هذه الآية وذلك لانه تعالى بين ان عدم الاشرار من فضل الله ثم  
بين ان اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة وانما ذكره على سبيل النعم فدل هذا على انه  
يجب على كل مؤمن ان يشكر الله تعالى على نعمة الايمان وحينئذ تقوى الجملة وتكمل  
الدلالة قال القاضي قوله ذلك ان جعلناه اشارة الى التمسك بالتوحيد فهو من فضل الله  
تعالى لانه انما حصل بالطفاه وتسهيله و يحتمل ان يكون اشارة الى النبوة (والجواب) ان ذلك  
اشارة الى المذكور السابق وذلك هو ترك الاشرار فوجب أن يكون ترك الاشرار من  
فضل الله تعالى والقاضي بصرفه الى الاطراف والتسهيل فكان هذا تركا للظاهر وأما  
صرفه الى النبوة فبعيد لان اللفظ الدال على الاشارة يجب صرفه الى أقرب المذكورات  
وهو ههنا عدم الاشرار \* قوله تعالى ( يا صاحبي السجن ) أرباب متفرقون خير أم الله  
الواحد القهار متعبدون من دونه الأسماء سميتها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من  
سلطان ان الحكم الله أمر ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي  
في السجن ويحتمل أيضا انه لما حصلت مرافقتها في السجن مدة قليلة أضيفا اليه واذا  
كانت المرافقة القليلة كافية في كونه صاحبا فمن عرف الله وأحبه طول عمره أولى بان  
يبقى عليه اسم المؤمن العارف المحب ( المسئلة الثانية ) اعلم أنه عليه السلام لما ادعى النبوة  
في الآية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات الالهيات لاجرم شرع في هذه الآية  
في تقرير الالهيات ولما كان أكثر الخلق مقرين بوجود الاله العالم القادر وانما الشأن  
في أنهم يتخذون أصناما على صورة الارواح الفلكية وبعبدونها ويتوقعون حصول  
النتع والضرم منها لاجرم كان سعي أكثر الانبياء في المنع من عبادة الاوثان فكان الامر  
على هذا القابون في زمان يوسف عليه السلام فلهذا السبب شرع ههنا في ذكر ما يدل على  
فساد القول بعبادة الاصنام وذكر أنواع من الدلائل والجمع ( الجملة الاولى ) قوله أرباب  
متفرقون خير أم الله الواحد القهار وتقرير هذه الجملة أن تقول ان الله تعالى بين أن كثرة  
الأكهة توجب الخلل والفساد في هذا العالم وهو قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا  
فكثرة الأكهة توجب الفساد والخلل وكون الاله واحدا يقتضى حصول النظام وحسن  
الترتيب فلما قرر هذا المعنى في سائر الآيات قال ههنا أرباب متفرقون خير أم الله الواحد  
القهار والمراد منه الاستفهام على سبيل الانتكار ( الجملة الثانية ) ان هذه الاصنام  
معمولة لا كاملة ومقهورة لا قاهرة فان الانسان اذا أراد كسرها وابطالها فقد ر عليها فهي  
مقهورة لا تأتي عليها ولا يتوقع حصول منفعة ولا مضرة من جهتها واله العالم فعال قهار  
قادر يقدر على ابطال الخيرات ودفع الشرور والآفات فكان المراد أن عبادة الأكهة  
المقهورة الذليلة خير أم عبادة الله الواحد القهار فقوله أرباب اشارة الى الكثرة لجمال

واقضاء الامثال بأمرها ( ليسجن ) بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك أو إياها ما سرعة  
ترتب ذلك على عدم امثاله لامرها كأبته لا يدخل بينهما فمسل فاعل ( وليكونا ) بالمخففة ( من الصاغرين )  
أي الاذلاء في السجن وقد قرى الفعلان بالثقل ولكن المشهورة أولى لان النون كتبت في المصحف ألفا على حكم  
الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط

مؤطرة للقسَم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بمخض منهن ليعلم يوسف عليه السلام انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من أحد فنضيق عليه الخيل وتعيابه العلو وينحجن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابرار والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فاصنع يوسف حينئذ قيل (قال) منا جيار به عز سلطانه (رب السجن) الذي أوهدتني \* ١٩٢ \* باللقاء فيه وقرأ يعقوب بالقبح على المصدر

(أحب الى) أي أترعدي  
لانه مشتقة قليلة نافذة  
اثرها راحات جليلة أبدية  
( بما يدعوتني اليه )  
من موافقتها التي تؤدي  
الى النقا والعداب الايم  
وهذا الكلام منه  
عليه السلام مبني على ما مر  
من انكشاف الحقائق  
لديه و بروز كل منها  
بصورتها اللائقة بها  
فصيغة التفضيل ليست  
على بابها اذ ليس له شائبة  
محبة لما دعت اليه وانما هو  
والسجن سران أهونهما  
وأقربهما الى الايثار  
السجن والتعير عن الايثار  
بالحبة لحسم مادة طمعها  
عن المساعدة خوفا من  
الحبس والاقتصار على ذكر  
السجن من حيث  
ان الصغار من فروعه  
ومستبعاته واسناد  
الدعوة اليهن جميعا لان  
النسوة رغبتهن في مطاوعتها  
وخوفتهن من مخالفتها  
وقيل دعونه الى أنفسهن  
وقيل انما ابتي عليه السلام  
بالسجن لقوله هذا وكان  
الاولى به أن يسأل الله

في مقابلته كونه تعالى واحدا وقوله متفرقون اشارة الى كونها مخلقة في الكبر والصغر واللون والشكل وكل ذلك انما حصل بسبب أن الناحت والصابغ يجعله على تلك الصورة فقوله متفرقون اشارة الى كونها مقهورة عاجزة وجعل في مقابلته كونه تعالى قهارا فيها هذا الطريق الذي سرحناه اشتملت هذه الآية على هذين النوعين الظاهرين (والحجة الثالثة) ان كونه تعالى واحدا يوجب عبادته لانه لو كان له ثمان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والافات عنا فيقع الشك في أن نعبد هذا أم ذلك وفيه اشارة الى ما يدل على فساد القول بعبادة الاوثان وذلك لان بتقدير أن تحصل المساعدة على كونها نافعة ضارة الا أنها كثيرة حينئذ لانعلم أن نفعنا ودفع الضرر عنا حصل من هذا الضم أو من ذلك الآخر او حصل بمشاركتها وما عاونتها وحينئذ يقع الشك في أن المستحق للعبادة هو هذا أم ذلك اما اذا كان المعبود واحدا ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة الا هو ولا معبود للمخلوقات والكائنات الا هو فهذا أيضا وجه لطيف مستنبط من هذه الآية (الحجة الرابعة) ان بتقدير أن يساعد على أن هذه الاصنام تنفع وتضر على ما يقوله أصحاب الطلسمات الا أنه لا نزاع في أنها تنفع في أوقات مخصوصة و بحسب آثار مخصوصة والا له تعالى قادر على جميع القدورات فهو قهار على الاطلاق نافذ المشيئة والقدرة في كل الممكنات على الاطلاق فكان الاشتغال بعبادته أولى (الحجة الخامسة) وهي سرية عالية وذلك لان شرط القهار أن لا يقهره أحد سواء وأن يكون هو قهارا لكل ما سواه وهذا يقتضي أن يكون الاله واجبا للوجود لذاته اذ لو كان ممكنا لكان مقهورا لا قهارا ويجب أن يكون واحدا اذ لو حصل في الوجود واجبا لما كان قهارا لكل ما سواه فالاله لا يكون قهارا الا اذا كان واجبا لذاته وكان واحدا واذا كان المعبود يجب أن يكون كذلك فهذا يقتضي أن يكون الاله شيئا غير الفلك وغير الكواكب وغير النور والظلمة وغير العقل والنفس فأما من تمسك بالكواكب فهي أرباب متفرقون وهي ليست موصوفة بانها قهارة وكذا القول في الطبائع والارواح والعقول والنفوس فهذا الحرف الواحد كاف في اثبات هذا التوحيد المطلق وانه مقام عال فهذا مجموع الدلائل المستنبطة من هذه الآية بقي فيها سؤالان (السؤال الاول) لم سماها أربابا وليست كذلك (والجواب) لاعتقادهم فيها أنها كذلك وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير والمعنى انها ان كانت أربابا فهي خیرام الله الواحد القهار (السؤال الثاني) هل يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال انها خير أم الله الواحد القهار (الجواب) انه خرج على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير أم الله الواحد القهار ثم قال ماتعبدون من دونه الأسماء سميتوها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بهما من سلطان وفيه سؤال وهو انه تعالى قال فيما قبل هذه الآية أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وذلك يدل على وجود هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الآية ماتعبدون من دونه الأسماء

دعالي العافية ولذلك ردد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي من كان يسأل الصبر (والانصراف) سميتوها  
أي ان لم تصرف (عني كيدهن) في محيبت ذلك الى ومحسنه لدى بان تثبتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة  
(أصب اليهن) أي أمل الى اجابتهن أو الى أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فرع منه  
عليه السلام الى أطفاني الله تعالى جريا

علمت الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والتجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى  
والقدر عن أنفسهم وبالعفة في استدعاء لطفه في صرف كيدهم باظهار ان لطاقته بلدا فعة كقول المستفيضة ادركني  
والاهلكت لانه يطلب الاجبار والالغاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل  
الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس ﴿ ١٩٣ ﴾ تصبو اليها لطيب سميها وروحها وقرى أصب اليهن

من الصباة وهي رقة  
الشوق (وأكن من  
الجاهلين) الذين  
لا يعلمون بما يعلمون  
لان من لا جدوى لعلمه  
فهو والجاهل سواء  
أومن السفهاء بارنكاب  
ما يدعونني اليه من القبائح  
لان الحكيم لا يفعل  
القبیح (فاستجاب له  
ربه) دعاه الذي  
نصحه بقوله والاعتصم  
عني كيد من الخ فان فيه  
استدعاء لصراف  
كيد من على أبلغ وجه  
وأطفه كما مروى في اسناد  
الاستجابة الى الرب  
مضا فاليه عليه السلام  
ما لا يخفى من اظهار  
الاطف (فصرف  
عنه كيد من) حسب  
دعائه وثبته على العصمة  
والعفة (انه هو السميع)  
لدعاء المتضرعين اليه  
(العليم) بأحوالهم  
وما يصح لهم (ثم بداهم)  
أى ظهر للعزير وأصحابه  
التصدين للحل والعقد  
ربنا اكنفوا بأمر  
يوسف بالكتمان

سميتها وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل وبينهما تناقض (الجواب) ان الذات  
موجودة حاصلة الا ان المسمى بالاله غير حاصل ويانه من وجهين (الاول) ان ذات  
الاصنام وان كانت موجودة الا انها غير موصوفة بصفات الالهية واذ كان كذلك كان  
الشيء الذي هو مسمى بالاله في الحقيقة غير موجود ولا حاصل (الثاني) يروى ان عبدة  
الاوئان مشبهة فاعتقدوا ان الاله هو انوار الاعظم وان الملائكة انوار صغيرة ووضعوا  
على صورة تلك الانوار هذه الاوئان ومعبودهم في الحقيقة هوتلك الانوار السماوية وهذا  
قول المشبهة فانهم تصوروا جسما كبيرا مستقرا على العرش ويعبدونه وهذا التخيل غير  
موجود البتة فصح أنهم لا يعبدون الا مجرد الاسماء واعلم ان جماعة من يعبدون الاصنام  
قالوا نحن لانقول ان هذه الاصنام آلهة للعالم بمعنى انها هي التي خلقت العالم الا اننا نطلق  
عليها اسم الاله ونعبدها ونعظمها لاعتقادنا ان الله أمرنا بذلك فاجاب الله تعالى عنه فقال  
أما سميتها بالآلهة فامر الله تعالى بذلك وما أنزل في حصول هذه التسمية حجة ولا برهان  
ولا دليلا ولا سلطانا وليس لغير الله حكمه واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام بل الحكم  
والامر والتكليف ليس الاله ثم انه أمر أن لا تعبدوا الاياه وذلك لان العبادة نهاية التعظيم  
والاجلال فلا تليق الا بجن حصل منه نهاية الانعام وهو الاله تعالى لان منه الخلق والاحياء  
والعقل والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجنات احسانه الى الخلق غير متناهية ثم انه  
تعالى لما بين هذه الاشياء قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون وتفسيره ان أكثر الخلق  
يسندون حدوث الحوادث الارضية الى الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية  
لاجل أنه تقرر في العقول أن الحادث لا بد له من سبب فاذا رأوا أن تغير أحوال هذا العالم  
في الحر والبرد والفصول الاربعة انما يحصل عند تغير أحوال الشمس في اربع الفلك  
ربطوا الفصول الاربعة بحركة الشمس ثم لما شاهدوا ان احوال النبات والحيوان مختلفة  
بحسب اختلاف الفصول الاربعة ربطوا حدوث النبات وتغير أحوال الحيوان  
باختلاف الفصول الاربعة فهذا الطريق غلب على طباع أكثر الخلق أن المدبر لحدوث  
الحوادث في هذا العالم هو الشمس والقمر وسائر الكواكب ثم انه تعالى اذا وفق انسانا  
حتى ترقى من هذه الدرجة وعرف انها في ذاتها وصفاتها مفقورة الى موجد ومبدع قاهر  
قادر عليم حكيم فذلك الشخص يكون في غاية الندرة فلهذا قال ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون \* قوله عز وجل (يا صاحبي السجن) أما أحدكما فيسقى ربه خيرا وأما الآخر فيصلى  
فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان) اعلم انه عليه السلام لما قرأ أمر  
التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكره والمعنى ظاهر وذلك لان الساقى  
لما قص رؤياه على يوسف وقد ذكرنا كيف قص عليه قلله يوسف ما أحسن ما رأيت أما  
حسن العتبة فهو حسن جالك وأما الاخصان الثلاثة فثلاثة ايام يوجه اليك الملك عند  
انقضائهم فيردك الى عملك فتصير كما كنت قبل أحسن وقال الخباز لما قص عليه ببسما رأيت

والاعراض عن ذلك (من بعد) ﴿ ٢٥ ﴾ خا مارا والآيات) الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة  
على براءته عليه السلام وقاعل بيلا أما مصدره أو للرأى المفهوم من السياق أو المصدر المدلول عليه بقوله (ليسجنه)  
والعنى بداهم بداء أورأى أو سجنه المحتوم قائلين والله ليسجنه فالتسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا  
من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا يستزال المرأة لزوجها وقتلها منه في الذروة والغارب

مؤثثة للقسـم وجوابه ساد مسنودة حيث شامت قال السدي انها قالت للعزيزان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس فخبروهم عليه السلام انها ليست فبفسه فاما ان تاذن لي فأخرج فأعتراني الناس واما ان تخبسه فخبسه وقد أرادت بذلك تحقيق الى موافقتها ولما كان ع به عريكته وتنفاد لها قرونته لما انصرفت حبال رجائها عن استباحه بعرض الجمال والترقيب بنفسها مناجيلار به عزسلفوقرى لتسجنته على صيغة الخطاب ﴿١٩٤﴾ بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز زوجته

(أحب الى) أى آل وجه التعظيم  
لانه مشقة فخطاب به العزيز ومن  
ارهاراه عنده من أصحاب الراى  
(بما) المباسرين للسجن  
والحبس (حتى حين)  
الى حين انقطاع قالة  
الناس وهذا بادي الراى  
عند العزيز وذويه وأما  
عندها فحتى يذلل  
السجن ويسخر لها  
ويحسب الناس أنه المجرم  
وعرى عتي حين بلقة  
هذيل (ودخل معه)  
أى فى صحبته (السجن  
فتيان) من فتیان الملاك  
ومالكه أحدهما شرايه  
والآخر خبازه روى أن  
جماعة من أهل مصر  
ضمنوا الهما مالا يسما  
الملاك فى طعامه وشرايه  
فأجاباهم الى ذلك ثم ان  
الساقى نكل عن ذلك  
ومضى عليه الخباز فسم  
الخبز فلما حضر الطعام  
قال الساقى لانا كل أيها  
الملاك فان الخبز مسوم  
وقال الخباز لا تشرب  
أيها الملك فان الشراب  
مسوم فقال الملك للساقى  
اسر به فشر به فلم يضره

السلال الثلاث ثلاثة أيام بوجه اليك الملك عند انقضاء من فيصلبك وتأكل الطير من رأسك ثم نقل فى التفسير أنهما قالامارا يباشثا فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان واختلف فيما لاجله قالامارا يباشثا فقبل انهما وضعا هذا الكلام ليختبر اعلمه بالتعبير مع أنهما مارا يباشثا وقيل انهما لما كرها ذلك الجواب قالامارا يباشثا فان قيل هذا الجواب الذى ذكره يوسف عليه السلام ذكره بناء على الوحي من قبل الله تعالى أو بناء على علم التعبير والاول باطل لان ابن عباس رضى الله عنهما نقل انه انما ذكره على سبيل التعبير وايضا قال تعالى وقال للذى ظن انه ناج منهما واولو كان ذلك التعبير مبنيا على الوحي لكان الحاصل منه القطع واليقين لا الظن والتخمين (والثانى) ايضا باطل لان علم التعبير مبنى على الظن والحسبان والقضاء هو الازام بالجزم والحكم البتة فكيف بنى الجزم والقطع على الظن والحسبان (الجواب) لا يبعد أن يقال انهما لما سألاه عن ذلك المنام صدقانه أو كذبا فان الله تعالى أوحى اليه ان عاقبة كل واحد منهما تكون على الوجه المخصوص فلما نزل الوحي بذلك الغيب عند ذلك السؤال وقع فى الظن انه ذكره على سبيل التعبير ولا يبعد ايضا أن يقال انه بنى ذلك الجواب على علم التعبير وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان ماعى به ان الذى ذكره واقع لا محالة بل عنى به انه حكمه فى تعبير ما سألاه عنه ذلك الذى ذكره \* قوله عز وجل (وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكره به فليت فى السجن بضع سنين) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا فى ان الموصوف بالظن هو يوسف عليه السلام أو الناجى فعلى الاول كان المعنى وقال الرجل الذى ظن يوسف عليه السلام كونه ناجيا وعلى هذا القول فقيه وجهان (الاول) أن يحمل هذا الظن على العلم واليقين وهذا اذا قلنا بأنه عليه السلام انما ذكر ذلك التعبير بناء على الوحي قال هذا القائل وورود لفظ الظن بمعنى اليقين كثير فى القرآن قال تعالى الذين يظنون أنهم ملاقور بهم وقال انى ظننت انى ملاق حسايه (والثانى) ان يحمل هذا الظن على حقيقة الظن وهذا اذا قلنا انه عليه السلام ذكر ذلك التعبير لانه بناء على الوحي بل على الاصول المذكورة فى ذلك العلم وهى لانفيد الا لظن والحسبان (والقول الثانى) ان هذا الظن صفة الناجى فان الرجلين السائلين ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف ورسالته ولكنهما كانا حسنى الاعتقاد فيه فكان قوله لا يفيد فى حقهما الا مجرد اظن (المسئلة الثانية) قال يوسف عليه السلام لذلك الرجل الذى حكم بأنه يخرج من الحبس ويرجع الى خدمة الملك اذكرنى عند ربك أى عند الملك والمعنى اذكر عنده أنه مظلوم من جهة اخوته لما أخرجوه وباعوه ثم انه مظلوم فى هذه الواقعة التى لاجلها حبس فهذا هو المراد من الذى ذكره قال تعالى فأنساه الشيطان ذكره وفيه قولان (الاول) انه راجع الى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف أن يذكر به وعلى هذا القول فقيه وجهان (احدهما) ان تمسكه بغير الله كان مستدركا عليه وتقريره من وجوه (الاول) أن مصلحته كانت فى أن لا يرجع

وقال للخباز كله فأبى فحرب بداية فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلاه معه وتأخير الفاعل \* فى \* عن المفعول للمامر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليمكن عند النفس حين ورودها لها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح فى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لا يهتام العكس أن يكون الظرف خيرا مقدما على المبتدا



وتكون الجملة حالاً من داخل دخل فتأمل (قال أحدهما) استئناف مبنى على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخل معه السجين فاجيب بأنه قال أحدهما وهو الشرايبي (أي أراي) أي رأيتني والتعبير بلا ضارع لاستحضار الصورة الماضية (أعصر خرا) أي عنباسه بما يؤل إليه لكونه المقصود من العصور وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أعصر عنبا (وقال الآخر) وهو الخباز ﴿ ١٩٥ ﴾ (أي أراي أحمل فوق رأسي خبزاً) تأخير المفعول عن الظرف

لما مر أنفاً وقوله (تأكل الطير منه) أي تنهس منه صفة للخبز أو استئناف مبنى على السؤال (بئسنا بتأويله) بتأويل ما ذكر من الروي بين أوما روي بأجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فإن اسم الإشارة يشار به إلى متعدد كما في قوله \* فيها خطوط من سواد وبلق \* كأنه في الجلد تواليع اليهق \* أي كأن ذلك والسرفي المصير إلى اجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة إليه بعد تأويل المرجع بما ذكر أو بما روي أن الضمير إنما تعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسنى تأويله بإحسد الاعتبارين إلا بإجرائه مجرى اسم الإشارة الذي يدل على المشار إليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا إذا قاله معاً أو قاله أحدهما من

في تلك الواقعة إلى أحد من المخلوقين وإن لا يعرض حاجته على أحد سوى الله وإن يقتدى بجمه إبراهيم عليه السلام فإنه حين وضع في المنجنيق ليرى إلى النار جاءه جبريل عليه السلام وقال هل من حاجة فقال أما إليك فلا فلما رجع يوسف إلى المخلوق لاجرم وصف الله ذلك بأن الشيطان أنساه ذلك التفويض وذلك التوحيد ودعاها إلى عرض الحاجة إلى المخلوقين ثم لما وصفه بذلك ذكر أنه بقي لذلك السبب في السجن بضع سنين والمعنى أنه لما عدل عن الانقطاع إلى ربه إلى هذا المخلوق عوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وحاصل الأمر أن رجوع يوسف إلى المخلوق صار سبباً لأميرين (أحدهما) أنه صار سبباً لاستيلاء الشيطان عليه حتى أنساه ذكر ربه (الثاني) أنه صار سبباً لبقاء المحنة عليه مدة طويلة (الوجه الثاني) أن يوسف عليه السلام قال في إبطال عبادة الأوثان أأرباب من فرقون خير أم الله الواحد القهار ثم انه ههنا أثبت ربا غيره حيث قال اذكرني عند ربك ومعاذ الله أن يقال انه حكم عليه بكونه ربا بمعنى كونه الهابل حكم عليه بالربوبية كما يقال رب الدار ورب الثوب على أن اطلاق لفظ الرب عليه بحسب الظاهر يناقض نبي الأرباب (الوجه الثالث) انه قال في تلك الآية ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وذلك نبي للشرك على الاطلاق وتفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى فههنا الرجوع إلى غير الله تعالى كالمناقض لذلك التوحيد واعلم أن الاستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة إلا ان حسنات الأبرار سيأت المقرين فهذا وإن كان جازاً العامة الخلق إلا أن الأولى بالصدقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا إلا بسبب الأسباب (الوجه الثاني) في تأويل الآية أن يقال هب أنه تمسك بغير الله وطلب من ذلك الساقى أن يشرح حاله عند ذلك الملك إلا أنه كان من الواجب عليه أن لا يخلى ذلك الكلام من ذكر الله مثل أن يقول ان شاء الله أو قدر الله فلما أخلاه عن هذا الذكر وقع هذا الاستدراك (القول الثاني) أن يقال ان قوله فأنساه الشيطان ذكره به راجع إلى التامى والمعنى ان الشيطان أنسى ذلك الفتي أن يذكر يوسف للملك حتى طال الأمر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب ومن الناس من قال القول الأول أولى لما روي عنه عليه السلام قال رحمه الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن قتادة ان يوسف عليه السلام عوقب بسبب رجوعه إلى غير الله وعن إبراهيم التيمي انه لما انتهى إلى باب السجن قال له صاحبه ما حاجتك قال أن تذكرني عند رب سوي الرب الذي قال يوسف وعن مالك لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك قبل يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لا طيلن حبسك فبكي يوسف وقال طول البلاء أنساني ذكر المولى فقلت هذه الكلمة فويل لأخوتي قال مصنف الكتاب فخر الدين الرازي رحمه الله والذي جرى به من أول عمرى إلى آخره ان الانسان كالماء في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبباً إلى البلاء والمحنة والشدة والرزية وأداعول العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من

جهتها ما وأما إذا قاله بل منهما ثم أقص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة أحدهما من جهتها بل تعدد المرجع بل عبارته كل منهما انبئني بتأويله مستفسراً لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة

مفردة خاصة به (انترك) تعليل لمرض رؤياهما عليه واستفسار هانده عليه السلام (من المحسنين) من الذين يعبدون عبادة الرو بالمارأياه بقص عليه بعض أهل السجى رؤيا فيؤولها له تاو يلا حشنا او من العلماء باسماءه بذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى أهل السجى أى فاحسن اليسابكشف غممتان كنت قادر اعلى ذلك روى أنه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه أو وسع له واذا احتاج ﴿ ١٩٦ ﴾ جمع له وعن قتادة رضى الله عنه

كان فى السجى ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجمع يقول أبشروا واصبروا وتوجروا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يا فتى فقال أبا يوسف بن صنى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجى لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك فكن فى أى بيوت السجى شئت وعن السعبي أنهما تحالما له ليحتمناه فقال الشرايى أرانى فى سنان فاذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخبازانى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة واذا سابع الطير تنهس منها قال لا يا تيكما طعام ترزقانه فى مقامكما هنا حسب عادتكما المطردة

أول عمرى الى هذا الوقت الذى بلغت فيه الى السابع والخمسين فشد هذا استقر قلبي على انه لا مصلحة للانسان فى التعويل على نبي سوى فضل الله تعالى واحسانه ومن الناس من رجح القول الثانى لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل أولى من صرفها الى يوسف الصديق ولان الاستعانة بالعباد فى التخلص من الظلم جائزة واعلم أن الحق هو القول الاول وما ذكره هذا القائل الثانى تمسك بظاهر الشريعة وما قرره القائل الاول تمسك بأسرار الحقيقة ومكارم الشريعة ومن كان له ذوق فى مقام العبودية وشرب من مشرب التوحيد عرف ان الامر كما ذكرناه وايضا فى لفظ الآية ما يدل على ان هذا القول ضعيف لانه لو كان المراد ذلك اتقال فأنساه الشيطان ذكره به (المسئلة الثالثة) الاستعانة بغير الله فى دفع الظلم جائزة فى الشريعة لانكار عليه الا انه لما كان ذلك مستدركا من المحققين المتوغلين فى بحار العبودية لاجرم صار يوسف عليه السلام مؤاخذا به وعند هذا نقول الذى يصير مؤاخذا بهذا القدر لان بصير مؤاخذا بالاقدام على طلب الزنا ومكافاة الاحسان بالاساءة كان أولى فلما رأينا الله تعالى آخذه بهذا القدر ولم يؤاخذه فى تلك القضية البتة وما عابه بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء علمنا أنه عليه السلام كان مبرأ من نسبة الجهال والحشوية اليه (المسئلة الرابعة) الشيطان يمكنه القاء الوسوسة وأما النسيان فللانه عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدره له عليه والالكان قد أزال معرفة الله تعالى عن قلوب بنى آدم (وجوابه) انه يمكنه من حيث انه بوسوسته يدعو الى سائر الاعمال واشتغال الانسان بسائر الاعمال يمنع عن استحضار ذلك العلم وتلك المعرفة (المسئلة الخامسة) قوله لبيت فى السجى بضع سنين فيه بجان (الاول) بحسب اللغة قال الزجاج اشتقاقه من بضعت بمعنى قطعت ومعناه القطعة من المعد قال الفراء ولا يذكر البضع الامم عسره أو عشرين الى التسعين وذلك يقتضى أن يكون مخصوصا بما بين الثلاثة الى التسعة وقال هكذا رأيت العرب يقولون وما رأيتهم يقولون بضع ومائة وروى السعبي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه كم البضع قالوا الله ورسوله أعلم قال ما دون العشرة واتفق الاكثرون على أن المراد ههنا بضع سنين سبع سنين قالوا ان يوسف عليه السلام حين قال لذلك الرجل اذكرنى عند ربك كان قد بقى فى السجى خمس سنين ثم بقى بعد ذلك سبع سنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لما تضرع يوسف عليه السلام الى ذلك الرجل كان قد اقترب وقت خروجه فلما ذكر ذلك لبيت فى السجى بعده سبع سنين وروى ان الحسن روى قوله صلوات الله عليه وسلامه رحم الله يوسف لولا الكلمة التى قالها للبيت فى السجى هذه المدة الطويلة ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر تضرعنا الى الناس \* قوله تعالى (وقال الملك انى ارى سيم بقرات سمان يا كلهن سبع عجايف وسبع سنبلات خضروا اخر باسبات ما أيها الملا أفقوني فى رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين) اعلم أنه تعالى اذا أراد شيئا

(الانبا تكلمتا بآويله) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا يا تيكما طعام فى حال من الاحوال الاحال ﴿ هيا له ﴾ ما نيا تكما به بان يئنت لكها ما هيته وكيفيته وسائر احواله (قيل أن يا تيكما) واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام إليهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روي في المنسلم وتشبيهه واما بطريق المشاكلة حسبما وقع فى عبارتهما

من قولهما نيتنا تأويله ولا يعدان برادياتا ويل الشيء الأول لا المال فانه في الاصل جعل شيئا لا الى شيئا آخر فكما يجوز أن يراد به الثاني يجوز أن يراد به الأول فالمعنى الانبأ تكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفتي كيت وكيت فوجد انه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما بينهما من الامور المترتبة قبل وقوعها ﴿ ١٩٧ ﴾ وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريضا في ذلك بحسب الحال مع

ما فيه من مراعاة حسن التخصيص اليه مما استعبراه من الرويتين المتعلقين بالشراب والضعفام وقد جعل الضمير لما قصا من الرويتين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا أخبر تكما بتأويل ما قصصتما على قبل أن يأتيكما ذلك الطعام الموقت مراد به الاخبار بالاستجمال في التنبؤ وأنت خير بآن النظم الكريم ظاهر في تعدد اتان الطعام والاخبار بالتأويل وتجدهما وأن المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا أوليا وانما يكتم عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع أن فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمع المحسنين وأنهما قد علما ذلك حيث قالانا نراك من المحسنين توسم عليه السلام

هيا له أسبابا ولما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر في النوم سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضبر قد انعدت حبهما وسبعاً خرياً بسات فالتوت اليابسات على الخضبر حتى غلبن عليها فجمع الكهنة وذكرها لهم وهو المراد من قوله يأيتها الملا أفنوني في رؤياي فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلان تقدر على تأويلها وتعييرها فهذا ظاهر الكلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الليث العجف ذهاب السمن والفعل عجف يعجف والذكر أعجف والاشي عجفاء والجف عجاف في الذكران والاناث وليس في كلام العرب أفعال وفعلاء جمعا على فعال غير أعجف وعجاف وهي شاذة جلودها على لفظ سمان فقالوا سمان وعجاف لانهما نقيضان ومن دأبهم حمل النضير على الظير والتقيض على التقيض واللام في قوله للرؤيا تعبرون على قول البعض زائدة لتقدم المفعول على الفعل وقال صاحب الكشاف يجوز أن تكون الرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر أحوالا ويقال عبرت الرؤيا أعبرها عبارة وعبرتها تعبيراً اذا فسرتها وحكي الازهرى أن هذا مأخوذ من العبر وهو جاب النهر ومعنى عبرت النهر والطر يق قطعته الى الجانب الآخر فقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتأمل جانبي الرؤيا فيتفكر في أطرافها وينقل من أحد الطرفين الى الآخر والاضغاث جمع الضغث وهو الحرمة من أنواع البت والحشيش بسرط أن يكون مما قام على ساق واستطال قال تعالى وخديديك صنعنا اذا عرفت هذا فقول الرؤيا ان كانت مخلوطة من أشياء غير متناسبة كانت شبيهة بالضعف (المسئلة الثانية) انه تعالى جعل هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن وذلك لان الملك لما رآه قلق واضطرب بسببه لانه شاهدان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوى فشهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد وانه منذر بنوع من أنواع السرالاه ما عرف كيفية الحال فيه والشيء اذا صار معلوما من وجه وبقي مجهولا من وجه آخر عظم تسوق الناس الى تكميل تلك المعرفة وقويت الرغبة في اتمام الناقص لاسيما اذا كان الانسان عظيم الشأن واسم المملكة وكان ذلك النبي دال على الشر من بعض الوجوه فهذا الطريق قوى الله داعية ذلك الملك في تحصيل العلم بتعبر هذه الرؤيا ثم انه تعالى أعجز المعبرين الذين حضروا عند ذلك الملك عن جواب هذه المسئلة وعماء عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف من تلك المحنة واعلم ان القوم ما نفعوا عن أنفسهم كونهم عالمين بعلم التعبير بل قالوا ان علم التعبير على قسمين منه ما يكون الرؤيا فيه متنسقة متظمة فيسهل الانتقال من الامور المتخيلة الى الحقائق العقلية الروحانية ومنه ما تكون فيه مختلطة مضطربة ولا يكون فيها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث والقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم أخبروا انهم غير عالمين بتعبر هذا القسم وكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة وما كان كذلك فكيف لا تهدي اليها ولا يحيط عقلنا بها وفيه ابهام ان الكامل في هذا العلم والتبحر

فيهما خيرا وتوجهها الى قبول الحق فاراد أن يخرج أرذنى أنه عافى نعهدته من دعوة الخلق الى الحق فهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدها علما بعظم شأنه وثقة بامرءه ووقوفها على صلواته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يحوها وقد تخلص اليها من كلامها فكأنه قال تأويل ما قصصتمه على في طرف

الثام حيث بدأ بما مثاله في الثام واني أبين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستولية وان لم يكن هناك مقدمة الثام حتى ان الطعام الموثق الذي يأتي كما كل يوم أيته لكما قبل اتيانه ثم أخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتاه من يشاء ممن يصطفيه للتبوة فقال (ذلكما) أى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعده منزله (مما علمنى ربى) ﴿ ١٩٨ ﴾ بالوحى والالهام أى بعض منه أو من ذلك

فيه قد يهتدى اليها فمئذ هذه المقالة تذكر ذلك الشراي واقعة يوسف فانه كان يعتقد فيه كونه متحررا في هذا العلم ﴿ قوله تعالى (وقال الذى بجانبها وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سمر بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريا بسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) اعلم ان الملك لما سأل الملائعن الرويا واعترف الحاضرون بالجزع عن الجواب قال الشراي ان فى الخيس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والحجاز عليه منامين فذكرنا و يلتهما فصدق فى الكل وما أخطأ فى حرف فان أذنت مضيت اليه وجئتك بالجواب فهذا هو قوله وقال الذى بجانبها وأما قوله وادكر بعد أمة فنقول سيمى اذكر فى تفسير قوله تعالى فهل من مذكر فى سورة القمر قال صاحب الكشاف وادكر بالبدال هو الفصحى بن الحسن واذكر بالذال أى تذكر وأما الامة ففیه وجوه (الاول) بعد أمة أى بعد حين وذلك لان الحين انما يحصل عند اجتماع الايام الكثيرة كما ان الامة انما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم فالحين كان أمة من الايام والساعات (والثانى) قرأ الاشهب العقيلي بعد امة يكسر الهمزة والامة النعمة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارثهم هناك القبور والمعنى بعد ما نتم عليه بالتجاه (الثالث) قرى بعد امة أى بعد نسيان يقال أمة بامة أمها اذا نسى والصحيح انها بفتح الميم وذكره ابو عبيدة بسكون الميم وحاصل الكلام انه اما ان يكون المراد وادكر بعد مضى الاوقات الكثيرة من الوقت الذى أوصاه يوسف عليه السلام بذكره عند الملك او المراد وادكره بعد وجدان النعمة عند ذلك الملك او المراد وادكر بعد النسيان فان قير قوله وادكر بعد أمة يدل على ان الناسى هو الشراي وأتم تقولون الناسى هو يوسف عليه السلام قلنا قال ابن الانبارى اذكر بمعنى ذكر وأخبروهذا لا يدل على سبق النسيان فلعل الساقى انما لم يذكره لملك خوفا من ان يكون ذلك اذا كرا لذية الذى من أجله حبسه فبزاد الشروى محتمل أيضا أن يقال حصل النسيان ليوسف عليه السلام وحصل أيضا لتلك الشراي وأما قوله فأرسلون خطابا بالملك والجمع أو للملك وحده على سبيل التعظيم أما قوله يوسف أيها الصديق ففیه محذوف والتقدير فأرسل وأتاه وقال أيها الصديق والصديق هو البالغ فى الصديق وصفه بهذه الصفة لانه لم يجرب عليه كذبا وقيل لانه صدق فى تعبير روياه وهذا يدل على ان من اراد ان يعلم من رجل شيئا فانه يجب عليه ان يعظمه وان يخاطبه بالالفاظ المشرفة بالاجلال ثم انه اعاد السؤال بعين اللفظ الذى ذكره الملك ونم ما فعل فلن تعبير الرويا قد يختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو مذکور فى ذلك العلم اما قوله تعالى لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون فللمراد لعلى أرجع الى الناس بفتواك لعلهم يعلمون فضلك وعلتك وانما قال لعلى أرجع الى الناس بفتواك لانه رأى عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف ان يعجز هو أيضا عنه

الجنس الذى لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلها بذلك على أن له عيو ما حجة ما سمعاه قطعة من جلتهها وشعبة من دوحتهها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آباءه الانبياء العظام وامتاعه عن الشرك فقال (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليل لاله للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر به صدد التعليل ليس بعلة لكون التساويل المذكور بعضها مما علمه به أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة قيل لاني تركت ملة الكفرة أى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك

وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشارك بالله من شىء ﴿ فلهمذ ﴾ لتركها بعد ملاستها وانما صبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر فى اقتداء بهما به عليه السلام والتعبير عن كرههم بالله تعالى بسلب الايمان به للتصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو راجح الباطل على ما مر فى قوله تعالى انه عمل غير صالح

(وهي الأخرة) وما فيها من الجزاء (هم كافرون) على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر (واتبعته ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب آتية ملة آباءه الكرام ولم ينبغ ملة قوم كفروا بالابدا والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهم عما كانوا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر ترك ملاتهم على ذكر اتباعه لئلا يأنى لان \* ١٩٩ \* التحلية مقدمة على التحلية (ما كان) أي ما صح وما

استقام فضلا عن الوقوع

(لنا) معاشر الانبياء  
 لقوه نفوسنا ووفور علومنا  
 (أن نشرك بالله من شيء)  
 أي شيء كان من ملك أو  
 جنى أو انسى فضلا عن  
 الجناد البحت (ذلك) أي  
 التوحيد المدلول عليه  
 بقوله ما كان لنا أن  
 نشرك بالله من شيء (من)  
 فضل الله علينا) أي  
 ناشئ من تأييده لنا بالنبوة  
 وترسيخه ايانا لقيادته الامة  
 وهدايتهم الى الحق  
 وذلك مع كونه من  
 موجبات التوحيد  
 ودواعيه نعمة جليلة  
 وفضل عظيم علينا  
 بالذات (وعلى الناس)  
 كافة بواسطة حيث  
 عبر عن ذلك بذلك  
 العنوان عبر عن التوحيد  
 الذي يوجب بالشكر فقيل  
 (ولكن أكثر الناس لا  
 يشكرون) أي لا يوحدون  
 فان التوحيد مع كونه  
 من آثار ما ذكر من  
 التأيد شكر الله عز وجل  
 على تلك النعمة وانما  
 وضع الظاهر موضع

فلهذا السبب قال لعلي ارجم الى الناس \* قوله عز وجل (قال ترعون سبع سنين دأبا ما  
 حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن  
 ما قدمت لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس وفيه  
 يعصرون) اعلم انه عليه السلام ذكر تعبير تلك الروايات فقال ترعون وهو خبر بمعنى الامر  
 كقوله والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وانما يخرج الخبر بمعنى الامر ويخرج  
 الامر في صورة الخبر للباينة في الايجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على  
 كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله وقوله دأبا قال أهل اللغة الدأب استمرار الشيء  
 على حالة واحدة وهو دأب يفعل كذا اذا استمر في فعله وقد دأب يدأب دأبا ودأبا أي زراعة  
 متوالية في هذه السنين قال أبو على الفارسي الا كثرون في دأب الاسكان واهل القمح لعة  
 فيكون كشتم وشتم ونهر ونهر قال الزجاج وانتصب دأبا على معنى تدأبون دأبا وقيل انه  
 مصدر وضع في موضع الحال وتقديره ترعون دأبين فاحصدتم فذروه في سنبله الا قليلا  
 مما تاكلون كل ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في سنبله حتى لا يفيد ولا يقع السوس  
 فيه لان ابقاء الحبة في سنبلها يوجب بقاءها على الصلاح ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد  
 أي سبع سنين مجذبات والشداد الصعاب التي تشتد على الناس وقوله يأكلن ما قدمت  
 لهن هذا مجاز فان السنة لا تأكل فيجمل أكل أهل تلك السنين منذ الى السنين وقوله  
 الا قليلا مما تحصنون الاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن يقال أحصنه احصانا  
 اذا جعله في حرز والمراد الا قليلا مما حزر من أي تدخرون وكلها ألفاظ ابن عباس رضي  
 الله عنهما وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس قال المفسرون والسبعة المتقدمة  
 سنوا الخصب وكثرة النعم والسبعة الثانية سنو القحط والقلة وهي معلومة من الروايات  
 حال هذه السنة فما حصل في ذلك المنام شيء يدل عليه بل حصل ذلك من الوحي فكانه عليه  
 السلام ذكر أنه يحصل بعد السبعة المخصبة والسبعة المجذبة ستة مباركة كثيرة الخبر والنعم  
 وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قيل لما كانت العجاف سبعة دل ذلك على أن السنين  
 المجذبة لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم أن الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب وكان  
 هذا أيضا من مدلولات المنام فلم قلتم انه حصل بالوحي والا لهما قلنا هب أن تبديل القحط  
 بالخصب معلوم من المنام اما تفصيل الحال فيه وهو قوله فيه يقات الناس وفيه يعصرون  
 لا يعلم الا بالوحي قال ابن السكيت يقال غلبت الله البلاد فيبئها غيبتا اذا أنزل فيها العيث  
 وقد غيبت الارض تغاث وقوله يقات الناس معناه يمحرون ويجوز أن يكون من قولهم  
 أغاثه الله اذا أنقذه من كرب أو غم ومعناه يتخذ الناس فيه من كرب الجذب وقوله وفيه  
 يعصرون أي يعصرون السمسم دهنا والخب خجرا والزيتون زيتا وهذا يدل على ذهاب  
 الجذب وحصول الخصب والخير وقيل يحلبون الضروع وغري يعصرون من عصره  
 اذا نجس وقيل معناه يمحرون من أعصرت السحابة اذا عصرت بالطر ومثله قوله وأزلنا

الضمير الرجوع الى الناس زيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهوم لعدم اختصاص غير الشاكر  
 بالناس وقيل ذلك التوهم من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب  
 مثل تلك الأدلة لسائر ناس أيضا ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين  
 غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله

عليها حيث اعطانا عقولاً ومشارعاً نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضاً مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشارع الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والانتسية والعقلية والنقلية (باصحابي السجن) أي باصحابي في السجن كما تقول ياسارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفوقها ﴿ ٢٠٠ ﴾ المودة وتخلص النصيحة ليقبل عليه ويقبل مقلته

وقد ضرب لهما مثلاً يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال (أرباب حفرقون) لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستبد ككل منهم حسبما أراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله (خير) لكما (ام الله) المعبود بالحق (الواحد) المنفرد بالالوهية (القهار) اعالي الذي لا يغاله أحدو بعد ما نبههم على فساد تعدد الارباب بين الهماسقوط الهمما عن درجة الاعتبار رأساً وفضلاً عن الالوهية فقال معهما الخطاب لهما ولس على دينهما (ما تعبدون من دونه) أي من دون الله شيئاً (الأسماء) فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط (سميتها) جعلتها أسماء وانما لم يذكر

من المعصرات ما تجابا ﴿ قوله تعالى (وقال الملك اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما عملنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز ان كان ححص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) اعلم انه لما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير الذي ذكره يوسف عليه السلام استحسنه الملك فقال اتوني به وهذا يدل على فضيلة العلم سبحانه جعل علمه سبباً للخلاصه من المحنة والديوية فكيف لا يكون العلم سبباً للخلاص من المحن الاخروية فعاد الشرابي الى يوسف عليه اسلام قال أجب الملك وأبي يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن الا بعد أن ينكشف أمره وتزول التهمة بالكلية عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه لما أخبرتكم حتى اشترطت أن يخرج جوتي ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبتت في السجن ما لبثت لا سرعت الاجابه وبادرتهم الى الباب ولما بلغت العذر انه كان حليماً ذاكراً واعلم أن الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف الى أن تعحص الملك عن حاله هو اللائق بالحرم والعقل وبيانه من وجوه (الاول) انه اخرج في الحال فر بما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثرها فلما التمس من الملك أن يتعحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على برأته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوسل به الى الطعن فيه (الثاني) ان الانسان الذي يبقى في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طابه الملك وأمر باخراجه الظاهر انه يبادر بالخروج فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والشبات وذلك يصير سبباً لان يعتقد فيه بالبرائة عن جميع أنواع التهم ولا ينحكم بان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتاناً (الثالث) ان التماسه من الملك أن يتعحص عن حاله من تلك النسوة يدل ايضاً على شدة طهارته اذ لو كان ملوثاً بوجه ما لكان خائفاً ان يذكر ما سبق (الرابع) انه حين قال للشرابي اذ كرني عند ربك فبق بسبب هذه الكلمة في السجن بضع سنين وههنا طلبه الملك فلم يلتفت اليه ولم يقم اطلبه وزنا واستغل باظهار برأته عن التهمة واعلم كان غرضه عليه السلام من ذلك أن لا يبقى في قلبه التفتات الى رد الملك وقوله وكان هذا العمل جارياً بحري التلافي لما صدر منه من التوسل اليه في قوله اذ كرني عند ربك ليظهر ايضاً هذا المعنى لذلك الشرابي فانه هو الذي كان واسطة في الخاتين معاً ما قوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ففيه سئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير والكسائي فسله بغير همز والياقون فاسئله بالهمز وقرأ طاصم برواية أبي بكر عنه النسوة بضم النون والياقون بكسر النون وهما لغتان (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية فيها أنواع من اللطائف (اولها) ان معنى الآية فسل الملك بان يسأل ما شأن تلك النسوة

المسميات تربية لما تقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود واذ انما تسمى في البطلان ﴿ وما حالهن ﴾ حيث كانت بلا تسمية عبادتهم حيث كانت بلا معبود (أتم وألواكم) بخص جبهكم ورضائكم (ما أنزل الله بها) أي بتلك التسمية المستنبطة للعبادة (من سلطان) من جهة تدل على صحتها (أن الحكم) في أمر العبادات المنفرعة على تلك التسمية (الله) عن سلطانه لانه المستحق

لها بالنات انهم الواجب بالذات الموجد لكل والمالك لامره (أمر) استئناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله ان الله  
 الا الله فكانه قيل فاذا حكم الله في هذا الشأن فقبل أمر على السنة الايداء عليهم السلام (الاتعبدوا) أي بأن لاتعبدوا (الاياه)  
 حسبما تقضى به قضية العقل أيضا (ذلك) أي تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه  
 البراهين عقلا ونقلًا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ﴿ ٢٠١ ﴾ أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أولا

وما حالهن ليعلم برامتي عن تلك التهمة الا انه اقتصر على ان يسأل الملك عن تلك الواقعة  
 ثلاثا يشتمل اللفظ على ما يجري مجرى أمر الملك بعمل أو فعل (وثانيها) انه لم يذكر  
 سيده مع أنها هي التي سعت في القائه في السجن الطويل بل اقتصر على ذكر سائر  
 النسوة (وثالثها) أن الظاهر ان أولئك النسوة نسبتن الى عمل فيج وفضل شنيع عند  
 الملك فاقصر يوسف عليه السلام على مجرد قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن  
 وما شكمنهن على سبيل التعيين والتفصيل ثم قال يوسف عليه السلام بعد ذلك  
 ان ربي يكيدهن عليم وفي المراد من قوله ان ربي وجهان (الاول) انه هو الله تعالى  
 لانه تعالى هو العالم بخفيات الامور (والثاني) أن المراد به الملك وجعله ربالنفسه  
 لكونه مر يساله وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن واعلم  
 أن كيدهن في حقه يحتمل وجوها (أحدها) ان كل واحدة منهن ربما طمعت فيه فلما  
 لم يجد المطلوب أخذت تطعن فيه وتنسبه الى القبيح (وثانيها) لعل كل واحدة منهن بالغت  
 في ترغيب يوسف في موافقة سيده على ما رادها يوسف ~~فان~~ الخيانة في حق  
 السيد المزمع لانحوز فأشار بقوله ان ربي يكيدهن ~~من~~ في الترغيب في تلك  
 الخيانة (وثالثها) انه استخرج من وجوها من المكر والخيل في تقييح صورة يوسف عليه  
 السلام عند الملك فكان المراد من هذا اللفظ ذلك ثم انه تعالى حكى عن يوسف عليه  
 السلام انه لما التمس ذلك أمر الملك باحضارهن وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف  
 عن نفسه وفيه وجهان (الاول) ان قوله اذ راودتن يوسف عن نفسه وان كانت صيغة  
 الجمع فالمراد منها الواحدة كقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم  
 (والثاني) أن المراد منه خطاب الجماعة ثم ههنا وجهان (الاول) ان كل واحدة منهن  
 راودت يوسف عن نفسها (والثاني) ان كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة  
 العزيز فاللفظ يحتمل لكل هذه الوجوه وعنده هذا السؤال قلن حاش لله ما عملنا عليه من  
 سوء وهذا كالتأكيد لما ذكرنا في أول الامر في حقه وهو قولهن ما هذا بشر ان هذا  
 الاملك كريم واعلم أن امرأة العزيز كانت حاضرة وكانت تعلم أن هذه المناظرات  
 والتفحصات انما وقعت بسببها ولجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق  
 وقالت الآن حصص الحق أن اراودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) هذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف صلوات الله عليه كان مبرأ عن كل  
 الذنوب مطهرا عن جميع العيوب وههنا دقيقة وهي أن يوسف عليه السلام راى جانب  
 امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن ولم يذكر تلك المرأة  
 البتة فعرفت المرأة أنه انما ترك ذكرها رعاية لحنها وتفضيها لجلابها واخفاء لامر عليها  
 فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازال العطاء والوطاء واصترفت بأن  
 الذنب كله كان من جانبها وأن يوسف عليه السلام كان مبرأ عن الكل ورأيت في بعض

يعلمون شيئا أصلا فيعدون  
 أسماء سموها من تلقاء  
 أنفسهم معرضين عن  
 البرهان العقلي والسلطان  
 النقلى وبعد تحقيق الحق  
 ودعوتها اليه وبيانه  
 له ما مقداره الرفيع ومرتبة  
 علمه الواسع شرع في  
 تفسير ما استفسراه  
 ولكونه مجتاهدا في المسبق  
 فصله عنه بتكرار الخطاب  
 فقال (يا صاحبي السجن  
 أما أحد كما) وهو  
 الشرايبي وانما لم يعينه  
 ثقة بدلالة التعبير وتوسلا  
 بذلك الى ابهام أمر  
 صاحبه حذار مشافهته  
 بما يسوءه (فيسق ربه)  
 أي سيده (خرا) روى  
 أنه عليه السلام قال له  
 ما رأيت من الكرمه  
 وحسنها الملك وحسن  
 حالك عنده وأما القضاء  
 الثلاثة فثلاثة أيام تعضى  
 في السجن ثم تخرج وتعود  
 الى ما كنت عليه وقرأ  
 عكرمة فيسقى ربه على  
 البناء للمفعول أي يسقى  
 ما روى به (وأما الآخر)

وهو الخياز (فيصلب فتأكل الطير ﴿ ٢٦ ﴾ خا من رأسه) روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت  
 من السلال الثلاث ثلاثة أيام ثم تخرج فتقبل (قضى) أي أتم وأحكم (الإمر الذي فيه تستغنيان) وهو ما رأيه  
 من الرؤييين قطعاً لما له الذي هو عبارة عن

عليها حيث اعترى هلاك الآخر كما يوهمة اسناد القضاء اليه اذا الاستفتاء انما يكون في الحادثة لاني حكمها يقال استغنى الفقيه  
مثلها اولئك أي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استغنى في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال أفتى فلان في الواقعة الغلانية بكذا  
التوجيه إلى أفتى في حكمها أو جوابها بكذا أو مما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملك أفتوني في رؤياي ومعنى استغنى عنها في طلبها  
ويله بقولهما نبينا نبأويله وإنما عبر عن ذلك بالأمر وعن ﴿ ٢٠٢ ﴾ طلب تأويله بالاستفتاء فهو بالأمره وتغنيما

لثاته اذا الاستفتاء انما  
يكون في التوازل المشككة  
الحكم المبرر الجواب  
واينار صيغة الاستقبال  
مع سبق استغنىها في  
ذلك لما أمها بصدها الى  
أن يقضى عليه السلام  
من الجواب وطوره واسناد  
القضاء اليه مع انه من  
أحوال ما له لانه في الحقيقة  
عين ذلك الذي لا يقال  
في عالمه بعد ما تبين  
وأما توجيهه  
رؤياهما فوابة  
ما وحدها  
نبينا تأويله لان الأمر  
ما تمها به وسبحنا الاجله  
من سم الملك فأمها  
لم يستغنى فيه ولا فيما هو  
صورته بل فيما هو صورة  
لما له وعاقبته فأمل وانما  
أخبرها عليه السلام  
بذلك تحقيقا لتعبيره  
وتأكيده وقيل لما عبر  
رؤياهما مجردا وقالما  
رأينا شيئا فأخبرهما ان  
ذلك كائن بعد قمتا أو كذبتما  
ولعل الجلود من الخبز  
اذلاداعي الي جلود

الكتب أن امرأة جاءت بزوجهما الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بأن  
يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لاحاجة الي ذلك  
فأتى مقر بصدقها في دعواها فقالت المرأة أكرمتني الى هذا الحد فاشهدوا أنني أبرأت  
ذمتك من كل حق لي عليك (المسئلة الثانية) قال أهل اللغة حصص الحق معناه وضوح  
وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس من قولهم حصص البعير في بروكه اذا تمكن  
واستقر في الارض قال ازجاج اشتقاقه في اللغة من الحصاة أي بانث حصاة الحق من حصاة  
الباطل (المسئلة الثالثة) اختلفوا في أن قوله ذلك يعلم أي لم أخنه بالغيب كلام من وفيه  
أقوال (الاول) وهو قول الاكثرين انه قول يوسف عليه السلام قال الغراء ولا يبعد وصل  
كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى ان الملوك اذا  
دخلوا قرية بدأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وهذا كلام بلفظ ثم انه تعالى قال وكذلك  
يفعلون وأيضا قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال ان  
الله لا يخلف العادي على هذا القول سوالات (السؤال الاول) قوله ذلك اشارة الى  
الغائب والمراد ههنا الاشارة الى تلك الحادثة الحاضرة (والجواب) أجبنا عنه في قوله  
ذلك الكتاب وقيل ذلك اشارة الى ما فعله من رد الرسول كأنه يقول ذلك الذي فعلت من  
ردى الرسول انما كان يعلم الملك أي لم أخنه بالغيب (السؤال الثاني) متى قال يوسف  
عليه السلام هذا القول (الجواب) روى عطاه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف  
عليه السلام لما دخل على الملك قال ذلك يعلم وانما ذكره على لفظ الغيبة تعظيما للملك عن  
الخطاب والاولى أنه عليه السلام انما قال ذلك عند عود الرسول اليه لان ذكر هذا الكلام  
في حضرة الملك سوء أدب (السؤال الثالث) هذه الخيانة وقعت في حق العزيز فكيف  
يقول ذلك يعلم أي لم أخنه بالغيب (والجواب) قيل المراد يعلم الملك أي لم أخن العزيز  
بأنهية وقيل انه اذا خان وزيره فقد خانته من بعض الوجوه وقيل ان الشراي لما رجع الى  
يوسف عليه السلام وهو في السجن قال ذلك يعلم العزيز أي لم أخنه بالغيب ثم ختم الكلام  
بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه أن لو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى  
من هذه الورطة وحيث خلصني منها ظهر اني كنت مبرا عما نسبوني اليه (والقول الثاني)  
ان قوله ذلك يعلم أي لم أخنه بالغيب كلام امرأة العزيز والمعنى أي وان أحلت الذنب عليه  
عند حضوره لكني ما أحلت الذنب عليه عند غيبته أي لم أقل فيه وهو في السجن خلاف  
الحق ثم انها بانفت في تأكيده الحق بهذا القول وقالت وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني  
أي لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم افتضحت وأنه لما كان يرتاعن الذنب لاجرم  
طهره الله تعالى عنه قال صاحب هذه القول والذي يدل على صحته أن يوسف عليه السلام  
ما كان حاضرا في ذلك المجلس حتى يقال لما ذكرت المرأة قولها الان حصص الحق  
أنار اودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في تلك الحالة يقول يوسف ذلك يعلم أي لم أخنه

اشراي الا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه (وقال) أي يوسف عليه السلام (لذي ظن أنه تاج) أو رعى ﴿ بالغيب ﴾  
صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق الجاة حسبما يفيد قوله تعالى قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وهو السرفق  
بانار ما عليه النظم الكريم على أن يقال للذي ظنه



ناجيا) منها) من صاحبيه وانما ذكر يوسف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذکر عند الملك وعنوان القرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان أدخل في ذلك وأدعى إلى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف قارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لاصاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن ﴿ ٢٠٣ ﴾ يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت أنى ملاق

حسا به فالتعبير بالوحي كما ينبغي عنه قوله تعالى قضى الامراخ وقيل هو بمضاه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر أيضا اجتهادي (اذ كرني) بما أنا عليه من الحال والصفة (عند ربك) سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها (فأنساء الشيطان) أي أنسى الشرابي يوسف وسوته والقائه في قلبه أشغالا تعوقه عن الذكروالا فالانساء في الحقيقة الله عز وجل والقائه للسبية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء (ذكره) أي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لاذني ملابسة أو ذكر اخباره به (قلبت) أي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء أو القول (في السجن بضع سنين) البضع

بالغيب بل يحتاج فيه إلى أن يرجع الرسول من ذلك المجلس إلى السجن ويذكر له تلك الحكاية ثم إن يوسف يقول ابتداء ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ومثل هذا الوصل بين الكلامين الاجنبيين ما جاء البتة في نثر ولا نظم فعلنا ان هذا من محام كلام المرأة (المسئلة الرابعة) هذه الآية دالة على طهارة يوسف عليه السلام من الذنب من وجوه كثيرة (الاول) ان الملك لما أرسل إلى يوسف عليه السلام وطلبه فلو كان يوسف متهما بقتل قبيح وقد كان صدر منه ذنب وغش لاستحال بحسب العرف والعادة أن يطلب من الملك أن يتفحص عن تلك الواقعة لانه لو كان قد أقدم على الذنب ثم انه يطلب من الملك أن يتفحص عن تلك الواقعة كان ذلك سعيامنه في فضيحة نفسه وفي تجديد العيوب التي صارت مندرسة مخفية والعاقل لا يفعل ذلك وهب أنه وقع الشك لبعضهم في عصمته أو في نيوته الا انه لا شك انه كان عاقلا والعاقل يتمتع أن يسعى في فضيحة نفسه وفي حل الاعداء على أن يبالغوا في اظهار عيوبه (والثاني) أن السوء شهدن في المرة الاولى بطهارته ونزاهته حيث قلن حاش لله ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم وفي المرة الثانية حيث قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء (والثالث) ان امرأة العزيز أقرت في المرة الاولى بطهارته حيث قالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وفي المرة الثانية في هذه الآية وأعلم أن هذه الآية دالة على طهارته من وجوه (اولها) قول المرأة ان اراودته عن نفسه (وثانيها) قولها وانه لمن الصادقين وهو اشارة إلى انه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي (وثالثها) قول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والحشوية يذكرون انه لما قال يوسف هذا الكلام قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت وهذا من رواياتهم الجيدة وما صححت هذه الرواية في كتاب معتدبل هم يلحنونها بهذا الموضوع سعيامنهم في تحريف ظاهر القرآن (ورابعها) قوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني ان صاحب الخيانة لا بد وأن يقتضخ فلو كنت خائنا لوجب ان اقتضخ وحيث لم اقتضخ وخلصني الله تعالى من هذه الورطة فكل ذلك يدل على اني ما كنت من الخائنين وههنا يوجد آخر وهو أقوى من الكل وهو أن في هذا الوقت تلك الواقعة صارت مندرسة وتلك المحنة صارت منتهية فأقدمه على قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب مع انه خانه باعظم وجوه الخيانة اقدم على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة بوجه ما والاقدم على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة أصلا لا يلقى باحد من العقلاء فكيف يليق اسناده إلى سيد العقلاء وقدة الاصفياء فثبت ان هذه الآية تدل دلالة قاطعة على برائه مما يقوله الجهال والحشوية \* قوله تعالى (وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن تفسير هذه الآية يختلف بحسب اختلاف ما قبلها لاننا قلنا ان قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام يوسف كان هذا أيضا من كلام يوسف وان قلنا ان ذلك من محام كلام المرأة كان هذا أيضا كذلك ونحن نفسر هذه الآية

ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الاقوال انه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبي عليه السلام رحمه الله أخي يوسف لولم يقل اذ كرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم (وقال الملك) أي الريان (اني أرى) أي رأيت واشار

صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ( سبع بقرات سمان ) جمع سمين وتسمية ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام (ياكلهن) أي أكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيباً والجملة حال من البقرات أو صفة لها ( سبع عجاف ) أي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وأفعال لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حالاً لحد التفضيل على الآخر \* ٢٠٤ \* وانما يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز

موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضحان وأربعة غلاظ وأما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فليريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرجت من سبع بقرات عجاف في غابة الهزال فابتلعت العجاف السمان (وسبع سنبلات خضرا) قد انعقد حياها (وأخر يابسات) أي وسبع آخر يابسات قد أدركت والنسوت على الخضر حتى غلبت على ما روى وامل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات (يا أيها الملأ) خطاب للاشراف من العلماء والحكماء (أفتوني في رؤياي) هذه أي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشير يفهم

على كلال التقديرين اما اذا قلنا ان هذا من كلام يوسف عليه السلام فالحشوية تمسكوا به وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت بذك سر او بك فمذ ذلك قال يوسف وما أرى نفسي ان النفس لامارة بالسوء أي بالزنا الامارحمر في أي عصم ربي ان ربي يغفور اللهم الذي هممت به رحيم أي لوفيلته لتاب علي واعلم ان هذا الكلام ضعيف فانا بيننا أن الآية المتقدمة برهان قاطع على براءته عن الذنب بقي أن يقال فاجوابكم عن هذه الآية فتقول فيه وجهان (الاول) انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كان ذلك جارياً مجرى مدح النفس وتزكيتها وقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما أرى نفسي والمعنى وما أرى نفسي ان النفس لامارة بالسوء مبالغة الى القابض راقصة في العصية (والوجه الثاني) في الجواب ان الآية لا تدل البتة على شيء مما ذكره وذلك لان يوسف عليه السلام لما قال اني لم أخنه بالغيب بين أن ترك الحياطة ما كان لعدم الرغبة ولم يدم ميل النفس والطبيعة لان النفس أمارة بالسوء والطبيعة تواقفة الى اللذات فيبين بهذا الكلام ان الترك ما كان لعدم الرغبة بل لقيام الخوف من الله تعالى اما اذا قلنا ان هذا الكلام من بقية كلام المرأة فبين وجهان (الاول) وما أرى نفسي عن مرادته ومقصودها تصديق يوسف عليه السلام في قوله هي راودتني عن نفسي (الثاني) انها لما قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قالت وما أرى نفسي عن الخيانة مطلقاً فاني قد خنته حين قد أحدثت الذنب عليه وقت ما جزاء من أراد بأهلك سواء الا أن يسجن أو عذاب أليم وأودعته السجن كأنها أرادت الاعتذار مما كان فان قيل جعل هذا الكلام كلاماً ليوسف أولى أم جعله كلاماً للمرأة قلنا جعله كلاماً ليوسف مشكلاً لان قوله قالت امرءة العزيز الآن حصص الحق كلام موصول بعبارة يعض الى آخره فالقول بأن بعبارة كلام المرأة والبعض كلام يوسف مع تحلل القواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعيداً وبأيضا جعله كلاماً للمرأة مشكلاً أيضاً لان قوله وما أرى نفسي ان النفس لامارة بالسوء الامارحمر ربي كلام لا يحسن صدوره الا من احتراز عن المعاصي ثم يذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استغرقت جهدها في المعصية (المسئلة الثانية) قالوا ما في قوله الامارحمر في بمعنى من والتقدير الامن رحم ربي وما مؤمن كل واحد منهما يقوم مقام الآخر كقوله تعالى فانسكروا ما طاب لكم من النساء وقال ومنهم من عشى على أربيع وقوله الامارحمر ربي استثناء متصل أو منقطع فيه وجهان (الاول) أنه متصل وفي تقريره وجهان (الاول) أن يكون قوله الامارحمر في أي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة (الثاني) الامارحمر في أي الا وقت رحمة ربي يعني انها أمارة بالسوء في كل وقت الا في وقت العصمة (والقول الثاني) انه استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينصرون الا رحمة منا (المسئلة الثالثة) اختلف

ونفخيم أمر رؤياه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستتراً \* الحكماء \* وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صوراً ومثلاً لها من الامور الواقعية أو الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها أي ذكرت ما إليها وعبرت

الرويا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان  
 أو لتقوية العامل المؤخر رعاية الفواصل أو لتوضيح تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل ان كنتم تفتنون  
 لبارئها ويجوز أن يكون للرويا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستغلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر  
 (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل ﴿ ٢٠٥ ﴾ فاذا قال الملاء للملك فقيل قالوا هي (اضغاث

أحلام) أي تخالطها  
 جمع ضغث وهو في الاصل  
 ما جمع من أخلاط النبات  
 وحزم ثم استعير لما تجمه  
 القوة المخيلة من أحاديث  
 النفس ووساوس  
 الشيطان وترهبان المنام  
 والأحلام جمع حلوهي  
 الرويا الكاذبة التي  
 لا حقيقة لها والاضغاث  
 بمعنى من أي هي أضغاث  
 من أحلام أخرجوها  
 من جنس الرويا التي لها  
 عاقبة تول إليها ويعنى  
 بأمرها وجموها وهي  
 روبا واحدة مبالغة  
 في وصفها بالبطلان  
 كما في قولهم فلان يركب  
 الخيل ويلبس العمام  
 لمن لا يملك الأفرسا واحدا  
 وعمامة فردة أو لتضعها  
 أشياء مختلفة من البقرات  
 السبع السمان والسبع  
 العجاف والسنايل السبع  
 الخضر والآخر اليابسات  
 فتأمل حسن موقع  
 الاضغاث مع السنايل  
 فله درشان التنزيل  
 ( وما نحن بتأويل

الحكماء في أن النفس الامارة بالسوء ماهي والمحتمون قالوا ان النفس الانسانية شئ واحد  
 لها صفات كثيرة فاذا مال الى العالم الالهى كانت نفسا مطمئنة واذا مال الى الشهوة  
 والغضب كانت امارة بالسوء وكونها امارة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه ان النفس  
 من أول حدودها قد آلت المحسوسات والتذات بها وعشقتها بل اشغورتها بالجزلات  
 وميلها اليه فذلك لا يحصل الا نادرا في حق الواحد فالواحد وذلك التواخذا بما يحصل له  
 ذلك التجرد والانتكشاف طول عمره في الاوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها الى  
 العالم الجسداني وكان ميلها الى الصعود الى العالم الاعلى نادرا اجرم حكم عليها بكونها  
 امارة بالسوء ومن الناس من زعم أن النفس مطمئنة هي النفس العقلية النطقية وأما  
 النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية والكلام في تحقيق الحق  
 في هذا الباب مذكور في المعقولات ( المسئلة الرابعة ) بمسك أصحابنا في أن الطاعة  
 والايان لا يحصلان الا من الله بقوله الامارحم ربي قالوا دلت الآية على ان انصراف  
 النفس من الشر لا يكون الا رحمة ولفظ الآية مشعر بأنه متى حصلت تلك الرحمة حصل  
 ذلك الانصراف فتقول لا يمكن تفسير هذه الرحمة باعطاء العقل والقدرة والاطراف كما قاله  
 القاضي لان كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب تفسيرها بشئ آخر وهو ترجيح  
 داعية الطاعة على داعية المعصية وقد اثبتنا ذلك أيضا بالبرهان القاطع وحيث يحصل  
 منه المطلوب \* قوله تعالى ( وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلفه قال انك  
 اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم ) في الآية مسائل  
 ( المسئلة الاولى ) اختلفوا في هذا الملك فمنهم من قال هو العزيز ومنهم من قال بل هو الريان  
 الذى هو الملك الاكبر وهذا هو الاظهر لوجهين ( الاول ) ان قول يوسف اجعلني على  
 خزائن الارض يدل عليه ( الثانى ) ان قوله أستخلصه لنفسي يدل على انه قبل ذلك ما كان  
 خالصا له وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا لمن يزفد هذا على ان هذا الملك هو  
 الملك الاكبر ( المسئلة الثانية ) ذكروا أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه  
 السلام وهو في الحبس وقال قل اللهم اجعل لى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث  
 لا أحتسب فقيل الله دعاه وأظهر هذا السبب في تخليصه من السجن وتقرير الكلام أن  
 الملك عظم اعتقاده في يوسف لوجوه ( أحدها ) انه عظم اعتقاده في علمه وذلك لانه لما عجز  
 القوم عن الجواب وقدر هو على الجواب الموافق الذى يشهد العقل بحسنه مال الطبع  
 اليه ( وثانيا ) انه عظم اعتقاده في صبره وثباته وذلك لانه بعد ان بقى في السجن بضع سنين  
 لما أذن له في الخروج ما أسرع الى الخروج بل صبر وتوقف وطلب أولا ما يدل على براءة  
 حاله عن جميع التهم ( وثالثها ) انه عظم اعتقاده في حسن ادبه وذلك لانه اقتصر على قوله  
 ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وان كان غرضه ذكر امرأة العزيز فستر ذكرها وتعرض  
 لامر سائر النسوة مع انه وصل اليه من جهتها أنواع عظيمة من البلاء وهذا من الادب

لأحلام ) أى المنامات الباطلة التى لأصلها ( بما لى ) لان لها تأويل ولكن لانها لا تأويل لها  
 وانما التأويل للنمامات الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بخماريق وتأويل  
 الاحلام مم أن لها تأويل كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة العربية عن مجرد الانتقال من الباطل

الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاخلام أو صارتها الى التاويل النبي عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الايل  
 والبعد ويؤيده قوله عز وجل أنا أنابنكم بتأويله (وقال الذي نجما منهما) أي من صاحبي يوسف وهو  
 الشراي (الملك) بغير المعجمة وهو الفصحیح وعن الحسن بالمعجمة أي تذكر يوسف عليه السلام وشؤنه التي  
 شاهدتها ورؤيته بتقريب رؤيا الملك واشكال ﴿ ٢٠٦ ﴾ تأويلها على الملا (بعد أمة) أي مدة طويلة وقرئ

أمة بالكسر وهي  
 النعمة أي بعدما أنعم عليه  
 بالجملة وماه أي نسيان  
 والجملة حال من الموصول  
 أو من ضميره في الصلة  
 وقيل معطوفة على  
 نجا وليس بذلك لان حق  
 كل من الصفة والصلة  
 أن تكون معلومة  
 الانتساب الى الموصوف  
 والموصول عند المخاطب  
 كما عند المتكلم ولذلك  
 قيل ان الصفات قبل  
 العلم بها أخبار والأخبار  
 بعد العلم بها صفات وأنت  
 تدري أن تذكره بعد  
 أمة انما علم بهذه الجملة  
 فلا مجال لتنظمه مع نجاته  
 المعلومة قبل في سلك  
 الصلة (أنا أنابنكم  
 بتأويله) أي أخبركم به  
 بالتلقي عن عنده علمه  
 لا من تلقاء نفسه ولذلك  
 لم يقل أنا أنابنكم فيها  
 وعقبه بقوله (فأرسلون)  
 أي الى يوسف وانما  
 لم يذكره ثقة بما سبق من  
 التذكرة وما لحق من قوله  
 (يوسف أيها الصديق)  
 أي أرسل اليه فأنما فقال

العجيب (ورابهما) براعة حاله عن جميع أنواع التهم فان الخصم أقربه بالبطهارة والزاهة  
 والبرادة عن الجرم (وخامسها) ان الشراي وصفه جده في الطاعات واجتهاده في  
 الاحسان الى الذين كانوا في السجن (وسادسها) انه بقي في السجن بضع سنين وهذه الامور  
 كل واحد منها يوجب حسن الاعتقاد في الانسان فكيف مجموعها فلهذا السبب حسن  
 اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله شيئا جمع أسبابه وقواها اذا عرفت هذا فنقول لما ظهر  
 للملك هذه الاحوال من يوسف عليه السلام رغب أن يتخذ نفسه فقال أتتوي به  
 استخلصه لنفسى روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متلفظا من درن  
 السجن بالثياب النظيفة والهبة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل البلوى  
 وقبور الاحياء وشماته الاعداء وتجربة الاصدقاء ولم ادخل عليه قال اللهم انى أسألك  
 بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل عليه وسلم ودطاله بالعبرانية  
 والاستخلاص طلب خلوص الشئ من شوائب الاشتراك وهذا الملك طلب أن يكون  
 يوسف وحده وأنه لا يشاركه فيه غيره لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة  
 الرفيعة فلما علم الملك أنه وحيد زمانه وفر بدأ قرانه أراد أن ينفرد به روى أن الملك قال  
 ليوسف عليه السلام ما من شئ الا أحب أن تشركني فيه الا في اهلى وفي أن لا تأكل معي  
 فقال يوسف عليه السلام اما ترى أن أكل معك وأيا يوسف بن يعقوب بن اسحق الذي يبيع  
 ابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال فلما كلمه وفيه قولان (أحدهما) ان المراد فلما كلم  
 الملك يوسف عليه السلام قالوا لان في مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يتندى بالكلام  
 وانما الذي يتندى به هو الملك (والثاني) ان المراد فلما كلم يوسف الملك قيل لما صار يوسف  
 الى الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك حدثا شابا قال للشراي هذا هو  
 الذي علم تأويل رؤياي مع أن السحرة والكهنة ما علموها قال نعم فاقبل على يوسف وقال  
 انى أحب أن أسمع تأويل رؤيا منك شفاها فاجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بحسنه  
 فصد ذلك قال له الملك انك اليوم لدينا مكين أمين يقال فلان مكين عند فلان بين المكنة  
 أى المنزلة وهى حالة يتمكن بها صاحبها ما يريد وقوله أمين أى قد عرفنا أمانتك وبرأتك  
 مما نسبت اليه واعلم ان قوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل  
 والناقب وذلك لانه لا بد في كونه مكينا من القدرة والعلم أما القدرة فلان بها يحصل  
 المكنة وأما العلم فلان كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل الا به اذ لو لم يكن عالما بما ينبغي  
 وبالا ينبغي لا يمكنه تخصيص ما ينبغي بالفعل وتخصيص ما لا ينبغي بالتترك وثبت أن كونه  
 مكينا لا يحصل الا بالقدرة والعلم أما كونه آمينا فهو عبارة عن كونه حكيما لا يفعل الفعل  
 لداعى الشهوة بل انما يفعله لداعى الحكمة فثبت ان كونه مكينا آمينا يدل على كونه قادرا  
 وعلى كونه عالما بمواقع الخير والشر والصلاح والفساد وعلى كونه بحيث يفعل لداعى  
 الحكمة لا لداعية الشهوة وكل من كان كذلك فإنه لا يصدر عنه فعل الشر والسفاهة فلهذا

يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبا شاهده وفاق أحواله وجربها لكونه المعنى  
 بصدد اعتمام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال (أقتسام في سب بقرات سمان يأكلهن سبع  
 عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر بابسات) أي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مراده بقرينة ما سبق  
 من معانيهما ولدلالة مضمون الجادثة

عليه حيث لا يمكن لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا مالها وحكمها وحيث كان علورته عليه السلام في الفضل  
عبر عن ذلك بالافشاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولانبتنا بتاويله وفي قوله أفتناع أنه المستفنى وحده اشعار  
بأن الرويا ليست له بل غيره بمن له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما أذن بذلك حيث قال (لهي أرجم  
إلى الناس) أي إلى الملك ومن عنده أولى أهل ﴿ ٢٠٧ ﴾ البلدان كان السجن في الخارج كما قيل فيهم بذلك

(لعلهم يعلمون) ذلك  
ويعلمون بمقتضاه أو يعلمون  
فضلك ومكانك مع ما أنت  
فيه من الحال فتخلص  
منه وإنما لم يبت القول  
في ذلك بحجارة معه على نوح  
الادب واحتراراً  
عن المجازفة إذ لم يكن  
على يقين من الرجوع  
فر بما اخترم دونه  
\* لعل المنايا دون ما تعداني \*  
\* ولا من علمهم بذلك  
فر بما لم يعلموه (قال)  
استثاف مبني على السؤال  
كأنه قيل فإذا قال يوسف  
عليه السلام في التأويل  
فقبل قال (تزرعون سبع  
سنين دأباً) قرئ بفتح  
الهمزة وسكونها وكلاهما  
مصدر دأب في العمل  
إذا جديف تعب وانتصابه  
على الحالية من فاعل  
تزرعون أي دأبسين  
أوتدأبون دأباً على أنه  
مصدر مؤكد لفعل  
هو الحال أول عليه السلام  
البقرات السمان والنبلات  
الحضر بسنين محاصيب  
والجفاف واليابسات  
بسنين مجدبة فأخبرهم

المعنى لما حاولت المعتزلة اثبات انه تعالى لا يفعل القبيح قالوا انه تعالى لا يفعل القبيح لانه  
تعالى عالم بقبح القبيح عالم بكونه غيباً عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا وإنما  
يكون غيباً عن القبيح إذا كان قادراً وإذا كان مزها عن داعية السفه فثبت ان وصفه  
بكونه مكيناً أميناً نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى أن يوسف عليه السلام  
قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ علم وفيه مسائل (المسئلة  
الاولى) قال المفسرون لما عبر يوسف عليه السلام رويًا الملك بين يديه قال له الملك فأتري  
أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصصة زرعاً كثيراً وتبني الخزان وتجمع  
فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الفلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال  
الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض أي على خزائن أرض  
مصر وأدخل الالف واللام على الارض والمراد منه المعهود السابق روى ابن عباس  
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أنه قال رحم الله أخي  
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكن لما قال ذلك أخره  
عنه سنة وأقول هذا من المجائب لانه لما تاني عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك  
على أحسن الوجه ولما تسارع في ذكر الالتماس أخرا الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا  
يدل على ان ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى (المسئلة الثانية) لقائل  
ان يقول لم يطلب يوسف الامارة والنبي عليه الصلاة والسلام قال لعبد الرحمن بن سمرة  
لاتسال الامارة وأيضاً فكيف طلب الامارة من سلطان كافر وأيضاً لم يصبر مدة ولم أظهر  
الرغبة في طلب الامارة في الحال وأيضاً لم يطلب أمر الخزان في أول الامر مع ان هذا  
يورث نوع تهمة وأيضاً كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله اني حفيظ علم مع انه تعالى  
يقول فلا تزكوا أنفسكم وأيضاً لما القائده في قوله اني حفيظ علم وأيضاً لم ترك الاستثناء  
في هذا فان الاحسن أن يقول اني حفيظ علم ان شاء الله يدل على قوله تعالى ولا تقولن لشيء  
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فهذه أسئلة سبعة لا بد من جوابها فتقول الاصل  
في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فيجازه أن يتوصل  
اليه بأي طريق كان انما قلنا ان ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه (الاول) انه كان  
رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه رعاية مصالح الامة بقدر الامكان  
(والثاني) وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما  
أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلهذا تعالى أمره بان يدبر في ذلك ويأتي بطريق لاجله يقل  
ضر ذلك القحط في حق الخلق (والثالث) أن السعي في ائصال النفع إلى المستحقين ودفع  
الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول واثبت هذا فتقول انه عليه السلام كان مكلفاً  
برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم  
الواجب الا به فهو واجب فكان هذا الطريق واجبا عليه ولما كان واجبا سقطت الاسئلة

بأنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة وبياتون فيها اذ بذلك يتحقق الحصب الذي هو مصداق البقرات السمان  
وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال (فاحصدتم) أي في كل سنة (فذرروه في سنبله)  
ولا تذرروه كيلاً يأكله السوس كما هو شأن خلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك

بالسنبلات الخضراء وإنما أمرهم بذلك اذ لم يكن متصادفا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها  
أمرا محقق الوقوع وتاويل الرواية مصداقا لما فيها من البقرات السمان ( الاقليل مما تأكلون ) في تلك السنين وفيه  
ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على الاستثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما  
من قوله تزرتون سبع سنين وبعدها تعلم ما أمرهم به شرع \* ٢٠٨ \* في بيان بقية التأويل التي يظهر منها

بالكلية وأما ترك الاستثناء فقال الواحدى كان ذلك من خطيئة أوجبت عقوبته وهي أنه  
تعالى أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة وأقول لعل السبب فيه انه لو ذكر هذا الاستثناء  
لاعتقد فيه الملك انه انما ذكره لعله بأنه لا قدرته على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلاجل  
هذا المعنى ترك الاستثناء وأما قوله لم مدح نفسه فجوابه من وجوه (الاول) لانسلم انه مدح  
نفسه ولكنه بين كونه موصوفاً بما تين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب وبين  
الباينين فرق وكانه قد غلب على ظنه أنه يحتاج الى ذكر هذا الوصف لان الملك وان علم  
في علوم الدين ولكنه ما كان عالماً بأنه يبنى بهذا الامر ثم نقول هب انه مدح نفسه الا ان  
مدح النفس انما يكون مذموماً اذا قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل الى غير  
ما حل فأما على غير هذا الوجه فلانسلم أنه محرم فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد منه  
تزكية النفس حال ما يعلم كونه غير متزكية والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم  
بمن اتقى أما اذا كان الإنسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه والله أعلم قوله  
ما للفسادة في وصفه نفسه بأنه حفيظ عليم قلنا انه جار مجرى أن يقول حفيظ بجميع  
الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال عليم بالجهات التي تصلح لان يصرف المال  
اليها ويقال حفيظ بجميع مصالح الناس عليم بجهات حاجاتهم أو يقال حفيظ لوجوه  
أبادك وكرمك عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذاب واسع يمكن تكثيره  
لمن أراد \* قوله تعالى ( وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب  
برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون )  
فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن يوسف عليه السلام لما اتس من الملك أن يجعله على  
خزائن الارض لم يحك الله عن الملك انه قال قد فعلت بل الله سبحانه قال وكذلك مكنا  
ليوسف في الارض فههنا المفسرون قالوا في الكلام محذوف وتقديره قال الملك قد فعلت  
الا أن تمكين الله له في الارض يدل على ان الملك قد أجابه الى ما سأله وأقول ما قالوه حسن  
الان ههنا ما هو أحسن منه وهو ان اجابة الملك له سبب في عالم الظاهر وأما الموتر الحقيقى  
فليس الا انه تعالى مكنته في الارض وذلك لان ذلك الملك كان متمكناً من القبول ومن الرد  
فنسبة قدرته الى القبول والى الرد على التساوى ومادام يبقى هذا التساوى امتنع حصول  
القبول فلا بد وأن يترجح القبول على الرد في خاطر ذلك الملك وذلك الترجيح لا يكون  
الا بمرحح يخلقه الله تعالى واذا خلق الله تعالى ذلك المرجح حصل القبول لا محالة فالتمكن  
ليوسف في الارض ليس الا من خلق الله تعالى في قلب ذلك الملك بمجموع القدرة  
والداعية الجازمة اللتين عند حصولهما يجب الاثر فلهذا السبب ترك الله تعالى ذكر اجابة  
الملك واقتصر على ذكر التمكين الالهى لان الموتر الحقيقى ليس الا هو (المسئلة الثانية) روى  
ان الملك توجه وأخرج خاتم الملك وجهه في اصبعه وقلده بسيفه ووضع له سريراً من ذهب  
مكلاً بالدر والياقوت فقال يوسف عليه السلام أما السرير فأشده ملكك وأما الخاتم

حكمة الامر المذكور  
فقال (ثم يأتي) وهو عطف  
على تزعون فلاوجه  
لجعله بمعنى الامر حالهم  
على الجد والبسالة  
في الزراعة على انه يحصل  
بالاخبار بذلك أيضاً  
(من بعد ذلك) أى من بعد  
السنين السبع المذكورات  
والمالم يقل من بعدهن  
قصدا الى الاشارة  
الى وصفهن فان الضمير  
ساكت عن أوصاف  
المرجع بالكلية (سبع  
شداد) أى سبع سنين  
صعب على الناس (ياكلن  
ما قدمتم لهن) من الحبوب  
المتروكة في سنابلها وفيه  
تنبيه على أن أمره  
عليه السلام بذلك كان  
لوقت الضرورة واستناد  
الاكل اليهن مع أنه حال  
الناس فيهن مجازى  
كما في نهاره صأم وفيه تلويح  
بأنه تأويل لاكل العجاف  
السمان واللام في لهن  
ترشيح لذلك فكان  
ما ادخر في السنابل من  
الحبوب شئ قد هنى وقدم  
لهن كالذى يقدم للتأويل

والافهوى في الحقيقة تقدم للناس فيهن (الاقليل مما تحصنون) تحزرون مبذور الزراعة (ثم يأتي) فادبر \*  
من بعد ذلك (أى من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة (عام) لم يعب عنه بالسنة تحاشياً  
عن المدلول الاصلى لها من عام القحط وتبنيها من أول الامر على اختلاف الجسالى بينه وبين السوابق (فيه  
بغيات الناس)

من الثبت أي يطرون يقال ثبتت البلاد إذا مطرت في وقت الحاجة أو من الثوث يقال أغانا الله تعالى إلى أمنا برقع  
 المكارة حين أطلتنا (وقيد بعصرون) أي ما من شأنه أن يعصر من الضرب والقصب والزيوت والسموم ونحوها من الفواكه  
 لكثرةها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الثوث المستلزم له عادة كما أكتفى به عن ذكر نصر ففهم في الحبوب  
 أمالان استلزام الثوث له ليس كاستلزامه للحبوب ﴿ ٢٠٩ ﴾ إذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادأ أخرى غير المطر

وأما مراعاة جانب المستغنى  
 باعتبار حالته الخاصة به  
 بشارته وهى التي يدور  
 عليها حسن موقع تغليبها  
 على الناس في القراءة  
 بانقوائية وقيل معنى  
 يعصرون يحلبسون  
 الضروع وتكريره  
 اما للاشعار باختلاف  
 أوقات ما يقع فيه من الثوث  
 والعصر زمانا وهو ظاهر  
 وعنوانا فان الثوث والثوث  
 من فضل الله تعالى  
 والعصر من فعل الناس  
 واما لان المقام مقام  
 تعدد منافع ذلك العام  
 ولاجله قدم في الموضوعين  
 على الفعلين فان المقصود  
 الاصلى بيان انه يتم في  
 ذلك العام هذا النفع  
 وذلك النفع لا يان أحدهما  
 يقعان في ذلك العام كما  
 يفيد التأخير ويجوز  
 أن يكون التقديم للقصر  
 على معنى أن غيبتهم  
 وعصرهم في سائر السنين  
 بمنزلة العلم بالنسبة إلى  
 جامهم ذلك وأن يكون  
 ذلك في الأخير لمراعاة

فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس أبائي وجلس على السر يرود أنت له  
 التوم وعزل الملك قطيع زوج المرأة المطلومة ومات بعد ذلك وزوجه الملك امرأته فلما  
 دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فوادت له ولدين افرام وميشا  
 وأقام العدل بصبر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من  
 أهل مصر في سني القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الأولى ثم بالخلي والجواهر  
 في السنة الثانية ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بقرابهم حتى استرقهم سنين فقالوا والله  
 ما رأينا ملكا أعظم شأننا من هذا الملك حتى صار كل الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك قال انى  
 أشهد الله انى أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد  
 ممن يطلب الطعام أكثر من حل البعير تلاميضي الطعام على الباقيين هكذا رواه صاحب  
 الكشاف والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله وكذلك الكاف منصوبه بالتكئين وذلك  
 اشارة الى ما تقدم يعنى به ومثل ذلك الانعام الذي أنعمنا عليه في تفريننا اياه من قلب الملك  
 وانجائنا اياه من غم الحبس وقوله مكننا ليوسف في الارض أى أقدرناه على ما يريد برفع  
 الموانع وقوله يتبوء منها حيث يشاء يتبوء فى موضع نصب على الحال تقديره مكنناه متبوءا  
 وقرأ ابن كثير نشاء بالنون مضافا الى الله تعالى والباقيون بالياء مضافا الى يوسف واعلم أن  
 قوله يتبوء منها حيث يشاء يدل على أنه صار فى الملك بحيث لا يدافع احد ولا ينازعه منازع  
 بل صار مستقلا بكل ما شاء وأراد ثم بين تعالى ما يؤكدها ذلك من قبله فقوال نصيب  
 برحمتنا من نشاء واعلم أنه تعالى ذكر أولان ذلك التمكنين كان من الله لامن أحد سواه  
 وهو قوله وكذلك مكننا ليوسف فى الارض ثم أكد ذلك ثانيا بقوله نصيب برحمتنا من  
 نشاء وفيه فائدتان (الفائدة الأولى) ان هذا يدل على أن الكل من الله تعالى قال  
 القاضى تلك المملكة لما تم الامور فعلها الله تعالى صارت كما أنها حصلت من قبله  
 تعالى وجوابه انادى أن نفس تلك المملكة انما حصلت من قبل الله تعالى لان لقط  
 القرآن يدل على قولنا والبرهان القاطع الذى ذكرناه يقوى قولنا فصرف هذا اللفظ الى  
 المجاز لا سبيل اليه (الفائدة الثانية) انه أتاه ذلك الملك بمحض المشيئة الالهية والقدرة  
 النافذة قال القاضى هذه الآية تدل على انه تعالى يجرى أمر نعمه على ما تقتضيه  
 الصلاح فلنا الآية تدل على ان الامور معلقة بالمشيئة الالهية والقدرة المحضة فأما رعاية  
 قيد الصلاح فأمر اعتبرته أنت من نفسك مع أن اللفظ لا يدل عليه ثم قال تعالى ولا نضيع  
 أجر المحسنين وذلك لان اضاعة الاجراما أن يكون للجمل أو للجمل والكل تمتع  
 فى حق الله تعالى فكانت الاضاعة ممتعة واعلم أن هذا شهادة من الله تعالى على أن يوسف  
 عليه السلام كان من المحسنين ولو صدق أمول بأنه جلس بين شعبها الاربع لامتنع أن  
 يقال انه كان من المحسنين فهنا لزم اما تكذيب الله فى حكمه على يوسف بأنه كان من  
 المحسنين وهو عين الكفر أو لزم تكذيب الحشوى فيما رواه وهو عين الايمان والحق

الفواصل وفى الاول رعاية حاله وقرئ ﴿ ٢٧ ﴾ خا يعصرون على التثنية للمفعول من عصره اذا انجاء وهو  
 المناسب للاطانة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل ايضا منه كما أنه قيل فيه يعان الناس وفيه يمشون أى يغيبهم الله ويغيب بعضهم  
 بعضا وقيل معنى يعصرون يطرون من أعصرت البهائم

اما بنضمين اعصرت معنى تطلعت وتعديته واما بمحقق الجار وابطال الفعل على أن الاصل اعصرت عليهم وأحكام هذا العلم المبارك ليست مستبطة من رؤى الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما أول الرويا بما أول وأمرهم بالتدبير اللائق في شأنه ابانة لعلوكه وروسوخ قدمه في الفضل وأنه محيط بما لم يحيط به من أحد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبه عند استغاثتها ﴿ ٢١٠ ﴾ في منامها لا يأتيكما طعاما ترزقانه الا بآتيكما

ثم قال تعالى ولا أجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه الآية قولان (الاول) المراد منه أن يوسف عليه السلام وان كان قد وصل الى المنازل العالية والدرجات الرفيعة في الدنيا الا أن الثواب الذي أعده الله له في الاخرة خير وأفضل وأكمل وجهات الترجيح قد ذكرناها في هذا الكتاب مرارا وأطوارا وحاصل تلك الوجوه ان الخير المطلق هو الذي يكون نفعه اخالصا دائما مقرونا بالتعظيم وكل هذه القيود الاربعة حاصلة في خيرات الاخرة ومفقودة في خيرات الدنيا (القول الثاني) ان لفظ الخير قد يستعمل لكون أحد الخيرين أفضل من الآخر كما يقال الجلاب خير من الماء وقد يستعمل لبيان كونه في نفسه خيرا من غير أن يكون المراد منه بيان التفضيل كما يقال التريد خير من الله يعني التريد خير من الخيرات حصل باحسان من الله اذا ثبت هذا فقوله ولا أجر الاخرة خير ان حملناه على الوجه الاول لزم أن تكون ملاذ الدنيا موصوفة بالخيرية أيضا وأما ان حملناه على الوجه الثاني لزم أن لا يقال ان منافع الدنيا أيضا خيرات بل لعله يفيد أن خيرا الاخرة هو الخير وأما ما سواه فعبث (المسئلة الثانية) لاشك أن المراد من قوله ولا أجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون شرح حال يوسف عليه السلام فوجب أن يصدق في حقه انه من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهذا تنصيص من الله عز وجل على أنه كان في الزمان السابق من المتقين وليس ههنا زمان سابق ليوسف عليه السلام يحتاج الى بيان انه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله تعالى على أنه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وأيضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام كان من المحسنين وقوله انه من عبادنا المخلصين شهادة من الله تعالى على انه من المخلصين فثبت ان الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل الحشوي يقول انه كان من الاخسرين المذنبين ولا شك ان من لم يقبل بقول الله سبحانه وتعالى مع هذه التاكيدات كان من الاخسرين (المسئلة الثالثة) قال القاضي قوله تعالى ولا اجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يدل على بطلان قول المرجئة الذين يزعمون أن الثواب يحصل في الاخرة لمن لم يتق الكبار قلنا هذا ضعيف لاننا ان حملنا لفظ خير على أفعال التفضيل لزم أن يكون الثواب الحاصل للمتقين أفضل ولا يلزم أن لا يحصل لغيرهم أصلا وان حملناه على أصل معنى الخيرية فهذا يدل على حصول هذا الخير للمتقين ولا يدل على ان غيرهم لا يحصل لهم هذا الخير \* قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بمهزاهم قال اشوي بأخ لكم من أيكم ألا ترون أني أوفى الكيل وأما خير المزلزين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا استرأود عنه أباه وانافعلون) اعلم أنه لما عم القسط في البلاد ووصل أيضا الى البلدة التي كان يسكنها يقوب عليه السلام

بتأويله وانما النعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام (وقال الملك) بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من تعبير وقطير (اشوي به) لما علم من علمه وفضله (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك أي سيدك (فأسا له ما بال النسوة اللاتي قطعن أيمنهن) أي ففضله عن شأهن وانما لم يقل فأسأله أن يفش عن ذلك حشا للملك على الجسد في التفتيش ليتبين برأته ويتضح زهاته اذا السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للنقص عما توجه اليه وأما المطلب فما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع مالتق منها ما تلقى من مفاسة الاحزان ومعاماة

الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما ﴿ وصب ﴾ النسوة فقد كان بطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بأنهار اودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتطبيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن أطع مولاتك واكتفى بالإيحاء الى ذلك



بقوله ( ان ربي بكيدهن عليم ) مجاملة معهن واحترازا عن سوء قائلتهن عند الملك وانتصاهن لخصوصة مديافعة عن أنفسهن متى سمعن بنسبتهن إهن إلى الفساد ( قال ) استثناف ميني على السؤال كأنه قيل فإذا كان بعد ذلك قيل قال الملك أمر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن ( ما خطبكن ) أي شأنكن وهو الأمر الذي يحق لعظمه أن يخاطب المرء فيه صاحبه ( اذ راودتن يوسف ) وخادعته \* ٢١١ ( عن نفسه ) ورغبته في الطاعة مولاته هل وجدتني

فيه شيئا من سوء ربي  
 ( قلن حاش لله ) تنزيها له  
 وتنجيها من زهاته وعقته  
 ( ما علمنا عليه من سوء )  
 بالعلن في نفي جنس السوء  
 عنه بالشكيز وزيادة من  
 ( قالت امرأت العزيز )  
 وكان حاضرة في المجلس  
 وقيل أقبلت النبوة  
 عليها يقررنها وقيل  
 خافت أن يشهدن عليها  
 بما قالت لهن ولقد راودته  
 عن نفسه فاستصم  
 ولئن لم يفعل ما أمره  
 ليسهين وليكونا  
 من الصاغرين فأقرت  
 قائله ( الآن ححصص  
 الحق ) أي ثبت واستقر  
 أو تبين وظهر بعد خفاء  
 قائله الخليل وقيل هو  
 ما أخذ من الحصة وهي  
 القطعة من الجملة أي تبين  
 حصة الحق من حصة  
 الباطل كالتبين حصص  
 الاراضي وغيرها وقيل  
 بان وظهر من حصص  
 شعره اذا استأصله  
 بحيث ظهرت بشرة  
 رأسه وقري على البناء  
 للقول من حصص

وصعب الزمان عليهم فقال لبيته ان بمصر رجلا صالحا يبر الناس فاذهبوا اليه بدر اهلكم  
 وخذوا الطعام فخرجوا اليه وهم عشرة ودخلوا على يوسف عليه السلام وصارت هذه  
 الواقعة كالسبب في اجتماع يوسف عليه السلام مع اخوته وظهور صدق ما أخبر الله  
 تعالى عنه في قوله ليوسف عليه السلام حال ما اتوه في الجب لتبئتهم بأمرهم هذا  
 وهم لا يشعرون وأخبر تعالى ان يوسف عرفهم وهم ما عرفوه البتة اما انه عرفهم فلانه  
 تعالى كان قد أخبره في قوله لتبئتهم بأمرهم بأنهم يصلون اليه ويدخلون عليه وأبضا  
 الروايات التي رأها كانت دليلا على انهم يصلون اليه فلماذا السبب كان يوسف عليه السلام  
 مترصدا لذلك الأمر وكان كل من وصل اليه من البلاد البعيدة يتحصص عنهم ويتعرف  
 أحوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين هل هم اخوته أم لا فلما وصل اخوة يوسف الى باب  
 داره تفحص عن أحوالهم تفحصا ظهر له انهم اخوته واما انهم ما عرفوه فلو جوه ( الاول )  
 انه عليه السلام أمر حجاب به بأن يوقفوه من البعد وما كان يتكلم معهم الا بالواسطة  
 ومتى كان الأمر كذلك لاجرم انهم لم يعرفوه لاسيما مهابة الملك وشدة الحاجة يوجبان  
 كثرة الخوف وكل ذلك مما يمنع من التأمل التام الذي عنده يحصل العرفان ( والثاني ) هو  
 انهم حين اتوه في الجب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور الحية وتغير الزي والهيئة  
 فانهم رأوه جالس على سريره وعليه ثياب الحرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلل رأسه تاج  
 من ذهب والقوم أيضا نسوا واقعة يوسف عليه السلام لطول المدة فيقال ان من وقت  
 ما اتوه في الجب الى هذا الوقت كان قد مضى أربعون سنة وكل واحد من هذه الاسباب  
 يمنع من حصول المعرفة لاسيما عند اجتماعها ( والثالث ) ان حصول العرفان والتدبير  
 بخلق الله تعالى فلهذا تعالى ما خلق ذلك العرفان والتدبير في قلوبهم تحقيرا لما أخبره  
 عنه بقوله لتبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك من معجزات يوسف عليه السلام  
 ثم قال تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم  
 جهازهم للسفر وكذلك جهاز العروس والميت وهو ما يحتاج اليه في وجهه قال وسمعت  
 أهل البصرة يقولون بالجهاز بالكسر قال الأزهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر  
 لغة ليست بجيدة قال المفسرون حل لكل رجل منهم بعيرا وأكرمهم أيضا بالنزول  
 وأعطاهم ما احتاجوا اليه في السفر فذلك قوله جهزهم بجهازهم ثم بين تعالى انه  
 لما جهزهم بجهازهم قال لهم اثوني بأخلكم من أيكم واعلم انه لا بد من كلام سابق حتى  
 يصير ذلك الكلام سببا لسؤال يوسف عن حال أخيه وذكروا فيه وجوها ( الاول ) وهم  
 أحسنها ان عادة يوسف عليه السلام مع الكل أن يعطيه حل بعير لانه لا يملك ولا أنقص  
 واخوة يوسف الذين ذهبوا اليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا ان لنا أباسيخا  
 كبيرا وأحما آخر بقي معه وذكروا ابن أباهم لاجل سنه وشدة حرته لم يحضر وان أخاهم بقي  
 في خدمة أبيه ولا بد لهما ايضا من شيء من الطعام فجهر لهما أيضا بعيرين آخرين من

البعير مباركة أي ألقاها في الارض للاخاثة قال \* فححصص في صم الصفائفاته \* وناه بسلى نواة ثم صمما \*  
 والمعنى أقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهورا ظهر بشهادتهن من مطلق زهاته عليه السلام  
 فيما حاط به علمهن من غير تعرض لزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه

التشاجر محض العزيز ولا يبحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر  
 وتبوت من زاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت ( انارودته عن نفسه ) لانه راودني عن نفسي  
 ( وانه لمن الصادقين ) اي في قوله حين افتربت عليه هي راودني عن نفسي وارادت بالان زمان نكلمها بهذا  
 الكلام لازمان شهادتهن فتأمل أيها المذصف هل ترى فوق ﴿ ٢١٢ ﴾ هذه المرتبة زاهته حيث لم تتالك الحصاء

من الشهادة بها والفضل  
 ما شهدت به الحصاء  
 وانما تصدى عليه السلام  
 لتميذه من المقدمة قبل  
 الخروج لظهور براءة  
 ساحته بما قضي به لاسيا  
 عند العزيز قبل ان يجل  
 ما عقده كما يعرب عنه  
 قوله عليه السلام لما رجع  
 اليه الرسول واخبره  
 بكلامه من ( ذلك )  
 اي ذلك الثيب المودى  
 الى ظهور حقيقة الحال  
 ( اعلم ) اي العزيز  
 ( اني لم اخنه ) في حرمة  
 كازعه لاعلام مطلقا فان  
 ذلك لا يستدعي تقديم  
 التفتيش على الخروج  
 من السجن بل قبل  
 ما ذكر من نقض ما برمه  
 واعله لمرآه حقوق  
 الشيادة لان المباشرة  
 للخروج من حبسه قبل  
 ظهور بطلان ما جعله  
 سبب له وان كان ذلك  
 بأمر الملك مما يوهم  
 الاذيات على رايه  
 واما ان يكون ذلك  
 لتلاي يمكن من نقيح  
 أمره عند الملك تجللا

الطعام فلماذا كروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على ان حب أيكم له ازيد من حبه لكم وهذا  
 شيء عجيب لانكم مع جالكم وعقلكم وأدبكم اذا كانت محبة أيكم لذلك الاخ أكثر من  
 محبته لكم بل هذا على ان ذلك أعجوبة في العقل وفي الفضل والادب فيثوني به حتى أراه  
 فهذا السبب محتمل مناسب ( والوجه الثاني ) انه لم يدخلوا عليه عليه السلام وأعطاهم  
 الطعام قال لهم من أتم قالوا نحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فنجئنا فتمتار فقال  
 لعلكم جئتم عيوننا فقالوا معاذ الله نحن أخوة بنو أب واحد شيخ صديق نبي اسمه يعقوب  
 قال كم أتم قالوا كئنا اثني عشر فهلك ما واحد ونبي واحد مع الأب ينسلي به عن ذلك الذي  
 هلك ونحن عشرة وقد جشاك قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخ لكم من  
 أيكم ليبلغ الي رسالة أيكم ففند هذا أقرعوا بينهم فأصاب القرفة شعمون وكان  
 أحسنهم رأيا في يوسف فخلقه عنده ( والوجه الثالث ) لعلهم لما ذكر وأباهم قال يوسف  
 فلم تركزتموه وحيدا فريدا قالوا ما تراكناه وحيدا بل بقي عنده واحد فقال لهم لم استخلصه  
 لنفسه ولم خصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده فقالوا لا بل لاجل انه يحبه أكثر من  
 محبته لسائر الاولاد ففند هذا قال يوسف لماذا كرتم ان أباكم رجل عالم حكيم بعيد عن  
 المجازفة ثم انه خصه بمن يده المحبة وجب ان يكون زائدا عليكم في الفضل وصفات الكمال  
 مع اني أراكم فضلاء علماء حكماء فاشتاق نفسي الى روية ذلك الاخ فأتوني به والسبب  
 الثاني ذكره المفسرون والاول والثالث محتمل والله أعلم \* ثم انه تعالى حكى عنه انه قال  
 ألا ترون اني أوف الكيل أي أمه ولا يخسه وأزيدكم حل بعير آخر لاجل أخيكم وأنا خير  
 المنزلين اي خير المضيفين لانه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم وأقول هذا الكلام يضعف  
 الوجه الثاني وهو الذي نقلناه عن المفسري لان مدار ذلك الوجه على أنه اتهمهم ونسبهم  
 الي ادهم جواسيس ولو شافهم بذلك الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون اني أوف  
 الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا أن يقول لهم  
 أتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم عن هذه التهمة لان البهتان لا يليق بحال  
 الصديق ثم قال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون واعلم أنه عليه السلام  
 لما طلب منهم احضار ذلك الاخ جمع بين الترغيب والترهيب أما الترغيب فهو قوله  
 ألا ترون اني أوف الكيل وأنا خير المنزلين وأما الترغيب فهو قوله فان لم تأتوني به فلا كيل  
 لكم عندي ولا تقربون وذلك لانهم كانوا في نهاية الحاجة الى تحصيل الطعام وما كان  
 يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعه من الحضور عنده كان ذلك نهاية الترغيب  
 والتخويف ثم اتهمهم بما سمعوا هذا الكلام من يوسف قالوا استزاد عند آباء وانا لفاعلون  
 اي سنجتهد ومحتمل على أن نزع من يده وانا لفاعلون هذه المرادة والغرض من التكرير  
 التأكيد ومحتمل أن يكون وانا لفاعلون أن نجيبك به ويحتمل وانا لفاعلون ككل  
 ما في وسعنا من هذا الباب \* قوله تعالى ( وقال لفتياته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم

لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأه عليه السلام في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله ( بالغيب ) لعلهم  
 اي يظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول اي لم اخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف اي يمكن  
 الغيب وراء الاسار والابواب المغلقة وأيضا كان فالقصد بيان كمال زاهته عن الحيانة وغاية اجتنابه عنها عند  
 تعاضد أسبابها ( وان الله ) اي

وليعلم أنه تعالى ( لا يهدي كيد الخائنين ) أن لا يفتنه ولا يستدخه بل يبطله ويرهقه أو لا يهديهم في كيدهم ايغاثا  
 للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا أي يضاهونهم في قولهم وقيد تعريض  
 بامر أمه في خيانتها أمانته وبه في خيانه أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات زاهته عليه  
 السلام ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته ﴿ ٢١٣ ﴾ وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره

وأحسن ما قبله  
 ( وما يرى نفسى ) أى  
 لأثرها عن السوء قاله  
 عليه السلام هضم النفس  
 الكريمة البريئة عن كل  
 سوء وربما يمكنها عن  
 التزكية والاعجاب بحالها  
 عند ظهور كمال زاهتها  
 على أسلوب قوله عليه  
 السلام أنا سيد ولد آدم  
 ولا فخر أو تحدينا بنعمة  
 الله عز وجل عليه وإبراز  
 لسره المكتون في شأن  
 أفعال العباد أى لأثرها  
 عن السوء من حيث هي  
 هى ولا أسند هذه الفضيلة  
 إليها بمقتضى طبيعتها  
 من غير توفيق من الله  
 عز وجل ( ان النفس )  
 البشرية التى من جبلتها  
 نفسى فى حسد ذاتها  
 ( لأماره بالسوء ) مائلة  
 الى الشهوات مستعملة  
 للقسوى والآلات فى  
 تحصيلها بل إنما ذلك  
 بتوفيق الله تعالى وعصمته  
 ورحمته كما يفيد قوله  
 ( الامارح ربى ) من  
 النفوس التى يصممها  
 من الوقوع فى المهالك

اعلمهم يعرفونها اذا نقلوا الى أهلهم لعلمهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا  
 منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإناله لحافظون قال هل آمنكم عليه  
 الا كما آمنكم على أخيه من قبل فإله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ( فى الآية مسائل  
 ( المسئلة الاولى ) قرأ حزة والكسائى وحفص عن طامم لفتيانه بالالف والتون  
 والباقون لفتيته بالفاء من غير ألف وهما لفتان كالصبيان والصبية والاخوان والاخوة  
 قال أبو على الفارسي القية جمع فتى فى العدد القليل والفتيان للكثير فوجه البناء الذى  
 للعدد القليل أن الذين يحيطون بما يعملون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلا لأن  
 هذا من باب الاسرار فوجب صونه الا عن العدد القليل ووجه الجمع الكثير أنه قال  
 اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم والرحال تفيد العدد الكثير فوجب أن يكون الذين يباشرون  
 ذلك العمل كثيرين ( المسئلة الثانية ) اتفق الاكثرون على أن اخوة يوسف ما كانوا  
 عالمين بجعل البضاعة فى رحالهم ومنهم من قال انهم كانوا طرفين به وهو ضعيف لأن قوله  
 لعلمهم يعرفونها يبطل ذلك ثم اختلفوا فى السبب الذى لاجله أمر يوسف بوضع بضاعتهم  
 فى رحالهم على وجوه ( الاول ) أنهم متى قصوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك  
 كان كرما من يوسف وسخاء محضا فيبشهم ذلك على العود اليه والحرص على معاملته  
 ( الثانى ) خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى ( الثالث ) أراد به  
 التوسعة على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط ( الرابع ) رأى ان أخذ ثمن الطعام من  
 ايده واخوته مع شدة حاجتهم الى الطعام يؤم ( الخامس ) قال القراء انهم متى شاهدوا  
 بضاعتهم فى رحالهم وقع فى قلوبهم انهم وضعوا تلك البضاعة فى رحالهم على سبيل السهو  
 وهم أبناء وأولاد الانبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه أو يرجعوا ليردوا المال الى مالكه  
 ( السادس ) أراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلطمهم به عيب ولا منة ( السابع ) مقصوده  
 أن يعرفوا انه لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والظلم ولا لطلب زيادة فى الثمن ( الثامن )  
 أراد أن يعرف أبوه انه أكرمهم وطلبه له لئلا يداكرام فلا يشغل على أبيه ارسال أخيه  
 ( التاسع ) أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من  
 قطع الطريق فوضع تلك الدراهم فى رحالهم حتى تبقى مخفية الى أن يصلوا الى أبيهم  
 ( العاشر ) أراد أن يقابل مبالغتهم فى الاساءة بمبالغته فى الاحسان اليهم ثم انه تعالى حكى  
 عنهم انهم لما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل وفيه قولان ( الاول ) أنهم  
 لما طلبوا الطعام لا يسهم ولا يخ الباقى عنده منعوا منه فقولهم منع منا الكيل اشارة  
 اليه ( الثانى ) انه منع الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به  
 فلا كيل لكم عندي والدليل على ان المراد ذلك قولهم فأرسل معنا أخانا نكتل قرأ حزة  
 والكسائى يكتل بالياء والباقون بالتون والقراءة الاولى تقوى القول الاول والقراءة  
 الثانية تقوى القول الثانى ثم قالوا وإناله لحافظون ضمنا كونهم حافظين له فلما قالوا

ومن جانتها نفسى أو هى أماره بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع  
 أى لكن رحمة ربى هى التى تصرف عنها السوء كما فى قوله تعالى ولا هم ينتظون الا رحمة ( ان ربى غفور رحيم )  
 عظيم المغفرة لما يمتزى النفوس بموجب طبيعتها وممانع فى الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإشار  
 الاظهار فى مقام الاضمار

ثم تعرض لنون الربوبية مبادئ المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى الذي قلت  
 ليعلم يوسف عليه السلام اني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرى نفسي مع  
 ذلك من الخيانة حيث قلت في حبه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الامارح من اي الانفسا  
 رجعها الله بالصحة كنفوس يوسف ان ربي غفور \* ٢١٤ \* لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا

ذلك قال يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل والمعنى  
 انكم ذكرتم قبل هذا الكلام في يوسف وضمتم لي حفظه حيث قلتم وانه لحافظون ثم  
 ههنا ذكرتم هذا اللفظ بعينه فهل يكون ههنا أمانى الاما كان هناك يعنى لماسلم يحصل  
 الامان هناك فكذلك لا يحصل ههنا ثم قال فله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قرأ حمزة  
 والكسائي حافظا بالالف على التمييز والتفسير على تقدير هو خير لكم حافظا كقولهم  
 هو خيرهم رجلا والله دره فارسا وقيل على الحال والباقون حفظا بغير ألف على المصدر  
 يعنى خيركم حفظا يعنى حفظا لله لبيامين خير من حفظكم وقرأ الاعشى فله خير حافظ  
 وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه خيرا لحافظين وهو أرحم الراحمين وقيل معناه وثقت بكم  
 في حفظ يوسف عليه السلام فكان ما كان فالآن أتوكلى على الله في حفظ بنيامين فان  
 قيل لم بعته معهم وقد شاهدنا ما شاهد قلنا لوجوه (أحدها) انهم كبروا ومالوا الى الخير  
 والصلاح (وثانيها) انه كان يشاهد انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل  
 ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام (وثالثها) ان ضرورة القحط أحوجتهم الى ذلك  
 (ورابعها) لعله تعالى أوحى اليه وضمن حفظه وإيصاله اليه فان قيل هل يدل قوله فله خير  
 حافظا على أنه أذن في ذهاب ابنه بنيامين في ذلك الوقت قلنا لا أكثرون قالوا يدل عليه  
 وقال آخرون لا يدل عليه وفيه وجهان (الاول) التقدير انه لو أذن في خروجه معهم لكان  
 في حفظ الله لاني حفظهم (الثاني) أنه لما ذكر يوسف قال فله خير حافظا أى ليوسف  
 لانه كان يعلم أنه حى \* قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا  
 يا أيها مانبي هذه بضاعتنا ردت الينا وغير أهلنا ونحفظ أمانا ونزداد كيل بعير ذلك  
 كيل يسير) اعلم ان المتاع ما يصلح لان يستمتع به وهو عام في كل شئ ويجوز أن يراد به ههنا  
 الطعام الذي حلوه ويجوز أن يراد به أوعية الطعام ثم قال وجدوا بضاعتهم ردت اليهم  
 واختلف القراء في ردت فالأكثرين بضم الراء وقرأ علقمة بكسر الراء قال صاحب  
 الكشاف كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب انهم قالوا  
 في قولنا ضرب زيد ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد وأما قوله مانبي  
 ففي كلمة ما قولان (الاول) انها للتي وعلى هذا التقدير فقيه وجوه (الاول) انهم كانوا  
 قد وصفوا يوسف بالكرم واللاطف وقالوا انا قدمنا على رجل في غاية الكرم أنزلنا  
 وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل ذلك فقولهم مانبي أى بهذا الوصف  
 الذى ذكرناه كليا ولا ذكر شئ لم يكن (الثاني) انه يبلغ في الأكرام الى غاية ما وراء هاشى  
 آخر فانه بعد أن بلغ في اكرامنا أمر بضاعتنا فردت الينا (الثالث) المعنى انه رد بضاعتنا  
 الينا فمعنى لانبي منك عند رجوعنا اليه بضاعة أخرى فان هذه التى معنى كافيتنا  
 (والقول الثاني) ان كلمة ما ههنا للاستفهام والمعنى لما رأوا انه رد اليهم بضاعتهم قالوا  
 مانبي بعد هذا أى أعطبنا الطعام ثم رد علينا من الطعام على أحسن الوجوه فإى شئ

يكون تأنيبه عليه السلام  
 في الخروج من السجن  
 لعدم رضاه عليه السلام  
 بلاقاة الملك وأمره بين  
 بين ففعل ما فعل حتى  
 يتبين نزاهته وأنه إنما  
 سجن بظلم عظيم مع  
 ماله من الفضل ونباهة  
 الشان ليتقاه الملك  
 بما يليق به من الاعظام  
 والاجلال وقد وقع  
 (وقال الملك أشوني به  
 أستخلصه) أجعله  
 خالصا (لنفسى)  
 وخاصا بي (فلاكله)  
 أى فأتوا به فحذف  
 للايدان بسرعة الايدان  
 به فكانت له لم يكن بين  
 الامر باحضاره والخطاب  
 معه زمان أصلا والضمير  
 المستكن في كلمة ليوسف  
 والبارز للملك أى فلما كلف  
 يوسف اثمأناه فاستنطقه  
 وشاهد منه ما شاهد  
 (قال انك اليوم لدينا  
 مكين) ذو مكانة ومنزلة  
 رفيعة (أمين) مؤتمن  
 على كل شئ واليوم ليس  
 بعبارة لمدة المكانة والامانة  
 بل هو أن التكلم والمراد

تجديد مبدئهما احتجازا عن احتمال كونهما بعد حين روى أنه عليه السلام لما جاء ﴿ بنى ﴾  
 الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل وليس ثيابا جديدا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك  
 من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذه اللسان قال لسان  
 أبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه

يحببها فحبب منه فقال أحب أن أسمم منك رؤياي فسكاها ونعتته البقرات والسنايل وأما كتبها على ما رأها فاجلسه على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفي قطيف في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راحيل فوجدتها عذراء وولدت له افراسيم وميشا وامل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عينه من أمر الخزانين كما يعرب عنه قوله عزوجل ( قال اجعلني على خزان الارض ) ﴿ ٢١٥ ﴾ اي ارض مصر اي ولني أمرها من الاراد

والصرف (اني حفظ)  
 لها من لا يستحقها (عليم)  
 بوجه التصرف فيها  
 وفيه دليل على جواز طلب  
 الولاية اذا كان الطالب  
 ممن يقدر على اقامة العدل  
 واجراء أحكام الشريعة  
 وان كان من يد الجائر  
 أو الكافر وعن مجاهد  
 أنه أسلم الملك على يده  
 عليه السلام ولعل اشارة  
 عليه السلام لتلك الولاية  
 خاصة انما كان للقيام بما هو  
 أهم أمور السلطنة اذ ذلك  
 من تدبير أمر السنين حسبا  
 فصل في التأويل لكونه  
 من فروع تلك الولاية  
 لا مجرد دعوم الفائدة وجوم  
 العائدة كما قيل واعلم بذكر  
 اجابة الملك الى ما سأله  
 عليه السلام من جطه  
 على خزان الارض  
 ايذانا بأن ذلك أمر  
 لا أمر وله فني عن التصريح  
 لاسيما بعد تقديم ما يندرج  
 تحته من أحكام السلطنة  
 بخدا فيرهما من قوله انك  
 اليوم لدينا مكيين أمينين  
 والتبنيه على أن كل ذلك  
 من الله عزوجل وانما الملك

نبني وراء ذلك واعلم اننا اذا جلنا ما على الاستفهام صار التقدير أي شيء نبني فوق هذا  
 الاكرام ان الرجل رددنا همتنا اليها فاذا ذهبنا اليه نعيم أهلنا ونحفظ أمانا وزداد كليل  
 يعبر بسبب حضور أخينا قال الاصمعي يقال ماره بغيره ميرا اذا أتاه بيرة أي بطعام ومنه  
 يقال ما عنده خير ولا مير وقوله وزداد كليل بغير معناه ان يوسف عليه السلام كان يكيل  
 لكل رجل حل بغير فاذا حضر أخوه فلا بد أن يزاد ذلك الحمل وأما اذا جلنا كلمة ما على  
 النفي كان المعنى لا ينبغي شيئا آخر هذه بضاغتنا ردت اليها فهي كافية لمن الطعام  
 في الذهاب الثاني ثم نعمل كذا وكذا وأما قوله ذلك كليل يسير فقيه وجوه (الاول) قال  
 مقاتل ذلك كليل يسير على هذا الرجل المحسن لسخطه وحرصه على البذل وهو اختيار  
 الزجاج (والثاني) ذلك كليل يسير أي قصير المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بسبب  
 الحبس والتأخير (والثالث) أن يكون المراد ذلك الذي يدفع اليها دون أخينا شيء يسير  
 قليل فابعث أمانا معنا حتى نبدل تلك القلة بالكثرة ﴿ قوله تعالى ﴾ قال لن أرسله معكم  
 حتى تؤتوني موثقا من الله لتأمنن به الا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم قال الله على  
 ما نقول وكيل اعلم أن الموثق مصدر بمعنى الثقة ومعناه العهد الذي يوثق به فهو مصدر  
 بمعنى المفعول يقول لن أرسله معكم حتى تهطوني عهدا موثوقا به وقوله من الله أي عهدا  
 موثوقا به بسبب تأكده باشهاد الله وبسبب القسم بالله عليه وقوله لتأمنن به دخلت  
 اللام ههنا لاجل تأييدنا ان المراد بالموثق من الله اليمين فتقديره حتى تعلفوا بالله لتأمنن به  
 وقوله الا أن يحاط بكم فيه بحثان (الاول) قال صاحب الكشاف هذا الاستثناء متصل  
 فتوله الا أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأمنن به في تأويل المنفي  
 فكان المعنى لا تمتعون من الايمان به لعله من العلة الالفة واحدة (البحث الثاني) قال  
 الواحدى للمفسرين فيه قولان (أحدهما) ان قوله الا ان يحاط بكم معناه الهلاك قال  
 مجاهد الا أن تموتوا اكلكم فيكون ذلك عذرا عندى والعرب تقول أحيط بفلان اذا قرب  
 هلاكه قال تعالى وأحيط بثمره أي أصابه ما أهلكه وقال تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم  
 وأصله ان من أحاط به العدو وانسدت عليه مسالك الهجاة دنا هلاكه قيل لكل من هلك  
 قد أحيط به (والقول الثاني) ما ذكره قسادة الا أن يحاط بكم الا أن تصيروا مظلومين  
 مقهورين فلا تقفرون على الرجوع ثم قال تعالى فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول  
 وكيل يريد شهيد لان الشهيد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد فلن وقتيمه جازاكم  
 بأحسن الجزاء وان غدرتم فيه كافاكم بأعظم العقوبات ﴿ قوله تعالى ﴾ ( وقال يا بنى  
 لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء  
 ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ) اعلم أن أبناء يعقوب لما عزموا  
 على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد قال لهم  
 لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وفيه قولان (الاول) وهو قول

القفي ذلك قيل ( وكسلك ) اي مثل ذلك الممكن البليغ ( مكنا يوسف ) اي جعلناه مكانا ( في الارض ) اي ارض  
 مصر روى انها كانت أو بعين فرسخا في أربعين وثم التعبير عن الجمل المذكور بالمتكئين في الارض مستندا الى ضميره  
 عزسلطانه من تشر يفه عليه السلام والمبالغة في كمال

ولاية والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر الا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى ( يتبوا منها ) ينزل من ههنا ( حيث يشاء ) ويتخذ مبادء وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالتون روى أن الملك توجه وختمه بخاتمته وردا، يسيفه ووضع له سر برامن ذهب مكنلا بالدر والياقوت ﴿ ٢١٦ ﴾ فقال عليه السلام أما السرير فاشد به

ملكاً على ما الخاتم فادبر به  
أمره وأما الخاتم فليس  
من لباسي ولا لباس آتني  
فقال قد وضعت اجلالك  
واقراراً بفضلك فجلس  
على السرير ودانت له  
المولود وفوض اليه الملك  
أمره وأقام العدل  
بعصر وأحبته الرجال  
والنساء وباع من أهل  
مصر في سني القسط  
الطعام في السنة الاولى  
بالدنانير والداهم  
وفي الثانية بالخلى والجواهر  
وفي الثالثة بالدواب  
ثم بالضياع والعتار  
ثم برقابهم حتى استرقهم  
جميعاً فقالوا ما رأينا  
كاليوم ملكاً أجمل  
وأعظم منه ثم أعتهم  
ورد اليهم أموالهم وكان  
لا يبيم من احد من الممتارين  
أكثر من حمل بعير  
تقسماً بين الناس  
( نصيب برحمتنا ) بعتاننا  
في الدنيا من الملك والغنى  
وغيرهما من النعم  
( من نشاء ) بمقتضى  
الحكمة الدا عية  
الى المشيئة ( ولا نضع

جمهور المفسرين انه خاف من العين عليهم ولنا ههنا مقامان ( المقام الاول ) اثبات ان  
العين حق والذي يدل عليه وجوه ( الاول ) اطباق المتقدمين من المفسرين على أن المراد  
من هذه الآية ذلك ( والثاني ) ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن  
والحسين، فيقول أعبد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة  
ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله عليهم ( والثالث ) ما روى  
عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فرأيت شديداً  
الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرأيت معافى فقال ان جبريل عليه السلام أتاني فرأيتني  
فقال بسم الله ارقبك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال فأفقت  
( والرابع ) روى أن بنى جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً يرضعوا أسماء يار رسول الله  
ان العين اليهم سر بعة أفاسترق لهم من العين فقال لها نعم ( والخامس ) دخل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يار رسول الله أصابته العين فقال  
أفلا تسترقونه من العين ( والسادس ) قوله عليه السلام العين حق ولو كان شيء يسبق  
القدر لسبقته العين القدر ( والسابع ) قالت عائشة رضي الله عنها كان يوم امر العائى  
أن يتوضأ ثم يغسل منه العين الذي أصيب بالعين ( المقام الثاني ) في الكشف عن ماهيته  
فقول ان أباعلى الجبائى أنكر هذا المعنى انكاراً بليغاً ولم يذكر في انكاره شبهة فضلاً عن  
حجة وأما الذين اعترفوا به وأقروا بوجوده فقد ذكروا فيه وجوه ( الاول ) قال الحافظ  
انه يمتد من العين أجزاء فتصل بال شخص المستحسن فتؤثر فيه وتسرى فيه كآثار السم  
والسم والنار وان كان مخالفاً في جهة التأثير لئله الاشياء قال القاضي وهذا ضعيف  
لانه لو كان الامر كما قال لوجب أن يؤثر في الشخص الذي لا يستحسن كآثاره في المستحسن  
واعلم أن هذا الاعتراض ضعيف وذلك لانه اذا استحسن شيئاً فقد يجب بقاءه كما اذا استحسن  
ولد نفسه وبستان نفسه وقد بكرة بقاءه أيضاً كما اذا أحس الحاسد بشئ حصل لعدوه  
فان كان الاول فانه يحصل له عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله والخوف  
الشديد يوجب انحصار الروح في داخل القلب فيعجز عن مغادرة القلب والروح جدا ويحصل  
في الروح الباصرة كيفية قوية مسخنة وان كان الثاني فانه يحصل عند ذلك الاستحسان  
حسد شديد وحزن عظيم بسبب حصول تلك النعمة لعدوه والحزن ايضا يوجب انحصار  
الروح في داخل القلب ويحصل فيه سخونة شديدة فثبت ان عند الاستحسان القوى  
تسخن الروح جدا فيستحسن شعاع العين بخلاف ما اذا لم يستحسن فانه لا تحصل هذه  
السخونة فظهر الفرق بين الصورتين ولهذا السبب امر الرسول صلى الله عليه وسلم  
العائى بالوضوء ومن أصابته العين بالاغسال ( الوجه الثاني ) قال أبو هاشم وأبو القاسم  
البلخى انه لا يمتنع أن تكون العين حقا ويكون معناه ان صاحب العين اذا شاهد الشئ  
وأعجب به استحساناً كان المصطنع في تكليفه أن يغير الله ذلك الشخص وذلك الشئ حتى

أجر المحسنين) بل توفيه بكماله وفيه اشعار بان مدارا المشيئة المذكورة احسان من نصيبه ﴿ لا يلقى ﴾

الرحمة المرقومة وانها أجره ولدفع توهم انحصار ممرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل  
التوكيد ( ولاجر الآخرة ) اى أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو التعميم المقيم الذى لا يفادله ( خير ) لهم  
اى للمحسنين المذكورين وانما وضع

موضعه الموصول قيل (الذين آمنوا كانوا يتفكرون) تنبيه على أن المراد بالاحسان اتمامها والإيمان والثبات على التقوى  
المستفاد من الجمع بين الماضي والمستقبل (وجاء أخوة يوسف) متارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب  
أرض مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين (فدخلوا عليه) أي على يوسف وهو في مجلس  
ولايته (ففرغهم) لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم ﴿ ٢١٧ ﴾ السابقة لحالهم يومئذ لقار قته إياهم وهم

رجال وتشابه هياتهم  
وزيهم في الحالين ولكون  
همته معقودة بهم وبمعرفة  
أحوالهم لاسيما في زمن  
القطط وعن الحسن  
ما عرفهم حتى تعرفوا له  
(وهم له منكرون) أي  
والحال أنهم منكرون  
له أطول العهد وتباين  
ما بين حاله عليه السلام  
في نفسه وميزانه وزيه  
ولا اعتقادهم أنه هلك  
وحيث كان إنكارهم له  
أمر مستترا في حاله  
المحضر والغيب أخبر عنه  
بالجملة الاسمية بخلاف  
عرفانه عليه السلام  
إياهم (ولما جهزهم  
بجهازهم) أي أصلحهم  
بعدتهم من الزاد وما  
يحتاج إليه المسافر و  
أوفرر كأبهم بما جاؤا له  
من الميرة وقرى بكسر  
الجيم (قال أتوني بأخ  
لكم من أيكم) لم يقل  
بأخيكم بالفتح في اظهار  
عدم معرفته لهم ولعله  
عليه السلام إنما قال لما  
قيل من أنهم سألوه عليه

لا يبقى قلب ذلك المكلف متعلقا به فهذا المعنى غير ممتنع ثم لا يبعد أيضا أنه  
لو ذكر ربه عند تلك الحالة وعدل عن الإعجاب وسأل ربه تقيته ذلك فعنده تتبين المصلحة  
ولما كانت هذه العادة مطردة لاجرم قيل للعين حق (الوجه الثالث) وهو قول الحكماء  
قالوا هذا الكلام مبني على مقدمة وهي أنه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره  
بحسب هذه الكيفيات المحسوسة أعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بل  
قد يكون التأثير نفسانيا محضًا ولا يكون للقوى الجسمانية بها تعلق والذي يدل  
عليه أن اللوح الذي يكون قليل العرض إذا كان موضوعًا على الأرض قدر الإنسان  
على المشي عليه ولو كان موضوعًا فيما بين جدارين عالين ليجز الإنسان عن المشي عليه  
وما ذاك إلا أن خوفه من السقوط منه يوجب سقوطه فعلنا إن التأثيرات النفسانية  
موجودة وأيضا إن الإنسان إذا تصور كون فلان مؤذيا له حصل في قلبه غضب  
ويسخن مزاجه جدا فبدلت تلك السخونة ليس إلا ذلك التصور النفساني ولأن مبدأ  
الحركات البدنية ليس إلا التصورات النفسانية فلما ثبت أن تصور النفس يوجب  
تغير بدنه الخاص لم يبعد أيضا أن يكون بعض النفوس بحيث تتعدى تأثيراتها  
إلى سائر الأبدان فثبت أنه لا يمتنع في العقل كون النفس مؤثرة في سائر الأبدان  
وأبضا جواهر النفوس مختلفة بالمهابة فلا يمتنع أن يكون بعض النفوس  
بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط أن يراه ويتعجب منه فثبت أن هذا المعنى أمر  
محتمل الجواب من الزمن الأقدم ساعدت عليه والنفوس النبوية نطقت به فعنده  
لا يبقى في وقوعه شك واذ ثبت هذا ثبت أن الذي أطبق عليه المتقدمون من المفسرين في  
تفسير هذه الآية باصاغة العين كلام حق لا يمكن رده (القول الثاني) وهو قول أبي علي  
الجبائي أن أبناء يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بهم وبحسنهم وكمالهم فقال  
لاندخلوا تلك المدينة من باب واحد على ما أتم عليه من العدد والهيئة فلم يأمن عليهم  
حسد الناس أو يقال لم يأمن عليهم أن يخافهم الملك الأعظم على ملكه فحبسهم واعلم أن  
هذا الوجه محتمل لانكاره إلا أن القول الأول قدينا أنه لا امتناع فيه بحسب العقل  
والمفسرون طبقوا عليه فوجب المصير إليه ونقل عن الحسن أنه قال حاف عليهم العين  
فقال لاندخلوا من باب واحد ثم رجع إلى علمه وقال وما أغنى عنكم من الله من شيء وعرف  
أن العين ليست بنبي وكان قتادة يفسر الآية باصاغة العين ويقول ليس في قوله وما أغنى  
عنكم من الله من شيء إبطال له لأن العين وإن صح فالله قادر على دفع أثره (القول الثالث)  
أنه عليه السلام كان طالبا بان ملك مصر هو ولده يوسف إلا أن الله تعالى ما أذن له في اظهار  
ذلك فلما بعث أبناءه إليه قال لاندخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان  
غرضه أن يصل بنيامين إلى يوسف في وقت الخلوة وهذا قول إبراهيم الخفي فاما قوله  
وما أغنى عنكم من الله من شيء فاعلم أن الإنسان مأمور بان يراعى الأسباب المعتبرة في

السلام جلازأئدا على ﴿ ٢٨ ﴾ نحن المتألمين فاعطاهم ذلك وشرط لهم أن يأتوا به لا لما قيل من أنه لما رأوه  
وكلوه بالعبرية قال لهم من أتم فاني أنكركم فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجننا نمتار فقال  
لهم لعلكم جتم حيونا فقالوا معاذ الله نحن أخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب  
قال كم أتم قالوا كنا نتي حصر فهلك منا واحد فقال كم أتم ههنا

قالوا عشرة قال فابن الحادي عشر قالوا هو عند أبيه ينسلي به من الهالك قل من يشهد ليكم بأنكم لستم نبونا وان ماتقولون حق قالوا نحن بلاد لا يعرفنا فيها أحد فشهد لنا قال فدعوا بمضكم عندي **رشيمة** وأخبرني بأخبيكم من أيكم وهو يحمل رسالة من أيكم حتى أصدقكم فافتزعوا فأصاب القرعة شعون خلفوه عندهم ولا يساعدهم وورد الأمر بالاتبان به عند التجهيز ولا الحث عليه بإفناء الكيل **٢١٨** ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار

هذا العالم ومأمور أيضا بأن يعتقدو ويجزم بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا ينبغي من القدر فان الانسان مأمور بان يحذر عن الاشياء المهلكة والاخذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع و يدفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغي أن يكون جازما بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله ولا يحصل في الوجود الا ما أراه الله فقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب منفردة فهو اشارة الى رعاية الاسباب المعبرة في هذا العالم وقوله وما أغنى عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم الانتفاع الى الاسباب والى التوحيد المحض والبراءة عن كل شيء سوى الله تعالى وقول القائل كيف السبيل الى الجمع بين هذين القولين فهذا السؤال غير مختص به وذلك لانه لا نزاع في انه لا بد من اقامة الطاعات والاحتراز عن المعاصي والسيئات مع ان الله تعالى السعيد فمن سعد في بطن أمه وان الشقي من شقي في بطن أمه فكذا ههنا نأكل ونشرب ونحيا عن السموم وعن الدخول في النار مع ان الموت والحياة لا يحصلان الا بتقدير الله تعالى فكذا ههنا فظهر ان هذا السؤال غير مختص بهذا المقام بل هو بحث عن سر مسألة الجبر والقدر بل الحق ان العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة وبعد ذلك السعي البليغ والجد الجهد فانه يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فلا بد وان يكون بقضاء الله تعالى ومشيئته وسابق حكمه وحكمته ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال ان الحكم الا لله واعلم ان هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا في القضاء والقدر وذلك لان الحكم عبارة عن الالزام والمنع من التقيض وسميت حكمة الدابة بهذا الاسم لانها تمنع الهبابة عن الحركات الفاسدة والحكم انما سمي حكما لانه يقتضي ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر بحيث يصير الطرف الآخر متمتع الحصول فيبين تعالى ان الحكم بهذا التفسير ليس الا لله سبحانه وتعالى وذلك يدل على ان جميع الممكنات مستندة الى قضائه وقدره ومشيئته وحكمه اما بغير واسطة واما بواسطة ثم قال عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ومعناه انه لما ثبت ان الكل من الله ثبت انه لا توكل الا على الله وان الرغبة ليست الا في رجحان وجود الممكنات على عدمها وذلك الرجحان المانع عن التقيض هو الحكم وثبت بالبرهان انه لا حكم الا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله وذلك يوجب أنه لا توكل الا على الله فهذا مقام شريف عال ونحن قد أشرنا الى ما هو البرهان الحق فيه والشخ أبو حامد الغزالي رحمه الله أطيب في تقرير هذا المعنى في كتاب التوكل من كتاب احياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فيه فليطالع ذلك الكتاب \* قوله تعالى (ولمادخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الاحاجة في نفس يعقوب قضائها وانه لدو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال المفسرون لما قال يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شيء صدقه الله في ذلك فقال وما كان ذلك الا لفرق بغني من الله من شيء وفيه بحثان (البحث الاول) قال ابن

على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتبان به بطريق المراودة ولا تعطيلهم عند أيهم ارسال أخيه من الكيل من غير ذكر الرسالة على أن استيقنا سمعون او وقع لكان ذلك طامة ينسب عندها كل قيل وقال (الأترون اني أوف الكيل) أمه لكم وايشار صفة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة (وأنا حير المتزائين) جله طالبه أي الأترون أني أوف الكيل لكم ايضا مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الأمر كذلك وتخصيص الروية بالإفناء لوقوع الخطاب في أثناءه وأما الاحسان في الانزال فقد كان

مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم **عباس** على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الإيفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كما ملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء (فانهم أتوني به فلا كيل لكم عندي) من بعد فضلا عن إيفائه (ولا تقر بون) بدخول بلادى فضلا عن



الاحسان في الانزال والضيافة وهو ما انتهى أوفى معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى **وكان ذلك** معلوما عليه السلام (قالوا سزاو دعنه أباه) أي سخطا دعنه ونحوه في انتزاعه من يده ونحوه في ذلك وفيه تنبيه على عز المطالب وصعوبة مناله (والمفاعلون) ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين أولقادرون عليه لاتعاقبه (وقال) يوسف (لغيبانه) غلبانه ﴿ ٢١٩ ﴾ الكياليين جمع فتى وقرى لغيبته وهي جمع قلبه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم)

فانه وكل بكل رحل رجلا يعي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من أن لا يكون عند أيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما توخاه من رجوعهم بأخيه كما يؤذن به قوله (لهلهم يعرفونها) أي يعرفون حق ردها والتكريم في ذلك أولكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله (إذا انقلبوا إلى أهلهم) فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الأوعية قطعاً وأما معرفة حق التكريم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداءها حيث قيدت به (لعلهم يرجعون) حسبما أمرتهم به فان التفضل عليهم بانعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع

عياض رضى الله عنهما ذلك التفرق ما كان يرد قضاء الله ولا أمرا قدره الله وقال الزجاج ان العين لو قدر أن تصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون وقال ابن الانباري لو سبق في علم الله أن العين تهلكتهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وهذه الكلمات متعارفة وحاصلها ان الحذر لا يدفع القدر (البحث الثاني) قوله من شيء يحتمل النصب بالفعولية والرفع بالمفاعلية (أما الأول) فهو كقوله ما رأيت من أحد والتقدير ما رأيت أحدا فكذا ههنا تقدير الآية ان تفرقهم ما كان يعني من قضاء الله شيئا أي ذلك التفرق ما كان يخرج شيئا من تحت قضاء الله تعالى (وأما الثاني) فكقولك ما جاءني من أحد وتقديره ما جاءني أحد فكذا ههنا التقدير ما كان يعني عنهم من الله شيء مع قضاؤه أما قوله الحاجة في نفس يعقوب قضاها فقال الزجاج انه استثناء منقطع والمعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها يعني ان الدخول على صفة الفرق قضاء حاجة في نفس يعقوب قضاها ثم ذكروا في تفسير تلك الحاجة وجوها (أحدها) خوفه عليهم من اصابة العين (وثانيها) خوفه عليهم من حسد أهل مصر (وثالثها) خوفه عليهم من أن يقصدهم ملك مصر بشر (ورابعها) خوفه عليهم من أن لا يرجعوا إليه وكل هذه الوجوه متقاربة وأما قوله وانه لدوعل لما علمناه فقال الواحدى يحتمل أن تكون مامصدرية والهاء عائدة إلى يعقوب والتقدير وانه لدوعل من أجل تعليمناياه ويمكن أن تكون مابمعنى الذى والهاء عائدة إليها والتأويل وانه لدوعل للشيء الذى علمناه يعنى اننا لما علمناه شيئا حصل له العلم بذلك الشيء وفي الآية قولان آخران (الأول) ان المراد بالعلم الحفظ أي انه لدوعل وحفظ لما علمناه ومراد قوله (والثاني) لدوعل لقوائد ما علمناه وحسن آثاره وهو اشارة إلى كونه عاملا بما علمه ثم قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفيه وجهان (الأول) ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب (والثاني) لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة والعلم والمراد بأكثر الناس المشركون فانهم لا يعلمون بأن الله كيف يرشد أولياءه إلى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة \* قوله تعالى (ولم يدخلوا على يوسف أوى إليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا يتنس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذنا أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقتلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقدوا موع الملك ولمن جاء به حل بعير وأبنا به زعيم) اعلم انهم لما أتوه بأخيه بنيامين أكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبقي وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوك وجيدا فأجلسه معه على مائدة ثم أمر أن ينزل منهم كل اثنين يتناول هذا الثاني له فأتروا معى فأواه إليه ولما رأى يوسف نأسفه على أخيه هلك قال له أحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبقي يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا يتنس بما كانوا يعملون اذا عرفت هذا

وما قيل انما فله عليه السلام لما لم يرم من الكرم أن ياخذ من أيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن باباه التعليل المذكور وأما أن عليه الجمل المذكور للرجوع من حيث ان دياتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فداره حسابهم أنها بقيت في رحالهم نسياناً وظاهراً أن ذلك بما لا يخطر ببال أحد أصلاً فان هيئة التعبية

تنادي بأن ذلك بطريق التفضل الأيرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوا وجعلوا ذلك دليلا على التفضيلات السامقة كما سخطه خبرا (فأرجعوا الى أيديهم قالوا) قبل أن يشتغلوا بفتح المناع (يا أيانا منع من الكيل) أي قيامه بصدقه وقيامه باليمن من الدلالة على كون الامتياز مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام (فأرسل معنا أخانا) بنيامين الى مصر وفيه ايدان بان مدار المنع عدم كونه معهم (نكتل) بسببه من الطعام ﴿ ٢٢٠ ﴾ ما نشاء وقرأ حرة والكسائي بالياء

فقول قوله آوى اليه أخاه أي أنزله في الموضع الذي كان ياوى اليه وقوله انى أنا أخوك فيه قولان قال وهب لم يردانه أخوه من النسب ولكن أراد به انى أقوم لك مقام أخيك في اليناس ثلاثا سوحش بالفرق والصحيح ما هو عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب لان ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الانس ولان الأصل في الكلام الحقيقة فلا وجه لصرفه عنها الى المجاز من غير ضرورة وأما قوله فلا تبئس فقال أهل اللغة تبئس فتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابئس اختلاب الحزن والبؤس وقوله بما كانوا يعملون فيه وجوه (الاول) المراد بما كانوا يعملون من اقامتهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه أينا عننا (الثاني) أن يوسف عليه السلام ما بى في قلبه شئ من العداوة وصار صافيا مع اخوته فأراد أن يجعل قلب أخيه صافيا معهم أيضا فقال فلا تبئس بما كانوا يعملون أي لا تلثف الى ما صنعوه فيما تقدم ولا تلثف الى أعمالهم المنكرة التي أقدموا عليها (الثالث) انهم انما فعلوا يوسف ما فعلوه لانهم حسدوه على اقبال الاب عليه وتخصيصه بزيد الاكرام فخاف بنيامين أن يحسدوه بسبب ان الملك خصه بزيد الاكرام فأمنه منه وقال لا تلثف الى ذلك فان الله قد جمع بيني وبينك (الرابع) روى الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا يعيرون يوسف وأخاه بسبب ان جد هما أبيا مهما كان يعبد الاصنام وان أم يوسف أمرت يوسف فسرق جونة كانت لا يبيها فيها أصنام رجاء أن يترك عبادتها اذا فقدها فقال له فلا تبئس بما كانوا يعملون أي من التعير لنا بما كان عليه جدنا والله أعلم ثم قل تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وقدمضى الكلام في الجهاز والرحل أما السقاية فقال صاحب الكشاف مشربة يسقى بها وهو الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وهو بعد لان الاناء الذي يشرب الملك الكبير منه لا يصلح أن يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها أيضا وهذا أقرب ثم قال وقيل كانت من فضة موهبة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر وهذا أيضا بعيد لان الأنبة التي يسقى الدواب فيها لا تكون كذلك والاولى أن يقال كان ذلك الاناء شيئا له قيمة أما الى هذا الحد الذي ذكره فلا ثم قال تعالى ثم أذن مؤذنا أيتها العير انكم لسارقون يقال اذنه أي أعلمه وفي الفرق بين اذن وبين أذن وجهان قال ابن الانباري أذن معناه أعلم اعلا ما بعد اعلام لان فعل يوجب تكرير الفعل قال ويجوز أن يكون اعلا ما واحدا من قبيل ان العرب تجعل فعل بمعنى أفعال في كثير من المواضع وقال سيبويه أذنت وأذنت معناه أعلمت لافرق بينهما والتأذين معناه التداء والتصويت بالاعلام وأما قوله تعالى أيتها العير انكم لسارقون قال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمار والبغال فهو عير وقول من قال العير الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحبر ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع

على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال أو يكتل لنفسه مع اكتبالنا (وانا له الحافظون) من أن يصيبه مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على اخيه) يوسف (من قبل) وقد قلتم في حقه أيضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا ابق بكم ولا يحفظكم وانما افوض الامر الى الله (فالله خير حافظا) وقرئ حفظا واتصا بهم ما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تفدا الخير به بتلك الحالة (وهو أرحم الراحمين) فأرجوا أن يرجحني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة (ولما قبحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) أي تفضلا وقد عملوا ذلك بماصر من دلالة الحال وقرئ ينقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل في قيل

وكيل (قالوا) استشفى منى على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ قيل قالوا لا يبيهم ولمه كان حاضر عند عير ﴿ عير ﴾ الفصح (يا أيانا منبغى) اذا فسر البغى بالطلب فالما استغفامية منصوبة به فالمعنى ماذا تبغى ورواها وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امثال أمره والمرابضة اليد في الحوائج وقد كانوا يخبرون بذلك وقالوا له اننا قدمنا على خير

رجل ازلناوا لرجلهم امه لو كان رجلا من ال يعقوب ما كرمنا كرامته وقوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت اليها) جله مستأنفه  
موضحة لما في عليه الانكار من يلوع اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها اليها فضلا من حيث لا ندرى  
بعدها من علمينا من المن العظام هل من مز يد على هذا فطلبه ولم ير يدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا أو القاعد عن طلب  
نظاره بل ارجعوا الاكتفاء به في استيجاب ﴿ ٢٢١ ﴾ الامثال لامره والاتجاه اليه في استحلاب المز يد كما أشرنا اليه

وقوله تعالى ردت اليها  
حال من بضاعتنا  
والعامل معنى الاشارة  
وايشار صيغة البناء  
للقول للايدان بكمال  
الاحسان الناشئ عن  
كمال الاخفاء المفهوم  
من كمال غفلتهم عنه  
بحيث لم يشعروا به ولا  
بفاعله وقوله عز وجل  
(وعير أهلنا) أي تجلب  
اليهم الطعام من عند  
الملك معطوف على  
مقدر ينسحب عليه رد  
البضاعة أي فنستظهر  
بها ونعير أهلنا (ونحفظ  
أحانا) من المكارة حسبا  
وعدنا فما بصيبه من  
مكروه (وزداد) أي  
بواسطته ولذلك وسط  
الاخبار بحفظه بين  
الاصل والمزيد (كيل  
بعير) أي وسق بعير  
زاد على أوساق أباعرنا  
على قضية التقييد  
(ذلك) أي ما يحمله  
أباعرنا (كيل يسير)  
أي مكيل قليل لا يقوم  
بأودنا فهو استئناف  
وقع تعليلا لماسبق

عير وجمعها فعل كسفف وسفف اذا عرفت هذا فنقول آية العير المراد أصحلا عير  
كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه  
قليل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهاتهم حتى انطلقوا ثم أذن  
مؤذنه أيتها العيرانكم لسارقون فان قيل هل كان ذلك النداء بأمر يوسف أو ما كان  
بأمره فان كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عنده الله أن يهتم أقواما وينسبهم الى  
السرقه كذبا وبهتان وان كان الشاني وهو انه ما كان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا  
أظهر براءتهم عن تلك التهمة قلنا العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها (الاول) انه عليه  
السلام لما أظهر لآخيه انه يوسف قاله اني أريد أن أحبسك ههنا ولا سبيل اليه الا بهذه  
الحيلة فان رضيت بها فالامر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك وعلى هذا التقدير لم تألم  
قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنبا (والثاني) ان المراد انكم لسارقون يوسف  
من آية الانهم ما أظهرها هذا الكلام والمعاريض لا تكون الا كذلك (والثالث) ان  
ذلك المؤذن ر بماذ ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير يخرج عن أن  
يكون كذبا (الرابع) ليس في القرآن انهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام  
والاقرب الى ظاهر الحال انهم فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها  
وما كان هناك أحد الا هم غلب على ظنونهم انهم هم الذين أخذوها ثم ان اخوة يوسف  
قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ أبو عبد الرحمن السلي تفقدون من أفقدته اذا  
وجدته فقيدا قالوا فقد صواع الملك قال صاحب الكشاف قرئ صواع وصواع وصوع  
وصوع بفتح الصاد وضمها والعين مجتمعة في جملة قال بعضهم جمع صواع صيعان  
كعراب وغريبان وجمع صاع أصواع كياب وأبواب وقال آخرون لافرق بين الصاع  
والصواع والدليل عليه قراءة أي هريرة قالوا فقد صاع الملك وقال بعضهم الصواع اسم  
والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء قال الكوز اسم والسقاء وصف ثم قال ولن جاء به حل  
بعير أي من الطعام وأنا به زعيم قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذي أذن وتفسير زعيم كغيل  
قال الكلبى الزعيم الكفيل بلسان أهل اليمن روى أبو عبيدة عن الكسائي زعمت به تزعم  
زعمنا وزطمة أي كفلت به وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في سرعهم  
وقد حكى بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزعيم غارم فان قيل هذه كفالة بسبي  
مجهول قلنا حل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت الكفالة به الا أن هذه كفالة  
مال رد لسرقه وهو كفالة بما لم يجب لانه لا يحمل للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقه ولعل  
مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد  
في الارض وما كنا سارقين قالوا فاجزأوه ان كنتم كاذبين قالوا جزأوه من وجد في رحله  
فهو جزأوه كذلك يجزى الظالمين) قال البصريون الواو في والله بدل من التاء والتاء بدل  
من الواو فضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو أحق بالتسم وهو اسم الله

كأنه قيل أي حاجة الى الازدياد قيل ما قيل أو ذلك الكيل الزائد شي قليل لا يضابق فيه الملك أو سهل عليه لا يتعاطمه  
أو أي مطلب يطلب من مملكتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب  
أو متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونعير أهلنا ونحفظ أحابنا فما بصيبه شي من المكارة  
وزداد بسببه غير ما نكتنا له

لا نقتنا كل بعير فأى شيء ينبغى وراء هذه المباحي وقرى ما ينبغى على خطاب يعقوب عليه السلام أي شيء ينبغى وراء هذه المباحي المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدنا أو وراء ما فضل بنا الملك من الاحسان داعيا إلى التوجه إليه والجملة الاستثنائية موضحة لذلك أو أي شيء ينبغى شاهد اعلى صدقنا فيما وصفناك من احسانه والجملة المذكورة بيان عن الشاهد الدلول عليه بحوى الامكار واما نافية فالعنى ما ينبغى شيئا \* ٢٢٢ \* غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب

مخزوجل قال المفسرون حلقوا على أمرين (أحدهما) على انهم ما جاؤا لأجل الفساد في الارض لانه ظهر من احوالهم امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالصكلية لا بالاكل ولا بارسال الدواب في مزارع الناس حتى روى انهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم لئلا تعبث في زرع وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ومن كانت هذه صفة الفساد في الارض لا يلبق به (والثاني) انهم ما كانوا سارقين وقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو انهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها والسارق لا يفعل ذلك البتة ثم لما بينوا براءتهم عن تلك التهمة قال أصحاب يوسف عليه السلام فاجراؤه ان كنتم كاذبين فأجاؤا وقالوا اجراؤه من وجد في رحله فهو جراؤه قال ابن عباس كانوا في ذلك الزمان يستبدون كل سارق بسرقة وكان استعباد السارق في شرعهم مجرى مجرى وجوب القطع في سرعتنا والمعنى جراه هذا الجرم من وجد المسروق في رحله أي ذلك الشخص هو جراه ذلك الجرم والمعنى ان استعباده هو جراه ذلك الجرم قال الزجاج وفيه وجهان (أحدهما) أن يقال جراهه مبتدأ ومن وجد في رحله خبره والمعنى جراهه السرقة هو الانسان الذي وجد في رحله السرقة ويكون قوله فهو جراهه زيادة في البيان كما تقول جراه السارق القطع فهو جراهه (الثاني) أن يقال جراهه مبتدأ وقوله من وجد في رحله فهو جراهه جملة وهي في موضع خبر المبتدأ والتقدير كما به قيل جراهه من وجد في رحله فهو الا أنه أقلم المظهر مقام المضمرا لتأكيد والمبالغة في البيان وأنشد الصويون

لا أرى الموت يسبق الموت شيء \* نقص الموت العنى والفقير

وأما قوله كذلك نجزي الظالمين أي مثل هذا الجزاء جزاء الظالمين يريد اذا سرق استرق ثم قيل هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل انهم لما قالوا جراهه من وجد في رحله فهو جراهه فقال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين \* قوله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان يأخذ آخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) اعلم ان اخوة يوسف لما أقروا بأن من وجد المسروق في رحله فجراهه أن يسترق قال لهم المؤذن انه لا بد من تفتيش أمتعتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة والاعوية جمع الوعاء وهو كل ما اذا وضع فيه شيء أحاط به ثم استخرجها من وعاء أخيه وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبيرة عاء أخيه قلب الواو وهمزة فان قيل لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه قلنا قالوا رجع ضمير المؤنث الى السقاية وضمير المذكر الى الصواع أو يقال الصواع مؤنث ويدكر فكان كل واحد منهما جازأ أو يقال لكل يوسف كان يسميه سقاية وعنده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواعا عن قتادة أنه قال كان لا ينظر في وعاء الاستغفارة تأبيا بما قد فهم به

المراجعة اليه ما ينبغى غير هذه المباحي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما اذا فسر البغى بمجاوزة الحدفا نافية فقط والمعنى ما ينبغى في القول وما نتريد فيما وصفناك من احسان الملك البنا وكرمه الموجب لما ذكرنا والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغى وقوله ونمير أهلنا عطف على ما ينبغى أي احسانه وتحصيل أمثاله من مير أهلنا وحفظ أخينا فان ذلك أهون سى بواسطة احسانه وقد جوز أن يكون كلاما مبتدأ أي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغى أن نمير أهلنا وشبه ذلك بقولك سميت في ساحة فلان ويجب أن أسمي وأنت خير بان شأن الجمل التذييلية أن يكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال

المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالخق البليج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حله على معنى ينبغى أن نمير \* حتى \* أهلكنا بعزل من ذلك أو ما ينبغى في الرأي وما تعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال أخينا معنا والجملة الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بقيةهم واصابة رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلنا ونصنم كيت وذيت

فتأمل (قال لي أخوه) بعد ما عاينت منكم ما عاينت (حتى توثقوا من الله) أي ما توثق به من جهة الله عز وجل  
 وإنما جعله قائمه تعالى لأن تأكيد اليهود به ما ذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وجل (لأنني به) جواب القسم  
 اذ المعنى حتى يثبوتوا بالله لأنني به (الآن محاط بكم) أي الآن تغلبوا فلا تطيقوا به أو الآن تهلكوا وأصله من احاطة العدو  
 فان من احاط به العدو فقد هلك غالباً وهو استثناء من ٢٢٣ أعمال الاحوال أو أعمال العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي

ينساق اليه أي لتأني  
 به ولا تمتنع منه في حال  
 من الاحوال أوله من  
 العلل الاحوال الاحاطة  
 بكم أوله الاحاطة بكم  
 ونظيره قولهم أقسمت  
 عليك لما فعلت والافعلت  
 أي ما أريد منك الافعلت  
 وقد جوز الاول بلا  
 تأويل أيضاً أي لتأني  
 به على كل حال الاحوال  
 الاحاطة بكم وأنت تدري  
 انه حيث لم يكن الاثبات  
 به من الافعال الممتدة  
 الشاملة للاحوال على  
 سبيل المعية كما في قولك  
 لآزمنك الآن تعطيني  
 حتى ولم يكن مراده عليه  
 السلام مقارنته على سبيل  
 السبيل لما عد الحال  
 المستثناة كما اذا قلت  
 صل الآن تكون محدثاً  
 بل مجرد تحققه ووقوعه  
 من غير اخلال به كما في  
 قولك لا جن العام الآن  
 أحصر فان مرادك انما  
 هو الاخبار بعدم منع ما  
 سوى حال الاحصار  
 عن الحجج الا الاخبار

حتى انه لما لم يبق الا اخوه قال ما أرى هذا قد أخذ شيئاً فقالوا لا نذهب حتى تتفحص دين  
 حاله أيضاً فلما نظروا في مناعه استخرجوا الصواع من وطاقه والقوم كانوا قد حكموا بأن  
 من سرق يسترق فأخذوا برقبته وجروا به إلى دار يوسف ثم قال تعالى كذلك كدنا يوسف  
 ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وفيه بحشان (الاول) المعنى ومثل ذلك الكيد كدنا  
 ليوسف وذلك إشارة الى الحكم باسترقاق السارق أي مثل هذا الحكم الذي ذكره اخوة  
 يوسف حكمتنا ليوسف (الثاني) لفظ الكيد مشعر بالحيلة والخديعة وذلك في حق الله  
 تعالى الا انا ذكرنا قانوناً معتبراً في هذا الباب وهو ان أمثال هذه الالفاظ تحمل على  
 نهايات الاعراض لاعلى بدايات الاعراض وقررنا هذا الاصل في تفسير قوله تعالى ان الله  
 لا يستحي فالكيد السعي في الحيلة والخديعة ونهايته لقاء الانسان من حيث لا يشعر في  
 أمر مكرره ولا سبيل له الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى ثم اختلفوا  
 في المراد بالكيد فقالت بعضهم المراد ان اخوة يوسف سعووا في ابطال أمر يوسف والله  
 تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقال آخرون المراد من هذا الكيد هو انه تعالى ألقي في  
 قلوب اخوته ان حكموا بأن جزاء السارق هو ان يسترق لاجرم لما ظهر الصواع في رحله  
 حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سبباً لتكيد يوسف عليه السلام من امساك أخيه عند  
 نفسه ثم قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك والمعنى انه كان حكم الملك في السارق  
 أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فما كان يوسف قادر على حبس أخيه عند نفسه بناء  
 على دين الملك وحكمه الا انه تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو  
 الاسترقاق فقد بينا ان هذا الكلام توسل به الى أخذ أخيه وحبسه عند نفسه وهو معنى  
 قوله الا أن يشاء الله ثم قال زرفع درجات من نشاء وفيه مستلذان (المسئلة الاولى) قرأ حرة  
 وعاصم والكسائي درجات بالتثوين غير مضاف والباقون بالاضافة (المسئلة الثانية) المراد  
 من قوله زرفع درجات من نشاء هو انه تعالى يريه وجوه الصواب في بلوغ المراد ويخصه  
 بانواع العلوم وأقسام الفضائل والمراد ههنا هو انه تعالى رفع درجات يوسف على اخوته في  
 كل شيء واعلم ان هذه الآية تدل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لانه تعالى لما  
 هدى يوسف الى هذه الحيلة والفكرة مدحه لاجل ذلك فقال زرفع درجات من نشاء وأيضاً  
 وصف ابراهيم عليه السلام بقوله زرفع درجات من نشاء عند ابراهه ذكر دلائل التوحيد  
 والبراءة عن الهية الشمس والقمر والكواكب ووصف ههنا يوسف أيضاً بقوله زرفع  
 درجات من نشاء لما هداه الى هذه الحيلة وكه بين المرتبتين من التغاوت ثم قال تعالى وفوق  
 كل ذي علم عليم والمعنى ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا اعلاء فضلاً أن يوسف كان  
 زائدا عليهم في العلم واعلم أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية على انه تعالى عالم بذاته لا بالعلم  
 فقالوا لو كان عالماً بالعلم لكان ذا علم ولو كان كذلك لحصل فوجه عليم تسكاً بمعوم هذه الآية  
 وهذا باطل واعلم ان اصحابنا قالوا دلت سائر الآيات على اثبات العلم لله تعالى وهي قوله

بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل السبيل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم  
 منعها منه قال المعنى الى التأويل المذكور (فلما أتوه موثقهم) عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام  
 (قال الله على ما نقول) أي على ما قلنا في إنشاء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال

لاستحضار صورته المؤدى الى تشبههم ومحافظة لهم على تذكرة ومراقبته (وكيل) مطلع رقيب يرصد من ثقبه  
 تعالى في رواية ميثاقهم (وقال) ناصحهم لما ازمع على ارسالهم جميعا (بابي لا تدخلوا) مصر (من باب) الشاهد  
 نهاهم عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا يجملوا في هذا الموضع  
 في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والرفق \* ٢٢٤ \* لدى الملك بخلاف التوبة الاولى فكانا يوجب

ان الله عنده علم الساعة وازله بعلمه ولا يحيطون بشئ من علمه وما تحمل من اثنى ولا تضع  
 بعلمه واذا وقع التعارض فمن يحمل الآية التي تمسك الخصب بها على واقعه يوسف واخوته  
 خاصة غاية ما في الباب انه يوجب تخصيص العموم الا انه لا بد من المصير اليه لان العالم  
 مشتق من العلم والمشتق مركب والمشتق منه مفرد وحصول المركب بدون حصول المفرد  
 محال في بدية العقل فكان الترجيح من جانبنا \* قوله تعالى (قالوا ان يسرق قد سرق  
 اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم قال اتم شرمكنا والله اعلم بما تصفون)  
 اعلم انه لما خرج الصواع من رحل اخي يوسف نكس اخوته رؤسهم وقالوا هذه الواقعة  
 عجيبه ان راحيل ولدت ولدين لصين ثم قالوا يا بني راحيل ما اكر البلاء علينا منكم فقال  
 بنوامين ما اكر البلاء علينا منكم ذهبتم باخي وضيعتموه في المغازة ثم تقولون لي هذا  
 الكلام قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك فقال وضعه في رحلي من وضع البضاعة  
 في رحالك واعلم ان ظاهر الآية يقتضي انهم قالوا للملك ان هذا الامر ليس بعريب منه  
 فان اخاه الذي هلك كان ايضا سارقا وكان غرضهم من هذا الكلام انالسا على طريقته  
 ولا على سيرته وهو واخوه مختصان بهذه الطريقة لانهما من ام اخرى واختلفوا في  
 السرقة التي نسبوا الي يوسف عليه السلام على اقوال (الاول) قال سعيد بن جبير كان  
 جده ابو امه كافر ابعد الاوثان فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان وبكسرهما فلهذا يترك  
 عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذه السرقة (والثاني) انه كان يسرق الطعام من مائدة ابيه  
 ويدفعه الى الفقراء وقيل سرق عنقا من ابيه ودفعه الى مسكين وقيل دجاجة (والثالث)  
 ان عمته كانت تحبه جدا شديدا فارادت ان تمسكه عند نفسها وكان قد بقي عندها من طعام  
 لاسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدتها على وسط يوسف ثم قالت بانه سرقها وكان  
 من حكمهم بان من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امها كعند نفسها (والرابع)  
 انهم كذبوا عليه وبهتوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على يوسف بعد تلك الوقائع  
 وبعد انقضاء تلك المدة الطويلة وهذه الواقعة تدل على ان قلب الحاسد لا يطهر عن العمل  
 البتة ثم قال تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم واختلفوا في ان الضمير في قوله  
 فاسرها يوسف الى ابي يوسف او الى قولين قال الزجاج فاسرها ضمرا على شرطية التفسير  
 تفسيره اتم شرمكنا وانما ائت لان قوله اتم شرمكنا جملة او كلمة لانهم يسمون الطائفة  
 من الكلام كلمة كانه قال فاسرا جملة او الكلمة التي هي قوله اتم شرمكنا وفي قراءة ابن  
 مسعود فاسره بالتد كبير يد القول او الكلام وطعن ابو علي الفارسي في هذا الوجه  
 فيما استدركه على الزجاج من وجهين (الاول) قال الاضمر على شريطة التفسير يكون على  
 ضميرين (احدهما) ان يفسر بمفرد كفولنا نمر جلاز يد في نعم ضمير فاعلها وور جلاز ضمير  
 لذلك الفاعل المضمر والاخر ان يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فاعلها  
 شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله احد والمعنى القصيدة شاخصة ابصار الذين

لدنوكل ناطرو طموح  
 كل طامح واصابة العين  
 يتقد ير العز يز الحكيم  
 ليست مما ينكر وقد ورد  
 عنه عليه السلام ان العين  
 حق وعنه عليه السلام  
 ان العين لتدخل الرجل  
 القبر والجل القدر وقد  
 كان عليه السلام يعوذ  
 الحسين رضي الله عنهما  
 بقوله أعوذ بكلمات الله  
 التامة من كل شيطان  
 وهامة ومن كل عين لامة  
 وكان عليه السلام يقول  
 كان ابو كبا يعوذ بها سمعيل  
 واسحق عليهم السلام  
 رواه البخاري في صحيحه  
 وقد شهدت بذلك  
 التجارب ولم يكن عدم  
 الدخول من باب واحد  
 مستلما للدخول من  
 ابواب متفرقة وكان في  
 دخولهم من بابين او  
 ثلاثة بعض ما في  
 الدخول من باب  
 واحد من نوع اجتماع  
 صحيح لوقوع المحذور  
 قال (وادخلوا من ابواب  
 متفرقة) يانا لها والمراد

بالتهي وانما لم يكتب بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهار الكمال الضافية وايدان اياه المراد \* وا  
 بالامر المذكور لا تحقيق لشيء آخر (وما اغنى عنكم) أي لا أنفعكم ولا أرفع عنكم بتدبيرى (من الله) ها  
 أي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالرة كيف لا وقد  
 ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد

بان ان ما وصاهم به ليس بما يستوجب المراد لاجمالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتيب المنفعة عليه من العز يز القدير  
وانما جالس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه (ان الحكم) مطلقا (الله) لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء  
اذ المعنى لا على احد سواه (توكلت) في كل ما آتى واذروفه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل (وعليه) دون غيره  
فان من ال المتوكلون) جمع بين الحرفين ﴿ ٢٢٥ ﴾ في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا

بالواو وعطف فعل غيره  
من تخصيص التوكل  
بالله عز وجل على فعل  
نفسه وبالغناء سببية فعله  
لكونه نيبا لفعل غيره من  
المقتدين به فيدخل فيهم  
بنوه دخولا اوليا وفيه  
مالا يخفى من حسن  
هدايتهم وارشادهم الى  
التوكل فيما هم بصدد  
على الله عز وجل غير  
مفترين بما وصاهم به  
من التدبير (ولما دخلوا  
من حيث امرهم ابراهيم)  
من الابواب المتفرقة  
من البلد قيل كانت له  
اربعة ابواب فدخلوا  
منها وانما اكنفي بذكره  
لاستلزامه الانتهاء عما  
نهوا عنه (ما كان) ذلك  
الدخول (بغنى) فيما  
سبأني عند وقوع ما  
وقع (عنهم) عن الداخلين  
لان المقصود به استدفاع  
الضرر عنهم والجمع  
بين صيغتي الماضي  
والمستقبل لتحقيق المقارنة  
الواجبة بين جواب لما  
ومدخوله فان عدم

ح. من الله احدتم ان العوامل الداخلة على المبتدا والخبر تدخل عليه أيضا نحو ان  
تجمله انه من بات ربه مجرما فانها لانعمى الابصار اذا عرفت هذا فنقول نفس المضمرة  
الى شريطة التفسير في كلا القسمين متصل بالجملة التي حصل منها الاضمار ولا يكون  
فارجع عن تلك الجملة ولا بيانها وههنا التفسير منفصل عن الجملة التي حصل منها الاضمار  
فوجب ان لا يحسن (والثاني) انه تعالى قال انتم شر مكانا وذلك يدل على انه ذكر هذا  
الكلام ونوقلنا انه عليه السلام اضمر هذا الكلام لكان قوله انه قال ذلك كذبا واعلم ان  
هذا الطعن ضعيف لوجوه (أما الاول) فلا انه لا يلزم من حسن القسمين الاولين قبح قسم  
ثالث وأما الثاني فلا ناحمل ذلك على انه عليه السلام قال ذلك على سبيل الخفية وبهذا  
التفسير يسقط هذا السؤال (والوجه الثاني) وهو ان الضمير في قوله فاسرها عائدا الى  
الاجابة كأنهم قالوا ان يسرق قد سرق أخله من قبل فاسر يوسف اجابتهم في نفسه في  
ذلك الوقت ولم يبداهم في تلك الحالة الى وقت ثان ويجوز أيضا ان يكون اضمار المقالة  
بالمعنى أسرى يوسف مقاتلهم والمراد من المقالة متعلق تلك المقالة كما يراد بالخلق المخلوق  
يو بالعلم المعلوم يعني أسرى يوسف في نفسه كيفية تلك السرقة ولم يبين لهم انها كيف وقعت  
وانه ليس فيها ما يوجب الذم واللعن روى عن ابن عباس رضيا الله عنهم انه قال عوقب  
يوسف بالحبس مرات لاجل همد بهما عوقب بالحبس ويقول انه ذكرني عند ربك  
عوقب بالحبس مرات لاجل همد بهما عوقب بقولهم قد سرق أخله من قبل ثم  
حكى عن يوسف انه قال انتم شر مكانا أي انتم شر منزلة عند الله تعالى لما أقدمتم عليه  
سرقته ثم عقوق أيكم فاخذتم أخاكم وطرحتموه في الجب ثم قلمت لايكم ان الذئب  
أكله وانتم كاذبون ثم بعتموه بعشرين درهما ثم بعد المدة الطويلة والزمان المتدما زال  
الحقد والغضب عن قلوبكم فرميتوه بالسرقة ثم قال تعالى والله أعلم بما تصفون يريد أن  
سرقة يوسف كانت بضاللة وبالجملة فهذه الوجوه المذكورة في سرقة لا يوجب شيء منها  
عود الذم واللوم اليه والمعنى والله أعلم بان هذا الذي وصفتوه به هل يوجب عود مذمة  
اليهم لا ﴿ قوله تعالى ﴿ قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا  
المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عندنا انا اذا الظالمون) اعلم انه تعالى  
يعني انهم بعد الذي ذكروه من قولهم ان يسرق قد سرق أخله من قبل احواموا وقتته  
والعدول الى طريقة الشفاعة فانهم وان كانوا قد اذعرتفوا ان يحكم الله تعالى في السارق  
ان يستعبد الا ان العفو واخذ الفداء كان أيضا جائزا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا  
أي في السن ويجوز ان يكون في القدر والدين وانما ذكروا ذلك لان كونه ابا رجل كبير  
القدر يعطف العفو والصفح ثم قالوا فخذنا مكانه يحتمل أن يكون المراد على طريق  
فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا  
وهذا القسمين وفيه وجوه (أحدها) ان انارك من المحسنين لو فعلت ذلك (وثانيها)

بمقارنته  
منها من  
قال الله  
بمقارنته  
منها من  
قال الله

سبب الدخول المذكور لعدم الاعتناء بما في قوله تعالى فلما جاء نذير ما زادهم الا نفورا فان مجي النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببته للاعتناء مع كونها متوقعة في بادى الرأى كما في قولات حلف أن يعطينى حتى عند حلول الاجل فلما حل لم يعطينى شيئا فان المراد بيان عدم سببته لحلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببته لعدم الاعطاء فالآل بيان عدم ترتب الفرض المقصود ﴿ ٢٢٦ ﴾ على التدبير المعهود مع كونه مرجوا لوجود لا بيان

انما زال عن المحسنين اليانحة اكرمتا واعطينا البذل الكثير وحصلت لنا مطلوبنا على أحسن الوجوه ووردت اليانحة الطعام (وثالثها) نقل انه عليه السلام لما اشتد القحط على القوم ولم يجدوا شيئا يشترونه بالطعام وكانوا يبيعون أنفسهم منه فصار ذلك سببا لصيرورة أكثر أهل مصر عبيدا له ثم انه اعتق الكل فلعلهم قالوا انما زال عن المحسنين الى عامة الناس بالاعتناق فكيف محسنا أيضا الى هذا الانسان باعتناقه من هذه المحنة فقال يوسف معاذ الله أى أعوذ بالله معاذاً أن نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده أى أعوذ بالله أن أخذت بئنا بدين قال الزجاج موضع أن نصب والمعنى أعوذ بالله من أخذ أحد بغيره فلما سئطت كلمة من انتصب القتل عليه وقوله انا اذا الظالمون أى لقد تعديت وظلمت ان آذيت انسانا يجرم صدره عن غيره فان قيل هذه الواقعة من أولها الى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز من يوسف عليه السلام مع رسالته الاقدام على هذا التزوير والترويج وايداء الناس من غير سبب لاسيما ويعلم أنه اذا حبس أخاه عند نفسه بهذه التهمة فانه يعظم حزن أبيه ويشد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة في التزوير الى هذا الحد (والجواب) لعلة تعالى أمره بذلك تشديد المحنة على يعقوب ونهاه عن العفو والصغح وأخذ البذل كما أمر تعالى صاحب موسى يقتل من لوبق لطغى وكفر ﴿ قوله تعالى ﴾ فلا استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين ) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انهم لما قالوا فخذنا من مكانه وهوناه ما كنا نعلمهم بذلك قال يوسف في جوابه معاذ الله ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده فانقطع طمأنينة من يوسف عليه السلام في رده فعند هذا قال تعالى فلما استياسوا منه خلصوا نجيا وهو مبالغة في بأسهم من رده وخلصوا نجيا أى تفرد واعن سائر الناس يتناجون ولا شبهة ان المراد يتشاورون ويخيلون الرأى فيما وقعوا فيه لانهم ائتمروا أخذوا بنيامين من أيهم بعد المواقف المؤكدة وبعدها ان كانوا متممين في حق يوسف فلولم يعيدوه الى أيهم لحصلت محنة كثيرة (أحدها) انه لو لم يعودوا الى أيهم وكان شيخنا كبيرا فقاؤه وحده من غير أحد من أولاده محنة عظيمة (وثانيها) ان أهل بيتهم كانوا محتاجين الى الطعام أشد الحاجة (وثالثها) ان يعقوب عليه السلام ربما كان يظن ان أولاده هلكوا بالكلية وذلك غم شديد ولو عادوا الى أيهم بدون بنيامين لعظم حياؤهم فان ظاهر الامر يوهم انهم خانوه في هذا الابن كما انهم خانوه في الابن الاول ولكن كان يوهم أيضا انهم ما قاموا لتلك المواقف المؤكدة وزنا ولا شك ان هذا الموضع موضع افكرة وحيرة وذلك يوجب التقاض والتشاور وطلب اللاصح الا صوب فهذا هو المراد من قوله فلما استياسوا منه خلصوا نجيا (المسئلة الثانية) قال واحدى روى عن ابن كثير استياسوا حتى اذا استياس الرسل بغير همز في يثس له ن يثس ويأس مثل حسب ويحسب ومن قال استياس قلب العين الى

ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ما ذكره عليه السلام في نضا عيف وصيته من أنه لا يفتى عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يند ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوم ما لتوافق يكون من باب وقوع المتوقع فتأمل (الاحاجة) استثناء منقطع أى ولكن حاجة وحرازة كائنة (في نفس يعقوب قضاها) أى أظهرها ووصاهم بها دفعا لخاطرة غيرهم فقد أن للتدبير تأييرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهى ارادته أن يكون دخولهم من أبواب متفرقة فالعنى ما كان ذلك الدخول يفتى عنهم من جهة الله تعالى شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة

في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى ﴿ موضع ﴾ دفع الخاطرة وأما صابة العين فالتعالم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم (وانه لندو علم) جليل (لما علمناه) لتعلمنا اياه بالوحى ونصب الادلة حيث لم يمتد أن الخذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير



حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثرا وحيث يت القول بأنه لا يفتنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتحليل ام لسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلوم مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أسرار القدر ويزعمون انه يعنى عنه الخدروا ما يقال من أن المعنى لا يعلمون ايجاب الخدوم مع انه ﴿ ٢٢٧ ﴾ لا يفتنى شيئا من القدر فياياه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادى

(ولما دخلوا على يوسف  
 آوى اليه اخاه) بنيامين  
 أى ضمه اليه في الطعام  
 أو في المنزل أو فيهما  
 روى أنهم لما دخلوا عليه  
 قالوا له هذا أخونا قد  
 جئناك به فقال لهم  
 أحسنتم وسجدون  
 ذلك عندي فأكرمهم ثم  
 أضافهم وأجلسهم مثني  
 مثني فبقي بنيامين وحيدا  
 فبكي وقال لو كان أخي  
 يوسف حيا لأجلسني  
 معه فقال يوسف بقي  
 أخوكم فريدا وأجلسه  
 معه على مائدته وجعل  
 يوكله ثم أنزل كل اثنين  
 منهم بيتا فقال هذا  
 لا ثاني معه فيكون معي  
 فبات يوسف يضمه اليه  
 ويشمر رائحته حتى أصبح  
 وسأله عن ولده فقال لي  
 عشرة بنين اشتقت  
 اسماءهم من اسم أخلي  
 هلك فقال له أتحب أن  
 أكون أخاك بدل أخيك  
 المهالك قال من يجد أحبا  
 مثلك ولكن لم يملك  
 يعقوب ولا راحيل فبكي  
 يوسف وقام اليه وعانقه

موضع الفاء فصار استعمل وأصله استياس ثم خفت الهمزة قال صاحب الكشاف  
 استياسوا يتسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما في قوله استعصم وقوله خلصوا قال  
 الواحدى يقال خلص الشيء يخلص خلوصا اذا ذهب عنه الشائب من غيره ثم فيه وجهان  
 (الاول) قال الزجاج خلصوا أى انفردوا وليس معهم أخوهم (والثاني) قال الباقون  
 تميزوا عن الاجانب وهذا هو الاظهر وأما قوله نجيا فقال صاحب الكشاف التجي على  
 معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى  
 وقر بنه نجياو بمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل التجوى بمعنى المتناجين فعلى هذا معنى  
 خلصوا نجيا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خاصين لا يتخالطهم سواهم نجيا أى مناجيا روى  
 نجوى أى فوجا نجيا أى مناجيا للمناجاة بعضهم بعضا وأحسن الوجوه أن يقال أنهم تمحضوا  
 تناجيا لان من كمل حصول أمر من الامور فيه وصف بأنه صار عين ذلك الشيء فلما  
 أخذوا في التناجى على غاية الجد صاروا كأنهم في أنفسهم صار وانفس التناجى حقيقة  
 أما قوله تعالى قال كبيرهم فقيل المراد كبيرهم في السن وهو رويل وقيل كبيرهم في العقل  
 وهو يهودا وهو الذى نهاهم عن قتل يوسف ثم حكى تعالى عن هذا الكبير أنه قال ألم تعلموا  
 ان أبائكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف وفيه مسئلتان (المسئلة  
 الاولى) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما قال يوسف عليه السلام معاذ الله ان نأخذ  
 الامن وجدنا متاعنا عنده غضب يهودا وكان اذا غضب وصاح فلا تسمم صوته حامل  
 الا وضعت و يقوم شعره على جسده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال  
 لبعض اخوته أ كفوني أسواق أهل مصر وأنا أ كفيكم الملك فقال يوسف عليه السلام  
 لابن صغيره مسه فذهب غضبه وهم أن يصحح فر كهن يوسف عليه السلام رجله هلى  
 الارض وأخذ يلبسه وجذبه فسهط فعنده قال يا أيها العزيز فلما أيسوا من قبول  
 الشفاعة تذاكروا وقالوا ان أبانا قد أخذ علينا موثقا عظيما من الله وأيضا نحن متهمون  
 بواقعة يوسف فكيف المخلص من هذه الورطة (المسئلة الثانية) لفظ ما في قوله ما فرطتم  
 فيها وجوه (الاول) أن يكون أصله من قبل هذا فرطتم في شأن يوسف عليه السلام  
 ولم تحفظوا عهد أيكم (الثاني) أن تكون مصدرية ومحله الرفع على الابتداء وخبره  
 الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفر يطكم في يوسف (الثالث) النصب عطفا على  
 مفعول ألم تعلموا والتقدير ألم تعلموا أخذ أيكم موثقا وتفر يطكم من قبل في يوسف  
 (الرابع) أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه في حق يوسف من  
 الحيانة العظيمة ومحله الرفع والنصب على الوجهين المذكورين ثم قال فلن أبرح الارض  
 أى فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبى في الانصراف اليه أو يحكم الله لي بالخروج  
 منها أو بالاتصاف بمن أخذاخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الخالكين  
 لانه لا يحكم الا بالعدل والحق وبالجملة فالمراد ظهور قدر يزول معه حياؤه وخجله من ابيه

وتعرف اليه وعند ذلك (قال انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى  
 فان الله تعالى قد أحسن لنا وجعلنا بخسبر ولا تعلمهم بما أعلمك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعن وهب انه  
 لم يتعرف اليه بل قال له انما أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الجسد والاذى  
 فقد أنتهم وروى انه قاله فانا لأفارقك قال قد علبت باغتمام

والتي في كذا حبسك يزاد غم ولا سبيل الى ذلك الا ان نسبك الى ما لا يجعل قال لا يبال فافعل الما جهزهم بجهازهم جعل  
في رحلك ثم نادى عليك بألك سرقة ليتبالي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل ( فبويكال بها الحبوب وكانت  
السقاية) أي المشرية قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب الموكوك الفارسي الذي يلتقى  
من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة بموهبة بالذهب كانت اناه ﴿ ٢٢٨ ﴾ مستطيلة تنسج

أوغيره قاله انقطاعا الى الله تعالى في اظهار صدره بوجه مننا وما كنا للغب سافطين واسئل  
الى أيكم فقولوا بالانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا ( واعلم انهم لما تفكروا في الاصوب  
القريبة التي كنفهاها العير التي أقبلنا فيها وانا المصادقون لا يهيم كيفية الواقعة على الوجه من  
ما هو ظهر لهم ان الاصوب هو الرجوع وأن يذكروا الذي قال فلن أبرح الارض حتى بأذن  
غير تفاوت واطهار ان هذا القول قاله ذلك الكبير اخوته الى الاب فان قيل كيف حكموا  
لما قيل انه روي ويحق هو في مصر وبعث سائر الجواب الشافي فقال الذي جعل الصواع  
عليه بأنه سرق من غير بينة لاسيما وهو قد أجاب بال الجواب ( من من وجوه (الاول) انهم  
في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحلكم ( و ) يدخله بعد الامم فلما شاهدوا انهم  
شاهدوا ان الصواع كان موضعا في موضع ما كانه هو الذي أخذ الصواع وأما قوله وضع  
أخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم ان سرق ظاهر لان هناك لما رجعوا  
الصواع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالمراد منهم وأما هذا الصواع فان أحدالم  
بالبضاعة اليهم اعترفوا بانهم هم الذين وضعوها في الفرق فلهذا السبب غلب على ظنونهم  
يعترف بأنه هو الذي وضع الصواع في رحله فظهر بمرقاطين بهذا الامر يقولهم وما شهدنا  
انه سرق فشهدوا بناء على هذا الظن ثم بينوا انهم غير في الجواب ان تقدير الكلام ان ابنك  
الابما علمنا وما كنا للغب حافظين ( والوجه الثاني ) ان تعالى أنك لانك الحليم الرشيد أي  
سرق في قول الملك وأصحابه ومثله كثير في القرآن من عند نفسك وأما عندنا فلا فكدا  
عند نفسك وقال تعالى ذق أنك أنت العزيز الكريم أعليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشيء  
ههنا ( الوجه الثالث ) في الجواب ان ابنك ظهر ع شبهه الآخر جاز في القرآن قال تعالى  
بسمي سرقة فان اطلاق اسم أحد الشبهين على ما كانوا أنباء في ذلك الوقت فلا يبعد  
وجزاء سنة سنة مثلهما ( الوجه الرابع ) ان القوافل لاسيما وقد شاهدوا شيئا يوهوم ذلك  
أن يقال انهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجمل كما كان يقرأ ان ابنك سرق بالتشديد أي  
( الوجه الخامس ) ان ابن عباس رضي الله عنهما لا تأويل لان القوم نسبوه الى السرقة  
نسب الى السرقة فهذه القراءة لا حاجة بها الى كونه لا تدفع السؤال لان الاشكال انما  
الا ناذ كرنا في هذا الكتاب ان أمثال هذه القراءات هذه القراءة أما اذا سلنا ان القراءة  
يدفع اذا قلنا القراءة الاولى باطلة والقراءة الحقة هي الثانية أول تصح فثبت انه لا بد من  
الاولى حقة كان الاشكال باقيا سواء صحت هذه القراءة بالابما علمنا فعناه ظاهر لانه يدل على  
الرجوع الى أحد الوجوه المذكورة اما قوله وما شهدنا علمنا وذلك يقتضى كون الشهادة  
ان الشهادة غير العلم بدليل قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا فاشهدو ذلك ايضا يقتضى  
مقابلة العلم ولانه عليه السلام قال اذا هلمت مثل الشمس أم قوله أشهد اخبار عن الشهادة  
ما ذكرناه وليست الشهادة أيضا عبارة عن قوله أشهد لان زيادة عبارة عن الحكم النهي  
والاخبار عن الشهادة غير الشهادة اذا ثبت هذا فتقول الشهادة

بلا لام وهو ﴿

فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ اليماني سارقون بزجاجهم مما سمعوه لم يابته  
( قالوا ) أي الاخوة ( وأقبلوا عليهم ) جملة جالية من ضمير قالوا جى بها للدلالة على غضبك والمال ماذا ضاع  
لخالهم ( ماذا تفقدون ) أي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدته بأن فصل عنك ؟  
عنكم وصيغة المستقبل

طرفاه يستعمله الاما جهم  
وقبل كانت مرصعة  
بالجواهر ( في رحل  
أخيه ) بنيامين وقرئ  
ويجعل على حنق جواب  
لما تقديره أمهلهم حتى  
انطلقوا ( ثم أذن مؤذنا )  
نادى مناد ( أيتها العير )  
وهي الابل التي عليها  
الاحمال لانها تعبرأى  
تذهب وتجيئ وقيل  
هي قافلة الخير ثم كثر  
حتى قيل لكل قافلة عير  
كانها جمع عير وأصلها  
فعل مثل سقف وسقف  
فجعل به ما فعل بيض  
وغيد والمراد أصحابها  
كما في قوله عليه السلام  
يا خيل الله اركبي روى  
انهم ارتحلوا وامهلهم  
يوسف حتى انطلقوا  
منزلا وقيل خرجوا من  
العمارة ثم أمر بهم  
فأدركوا ونودوا ( انكم  
لسارقون ) هذا الخطاب  
ان كان بأمر يوسف  
فعله أريد بالسرقة  
أخذهم له من أبيه  
ودخول بنيامين فيه  
بطريق التغليب والا

لاستحضار الصورة وقرى تغفدون من أفسدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نراه باظم تمهارة أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء الى الماخيرة لاسيما بطريق التوكيد ﴿ ٢٢٩ ﴾ فلذلك غيروا كلامهم حيث ( قالوا ) في جوابهم

( تفقد صواع الملك ) ولم يقولوا سرقوا أو سرق وقرى صاع وصوع وصوع يفتح الصاد وضنها وباهمال العين وانحمامها من التصايغة ثم قالوا تزية لما تلقوه من قبلهم واردة الاعتقاد أنه انما في رحلهم اتفاقا ( ولن جابه ) من عند نفسه مظهر الاله قبل التفيتش ( حل بعير ) من الطعام جعله لاله على نية تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله ( وأناه زعيم ) كقول أوديه اليه وهو قول المؤذن ( قالوا تالله ) الجمهور على أن التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الاعلى الجلالة المعظمة أو ارب المضاف الى الكعبة أو الرحمن في قول ضيف ولو قلت تالرحيم لم يجوز قيل من الباء وقيل أصل نفسها وأياما كان فقيه تعجب ( لقد علمت ) علما

وهو الذي يسميه المتكلمون بكلام النفس وأما قوله وما كنا للغيب حافظين ففيه وجوه ( الاول ) اننا قدر أبنائهم أخرجوا الصواع من رحله واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله ( والثاني ) قال عكرمة معناه لعل الصواع دس في مناعه بالليل فان الغيب اسم لايل على بعض اللغات ( والثالث ) قال مجاهد والحسن وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك يسرق واولعنا ذلك ما ذهبا به الى الملك وما أعطيناك موثقا من الله في رده اليك ( والرابع ) نقل ان يعقوب عليه السلام قال لهم فهب انه سرق ولكن كيف عرف الملك ان شرع بنى اسرائيل ان من سرق يسرق بل اتم ذكرتموه لغرض لكم فقالوا عند هذا الكلام اننا قد ذكرنا هذا الحكم قبل وقوتنا في هذه الواقعة وما كنا نعلم ان هذه الواقعة تقع فيها فقوله وما كنا للغيب حافظين اشارة الى هذا المعنى فان قيل فهل يجوز من يعقوب عليه السلام أن يسعي في اخفاء حكم الله تعالى على هذا القول قلنا لعله كان ذلك الحكم مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما قلنا هذا انكر ذكر هذا الحكم عند الملك الذي ظنه كافرا ثم حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها واعلم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه السلام بالتوفي في ازالة التهمة عن أنفسهم فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها والاكثرون اتفقوا على ان المراد من هذه القرية مصر وقال قوم بل المراد منه قرية على باب مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ثم فيه قولان ( الاول ) المراد واسأل أهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز والاختصار وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب قال أبو علي الفارسي ودافع جواز هذا في اللغة كدافع الضروريات وجاحد المحسوسات ( والثاني ) قال أبو بكر بن الانباري المعنى اسأل القرية والعير والجدار والحيطان فانها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرناه لانك من اكابر انبياء الله فلا يبعد ان ينطق الله هذه الجمادات معجراتك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما كاملا فقد يقال فيه سل السماء والارض وجميع الاشياء عنه والمراد انه بلغ في الظهور الى الغاية التي ماني للشك فيه محال اما قوله والعير التي أقبلنا فيها قال المفسرون كان قد صحبهم قوم من الكنعانيين فقالوا اسلمهم عن هذه الواقعة ثم انهم لما بلغوا في التأكيد والتقرير قالوا واننا لصادقون يعني سواء نسبتنا الى التهمة أو لم ننسبنا اليها فحقن صادقون وليس غرضهم ان يثبتوا صدق أنفسهم بأنفسهم لان هذا يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه بل الانسان اذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده واننا صادق في ذلك يعني فتأمل فيما ذكرته من الدلائل والبيانات لتزول عنك الشبهة فقوله تعالى ( قال بل سوات لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ) اعلم ان يعقوب عليه السلام لما سمع من أبنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروا كما في واقعة يوسف فقال بل سوات لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل فذكر هذا الكلام بعينه فهذه الواقعة الا انه قال في واقعة

جازما مطابقا للواقع ( ما جئنا لتفسد في الارض ) أي لنسرق فانه من أعظم أنواع الافساد أولتفسد فيها أي افساد كان معازر أو هان فضلا عما نسبتونا اليه من السرقة ونفي الجحى للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا الجحى الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال فحبه عندهم وتزوية لاسيما لصدوره عنهم

كاقيل في قوله تعالى ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نبي البالغة في الظلم دون نبي  
الظلم في الجملة الذي هو مفضي المقام من أن المعنى اذا عدبت من لا يستحق التعذيب كنت لم ظلما مفرطا في الظ  
فكأنهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مردين به تقييح حاله واطهار كمال تراهم عنه يعنون انه  
قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا ﴿ ٢٣٠ ﴾ على غابة ما يكون من الديانة والصيانة

فيما أتون ويذرن  
روى أنهم دخلوا مصر  
وأفواها واحلهم مكومة  
ثلاثتناول زرعاً وطعاما  
لاحد وكانوا مشارين  
على فنون الطاعات وعلم  
بذلك أنه لا يصدر عنا  
افساد (وما كنا سارقين)  
أى ما كنا نوصف  
بالسرقة قط وانما حكموا  
بعلمهم ذلك لان العلم  
بأحوالهم الشهادة  
يستلزم العلم بأحوالهم  
العابئة وانما يكتبوا  
بنفي الامر من المذكورين  
بل استشهدوا بعلمهم  
بذلك الزاما للحجة عليهم  
وتحقيقا للتعجب المفهوم  
من تاء القسم (قالوا)  
أى أصحاب يوسف عليه  
السلام (فاجزأوه)  
الضمير للصواع على حذف  
المضاف أى فاجزأه  
سرقة عندكم وفي  
سر بعتكم (ان كنتم  
كاذبين) لاقى دعوى  
البراءة عن السرقة فانهم  
صادقون فيها بل فيما  
يستلزمه ذلك من نفي  
كون الصواع فيهم

يوسف عليه السلام والله المستعان على ما تصفون وقال ههنا عسى الله أن يأتيني بهم  
جميعا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم ان قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا ليس  
المراد منه ههنا الكذب والاحتيال كما في قوله في واقعة يوسف عليه السلام حين قال بل  
سولت لكم أنفسكم أمرا الكذبة عني سولت لكم أنفسكم اخراج بنيامين عني والاصير به  
الى مصر طلبا للنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألحتم على في ارساله معكم ولم تعلموا ان  
قضاء الله انما جاء على خلاف تقديركم وقيل بل المعنى سولت لكم أنفسكم أمرا خيلت  
لكم أنفسكم انه سرق وما سرق (المسئلة الثانية) قيل ان روي للمعزم على الإقامة بمصر  
أمره الملك أن يذهب مع اخوته فقال اتركوني والاصحت صيحة لاتبقي بمصر امرأت حامل  
الاوتضع حلها فقال يوسف دعوه ولما رجع القوم الى يعقوب عليه السلام وأخبروه  
بالواقعة بكى وقال يباني لا تخرجوا من عندي مرة الا ونقص بعضكم ذهبتم مرة فنقص  
يوسف وفي الثانية نقص شعرون وفي هذه الثالثة نقص روييل وبنيامين ثم بكى وقال عسى  
الله أن يأتيني بهم جميعا وانما حكم بهذا الحكم لوجوه (الاول) انه لما طال حزنه وبلاؤه  
ومحنته علم انه تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن  
برحمة الله (والثاني) لعله تعالى قد أخبره من بعد محنة يوسف انه سيجي أو طهرت له علامات  
ذلك وانما قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا لانهم حين ذهبوا يوسف كانوا اثني عشر  
فضاع يوسف وبقى أحد عشر ولما رسلهم الى مصر عادوا تسعة لان بنيامين حبسه يوسف  
واحبس ذلك الكبير الذي قال فلن أرح الارض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي فلما  
كان السائبون ثلاثة لاجرم قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ثم قال انه هو العليم  
الحكيم يعني هو العالم بمخاتق الامور الحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل والاحسان  
والرحمة والمصلحة \* قوله تعالى (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وايضت عيناه من  
الحزن فهو كظيم قالوا تالله نفثوا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين  
قال انما أشكوبنى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بنى اذهبوا فمخسوا من  
يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون)  
واعلم ان يعقوب عليه السلام لما سمع كلام أم بانه ضاف قلبه جدا وأعرض عنهم وفارقهم ثم  
بالآخرة طلبهم وعاد اليهم (أما المقام الاول) وهو أنه أعرض عنهم وفر منهم فهو قوله وتولى  
عنهم وقال يا أسفى على يوسف واعلم انه لما ضاق صدره بسبب الكلام الذي سمعه من أم بانه  
في حق بنيامين عظم أسفه على يوسف عليه السلام وقال يا أسفى على يوسف وانما عظم حزنه  
على مفارقة يوسف عنده هذه الواقعة الوجوه (الاول) ان الحزن الجديد يقوى الحزن  
القديم الكامن والقدر اذا وقع على التدح كان أوجع وقال متم بن نورة  
وقد لامنى عند القبور على البكا \* رفيق لندراف الدموع السوا فك  
فقال أتبكي كل قبر رأيت \* لقبر نوى بين السوى والدكادك

كايوذن به قوله عز وجل (قالوا جزأوه من وجد) أى أخذ من وجد الصواع (في رحله) ﴿ فقلت ﴾  
حين ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم النبي على قواعد  
العادة ولذلك أجابوا بما أجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيفما كان  
فتأمل واحل كلام كل فريق على ما لا يراهم رأيه فانه أقرب

الى معنى الكيد وأبعد من الافتراء وقوله تعالى ( فهو جزاؤه ) تفر بذلك الحكم اى فاخذة جزاؤه فكقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي شعبه على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على أن الاول لمن والثاني الطاهر الذي وضع موضع ( كذلك ) اى مثل ذلك الجزاء الاوفى ( بحري الطالين ) ٢٣١ \* بالسرفة تأكيد للحكم المذكور غيب تأكيد وبيان

لنسخ السرقة ولقد فعلوا  
ذلك ثقة بكمال برامهم  
عناوهم عما فعل بهم  
غافلون (فبدأ) يوسف  
بعد ما رجعوا اليه للتفتيش  
( بأوعيتهم ) بأوعية  
الاخوة العشرة اى بتفتيشها  
( قبل ) تفتيش ( وعاء  
أخيه ) بنيامين لنفي التهمة  
روى أنه لما بلغت التوبة  
الى وعاءه قال ما أظن  
هذا أخذ شيئاً فقالوا  
والله لانتركه حتى نظرفنى  
رجله فانه أطيب لنفسك  
وأفسنا (ثم استخرجها)  
أى السقاية أو الصواع  
فانه يذكر ويؤنث  
(من وعاء أخيه) لم يقل  
منه على رجوع الضمير  
الى الوعاء أو من وعاءه  
على رجعه الى أخيه قصدا  
الى زيادة كشف وبيان  
وقرى بضم الواو وبقلمها  
همزة كما فى اشاح فى وشاح  
( كذلك ) نصب  
على المصدرية والكاف  
مقحمة للدلالة على فحامة  
المشار اليه وكذا ما فى ذلك  
من معنى البعد اى مثل  
ذلك الكيد العجيب

فقلت له ان الاسى يبعث الاسى \* فدعنى فهذا كاه قبر مالك  
وذلك لانه رأى قبر اقبجدد حزنه على أخيه مالك فلاموه عليه فأجاب بأن الاسى يبعث  
الاسى وقال آخر

فلم تنسى أوفى المصيبات بعده \* ولكن نكاه القرح بالقرح أوجع

( والوجه الثانى ) ان بنيامين ويوسف كما من أم واحدة وكانت المشابهة بينهما فى الصورة  
والصفة أكل فكان يعقوب عليه السلام يتسلى برويته عن رؤية يوسف عليه السلام  
فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الالم والوجد ( الوجه الثالث ) ان المصيبة  
فى يوسف كانت أصل مصائبه التى عليها ترتب سائر المصائب والزوايا وكان الاسف عليه  
أسفا على اكل ( الرابع ) ان هذه المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية بحرى الامور  
التى يمكن معرفتها والبحث عنها وأما واقعة يوسف فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم  
فى السبب الذى ذكروه وأما السبب الحقيقى فما كان معلوماه وأيضانه عليه السلام كان  
يعلم ان هؤلاء فى الحياة وأما يوسف فما كان يعلم انه حى أوميت فلهذه الاسباب عظم وجده  
على مفارقتهم وقويت مصيبته على الجهل بحاله ( المسئلة الثانية ) من الجهال من عاب  
يعقوب عليه السلام على قوله بأسنى على يوسف قال لان هذا اظهار الجزع وجرى  
الشكاية من الله وانه لا يجوز والعلماء بينوا انه ليس الامر كما ظنه هذا الجاهل وتقريره انه  
عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ثم عظم بكاءه وهو المراد من قوله وايضت عيناه من  
الحرى ثم أمسك لسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي وهو المراد من قوله فهو كظيم ثم انه  
ما أظهر الشكاية مع أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكوبنى وحزنى الى الله وكل ذلك  
يدل على انه لما عظمت مصيبته وقويت محنته فانه صبر وتجرع القصة وما أظهر الشكاية  
فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء العظيم روى ان يوسف عليه السلام سأل  
جبريل هل لك علم يعقوب قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين تكلى وهى التى  
لها ولد واحد ثم يموت قال فهل له فيه أجر قال نعم أجر مائة شهيد فان قيل روى عن محمد بن  
على الباقر قال مر بيده شبح كبير فقال له أنت ابراهيم فقال أنا بن ابته والهموم غيرتى  
وذهبت بحسنى وقوتى فأوحى الله تعالى اليه حتى متى تشكونى الى عبادى وعزتى وجلالى  
لولم تشكنى لابد لك لهما خيرا من لحك ودما خيرا من دمك فكأن من بعد يقول انما  
أشكوبنى وحزنى الى الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب أخ مواخ  
فقال له ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك فقال الذى أذهب بصرى البكاء على يوسف  
وقوس ظهرى الحزن على بنيامين فأوحى الله تعالى اليه امانسحى تشكونى الى غيرى فقال  
انما أشكوبنى وحزنى الى الله فقال يارب أمارحم الشيخ الكبير قوس ظهرى وأذهب  
بصرى فأرد على ريمحتى يوسف وبنيامين فأناه جبريل عليه السلام بالبشرى وقال لو كانا  
ميتين لتشرتها لك فأصنع طعاما للمساكين فان أحب عبادى الى الانبياء والمساكين

وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافناء المذكور باجرائه على أنفسهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث  
لم يهتسبوا فعنى قوله عز وجل ( كدنا ليوسف ) صنعناه ودرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها  
من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كفى قوله فيكيد والى كيدا فانها داخله على المتضرر على ما هو الاستعمال  
الشائم وقوله تعالى ( ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك ) استثنائى

وتعليل لتلك الكيد وصنعة لا تفسر وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فعيل لانه لم يكن ياخذ اخاه بما فعله  
في دين الملك في أمر السارق أي في سلطانه قاله ابن عباس أوفى حكمه وقضاه قاله قتادة الابن لان جزاء السارق في دينه  
انما كان ضربه وتغريمه بعد ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يمكن  
بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال ﴿ ٢٣٢ ﴾ من الاحوال (لا أن يشاء الله) أي الاحال

وكان يعقوب عليه السلام اذا أراد الغداء نادى مناديه من اراد الغداء فليتقدم  
يعقوب واذا كان صائما نادى مثله عند الافطار وروى انه كان يرفع حاجبيه بخرقة من  
الكبر فقال له رجل ما هذا الذي أرايك قال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله اليه  
أنشكروني يا يعقوب فقال يارب خطيئة أخطأتها فغفرها لي قلنا انا قد دللنا على انه لم يأت  
الابال صبر والثبات وترك النباحة وروى ان ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام  
فقال له جئت لتقبضني قبل أن أرى حبيبي فقال لا ولكن جئت لآحزن لحزنك وأشجوا  
لشجوك وأما البكاء فليس من المعاصي وروى ان النبي عليه الصلاة والسلام بكى على ولده  
ابراهيم عليه السلام وقال ان القلب ليحزن والعين تدمع ولا نقول ما يخطئ الرب وانا  
عليك يا ابراهيم لمحزونون وأيضا فاستيلاء الحزن على الانسان ليس باختياره فلا يكون ذلك  
داخلا تحت التكليف وأمالا وأموار سال البكاء فقد يصير بحيث لا يقدر على دفعه وأما ما  
ورد في الروايات التي ذكرتم فالعامة فيها انما كانت لأجل ان حسنات الابارسيات  
المقربين وايضا فبديه دقيقة أخرى وهي ان الانسان اذا كان في موضع التحير والتردد لا بد  
أن يرجع الى الله تعالى فيعقوب عليه السلام ما كان يعلم أن يوسف بنى حيا م صار ميتا  
فكان متوقفا فيه و بسبب توقفه كان يكثر الرجوع الى الله تعالى وينقطع قلبه عن  
الالتفات عن كل ما سوى الله تعالى الا في هذه الواقعة وكانت أحواله في هذه الواقعة  
مختلفة فر بما صار في بعض الاوقات مستغرق الهم يذكر الله تعالى فان عن تذكر هذه  
الواقعة فكان ذكرها كلا سواها فللهذا السبب صارت هذه الواقعة بالنسبة اليه  
جارية مجرى الاقواء في النار للخيل عليه السلام ومجرى الذبح لانه الذبح فان قيل  
أليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة أن يقول ان الله وانا اليه راجعون حتى  
يستوجب الثواب العظيم المذكور في قوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك  
هم المهتدون قلنا قال بعض المفسرين انه لم يعط الاسترجاع أمة الا هذه الامة فأكرمهم  
الله تعالى اذا اصابتهم مصيبة وهذا عندي ضئيف لان قوله ان الله اشارة الى ان الملك كون  
الله وهو الذي خلقنا وأوجدنا وقوله وانا اليه راجعون اشارة الى أنه لا بد من الخسر  
واقامة ومن المحال أن يقال ان أمة من الامم لا يعرفون ذلك فن عرف عند نزول بعض  
المصائب به أنه حصل في أول الامر بخلق الله تعالى وأنه لا بد في العاقبة من رجوعه الى  
الله تعالى فهناك يحصل السلوة التامة عند تلك المصيبة ومن المحال أن يكون المؤمن بالله  
خير عارف بذلك (المسئلة الثالثة) قوله يا أسنى على يوسف نداء الاسف وهو قوله يا عجبا  
والتقدير كأنه ينسأدى الاسف ويقول هذا وقت حصولك وأوان مجيئك وقد قررنا هذا  
المعنى في مواضع كثيرة منها في تفسير قوله حاش لله والاسف الحزن على ما فات قال الليث  
اذا جاءك أمر فحزنته ولم تطقه فانت أسيف أي حزين ومتأسف أيضا قال الزجاج الاصل  
يا أسنى الأنايا الاضافة يجوز ابدالها بالالف لحفة الالف والقنحة ثم قال تعالى وايضت

مشيئة التي هي عبارتها  
عن ارادته لتلك الكيد  
أو الاحال مشيئة  
بذلك الوجه ويجوز  
أن يكون الكيد عبارة عنه  
وعن مباديه المؤدية اليه  
جمع ما من ارشاد يوسف  
وقومه الى ما صدر عنهم  
من الافعال والاقوال  
حسبا شرح مرتبا لكن  
لا على أن يكون القصر  
المستفاد من تقديم المجرور  
مأخوذا بالنسبة الى غيره  
مطلقا على معنى مثل  
ذلك الكيد كدنا لا كيدا  
آخر اذا معنى لتعليله  
بمعنى يوسف عن أخذ  
أخيه في دين الملك في شأن  
السارق قطعاً اذا لعلاقة  
بين مطلق الكيد ودين  
الملك في أمر السارق  
أسلايل بالنسبة الى بعضه  
على معنى مثل ذلك الكيد  
البالغ الى هذا الحد كدنا له  
ولم نكتف ببعض من ذلك  
لانه لم يكن يأخذ أخاه  
في دين الملك به الاحال  
مشيئته باليجاد ما يجري  
مجرى الجزء الصوري  
من العلة التامة وهو

ارشاد اخوته الى الاقتناء المذكور وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر في تفسير من فسر ﴿ عينا ﴾

قوله تعالى كدنا ايوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه أي مثل ذلك التعليم المستتب لما شرح مرتبا علمناه دون  
بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فلا استثناء من أعم الاحوال كما أشير اليه ويجوز أن يكون من أعم العلل  
والاسباب أي لم يكن يأخذ أخاه

للة من الملل اوسبب من الاسباب الاللة مشيئة تعالى أو الاسباب مشيئة تعالى واياما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتده دينا لاسيما عند رضاه واقفائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغيره محل بالاتصال واردة مطلقا ما يتدين به اعم منه وبما يحدث تفضيح ﴿ ٢٣٣ ﴾ الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالحال اذ

المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ أخيه حينئذ ولم تعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذلك و اراده عجزه مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد حوز الانقطاع أى لكن أخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك (نرفع درجات) أى رتبة عالية من العلم واتصا بها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أى الى درجات والمفعول قوله تعالى (من نشاء) أى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعتا يوسف واثار صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل

عيناه من الحزن وفيه وجوه (الاول) أنه لما قال ياأسنى على يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها يبضت من يياض ذلك الماء وقوله وايبضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلو جئنا الايضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو جئناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه أولى وهذا التفسير مع الدليل رواه الواحدى في البسيط عن ابن عن عباس رضى الله عنهما (والقول الثانى) أن المراد هو العمى قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين حتى كشف الله تعالى عنه بقميص يوسف عليه السلام وهو قوله فاتوه على وجه أبى يأت بصيرا قيل ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام حينما كان في السجن فقال ان بصرايك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على رأسه وقال ليت أمى لم تلدنى ولم أك حزنا على أبى والقائلون بهذا التأويل قالوا الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمى فالحزن كان سببا للعمى بهذه الوساطة وانما كان البكاء الدائم يوجب العمى لانه يورث كدورة في سواد العين ومنهم من قال ما عمى لكنه صار بحيث يدرك ادراكا ضعيفا قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف عليه السلام الى حين لقائه وتلك المدة ثمانون عاما وما كان على وجه الارض عبدا كرم على الله تعالى من يعقوب عليه السلام أما قوله تعالى من الحزن فاعلم أنه قري من الحزن برفع الحاء وسكون الزاى وقرأ الحسن بفتح الحاء والزاى قال الواحدى في البسيط ان الحزن والحزن قتال قوم الحزن البكاء والحزن ضد الفرح وقال قوم هماقتان يقال أصابه حزن شديد وحزن شديد وهو مذبح أكثر أهل اللغة وروى يونس عن أنى عمر وقال اذا كان في موضع انصب فحموا الحاء والزاى كقوله ترى أعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الخفض أو الرفع ضموا الحاء كقوله من الحزن وقوله أشكو شى وحزنى الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء وأما قوله تعالى فهو كظيم فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم وهو المسك على حزنه فلا يظهره قال ابن قتيبة ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملئه ويجوز أيضا أن يكون بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده واعلم أن أشرف أعضاء الانسان هذه الثلاثة فيبين تعالى انها كانت عرقا في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله ياأسنى والعين بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذى يشبه الوعاء المملوء الذى شد ولا يمكن خروج الماء منه وهذا ما لفته في وصف ذلك الغم اما قوله تعالى قالوا والله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن السكيت يقال ما زلت أفعله وما فئت أفعله وما برحت أفعله ولا يتكلم بهن الامع الجحد قال ابن قتيبة يقال ما فئت وما فئت لغسان فتيا وقتوا اذا نسيت وانقطعت عنه قال النحويون وحرف التى ههنا مضمرة على معنى قالوا ماتفتؤ ولا

لهامن الاعراب (وفوق كل ﴿ ٣٠ ﴾ ما ذى علم) من أولئك المرفوعين (عليم) لا يبالون شأوه واعلم أنه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية أو الشطرية من ارشاده عليه السلام الى سس الصواع في رجل أخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستيقاض أخيه مما يتم من قبله

والمعنى إرشدنا إخوته الى الافئدة المذكور لانه لم يكن متمكنا من أخذ أخيه بدونه أو إرشدنا كلامهم من يوسف وأصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بسامع من قبل يوسف قط لانه لم يكن متمكنا من أخذ أخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجاته الى قوله تعالى عليهم توضيح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مراد اذليس ذلك بحيث لا يعرب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع ﴿٢٣٤﴾ حسب استعداده وفوق كل واحد منهم علم

تفتؤ وجاز حذفه لانه لو أريد الاثبات لكان باللام والنون نحو والله لتغلطن فلما كان بغير اللام والنون عرف أن كلمة لامضمرة وأنشدوا قول امرئ القيس \* فقلت عين الله أبرح قاعدا \* والمعنى لأبرح قاعد او مثله كثير وأما المفسرون فقال ابن عباس والحسن وبجاهد وقتادة لا تزال تذكره وعن مجاهد لا تفتؤ من حبه كأنه جعل الغنور والفتؤ أخوين (المسئلة الثانية) حكى الواحدى عن أهل المعاني ان أصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب وقوله حرضت فلانا على فلان تأويله أفسدته وأحيتة عليه وقال تعالى حرض المؤمنى على القتال اذا عرفت هذا فنقول وصف الرجل بأنه حرض اما أن يكون لارادة أنه ذو حرض فحذف المضاف أو لارادة أنه لما انتهى في الفساد والضعف فكانه صار عين الحرض ونفس الفساد أو الما الحرض بكسر الراء فهو الصفة وجاءت القراءة بهما معا اذا عرفت هذا فنقول للمفسرين فيه عبارات (أحدها) الحرض والحارض هو الفاسد في جسمه وعقله (وثانيهما) سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الحرض فقال الفاسد الدنف (وثالثها) أنه الذى يكون لا كالأحياء ولا كالأموات وذكر أبو روق أن أنس بن مالك قرأ حتى تكون حرضا بضم الحاء وتسكين الراء قال يعنى مثل عود الاشنان وقوله أو تكون من الهالكين أى من الاموات ومعنى الآية أنهم قالوا لا يبهم انك لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك الى مرض لا تنفع بنفسك معه أو تموت من النغم كأنهم قالوا أنت الآن فى بلاء شديد وتخاف أن يحصل ما هو أذى يدمنه وأقوى وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء والاسف فان قيل لم حلفوا على ذلك مع انهم لم يعلموا ذلك قطعا قلنا انهم بنوا هذا الامر على الظاهر فان قيل القائلون بهذا الكلام وهو قوله تالله تفتؤ من هم قلنا لا يظهر ان هو لاء ليسوا هم الاخوة الذين قد تولى عنهم بل هم الجماعة الذين كانوا فى الدار من أولاد وأولاده وخدمته ثم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام انه قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله يعنى ان هذا الذى أذكره لأذكره معكم وانما أذكره فى حضرة الله تعالى والانسان اذا بث شكواه الى الله تعالى كان فى زمرة المحققين كما قال عليه الصلاة والسلام أعود بربناك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ بك منك والله هو الموفق والبث هو التفريق قال الله تعالى وبث فيها من كل دابة فالحن اذا ستره الانسان كان هما واذا ذكره لغيره كان بثا وقالوا البث أشد الحزن والحزن أشد الهم وذلك لانه متى أمكنه ان يمسك لسانه عن ذكره لم يكن ذلك الحزن مستويا عليه وأما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكره شاء أم أبى كان ذلك بثا وذلك يدل على أن الانسان صار طارعا عنه وهو قد استولى على الانسان فقوله بثى وحزنى الى الله أى لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله وقرأ الحسن وحزنى لفتحتين وحزنى بضمين قيل دخل على يعقوب رجل وقال يا يعقوب ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا طاليا فقال الذى فى لكثرة غمى فأوحى

لا يقادر قدر علمه ولا يكنته كنهه يرفع كلامهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقدره يرفع الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما حواه دائرة علمه لا يبي بمرامه فارشد اخوته الى الافئدة المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافساء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلموا والتعرض لوصف العلم للعينين جهة ان فوقية وفى صيغة المبالغة مع التشكيروا اللغات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وجل وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى وأما ان جعل عبارة عن التعليم المستبوع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخل تحت قدرته عليه السلام لكنه كان

داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم الباطن الى هذا الحد علمناه ولم ﴿الله﴾ نقصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من أخذ أخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح قوله كذا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف يرفعهما اليها وقوله



وفوق كل شيء علم عليم تذييل لهاى نرفع درجات عالية من العلم من نشأه رفعة وفوق كل منهم عليم هو اعلم درجة قال ابن عباس رضى الله عنهما فوق كل علم عالم الى ان يختم العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف عليه السلام افضل منهم وقرى درجات من نشأه لاضافة والاوّل أنسب بالتذيل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز ان يكون العليم في هذا ﴿ ٢٣٥ ﴾ التفسير أيضا عبارة عن الله عز وجل اى وفوق كل من اولئك

المرفوعين عليم يرفع  
كلامهم الى درجته  
اللائقة به والله تعالى  
أعلم (قالوا ان يسرق)

يعنون بنيامين (فقد سرق

أخيه من قبل) يريدون به  
يوسف عليه السلام

وما جرى عليه من جهة

عنه على ما قيل من انها

كانت تحضنه فلما شب

أراد يعقوب عليه السلام

انتزاعه منها وكانت

لا تصبر عنه ساعة

وكانت لها منطقة ورثتها

من أيها اسحق عليه

السلام فاحتالت لاستبقاء

يوسف عليه السلام

فعمدت الى المنطقة

فحزمتها عليه من تحت

ثيابه ثم قالت فقدت

منطقة اسحق عليه

السلام فانظروا من

أخذها فوجدوها محزومة

على يوسف فقالت انه لى

سلا ففعل به ما شاء فخلاه

يعقوب عليه السلام

هندها حتى ماتت وقيل

كان أخذني صباه صملا لى

أمه فكسره وأقاده فى

الجيف وقيل دخل

الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى فغفرها له  
وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكوتى وحزنى الى الله وروى أنه أوحى الله اليه انما  
وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقلتم بياكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى  
الانبياء والمساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها ذبايح  
ولدها فبكت حتى سميت ثم قال يعقوب عليه السلام وأعلم من الله ما لا تعلمون اى أعلم من  
رحمته واحسانه ما لا تعلمون وهو انه تعالى يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب فهو اشارة  
الى أنه كان يتوقع وصول يوسف اليه وذكر والسبب هذا التوقع أمورا (أحدها) ان  
ملك الموت أتاه فقال له ياملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يابى الله ثم أشار  
الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا (وثانيها) انه علم أن رؤى يوسف صادقة لان امارات الرشد  
والكمال كانت ظاهرة فى حق يوسف ورؤى امثله عليه السلام لا تخطى (وثالثها) لعلة تعالى  
أوحى اليه أنه سيوصله اليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلهدا بى فى القلق (ورابعها)  
قال السدى لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكال حاله فى أقواله وأفعاله طمع أن يكون هو  
يوسف وقال يعد أن يظهر فى الكفار مثله (وخامسها) علم قطعا أن بنيامين لا يسرق وسمع  
أن الملك ما آذاه وما ضربه فغلب على ظنه أن ذلك الملك هو يوسف فهذا جملة الكلام فى  
المقام الاول (والمقام الثانى) أنه رجع الى أولاده وتكلم معهم على سبيل اللطف وهو قوله  
يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه واعلم أنه عليه السلام لما طمع فى وجدان يوسف  
بناء على الامارات المذكورة قال لى بى تحسسوا من يوسف والتحسس طلب النى  
بالحاسه وهو شبهه بالسمع والبصر قال أبو بكر الانبارى يقال تحسست عن فلان ولا يقال  
من فلان وقيل ههنا من يوسف لانه أقام من مقام عن قال ويجوز أن يقال من التبعض  
والمعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف واستعلموا بهض أخبار يوسف فذكرت كلمة من  
لما فيها من الدلالة على التبعض وقرى تحسسوا بابا لى كقرى بهما فى الجرات ثم قال ولا  
تتسوا من روح الله قال الاصمعى الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه  
وتركيب الراء والواو والحاء فيبد الحركة والاهتراز فكما يهتر الانسان له ويلتذ بوجوده  
فهو روح وقال ابن عباس لا يتسوا من روح الله يريد من رحمة الله وعن قتادة من فضل  
الله وقال ابن زيد من فرج الله وهذه الالفاظ متقاربة وقرأ الحسن وقاتدة من روح الله  
بالضم اى من رحمة ثم قال انه لا يأس من روح الله الا اقوم الكافرون قال ابن عباس  
رضى الله عنهما ان المؤمن من الله على خير يرجوه فى البلاء ويحمده فى الرخاء واعلم أن  
اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان أن الاله غير قادر على الكمال  
أو غير علم بجميع المعلومات أو ليس بكرىم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة  
يوجب الكفر فاذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد هذه الثلاثة وكل واحد منها  
كفرت ان اليأس لا يحصل الا ان كان كافرا والله أعلم وقد بى من مباحث هذه الآية

كنيسة فأخذت الا صغيرا من ذهب كانوا يبدونه فدفعته (فأسرها يوسف) اى اكن الجزاءه الحاصلة مما قالوا (فى نفسه)  
لأنه أسرها لبعض أصحابه كفى قوله تعالى وأسرت لهم اسراراً (ولم يبد لها لهم) لا قولوا ولا فعلا صفا عنهم وحملا وهو  
تأكيد لما سبق (قال) اى فى نفسه وهو استئناف مبنى على سؤال نشأه من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل فاذا

قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقبل قال (انتم شرمكانا) اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ايكم ثم طلقتم تفترقون على البرى وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شرمكانا (والله اعلم بما تصفون) اي عالم علما بالغا الى أقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة من اجل انما هو افتراء علينا فالصيغة مجرّد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم (قالوا) عندما شاهدوا ﴿ ١٣٦ ﴾ محابيل اخذ بنيامين مستعطفين

(يا ايها العزيز ان له ابا) لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما أرادوا الاخبار بان له ابا (شيخنا كبيرا) في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علاقه به يتعلل عن شقيقه الهالك (فخذنا حدنا مكانه) فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة (انا نراك من المحسنين) الينا فآتم احسانك بهذه التهمة والمتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله) أي نعوذ بالله معاذ من (أن نأخذ) فحذف الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار (الامن وجدنا متاعنا عنده) لان أخذ ناله انما هو بقضية فتوا كم فليس لنا الاخلال بموجبها واثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوجه من باب السلوك الى سنن الملوك اوللا شعاريان

سؤالات (السؤال الاول) ان بلوغ يعقوب في حب يوسف الى هذا الحد العظيم لا يليق الا بمن كان قافلا عن الله فان من عرف الله أحبه ومن أحب الله لم يتفرغ قلبه لحب شيء سوى الله تعالى وأيضا القلب الواحد لا يتسع للحب المستغرق لشئين فلما كان قلبه مستغرقا في حب ولده امتنع أن يقال انه كان مستغرقا في حب الله تعالى (والسؤال الثاني) ان عند استيلاء الحزن الشديد عليه كان من الواجب عليه أن يشتغل بذكر الله تعالى وبالتفويض اليه والتسليم لقضائه واما قوله بأسنى على يوسف فذلك لا يليق باهل الدين والعلم فضلا عن أكابر الانبياء (السؤال الثالث) لاشك أن يعقوب كان من أكابر الانبياء وكان أبوه وجده وعمه كلهم من أكابر الانبياء المشهورين في جميع الدنيا ومن كان كذلك ثم وقعت له واقعة هائلة صعبة في أعز وأولاده عليه لم يتبق تلك الواقعة خفية بل لا بد وأن تبلغ في الشهرة الى حيث يعرفها كل أحد لاسيما وقد انقضت المدة الطويلة فيها وبقي يعقوب على حزنه الشديد وأسفه العظيم وكان يوسف في مصر وكان يعقوب في بعض بلاد الشام قريبا من مصر فمع قرب المسافة تمتنع بقاء مثل هذه الواقعة مخفية (السؤال الرابع) لم لم يبحث يوسف عليه السلام أحدا الى يعقوب ويعلم أنه في الحياة وفي السلامة ولا يقال انه كان يخاف اخوته لانه بعد ان صار ملكا قاهرا كان يمكنه ارسال الرسول اليه واخوته ما كانوا يقدرون على دفع الرسول (والسؤال الخامس) كيف جاز ليوسف عليه السلام أن يضم الصاع في وما أخيه ثم يستخرجه منه ويلصق به تهمة السرقة مع انه كان بريئا عنها (السؤال السادس) كيف رغب في الصاع هذه التهمة به وفي حبسه عند نفسه مع انه كان يعلم أنه يزداد حزن أبيه ويقوى (والجواب عن الاول) ان مثل هذه المحنة الشديدة تزيد عن القلب كل ما سواه من الخواطر ثم ان صاحب هذه المحنة الشديدة يكون كثير الرجوع الى الله تعالى كثيرا لا يشغال بالدهاء والنضرع فيصير ذلك سبيل الكمال الاستغراق (وعن الثاني) أن الدواعي الانسانية لا تزول في الحياة العاجلة فتارة كان يقول بأسنى على يوسف وتارة كان يقول فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأما بقية الأسئلة فالتعاضد اجاب عنها بجواب كلي حسن فقال هذه الوقائع التي نقلت الينا اما أن يمكن تخرجهما على الاحوال المعتادة أو لا يمكن فان كان الاول فلا اشكال وان الثاني فنقول كان ذلك الزمان زمان الانبياء عليهم السلام وخرق العادة في هذا الزمان غير مستبعد فلم يمتنع أن يقال ان بلدة يعقوب عليه السلام مع انها كانت قرية من بلدته يوسف عليه السلام ولكن لم يصل خبرا أحدهما الى الآخر على سبيل نفض العادة ﴿ قوله تعالى (فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز من منا وأهلكنا الضر وجئنا بضاعة من جاهنا فواف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذا تم جاهلون قالوا ائتئك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصدق الله لا يضيع أجر المحسنين) اعلم أن المفسرين اتفقوا على ان ههنا محنونا

الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوطا برأه اولي الخلق والعقدوا يشار من وجدنا متاعنا عنده ﴿ والتقدير ﴿ دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدنا الصواع في الرحل على محمل غير السرقة (انا اذا) أي اذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه (لنالمون)



النصب عطفًا على اسم أن والخبر في يوسف أو من قبل على معنى ألم تعلموا ان تفر يطكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام وان تفر يطكم الكائن أو كذا في شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه أن مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفر يط لا يكون تفر يطهم السابق واقعا في شأن يوسف كما هو مفاد الاول ولا يكون تفر يطهم الكائن في شأنه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على أن الظرف المقطوع عن الاضافة \* ٢٣٨ \* لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا

في أنه هل كان ذلك طلبا منهم للصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وعلى هذا التقدير كأنهم طلبوا القدر الزائد على سبيل الصدقة وأتكر الباقيون ذلك وقالوا حال الانبياء وحال اولاد الانبياء ينافي طلب الصدقة لانهم يأنفون من الخضوع للخلق وقين ويطلب عليهم الانقطاع الى الله تعالى والاستعانة به عن سواه وروى عن الحسن ومجاهد أنها كرها أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق على قالوا لان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب وانما يقول اللهم اعطني أو تفضل فعلى هذا التصديق هو اعطاء الصدقة والتصديق المعطى وأجاز الليث أن يقال للسائل متصدق وأباه الا كثرون وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضرو وتضرعوا اليه اغرورقت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه وقيل دفعوا اليه كتاب يعقوب فيه من يعقوب اسراييل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزير مصر اما بعد فانا أهل بيت موكل بنا بالبلاء اما جدى فتشددت يده ورجلاه ورمى به في النار ليحرق فبجاء الله وجعلها بردا وسلاما عليه واما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما أنا فكان لي ابن وكان أحب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه قد سرق وانك حبسته عندك وانا أهل بيت لانسرق ولانلد سارقا فان رددته على والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب لم يخالك وعيل صبره وعرف فهم أنه يوسف ثم حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في هذا المقام أنه قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه قيل انه لما قرأ كتاب أبيه يعقوب ارتعدت مفاصله واقشعر جلده ولان قلبه وكثر بكاءه وصرح بانه يوسف وقيل انه لما رأى اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلة الخيلة أدركته الرقة فصرح حينئذ بانه يوسف وقوله هل علمتم ما فعلتم يوسف استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه وهو كما يقال للذنوب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وأما قوله وأخيه فالمراد ما فعلوه به من تعريضه للغم بسبب افراذه عن أخيه لايه وأمه وأيضا كانوا يؤذونه ومن جملة أقسام ذلك الايذاء قالوا في حقه ان يسرق فقد سرق أخله من قبل وأما قوله اذ أنتم جاهلون فهو يجرى مجرى العذر كأنه قال أنتم انما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح للترك حال ما كنتم في جهالة الصبا أو في جهالة الضرور يعنى والآن لستم كذلك ونظيره ما يقال في تفسير قوله تعالى ما عرك برك الكريم قيل انما ذكر تعالى هنا الوصف المعين ليكون ذلك جارا يجرى الجواب وهو أن يقول الصديق يارب غزنى كرمك فكندا ههنا انما ذكر ذلك الكلام ازالة للجهالة

عند البعض كما تقرر في موضعه وقبل مجله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما قبله وقيل ما موصولة أو موصوفة ومحلها النصب أو الرفع والحق هو ان نصب عطفًا على مفعول تعلموا أى ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الحيانة وأما النصب عطفًا على اسم ان أو الرفع على الابتداء فقد عرفت سابقا (فلن أرح الأرض) متفرع على ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق أبيه وقوله لتأنتنى به الا ان يحاط بكم أى فلن أفرق أرض مصر جريا على قضية الميثاق (حتى يأذن لي ابى) في البراح بالانصراف اليه وكان أيمانهم كانت معقوده على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام (أو يحكم الله) بالخروج منها على وجه لا يؤدى الى نقض الميثاق أو بخلاص أختي بسبب من الاسباب

روى انهم كلوا العزير في اطلاقه فقال روييل أيها الملك لتردن الينا اخانا ولا يصحن صيحة لاتبقى بمصر \* عنهم \* حامل الا لقت ولدها ووقف كل شعره في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا الا يطاقون خلائته اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه فقال روييل من هذا ان في هذا

البلد الذي امن بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) اذ لا يحكم الا بالحق والعدل (ارجعوا) اثم (الى ابيكم) قولوا يا ابا انان  
 انك سرق) على ظاهر الحال وقرئ سرق أي نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه (الا بما حلنا) وشاهدنا ان الصواع  
 استخراج من وعائه (وما كنا للغيب) اي باطن الحال (حافظين) فاندري أن حقيقة الامر كما شاهدنا أم بخلافه أو وما كنا  
 عالين حين اعطناك الموثق انه سسرق ﴿ ٢٣٩ ﴾ أو اننا لاقى هذا الامر او انك تصاب به كما أصبت يوسف

(واسأل القرية التي  
 كنا فيها) اي مصر  
 أو قرية بقر بها لحقهم  
 المنادي عندها أي أرسل  
 الى اهلها واسألهم  
 عن القصة معروفة فيما  
 بينهم وكانوا قوم امن  
 كنعان من جيران يعقوب  
 عليه السلام وقيل من  
 صنعاء (وانا صادقون)  
 تأكيد في محل القسم  
 (قال) أي يعقوب عليه  
 السلام وهو استئناف  
 مبنى على سؤال نشأما  
 سبق فكأنه قيل فاذا  
 كان عند قول المتوقف  
 لاختوته ما قال فقيل قال  
 يعقوب عند ما رجعوا  
 اليه فقالوا له ما قالوا وانما  
 حذف للايدان بأن  
 مسارعتهم الى قبوله  
 ورجوعهم به الى أيهم  
 أمر مسلم غنى عن البيان  
 وانما المحتاج اليه جواب  
 أيهم (بل سولت) أي  
 زينت وسهلت وهو  
 اضراب لاهن صريح  
 كلامهم فانهم صادقون  
 في ذلك بل عما يتضمنه

عنهم وتخفيفا لامر عليهم ثم ان اخوته قالوا انك لانت يوسف قال أنا يوسف قرأ ابن كثير  
 انك على لفظ الخبر وقرأ نافع أي نك لانت يوسف بفتح الالف غير مدودة وبالياء أو بوعدرو أي نك  
 بعد الالف وهو رواية قالون عن نافع والباقون أنك بجزتين وكل ذلك على الاستفهام  
 وقرأ أبي أو أنت يوسف فحصل من هذه القراءت ان من القراء من قرأ بالاستفهام  
 ومنهم من قرأ بالخبر أما الاولون فقالوا ان يوسف لما قال لهم هل علمتم وتبسم فابصروا  
 ثنياه وكانت كالتؤلؤ المنظوم شبهه يوسف فقالوا له استفهما ما أنك لانت يوسف ويدل  
 على صحة الاستفهام أنه قال أنا يوسف وانما أجابهم عما استفهما عنه وأما من قرأ على  
 الخبر فحجته ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع  
 التاج عن رأسه وكان في فرقه علامة وكان ليعقوب واسحق مثلها شبه الشامة فلما رفع  
 التاج عرفوه بتلك العلامة فقالوا انك لانت يوسف ويجوز أن يكون ابن كثير اراد  
 الاستفهام ثم حذف حرف الاستفهام وقوله قال أنا يوسف فيه بحثان (البحث الاول)  
 اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ أو يوسف خبره والجملة خبران (البحث الثاني) انه انما صرح  
 بالاسم تعظيما لما نزل به من ظم اخوته وما عوضه الله من الظفر والنصر فكانه قال أنا الذي  
 ظلمتموني على أعظم الوجوه والله تعالى أو صلتني الى أعظم المناصب ان ذلك العاجر الذي  
 قصدتم قتله والقاءه في البئر ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا أخى مع انهم كانوا يعرفونه  
 لان مقصوده أن يقول وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت ثم انه صار متعاما عليه من قبل  
 الله تعالى كما ترون وقوله قد من الله علينا قال ابن عباس رضي الله عنهما بكل عز في الدنيا  
 والآخرة وقال اخرون بالجمع بيننا بعد الفارقة وقوله انه من يتق ويصبر معناه من يتق  
 معاصي الله ويصبر على أذى الناس فان الله لا يضيع أجر المحسنين والمعنى انه من يتق  
 ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين وفيه  
 مسئلتان (المسئلة الاولى) اعلم أن يوسف عليه السلام وصف نفسه في هذا المقام  
 الشريف بكونه متقيا ولو أنه أقدم على ما يقوله الخشوية في حق زليخا كان هذا القول  
 كذبا منه وذكرا للكدب في مثل هذا المقام الذي يؤمن فيه الكافرو يتوب فيه العاصي  
 لا يليق بالعقلاء (المسئلة الثانية) قال الواحد روى عن ابن كثير في طريق قنبل انه من  
 يتق بايات الباء في الحالين ووجهه أن يجعل من بمنزلة الذي فلا يوجب الجرم ويجوز على  
 هذا الوجه أن يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا أنه حذف الرفع طلبا للتخفيف كما  
 يخفف في عضد وشمع والباقون بحذف الباء في الحالين \* قوله تعالى (قالوا لله لعد  
 أترك الله علينا وان كنا لحاططين قال لا تزيب عليكم اليوم بغير الله لكم وهو أرحم  
 الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالتوه على وجه أبي بات بصيرا أو توني باهلكم أجمعين)  
 اعلم أن يوسف عليه السلام لما ذكر لاختوته ان الله تعالى من عليه وان من يتق المعاصي  
 ويصبر على أذى الناس فانه لا يضيعه الله صدقوه فيه واعترا فوالله بالفضل والمزينة قالوا لله

من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر عنهم ما يؤدى الى ذلك من قول أو فعل كأنه قيل لم يكن  
 الامر كذلك بل زينت (لكم أنفسكم أمرا) من الامور فانيتوه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقة (فصبر  
 جيل) أي قامرى صبر جيل أو فصبر جيل أجل (عسى الله أن يأتي نبي بهم جميعا) يوسف وأخيه والمتوقف بمصر

(انه هو العليم) تجال وحالهم (الحكيم) الذي لم يتلنى الحكمة بالغة (وتولى) أى عرض (عنهم) كراهة لما سمع منهم (وقال يا أسفا على يوسف) الاسف أشد الحزن والحسرة اضافة الى نفسه والالف بدل من ليا فنادا ماى يا أسفى تعال فهذا أوائك وانما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخوية لان رزاه كان قاعدة الأرزاء غضا عند، وان تقادم عهد آخدا بمجامع قلبه لا ينسأه ولانه كان وانما يجباها عالما بمكاتها طامعا ﴿٢٤٠﴾ في اياها وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة

رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله <sup>في الخبر</sup> لم تعط امة من الأمم ان الله وانما اليه راجعون الامة محمد عليه الصلاة والسلام الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف و يوسف مما يزيد التظلم الكريم بحجة كافي قوله عز وجل وهم ينهون عنه ويتأون عنه وقوله انما قلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كل من كل الثمرات وجنتك من سباء بنيامين ونظائرهما (وابيضت عيناه من الحزن) الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبتة الى يياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روى انه ماجفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله

لقد آثر الله علينا وان كنا لخاطئين قال الاصمعي يقال آثر ك اثار أى فضلك الله وفلان آثر عند فلان اذا كان بوتره بفضله وصلته والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك واحتج بعضهم بهذه الآية على ان اخوته ما كانوا انبياء لان جميع المناصب التي تكون مغايرة لمنصب النبوة كالعهد بالنسبة اليه فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا تالله لقد آثر الله علينا وبهذه التقدير يذهب سؤال من يقول لعل المراد كونه زائدا عليهم في الملك وأحوال الدنيا وان شاركوه في النبوة لا يائنا ان أحوال الدنيا لا يعابها في جنب منصب النبوة وأما قوله وان كنا لخاطئين قيل الخاطي هو الذي أتى بالخطيئة عمدا وفرق بين الخاطي والمخطي فلهذا الفرق يقال لمن يجتهد في الاحكام فلا يصيب انه مخطي ولا يقال انه خاطي وأكثر المفسرين على ان الذي اعتذروا منه هو اقدمهم على القائه في الجب ويعد وتبعيده عن البيت والاب وقال أبو علي الجبائي انهم لم يعتذروا اليه من ذلك لان ذلك وقع منهم قبل البلوغ فلا يكون ذنبا فلا يعتذر منه وانما اعتذروا من حيث انهم أخطوا بعد ذلك بان لم يظهروا اليهم ما فعلوه ليعلم انه سحى وأن الذنب لم يأت كنه وهذا الكلام ضعيف من وجوه (الاول) انما يائنا أنه لا يجوز أن يقال انهم أقدموا على تلك الاعمال في زمن الصبا لانه من البعيد في مثل يعقوب أن يعث جمعا من الصبيان غير البالغين من غير أن يعث معهم رجلا عاقلا ينصهم عما لا ينبغي ويحملهم على ما ينبغي (والثاني) هب أن الامر على ما ذكره الجبائي الا اننا نقول غاية ما في الباب أنه لا يجب عليهم الاعتذار عن ذلك الا انه يمكن أن يقال انه يحسن الاعتذار عنه والدليل عليه أن المذنب اذا تاب زال عقابه ثم قد يعيد التوبة والاعتذار مرة أخرى فقلنا أن الانسان أيضا قد يتوب عند ما لا تكون التوبة واجبة عليه واعلم انهم لما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم مجرمين خاطئين قال يوسف لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وفيه بحثان (البحث الاول) التريب التوب ويح ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اذا زنت أمة أحدكم فليضربها الحد ولا يبرها أي ولا يعيرها بالزنا فقوله لا تريب أي لا توب ويح ولا يعيب وأصل التريب من الترب وهو الشهم الذي هو فاشية الكرش ومعناه ازالة التراب كما ان التجليد ازالة الجلد قال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الشباب أسهل منها الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف عليه السلام ل اخوته لا تريب عليكم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي (البحث الثاني) ان قوله اليوم متعلق بما ذاقه قولان (الاول) أنه متعلق بقوله لا تريب أي لا أريبكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التريب فما ظنكم بسائر الايام وفيه احتمال آخر وهو اني حكمت في هذا اليوم بأن لا تريب مطلقا لان قوله لا تريب نفي للماهية ونفي للماهية يقتضي انتفاء جميع افراد الماهية فكان ذلك مفيدا للنفي المتناول لكل الاوقات والاحوال فتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الاوقات والاحوال ثم انه لما بين لهم أنه أزال عنهم

عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام على يوسف قال وجد سمين شكلي قال فما كان له من الاجر قل اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف بالبكاء عند التائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشداهد

﴿ ملاحظة ﴾

ولقد بكى رسول الله صلى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا تقول ما يسهظ الرب واناعليك  
يا ابراهيم لحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصباح والياحة واطم الحودود والصدور وشق الجيوب وتمزيق  
الثياب وعن النبي عليه السلام انه بكى على ولد بعض بناته وهو يوجد بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا  
عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم ﴿ ٢٤١ ﴾ عن صوتين أحق صوت عند الفرح وصوت

عند الترح (فهو كظم)  
ملوء من الغيظ على أولاده  
مسك له في قلبه لا يظهرة  
فعل بمعنى مفعول بدليل  
قوله تعالى وهو مكظوم  
من كظم السقاء اذا شده  
على ملئه أو بمعنى فاعل  
كظمه والكاطمين الغيظ  
من كظم الغيظ اذا  
اجترعه وأصله كظم  
البعير جرحه اذا ردها  
في جوفه (قالوا تالله  
تفتوا) اي لا تقنوا ولا تزال  
(تذكر يوسف) تفجعا  
عليه فحذف حرف  
النفي كافي قوله \* فقلت  
يمين الله أبرح قاعدا \*  
لعدم الالتباس بالاثبات  
فان القسم اذا لم يكن  
معه علامة الاثبات  
يكون على النفي البتة  
(حتى تكون حرضا)  
مرضا مشفيا على الهلاك  
وقيل المرض من اذابه  
هم أو مرض وهو في  
الاصل مصدر وان ذلك  
لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع  
والنعت منه بالكسر  
كندف وقد قرئ به  
وبضمتين كجنب وغرب

ملامة الذي يطلب من الله أن يزيل عنهم عقاب الآخرة فقال يغفر الله لكم والمراد منه  
الدعاء (واقول الثاني) ان قوله اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كأنه لما نفي الترتيب  
مطلقا بشرهم بأن الله غفر ذنوبهم في هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا  
وتابوا فغفر الله لهم ذنوبهم وغفر لهم ذنوبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم روى أن الرسول  
عليه السلام أخذ بضادتي باب الكعبة يوم الفتح وقال لقريش ماتروني فاعلا  
بكم فقالوا نطن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف  
لا تتريب عليكم اليوم وروى أن أباسفيان لما جاء يسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فاتل عليه قال لا تتريب عليكم اليوم ففعل قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم غفر الله لك ولن علك وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تحضرنا  
مأذنتك بكرة وعشيا ونحن نسحى منك لما صدرنا من الاساءة اليك فقال يوسف  
عليه السلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم فاتهم ينظروني بالعين الاولى ويقولون سبحان  
عبد الله بعشرين درهما ما يبلغ ولقد شرفت الآن بآياتناكم وعظمت في العيون  
لما جتم وعلم الناس أنكم اخوتي وأنى من حفدة ابراهيم عليه السلام ثم قال يوسف عليه  
السلام اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا قال المفسرون لما عرفهم  
يوسف سأ لهم عن أيده فقالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه قال المحققون انما عرف ان  
القاء ذلك القميص على وجهه بوجوب قوة البصر بوحى من الله تعالى ولو لا الوحي لما عرف  
ذلك لان العقل لا يدل عليه ويمكن أن يقال لعل يوسف عليه السلام علم أن أباه ما صار أعمى  
الا أنه من كثرة البكاء وضيق القلب ضعف بصره فاذا أتى عليه قميصه فلا بد أن ينشرح  
صدره وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد وذلك يقوى الروح ويزيل الضعف عن القوى  
فحينئذ يقوى بصره ويزول عنه ذلك النقصان فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فان  
القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى وقوله يأت بصيرا أى يصير بصيرا ويشهد له فارتد  
بصيرا ويقال المراد يأت الى وهو بصيرا وانما أفرد بالذكر تعظيما له وقال في الباقيين وأتوني  
بأهلكم أجمعين قال الكلبي كان أهله نحو من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم  
يوسف عليه السلام مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة وروى أن يهودا حمل  
الكتاب وقال أنا حزنته بحمل القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما حزنته وقيل حمله  
وهو حاف وحاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا \* قوله تعالى  
(ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لاني  
ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من  
الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى  
انه هو الغفور الرحيم) يقال فصل فلان من عند فلان فصولا اذا خرج من عنده وفصل  
منى اليه كتابا اذا أنفذ به اليه وفصل يكون لازما ومتعديا واذا كان لازما فصلا من عند فلان فصل  
منى اليه كتابا اذا أنفذ به اليه وفصل يكون لازما ومتعديا واذا كان لازما فصلا من عند فلان فصل

(أو تكون من الهالكين) اي ﴿ ٣١ ﴾ خا الميتين (قال انما أشكويثي) البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه  
صاحبه فيثبه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم انى لأشكؤ ما  
اليكم أو الى غيركم حتى تصعدوا التسليتي وانما أشكوهي (وحزنى الى

الله تعالى ملجئاً الى جنبه متضرراً بالدي بابه في دفعه وقرى بقمحين وخبثين (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من لطفه ورجته فأرجوان يرحني ويأطعني ولا يخيب رجائي وأعلم وحيأوالها من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه يسخر له أبواه وأخوته بمجداً (بابي اذهبوا قمحسوا) اي تعرفوا وهو ﴿ ٢٤٢ ﴾ تفعل من الحس وقرى بالجيم من الجس وهو العطب

واي تطلبوا (من يوسف وأخيه) اي من خبرهما ولم يذكر الثالث ذن فيته اختيارية لا يصير ازالنها (ولا تياسوا من روح الله) لا تغفلوا من فرجه وتغيبه وقرى بضم الراء اي من رحته التي يحى بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما أبهم في قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال (فما دخلوا عليه) اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب أمر أيهم وانما لم يذكر ذلك ايداناً بسارعتهم الى ما أمروا به واشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا ينتقر الى الذكرو البيان (قالوا يا ايها العزيز) اي الملك القادر المتع (مسناً وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا بيضاعة من جاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة ﴿ يقولوها ﴾ عنها واحتقاراً لها من أزجيتها اذا دفعت وطردته والريح تزيح السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفاً وسمناً وقيل الصنو بروحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زبوقاً لانوا خذ الإبو ضعة وانما قديموا ذلك

واي تطلبوا (من يوسف وأخيه) اي من خبرهما ولم يذكر الثالث ذن فيته اختيارية لا يصير ازالنها (ولا تياسوا من روح الله) لا تغفلوا من فرجه وتغيبه وقرى بضم الراء اي من رحته التي يحى بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما أبهم في قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال (فما دخلوا عليه) اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب أمر أيهم وانما لم يذكر ذلك ايداناً بسارعتهم الى ما أمروا به واشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا ينتقر الى الذكرو البيان (قالوا يا ايها العزيز) اي الملك القادر المتع (مسناً وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا بيضاعة من جاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة ﴿ يقولوها ﴾ عنها واحتقاراً لها من أزجيتها اذا دفعت وطردته والريح تزيح السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفاً وسمناً وقيل الصنو بروحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زبوقاً لانوا خذ الإبو ضعة وانما قديموا ذلك

وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا بيضاعة من جاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة ﴿ يقولوها ﴾ عنها واحتقاراً لها من أزجيتها اذا دفعت وطردته والريح تزيح السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفاً وسمناً وقيل الصنو بروحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زبوقاً لانوا خذ الإبو ضعة وانما قديموا ذلك



ليكون ذريعة إلى اسعاف من انهم يبعث الشفقة وهو العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا (فاوقف لنا الكيل) أي أئتممه لنا (وتصدق علينا) بردأخينا لنا قاله الضحك وابن جرير وهو الانسب بحالهم نظرا إلى أمر أيهم أو بالإبقاء أو بالساحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا أو أرادوا التصديق فوق ما يعطيه بالثمن بناء على اختصاص حرمة ﴿ ٢٤٣ ﴾ الصدقة بئينا عليه الصلاة والسلام وانما لم يبدووا بما

أمر وابه استجلا بالرافة  
والشفقة ليهشوا  
بما قدموا من رقة الحال  
رقة القلب والحنو على  
أن ما ساقوه كلام  
ذو وجهين فان قولهم  
وتصدق علينا (ان الله  
يجري المتصدقين)  
يحتمل الحمل على المحملين  
فعله عليه السلام حله  
على المحمل الاول ولذلك  
(قال) مجيبا عما عرضوا به  
وضمنوه كلامهم من  
طلب رداخيهم (هل  
علمتم ما فعلتم بيوسف  
وأخيه) وكان الظاهر  
أن يعرض لما فعلوا بأخيه  
فقط وانما تعرض لما  
فعلوا بيوسف لاشترآكه  
في وقوع الفعل عليهما  
فان المراد بذلك افرادهم  
له عن يوسف واذلاله  
بذلك حتى كان لا يستطيع  
أن يكلمهم الا بغير ذلة  
أي هل يتم عن ذلك بعد  
علمكم بقبضه فهو سؤال  
عن الملزوم والمراد لازمه  
(اذ أتتم جاهلون)  
بتمجه فلذلك أقدمتم  
على ذلك أو جاهلون

يقولوها التي الله وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قدمات وقد كان يعقوب في ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب وقوله فلما أن جاء البشير في أن قولان (الاول) أنه لا موضع لها من الاعراب وقد تذكرتارة كما ههنا وقد تحذف كقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروح والمذهبان جميعا موجودان في اشعار العرب (والثاني) قال البصريون هي مع ماقى موضع رفع بالفعل المضمر تقديره فلما ظهر أن جاء البشير أي ظهر مجي البشر فاضمر الرفع قال جمهور المفسرين البشير هو يهودا قال أنا ذهبت القميص الملتصق بالدم وقلت ان يوسف آكله الذئب فاذهب اليوم بالقميص فافرحه عزنته قوله أنقاه على وجهه أي طرح البشيرا القميص على وجهه يعقوب أو يقال أنقاه يعقوب على وجهه نفسه فارتد بصيرا أي رجع بصيرا ومعنى الارتداد انقلاب الشيء إلى حاله قد كان عليها وقوله فارتد بصيرا أي صبره الله بصيرا كما يقال طالت الأهلة والله تعالى أطالها واختلقوا فيه فقال بعضهم انه كان قد عمى بالكلية فآله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال آخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء وكثرة الحزان فلما ألقوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فضع ذلك قوى بصره وزال نقصان عنه فعند هذا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون والمراد علمه بحياة يوسف من جهة الرؤيا لان هذا المعنى هو الذي له تعلق بما تقدم وهو اشارة إلى ما تقدم من قوله انما أشكوبني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون روى أنه سأل البشير وقال كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما صنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان أولاد يعقوب أخذوا يعتذرون اليه وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم وظاهر الكلام أنه لم يستغفر لهم في الحال بل وعدهم بأنه يستغفر لهم بعد ذلك واختلفوا في سبب هذا المعنى على وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما والاكثر أن أراد أن يستغفر لهم في وقت السحر لان هذا الوقت أوفق الاوقات لرجاء الاجابة (الثاني) قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى أخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لانها أوفق الاوقات للاجابة (الثالث) أراد أن يعرف انهم هل تابوا في الحقيقة أم لا وهل حصلت توبتهم مقرونة بالاخلاص التام أم لا (الرابع) استغفر لهم في الحال وقوله سأستغفر لكم معناه اني أداوم على هذا الاستغفار في الزمان المستقبل فقد روى انه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يده إلى السماء وقال اللهم اغفر لي جزى على يوسف وقلة صبري عليه واغفر لولادي ما فعلوه في حق يوسف عليه السلام فوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم أجمعين وروى أن أبناء يعقوب عليه السلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما يغني عنا ان لم يغفر لنا مستقبل الشيخ اقبله قائما يدعو وقام عاقبه وانما قاله نصحهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى همهم وتمسكهم لامعابته وتزيبوا ويجوز أن يكون هذا الكلام منه عليه السلام مقطعا عن كلامهم وتبسيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتحضي في طلب بنيامين بل يجوز أن يقف عليه السلام بطريق الوحي أو الالهام

على وصية أبيه وأرساله إياهم للتجسس منبذون من أخيه فلما رأهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذبح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزير مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا بالبلاء أما جدى فشددت يده وأرجلاه فرمى به في النار فجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى وأما أنا فكان \* ٢٤٤ \* لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به

يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفها أذلة خاشعين عشرين سنة حتى قل صبرهم فظنوا أنها الهلكة فنزل جبريل عليه السلام وقال إن الله تعالى أجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقهم بعدك على النوبة وقد اختلفت الناس في نبوتهم وهو مشهور \* قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبا بل روياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذا حرجني من السجن وجاء بكم من البدن بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي أن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) اعلم أنه روى أن يوسف عليه السلام وجهه إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم تلقوا يعقوب عليه السلام وهو عشي يتوكأ على يهودا فنظر إلى الخليل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك يوسف فذهب يوسف يبدأ بالسلام فتح من ذلك فقال يعقوب عليه السلام السلام عليك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنتان وسبعون مائة رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ أما قوله آوى إليه أبويه ففيه بحثان (البحث الاول) في المراد بقوله أبويه قولان (الاول) المراد أبوه وأمه وعلى هذا القول فقيل إن أمه كانت باقية حية إلى ذلك الوقت وقيل انها كانت قد ماتت لأن الله تعالى أحياها وأنسرها من قبرها حتى وجدت له تحفيقا رويا يوسف عليه السلام (والقول الثاني) أن المراد أبوه وخالته لأن أمه ماتت في النفاس بأخيه بنيامين وقيل بنيامين بالعبانية ابن الوجد ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فسمها الله تعالى بإحد الابوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الام أولان الخالة أم ككما ان العم أب ومنه قوله تعالى والله آياك إبراهيم واسماعيل واسحق (البحث الثاني) آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتقهما فان قيل ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلنا كأنه حين استقبالهم نزل بهم في بيت هناك أو خيمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه وقال لهم ادخلوا مصر أما قوله ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ففيه أبحاث (البحث الاول) قال السدي انه قال هذا القول قبل دخولهم مصر لانه كان قد استقبلهم وهذا هو الذي قرراه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بقوله ادخلوا مصر أي أقيموا بها آمين سمي الإقامة دخولا لاقتران أحدهما بالآخر (البحث الثاني) الاستثناء وهو قول ان شاء الله فيه قولان (الاول) انه طأ إلى الامن لآلى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله ونظيره قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين وقيل انه طأ إلى الدخول على القول الذي ذكرناه انه قال لهم هذا الكلام قبل ان دخلوا مصر (البحث الثالث) معنى قوله آمين يعني على أنفسكم وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحدا وكانوا فيما سلف يخافون ملوك

اخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقلوا انه سرق وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والاد دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والاسلام فلما قرأ لهم يتالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا وانظر كما ظفروا (قالوا أأنك لانت يوسف) استغفام تقرير ولدك أكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرى أنك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشماله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بننايه وقيل رفع التاج عن رأسه فأعلامه بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرى

أأنك أو أنت يوسف على معنى أنك يوسف وأنت يوسف فحذف الاول للدلالة الثاني عليه وفيه زيادة \* مصر \* استغراب (قال أنا يوسف) جوابا عن مستلتهم وقيد زاد عليه قوله (وهذا أخي) أي من أبوي مبالغة في تعريف نفسه وتخيما لشأن أخيه ونكلمة لما أفاده قوله هل علمت ما فعلتم

يوسف وأخيه حسبا بيئته قوله (قدمن الله علينا) فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفریق والأذلال فانا يوسف ولهذا أثنى قدمن الله علينا بالخلص مما ابتلينا به والاجتماع بعد الفقرة والعزة بعد الدلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بأنه أثنى لأخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله (انه من تقي) اي يفعل ﴿ ٢٤٥ ﴾ التقوى في جميع أحواله أو يثق بنفسه مما يوجب سخط الله تعالى

وعذابه (ويصبر)  
على المحن أو على مشقة  
الطاعات أو عن المعاصي  
التي تستلذها النفس  
(فان الله لا يضيع أجر  
المحسنين) اي أجرهم  
وإنما وضع المظهر موضع  
المضمر تنبيها على أن  
المنعوتين بالتقوى والصبر  
موصوفون بالاحسان  
(قالوا ان الله لقد آزرنا الله  
علينا) اختارك وفضلتك  
علينا بما ذكرت  
من النعمت الجليلة  
(وان كنا) وان الشأن  
كنا (لخاطئين) لتعمدين  
لذنب اذ فعلنا بك ما  
فعلنا ولذلك أعزك  
وأذلنا وفيه اشعار بالتوبة  
والاستغفار ولذلك  
(قال لا تريب) اي  
لا تعب ولا تأنيب  
(عليكم) وهو تفصيل  
من التوب وهو الشحم  
الغاشي للكرش ومعناه  
ازالة كما أن التهييد  
ازالة الجلد والتفريع  
ازالة القرع لانه اذا  
ذهب كان ذلك غاية  
الهزال فضرب مثلا

مصر وقيل آمنين من القحط والشدة والفاقة وقيل آمنين من أن يضرهم يوسف بالجرم  
السالف أما قوله ورفع أبويه على العرش قال أهل اللغة العرش السرير الرفيع قال  
تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذي كان يجلس عليه يوسف  
وأما قوله وخرأوا له سجدا فمجهول اشكال وذلك لان يعقوب عليه السلام كان أبيا يوسف  
وحق الابوة عظيم قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا فقرن  
حق الوالدين بحق نفسه وأيضا انه كان شهيدا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ (والثالث)  
انه كان من أكابر الانبياء ويوسف وان كان نبيا إلا أن يعقوب كان أعلى حالته  
(وارابع) ان جد يعقوب واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جد يوسف ولما اجتمعت  
هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبلغ يوسف في خدمة يعقوب فكيف استجاز  
يوسف أن يسجد له يعقوب هذا تفرير السؤال (والجواب) عنه من وجوه (الاول) وهو  
قول ابن عباس في رواية عطاء ان المراد بهذه الآية انهم خروا له أي لاجل وجد انه  
سجد لله تعالى وحاصل الكلام ان ذلك السجود كان سجودا للشكر فالسجود له هو الله  
الا ان ذلك السجود انما كان لاجله والدليل على صحة هذا التأويل ان قوله ورفع أبويه  
على العرش وخرأوا له سجدا مشعر بأنهم سعدوا وذلك السرير ثم سجدوا له ولوانهم سجدوا  
ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السر لان ذلك أدخل في التواضع فان قالوا فهذا  
التأويل لا يطابق قوله بأيت هذا التأويل رؤي من قبل والمراد منه قوله اني رأيت أحد  
عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قلنا بل هذا مطابق ويكون المراد من قوله  
والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين لاجل أي انها سجدت لله لطلب مصالحتي والسعي  
في اعلاء مناصبي واذا كان هذا محتملا سقط السؤال وعندى ان هذا التأويل متعين لانه  
لا يستبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بان يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة  
والشيخوخة والعلم والدين وكالانثوية (والوجه الثاني) في الجواب أن يقال انهم جعلوا  
يوسف كالقبة وسجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه وهذا التأويل حسن فانه يقال صليت  
للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان شعرا

ما كنت أعرف أن الامر منصرف \* عن هاشم ثم منها عن أبي حسن  
أليس أول من صلى لقبلكم \* وأعرف الناس بالقرآن والسنة

وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال فلان صلى للقبة وكذلك يجوز أن يقال سجد للقبة وقوله  
وخرأوا له سجدا أي جعلوه كالقبة ثم سجدوا لله شكر النعمة وجدانه (الوجه الثالث)  
في الجواب قد يسمى التواضع سجودا كقوله \* ترى الاكم فيها سجدا للموافر \* وكان  
المراد ههنا التواضع الا أن هذا مشكل لانه تعالى قال وخرأوا له سجدا والخرور الى  
السجدة مشعر بالاتباع بالسجدة على أكل الوجوه وأجيب عنه بان الخرور قد يعنى به  
المرور فقط قال تعالى لم يخرأوا عليها صما وعجيانا يعنى لم يعبروا (الوجه الرابع) في الجواب

للتقرب الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وجل (اليوم) منصوب بالتثريب أو بالتقدير خبر الاى لا أثر بكم أو لا تريب  
مستقر عليكم اليوم الفى هو مظنة له فاطنكم بسائر الايام أو بقوله (يفخر الله لكم) لانه حينئذ صفع عن جر يمتهم وعفا  
عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة (وهو أرحم الراحمين) يفخر الله لكم والكبار

ويعضل على الثائب بالقبول ومن كرمه عليه الصلاة والسلام أن اخوته أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكثرة وعشياً  
وعن نستحي منك بما فرط منافيك فقال عليه الصلاة والسلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين  
الاولى ويقولون سبحانه من يبلغ هدايع بعشرين درهما ما يبلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس  
أنكم اخوتي وأنى من حفدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ ٢٤٦ ﴾ (انهبوا بقميصي هذا) قيل هو الذي كان

أن نقول الضمير في قوله وخر والله غير عائد الى الابوين لاجمالة والاقال وخر واله ساجدين  
يل الضمير عائد الى اخوته والى سائر من كان يدخل عليه لاجل التهنته والتقدير ورفع  
أبويه على العرش مباغلة في تعظيمهما وأما الاخوة وسائر الداخلين فخر واله ساجدين فان  
قالوا فهذا لا يلائم قوله بأيت هذا نأويل روياي من قبل قلنا انه تميم الرويا لا يجب أن  
يكون مطابقا للرويا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه فسجود الكواكب والشمس  
والقمر تعبير عن تعظيم الاكابر من الناس له ولاشك أن ذهاب يعقوب مع أولاده من  
كنعان الى مصر لاجله في نهاية التعظيم له فكفي هذا القدر في صحة الرويا فاما أن يكون  
التعبير مساويا لاصل الرويا في الصفة والصورة فلم يوجب أحد من العقلاء (الوجه  
الخامس) في الجواب لعل الفعل الدال على التحية والاکرام في ذلك الوقت هو السجود  
وسكان مقصودهم من السجود تعظيمه وهذا في غاية البعد لان المباغلة في التعظيم  
كانت أليق بيوسف منها يعقوب فلو كان الامر كما قلتم لكان من الواجب أن يسجد  
يوسف ليعقوب عليه السلام (والوجه السادس) فيه أن يقال لعل اخوته جلستهم الاتفة  
والاستعلاء على أن لا يسجدوا له على سبيل التواضع وعلم يعقوب عليه السلام أنهم  
لولم يفعلوا ذلك لصار ذلك سببا لثوران الفتن ولظهور الاحقاد القديمة بعد كونها فهو  
عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حقه بسبب الابوة والشيوخوخة والتقدم في الدين  
والثبوة والعلم فعل ذلك السجود حتى تصير مشاهدتهم لذلك سببا لزال الاتفة والغفرة عن  
قلوبهم ألا ترى أن السلطان الكبير اذا نصب محنسا فاذا أراد ترتيبه مكنه في اقامة  
الحسبة عليه ليصير ذلك سببا في أن لا يبق في قلب أحد منازعة ذلك المحتسب في اقامة  
الحسبة فكذا ههنا (الوجه السابع) لعل الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة  
خفيت لا يعرفها الا هو كما أنه أمر الملائكة بالسجود لا دم لحكمة لا يعرفها الا هو  
ويوسف ما كان راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله أمره بذلك سكت ثم حكي تعالى  
أن يوسف لما رأى هذه الحالة قال بأيت هذا نأويل روياي من قبل قد جعلها ربي حقا  
وفيه بحثان (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما انه لما رأى سجد أبو يه واخوته  
هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب هذا نأويل روياي من قبل وأقول هذا يعقوب  
الجواب السابع كأنه يقول بأيت لا يلبق بمثلك هلى جلالتك في العلم والدين والثبوة  
أن تسجدوا لذلك الان هذا أمر أمرت به وتكليف كلفته به فان رويا الانبياء حق كما ان  
رويا ابراهيم ذبح ولده صار سببا لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه  
الرويا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود فلهمنا السبب حكى  
ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف عليه السلام لما رأى ذلك هاله واقشعر جلده  
ولكنه لم يقل شيئا وأقول لا يبعد أن يكون ذلك من تمام تشديد الله تعالى على يعقوب كأنه  
يقول له انك كنت دائم الرغبة في وصاله ودائم الحزن بسبب فراقه فلذا وجدته فاسجد له

عليه حيثذ وقبل هو  
القميص المتوارث الذي  
كان في التعويد أمره  
جبريل برسالة اليه  
واوحى اليه أن فيخرج  
الجنة لا يقم على مبتلى  
الاصوفى (فألقوه على  
وجه أبي بات بصيرا)  
يكن بصيرا أو بات الى  
بصيرا وينصره قوله  
(واثنون بأهلكم أجمعين)  
اي بأبي وغيره ممن  
ينتظمه لفظ الاهل  
ججمعان النساء والذراري  
قيل انما حمل القميص  
يهودا وقال أنا حزنته  
بحمل القميص ملطخا  
بالدم اليه فأفرجه كما  
أحزنته وقيل حله وهو  
حاف حاسر من مصر  
الى كنعان و بينهما  
مسيرة ثمانين فرسخا  
(ولما فصلت العير)  
خرجت من عريش  
مصر يقال فصل  
من البلد فصولا اذا  
انفصل منه وباروز  
حيطانه وقرأ ابن عباس  
رضي الله تعالى عنهما  
انفصل العير (قال

أبوهم) يعقوب عليه الصلاة والسلام لمن عنده (انى لاجد ربح يوسف) أو جده الله سبحانه ما عبق بالقميص ﴿ فكان ﴾  
من ربح يوسف من ثمانين فرسخا حين أقبل به يهوذا (لولا أن تفندون) اى تنسبونى الى الفند وهو الحرف والكار العقل  
وفساد الرأى من هرم يقال شيخ مقند ولا يقال معجوز مقنندة اذ لم تكن في شببتها ذات رأى

فتفتني كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدهم تمني (قالوا) اي الحاضرون عنده (تالله انك لاني ضلالك القديم) لني ذهابك  
 عن الصواب قد ما في افراط محبتك ليوسف ولهمك بذكروه ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات (فلما ان جاء البشير)  
 وهو يهوذا (القاه) اي التي البشير القميص (على وجهه) اي وجه يعقوب وألقاه يعقوب على وجهه نفسه (فارتد) عاد  
 (بصيرا) لما تنمش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم) ﴿ ٢٤٧ ﴾ يعني قوله اني لا جدر يح يوسف فالخطاب لمن كان

عنده يكنعان أو قوله  
 ولا تأسوا من روح الله  
 فالخطاب لبنيه وهو  
 الانسب بقوله (اني أعلم  
 من الله ما لا تعلمون) فان  
 مدار التهيئ المذكور  
 انما هو العلم الذي أوتي  
 يعقوب من جهة الله  
 سبحانه وعلى هذا يجوز  
 أن يكون هذا مقول  
 القول اي ألم أقل لكم  
 حين أرسلتكم الى مصر  
 وأمرتكم بالتحسس  
 ونهيتمكم عن اليأس من  
 روح الله تعالى وأعلم  
 من الله ما لا تعلمون من  
 حياة يوسف عليه الصلاة  
 والسلام روى انه سأل  
 البشير كيف يوسف  
 فقال هو ملك مصر  
 قال فما أضغ بالملك  
 على أي دين تركته قل  
 دين الاسلام قال  
 الآن تمت النعمة (قالوا)  
 يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا  
 انما كنا خاطئين) ومن  
 حق من اعترف بذنبه  
 أن يصفح عنه ويستغفر  
 له فكانهم كانوا على ثقة  
 من عفو عليه الصلاة

فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد والله أعلم بحقائق الامور (البحث الثاني)  
 اختلفوا في مقدار المدة بين هذا الوقت وبين الرؤيا فقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وقيل  
 أربعون وهو قول الاكثرين ولذلك يقولون ان تأويل الرؤيا انما صححت بعد أربعين  
 سنة وقيل ثمانين سنة وعن الحسن انه أتى في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقى  
 في العبودية والسجين ثمانين سنة ثم وصل الى أبيه وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا  
 وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم بحقائق الامور ثم قال  
 وقد أحسن بي أي الى يقال أحسن به واليه قال كثير  
 أسبى بنا أو أحسنى لا ملومة \* لدينا ولا مقلية ان قلت

اذ أخر جني من السجن ولم يذكر اخراجه من البئر لوجوه (الاول) انه قال لاخوته  
 لا تريب عليكم اليوم ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك نثريالهم فكان اهماله جاريا مجرى  
 الكرم (الثاني) انه لما خرج من البئر لم يصير ملكا بل صبروه عبدا لما خرج من السجن  
 صبروه ملكا فكان هذا الاخراج أقرب من أن يكون انعاما كاملا (الثالث) انه  
 لما أخرج من البئر وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة المرأة فلما أخرج من السجن وصل  
 الى أبيه واخوته وزالت التهمة فكان هذا أقرب الى المنفعة (الرابع) قال الواحدى  
 النعمة في اخراجه من السجن أعظم لان دخوله في السجن كان بسبب ذنبهم به وهذا  
 ينبغي أن يحمل على ميل الطبع ورغبة النفس وهذا وان كان في محل العفو حق غيره  
 الا انه ربما كان سببا للواخذه في حقه لان حسنات الاراسيات المقربين ثم قال  
 وجاء بكم من البدو وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) في الآية قولان (الاول) جاء بكم  
 من البدو أي من البادية وقال الواحدى البدو بسيط من الارض يظهر فيه الشخص  
 من بعيد وأصله من بدا يبد وبدوا ثم سمي المكان باسم المصدر فيقال بدو وحضرو كان  
 يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش و برة (والقول الثاني) قال ابن عباس رضى  
 الله عنهما كان يعقوب قد تحول الى بدوا سكنها ومنها قدم على يوسف وله بها مسجد تحت  
 جبلها قال ابن التبارى بدوا اسم موضع معروف يقال هو بين شعب وبدوا هما موضعان  
 ذكرهما جميعا كثير فقال

وأنت التي حبيت شعبا الى بدوا \* الى وأوطاني بلاد سواهما

فالبد وعلى هذا القول معناه قصد هذا الموضع الذي يقال له بدوا يقال بدوا القوم يريدون  
 بدوا اذا أتوا بدوا كما يقال غارا القوم غورا اذا أتوا الغور فكان معنى الآية وجاء بكم  
 قصد بدوا وعلى هذا القول كان يعقوب وولده حضر بين لان البدولم يرد به البادية ولكن  
 عنى به قصد بدوا الى ههنا كلامه الواحدى في البسيط (المسئلة الثانية) تمسك أصحابنا  
 بهذه الآية على أن فعل العبد خلق الله تعالى لان خروج العبد من السجن اضافة الى  
 نفسه بقوله اذ أخر جني من السجن ومجيئهم من البدوا اضافة الى نفسه سبحانه بقوله وجاء

والعلام ولذلك اقتصر على استدعاء الاستغفار وأدرجوا ذلك في الاستغفار (قال سوف أستغفر لكم بي انه هو  
 الغفور الرحيم) وهذا مشعر بعفوه قيل آخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة  
 وقيل آخره الى أن يستهل لهم من يوسف عليه الصلاة والسلام أو يعلم أنه قد صفا عنهم فان عفو المظلم

شرط المعفرة وبعضه أنه روى عنه أنه استقبل القبلة قائما يدعو قائم يوسف خليفة يؤمن وقاموا خلفهما أدلة خاضعين  
 لعشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في  
 ولدك وعقد موثيقهم بذلك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد  
 الاستمرار على الدماء فقد روى أنه كان يستغفر كل \* ٢٤٨ \* ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل اقام الى الصلاة

في وقت السحر فالتفت  
 رفع يديه فقال  
 اغفر لي جزعي على  
 يوسف وقلة صبري عنه  
 واغفر لولدي ما أتوا  
 الى أخيم فوحي الله اليه  
 ان الله قد غفر لك ولهم  
 أجمعين ( فلما دخلوا  
 على يوسف) روى أنه  
 وجد يوسف الى ابيه  
 جهازا وما تقي راحلة  
 لتجهز السيه بمن معه  
 فاستقبله يوسف والملك  
 في أربعة آلاف من الجند  
 والعظماء وأهل مصر  
 بأجمعهم فتلقوا يعقوب  
 عليه الصلاة والسلام  
 وهو عيشي متوكئا على  
 يهوذا فنظر الى الخليل  
 والناس فقال يا قوم هذا  
 فرعون مصر قال لا بل  
 ولدك فلما قبده قال عليه  
 الصلاة والسلام السلام  
 عليك يا مذهب الاحزان  
 وقيل قال له يوسف  
 يا أبت بكيت على حتى  
 ذهب بصرك ألم تعلم أن  
 القيامة تجصنا فقال بل  
 ولكنني خشيت أن يسلب

بكم من البدو وهذا صريح في أن فعل العبد بعينه فعل الله تعالى وحمل هذا على ان المراد  
 ان ذلك انما حصل باقدار الله تعالى وتيسره عدول عن الظاهر ثم قال من بعد أن تزغ  
 الشيطان بيني وبين أخوتي وقال صاحب الكشاف تزغ أفسد بيننا وأغوى وأصله من  
 تزغ الراكض الدابة وحملها على الجري يقال تزغه ونسغه اذا نخسه واعلم ان الجبابرة  
 والكهبي والقاضي احتجوا بهذه الآية على بطلان الجبر قالوا لانه تعالى أخبر عن يوسف  
 عليه السلام أنه أضاف الاحسان الى الله وأضاف التزغ الى الشيطان ولو كان ذلك  
 أيضا من الرحمن لوجب أن لا ينسب الا اليه كما في التيم (الجواب) ان اضافة هذا الفعل  
 الى الشيطان مجاز لان عندكم الشيطان لا يتمكن من الكلام الخفي وقد أخبر الله عنه  
 فقال وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فثبت أن ظاهر القرآن  
 يقتضي اضافة هذا الفعل الى الشيطان مع انه ليس كذلك وأيضا فان كان اقدام المرء على  
 المعصية بسبب الشيطان فاقدام الشيطان على المعصية ان كان بسبب شيطان آخر  
 زعم التسلسل وهو محال وان لم يكن بسبب شيطان آخر فليقل مثله في حق الانسان فثبت  
 ان اقدام المرء على الجهل والفسق ليس بسبب الشيطان وليس أيضا بسبب نفسه لان  
 أحدا لا يميل طبعه الى اختيار الجهل والفسق الذي يوجب وقوعه في ذم الدنيا وعقاب  
 الآخرة ولما كان وقوعه في الكفر والفسق لا بد له من موقع وقد بطل القسمان لم يبق  
 الا أن يقال ذلك من الله تعالى ثم الذي يؤكد ذلك أن الآية المتقدمة على هذه الآية  
 وهي قوله اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو صريح في أن الكل من الله تعالى  
 ثم قال ان ربي لطيف لما يشاء والمعنى أن حصول الاجتماع بين يوسف وبين أبيه وأخوته  
 مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفرار البال كان في غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى  
 لطيف فاذا أراد حصول شيء سهل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول ثم قال  
 انه هو العليم الحكيم أعني ان كونه لطيفا في أفعاله انما كان لاجل انه  
 الاعتبار المكنة التي لانهاية لها فيكون طالما بالوجه الذي يسهل تحصيله  
 الصعب وحكيم اي محكم في فعله حاكم في فضائه حكيم في أفعاله مبرأ عن العيب والباطل  
 والله أعلم بقوله تعالى (رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات  
 والارض أنت وابي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) في الآية مسائل  
 ( المسئلة الاولى) روى أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فادخله  
 خزائن الذهب والفضة وخزائن الخلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح فلما أدخله خزائن  
 القراطيس قال يا بني ما أغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى علي ثمان مراحل قال  
 نهاني جبريل عليه السلام عنه قال سله عن السبب قال أنت أبسط اليه فساله فقال جبريل  
 عليه السلام أمرني الله بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني وروى أن  
 يعقوب عليه السلام أقام معه أربعة وعشرين سنة ولما قربت وفاته أوصى اليه أن يدفنه

ونيك في حال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل \* بالشام \*  
 وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهيري  
 وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (أوى اليه أبو به) اي أباه وخالته وتزويلها منزلة الام كنزويل الم منزلة الاب

في قوله عز وجل والذليل ابراهيم واسماعيل واسحق اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام تزويجها بعد اذمة وقال الحسن  
وابن اسحق كانت أمه في الحياة فلا حاجة الى التأويل ﴿ ٢٤٩ ﴾ ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكأنه

عليه الصلاة والسلام  
ضرب في الملتقى مضرباً  
فنزله فدخلوا عليه  
فآواهما اليه ( وقال  
ادخلوا مصر ان شاء  
الله آمين ) من الشدايد  
والمكاره فاطبة والمشيمة  
متعلقة بالدخول على الامس  
( ورفع أبو يه ) عند  
نزولهم بمصر ( على  
العرش ) على السرير تكرمه  
لهم فوق ما فعله لاحوته  
( وخراله ) أي أبواه  
واخوته ( سجدوا ) تحية له  
فانه كان السجود عندهم  
جاء يبحر الحية  
والتكرمة كالقيام  
والمصافحة وتقبيل اليد  
ونحوها من عادات الناس  
الفاشية في التعظيم  
والتوقير وقيل ما كان  
ذلك الانحناء دون تعظيم  
الجباه وبأياه الخرور وقيل  
خرو الاجله سجد الله  
شكروا برده قوله تعالى  
( وقال يا أبت هذا تأويل  
رؤياي ) التي رأيتها  
وقصصتها عليك ( من  
قبل ) في زمن الصا  
( قد حملها في حفا )  
صدقا واقصا بعيند  
والاعتذار بجعل يوسف

بالشام الى جنب أبيه اسحق فضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثاً  
وعشرين سنة فعند ذلك تمى ملك الآخرة فتمى الموت وقيل ماتناهني قبله ولاعهده  
فتوفاه الله طيباً طاهر اقتصاص أهل مصر في دفنه كل أحد يجب أن يدفن في محلتهم حتى  
هو بالقتال فرأوا أن الاصلح أن يعملوا له صندوقاً من مرمر ويجعلوه فيه ويدفنه  
في النيل بمكان يرماء عليه ثم يصل الى مصر لتصل بركته الى كل أحد وولده افرائيم  
وميشاو ولد لافرائيم نون ونون يوشع فتي موسى ثم دفن يوسف هناك الى أن بعث الله  
موسى فأخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر أبيه ( المسئلة الثانية ) من في قوله  
من الملك ومن تأويل الاحاديث للتبويض لانه لم يوثق الا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك  
مصر وبعض التأويل قال الاصم انما قال من الملك لانه كان دون ملك فوجه واعلم أن  
مراتب الموجودات ثلاثة الموتر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والتأثر الذي  
لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانه قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض  
المتضادة فلا يكون لها تأثير في شيء أصلاً وهذا ان القسمان متباعدان جدا ويتوسطهما  
قسم ثالث وهو الذي يؤثر ويتأثر وهو عالم الارواح فخاصية جوهر الارواح أنها تقبل  
الارواح والتصرف عن عالم نور جلال الله ثم انها اذا أقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه  
وأثرت فيه فتعلق الروح بعالم الاجسام بالتصرف والتدبير فيه وتعلقه بعالم الالهيات  
بالعلم والعرفسة وقوله قد آتيتني من الملك اشارة الى تعلق النفس بعالم الاجسام وقوله  
وعلمتني من تأويل الاحاديث اشارة الى تعلقها بحضرة جلال الله ولما كان لانهاية  
لدرجات هذين النوعين في الكمال والنقصان والقوة والضعف والجلال والخفاء امتنع  
أن يحصل منهما اللسان الامتداده فكان الحاصل في الحقيقة بعضاً من أبعاض  
الملك وبعضاً من ابعاض العلم فلهذا السبب ذكر فيه كلمة من لانها دالة على التبويض  
ثم قال فاطر السموات والارض وفيه أبحاث ( البحث الاول ) في تفسير لفظ الفاطر  
بحسب اللغة قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري معنى الفاطر حتى احتكم  
الى اعرابيان في بئر قال أحدهما ما فطرتهما وأنا ابتدأت حفرها قال أهل اللغة أصل  
الفطر في اللغة الشق يقال فطر ناب البعير اذا بدا وفطرت الشيء فانفطر أي شققته فانشق  
وتفطر الارض بالنبات والشجر بالورق اذا تصدعت هذا أصله في اللغة ثم صار عبارة  
عن الابدان لان ذلك الشيء حال عدمه كأنه في ظلمة وخفاء فلما دخل في الوجود صار  
كأنه انشق عن العدم وخرج ذلك الشيء من العدم ( البحث الثاني ) أن لفظ الفاطر قديظن أنه  
عبارة عن تكوّن الشيء عن العدم المحض بدليل الاشتقاق الذي ذكرناه الآن الحق أنه  
لا يدل عليه ويدل عليه وجوه ( أحدها ) أنه قال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم بين  
تعالى أنه انما خلقها من الدخان حيث قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فبدل على ان  
لفظ الفاطر لا يفيدناه أحدث ذلك الشيء من العدم المحض ( وثانيها ) انه تعالى قال فطرة

بمنزلة القبلة وجعل اللام كافي قوله ﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ خا \* أليس أول من صلى لقبلكم \* تعسف لا يخفى وأخيره عن الرفع  
على العرش ليس ينص في ذلك لان الترتيب المذكور لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فعمل تأخيره عنه ليصل به ذكر  
كونه تعبيراً رؤياه وما يتصل به من قوله





قال أنت أبسط اليه مني فما لقل جبريل الله تعالى أمرني بذلك تقولك أخاف أن ياكله الذئب قال فهل لا تخفني وروى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعين يوماً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب

أبيه اسحق فغضى بنفسه ودفنه ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له تآقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمتى الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعضائه عظيمًا وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) أي بعضائه من ذلك كذلك أن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالترتيب ظاهر وأمان أريد به تعليم تعبير الروايات كما هو الظاهر فاعل تقديم آتيا الملك عليه في الذكر لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وإن كان ذلك أيضًا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكن فإن حل على معنى التملك

الإنسانية على ما بيناه في أن يكون عالمًا لا يتكلم وفي أن يكون ملكًا وملكًا متصرفًا في الجسمانيات وذاكرًا في حركاتها في هذين النوعين غير متناهية والكمال المطلق فيهما ليس إلا الله وكل ما دون ذلك فهو ناقص والناقص إذا حصل له شعور بنقصه وذائق لذة الكمال المطلق بقي في القلق والمطلب وإذا كان الكمال المطلق ليس إلا الله وما كان حصوله للإنسان متمتعًا لم أن يبقى الإنسان أبدًا في قلق المطلب وألم التعب فإذا عرف الإنسان هذه الحالة عرف أنه لا سبيل له إلى دفع هذا التعب عن النفس إلا بالموت فحينئذ يتمنى الموت (والسبب الثاني) لتمنى الموت أن الخطباء والبلغاء وأن أطنبوا في ممدمة الدنيا إلا أن حاصل كلامهم يرجع إلى أمور ثلاثة (أحدها) أن هذه السعادات سريعة الزوال مسرفة على الفناء والألم الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجودها (وثانيها) أنها غير خالصة بل هي ممزوجة بالنقصات والمكدرات (وثالثها) أن الأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها بل ربما كان حصص الأراذل أعظم بكثير من حصص الأفاضل فهذه الجهات الثلاثة منفردة عن هذه اللذات ولما عرف العاقل أنه لا سبيل إلى تحصيل هذه اللذات إلا مع هذه الجهات الثلاثة المنفردة لا جرم يتمنى الموت ليتخلص عن هذه الآفات (والسبب الثالث) وهو الأقوى عند المحققين رحمة الله أجمعين أن هذه اللذات الجسمانية لا حقيقة لها وإنما حاصلها دفع الآلام فلذة الأكل عبارة عن دفع ألم الجوع ولذة الوقاع عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب الدغدغة المتولدة من حصول المنى في أوعية المنى ولذة الإمارة والرياسة عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب شهوة الانتقام ومطلب الرياسة وإذا كان حاصل هذه اللذات ليس إلا دفع الألم لا جرم صارت عند العقلاء حقيرة خسيصة نازلة ناقصة وحينئذ يتمنى الإنسان الموت ليتخلص عن الاحتياج إلى هذه الأحوال الخسيصة (والسبب الرابع) أن مداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة أنواع لذة الأكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أمالذة الأكل ففيها عيوب (أحدها) أن هذه اللذات ليست قوية فإن الشعور بألم القواقع الشديد والعياذ بالله منه أشد من الشعور باللذة الحاصلة عند أكل الطعام (وثانيها) أن هذه اللذة لا يمكن بقاؤها فإن الإنسان إذا أكل شبع وإذا شبع لم يبق شوقه للتذوق بالأكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية (وثالثها) أنها في نفسها خسيصة فإن الأكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبراق المجتمع في الغم ولا شك أنه شيء منفر مستقدر ثم لا يصل إلى المعدة تظهر فيه الاستحالة إلى الفساد والنتن والعفونة وذلك أيضًا منفر (ورابعها) أن جميع الحيوانات الخسيصة مشاركة فيها فإن الروث في مذاق الجمل كاللوزنج في مذاق الإنسان وكان الإنسان يكره تناول غذاء الجمل فكذلك الجمل يكره تناول غذاء الإنسان وأم اللذة مشتركة فيما بين الناس (وخامسها) أن الأكل إنما يطيب عند اشتداد الجوع وتلك حاجة شديدة والحاجة نقص وافر (وسادسها) أن الأكل يستحق عند

لزم تأخره عنه وأما الواقع ههنا فجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود (فاطر السموات والأرض) مبدعهما وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادي أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالبوية مبالغة في ترتيب مبادئ ما يقبضه من قوله (أنت وإبي) مالك أمور

(في الدنيا والآخرة) أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذا قد أتممت على نعمتي الدنيا (توفني) لا قبضتي (مسلموا الحقني بالصالحين) من آياتي أو بامانة الصالحين في الرتبة والكرامة ﴿ ٢٥٢ ﴾ فانما تتم النعمة بذلته قبل ما دعا توفاه الله

العقلاء قيل من كانت همته ما يدخل في بطنه فقيمه ما يخرج من بطنه فهذا هو الاشارة  
المختصرة في معاييب الاكل وأماندة النكاح فكل ما ذكرناه في الاكل حاصل ههنا مع  
أشياء أخرى، وهي ان النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكثر الاشخاص فتكثر الحاجة  
الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيان في طلب المال بطرق لانها يبتلها وير بما صار  
هالكا بسبب طلب المال وأماندة الرياسة فعيوبها كثيرة والذي نذكره ههنا سبب واحد  
وهو ان كل أحد يكره بالطبع أن يكون خادما مأمورا ويجب أن يكون مخدوما أمرا فإذا  
سعى الانسان في أن يصير رئيسا أمرا كان ذلك دالا على مخالفة كل ما سواه فكانت  
ينازع كل الخلق في ذلك وهو يحاول تحصيل تلك الرياسة وجميع أهل الشرق والغرب  
يحاولون ابطاله ودفعه ولا شك ان كثرة الاسباب توجب قوة حصول الاثر وإذا كان كذلك  
كان حصول هذه الرياسة كالتعذر ووحصل فانه يكون على شرف الزوال في كل حين  
وأوان بكل سبب من الاسباب وكان صاحبها عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال  
وعند زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال واعلم ان الماقل اذا  
تأمل هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب هذه اللذات والسعي في هذه الخيرات  
البنية ثم ان النفس خلقت مجبولة على طلبها والعشق الشديد عليها والرغبة التامة  
في الوصول اليها وحينئذ يتعدها قياس وهو ان الانسان مادام يكون في هذه الحياة  
الجسمانية فانه يكون طالبا لهذه اللذات ومادام يطلبها كان في عين الآفات وفي لجة  
الحسرات وهذا اللازم مكروه فاللزام أيضا مكروه فحينئذ يتجنى زوال هذه الحياة  
الجسمانية والسبب في الامور المرغوبة في الموت ان موجبات هذه اللذة الجسمانية  
متكررة ولا يمكن الزيادة عليها والتكرير يوجب الملالة اما سعادات الآخرة فهي أنواع  
كثيرة غير متناهية (قال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله عليه) وهو مصنف هذا الكتاب  
أنار الله برهانه انما صاحب هذه الحالة والمتوغل فيها واوقعت الباب وبالغت في عيوب  
هذه اللذات الجسمانية فر بما كتبت المجلدات وما وصلت الى القليل منها فلم هذا السبب  
صرت مواظبا في أكثر الاوقات على ذكر هذا الذي ذكره يوسف عليه السلام وهو قوله  
رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي  
في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين (المسئلة الثالثة) تمسك أصحابنا في بيان  
ان الايمان من الله تعالى بقوله توفني مسلما وتقريره ان تحصيل الاسلام وابقائه اذا كان  
من العبد كان طلبه من الله فاسدا وتقريره كأنه يقول افعل يا من لا يفضل والمعتزلة أبدا  
يشنعون علينا ويقاؤون اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز أن يقال للعبد افعل مع  
انك لست فاعل له فحين نقول ههنا أيضا اذا كان تحصيل الايمان وابقاؤه من العبد لا من  
الله تعالى فكيف يطلب ذلك من الله قال الجبائي والكهبي معناه اطلب اللطف لي  
في الاقامة على الاسلام الى أن اموت عليه فهذا الجواب ضئيف لان السؤال وقع على

عز وجل طيبا طاهرا  
فتخاصم أهل مصر  
في دفته وتشاوحا في ذلك  
حتى هموا بالقتال فرأوا  
أن يصنعوا له تابوتا من  
مرمر فجعلوه فيه ودقوه  
في الثيل لير عليه ثم يصل  
الى مصر ليكونوا شرعا  
واحد في التبرك به وولده  
افرايم وميشا ولا فر ايم  
نون ولنون يوشع فتى موسى  
عليه الصلاة والسلام  
وقد تورثت الفرعنة  
من العمالة بعده مصر  
ولم يرزل بنو اسرائيل تحت  
أيديهم على بقايا دين  
يوسف وآبائه الى أن بعث  
الله تعالى موسى عليه  
الصلاة والسلام (ذلك)  
اشاره الى ما سبق من نيا  
يوسف وما فيه من معنى  
الجد لما مر مرارا من  
الدلالة على بمد منزله  
او كونه بالانقضاء في حكم  
العميد والخطاب للرسول  
صلى الله عليه وسلم وهو  
مبتدأ خبره (من أبناء  
الغيب) الذي لا يحوم  
حواله أحد وقوله (نوحيه  
اليك) خبر بعد خبر أو حال  
من الضمير في الخبر ويجوز  
أن يكون ذلك اسما

موصولاً ومن أبناء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك (وما كنت لديهم) يداخوة ﴿ الاسلام ﴾  
يوسف عليه الصلاة والسلام (إذا جمعوا أمرهم) وهو جعلهم اياه في غيابة الجب (وهم يمكرون) وهو ينفوز له  
الفوائد حتى تقف على ظواهر أسرارهم

و بواطنها وأطلع على سرائرهم طرا وتحيط بالديهم خيرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام  
في مشهد اجاعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ﴿٢٥٣﴾ أيضا وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة

وأخى احوالها كما ينبغي  
عنه قوله وهم يكفرون  
والخطاب وان كان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لكن المراد الزام  
المكذبين والمعنى ذلك  
من أنباء الغيب نوحيه  
إليك إذ لا سبيل إلى  
معرفة ما سوى ذلك  
إذ عدم سماعك ذلك  
من الغيب وعدم مطالعتك  
للكتاب أمر لا يشك فيه  
المكذبون أيضا ولم تكن  
بين ظهرانيهم عند  
وقوع الأمر حتى تعرفه  
كما هو فتلغظه إليهم وفيه  
تهكم بالكفار فكانهم  
يشكون في ذلك فيدفع  
شكهم وفيه أيضا إيدان  
بأن ما ذكر من النباهو  
الحق المطابق للواقع  
وما ينقله أهل الكتاب  
ليس على ما هو عليه يعني  
أن مثل هذا التحقيق  
بلا وحى لا يتصور  
الإبلا بحضور والمشاهدة  
وإذ ليس ذلك بالحضور  
فهو بالوحى ومثله قوله  
تعالى وما كنت لديهم  
إذ يلقون أقلامهم أيهم  
يكفل مريم قوله وما كنت  
بجانب الغربي إذ قضينا  
إلى موسى الأمر (وما أكثر

الاسلام فعمله على اللطف عدول عن الظاهر وأيضا كل ما في المقدور من الاطراف فقد  
فعله فكان طلبه من الله محالا (المسئلة الرابعة) لقائل أن يقول الانبياء عليهم السلام  
يعلمون انهم يموتون لا بحالة على الاسلام فكان هذا الداء حاصلا طلب تحصيل الحاصل  
وانه لا يجوز (والجواب) أحسن ما قيل فيه ان كمال حال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى  
على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن  
النفس منشرح الصدر منفتح القلب في هذا الباب وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي  
هو ضد الكفر فالطلب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) ان يوسف عليه  
السلام كان من اكابر الانبياء عليهم السلام والصلاح أول درجات المؤمنين فالواصل  
إلى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من  
المفسرين يعني بأنه إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والمعنى ألحقني بهم في نوابهم  
ومراتبهم ودرجاتهم وههنا مقام آخر من تفسير هذه الآية على لسان أصحاب  
المكاشفات وهو أن النفوس المغارقة إذا أشرفت بالانوار الالهية واللوامع القدسية  
فإذا كانت متناسبة متشاكلة انعكس النور الذي في كل واحدة منها إلى الأخرى بسبب  
تلك الملازمة والمجانسة فتعظم تلك الانوار وتقوى تلك الاضواء ومثال تلك الاحوال  
المرآة الصقيلة الصافية إذا وضعت وضامت أشرفت الشمس عليها انعكس الضوء من كل  
واحدة منها إلى الأخرى فهناك يقوى الضوء ويكمل النور وينتهي في الاشراق والبريق  
والمعان إلى حد لا تطيقه العيون والابصار الضعيفة فكانها هنا \* قوله تعالى (ذلك من  
أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يكفرون) اعلم ان قوله ذلك  
رفع بالابتداء وخبره من أنباء الغيب ونوحيه إليك خبر ثان وما كنت لديهم أي ما كنت  
عند اخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم أي عزموا على أمرهم وذكرنا الكلام في هذا اللفظ  
عند قوله فاجمعوا أمرهم وقوله وهم يكفرون أي يوسف واعلم ان المقصد من هذا الخبر  
عن الغيب فيكون معجزا بيان انه اخبار عن الغيب ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما طاع  
الكتب ولم يتخذ لاحد وما كانت البلدة بلدة العلاء فأتياه بهذه القصة الطويلة على  
وجه لم يقع فيه تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير أن يقال انه كان حاضرا  
معهم لا بد وأن يكون معجزا وكيف لا يكون معجزا وقد سبق تقرير هذه المقدمة في هذا  
الكتاب مرارا وقوله وما كنت لديهم أي وما كنت هناك ذكر على سبيل التهكم بهم لان  
كل أحد يعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم \* قوله تعالى (وما أكثر الناس ولو  
حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات  
والارض يرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون  
أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون) اعلم ان  
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة

الناس) يريد به العموم أو أهل مكة (واحرصت) أي على آياتهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة  
على صدقك (بمؤمنين) لتصميمهم على الكفر واصرارهم على الضاد روى ان اليهود قرأوا ما سألوا عن قصة  
يوسف وعدوا أن يسألوا فلما أخبرهم بها علموا موافقة التوراة فلم يسألوا جرن النبي

صلى الله عليه وسلم قبيل له ذلك (وماتسألهم عليه) أي على الأبناء أو على القرآن (من اجر) من جعل كتابه  
 حجة الأخبار (ان هو الاذكر) عظمة من الله تعالى ﴿ ٢٥٤ ﴾ (للعالمين) كافة لأن ذلك مخصص بهم (وكتابين

من آية) أي كأي عدد  
 شئت من الآيات  
 والعلامات الدالة على  
 وجود الصانع ووحدته  
 وكال علمه وقدرته وحكمه  
 غير هذه الآية التي جئت  
 بها ( في السموات  
 والارض) أي كآنة  
 فيهما من الاجرام  
 الفلكية وما فيها من  
 التجوم وتغير أحوالها  
 ومن الجبال والبحار  
 وسائر ما في الارض من  
 العجائب الفاتحة للحصر  
 (أيمرون عليها) أي  
 يشاهدونها ولا يعجزون  
 بها وقرى برقع الارض  
 على الابتداء ويمرون  
 خبره وقرى ينصبها  
 على معنى ويطؤون الارض  
 يمرون عليها وفي مصحف  
 عبد الله والارض يشون  
 عليها والمراد ما يرون فيها  
 من آثار الامم الهالكة وغير  
 ذلك من الآيات والعبر  
 ( وهم عنها معرضون)  
 غير ناظرين اليها  
 ولا متفكرين فيها  
 ( وما يؤمن أكثرهم بالله)  
 في اقرارهم بوجوده  
 وخالفينه ( الا وهم  
 مشركون) بعبادتهم  
 لغيره أو باتخاذهم الاخبار

والرهبان اربابا أو بقواهم باتخاذهم تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿ والارض ﴾  
 أو بالنور والظلمة وهي جلة حالبة أي لا يؤمن أكثرهم الا في حال شركهم قبل نزلت الآية في أهل مكة وقيل  
 في المنافقين وقيل في أهل الكتاب ( أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أي عقوبة

تفشاها وتشلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقية علامة (وهم لا يشعرون) بإياتها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلي) وهي الدعوة إلى التوحيد ﴿ ٢٥٥ ﴾ والابتن بالاخلاص وفسرها بقوله (أدعو إلى الله

على بصيرة) بيان وجهة واضحة غير عمياء أو هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة (أنا) تأكيد للمستكن في أدعوا وعلى بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (سبحان الله وما أنا من المشركين) مؤكداً لما سبق من الدعوة إلى الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) رد لقولهم لو شاء الله لازلزل ملائكة (نوحى إليهم) كما أوحينا إليك وقرئ بالياء (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحل وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة (أفلم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك (ولدار الآخرة) أي الساعة أو الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصي (أفلا تعقلون) فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت

والارض بالرفع على انه مبتدأ ويرون عليها خبره وقرأ السدى والارض بالنصب على تقدير أن يفسر قوله يرون عليها بقولنا يطوفونها وفي مصحف عبد الله والارض يسون عليها برفع الارض اما قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فالعنى انهم كانوا مقرين بوجود الاله بديل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الا انهم كانوا يثبتون له شريكاً في العبودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقها وعنه أيضاً انه قال نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب لانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هولك تملكه ومملكه وعنه أيضاً ان اهل مكة قالوا لله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فم يوحدهوا بل أشركوا وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاءنا عنده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعن ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهو لاء أربابنا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه واحتجت الكرامية بهذه الآية على ان الايمان عبارة عن الاقرار باللسان فقط لانه تعالى حكم بكونهم مؤمنين مع انهم مشركون وذلك يدل على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار باللسان وجوابه معلوم اما قوله أو آمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي صقوبة تغشاها وتبسط عليهم وتغمرهم أو تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة وبغتة نصب على الحال يقال بغتهم الامر بغتاً وبغتة اذا فاجأهم من حيث لم يتوقعوا وقوله وهم لا يشعرون كأننا كيد لقوله بغتة \* قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) قال المفسرون قل يا محمد لهم هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي ومنهاجى وسمى الدين سبيلاً لانه الطريق الذى يوصل إلى الثواب ومثله قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك واعلم ان السبيل في أصل اللغة الطريق وشبهوا المعتقدات بها لما ان الانسان يمر عليها إلى الجنة ادعوا إلى الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سبيلى وطريقى وسيرة أتباعى الدعوة إلى الله لان كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دما بمقدار وسعه إلى الله وهذا يدل على ان الدعاء إلى الله تعالى انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين فان لم يكن كذلك فهو محض الغرور وقال عليه الصلاة والسلام العلماء أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه وقيل أيضاً يجوز أن ينقطع الكلام عند قوله ادعوا إلى الله ثم ابتداء وقال على بصيرة أنا ومن اتبعني وقوله وسبحان الله عطف على قوله هذه سبيلي أي قل هذه سبيلي وقل سبحان الله تزيها لله عما يشركون وما أنا من المشركين الذين اتخذوا مع الله ضدًا وندا وكفوا أو ولدوا وهذه الآية تنل على ان حرفة الكلام وعلم الاصول حرفة الانبياء عليهم السلام وان الله ما بعثهم إلى الخلق الا لاجلها \* قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار

قل (حتى اذا استأس الرسل) غاية لتحذوف دل عليه السياق أى لا يغرنهم مما دعيهم فياهم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد أمهلوا حتى ايس الرسل عن التصرع عليهم في الدنيا وعن ايمانهم لانها كهم في الكفر ومما دعيهم في الطغيان

صلى الله عليه ووطنوا انهم قد كذبوا ( كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم  
حجة الاخبار ) وبالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب \* ٢٥٦ \* والعداوة من الكفاز وانتظار النصر  
من آية ) أ تعالی قد نطاولت

الأخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون اعلم انه قرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون والباقون  
بالباء أفلا يعقلون قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورواية حفص عن عاصم تعقلون بالتاء  
على الخطأ والباقون بالياء على الغائب واعلم ان من جملة شبه مشكوى ثبوته عليه  
الصلاة والسلام ان الله لو أراد ارسال رسول لبعث ملكا فقال تعالى وما أرسلنا من قبلك  
الارجالا نوحى اليهم من أهل القرى فلما كان الكل هكذا فكيف تعجبوا في حقك يا محمد  
والآية تدل على أن الله ما بعث رسولا الى الخلق من النسوان وأيضا لم يبعث رسولا من  
أهل البادية قال عليه الصلاة والسلام من بدأ جفا ومن اتبع الصيد غفل ثم قال أفلم  
يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة وقوله ولدار الآخرة خير والمعنى  
دار الحالة الآخرة لان الناس حائثين حال الدنيا وحال الآخرة ومثله قوله صلاة الاولى  
أى صلاة الغريضة الاولى وأما بيان ان الآخرة خير من الاولى فقد ذكرنا دلالته مرارا  
\* قوله تعالى ( حتى اذا استأيس الرسل ووطنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء  
ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ) اعلم أنه قرأ عاصم وحزن والكسائي كذبوا بالتخفيف  
وكسر الدال والباقون بالتشديد ومعنى التخفيف من وجهين ( أحدهما ) ان الظن واقع  
بالقوم أى حتى اذا استأيس الرسل من ايمان القوم فظن القوم ان الرسل كذبوا فيما  
وعدوا من النصر والظفر فان قيل لم يجر فيما سبق ذكر المرسل اليهم فكيف يحسن عود  
هذا الضمير اليهم قلنا ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى  
في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان طائفة الذين من قبلهم فيكون الضمير  
شائدا الى الذين من قبلهم من مكذبي الرسل والظن ههنا بمعنى التوهم والحسبان ( والوجه  
الثاني ) أن يكون المعنى ان الرسل ظنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا وهذا التأويل منقول  
عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا وانما كان الامر كذلك لاجل  
ضعف البشرية الا انه بعيد لان المؤمن لا يجوز أن يظن بالله الكذب بل يخرج بذلك عن  
الايمن فكيف يجوز مثله على الرسل وأما قرأة التشديد فقيها وجهان ( الاول ) أن الظن  
بمعنى اليقين أى وأيقنوا ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر منهم الايمان بعد ذلك فحينئذ  
دعوا عليهم فهناك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال وورود الظن بمعنى العلم  
كثير في القرآن قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم أى يتيقنون ذلك ( والثاني ) أن  
يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير حتى اذا استأيس الرسل من ايمان قومهم فظن الرسل  
ان الذين آمنوا بهم كذبوهم وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو احسن  
الوجوه المذكورة في الآية روى ان ابن أبي مليكة نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه  
قال وظن الرسل انهم كذبوا لانهم كانوا بشر الا ترى الى قوله حتى يقول الرسول والذين  
آمنوا معه من نصر الله قال فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فأنكرته وقالت ما وعد الله  
محمد صلى الله عليه وسلم شيئا الا وقد علم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا

شئ  
رعدت حتى استشعروا  
القسوط وتوهموا  
أن لانصرهم في الدنيا  
( جاءهم نصرنا ) فحجة  
وعن ابن عباس رضى الله  
تعالى عنهما ووطنوا انهم  
قد أحلقوا ما وعدهم الله  
من النصر فان صح ذلك  
عنه فقله أراد بالظن  
ما خطر بالبال من شبه  
الوسوسة وحديث النفس  
وانما عبر عنه بالظن  
تمهيدا للخطب وأما الظن  
الذى هو ترجيح أحد  
الجانبيين على الآخر  
فلا يتصور ذلك من أحاد  
الامة فاظنك بالانبياء  
عليهم الصلاة والسلام  
وهم هم ومنزلهم في معرفة  
شؤون الله سبحانه منزلتهم  
وقيل الضمير ان الرسل  
اليهم وقيل الاول لهم  
والثاني للرسل وقرئ  
بالتشديد أى ظن الرسل  
أن القوم كذبوهم  
فيما وعدوهم وقرئ  
بالتخفيف على بناء الفاعل  
على أن الضمير ان الرسل  
أى ظنوا انهم كذبوا عند  
قومهم فيما حد ثوابه  
لما راخى عنهم ولم يروا له

أثرا أو على أن الاول لقومهم ( فنجي من نشاء ) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فنجي على لفظ \* من \*  
المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجيا ( ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ) اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم  
المشيئة ( لقد كان في قصصهم ) أى قصص

الانبياء وأسمهم وينصحه قراءة من قرأ يكسر ﴿٢٥٧﴾ القاف أو قصص يوسف واخوته (عبارة لاولى الابواب)

لذوي العقول المبرأة عن  
شوائب أحكام الحس  
( ما كان ) أى القرآن  
المدلول عليه بما سبق  
دلالة واضحة (حديثنا  
يفترى ولكن ) كان  
(تصديق الذى بين يديه)  
من الكتب السماوية  
وقرى بالرفع على أنه  
خبر مبتدأ محذوف  
أى ولكن هو تصديق  
الذى بين يديه (وتفصيل  
كل شئ) مما يحتاج اليه  
في الدين اذ ما من أمر ديني  
الا وهو يستند الى القرآن  
بالذات أو بوسط  
(وهدى) من الضلالة  
(ورحة) ينال بها خير  
الدارين (لقوم يؤمنون)  
أى يصدقونه لانهم  
المنتفعون به وأما من  
عدهم فلا يهدون  
بهدها ولا ينتفعون  
بجداوه \* عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
علموا أرفاهكم سورة يوسف  
فانه أياما سلم تلالها وعلمها  
أهلها وما ملكت يمينه  
هون الله عليه سكرات  
الموت وأعطاه القوة  
أن لا يحسد مسلما

من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم وهذا الرد والتأويل في غاية الحسن من عائشة  
وأما قوله جاءهم نصرنا أى لما بلغ الحال الى الحد المذكور جاءهم نصرنا فبحسب من نشاء قرأ  
عاصم وابن عامر قجى من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وقبح الياء على ما لم يسم فاعله  
واختاره أبو عبيدة لانه في المصحف بنون واحدة وروى عن الكسائي ادغام احدى  
التونين فالأخرى وقرأ بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء قل بعضهم هذا خطأ  
لان التون مخرجة فلاتدغم في الساكن ولا يجوز ادغام التون في الجيم والباقون بنونين  
وتخفيف الجيم وسكون الياء على الاستقبال على معنى ونحن نفعل بهم ذلك وأعلم ان هذا  
حكاية حال الأثرى ان القصة فيما مضى وانما حكى فعل الحال كما ان قوله هذا من شيعته  
وهذا من عدوه اشارة الى الحاضر والقصة ماضية \* قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة  
لاولى الابواب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى  
ورحة لقوم يؤمنون ) اهل ان الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم الى الطرف  
المجهول والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بقصصهم أمور (الاول) ان الذى  
قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الحب واعلانه بعد حبسه في السجن وتمليك مصر بعد  
ان كانوا يظنون به انه عبد لهم وجمعه مع والديه واخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة  
لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلانه كلفه (الثاني) ان الاخبار عنه جار مجرى  
الاخبار عن الغيب فيكون مجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الثالث) أنه  
ذكر في أول السورة نحن نقص عليك أحسن القصص ثم ذكر في آخرها لقد كان في قصصهم  
عبرة لاولى الابواب تنبيهها على ان حسن هذه القصة انما كان بسبب انه يحصل منها العبرة  
ومعرفة الحكمة والقدرة والمراد من قصصهم قصة يوسف عليه السلام واخوته وأبيه  
ومن الناس من قال المراد قصص الرسل لانه تقدم في القرآن ذكر قصص سائر الرسل الا ان  
الاولى أن يكون المراد قصة يوسف عليه السلام فان قيل لم قال عبرة لاولى الابواب مع ان  
قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ذوى عقول وأحلام وقد كان الكثير منهم لم يعتبر بذلك  
قلنا ان جميعهم كانوا متمكين من الاعتبار والمراد من وصف هذه القصة بكونها عبرة  
كونها بحيث يمكن أن يعتبر بها العاقل أو نقول المراد من أولى الابواب الذين اعتبروا  
وتفكروا وتأملوا فيها وانتفعوا بعرفتها لان أولى الابواب لفزيد على المدح والثناء فلا  
يليق الا بما ذكرناه واهل انه تعالى وصف هذه القصة بصفات (الصفة الاولى) كونها  
عبرة لاولى الابواب وقد سبق تقريره (الصفة الثانية) قوله ما كان حديثا يفترى وفيه قولان  
(الاول) ان المراد الذى جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفترى لانه لم يقرأ  
الكتب ولم يتلذذ احد ولم يخاطب الطامع المحال أن يفترى هذه القصة بحيث تكون مطابقة  
لما ورد في التوراة من غير تفاوت (والثاني) ان المراد انه ليس بكذب في نفسه لانه لا يصح  
الكتب منه ثم انه تعالى أكد كونه غير مفترى فقال ولكن تصديق الذى بين يديه وهو

\* (سورة الرعد مدنية وقيل مكة الاقواله ويقول الذين كفروا الاية وايها حسن واز يعنون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) اسم للسورة ومحلها اما الرفع على (٢٥٨) انه خبر ليدل على ان هذه السورة مسماة بهذا

اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة وسائر الكتب الالهية ونصب تصديقاً على تقدير ولكن كان تصديق الذي بين يديه كقوله تعالى ما كان محمد اباً احد من رجالكم ولكن رسول الله قاله القراء والزجاج ثم قال ويجوز رفعه في قياس النصب على معنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه (والصفة الثالثة) قوله وتفصيل كل شئ وفيد قولان (الاول) المراد وتفصيل كل شئ من واقعة يوسف عليه السلام مع أيه واخوته (والثاني) انه طأدالى كل القرآن كقوله ما فرطنا في الكتاب من شئ فان جعل هذا الوصف وصفا لكل القرآن ألبق من جعله وصفا لقصة يوسف وحدها ويكون المراد ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بلدين قال الواحدي على التفسيرين جفافه ومن العام الذي أريده الخاص كقوله ورحتى وسعت كل شئ ير يد كل شئ يجوز أن يدخل فيها وقوله وأوتيت من كل شئ (الصفة الرابعة والخامسة) كونها هدى في الدنيا وسببا لحصول الرحمة في القيامة لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم هم الذين اتبعوا به كما قررناه في قوله هدى للمتقين والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قال المصنف رحمه الله تعالى ثم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الاربعاء السابع من شعبان ختم بالخير والرضوان سنة احدى وستائة وقد كتبت ضيق الصدر جدا بسبب وفاة الولد الصالح محمد نعمة الله بالرحمة والفران وخصه بدرجات الفضل والاحسان وذكرت هذه الايات في مرثيته على سبيل الايجاز

فلو كانت الاقدار منقادة لنا \* فدينك من جاك بالروح والجسم  
ولو كانت الاملاك تأخذ رشوة \* خضعنا لها بالرق في الحكمة والاسم  
ولكنه حكم اذا حان حينه \* سرى من مقر العرش في لجة اليم  
سأبكي عليك العمر بالدم دائما \* ولم أنحرف عن ذائق الكيف والكم  
سلام على قبرد فنت بتر به \* وأتحفك الرحمن بالكرم الجهم  
وما صدني عن جعل جفني مدفنا \* لجسمك الا انه أبدا يهيمى  
وأقسم ان مسوار فاني ورمي \* احسوا بنار الحزن في مكنم العظم  
حياتي وموتى واحده بعدكم \* بل الموت أولى من مداومة الغم  
رضيت بما أمضى الاله بحكمه \* لعلى بانى لا يجاوزنى حكي

وأنا أوصى من طالع كتابى واستفاد مافيه من الفوائد النفيسة العالمة أن يخص ولدى  
ويخصنى بقراءة القائمة ويدعو لمن قدمات في غربة يبيد اعن الاخوان والاب والام  
بالرحمة والمغفرة فاني كنت أيضا كثير الدماء لمن فعل ذلك في حقي وصلى الله على سيدنا محمد  
وأله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين والحمد لله رب العالمين

\* (سورة الرعد أربعون وثلاث آيات مكة)

سوى قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارحاً وقوله ومن عند علم

الاسم وهو أظهر من  
الرفع على الابتداء اذ لم  
يسبق العلي بالتسمية كما مر  
مراراً وقوله تعالى (تلك)  
على الوجه الأول مبتدأ  
مستقل وعلى الوجه  
الثاني مبتدأ ثان أو بدل  
من الاول أشير به اليه  
ايدانا بفخامته وأما  
النصب بتقدير فعل  
يناسب المقام نحو اقرأ  
أو اذكر فتلك مبتدأ كما  
اذا جعل المرسودا  
على نمط التعديداً وبمعنى  
أن الله أعلم وأرى على  
ماروى عن ابن عباس  
رضي الله عنهما والخبر  
على التقادير قوله تعالى  
(آيات الكتاب) أى  
الكتاب المحيى الكامل  
الغنى عن الوصف به  
المعروف بذلك من بين  
الكتب الحقيقية باختصاص  
اسم الكتاب به فهو  
عبارة عن جميع القرآن  
أو عن اجمع المنزل حيث  
حسبنا من في مطلع سورة  
يونس اذ هو المتبادر  
من مطلق الكتاب  
المستغنى عن التعتوبه  
يظهر ما أريده من وصف  
الآيات بوصف ما أضيف

اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الكتاب الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا يد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس (والذي



أنزل اليك من ربك أي الكتاب المذكور بكماله لاجله السورة وحدها (الحق) الثابت المطابق للواقع في كل مناطق به  
الحق بأن يخص به الحقيقة لمرافقه فيها وليس ﴿ ٢٥٩ ﴾ فيه ما يدل على أن ما عداه ليس بحق أصلا على أن حقيقته

مستتعة لحق سائر  
الكتب السماوية لتكونه  
مصداقا لما بين يديه  
ومهيما عليه وفي التعبير  
عنه بالوصول واسناد  
الانزال اليه بصيغة المبني  
للمفعول والتعرض  
لوصف الربوية مضافا  
الى ضميره عليه السلام  
من الدلالة على فخامة  
المزلة الثالثة لجلالة شأن  
المزلة وتفسير الميزل  
اليه والايحاء الى وحده بناء  
الخبر مما لا يخفى (ولكن  
أكثر الناس لا يؤمنون)  
بذلك الحق المسين  
لاخلالهم بالظن والتأمل  
فيه فعدم ايمانهم متعلق  
بعنوان حقيقته لانه المرجع  
للتصديق والتكذيب  
لا بعنوان كونه منزلا  
كما قيل ولانه وارد على  
طريقة الوصف دون  
الاخبار (الله الذي رفع  
السماوات) أي خلقهن  
مرتفعات على طريقة  
قولهم سبحان من كبر  
القبيل وصغرا بعوض  
لأنه رخصها بعد أن لم  
تكن كذلك والجملة  
مبتدأ وخبر كقوله وهو  
الذي مد الارض (يعبر

الكتاب قال الاصم هي مدينة بالاجماع سوى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال  
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ المرتكبات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن  
أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم ان انا قد تكلمنا في ههنا الإلتفات قال ابن عباس رضي الله  
عنهما معناه ان الله اعلم وقال في رواية عطية ان الله الملك الرحمن وقد أمالها أبو عمرو  
والكسائي وغيرهما وضمها جماعة منهم حاصم وقوله تلك اشارة الى آيات السورة المسماة  
بالمزلة قال انها آيات الكتاب وهذا الكتاب الذي أعطاه محمد بأن ينزله عليه ويجعله باقيا  
على وجه الدهر وقوله والذي أنزل اليك من ربك مبتدأ وقوله الحق خبره ومن الناس من  
تمسك بهذه الآية في نفي القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله  
والالكان من لم يحكم به كافر قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون  
وبالاجماع لا يكفر فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله واذا كان كذلك  
وجب ان لا يكون حقا لاجل ان قوله والذي أنزل اليك من ربك الحق يقتضي انه لاحق  
الاما أنزله الله فكل ما لم ينزله الله وجب أن لا يكون حقا واذا لم يكن حقا وجب أن يكون  
باطلا لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا للضلال ومثبتوا القياس يجبون عنه بأن الحكم  
المثبت بالقياس نازل أيضا من عند الله لانه لما أمر بالعمل بالقياس كان الحكم الذي دل  
عليه اقياس نازلا من عند الله ولما ذكر تعالى ان المزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو  
الحق بين ان أكثر الناس لا يؤمنون به على سبيل الجزم والتهديد \* قوله تعالى (الله الذي  
رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري  
لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم تلتقوا ربكم توفنون) اعلم انه تعالى لما ذكر  
ان أكثر الناس لا يؤمنون ذكر ضميره ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الآية  
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الله مبتدأ والذي رفع السموات  
خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز أن يكون الذي رفع السموات صفة وقوله  
يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وقال الواحدى العمدة الاساطين وهو جمع عماد  
يقال عماد وعمد مثل اهاب وأهب وقال الفراء العمدة والعمد جمع العمود مثل أديم وادم  
وادم وقضيم وقضم وقضم والعماد والعمود ما يعمد به الشيء ومنه يقال فلان عماد قومه  
اذا كانوا يعتمدونه فيما بينهم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى استدل بأحوال السموات  
وبأحوال الشمس والقمر وبأحوال الارض وبأحوال النبات أما الاستدلال بأحوال  
السموات بغير عمد ترونها فالعجز ان يعمد الأجسام العظيمة بقيت واقفة في الجوالعالي  
ويستحيل أن يكون يعمدونها ههنا لانهما لو جهين الاول ان الاجسام  
متساوية في تمام الملهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول كل جسم  
في ذلك الحيز والثاني ان الخلال لا نهاية لها والاحياز المعترضة في ذلك الخلال العسرف غير  
متناهية وهي بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصوله في

عمد) أي بغير عمد ثم جمع عماد كقوله اهاب وهو ما يعمد به أي يستند يقال عمدت الخائط أي أدعته وقرئ عمد على جمع عمود  
يعنى عماد كرسول ورسول ويراد صيغة الجمع لجمع السموات لالان المنى عن كل واحدة منها عمد لاعماد (ترونها)  
استئناف استشهده على ما ذكر من رفع

السموات بعبر عدو قيل صفة لعمد جي بها لهما لان لها عمد اضير مرتبة هي قدرة الله تعالى (ثم استوى) أي استوى (على العرش) بالحفظ والتدبير واستوى امر هو من اصحابنا ان الاستواء ﴿ ٢٦٠ ﴾ على العرش صفة عز وجل بلا كيف

جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز بأسرها متشابهة فثبت ان حصول الاجرام الفلكية في احيازها وجها تها ليس أمر او اجبالفاته بل لا بد من مخصص ومرجع ولا يجوز أن يقال انها بقيت بسلسلة فوقها ولا عمد تحتها والالعاد الكلام في ذلك الحافظ ولزم المرور الى ما لانها يتقله وهو محال فثبت أن يقال الاجرام الفلكية في احيازها العالية لاجل ان مدير العالم تعالى وتقدس أو قفها هناك فهنا برهان قاهر على وجود الاله القاهر القادر ويدل أيضا على ان الاله ليس بجسم ولا مخصص بجزء لانه لو كان حاصل في جزء معين لا تمتع أن يكون حصوله في ذلك الجزء لذاته ولعينه لما بينا ان الاحياز بأسرها منسوبة فيمتنع ان يكون حصوله في جزء معين لذاته فلا بد وأن يكون بتخصيص مخصص وكل ما حصل بالفاعل المختار فهو محدث فاختصاصه بالجزء المعين محدث وذاته لا تنفك عن ذلك الاختصاص وما لا يتخلو عن الحادث فهو حادث فثبت انه لو كان حاصل في الجزء المعين لكان حادثا وذلك محال فثبت انه تعالى متعال عن الجزء والجهة وأيضا كل ما سماك فهو سما فلو كان تعالى موجودا في جهة فوق جهة لكان من جملة السموات فدخل تحت قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فكل ما كان مختصا بجهة فوق جهة فهو محتاج الى حفظ الاله بحكم هذه الآية فوجب أن يكون الاله متزاها عن جهة فوق أما قوله ترونها ففيه أقوال الاول أنه كلام مستأنف والمعنى رفع السموات بغير عمد ثم قال ترونها أي وأتم ترونها أي مرفوعة بلاعاد الثاني قال الحسن في تقرير الآية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها بغير عمد واعلم انه اذا أمكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير الى التقديم والتأخير غير جائز والثالث أن قوله ترونها صفة للعمد والمعنى بغير عمد مرتبة أي للسموات عمد ولو كنا لا نراها قالوا ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدينا ولكنكم لا ترونها وهذا التأويل في غاية السقوط لانه تعالى انما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الاله القادر ولو كان المراد ما ذكره لما ثبتت الحجة لانه يقال ان السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأبى دلالة ثبوتها على وجود الاله وعندى فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو ان العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على ان هذه الاجسام انما بقيت واقفة في الجوالعالي بقدرة الله تعالى وحيث أنه يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فتخرج ان يقال انه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لهما عمد في الحقيقة الا أن تلك العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه وتديره وبقاؤه اياها في الجوالعالي وانهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الامسك وأما قوله ثم استوى على العرش فاعلم انه ليس المراد منه كونه مستقرا على العرش لان المقصود من هذه الآية ذكر ما يدل على وجود الصانع ويجب أن يكون ذلك الشيء مشاهدا معلوما وان أحدا لم رأى انه تعالى استقر على العرش فكيف يمكن الاستدلال به عليه وأيضا بتقدير أن يشاهد كونه مستقرا على العرش الآن ذلك لا يشعر بكمال حاله وغاية جلاله بل يدل على احتياجه الى المكان والجزء وأيضا فهنا

وأما كان فليس المراد به التصديق ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة (وسخر الشمس والقمر) ذلها وجعلها طائعين لما أريد منها من الحركات وغيرها (كل) من الشمس والقمر (يجري) حسبا أريد منها (لأجل مسمى) لمدعية فيها تم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية أو لمدة ينتهي فيها حركتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة الى الفعل أو غاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكمة تسخيرهما (بدر) بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير أي يقضى ويقدر حسبا تقضيه الحكمة والمصلحة (الامر) أمر الخلق كله وأمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) الدالة على كمال قدرته وبالبحر حكيمة أي يأتي بهامفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستبحة للآثار الغريبة في السقليات على ﴿ يدل ﴾ موجب التدبير والتقدير فالجنتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تمة الاستواء واما مفسر تانله أو الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمير

العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستبحة للآثار الغريبة في السقليات على ﴿ يدل ﴾ موجب التدبير والتقدير فالجنتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تمة الاستواء واما مفسر تانله أو الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمير



الكثرة أهي جبالا انتظامها الطائفة من بين حوائجها وتزويل كل منها منزلة مفردة كما قيل على أنه لا مجال لذلك فان جمية كل من صفتي الجمين انما هي باعتبار الاقتراب التي تحتها باعتبار ﴿٢٦٢﴾ انتظام جميع القلة للافراد وجم الكثرة لجموع

القلة فكل منهما جمع جبل لأن جبالا جمع أجبل كما أن طوائف جمع طائفة ولا إلى أن يلجأ إلى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كإظن على أنه لا وجه له لما أن العلة انما هي في الجمع دون المفرد والتعريف عن الجبال بهذا العنوان ابيان تفرع قرار الارض على ثباتها (وأنهارا) محاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظيرها مع الجبال في معمولة فعل واحد اشارة الى أن الجبال منشأ للأنهار وبيان لغائه أخرى للجبال غير كونها محافظة للارض عن الاضطراب المنحل بنبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرقة على تمكنه وتقلبه وهي تعيش بالماء والكلاب (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) أي اثنيية حقيقية وهما الفردان اللسان كل منهما زوج الآخر وأكده الزوجين لثلا

بوضعه وموضعه وصفته وطيبته وحليته ليس الامن الله تعالى ومن العلوم أن كل من اشتغل بتدبير شيء فإنه لا يمكنه تدبير شيء آخر الا للباري سبحانه وتعالى فإنه لا يشغله شأن عن شأن أما الناقل فإنه اذا تأمل في هذه الآيات علم انه تعالى يدبر عالم الالهيان وعالم الارواح ويعبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه تعالى في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته غير مشابه للصدقات والممكنات ثم قال يفصل الآيات وفيه قولان الاول أنه تعالى بين الآيات الدالة على الهيئته وعلمه وحكمته والثاني ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان أحدهما الموجودات الباقية الدائمة كالافلاك والشمس والقمر والكواكب وهذا النوع من الدلائل هو الذي تقدم ذكره والثاني الموجودات الحادثة المتغيرة وهي الموت بعد الحياة والغنى بعد الفنى والهرم بعد الصحة وكون الاحق في أيها العيش والعاقل الذي في أشباه الاحوال فهذا النوع من الموجودات والاحوال دلالتها على وجود الصانع الحكيم ظاهرة \* وقوله يفصل الآيات اشارة الى أنه يحدث بعضها بحسب بعض على سبيل التمييز والتفصيل ثم قال اعلمكم بقدر يكفون واعلم أن الدلائل المذكورة كما تدل على وجود الصانع الحكيم فهي أيضا تدل على صحة القول بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على عظمتها وكثرتها فلا بد بقدرته على الحشر والنشر كان أولى يروى أن رجلا قال لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسبح ثنائهم ويحسب دماءهم الآن دفعة واحدة وما حصل الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجوالعال وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن فكذا يمكنه الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن ومن الاصحاب من تمسك بلفظ المقاد على روية الله تعالى وقدمه تفريره في هذا الكتاب مرارا وأطوارا \* قوله تعالى (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنزل منها كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفسى الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يفكرون) اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بقر الدلائل الارضية التي هي من الذي مد الارض واعلم أن الاستدلال بخلقه الارض واحوالها من وجوه الاول ان الله تعالى انما يزيد جمه ومقداره صار كأن ذلك الحجم وذلك القدر يتمد حتى هو الذي مد الارض اشارة الى أن الله سبحانه هو الذي جعل الارض مختصة بذلك القدر المعين الحاصل له لا يزيد ولا ينقص والدليل عليه ان كون الارض أن يزيد متنازرا على الآتى وأنقص منه أمر جائز يمكن في نفسه فاخصاصه بذلك المقدار المعين لا بد أن يكون بتخصيص وتقدير مقدر الثاني قال أبو بكر الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله وهو الذي مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل حجم الارض جمعا عظيما لا يقع البصر على منتهاه لان الارض لو كانت

يفهم أن المراد بذلك الثعنان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنيية ذلك اثنيية اعتمار اية أي جعل ﴿اصفر﴾ من كل نوع من أنواع الثمرات الموحودة في الدنيا حنرين وصنفين اما في اللون كالأبيض والاسود أو في النعم كالجلو والمامض أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية

7  
كالخار والمبارد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بمثل الأول ويكون الثاني استثناء بيان كيفية ذلك الجمل ( يغشى الليل النهار ) استعارة تبعية تمثيلية حبيبة على تشبيه إزالة ﴿ ٢٦٣ ﴾ نور الجيوب الطلحة بتغطية الأشياء الظاهرة بالاعتية أي

يستتر النهار بالليل  
والتركيب وان احتمل  
الكس أيضا بالجمل  
على تقديم المفعول الثاني  
على الأول فان ضوئ النهار  
أيضا ستر لظلمة الليل  
الآن الأنسب بالليل أن  
يكون هو الغاشي وعد  
هذا في تضاعيف الآيات  
السلفية وان كان تعلقه  
بالآيات العلوية ظاهرا  
باعتبار أن ظهوره في  
الارض فان الليل انما  
هو ظله وهو في موقع  
ظله لا ليل أصلا ولا  
الليل والنهار لهما تعلق  
بالثمرات من حيث العقد  
والانضاح على أيهما  
أيضا زو جان متقابلان  
مثلها وقرى يغشى من  
التغشية ( ان في ذلك )  
أي فيما ذكر من مد  
الارض وابتادها بالاراسي  
واجراء الانهار وخلق  
الثمرات واغشاء الليل  
النهار وفي الاشارة بذلك  
تنبية على عظم شأن  
الشارالية في بابه ( لايات )  
باهرة وهي آثار تلك  
الاقاويل البديعة جلست  
حكمة صانعتها في على  
معناها فان تلك الآثار

أصغر حجما مما هي الآن عليه لما كل الانتفاع به والثالث قال قوم كانت الارض مدوره  
فدها وسطها من مكة من تحت البيت فجهت كذا وكذا وقال آخرون كانت مجتمعة عند  
البيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا لعلم أن هذا القول انما يتم اذا قلنا الارض  
مسطحة لا كرة وأصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا  
القول مشكل من وجهين الاول انه ثبت بالدلائل ان الارض كرة فكيف يمكن المكابرة  
فيه فان قالوا وقوله مد الارض يناق كونهما كرة فكيف يمكن مدها قلنا لا نسلم أن  
الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها شاهدا كالسطح  
والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله الا ترى انه قال والجبال أوتادا  
فجعلها أوتادا مع ان العلم من الناس يستشرون عليها فكذلك ههنا والثاني ان هذه الآية  
انما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع والشرط فيه أن يكون ذلك أمر مشاهدا  
مطلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير  
مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فثبت ان التأويل الحق هو  
ما ذكرناه والنوع الثاني من الدلائل الاستدلال بأحوال الجبال واليه الاشارة بقوله  
وجعل فيهارواسي من فوقها ثابته باقية في أجزاها غير متقلبة عن أما كما يقال رساهنا  
الوتد وأرصته والمراد ما ذكرناه واصل ان الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع  
القادر الحكيم من وجوه الاول ان طبيعة الارض واحدة فصول الجبل في بعض  
جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون تخلق القادر الحكيم قالت الفلاسفة هذه الجبال  
انما تولدت لان البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تولد في البحر طين لزج جام  
يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجرا كما يشاهد في كوز القناع ثم ان الماء كان يغور  
ويقل فيتججر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا وانما كانت البحار حاصلة في  
هذا الجانب من العالم لان أوج الشمس وحضيضها تقع كل في الدهر الا قدم كان  
حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب الى  
الارض فكانت التسخين أقوى وشدة السخونة توجب ان يجذب الرطوبات فحين كان  
الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال والآن لما انتقل الاوج الى  
جانب الشمال والشمس في جانب الجنوب انتقلت البحار الى جانب الجنوب فثبت  
هذه الجبال في جانب الشمال هذا الجمل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه  
الاول ان حصول الطين في البحر من اوج الشمس عليها أمر عام فلم يحصل هذا  
الجبل في بعض الجوانب دون البعض والثاني وهو اننا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك  
الاحجار موضوعة ساقا فلو كان البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض وبعد  
حصول مثل هذا التركيب من الميب الذي ذكره والثالث ان أوج الشمس الآن  
قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس الى الجانب

مستقره في تلك الاقاعيل منوطتها ويجوز أن يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الاقاعيل ففي تبحر بديهة ( لقوم  
يتفكرون ) فان التفكير فيها يؤدي الى الحكم بأن تكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد  
لهم من مكون قادر حكيم يفضل ما يشاء ويختار



يدان اتحاد الكل في حالة السني (بما هو احد) لا اختلاف في طبيعة حواء كان السني بماء الامطار او بماء الانهار (ومفضل) مع  
 تأخذ اسباب التشابه ببعض قدرتنا واختيارنا ﴿ ٢٦٥ ﴾ (بعضها على بعض) آخرتها (في الاكل) فيما يحصل

منها من الثمر والطعم  
 وقرى بالياء على بناء  
 الفاعل ردا على يد  
 ويفصل ويغشى وعلى  
 بناء المفعول وفيه ما لا يخفى  
 من الفخامة والدلالة  
 على أن عدم احتمال  
 استناد الفعل الى فاعل  
 آخر مغن عن بناء الفعل  
 للفاعل (ان في ذلك)  
 الذي فصل من أحوال  
 القطع والجنات (لايات)  
 كثيرة عظيمة ظاهرة  
 (لقوم يعقلون) يعملون  
 على قضية عقولهم فان  
 من عقل هذه الاحوال  
 العجيبة لا يتلذذ في الجرم  
 بأن من قدر على ابداع  
 هذه البدائم وخلق تلك  
 الثمار المختلفة في الاشكال  
 والالوان والطعوم  
 والروائح في تلك القطع  
 المتباينة المتجورة  
 وجعلها حدائق ذات  
 بهجة قادر على اعادة  
 ما بدأ به بل هي أهون  
 في القياس وهذه الاحوال  
 وان كانت هي الايات  
 أنفسها لانها فيها  
 الا أنه قد جردت عنها  
 أمثالها بما لغة في كونها  
 آية في تبحر يدية مثلها

والحامض أو الطبيعة كالحر والبارد أو اللون كالأبيض والأسود فان قيل الزوجان لا بد  
 وأن يكونا اثنين فما القاعدة في قوله زوجين اثنين قلنا قيل انه تعالى أول ما خلق العالم  
 وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم  
 ان المراد النوع أو الشخص أم لا قال اثنين علمان الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين  
 اثنين لأقل ولأزيد والحاصل ان الناس فيهم الآن كثرة الا انهم لما ابتدوا من زوجين  
 اثنين بالشخص هما آدم وحواء فكذلك القول في جميع الاشجار والزرع والله أعلم  
 النوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بأحوال الليل والنهار  
 واليد الاشارة بقوله يغشى الليل النار والمقصود ان الانعام لا يكمل الا بالليل والنهار  
 وتعاقبهما كما قال فحووا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ومنه قوله يغشى الليل النهار  
 يطلبه حثيثا وقد سبق الاستقصاء في تقريره فيما سلف من هذا الكتاب قرأ حرة  
 والكسائي وأبو بكر عن عاصم يغشى بالتشديد وقح العين والباقون بالتخفيف ثم انه تعالى  
 لما ذكر هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة قال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون  
 واعلم انه تعالى في أكثر الامر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر عقوبتها  
 ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون أو ما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه ان الفلاسفة  
 يسندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية فإلم تقم  
 الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك لايات لقوم  
 يتفكرون كأنه تعالى يقول مجال الفكر باق بعد ولا بد بعد هذا المقام من التفكير  
 والتأمل لئتم الاستدلال \* واعلم ان الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول أن نقول  
 هب انكم أسندتم حوادث العالم السفلي الى الاحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية  
 الا اننا أقمنا الدليل القاطع على ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية وطبعه  
 ووضعه وخاصيته لا بد وأن يكون بتخصيص المقدر القديم والمدير الحكيم قدس قط هذا  
 السؤال وهذا الجواب قد قرره الله تعالى في هذا المقام لانه تعالى ابتدأ بذكر الدلائل  
 السماوية وقد بينا أنها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه تعالى أتبعها بالدلائل الارضية  
 فان قال قائل لم لا يجوز أن تكون هذه الحوادث الارضية لاجل الاحوال الفلكية  
 كان جوابنا أن نقول فهب ان الامر كذلك الا اننا ولنا فيما تقدم على افتقار الاجرام  
 الفلكية الى الصانع الحكيم فحينئذ لا يكون هذا السؤال قادحا في فرضنا والوجه الثاني  
 من الجواب أن نقيم الدلالة على انه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث السفلية لاجل  
 الاتصالات الفلكية وذلك هو المذكور في الآية التي تأتي بعده هذه الآية ومن تأمل  
 في هذه اللطائف ووقف عليها علم ان هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين  
 \* قوله تعالى (وفي الارض قطع متجاورات ونباتات من أختاب وزرع ونخيل صنوان  
 وغير صنوان نسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم

في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو المشار اليه ﴿ ٣٤ ﴾ ما الاحوال الكليية والآيات أفرادها الحادثة شيئا فشيئا  
 في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها في على معناها وحيث كانت دلالة هنية  
 الاحوال على مدلولاتها

هايزية لا يفتقر في نوبهايات بحسب العمل والدلائل لم تعرض لغير تفصيل بعضها على بعض في الاصل الظاهر لعل طالع  
كثيرة مختلفة في الخواص والكميات مما يتوقف ﴿ ٢٦٦ ﴾ العنور عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك

يعقلون) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة  
على انه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات الفلكية  
والحرركات الكوكبية وتفريره من وجهين الاول انه حصل في الارض قطع مختلفة  
بالطبيعة والمناهي فهو مع ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخية وبعضها تكون رخوة  
وبعضها تكون صلبة وبعضها تكون منبثة وبعضها تكون جارية أو رملية وبعضها  
يكون طيناز جاثم انها متجاورة وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على  
السوية فدل هذا على أن اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير والثاني ان القطعة  
الواحدة من الارض تسمى بعام واحد فيكون تأثير الشمس فيها متساويا ثم ان تلك الثمار  
تجى مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى انك قد تأخذ عقودا من العنبر  
فيكون جميع حباته حلوة نضيجة الاحبة واحدة فانها بقيت حامضة يابسة ونحو المياه  
بالضرورة ان نسبة الطبايع والافلاك للكل على السوية بل نقول ههنا ما هو أعجب في  
وهو انه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحده وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثمها  
في غاية السواد مع ان ذلك الورد يكون في غاية الرقة والعمومة فيستحيل أن يقال وصل  
تأثير الشمس الى أحد طرفيه دون الثاني وهذا يدل دلالة قطعية على ان الكل بتدبير  
الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى تسمى بعام  
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فهذا تمام الكلام في تقرير هذه الحجة وتفسيرها  
وبيانها واعلم أن بذكر هذا الجواب قد نبت الحجة فان هذه الحوادث السلفية لا بد لها من سبب  
مؤثر وبيانا ان ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والافلاك والطبايع فعند هذا يجب القطع  
بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الاشياء وعندها يتم الدليل ولا يبقى بعده للفكر مقام  
البتة فلماذا السبب قال ههنا ان في ذلك آيات لقوم يعقلون لانه لا دفاع لهذه الحجة  
الأني قال ان هذه الحوادث السلفية حدثت للمؤثر البتة وذلك يقدر في كمال العقل  
لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث لما كان علما ضروريا كان عدم حصول هذا العلم  
قادحا في كمال العقل فلماذا قال ان في ذلك آيات لقوم يعقلون وقال في الآية المتقدمة  
ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون فهذه اللطائف نفيسة من أسرار علم القرآن ونسأل  
الله العظيم أن يجعل الوقوف عليها سببا للفوز بالرحمة والغفران (المسئلة الثانية) قوله  
وفي الارض قطع متجاورات قال أبو بكر الاصم أرض قريبة من أرض أخرى واحدة  
طيبة وأخرى سبخة وأخرى حرة وأخرى رملية وأخرى تكون حصبه وأخرى تكون  
حراء وأخرى تكون سوداء وبالجملة فاختلف في بقاع الارض في الارتفاع والانخفاض  
والطبايع والخاصية أمر معلوم وفي بعض المصاحف قطع متجاورات والتقدير وجعل فيها  
رؤاسي وجعل في الارض قطع متجاورات وأما قوله وجنات من أعصاب وزرع ونضيل  
فمقول الجنة البستان الذي يحصل فيه العسل والسكر والزرع ونحوه تلك الاشجار بلو

(متجاور أيضا وفيه  
يض بأن المشركين  
يرعافلين (وان تعجب)  
يا محمد من شيء (فجرب)  
لا أعجب منه حقيق  
بان يقصر عليه التعجب  
(قولهم) بعدم مشاهدة  
ما عد ذلك من الآيات  
الشاهدة بأنه تعالى  
على كل شيء قدير (أندا  
كنت اربا) على طريقة  
الاستفهام الانكاري  
المفيد لكمال الاستعداد  
والاستنكار وهو في محل  
الرفع على البدلية من  
قولهم على أنه بمعنى  
المقول أو في محل النصب  
على المفعولية منه على  
أنه مصدر فالعجب على  
الاول كلامهم وعلى  
الثاني تكلمهم بذلك  
والصامل في اذا ما دل  
عليه قوله (أنا الذي خلق  
جديد) وهو نبأ وعناد  
وتقديم الطرف لتقوية  
الانكار بالبعث بتوجيهه  
اليه في حالة منافسته له  
وتكرير الهمزة في قولهم  
أنا لنا كيد الانكار وليس  
مدار انكارهم كونهم  
ثابتين في انطلق الجديد  
بالفعل عند كونهم ترابا

يل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديمهم في التكبر ما لا يخفى وقيل ﴿ والدليل ﴾  
وان تعجب من قولهم في انكار البعث فوجب قولهم والمسأل وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل  
وان تعجب من انكارهم البعث فوجب



قولهم الدال عليه فذامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة  
من هذه أفعاله فازداد تعجبا من ينكر مع هذه ﴿ ٢٦٧ ﴾ الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانصب

بقوله ويستعملونك  
بالسبئية هو الاول وقوله  
تعالى فعجب خبر قدم  
على المبتدأ للقصر  
والتسجيل من اول الامر  
بكون قولهم ذلك أمرا  
عجيبا ويجوز أن يكون  
مبتدأ لكونه موصوفا  
بالوصف المقدر كما أشير  
اليه فالمعنى وان تعجب  
فالعجب الذي لا عجب  
وراه قولهم هذا فاعجب  
منه وعلى الاول وان  
تعجب قوامهم هذا عجب  
لا عجب فوقه (أولئك)  
مبتدأ والموصول خبره  
أي أولئك المنكرون  
لقدرته تعالى على البعث  
ربما عاينوا ما فصل من  
الآيات الباهرة المجتمة  
لهم الى الايمان لو كانوا  
يصدقون (الذين كفروا  
بربهم) وتمادوا في ذلك  
فان انكارهم لقدرة عز  
وجل كفر به وأي كفر  
(وأولئك) مبتدأ خبره قوله  
(الاخلاق في أحقادهم)  
أي مقيدون بقيود  
الضلال لا يرجي  
خلاصهم أو مفلوطين  
يوم القيامة (وأولئك)  
الموصوفون بما ذكر

والدليل عليه قوله تعالى جعلنا الاحد هما جنتين من أعصاب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما  
زرعا قرأ ابن كثير أبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان كلها  
بالرفع عطفا على قوله وجنات والباقون بالجر عطفا على الاعصاب وقرأ حفص عن عاصم  
في رواية القواس صنوان يضم الصاد والباقون بكسر الصاد وهما لغتان والصنوان  
جمع صنوم مثل قنوان وقنوق ويجمع على اصناء مثل اسم وأسماء فاذا كثرت فهو الصنى  
والصنى بكسر الصاد وفجها والصنوان يكون الاصل واحدا وتثبت فيه التخلفان  
الثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو وذكرك ثعلب عن ابن الاعرابي الصنوم المثل ومنه قوله  
صلى الله عليه وسلم ألا ان عم الرجل صنو أبيه أي مثله اذا عرفت هذا فنقول اذا فسرنا  
وهو بالتفسير الاول كان المعنى ان النخيل منها ما يثبت من أصل واحد شجرتان وأكثر  
يطلعا ما لا يكون كذلك واذا فسرناه بالتفسير الثاني كان المعنى ان أشجار النخيل  
والباقون متماثلة متشابهة وقد لا تكون كذلك ثم قال تعالى تسقى بماء واحد قرأ عاصم  
وابن عامر بسقي بالياء على تقدير بسقى كله أو لتغليب المذكر على المؤنث والباقون بالياء  
لقوله جنات قال أبو عمرو وما يشهد لتأنيث قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل  
رأحزة والكسائي يفضل بالياء عطفا على قوله يدبر ويفصل ويقشئ والباقون بالنون  
على تقدير ونحن نفضل وفي الاكل قولان حكاهما الواحدى حكى عن الزجاج ان الاكل  
هو الذى يؤكل وحكى عن غيره ان الاكل المهيأ للاكل وأقول هذا أولى لقوله تعالى  
هي صفة الجنة اكلها دائم وهوام في جميع المطاعم وابن كثير وناقم يقرآن الاكل  
بساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون بضم الكاف وهما لغتان \* قوله تعالى (وان  
تعجب قولهم انذا كنا ترابا الثاني خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك  
الاخلاق في أحقادهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فيه مسائل (المسئلة الاولى)  
اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج اليه في معرفة المبدأ ذكر بعده مسألة  
الاعاد فقال وان تعجب قولهم وفيه أقوال الاول قال ابن عباس رضى الله عنهما  
ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا قد حكموا عليك انك من الصادقين فهذا عجب  
الثاني ان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم تفعا ولا ضرا بعد ما عرفوا الدلائل  
لبدالة على التوحيد فهذا عجب والثالث تقدير الكلام ان تعجب يا محمد فقد عجببت  
موضع العجب لانهم لما اعترفوا بأنه تعالى مدبر السموات والارض وخالق الخلائق  
وجميع وأنه هو الذى رفع السموات بغير عمد وهو الذى سخز الشمس والقمر على وفق  
صالح العباد وهو الذى أظهر في العالم أنواع الجنائب والغرائب فمن كانت قدرته وافية  
بكله الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية بإعادة الانسان بعد موته لان القادر على  
لاقوى الاكل فان يكون قادرا على الاقل الاضعف أولى فهذا تقرير موضع التعجب  
انه تعالى لما حكى هنا الكلام بحكم عليهم بثلاثة أشياء أولها قوله أولئك الذين كفروا

ان الصفات (أصحاب أشجارهم فيها خالدون) لا يتحكمون عنها وتوسط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود  
لكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا بربهم (ويستعملونك بالسبئية) بالعقوبة  
في أندروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه

ويطلبان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بالثبارة (قبل الحسنة) أي العافية والاحسان اليهم بالاهمال (وقد خلفت من قبلهم المثلثات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فالهم ﴿ ٢٦٨ ﴾ لا يعتبرون بها ولا يجترزون حلوله

بر بهم وهذا يدل على ان كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر وانما لم ينكر البعث الكفر بر بهم من حيث ان انكار البعث لا يتم الا بانكار القدرة والعلم والصدق أما انكار القدرة فكما اذا قيل ان الله العالم موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يقدر على الاطاعة أو فيل انه وان كان قادرا لكنه ليس تام القدرة فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتأثيرات الطبائع والافلاك وأما انكار العلم فكما اذا قيل انه تعالى غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز هذا المطيع عن العاصي وأما انكار الصدق فكما اذا قيل انه وان أخبره لكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه ولما كان كل هذه الاشياء كقرا ثبت ان انكار البعث كفر بالله \* الصفة الثانية قوله وأولئك الاغلال في أعناقهم وفيه قولان الاول قال أبو بكر الاصم المراد بالاغلال كفرهم وذاتهم وانقيادهم للاصنام ونظيره قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال الشاعر \* لهم عن الرشد أغلال واقباد \* ويقال للرجل هذا خل في عنقه للعمل الرديء معناه انه لازم لك وانك مجازي عليه بالعذاب قال القاضي هذا وان كان محتملا الآن حمل الكلام على الحقيقة أول وأقول يمكن نصرة قول الاصم بأن ظاهر الآية يقتضي حصول الاغلال في أعناقهم في الحال وذلك غير حاصل وأتم حملون اللفظ على انه سيحصل هذا المعنى ونحن نحمله على انه حاصل في الحال الآن المراد بالاغلال ما ذكرناه فكل واحد منا تارك للحقيقة من بعض الوجوه فلم كان قولكم أول من قولنا والقول الثاني المراد انه تعالى يجعل الاغلال في أعناقهم يوم القيامة والدليل عليه قوله تعالى اذا الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون والصفة الثالثة قوله تعالى وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمراد منه التهديد بالعذاب المخلد المؤبد واحتج اصحابنا رحمه الله تعالى على أن العذاب المخلد ليس الا التكفار بهذه الآية فقالوا قوله هم فيها خالدون يفيد أنهم هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم وذلك يدل على ان أهل الكبار لا يخلدون في النار (المسئلة الثانية) قال المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال فكان المراد وان تعجب فعجب عندك ولقائل أن يقول قرأ بعضهم في الآية الاخرى باضافة العجب الى نفسه تعالى فيثبت يجب تأويله وقد بينا ان أمثال هذه الالفاظ يجب تزنيها عن مبادئ الاعراض ويجب جعلها على نهايات الاعراض فان الانسان اذا تعجب من الشيء أنكره فكان هذا محمولا على الانكار (المسئلة الثالثة) اختلف القراء في قوله أنذا كنت اربا أنا لني خلق جديد وأمثاله اذا كان على صورة الاستفهام في الاول والثاني فذهب من يجمع بين الاستفهامين في الحرفين وهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزة ثم اختلف هؤلاء فابن كثير يستفهم بحمزة واحدة الأنة لا يمدوا بوعمر ويستفهم بهمزة مطولة يمد فيها وحزة وعاصم بهمزتين في كل القرآن ومنهم من لا يجمع بين الاستفهامين ثم اختلفوا فنافم وابن طامر والكسائي يستفهم في الاول ويقرأ على الخبر في الثاني وابن طامر على

مثلها بهم وبالجملة الحالية لبيان ركا كقرايهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء أي يستجلونك بهما مستهزئين بانذارك منكين لوقوع ما أنذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين والمستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما يندبها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقري المثلث بعنيتين بتابع الفاء العين والمثلث بفتح الميم وسكون اللام كما يقال السمره والمثلث يضم الميم وسكون اللام تخفيف المثلث جمع مثله كركبة وركبات (وان ربك لدومغفرة) عظيمة (لناس على ظلمهم) أنفسهم بالدنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية أي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها (وان ربك لشديد العقاب)

يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فآخبر ما استجلوه ليس للاهمال وعنه عليه الصلاة والسلام \* الخبر \* لولا هفوا لله وتجاوزه ما هنا لاحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ويقول الذين كفروا) وهم المستعجلون أيضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذمالمهم ونبياعليهم

كلهم آيات الله تعالى التي تغزلها ضم الجبال حيث لم يرقصوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا  
(لولا أنزل عليه آية من ربه) مثل آيات موسى وعيسى ﴿ ٢٦٩ ﴾ عليهما الصلاة والسلام عنادا ومكابرة والافق

أدنى آية أنزلت عليه  
عليه الصلاة والسلام  
غنية وعبرة ذوق  
الالباب (انما أنت منذر)  
مرسل للانداز من سوء  
عاقبة ما يأتون ويذرون  
كذاب من قبلك من  
الرسول وليس عليك  
الا الايمان بما يعلم بحبوتك  
وقد حصل ذلك بما  
لا من يدعيه ولا حاجة  
الى الزامهم والقامهم  
الاجر بالايان بما افترحوا  
من الآيات (ولكل قوم  
هاد) معين بالذات  
بل بعنوان الهداية يعني  
لكل قوم نبي مخصوص له  
هداية مخصوصة يقتضى  
اختصاص كل منهم  
بما يخص به حكم لا يعلمها  
الا الله أولئك قوم هاد  
عظيم الشأن قادر على  
ذلك هو الله سبحانه  
وما عليك الا انذارهم  
فلا يهمنك عنادهم  
وانكارهم للآيات المنزلة  
عليك وازدراؤهم بها  
ثم عقبه بما يدل على كمال  
علمه وقدرته وشمول  
قضائه وقدره المبينين  
على الحكم والمصالح  
تنبيهها على أن تخصص

الخبر في الاول والاستفهام في الثاني تم اختلف هو لادم من وجه آخر فتافع بهمزة غير مطولة  
واين عامر والكسائي بهمزتين أما تافع فكذلك الاقنى الصافات وكذلك ابن عامر  
الاقنى الواقعة وكذلك الكسائي الاقنى العنكبوت والصفات (المسئلة الرابعة) قال  
الزجاج العامل في أنذا كنا ترابا محذوف تقديره أنذا كنا ترابا نبعث ودل ما بعده على  
المحذوف ﴿ قوله تعالى ﴾ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد دخلت من قبلهم المثلاث  
وانزرك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم وانزرك لشديد العقاب اعلم أنه صلى الله عليه وسلم  
كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة  
أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الاولى  
وكما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له فبئسنا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على  
سبيل الطعن فيه واطهار ان الذي يقوله كلام لأصله فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم  
يستعجلون الرسول بالسيئة قبل الحسنة والمراد بالسيئة ههنا نزول العذاب عليهم كما قال  
الله تعالى عنهم في قوله فأمطر علينا بحجارة و في قوله لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الارض  
ينبوعا الى قوله وتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وانما قالوا ذلك طعنا منهم فيما ذكره  
الرسول وكان صلى الله عليه وسلم يهددهم على الايمان بالثواب في الآخرة وبحصول  
النصر والظفر في الدنيا فالقوم طلبوا منه نزول العذاب ولم يطلبوا منه حصول النصر  
والظفر فهذا هو المراد بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ومنهم من فسر الحسنة  
ههنا بالامهال والتأخير وانما سموا العذاب سيئة لانه يسوهم ويؤذيهم \* أما قوله  
وقدخلت من قبلهم المثلاث فاعلم ان العرب يقولون العقوبة مثلة ومثلة مثل صدقة  
وصدقة فالاولى افة الحجاز والثانية لفة تميم فمن قال مثلة فجمعه مثلات ومن قال مثلة  
فجمعه مثلات ومثلات باسكان التاء هكذا حكاه الواحدي عن الفراء والزجاج وقال ابن  
الانباري رحمه الله المثلة العقوبة المبينة في المعاقب شيئا وهو تغير ترتيب الصورة معه فبيحة  
وهو من قولهم مثل فلان بفلان اذا قبح صورته اما بقطع أذنه أو أنفه أو سمل عينيه أو بقر  
بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال للعار الباقي والخزبي اللازم مثلة قال الواحدي وأصل هذا  
الحرف من المثل الذي هو الشبيه ولما كان الاصل أن يكون العقاب متساويا للمعاقب  
ومماثل له لاجرم سمي بهذا الاسم قال صاحب الكشاف قرئ المثلاث بضمين لاتباع  
الفاء العين والمثلاث بفتح الليم وسكون التاء كما يقال السمرة والمثلاث بضم الميم وسكون  
التاء تخفيف المثلاث بضمين والمثلاث جمع مثلة كركبة وركبات اذا عرفت هذا فنقول  
معنى الآية ويستعجلونك بالعذاب الذي لم نعالجهم به وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالام  
الحالية فلم يعتبروا بها وكان ينبغي أن يردعهم خوف ذلك عن الكفر اعتبارا بحال من  
سلف \* أما قوله وانزرك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم فاعلم ان أصحابنا تمسكوا بهذه الآية  
على أنه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة ووجه الاستدلال به ان قوله

كل قوم نبي وكل نبي يجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم  
لكن لا يهدى الامن تعلق بهدايته مشيئة التابعة لحكم استأمر بعلمها فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) اي تحمله  
فاموصولة أريد بها ما في بطنها من حين الطوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل

اتخلق فقط والعلم متعدد الى واحد أو أي شيء تحمل وعلى أي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا غلطورا فهي  
استفهامية معلقة للعلم واحدها فهي مصدرية ﴿ ٢٧٠ ﴾ ومقتضى الارحام (ومازاد) أي تنقصه وتزاد

لذومغفرة للناس على ظلمهم اي حال اشتغالهم بالظلم كما انه يقال رأيت الامير على اكله  
أي حال اشتغاله بالاكل فهذا يقتضى كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ومعلوم  
ان حال اشتغال الانسان بالظلم لا يكون ثابتا فدل هذا على انه تعالى قد يغفر الذنب قبل  
الاشتغال بالتوبة ثم نقول ترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر فوجب أن يبقى معمولا به  
في حق أهل الكبرية وهو المطلوب أو نقول انه تعالى لم يقتصر على قوله وان ربك  
لذومغفرة للناس على ظلمهم بل ذكر معه قوله وان ربك لشديد العقاب فوجب أن يحمل  
الاول على أصحاب الكبار وأن يحمل الثاني على احوال الكفار فان قيل لم لا يجوز أن  
يكون المراد لذومغفرة لاهل الصغار لاجل ان عقوبتهم مكفرة ثم نقول لم لا يجوز أن  
يكون المراد ان ربك لذومغفرة اذا تابوا وانه تعالى انما لا يعجل العقاب امهالا لهم  
في الايمان بالتوبة فان تابوا فهو وذومغفرة لهم ويكون من هذه المغفرة تأخير العقاب الى  
الآخرة بل نقول يجب حل اللفظ عليه لان القوم لما طلبوا تعجيل العقاب فالجواب  
المذكور فيه يجب أن يكون محمولا على تأخير العقاب حتى ينطبق الجواب على السؤال ثم  
نقول لم لا يجوز أن يكون المراد وان ربك لذومغفرة انه تعالى انما لا يعجل العقوبة امهالا  
لهم في الايمان بالتوبة فان تابوا فهو وذومغفرة وان عظم ظلمهم ولم يتوبوا فهو شديد  
العقاب والجواب عن الاول أن تأخير العقاب لا يسمى مغفرة والواجب أن يقال  
الكفار كلهم مغفور لهم لاجل ان الله تعالى آخر عقابهم الى الآخرة وعن الثاني انه  
تعالى تمدح بهذا والتمدح انما يحصل بالفضل أما بأداء الواجب فلا تمدح فيه وعندكم  
يجب خفران الصغار وعن الثالث انما بينا ان ظاهر الآية يقتضى حصول المغفرة حال  
الظلم و بينا ان حال حصول الظلم يمنع حصول التوبة فسقطت هذه الاستثناء وصح ما ذكرناه  
\* قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم  
هاد) اعلم أنه تعالى حكى عن الكفار انهم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في الحشر والنشر  
أولاً ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحته ما يندرجهم به من نزول عذاب الاستئصال ثانيا  
ثم طعنوا في نبوته بان طلبوا منه المعجزة والبينة ثالثا وهو المذكور في هذه الآية واعلم ان  
السبب فيه انهم أنكروا كون القرآن من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر  
الكتب وايمان الانسان بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزة البتة وانما المعجز  
ما يكون مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام واعلم أن من الناس من زعم انه  
لم يظهر معجز في صدق محمد عليه الصلاة والسلام سوى القرآن قالوا ان هذا الكلام  
انما يصح اذا طعنوا في كون القرآن معجزة مع انه ما ظهر عليه نوع آخر من المعجزات لان  
بتقدير أن يكون قد ظهر على يده نوع آخر من المعجزات لا تمتنع أن يقولوا لولا أنزل عليه آية  
من ربه فهذا يدل على انه عليه السلام ما كان له معجز سوى القرآن واعلم ان الجواب عنه  
من وجهين الاول لعل المراد منه طلب معجزات سوى المعجزات التي شاهدوها منه صلى الله

في الجنة كالخديج والنام  
وفي المدة كالولود في أقل  
مدة الحمل والمولود  
في أكثرها وفيما بينهما  
قيل ان الضحالك ولد  
في سنتين وهرم بن حبان  
في أربع ومن ذلك سمي  
هرما وفي العدد كالواحد  
فأفوقه يروي أن شريكا  
كان رابع أربعة ويعلم  
نقصها وازديادها لما فيها  
فالعقلان متعديان كما في قوله  
تعالى وغيض الماء وقوله  
تعالى وازدادوا تسما  
وقوله وزداد كيل بعير  
أولان قد أسند الى  
الارحام مجازا وهما  
لما فيها (وكل شيء) من  
الاشياء (عنده بمقدار)  
بقدر لا يمكن تجاوزه عنه  
كقوله انما كل شيء خلقناه  
بقدر فان كل حادث من  
الاعيان والاعراض له  
في كل مرتبة من مراتب  
الكون وباديها وقت  
معين وحال مخصوص  
لا يكاد يجاوزه والمراد  
بالعندية الحضور العلمي  
بل العلم الحضورى فان  
تحقق الاشياء في أنفسها  
في أي مرتبة كانت من  
مراتب الوجود

والاستعداد لذلك علمه بالنسبة الى الله عز وجل (عالم الغيب) أي الغائب عن الحس \* عليه \*

(والشهادة) أي الحاضره عبر ضحائها مباينة وقيل أريد بالنسب المعلوم والشهادة الموجود وهو خبر  
مبتدا محذوف أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب

على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء ذونه (المتعال)  
المتعالي على كل شيء بقدرته أو المزمع من نعوت ﴿ ٢٧١ ﴾ المخلوقات وبعده ما بين سبحانه أنه عالم بجميع أحوال

الانسان في مراتب  
فطرته ومحيط بعالمه  
الغيب والشهادة بين أنه  
تعالى عالم بجميع ما يأتون  
وما يذرون من الافعال  
والاقوال وأنه لا فرق  
بالنسبة اليه بين السر  
والعلن فقال (سواء منكم  
من أسر القول) في نفسه  
(ومن جهر به) أظهره  
لغيره (ومن هو مستخف)  
مبالغ في الاختفاء كأنه  
مخفف (بالليل) وطالب  
للزيادة (وسارب)  
بارز يراه كل أحد (بالنهار)  
من سرب سرو يابى برز  
وهو عطف على من هو  
مستخف أو على مستخف  
ومن عبارة عن الاثنين  
كافي قوله \* تعال فان  
عاهدتني لا تخوتني  
نكن مثل من يذئب  
يصطحيان \* كأنه قيل  
سواء منكم اثنان مستخف  
بالليل وسارب بالنهار  
والاستواء وان أسند  
الى من أسر ومن جهر  
والى المستخفي والسارب  
لكنه في الحقيقة مسند  
الى ما أسر وما جهر به  
او الى الفاعل من حيث  
هو فاعل كافي الاخيرين

عليه وسلم كثنين الجذع ونبوع الماء من بين أصله واشباع الخلق الكثير من الطعام  
القليل فطلبوا منه معجزات فآخرة غير هذه الامور مثل فلق البحر وقلب العصا ثم بانافان  
قبل هذا السبب في ان الله تعالى منهم وما أعطاهم فلنا انه تعالى لما أظهر المعجزة الواحدة  
فقد تم الفرض فيكون طلب الباقي محكما وظهور القرآن معجزة فما كان مع ذلك حاجة  
الى سائر المعجزات وأيضا فلعلمه تعالى علمهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات  
المتنسة وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال فهذا السبب ما أعطاهم  
الله تعالى مطلوبهم وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم ولو أسمهم  
لتووا وهم معرضون بين انه لم يدهم مطلوبهم لعلمه تعالى انه لا يفتنون به وأيضا فتح  
هذا الباب يغضى الى ما لا نهاية له وهو انه كلما أتى بمعجزة جاء واحدا آخر فطلب منه معجزة  
أخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء عليهم السلام وانه باطل الوجه الثاني  
في الجواب لعل الكفار ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات \* ثم انه تعالى  
لما حكى عن الكفار ذلك قال انما أنت منذر ولكل قوم هاد وفيه مسائل (المسئلة  
الاولى) اتفق القراء على التووين في قوله هاد وحذف الياء في الوصل واختلفوا  
في الوقف فقرا ابن كثير بالوقف على الياء والباقيون بغير الياء وهو رواية ابن فليح عن ابن  
كثير للتخفيف (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية وجوه الاول المراد ان الرسول  
عليه السلام منذر لقومه مبين لهم ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع وانه تعالى سوى  
بين الكل في اظهار المعجزة الا انه كان لكل قوم طريق مخصوص لاجله استحق  
التخصيص بتلك المعجزة المخصوصة فلما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام هو  
السحر جعل معجزته ما هو اقرب الى طريقتهم ولما كان الغالب في أيام عيسى عليه السلام  
الطب جعل معجزته ما كان من جنس تلك الطريقة وهو احياء الموتى وبراء الاكثه  
والابرس ولما كان الغالب في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل  
معجزته ما كان لائفا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهنه  
المعجزة مع كونها القى بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولي فهذا هو  
الذي قرره القاضي وهو الوجه الصحيح الذي يبقى الكلام معه منتظما والوجه الثاني  
وهو ان المعنى انهم لا يجحدون كون القرآن معجزة فلا يضييق قلبك بسببه انما أنت منذر  
فاعليك الا ان تنذر الى ان يحصل الايمان في صدورهم ولست بقادر عليهم ولكل قوم  
هاد قادر على هدايتهم بالتخليق وهو الله سبحانه وتعالى فيكون المعنى ليس لك الا الانذار  
وأما الهداية فمن الله تعالى واحدا من المفسرين ذكرنا ههنا أقوال الاول  
المنذر والهادى شيء واحد والتقدير انما أنت منذر ولكل قوم منذر على حدة ومعجزة كل  
واحد منهم غير معجزة الآخر الثاني المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادى هو الله تعالى  
روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة ومجاهد والضحاك والثالث

وتقديم الاسرار والاشهفاء لاطهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخصيات أقدم منه بالظواهر والافتسبته الى الكل  
سواء لما عرفته آنفا (له) اي اكل من أسر أوجهر والمستخفي أو السارب (معقبات) ملائكة تعقب في حفظه جمع  
معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا

تجاه على عقبه كان بعضهم يعقب بعضها أولانهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونه أو اعتقب فادعجت التاء في الشاف  
والناه للمبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقري معاقب ﴿ ٢٧٢ ﴾ جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء

المذنب النبي والهادي على قال ابن عباس رضي الله عنهما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال أنا المذنب ثم أو مألئ منك على رضي الله عنه وقال أنت الهادي يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار علم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسرا تقول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في وجه النظم وجوه الاول انه تعالى لما حكى عنهم انهم طلبوا آيات أخرى غير ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بين الله تعالى لهم بجميع المعلومات فيعلم من حالهم انهم هل طلبوا الآية الاخرى للاسترشاد وطلب البيان أو لاجل التفتت والعتاد وهل ينتفعون بظهور تلك الآيات أو يزداد اصرارهم واستكبارهم فلو علم تعالى انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد وطلب البيان ومن يد التفائدة لظهره الله تعالى وما منعهم عنه لكنه تعالى لما علم انهم لم يقولوا ذلك الا لاجل محض العناد لاجرم انه تعالى منعهم عن ذلك وهو كقوله تعالى و يقولون لولا انزل عليه آية من ربه قتل انما الغيب لله فانتظروا وقوله قل انما الآيات عند الله والشانى ان وجه النظم انه تعالى لما قال وان تعجب فعبب قولهم في انكار البعث وذلك لانهم أنكروا البعث بسبب ان اجزاء ابدان الحيوانات عند تفرقها وتفتتها يختلط بعضها ببعض ولا يبقى الامتياز فيبين تعالى انه انما لا يبقى الامتياز في حق من لا يكون عالما بجميع المعلومات اما في حق من كان عالما بجميع المعلومات فانه يبقى تلك الاجزاء بحيث يمتاز بعضها عن البعض ثم اخرج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام الثالث ان هذا متصل بقوله ويستعجلونك بالسنة قبل المسنة والمعنى انه تعالى يعلم بجميع المعلومات فهو تعالى انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم كونه فيه مصلحة والله أعلم (المسئلة الثانية) لفظ ما في قوله ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد اما ان تكون موصولة واما ان تكون مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمل من الولد انه من أى الاقسام أهو ذكر أم أنثى وتام او ناقص وحسن او قبيح وطويل او قصير وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمتربة فيه ثم قال وما تفيض الارحام والفيض هو التقصان سواء كان لازما او متعديا يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وفيض الماء والمراد من الآية وما تفيضه الارحام الا انه حذف الضمير الرجوع وقوله وما تزداد أى تأخذ زيادة تقول أخذت منه حتى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ثم اختلفوا فيما تفيضه الرحم وتزداده على وجوه الاول عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة وأربعة يروى ان شريك كان رابعاً أربعة في بطن أمه الثاني الولد قد يكون مخدجا وقد يكون تاما الثالث مدة ولادته قد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى والى

من احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جميع جوانبه أو من الاعمال ما قدم وآخر (يحفظونه من أمر الله) من بأسه حين أذنب بالاستمهال والاستغفاره أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قري به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة تانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلالوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى أضدادها (واذا أراد الله بقوم سوءا) لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك (فلا مرد له) فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء الذي أراد الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وايدان بأنهم بما باشروه من انكار البعث ﴿ اربعة ﴾ واستعجال السنة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي ير بكم البرق خوفا) من الصاعقة (وطمعا)

﴿ اربعة ﴾ ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وايدان بأنهم بما باشروه من انكار البعث ﴿ اربعة ﴾ واستعجال السنة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي ير بكم البرق خوفا) من الصاعقة (وطمعا)

في الطرف فوجه تقديم الخوف على الطمع يظهر لما أن المخوف عليه النفس أو الرزق العبد والمطموع فيه الرزق  
المتروك وقيل الخوف أيضا من المطر لكن ﴿ ٢٧٣ ﴾ الخائف منه غير الطامع فيه كالحراف والحراث وبياه

الترتيب اللهم الا أن  
يتكلف ما أشير اليه من  
أن المخوف عتيد  
والمطموع فيه متروك  
وانتصبا بهما على  
المصدرية أي قنخافون  
خوفا وتطمعون طهما  
أو على الحالية من البرق  
أو المخاطبين بأخبار ذوى  
أو يجعل المصدر بمعنى  
المفعول أو الفاعل مبالغة  
أو على العلية بتقدير  
المضيق أي ارادة خوف  
وطمع أو بتأويل الاخافة  
والاطماع لبتحد فاعل  
العلة والفعل المعلن  
وأما جعل المعلن هي  
الرؤية التي تتضمنها  
الارادة على طريقة قول  
الناطقة \* وحلت بيوتى  
في يفاع بمنم \* تخال به  
راعى الجولة طائرا \*  
حذار على أن لا ينال  
معاونى \* ولا نسوتى  
حتى يمتن حرأرا \* أى  
احلك بيوتى حذارا فلا  
سبيل اليه لان ما وقع  
في معرض العلة الغائبة  
لا سيما الخوف لا يصلح  
علة لرؤيتهم (وينشئ  
السحاب) الغمام  
المنسحب في الجو (الثقال)

أربعة عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان  
يقى في بطن امه أربع سنين ولذلك سمي هرما الرابع الدم فانه تارة يقل وتارة يكثر الخامس  
ما ينقص بالسقط من غير أن يتم وما يزداد بالتمام السادس ما ينقص بظهور دم الحيض  
وذلك لانه اذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص وبمقدار حصول ذلك نقصان  
يزداد أيام الحمل لتصير هذه الزيادة جارية لذلك النقصان قال ابن عباس رضى الله عنهما  
كلما سال الحيض في وقت الحمل يوما زاد في مدة الحمل يوما يحصل به الجبرو يعتدل الامر  
السابع ان دم الحيض فضله يجتمع في بطن المرأة فاذا امتلأت عروقها من تلك  
الفضلات فاضت وخرجت وسالت من دواخل تلك العروق ثم اذا سالت تلك المواد  
امتلأت تلك العروق مرة أخرى هذا كله اذا قلنا ان كلمة ما موصولة أما اذا قلنا انها  
مصدرية فالعنى انه تعالى يعلم حل كل شئ ويعلم غيبض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ  
من ذلك ولا من أوقاته وأحواله وأما قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار فغناه بقدر واحد  
لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر وقوله في أول الفرقان وخلق كل  
شئ بقدره تقدير او اعلم ان قوله كل شئ عنده بمقدار يحتمل أن يكون المراد من العندية  
العلم ومعناه انه تعالى يعلم كيفية كل شئ وكيفيته على الوجه المفصل المبين ومتى كان  
الامر كذلك امتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات ويحتمل أن يكون المراد من العندية  
انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشبهته الازلية و ارادته السرمدية  
وعند حكماء الاسلام انه تعالى وضع أشياء كلية وأودع فيها قوى وخواص وحركتها  
بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات  
مخصوصة مفردة ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم وهومن  
أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة ثم قال تعالى عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس  
رضى الله عنهما يريد علم ما غاب عن خلقه وما شهدوه قال الواحدى فعلى هذا الغيب مصدر  
يريد به الغائب والشهادة أراد بها الشاهد واختلفوا في المراد بالغائب والشاهد قال  
بعضهم الغائب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقال آخرون الغائب ما غاب عن الحس  
والشاهد ما حضر وقال آخرون الغائب ما لا يعرفه الخلق والشاهد ما يعرفه الخلق ونقول  
المعلومات قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات منها معدومات يمتنع وجودها  
ومنها معدومات لا يمتنع وجودها والموجودات أيضا قسمان موجودات يمتنع عدمها  
وموجودات لا يمتنع عدمها وكل واحد من هذه الاقسام الاربع له أحكام وخواص  
والكل معلوم لله تعالى وحكى الشيخ الامام الوالد عن أبي القاسم الانصارى عن امام  
الحرمين رحمه الله تعالى انه كان يقول لله تعالى معلومات لانهاية لها وله في كل واحد  
من تلك المعلومات معلومات أخرى لانهاية لها لان الجوهر الفرد يعلم الله تعالى من حاله انه  
يكن وقوعه في احياز لانهاية لها على البدل وموصوفا بصفات لانهاية لها على البدل وهو

بالماء وهي جمع ثقيلة ﴿ ٣٥ ﴾ خا وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال  
سحابة ثقيلة وسحاب ثقيل كما يقلل امرأة كريمة ونسوة كرام (ويسبح الرعد) أى سامعوه من العباد الراجين  
للمطر ملتبسين (بجمده) أى يضيئون بسبحان الله والمجد لله واستأجده الى الرعد لجملة

لهم على ذلك أو يسبح الرطبة على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على توحيدانية تعالى وفضله المستوجب لجلته  
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان ﴿ ٢٧٤ ﴾ من يسبح الرعد بحمده ولخا اشهد يقول اللهم

تعالى عالم بكل الاحوال على التفصيل وكل هذه الاقسام داخل تحت قوله تعالى عالم  
العب والسهادة ثم انه تعالى ذكر عقيب قوله الكبير وهو تعالى يمتنع أن يكون كبيرا  
بحسب الجثة والحجم والمقدار فوجب أن يكون كبيرا بحسب القدرة والمقادير الالهية  
ثم وصف تعالى نفسه بأنه المتعال وهو المتزه عن كل ما لا يجوز عليه وذلك يدل على كونه  
منزها في ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الآية دالة على كونه تعالى موصوفا بالعلم الكامل  
والقدرة التامة ومنزها عن كل ما لا ينبغي وذلك يدل على كونه تعالى قادرا على البعث  
الذي انكروه وعلى الآيات التي اقترحوها وعلى العذاب الذي استعملوه وانه اعماق بحر  
ذلك بحسب المشيئة الالهية عند قومه وبحسب المعصية عند آخرين وقرأ ابن كثير المتعال  
بآيات الياء في الوقف والوصل على الاصل والباقون بحذف الياء في الحالين للتخفيف  
انه تعالى أكديان كونه عالما بكل المعلومات فقال سواء منكم من أسر القواظهره النهار  
به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ الاجزيم اب  
اثنين تقول سواء زيد وغمر ثم فيه وجهان الاول أن سواء مصدر والمعنى ذوسه قتل قول  
عدل زيد وعمر وأي ذوا عدل الثاني أن يكون سواء بمعنى مستو وعلى هاهنا تفسير  
فلا حاجة الى الاضمار الا أن سبويه يستفتح أن يقول مستو زيد وعمر ولأن سبويه  
الفاعلين اذا كانت نكرات لا يبدأ بها ولقائل أن يقول بل هذا الوجه أولى لأن حل  
الكلام عليه يعني من التزام الاضمار الذي هو خلاف الاصل (المسئلة الثانية) في  
المستخفي والسارب قولان الاول يقال أخفيت الشيء أخفيه اخفاء فخفي واستخفي فلان  
من فلان أي توارى واسترق قوله وسارب بالنهار قال الفراء والزجاج ظاهر النهار في سر به  
أي طريقه يقال خلاله سر به أي طريقه وقال الازهرى تقول العرب سربت الابل  
تسرب سر بها أي مضت في الارض طاهرة حيث شامت فاذا صرقت ذلك فعني الآية سواء  
كان الانسان مستخفيا في الظلمات أو كان ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط  
بالكل قال ابن عباس رضي الله عنهما سواء ما أضمرته القلوب وأظهرته الالسنه وقال  
مجاهد سواء من يقدم على الصابح في ظلمات الليالي ومن يأتي بها في النهار الظاهر على  
سبيل التوالي والقول الثاني نقله الواحدى عن الاخفش وقطرب انه قال المستخفي الطاهر  
والسارب المتوارى ومنه يقال خفيت الشيء واخفته أي اظهرته واخفيت الشيء  
استخرجته ويسمى النباش المستخفي والسارب المتوارى ومنه يقال للدخل سر به  
وانسرب الوحش اذا دخل في السرب أي في كئسه قال الواحدى وهذا الوجه صحيح  
في اللغة الا أن الاختيار هو الوجه الاول لاطباق أكثر المفسرين عليه وأيضا دليل يدل  
على الاستتار والنهار على الظهور والانتشار قوله تعالى (لمعقبات من بين يديه ومن  
خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله  
بقوم سواء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) اعلم أن الضمير في قوله تعالى من في قوله

لا تقتلنا بغضبك ولا  
تمهلكنا بعذابك وعافنا  
قبل ذلك وعن علي  
رضي الله عنه سبحان  
من سبحته وعن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
ان اليهود سألت النبي  
عليه الصلاة والسلام  
عن الرعد فقال ملك  
من الملائكة موكل  
بالسحاب معه مخاريق  
من نار يسوق بها  
السحاب وعن الحسن  
خلق من خلق الله تعالى  
ليس بملك (والملائكة)  
أي يسبح الملائكة (من  
خيفته) من هيئته واجلاله  
جل جلاله وقيل الضمير  
لرعد (ويرسل الصواعق  
فصبب بها من يشاء)  
فيهلكه بذلك (وهم)  
أي الكفرة المخاطبون  
في قوله تعالى هو الذي  
يريك البرق وقد انفت  
الى العيبة ايدانا باسقاطهم  
عن درجة الخطاب  
واعراضا عنهم وتعديدا  
لجناياتهم لدى كل من  
يستحق الخطاب كانه  
قيل هو الذي يفعل  
أمثال هذه الافاعيل  
العجيبة من اراءة البرق

وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين ﴿ سواء  
أوالرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والجد والخوف من هيئته تعالى وهم أي  
الكفرة الذين حكيت هانتهم مع ذلهم وهو انهم وحقارة شأنهم (يجادلون في الله)



أخى في شأنه تعالى بحيث يملكون ما يفعلون من انكار البعث واستحجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات بالاوله لطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يرثكم ﴿ ٢٧٥ ﴾ . للبرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على

قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا يحال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استحجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدل وقد أرى يديه مأصبا ر بدن ربيعة أخا لبيد فانه أقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيانه الفوائل فدخل المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الاصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى الى اربدانه اذا رأيتي اكلم محمد عليه الصلاة والسلام فدر من خاسفه واضربه بالسيف فيجعل بكلمه عليه الصلاة والسلام فدار أربد من خلفه عليه الصلاة والسلام فاخترط من سيفه شدا فحبسه الله تعالى فلم يقدر

سواء عنكم من اسرار القول ومن جهه به وقيل على اسم الله في ظلم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات وأما المعقبات فيجوز أن يكون أصل هذه الكلمة معقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعتدون من الاعراب والمراد المعتذرون ويجوز أن يكون من عقبه اذا جاء على عقبه فاسم المعقب من كل شيء ما خلفه يعقب ما قبله والمعنى في كلا الوجهين واحدا اذا عرفت هذا فتقول في المراد بالمعقبات قولان الاول وهو المشهور الذي عليه الجمهور أن المراد منه الملائكة الحافظة وانما صح وصفهم بالمعقبات اما لاجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يتعقبون أعمال العباد ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم طار اليه فقد عقب فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل وملائكة النهار روى عن عثمان رضى الله عنه انه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك فقال عليه السلام ملك عن يمينك يكتب الحسنات وهو أمين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرةا واذا عملت سيئة قاله الذي على الشمال للمصاحب اليمين اكتب فيقول لعله يتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب أراحم الله منيه فينس القرين ما أقل مراقبه لله تعالى واستحياء منا وملك كان من بين يديك ومن خلفك فهو قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه وملك قابض على ناميتك فاذا سئل بك رفعتك وان تجبرت فصمك وملك كان على شفتك يحفظان عليك الصلاة على وملك على فيك لا يدع ان تدخل الحية في فيك وملك كان على عينك فهو لاء عشرة املاك على كل آدمى تبدل ملائكة الليل بملائكة النهار فهم عشرون ملكا على كل آدمى ورضه صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر وهو المراد من قوله وقرآن العجرا قرآن العجرا كان مشهودا قيل تصعد ملائكة الليل وهي عشرة وتزل ملائكة النهار وقال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال فعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وفي الآية سوالات (السؤال الاول) الملائكة ذكور في ذكر في جمعها جمع الاناث وهو المعقبات والجواب فيه قولان الاول قال الفراء المعقبات ذكر ان جمع ملائكة معقبة ثم جعلت معقبة بمعقبات كما قيل ابناوات سعدور جالات بكر جمع رجال والذي يدل على التذكير قوله يحفظونه والثاني وهو قول الاخفش انما أنت لكثرة ذلك منها نحو نسبة وعلامة وهو ذكر (السؤال الثاني) ما المراد من كون أو تلك المعقبات من بين يديه ومن خلفه والجواب أن المستخني بالليل والسارب بالنهار قد أساطبه هؤلاء المعقبات فيسدون عليه أعماله وأقواله بتامها ولا يشذ من تلك الاعمال والاقوال من حفظهم شيء أصلا ويقال بعضهم بل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان السارب بالنهار اذا سعى في مهماته فانما يجذر من بين

على سله وبجمله عامر يومى اليه فرأى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هار بافتزل في بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول اربد يا ملك الموت ويقول

الشعرو يقول واللات لئن أضحرتي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برحمتي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بمضاجحه فأرداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعماد ﴿ ٢٧٦ ﴾ الى بيت السلوية وهو يقول غدة كغدة

يديه ومن خلفه (السؤال الثالث) ما المراد من قوله من أمر الله والجواب ذكر الفراء فيه قولين الاول انه على التقديم والتأخير والتقدير له معيات من أمر الله يحفظونه والثاني ان فيه ضمرا أي ذلك الحفظ من أمر الله أي مما أمر الله به فحذف الاسم وأبقى خبره كما يكتب على الكيس ألفان والمراد الذي فيه ألفان والقول الثالث ذكره ابن الانباري ان كلمة من معناها الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وباطائه والدليل على انه لا بد من المصير اليه انه لا قدرة للملائكة ولا احد من الخلق على أن يحفظوا أحدا من أمر الله وبما قضاه عليه (السؤال الرابع) ما الفائدة في جعل هؤلاء الملائكة موكلين علينا والجواب أن هذا الكلام غير مستبعد وذلك لان المتجملين اتفقوا على ان التدبير في كل يوم الكوكب على حدة وكذا القول في كل ليلة ولا شك ان تلك الكواكب لها ارواح عندهم فتلك التدبيرات المختلفة في الحقيقة لتلك الارواح وكذا القول في تدبير القمر والهلال والكذخدا على ما يقوله النجمون وأما أصحاب الطلسمات فهذا الكلام مشهور في ألسنتهم ولذلك تراهم يقولون أخبرني الطبايعي التام ومرادهم بالطبايعي التام ان لكل انسان روحا فلكية يتولى اصلاح مهماته ودفع بلياته وآفاته واذا كان هذا متفقاً عليه بين قدماء الفلاسفة وأصحاب الاحكام فكيف يستبعد مجيئه من الشرع وعمام التحقيق فيه ان الارواح البشرية مختلفة في جواهرها وطبائعها فبعضها خيرة و بعضها شريرة وبعضها معرزة وبعضها مذلة وبعضها قوية القهر والسلطان وبعضها ضعيفة مخيفة وكأأن الامر في الارواح البشرية كذلك فكذا القول في الارواح الفلكية ولا شك أن الارواح الفلكية في كل باب وكل صفة اقوى من الارواح البشرية وكل طائفة من الارواح البشرية تكون مشاركة في طبيعة خاصة وصفة مخصوصة لما انتهاتكون في تربية روح من الارواح الفلكية مشاكلة لها في الطبيعة والخاصية وتكون تلك الارواح البشرية كأنها اولاد لتلك الروح الفلكية ومتى كان الامر كذلك كان ذلك الروح الفلكي معينا لها على مهماتها ومرشد لها الى مصالحها وطالحها عن صنوف الآفات فهذا كلام ذكره محققو الفلاسفة واذا كان الامر كذلك علمنا أن الذي وردت به الشريعة أمر مقبول عند الكل فكيف يمكن استنكاره من الشريعة \* ثم في اختصاص هؤلاء الملائكة وتسلطهم على بني آدم فوائد كثيرة سوى التي مر ذكرها من قبل الاول أن الشياطين يدعون الى الشرور والمعاصي وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات والثاني قال مجاهد ما من عبد الاومعه ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته الثالث أن نازي أن الانسان قد يقع في قلبه داع قوي من غير سبب ثم يظهر بالآخرة ان وقوع تلك الداعية في قلبه كان سببا من أسباب مصالحه وخيراته وقد ينكشف أيضا بالآخرة انه كان سببا لوقوعه في آفة أو في معصية فيظهر ان الداعي الى الامر الاول كان مريدا للخير والراحة والى الامر الثاني كان مريدا للفساد والمحنة والاول هو الملك

البعير وموت في بيت سلوية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به ما روى عن الحسن أنه كان رجلا من طواغيت العرب فبعث النبي عليه الصلاة والسلام نفرا من أصحابه يدعونهم الى الله عز وجل فقال لهم أخبروني مما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس أم من حديد أم من در فاستظمو مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فإزاد الامقالاته الاولى وأخبت فرجعوا اليه عليه الصلاة والسلام وأخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فيبيناهم عنده ينازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت و برقت و رمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاؤا يدهون ليخبروه عليه الصلاة

والسلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا أوحى الى ﴿ الهادي ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ( وهو شديد المحال ) أي والحال أنه شديد المباحة والمكابرة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تحمل

اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محمال من المحل بمعنى القوة وقيل محمول من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس ويفسده  
انه قري بفتح الميم على انه مفعول ﴿ ٢٧٧ ﴾ من حال محمول اذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى القمار فيكون مثلاً في القوة

والقدرة كقولهم فساعد  
الله أشد وموساه أحد  
(له دعوة الحق) أي  
الدعوة الثابتة الواقعة  
في محلها المجابة عند  
وقوعها والاضافة  
للإيدان بملاستها للحق  
واختصاصها به وكونه  
بمعزل من شائبة البطلان  
والضياح والضلال  
كما يقال كلمة الحق وقيل  
للدعوة الله سبحانه أي  
الدعوة اللاتمة بحضرة  
كافي قوله عليه الصلاة  
والسلام فن كانت هجرته  
الى الله ورسوله فهجرت  
الى الله ورسوله والتعرض  
لوصف الحقية لتربية  
معنى الاستجابة والاولى  
هو الاول لقوله تعالى  
ومادعا الكافرين الا  
في ضلال وتعلق الجملتين  
بما قبلهما من حيث ان  
اهلاك أربدوعامر محال  
من الله تعالى واجابة  
لدعوة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
عليهما ان كانت الآية  
نزلت في شأنهما أو من  
حيث انه وعيد للكفرة  
على مجادلة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم

الهادي والثاني هو الشيطان المعوى الرابع أن الانسان اذا علم أن الملائكة تحصى  
عليه أعماله كان الى الخدر من المعاصي أقرب لان من آمن يعتقد جلالة الملائكة وعلو  
مراتبهم فاذا حاول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن  
الاقدام عليها كما يزجره عنها اذا حضره من يعظمه من البشر واذا علم أن الملائكة  
تحصى عليه تلك الاعمال كان ذلك أبيضار ادطاله عن او اذا علم أن الملائكة يكتبونها كان  
الردع أكل (السؤال الخامس) ما الفائدة في كتابة أعمال العباد قلنا ههنا مقامات  
الاول ان تفسير الكتابة بالمعنى المشهور من الكتابة قال المتكلمون الفائدة في تلك  
الصحف وزنها يعرف رجحان احدي الكفتين على الاخرى فانه اذا رجحت كفة الطاعات  
ظهر للخلائق انه من أهل الجنة وان كان بالصدفة بالصدق لالقاضي هذا بعيد لان الادلة  
قد دلت على أن كل واحد قبل مماته عند المعايمة يعلم انه من السعداء أو من الاشقياء  
فلا يتوقف حصول تلك المعرفة على الميزان ثم اجاب القاضي عن هذا الكلام وقال لا يمتنع  
أيضا ما روينا لامر يرجع الى حصول سروره عند الخلق العظيم انه من أولياء الله في الجنة  
وبالصد من ذلك في أعداء الله والمقام الثاني وهو قول حكماء الاسلام أن الكتابة عبارة عن  
نفوس مخصوصة وضعت بالاصطلاح لتعريف المعاني المحصورة فلو قدرنا كون تلك  
النفوس دالة على تلك المعاني لا عيانتها وذواتها كانت تلك الكتابة أقوى وأكل  
اذا ثبت هذا فتقول ان الانسان اذا أتى بعمل من الاعمال مرات وكرات كثيرة متوالية  
حصل في نفسه بسبب تكررها ملكة قوية راسخة فان كانت تلك الملكة ملكة سارة  
بالاعمال النافعة في السعادات الروحانية هضم ابتهاجه بها بعد الموت وان كانت تلك  
الملكة ملكة ضارة في الاحوال الروحانية عظم تضرره بها بعد الموت اذا ثبت هذا فتقول  
ان التكرير الكثير لما كان سببا لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكل واحد من الاعمال  
التكررة أثر في حصول تلك الملكة الراسخة وذلك الاثر وان كان غير محسوس الا أنه  
حاصل في الحقيقة واذا عرفت هذا ظهر انه لا يحصل للانسان لحظة ولا حركة ولا سكون الا  
ويحصل منه في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو آثارها الشقاوة قل أو كثر فهذا هو  
المراد من كتابة الاعمال عنده هؤلاء والله أعلم بمخاتق الامور هذا كله اذا فسرنا قوله تعالى  
له مقبات من بين يديه ومن خلفه بالملائكة \* القول الثاني وهو أيضا مقول عن ابن  
عباس رضي الله عنهما واختاره أبو مسلم الاصفهاني المراد انه يستوى في علم الله تعالى  
السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالانهار المستظهر بالمعاونين والانصار وهم  
الملوك والامراء فن لجأ الى الليل فلن يفوت الله أمره ومن سار نهارا بالمقبات وهم  
الاحراس والاعوان الذين يحفظونه لم ينجم احراسه من الله تعالى والمعقب العون لانه  
اذا أبصر هذا ذلك فلا بد ان يبصر ذلك هذا اقتصير بصيرة كل واحد منهم معاقبة لبصيرة  
لاخر فهذه المقبات لا تخلص من قضاء الله ومن قدره وهم وان ظنوا أنهم مخلصون

بطلون بحاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) أي الاصنام الذين يدعوه المشركون فحذف  
العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (الا كباسط كفيه الى الماء) أي الاستجابة  
كأئنة كاستجابة الماء لن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من



أي ذهاب وبيع وخسار (وقه) وبعده (بمسجد) يخضع وينقاد لا شيء غيره استقلالاً ولا اشتراكاً كما قاله بعضهم ينظم القلب  
والافراد (من في السموات والأرض) من الملائكة ٢٧٩ والقلبين (طوعاً وكرهاً) أي طائعين وكارهين  
وانقياد طوع وكره أو  
حاله طوع وكره فان  
خضوع الكل لعظمة الله

عزو جل وانقيادهم  
لاحداث ما اراده فيهم  
من احكام التكوين  
والاصدام شأواً وأبوا  
وعدم مداخلة حكم  
غيره بل غير حكمه تعالى  
في تلك الشؤون مما لا يخفى  
على أحد (وظلالهم)  
أي وتفادله تعالى خلال  
من له ظل منهم أعني  
الانس حيث تصرف  
على مشيئته وتأتى  
لارادته في الامتداد  
والتقليص والقي هو الزوال  
(بالقدو والآصال)  
ظرف للجهود المقدر  
أوحال من الظلال  
وتخصيص الوقتين بالذكر  
مع أن انقيادها متحقق  
في جميع أوقات وجودها  
لظهور ذلك فيهما والقدو  
جمع غداة كفتى في جمع  
فتاوى الآصال جمع أصيل  
وقيل جمع أصل وهو جمع  
أصيل وهو ما بين العصر  
والغرب وقيل القدو  
مصدر ويؤيده انه  
قرى والايصال أي  
الدخول في الاصيل

تعالى (هو الذي ير بكم البرق خوفاً وطمعاً وينشى السحاب التماساً ويسبح الرعد بحمده  
والملائكة من خيافته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو  
شديد المحال) اعلم أنه تعالى لما خوف المباد بازاله ما لا يجر دله اتبعه بذكر هذه الآيات  
وهي مشتملة على أمور ثلاثة وذلك لانها دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته وانما تشبه  
النم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه واعلم انه  
تعالى ذكر ههنا أموراً أربعة الاول البرق وهو قوله تعالى ير بكم البرق خوفاً وطمعاً وفيه  
مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف في انتصاب قوله خوفاً وطمعاً وجوه  
الاول لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما لانها ليسا بفعل فاعل الفصل الممثل الاعلى تقدير  
حذف المضاف أي ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطمئناة الثاني يجوز أن يكونا  
منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وذا طمع  
أو على معنى ايخافا واطمئناة الثالث أن يكونا حالا من المخاطبين أي خائفين وطمعين  
(المسئلة الثانية) في كون البرق خوفاً وطمعاً وجوه الاول ان عند لعان البرق يخاف  
وقوع الصواعق ويطمع في نزول النيث قال المنبجي

فنى كالسحاب الجون يخشى ويرنجي • يرعى الحياء منها ويخشى الصواعق  
الثاني انه يخاف المطر من له فيه ضرر كالسافر وكمن في جراه الخمر والزيب ويطمع فيه  
من له فيه نفع الثالث ان كان شيء يحصل في الدنيا فهو خير بالنسبة الى قوم وشر بالنسبة  
الى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج اليه في أوانه وشر في حق من يضره ذلك  
اما بحسب المكان أو بحسب الزمان (المسئلة الثالثة) اعلم ان حدوث البرق دليل عجيب  
على قدرة الله تعالى وبيان ان السحاب لا شك انه جسم مركب من أجزاء رطبة مائية  
ومن أجزاء هوائية ونارية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد  
رطب والنار جسم حار باس وظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل فلا بد من  
صانع مختار يظهر الضد من الضد فان قيل لم لا يجوز ان يقال الريح احتقن في داخل  
جرم السحاب واستولى البرد على ظاهره فاجتمدا السطح الظاهر منه ثم ان ذلك الريح يمرقه  
تمزقاً عنيفاً فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة والحركة العنيفة موجبة  
للسخونة وهي البرق والجواب ان كل ما ذكرتموه على خلاف المعقول وبيان من  
وجوه الاول انه لو كان الامر كذلك اوجب أن يقال أيما يحصل البرق فلا بد أن يحصل  
الرعد وهو الصوت الحادث من تمزق السحاب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فانه كثيراً  
ما يحدث البرق القوي من غير حدوث الرعد الثاني ان السخونة الحاصلة بسبب قوة  
الحركة مقابلة للطبيعة المسائية الموجبة للبرد وعند حصول هذا العارض القوي كيف  
تحدث النارية بل نقول الثيران العظيمة تنطفي بمصب الماء عليها والسحاب كله ماء فكيف  
يمكن ان يحدث فيه شعلة ضعيفة نارية • الثالث من مذهبكم ان النار الصرفة لالون

هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطراب هو المعنى بقوله تعالى وكرهاً ينخسون السجود به سبحانه  
قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يجد أن يخلق الله تعالى في الظلال أدهما وعقولا بها تسجد لله  
سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر

فيها آثار العجلى كما قاله ابن الأثير ويخون أن يزد بسجودها ما يشاهد فيهما من هيئة العجوة تبعا لأصحابها لو أنت خير بأن اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة \* ٢٨٠ \* بالله سبحانه لا يجدى فان سجودهم لاصنامهم

حالة الرخاء محل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالو جه محل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوسيح اتخاذ أولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكركم كون غيرهم أيضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل ( قل من رب السموات والارض ) فانه لتحقيق أن خالقهما ومتولى أمرهما مع ما فيها على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله تعالى ( قل الله ) أمر بالجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعارا بأنه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امره بمحاكاة اعترافهم ايذانا بأنه أمر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فيكنتم بما يلزمهم من الحجة والتمهم الجبر أو أمر بتلقينهم ذلك ان تعلموا

لها البتة فذهب أنه حصلت النار به بسبب قوة المحركة الحاصلة بأجزاء السحاب لكن من أين حدث ذلك اللون الأحمر فثبت ان السبب الذي ذكره ضعيف وان حدوث النار بالحاصلة في جرم السحاب مع كونه ماء خالصا لا يمكن الا بقدره القادر الحكيم ( النوع الثاني ) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال قال صاحب الكشاف السحاب اسم جنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحابة ثقيل كما تقول امرأة كريهة ونساء كرام وهي الثقال بالماء واعلم ان هذا أيضا من دلائل القدرة والحكمة وذلك لان هذه الاجزاء المائية اما أن يقال انها حدثت في جوف الهواء أو يقال انها تصاعدت من وجه الارض فان كان الاول وجب أن يكون حدودها باحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب وأن كان الثاني وهو أن يقال ان تلك الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت الى الارض فتقول هذا باطل وذلك لان الامطار مختلفة فتارة تكون القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون مقاربة وأخرى تكون متباعدة وتارة تدوم مدة نزول المطر زمانا طويلا وتارة قليلا فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار وأيضا التجربة دللت على ان الدعا والتضرع في نزول التيث أثر عظيم ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فعلنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصية ( النوع الثالث ) من الدلائل المذكورة في هذه الآية الرعد وهو قوله ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفيه أقوال (الاول) ان الرعد اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتليل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب وعن الحسن انه خلق من خلق الله ليس بملك فعلى هذا القول الرعد هو الملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح لله تعالى وذلك الصوت أيضا يسمى بالرعد ويؤكد هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سمع الرعد قال سبحان الذي سبحته وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينشئ السحاب الثقال فينطق أحسن النطق وبضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد وضحك البرق واعلم ان هذا القول غير مستبعد وذلك لان عند أهل السنة البنية ليست شرط للحصول للحياة فلا بعد من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له وكيف يستبعد ذلك ونحن نرى أن السمندل يتولد في النار والضفادع تتولد في الماء البارد والدودة العظيمة ربما تتولد في الثلوج القديمة وأيضا فاذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام ولا تسبيح الحمى في زمان محمد صلى

في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتألمون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره ( قل ) الزامهم ﴿ الله ﴾ وتبكيها ( أفأنتخذتم ) لانفسكم والهزمة لانكار الواقع كما في قولك اضربت أبك لانكار الوقوع كما في قولك اضربت أبي والفاء للعطف على مقدر بعد الهزمة اي أعلمتم ان ربهما هو الله الذي يتقاد لامره من فيهما كافة

فَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ (مَنْ دُونَهُ أَوْلِيَاءَ) عَاجِزِينَ (لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَقْمًا) يَسْتَجِيبُونَهُ (وَلَا ضَرًّا) يَدْفَعُونَهُ أَحْسَنَ أَنْفُسِهِمْ فَضْلًا  
عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَى جَلْبِ النِّفْعِ لِغَيْرِهِ وَدَفْعِ الضَّرْرِ ﴿ ٢٨١ ﴾ عَنْهُ لَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْإِنْكَارُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمُعْطُوفِينَ مَعًا

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
إِذَا قَدَّرَ الْمُعْطُوفُ عَلَيْهِ  
الْإِسْمَاعُونَ بِلِ إِلَى تَرْبِ  
الْقَهَّانِي عَلَى الْإُولَى مَعَ  
وَجُوبِ أَنْ يَتَرْتَبِ عَلَيْهِ  
نَقِيضُهُ كَمَا إِذَا قَدَّرَ  
أَسْمَعُونَ وَالْمَعْنَى أَيْ بَعْدَ أَنْ  
عَلِمْتُمْ أَنَّ رَجْمَهُ هُوَ اللَّهُ جَلِ  
جَلَالُهُ اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءَ عَجِزِهِ وَالْحَالُ أَنَّ  
قَضِيَّةَ الْعِلْمِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ  
الْإِقْتِصَارُ عَلَى تَوَلِيهِ  
فَصَكَبْتُمْ الْأَمْرَ كَمَا فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ  
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْهُ  
وَذُرِيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي  
وَوَصَفَ الْإَوْلِيَاءَ هَهُنَا  
بِعَدَمِ الْمَالِكِيَّةِ لِلنِّفْعِ وَالضَّرْرِ  
فِي تَرْشِيحِ الْإِنْكَارِ وَتَأْكِيدِهِ  
كَتَقْيِيدِ الْإِتِّخَاذِ هُنَا  
بِالْجُمْلَةِ الْحَالِيَةِ أَعْنَى قَوْلِهِ  
تَعَالَى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ فَإِنَّ  
كَلَامَهُمَا يَمُنِّي الْإِتِّخَاذَ  
الْمَذْكُورِ وَيُؤَكِّدُ الْإِنْكَارَ  
(قُلْ) تَصَوُّرِ الْإِرَائِهِ  
الرَّكِيكَةِ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ  
(هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى)  
الَّذِي هُوَ الْمُشْرِكُ الْجَاهِلُ  
بِالْبَسَادَةِ وَمُسْتَحَقُّهَا  
(وَالْبَصِيرُ) الَّذِي هُوَ  
الْمُوحِدُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ أَوْ  
الْأُولَى عِبَارَةً عَنِ الْمَعْبُودِ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ يَسْتَعِدُّ تَسْبِيحَ السَّحَابِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَهَذَا الشَّيْءُ الْمُسَمَّى بِالرَّعْدِ  
مَلَكٌ أَوْ لَيْسَ بِمَلَكٍ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَلَكٍ لِأَنَّهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ الْمَلَأْتُكَ فَقَالَ  
وَالْمَلَأْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ وَالْمُعْطُوفُ عَلَيْهِ مَغَايِرٌ لِلْمُعْطُوفِ وَالثَّانِي وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ  
مِنْ جِنْسِ الْمَلَأْتُكَ وَإِنَّمَا حَسُنَ إِفْرَادُهُ بِالذِّكْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ كَمَا فِي قَوْلِهِ وَمَلَأْتُكَ  
وَرَسُولَهُ وَجَبْرِيْلَ وَمِيكَالَ وَفِي قَوْلِهِ وَإِذَا خَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحِ (الْقَوْلُ  
الثَّانِي) إِنْ الرَّدْعَ اسْمٌ لِهَذَا الصَّوْتِ الْمَخْصُوصِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّدْعَ يَسْمَعُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ  
التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا لَيْسَ الْإِجْرَادُ لَفِظٌ يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ التَّنْزِيهِ  
وَالتَّقْدِيسِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَمَّا كَانَ حَدُوثُ هَذَا الصَّوْتِ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ مَوْجُودٍ  
مَتَعَالٍ عَنِ النِّقْصِ وَالْإِمْكَانِ كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ تَسْبِيحًا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ  
شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ (الْقَوْلُ الثَّلَاثُ) أَنْ الْمُرَادُ مِنْ كَوْنِ الرَّدْعِ سُبْحَانًا أَنْ يَسْمَعَ الرَّدْعُ  
فَأَنَّهُ يَسْبُحُ لِلَّهِ تَعَالَى فَلِهَذَا الْمَعْنَى أُضِيْفَ هَذَا التَّسْبِيحُ إِلَيْهِ (الْقَوْلُ الرَّابِعُ) مِنْ كَلِمَاتِ  
الصُّوفِيَّةِ الرَّدْعُ صَعَقَاتُ الْمَلَأْتُكَ وَالبَرْقُ زَفْرَاتُ أَفْعَدْتُهُمْ وَالمَطَرُ بَكَوْهُمْ فَإِنَّ قِيلَ  
وَمَا حَقِيقَةُ الرَّدْعِ قَلْنَا اسْتَقْصَيْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ فِيهِ طَلْمَاتٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ  
أَمَا قَوْلُهُ وَالْمَلَأْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ يَقُولُ هُنِي بِهِؤَلَاءِ الْمَلَأْتُكَ  
أَعْوَانَ الرَّدْعِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَهُ أَعْوَانًا وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَالْمَلَأْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ أَيْ وَتَسْبِيحُ  
الْمَلَأْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَخَشِيَّتِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّهُمْ حَاطِقُونَ مِنْ  
اللَّهِ لَا يَخُوفُ ابْنَ آدَمَ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَعْرِفُ مِنْ عَلَى يَمِينِهِ وَمَنْ عَلَى إِسَارِهِ وَلَا يَشْفَلُهُ عَنِ  
عِبَادَةِ اللَّهِ طَعَامِهِ لِشَرَابِهِ وَلَا شَيْءٍ وَعَلِمَ أَنَّ الْحَقِيقِينَ مِنَ الْحُكَمَاءِ يَذْكُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآثَارُ  
الْعُلُوبِيَّةُ إِنَّمَا تَمَّ بِقُوَى رُوحَانِيَّةٍ فَلِكَيْفَ فَلِلسَّحَابِ رُوحٌ مَعِينٌ مِنَ الْإِرْوَاحِ الْعَلَكِيَّةِ يَدْبِرُهُ  
وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الرِّيحِ وَفِي سَائِرِ الْآثَارِ الْعُلُوبِيَّةِ وَهَذَا عَيْنٌ مَا تَقَلَّبْنَا مِنْ أَنَّ الرَّدْعَ اسْمٌ مَلَكٌ  
مِنَ الْمَلَأْتُكَ يَسْبُحُ لِلَّهِ فَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ عَيْنٌ مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ فَكَيْفَ يَلِيْقُ بِالْعَاقِلِ الْإِنْكَارُ (النُّوعُ الرَّابِعُ) مِنَ الدَّلَائِلِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ  
الْآيَةِ قَوْلُهُ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيَصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَعَلِمَ أَنَّ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الصَّوَاعِقِ فِي  
سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَامِ رَبِّنَا الطَّغْيَلِ وَأَرَادَ بَدَنُ رِيْعَةَ أَخِي  
لِيَبْدِيَنَّ رِيْعَةَ أَتِيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخَاصِمَانِهِ وَيَجَادُ لِأَنَّهُ وَرِيدَانِ الْقَتْلِ بِهِ  
فَقَالَ أَرَادَ بَدَنُ رِيْعَةَ أَخِي لِيَبْدِيَنَّ رِيْعَةَ أَخِي نَاعَنُ رَبَّنَا مِنْ نَحَاسٍ هُوَ أَمٌّ مِنْ حَدِيدٍ نَمَانَهُ  
لَمَّا رَجَعَ أَرَادَ أَنْ يَرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَاحْرَقَتْهُ وَرَمَى عَامِرًا بِقَدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَاتَ  
فِي بَيْتِ سُلُوْبِيَّةٍ وَعَلِمَ أَنَّ الصَّاعِقَةَ عَجِيْبٌ جَدًّا وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَارَتْ تُولَدُ مِنَ السَّحَابِ وَإِذَا  
نَزَلَتْ مِنَ السَّحَابِ فَتَبَاغَضَتْ فِي الْبَحْرِ وَاحْرَقَتْ الْحَيْتَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَالْحُكَمَاءُ بِالْإِغْوَاقِ  
وَصَفَّ قُوْنَهَا وَوَجَّهَ الِاسْتِدْلَالَ أَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ يَابَسَةٌ وَطَبِيعَتُهَا ضِدُّ طَبِيعَةِ السَّحَابِ فَوَجِبَ  
أَنْ تَكُونَ طَبِيعَتُهَا فِي الْحَرَارَةِ وَالْيَبُوسَةِ أَوْ ضَعْفٌ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِذَا حَدَثَتْ عِنْدَنَا عَلَى

الغافل والثاني إشارة إلى المعبود ﴿ ٣٦ ﴾ خا العالم بكل شئ (أم هل تستوى الظلمات) التي هي عبارة عن الكفر  
والضلال (والنور) الذي هو عبارة عن التوحيد واليمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على أن

الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطا البحت بحيث لا يخفى بطلانه على  
أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدى إلى شيء أصلاً ﴿ ٢٨٢ ﴾ وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ

العادة لكنه ليس الأمر كذلك فانها أقوى نيران هذا العالم فثبت ان اختصاصها بمنزلة تلك  
القوة لا بد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل  
الاربعة قال وهم يجادلون في الله والمراد انه تعالى بين دلائل كمال علمه في قوله يعلم ما تحمل  
كل أنثى وبين دلائل كمال القدرة في هذه الآيات ثم قال وهم يجادلون في الله يعني هؤلاء  
الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو محتمل وجوها أحدها أن يكون  
المراد الرد على الكافر الذي قال أخبرنا عن ربنا أن نحاس أم من حديد وثانيها أن  
يكون المراد الرد على جدالهم في انكار البعث وابطال الحشر والشرك وثالثها أن يكون  
المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات ورابعها أن يكون المراد الرد عليهم في استئصال  
عذاب الاستئصال وفي هذه الواو قولان الاول انها اللحال والمعنى فيصيب بالصاعقة من  
يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربداً جادل في الله أحرقته الصاعقة والثاني انها واو  
الاستئصال كأنه تعالى لما تم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله ثم قال  
تعالى وهو شديد المحال وفي لفظ المحال أقوال قال ابن قتيبة الميم زائدة وهو من الحول  
ونحوه ميم مكان وقال الأزهرى هذا غلط فان الكلمة اذا كانت على مثال فعال أوله ميم  
مكسورة فهي أصلية نحو مهاد وملاك ومداس ومداد واختلفوا بما أخذ على وجوه  
الاول قيل من قولهم محل فلان بفلان اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ونحو  
لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فكان المعنى أنه سبحانه شديد المكر  
لاعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه الثاني ان المحال عبارة عن الشدة ومنه تشبي  
السنة الصعبة سنة المحل وما حلت فلانا محالاً أي قاومتها أينما شد قال أبو مسلم ومثال  
فعال من المحل وهو الشدة ولفظ فعال يقع على المجازاة والمقابلة فكان المعنى انه تعالى  
شديد المقابلة وللمفسرين ههنا عبارات فقال مجاهد وقناة شديد القوة وقال أبو عبيدة  
شديد العقوبة وقال الحسن شديد التقية وقال ابن عباس شديد الحول الثالث قال ابن  
عرفذ يقال ما حل عن أمره أي جادل فقوله شديد المحال أي شديد الجدال الرابع روي  
عن بعضهم شديد المحال أي شديد الحقد قالوا هذا لا يصح لان الحقد لا يمكن في حق الله  
تعالى إلا ناقداً ذكرنا في هذا الكتاب ان أمثال هذه الالفاظ اذا وردت في حق الله تعالى  
فانها تحمل على نهيات الاعراض لا على مبادئ الاعراض فالمراد بالحقد ههنا هو أنه تعالى  
يريد ائصال الشركاء مع انه يخفى عنه تلك الارادة \* قوله تعالى (له دعوة الحق والدين  
يدعون من دونه لا يستحيون اهلهم بشيء الا كما سطر كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه  
ومادعا الكافرين الا في ضلال) اعلم ان قوله له دعوته الحق أي لله دعوة الحق وفيه بحثان  
(البحث الاول) في أقوال المفسرين وهي أمور أحدها ما روي عن ابن عباس  
رضي الله عنهما انه قال دعوة الحق قول لاله الا الله وثانيها قول الحسن ان الله هو الحق  
فدعاؤه هو الحق كأنه يوصي الى أن الانتطاع اليه في اندعاءه هو الحق وثالثها ان عبادته هي

لفظهم وخطهم فظنوا  
عن الجمة أكد ذلك فقيل  
(أم جعلوا الله) أي بل  
أجعلوا له (شركاء خلقوا  
كخلقهم) سبحانه والمهيرة  
لانكار الوقوع لا لانكار  
الواقع مع وقوعه وقوله  
خلقوا كخلقهم هو الذي  
يتوجه اليه الانكار وأما  
نفس الجعل فهو واقع  
لا يتعلق به الانكار بهذا  
المعنى والمعنى انهم لم  
يجعلوا الله تعالى شركاء  
خلقوا كخلقهم (قتشابه  
الخلق عليهم) بسبب ذلك  
وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقهم  
تعالى فاستحقوا بذلك  
العبادة كما استحقها يكون  
ذلك منشأ لخطهم بل انما  
جعلوا له شركاء ما هو  
بعزل من ذلك المرة وفيه  
ما لا يخفى من التعريض  
بركاسة رأيهم والتهكم  
بهم (قل) تحقياً للحق  
وارشاداً لهم اليه (الله  
خالق كل شيء) كإفنة  
لا خالق سواه فيشاركه  
في استحقاق العبادة  
(وهو الواحد) المتوحد  
باللوهية المتفرد بال  
بوية (القهار) لكل  
ماسواه فكيف يتوهم  
أن يكون له شريك

وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن ﴿ الحق ﴾  
العظيم في فيضانه من جناب الشمس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جربانه هليها



ملاحظة وحفظا وعلى الاسنة مذا كرت وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه مدالحياتها الروحية وما يتلوها من الملكات  
السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء ﴿ ٢٨٣ ﴾ السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سبيلا مقدر

بمقدار اقتضته الحكمة  
في احياء الارض وما عليها  
الباقي فيها حسب ما يدور  
عليه منافع الناس وفي  
كونه حليسة تحبلى به  
النفوس وتوصل الى  
البهجة الابدية ومتاعا  
يتمتع به في المعاش والمعاد  
بالذهب والفضة وسائر  
الفلزات التي يتخذ منها  
انواع الآلات والادوات  
وتبقى متفقا به سائمة  
طويلة ومثل الباطل  
الذي ابتلى به الكفرة  
لقصور نظرهم بما يظهر  
فيهما من غير ما دخله  
فيهما واخلاقا بصفاتها  
من الزبد الى فوقها  
المضمحل سر بما قيل  
( انزل من السماء ) أى  
من جهتها ( ماء ) أى  
كثيرا او نوعا منه وهو  
ماء المطر ( فساتل )  
بذلك ( اودية ) واقعة  
في مواضع لا يجيب الاودية  
اذا لامطار لا تستوعب  
الاقطار وهو جمع واد  
وهو مفرج بين جبال  
او تلال او آكام على  
الشنوذ كناد واندية  
وناج وانجية قالوا وجهه  
أن فاعلا يجيى بمعنى

الحق والصدق واعلم ان الحق هو الوجود والموجود قسم يقبل العدم وهو حق  
يمكن ان يصير باطلا وقسم لا يقبل العدم فلا يمكن أن يصير باطلا وذلك هو الحق الحقيقى  
واذا كان واجب الوجود لذاته موجودا لا يقبل العدم كان أحق الموجودات بأن  
يكون حقا هو هو وكان أحق الاعتقادات واحق الاذكار بأن يكون حقا هو اعتقاد  
ثبوته وذكر وجوده ثبت بهذا أن وجوده هو الحق في الموجودات واعتقاد وجوده هو  
الحق في الاعتقادات وذكره بالثناء والالهية والكمال هو الحق في الاذكار فلهذا قاله  
دعوة الحق ( البحث الثاني ) قال صاصب الكشاف دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن  
تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف اليه الكلمة في قوله كلمة الحق  
والمقصود منه الدلالة على كون هذه الدعوة مختصة بكونها حقة وكونها خالية عن أمارات  
كونه باطلا وهذا من باب اضافة الشيء الى صقته والثاني أن تضاف الى الحق الذي هو الله  
سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل  
دعاء اليه فهو دعوة الحق ثم قال تعالى والذين يدعون من دونه يعبثون الا كهة الذين يدعونهم  
الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ مما يطالبون به الا استجابة باسطة كفيه  
الى الماء والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب  
دعاه وبلغناه فكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر  
على نفعهم وقيل شبهوا في قوله فائدة دعائهم لا آلهتهم بمن أراد أن يعرف الماء يديه ليشرب به  
فيسطها نائرا أصابه ولم تصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شربه وقرئ  
تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتزوين ثم قال وما دعاء الكافرين الا في ضلال أى الا في ضياع  
لامنفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم \* قوله تعالى  
( والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ) اعلم ان في  
المراد بهذا السجود قولين ( الاول ) ان المراد منه السجود بمعنى وضع الجبهة على الارض  
وعلى هذا الوجه ففيد وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد به  
الخصوص وهم المؤمنون فبعض المؤمنين يسجدون لله طوعا بسهولة ونشاط ومن  
المسلمين من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه مع انه يحمل نفسه على أداء تلك الطاعة  
شاء أم أبى والثاني أن اللفظ عام والمراد منه أيضا العام وعلى هذا في الآية اشكال لانه  
ليس كل من السموات والارض يسجد لله بل الملائكة يسجدون لله والمؤمنون من  
الجن والانس يسجدون لله تعالى وأما الكافرون فلا يسجدون الجواب عنه من وجهين  
الاول ان المراد من قوله والله يسجد من في السموات والارض أى ويجب على كل من في  
السموات والارض أن يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول والثاني وهو أن  
المراد من السجود التعظيم والاعتراف بالعبودية وكل من في السموات ومن في الارض  
يعترفون بعبودية الله تعالى على ما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن

فعل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وغالم وعليم وحيث جمع فعيل على أفعله كجرب وجرية جمع فاعل أيضا  
على أفعله فان أريد بها ما يسيل فيها مجازا فاستاد السبلان اليها حقيقى وان أريد معناها الحقيقى فالاستاد مجازى  
كأن جرى النهر واشار التمثيل بها على

الدهرة بما فعلوا من الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشان ما مثل بها كما أشير اليه ( بقدرها ) اي سالت ملتبسة  
أحد وأنهم في الذي عينه الله تعالى واقتضت حكمته في نفع الناس \* ٢٨٤ \* أو بمقدارها التفاوت قلته وكثرة بحسب  
لفظها

الله ( وأما القول الثاني في تفسير الآية ) فهو أن السجود عبارة عن الانقياد والخضوع  
وعدم الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته  
نافذة في الكل وتحقيق القول فيه أن ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته هو الذي تكون  
ماهيةه قابلة لعدم الوجود على السوية وكل من كان كذلك امتنع رجحان وجوده على  
عدمه أو بالعكس الابتأثير موجود ومؤثر فيكون وجود كل ما سوى الحق سبحانه بإيجاده  
وعدم كل ما سواه باعدامه فتأثيره نافذ في جميع الممكنات في طرفي اليجاد والاعدام  
وذلك هو السجود وهو التواضع والخضوع والانقياد ونظيره هذه الآية قوله بل له ما في  
السموات والارض كل له قانتون وقوله وله أسلم من في السموات والارض وأما قوله تعالى  
طوعا وكرها فالمراد أن بعض الحوادث مما يعيل الطبع الى حصوله كالحياء والغنى وبعضها  
مما يغير الطبع عنه كالموت والفقر والعشى والحر والزمانة وجميع أصناف  
المكروهات والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه واجاده ولا قدرة لاحد على  
الامتناع والمدافعة ثم قال تعالى وظلالهم بالغدو والآصال وفيه قولان الاول قال  
المفسرون كل شخص سواء كان مؤمنا أو كافرا فالظله يسجد لله قال سبحانه ظل المؤمن  
يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في  
التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وطله يسجد لله وعند هذا قال ابن الانباري لا يبعد أن  
يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافها ما تسجد بها وتخضع كاجعل الله للجبال افها ما حتى  
اشتعلت بتسبيح الله تعالى وحتى طهر أثر التجلي فيها كما قال فلما تجلى ربه للجبل جعله جركا  
والقول الثاني وهو أن المراد من سجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب وطولها  
بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس فهي متقادة مستسلمة في طولها  
وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خصص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال  
انما عظم وتكثر في هذين الوقتين \* قوله تعالى ( قل من رب السموات والارض قل الله  
قل أفأنتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى  
والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلق فحشاه الخلق  
عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ) اعلم انه تعالى لما بين ان كل من في  
السموات والارض ساجد لله بمعنى كونه خاضعا له عاد الى الرد على عبدة الاصنام فقال قل  
من رب السموات والارض قل الله ولما كان هذا الجواب جوابا يقر به المسؤول ويعترف  
به ولا ينكره أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون هو الذي كره لهذا الجواب تنبيهها على انهم  
لا ينكرونه البتة ولما بين أنه سبحانه هو الرب لكل الكائنات قال قل لهم فلم اتخذتم من  
دون الله أولياء وهي جمادات وهي لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت حاضرة عن  
تحصيل المنفعة لانفسها ودفع المضرة عن أنفسها فبأن تكون حاضرة عن تحصيل المنفعة  
لغيرها ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك أولى فاذالم تكن قادرة على ذلك كانت عبادتها

رب محالها صغرا  
وكبر الابلكونها مائة لها  
منطبقة عليها بل مجرد  
قلتها بصرها المستلزم  
لقلة موارد الماء وكثرة  
بكبرها المستدعى لكثرة  
الموارد فان مورد السيل  
الجاري في الوادي  
الصغير أقل من مورد  
السيل الجاري في الوادي  
الكبير هذا ان أريد  
بالاودية ما يسيل فيها  
أما ان أريد بها معناها  
الخطي فالعنى سالت  
مياها بقدر تلك الاودية  
على نحو ما عرفته آنفا  
أو يراد بضمها مياها  
بطريق الاستخدام  
ويراد بقدرها ما ذكر  
أو لامن المعنيين ( فاحتمل  
السيل ) الجاري في تلك  
الاودية أي حمل معه  
( زبدا ) أي غناء ورغوة  
وانما وصف ذلك بقوله  
تعالى ( رايا ) أي طالبا  
متفحفا فوقه ييا بالما أريد  
بالاحتمال المحتمل لكون  
الجبل غير طاف كالاسجار  
الثقيلة وانما لم يدفع ذلك  
الاجتمال بأن يقال فاحتمل  
السيل فوقه للايدان  
بأن تلك الفوقية مقتضى

شأن الزبد لامن جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثله به من الباطل الذي شأنه الظهور \* محض \*  
في بادى الرأي من غير مداخلة في الحق ( وما يوقدون عليه في النار ) أي يفعلون الايقاد عليه كأننا في النار  
والضمير للناس أضمر مع عدم

سبق الذكر لظهوره وقرى بالخطاب ( ابتغاء حلية أو متاع ) أى اطلب اتخذ حلية وهى ما يتزين به ويجعل به الحلى المتخذة من الذهب والفضة أو اتخذ **٢٨٥** متاع وهو ما يتبع به من الاواني والآلات المتخذة

من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات (زيد) خبث (مثله) مثل ما ذكر من زبد الماء فى كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئ منه لاتبعية معرفة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض للمنى خبر الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار اتهاون به كما فى قوله تعالى فأوقدنى يا همامان على الطين وأشار الى كيفية حصول الزبد منه بنو بانه وفى زيادة فى النار اشعار بالمبالغة فى الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما أشير اليه وعدم التعرض لاجراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان فى التمثيل كما أن لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك (كذلك) أى مثل ذلك المضرب البديع المشتمل

بعض العيب والسفه ولما ذكر هذه الحجة الظاهرة بين أن الجاهل يمثل هذه الحجة يكون كالاعمى والعالم بها كالصير والجهل يمثل هذه الحجة كالظلمات والعلم بها كالنور وكان كل أحد يعلم بالضرورة أن الاعمى لا يساوى البصير والظلمة لا تساوى النور كذلك كل أحد يعلم بالضرورة أن الجاهل بهذه الحجة لا يساوى العالم بها قرأ حرة والكسائى وأبو بكر وعمر وعن عاصم يستوى الظلمات والنور بآلاء لانها مقدمة على اسم الجمع والباقيون بالآء واختاره أبو عبيدة ثم أكد هذا البيان فقال أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يعنى هذه الاشياء التى زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله فى الخلقية فوجب ان تشاركه فى الالهية بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة أن هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل البتة ولا خلق ولا اثر واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله فى الالهية محض السفه والجهل وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان أصحابنا استدلوا بهذه الآية فى مسألة خلق الافعال من وجوه الاول أن المعتزلة زعموا أن الحيوانات تخلق حركات وسكنات مثل الحركات والسكنات التى يخلقها الله تعالى وعلى هذا التقدير فقد جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ومعلوم أن الله تعالى انما ذكر هذه الآية فى معرض الذم والانكار فدلت هذه الآية على أن العبد لا يخلق فعل نفسه قال القاضى نحن وان قلنا ان العبد يفعل ويحدث الأنا لا نطلق القول بانه يخلق ولو أطلقنا لم نقل انه يخلق كخلق الله لان أحدنا يفعل بقدرته الله وانما يفعل لجلب منفعة ودفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك كله فثبت أن بتقدير كون العبد خالقا الا انه لا يكون خلقه كخلق الله تعالى وأيضا فهذا الازام لزم للحجيرة لانهم يقولون عين ما هو خلق الله تعالى فهو وكسب العبد وفعله وهذا عين الشرك لان الاله والعبد فى خلق تلك الافعال بمنزلة الشريكين الذين لا مال لاحدهما الاو لاخر فيه حق وأيضا فهو تعالى انما ذكر هذا الكلام عيبا للكفار وذم ما يطربقتهم ولو كان فعل العبد خلقا لله تعالى لما بقى لهذا الذم فائدة لان للكفار ان يقولوا على هذا التقدير ان الله سبحانه وتعالى لما خلق هذا الكافر فإلما يذمنا عليه ولم ينسبنا الى الجهل والتقصير مع انه قد حصل فينا لا بفعلنا ولا باختيارنا والجواب عن السؤال الاول ان لفظ الخلق اما أن يكون عبارة عن الاجراج من العدم الى الوجود أو يكون عبارة عن التقدير وعلى الوجهين فتقدير أن يكون العبد محدثا فانه لا بد وأن يكون حادثا أما قوله والعبد وان كان خالقا الا انه ليس خلقه كخلق الله قلنا الخلق عبارة عن الایجاد والتكوين والاجراج من العدم الى الوجود ومعلوم أن الحركة الواقعة بقدره العبد لما كانت مثلا للحركة الواقعة بقدره الله تعالى كان أحد المخلوقين مثلا للمخلوق الثانى وحينئذ يصح أن يقال ان هذا الذى هو مخلوق العبد مثل لما هو مخلوق لله تعالى بل لاشك فى حصول المخالفة فى سائر الاعتبارات الا أن حصول المخالفة فى سائر الوجوه لا يقدح فى حصول المماثلة

على نكت رائعة ( يضرب الله الحق والباطل ) أى مثل الحق ومثل الباطل والخذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والمثلى به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء فى تضاعف ذلك الى وجوه المماثلة على أبداع وجوه وانفها حسبما أشير اليه فى مواقعها بين طائفة كل من

الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تمتة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت واردة عن الباطل الزائد فقل ﴿ ٢٨٦ ﴾ ( فأما الزبد ) من كل منهما ( فيذهب جفاء )

من هذا الوجه وهذا القدر يكفي في الاستدلال وأما قوله هذا لازم على المجرة حيث قالوا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فنقول هذا غير لازم لان هذه الآية دالة على أنه لا يجوز أن يكون خلق العبد مثلاً لخلق الله تعالى ونحن لانثبت للعبد خلقاً البتة فكيف يلزمنا ذلك وأما قوله لو كان فعل العبد خلقاً لله تعالى لما حسن ذم الكفار على هذا المذهب قلنا حاصله يرجع الى انه لما حصل المدح والذم وجب أن يكون العبد مستقلاً بالفعل وهو مقنوض لانه تعالى ذم بالذهب على كفره مع انه عالم منه انه يموت على الكفر وقد ذكرنا ان خلاف المعلوم محال الوقوع فهدا تقرير هذا الوجه في هذه الآية وأما الوجه الثاني في التمسك بهذه الآية قوله قل الله خالق كل شيء ولانك ان فعل العبد شيء فوجب أن يكون خالقه هو الله وسؤالهم عليه ما تقدم والوجه الثالث في التمسك بهذه الآية قوله وهو الواحد القهار وليس يقال فيه انه تعالى واحد في أي المعاني ولما كان المذكور السابق هو الخالقية وجب أن يكون المراد هو الواحد في الخالقية القهار لكل ما سواه وحينئذ يكون دليلاً أيضاً على صحة قولنا ( المسئلة الثانية ) زعمهم ان الله تعالى لا يقع عليه اسم الشيء اعلم ان هذا النزاع ليس الا في اللفظ وهو ان هذا الاسم هل يقع عليه أم لا وزعم انه لا يقع هذا الاسم على الله تعالى واحتج عليه بأنه لو كان شيئاً لوجب كونه خالقاً لنفسه لقوله تعالى الله خالق كل شيء ولما كان ذلك محالاً لوجب أن لا يقع عليه اسم الشيء ولا يقال هذا عام دخله التخصيص لان العام المخصوص انما يحسن اذا كان المخصوص أقل من الباقي وأخس منه كما اذا قال أكلت هذه الرمانة مع انه سقطت منها حبات ما أكلها وههنا ذات الله تعالى أعلى الموجودات وأشرفها فكيف يمكن ذكر اللفظ العام الذي يتناولها مع كون الحكم مخصوصاً في حقها والحجة الثانية تمسك بقوله تعالى ليس كمثله شيء والمعنى ليس مثل مثله شيء ومعلوم أن كل حقيقة فانها مثل مثل نفسها فالباري تعالى مثل مثل نفسه مع انه تعالى تبه على ان مثل مثله ليس بشيء فهذا تنصيص على انه تعالى غير مسمى باسم الشيء والحجة الثالثة قوله تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ذات هذه الآية على انه لا يجوز أن يدعى الله الابلا اسماء الحسنى ولفظ الشيء يتناول أخس الموجودات فلا يكون هذا اللفظ مشعراً بمعنى حسن فوجب أن لا يكون هذا اللفظ من الاسماء الحسنى فوجب أن لا يجوز دعاء الله تعالى بهذا اللفظ والاصحاب تمسكوا في اطلاق هذا الاسم عليه تعالى بقوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأجاب الخصم عنه بأن قوله قل أي شيء أكبر شهادة سؤال متبرك الجواب وقوله قل الله شهيد بيني وبينكم كلام مبتدأ مستقل بنفسه لاتعلقه بما قبله ( المسئلة الثالثة ) تمسك المعتزلة بهذه الآية في انه تعالى عالم لذاته لا بالعلم وقادر لذاته لا بالقدره قالوا لانه لو حصل لله تعالى علم وقدره وحياة لكلمات هذه الصفات اما أن تحصل بخلق الله أولاً وبخلقه والاول باطل والازم التسلسل والثاني باطل لان قوله الله خالق كل شيء يتناول الذات والصفات

أي مر ميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد (وأما ما ينفع الناس) منهما كالماء الصافي والفلز الخالص (فيكم في الارض) أما الماء فثبت به ضده في منافعه ويسلك به ضده في عرق الارض الى العيون واقتنا والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالرأب المكث في الارض ما هو أعم من المكث في نفسها ومن البناء في أيدي الانقلابين فيها وتغير ترتيب الافواق في الفضلكة الموافق الترتيب الواقع في التمثيل لمرعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان الاعتبار انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الزاهب لاقبله (كذلك يضرب الله) أي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله (الامثال) في كل باب اظهارا الكمال اللطف والعناية في الارشاد

والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل ونأ كيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴿ حكينا ﴾ اما باعتبار ابتداء هذا على التمثيل الاول أو يجعل ذلك اشارة اليهما جميعاً وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل جالاً وما لا أكمل بيان شرع

في بيان حال أهل كل منها ما لا تكميبا للدعوة وترهيبا لقبيل (الذين استجابوا لهم) اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جعلتها ضرب الامثال فانه ألطف ﴿ ٢٨٧ ﴾ ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية وأقوى وسيلة

الى تسخير النفوس الاية كيف لا وهو تصوير للعقول بصورة المحسوس وباراز لا وايد المعاني في هيئة المأتوس فأى دعوة أولى منه بالاستجابة والقبول (الحسنى) أى المثوية الحسنى وهى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وعادوا الحق الجسلى (لو أن لهم ما فى الارض) من أصناف الاموال (جميعا) بحيث لم يشذ منه شاذ فى أقطارها أو مجموعا غير متفرق بحسب الازمان (ومثله معه لاقتدوا به) أى بما فى الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم مالا يحيط به البيان فالوصول مبتدأ والشريطة كإهى خبره لكن لاعتنى أنها وضعت موضع السوآى فوقعت فى مقابلة الحسنى الواقعة فى القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصارت كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له السوآى كما توهم فان الشريطة وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بعزل من القيام

حكمتا بدخول التخصيص فيه فى حق ذات الله تعالى فوجب أن يبقى فيما سوى الذات على الاصل وهو أن يكون تعالى خالق الكل شئ سوى ذاته تعالى فلو كان لله علم وقدره لوجب كونه تعالى خالقهما وهو محال وأيضا تمسكوا بهذه الآية فى خلق القرآن قالوا الآية دالة على أنه تعالى خالق لكل الاشياء والقرآن ليس هو الله تعالى فوجب أن يكون مخلوقا وأن يكون داخل تحت هذا العموم والجواب اقصى ما فى الباب ان الصيغة عامة الا ما تخصصها فى حق صفات الله تعالى بسبب الدلائل العقلية \* قوله تعالى ( أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رايانا ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فى الارض فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به أولئك لهم سوء الحساب وما واهم جهنم ويأس المهتاد أفن يعلم انما أنزل ايلك من ربك الحق كمن هو أعمى انما تذكر أولوا الالباب) اعلم انه تعالى لما شبه المؤمن والكافر الايمان والكفر بالاعى والبصير والظلمات والثور ضرب للايمان والكفر مثلا آخر فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ومن حق الماء ان يستقر فى الاودية المنخفضة عن الجبال والتلال بمقدار سعة تلك الاودية وصغرها ومن حق الماء اذا زاد على قدر الاودية أن ينسبط على الارض ومن حق الزبد الذى يحتمله الماء فيطفو ويربو عليه أن يتبدد فى الاطراف ويبطل سواء كان ذلك ان يدمى مجرى مجرى الغليان من البياض أو ما يتخلط بالماء من الاجسام الخفيفة ولما ذكر تعالى هذا الزبد الذى لا يظهر الا عند اشتداد جرى الماء ذكر الزبد الذى لا يظهر الا بالنار وذلك لان كل واحد من الاجساد السبعة اذا أذيب بالنار ابتغاء حلية أو متاع آخر من الامتعة التى يحتاج اليها فى مصالح البيت فانه يفصل عنها نوع من الزبد والخبث ولا يتنفع به بل يضيع ويبطل ويبقى الخالص فالخالص ان الوادى اذا جرى طفا عليه زبد وذلك ان يديطل ويبقى الماء والاجساد السبعة اذا أذيت لاجل اتخاذ الحلى أو لاجل اتخاذ سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به فكذا ههنا أنزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء وهو القرآن والاودية قلوب العباد وشبه القلوب بالاودية لان القلوب تستقر فيها أنوار علوم القرآن كما ان الاودية تستقر فيها المياه النازلة من السماء وكان كل واحد فانما يحصل فيه من مياه الامطار ما يلبق بسعته أو ضيقه فكذلك ههنا كل قلب انما يحصل فيه من أنوار علوم القرآن ما يلبق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصور فهمه وكان الماء يعلو زبدا الاجساد السبعة المذابة يخالطها خبث ثم ان ذلك الزبد والخبث يذهب ويضيع ويبقى جوهر الماء وجوهر الاجساد السبعة كذا ههنا بيانات القرآن تتخلط بها شكوك وشبهات ثم انها بالآخرة تروى وتضيع ويبقى

مقام لفظ السوآى محصورا باللام الداخلة على الموصول أو ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع فى تلك المقابلة سوء الحساب فى قوله تعالى (أو ائلك لهم سوء الحساب) وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ فى هذه الجملة عبارة عن الموصول

الواقع متبداً في الجملة السابقة كان خبرها أهي الجملة الظرفية خبراً عن الموصول في الحقيقة ومبينا لأبهام مخزون  
الشرطية الواقعة خبراً عنه أولاً ولذلك ترك العطف ﴿ ٢٨٨ ﴾ فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا لله

العلم والدين والحكمة والمكاشفة في العاقبة فهنا هو تقرير هذا المثل ووجه انطباق  
المثل على الممثل به وأكثر المفسرين سكتوا عن بيان كيفية التمثيل والتسيه (المسئلة  
الثانية) في المباحث اللفظية التي في هذه الآية في لفظ الاودية أبحاث (البحث الاول)  
الاودية جمع واد وفي الوادي قولان الاول انه عبارة عن الغضلة المنخفض عن الجبال  
والتلال الذي يجري فيه السيل هذا قول عامة أهل اللغة والقول الثاني قال السهروردي  
يسمى الماء واديا اذا سال قال ومنه سمى الوادي وديا لخروجه وسيلانه وعلى هذا القول  
فالوادي اسم للماء السائل كالسيل والاول هو القول المشهور الآن على هذا التقدير  
يكون قوله سالت أودية مجازاً فكان التقدير سالت مياه الاودية الا انه حذف المضاف  
وأقيم المضاف اليه مقامه (البحث الثاني) قال أبو علي الفارسي رحمه الله الاودية جمع واد  
ولان علم فاعلا جمع على أفعلة قال ويشبه أن يكون ذلك لتعاقب فاعل وفعل على الشيء  
الواحد كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير ثم ان وزن فاعل يجمع على افعال كصاحب  
وأصحاب وطار وطيور ووزن فاعيل يجمع على أفعلة كجرب وأجربة ثم لما حصلت  
المناسبة المذكورة بين فاعل وفعل لاجرم يجمع الفاعل جمع الفاعل فيقال وادياً ودية  
ويجمل الفاعل على جمع الفاعل فيقال يديم وأيتام وشريف وأشرف هذا ما قاله أبو علي  
الفارسي رحمه الله وقال غيره نظير وادياً وندية نادياً للعباس (البحث الثالث) انما  
ذكر لفظ أودية على سبيل التنكير لان المطر لا يأتي الاعلى طريق المناوبة بين البقاع  
فتسيل بعض أودية الارض دون بعض \* أما قوله تعالى بقدرها فقيه بثمان (الاول) قال  
الواحدى القدر والقدر مبلغ الشيء يقال كم قدر هذه الدراهم وكم قدرها ومقدارها أى  
كم تبلغ في الوزن فأيكون مساوياً لها في الوزن فهو قدرها (البحث الثاني) سالت أودية  
بقدرها أى من الماء فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء \* أما قوله  
فاحتمل السيل زبدارياً فقيه بثمان (البحث الاول) قال الفراء يقال أزبد الوادى ازباداً  
وازبد الاسم وقوله رايماً قال الزجاج طافياً طافياً فوق الماء وقال غيره زائد بسبب انتفاخه  
يقال رباربوا اذا زاد \* أما قوله تعالى وماتوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد  
مثله فاعلم انه تعالى لما ضرب المثل بالزبد الحاصل من الماء أتبعه بضمير المثل بالزبد  
الحاصل من النار وفيه مباحث (البحث الاول) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم  
يوقدون بالياء واختره أبو عبيدة لقوله ينفع الناس وأيضا فليس ههنا مخاطب والباقون  
بالتاء على الخطاب وعلى هذا التقدير فقيه وجهان الاول انه خطاب للمذكورين في قوله  
قل أقتنذتم من دونه أولياء والثاني انه يجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة كأنه قال  
وماتوقدون عليه في النار أيها الموقدون (البحث الثاني) الايقاد على الشيء على قسمين  
أحدهما أن لا يكون ذلك الشيء في النار وهو قوله تعالى فاقبلى يا هامان على الطين  
والثاني أن يوقد على الشيء ويكون ذلك الشيء في النار فان من أراد تدوير الاجساد

سواء الحساب وذلك في قوة  
أن يقال والذين لم يستجيبوا  
سواء الحساب مع زيادة  
تأكيد فتم حسن المقابلة  
على أبلغ وجه وأكده  
ثم بين مؤدى ذلك فقيل  
(وما واهم) أى مرجعهم  
(جهنم) وفيه نوع تأكيد  
لتفسير الحسنى بالجنة  
(وبئس المهاد)  
أى المستقر والمخصوص  
بالذم ومخوف وقيل اللام  
في قوله تعالى الذين استجابوا  
لرحم متعلقة بقوله  
يضرب الله الامثال  
أى الامثال السالفة وقوله  
الحسنى صفة للمصدر  
أى استجابوا الاستجابية  
الحسنى وقوله والذين  
لم يستجيبوا له معطوف  
على الموصول الاول وقوله  
لو أن لهم الخ كلام  
مستأنف مسوق لبيان  
ما أعد للغير المستجيبين  
من العذاب والمعنى كذلك  
يضرب الله الامثال للؤمنين  
المستجيبين والكافرين  
المعاندين أى هما مثلاً  
الغريقين وأنت خير  
بأن عنوان الاستجابة  
وعدمها المناسبة بيته  
وبين ما يدور عليه أمر

التمثيل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكرة بالمثل نعم قد يستعمل في هذا السبعة  
المعنى أيضاً في قوله سبحانه يضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائر على أن بعض الامثال المضروبة لا سيما

المثل الاخير المتوصل بالكلام ليس مثل الثريين بل مثل اللقي والباطل ولا مستاخ لجعل الثريين منظر وبالهم ايضا  
بان يجعل في حكمه ان يقال كذلك يضرب الله الامثال ﴿ ٢٨٩ ﴾ للناس اذا لوجه حيثئذ لتوبتهم الى المستجيبين

وغير المستجيبين فتأمل  
(أفمن يعلم أن ما أنزل اليك  
من ربك) من القرآن  
الذي مثل بالماء المنزل  
من السماء والابر الخالص  
في المنفعة والجدوى  
(الحق) الذي لاحق  
وراه أو الحق الذي  
أشهر اليه بالامثال  
المضروبة فيستجيبه  
(كن هو أعمى) عمى  
القلب لا يشاهده وهو  
نار على علم ولا يقدر قدره  
وهو في أقصى مراتب  
العلو والعظم فيبقى حاراً في  
ظلمات الجهل وفيها هب  
الضلال أو لا يتذكر  
بما ضرب من الامثال  
اي كمن لا يعلم ذلك الا أنه  
أريد زيادة تقيح حاله  
فصبره بالاغمى و اراد  
الفاء بعد الهزة لتوجيه  
الانكار الى ترتيب توهم  
المسائلة على ظهور  
حال كل منهما بما ضرب  
من الامثال وبين المصير  
والماك كانه قيل أبعدما  
بين حال كل من الثريين  
وما كهما يتوهم المماثلة  
بينهما ثم استؤنف فقيل  
(انما يتذكر) بما ذكر من  
المذكرات فيقف على

السبعة جعلها في النار فلهذا السبب قال ههنا ومما توردون عليه في النار (البحث  
الثالث) في قوله ابتغاء حلية قال أهل المعاني الذي يوقد عليه لا ابتغاء الحلية الذهب  
والفضة والذي يوقد عليه لا ابتغاء الامتعة الحديد والحاس والرصاص والاسرب  
يتخذ منها الاواني والاشياء التي ينتفع بها والمتاع كل ما يتبع به وقوله زبد مثله أى زبد  
مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ثم قال تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل والمعنى  
كذلك يضرب الله الامثال للحق والباطل ثم قال أما زبد فيذهب جفاه وأما ما ينفع  
الناس قال الفراء الجفاه الرمي والاطراح يقال جفاه الوادى غشاء يجفوه جفاه اذا رماه  
والجفاه اسم للمجتمع منه المنضم بعضه الى بعض وموضع جفاه نصب على الحال  
والمعنى ان الزبد قد يملو على وجه الماء ويربوو وينفخ الا أنه بالآخرة يضمحل ويبقى الجوهر  
الصافي من الماء ومن الاجساد السبعة فكذلك الشبهات والخيالات قد تقوى وتنعظم  
الا أنها بالآخرة تبطل وتضمحل وتزول ويبقى الحق ظاهراً لا يشوبه شئ من الشبهات  
وفي قراءة روثية بن العجاج جفاه عن أبي حاتم لا يقرأ روثية لانه كان يأكل الفارأما  
قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى ففيه وجهان الاول انه تم الكلان عند قوله  
كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى ومجمله  
الرفع بالابتداء وللذين خبره وتقديره لهم الخصلة الحسنى والحالة الحسنى الثاني أنه متصل  
بما قبله والتقدير كأنه قال الذي يبقى هو مثل المستجيب والذي يذهب جفاه مثل  
من لا يستجيب ثم بين الوجه في كونه مثلاً وهو انه لمن يستجيب الحسنى وهو الجنة ولن  
لا يستجيب أنواع الحسرة والعقوبة وفيه وجه آخر وهو ان يكون التقدير كذلك يضرب  
الله الامثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى فيكون الحسنى صفة مصدر محذوف  
واعلم أنه تعالى ذكر ههنا أحوال السعداء وأحوال الاشقياء أما أحوال السعداء فهي  
قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى والمعنى ان الذين أجابوه الى مادعاهم اليه من التوحيد  
والعدل والنبوة وبعث الرسل والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله فلهم الحسنى قال  
ابن عباس الجنة وقال أهل المعاني الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة  
الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالية عن الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال ولم  
يذكر ان زيادة ههنا لانه تعالى قد ذكرها في سورة أخرى وهو قوله للذين أحسنوا الحسنى  
وزيادة وأما أحوال الاشقياء فهي قوله والذين لم يستجيبوا لله فلهم أنواع أربعة من  
العذاب والعقوبة (فالتوع الاول) قوله لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه لا فتدوا  
به والافتداء جعل أحد الشئين بد لامن الآخر ومعقول لا فتدوا به محذوف تقديره  
لا فتدوا به أنفسهم أى جعلوه قداء أنفسهم من العذاب والكنابة في به عائدة الى ما في قوله  
ما في الارض واعلم أن هذا المعنى حق لان المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل  
ما سواه فانما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضرر والالم

ما بينهما من التفاوت والتناقى ﴿ ٣٧ ﴾ خا (أولو الالباب) أى العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة  
الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف برؤيته تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله  
عليهم في كتبه (ولا يتقضون

الميثاق) ما وثقوه على أنفسهم وقلوبهم من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تجميعهم بعد تخصيص وفيه تأكيد لاستمرار المفهوم لمن صيغة ﴿ ٢٩٠ ﴾ المستعمل (والذين يصلون ما أمر الله به أن

والعجب وكان ما لكما ليساوى عالم الاجساد والارواح فانه يرضى بأن يجعله فداء لنفسه لان المحبوب بالعرض لا بد وأن يكون فداء لما يكون محبوبا بالذات (وانوع الثاني) من انواع العذاب الذى أعده الله لهم هو قوله أولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج ذلك لان كفرهم أحبط أعمالهم وأقول ههنا حالتان فكل ما شغلك بالله وعبوديته ومحبتة فهى الحالة السعيدة الشريفة العلوية القدسية وكل ما شغلك بغير الله فهى الحالة المضارة المؤذية الخسيسة ولا شك ان هاتين الحالتين يقبلان الاشد والاضعف والاقل والايزد ولا شك ان المواظبة على الاعمال المناسبة لهذه الاحوال توجب قوتها ورسوخها لما ثبت فى العقول ان كثرة الافعال توجب حصول الملكات الراسخة ولا شك انه لما كانت كثرة الافعال توجب حصول تلك الملكات الراسخة وكل واحدة من تلك الافعال حتى السمعة والحظوة والخطورة بالسال والاتفات الضعيف فانه يوجب اثر امانى حصول تلك الحالة فى النفس فهنا هو الحساب وعند التأمل فى هذه الفصول يتبين للانسان صدق قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اذا ثبت هذا فالسعداء هم الذين استجابوا لربهم فى الاعراض عما سوى الله وفى الاقبال بالكلية على عبودية الله تعالى ولا جرم حصل لهم الحسنى \* وأما الاشقياء فهم الذين لم يستجيبوا لربهم فلهذا السبب وجب أن يحصل لهم سوء الحساب والمراد بسوء الحساب انهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذى هو الدنيا وبقوا محرومين عن الفوز بخدمة حضرة المولى (والنوع الثالث) قوله تعالى وما أوهام جهنم وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاستسعا بخدمة حضرة المولى عاكفين على لذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على مفارقتها وليس عندهم شئ آخر يجبر هذه المصيبة فلذلك قال ما أوهام جهنم ثم انه تعالى وصف هذا المأوى فقال وينس المهاد ولا شك ان الامر كذلك ثم قال تعالى أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى فهذا اشارة الى المثل المتقدم ذكره وهو ان العالم بالشئ كالصبر والجاهل به كالاعشى وليس أحدهما كالأخر لان الاعشى اذا أخذ يمشى من غير قائد فإظهاره يقع فى البئر وفى المهالك وربما أفسد ما كان على طريقه من الامتعة النافعة أما البصير فانه يكون آمنا من الهلاك والاهلاك ثم قال انما يتذكر أو اواب الالباب والمراد انه لا ينتفع بهذه الامثلة الأرباب الالباب الذين يطلبون من كل صورة معناها ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون بظواهر كل حديث الى سره ولبابه \* قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله ولا يتقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبى الدار) اعلم ان هذه الاية هل هى متعلقة بما

يوصل) من الرحم وموالاته المؤمنين والايان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفریق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج (ويخشون ربهم) خشية جلال وهيبته ورهبة فلا يصونه فيما أمر به (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فطاعته حسبا ذكر فيما قبل (والذين صبروا) على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظر الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجاو حيث كان الصبر على الوجد المدكور ملاك الامر فى كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أو رد على صيغة الماضى اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه

امانى أنفس الصلوات كما في اعداد الاولى والرابعة والخامسة وفى اظهار احكامها كما فى الصلوات ﴿ قبلها ﴾ الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر فى أنفسها حيث لا مشقة على النفس فى الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجرى على موجبها



غير خال عن الاحتياج اليه (واقام والصلوة) المفروضة (واتقوا ما لوز قناهم) أي بمعنى الذي يجب عليهم اتقاؤه (سرا)  
لمن لم يعرف بالمال أولئك لا يتهم بترك الزكاة وعند ﴿ ٢٩١ ﴾ اتقاؤه واعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهرا

(وهلانية) لمن لم يكن  
كاذبا أو الأول في  
التطوع والثاني في الغرض  
(ويدرون بالحسنة  
السيئة) أي يجازون  
الاساءة بالاحسان  
أو يتبعون الحسنة السيئة  
فتمحوها عن ابن عباس  
رضي الله عنهما يدفون  
بالحسن من الكلام ما يرد  
عليهم من سيئ غيرهم  
وعن الحسن اذا حرموا  
أعطوا واذا ظلموا عفا  
واذا قطعوا وصلوا وعن  
ابن كيسان اذا ذنبوا  
تابوا وقيل اذا رأوا منكرا  
أمروا بتغييره وتقديم  
المجروح على المنصوب  
لاظهار كمال العناية  
بالحسنة (أوئك)  
المنعوتون بالعوت الجميلة  
والمملكات الجميلة وهو  
مبتدأ خبره الجملة الظرفية  
أعني قوله تعالى (لهم  
صفي الدار) أي طاقبة  
الديار وما ينبغي أن يكون  
مآل أمر أهلها وهي  
الجنة وقيل الجار والمجروح  
خبر لا وتلك وصفي الدار  
فاعل الاستقرار وأيما  
كان فليس فيه قصر  
حتى يرد أن بعض ما في

قبلها أم لا فيد قولان الأول انها متظقة بما قبلها وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الأول  
انه يجوز أن يكون قوله الذين يوفون بعهد الله صفة لأولى الالباب والثاني أن يكون ذلك  
صفة لقوله أفن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق والقول الثاني أن يكون قوله الذين  
يوفون بعهد الله مبتدأ وأوتك لهم صفي الدار خبره كقوله والذين يتقون عهد الله  
أوتك لهم اللعنة واعلم أن هذه الآية من أولها إلى آخرها جملة واحدة شرط وجزاء  
وشرطها مشتمل على قيود وجزاءها يشتمل أيضا على قيود \* أما القيود المعبرة في الشرط  
فهي تسمية (التقيد الأول) قوله الذين يوفون بعهد الله وفيه وجوه الأول قال ابن عباس  
رضي الله عنهما يريد الذي طاهدهم عليه حين كانوا في صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم  
الست بربكم قالوا بيلي والثاني ان المراد بعهد الله كل أمر قام الدليل على صحته وهو من  
وجهين أحدهما الاشياء التي أقام الله عليها دلائل عقلية فاطعة لا تقبل النسخ والتغيير  
والآخر التي أقام الله عليها الدلائل السمعية و بين لهم تلك الاحكام والحاصل انه دخل  
تحت قوله يوفون بعهد الله كل ما قام الدليل عليه و يصح اطلاق لفظ العهد على الجملة بل  
الحق أنه لا عهد أو وك من الحجة والدلالة على ذلك ان من حلف على الشيء فأنما يلزمه  
الوفاء به اذا ثبت بالدليل وجوبه لا بمجرد اليمين ولذلك ر بما يلزمه أن يحنث نفسه اذا كان  
ذلك خيرا له فلا عهد أو وك من الزام الله تعالى اياه ذلك بدليل العقل أو بدليل السمع  
ولا يكون العبد موفيا للعهد الا بان يأتي بكل تلك الاشياء كما أن الخالف على أشياء كثيرة  
لا يكون بارا في عيئه الا اذا فعل الكل ويدخل فيه الاتيان بجميع الأمور والانتفاء  
عن كل المنهيات ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات ويدخل فيه أداء الامانات  
وهذا القول هو المختار الصحيح في تأويل الآية (التقيد الثاني) قوله ولا يتقضون الميثاق  
وفيه أقوال الأول وهو قول الأكثرين ان هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد فان الوفاء  
بالعهد قريب من عدم نقض الميثاق والعهد وهذا مثل أن يقول انه لما وجب وجوده  
لزم أن يمتنع عدمه فهذان المفهومات متغايران الا أنهما ملازمان فكذلك الوفاء بالعهد  
يلزمه أن لا يتقض الميثاق واعلم أن الوفاء بالعهد من أجل مراتب السعادة قال عليه  
السلام لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة  
في القرآن والقول الثاني ان الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه فالحاصل ان قوله الذين  
يوفون بعهد الله إشارة إلى ما كلف الله العبد به ابتداء وقوله ولا يتقضون الميثاق إشارة  
إلى ما التزمه العبد من أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات  
والقول الثالث ان المراد بالوفاء بالعهد عهد الر بوبية والعبودية والمراد بالميثاق المواثيق  
المذكورة في التوراة والإنجيل وسائر الكتب الانهية على وجوب الايمان بنبوة محمد  
صلى الله عليه وسلم عند ظهوره واعلم أن الوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع  
قال عليه السلام من عاهد الله فهدى كان فيه خصلة من التقاطع وعنه عليه السلام ثلاثة

خير الصلة ليس من العزم التي تغل اخلالها بالموصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصول المتعاطفة أو استئناف لبيان  
ما استوجبوه تلك الصفات ان جعلت الموصول المتعاطفة صفات لا ولي الالباب على طريقة المدح من غير أن يقصد

أن يكون للصلاة المذكورة مدخل في التذكرة (بخلاف عدن) يدل من ههنا البيهقي أو مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدين  
 الاقلام صار على الجنة من الجنات أي جنات يعقون فيها وقيل ﴿ ٢٩٢ ﴾ هو بطن الجنة (ومن صلح من آبائهم)

أما خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى عهداً ثم غدر ورجل  
 استأجر أجيراً استوفى حمله وطله أجره ورجل باع حراً فاسترق الحراً كل ثمه وقيل كان  
 بين معاوية وملك الروم عهد فأراد أن يذهب اليهم وينقض العهد فآذ رجل على فرس  
 يقول وقاه بالعهد لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم  
 عهد فلا يبلن اليهم عهداً ولا يجلها حتى ينقضه الامدو يبنذ اليهم على سواه قال من هذا  
 قالوا عمرو بن عيينة فرجع معاوية (القييد الثالث) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل  
 وهنئنا سواهم والوهان الوفاء بالعهد وترك نقض الميثاق اشتمل على وجوب الاتيان بجميع  
 الأمور والاحترار عن كل المنهيات فا الغائدة في ذكر هذه اليهود المذكورة بعدهما  
 والجواب من وجهين الاول انه ذكر ثلاث بطن طان ان ذلك فيما بينه وبين الله تعالى  
 فلا جرم أفرد ما بينه وبين العباد بالذكر والثاني انه تأكيذاً عرفنا هذا فتقول ذكروا في  
 تفسيره وجودها الاول ان المراد منه صلة الرحم قال عليه السلام ثلاث يأتي يوم القيامة  
 لها ذلق الرحم تقول أي رب قطعت والامانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي  
 رب كفرت والقول الثاني ان المراد صلة محمد صلى الله عليه وسلم وموارزته ونصرته  
 في الجهاد والقول الثالث رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم  
 وصلة القرابة الثابتة بسبب اخوة الايمان كما قال انما المؤمنون اخوة ويدخل في هذه  
 الصلة امدادهم بايصال الخيرات ودفع الآفات بقدر الامكان وعبادة المربض وشهود  
 الجنائز وافتاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم ويدخل فيه  
 كل حيوان حتى الهرة والدجاجة وعن العضيل بن عياض رحمه الله ان جماعة دخلوا  
 عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من خراسان فقال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم  
 واعلموا أن العبد لو أحسن كل الاحسان وكان له دجاجة فأسأه اليها لم يكن من المحسنين  
 وأقول حاصل الكلام أن قوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق اشارة الى  
 التعظيم لامر الله وقوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل اشارة الى الشفقة على  
 خلق الله (القييد الرابع) قوله ويخشون ربهم والمعنى انه وان أتى بكل ما قدر عليه  
 في تعظيم أمر الله وفي الشفقة على خلق الله الا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله  
 والخوف منه مستولياً على قلبه وهذه الخشية نوان أحدهما أن يكون خائفاً من أن  
 يقع زيادة أو نقصان أو خلل في عبادته وطاعته بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب  
 نقصان ثوابها والثاني وهو خوف الجلال وذلك لان العبد اذا حضر عند السلطان المهيب  
 القاهر فانه وان كان في عين طاعته الا أنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة  
 (القييد الخامس) قوله ويخافون سوء الحساب اعلم ان القيد الرابع اشارة الى الخشية  
 من الله وهذا القيد الخامس اشارة الى الخوف والخشية وسوء الحساب وهذا يدل على  
 ان المراد من الخشية من الله ما ذكرناه من خوف الجلال والمهابة والعظمة والالزم

جمع أبوي كل واحد  
 منهم فكانه قيل من  
 آباؤهم وأمهاتهم  
 (وأزواجهم وذرياتهم)  
 وهو عطف على الرفوع  
 في يدخلون وانما ساخ  
 ذلك للفصل بالضمير  
 الآخر أو مضمول معه  
 والمعنى انه يلحق بهم  
 من صلح من أهلهم وان  
 لم يبلغ مبلغ فضلهم  
 تبعالهم تعظيم الشانهم  
 وهو دليل على أن الدرجة  
 نعلو بالشفاعة وأن  
 الموصوف بتلك الصفات  
 يقرب بعضهم ببعض  
 لما بينهم من القرابة  
 والوصلة في دخول الجنة  
 زيادة في انفسهم وفي  
 التقييد بالصلاح قطع  
 للاطماع الفارغة لمن  
 يمسك محمد حبل الانساب  
 (والملائكة يدخلون  
 عليهم من كل باب) من  
 أبواب المنازل أو من  
 أبواب الفتوح والصف  
 قائلين (سلام عليكم)  
 بشارة لهم بدوام السلامة  
 (بما صبرتم) متعلق بعليكم  
 أو بمحمدوف أي هذه  
 الكرامة المظلمة بما صبرتم  
 أي بسبب صبركم أو يدل

ما احتملت من مشاق الصبر ومناعبه والمعنى لأن تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة وتخصيص التكرار  
 الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة لما قد مناه من أن له دخلاً في كل منها ومزية زائدة من حيث انه  
 ملاك الامر في كل منها وأن شيئاً منها لا يعتد به الا

بان يكون الابتلاء ووجه الرب تعالى وتعالى (ثم عني الدار) ثم عني الدار. الجنة وقوى: بفتح القون والاصل بم  
فصحت العين نقل حرمانها الى التوب تارة ﴿ ٢٩٣ ﴾ و بدولة اخرى وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه كان يأتي

قبور الشهداء على  
رأس كل حول فيقول  
سلام عليكم بما صبرتم  
فتم عني الدار وكذا  
عن الخلفاء الاربعة  
رضوان الله عليهم اجمعين  
(والذين يتقون  
عهد الله) أريد بهم  
من يقابل الاولين  
ويعاندهم في الاتصاف  
بتفائض صفاتهم (من  
بعد ميثاقه) من بعد  
ما وثقوه من الاعتراف  
والقبول (ويقطعون  
ما أمر الله به أن يوصل)  
من الايمان بجميع الانبياء  
الجمعة على الحق  
حيث يؤمنون بضمهم  
ويكفرون بعضهم  
ومن حقوق الارحام  
ومواله المؤمنين وغير  
ذلك مما لا يراعون حقوقه  
من الامور المدودة فيما  
سلف وانما يتعرض  
لنفي الخشية والخوف  
عنهم صريحا للدلالة  
النقض والقطع على ذلك  
وأما عدم التعرض لنفي  
الصبر المذكور فلانه  
انما اعتبر تحققه في ضمن  
الحسنات المدودة  
ليقن معتدلين فلاوجه

التكرار (القيد السادس) قوله تعالى والذين صبروا ابتغاه وجه رهم فيدخل فيه  
الصبر على فعل العبادات والصبر على تحمل الامراض والمضار والغموم والاحزان  
والصبر على ترك المشتهيات وبالجملة الصبر على ترك للمعاصي وعلى أداء الطاعات ثم ان  
الانسان قد يقدم على الصبر لوجوه أحدها أن يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على  
تحمل التوزاى وثانيها أن يصبر لئلا يعاب بسبب الجزع وثالثها أن يصبر لئلا تحصل شماتة  
الاحياء ورابعها أن يصبر لعله بأن لا فائدة في الجزع فالانسان اذا أتى بالصبر لأحد هذه  
الوجوه لم يكن ذلك مداخل في كمال النفس وسعادة القلب أما اذا صبر على البلاء لعله بان  
ذلك البلاء قسمة حكم بها القسام العلام المتزعم عن الصيب والباطل والسفاه بل لا بد أن  
تكون تلك القسمة مشتملة على حكمة بالغة ومصالحة راجحة ورضى بذلك لانه تصرف  
المالك في ملكه ولا اعتراض على المسالك في أن يتصرف في ملكه أو يصبر لانه صار  
مستغرفا في مشاهدة المبلى فكان استغراقه في تحلى نور المبلى أذهله عن التألم بالبلاء  
وهذا على مقامات الصديقين فهذه الوجوه الثلاثة هي التي يصدق عليها انه صبر ابتغاء  
وجه ربه ومعناه انه صبر لمجرد ثوابه وطلب رضا الله تعالى واصل أن قوله ابتغاه وجه رهم  
فيه دققة وهي أن العاشق اذا صبر به معشوقه فر بما نظر العاشق لذلك الضارب وفرح به  
قوله ابتغاه وجه ربه محمول على هذا المجاز يعني كما أن العاشق يرضى بذلك الضرب  
لالتنازه بالنظر الى وجه معشوقه فكذلك العبد يصبر على البلاء والخنة ويرضى به  
لاستغراقه في معرفة نور الحق وهذه دققة لطيفة (القيد السابع) قوله وأقاموا الصلاة  
واعلم أن الصلاة والزكاة وان كانتا داخلتين في الجملة الاولى الا أنه تعالى أفردهما بالذكر  
تنبيها على كونها أشرف من سائر العبادات وقد سبق في هذا الكتاب تفسير اقامة الصلاة  
ولا يمتنع ادخال التواقل فيه أيضا (القيد الثامن) قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا  
وعلانية وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان لم يتم  
بترك أداء الزكاة فالاولى أداؤها سرا وان اتهم بترك الزكاة فالاولى أداؤها في العلانية  
وقيل السر ما يؤديه بنفسه والعلانية ما يؤديه الى الامام وقال آخرون بل المراد الزكاة  
الواجبة والصدقة التي يوتى بها على صفة التطوع فقوله سرا يرجع الى التطوع وقوله  
علانية يرجع الى الزكاة الواجبة (المسئلة الثانية) قلت المعتزلة انه تعالى رغب  
في الانفاق من كل ما كان رزقا وذلك يدل على انه لا رزق الا الحلال اذ لو كان الحرام رزقا  
لكان قد رغب تعالى في انفاق الحرام وانه لا يجوز (القيد التاسع) قوله ويدرؤن بالحسنة  
السيئة وفيه وجهان الاول انهم اذا أتوا بحسنة دروها ودفعوها بالتوبة كما روى ان  
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعاذب جيل اذا علمت سيئة فاعمل بحسنة تحمها والثاني  
أن المراد انهم لا يقابلون الشر بالشر بل يقابلون الشر بالحسنة كما قال تعالى واذا مروا بالمغو  
امر واكراما وعن ابن عمر رضي الله عنهما ليس الوصول من وصل ثم وصل تلك المجازاة

لتنقيت عن يتنقون بين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة عن لا يحوم حول أصل الايمان بالله تعالى فضلا  
عن فروع الشرائع وان أريد بالانفاق التطوع فتعبد بتدرج تحت قسط ما أمر الله تعالى بوصله واما دره السيئة  
بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق

فلان من يجازي احسانه عز وجل بتقص العهد **الحال** الامر ويأشر الفساد **بدا** حسبا بحكمة قوله عز وجل (و يقصدون في الارض) أي بالظلم ونهيج الفتن كيف يشاءون منه مجازاة \* ٢٩٤ \* الاسماء بالا حسان على أن ذلك يشعري بأنه

لكنه من قطع الموصل وعطف على من لم يصله وليس الخليم من ظلم حم حتى اذا هيج قوم احتاج لكن الخليم من قدر ثم عفا وعن الحسن هم الذين اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا هقوا ويروي أن شقيق بن ابراهيم البلخي دخل على عبدالله بن المبارك متكررا فقال من أين أنت فقال من بلخ فقال وهل تعرف شيئا قال نعم فقال وكيف طريفة أم صحابه فقال اذا منعوا صبروا وان أعطوا شكروا فقال عبدالله طريفة كلاينا هكذا فقال وكيف ينبغي أن يكون فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا واعلم أن جملة هذه القيود التسعة هي القيود المذكورة في الشرط أما القيود المذكورة في الجزء فهي أربعة (القيود الأولى) قوله أولئك لهم عقبي الدار أي عاقبة الدار وهي الجنة لانها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها قال الواحدى العقبي كما عاقبة ويجوز أن تكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى وقد يجئ مثل هذا أيضا على فعلى كالتجوى والدعوى وعلى فعلى كالتدكرى والضيرى ويجوز أن يكون اسما وهو هنا مصدر مضاف الى الفاعل والمعنى أولئك لهم ان تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنة (القيود الثانية) قوله جنات عدن يدخلونها وفيه مستثنان (المسئلة الأولى) قال الزجاج جنات عدن بدل من عقبي والكلام في جنات عدن ذكرناه مستقصى عند قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن وذكرنا هناك مذهب المفسرين ومذهب أهل اللغة (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدخلونها بضم الياء وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله والياقون بفتح الياء وضم الحاء على اسناد الدخول اليهم (القيود الثالثة) قوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ ابن عليه صلح بضم اللام قال صاحب الكشاف والفتح أفصح (المسئلة الثانية) قال الزجاج موضع من رفع لاجل المطف على الواو في قوله يدخلونها ويجوز أن يكون نصبا كما تقول قد دخلوا ويدا أي مع زيد (المسئلة الثالثة) في قوله ومن صلح قولان الاول قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل أعمالهم وقال الزجاج بين تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها أعمال صالحة بل الآباء والأزواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالأعمال الصالحة قال الواحدى والصحيح ما قال ابن عباس لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة وذلك يدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتى بالأعمال الصالحة ولو دخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان مصحبا في عمله فهو يدخل الجنة واعلم أن هذه الحجة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيد سرورا وبهجة فاذا بشر الله المكلف به اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباؤه وأزواجه وأولاده فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك وتقوى بهجته به ويقال ان من أعظم موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتذكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكرون الله على الخلاص منها والنعوذ بالجنة ولله في ذلك

له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي ينبت عنها قوله تعالى (أولئك) الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح (لهم) بسبب ذلك (اللعنة) أي الابعاد من رحمة الله تعالى (ولهم) مع ذلك (سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فانه سادارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلة الصلة له ولا يتحقق أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلهما ما ذون فيها وادفع الكلام السبي بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع لس مما يورث تركيبة وأما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المتدو به فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالمرائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق

الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت (الله يسطر الرزق) في صفة \* أي يوسع (لن يشاء) من عباده (ويقدر) أي يضيقه على من يشاء حسبا تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لاجد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فر بما

سقطه للكافر املاء واستدراجا و رعا بضيقة على المؤمن زياده **سورة** فضل الله تعالى ( بالحياة الدنيا ) وما بسط لهم  
( وفرحوا ) أي أهل مكة فرح شرو و بطر لا فرح **٢٩٥** **سورة** فضل الله تعالى ( بالحياة الدنيا ) وما بسط لهم

في صفة أهل الجنة أنهم يقولون يألوث قومي بعلون بما غفرت لي ربي و جعلني من المكرمين  
( المسئلة الرابعة ) قوله و أزواجهم ليس فيه ما يدل على التميز بين زوجة و زوجة و لهل  
الاولى من مات عنها أو ماتت عنه و ما روى عن سودة أنها لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم  
بطلاقها قلت دعني يا رسول الله أحسنه في زمرة نساءك كالدليل على ما ذكرناه ( القيد  
الرابع ) قوله و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار  
وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ  
و عرضها فرسخ لها ألف باب مصاربعها من ذهب يدخلون عليهم الملائكة من كل باب  
يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على أمر الله وقال أبو بكر الأصم من كل باب من أبواب  
المركبات الصلاة و باب الزكاة و باب الصبر و يقولون و نعم أعفكم الله بعد الدار الاولى  
و اعلم أن دخول الملائكة ان حملناه على الوجه الاول فهو مرتبة عظيمة و ذلك لان الله  
تعالى أخبر عن هؤلاء المطيعين أنهم يدخلون الجنة الخلد و يجتمعون بأبائهم و أزواجهم  
و ذرياتهم على أحسن وجه ثم ان الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم لاجل التهيئة  
و الاكرام عند الدخول عليهم بكرم و منهم بالتهيئة و السلام و يبشر و منهم يقولهم فتم عقبي  
الدار و لا شك أن هذا غير ما يذكره المتكلمون من أن الثواب منعمة خالصة دائمة  
مقرونة بالاجلال و التعظيم و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبول الشهداء  
رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار و الخلفاء الاربعة هكذا  
كانوا يفعلون و أما أن حملناه على الوجه الثاني فتنسب الآية ان الملائكة طوائف منهم  
روحانيون و منهم كرويون فالعبد اذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر و الشكر  
و المراقبة و المحاسبة و لكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي و روح علوي يختص  
بتلك الصفة من يد اختصاص فعند الموت اذا اشرفت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها  
من كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة بما في قبض عليها من  
ملائكة الصبر كالات مخصوصة نفسانية لا تطهر الا في مقام الصبر و من ملائكة الشكر  
كالات روحانية لا تجلي الا من مقام الشكر و هكذا القول في جميع المراتب ( المسئلة  
الثانية ) تمسك بعضهم بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر فقال انه سبحانه ختم  
مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التهيئة و الاكرام و التعظيم  
فكانوا به أجل مرتبة من البشر لو كانوا أقل مرتبة من البشر لما كان دخولهم عليهم  
لاجل السلام و التهيئة موجبا علو درجاتهم و شرف مراتبهم ألا ترى من عاد من سفره  
الى بيته فاذا قبل في معرض كمال مرتبته انه يزوره الامير و الوزير و القاضي و المعنى  
فهذا يدل على ان درجة ذلك الزور أقل و أدنى من درجات الزائرين فكذلك ههنا  
المسئلة الثالثة ) قال الزجاج ههنا محذوف تقديره الملائكة يدخلون عليهم من كل باب  
و يقولون سلام عليكم فأختر القول ههنا لان في الكلام دليلا عليه و أما قوله بما صبرتم

ففيها من نعيمها ( وما  
الحياة الدنيا ) وما يتبها  
من النعيم ( في الآخرة )  
أي في جنب نعيم الآخرة  
( الامتاع ) الاشيئ نزل  
يتمتع به كجماله الراكب  
وزاد الراعي والمعنى  
انهم رضوا بحظ الدنيا  
معرضين عن نعيم الآخرة  
والحال أن ما أشروا به  
في جنب ما أعرضوا  
عنه شئ قليل النفع سريع  
التفاد ( و يقول الذين  
كفروا ) أي أهل مكة  
و ايشار هذه الطريقة  
على الاضمار مع ظهور  
ارادتهم عقيب ذكر  
فرحهم بالحياة الدنيا  
لدمهم و التسهيل عليهم  
بالكفر فيما حكى عنهم  
من قولهم ( لولا أنزل  
عليه آية من ربه ) فان  
ذلك في أقصى مراتب  
الكبارة و العناد كأن ما  
أنزل عليه عليه السلام  
من الآيات العظام  
الباهرة ليس بآية حتى  
افترحوا ما لا تقتضيه  
الحكمة من الآيات  
المحسوسة التي لا يبقى  
لاحد بعد ذلك طاقة  
بعدم القبول و لذلك أمر

في الخجوات بقوله تعالى ( قل ان الله بضل من يشاء ) اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها أي يخلق فيه الضلال لصرف  
اختياره الى تحصيله و يدعه منهم كما فيه لعله بأنه لا يصح فيه اللطف و لا ينفعه الارشاد كما كان على صفتكم في اوجعها  
و العناد و شددة الشكوة و الغلو في الفساد فلا سبيل له الى الهداية

ولو جعلته كل آية ( ويهدى إليه ) أي أن الخالق تعالى الخبير هذا يمد يده بوسيلة آية لا تدركه بغيره حتى يوصله إلى آية  
ذلك غير مختص بالهتدين وفيه من تشرجه ما لا ﴿ ٢٩٦ ﴾ يوسف ( من أناب ) أقبل إلى الحق وتعلق

فتعم حتى الدارق فيه وجهان أحدهما أنه متعلق بالسلام والمعنى أنه إنما حصلت لكم  
هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وترك المحرمات والثاني أنه متعلق بمحذوف  
والتقدير إن هذه الكرامات التي ترونها وهذه الخيرات التي تشاهدونها إنما حصلت  
بواسطة ذلك الصبر ﴿ قوله تعالى ﴾ ( والذين يتقون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون  
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ) اعلم أنه  
تعالى لما ذكر صفات السعداء وذكر ما يترتب عليها من الأحوال الخيرية العالية أوجبها  
بذكر حال الأشقياء وذكر ما يترتب عليها من الأحوال الخيرية المكروهة وأتى بالوعد  
بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان كاملاً فقال والذين يتقون عهد الله من بعد  
ميثاقه وقد بينا أن عهد الله ما أزم عباده بواسطة الدلائل العقلية والسببية لأنها أوكد  
من كل عهد وكل عيب إذا الإيمان أما تقيد التوكيد بواسطة الدلائل على أنها توجب  
الوفاء بمقتضاها والمراد من نقض هذه اليهود أن لا ينظر المرء في الأدلة أصلاً فيثبت  
لا يمكنه العمل بموجبها أو بأن ينظر فيها ويعلم صحتها ثم يعاد فلا يعمل بعلمه أو بأن ينظر  
في الشبهة فيعتقد خلاف الحق والمراد من قوله من بعد ميثاقه أي من بعد أن وثق الله  
تلك الأدلة وأحكمها لأنه لا شيء أقوى مما دل الله على وجوبه في أنه يتفجع فطه ويضرب تركه  
فإن قيل إذ كان العهد لا يكون إلا مع الميثاق فما فائدة اشتراطه تعالى بقوله من بعد  
ميثاقه قلنا لا يمنع أن يكون المراد بالعهد هو ما كلف الله العبد به والمراد بالميثاق الأدلة  
المؤكدة لأنه تعالى قد بينا كمالك العهد بدلائل أخرى سواء كانت تلك المؤكدة دلائل  
صلية أو سمعية ثم قال تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وذلك في مقابلة قوله  
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القاطع بالضد من ذلك الوصل  
والمراد به قطع كل ما أوجب الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالموالاتة والمعونة ووصل  
المؤمنين ووصل الأرحام ووصل سائر من له حق ثم قال ويفسدون في الأرض وذلك  
الفساد هو الفساد إلى غير دين الله وقد يكون بالعلم في النفوس والأموال وتخريب البلاد  
ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الصفات قال أولئك لهم اللعنة واللعنة من الله الأبعاد من خيري  
الدنيا والآخرة إلى ضد همامن عذاب ونعمة ولهم سوء الدار لأن المراد جهنم وليس فيها  
إلا ما يسوء الصائر إليها ﴿ قوله تعالى ﴾ ( الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة  
الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ) اعلم أنه تعالى لما حكم على من نقض عهد الله  
في قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الآخرة فكانه قيل  
لو كانوا أعداء الله لما فتح الله عليهم أبواب النعم والذات في الدنيا فأجاب الله تعالى عنه  
بهذه الآية وهو أنه يسطر الرزق على البعض ويضيقه على البعض ولا تعلق له بالكفر  
والإيمان فقد يوجد الكافر موسع عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن مضيقاً عليه دون  
الكافر فالدنيا دار امتحان قال الواحدى معنى القدر في اللغة قطع الشيء على مساواة

تضاعيف ما نزل من  
دلالة الواضحة وحقيقة  
الانابة الدخول في نوبة  
الخير وإيثار إرادها  
في الصلة على إيراد  
المشبهة كما في الصلة  
الأولى للتبني على الداعي  
إلى الهداية بل إلى  
مشيئتها والأشعار بما دعا  
إلى المشيئة الأولى من  
المكابرة وفيه حس الكفرة  
على الإقلاع عما هم  
عليه من العتو والعتاد  
وإيثار صيغة الماضي  
للإيمان إلى استدعاء الهدية  
لسابقة الانابة كما أن إيثار  
صيغة المضارع في الصلة  
الأولى للدلالة على استمرار  
المشيئة حسب استمرار  
مكافرتهم ( الذين آمنوا )  
بذلك عن أناب فإن أريد  
بالهداية الهداية المستمرة  
فلا مر بطهر لظهور كون  
الإيمان مؤدياً إليها وأن  
أريد أحكامها فالمراد بالذين  
آمنوا الذين صار أمرهم  
إلى الإيمان كما في قوله  
تعالى هدى للتقين أي  
الصائرين إلى التقوى  
والأفلاحيمن لا يؤدى  
إلى الهداية نفسها أو  
أخبار مبتدأ محذوف أي

والذين آمنوا ومنصوب على المدح ( وتطحن قلوبهم ) أي تسترون سكر ( بذكر الله ) بكلامه المجرى ﴿ غيره ﴾  
أي يوسف يب فيه كقول تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون ويعلمون أن الآية  
لدخل في دفتريها

والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدة حسب تجديد الآيات وتعمدها (الابد كرا لله) وحدة (تطمئن  
القلوب) دون غيره من الامور التي تميل اليها ﴿٢٩٧﴾ النفوس من الدنيا والآيات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من

حيث انها ليست في افاة  
الطمأنينة بالنسبة الى من  
لم يشاهدها بمثابة القرآن  
المجيد فانه معجزة باقية الى  
يوم القيامة يشاهدها  
كل أحد وتطمئن به القلوب  
كافة وفيه اشعار بأن  
الكفرة ليست لهم قلوب  
وأفئدهم هوا، حيث  
لم يطمئنوا بذكر الله تعالى  
ولم يعدوا آية وهو أظهر  
الآيات وأبهرها وقيل  
تطمئن قلوبهم بذكر  
رحمته ومعرفته بعد  
التفكير والاضطراب من  
خسسته كقوله تعالى ثم  
لدين جلودهم وقلوبهم  
الى ذكر الله أو بذكر  
دلائله الدالة على وحدانيته  
أو بذكره جل وعلا  
أسابه وتبذله فلا راد  
بإهداية دوامها  
واستمرارها (الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات) يدل  
من القلوب على حذف  
المضاف بدل الكل  
حسب امر اليه أي قلوب  
الذين آمنوا وفيه إيحاء  
الى أن الانسان انما هو  
القلب أو مبتدأ خبره  
الجملة الدعائية على  
التأويل أعني قوله (طوبى

غيره من غير زياده ولا نقصان وقال المفسرون معنى يقدر ههنا يضيق ومثله قوله  
تعالى ومن قدر عليه رزقه أي ضيق ومعناه انه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه  
شيء وأما قوله وفرحوا بالحياة الدنيا فهو راجع الى من بسط الله له رزقه وبين تعالى ان ذلك  
لا يوجب الفرح لان الحياة العاجلة بالنسبة الى الآخرة كالتقصير القليل بالنسبة الى  
مالها نهاية له \* قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل علينا آية من ربنا لكان الله  
يضل من يشاء ويهدي اليه من يشاء ويضل من يشاء ويهدي اليه من يشاء) وفيه بيان كيفية هذا الجواب من وجوه  
(أحدها) كماه تعالى يقول ان الله أنزل عليه آيات طاهرة ومعجزات قاهرة وأكبر  
الاضلال والهداية من الله فأضلكم عن تلك الآيات اقاهرة الباهرة وهدى أقواما  
آخرين اليها حتى عرفوا بها صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة واذ كان  
كذلك فلا فائدة في كثرة الآيات والمعجزات (وثانيها) انه كلام يجري مجرى التعجب من  
قولهم وذلك لان الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كانت أكثر من ان تصير مشبهة على العاقل فلما طلبوا بعد آيات أخرى كان  
موضع التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما عظم عنادكم ان الله يضل من يشاء من  
كان على صفتكم من التصميم وشدة السكينة على الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان  
أنزل كل آية ويهدي من كان على خلاف صفتكم (وثالثها) انهم لما طلبوا سائر  
الآيات والمعجزات فكأنه قيل لهم لا فائدة في ظهور الآيات والمعجزات فان الاضلال  
والهداية من الله فلو حصلت الآيات الكثيرة ولم تحصل الهداية من الله فانه يحصل الانتفاع بها  
ولو حصلت آية واحدة فقط وحصلت الهداية من الله فانه يحصل الانتفاع بها فلا تشعروا  
بطلب الآيات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهداية (ورابعها) قال أبو علي الجبائي  
المعنى ان الله يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره فاستم من يجيبه الله تعالى  
الى ما يسأل لاستحقاقكم العذاب والاضلال عن الثواب ويهدي اليه من أناب أي  
يهدي الى جنته من تاب وآمن قال وهذا بين ان الهدى هو الثواب من حيث انه عقبه  
بقوله من أناب أي تاب والهدى الذي يفعله بالوئام هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه  
وذلك يدل على انه تعالى انما يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين بالكفر على ما ذهب اليه  
خالفا هذا تمام كلام أبي علي وقوله أناب أي اقبل الى الحق وحقيقته دخل في توبة الخير  
وقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما أب) اعلم أن قوله الذين آمنوا يدل من قوله من  
أناب قال ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم والطمأنات فار قيل أليس انه

لهم) أو خبر مبتدأ مضمر أو نصب على المدح ﴿ ٣٨ ﴾ خا فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من  
طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كوقن وموسر وقرأ مكره الاعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى أصابوا خيرا ومحلها  
النصب كسلاماتك أو الرفع

بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سبائك ﴿ ٢٩٨ ﴾ (كذلك) مثل ذلك الارسال العظيم الشأن

تعالى قال في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد  
الاطمئنان فكيف وصفهم ههنا بالاطمئنان والجلوب من وجوه (الاول) انهم اذا ذكروا  
العقوبات ولم يأمنوا من ان يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل واذا ذكروا  
وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم الى ذلك وأحد الامرين لا ينافي الآخر لان الوجمل  
هو بذكر العقاب والطمأنينة بذكر الثواب ويوجد الوجمل في حال فكرهم في المعاصي  
وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات (الثاني) ان المراد أن علمهم بكون القرآن  
معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله  
أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فوجب حصول الوجمل في قلوبهم  
(الثالث) انه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في ان الله تعالى صادق في وعده ووعدته وان  
محمد صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر عنه الا انه حصل الوجمل والخوف في قلوبهم  
انهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب  
أم لا واعلم ان لنا في قوله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ابحاثا دقيقة غامضة وهي من وجوه  
(الاول) ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يتأثر ومتأثر لا يؤثر وموجود يؤثر في شيء  
ويتأثر عن شيء فالنور الذي لا يتأثر هو الله سبحانه وتعالى والمتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم  
فانه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية وليس له خاصية الا القبول فقط وأما  
الموجود الذي يؤثر وتأثره وتاثر أخرى فهي الموجودات الروحانية وذلك لانها اذا توجهت  
الى الحضرة الالهية صارت قابلة للاكثار الفأضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه  
وايجادها واذا توجهت الى عالم الاجسام اشاقت الى التصرف فيها لان عالم الارواح مدبر  
لعالم الاجسام واذا عرفت هذا فالقلب كلما توجه الى مطالعة عالم الاجسام حصل فيه  
الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها والتصرف فيها أما اذا توجه القلب  
الى مطالعة الحضرة الالهية حصل فيه أنوار العمدية والاضواء الالهية فهناك يكون  
ساكنا فللهذا السبب قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب (الثاني) ان القلب كلما وصل الى شيء  
فانه يطلب الانتقال منه الى حالة أخرى أشرف منها لانه لا يسعد في عالم الاجسام الا فوقها  
مرتبة أخرى في اللذة والنبطة أما اذا انتهى القلب والعقل الى الاستسعاد بالمعارف  
الالهية والاضواء العمدية بقي واستقر فلم يقدر على الانتقال منه اليه لانه ليس هناك  
درجة أخرى في السعادة أعلى منها واكمل فللهذا المعنى قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب  
(والوجه الثالث) في تفسير هذه الكلمة أن الاكسيرا اذا وقعت منه ذرة على الجسم  
النهاسي انقلب ذهباً باقاعلى كالدهور والازمان صابرا على الذوبان الحاصل بالنار  
فاكسيرا جلال الله تعالى اذا وقع في القلب أولى أن يقلبه جوهر اباقياصافيا نورانيا  
لا يقبل التغير والتبدل فللهذا قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب ثم قال تعالى الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير كلمة

المصحوب بهذه المعجزة  
الباهرة ( أرسلناك  
في أمة قد دخلت ) أى  
مضت (من قبلها أمة)  
كثيرة قد أرسل اليهم  
رسل ( لتتلوا ) لتقرأ  
( عليهم الذى أوحينا  
اليك ) من الكتاب العظ  
الشأن وتهديمهم الى الحق  
رحمة لهم وتقديم  
المجروور على المنصوب  
من قبيل الابهام ثم  
البيان كما في قوله تعالى  
ووضعتنا على رك  
وفيه ما لا يخفى من ترقب  
الفس الى ما سيرد وحسن  
قبولها له عند روده  
عليها ( وهم ) أى والحال  
أنهم ( يكفرون بالرحن )  
بالبلغ الرحمة الذى  
وسعت كل شيء رحمة  
وأحاطت به نعمته  
والمدول الى المظهر  
المتعرض لوصف الرحمة  
من حيث ان الارسال  
ناشئ منها كما قال تعالى  
وما أرسلناك الا رحمة  
للعالمين فلم يقدر واقدره  
ولم يشكروا نعمه لاسيما  
ما أنعم به عليهم بارسال  
مثلك اليهم وانزال القرآن  
الذى هو مدار المنافع

الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركى مكة حين أمروا بالاجود فقالوا وما الرحمن (قل هو) أى ﴿ طوبى ﴾  
الرحمن الذى كفرتم به وأنكرتم معرفته (ربى) الرب فى الاصل بمعنى التربة وهى تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف  
به بالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت أى خالق ومبغى الى مراتب الكمال ويراد به قبل قوله



(لا اله الا هو) أي لا مستحق لعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالبوية وقيل ان أباجهل سمع النبي عليه السلام يقول يا لله يا رحمن فرجع \* ٢٩٩ \* إلى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فزت ونزل قوله تعالى

قل ادعوا لله أو ادعوا الرحمن الآية (عليه توكلت) في جميع أموري لاسيما في النصر عليكم لاعلى أحد سواه (والله) خاصة (متاب) أي توبني كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبذة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الانبياء وبمنا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وأطقه فانه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقرار ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عا كفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلا وقد فسر المتاب بطلاق الرجوع فقيل مرجعي ومر جمعكم وزيد فيكم بيني وبينكم وقد قيل فيثبني على مصابرتكم فتأمل (ولو أن قرأنا) أي قرأنا ما هو اسم أن والخبر قوله تعالى (سيرت به الجبال) وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلوه

طوبى ثلاثة أقوال الاول انها اسم شجرة في الجنة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وأن أغصانها القري من وراء سور الجنة وحكي أبو بكر الاصم رضى الله عنه ان أصل هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم وكل مؤمن منها غصن والقول الثاني وهو قول أهل اللغة ان طوبى مصدر من طوى وزلق ومعنى طوبى لك أصبت طيبا ثم اختلفوا على وجوه فقيل فرجهم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل نعم ما لهم عن هكرمة وقيل غبطة لهم عن الضحاك وقيل حسنى لهم عن قتادة وقيل خير وكرامة عن أبي بكر الاصم وقيل العيش الطيب لهم عن الزجاج وأعلم ان المعاني متقاربة والتفاوت يقرب من أن يكون في اللفظ والحاصل انه مبانة في نيل الطيبات ويدخل فيه جميع الذات وتفسيره أن أطيب الاستياء في كل الامور حاصل لهم والتول الثالث ان هذه اللفظة ليست عريسة ثم اختلفوا فقال بعضهم طوبى اسم الجنة بالحشية وقيل اسم الجنة بالهندية وقيل البستان بالهندية وهذا القول ضعيف لانه ليس في القرآن الا العريبي لاسيما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ومعنى طوبى لك أي أصبت طيبا ومحملها انصب أو الرفع كقولك طيبالك وطيب لك وسلامك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ما ب بالرفع والنصب تذكير على محلها وقرأ مكوزة الاعراب طيبى لهم أما قوله وحسن ما ب فالمراد حسن المرجع والمقر وكل ذلك وعدم الله بأعظم النعيم ترغيبا في طاعته وتحذيرا عن المعصية \* قوله تعالى (كذلك أرسلناك

في أمة قد دخلت من قبلها ام لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) اعلم ان الكاف في كذلك للتشبيه فقيل وجه التشبيه أرسلناك كما أرسلنا الانبياء قبلك في أمة قد دخلت من قبلها أم وهو قول ابن عباس والحسن و قتادة وقيل كما أرسلنا الى أم وأعطيناهم كتابا تتلى عليهم كذلك أعطيناك هذا الكتاب وأنت تتلوه عليهم فلماذا اقرحوا غيره وقال صاحب الكشاف كذلك أرسلناك أي مثل ذلك الارسان أرسلناك يعني أرسلناك ارساله شان وفضل على سائر الارسلات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد دخلت من قبلها أم أي أرسلناك في أمة قد تقدمت ام فهي آخر الامم وأنت آخر الانبياء اما قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك فالمراد لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن أي وحاد هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن الذي رحته وسعت كل شيء وما بهم من نعمته فنه وكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيعيني على مصابرتكم ومجاهدتكم قيل نزل قوله وهم يكفرون بالرحمن في عبد الله بن أمية المخزومي وكان يقول أما الله فنعمه وأما الرحمن فلانعرفه الا صاحب الإمامة يعنون مسئلة

السامع من التالى والمقصود اما يسان عظيم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدر واقدره العلى ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقرحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعدا وتناديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرأنا سيرت به الجبال أي بانزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها

كافعل ذلك بالطور لمؤسى عليه الصلاة والسلام ( أو قطعت به الارض ) أى شقت وجعلت أنهارا وعيوننا كما فعل  
بالبحر حين ضم به عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعا تصدعه ﴿ ٣٠٠ ﴾ ( أو كلم به الموتى ) أى بعد أن احبى بقراءته

الكذاب فقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى  
وقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن وقيل انه عليه السلام حين صالح  
قر يشا من الحديدية كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال المشركون ان كنت  
رسول الله وقد قاتلتنا فقد ظلمنا ولكن كتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فكتب  
كذلك ولما كتب في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا أما الرحمن فلان عرفه وكانوا  
يكتبون باسمك اللهم فقال عليه السلام اكتبوا كما تريدون واعلم أن قوله وهم يكفرون  
بالرحن اذا جلتنا على هاتين الروايتين كان معناها انهم كفروا باطلاق هذا الاسم على الله  
تعالى لأنهم كفروا بالله تعالى وقال آخرون بل كفروا بالله اما جمدا له واما لاياتهم  
الشر كاه معه قال القاضي وهذا القول أليق بالظاهر لان قوله تعالى وهم يكفرون بالرحن  
يقضى انهم كفروا بالله وهو المفهوم من الرحمن وليس المفهوم منه الاسم كالموافق قائل  
كفروا بمحمد وكذبوا به لكان المفهوم هو دون اسمه \* قوله تعالى ( ولو أن قرآنا سيرت به  
الجيال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم يياس الذين آمنوا أن  
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا  
من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ) اعلم انه روى ان أهل مكة قعدوا  
في فناء مكة فاتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله بن  
أمية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفتح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا تزرع فيها  
أو أحى لنا بعض أمواتنا النساء لهم أحق ما تقول أو باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى أو سخر  
لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان فقلت بأهون على  
ربك من سليمان فغزل قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أى من أركانها أو قطعت به الارض  
أى شقت فجعلت أنهارا وعيوننا أو كلم به الموتى لكان هو هذا القرآن الذى أنزلناه عليك  
وحذف جواب لولا لكونه معلوما وقال الزجاج المحذوف هو أنه لو أن قرآنا سيرت به الجبال  
وكذا وكذا لما آمنوا به كقوله ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى ثم قال تعالى بل لله  
الامر جميعا يعنى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وليس لاحد أن يتحكم عليه فى أفعاله  
وأحكامه ثم قال تعالى أفلم يياس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وفيه  
مستلثان ( المسئلة الاولى ) فى قوله أفلم يياس قولان أحدهما أفلم يعلموا على هذا التقدير  
ففيه وجهان الاول يياس يعلم فى لغة النخم وهذا قول أكثر المفسرين مثل مجاهد والحسن  
وقتاده واحتجوا عليه بقول الشاعر

لم يياس الاقوام أنى أنابنه \* وان كنت من أرض العشيبة نأبيا  
وأشد أبو عبيدة

أقول لهم بالشعب اذا سروننى \* ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم  
أى ألم تعلموا وقال الكسائى ما وجدت العرب تقول بنست بمعنى علت البتة والوجه

عليها كما حيث لعيسى  
عليه السلام لكان ذلك  
هذا المرآن لكونه الغاية  
القصوى فى الانطواء  
على عجائب آثار قدرة الله  
تعالى وهيبته عز وجل  
كقوله تعالى لو أنزلنا  
هذا القرآن على جبل  
رأيت خاشعا متصدعا من  
خشية الله لافى الاعجاز  
اذلا مدخل له فى هذه  
الآثار ولا فى التذكير  
والانذار والتخويف  
لاختصاصها بالعتلاء  
مع انه لا علاقة لها بتكليم  
الموتى واعتبار فيض  
العقول اليها محمل بالمبالغة  
المقصودة وتقديم  
المجروح فى المواضع الثلاثة  
على المرفوع لما مر غير  
مرة من قصد الابهام  
ثم التفسير لزيادة التقرير  
لان بتقديم ما حقه التأخير  
تبقى النفس مستشرفة  
ومتربعة الى المؤخر أنه  
ماذا فىمكن هندوروده  
عليها فضل تمكن وكلمة  
أوفى الموضوعين لمنع الخلو  
لالنع الجمع واقتراحهم  
وان كان متعلقا بمجرد  
ظهور مثل هذه الافاعيل  
العجيبة على يده عليه

السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله فى زعمهم على الخوارق ﴿ الثانى ﴾  
نيط ظهورها به مبالغة فى بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وابانة ركازة رأبهم فى شأنه  
الرفع كأنه قيل لو ان ظهور أمثال ما اقترحوه من مقضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى

لم يبدؤه آية وفيه من تخفيف شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى (بل الله الامر نجيبا) أى له الامر الذى عليه يدور فللك الاكوان وحودا وعدما يفعل ﴿ ٣٠١ ﴾ ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو اليه من الحكم البالغة وهو اضراب مما تضمنه

الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه وموداه أى لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لان الامر كله له وحده فلا اضراب ليس بتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يودى اليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار ( أفلم يأس الذين آمنوا ) أى أفلم يعلموا على لغة هواذن أو قوم من التمع أو على استعمال اليأس فى معنى العلم لتضمنه له و يؤيده قراءة على وابن عباس وجاعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أفلم تبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أى أغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ( أن لو يشاء الله ) على حذف ضمير الشأن وتخفيف

الثانى ماروى أن عليا وابن عباس كانا يقرآن أفلم يأس الذين آمنوا قبيل لابن عباس أفلم يأس فقال أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس انه كان فى الخط يأس فزاد الكاتب سنة واحدة فصار يأس فقرأ يأس وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضى كون القرآن محلا للتحريف والتخفيف وذلك يخرجهم عن كونه حجة قال صاحب الكشاف ما هذا القول والله الا فرية بلا مريية والقول الثانى قال الزجاج المعنى أو يئس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وتقريره أن العلم بأن الشئ لا يكون بوجب اليأس من كونه والملازمة توجب حسن المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ اليأس لارادة العلم ( المسئلة الثانية ) احتج أصحابنا بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وكلمة لتوفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره والمعنى انه تعالى ماشاء هداية جميع الناس والمعتزلة تارة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الاجاء وتارة يحملون الهداية على الهداية الى طريق الجنة وفيهم من يجرى الكلام على الظاهر ويقول انه تعالى ماشاء هداية جميع الناس لانه ماشاء هداية الاطفال والمجانين فلا يكون شائبا الهداية لجميع الناس والكلام فى هذه المسئلة قد سبق مرارا ما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم ففيه مسلتان ( المسئلة الاولى ) قوله الذين كفروا فيه قولان قيل أراد به جميع الكفار لان الوقائع الشديدة التى وقعت لبعض الكفار من القتل والسبي أو جوب حصول الغم فى قلب الكل وقيل أراد بعض الكفار وهم جماعة معينون والاف واللام فى لفظ الكفار للمعهود السابق وهو ذلك الجمع المعين ( المسئلة الثانية ) فى الآية وجهان الاول ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوأعمالهم قارعة داهية تفرعهم بما يحمل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيغزعون ويضطربون ويتطير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتى وعد الله وهو موتهم أو القيامة والقول الثانى ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتخطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كاحل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ثم قال ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه قال القاضى وهذا يدل على بطلان قول من يجوز الخلف على الله تعالى فى ميعاده وهذه الآية وان كانت واردة فى حق الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اذ بعمومه يتناول كل وعيد ورد فى حق الفساق وجوابنا ان الخلف غير وتخصيص العموم غير ونحن لا نقول بالخلف ولكننا نخصص عمومات الوعيد بالآيات الدالة على العفو قوله تعالى ( واقد استهزى برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفن هو قائم

أن لهدى الناس جميعا ) باظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المخطوفين جميعا أو علموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجب ذلك العلم بما ذكر فهو متوجه الى ترتب المخطوف على المخطوف عليه أى تخلف العلم الثانى عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كفى قوله تعالى ألم بعد كرمكم وعدا حسنا لانكار الواقع

كافي قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم تعلموا أن الله ﴿ ٣٠٢ ﴾ تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وإنه لم يشأها

على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمعوه أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض أم  
بظاهر من القور بل زين الدين انكروا مكرهم وهدوا عن السبيل ومن يضل لله فإله من  
هادلهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من وفاق اعلم ان  
القوم لما طلبوا سائر المعجزات من الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والسخرية  
وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتأذى من تلك الكلمات فإله  
تعالى أنزل هذه الآية تسليفاً وتصبيراً على سفاهة قومه فقال له ان أفوام سائر الانبياء  
استهزوا بهم كأن قومك يستهزئون بك فأملت للذين كفروا أى أطلت لهم المدة بتأخير  
العقوبة ثم اخذتهم فكيف كان عقابي لهم واعلم أنى سأنتقم من هؤلاء الكفار كما  
انتقم من اولئك المتقدمين والاملاء الامهال وان يتركوا مدة من الزمان في خفض  
وأمن كالبصيرة على لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى أورد على المشركين ما يجري مجرى  
الحجاج وما يكون تو بهنالههم وتجبباً من عقولهم فقال أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت  
والعنى أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات وإذا  
كان كذلك كان عالماً بجميع أحوال النفوس وقادراً على تحصيل مطالبها من تحصيل  
المنافع ودفع المضار ومن إيصال الثواب إليها على كل الطاعات وإيصال العقاب إليها على  
كل المعاصي وهذا هو المراد من قوله قائم على كل نفس بما كسبت وما ذاك الا الحاق سبحانه  
ونظيره قوله تعالى قائماً بالقياس واعلم أنه لا بد لهذا الكلام من جواب واختلفوا فيه على  
وجوه (الاول) التقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس بهذه الصفة وهى  
الاصنام التى لا تنفع ولا تضر وهذا الجواب مضمر في قوله تعالى وجعلوا لله شركاء  
والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس بهذه الصفة ونظيره قوله  
تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من به وما جاء جوابه لانه مضمر في قوله  
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فكذا ههنا قال صاحب الكشاف يجوز أن يقدر  
ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه قوله وجعلوا والتقدير أفن هو بهذه الصفة لم يوجد ولم  
يمجدوه وجعلوا شركاء (والوجه الثاني) وهو الذى ذكره السيد صاحب حل العقد فقال  
نجد الوافى في قوله وجعلوا والحال ونضم للمبتدأ خبراً يكون المبتدأ معه جملة مقررّة  
لامكان ما يقارنهما من الحال والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال  
اذهم جعلوا شركاء ثم أقيم الظاهر وهو قوله الله مقام المضمر تقرير الالهية وتصريحاً بها  
وهذا كما تقول جواد يعطى الناس ويغنيهم موجود و بجرم مثلى واعلم انه تعالى لما قرر هذه  
الحجة زاد في الحجاج فقال قل سمعوه وانما يقال ذلك في الامر المستحق الذى بلغ في الحقارة  
الى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال سمع ان شئت يعنى انه اخس من ان يسمى  
ويذكر ولكنك ان شئت أن تضع له اسماً فاعل فكانه تعالى قال سمعوه بالالهة على سبيل

وذلك لانهم كانوا يودون  
أن يظهر ما فتر حوا  
من الآيات ليجمعوا  
على الايمان وعلى الثاني  
لوان قرأنا فصل به  
ما فصل من التعاجيب لما  
آمنوا به كقوله تعالى  
ولو أنما نزلنا اليهم  
الملائكة وكلمهم الموتى  
الآية فلا ضراب حينئذ  
متوجه الى ما سلف  
من اقتراحهم مع كونهم  
في العناد على ما شرح  
أى فليس لهم ذلك بل  
لله الامر جميعاً ان شاء  
اتى بما اقتروا وان شاء  
لم يأت به حسبما استدعيه  
داعية الحكمة من غير  
أن يكون لاحد عليه  
تحكم أو اقتراح والباس  
بمعنى القنوط أى ألم يعلم  
الذين آمنوا حالهم هذه  
فلم ينظروا من ايمانهم  
حتى احبوا ظهور  
مقترحاتهم فالانكار  
متوجه الى المعطوفين  
أو علموا ذلك فلم ينظروا  
من ايمانهم فهو متوجه  
الى وقوع المعطوف  
بعد المعطوف عليه  
أى الى تخلف القنوط  
عن العلم المذكور

والانكار على التقديرين انكار واقم كافي قوله انه الى اذ لا تتور ونظائر لا انكار او وقوع فان عدم ﴿ التهديد ﴾  
قنوطهم منه فالامر دله وقوله تعالى أر لو يشاء الله الخ متعلق بمخدوف أى أفلم يأسوا من ايمانهم علمانهم أو عالين بانه  
لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وان لم يشأ ذلك أو بآمنوا أى أفلم يقنطوا الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على معنى

أفلم يئس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعد ثم تحقق مقدمها المنفهم من مكارتهم خستبا بحكيه حمة  
لو فالوصف المذكور من دواعي انكار بأسهم وقيل ﴿ ٣٠٣ ﴾ ان أبا جهل وأضرابه قالوا لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ان كنت نبيا فسير  
بقرآتك الجبال عن مكة  
حتى تنسع لنا وتخذ فيها  
البساتين والقطائع  
وقد سخرت لداود  
عليه السلام فليست بأهون  
على الله منه ان كنت نبيا  
كأزعت أو سخرتنا به  
الريح كما سخرت لسليمان  
عليه السلام لتجبر عليها  
الى الشام فندشق علينا  
قطع الشقة البعيدة  
أوابعث لنا به رجلين  
أو ثلاثة ممن مات من آبائنا  
فزلت فمضى تقطيع الارض  
حيثن قطعها بالسير  
ولا حاجة حيثن  
الى الاعتذار في اسناد  
الافاعيل المذكورة  
الى القرآن كما احتج اليه  
في الوجهين الاولين  
وعن الفراء أنه منطلق  
باقبله من قوله وهم يكفروا  
بارحمن وما بينهما اعتراض  
وهو بالحقيقة دال  
على الجواب والتقدير ولو ان  
قرأنا سيرت به الجبال  
أو قطعت به الارض  
أو كلمت به الموتى لكفروا  
بارحمن والتذكير في كلمته  
الموتى لتغليب المذكر  
من الموتى على غيره  
(ولا يزال الذين كفروا)

التهديد والمعنى سواء سميتوهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فانها في الحقارة بحيث لا تسمى  
أن بلغت العاقل اليها ثم زاد في الحجاج فقال أم تنبؤونه بما لا يعلم في الارض والمراد أتقدرون  
على أن تجربوه وتعلوهم بأمر تعلمونه وهو لا يعلم وانما خص الارض بنبي الشريك عنها وان  
لم يكن شريك البتة لانهم ادعوا أن له شركا في الارض لاني غير هاهم بظاهر من القول يعني  
تموهون باظهار قول لا حقيقة له وهو كونه تعالى ذلك قواهم بأفواههم ثم انه تعالى بين  
بعد هذا الحجاج سوطر يقتهم فقال على وجه التختير لاهم عليه بل زين للدين كفروا مكرهم  
قال الواحدى معنى بل ههنا كأنه يقول دع ذكر ما كنا فيه زين لهم مكرهم وذلك لانه تعالى  
لما ذكر الدلائل على فساد قواهم فكأنه يقول دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه لانه زين لهم  
كفرهم ومكرهم فلا ينفعون بذكر هذه الدلائل قال القاضى لاشبهة في انه تعالى انما ذكر  
ذلك لاجل أن يذمهم به واذا كان كذلك امتنع أن يكون ذلك المزين هو الله بل لا بد وأن  
يكون اما شياطين الانس واما شياطين الجن واعلم أن هذا التأويل ضعيف لوجوه الاول  
أنه لو كان المزين أحد شياطين الجن أو الانس فالزين في قلب ذلك الشيطان ان كان  
شياطانا آخر زم التسلسل وان كان هو الله فقد زال السؤال والثاني أن يقال انقلوب  
لا يقدر عليها الا الله والثالث اننا قد دللنا على أن ترجيح الداعي لا يحصل الا من الله تعالى  
وعند حصوله يجب الفعل أما قوله وصدوا عن السبيل فاعلم انه قرأ عاصم وجرزة والكسائى  
وصدوا بضم الصاد وفي حم المؤمن وصدوا عن السبيل على ما لم يسم فاعلمه بمعنى ان الكفار  
صددهم غيرهم وعند اهل السنة ان الله صددهم والمعتزلة فيه وجهان قيل الشيطان وقيل  
أنفسهم وبعضهم لبعض كما يقال فلان معجب وان لم يكن ثمذ غيره وهو قول أبي مسلم  
والباقون وصدوا بفتح الصاد في السورتين يعني أن الكفار صدوا عن سبيل الله أى  
اعرضوا وقيل صرفوا غيرهم وهو لازم ومتعد وجهة القراءة الاولى مشاكتها لما قبلها  
من بناء الفعل للمفعول وجهة القراءة الثانية قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله \* ثم  
قال ومن يضل الله فإله من هاد اعلم ان اصحابنا تسمكوا بهذه الآية من وجوه (اولها)  
قوله بل زين للذين كفروا مكرهم وقد بينا بالدليل ان ذلك المزين هو الله (وثانيها) قوله  
وصدوا عن السبيل بضم الصاد وقد بينا ان ذلك الصاد هو الله (وثالثها) قوله ومن يضل  
الله فإله من هاد وهو صريح في المقصود وتصريح بأن ذلك المزين وذلك الصاد ليس الا  
الله (ورابعها) قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق أخبر عنهم أنهم  
سيقعون في عقاب الآخرة واخبار الله تمتع التغير واذا امتنع وقوع التغير في هذا الخبر  
امتنع صدور الايمان منه وكل هذه الوجوه قد لخصناها في هذا الكتاب مرارا قال القاضى  
من يضل الله أى عن ثواب الجنة لكفره وقوله فإله من هاد مني بذلك ان الثواب لا يتال الا  
بالطاعة خاصة فغن زاغ عنهم المجد اليها سيلا وقيل المراد بذلك من حكم بانه ضال وسماه ضالا  
وقيل المراد من يضل الله عن الايمان بان يجده كذلك ثم قال والوجه الاول اقوى واعلم ان

من أهل مكة (تصبيهم بما صنعوا) أى بسبب ما صنعوه من الكفر والتنادى فيه وعدم يسانه اما المقصد الى تمويله  
أو استعجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلاة له مع ما في صيغة الصنع عن الايدان  
يسوخهم ذالقت (قارعة) داهية تفرعهم وتلفقهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل

والاسرو والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التفرير  
والاحكام مع ما فيه من بيان أن مدارا لاصابة من جهتهم ﴿ ٣٠٤ ﴾ آردى اثير (أو تحل) تلك القارعة (قريبا)

الوجه الاول ضيف جدا ان الكلام انما وقع في شرح ايمانهم وكفرهم في الدنيا ولم يجز  
ذكر ذهابهم الى الجنة البتة فصرف الكلام عن المذكور الى غير المذكور بعيد وأيضا  
فهب أنا نساعد على ان الامر كما ذكره الا انه تعالى لما اخبر أنهم لا يدخلون الجنة فقد  
حصل المقصود لان خلاف معلوم الله ومخبره محال بمنع الوقوع واعلم انه تعالى لما اخبر  
عنهم بتلك الامور المذكورة بين انه جمع لهم بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة  
الذي هو أشق وانه لا يدفع لهم عنه لاني الدنيا ولا في الآخرة أما عذاب الدنيا فبالقتل  
والقتال واللعن والنم والاهانة وهل يدخل المصائب والامراض في ذلك ام لا اختلفوا  
فيه قال بعضهم انها تدخل فيه وقال بعضهم انها لا تكون عقابا لان كل أحد نزلت به  
مصيبة فانه مأمور بالصبر عليها ولو كان عقابا لم يجب ذلك فالمراد على هذا القول من  
الآية القتل والسبي واغتنام الاموال والامن وانما قال لعذاب الآخرة أشق لانه  
ازيد ان شئت بسبب القوة والسدة وان شئت بسبب كثرة الانواع وان شئت بسبب انه  
لا يختلط بها شيء من موجبات الراحة وان شئت بسبب الدوام وعدم الانقطاع ثم بين  
بقوله وما لهم من الله من واق أي ان أحد الا يقبهم ما نزل بهم من عذاب الله قال الواحدى  
أكثر القراء وقفوا على القاف من غير اثبات ياء في قوله واق وكذلك في قوله ومن يضل الله  
فاله من هاد وكذلك في قوله وال وهو الوجه لانك تقول في الوصل هذا هاد ووال وواق  
فحذف الياء لسكونها والتعاسم مع التنوين فاذا وقفت انحذف التنوين في الوقف  
في الرفع والجر والياء كانت انحذف في الوصل فيصادف الوقف الحركة التي هي كسرة  
في غير فاعل فحذفها كما تحذف سائر الحركات التي تقف عليها فيصير هاد ووال وواق وكان  
ابن كثير يقف بالياء في هادى ووالى وواقى ووجهه ما حكى سيبويه أن بعض من يوثق به من  
العرب يقول هذا داعى فيقون بالياء \* قوله تعالى ( مثل الجنة التي وعد المتقون تجري  
من تحتها الانهار ) كلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار )  
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة  
اتبعه بذكر ثواب المتقين وفي قوله مثل الجنة أقوال الاول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ  
وخبره محذوف والتقدير فيما قصصنا عليكم مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة  
جنة من صفتها كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الانهار  
كما تقول صفة زيد اسم والرابع الخبر وقوله أكلها دائم لانه الخارج عن العادة كما قال  
مثل الجنة التي وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جناتكم الآن هذه  
أكلها دائم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث أولها تجرى من  
تحتها الانهار وثانيها ان اكلها دائم والمعنى ان جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها  
أما جنات الآخرة فثمارها دائم غير مقطعة وثالثها ان ظلها دائم أيضا والمراد انه ليس  
هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ونظيره قوله تعالى لا يرون فيها شمس ولا ظلمة ولا يرون فيها

أى مكانا قريبا  
(من دارهم) فيفرعون  
منها ويتطير اليهم  
شرارها شبت القارعة  
بالعدو والتوجه اليهم فأسند  
اليها الاصابة تارة والحلول  
أخرى ففيه استعارة  
بالكناية وتخيل وترشيع  
(حتى يأتي وعد الله)  
أى موتهم او القيامة  
فان كلامها وعد محتوم  
لامرله وفيه دلالة  
على أن ما يصيبهم عند ذلك  
من العذاب في غاية الشدة  
وأن ما ذكر سابقه نفضة  
يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق  
ذلك بقوله تعالى (ان الله  
لا يخلف الميعاد) أى الوعد  
كاليلاد والميثاق بمعنى  
الولادة والتوثيق لاستحالة  
ذلك على الله سبحانه وقال  
ابن عباس رضى الله تعالى  
عنهما أراد بالقارعة  
المرابا التي كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
يبعثها وكانوا يبين اغارة  
واخطاف وتخويف  
بالهجوم عليهم في ديارهم  
فلا صابوا والحلول حيثند  
من أحوالهم ويجوز  
على هذا أن يكون قوله  
تعالى أو تحل قريبا

من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مراد به حلوه الحديدية والمراد بوعد الله \* انه \*  
ما وعد به من قح مكة ( ولقد استهزى برسلى ) كثيرة خلت ( من قبلك فاملت للذين كفروا ) أى تركتهم ملاوة  
من الزمان في أمن ودعة كما يعلى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمالقى

من المشركين من الكذيب والافتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مخصوصاً بك بل هو أمر  
 مطلق قد فعل ذلك برسل كثيرة كأنه من قبلك فأهملت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان  
 المعنى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين أى فأملت للذين كفروا مع استهزائهم لباستهزائهم فقط  
 (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أى عقابي ﴿ ٣٠٥ ﴾ ايهم وفيه من الدلالة على تناهي كفيته في الشدة والفظاحة

ما لا يخفى (الغن هو قائم)  
 أى رقيب مهين (على  
 كل نفس) كأنه من  
 كانت (بما كسبت) من  
 خيراً وشر لا يخفى عليه  
 شئ من ذلك بل يجازى  
 كلابعه وهو الله تعالى  
 والخبر مذكوف أى كمن  
 ليس كذلك انكار ذلك  
 وادخال الغناء لتوجيه  
 الانكار الى توهم المماثلة  
 فبما علم مما فعل تعالى  
 بالمستهزئين من الاملاء  
 المديد والخذ الشديد  
 ومن كون الامر كانه لله  
 تعالى وكون هداية  
 الناس جميعاً منوطاً  
 بمشيئته تعالى ومن تواتر  
 القوارع على الكفرة الى  
 أن يأبى وعد الله كأنه  
 قيل الأمر كذلك فمن  
 هذا شأنه كالمس في عداد  
 الاشياء حتى تشر كونه  
 فالانكار متوجه الى ترتيب  
 المعطوف أعني توهم  
 المماثلة على المعطوف  
 عليه المقدر أعني كون  
 الامر كما ذكر كافي قولك  
 أتعمل الحق فلا تعمل به  
 لال المعطوفين جميعاً

انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين ان ذلك صفي الذين اتقوا يعني عاقبة  
 أهل التقوى هي الجنة وعاقبة الكافرين النار وحاصل الكلام من هذه الآية ان ثواب  
 المتقين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام واعلم ان قوله الكلهادائم فيه  
 مسائل ثلاث (المسئلة الاولى) انه يدل على ان اكل الجنة لا تغني كما يحكي عن جهنم  
 واتباعه (المسئلة الثانية) انه يدل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما  
 يقوله أبو الهذيل واتباعه (المسئلة الثالثة) قال القاضي هذه الآية تدل على ان الجنة  
 لم تخلق بعد لانها لو كان مخلوقة لوجب أن تغنى وان ينقطع أكلها لقوله تعالى كل من عليها  
 فان وكل شئ هالك الاوجهه لكن لا ينقطع أكلها لقوله تعالى الكلهادائم فوجب أن  
 لا تكون الجنة مخلوقة ثم قال فلا تنكر أن يحصل الآن في السموات جنات كثيرة يتمتع بها  
 الملائكة ومن يعد حيامن الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي في ذلك الا ان الذي  
 نذهب اليه ان الجنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة والجواب أن دليلهم مركب من  
 آيتين احدهما قوله كل شئ هالك الاوجهه والاخرى قوله الكلهادائم وظلها فاذا دخلنا  
 التخصيص في أحد هذين العمومين سقط دليلهم فمن تخصص أحد هذين العمومين  
 بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة وهو قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض  
 أعدت للمتقين • قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك من

الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعوا اليه ما ب)  
 اعلم أن في المراد بالكتاب قولين الاول انه القرآن والمراد ان أهل القرآن يفرحون بما أنزل  
 على محمد من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والاحكام والقصاص ومن الاحزاب  
 الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة  
 فان قيل الاحزاب ينكرون كل القرآن قلنا الاحزاب لا ينكرون كل ما في القرآن لانه  
 ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الانبياء والاحزاب  
 ما كانوا ينكرون كل هذه الاشياء والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل  
 وعلى هذا التقدير في الآية قولان الاول قال ابن عباس الذين آتيناهم الكتاب هم الذين  
 آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما  
 ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنتان  
 وثلاثون بأرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية أهل  
 الكتاب وسائر المشركين قال القاضي وهذا الوجه أولى من الاول لانه لا شبهة في ان من  
 أوتي القرآن فأنهم يفرحون بالقرآن أما اذا حملنا على هذا الوجه ظهرت القائفة ويمكن  
 أن يقال ان الذين أوتوا القرآن يزداد فرحهم به لما رآه من العلوم الكثيرة والفوائد  
 العظيمة فلهذا السبب حكى الله تعالى فرحهم به والثاني والذين آتيناهم الكتاب اليهود  
 أعطوا التوراة والنصارى أعطوا الانجيل يفرحون بما أنزل في هذا القرآن لانه مصدق

كما إذا قلت ألا تعلم فلا تعمل به ﴿ ٣٩ ﴾ خا وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) جملة مستقلة تجيء بها للدلالة على  
 الخبر وأحواله أى أفن هذه صفاته كالمس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شر يكأوا واحداً ومعطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح  
 لذلك أى أفن هذا شأنه لم يوجد وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع الضمير للتخصيص على وحدانيته ذاتياً  
 وإعمالاً للتنبه على اختصاصه

بأنه تعالى المأذنة مع مافية من البيان بمد الامان بإرادة موصول للدلالة على التخصيم وقوله تعالى (قل سمعتم) تكلمت لهم اثر تكلمت أي سمعتم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تنبؤنه) أي بل أنبؤن الله (بما لا يعلم في الارض) أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ ﴿ ٣٠٦ ﴾ بالتخفيف (أم بظاهر من القول) أي بل أنسموهم

لما معهم ومن الاحزاب من سائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول مجاهد قال القاضي وهذا لا يصح لان قوله يفرحون بما أنزل اليك يع جميع ما أنزل اليه ومعلوم انهم لا يفرحون بكل ما أنزل اليه ويمكن أن يجاب فيقال ان قوله بما أنزل اليك لا يفيد العموم بدليل جواز ادخال لفظي الكل والبعض عليه ولو كانت كلمة ما للعموم لكان ادخال لفظ الكل عليه تنكيرا وادخال لفظ البعض عليه نقصا منه انه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج المرء اليه في معرفة المبدأ والمعاد في الفاظ قليلة منه فقال قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعوا اليه ما ب وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف به وفيه فوائد (أولها) ان كلمة انما للحصر ومعناه اني ما أمرت بالعبادة الله تعالى وذلك يدل على انه لا تكليف ولا امر ولا نهى الا بذلك (وثانيها) ان العبادة غاية التعظيم وذلك يدل على أن المرء مكلف بذلك (وثالثها) ان عبادة الله تعالى لا يمكن الا بعد معرفته ولا سبيل الى معرفته الا بالدليل فهذا يدل على أن المرء مكلف بالنظر والاستدلال في معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب ويجوز ويستحيل عليه (ورابعها) ان عبادة الله واجبة وهو يبطل قول خاة التكليف ويبطل القول بالجبر المحض (وخامسها) قوله ولا أشرك به وهذا يدل على نفى الشركاء والانداد والاضداد بالكلية ويدخل فيه ابطال كل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قل ان ذلك المعبود هو الشمس أو القمر أو الكواكب أو الاصنام والاونان والارواح العلوية أو يزدان وأهر من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية (وسادسها) قوله اليه ادعوا والمراد منه انه كما وجب عليه الايمان بهذه العبادة فكذلك يجب عليه الدعوة الى عبودية الله تعالى وهو اشارة الى نبوته (وسابعها) قوله واليه ما ب وهو اشارة الى الحشر والنشر والبعث والقيامة فاذا تأمل الانسان في هذه الالفاظ القليلة ووقف عليها عرف انها محتوية على جميع المطالب المعتبرة في الدين \* قوله تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عريا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى شبه انزاله حكما عريا بما أنزل الى من تقدم من الانبياء أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك أنزلنا عليك القرآن والكتابة في قوله أنزلناه تعود الى ما في قوله يفرحون بما أنزل اليك يعني القرآن (المسئلة الثانية) قوله أنزلناه حكما عريا وفيه وجوه الاول حكمة عرية مترجمة بلسان العرب الثاني القرآن مشتمل على جميع اقسام التكاليف فالحكم لا يمكن الا بالقرآن فلما كان القرآن سبيل الحكم جعل نفس الحكم على سبيل المساغة الثالث انه تعالى حكم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به فلما حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكما واعلم أن قوله حكما عريا يانصب على الحال والمعنى انزلناه حال كونه حكما عريا (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على حدوث القرآن من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق الا بالحدث

بشركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحققة كسمية الزنجي كاقورا كقوله تعالى ذلك قولهم بأنفهم وهما تيك الاساليب البديعة التي وزد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والتقدير فتبارك الله رب العالمين (يل زين للذين كفروا) وضع الموصول موضع المضمرة ذمالمهم وتجيلا عليهم بالكفر (مكرهم) تمويههم الا باطيل أو كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) أي سبيل الحق من صددهم وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها أي صدوا الناس أو من صد صدودا (ومن يضل الله) أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو عنده (فاله من هاد) يوقفه للهدى (لهم عذاب) شاق

(في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ﴿ الثاني ﴾ (لعذاب الآخرة أشق) من ذلك بالشدة والمدة (ومالهم من الله) من عذابه المذكور (من واق) من حافظه بعضهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد (مثل الجنة) أي صفاتها الجميلة الشان التي في الغرابة كالمثل (التي وهدي المتقون)



فن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سبويه أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أي وعدّها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد بآتيه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى الخ (أكلها) ثمها (دائم) لا ينقطع (وظلها) أيضا كذلك لا تسخنه الشمس كما تسخن ٣٠٧ ✽ ظلال الدنيا (تلك) الجنة المنعوتة بما ذكر (عقبى الذين اتقوا) الكفر والمعاصي

أي ما أهم ومسمى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) لا خبر وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقطاط الكافرين (والذين آتيناهم الكتاب) هم المسلمون من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنتان وثلاثون بالحبيشة (يفرحون بما أنزل إليك) اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل (ومن الأحزاب) أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب استقن بنجران وأتباعهما (من ينكر بعضه) وهو الشرائع الحادثة إن شاء أو نسختها لا ما يوافق ما حرقوه والالئعي عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك

الثاني أنه وصفه بكونه عربياً والعرب حصل بوضع العرب واصطلاحهم وما كان كذلك كان محدثاً الثالث أن الآية دالة على أنه إما كان حكماً عربياً لأن الله تعالى جعله كذلك ووصفه بهذه الصفة وكل ما كان كذلك فهو محدث والجواب أن كل هذه الوجوه دالة على أن المركب من الحروف والأصوات محدث ولا نزاع فيه والله أعلم (المسئلة الرابعة) روى أن المشركين كانوا يدعونهم إلى مله أبانهم فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب مثل أن يصلى إلى قبليتهم بعد أن حول الله عنها قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وقيل بل الغرض منه حث الرسول عليه السلام على القيام بحق الرسالة وتحذيره من خلافها ويتضمن ذلك أيضاً تحذير جميع المكلفين لأن من هو أرفع منزلة إذا حذر هذا التحذير فهم أحق بذلك وأولى \* قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) اعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال نبوته (فالشبهة الأولى) قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وهذه الشبهة إنما ذكرها الله تعالى في سورة أخرى (والشبهة الثانية) قولهم الرسول الذي يرسله الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة كما حكى الله عنهم في قوله لوما تأتينا بالملائكة وقوله لولا أنزل عليه ملك فأجاب الله تعالى عنه ههنا بقوله ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية يعني أن الأنبياء الذين كانوا قبله كانوا من جنس البشر لا من جنس الملائكة فإذا جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز أيضاً مثله في حقهم (الشبهة الثالثة) عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله لما كان مستغنياً بأمر النساء بل كان معرضاً عنهن مستغنياً بالنسك والزهد فأجاب الله تعالى عنه بقوله ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية وبالجملة فهذا الكلام يصلح أن يكون جواباً عن الشبهة المتقدمة ويصلح أن يكون جواباً عن هذه الشبهة فقد كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة مهيبة وسبع مائة مربية وولدوا ودمائة امرأة (والشبهة الرابعة) قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان أي شيء طلبنا منه من المعجزات أتى به ولم يتوقف ولما يكن الأمر كذلك علمنا أنه ليس برسول فأجاب الله عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله وتقريره أن المعجزة الواحدة كافية في إزالة العذر والعللة وفي إظهار الحجة والبرينة فأما الزائد عليها فهو مفوض إلى مشيئة الله تعالى إن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك (الشبهة الخامسة) أنه عليه السلام كان يخوفهم بنزول العذاب ويظهر النصر له ولقومه ثم إن ذلك الموعود كان يتأخر فلما لم يشاهدوا تلك الأمور احتجوا بها على الطعن في نبوته وقالوا لو كان نبياً صادقاً لما ظهر كذبه فأجاب الله عنه بقوله لكل أجل كتاب يعني نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة للأولياء

إنما هو جناب أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالوصول الأول طاعتهم فأنهم أيضاً يفرحون به لكونه مصداقاً لكتبهم في الجملة فينبغي أن يكون قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تنمة بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعضه (قل) الزاماً لهم ورد الإنكارهم (إنما أمرت أن أعبد الله

ولا أشرك به) أي شيا من الأشياء أو لأفعل الأشرار به والمراد قضا الامر بالعبادة على الله تعالى لا قضا الامر مطلقا  
 عبادته تعالى خاصة أي قل لهم انما امرت فيما أنزل الى بعبادة الله وتوحيد. وظاهر أن لا سبيل لكم الى انكاره لا طبق جميع  
 الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا  
 فقالكم نشركون به عزيرنا والمسيح وقرى ولا أشرك به بالرفع ﴿ ٣٠٨ ﴾ على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به (اليه)

الى الله تعالى خاصة على  
 التهج المذكور من التوحيد  
 أو الى ما أمرت به من  
 التوحيد (ادعو) الناس  
 لا الى غيره أو الى شيء  
 آخر مما يطبق عليه  
 الكتب الالهية والانبياء  
 عليهم الصلاة والسلام  
 لها وجه انكاركم (واليه)  
 الى الله تعالى وحده  
 (ماب) مرجعي للبراء  
 وحيث كانت هذه اللمحة  
 الباهرة لازمة لهم  
 لا يجدون عنها محيضا  
 أمر عليه الصلاة والسلام  
 بأن يخاطبهم بذلك الزاما  
 وتبكيته لهم ثم شرع في  
 رد انكارهم لفروع  
 الشرائع الواردة ابتداء  
 أو بدلا من الشرائع  
 المنسوخة ببيان الحكمة  
 في ذلك فقبل (وكذلك  
 أنزلناه) أي ما أنزل اليك  
 وذلك اشارة الى مصدر  
 أنزلناه أو أنزل اليك ومحله  
 النصب على المصدرية  
 أي مثل ذلك الانزال  
 البدعي المنتظم لاصول  
 مجمع عليها وفروع  
 متشعبة الى موافقة

قضى الله بحصولها في اوقات معينة مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل كتاب  
 قبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر المواعيد لا يدل على كونه كاذبا  
 (الشبهة السادسة) قالوا لو كان في دعوى الرسالة محتملا لنسخ الاحكام التي نص الله تعالى  
 على ثبوتها في الشرائع المتقدمة نحو التوراة والانجيل لكنه لم نسخها وحرفها نحو تحريف  
 القبله ونسخ أكثر احكام التوراة والانجيل فوجب أن لا يكون نياحا فاجاب الله  
 سبحانه وتعالى عنه بقوله يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ويمكن أيضا أن يكون  
 قوله لكل أجل كتاب كالمقدمة لتقرير هذا الجواب وذلك لاننا شاهدنا أنه تعالى يخلق حيوانا  
 عجيب الحلقة بديم الفطرة من قطرة من النطفة ثم يقبده مدة مخصوصة ثم يميتة ويفرق  
 اجزائه وابعاضه فلما لم يمتع أن يحيي أو لا يميت نانيا فكيف يمتع أن يشرع الحكم  
 في بعض الاوقات ثم ينسخه في سائر الاوقات فكان المراد من قوله لكل أجل كتاب  
 ما ذكرناه ثم انه تعالى لما قرر تلك المقدمة قال يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب  
 والمعنى أنه يوجد تارة ويمتد أخرى ويحيي تارة ويميت أخرى ويفرق أخرى  
 فكذلك لا يبعد أن يشرع الحكم تارة ثم ينسخه أخرى بحسب ما اقتضته المشيئة الالهية  
 عند أهل السنة أو بحسب ما اقتضته رعاية المصالح عند المعتزلة فهذا تمام التحقيق  
 في تفسير هذه الآية ثم ههنا مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى لكل أجل كتاب فيه  
 أقوال الاول أن لكل شيء وقته قدرا فالآيات التي سألوها لها وقت معين حكم الله به  
 وكتبه في اللوح المحفوظ فلا يتغير عن ذلك الحكم بسبب تحكمتهم الفاسدة ولو أن الله  
 أعطاهم ما التمسوا كان فيه أعظم الفساد الثاني أن لكل حادث وقته معيننا قضى الله  
 حصوله فيه كالحياة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة ولا يتغير البتة عن ذلك  
 الوقت والثالث أن هذا من المقلوب والمعنى أن لكل كتاب منزل من السماء أجل ينزله فيه  
 أي لكل كتاب وقت يعمل به فوق العمل بالتوراة والانجيل قد انقضى ووقت العمل  
 بالقرآن قد أتى وحضر والرابع لكل أجل معين كتاب عند الملائكة الحفظة فلانسان  
 أحوال أولها نطفة ثم علقته ثم مضغته ثم بصير شابا ثم شيخا وكذا القول في جميع الاحوال  
 من الايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحسن والقبح الخامس كل وقت معين مشتمل  
 على مصلحة خفية ومنفعة لا يعلمها الا الله تعالى فاذا جاء ذلك الوقت حدث ذلك الحادث  
 ولا يجوز حدوثه في غيره واعلم أن هذه الآية صريحة في أن الكل بقضاء الله وقدره وأن  
 الامور مرهونة باوقاتها لان قوله لكل أجل كتاب معناه أن تحت كل أجل حادث معين  
 ويسمى أن يكون ذلك التعيين لاجل خاصية الوقت فان ذلك محال لان الاجزاء  
 المعروضة في الاوقات المتعاقبة متساوية فوجب أن يكون اختصاص كل وقت بالحادث  
 الذي يحدث فيه بفعل الله تعالى واختياره وذلك يدل على ان الكل من الله تعالى وهو نظير  
 قوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة (المسئلة الثانية) يحو الله

ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه (حكما) حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق ﴿ ما يشاء ﴾  
 أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لثبوت وجوب مر اعاطه ونحتم المحافظة عليه (عريا)  
 مترجا بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد المخالفة

للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يشهد فهمه وأدراكه العجاجة والاقتصار على اشتغال الأتزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيد قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله الخ يا باه العرض لا تباع أهواؤهم وحدث المحو والاثبات وان لكل أجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع (ولئن اتبعت أهواؤهم) التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما أنزل ﴿ ٣٠٩ ﴾ اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل

(بصد ما جاءك من العلم)  
العظيم الشأن الفائق  
من ذلك الحكم العربي  
أو العلم بمضمونه (مالك  
من الله) من جنابه العزيز  
والانبغات من التكلم  
الى الغيبة وايراد الاسم  
الجليل لتربية المهابة قال  
الازهرى لا يكون الها  
حتى يكون معبود او  
حتى يكون خالقاً ورازقاً  
ومدبراً (من ولى) يلى  
أمرك ويصرك على  
من ينيك القوائل  
(ولا واق) يقبك من  
مصارع السوء وحيث  
لم يستلزم في التناصر  
على العدو في الواق  
من نكاته أدخل على  
المعطوف حرف التني  
للتأكيد كقولك مالي  
دينار ولا درهم أو مالك  
من بأس الله من ناصر  
وواق لا تباعك أهواؤهم  
وأمثال هاتيك القوارع  
انما هي لقطع أطعام  
الكفرة وتهيج المؤمنين  
على الثبات في الدين  
واللام في لثن موطنه  
ومالك سادس جوازي  
الشرط واقسم (ولقد

ما يشاء ويثبت قرأ ابن كثير وأبو عمرو وطاسم و ثبت ساكنة الاء خفيفة الباء من اثبت  
يثبت والباقون بفتح الاء وتشديد الباء من التثيب ووجه من خفف ان ضد المحو الاثبات  
لا التثيب ولان التشديد للتكثير وليس القصد بالمحو والتكثير فكذلك ما يكون في مقابلته  
ومن شدد احتج بقوله وأشد تثيبنا وقوله فثبتوا (المسئلة الثالثة) المحو ذهاب أثر الكتابة  
يقال محاه محوه محوا اذا ذهب أثره وقوله ويثبت قال التحويون أراد ويثبتة الا انه  
استغنى بتعدية الفعل الاول عن تعدية الثاني وهو كقوله تعالى والحافظين فروجهم  
والحافظات (المسئلة الرابعة) في هذه الآية قولان الاول انها عامة في كل شئ كما يقتضيه  
ظاهر اللفظ قالوا ان الله يحمو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة  
والشقاوة والايان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود والثالثون بهذا القول كانوا  
يدعون ويتضرعون الى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لأشقياء وهذا التأويل رواه  
جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان هذه الآية خاصة في بعض الاشياء  
دون البعض وعلى هذا التفرقة في الآية وجوه (الاول) المراد من المحو والاثبات نسخ  
الحكم المتقدم واثبات حكم آخر يدل عن الاول (الثاني) انه تعالى يحوم من ديوان الحافظة  
ماليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره وطمع أبو بكر  
الاصم فيه فقال انه تعالى وصف الكتاب بقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال  
أيضا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره أجاب القاضي عنه بأنه  
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الذنوب والمباح لا صغيرة ولا كبيرة وللاصم أن يجب عن هذا  
الجواب فيقول انكم باصطلاحكم خصصتم الصغيرة بالذنب الصغير والكبيرة بالذنب  
الكبير وهذا مجرد اصطلاح المتكلمين اما في أصل اللغة فالصغير والكبير يتناولان كل  
فعل وعرض لانه ان كان حقيرا فهو صغير وان كان غير ذلك فهو كبير وعلى هذا التقدير  
فقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها يتناول الباحات أيضا (الثالث) انه تعالى أراد  
بالمحو ان أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه فاذا تاب عنه محى من ديوانه (الرابع) يحمو  
الله ما يشاء وهو من جاء أجله ويدع من لم يجئ أجله ويثبت (الخامس) أنه تعالى ثبت  
في أول السنة **ح**كم تلك السنة فاذا مضت السنة تحيت وأثبت كتاب آخر للمستقبل  
(السادس) يحمو نور القمر ويثبت نور الشمس (السابع) يحمو الدنيا ويثبت الآخرة  
(الثامن) انه في الارزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة  
وفيه حث على الانقطاع الى الله تعالى (التاسع) تغير احوال العبد فامضى منها فمحو والمحو  
وباحصل وحضر فهو الاثبات (العاشر) يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء من حكمه لا يطاع  
على غيبه أحد فهو المنفرد بالحكم كما شاء وهو المستقل بالايجاد والاعدام والاحياء  
والاماتة والاغناء والافقار بحيث لا يطاع على تلك الغيوب احد من خلقه واعلم ان هذا  
الباب فيه مجال عظيم فان قال قائل أستم تزعمون ان المقادير سابقة قد جف بها القلم

أرسلنا رسلا كثيرة كائنة (من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا كما جعلنا هالك وهورد لما كانوا يعيبونه  
صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول باكل الطعام الخ (وما كان رسول) منهم أي ماصح  
وما استقام ولم يكن في وسعه (ان يأتي بآية) مما اقترح عليه وحكم بما التمس منه (الاباذن الله) ومشبته المبينة على

الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات لاسيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالامناء الى العلة (لكل أجل) أي اكل مدة ووقت من المدد والاوقات (كتاب) حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في البداو والمعاد ومن قضية ذلك انه يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال ﴿ ٣١٠ ﴾ المرضي بحسب الاوقات (بحسب ما يشاء)

وليس الامر بأنف فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات قلنا ذلك المحو والاثبات أيضا مما جف به القلم فلا يحو الا ما سبق في عمله وقضائه محوه (المسئلة الخامسة) قالت الراضة البداء جاز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده وتمسكوا فيه بقوله بحسب ما يشاء ويثبت واعلم ان هذا باطل لان علم الله من لوازم ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالا (المسئلة السادسة) اما أم الكتاب فلراد أصل الكتاب والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشيء أماله ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لحوالها من القرى فكذلك أم الكتاب هو الذي يكون أصلا لجميع الكتب وفيه قولان (الاول) ان أم الكتاب هو اللوح المحفوظ وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولاشيء معه ثم خلق اللوح وأثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة قال المتكلمون الحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى طالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان أحدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب محل المحو والاثبات والكتاب الثاني هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على تعيين جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقي روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى في ثلاث ساعات حين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا يظن فيه أحد غيره فيحسب ما يشاء ويثبت ما يشاء والحكماء في تفسير هذين الكتابين كلمات عجيبة وأسرار غامضة (والقول الثاني) ان أم الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فلراد بأم الكتاب هو ذلك والله أعلم \* قوله تعالى (واما زينك بعض الذي نعدهم أو توفيتك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) اعلم أن المعنى واما زينك بعض الذي نعدهم من العذاب أو توفيتك قبل ذلك والمعنى سواء أريناك ذلك أو توفيتك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء أمانته ورسالته وعلينا الحساب والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ كالسراح والاداء \* قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا يعقب لحكمه وهو سميع عليم الحساب وقدمكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) اعلم انه تعالى لما وعد رسوله بان يريه بعض ما وعدوه أو توفاه قبل ذلك بين في هذه الآية ان آثار حصول تلك الموايد وعلاماتها قد ظهرت وقويت وقوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها فيه أقوال (الاول) المراد أنا نأتى أرض الكفرة ننقصها من أطرافها وذلك لان المسلمين يستولون على أطراف مكة وياخذونها من الكفرة قهرا وجبرا فانقص احوال الكفرة وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات والامارات على أن الله تعالى يعجز وعده

أي ينسخ ما يشاء نسخته من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت (ويثبت) بدله ما فيه المصلحة أو يقيه على حاله غير منسوخ أو يثبت ما شاء اثباته مطلقا أو منهما ومن الانشاء ابتداء أو يحو من ديوان الحفظه الذين ديدنهم كتب كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي أو يحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة أو يحو قرونا ويثبت آخرين أو يحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات أو يحو الرزق ويزيد فيه أو يحو الاجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام والانصب تعميم كل من المحو والاثبات ليشتمل الكل ويدخل في ذلك

مواد الانكار دخولا أوليا وقرى بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أي أصله وهو اللوح المحفوظ اذا ما ﴿ ونظيره ﴾ من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو (واما زينك) أصله ان ترك وما من يده لنا كيد معنى الشرط ومن ثمة ألحقت النون بالقلم (بعض الذي نعدهم) أي وعدناهم من ازال العذاب عليهم

والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعتهم وقد اتممت هذا تحسبا تقتضيه الحكمة من انذار غيب انذار  
وفي ايراد البعض رمز الى اراة بعض الموعود (أو تنويفيك) قيل ذلك (فأنا عليك البلاغ) أي تبلغ أحكام الرسالة بتمامها  
لا تحقيق مضمون ما بلفظه من الوعيد الذي هو من جملتها (وعلينا) لا عليك (الحساب) محاسبة أعمالهم السيئة والمؤاخاة  
بها أي كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدنا ﴿ ٣١١ ﴾ هم من العذاب الذي أولم تركه فعلينا ذلك وما

عليك التبليغ الرسالة  
فلا تهم بما وراء ذلك  
قهن نكفيك وتتم ما  
وعدناك من الظفر ولا  
يضجرك تأخره فان ذلك  
لما علم من المصالح الخفية  
ثم طيب نفسه عليه  
الصلاة والسلام بطلوع  
تباشيره فقال (أولم يروا)  
استفهام انكارى والواو  
للطف على مقدر  
بقتضيه المقام أي أنكروا  
تزلوا ما وعدنا هم أو  
أشكوا أو ألم ينظروا  
في ذلك ولم يروا (أنا نأتى  
الارض) أي أرض  
الكفر (نقصها من  
أطرافها) بأن نقصها  
على المسلمين شيئا فشيئا  
ونقصها بدار الاسلام  
وتذهب منها أهلها  
بالقتل والاسر والاجلاء  
أليس هذا من ذلك ومثله  
قوله عز سلطانه أفلا  
يرون أنا نأتى الارض  
نقصها من أطرافها  
أفهم الغالبون وقوله  
نقصها حال من فاعل  
نأتى أو من مفعوله وقرئ

ونظيره قوله تعالى أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون وقوله  
سزيمهم آياتنا في الآفاق (والقول الثاني) وهو ايضا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما  
ان قوله ننقصها من أطرافها المراد موت أشرفها وكبرائها وعلماؤها وذهاب الصلحاء  
والاخيار وقال الواحدى وهذا القول وان احتمله اللفظ الا أن اللائق بهذا الموضع هو  
الوجه الاول ويمكن أن يقال هذا الوجه أيضا لا يليق بهذا الموضع وتقر به أن يقال أولم  
يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز  
ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم من  
أن يقلب الله الامر على هؤلاء الكفر فيجعلهم ذليلين بعد ان كانوا عزين ويجعلهم  
مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلي هذا الوجه فيحسن اتصال هذا الكلام بما قبله وقيل  
نقصها من أطرافها بموت أهلها ونحر يبديارهم وبلادهم فهو لاء الكفرة كيف آمنوا  
من أن يحدث فيهم أمثال هذه الوقائع ثم قال تعالى مؤكدا لهذا المعنى والله يحكم لامعقب  
لحكمه معناه لاراد لحكمه والمعقب هو الذي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب  
الحق معقب لانه يعقب هر يه بالافتضاء والطلب فان قيل ما محل قوله لامعقب لحكمه  
قلنا هو جملة محلها التصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه خالبا عن المدافع  
والمعارض والنازاع ثم قال وهو سرير الحساب قال ابن عباس يريد سرير الانتقام  
يعنى ان حسابا للحجازاة بالخير والشريك يكون سرير عاقر يبالا يدفعه دافع أما قوله وقد مكر  
الذين من قبلهم يعنى أن كفار الامم الماضية قد مكرروا برسلهم وأنبيائهم مثل نمرود مكر  
بأبراهيم وفرعون مكر بموسى واليهود مكرروا بعيسى ثم قال فله المكر جميعا قال الواحدى  
معناه ان مكر جميع الماكرين له ومنه أى هو حاصل بتخليقه و ارادته لانه ثبت ان الله  
تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد وأيضا فذلك المكر لا يضر الا باذن الله تعالى ولا يؤثر  
الابتغديره وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل له اذا كان  
حدوث المكر من الله وتأثيره في المكور به أيضا من الله وجب أن لا يكون الخوف الامن  
الله تعالى وأن لا يكون الرجا من الله تعالى وذهب بعض الناس الى ان المعنى فله جزاء  
المكر وذلك لانهم لما مكرروا بالوثنيين بين الله تعالى انه يجازيهم على مكرهم قال الواحدى  
والاول أظهر القولين بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد أن كساب العباد بأسرها  
معلومة الله تعالى وخلاف المعلوم تمتع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم الله وقوعه  
فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد  
على الفعل والترك فكان الكل من الله تعالى قالت المعتزلة الآية الاولى ان دلت على  
قولكم فالآية الثانية وهى قوله يعلم ما تكسب كل نفس دلت على قولنا لان الكسب هو  
الفعل المشتل على دفع مضرة أو جلب منفعة ولو كان حدوث الفعل بتخلق الله تعالى  
لم يكن لقدرة العبد فيه أثر فوجب أن لا يكون للعبد كسب وجوابه ان مذهبنا ان مجموع

نقصها بالتشديد وفي لفظ الايمان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الغمامة ما لا يخفى كافي قوله عز وجل  
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فيجعلناه هباء منثورا (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال  
وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآمار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم

على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جهالة  
اعتراضية جئ بها لتأكيد فصول ما تقدمها وقوله تعالى (لا معقب لحكمه ) اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه  
جل جلاله وقيل نصب على الحالية كما قيل واقتضاه حكمه كما تقول جازم يد لا عمامة على رأسه أى حاسر او المقرب  
من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفه ﴿ ٣١٢ ﴾ بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق مقب

لانه يقف غير عمد بالاقتضاء  
والطلب (وهو سريع  
الحساب) فمما قليل  
يحاسبهم ويجازيهم  
في الآخرة بأفانين العذاب  
غيب ما عندهم بالقتل  
والاسر والاجلاء حسبما  
يرى وقال ابن عباس  
رضي الله عنهما سريع  
الانتقام (وقدمكر)  
الكفار (الذين) خلوا  
(من قبلهم) من قبل  
كفار مكة بأنياسهم  
والمؤمنين كما مكره هؤلاء  
وهذا تسلية لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم بأنه  
لا عبرة بمكرهم ولا تأثير  
يل لا وجوده في الحقيقة  
ولم يصرح بذلك اكتفاء  
بدلالة القصر المستفاد  
من تعليقه أعني قوله  
(فله المكر) أى جنس  
المكر (جميعا) لا وجود  
لمكرهم أصلا فهو عبارة  
عن إيصال المكره الى  
الغير من حيث لا يشعر  
به وحيث كان جسيم ما  
يأتون وما يذرون يعلم  
الله تعالى وقدرته وانما

القدرة مع الداعي مستلزم للفعل وعلى هذا التقدير فالكسب حاصل للعبد ثم انه تعالى  
أكد ذلك التهديد فقال وسيعلم الكافر لمن عقى الدار وفيه مسلتان (المسئلة الاولى) قرأ  
نافع وابن كثير وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ المفرد والباقون على الجمع قال صاحب  
الكشاف قرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله وقرأ جناح بن  
حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أى سيخبر (المسئلة الثانية) المراد بالكافر الجنس كقوله  
تعالى ان الانسان لني خسر والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فيسئلون لمن العاقبة  
الجيدة وذلك كالزجر والتهديد والقول الثاني وهو قول عطاهير بد المستهزئين وهم خمسة  
والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون والقول الثالث وهو قول ابن عباس يريد بأجهل  
والقول الاول هو الصواب ﴿ قوله تعالى (و يقول الذين كفروا لست مر سلاقل كفى بالله  
شبيها بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ) اعلم انه تعالى حكى عن القوم انهم أنكروا  
كونه رسولا من عند الله ثم انه تعالى احتج عليهم بأمرين الاول شهادة الله على نبوته والمراد  
من تلك الشهادة انه تعالى أظهر المعجزات الدالة على كونه صادقا ادعاء رساله وهذا  
أعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الامر كذلك أما المعجزاته  
فعل مخصوص بوجوب القطع بكونه رسولا من عند الله تعالى فكان اظهار المعجزة أعظم  
مراتب الشهادة والثاني قوله ومن عنده علم الكتاب وفيه قراءة ثان احدا هما القراءة  
المشهورة ومن عنده يعنى والذي عنده علم الكتاب والثانية ومن عنده علم الكتاب وكلمة من  
ههنا لا ابتداء الغاية أى ومن عند الله حصل علم الكتاب أما على القراءة الاولى ففي تفسير  
الآية وجوه (الاول) ان المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وروى عن سعيد بن جبيرانه  
كان يبطل هذا الوجه ويقول السورة مكية فلا يجوز ان يراد به ابن سلام وأصحابه لانهم  
آمنوا في المدينة بعد الهجرة وأجيب عن هذا السؤال بأن قيل هذه السورة وان كانت  
مكية الا أن هذه الآية مدينة وأيضا فآيات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونها  
غير معصومين عن الكذب لا يجوز وهذا السؤال واقع (والقول الثاني) أراد بالكتاب  
القرآن أى ان الكتاب الذي جئتكم به معجز قاهر وبرهان باهر الا أنه لا يحصل العلم بكونه  
معجز الا لمن علم ما في هذا الكتاب من الفصاحة والبلاغة واشتماله على الغيوب وعلى العلوم  
الكثيرة فمن عرف هذا الكتاب على هذا الوجه علم كونه معجزا وقوله ومن عنده علم الكتاب  
أى ومن عنده علم القرآن وهو قول الاصم (القول الثالث) ومن عنده علم الكتاب المراد به  
الذي حصل عنده علم التوراة والانجيل يعنى ان كل من كان عالما بهذين الكتابين علم  
اشتمالهما على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا أنصف ذلك العالم ولم يكذب كان  
شاهدا على ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول حق من عند الله تعالى (القول الرابع) ومن  
عنده علم الكتاب هو الله تعالى وهو قول الحسن وسعيد بن جبيرانه قال الحسن

لهم مجرد الكسب من خير فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن قضيته ﴿ لا والله ﴾  
صحة أوليائه وعتاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة الى من  
مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جعلتها مكرهم حيث

لا يفتخرون أو لله المكر الذي بشره جميعا اللهم على معنى أن ذلك ليس مكر منهم بل بالآلية بآية هو بعينه مكر من الله تعلمهم وهم لا يشعرون حيث لا يحق المكر السبي الأباهه (وسيعلم الكفار) حين يقضى بمقتضى علمه فيوفى كل نفس جزاء ما تكسبه (لمن عقى الدار) أى العاقبة الحميدة من الفريقين وأن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين بأ كيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على أرادة الجنس \* ٣١٣ \* والكافرون والكفر أى أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة

المجهول من الاعلام أى  
سبخير (ويقول الذين  
كفروا الست مرسل) قيل  
قاله رؤساء اليهود وصيغة  
الاستقبال لاستحضار  
صورة كلهم الشعاء تعجيبا  
منها وللدلالة على تجدد  
ذلك واستمراره منهم  
(قل كفى بالله شهيدا بيني  
و بينكم) فانه قد أظهر  
على رسالتى من الحجج  
لقاطعة والبيئات الساطعة  
ما فيه مندوحة عن شهادة  
شاهد آخر (ومن عنده  
هلم الكتاب) أى علم القرآن  
وما عليه من النظم المعجز  
أومن هو من علماء أهل  
الكتاب الذين أسلموا  
لانهم يشهدون بعبادته عليه  
الصلاة والسلام في كتبهم  
والآية مدنية بالاتفاق  
أومن عنده علم اللوح  
المحفوظ وهو الله سبحانه  
أى كفى به شاهدا بيننا  
بالذى يستحق العبادة فانه  
قد شئخ كتابه بالدعوة  
الى عبادته وأيدى بأنواع  
التأييد والذى يختص  
بعلم ما فى اللوح من الاشياء  
الساكنة الثابتة التى من  
جلتها رسالتى وقرئ  
من عنده بالكسر وعلم

لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وهذا القول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا فى الجملة الا أنه خلاف الاصل لا يقال شهد بهذا زيد والفقهاء بل يقال شهد به زيد الفقهاء وأما قوله ان الله تعالى لا يستشهد بغيره على صدق حكمه فبعد لانه لما جاز أن يقسم الله تعالى على صدق قوله بقوله والتين والزيتون فأى امتناع فيما ذكره الزجاج وأما القراءة الثانية وهى قوله ومن عنده علم الكتاب على من الجارة فالمعنى ومن لدنه علم الكتاب لان أحد الا يعلم الكتاب الامن فضله واحسانه وتعليمه ثم على هذه القراءة ففيه أيضا قراءتان ومن عنده علم الكتاب والمراد العلم الذى هو ضد الجهل أى هذا العلم انما حصل من عند الله والقراءة الثانية ومن عنده علم الكتاب بضم العين وبكسر اللام وقبح الميم على ما لم يسم فاعله والمعنى انه تعالى لما أمر نبيه ان يتحج عليهم بشهادة الله تعالى على ما ذكرناه وكان لامعنى لشهادة الله تعالى على نبوته الا اظهار القرآن على وفق دعواه ولا يعلم كون القرآن معجزا الا بعد الاطاحة بما فى القرآن واسراره بين تعالى ان هذا العلم لا يحصل الامن عند الله والمعنى ان الوقوف على كون القرآن معجزا لا يحصل الا اذا شرف الله تعالى ذلك العبد بان يعلمه علم القرآن والله تعالى اعلم بالصواب \* تم تفسير هذه السورة يوم الاحد الثامن عشر من شعبان سنة احدى وستمائة وأنا أتمس من كل من نظرتى كتابى هذا وانتفع به ان يخص ولسى محمد بالرحمة والغفران وان يذكرنى بالدعاء وأقول فى مرتبة ذلك الولد شعرا

أرى معالم هذا العالم القاتى \* مبروجة بمخافات وأحزان  
خبراته مثل أحلام مفرعة \* وشرة فى البرايا دأى

\* (سورة ابراهيم عليه السلام خمسون وآيات مكية) \*  
\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الكتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) اعلم ان الكلام فى ان هذه السورة مكية أو مدنية طر يقه الاحاد ومتى لم يكن فى السورة ما يتصل بالاحكام الشرعية فنزواها بمكة والمدنية سواء وانما يختلف الغرض فى ذلك اذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة وقوله الر كتاب معناه ان السورة المسماة بالكتاب أنزلناه اليك لغرض كذا وكذا فقول الر مبتدأ وقوله كتاب خبره وقوله أنزلناه اليك صفة لذلك الخبر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) دلت هذه الآية على ان القرآن موصوف بكونه منزلا من عند الله تعالى قالت المعتزلة النازل والمنزل لا يكون قديما وجوابنا ان الموصوف بالنازل والمنزل هو هذه الحروف وهى محدثة بلا نزاع (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة اللام فى قوله لتخرج الناس لام الغرض والحكمة وهذا يدل على أنه تعالى

الكتاب على الاول مرتفع بالظرف ﴿ ٤٠ ﴾ خا العتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثانى ومن عنده علم الكتاب بالكسر وناه المفعول ورفع الكتاب \* عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الر هذا عطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل صحاب مضى وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله اعلم بالصواب \* سورة ابراهيم عليه السلام مكية \* وهى احدى وخمسون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) من الكلام فى

وفي محله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبره على تقدير كون الرب بدأ أو لبسدا مضمرا على تقدير كونه خبرا للبسدا محذوف  
 أو مسرودا على نط التعديد و يجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا البسدا المحذوف وقوله تعالى (أنزله اليك) صفة له وقوله تعالى  
 (أخرج الناس) متعلق بأنزله أي أخرجهم كافة بما في تضاعفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله  
 عز وجل الكاشفة عن العائد الحق وقري يخرج الناس (من الظلمات) ﴿ ٣١٤ ﴾ أي يخرج به الناس من عقائد الكفر

انما أنزل هذا الكتاب لهذا الغرض وذلك يدل على ان أفعال الله تعالى وأحكامه معللة  
 برعاية المصالح أجاب أصحابنا عنه بأن من فعل فعلا لاجل شيء آخر فهذا انما يفعله لو كان  
 عاجزا عن تحصيل هذا المقصود الابهذه الواسطة وذلك في حق الله تعالى محال واذا ثبت  
 بالدليل انه يتم تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل ثبت ان كل ظاهر أشعر به فانه مؤول  
 محمول على معنى آخر (المسئلة الثالثة) انما شبه الكفر بالظلمات لانه نهاية ما يهجر الرجل  
 فيه عن طريق الهداية وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به طريق هدايته (المسئلة  
 الرابعة) قال القاضي هذه الآية فيها دلالة على ابطال القول بالجبر من جهات احدها انه  
 تعالى لو كان يخلق الكفر في الكافر فكيف يصح اخراجه منه بالكتاب وثانيها انه تعالى  
 أضاف الاخراج من الظلمات الى النور الى الرسول صلى الله عليه وسلم فان كان خالق ذلك  
 الكفر هو الله تعالى فكيف يصح من الرسول عليه الصلاة والسلام اخراجهم منه وكان  
 للكافر ان يقول انك تقول ان الله خلق الكفر فينا فكيف يصح منك ان تخرجنا منه فان  
 قال لهم انا اخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع فلهم ان يقولوا ان كان تعالى  
 سيخلق فينا لم يصح ذلك الاخراج وان لم يخلق فمخ خارجون منه بلا اخراج وثالثها انه  
 صلى الله عليه وسلم انما يخرجهم من الكفر بالكتاب بان يتلوه عليهم ليتدبروه وينظروا فيه  
 فيعلوا بالنظر والاستدلال كونه تعالى عالما قادر احكيما ويعلموا يكون القرآن معجزة صدق  
 الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقبلوا منه كل ماداه اليهم من الشرائع وذلك لا يصح  
 الا اذا كان الفعل لهم ويقع باختيارهم ويصح منهم ان يقدموا عليه ويتصرفوا فيه  
 والجواب عن الكل ان نقول الفعل الصادر من العباد ما ان يصدر عنه حال استواء  
 صدور الفعل رجحان الجانب الوجود على جانب العدم وحصول الرجحان حال حصول  
 الاستواء محال والثاني عين قولنا لانه يتمتع صدور الفعل عنه الابد حصول الرجحان فان  
 كان ذلك الرجحان منه عادا السؤال وان لم يكن منه بل من الله تعالى فحينئذ يكون المؤثر  
 الاول هو الله تعالى وذلك هو المطلوب والله أعلم (المسئلة الخامسة) اخرج أصحابنا على صحة  
 قولهم في ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله تعالى باذن ربهم فان معنى الآية ان الرسول  
 صلى الله عليه وسلم لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا باذن ربهم والمراد  
 بهذا الاذن اما الامر واما العلم واما المشيئة والخلق وحمل الاذن على الامر محال لان  
 الاخراج من الجهل الى العلم لا يتوقف على الامر فانه سواء حصل الامر أو لم يحصل فان  
 الجهل متميز عن العلم والباطل متميز عن الحق وأيضاحل الاذن على العلم محال لان العلم  
 يتبع العلوم على ما هو عليه فالعلم بالخروج من الظلمات الى النور تابع لذلك الخروج ويتمتع  
 ان يقال ان حصول ذلك الخروج تابع للعلم بحصول ذلك الخروج ولما بطل هذا ان القسمان  
 لم يتبق الا أن يكون المراد من الاذن المشيئة والخلق وذلك يدل على ان الرسول صلى الله

والضلال التي كلف الظلمات  
 محضه وجهالات صرفه  
 (الى النور) الى الحق  
 الذي هو نور بحيث لکن  
 لا كيفما كان فانك لا تهدي  
 من أحييت بل (باذن ربهم)  
 أي بتيسيره وتوفيقه وللانبياء  
 عن كون ذلك منوطا باقبا  
 لهم الى الحق كما يفصح  
 عنه قوله تعالى ويهدي  
 اليه من انا ب استعبره  
 الاذن الذي هو عبارة  
 عن تسهيل الجواب لمن  
 يقصد الورد وأضيف  
 الى ضميرهم اسم الرب  
 المفصح عن التربية التي  
 هي عبارة عن تليغ الشيء  
 الى كماله التوجه اليه وشمول  
 الاذن بهذا المعنى للكل  
 واضح وعليه يدور كون  
 الازال لآخر اخرجهم جميعا  
 وعدم تحقق الاذن بالفعل  
 في بعضهم لعدم تحقق  
 شرطه المستند الى سوء  
 اختيارهم غير محتمل بذلك  
 والباء متعلقة بالخروج أو  
 مضمرة وقع حال امن مفعوله  
 أي ملتبسين باذن ربهم  
 وجمله حال امن فاعله ياياه  
 اضافة الرب اليهم لاليه  
 وحيث كان الحق مع  
 وضوحه في نفسه

وايضاحه لغيره موصل الى الله عز وجل استعبره التور تارة والصراط اخرى فقيل (الى صراط العزير الحميد) ﴿ عليه ﴾  
 على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم واخلاق البدل والبيان بالاستعارة انما هو  
 في الحقيقة لاني المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني  
 على سؤال كأنه قيل يا



أى نور قبيل الى صراط العزير الجميد واطراف الصراط اليه تعالى لانه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكرة  
 للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة ( الله ) بالجر عطف بيان للعزير الجميد لجرميته محمري الاعلام  
 الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بارفع على هو الله أى العزير الجميد الذى أضيف اليه  
 الصراط الله ( الذى له ) ملكا وملكاً ﴿ ٣١٥ ﴾ ( ما فى السموات وما الارض ) أى ما وجد فيها داخلها وخارجها

عنها متمكنة فيهما كما مر  
 فى آية الكرسي فقيه على  
 القراءتين بيان لكمال  
 فخامة شأن الصراط  
 واظهار لتختم سلوكه  
 على الناس قاطبة وتجويز  
 الرفع على الابتداء بجعل  
 الموصول خبراً ببناءه  
 الغفول عن هذه التكتة  
 وقوله عز وجل ( وويل  
 للكافرين ) وعيد لمن  
 كفر بالكتاب ولم يخرج  
 به من الظلمات الى النور  
 بالويل وهو نقيض الوال  
 وهو النجاة وأصله النصب  
 كسائر المصادر ثم رفع  
 رفعها للدلالة على الثبات  
 كسلام عليك ( من عذاب  
 شديد ) متعلق بويل هلى  
 معنى يولولون ويضجون  
 مندقائلين يابىلاه كقوله  
 تعالى دعواهنالك ثبوراً  
 ( الذين يستنجسون  
 الحياة الدنيا ) أى  
 يوثرونها استفعال من  
 المحبة فان المؤثر للشيء  
 على غيره كأنه يطلب  
 من نفسه أن يكون أحب  
 اليها وأفضل عندها  
 من غيره ( على الآخرة )

عليه وسلم لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله وتخليقه فان قيل  
 لم لا يجوز أن يكون المراد من الاذن الا لطف قلنا لفظ اللطف مجمل ونحن نفضل القول  
 فيه فتقول المراد بالاذن اما أن يكون أمراً يقتضى ترجيح جانب الوجود على جانب العدم  
 أو لا يقتضى ذلك فان كان الثاني لم يكن فيه أمر البتة فامتنع أن يقال انه مما حصل بسببه  
 ولا جله فبقي الاول وهو أن المراد من الاذن معنى يقتضى ترجيح جانب الوجود على جانب  
 العدم وقد دللنا فى الكتب العقلية على انه متى حصل الرجحان قد حصل الوجود  
 ولا معنى لذلك الا للداعية الموجبة وهو عين قولنا والله أعلم ( المسئلة السادسة ) القائلون  
 بان معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم والامام  
 احتجوا عليه بهذه الآية وقالوا انه تعالى صرح فى هذه الآية بأن الرسول هو الذى  
 يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذلك يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا من  
 طريق التعليم وجوابنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكون كالمثله وأما المعرفة فهى  
 انما تحصل بالدليل والله أعلم ( المسئلة السابعة ) الآية دالة على ان طرق الكفر والبدعة  
 كثيرة وان طريق الخير ليس الا الواحد لانه تعالى قال ليخرج الناس من الظلمات الى النور  
 فهو عن الجهل والكفر بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهداية بالنور وهو  
 لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا الواحد  
 ( المسئلة الثامنة ) فى قوله تعالى الى صراط العزير الجميد وجهان ( الاول ) انه يدل من قوله  
 الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا من آمن منهم الثانى يجوز أن يكون على  
 وجه الاستئناف كأنه قيل الى أى نور قبيل الى صراط العزير الجميد ( المسئلة التاسعة )  
 قالت المعتزلة الفاعل انما يكون آتياً بالصواب والصلاح تاركاً للقبيح والعبث اذا كان  
 قادراً على كل المقدرات عالماً بجميع المعلومات غنياً عن كل الحاجات فانه ان لم يكن  
 قادراً على الكل فربما فعل القبيح بسبب العجز وان لم يكن عالماً بكل المعلومات فربما فعل  
 القبيح بسبب الجهل وان لم يكن غنياً عن كل الحاجات فربما فعل القبيح بسبب الحاجة أما  
 اذا كان قادراً على الكل عالماً بكل غنياً عن الكل امتنع منه الاقدام على فعل القبيح  
 فقوله العزير إشارة الى كمال القدرة وقوله الجميد إشارة الى كونه مستحقاً للحمد فى كل  
 أفعاله وذلك انما يحصل اذا كان عالماً بالكل غنياً عن الكل فثبت بما ذكرنا ان صراط الله  
 انما كان موصوفاً بكونه شريفاً رفيعاً عالياً لكونه صراطاً مستقيماً للاله الموصوف بكونه  
 عزيراً حميداً فلهذا المعنى وصف الله نفسه بهذين الوصفين فى هذا المقام ( المسئلة العاشرة )  
 انما قدم ذكر العزير على ذكر الجميد لان الصحيح أن أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً ثم بعد  
 ذلك العلم بكونه عالماً ثم بعد ذلك العلم بكونه غنياً عن الحاجات والعزير هو القادر والجميد هو  
 العالم الغنى فلما كان العلم بكونه تعالى قادراً مقدماً على العلم بكونه عالماً بالكل غنياً عن  
 الكل لاجرم قدم الله ذكر العزير على ذكر الجميد والله أعلم \* قوله تعالى ( الله الذى له ما فى  
 السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستنجسون الحياة الدنيا

أى الحياة الآخرة الأبدية ( ويصدون ) الناس ( عن سبيل الله ) التى بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم  
 الجليل المنطوى على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صده صدوا وقرئ يصدون من أصد المنقول من صد  
 صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كما وقف فان فى صده ووقفه لندوحة عن تكلف النقل ( ويخونونها ) أى يخونونها  
 يخونى الجار وأوصل الفعل الى الضمير

نبي يطلبون لها (عوجاً) أي زيفا واعوجاجا وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صدته واضلاله انها  
 سبيل ناكبة وزائفة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلوات الجر على أنه بدل من الكافر بن أو صفته فيعتبر كل وصف  
 من أوصافهم بازا ما يناسبه من المعاني المتبعة في الصراط فالكفر المنبى عن السربازاه كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا  
 الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة ﴿ ٣١٦ ﴾ والصد عنه بازا كونه مأمونا وفيهم

على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وثلك في ضلال بعيد) في الآية مسائل  
 (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن عامر الله مر فوعا بالابتداء وخبره ما بعده وقيل التقدير هو  
 الله والباقون بالجر عطف على قوله العزيز الحميد (وههنا بحث) وهو أن جماعة من المحققين  
 ذهبوا الى ان قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى وذهب قوم آخرون الى انه  
 لفظ مشتق والحق عندنا هو الاول \* ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاسم المشتق عبارة عن  
 شيء ما حصل له المشتق منه فالاسود مفهومه شيء ما حصل له السواد والتا طاق مفهومه شيء  
 ما حصل له النطق فلو كان قولنا الله اسما مشتقا من معنى لكان المفهوم منه انه شيء ما حصل  
 له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم كلي لا يمتنع من حيث هو وعن وقوع الشركة فيه فلو كان  
 قولنا الله لفظا مشتقا لكان مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه ولو كان الامر كذلك لما  
 كان قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المشتق هو قولنا الله وهو غير مانع من وقوع  
 الشركة فيه ولما اجتمعت الامة على ان قولنا لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا ان  
 قولنا الله جار مجرى الاسم العلم (الثاني) انه كلما أردنا أن نذكر سائر الصفات والاسماء ذكرنا  
 أولا قولنا الله ثم وصفناه بسائر الصفات كقولنا هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم  
 الملك القدوس ولا يمكننا ان نعكس الامر فنقول الرحمن الرحيم الله فعلمنا أن الله هو اسم  
 علم لذات المخصوصة وسائر الالفاظ دالة على الصفات والتعوت (الثالث) ان ما سوى  
 قولنا الله كالمهادلة اما على الصفات السلبية كقولنا القدوس السلام أو على الصفات  
 الاضافية كقولنا الخالق الرازق أو على الصفات الحقيقية كقولنا العالم القادر أو على  
 ما يتركب من هذه الثلاثة فلو لم يكن قولنا الله اسما لذات المخصوصة لكان جميع اسماء  
 الله تعالى الالفاظ دالة على صفاته ولم يحصل فيهما ما يدل على ذاته المخصوصة وذلك بعيد لانه  
 بعيد أن لا يكون له من حيث انه هو اسم مخصوص (والرابع) قوله تعالى هل تعلمه سميا والمراد  
 هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على ان قولنا الله اسما لذاته المخصوصة واذا ظهرت  
 هذه المقدمة فالترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم تذكر عقيبها الصفات كقوله تعالى هو الله  
 الخالق البارئ المصور فاما أن يعكس فيقال هو الخالق المصور البارئ الله فذلك غير جائز  
 واذا ثبت هذا فنقول الذين قروا الله الذي له ما في السموات بارفع أرادوا أن يجعلوا قوله  
 الله مبتدأ ويجعلوا ما بعده خبرا عنه وهذا هو الحق الصحيح فأما الذين قروا الله بالجر عطف  
 على العزيز الحميد فهو مشكل لما بينا أن الترتيب الحسن أن يقال الله الخالق واما ان يقال  
 الخالق الله فهذا لا يحسن \* وعند هذا اختلفوا في الجواب على وجوه (الاول) قال أبو عمرو  
 ابن العلاء القراءه بالحذف على التقديم والتأخير والتقدير صراط الله العزيز الحميد الذي  
 له ما في السموات (والثاني) انه لا يبعد أن يذكر الصفه أولا ثم يذكر الاسم ثم يذكر الصفه مرة  
 أخرى كما يقال مررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله صراط العزيز الحميد  
 الله الذي له ما في السموات وتحقيق القول فيه اننا بينا ان الصراط انما يكون ممدوحا محمودا

الدلالة على تمام ديهم  
 في النفي ما لا يخفى أو والنصب  
 على الرفع على  
 الابتداء والخبر قوله تعالى  
 (أو لثك في ضلال بعيد)  
 وعلى الاول جملة مستأنفة  
 وقعت معللة لما سبق من  
 لحوق الويل بهم تأكيذا  
 لما أشعر به بناء الحكم  
 على الموصول أي أو لثك  
 الموصوفون بالقبائح  
 المذكورة من استحباب  
 الحياة الدنيا على الآخرة  
 وصدائس عن سبيل الله  
 المستقيمة ووصفها  
 بالاعوجاج وهي منه  
 بتره في ضلال عن طريق  
 الحق بعيد بالغ في ذلك  
 غاية العايات القاصية  
 والبعده وان كان من أحوال  
 الضلال الأتفه قد وصف  
 به ووصفه مجازا للبانة  
 كجدجده وداهية دهباه  
 ويجوز أن يكون المعنى  
 في ضلال ذي بعدا وفيه  
 بعد فان الضلال قد يضل  
 عن الطريق مكانا  
 قريبا وقد يضل بعيدا  
 وفي جهل الضلال محيط  
 ابهم احاطة الظرف

بما فيه ما لا يخفى من المباغة (وما أرسلنا) أي في الامم الخالية من قبلك كما سيد كراجالا (من رسول الا) ملتبسا ﴿ اذا ﴾  
 (بلسان قوم) متكلمة بلغة من أرسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواد بعث فيهم أو لا وقرى بلسن وهولغة فيه  
 كرىش ووريش و بلسن بضمين وضمة وسكون كعمد وعمد (لبين لهم) ما أمروا به فيتلقوه منه يسر وسرعة ويعملوا  
 بموجبه من غير حاجة الى الترجمة

تم لم يؤمر به وحمشلم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين لعموم بعثة الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد ألسنة الأمم أدعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحرير مع أن استقلال بعض من ذلك بالأعجاز دون غيره مثله لمدح القادحين واتفاق الجميع فيه أمر قريب من الاجزاء ﴿ ٣١٧ ﴾ وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتخاذ

إذا كان صراطا للعالم القادر الفنى والله تعالى عبر عن هذه الامور الثلاثة بقوله العزيز الحميد ثم لما ذكر هذا المعنى وقعت الشبهة في ان ذلك العزيز من هو فعطف عليها قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ازالة لتلك الشبهة (الثالث) قال صاحب الكشاف الله عطف بيان للعزيز الحميد وتحقيق هذا القول ما قررناه فيما تقدم (الرابع) قد ذكرنا فى أول هذا الكتاب ان قولنا الله فى أصل الوجود مشتق الا أنه بالعرف صار جاريا مجرى الاسم العلم في حيث يبدأ ذكره و يعطف عليه سائر الصفات فذلك لاجل أنه جعل اسم علم وأما فى هذه الآية حيث جعل وصفا للعزيز الحميد فذلك لاجل انه حل على كونه لفظا مشتقا ولا جرم بقى صفة (الخامس) ان الكفار ربما وصفوا الوثن بكونه من يزاحمها فلما قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور ياذن ربهم الى صراط العزيز الحميد بقى خاطر عبدة الاوثان انه ربما كان ذلك العزيز الحميد هو الوثن فأزال الله تعالى هذه الشبهة وقال الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض أى المراد من ذلك العزيز الحميد هو الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض (المسئلة الثانية) قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض يدل على انه تعالى غير مختص بجهة العلو البتة وذلك لان كل ما سلك وعلاك فهو سماه فلو حصل ذات الله تعالى فى جهة فوق لكان حاصلها فى السماء وهذه الآية دالة على ان كل ما فى السموات فهو ملكه فلزم كونه ملكا لنفسه وهو محال فدللت هذه الآية على انه منزّه عن الحصول فى جهة فوق (المسئلة الثالثة) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى خالق لاممال العباد لانه قال له ما فى السموات وما فى الارض وأعمال العباد حاصلها فى السموات والارض فوجب القول بأن أفعال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والمالك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله تعالى واذ ثبت انها مقدورة لله تعالى وجب وقوعها بقدره الله تعالى والالكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال واعلم ان قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض يفيد الحصر والمعنى ان ما فى السموات وما فى الارض له لا يقدره وذلك يدل على انه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف على الكفار بالوعيد فقال وويل للكافرين من عذاب شديد والمعنى انهم لما تركوا عبادة الله تعالى الذى هو المالك للسموات والارض ولكل ما فيها الى عبادة ما لا يملك ضرا ولا نفعا ويخلق ولا يخلق ولا ادراك لها ولا فعل فالويل ثم الويل لمن كان كذلك وانما خص هو بالويل لان المعنى يولولون من عذاب شديد ويصيرون منه ويقولون ياويلنا ونظيره قوله تعالى دعوا هؤلاء ثبورا ثم بين تعالى صفة هؤلاء الكافرين الذين توعدهم بالويل الذى يفيد أعظم العذاب وذكر من صفاتهم ثلاثة أنواع (الأول) قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان شئت جعلت الذين صفة الكافرين فى الآية المتقدمة وان شئت جعلته مبتدأ وجعلت الخبر قوله أولئك وان شئت نصبته على الذم (المسئلة الثانية) الاستحباب طلب محبة الشيء واقول ان الانسان قد يجب

النظم النبى عن العزة وجلالة الشأن المستبوع لغوائد غنية عن البيان على أن الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حد والقدة بالقدة من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا أو متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتاع ثم لما كان اشرف الاقوام وأولاهم بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم ولقنتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربى مبين وانشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام أو كل من نزل عليه من الانبياء عليهم

السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليين لهم فانه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم يزل لتبين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبى كأنه قيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه الصلاة والسلام ليين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف ( فيض الله من يشاء ) اضلاله أى يخلق فيه الضلال لمباشرة أسبابه المؤدية اليه أو يخذله ولا يبلطف به لما يعلم أنه لا ينبغ فيه الا لطف ( ويهدى ) بالتوفيق ومع الا لطف ( من يشاء )

هدايتهم لمافية من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد القلعين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصحة مثلها في قوله تعالى قلنا اضرب بعصاك البحر فانطلق كانه قيل فينبوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يلبق الابيه وهدى من شاء هدايته لا سيما حقه لها والحذف للابدان بأن مسارعة كل رسول الى ما أمر به ﴿ ٣١٨ ﴾ وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سنته

أمر محقق غشى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحصار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجديد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية امالانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن أو للبالغة في بيان أن لا تأثير للتبين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهاهم أن ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهنا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى ( وهو العزيز ) فلا يغالب في مشيئته ( الحكيم ) الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا الحكمة بانعة وفيه أن ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين

الشيء ولكنه لا يجب كونه محبا لذلك الشيء مثل من يميل طبعه الى الفسق والفجور ولكنه يكره كونه محبا لهما أما إذا أحب الشيء وطلب كونه محباله وأحب تلك المحبة فهذا هو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيوية ولا يكون الانسان كذلك الا اذا كان غافلا عن الحياة الاخرية وعن معايب هذه الحياة العاجلة ومن كان كذلك كان في نهاية الصفات المذمومة وذلك لان هذه الحياة موصوفة بأنواع كثيرة من العيوب فأحدها ان بسبب هذه الحياة انفتحت أبواب الآلام والاسقام والغموم والهموم والخاوف والاحزان وثانيها ان هذه اللذات في الحقيقة لا تحصل لها الادفع الآلام بخلاف اللذات الروحية فانها في أنفسها لذات وسعادات وثالثها ان سعادات هذه الحياة منقصة بسبب الانقطاع والانقراض والانتقضاء ورابعها انها حقيرة قليلة وبالجملة فلا يجب هذه الحياة الامن كان غافلا عن معايبها وكان غافلا عن فضائل الحياة الروحية الاخرية ولذلك قال تعالى والآخرة خير وأبقى فهذه الكلمة جامعة لكل ما ذكرناه ( المسئلة الثالثة ) انما قال يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لان فيها ضمارا والتقدير يستحبون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة فجمع تعالى بين هذين الوصفين ليبين بذلك ان الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموما الا بعد أن يضاف اليه ايثارها على الآخرة فأما من أحبها ليصل بها الى منافع النفس والى خيرات الآخرة فان ذلك لا يكون مذموما حتى اذا آثرها على آخرته بأن اختار منها ما يضره في آخرته فهذه المحبة هي المحبة المذمومة ( النوع الثاني ) من الصفات التي وصف الله الكفار بها قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله واعلم ان من كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال ومن منع القبر من الوصول الى سبيل الله ودينه فهو مضل فالمرتبة الاولى اشارة الى كونهم ضالين وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادقين عن سبيل الله اشارة الى كونهم مضلين ( النوع الثالث ) من تلك الصفات قوله ويغفونها عوجا واعلم ان الاضلال على مرتبتين المرتبة الاولى انه يسعى في صد الغير ومنعه من الوصول الى المنهج القويم والصراط المستقيم والمرتبة الثانية أن يسعى في القاء السكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تقيح صفته بكل ما يقدر عليه من الخيل وهذا هو الانتهاء في الضلال والاضلال واليه الاشارة بقوله ويغفونها عوجا قال صاحب الكشاف الاصل في الكلام أن يقال ويغفون لها عوجا فحذف الجار وأوصل الفعل ولما ذكر الله تعالى هذه المراتب الثلاثة لاحوال هؤلاء الكفار قال في صفهم أولئك في ضلال بعيد وانما وصف هذا الضلال بالبعد لوجوه الاول اننا بيننا اقصى مراتب الضلال هو الذي وصفه الله تعالى في هذه المرتبة فهذه المرتبة في غاية البعد عن طريق الحق فان شرط الضدين أن يكونا في غاية التباعد مثل السواد والبياض فكذا ههنا الضلال الذي يكون واقعا على هذا الوجه يكون في غاية البعد عن الحق لا يعقل ضلال أقوى وأكمل من هذا الضلال ( والوجه الثاني ) أن يكون

طريق الحق وأما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ( ولقد ﴿ المراد ﴾ أرسلنا موسى ) شروع في تفصيل ما أجل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية ( بآياتنا ) أي ملتبسايها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ( أن أخرج قومك ) بمعنى أي أخرج لان ارسال فيه معنى القول أو بان أخرج كما في قوله تعالى وأن لقم وجهك فان صنع الافعال في الدلالة على المصدر

وسواه وهو الدار في صفة الوصل والمراد بذلك اخراج نبي اسرائيل بعد مهلاك فرعون ( من الظلمات ) من الكفر الجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا ياموسى اجعل لنا الها كما هم آلهة ( الى النور ) الى الايمان بالله وتوجيهه وسائر ما مروا به ( وذكرهم بآيام الله ) أى بنعمائه وبلائه كما ينبي عنه قوله اذكروا نعمه الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام ﴿ ٣١٩ ﴾ الخالية حسبا ينبي عنه قوله تعالى ألم يأتكم

نبأ الدين من قبلكم الآيات او بآيامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله تعالى اذا نجاكم والاقتات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايدان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الاضافة الى ضمير المتكلم أى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وأيام العرب وقائعهما وحروبها وملاحمها أى أنذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدار جقورده ماتصدى له عليه الصلاة والسلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبا يتلى عليك ( ان في ذلك ) أى في التذكير بها أوفى مجموع تلك النعماء والبلاء أوفى أيامها ( لايات ) عطية او كثيرة دالة

المراد انه بعد رددهم عن طريق الضلال الى الهدى لانه قد تمكن ذلك في نفوسهم ( والوجه الثالث ) أن يكون المراد من الضلال الهلاك والتقدير أولئك في هلاك يطول عليهم فلا ينقطع وأراد بالبعد امتداده وزوال انقطاعه \* قوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و بهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى لما ذكر في أول السورة كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه هذا المنصب العظيم وانعاما أيضا على الخلق من حيث انه أرسل اليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وأرشدهم الى نور الايمان فذكر في هذه الآية ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين أما بالنسبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام فلانه تعالى بين أن سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومه خاصة وأما أنت يا محمد فبعوث الى عامة الخلق فكان هذا الانعام في حقه أفضل وأكمل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الى قوم الا بلسان أولئك القوم فانه متى كان الامر كذلك كان فهمهم لاسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها أسهل وعن الغلط والخطأ أبعد فهذا هو وجه التنظيم ( المسئلة الثانية ) اخرج بعض الناس بهذه الآية على ان اللغات اصطلاحية لا توقيفية قال لان التوقيف لا يحصل الا بإرسال الرسل وقد دلت هذه الآية على ان ارسال جميع الرسل لا يكون الا بلغة قومهم وذلك يقتضى تقدم حصول اللغات على إرساله الرسل واذ كان كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف فوجب حصولها بالاصطلاح ( المسئلة الثالثة ) زعم طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية ان محمدا رسول الله لكن الى العرب لا الى سائر الطوائف وتمسكوا بهذه الآية من وجهين ( الاول ) ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة الا للعرب وحيث لا يكون القرآن بجملة الاعلى العرب ومن لا يكون عربيا لم يكن القرآن حجة عليه ( الثاني ) قالوا ان قوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يقتضى أن يقال انه ليس له قوم سوى العرب وذلك يدل على انه مبعوث الى العرب فقط والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد من قومه أهل بلده وليس المراد من قومه أهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين لان التحدى كاقوع مع الانس فقد وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ( المسئلة الرابعة ) تمسك أصحابنا بقوله تعالى فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء على ان الضلال والهداية من الله تعالى والآية صريحة في هذا المعنى قال الاصحاب ومما يؤكد هذا المعنى ما روى ان أبابكر وعمر اقبلا في جماعة من الناس وقد ارتفعت أصواتهما فقال عليه السلام ما هذا فقال بعضهم يا رسول الله يقول أبو بكر الحسنات من الله والسيئات

على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء أريد بها أنفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأعلى الثاني وهو كونه اشارة الى مجموع النعماء فمن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع

أو كلمة في تيجن يديّة مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (لكل ضبار) على ثلاثه (شكور) لنعماه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الايمان ويصبر أمره اليها لان تصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكار المؤدى الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على قبله ﴿ ٣٢٠ ﴾ من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر

أو الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبر على الشكر لتقدم متعلق الصبر على البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (واذ قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديه عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منسوب على المفوضية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام وتعليق التذكار بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قدم سره غير مرة أي اذ كر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لانه عند النفس أقبل وهي اليه أميل والنظر في متعلق بنفس النعمة ان جعلت

من أنفسنا يقول عم كلاهما من الله وتبع بعضهم أبا بكر وبعضهم عمر فتعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله أبو بكر وأعرض عنه حتى عرف ذلك في وجهه ثم أقبل على عمر فتعرف ما قاله وعرف البشر في وجهه ثم قال أفضى بينكما كما قضى به أسرافيل بين جبريل وميكائيل قال جبريل مثل مقاتك يا عمر وقال ميكائيل مثل مقاتك يا أبا بكر فقضاء أسرافيل ان التندر كله خير وشهره من الله تعالى وهذا قضائي بينكما فالت معتزلة هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم والمعنى انا انما أرسلنا كل رسول بلسان قومه ليعين لهم تلك التكليف بلسانهم فيكون ادراكهم لذلك البيان أسهل ووقوفهم على المقصود والغرض أكمل وهذا الكلام انما يصح لو كان مقصود الله تعالى من ارسال الرسل حصول الايمان للمكافئين فأما لو كان مقصوده الاضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام ملائما لهذا المقصود (والثاني) انه عليه السلام اذا قال لهم ان الله يخلق الكفر والضلال فيكم فلهم أن يقولوا له فما الفائدة في بيانك وما المقصود من ارسالك وهل يمكننا أن نزيل كفر خلقه الله تعالى فينا عن أنفسنا وحينئذ تبطل دعوة النبوة وتفسد بعثة الرسل (الثالث) انه اذا كان الكفر حاصلًا بتخليق الله تعالى ومشيئته وجب أن يكون الرضا به واجبا لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب وذلك لا يقوله عاقل (الرابع) اننا قد دللنا على ان مقدمة هذه الآية وهي قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على مذهب العدل وأيضاً مؤخره الآية يدل عليه وهو قوله وهو العزيز الحكيم فكيف يكون حكيمًا من كان خالقا للكفر والفساخ ويريد الها فثبت بهذه الوجوه أنه لا يمكن حل قوله فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء على انه تعالى يخلق الكفر في العبد فوجب المصير الى التأويل وقد استغنينا ما في هذه التأويلات في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا بأس باعادة بعضها فالاول ان المراد بالاضلال هو الحكم بكونه كافرا ضالا كما يقال فلان يكفر فلانا ويضله أي يحكم بكونه كافرا ضالا والثاني أن يكون الاضلال عبارة عن الذهاب بهم عن طريق الجنة الى النار والهداية عبارة عن ارشادهم الى طريق الجنة والثالث انه تعالى لما ترك الضلال على اضلاله ولم يتعرض له صار كانه أضله والمهتدي لما أعانه بالانطاف صار كانه هو الذي هداه قال صاحب الكشاف المراد بالاضلال التخية ومنع الانطاف وبالهداية التوفيق والالطف والجواب عن قولهم أولان قوله تعالى ليعين لهم لا يلبق به أن يضلهم قلنا قال الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان كان الفعل الثاني مشا كلا للاول نسقته عليه وان لم يكن مشا كلا لاستانفته ورفعت ونظيره قوله تعالى يريدون أن يطغثوا نور الله بافواههم ويأبي الله قفوله ويأبي الله في موضع رفع لا يجوز الا ذلك لانه لا يحسن أن يقال يريدون أن يأبي الله فلما لم يمكن وضم الثاني موضع الاول بطل العطف ونظيره أيضا قوله لتبين لكم ونفري الارحام ومن ذلك قولهم أردت أن أزورك في معنى المطر بالرفع غير منسوق على ما قبله لما ذكرناه ومثله قول الشاعر يريد أن يعر به فيجبه اذا عرفت هذا

مصدرا أو بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما أي اذكروا انعامه عليكم أو اذكروا ﴿ فقول ﴾ نعمته كأنه عليكم وكذلك كلمة اذ في قوله تعالى (اذ تجامكم من آل فرعون) أي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم أو بدل اشتمال من نعمة الله مرادها بالانعام أو العطية

(يسومونكم) يفنونكم من سامة خسفاً اذا اولادهم ظلما واصل السوم الذهب في طلب الشيء (سوء العذاب) السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم (ويذبحون أبناءكم) المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجه عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك ﴿ ٣٢١ ﴾ لان فرعون رأى في المنام أو قاله الكهنة انه

سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئاً (ويستحيون نساءكم) أي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جلة البلاء وبالجل أحوال من آل فرعون او من ضمير المحاطين أو منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما (وفي ذلكم) أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة (بلاء من ربكم) أي ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الافعال اللهم الآن تجعل في تجريدية قسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق أو الاقدار والتحكين (عظيم) لا يطاق ويجوز أن يكون المشار اليه الانبياء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المسأل الذي هو الانبياء أو باعتبار أن بلاد المؤمن تربية له

فنتقول ههنا قال تعالى ليبين لهم ثم قال فيضل الله من يشاء ذكر فيضل بالرفع فدل على انه مذكور على سبيل الاستئناف وانه غير معطوف على ما قبله وأقول تقر بهذا الكلام من حيث المعنى كأنه تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلسانهم الذي ألفوه واعتادوه ثم قال ومع ان الامر كذلك فإنه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء والغرض منه التنبيه على ان تقوية البيان لا توجب حصول الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية ور بما ضعف البيان وحصلت الهداية وانما كان الامر كذلك لاجل أن الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى أما قوله ثانيا لو كان الضلال حاصلًا بخلق الله تعالى لكان للكافر أن يقول له ما الفائدة في بيانك ودعوتك فنقول بعارضه ان الخضم يسلم ان هذه الآيات اخبار عن كونه ضالا فيقول له الكافر لما أخبر الهك عن كوني كافرا فان آمنت صار الهك كاذبا فهل أقدر على جعل الهك كاذبا وهل أقدر على جعل علمه جهلا واذا لم أقدر عليه فكيف يأمرني بهذا الايمان فثبت ان هذا السؤال الذي أورده الخضم علينا هو أيضا وارد عليه وأما قوله ثالثا يلزم أن يكون الرضا بالكفر واجبا لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب قلنا ويلزمك أيضا على مذهبك أنه يجب على العبد السعي في تكذيب الله وفي تجهيله وهذا أشد استحالة مما أزمته علينا لانه تعالى لما أخبر عن كفره وعلم كفره فزاله الكفر عنه يستلزم قلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وأما قوله رابعا ان مقدمة الآية وهي قوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على صحة الاعتزال فنقول قد ذكرنا ان قوله باذن ربهم يدل على صحة مذهب أهل السنة وأما قوله خامسا انه تعالى وصف نفسه في آخر الآية بكونه حكيمًا وذلك يتنافى كونه تعالى خالقا للكفر مريداه فنقول وقد وصف نفسه بكونه عزيزا أو العزيز هو الغالب القاهر فلما أراد الايمان من الكافر مع انه لا يحصل أو أراد عمل الكفر منهم وقد حصل لما بقي عزيزا غالبا فثبت ان الوجوه التي ذكرها ضعيفة وأما التأويلات الثلاثة التي ذكرها فقد مرابطا لها في هذا الكتاب مرارا فلأفائدة في الاعادة \* قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور

وأفقال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين انه انما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كمال انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي تلك البعثة أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء الى أقوامهم وكيفية معاملتهم أقوامهم معهم تصبير الرسول عليه السلام على أذى قومه وارشاد الله الى كيفية مكالتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص بعض الانبياء عليهم السلام فبدأ بذكر

(واذ أنذرتهم) من جلة مقال ﴿ ٤١ ﴾ خا مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين أنذرتهم أي آذنتهم ان يذنبوا ليغا لانني معه شائبة شبهة لما في صيغة الفعل من معنى التكلف المحمول في جهده سبحانه على غاية التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ أنجاكم أي اذكروا نعمته تعالى

في هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه الصلاة والسلام أو لا نعمانه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بازياة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد ﴿ ٣٢٢ ﴾ بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث

قصة موسى عليه السلام فقال ولقد أرسلنا موسى بآياتنا قال الاصم آيات موسى عليه السلام هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وفاق البحر وانفجار العيون من الحجر واطلال الجبل وانزال المن والسلوى وقال الجبائي أرسل الله تعالى موسى عليه السلام الى قومه من بني اسرائيل بآياته وهي دلالاته وكتبه المنزلة عليه وأمره أن يبين لهم الدين وقال أبو مسلم الاصفهاني انه تعالى قال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقال في حق موسى عليه السلام أن أخرج قومك من الظلمات الى النور والمقصود بيان ان المقصود من البعثة واحد في حق جميع الانبياء عليهم السلام وهو أن يسعوا في اخراج الخلق من ظلمات الضلالات الى أنوار الهدايات (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله أن أخرج قومك أي بأن أخرج قومك ثم قال أن ههنا تصلح أن تكون مفسرة بمعنى أي ويكون المعنى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك كان المعنى قلناه أخرج قومك ومثله قوله وانطلق الملائمة منهم أن امشوا أي امشوا والتأويل قيل لهم امشوا وتصلح أيضا أن تكون المخففة التي هي للخبر والمعنى أرسلناه بأن يخرج قومه الآن الجار حذف ووصلت ان بلفظ الامر ونظيره قولك كتبت اليه أن قم وأمرته ان قم ثم ان الزجاج حكى هذين القولين عن سيبويه أما قوله وذكروهم بأيام الله فاعلم انه تعالى أمر موسى عليه السلام في هذا المقام بشيئين أحدهما أن يخرجهم من ظلمات الكفر والثاني أن يذكرهم بأيام الله وفيه مستلطان ( المسئلة الاولى ) قال الواحدى أيام جمع يوم واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس الى غروبها وكانت الايام في الاصل أيام فاجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فأدغمت احداهما في الاخرى وغلبت الياء (المسئلة الثانية) انه يعبر بالايام عن الوقائم العظيمة التي وقعت فيها يقال فلان عالم بأيام العرب ويريد وقائمها وفي المثل من ير يومارله معناه من روى في يوم مسرورا بمصرع غيره يرفى يوم آخر حين يابصر ع نفسد وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اذا عرفت هذا فالعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول في سائر مسلف من الايام والترهيب والوعد أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه من كذب الرسل من سلف من الامم فيمسلف من الايام مثل ما نزل بعد دونهود وغيرهم من العذاب ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعد فيتركوا التكذيب واعلم ان أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء وهي الايام التي كانت بنو اسرائيل فيها تحت قهر فرعون ومنها ما كان أيام الراحة والنعمة مثل انزال المن والسلوى وانفلاق البحر وتظليل الغمام ثم قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور والمعنى ان في ذلك التذكير والنيبه دلالات لمن كان صبارا شكورا لان الحال اما أن يكون حال محنة وبلية أو حال منحة وعطية فان كان الاول كان المؤمن صبارا وان كان الثاني كان شكورا وهذا

مفصلة اذهى محبطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معين (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما حولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الغائبة للحصر وقابلتموه بالايام والطاعة (لاز يدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم) ذلك وعمستوه (ان عذابي لشديد) فعمى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريف بالوعد فاظنك بأكرم الاكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلا للحجاب المحذوف أي لا عذبتم واللام في الموضوعين موثقة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مقول لتأذن لانه ضرب من القول أو لقول مقدر بعدد كأنه قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ (وقال موسى ان تكفروا)

نعمه تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض) من الخلائق جميعا (فان الله لعنى) تنبيه ﴿ عن شكركم وشكر غيركم (حيد) مستوجب الحمد بذاته لكثيره ما يوجهه من أيديه وان لم يحمده أحد أو محمود بحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والمحدث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل



كان أدل على كماله سبحانه وهو تعطيل لما حذف من جواب ان أي ان تكفروا ولم يرجع وبالله الاعليكم فان الله تعالى لفي عن شكر الشاكرين ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله عندما ما عين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وثبتة ان أنه لا ينفعهم الترييب ولا التعريض بالترهيب أو قاله غيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذير لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ﴿ ٣٢٣ ﴾ ماجرى على الامم الخالية فقال ( ألم يأتكم نبال الذين من

قبلكم ) ليتدبروا ما أصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا غمهم عليه من الشر ويذوبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيخص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وأيضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء ( قوم نوح ) يدل من الموصول أو عطف بيان ( وعاد ) معطوف على قوم نوح ( وهود ) والذين من بعدهم ) أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى ( لا يعلمهم

تنبه على ان المؤمن يجب أن لا يخلو زمانه عن أحدهذين الامرين فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه و يوافق ارادته كان مشغولا بالشكر وان جرى بما يلائم طبعه كان مشغولا بالصبر فان قيل ان ذلك التذكير آيات للكل فلما ذأخص الصبار الشكور بما قلنا فيه وجوه (الاول) انهم لما كانواهم المنتفعون بتلك الآيات صارت كأنها ليست آيات الا لهم كافي قوله هدى للمحققين وقوله انما أنت منذر من يخشاها (والثاني) لا يعد أن يقال الانتفاع بهذا النوع من التذكير لا يمكن حصوله الا لمن كان صابرا أو شاكرا أما الذي لا يكون كذلك لم ينتفع بهذه الآيات واعلم انه تعالى لما ذكر انه أمر موسى عليه السلام بأن يذكرهم بأيام الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام انه ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذا أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب فقوله اذا أنجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت بقى في الآية سوالات (الاول) ذكر في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو والفرق والجواب قال تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واولانه تفسير لقوله سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول أتاني القوم زيد وعمرؤ لانك أردت أن تفسر القوم بها ومثله قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما أيضا عفا له العذاب فالأثم لما صار مفسرا بمضاعفة العذاب لاجرم حذف عنه الواو وأما في هذه السورة فقد أدخل الواو فيه لان المعنى انهم يذبحونهم بغير التذبيح والتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير لما قبله (السؤال الثاني) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم والجواب من وجهين أحدهما ان تمكين الله اياهم حتى فعلوا ما فعلوا كان بلاء من الله والثاني وهوان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء هو الابتلاء وذلك قد يكون بالنعمة تارة وبالحنة أخرى قال تعالى ونبلوكم بالنسر والخبير فتنة وهذا الوجه أول لانه يوافق صدر الآية وهو قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم (السؤال الثالث) هب ان تذبح الابناء كان بلاء اما استحياء النساء كيف يكون بلاء الجواب كانوا يستخدمونهن بالاستحياء وفي الخلاص منه نعمة وأيضا بقاؤهن منفردات عن الرجال فيه أعظم المضار ﴿ قوله تعالى ( واذ تأذن ربكم انن شكرتم لأزيدنكم وثمن كفرتم ان عذابي لشديد ) اعلم ان قوله واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعدا واعدتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ايس في أفعل كأنه قيل واذ تأذن ربكم ايذانا بليغا يذني عنده الشكوك وتزاح الشبهة والمعنى واذ تأذن ربكم فقال انن شكرتم فأجرى تأذن محرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربك انن شكرتم واعلم ان المقصود من الآية بيان ان من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه

الا الله ) اعتراض أو الموصول مبدأ ولا يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبلا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب السابون يعني أنهم

يدعون علم الانساب وقد نفي الله تعالى علمها عن العباد (جاءتهم رسلاهم) استثناف لبيان نبتهم (بالبينات) بالمعجزات الظاهرة  
والبينات الباهرة فبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور (فردوا أي ليسهم في أفواههم)  
مشيرين بذلك الى ألسنتهم وما يصدر عنهما من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبها للرسول على تلقاها والمحافظة عليها  
واقناط اللهم عن التصديق والايان باعلام أن لاجواب لهم سواء ﴿ ٣٢٤ ﴾ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) أي

ولا بد ههنا من معرفة حقيقة الشكر ومن البحث عن تلك النعم الزائدة الحاصلة عند  
الاشتغال بالشكر أما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف بنعمة النعم مع تعظيمه وتوطين  
النفس على هذه الطريقة وأما الزيادة في النعم فهي أقسام منها النعم الروحية ومنها النعم  
الجسمانية أما النعم الروحية فهي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة اقسام نعم الله تعالى  
وأنواع فضله وكرمه ومن كثرا حسانه الى الرجل أحبه الرجل لا محالة فشغل النفس  
بمطالعة أنواع فضل الله واحسانه يوجب تأكد محبة العبد لله تعالى ومقام المحبة أهلى  
مقامات الصديقين ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى أن يصبح حبه للنعم شاغلا عن  
الالتفات الى النعمة ولا شك ان منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى  
ومعرفته فثبت ان الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحية وأما مزيد النعم  
الجسمانية فلان الاستغناء دل على ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول  
نعم الله اليه أكثر وبالجملة فالشكر انما حسن موقعه لانه اشتغال بمعرفة المعبود وكل مقام  
حرك العبد من عالم الغرور الى عالم القدس فهو المقام الشريف العالى الذى يوجب  
السعادة فى الدين والدينا وأما قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فالمراد منه الكفران  
لا الكفر لان الكفر المذكور فى مقابلة الشكر ليس الا الكفران والسبب فيه ان كفران  
النعمة لا يحصل الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله والجاهل بها جاهل بالله  
والجهل بالله من اعظم أنواع العقاب والعذاب وأيضا فههنا دقيقة أخرى وهى ان  
ما سوى الواحد الاحد الحق يمكن لذاته وكل يمكن لذاته فوجوده انما يحصل بايجاد  
الواجب لذاته وعدمه انما يحصل باعدام الواجب لذاته واذا كان كذلك فكل ما سوى  
الحق فهو متقاد للحق مطواع له واذا كانت الممكنات بأسرها متقادة للحق سبحانه فكل  
قلب حضر فيه نور معرفة الحق وشرف جلاله انقاد لصاحب ذلك القلب ما سواه لان  
حضور ذلك النور فى قلبه يستخدم كل ما سواه بالطبع واذا خلا القلب عن ذلك النور  
ضعف وصار خسيسا فيستخدمه كل ما سواه ويستحقه كل ما يغيره فهذا الطريق الذوق  
يحصل العلم بأن الاشتغال بمعرفة الحق يوجب افتتاح أبواب الخيرات فى الدنيا والآخرة  
وأما الاعراض عن معرفة الحق بالاشتغال بمجرد الجسمانيات يوجب افتتاح أبواب  
الآفات والمخافات فى الدنيا والآخرة ﴿ قوله تعالى (وقال موسى ان تكفروا أتتني  
ومن فى الارض جميعا فان الله لعفى حبيد ألم يأتيكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح واد  
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلاهم بالبينات فردوا أي ليسهم في أفواههم  
وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانافى شك مما تدعوننا اليه مريب) اعلم ان موسى عليه  
السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات فى الدنيا وفى الآخرة  
والاشتغال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات فى الدنيا والآخرة  
بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى صاحب الشكر وصاحب

على زعمكم وهى البينات  
التي أظهرها حاجة على  
صحة رسالتهم كقوله تعالى  
ولقد أرسلنا موسى  
بآياتنا و مرادهم بالكفر  
بها الكفر بدلائلها على  
صحة رسالتهم أو فضوها  
خيظا و خيبر بما جادت به  
الرسول كقوله تعالى عضوا  
عليكم الانامل من الغيظ  
أو وضعوها عليها تعجبا  
منه واستهزاء به كمن  
قلبه الضحك أو اسكاتا  
للانبياء عليهم السلام  
وأمرهم باطباق الافواه  
أوردوها فى أفواه الانبياء  
عليهم الصلاة والسلام  
ينعونهم من التكلم  
تحقيقا أو تشيلا أو جعلوا  
أيدي الانبياء فى أفواههم  
تعجبا من عتوهم وعتادهم  
كما ينهى عنه تعجيبهم بقوله  
أنى الله شك الخ وقيل  
الأيدي بمعنى الأيادي  
عبر بها عن مواضعهم  
ونصائحهم وشرائعهم  
التي هى مدار النعم الدينية  
والدينية لانهم لما كذبوها  
فلم يقبلوها فكانتهم  
ردوها الى حيث جاءت

منه (وانافى شك) عظيم (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافى شكهم فى ذلك كفرهم ﴿ الكفران ﴾  
القطعي بما أرسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعاً حيث لم يصدقوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات  
ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرى تدعون بالادغام (مريب) موقع فى الرية من أراه

أونى رية من أراب الرجل وهى قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء (قالت رسالهم) استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل فاذا قالت لهم رسالهم فأجيب بأنهم قالوا منكر بن عليهم ومتعجبين من مقاتتهم الحمقا (أق الله شك) بادخال الهمة على الظرف للايدان بأن مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلا متفادين عن تطبيق الجواب على كلام ﴿ ٣٢٥ ﴾ الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك من الله تعالى مبالغ في تزويه ساحة

السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول أى أقى شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله في شك من ريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البيئات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما أرسلتم به واقتصرنا على بيان ماهو الغاية القصوى ثم عقبو ذلك الانكار بما يوجب من الشواهد الدالة على انتفاء النكر فقالوا (فاطر السموات والارض) أى مبدعها وما فيها من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بهتق ما أنتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على

الكفران أما المعبود والمشكور فإنه متعال عن أن ينتفع بالشكر أو يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى وقال موسى ان تكفروا أأنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى جيد والغرض منه بيان انه تعالى انما أمر بهذه الطاعات لمنافع عائدة الى العابد لا لمنافع عائدة الى المعبود والذي يدل على ان الامر كذلك ما ذكره الله فى قوله ان الله لغنى وتفسيره أنه واجب الوجود لذاته واجب الوجود بحسب جميع صفاته واعتباراته فإنه اولم يكن واجب الوجود لذاته لا فقير رجحان وجوده على عدمه الى مرجح فلم يكن غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان كونه غنيا يوجب كونه واجب الوجود فى ذاته واذا ثبت انه واجب الوجود لذاته كان أيضا واجب الوجود بحسب جميع كالاته اذ لو لم تكن ذاته كافية فى حصول ذلك الكمال لا فقير فى حصول ذلك الكمال الى سبب منفصل فيثبت لا يكون غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان ذاته كافية فى حصول جميع كالاته واذا كان الامر كذلك كان جيدا لذاته لانه لامعنى الحميد الا الذى استحق الحمد فثبت بهذا التقرير الذى ذكرناه ان كونه غنيا جيدا يقتضى أن لا يزداد بشكر الشاكرين ولا ينقص بكفران الكافرين فلهمذا المعنى قال ان تكفروا أأنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى جيد وهذه المعانى من لطائف الاسرار واعلم ان قولنا ان تكفروا أأنتم ومن فى الارض جميعا سواء حل على الكفر الذى يقابل الايمان أو على الكفران الذى يقابل الشكر فالعنى لا يتفاوت البتة فإنه تعالى غنى عن العالمين فى كالاته وفى جميع نعوت كبريائه وجلاله ثم انه تعالى قال ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وذكر أبو مسلم الاصفهاني انه يحتمل أن يكون ذلك خطا با من موسى عليه السلام لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم و يجوز أن يكون مخاطبة من الله تعالى على لسان موسى لقومه بذكرهم أمر القرون الاولى والمقصود انما هو حصول العبرة باحوال المتقدمين وهذا المقصود حاصل على التقديرين الآن الاكثرين ذهبوا الى انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم واعلم انه تعالى ذكر أقواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود ثم قال تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله وذكر صاحب الكشاف فيه احتمالين الاول أن يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا والثانى أن يكون قوله والذين من بعدهم معطوف على قوم نوح وعاد وثمود وقوله لا يعلمهم الا الله فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله لان المذكور فى القرآن جملة فأما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول الثانى ان المراد ذكر أقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم أصلا ولا يعلمهم الا الله والقائلون بهذا القول الثانى طعنوا فى قول من يصل الانساب الى آدم عليه السلام كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب التسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن

الاستفهام وجمله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضى الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبى أعنى المبتدأ والفاعل ليس باجنبى من رافعه وقد جوز ذلك أيضا (يدعوكم) الى الايمان بارساله ايانا لأننا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهبه قولكم مما تدعوننا اليه (ليغفر لكم) بسببه أو يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوتك لياكل معى (من

ذئوبكم) أي بعضهما وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يحببه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة ذون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذئوبكم (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى ﴿ ٣٢٦ ﴾ وجعله منتهى أعماركم على تقدير الايمان

عباس بين عدنان و بين اسمعيل ثلاثون أبابا يعرفون ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في انسابه لا يجاوز معدن عدنان بن ادد وقال نعلوا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وتعلموا من النجوم ما تستدلون به على الطريق قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع على مقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان أمكن ذلك لم يعد أيضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة فان قيل أي القولين أولى قلنا القول الثاني عندي أقرب لان قوله تعالى لا يعلمهم الا الله نفي العلم بهم وذلك يقتضي نفي العلم بذواتهم اذ لو كانت ذواتهم معلومة وكان المجهول هو مدد أعمارهم وكيفية صفاتهم لما صح نفي العلم بذواتهم ولما كان ظاهر الآية دليلا على نفي العلم بذواتهم لاجرم كان الاقرب هو القول الثاني ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمجيزات أتوا بأمورا ولها قوله فردوا أيديهم في أفواههم وفي معناه قولان الاول ان المراد باليد والفم الجارحان المعلومتان والثاني ان المراد بهما شيء غيرهما تين الجارحتين وانما ذكرهما مجازا وتوسعا أما من قال بالقول الاول فقيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الضمير في أيديهم وأفواههم عائدا الى الكفار وعلى هذا التقدير فقيه احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها من الغيظ والضجر من شدة نفرتهم عن رؤية الرسل واستماع كلامهم ونظيره قوله تعالى عضوا عليكم الاتامل من الغيظ وهذا القول مروى عن ابن عباس وابن مسعود رجهما الله تعالى وهو اختيار القاضي والثاني انهم لما سمعوا كلام الانبياء عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه والثالث انهم وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث وهذا مروى عن الكلبي والرابع انهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا هو الجواب عندنا عما ذكرتموه وليس عندنا غيره اذنا طالمهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به (الوجه الثاني) أن يكون الضمير أن راجعين الى الرسل عليهم السلام وفيه وجهان الاول ان الكفار اخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم الثاني ان الرسل لما يسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عند قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم بما وضع يده على فم نفسه وغرضه ان يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة (الوجه الثالث) أن يكون الضمير في أيديهم يرجع الى الكفار وفي الافواه الى الرسل وفيه وجهان الاول ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء عليهم السلام ونصائحهم وكلامهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل تكذبا لهم ورد

(قالوا) استئناف كما سبق (ان أنتم) أي ما أنتم (الابشر مثلنا) من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة (تريدون) صفة ثانية لبشر حلا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدوننا أو كلام مستأنف أي تريدون بما تصدون لهن من الدعوة والارشاد (أن تصفونا) بتخصيص العبادة بالله سبحانه (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما ستر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا (فأتونا) أي وان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا) بسلطان مبین) يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده أباعن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما نغرله صم الجبال

ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظام مكابرة وعنادا واردة من وراءهم ان ذلك ليس من جنس ﴿ عليهم ﴾ ما ينطق عليه السلطان المبین (قالت لهم رسلهم) مجازاة معهم في أول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اخص بهم ما يعقبه (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون

(ولكن الله يميز) بالنبوة (على من يشاء من عباده) يعنون أن ذلك طعية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض لفضل  
والامتنان من غير داعية توجهه قالوه تواضعا وهضما للنفس أو ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة وأوق  
الدخول تحت الجنس ولكن الله يميز بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء من عباده بما يشاء ذلك الالعلم  
باستحقاقها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات ﴿ ٣٢٧ ﴾ هي التي يدور عليها تلك الاصطغاف النبوة (وما كان)

وما صح وما استقام لنا  
أن نأتيكم بسلطان) أي  
بمحجة من الحجج فضلا  
عن السلطان المبين  
بشيء من الأشياء وسبب  
من الأسباب (الإباض لله)  
فانه أمر يتعلق بمشيئته  
تعالى إن شاء كان والأفلا  
(وعلى الله) وحده دون  
ماعداه مطلقا (فليتوكل  
المؤمنون) أمر منهم  
للمؤمنين بالتوكل  
ومقصودهم حل أنفسهم  
عليه آثر ذي أثر الأبري  
إلى قوله عز وجل (وما لنا)  
أي أي عذر لنا (إن لا  
نتوكل على الله) أي في  
إن لا نتوكل عليه  
والإظهار لا يمار النشاط  
بالتوكل دليل والاستلذاف  
بذكر سمعته تعالى وتعليل  
التوكل (وقد هدانا)  
أي والحال أنه قد فعل  
بنا ما يوجب ويستدعي  
حيث هدانا (سبلنا) \*  
أي أرشد كلامنا  
ومهاجته الذي شرع  
له وأوجب عليه سلوكه  
في الدين وحيث كانت  
أذية الكفار بما يوجب

عليهم والثاني أن الكفار وضعوا أيديهم على أفواه الأنبياء عليهم السلام منعاً لهم من  
الكلام ومن بالغ في منع غيره من الكلام فقد يفعل به ذلك أما على القول الثاني وهو أن  
ذكر اليد والضم توسع ومحاز فقيه وجوه الأول قال أبو مسلم الأصفهاني المراد بالسيد  
ما نطق به الرسل من الحجج وذلك لأن اسماع الحجة أعلام عظيم والانعام يسمى يد يقال  
لفلان عندي يدا إذا أولاه معروفا وقد يذكر اليد والمراد منها صفة البيع والعقد كقوله  
تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فالبنات التي كان الأنبياء  
عليهم السلام يذكرونها ويقررونها لهم وأيد وأيضا العهد الذي كانوا يأتون به مع القوم  
أيادي وجمع اليد في العدد القليل هو الأيدي وفي العدد الكثير هو الأيدي فثبت أن  
بيانات الأنبياء عليهم السلام وعهودهم صحح تسميتها بالأيدي وإذا كانت التصامح  
والعهود إنما تظهر من الغم فإذا لم تقبل صارت مردودة إلى حيث جاءت ونظيره قوله  
تعالى إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم فلما كان القبول تلقيا  
بالأفواه عن الأفواه كان الدفع ردا في الأفواه فهذا تمام كلام أبي مسلم في تقرير هذا  
الوجه (الوجه الثاني) نقل محمد بن جرير عن بعضهم أن معنى قوله فردوا أيديهم في  
أفواههم أنهم سكتوا عن الجواب يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب رديده في فيه  
وتقول العرب كمت فلانا في حاجة فريده في فيه إذا سكت عنه فلم يجبه ثم انهز يف هذا  
الوجه وقال أنهم أجابوا بالكذب لأنهم قالوا أنا كفرنا بما أرسلتم به (الوجه الثالث)  
المراد من الأيدي نعم الله تعالى على ظاهريهم وباطنيهم ولما كذبوا الأنبياء فقد عرضوا  
تلك النعم للإزالة والابطال فقوله فردوا أيديهم في أفواههم أي ردوا نعم الله تعالى عن  
أنفسهم بالكلمات التي صدرت عن أفواههم ولا يبعد جعل في على معنى الباء لأن حروف  
الجر لا يمتنع إقامة بعضها مقام بعض (النوع الثاني) من الأشياء التي حكاه الله تعالى  
عن الكفار قولهم أنا كفرنا بما أرسلتم به والمعنى أنا كفرنا بما زعمتم أن الله أرسلكم فيه  
لأنهم ما أقروا بأنهم أرسلوا وأعلم أن المرتبة الأولى هو أنهم سكتوا عن قبول قول الأنبياء  
عليهم السلام وحاولوا إسكات الأنبياء عن تلك الدعوى وهذه المرتبة الثانية أنهم صرحوا  
بكونهم كافرين بتلك البعثة (النوع الثالث) قولهم وأنا لنق شك مما تدعوننا إليه  
مر يب قال صاحب الكشاف وقرئ تدعوننا بادغام النون مر يب موقع في الريبة أودى  
ريبية من أرابه والريبية قاق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر فإن قيل لماذا كروا في المرتبة  
الثانية أنهم كفرون برسالتهم كيف ذكروا بعد ذلك كونهم شاكين مرتابين في صحة قولهم  
قلنا كآتهم قالوا أما أن نكون كافرين برسالتكم أو أن لم ندع هذا الجزم واليقين فلا أقل  
من أن نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل إلى الاعتراف  
بنبوتكم والله أعلم \* قوله تعالى ( قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض  
يدعوك ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا

الطلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسيمي مظهرين لكمال العزيمة (ولنصبرن على ما آذيتونا)  
بالضناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خبير فيه (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون  
على ما أحدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنين

والتي عبر عنهم بذلك اسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد عليه فليتوكل من يتوكل دون غيره ( وقال الذين كفروا )  
 لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون  
 جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا ( لرسلمهم نخز جنكم من أرضنا ولتعودن في ملتنا ) لم يقنعوا  
 بمصيبتهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات ﴿ ٣٢٨ ﴾ الفاتحة للحصر حتى اجتروا على مثل هاتيك

تريدون أن تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) اعلم ان أولئك الكفار لما  
 قالوا للرسل وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم وهل تشكون في الله وفي  
 كونه فاطر السموات والارض وفاطر الانفسنا وأرواحنا وأرزاقنا وجميع مصالحنا  
 وانا لا ندعوك الا الى عبادة هذا الاله الذم ولا تمنعكم الا عن عبادة غيره وهذه المعاني  
 يشهد صريح العقل بصحتها فكيف قلتم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب وهذا النظم  
 في فاية الحسن وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله في الله شك استفهام على سبيل  
 الانكار فلماذا كر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار وهو قوله فاطر  
 السموات والارض وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان وجود السموات والارض كيف يدل  
 على احتياجه الى الصانع المختار الحكيم مرارا وأطوارا فلا نعيده ههنا ( المسئلة  
 الثانية ) قال صاحب الكشاف أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس  
 في الشك انما هو في ان وجود الله تعالى لا يحتمل الشك وأقول من الناس من ذهب الى  
 أنه قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة فالفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار ويدل على ان  
 الفطرة الاولية شاهدة بذلك وجوه ( الاول ) قال بعض العقلاء ان من اطعم على وجه صبي  
 لطمة فذلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى جوب  
 دار الجزاء وعلى وجود النبي اما دلالتها على وجود الصانع المختار فلان الصبي العاقل  
 اذا وقعت اللطمة على وجهه يصبح ويقول من الذي ضرب بني وماذا الا ان شهادة فطرته  
 تدل على ان اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لاجل فاعل فعلها  
 ولجل مختار أدخلها في الوجود فلما شهدت الفطرة الاصلية بافتقار ذلك الحادث مع  
 فلتة وحقارته الى الفاعل فبان تشهد بافتقار جميع حوادث العالم الى الفاعل كان أولى  
 وأما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصبح ويقول لم ضرب بني ذلك  
 الضارب وهذا يدل على أن فطرته شهدت بان الافعال الانسانية داخله تحت الامر  
 والنهي ومندرجة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي فعل شاء  
 واشتهى وأما دلالتها على وجوب حصول دار الجزاء فهو ان ذلك الصبي يطلب الجزاء  
 على تلك اللطمة وما دام يمكنه طلب ذلك الجزاء فانه لا يتركه فلما شهدت الفطرة  
 الاصلية بوجوب الجزاء على ذلك العمل القليل فبان تشهد على وجوب الجزاء على جميع  
 الاعمال كان أولى وأما دلالتها على وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم  
 ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا معنى للنبي الا الانسان الذي  
 يقدر هذه الامور ويبين لهم هذه الاحكام فثبت ان فطرة العقل حاكمة بان الانسان لا بد له  
 من هذه الامور الاربعة ( الوجه الثاني ) في التنبه على ان الاقرار بوجوب الصانع بديهي  
 هو ان الفطرة شاهدة بان حدوث دار منقوشة بالقش العجيبة مبنية على التركيبات  
 الطبيعية الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل الا عند وجود نقاش عالم وبان حكيم ومعلوم

العظيمة التي لا يكاد  
 يحيط بها دائرة الامكان  
 فخلقوا على أن يكون  
 أحدا للمحاليين والعوداما  
 بمعنى مطلق الصيرورة  
 او باعتبار تغليب المؤمنين  
 على الرسل وقدم في  
 الاعراف وسيأتي في  
 الكهف ( فأوحى اليهم )  
 أي الى الرسل ( ربه )  
 مالك أمرهم عند تناهي  
 كفر الكفرة وبلوغهم  
 من العتوى غاية لا مطمع  
 بعده في ايمانهم ( لنم لكن  
 الظالمين ) على اختيار  
 القول أو على اجراء الايمان  
 مجراه لكونه ضربا منه  
 ( ولنسكنكم الارض )  
 أي أرضهم وديارهم  
 عقوبة لهم بقولهم  
 نخز جنكم من أرضنا  
 كقوله تعالى وأورثنا  
 القوم الذين كانوا  
 يستضعفون مشارق  
 الارض ومغاربها ( من  
 بعدهم ) أي من بعد  
 اهلاكهم وقرى اهلكن  
 وليسكنكم بالياء اعتبارا  
 لاوحى كقولهم حلف

زيد ليخز جن غدا ( ذلك ) اسارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين بديارهم أي ذلك ﴿ ان ﴾  
 الامر محقق ثابت ( لمن خاف مقامي ) موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو  
 قياسي عليه وحفظي لاجاله وقيل لفظ المقام مقسم ( وخاف وعبد ) وعبدى بالعذاب أو عذابى

الموهود الكفار والمعنى ان ذلك حق للمؤمنين كقوله والمعاقبة للمؤمنين (واستفتحوا) أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا ووسائله القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فألضمير الرسل وقيل للكفرة وقيل للفرقيين فانهم سألوا ان ينصر الحق ويهلك المبطل وهو معطوف على أوحى اليهم وقرى بلفظ الامر عطفا على ﴿ ٣٢٩ ﴾ انهلكن الظالمين أى أوحى اليهم بهم لتهلكن وقال لهم استفتحوا

(وخاب) أى خسرو وهلك

(كل جبار عنيد)

متصف بضد ما تصف

به المتقون أى فنصروا

عند استفتاحهم وظفروا

بأسا وأوأفلموا وخاب

كل جبار عنيد وهم

قومهم المعاندون فالخبيثة

بمعنى مطلق الحرمان

دون الحرمان عن المطلوب

أو ذلك باعتبار أنهم

كانوا يزعمون انهم

على الحق أو استفتح

الكفار على الرسل

وخابوا ولم يفلحوا وانما

قبل وخاب كل جبار عنيد

ذمالمهم وتسجيلا عليهم

بالتجبر والعناد لأن

بعضهم ليسوا كذلك وأنه

لم يصبرهم الخبيثة أو

استفتحوا جميعا قصر

الرسول وأبجزلهم الوعد

وخاب كل عات مترد

فالخبيثة بمعنى الحرمان

غيب الطلب وفى اسناد

الخبيثة الى كل منهم مالا

يخفى من المبالغة (من ورأته

جهنم) أى بين يديه فإنه

مرصداها واقف على

شفرها فى الدنيا بهوت

أن آثار الحكمة فى العالم العلوى والسفلى أكثر من آثار الحكمة فى تلك الدار المختصرة فلما شهدت الفطرة الاصلية بافتقار النفس الى النقاش والبناء الى البانى فبان تشهد بافتقار كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم كان أولى (الوجه الثالث) ان الانسان اذا وقع فى محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى فى طنه رجاء المعاونة من أحد فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع الى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحيائلها وماذا الا الشهادة الفطرة بالافتقار الى الصانع المدبر (الوجه الرابع) ان الموجود اما أن يكون غنيا عن المؤثر أو لا يكون فان كان غنيا عن المؤثر فهو الموجود الواجب لذاته فإنه لا معنى للواجب لذاته الا الموجود الذى لا حاجة به الى غيره وان لم يكن غنيا عن المؤثر فهو محتاج والمحتاج لا بد له من المحتاج اليه وذلك هو الصانع المختار (الوجه الخامس) ان الاعتراف بوجود الاله المختار المكلف ووجود المعاد أحوط فوجب المصير اليه فهذه مراتب أربعة أولها ان الاقرار بوجود الاله أحوط لانه لو لم يكن موجودا فلا ضرر فى الاقرار بوجوده وان كان موجودا فى انكاره أعظم المضار وثانيها الاقرار بكونه فاعلا مختارا لانه لو كان موجبا فلا ضرر فى الاقرار بكونه مختارا أما لو كان مختارا فى انكاره بكونه مختارا أعظم المضار وثانيها الاقرار بأنه مكلف عبادة لانه لو لم يكلف أحد من عباده شيئا فلا ضرر فى اعتقاده كلف العباد أماته لو كلف فى انكار تلك التكاليف أعظم المضار ورابعها الاقرار بوجود المعاد فإنه ان كان الحق انه لا معاد فلا ضرر فى الاقرار بوجوده لانه لا يفوت الا هذه الذات الجسمانية وهى حقيرة ومنقوصة وان كان الحق هو وجوب المعاد فى انكاره أعظم المضار فظهر أن الاقرار بهذه المقامات أحوط فوجب المصير اليه لان يدسه العقل حاكمة بأنه يجب دفع الضرر عن النفس بقدر الامكان (المسئلة الثالثة) لما أقام الدلالة على وجود الاله بدليل كونه فاطر السموات والارض وصفه بكمال الرحمة والكرم والجود و بين ذلك من وجهين (الاول) قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم قال صاحب الكشف لوقال قائل مامعنى التبييض فى قوله من ذنوبكم ثم أجاب فقال ما جاء هكذا الا فى خطاب الكافر بن كقوله أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيئوا داعى الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تجيبكم من عذاب أليم الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم قال والاستقراء يدل على صحة ما ذكرناه ثم قال وكان ذلك للفرقة بين الخطابين وثلاثى سوى بين الفرقيين فى المعاد وقيل انه أراد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى بخلاف ما بينهم وبين العباد من المطالب \* هذا كلام هذا الرجل وقال الواحدى فى البسيط قال أبو عبيدة من زائدة وأنكر سيبويه ز يادتها فى الواجب واذا قلنا انها ليست زائدة فههنا وجهان أحدهما انه ذكر البعض ههنا وأرى يديه الجميع توسعا والثانى ان من ههنا للبدل والمعنى انكون المغفرة بدلا من الذنوب فدخلت من لتضمن المغفرة معنى البدل من

اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته ﴿ ٤٢ ﴾ خا وحقيقته ما توارى عنك (وبسقى) معطوف على مقدر جوابا

عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقي فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كالماء العهودة (صديد) وهو

قيح أو دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لما بهم أو لآلهم بين

بالصديديتهم بلا امره وتخصيصه بالذكر من بين عذابيها يدل على أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قيل هو صغفلا أو حال منه والأظهر أنه استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا يفعل به فقيل يتجرعه أى يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أى لا يقارب أن يسيغه فضلا عن الاساعة بل يفض به فيشره بعد اللثا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة ﴿ ٣٣٠ ﴾ والعطش وأخرى بشره على تلك الحال فإن

السيئة وقال القاضى ذكر الاصم ان كلمة من ههنا تفيد التبويض والمعنى انكم اذا تبتم فانه يغفر لكم الذنوب التي هي من الكبائر فاما التي تكون من باب الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لانها في نفسها مغفورة قال القاضى وقد ابعد في هذا التأويل لان الكفار صغائرهم ككبارهم في أنها لا تغفر الا بالتوبة وانما تكون الصغيرة مغفورة من المؤمنين الموحدين من حيث يز يدنو بهم على عقابها فاما من لا توب له أصلا فلا يكون شئ من ذنوبه صغيرا ولا يكون شئ منها مغفورا ثم قال وفيه وجه آخر وهو ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وانابته فلا يكفر بالمغفور منها الا ما ذكره وتاب منه فهذا جملة أقوال الناس في هذه الكلمة (المسئلة الرابعة) أقول هذه الآية تدل على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير توبة في حق أهل الايمان والدليل عليه انه قال يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم وعد يغفر ان بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة فوجب أن يغفر بعض الذنوب مطلقا من غير التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لان عقاب الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب أن يكون البعض الذى يغفره من غير التوبة هو ما عدا الكفر من الذنوب فان قيل لم لا يجوز أن يقال كلمة من صلة على ما قاله أبو عبيدة أو نقول المراد من البعض ههنا هو الكل على ما قاله الواحدى أو نقول المراد منها ابدال السيئة بالحسنة على ما قاله الواحدى أيضا أو نقول المراد منه تمييز المؤمن عن الكافر في الخطاب على ما قاله صاحب الكشاف أو نقول المراد منه تخصيص هذا الغفران بالكبائر على ما قاله الاصم أو نقول المراد منه الذنوب التي يذكرها الكافر عند الدخول في الايمان على ما قاله القاضى فنقول هذه الوجوه بأسرها ضعيفة أما قوله انها صلة فعنا الحكم على كلمة من كلام الله تعالى بأنها حشوشائع فاسد والمائل لا يجوز المصير اليه من غير ضرورة فأما قول الواحدى المراد من كلمة من ههنا هو الكل فهو عين ما قاله أبو عبيدة لان حاصله ان قوله يغفر لكم من ذنوبكم هو انه يغفر لكم ذنوبكم وهذا عين ما نقله عن أبي عبيدة وحكى عن سيويه انكاره وأما قوله المراد منه ابدال السيئة بالحسنة فليس في اللفظة ان كلمة من تفيد ابدال وأما قول صاحب الكشاف المراد تمييز خطاب المؤمن عن خطاب الكافر بمزيد التشريف فهو من باب الطامات لان هذا التبويض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الجواب فاسدا وأما قول الاصم فقد سبق ابطاله وأما قول القاضى في جوابه ان الكافر اذا أسلم صارت ذنوبه بأسرها مغفورة لقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له فثبت ان جميع ما ذكره من التأويلات تعسف ساقط بل المراد ما ذكرنا انه تعالى يغفر بعض ذنوبه من غير توبة وهو ما عدا الكفر وأما الكفر فهو أيضا من الذنوب وانه تعالى لا يغفره الا بالتوبة واذا ثبت أنه تعالى يغفر كافر من غير توبة بشرط أن يأتي بالايمان فبان تحصل هذه الحالة للمؤمن كأول هذا ما خطر بالبال على سبيل الارتجال والله أعلم

السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساعة لما أنها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه أو من مفعوله أو منهما جميعا (ويأتيه الموت) أى أسبابه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وابهام رجليه (وما هو بميت) أى والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشى من أصناف الموبقات (ومن ورأه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذابا أشد وأشق مما كان قبله ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس

الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنينهم التي أرسلها الله تعالى عليهم ﴿ بحقيقة ﴾ بدعونه عليه الصلاة والسلام وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) أى صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغراب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى



( أعمالهم كرماد ) كقولك صفتز يدعرضه مهتوك وماله منسوب وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعناق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم الى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد ( اشتدت به الريح ) حذته وأسرعت الذهاب به ( في يوم عاصف ) العصف اشتداد الريح ﴿ ٣٣١ ﴾ ووصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور ربحها

شبهت صنائعهم  
المعدودة لا بذاتها على  
غير أساس من معرفة الله  
تعالى والايمان به  
والتوجه بها اليه تعالى برماد  
طيرته الريح العاصفة  
أو استئناف مسوق لبيان  
أعمالهم للاصنام أو مبتدأ  
خبره محذوف كما هو رأي  
سيبويه أي فيما تلي عليك  
مثلهم وقوله أعمالهم  
جمله مستأنفة منه على  
سؤال من يقول كيف  
مثلهم فقيل أعمالهم كرماد  
وكبت سواء أريد بها  
صنائعهم أو أعمالهم  
لاصنامهم وقيل أعمالهم  
بدل من مثل الذين وقوله  
كرماد خبره ( لا يقدر )  
أي يوم القامة ( بما كسبوا )  
من تلك الاعمال ( على  
سئ ) ما أي لا يرون له  
أثر من ثواب أو تخفيف  
عذاب كدأب الرماد  
المدكور وهو فذلكت  
التمثيل والاكتفاء ببيان  
عدم روية الأثر لأعمالهم  
للاصنام مع أن لها  
عقوبات هائلة لتصريح  
بطلان اعتقادهم

بحقيقة الحال ( النوع الثاني ) مما وعد الله تعالى به في هذه الآية قوله وواخركم الى أجل مسمى وفيه وجهان ( الاول ) المعنى انكم ان آمنتم أخرج الله موتكم الى أجل مسمى والا عاجلكم بعذاب الاستئصال ( الثاني ) قال ابن عباس المعنى يتعمق في الدنيا بالطيبات واللذات الى الموت فان قيل أليس انه تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا وواخركم الى أجل مسمى قلنا قد تكلمنا في هذه المسئلة في سورة الانعام في قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم حكى تعالى ان الرسل لما ذكروا هذه الاشياء لا واثك الكفار قالوا ان أنتم الالبشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأنتوننا بسلطان مبين واعلم أن هذا الكلام مستمل على ثلاثة انواع من الشبه ( فالشبهة الاولى ) ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع أن يبلغ التفاوت بين تلك الاشخاص الى هذا الحد وهو أن يكون الواحد منهم رسولا من عند الله معلما على العيب مخالفا لزمرة الملائكة والباقيون يكونون غافلين عن كل هذه الاحوال أيضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقتنا في هذه الاحوال العالمة الالهية السريفة وجب أن تفارقنا في الاحوال الحسيسة وهي الحاجة الى الاكل والسرب والحدث والوقاع وهذه الشبهة هي المراد من قولهم ان أتم الالبشر مثلنا ( والشبهة الثانية ) التمسك بطريقة التقليد وهي أنهم وجدوا آباءهم وعلماءهم وكبراءهم مطمئنين متقين على عبادة الاوثان قالوا وبعدها يقال ان أوثك القدماء على كبرهم وقوه خواطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين وان الرجل الواحد عرف مساده ووقف على بطلانه والعوام ربما زادوا في هذا الباب كلما آخرو ذلك ان الرجل العالم اذا بين ضعف كلام بعض المتقدمين قالوا ان كلامك انما يظهر صحته لو كان المتقدمون حاضرين أما المناظرة مع الميت فسهلة فهذا كلام يذكرة الحق والرعاع وأوئك الكفار أيضا ذكروه وهذه السهولة هي المراد من قوله تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ( والشبهة الثالثة ) أن قالوا المعجز لا يدل على الصدق أصلا وان كانوا سلوا على ان المعجز يدل على الصدق الآن الذي جاء به أوئك الرسل طعنوا فيه وزعموا انها أمور معتادة وانها ليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر والى هذا النوع من الشبهة الاشارة بقوله فاتوا بسلاطن مدين فهذا تفسره هذه الآية بحسب الوسع والله أعلم \* قوله تعالى ( قالت لهم رسلهم ان نحن الالبسر منكم ولكن الله بمن علي من نساء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وانصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ) اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم السلام جوابهم عنها ( أما الشبهة الاولى ) وهي قولهم ان أنتم الالبسر مثلنا فجوابه ان الانبياء سلوا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان التماثل في البشرية والانسانية لا يمنع من اختصاص بعض اسر بمنصب النبوة لان هذا المنصب

وزعمهم انها شفاء لهم عند الله تعالى وفيه تمكيم بهم ( ذلك ) أي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء ( هو الضلال البعيد ) عن طريق الحق والصواب أو عن نيل الثواب ( ألم تر ) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والروية روية القلب

وقوله تعالى ( ان الله خلق السموات والارض ) ساد متدفعوليها أي ألم تعلم انه تعالى خلقهما ( بالحق ) ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ( ان يشأ يذهبكم ) بعدمكم بالمره (ويات بتخلق جديد) أي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لعلاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا ﴿ ٣٣٢ ﴾ الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق

منصب عن الله به على من يشاء من عباده فاذا كان الامر كذلك فقد ستطت هذه الشبهة واعلم ان هذا المقام فيه بحث شريف دقيق وهو ان جماعة من حكماء الاسلام قالوا ان الانسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة علوية قدسية فانه يتمتع عقلا حصول صفة النبوه واما الظاهريون من أهل السنة والجماعة فقد زعموا ان حصول النبوه عطية من الله تعالى به بالكل من يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان عن سائر الناس بمن يداشراق نفساني وقوة قدسية وهو لاء تمسكوا بهذه الآية فانه تعالى بين ان حصول النبوه ليس الا بمحض المنه من الله تعالى والعطية منه والكلام في هذا الباب غايب غائض غايب دقيق والاولون اجابوا عنه بانهم لم يذكر وافضائلهم النفسانية والجسدانية تواصعا منهم واقتصر على قولهم ولكن الله بمن على من يشاء من عباده بالنبوه لانه قد علم انه تعالى لا يخصصهم بتلك الكرامات الا وهم موصوفون بالفضائل التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ( واما الشبهة الثانية ) وهي قولهم اطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقما لانه يبعد ان يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق العظيم فجوابه عين الجواب المذكور عن الشبهة الاولى لان التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه ولا يبعد ان يخص بعض عبده بهذه العطية وأن يحرم الجمع العظيم منها ( واما الشبهة الثالثة ) وهي قولهم ان الارض بهذه المحجزات التي اتيتم بها وانما تريد معجزات قاهرة قوية فالجواب عنها قوله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسطان الا باذن الله وشرح هذا الجواب ان المعجزة التي جنبها وتمسكتنا بها حجة قاطعة وبينة قاهرة ودليل تام فاما الاشياء التي طلبتها فهي امور زائدة والحكم فيها الله تعالى فان خلقها وأظهرها فله الفضل وان لم يخلقها فله العدل ولا يحكم عليه بعد ظهور قدر الكفاية ثم انه تعالى حكى عن الانبياء والرسال عليهم السلام انهم قالوا بعد ذلك وعلى الله وليتو ككل المؤمنون والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شهاتهم بذلك الجواب فالقوم أخذوا في السفاهة والتخويق والوعيد وعند هذا قالت الانبياء عليهم السلام لانخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله ولعل الله سبحانه كان قد أوحى اليهم ان أولئك الكفرة لا يقدرن على ايصال الشر والآفة اليهم وان لم يكن حصل هذا الوحي فلا يبعد منهم ان لا يلتفتوا الى سفاهتهم لما أن ارواحهم كانت مشرفة بالمعارف الالهية مشرقة بأضواء عالم الغيب والروح متى كانت موصوفة بهذه الصفات فلما يبالي بالاحوال الجسمانية فلما يقيم لها وزنا في حالتها السراء والضراء وطورى الشدة والرخاء فلها هذا السبب توكلوا على الله وهولوا على فضل الله وقطعوا أطباعهم عما سوى الله والذي يدل على ان المراد ما ذكرناه قوله تعالى حكاية عنهم وما لنا أن لا توكل على الله وقد هدانا سبانا ولنصبرن على ما آذيتونا بعنى انه تعالى لما خصنا

مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قل ( وما ذلك ) أي اذها بكم والاتبان بتخلق جديد مكانكم ( على الله عز يز ) بتعذر أو تمسرفانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بقدر دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عتابه ( وبرزوا لله جميعا ) أي يبرزون يوم القيامة وايشار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أولانه لامضى ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببرزهم من قبورهم لأمر الله تعالى وتمحاسبته أوله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا أنها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم

( فقال الضعفاء ) الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفهم ﴿ بهذه ﴾ الالف قبل الهمزة ( للذين استكبروا ) رؤسائهم الذين استتبعواهم واستفوههم ( انا كنا ) في الدنيا لكم تبعاً في تكذيب الرسل عليهم السلام والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كتيب في جمع غائب أو مصدر نعت به

مبالغة أو على اضمار أى ذوى تبع ( فهل أنتم مغنون ) دافعون ( عنا ) والغاء للدلالة على سبية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتفريع والتبكيك ( من عذاب الله من شيء ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبويض واقعة موقع المفعول أى بعض الشيء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبويض أى بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كاسبق و يجوز \* ٣٣٣ \* أن تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل

أنتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار (قالوا) أى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا مما فعلوا بهم ( لوهدانا الله ) أى الايمان و وقفنا له ( لهديناكم ) ولكن ضلنا فأضلناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أو لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغتنينا عنكم كما عرضنا لكم ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص (سواء علينا أجزعنا) بمالقينا (أم صبرنا) على ذلك أى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإنما أسند وهما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم

بهذه الدرجات الروحية والمعارف الالهية الربانية فكيف يليق بنا أن لا نتوكل على الله بل اللاتق بنا أن لا نتوكل الا عليه ولا نعول فى تحصيل المهمات الا عليه فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة يتقبح به أن يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان ملكا له أو ملكا أو روحا أو جسما وهذه الآية دالة على انه تعالى يعصم اولياءه المخلصين فى عبوديته من كيد أعدائهم ومكرهم ثم قالوا ولنصبرن على ما آذيتونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا يد وأن يصير غالبا قاهرا والباطل لا يد وأن يصير مغلوبا مقهورا ثم اعادوا قولهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والغائبة فيه أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله فى قوله وما لنا أن لا نتوكل على الله ثم لما فرغوا من أنفسهم أمروا بتابعهم بذلك وقالوا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وذلك يدل على أن الأمر بالخير لا يوترق قوله الا اذا أتى بذلك الخيرا ولا وراى فى كلام الشيخ أنى حامدا للزلى رحمة الله فضلا حسنا وحاصله ان الانسان اما أن يكون ناقصا أو كاملا أو خاليا عن الوصفين أما الناقص فاما أن يكون ناقصا فى ذاته ولكنه لا يسمي فى تقبص حال غيره وأما أن يكون ناقصا ويكون مع ذلك ساعيا فى تقبص حال الغير فالاول هو الضال والثانى هو الضال المضل وأما الكامل فاما أن يكون كاملا ولا يقدر على تكميل غيرهه الاولياء واما أن يكون كاملا و يقدر على تكميل الناقصين وهم الانبياء ولذلك قال عليه السلام علماء أمتى كأنبياء نبي اسرائيل ولما كانت مراتب النقصان والكمال ومراتب الاكمال والاضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية لاجرم كانت مراتب الولاية والحياة غير متناهية بحسب الكمال والنقصان فالولى هو الانسان الكامل الذى لا يقوى على التكميل وانبي هو الانسان الكامل المكمل ثم قد تكون قوته الروحية النفسانية وافية بتكميل انسانين ناقصين وقد تكون أقوى من ذلك فىبى بتكميل عشرة ومائة وقد تكون تلك القوة قاهرة قوية تؤثر تأثير الشمس فى العالم فيقلب أرواح أكثر أهل العالم من مقام الجهل الى مقام المعرفة ومن طلب الدنيا الى طلب الآخرة وذلك مثل روح محمد صلى الله عليه وسلم فان وقت ظهوره كان العالم مملوا من اليهود وواكثرهم كانوا مشبهين ومن التصارى وهم حلوانية ومن المجوس وقبح مذاههم ظاهره ومن عبدة الاوثان وسخف دينهم أظهر من أن يحتاج الى بيان فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سرت قوة روحه فى الارواح فقلب أكثر أهل العالم من الشرك الى التوحيد ومن التجسيم الى التنزيه ومن الاستغراق فى طلب الدنيا الى النوجه الى عالم الآخرة فن هذا المقام ينكشف للانسان مقام النبوة والرسل اذا عرفت هذا فقول قوله وما لنا أن لا نتوكل على الله اشارة الى ما كانت حاصلة لهم من كالات نفوسهم وقولهم فى آخر الامر وعلى الله فليتوكل المتوكلون اشارة الى تأثير أرواحهم الكاملة فى تكميل الارواح الناقصة فهذه أسرار عالية مخزونة فى ألفاظ القرآن فن نظرى علم القرآن وكان غافلا عنها كان محروما من أسرار علوم القرآن والله

٢  
٣  
٤  
٥  
٦  
٧  
٨  
٩  
١٠  
١١  
١٢  
١٣  
١٤  
١٥  
١٦  
١٧  
١٨  
١٩  
٢٠  
٢١  
٢٢  
٢٣  
٢٤  
٢٥  
٢٦  
٢٧  
٢٨  
٢٩  
٣٠  
٣١  
٣٢  
٣٣  
٣٤  
٣٥  
٣٦  
٣٧  
٣٨  
٣٩  
٤٠  
٤١  
٤٢  
٤٣  
٤٤  
٤٥  
٤٦  
٤٧  
٤٨  
٤٩  
٥٠

للمخاطبين أيضا مبالغة فى النهى عن التوبيخ باعلام أنهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفرقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أنى لم أخنه و يؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة طم فلا ينعفهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينعفهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا



بمجرد تزيير وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق لقرونه بالبينات والنجح وليس مراده التوصل عن توجه  
 الثلاثة اليه بالمره بل بيان أنهم أحق بها منه وليس فيه دلالة على استلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي  
 في ذلك أن يكون قدرته الكاسية التي عليها يدور فناء التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره  
 وعليه ترتب السعادة والسقاوة وما قيل ﴿ ٣٣٥ ﴾ من أنه يستدعى أن يقال فلا تلموني ولا أنفسمكم فان الله

قضى عليكم الكفر  
 وأجبركم عليه مبنى  
 على عدم الفرق بين  
 مذهب أهل الحق وبين  
 مسلك الجبرية ( ما أنا  
 بمصرخكم ) أى بغيثكم  
 مما أتم فيه من العذاب  
 ( وما أتم بمصرخى )  
 مما أفاقه وانما تعرض  
 لذلك مع أنه لم يكن في حيز  
 الاحتمال مبالغة في بيان  
 عدم اصراخه اياهم  
 واذا تابا بانه أيضا مبتلى  
 بمثل ما ابتلوا به واحتج  
 الى الاصراخ فكيف  
 من اصراخ الغير ولذلك  
 آثر الجملة الاسمية فكان  
 ماضى كان جوابا منه  
 عن توبيخهم وترى ربهم  
 وهذا جواب عن استغاثتهم  
 واستعانتهم به في استدفاع  
 ما دهمهم من العذاب  
 وقرئ بكسر الياء  
 ( انى كفرت ) اليوم  
 ( بما أشركتمونى من قبل )  
 أى باشراكم اباى  
 بمعنى تبرأت منه واستنكرته  
 كقوله تعالى و يوم القيامة  
 يكفرون بشرككم يعنى  
 أن أشراكم لى بالله

ذكر واهذا الكلام قال تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين وانسكنكم الارض  
 من بعدهم قال صاحب الكشاف لنهلكن الظالمين حكاية تقتضى ضمنا القول أو اجراء  
 الايجاز مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حيوه ليهلكن الظالمين وليسكنكم بالياء  
 اعتبار الأوحى فال هذا اللفظ لفظ الغيبة ونظيره قولك أقسم زيد ليخرجن ولاخرجن  
 والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونظيره قوله وأورثنا القوم الذين كانوا  
 يستضعفون مشارق الارض ومغار بها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله  
 عليه وسلم من أذى جاره أورثه الله داره واعلم ان هذه الآية تدل على ان من توكل على ربه  
 في دفع عدوه كفاه الله امر عدوه ثم قال تعالى ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فقوله ذلك  
 اشارة الى ان ما قضى الله تعالى به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اثر ذلك  
 الامر حق لمن خاف مقامى وفيه وجوه (الاول) المراد موقفى وهو موقوف الحساب لان  
 ذلك الموقف موقف الله تعالى الذى يقف فيه عباده يوم القيامة ونظيره قوله وأما من خاف  
 مقام ربه وقوله ولن خاف مقام ربه جنتان (الثانى) ان المقام مصدر كالقيامه يقال قام  
 قياما ومقاما قال الفراء ذلك لمن خاف قيامى عليه ومراقبى اياه كقوله أئن هو قائم على  
 كل نفس بما كسبت (الثالث) ذلك لمن خاف مقامى أى أقامتى على العدل والصواب فانه  
 تعالى لا يقضى الا بالحق ولا يحكم الا بالعدل وهو تعالى مقيم على العدل لا يميل عنه  
 ولا يخرف البتة (الرابع) ذلك لمن خاف مقامى ( أى مقام العائد عندى وهو من باب  
 اضافة المصدر الى المفعول (الخامس) ذلك لمن خاف مقامى أى لمن خافنى وذكر المقام  
 ههنا مثل ما يقال سلام الله على المجلس الفلانى العالى والمراد سلام الله على فلان فكذا  
 ههنا ثم قال تعالى وخاف وعيد قال الواحدي الوعيد اسم من أوعد ايعادا وهو  
 التهديد قال ابن عباس خاف ما أوعدت من العذاب واعلم انه تعالى ذكره أو لا قوله ذلك  
 لمن خاف مقامى ثم عطف عليه قوله وخاف وعيد فهذا يقتضى أن يكون الخوف من الله  
 تعالى مغايرا للخوف من وعيد الله ونظيره ان حب الله تعالى مغاير لحب ثواب الله وهذا  
 مقام شريف عال في اسرار الحكمة والتصديق ثم قال تعالى واستفحوا وفيه  
 مسئلتان (المسئلة الاولى) للاستفتاح ههنا معنيان أحدهما طلب الفتح بالنصرة فقوله  
 استفحوا أى واستنصروا الله على أعدائهم فهو كقوله ان تستفحوا فقد جاءكم الفتح  
 والثانى الفتح الحكيم والقضاء فقول ربنا واستفحوا أى واستحكموا الله وسألوه القضاء  
 بينهم وهو مأخوذ من الفتحا وهى الحكومة كقوله ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق اذا  
 عرفت هذا فقول كلا القولين ذكره المفسرون أما على القول الاول فالاستفحون هم  
 الرسل وذلك لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أسوا من ايمانهم قال  
 نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس الآية وقال لوط  
 رب انصرنى على القوم المفسدين وأما على القول الثانى وهو طلب الحكومة والقضاء

سبحانه هو الذى يطعمكم في نصرنى لكم بان كل لكم على حق حيث جعلتمونى معبودا وكنتم أو ذلك وأرغب  
 فيه فاليوم كفرت بذلك ولم أحده ولم أقبه منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة أو كفرت  
 من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونى وهو الله تعالى كفى قوله سبحانه ما سخر كن لنا فيكون تعليلا لعدم  
 اصراخه فان الكافر

بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له  
 جوامعهم بحاله حتى يحتاج الى التعليل ولان التعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم أنهم بسبيل من ذلك لولا المانع  
 بالقرار جهته ( ان الظالمين لهم عذاب اليم ) تمة كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثاله لطف  
 بسامعين واقظالمهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا ﴿ ٣٣٦ ﴾ هو اقبحهم ( وأدخل الذين آمنوا وعملوا

الصالحات جنات تجري  
 من تحتها الانهار خالدون  
 فيها باذن ربهم) أى بأمره  
 أو بتوفيقه وهداياته  
 وفي التعرض لوصف  
 الربوبية مع الاضافة  
 الى ضميرهم اظهار مزيد  
 اللطف بهم والمدخلون هم  
 الملائكة عليهم السلام  
 وقرئ على صيغة التكلم  
 فيكون قوله تعالى باذن  
 ربهم متعلقا بقوله تعالى  
 ( يحينهم فيها سلام )  
 أى يحيينهم الملائكة  
 بالسلام باذن ربهم (المتر)  
 الخطاب للرسول صلى الله  
 عليه وسلم وقد علق بما بعده  
 من قوله تعالى ( كيف  
 ضرب الله مثلا) أى كيف  
 استعمله ووضع في موضعه  
 اللائق به ( كلمة طيبة )  
 منصوب بضمير أى جعل  
 كلمة طيبة هى كلمة التوحيد  
 أو كل كلمة حسنة كالسبحة  
 والتحميدة والاستغفار  
 والتوبة والدعوة ( كشجرة  
 طيبة ) أى حكم بأنها  
 مثلها لانه تعالى صيرها  
 مثلها فى الخارج وهو تفسير  
 لقوله ضرب الله مثلا

فالاولى أن يكون المستفتحون هم الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل  
 صادقين فعدنا ومنه قول كفار قرىش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا  
 حجارة من السماء وكقول آخرى اننا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ( المسئلة  
 الثانية ) قال صاحب الكشاف قوله واستفتحوا معطوف على قوله أوحى اليهم وقرئ  
 واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على قوله لتهلكن أى أوحى اليهم ربهم وقال لهم لتهلكن  
 وقال لهم استفتحوا ثم قال تعالى وخاب كل جبار عنيد وفيه مسئلتان ( المسئلة الاولى )  
 ان قلنا المستفتحون هم الرسل كان المعنى ان الرسل استفتحوا فنصر واوظفروا بقصودهم  
 وقازوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وان قلنا المستفتحون هم الكفرة فكان المعنى  
 ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم انهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل  
 جبار عنيد منهم وما أفلح بسبب استفتاحه على الرسل ( المسئلة الثانية ) الجبار ههنا التكبر  
 على طاعة الله تعالى وعبادته ومنه قوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا قال أبو عبيدة عن الاحمر  
 يقال فيه جبرية وجبروت وجبروت وحكى الزجاج الجبرية والجبر بكسر الجيم  
 والباء والتجبار والجبرياء قال الواحدى فهى ثمان لغات فى مصدر الجبار وفى الحديث  
 ان امرأة حضرت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها امرأ فأتيت عليه فقال دعوه فانها  
 جبارة أى مستكبرة وأما العنيد فقد اختلف أهل اللغة فى اشتقاقه قال النضر بن شميل  
 العنود الخلاف والتباعد والترك وقال غيره أسله من العنود والناحية يقال فلان عشى  
 عند أى ناحية فمضى عاد وعندأخذ فى ناحية معرضا وعاند فلان فلانا اذا جانيه وكان منه  
 على ناحية اذا عرفت هذا فنقول كونه جبارا متكبرا اشارة الى الخلق التمساني وكونه  
 عنيدا اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانباعن الحق منحرفا عنه ولا شك  
 أن الانسان الذى يكون خلقه هو العجب والتكبر وفعله هو العنود وهو الانحراف عن  
 الحق والصدق كان خائبا عن كل الحيرات خاسرا عن جميع أقسام السعادات واعلم انه  
 تعالى لما حكم عليه بالخيبة ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بأمور الاول  
 قوله من ورائه جهنم وفيه اشكال وهو ان المراد امامه جهنم فكيف أطلق لفظ الورا على  
 القدام والامام وأجابوا عنه من وجوه (الاول) أن لفظ ورا داسم لما يوارى عنك وقدام  
 وخلف متوار عنك فصح اطلاق لفظ ورا على كل واحد منهما قال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسيت فيه \* يكون وراى فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراى كل أحد الثاني قال أبو عبيدة وابن السكيت الوراى من الاضداد  
 يقع على الخلف والقدام والسبب فيه ان كل ما كان خلفا فانه يجوز أن يقرب قداما  
 وبالعكس فلا جرم جاز وقوع لفظ الوراى على القدام ومنه قوله تعالى وكان وراىهم  
 ملك يأخذ أى امامهم ويقال الموت من وراى الانسان ( الثاني ) قال ابن الجبارى وراى  
 بمعنى بعد قال الشاعر \* وليس وراى الله للمرء مذهب \* أى وليس بعد الله مذهب اذا

كقولك شرف الامير يد اكساه حلة وحله على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلا من مثلا ﴿ ثبت ﴾  
 وكشجرة صفتها أو خبر مبتدا محذوف أى هى كشجرة وأن يكون أول مفعولى ضرب اجراءه مجرى جعل فداخر  
 عن بايها أى مثلا لثلا بعد عن صفتها التى هى كشجرة وقد فرئت بالرفع على الابتداء ( أصلها ثابت )

أى ضارب بعروقه في الارض وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت أصلها وقراءة الجماعة أقوى سبكا وأنسب بقريته أعنى قوله تعالى ( وفرعها ) أى أعلاها ( في السماء ) في جهة العلو ويجوز أن يراد وفروعها على الاكغاف بلفظ الجنس عن الجمع ( تؤتى أكلها ) تعطى ثمرها ( كل حين ) وقته الله تعالى لثمرها ( باذن ربها ) بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما الخلة كما \* ٣٣٧ \* روى مر فوعا أو شجرة في الجنة ( ويضرب الله

الامثال للناس لعلمهم  
يتذكرون) لان في ضربها  
زيادة افهام وتذكير  
فانه تصور المعاني  
بصور المحسوسات  
(ومثل كلمة خبيثة) هي  
كلمة الكفر والعدا اليه  
أو تكذيب الحق أو ما يم  
الكل أو كل كلمة قبيحة  
(كشجرة خبيثة) أى  
كشجرة خبيثة قيل  
هي كل شجرة لا يطيب  
ثمرها كالخنظل والكشوث  
ونحوهما وتغير الاسلوب  
لا يذنان بأن ذلك غير  
متصور الضرب والبيان  
وانما ذلك أمر ظاهر  
يعرفه كل أحد (اجتث)  
استوصلت وأخذت  
جثتها بالكلية (من فوق  
الارض) لتكون عروقها  
قريبة منه (مالها من  
قرار) استقرار عليها  
(ثبت الله الذين آمنوا  
بالقول الثابت) الذى  
ثبت بالحجة عندهم وتمكن  
في قلوبهم وهو الكلمة  
الطيبة التى ذكرت  
صفتها الجيبة (في  
الحياة الدنيا) فلا يزالون

ثبت هذا فقوله انه تعالى حكم عليه بالخيبة في قوله وخاب كل جبار عنيد ثم قال  
من ورائه جهنم أى ومن بعد هذه الخيبة يدخل جهنم (النوع الثاني) مما ذكره الله تعالى  
من أحوال هذا الكافر قوله ويسقى من ماء صديد يجرحه ولا يكاد يسيغه وفيه سوالات  
(السؤال الاول) علام عطف ويسقى الجواب على محذوف تقديره من ورائه جهنم بلقى  
فيها ويسقى من ماء صديد (السؤال الثاني) عذاب أهل النار من وجوه كثيرة فلم خص هذه  
الحالة بالذكر الجواب يشبه أن تكون هذه الحانة أشد انواع العذاب فخصص بالذكر مع  
قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت (السؤال الثالث) ما وجه قوله من ماء صديد  
الجواب انه عطف بيان وانتقدير أنه لما قال ويسقى من ماء فكانه قيل وما ذلك الماء  
فقال صديد والصد يد ما يسيل من جلود أهل النار وقيل التقدير ويسقى من ماء كالصديد  
وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلاظ والقذارة وهو أيضا  
يكون في نفسه صديدا لان كراهته تصد عن تناوله وهو كقوله وسقوا ماء حميما فقطع  
اعماهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب (السؤال  
الرابع) ما معنى يجرحه ولا يكاد يسيغه الجواب الجرح تناول المشروب جرعة جرعة  
على الاستمرار ويقال ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغا وأساعه اساعه واعلم أن يكاد  
فيه قولان (أحدهما) أن نفيه اثباته نفي فقوله ولا يكاد يسيغه أى ويسبغه بعد  
إبطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أى قت بعد إبطاء قال تعالى فذبحوها وما كادوا  
يفعلون يعنى فعلوا بعد إبطاء والدليل على حصول الاساعه قوله تعالى يصهر به  
ما في بطونهم والجلود ويحصل الصهر الابعد الاساعه وأيضا فان قوله يجرحه يدل على  
انهم أساعوا الشئ بعد الشئ فكيف يصح أن يقال بعده انه يسيغه البته (والقول الثاني)  
ان كاد للمقاربة فقوله لا يكاد لنفي المقاربة يعنى ولم يقارب أن يسيغه فكيف يحصل  
الاساعه كقوله تعالى لم يكديراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها فان قيل فقد ذكرت  
الدليل على حصول الاساعه فكيف الجمع بينه وبين هذا الوجه قلنا ساعه جوابان  
أحدهما ان المعنى ولا يسيغ جميعه كانه يجرح البعض وما ساع الجمع \* الثاني أن  
الدليل الذى ذكرتم انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكافر الا ان ذلك  
ليس باساعه لان الاساعه في اللغة اجراء الشراب في الحلق بقبول النفس واستطابة  
المشروب والكافر يجرح ذلك الشراب على كراهية ولا يسيغه أى لا يستطيعه ولا يشربه  
شربا بامرة واحدة وعلى هذين الوجهين يصح حل لا يكاد على نفي المقاربة والله أعلم (النوع  
الثالث) مما ذكره الله تعالى في وعيد هذا الكافر قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو  
بميت والمعنى ان موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت  
وقيل من كل جزء من أجزاء جسده (النوع الرابع) قوله ومن ورائه عذاب غليظ وفيه  
وجهان الاول ان المراد من العذاب الغليظ كونه دائما غير منقطع الثاني انه في كل وقت

عنه اذا افتتوا في دينهم كزكريا ويحيى \* ٤٣ \* خا وجرجيس وشمسون والذين قتلهم أصحاب الاخدود (وفي  
الآخرة) فلا يلعنوا اذا سلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تندسهم أهوال القيامة أو عند سؤال القبر \* روى أنه  
عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فإتبه ملكان فيجلسانه

في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبيى محمد عليه الصلاة والسلام فينادى مناد من السماء انه صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثل اتياء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبى في تفسيره اخبرنى أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العملى \* ٣٣٨ \* يقول رأيت يزيد ابن هرون في منامى بعد موته

يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله قال المفضل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد والله أعلم \* قوله تعالى (مثل الذين كفروا ربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) اعلم انه تعالى لما ذكر أنواع عذابهم في الآية المتقدمة بين في هذه الآية ان أعمالهم بأسرها تصير ضائعة باطلة لا يدفعون بشئ منها وعند هذا يظهر كمال خسارتهم لانهم لا يجدون في القيامة الا اعقاب السديد وكل ما عملوه في الدنيا وجدوه ضائعا باطلا وذلك هو الحسران الشديد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في ارتفاع قوله مثل الذين وجوه (الاول) قال سبويه التقدير وفيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا أو مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم وقوله كرماد جلة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اننى) فان الفراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا ربهم كرماد محذوف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله أعمالهم ومثله قوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه أى خلق كل شئ وكذا قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة (الثالث) أن يكون التقدير صفة الدين كفروا أعمالهم كرماد فكذلك صفة من يعرضه مصون وماله مبدول (الرابع) أن تكون أعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا والتقدير مثل أعمالهم وقوله كرماد هو الخبر (الخامس) أن يكون المثل صلة وتقديره الذين كفروا أعمالهم (المسئلة الثانية) اعلم أن وجه المسامحة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر فكذلك ههنا أن كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبر ولا أثر ثم اختلفوا في المراد بهذه الاعمال على وجوه (الاول) أن المراد منها ما عملوه من أعمال البر كالصدقة وصلة الرحم وبر الوالدين واطعام الجائع وذلك لانها تصير محبوبة باطلة بسبب كفرهم بالله والوجه في خسارتهم انهم صبروها محبوبة باطلة بسبب كفرهم واولا كفرهم لانفعوا بها (والقول الثانى) أن المراد من تلك الاعمال عبادتهم للاصنام وما تكلفوه من كفرهم الذى ظنوه ايمانا وطريقا الى الخلاص والوجه في خسارتهم انهم أتعبوا أبدانهم فيها الدهر الطويل لكي ينفعوا بها فصارت وبالاعليهم (والقول الثالث) أن المراد من هذه الاعمال كلا القسمين لانهم اذا رأوا الاعمال التى كانت في أنفسهم خيرات قد بطلت والاعمال التى ظنوها خيرات وأفتوا فيها اعمارهم قد بطلت أيضا وصارت من أعظم الموجبات لعذابهم فلا شك انه تعظم حسرتهم وندامتهم فلذلك قال تعالى ذلك هو الضلال البعيد (المسئلة الثالثة) قرئ الريح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الريح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة

فقلت ما فعل الله بك قال أتانى في قبرى ملكان فظان فقال من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء فقلت لهما ألمئلى يقال هذا وقد علمت الناس جوا بكما ثمانين سنة فذهبا (ويضل الله الطالبين) أى يخلق فيهم الضلال عن الحق انذى ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفره بدليل ما يقابله ووصفهم باظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التى فطر انسانا خلقها فلم يهتدوا الى القول الثابت أو كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن اليقظة الواضحة فلا يثبت في مواقف الغفنى ولا يهتدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون فى الايمان

الراسخون فى الايمان كما ينبت عنه الثبوت لكنه يومهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لاعتق ايقان \* وانما \* داخله تحت مالا قراره من الشجرة المضروبة مثلا (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما توجهه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل فى الموضوعين من العجامة وتربية إليها مالا يفتنى مع ما فيه من



الايدان بالتفاوت في مبداء التثبيت والاضلال فان مبداء صدور كل منهما عند سبحانه وتعالى من صفاته العلا غير ما هو مبداء صدور الآخر (المتر) تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لكل أحد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى ادراك أي ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله) أي شكر نعمته تعالى بأذى وضعوا موضعه (كفرا) عظيما وغطا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها ﴿ ٢٣٩ ﴾ سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كأهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه

وأسكنهم حرمة الآمن الذي يحيى اليه ثمرات كل سى وجعلهم قوام بيته وسرفهم بمحمد عليه الصلاة والسلام فكفروا ذلك فخطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا أذلاء مساوين النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله عنهما هم الأفجران من قر بنى بنو المعيرة و بنو أمية أما بنو المعيرة فذمتهم يوم بدر وأما بنو أمية فتعروا الى حين كأنهم حيايان ولان ما سلى من قوله عرو وجل ول تتمعوا الآية (وأحلوا) أى أنزلوا (قومهم) بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والاضلال وعدم التعرض لحلواهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار (دار البوار) دار الهلاك الذى لا هلاك وراءه (جهنم) عطف بيان

وانما السكور لم يحها قال الفراء وان سئت قلت في يوم ذى عصفوف وان شئت قلت في يوم عاصف الريح فحذف ذكر الريح لكونه مذكورا قبل ذلك وقرئ في يوم عاصف بالاضافة (المسئلة الرابعة) قوله لا يقدرين مما كسبوا على شئى أى لا يقدرين مما كسبوا على شئى منتفع به لاني الدنيا ولا في الآخرة وذلك لانه ضاع بالكلية وفسد وهذه الآية دالة على كون العبد مكتسبا لافعاله واعلم انه تعالى لما تم هذا المثال قال ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجد النظم انه تعالى لما بين ان أعمالهم تصير باطلة ضائعة بين ان ذك البطلان والاحباط انما جاء بسبب صدر منهم وهو كفرهم بالله واعراضهم عن العبودية فان الله تعالى لا يطل أعمال المخالسين ابتداء وكيف يليق بحكمته أن يفعل ذلك وانه تعالى ما خلق كل هذا العالم الاداعية الحكمة والصواب (المسئلة الثانية) قرأ حزة والكسائى خالق السموات والارض على اسم الفاعل على انه خبر أن والسموات والارض على الاضافة كقوله فاطر السموات والارض فائق الاصباح وجاعل الليل سكنا والياقون خلق على فعل الماضى السموات والارض بالنصب لانه مفعول (المسئلة الثالثة) قوله بالحق نظير لقوله في سورة بونس ما خلق الله ذلك الا بالحق ولقوله في آل عمران ربنا ما خلقنا هذا باطلا ولقوله في ص وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا أما أهل السنة فيقولون الا بالحق وهو دلالتهم على وجود الصائم وعلمه وقدرته وأما المعتزلة فقولون الا بالحق أى لم تخلق ذلك عيبا بل لغرض صحيح ثم قال تعالى ان يسأيدهمكم ويات بخلق جديد والمعنى ان من كان قادرا على خلق السموات والارض بالحق فيأن يقدر على اثناء قوم واما هم وعلى ايجاد آخرين واحيايتهم كان أولى لان القادر على الاصب الاعظم بأن يكون قادرا على الاسهل الاضعف أولى قال ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكة يريد أميتكم يا معسر الكفار وأخاق قوما خيرا منكم وأطوع منكم ثم قال وما ذلك على الله بمر رأى ممنع لما ذكرنا أن القادر على اثناء كل العالم وايجادهم بأن يكون قادرا على اثناء أشخاص مخصوصين وايجاد أمثالهم أولى وأحرى والله أعلم \* قوله تعالى (و برزوا لله جمعا هال الضعفاء الذين استكبروا وانا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدا نانا لله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيى اعلم أنه تعالى لما ذكر أصناف عذاب هؤلاء الكفار ثم ذكر عقبيه أن أعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر في هذه الآية كيفية خيالاتهم عند تمسك أتباعهم بهم وكيفية افضاحهم عندهم وهذا اشارة الى العذاب الروحاني الحاصل بسبب القضيحة والحجالة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) برز معناه في اللغة ظهر بعد الحفاء ومنه يقال للمكان الواسع البراز لظهوره وقيل في قوله وترى الارض بارزة أى ظاهرة لا يسترها سى وامرأة برزة اذا كانت تظهر للناس ويقال برز فلان على أقرانه اذا فاقهم وسببهم وأصله في الخيل اذا سبق أحدها قيل برز عليها كأنه

لها وافي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل (يصلونها) حال منها أو من قومهم أى داخلين فيها مقاسين لحرها أو استئناف لبيان كيفية الحلول أو مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسير لكن قوله تعالى قبل تمتعوا فان مصيركم الى النار أنسب بالتفسير الاول

(وَبئس القرار) على حذف المخصوص بالذم أي بئس المقرجهنم أو بئس القرار قرارهم فيما وفيه بيان أن حلولهم وصلحهم على وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معها في خبر الصلة وحكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (لله) الفرد الصمد الذي ليس كإنه شيء وهو الواجد القهار (أندادا) أشباه في التسمية أو في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشابهونهم حسبما ضلوا (عن سبيله) ﴿ ٣٤٠ ﴾ القويم الذي هو التوحيد

خرج من غمارها فظهر إذا عرفت هذا فنقول ههنا أبحاث (البحث الأول) قوله وبرزوا ورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحق فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ونظيره قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة (البحث الثاني) قد ذكرنا أن البروز في اللغة عبارة عن الظهور بعد الاستتار وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد فيه من التأويل وهو من وجوه (الأول) أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى ماذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وعلما أن الله لا يخفى عليه خافية (الثاني) أنهم خرجوا من قبورهم فبرزوا والحساب لله وحكمه (الثالث) وهو تأويل الحكماء أن النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء والوطاء وبقيت مجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله (البحث الثالث) قال أبو بكر الأصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله في الآية السابقة ومن وراثته عذاب غليظ واعلم أن قوله وبرزوا لله قريب من قوله يوم تبلى السرائر فإنه من قوة ولا ناصر وذلك لأن البواطن تطهر في ذلك اليوم والأحوال الكائنة تنكشف فإن كانوا من السعداء برزوا للحاكم الحكم بصفتهم القدسية وأحوالهم العلوية ووجوههم المشرقة وأرواحهم الصافية المستنيرة فيتملى لها نور الجلال ويعظم فيها اسراق عالم القدس فما أجل تلك الأحوال وان كانوا من الأشقياء برزوا الموقف العظيمة ومنازل الكبرياء ذليلين مهينين خاضعين خاشعين واقعين في خزي الحجالة ومذلة الفضيحة وموقف المهانة والفرغ نعوذ بالله منها ثم حتى الله تعالى أن الضعفاء يقولون للروءساء هل تقدر أن تذهب الله عنا والمعنى أنه إنما اتبعناكم لهذا اليوم ثم إن الروءساء يعترفون بالخزي والعجز والذل قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من عذاب الله من محيص ومن المعلوم أن اعتراف الروءساء والسادة والمتبوعين بمثل هذا العجز والخزي والتكال يوجب الحجالة العظيمة والخزي الكامل التام فكان المقصود من ذكر هذه الآية استيلاء عذاب الفضيحة والحجالة والخزي عليهم مع ما تقدم ذكره من سائر وجوه أنواع العذاب والعقاب نعوذ بالله منها والله أعلم (المسئلة الثانية) كتبوا الضعفاء بواو قبل الهجزة في بعض المصاحف والسبب فيه أنه كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهجزة فيميلها إلى الواو ونظيره علماء بني إسرائيل (المسئلة الثالثة) الضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبرواهم السادة والكبراء قال ابن عباس المراد أكبرهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى إنما كنا لكم تبعاً أي في الدنيا قال القراء وأكثر أهل اللغة التبع جمع تابع مثل خادم وخدم و باقرو بقرو حارس وحرس وراصد ورصد قال الزجاج وجاز أن يكون مصدراً سمي به أي كنا ذوى تبع واعلم أن هذه التبعية يحتمل أن يقال المراد منها التبعية في الكفر ويحتمل أن يكون المراد منها التبعية في أحوال الدنيا فهل أتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي هل يمكنكم دفع عذاب

ويوقعهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغير الترتيب مسح أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمته الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى إلى احلالهم دار البوار لثنية التعجب ونكريره والايذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للاضلال أمر يقضى منه العجب واوسيق النظم على نسق الوجود بل بفهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ أيضاً بالفتح وأياما كالفليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالفرص وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية (قل) تهديد الأوثان المضالين ونعيا

عليهم وايداناً بأنهم لشدة بائسهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ابرهوانهم عن ذلك بحال ﴿ الله ﴾ احفاء بأن يضرب عنهم صفحاو يعطف عنهم عنان العطف ويخلوا وانشأ عنهم ولا ينهاه عنه بل يؤمره وابعاشته مباشرة في الخلية والخذلان ومسارة إلى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم (تبعوا) بما أنتم عليه من الشهوات التي من جعلتها

كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام (فان مصيركم الى النار) ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك و يقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوارخ فهو تعليل للامر انما موروقبه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف أو قل لهم تصور الحال لهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا \* ٣٤١ \* بأنهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلو بهم

ولا ما طف بشيهم  
 ما مورون بذلك من قبل  
 أمر الشهوة مذعنون  
 لحكمه مفادون لامر  
 كدأب مأمور ساع  
 في خدمة أمر مطاع  
 فليس قوله تعالى فان  
 مصيركم الى النار حينئذ  
 تعليلا للامر بل هو  
 جواب شرط ينسحب  
 عليه الكلام كأنه قيل  
 هذه حالكم فان نعمت  
 عليه فان مصيركم الى  
 النار وفيه التهديد  
 والوعيد لاني الامر  
 (قل لبيادى الذين  
 آمنوا) خصهم بالاضافة  
 اليه تنويها لهم وتنبها  
 على أنهم المقيمون  
 لوظائف العبودية  
 الموفون بحقوقها وترك  
 العاطف بين الامرين  
 للايدان بتباين حالهما  
 باعتبار القول تهديدا  
 وتشريفا والقول ههنا  
 محذوف دل عليه الجواب  
 أي قل لهم أقيموا وأخفوا  
 (يقيموا الصلوة وينفقوا  
 مرازقناهم) أي يداوموا  
 على ذلك وفيه ايدان

الله عذا فان قيل فما الفرق بين من في قوله من عذاب الله وبينه في قوله من شيء قلنا  
 كلاهما للتبعيض بمعنى هل أنتم مضمون عنا بعض شيء هو عذاب الله أي بعض عذاب الله  
 وعند هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا انهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم وفيه  
 وجوه (الاول) قال ابن عباس معناه لو أرشدنا الله لأرشدناكم قال الواحدى معناه انهم  
 انما دعوهم الى الضلال لان الله تعالى أضلهم ولم يهدهم فدعوا أتباعهم الى الضلال  
 ولو هداهم لدعوههم الى الهدى قال صاحب الكشاف لعلمهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه  
 ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم  
 وأعلم أن المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب عن أهل القيامة فكان هذا القول منه  
 مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه (الثاني) قال صاحب الكشاف يجوز أن يكون  
 المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهدنا لهديناكم الى الإيمان وذكر  
 القاضي هذا الوجه وزيفه بان قال لا يجوز حل هذا على اللطف لان ذلك قد فعله الله  
 تعالى (والثالث) أن يكون المعنى لو خلصنا الله من العقاب وهدانا الى طريق الجنة  
 لهديناكم والدليل على أن المراد من الهدى هذا الذي ذكرناه أن هذا هو الذي التمسوه  
 وطلبوه فوجب أن يكون المراد من الهداية هذا المعنى ثم قال سواء علينا أجزعنا أم صبرنا  
 أي مستوعلينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونظيره اصبروا أو لاتصبروا سواء  
 عليكم ثم قالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب وانحيس قديكون مصدرا كالمغيب  
 والمشيب ومكانا كالبيت والمضيق ويقال حاص عنه وحاض بمعنى واحد والله أعلم \* قوله  
 تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم  
 وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم  
 ما أنا بصرخكم وما أنتم بمصرخي انى كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم  
 عذاب أليم) اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع من كفره  
 الانس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الانس فقال تعالى  
 وقال الشيطان لما قضي الامر وفي المراد بقوله لما قضي الامر وجوه (الاول) قال  
 المفسرون اذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أخذاهل النار في اوم ابليس  
 وتقر به فيقوم في النار فيما يذنبهم خطيبا ويقول ما أخبر الله عنه بقوله وقال الشيطان  
 لما قضي الامر (الثاني) ان المراد من قوله قضي الامر لما انقضت المحاسبة والقول الاول  
 أولى لان آخر أمر أهل القيامة استقرار المطيعين في الجنة واستقرار الكافرين في النار  
 ثم يدوم الامر بعد ذلك (والقول الثالث) وهو أن مذهبا ان الفساق من أهل الصلاة  
 يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا يعد أن يكون المراد من قوله لما قضي الامر ذلك  
 الوقت لان في ذلك الوقت تقطع الاحوال العترة ولا يحصل بعده الادوام ما حصل قبل  
 ذلك وأما الشيطان فالمراد به ابليس لان لفظ الشيطان لفظ مفرد فيتناول الواحد وابلليس

بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقاية مسارعتهم الى الامثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون القول  
 يقيموا وينفقوا محذوف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الخذف في قوله \* محمد ندفنفسك كل نفس \* اذا ما خفت  
 من أمر تبالا \* لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيوا وأنفقوا قد أقيما مقامهما وليس

بذلك (سراً وعلانية) متصبان على المصدر بقية من الامر المقدرا من جواب الامر المذكور أى انفقوا نفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والكون اليها كما هو صنيع الكفرة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) فيستاع المقصر ما يتلافى به تقصيره أو يفندى به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة ﴿ ٣٤٢ ﴾ بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة

رأس الشباطين ورئيسهم فحمل اللفظ عليه أولى لاسيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم بقول الكافر قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذى أضلنا فأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول أما قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ففيه مباحث (الاول) المراد أن الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وتقرر الكلام ان النفس تدعوا الى هذه الاحوال الدنيوية ولا تصور كيفية السعادات الاخروية والكمالات الفسائية والله يدعوا اليها ويرغب فيها كما قال والآخرة خير وأبقى (البحث الثاني) قوله وعد الحق من باب اضافة الشئ الى نفسه كقوله حب الحصيد ومسجد الجامع على قول الكوفيين والمعنى وعدكم الوعد الحق وعلى مذهب البصر بين يكون التقدير وعد اليوم الحق أو الامر الحق أو يكون التقدير وعدكم الحق ثم ذكر المصدر تأكيداً (البحث الثالث) في الآية اخمار من وجهين (الاول) أن التقدير ان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فأخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان ولانه ذكر في وعد الشيطان الاخلاق فدل ذلك على الصدق في وعد الله تعالى (الثاني) ان في قوله ووعدتكم فأخلفتكم الوعد يقتضى مفعولاً ثانياً وحذف ههنا العلم به والتقدير ووعدتكم أن لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب أما قوله وما كان عليكم من سلطان أى قدرة ومكنة وتسلط وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي والجنكم اليها الا أن دعوتكم أى الادعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى قال النحويون ليس الدعاء من جنس السلطان فقوله الا أن دعوتكم من جنس قولهم ما يحيتهم الا الضرب وقال الواحدى انه استثناء منقطع أى لكن دعوتكم وعندى انه يمكن أن يقال كلمة الاهمنا استثناء حقيقى لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر والقسر وتارة يكون بنقوية الداعية في قلبه بالتقاء الوسوس اليه فهذا نوع من أنواع التسلط ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تعويج أعضائه وجوارحه وعلى ازالة العقل عنه كما يقوله العوام والحشوية ثم قال فلا تلومونى ولوموا أنفسكم يعنى ما كان منى الادعاء والوسوسة وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجئ أنبياء الله تعالى فكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولى ولا تلتفتوا الى فلان رجتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا على فى هذا الباب وفى الآية مستلثان (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على أشياء (الاول) انه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب أن يقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (الثاني) ظاهر هذه الآية يدل على أن الشيطان لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تعويج أعضائه وعلى

في نفي العقد اذا انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع (ولا خلال) ولا مخالفة فيشفع له خليل أو يسأحه بما لا يفندى به نفسه او من قبل أن يأتي يوم لا أثر فيه لما لهجوا بتعاطيه من البيع والمخالفة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقه بآنفه او تذكر اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقد ان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعى الى الاتيان بما تبتغى هوائه وتدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث ان ادخار

المال وترك انفاقه انما يقع غالباً للتجار والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت ﴿ ازالة ﴾ الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والاضمة به ولا يبعد أن يكون تأكيداً لبعضهم الامر باقامة الصلاة أيضاً من حيث انتركها كثيرا ما يكون

العام ودمه اربع - - - - - وما فيها من الاجرام العلوية (والارض) وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لئلا يعلم الله تعالى  
 (السماوات) وما فيها من الاجرام العلوية (والارض) وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لئلا يعلم الله تعالى  
 وأمر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكر النعمه ﴿ ٣٤٣ ﴾ ﴿ ﴾ شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام  
 المثابرة على الشكر والطاعة

من النعم العظام والمن  
 الجسم حثا للمؤمنين  
 عليها وتقر بها للكفرة  
 المخلين بها الواضعين  
 موضعها الكفر والمعاصي  
 وفي جعل مبتدا الاسم  
 الجليل والخبر الاسم  
 الموصول بتلك الافاعيل  
 العظيمة من خلق هذه  
 الاجرام العظام وانزال  
 الامطار واخراج الثمرات  
 وما يتلوه من الآثار  
 العجيبة ما لا يخفى من  
 تربية المهابة والدلالة  
 على قوة السلطان (وانزل  
 من السماء) أي السحاب  
 فان كل ما علك سماؤا  
 من الغلك فان المطر منه  
 يتدنى الى السحاب  
 ومنه الى الارض على ما  
 دلت عليه ظواهر  
 النصوص أو من أسباب  
 سماوية تثير الاجزاء  
 الرطبة من أعماق الارض  
 الى الجوف فينعد سحابا  
 مطرا وأيا ما كان فن  
 ابتداءية (ماء) أي نوعا  
 منه هو المطر وتقديم  
 المجرور على المنصوب اما

ازالة العقل عنه كما تقول الحشوية والعوام ( الثالث ) ان هذه الآية تدل على أن  
 الانسان لا يجوز ذمه واومه وعقابه بسبب فعله غير وعند هذا يظهر أنه لا يجوز عقاب  
 اولاد الكفار بسبب كفر آبائهم أجاب بعض الاصحاب عن هذه الوجوه بأن هذا قول  
 الشيطان فلا يجوز التمسك به وأجاب الخصم عنه بأنه لو كان هذا القول مند باطلا  
 لبين الله بطلانه وأظهر انكاره وأيضا فلا فائدة في ذلك اليوم في ذكر هذا الكلام الباطل  
 والقول الفاسد ألا ترى ان قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كلام  
 حق وقوله وما كان لي عليكم من سلطان قول حق بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم  
 سلطان الا من اتبعك من العاوين ( المسئلة الثانية ) هذه الآية تدل على أن الشيطان  
 الاصلى هو النفس وذلك لان الشيطان بين انه ما أتى الا بالسوسة فلو لا الميل الحاصل  
 بسبب الشهوة والغضب والوهم والخيال لم يكن لو سوسته تأثيرا لفته فدل هذا على أن  
 الشيطان الاصلى هو النفس فان قال قائل بينوا لنا حقيقة الوسوسة قلنا الفعل انما يصدر  
 عن الانسان عند حصول أمور أربعة يترتب بعضها على البعض ترتيبا لازما طبيعيا  
 وبيانه أن أعضاء الانسان بحكم السلامة الاصلية والصلاحية الطبيعية سالحة للفعل  
 والترك والاقدام والاجام فالمل يحصل في القلب ميل الى ترجيح الفعل على الترك  
 أو بالعكس فانه يمتنع صدور الفعل وذلك الميل هو الارادة الجازمة والقصد الجازم ثم ان  
 تلك الارادة الجازمة لا تحصل الا عند حصول علم أو اعتماد أو ظن بأن ذلك الفعل سبب  
 للنفع أو سبب للضرر فان لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل الميل لالى الفعل ولا الى  
 الترك فالخاصل ان الانسان اذا أحس بشئ ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له أو بكونه  
 منافرا له أو بكونه غير ملائم ولا منافرا فان حصل الشعور بكونه ملائما ترتب عليه الميل  
 الجازم الى الفعل وان حصل الشعور بكونه منافرا له ترتب عليه الميل الجازم الى الترك  
 وان لم يحصل لاهذا ولا ذلك لم يحصل الميل لالى ذلك الشئ ولا الى ضده بل يبقى الانسان  
 كما كان وعند حصول ذلك الميل الجازم تصير القدرة مع ذلك الميل موجبة للفعل  
 اذا عرفت هذا فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة والداعي الحاصل أمر واجب  
 فلا يكون للشيطان مدخل فيه وصدور الميل عن تصور كونه خيرا أو تصور كونه شرا  
 أمر واجب فلا يكون للشيطان فيه مدخل وحصول تصور كونه خيرا أو تصور كونه  
 شرا عن مطلق الشعور بذاته أمر لازم فلا مدخل للشيطان فيه فلم يبق للشيطان مدخل  
 في شئ من هذه المقامات الا في أن يذكره شيئا بل يبقى اليه حديثه مثل ان الانسان كان  
 خافلا عن صورة امرأة فيلقى الشيطان حديثها في خاطره فالشيطان لا قدرة له الا في هذا  
 المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا أن  
 دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني يعني ما كان منى الامر هذه الدعوة فأما بقية المراتب  
 فما صدرت منى وما كان لي فيها أثر البتة \* بقي في هذا المقام سوئالان (السؤال الاول)

باعتبار كونه مبدأ انزوله أو تشريفه كما في قولك أعطاه السلطان من خزائنه ما لا أول الامر مرارا من التشويق الى المؤخر  
 ( فأخرج به ) بذلك الماء ( من الثمرات ) الفاتحة للمحصر اما لان صبيح الجوع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه  
 أر يدبفردها جعاجة البثرة التي في قولك أدركت ثمرة بستان فلان ( رزقا لكم ) تعيشون به وهو يعني

معصوم ورزاقا حالته او مصدر من اخرج بمعنى رزق اوله لبعض بدليل قوله تعالى فاخر جنسا به ممرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان ﴿ ٣٤٤ ﴾ بمشبهه عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى

بإفاضة صورها وكيفياتها على المواد المترجمة من الماء والتراب وأودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعها أنواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا أسباب ومواد كأبدع نفوس الاسباب كذلك لما أن له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يحدد فيها الاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقان أر يدبه المرزوق ومفعول به ان أر يدبه المصدر كانه قيل رزقا اياكم (ومختر لكم الفلك) بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهكم كيفية ذلك (تجربى في البحر) جريتا بعبارة انكم (بأمره) بمشبهه التي ينطبقها كل شيء وتخصيصه بالله كالتنصيب على أن ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات

كيف يعقل تمكن الشيطان من التغويز في داخل أعضاء الانسان والقاء الوسوسة اليه والجواب للناس في الملائكة والشياطين قولان (القول الاول) أن ماسوى الله بحسب القسمة العقلية على أقسام ثلاثة المتحيز والحال في المتحيز والذي لا يكون متحيزا ولا حالا فيه وهذا القسم الثالث لم يقم الدليل البتة على فساد القول به بل الدلائل الكثيرة قامت على صحة القول به وهذا هو المسمى بالارواح فهذه الارواح ان كانت طاهرة مقدسة من عالم الروحانيات القدسية فهم الملائكة وان كانت خبيثة داعية الى الشرور وعالم الاجساد ومنازل الظلمات فهم الشياطين اذا عرفت هذا فنقول فعلى هذا التقدير الشيطان لا يكون جسميا يحتاج الى الولوج في داخل البدن بل هو جوهر روحاني خبيث الفعل مجبول على الشر والنفس الانسانية أيضا كذلك فلا يبعد على هذا التقدير في أن يلقى شيء من تلك الارواح أنواعا من الوسواس والباطيل الى جوهر النفس الانسانية وذلك بعض العلماء في هذا الباب احتمالا ثانيا وهو ان النفوس الناطقة البشرية مختلفة بالنوع فهي طوائف وكل طائفة منها في تدبير روح من الارواح السماوية بعضها فنوع من النفوس البشرية تكون حسنة الاخلاق كريمة الافعال موصوفة بالفرح والبشر وسهولة الامر وهي تكون منتسبة الى روح معين من الارواح السماوية وطائفة أخرى منها تكون موصوفة بالحسنة والقوة والغلظة وعدم المبالاة بامر من الامور وهي تكون منتسبة الى روح آخر من الارواح السماوية وهذه الارواح البشرية كالاولاد لتلك الروح السماوية وكانتائج الحاصلة وكالفروع المتفرعة عليها وذلك الروح السماوية هو الذي تنولى ارشادها الى مصالحها وهو الذي يخصها بالالهامات حالى النوم واليقظة والقدماء كانوا يسمون ذلك الروح السماوية بالطباع التام ولا شك ان لتلك الروح السماوية الذي هو الاصل والينوع شعبا كثيرة ونتائج كثيرة وهي بأسرها تكون من جنس روح هذا الانسان وهي لاجل مشاكلتها ومجانستها بعين بعضها ببعض على الاعمال اللائقة بها والافعال المناسبة لطبائعها ثم انها ان كانت خيرة طاهرة طيبة كانت ملائكة وكانت تلك الامانة مسماة بالالهام وان كانت شريرة خبيثة فيجدة الاعمال كانت شياطين وكانت تلك الاطاعة مسماة بالوسوسة وذلك بعض العلماء أيضا فاحتمالا ثالثا وهو ان النفوس البشرية والارواح الانسانية اذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكلت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المارقة حدثت بين تلك النفس المارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدنا لتلك النفس المارقة فيصير لتلك النفس المارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصبح تلك النفس المارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاونة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم ان كان هذا المعنى في أبواب الخير والبركات كان ذلك الهاما وان

كما يتراعى من ظاهرا الحال (ومختر لكم الانهار) ان أر يدبها المياه العظيمة الجارية في الانهار ﴿ كان ﴾ العظيم كما يومى اليه ذكرها عند البحر فتسخرها جعلها معدة لاتنتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يستقون بها زرعهم وجنائهم وما أشبه ذلك وان أر يدبها نفس الانهار فتسخرها تيسيرها لهم (ومختر لكم

الشمس والقمر دائبين) يدان في سيرهما وانارتهما أصالة وخلافة وأصلاجهما لما يظنهما صلاحه من المكونات (وتسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلقة لناكم ومعاشكم واعقد الثمار وانهم ضاجهاذا كرسبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لثأنها وتبنيها على رفعة مكانها وتصيصالها على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق ﴿ ٣٤٥ ﴾ بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل

والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزلة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستباح ذكرها لذكر الارض المستدعى لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جلته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار أو للتفادي عن توهم كون الكل أعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما في قصة البقرة ( وأنا كم من كل ما سألتموه) أي أعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئة التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو

كان في باب الشركان وسوسة فهذه وجوه محتملة تقر بها على القول بأبواب جواهر قدسية مبرأة عن الحسبية والتخبر والقول بالارواح الطاهرة والحيثية كلام مشهور عند قدماء الفلاسفة فليس لهم أن ينكروا اثباتها على صاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وسلم وأما القول الثاني وهو ان الملائكة والشياطين لا بد وأن تكون أجساما فنقول ان على هذا التقدير يمنع أن يقال انها أجسام كثيفة بل لا بد من القول بأنها أجسام لطيفة والله سبحانه ركبها تركيبا عجيبا وهي أن تكون مع لطافتها لا تقبل التفرق والتزق والفساد والبطلان وتفوذ الاجرام اللطيفة في عمق الاجرام الكثيفة غير مستبعد ألا ترى ان الروح الانسانية جسم لطيف ثم انه نفذ في داخل عمق البدن فاذا عقل ذلك فكيف يستبعد نفوذ أنواع كثيرة من الاجسام اللطيفة في داخل هذا البدن أليس ان جرم النار يسرى في جرم الفحم وماء الورد يسرى في ورق الورد ودهن السمسم يجرى في جسم السمسم فكذا ههنا فظهر بما قررنا ان القول بأبواب الجن والشياطين أمر لا تحمليه العقول ولا تبطله الدلائل وان الاصرار على الانكار ليس الامن نتيجة الجهل وقلة الفطنة ولما ثبت ان القول بالشياطين ممكن في الجملة فنقول الاحق والاولى أن يقال الملائكة على هذا القول مخلوقون من النور والشياطين مخلوقون من الدخان والالهب كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وهذا الكلام من المشهورات عند قدماء الفلاسفة فكيف يليق بالعاقل أن يستبعد من صاحب شريعتنا صلى الله عليه وسلم ( السؤال الثاني ) لم قال الشيطان فلان لوموني ولوموا أنفسكم وهو أيضا ملوم بسبب اقدامه على تلك الوسوسة الباطلة والجواب أراد بذلك فلا تلوموني على ما فعلتم ولوموا أنفسكم عليه لانكم عدائتم عما توجبه هداية الله تعالى لكم ثم قال الله تعالى حكاية عن الشيطان انه قال ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي وفيه مسألان (المسئلة الاولى) قال ابن عباس يريد بغيرتكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي المصرخ المستغيث والمصرخ الغيث يقال صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثا وأصرخه اغثته ( المسئلة الثانية ) قرأ جزة بمصرخي بكسر الياء قال الواحدى وهي قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال القراء ولعلها من وهم القراء فانه قل من سلم منهم عن الوهم ولعله ظن ان الياء في قوله بمصرخي خافضة لجملة هذه الكلمة وهذا خطأ لان الياء من المتكلم خارجة من ذلك قال ومما نرى انهم وهموا فيه قوله نوله ماتولى ونصله جهنم يجزم الهاء ظنوا والله أعلم ان الجزم في الهاء وهو خطأ لان الهاء في موضع نصب وقد يجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه ومن النحويين من تكلف في ذكر وجه لصحة الآن الاكثرين قالوا انه لحن والله أعلم ثم قال تعالى حكاية عنه انى كفرت بما أشركتمونى من قبل وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ما في قوله انى كفرت بما أشركتمونى من قبل فيه قولان (الاول) انها مصدرية والمعنى كفرت بأشراككم اياى مع الله تعالى في الطاعة والمعنى

آنا كم من كل ذلك ما احتجتم اليه ﴿ ٤٤ ﴾ خا ونبطه بانتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من لبيان وكلمة كل للتأشير كقولك فلان يعلم كل شئ وأناة كل الناس عليه قوله عز وجل فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقيل الاصل وأناكم من كل

ما سألوه وما لم تسالوه فخذف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرئ بنون كل على أن ما نافية ومحل ما سألوه نصب على  
الحالية أي آتاكم من كل غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله التي أنعم بها عليكم لا تحصوها) لا تطيقوا بحصرها ولو اجابا  
فانها غير متناهية وأصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينان عقود الاعداد ووضع حصة ليحفظ بها فقيه ايدان  
بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا ﴿ ٣٤٦ ﴾ عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس

انه حقد ما كان يعتقد أو تلك الاتباع من كون ابليس شريكه تعالى في تدبير هذا العالم  
وكفر به أو يتكون المعنى انهم كانوا يطيعون الشيطان في أعمال الشرك كما كانوا قد يطيعون  
الله في أعمال الخير وهذا هو المراد بالاشراك (والثاني) وهو قول الفراء ان المعنى ان ابليس  
قال اني كفرت بالله الذي أشركتموني به من قبل كفركم والمعنى انه كان كفره قبل كفر أولئك  
الاتباع ويكون المراد بقوله ما في هذا الموضوع من والقول هو الاول لان الكلام انما  
ينظم بالتفسير الاول ويمكن أن يقال أيضا الكلام منتظم على التفسير الثاني والتقدير  
كأنه يقول لا تأثروا وسوسى في كفركم بدليل اني كفرت قبل ان وقعتم في الكفر وما كان  
كفرى بسبب وسوسة أخرى والالزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شئ  
آخر سوى الوسوسة وعلى هذا التقدير ينظم الكلام أما قوله ان الظالمين لهم عذاب أليم  
فالظاهر انه كلام الله عز وجل وأن كلام ابليس تم قبل هذا الكلام ولا يعد أيضا أن يكون  
ذلك من بقية كلام ابليس قطعاً لا طمعاً أو تلك الكفار عن الاعانة والاعانة والله أعلم

\* قوله تعالى ( وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها بأذن ربهم يحيتهم فيها سلام ) وفيه مسثلتان المسئلة (الاولى) اعلم انه تعالى لما  
باغ في شرح أحوال الاشقياء من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وقد عرفت  
ان الثواب يجب أن يكون منعمة خاصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخاصة اليها  
الاشارة بقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار  
وكونها دائمة أشير اليه بقوله خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين أحدهما ان تلك المنافع  
انما حصلت بأذن الله تعالى وأمره والثاني قوله يحيتهم فيها سلام لان بعضهم يحيى بعضا  
بهذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام  
عليكم والرب الرحيم يحييهم أيضا بهذه الكلمة كما قال سلام قولاً من رب رحيم واعلم  
السلام مشتق من السلامة والظاهر ان المراد انهم سلموا من آفات الدنيا وحسراتها  
أو فتن الآمها وأسقامها وأنواع غمها وهمومها وما أصدق ما قالوا فان السلامة من  
مخن عالم الاجسام الكائنة الفاسدة من أعظم النعم لاسيما اذا حصل بعد الخلاص منها  
الفوز بالهجرة الروحانية والسعادة الملكية (المسئلة الثانية) قرأ الحسن وأدخل الذين  
آمنوا على معنى وأدخلهم أنا وعلى هذه القراءة قوله بأذن ربهم متعلق بما بعده أي يحييهم  
فيها سلام بأذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم بأذن ربهم \* قوله تعالى ( ألم تر كيف ضرب  
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين  
بأذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة  
اجتثت من فوق الارض مالهسا من قرار ) اعلم انه تعالى لما شرح أحوال الاشقياء  
وأحوال السعداء ذكر مثلا لابين الحال في حكم هذين القسمين وهو هذا المثل وفيه مسائل  
(المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة

وان كان في أقصى مراتب  
الفقر والافلاس ممنوا  
بأصناف العنايا مبلى  
بأنواع الرزاق فهو بحيث  
لوتأملته ألفتته متقلبا  
في نعم لا تحصى ومن لا تحصى  
ولا تعد كأنه قد أعطى  
كل ساعة وأن من النعماء  
ما حواه حيطه الامكان  
وان كنت في ريب من  
ذلك فقد رأته ملك  
ملك أقطار العالم  
ودانت له كافة الامم وأذ  
صنت اطاعته السراة  
وخضعت لهيته رقاب  
العتاة وفاز بكل مرام  
ونال كل منال وحاز جمع  
ما في الدنيا من أصناف  
الاموال من غير نديزاجة  
ولاشريك يساهمه بل  
قدر أن جمع ما فيها من  
حجر ومدر يواقيت غالية  
ونفائس درر ثم قدر أنه  
قد وقع من فقد مشروب  
أو مطعم في حاله بلغت  
نفسه الخلقوم فهل  
يشترى وهو في تلك  
الحال بجميع ماله من  
الملك والمال لقمه تجبه

عن رواه أو شربة ترويه من ظمأ أم يختار الهلاك فذهب الاموال والاملاك بغيره بدل ينقي عليه ولا نفع ﴿ بها ﴾  
يعود اليه كلابل يبدل لذلك كل ما تحويه اليدان كأنها ما كان وليس في صفتها شأبة الخسران فاذا نزلت الاقمة والشربة  
خير مما في الدنيا بالف ربه مع انها في طرف الثمام يتاله ما متي شاء



من الليالي والايام أو قدراته قد احتسب عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولى والحين قد حان وأناه الموت  
من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لأبه حامد فاذن هو خير من أموال الدنيا بجملتها  
ومطالبها برمتها مع أنه قد أصبح له كل أن من آيات الليالي والايام حال اليقظة والنام هذا من الظهور والجلاب حيث لا يكاد  
يخفى على أحد من العقلاء وان رمت العشور ﴿ ٣٤٧ ﴾ على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السرود في عالم

ان الانسان بمقتضى  
حقيقته الممكنة بمعرل عن  
استحقاق الوجود وما  
يتبعه من الكمالات  
اللائقة والملكات الراقية  
بحيث لو انقطع ما بينه  
وبين العناية الالهية  
من العلاقة لما استقر له  
القرار ولا اطمانت به  
الدار الا في مطهورة العدم  
والبورومهاوى الهلاك  
والدمار لكن بفيض عليه  
من الجناح الاقدس تعالى  
شأنه وتقدس في كل زمان  
يمضي وكل أن يمر وينقضي  
من أنواع الفيوض  
المتعلقة بذاته ووجوده  
وسائر صفاته الروحانية  
والنفسانية والجمانية  
مما لا يحيط به نطاق التعبير  
ولا يعطيه الا العليم الخبير  
وتوضيحه أنه كما لا يستحق  
الوجود ابتداء لا يستحقه  
بقاء وانما ذلك من جناب  
المبدى الاول عز وجل  
فكما لا يتصور وجوده  
ابتداء ما لم يسد عليه  
جميع أنحاء عدمه الاصلى  
لا يتصور بقاءه على  
الوجود بعد تحققه بعلته

بها ( فالصفة الاولى ) لتلك الشجرة كونها طيبة وذلك يحتمل أموراً أحدها كونها طيبة  
المنظر والصورة والشكل وثانيها كونها طيبة الرائحة وثالثها كونها طيبة الثمرة يعنى  
ان الفواكه المتولدة منها تكون لذيدة مستطابة ورابعها كونها طيبة بحسب المنفعة يعنى  
انها كما يستلذ بها كلها كذلك يعظم الانتفاع بها ويجب حمل قوله شجرة طيبة على مجموع  
هذه الوجوه لان اجتماعها يحصل كمال الطيب ( والصفة الثانية ) قوله أصلها ثابت أى  
راسخ باق آمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والغناء وذلك لان الشيء الطيب اذا كان  
في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان كان يحصل الفرح بسبب وجدانه الا أنه يعظم  
الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه أما اذا علم من حاله انه باق دائم لا يزول  
ولا يتقضى فانه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به ( والصفة الثالثة )  
قوله وفرعها في السماء وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين الاول  
ان ارتفاع الاغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثاني  
انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذورات الابنية  
فكانت ثمراتها نقية طاهرة طيبة عن جميع السوائب ( والصفة الرابعة ) قوله تؤتى أكلها  
كل حين باذن ربها والمراد ان الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة وهي  
ان ثمراتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الاوقات ولا تكون مثل الاشجار التي  
يكون ثمارها حاضرة في بعض الاوقات دون بعض فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله  
تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة ان الرغبة في تحصيل مثل هذه  
الشجرة يجب أن تكون عظيمة وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فانه لا يجوز له  
أن يتغافل عنها وأن ينسأ في الفوز بها اذا عرفت هذا فنقول معرفة الله تعالى  
والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات الاربع  
أما الصفة الاولى وهي كونها طيبة فهي حاصلة بل نقول لا طيب ولا لذية في الحقيقة  
الاهية المعرفة وذلك لان اللذة الحاصلة بذناول الفا كهيئة العينة انما حصلت لان ادراك  
تلك الفا كهيئة أمر ملائم لزاج البدن فلاجل حصول تلك الملازمة والمناسبة حصلت تلك  
اللذة العظيمة وههنا الملائم لجوهر النفس النطقية والروح القدسية ليس الامعرفة الله  
تعالى ومحبته والاستغراق في الاتيهاج به فوجب أن تكون هذه المعرفة لذيدة جدا بل نقول  
اللذة الحاصلة من ادراك الفا كهيئة يجب أن تكون أقل حالا من اللذة الحاصلة بسبب  
اشراق جوهر النفس بمعرفة الله وبيان هذا التفاوت من وجوه ( أحدها ) ان المدركات  
المحسوسة انما تصير مدركة بسبب ان سطح الحاس يلاق سطح المحسوس فقط فاما أن يقال  
ان جوهر المحسوس نفذ في جوهر الحاس فليس الامر كذلك لان الاجسام يمتنع تداخلها  
أما ههنا معرفة الله تعالى وذلك النور وذلك الاشراق صار ساريا في جوهر النفس متحداه  
وكان النفس عند حصول ذلك الاشراق تصير غير النفس التي كانت قبل حصول ذلك

ما لم يسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارى لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وأنت خير  
بأن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علاه وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي  
مادخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست

كذلك اذلاستحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارترفاع تلك الموانع التي لا تنتهي أعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في نفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لاداءه وكذلك الحال في وجودات هله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل آن نعمالاتنهاى من وجوه شتى فسبحانك ﴿ ٣٤٨ ﴾ - سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك العيون

الاشراق فهذا فرق عظيم بين البابين (والوجه الثاني) في الفرق ان في الالذاذبالفا كهمة المدرك هو القوة الذائفة والمحسوس هو الطعم المخصوص وههنا المدرك هو جوهر النفس القدسية والمعلوم والمشعور به هو ذات الحق جل جلاله وصفات جلاله واكرامه فوجب ان تكون نسبة احدي اللذتين الى الاخرى كنسبة احد المدركين الى الآخر (الوجه الثالث) في الفرق ان اللذات الحاصلة بتناول الفا كهمة الطيبة كلما حصلت زالت في الحال لانها كيفية سريعة الاستحالة شديدة التغير اما كمال الحق وجلاله فانه ممتنع التغير والتبدل واستعداد جوهر النفس لقبول تلك السعادة أيضا ممتنع التغير فظهر الفرق العظيم من هذا الوجه واعلم ان الفرق بين النوعين يقرب أن يكون من وجوه غير متناهية فليكتف بهذه الوجوه الثلاثة تنبيهها للعقل السليم على سائرها وأما الصفة الثانية وهي كون هذه الشجرة ثابتة الاصل فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل وذلك لان عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والقضاء وأيضا مدد هذا الرسوخ انما هو من تجلي جلال الله تعالى وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نورالنور ومبدأ الظهور وذلك بما يمتنع عقلا زواله لانه سبحانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته والتغير والقضاء والتبدل والزوال والتحلل والنم محال في حقه فثبت ان الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الاصل ليست الا هذه الشجرة (الصفة الثالثة) لهذه الشجرة كونها بحيث يكون فرعها في السماء واعلم ان شجرة المعرفة اهما أغصان صاعدة في هواء العالم الالهى وأغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني اما النوع الاول فهي أقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام التعظيم لامر الله و يدخل فيه التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الارواح وفي عالم الاجسام وفي احوال عالم الافلاك والكواكب وفي احوال العالم السفلى و يدخل فيه محبة الله تعالى والشوق الى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى والانعطاع بالكلية هما سوى الله تعالى والاستقصاء في ذكر هذه الاقسام غير مطروح فيه لانها احوال غير متناهية وأما النوع الثاني فهي أقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام والشفقة على خلق الله و يدخل فيه الرحمة والرافة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في ايصال الخير اليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة بالاحسان وهذه الاقسام أيضا غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فان الانسان كلما كان أكثر توغلا في معرفة الله تعالى كانت هذه الاحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل (وأما الصفة الرابعة) فهي قوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها فهذه الشجرة أولى بهذه الصفة من الاشجار الجسمانية لان شجرة المعرفة موجبة لهذه الاحوال ومؤثرة في حصولها والسبب لا ينفك عن المسبب فائر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبرة كما قال فاعتبروا يا أولى

بأنظارهم ولا تطالعك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهاى واحسانك لا يتساهاى ونحن في معرفتك حايرون وفي اقامة مراسم شرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك لا اله الا أنت نستغفرك ونتوب اليك (ان الانسان اظلموم) يظلم النعمة باغفال شكرها أو بوضعها اياها في غير موضعها أو بظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلموم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع وينع واللام في الانسان الجحس ومصدق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من أفراده و يدخل في ذلك الذي بدلوا نعمة الله بكفرا الخ دخول أوليا (واذ قال ابراهيم) أي واذا كروقت قوله

عليه الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره تذكيره ما وقع فيه من مقالته عليه السلام على نهج ﴿ الابصار ﴾ التفصيل والمراد به تذكيره ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جنائياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث أسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة



فدحكي بجملة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لما سكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر وجمعت تقول إلى من تكلمنا في هذا البلقع وهو لا يريد عليها جوابا حتى قالت الله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى أفاض نوى على نذية كداء أقبل على الوادي \* ٣٥٠ \* فقال ربنا اني أسكنت الآية وإنما فصل

رجل إلى ابن عباس فقال نذرت ان لأأكل من أختي حتى حين فقال حين ستة أشهر وتلاقوه تعالى توتى أكلها كل حين وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام إلى العام تحمل الثمرة وقال سعيد بن المسيب شهران لان مدة اطعام الخلة شهران وقال الزجاج جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهبون إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أم قصرت والمراد من قوله توتى أكلها كل حين انه ينتفع بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا أو نهارا أو شتاء أو صيفا قالوا والسبب فيه ان الخلة اذا تركوا عليها الثمر من السنة إلى السنة انتفعوا بها في جميع أوقات السنة وأقول هؤلاء وان أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآيات الا انهم بعدوا عن ادراك المقصود لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ولا حاجة بنا إلى ان تلك الشجرة هي الخلة أم غيرها فاننا علم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وتملكها وادخالها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن لان هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل واختلافهم في تفسير الحين أيضا من هذه الباب والله أعلم بالأمور ثم قال وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون والمعنى ان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني وذلك لان المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يساوي بهما من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق العقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب وأما قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الارض مالها من قرار فاعلم ان الشجرة الخبيثة هي الجهل بالله فانه أول الآفات وعنوان الخافات ورأس الشقاوات ثم انه تعالى شبهها بشجرة موصوفة بصفات ثلاثة (أولها) انها تكون خبيثة فذهبهم من قال انها اليوم لانه صلى الله عليه وسلم وصف الثوم بأنها شجرة خبيثة وقيل انها الكراث وقيل انها شجرة الخنظل لكثرة ما يئبها من المضار وقيل انها شجرة الشوك واعلم ان هذا التفصيل لا حاجة اليه فان الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة وقد تكون بحسب الطعم وقد تكون بحسب الصورة والمنظر وقد تكون بحسب اشمالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وان لم تكن موجودة الا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعا في المطلوب (والصفة الثانية) قوله اجثت من فوق الارض وهذه الصفة في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجثت استوصلت وحققة الاجثت أخذ الجثة كلها وقوله من فوق الارض معناه ليس لها أصل ولا عرق فكذلك الشرك بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا قوة (والصفة الثالثة) قوله مالها من قرار وهذه الصفة كالمتممة للصفة الثانية والمعنى انه ليس لها استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت واعلم ان هذا المثل في صفة الكامة الخبيثة في غاية الكمال وذلك لانه

ما بينهما تثنية تلامتان وايدانا بأن كلامها نعمة جليلة مستبحة لشكر كثير كافي قصة البقرة (واجنبي ونبي) بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) وأجعلنا منها في جانب بعيد أي تبنتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملتقيا لاسلام والبعث عن عبادة الاصنام وقرئ وأجنبي من الافعال وهمالفة اهل نجد يقولون جنبي شره وأجنبي شره وأما أهل الحجاز فيقولون جنبي شره وفيه دليل على أن عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد بنيه أولاده الصليبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على أن أحدا من أولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر البيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدور فاستحب

أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع ﴿ تعالى ﴾ تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه (ربانين) أي الاصنام (أضلائ كثيران الناس) أي تسيين له كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء اظهارا لاعتناؤه به ورغبة في استجابته (فن تبني) منهم فيما أدعوا اليه من

التوحيد وطلاة الاسلام ( فانه مني ) أي بمعنى قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في أمر الدين ( ومن عصاني ) أي لم يذبني والتعبير عنه بالعصيان للايدان بأنه عليه السلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لانه لم يبلغه الدعوة ( فانك غفور رحيم ) قادر على أن تغفر له وترحه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل ذنب فله تعالى ﴿ ٣٥١ ﴾ أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق

بينه وبين غيره ( ربنا )  
آثر عليه السلام ضمير  
الجماعة لا لما قيل من تقدم  
ذكره وذكر بنيه والاراعاه  
في قوله رب انهن الخ  
بل لان الدعاء المصدر به  
وما أورده بصدد تمهيد  
مبادئ اجابته من قوله  
اجا بته من قوله  
( اني أسكنت ) الآية  
متعلق بذريته فالتعرض  
لوصف ربوبيته تعالى  
لهم أدخل في القبول  
واجابة المسؤل ( من ذريتي )  
أي بعضهم أو ذرية  
من ذريتي فحذف المفعول  
وهو اسمعيل عليه السلام  
وما سيولد له فان اسكانه  
حيث كان على وجه  
الاطمئنان متضمن  
لاسكانهم روي أن هاجر  
أم اسمعيل عليه السلام  
كانت لسارة فوهبتها  
من ابراهيم عليه السلام  
فلما ولدت له اسمعيل  
عليه السلام غارت  
عليهما فشا شدته  
أن يخرجهما من عندها  
فأخرجهما الى أرض مكة  
فأظهر الله تعالى عين زمزم

تعالى بين كونها موصوفة بالمضار الكثيرة وخالية عن كل المنافع أما كونها موصوفة بالمضار فإليه الإشارة بقوله خبيثة وأما كونها خالية عن كل المنافع فإليه الإشارة بقوله اجتمعت من فوق الأرض مالها من قرار والله اعلم \* قوله تعالى ( بنيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ) اعلم انه تعالى لمساين ان صفة الكلمة الطيبة أن يكون أصلها ثابتا وصفة الكلمة الخبيثة أن لا يكون لها أصل ثابت بل تكون منقطعة ولا يكون لها قرار ذكر ان ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم وثبات ثوابه عليهم والمقصود بيان ان الثبات في المعرفة والطاعة يوجب اسباب في الثواب والكرامة من الله تعالى فقوله يثبت الله أي على الثواب والكرامة وقوله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي بالقول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا ثم قال ويضل الله الظالمين يعني كان الكلمة الخبيثة ما كان لها أصل ثابت ولا فرع باسق فكذلك أصحاب الكلمة الخبيثة وهم الظالمون يضلهم الله عن كراماته ويمنعهم عن الفوز بثوابه وفي الآية قول آخر وهو القول المشهور ان هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثنيته اياه على الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال حين يقال له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من الباء في قوله بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو انه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لاله الا الله وعلى التأمل في حقائقها ودقائقها أكثر وأتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبت الله عليها في قبره ويلقنه اناها وانما فسر الآخرة ههنا بالثبوت لان الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة وقوله ويضل الله الظالمين يعني ان الكفار اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري وانما قال ذلك لان الله أضله وقوله ويفعل الله ما يشاء يعني ان شاء هدى وان شاء أضل ولا اعتراض عليه في فعله البتة \* قوله تعالى ( ألم الى تر الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبنس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ) اعلم انه تعالى عاد الى وصف أحوال الكفار في هذه الآية فقال ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا نزل في أهل مكة حيث أسكنهم الله تعالى حرمة الأمن وجعل عيشهم في السعة وبعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ثم انه تعالى حكى عنهم أنواعا من الاعمال القبيحة ( النوع الاول ) قوله بدلوا نعمت الله كفرا وفيه

( بواد غير ذي زرع ) لا يكون فيه زرع أصلا وهو وادي مكة شر فها الله تعالى ( عند بيتك ) ظرف لا أسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لانه صفة لو ادى أو بدل منه اذا المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادئه بالمره لمحض التقرب الى الله تعالى والاتجاه الى جواره الكريم كإني عنده التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة اللها وعصيته عن المكاره في قوله تعالى ( المحرم ) حيث حرم التبرؤ له والتهاون به أو لم

يزل معظما ممنهاها به الجبارة في كل خضرا ومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عثقا وتسمية اذذاك  
 يتا ولم يكن له بناء وانما كان نشرا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ماسيول  
 اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه يترزع الى اعتبار عنوان الحرمه أيضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل  
 فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف ﴿ ٣٥٢ ﴾ في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة

البقرة بفضل الله تعالى  
 (ربنا ليقيموا الصلاة)  
 متوجهين اليه متبركين به  
 وهو متعلق بأسكنت  
 وتخصيصها بالذكر  
 من بين سائر شعائر الدين  
 لفضلها وتكرير النداء  
 وتوسيطه لانه يراه كال  
 العناية باقامة الصلاة  
 والاهتمام بعرض  
 أن الغرض من اسكانهم  
 بذلك الوادي البقم ذلك  
 المقصد الاقصى والمطلب  
 الاسنى وكل ذلك لتمهيد  
 مبادئ اجابته دعائه واعطاء  
 مسؤله الذي لا يتسنى ذلك  
 المرام الا به ولذلك أدخل  
 عليه الغاء فقال (فاجعل  
 أفئدة من الناس) أي أفئدة  
 من أفئدتهم فمن للتبعيض  
 ولذلك قيل لو قال أفئدة  
 الناس لازدحت عليهم  
 فارس والروم وأما ما زيد  
 عليه من قولهم ولججت  
 اليهود والنصارى فغير  
 مناسب للمقام اذا المسؤل  
 توجيه القلوب اليهم  
 لمساكنة معهم لا توجيهها  
 الى البيت للحج والاقبل  
 نهوى اليه فانه عين الدعاء

وجوه (الاول) يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر  
 بسبب تلك النعم أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا (والثاني)  
 أنهم بدلوا نفس نعمة الله كفرا لانهم لما كفروا سلب الله تلك النعمة عنهم فبقى الكفر  
 معهم بدلا من النعمة (الثالث) انه تعالى أنعم عليهم بالرسول والقرآن فاختراروا الكفر على  
 الايمان (والنوع الثاني) ما حكي الله تعالى عنهم قوله وأحلوا قومهم دار البوار وهو  
 الهلاك يقال رجل بأرو قوم بورومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا وأراد بدار البوار جهنم  
 بدليل انه فسرها بجهنم فقال جهنم يصلونها وبئس القرار أي المقر وهو مصدر سمي به  
 (النوع الثالث) من أعمالهم القبيحة قوله وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله وفيه  
 مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما حكي عنهم انهم بدلوا نعمة الله كفرا ذكر انهم بعد  
 أن كفروا بالله جعلوا له أندادا والمراد من هذا الجمل الحكم والاعتقاد والقول والمراد  
 من الانداد الاشياء والشركاء وهذا الشرك يحتمل وجوها أحدها انهم جعلوا للاصنام  
 حضا فيما أنعم الله به عليهم نحو قولهم هذا لله وهذا لشركائنا وثانيها انهم شركوا بين  
 الاصنام وبين خالق العالم في العبودية وثالثها انهم كانوا يصرحون بآيات الشرك كما لله  
 وهو قولهم في الحج ليك لا سرك لك الا شريك هولاك تملكه وما ملك (المسئلة الثانية) قرأ  
 ابن كثير وابوعمر و ليضلوا بفتح الياء من ضل يضل والباقون بضم الياء من أضل غيره  
 يضل (المسئلة الثالثة) اللام في قوله ليضلوا عن سبيله لام العاقبة لان عبادة الاوثان سبب  
 يؤدي الى الضلال ويحتمل أن تكون لام كي أي الذين اتخذوا الوثن كي يضلوا غيرهم هذا  
 اذا قرئ بالضم فانه يحتمل الوجهين واذا قرئ بالنصب فلا يحتمل اللام العاقبة لانهم  
 لم يريدوا ضلال أنفسهم وتحقيق القول في لام العاقبة ان المقصود من الشيء لا يحصل  
 الا في آخر المراتب كما قيل أول الفكر آخر العمل وكل ما حصل في العاقبة كان شيئا  
 بالامر المقصود في هذا المعنى والمشابهة أحد الامور المحمجة لحسن المجاز فلهذا السبب  
 حسن ذكر اللام في العاقبة ولما حكي الله تعالى عنهم هذه الانواع الثلاثة من الاعمال  
 القبيحة قال قل تمتعوا فان مصيركم الى النار والمراد ان حال الكافر في الدنيا كيف كانت  
 فانها بالنسبة الى ماسيصل اليه من العقاب في الآخرة تمتع ونعيم فهذا المعنى قال قل  
 تمتعوا فان مصيركم الى النار أيضا ان هذا الخطاب مع الذين حكي الله عنهم انهم بدلوا نعمة  
 الله كفرا فأولئك كانوا في الدنيا في نعم كثيرة فلا جرم حسن قوله تعالى قل تمتعوا  
 فان مصيركم الى النار وهذا الامر يسمى أمر التهديد ونظيره قوله تعالى اعلموا ما شئتم  
 وكوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ﴿ قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا  
 بقموا الصلاة وبنفقوا مآثرناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال)  
 اعلم انه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا أمر  
 المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال وفيه مسائل

بالبلدية قد حكي بعبارة أخرى كما مر أو لا ابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ﴿ المسئلة ﴾  
 ناس وقرئ أفئدة على القلب كآدر في أدور أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أي مجلت أي جاعة من الناس  
 في أفئدة بطرح الهمزة من الأفئدة أو على التعت من أفد (نهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ

على البناء للمفعول من أهواء غيره ونهوى من باب علم أى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والتزوع وأول آثاره الدعوة ماروى أنه مرت رقة من جرهم تريد الشام فأروا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر اعانف على الماء فأشرفوا فآذاهم بها جرفوا والها ان شئت كتامعك وآسنك والماء ماوك فأذنت لهم وكانوا معها الى أن شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج ﴿ ٢٥٣ ﴾ اسمعيل منهم كما هو المشهور (وارزقهم) أى ذريتي الذين أسكتهم هناك

أومع من يتجاز اليهم من الناس وانما يخص الدعا بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم باق واليوم الآخرا كنفاه بذكرا قامة الصلاة (من الثمرات) من أنواعها بأن يجعل يقرب منه قري يحصل فيها ذلك أو يجبي اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد \* روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري رضى الله عنه أنه تعالى نقل قرية من قري الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه

(المسئلة الالى) قرأ حرة والكسائى لعبادى بسكون الياء والباقون بفتح الياء لالتقاء الساكنين فحرك الى النصب (المسئلة الثانية) في قوله يقيموا وجهان الاول يجوز أن يكون جوبا بالامر محذوف هو المقول تقديره قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا بقياموا الصلاة وينفقوا الثاني يجوز أن يكون هو أمرا مقولا محذوفا منه لام الامر أى ليقموا كقولك قل زيد ليضرب عمرا وانما جاز حذف اللام لان قوله قل عوض منه وأو قيل ابتداء بقياموا الصلاة لم يجز (المسئلة الثالثة) ان الانسان بعد الفراغ عن الايمان لا قدرته على التصرف فى شئ الا فى نفسه أو فى ماله أما النفس فيجب شغلها بخدمة المعبود فى الصلاة وأما المال فيجب صرفه الى البذل فى طاعة الله تعالى فهذه الثلاثة هى الطاعات المعنوية وهى الايمان والصلاة والزكاة وتام ما يجب أن يقال فى هذه الامور الثلاثة ذكرناه فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة الآية تدل على أن الرزق لا يكون حراما لان الآية تدلت على ان الانفاق من الرزق ممدوح ولا شئ من الانفاق من الحرام بمدوح فينتج ان الرزق ليس بحرام وقدم تقرير هذا الكلام مرارا (المسئلة الخامسة) فى انتصاب قوله سر او علانية وجوه أحدها أن يكون على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرى ومعلنين وثانيها على الظرف أى وقت سر وعلانية وثالثها على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمراد اخفاء التطوع واعلان الواجب واعلم انه تعالى لما أمر باقامة الصلاة وابتداء الزكاة قال من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال قال أبو عبيدة السبع ههنا العدا والمخاللة وهو مصدر من خالت خلا لا ومخاللة وهى المصادفة قال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة فكأنه تعالى يقول أنفقوا أو والكه فى الدنيا حتى يجردوا ثواب ذلك الانفاق فى مثل هذا اليوم الذى لا تحصل فيه مبايعة ولا مخاللة ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة البقرة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فان قيل كيف نفي المخاللة فى هاتين الآيتين مع انه تعالى أثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلنا الآية الدالة على نفي المخاللة محمولة على نفي المخاللة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على ثبوت المخاللة محمولة على حصول المخاللة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى والله أعلم \* قوله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم النهار والليل وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان اظلموم كفار) اعلم انه لما أطال اللام فى وصف أحوال السعداء وأحوال الاشقياء وكانت العمدة الضمى والمثالة الكبرى فى حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته وفى حصول الشقاوة فقد ان هذه المعرفة لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء

السلام (لعلهم يشكرون) تلك ﴿ ٤٥ ﴾ خا التعمه باقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام فى لقياموا الامر والمراد أمرهم باقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء فى قوله تعالى فاجعل الخ وفى دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستئزال الرحمة واستحلاب الرأفة بالابتنى فإنه عليه السلام بذكر كون

الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤل و بذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم أشار الى أن جوارا الكريم يستوجب افاضة النعيم و بعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض افاضة الصلاة و أداء حقوق البيت مهدج مع مبادئ اجابة السؤال و لذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول (ربنا انك تعلم ما نخفي و ما نعلن) من الحاجات و غيرها و المراد بما نخفي \* ٣٥٤ \* ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء أو لا

والاشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع و كمال علمه و قدرته و ذكر ههنا عشرة أنواع من الدلائل أولها خلق السموات و ثانيا خلق الارض و اليهما الاشارة بقوله تعالى الله الذي خلق السموات و الارض و ثالثها قوله و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزق لكم و رابعها قوله و نخز لكم الفلك لتجري في البحر بأمره و خامسها قوله و نخز لكم الانهار و سادسها و سابعا قوله و نخز لكم الشمس و القمر دابيين و ثامنها و تاسعها قوله و نهر لكم الليل و النهار و عاشرها قوله و آتاكم من كل ما سألتوه و هذه الدلائل العشرة قد مر ذكرها في هذا الكتاب و تقريرها و تفسيرها مراراً و أطواراً و لا بأس بأن نذكر ههنا بعض الفوائد فاعلم ان قوله تعالى الله مبتدأ و قوله الذي خلق خبره ثم انه تعالى بدأ بذكر خلق السموات و الارض و قد ذكرنا في هذا الكتاب أن السماء و الارض من كم وجه تدل على وجود الصانع الحكيم و انما بدأ بذكرهما ههنا لانهما هما الاصلان اللذان يتفرع عليهما سائر الأدلة المذكورة بعد ذلك فانه قال بعده و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزق لكم و فيه مباحث (الاول) لولا السماء لم يصح انزال الماء منها و لولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه فظهر انه لا بد من وجودهما حتى يحصل هذا المقصود و هذا المطلوب (البحث الثاني) قوله و أنزل من السماء ماء و فيه قولان (الاول) أن الماء نزل من السحاب و سمي السحاب سماء اشتقاقاً من السمو وهو الارتفاع و الثاني انه تعالى أنزله من نفس السماء و هذا بعيد لان الانسان ربما كان واقفاً على قله جبل عال و يرى الغيم أسفل منه فإذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم مطراً عليهم و اذا كان هذا أمراً مشاهداً بالبرص كان النزاع فيه باطلاً (البحث الثالث) قال قوم انه تعالى أخرج هذه الثمرات بواسطة هذا الماء المنزل من السماء على سبيل العادة و ذلك لان في هذا المعنى مصلحة للمكلفين لانهم اذا علموا ان هذه المنافع القليلة يجب أن تتحمل في تحصيلها المشاق و المتاعب فللنفع العظيمة الدائمة في الدار الآخرة أولى ان تتحمل المشاق في طلبها و اذا كان المرء يترك الراحة و اللذة طلباً لهذه الخيرات الحثيرة فبأن يترك اللذات الدنيوية ليفوز بثواب الله تعالى و يتخلص عن عقابه أولى و لهذا السبب لم يزال التكليف في الآخرة أنال الله تعالى كل نفس مشتتها من غير تعب و لا نصب هذا قول المتكلمين و قال قوم آخرون انه تعالى يحدث الثمار و الزروع بواسطة هذا الماء النازل من السماء و المسئلة كلامية محمضة و قد ذكرناها في سورة البقرة (البحث الرابع) قال أبو مسلم لفظ الثمرات يقع في الاغلب على ما يحصل على الاشجار و يقع أيضاً على الزروع و النبات كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر و آتوا حقه يوم حصاده (البحث الخامس) قال تعالى فأخرج به من الثمرات رزق لكم و المراد انه تعالى انما أخرج هذه الثمرات لاجل أن تكون رزقنا و المقصود انه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات ابصال الخير و المنفعة الى المكلفين لان الاحسان لا يكون احساناً الا اذا قصد المحسن بفضله ابصال النفع إلى

تعم ما نظهره و ما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخاطب به مما فيه من الاحوال الخفية فضلاً عن اخفائه و تقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما و على ابلغ وجه فكانت تعلقه بما نخفي أقدم منه بما نعلن أو لان شربة السر و الخفاء مقدمة على مرتبة العز من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية و قصده عليه السلام أن اظهار هذه الحاجات و ما هو من مبادئها و ثمراتها ليس لكونها غير معلومة تلك بل انما هو لاظهار العبودية و التخشع لعظمتك و التذلل لعزتك و عرض الافتقار الى ما عندك و الاستجمال لنبيل أياديك و تكرير النداء للمبالغة في الضراعة و الابتهاج و ضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره و علمه بل بجميع خفايا الملك و الملكوت و قد حققه بقوله ﴿ المحسن ﴾ على وجه الاعتراض (وما يخفي ظلي الله من شيء في الارض و لا في السماء) لما انه العالم بالذات فامن أمر يدخل تحت الوجود كما كنا ما كان في زمان من الازمان الا و وجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه و انما قال و ما يخفي على الله الخ دون أن يقول و يعلم ما في

لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره و علمه بل بجميع خفايا الملك و الملكوت و قد حققه بقوله ﴿ المحسن ﴾ على وجه الاعتراض (وما يخفي ظلي الله من شيء في الارض و لا في السماء) لما انه العالم بالذات فامن أمر يدخل تحت الوجود كما كنا ما كان في زمان من الازمان الا و وجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه و انما قال و ما يخفي على الله الخ دون أن يقول و يعلم ما في



السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما تخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجهه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخاوف وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء من شئ كائن فيهما أهم من أن يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو يخفى وتقديم الارض على السماء مع توسط لا بينهما باعتبار القرب \* ٣٥٥ \* والبعدهما المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والاتفات

من الخطاب الى اسم  
الصفات المستحقة  
للصفات لتربية المهابة  
والاشعار بعلو الحكم  
على نهج قوله تعالى  
ألا يعلم من خلق وهو  
اللطيف الخبير والاذان  
بعمومه لانه ليس بشيء  
يخص به أو بمن يتعلق  
بل شامل لجميع الاشباه  
فالناسب ذكره تعالى  
بعنوان مصحح لمسه  
الكلي وقيل هو  
من كلام الله عز وجل  
وارد بطريق الاعتراء  
لتصديقه عليه السلا  
كقوله سبحانه وكذلك  
يفعلون ومن للاستعراق  
على الوجهين (الحمد لله  
الذي وهب لي على الكبر)  
أى مع كبرى ويأسى  
عن الولد قيد الهبة به  
استعظام النعمة واطهارا  
لشكرها ( اسمعيل  
واسحق) روى انه ولد  
له اسمعيل وهو ابن تسع  
وتسعين سنة وولد له  
اسحق وهو ابن مائة  
واثنتي عشرة سنة أو  
مائة وسبع عشرة سنة  
(ان ربي) ومالك

المحسن اليه (البحث السادس) قال صاحب الكشاف قوله من الثمرات بيان للرزق أى  
أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من  
المفعول أو نصباعلى المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق والتقدير ورزق من الثمرات  
رزقاكم (فأما الآية الرابعة) وهى قوله وسخر لكم الفلك لتجربى فى البحر بأمره ونظيره  
قوله تعالى ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام فقيها مباحث (البحث الاول) ان الانتفاع  
بما نبت من الارض انما يكمل بوجود الفلك الجارى فى البحر وذلك لانه تعالى خص كل  
طرف من أطراف الارض بنوع آخر من أنعمه حتى ان نعمة هذا الطرف اذا نقلت الى  
الجانب الآخر من الارض وبالعكس كثر الريح فى البحارات ثم ان هذا النقل لا يمكن  
الا بسفن البروهى الجمال أو بسفن البحر وهى الفلك المذكورة فى هذه الآية فان قيل  
ما معنى وسخر لكم الفلك مع أن تركيب السفينة من أعمال العباد قلنا أماعلى قوانا ان  
فعل العبد خلق الله تعالى فلا سؤال وأماعلى مذهب المعتزلة فقد أجاب القاضى عنه فقال  
لوانه تعالى خلق الاشجار الصلبة التى منها يمكن تركيب السفن ولولا خلقه للحديد وسائر  
الآلات ولولا ترميفه العباد كيف يتخذوه ولوانه تعالى خلق الماء على صفة السيلان  
التي باعتبارها يصح جرى السفينة ولولا خلقه تعالى الريح وخلق الحركات القوية فيها  
ولوانه وسع الانهار وجعل فيها من العمق ما يجوز جرى السفن فيها لما وقع الانتفاع  
بالسفن فصار لاجل انه تعالى هو الخالق لهذه الاحوال وهو المدبر لهذه الامور والسخر  
لها حسنت اضافة السفن اليه (البحث الثانى) انه تعالى اضاف ذلك التسخير الى أمره  
لان الملك العظيم قلما يوصف بأنه فعل وانما يقال فيه انه أمر بكذا تعظيما لشأنه ومنهم من  
حمله على ظاهر قوله انما أمرنا شئ اذا أردناه أن نقوله كن فيكون وتحقيق هذا الوجه  
راجع الى ما ذكرناه (البحث الثالث) الفلك من الجمادات فتسخيرها مجاز والمعنى أنه لما  
كان يجرى على وجه الماء كما يشتهي الملاح صار كأنه حيوان مسخر له (الآية الخامسة)  
قوله تعالى وسخر لكم النهار واعلم ان ماء البحر قلما يتففع به فى الزراعات لاجرم ذكر تعالى  
انعامه على الخلق بتسخير الانهار والعيون حتى ينبعث الماء منها الى مواضع الزرع  
والنبات وايضا ماء البحر لا يصلح للشرب وانصالح لهذا المهم هو مياه الانهار (الآية  
السادسة والسابعة) قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين واعلم ان الانتفاع بالشمس  
والقمر عظيم وقد ذكره الله تعالى فى آيات منها قوله وجعل القمر فىهن نورا وجعل الشمس  
سراجا ومنها قوله الشمس والقمر بحسبان ومنها قوله وجعل فيها سراجا وقرا منيرا ومنها  
قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقوله دائبين معنى الدؤب فى اللغة مرور  
الشيء فى العمل على عادة مطردة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وقد ذكرنا هذا فى قوله قال  
تزرعون سبع سنين دأبا قال المفسرون قوله دائبين معناه يدأبان فى سيرهما وانارتها  
وتأثيرهما فى ازالة الظلمة وفى اصلاح النبات والحيوان فان الشمس سلطان النهار والقمر

امرى (السميع الدعاء) لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتدبه وهى من ابنة البالغة العاملة عمل الفعل أضيف  
الى مفعوله أو فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع وكنه من تمة الحمد والشكر اذ هو وصفه تعالى  
بأن ذلك الجليل سنته المستمرة تعطيل على طريقة التذليل للهبة المذكورة وفيه ايدان يتضاعف النعمة فيها حيث  
وقعت بعد الدعاء بقوله

رَبِّهِمْ لِي مَنْ الصَّالِحِينَ فَاقْتَرَنَتِ الْهَبَةُ بِقَبُولِ الدَّعْوَةِ وَتَوْحِيدِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِنْ كَانَ عَقِيبُ ذِكْرِ هَبَتِهَا لِمَنْ نِعْمَةُ الْهَبَةِ فَاتَّضَعَتْ عَلَيْهِ خَاصَّةً وَهِيَ مِنَ النِّعَمِ لِأَنَّ النِّعْمَ عَلَيْهِمْ (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ) مَثَابِرَ عَلَيْهَا مَعْدَلًا لَهَا وَتَوْحِيدِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ شُمُولِ دَعْوَتِهِ لِذُرِّيَّتِهِ أَيْضًا حَيْثُ قَالَ (وَمَنْ ذُرِّيَّتِي) أَيْ أَعْضَاءَهُمْ مِنَ الْمَذْكُورِينَ وَمَنْ يَسِيرُ سِيرَتَهُمَا مِنْ أَوْلَادِهِمَا لِلشَّعْرِ بِأَنَّهُ الْمُقْتَدِي فِي ذَلِكَ وَذُرِّيَّتِهِ أَتْبَاعُهُ ﴿ ٣٥٦ ﴾ وَأَنْ ذَكَرَهُمْ بِطَرِيقِ الْاِسْتِطْرَادِ

سلطان الليل والوالا الشمس لما حصلت الفصول الاربعة ولولاها لاختلفت مصالح العالم بالكلية وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في اول هذا الكتاب ( الحجمة الثامنة والتاسعة ) قوله وسخر لكم الليل والنهار واعلم ان منافعها مذكورة في القرآن كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا قال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض لا تسخر (والحجة العاشرة) قوله وآنا كم من كل ما سألتموه ثم انه تعالى لماذا كر تلك النعمة العظيمة بين بعد ذلك انه لم يقتصر على ما سألتموه من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها التعديد والاحصاء فقال وآنا كم من كل ما سألتموه والمفعول محذوف تقديره من كل مسؤل شيئا وقرئ من كل بالتووين وما سألتموه في محله نصب على الحال أي آنا كم من جميع ذلك غير سائله ويجوز أن تكون ما موصولة والتقدير آنا كم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال ثم انه تعالى لماذا كر هذه النعمة خذ الكلام به بقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال الواحدى النعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر يقال انعم الله عليه بنعم انعاما ونعمة أقيم الاسم مقام الانعام كقوله أنفقت عليه انفاقا ونفقة بمعنى واحد ولذلك لم يحجم لانه في معنى المصدر ومعنى قوله لا تحصوها أي لا تقدرون على تعديدها الكثرتها واعلم ان الانسان اذا أراد أن يعرف ان الوقوف على أقسام نعم الله ممنوع فعليه ان يتأمل في شئ واحد يعرف عجز نفسه عنه ونحن نذكر منه مثالين (المثال الاول) ان الاطباء اذ كانوا ان الاعصاب قسمان منها دماغية ومنها نخاعية أما الدماغية فانه سبعة ثم انعموا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلك الارواح السبعة ثم بما لا شك فيه ان كل واحد من الارواح السبعة تنقسم الى شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب أيضا الى شعب دقيقة أدق من الشعر ولكل واحد منها عمر الى الاعضاء ولو أن شعبة واحدة اختلفت اما بسبب الكمية أو بسبب الكيفية أو بسبب الوضغ لاختلت مصالح البنية ثم ان تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان في هذا المعنى عرف ان الله تعالى بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فانت لعظم الضرر عليه وعرف قطعانه لاسبيل له الى الوقوف عليها والاطلاع على أحوالها وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والاوردة وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضغ والفعل والانفعال حتى ترى أقسام هذا الباب بحر الاساحل له واذا اعتبرت هذا في بدن الانسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه فان عجائب عالم الارواح أكثر من عجائب عالم الاجساد ثم لما اعتبرت حالة الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الافلاك

لا كما في قوله ربنا انى أسكنت الخ فان سكانه مع عدم تحققه بلا ملايسة ان أسكنه انما هو مذكور بطريق التهديد للدعاء الذى هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لطلبه من جهة الله تعالى أن بعضا منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ربنا وبقبل دعاء أى دعائى هذا المتعلق بجعلى وجعل بعض ذريتى مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جئ بضمير الجماعة (ربنا اغفرلى) أى ما فرط منى من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر (واوالدى) وقرئ بالتوحيد ولابوى وهذا الاستغفار منه

عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقبل بشرط ﴿ والكواكب ﴾ الاسلام ويرده تعالى الاقول ابراهيم الآية وقدم في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسأيتى تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى (والمؤمنين) كافة من ذريته وغيرهم واللايدان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة يسبب بضمير الجماعة (يوم يقوم الحساب) أى ثبت ويحقق بحاسبة أعمال المكلفين على وجه

العدل استعمله من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد نهويه وقيل أسند إليه قيام أهله مجازا أو حذف المضاف كما في أسأل القرية واهل أن ما حكى عنه عليه السلام من الادعية والازكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في أزمته متفرقة حكى مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره في الملة ﴿ ٣٥٧ ﴾ وارشاد الناس إليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية

(ولا تحسبن الله غافلا

عما يعمل الظالمون)

خطاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

والمراد تشيته على ما كان

عليه من عدم حسابه

عز وجل كذلك نحو

قوله ولا تكونون من

المشركين ونظائره مع

ما فيه من الايدان بكونه

واجب الاحقر زعنه

في الغاية حتى نهى عنه

من لا يمكن تعاطيه أو نهي

عليه السلام عن حسابه

تعالى تاركا لعقابهم

على طريقة الغفوة

والاعتبر عنه بذلك للمبالغة

في النهي والايذان بان

ذلك الحسبان بمنزلة

حسابه تعالى غافلا

عن اعمالهم اذا علم

بذلك مستوجب لعقابهم

لا محالة فتركه لو كان

لكان للفتنة عما يوجب

من اعمالهم الخبيثة

وفيه تسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

ووعده أكيد ووعيد

للكفرة وسائر الظالمين

شديد أو لكل أحد ممن

والكواكب وطبقات العناصر ومجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف ان عقول جميع الخلائق لوركت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل الانسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقل الاشياء لما ادرك منها الا القليل فسبحانه تقديس عن أوهام المتوهمين (المثال الثاني) انك اذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعضعها في القم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها أما الامور التي قبلها فاعرف ان تلك اللقمة من الخبز لاتم ولا تكمل الا اذا كان هذا العالم بكلية قائما على الوجه الاصوب لان الخنطة لا بد منها وانها لا تنبت الا بعونة الفصول الاربعة وتركيب الطبائع وظهور الرياح والامطار ولا يحصل شيء منها الا بعد دوران الافلاك واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات وفي كيفية في الجهة والسرعة والبطء ثم بعد ان تكون الخنطة لا بد من آلات الطحن والخبز وهي لا تحصل الا عند تولد الحديد في أرحام الجبال ثم ان الآلات الحديدية لا يمكن اصلاحها الا بالآلات أخرى حديدية سابقة عليها ولا بد من انتهاؤها الى آلة حديدية هي أول هذه الآلات فتأمل انها كيف تكونت على الاشكال المخصوصة ثم اذا حصلت تلك الآلات فانظر انه لا بد من اجتماع العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة وأما النظر فيما بعد حصولها فتأمل في تركيب بدن الحيوان وهو انه تعالى كيف خلق هذه الابدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة وانه كيف يتضرر الحيوان بالاكل وفي أي الاعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الاشياء الا بعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية فظنر بما ذكرنا ان الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته الا بعرفة جلة هذه الامور والقول قاصرة عن ادراك ذرة من هذه المباحث فظنر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها ثم انه تعالى قال ان الانسان لظلوم كفار قيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة بشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والمراد من الانسان ههنا الجنس يعني أن عادة هذا الجنس هو هذا الذي ذكرناه وههنا بحثان (البحث الاول) ان الانسان مجبول على النسيان وعلى اللاملة فاذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها وان لم ينسها فانه في الحال يظلمها فيقع في كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي (البحث الثاني) انه تعالى قال في هذا الموضع ان الانسان لظلوم كفار وقار في سورة النحل ان الله لغفور رحيم ولما تأملت فيه لاحتمل فيه دققة كأنه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها فحصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظلوما كفارا ووصفان عند اعطائها وهما كونك غفورا رحيا والمقصود كأنه يقول ان كنت ظلوما فأنا غفور وان كنت كفارا فأنا رحيم أعلم عجزك وقصورك فلا أقابل تفصيرك

يستجلب عقابهم أو يتوهم اهمالهم للجهل بصغافته تعالى والاعتزاز بامهاله وقيل مضاه لا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما علوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويحجاز بهم بذلك تغيرا وطميرا والمراد بالظالمين أهل مكة ممن عدت مساو بهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يؤذن به التمرض لحكمة التأخير التي

عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا (انما يؤخرهم) مهملهم متمتعين بالخطوط الدنياوية ولا يعمل عقوبتهم حسبا يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانته تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجب من العذاب الا ليم اذا تأخيره للتشديد والتقليظ ولا تحسبته تعالى تارك لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا ﴿ ٣٥٨ ﴾ أو لا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل

الا بالتوفير ولا اجازي جفاء الابالوفاء ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة \* قوله تعالى

(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا واجنبي وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضلان كثيرا من الناس فمن تبني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) اصله انه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة انه لا معبود الا الله سبحانه وانه لا يجوز عبادة غيره تعالى البتة حتى عن ابراهيم عليه السلام مبالغته في انكار عبادة الاوثان واعلم انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله أشياء (أحدها) قوله رب اجعل هذا البلدا آمنا والمراد مكة آمنا اذا أمن فان قيل أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلدا آمنا قلنا سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فلا يخافون وفي الثاني أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصله لها وهي الخوف ويحصل لها ضد تلك الصفة وهو الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة (وثانيها) قوله واجنبي وبنى أن نعبد الاصنام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قريء واجنبي وفيه ثلاث لغات جنبه واجنبه وجنبه قال الفراء أهل الحجاز يقول جنبني يجنبي بالتخفيف وأهل نجد يقولون جنبني شبره وأجنبي شبره وأصله جعل الشيء عن غيره على جانب وناحية (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول الاشكال على هذه الآية من وجوه (أحدها) ان ابراهيم عليه السلام دعا ربه أن يجعل مكة آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة وأغاروا على مكة (وثانيها) ان الانبياء عليهم السلام لا يعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبي عن عبادة الاصنام (وثالثها) انه طلب من الله تعالى أن لا يجعل أبناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من أولاده مع انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قالوا انهم ما كانوا أبناء ابراهيم وانما كانوا أبناءه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول فاذا كان المراد من أولئك الابناء أبناءه من صلبه وهم ما كانوا الا اسمعيل واسحق وهما كانا من أكبر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد عاد السؤال في انه ما الفائدة في ذلك الدعاء والجواب عن السؤال الاول من وجهين (الاول) أنه نقل انه عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة ذكر هذا الدعاء والمراد منه جعل تلك البلدة آمنة من الخراب والثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله واسئل القرية أي أهل القرية وهذا الوجه عليه أكثر المفسرين وعلى هذا التقدير فالجواب من وجهين (أحدهما) ما اختصت به مكة من حصول مزيد في الأمن وهو ان الخائف كان اذا التجأ الى مكة أمن وكان الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك أمن الوحش فانهم يقربون من الناس اذا كانوا بمكة ويكونون مستوحشين عن الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل في مكة فوجب حل الدعاء عليه (والوجه الثاني) أن يكون المراد من قوله اجعل هذا البلدا آمنا أي بالامر والحكم يجعله آمنا وذلك الامر والحكم

ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هول هذه الحكمة وقريء بالتون ويقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر انما هو عذابهم لتحويل الخطب وتفطيج الحال بيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لا امر ما لأنهم باقون باختيارهم وللدلالة على أن حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرّة وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللإيدان بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك (ليوم) هائل (شخص فيه الابصار) ترتفع ابصار أهل الموقف فيدخل في زمرة الكفرة المعهودون دخولا أوليا أي تبقى مفتوحة لا تحرك أجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في أماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين

واما يجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع (مهطعين) مسرعين الى الداعي \* حاصل \* مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه لا يقامون عنه ولا يطرّفون هيبة وخوفاً وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قبل (مقنعي رؤسهم) أي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى

شيء قال النبي وابن عرفة وأنا كسيها ويقال أقهر أسه أي طاطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما خالان نماذل عليه  
 الابصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واصنافه غير حقيقية فلا ينافي الخالية (لا يرتد اليهم طرفهم)  
 أي لا يرجع اليهم تحريك أجنافهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أو لا ترجع اليهم  
 أجنافهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد ﴿ ٣٥٩ ﴾ الرجوع الى الطرف مجازياً وهو نفس الجفن قال

الفيروز ابادي الطرف  
 العين لا يجمع لانه مصدر  
 في الاصل أو اسم جامع  
 للعين أو لا يرجع نظرهم  
 الى أنفسهم فضلا عن  
 أن يرجع الى شيء آخر  
 فيبتون مبهوتين وهو  
 أيضا حال أو بدل من  
 مقنعي الخ أو استئناف  
 والمعنى لا يزول ما عتراه  
 من شخصو الابصار  
 وتأخيره عما هو من تنه  
 الاطعام والاقناع مع  
 ما بينه وبين الشخصو  
 المذكور من المناسبة  
 لترية هذا المعنى  
 (وأقصدتهم هوا) خالية  
 من العقل والفهم لفرط  
 الحيرة والدهش كأنها  
 نفس الهواء الخالي من  
 كل شاغل ومنه قيل  
 للجان والاحق قلبه  
 هوا أي لا قوة ولا رأي  
 فيه واعتبار خلوهما عن  
 كل خير لا يناسب المقام  
 وهو اما حال عاملها  
 لا يرتد مفيدة لكون  
 شخصو أبصارهم  
 وعدم ارتداد طرفهم

حاصل لامحالة والجواب عن السؤال الثاني قال ان جاج معناه ثبتني على اجتناب عبادتها  
 كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الاسلام وتقاتل أن يقول السؤال باق لانه لما  
 كان من المعلوم انه تعالى يثبت الانبياء عليهم السلام على الاجتناب من عبادة الاصنام  
 فالقائدة في هذا السؤال والصحيح عندي في الجواب وجهان (الاول) انه عليه  
 السلام وان كان يعلم انه تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه ذكر ذلك هضمًا للنفس  
 واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله في كل المطالب (والثاني) ان الصوفية يقولون  
 ان الشرك نوعان شرك جلي وهو الذي يقول به المشركون وشرك خفي وهو تعليق القلب  
 بالوسائط وبالاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو أن يتقطم نظره عن الوسائط ولا يرى  
 متصرفا سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل أن يكون قوله واجتنبني وبنى أن نعبد الاصنام  
 المراد منه أنه يعصمه عن هذا الشرك الخفي والله أعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث  
 من وجوه (الاول) قال صاحب الكشاف قوله وبنى أراد بنيه من صلبه والقائدة في هذا  
 الدعاء عين القائدة التي ذكرناها في قوله واجتنبني (والثاني) قال بعضهم أراد من أولاده  
 وأولاد أولاده كل من كانوا موجودين حال الدعاء ولا شبهة ان دعوته مجابة فيهم  
 (الثالث) قال مجاهد لم يعبد أحد من ولد ابراهيم عليه السلام صنما والضم هو التمثال  
 المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار قریش ما عبدوا التمثال وانما كانوا يعبدون أجارا  
 مخصوصة وأشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوي لانه عليه السلام لا يجوز أن يرد  
 بهذا الدعاء الا عبادة غير الله تعالى والحجر كالضم في ذلك (الرابع) ان هذا الدعاء مختص  
 بالموثمين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فن تبعني فانه مني وذلك يفيد أن  
 من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ونظيره قوله تعالى لئلا يكون من أهللك انه عمل غير  
 صالح (والخامس) لعله وان كان عمه في الدعاء الا ان الله تعالى أجاب دعاءه في حق البعض  
 دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم السلام ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم  
 عليه السلام قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين  
 (المسئلة الثالثة) احتج أصحابنا بقوله واجتنبني وبنى أن نعبد الاصنام على ان الكفر  
 والايان من الله تعالى وتقرير الدليل ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله أن يجنبه  
 ويجنب أولاده من الكفر فدل ذلك على ان التباعد من الكفر والتقريب من الايمان  
 ليس الا من الله تعالى وقول المعتزلة انه محمول على اللطاف فاسد لانه عدول عن الظاهر  
 ولا لنا قد ذكرنا وجوها كثيرة في افساد هذا التأويل ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه  
 السلام انه قال رب انهن أضلان كثيرا من الناس واتفق كل الفرق على ان قوله أضلان  
 مجاز لانها جادات والجماد لا يفعل شيئا البتة الا لانه لما حصل الاضلال عند عبادتها أضيف  
 اليها كما تقول فنتنهم الدنيا وغررتهم أي اقتنوا بها واغترتوا بسببها ثم قال فن تبعني فانه مني  
 يعني من تبعني في ديني واعتقادي فانه مني أي جار مجرى بعضي لفرط اختصاصه بي وقر به

بلافهم ولا اختيار أو جلة مستقلة (وأندرائاس) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه أن تأخيرهم لماذا  
 وأمره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر آيات العذاب والعدول  
 اليه من الاضمار للاشعار بأن المراد بالانذار هو انذارهم من الظلم شفقة عليهم لا تخويف للازواج والابناء

فالتاسب قدّم ذكرهم بفتوان الظلم والناس جميعا فان الانذار عام للقرينين كقوله تعالى انما تنذرون من اتبع الذكروا الايتان يتبعهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة أى أنذرهم وخوفهم (يوم يأتيهم العذاب) المعهود وهو اليوم الذي وصفه بالاوصاف من الاوصاف الهائلة أعنى يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه ﴿ ٣٦٠ ﴾ القصر السابق ( فيقول الذين ظلموا ) أى فيقولون

والعدول عنه الى ما عليه  
النظم الكريم للتسجيل  
عليهم بالظلم والاشعار  
بان ما هو من الشدة انما  
هو لظلمهم واشاره على  
صيغة الفاعل حسبا  
ذكر اول اللان انما  
بان الظلم في الجملة كاف  
في الافضاء الى ما ذكر  
من الاهوال من غير حاجة  
الى الاستمرار عليه كما  
ينبى عنه صيغة الفاعل  
وعلى تقدير كون المراد  
بالناس من يعم المسلمين  
أيضا فالعنى الذين ظلموا  
منهم وهم الكفار أو يقول  
بكل من ظلم بالشرك  
بالتكذيب من المنذرين  
وغيرهم من الامم الخالية  
فان ايتان العذاب بعضهم  
كما يشهد بذلك وعدهم  
باتباع الرسل (ر بنا اخرنا)  
ردنا الى الدنيا وامهلنا  
(الى أجل قريب) الى  
أمد وحد من الزمان  
قريب (نجد دعوتك)  
أى الدعوة اليك والى  
توحيدك أو دعوتك لنا  
على السنة الرسل فقيه

من ومن عصاني في غير الدين فانك غفور رحيم واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان ابراهيم عليه السلام ذكر هذا الكلام والغرض منه الشفاعة في حق أصحاب الكبار من أمته والدليل عليه أن قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم صريح في طلب المغفرة والرحمة لاثك العصاة فنقول أولئك العصاة اما أن يكونوا من الكفار أولا يكونوا كذلك والاول باطل من وجهين (الاول) انه عليه السلام بين في مقدمة هذه الآية أنه مبرأ عن الكفار وهو قوله واجنبتى وبنى أن نعبد الاصنام وأيضا قوله فمن تبعني فانه مني يدل بمفهومه على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا يهتم باصلاح مهماته (والثاني) ان الامة مجمعة على ان الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر غير جائزة ولما بطل هذا ثبت ان قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم شفاعته في العصاة الذين لا يكونون من الكفار واذا ثبت هذا فنقول تلك المعصية اما ان تكون من الصغار أو من الكبار بعد التوبة أو من الكبار قبل التوبة والاول والثاني باطلان لان قوله ومن عصاني اللفظ فيه مطلق فتخصيصه بالصغيرة عدول عن الظاهر وأيضا فالصغار والكبار بعد التوبة واجبة الغفران عند الخصوم فلا يمكن حمل اللفظ عليه فثبت ان هذه الآية شفاعته في اسقاط العقاب عن أهل الكبار قبل التوبة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه السلام ثبت حصولها في حق محمد صلى الله عليه وسلم لوجوه الاول أنه لا فارق بالفرق والثاني وهو أن هذا المنصب أعلى المناصب فلو حصل لابراهيم عليه السلام مع انه غير حاصل لمحمد صلى الله عليه وسلم لكان ذلك نقصا في حق محمد عليه السلام والثالث أن محمد صلى الله عليه وسلم ما مور بالافتداء بابراهيم عليه السلام لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا وجه قرىب في اثبات الشفاعة لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اسقاط العقاب عن أصحاب الكبار والله أعلم اذا عرفت هذا فلنذكر أقوال المفسرين قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء انما كان قبل أن يعلم ان الله تعالى لا يفر بالشرك وقيل من عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب بل يمهلهم حتى يتوبوا ويكون المراد أن لا تجعل احترامهم فتغوتهم التوبة واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة أما الاول وهو حمل هذه الشفاعة على المعصية بشرط التوبة فقد أبطلناه وأما الثاني وهو قوله ان هذه الشفاعة انما كانت أن يعلم أن الله لا يفر بالشرك فنقول هذا أيضا بعيدا لانا بيننا أن مقدمة هذه الآية تدل على انه لا يجوز أن يكون مراد ابراهيم عليه السلام من هذا الدعاء هو الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر وأما الثالث وهو قوله المراد من كونه غفورا رحيم أن ينقله من الكفر الى الايمان فهو أيضا بعيد لان المغفرة والرحمة مشعرة باسقاط العقاب ولاشعار فيها بالنقل من صفة الكفر الى صفة الايمان والله أعلم وأما الرابع وهو أن

ايمانهم صدقوهم في أنهم مرسلون من عند الله تعالى (وتبع الرسل) فيما جاؤا به أى تتدارك ما فرطنا ﴿ تحمل ﴾ فيهم من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع امل باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسل صلى الله عليه وسلم عصيانا لهم جميعا وما باعتبار أن المحكي كلام ظالمى الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل

امة بانواع رسولها (أولم تكونوا أقمتم من قبل) على اصنامها تقول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم لو يخافونكم كما تخافونهم  
 توخروا في الدنيا ولم تكونوا أقمتم اذذاك بالسنتكم بطرا وأشر اوجها ولا وسفها (مالككم من زوال) مما أنتم عليه من التعم  
 بالخطوط الدنيوية أو بالسنة الحال حيث بنيت مشيدا وأملتكم بعيدا ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه  
 اشعار بامتداد زمان التأخير وبعدها أو مالكم \* ٣٦١ \* من زوال من هذه الدار الى دار أخرى للجزء ا قوله تعالى

وأقسموا بالله جهد أيمانهم  
 لا يبعث الله من يموت  
 وصيغة الخطاب في جواب  
 القسم لمراعاة حال  
 الخطاب في أقمتم كما في  
 قوله حلف بالله ليخرجن  
 وهو أدخل في التويخ  
 من ان يقال مالنا مراعاة  
 حال المقسم ذكر البيهقي  
 عن محمد بن كعب القرظي  
 أنه قال لاهل السار  
 خمس دعوات يجيبهم  
 الله تعالى في أربع منها  
 فاذا كانت الخامسة لم  
 يتكلموا بعدها أبدا  
 يقولون ربنا أمتنا اثنتين  
 وأحييتنا اثنتين فاعتزنا  
 بذنوبنا فهل الى خروج  
 من سبيل فيجيبهم الله  
 تعالى ذلكم بأنه اذا دعى  
 الله وحده كفرتم وان  
 شركه توئموا فالحكم لله  
 العلي الكبير ثم يقولون  
 ربنا أبصرنا وسمعتنا  
 فأرجعنا فعمل صالحا  
 انما موقنون فيجيبهم الله  
 تعالى فذوقوا بما نسيتم  
 لقاء يومكم هذا الآية  
 ثم يقولون ربنا أخرجنا الى

تحميل المغفرة والرحمة على ترك تعجيل العقاب أو ترك تعجيل الامانة فنقول هذا باطل لان  
 كفار زماننا هذا أكثر منهم ولم يعاجلهم الله تعالى بالعقاب ولا بالموت مع أن أهل الاسلام  
 متفقون على انهم ليسوا مغفورين ولا مرحومين فبطل تفسير المغفرة والرحمة على ترك  
 تعجيل العقاب بهذا الوجه وظاهر بما ذكرنا صحة ما قررناه من الدليل والله أعلم \* قوله  
 تعالى (ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة  
 فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم  
 ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي  
 على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني متبعا للصلاة ومن ذريتي ربنا  
 وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) اعلم انه سبحانه وتعالى  
 حكى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضوع انه طلب في دعائه ما رواه راسبعة (الاول) طلب  
 من الله نعمة الامان وهو قوله رب اجعل هذا البلد آمنا والابتداء بطلب نعمة الامن  
 في هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات وانه لا يتم سئ من مصالح الدين  
 والدنيا الا به وسئل بعض العلماء الامن أفضل أم الصحة فقال الامن أفضل والدليل عليه  
 ان شاة لو انكسرت رجلها فانهما تصح بعد زمان ثم انها تقبل على الرعي والاكل ولو أنها  
 ر بطت في موضع ور بط بالقرب منها ذئب فانهما تمسك عن العلف ولا تتناولها الى أن تموت  
 وذلك يدل على ان الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد  
 (والمطلوب الثاني) أن يرزقه الله التوحيد يصونه عن الشرك وهو قوله واجتنبني ونبني أن  
 نعبد الا صنم (والمطلوب الثالث) قوله ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند  
 بيتك المحرم فقوله من ذريتي أى بعض ذريتي وهو اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادى مكة  
 غير ذي زرع أى ليس فيه شئ من زرع كقوله قرأنا عبر بيا غير ذي عوج بمعنى لا يحصل فيه  
 اعوجاج عند بيتك المحرم وذكر واني تسميته بالمحرم وجوها (الاول) ان الله حرم العرض  
 له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه (الثاني) انه كان لم يزل تمتعنا عزايها به كل  
 جبار كالشئ المحرم الذي حقه أن يجتنب (الثالث) سمي محرما لانه محترم عظيم الحرمة  
 لا يحل انتهاكه (الرابع) انه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتقا لانه اعتق منه فلم  
 يستعمل عليه (الخامس) أمر الصائرين اليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم  
 من قبل (السادس) حرم موضع البيت حين خلق السموات والارض وحفه بسبعة من  
 الملائكة وهو مثل البيت المعمور الذي بناه آدم فرفع الى السماء السابعة (السابع) حرم  
 على عباده أن يقر بوه بالدماء والاقدار وغيرها روى ان هاجر كانت أمة اسارة فوهبها  
 لابراهيم عليه السلام فولدت اسمعيل عليه السلام فقالت سارة كنت أرجو ان يهب الله  
 لي ولدا من خليله فنعنيه ورزقه خادمي وقالت لابراهيم بعد هبما مني فنقلهما الى مكة  
 واسمعيل رضيع ثم رجع فقالت هاجر الى من تكلفنا فقال الى الله ثم دعا الله تعالى بقوله ربنا

أجل قريب نجيب دعوتك واتبع \* ٤٦ \* خا الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقمتم الآية ثم يقولون ربنا  
 أخرجنا فعمل صالحا فخير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أو نعمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير  
 فذوقوا فالظالمين من نصير فيقولون ربنا اغلبت علينا شقوتنا وكنا قوم اضالين فيجيبهم الله تعالى اخسوا فيها  
 ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها

أبدان هو الألف و شقيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم يئس في وجهه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انما بك  
 نعوذو بك فكذلك نلوذعز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك (وسكنتم) من السكنى بمعنى التبوؤ والايطان وانما استعمل بكلمة  
 في حيث قبل (في مساكن الذين ظلموا انفسهم) جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكن الذي حقه التعدية بها  
 أو من السكن واللبث أي قررتم في مساكنهم ﴿ ٣٦٢ ﴾ مطمئنين سائر ين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير

محدثين لانفسكم بما لقوا  
 بسبب ما اجتروا من  
 الموبقات وفي ايقاع  
 الظلم على انفسهم بعد  
 اطلاقه فيما سلف ايدان  
 بأن غائلة الظلم آيلة الى  
 صاحبه والمردبهم اما  
 جميع من تقدم من الامم  
 المهلكة على تقدير  
 اختصاص الاستمهال  
 والخطاب السابق  
 بالمتذرين وأما وائلهم  
 من قوم نوح وهو دوى على  
 تقدير هجومهم للكل  
 وهذا الخطاب وما يتلوه  
 باعتبار حال أو اخرهم  
 (وتبين لكم) بمشاهدة  
 الآثار وتواتر الاخبار  
 (كيف فعلنا بهم) من  
 الاهلاك والعقوبة  
 بما فعلوا من الظلم  
 والفساد وكيف  
 منصوب بما بعده من  
 الفعل وليس الجملة فاعلا  
 لتبين كما قاله بعض الكوفيين  
 بل فاعله ما دلته هي عليه  
 دلالة واضحة أي فطنا  
 العجيب بهم وفيه من  
 المبالغة ما ليس في أن يقال

اني أسكنت من ذريتي بوادي آخر الآيات ثم انهما عطشت وعطش الصبي فانتهدت بالصبي  
 الى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عينها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله  
 ام اسمعيل لولا انها عجلت لكنت زمزم عينا معينا ثم ان ابراهيم عليه السلام عاد بعد كبر  
 اسمعيل واشتغل هو مع اسمعيل برفع قواعد البيت قال القاضي أكثر الامور المذكورة  
 في هذه الحكاية بعيدة لانه لا يجوز لابراهيم عليه السلام أن ينقل ولده الى حيث لا طعام  
 ولا ماء مع انه كان يمكنه ان ينقلهما الى بلدة أخرى من بلاد الشام لاجل قول سارة الا اذا  
 قلنا ان الله اعلم انه يحصل هناك ماء وطعام وأقول أما ظهور ما زمزم فيحتمل أن يكون  
 ارهاصا لاسمعيل عليه السلام لان ذلك عندنا جازئ خلافا للمعتزلة وعند المعتزلة انه معجزة  
 لابراهيم عليه السلام ثم قال ربنا ليقموا الصلاة والام متعلقة بأسكنت أي أسكنت قوما  
 من ذريتي وهم اسمعيل وأولاده بهذا الوادي لزرع فيه ليقموا الصلاة ثم قال واجعل  
 أفئدة من الناس تهوى اليهم وفيه مباحث (البحث الاول) قال الاصمعي هوى يهوى هو يا  
 بالفتح اذا سقط من علو الى سفلى وقيل تهوى اليهم تريدهم وقيل تسرع اليهم وقيل تحب  
 اليهم وتحذر اليهم وتزلى يقال هوى الحجر من رأس الجبل يهوى اذا انحدر وانصب  
 وهوى الرجل اذا انحدر من رأس الجبل (البحث الثاني) ان هذا الدعاء جامع للدين والدنيا  
 أما الدين فلانه يدخل فيه ميل الناس الى الذهاب الى تلك البلدة بسبب النسك والطاعة لله  
 تعالى وأما الدنيا فلانه يدخل فيه ميل الناس الى نقل المعاشات اليهم بسبب التجارات  
 فلاجل هذا الميل ينسب عيشهم ويكثر طعامهم ولباسهم (البحث الثالث) كلمة من في قوله  
 فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم تفيد التبعية والمعنى فاجعل أفئدة بعض الناس  
 مائلة اليهم قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزدحت عليه فارس والروم والترك والهند  
 وقال سعيد بن جبيرة لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة  
 من الناس فهم المسلمون ثم قال وارزقهم من الثمرات وفيه بحثان (البحث الاول) انه لم يقل  
 وارزقهم الثمرات بل قال وارزقهم من الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء اتصال  
 بعض الثمرات اليهم (البحث الثاني) يحتمل أن يكون المراد بايصال الثمرات اليهم ايصالها  
 اليهم على سبيل التجارات وانما يكون المراد عمارة القرى بالقرب منها التحصيل تلك الثمار منها  
 ثم قال لعلمهم يشكرون وذلك يدل على ان المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لآداء  
 العبادات واقامة الطاعات فان ابراهيم عليه السلام بين انه انما يطلب تيسير المنافع على  
 أولاده لاجل أن يتفرغوا لاقامة الصلوات وأداء الواجبات (المطلوب الرابع) قوله ربنا  
 انك تعلم ما نخفي وما نعلن واعلم انه عليه السلام لما طلب من الله تيسير المنافع لأولاده  
 وتسهيلها عليهم ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهايات الامور في المستقبل وانه تعالى  
 هو العالم بها والمحيط بأسرارها فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن والمعنى انك أعلم  
 بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا قبل ما نخفي من الوجود بسبب حصول الفرقة بيني وبين

ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليس جهنم وقري مو بين (وخر بنا لكم الامثال) أي ينالكم في القرآن ﴿ اسمعيل ﴾  
 العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمتذرين أو على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير هجومه لجمع الظالمين صفات  
 ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في القرابة كالمثال المضروب لكل ظالم لتعبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم  
 وما لكم على ما لهم وتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب



الآجل فترددوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو يذنبكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجل الثالث في موقع الحال من ضمير أفستم أي أفستم بالخلود والحال أنكم سكتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جليلة الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل ( وقد مكروا مكرهم ) حال من الضمير الاول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعا وانما قدم عليه \* ٣٦٣ قوله تعالى وضر بنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله أي فعلنا بهم

ما فعلنا والحال أنهم  
قدمكروا في ابطال الحق  
وتقرر الباطل مكرهم  
العظيم الذي استفرغوا  
في عمله المجهود وجاوزوا  
فيه كل حدمعهود بحيث  
لا يقدر عليه غيرهم  
فالمراد بيان تناهيهم  
في استحقاق ما فعل بهم  
أو قد مكروا مكرهم  
الذي كور في ترتيب مبادئ  
البقاء ومدافعة أسباب  
الزوال فالقصد اظهار  
عجزهم واضمحلال  
قدرتهم وحقاراتها عند  
قدرة الله تعالى ( وعند الله  
مكرهم ) أي جزاء مكرهم  
الذي فعلوه على أن  
المكر مضاف الى فاعله  
أو أخذه تعالى بهم على  
أنه مضاف الى مفعوله  
وتسميته مكر لكونه  
بمقابلة مكرهم وجودا  
وذكرا ولكونه في صورة  
المكر في الاثبات من حيث  
لا يشعرون وعلى  
التقديرين فالمراد به  
ما أفاده قوله عز وجل  
كيف فعلنا بهم لأنه  
وعيد مستأنف وبالجملة

اسماعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفي من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حيث قالت له عند الوداع الى من تكلمنا فقال الى الله أكلكم قالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى ثم قال وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وقوله قولان ( احدهما ) انه كلام الله عز وجل تصديقا لاراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون ( والثاني ) انه من كلام ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ولفظ من يفيد الاستفراق كأنه قيل وما يخفى عليه شيء مما تم قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وفيه مباحث ( البحث الاول ) اعلم ان القرآن يدل على انه تعالى انما أعطى ابراهيم عليه السلام هذين الولدين اعني اسمعيل واسحق على الكبر والشيوخه فأما مقدار ذلك السن فقير معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقيل لما ولد اسمعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة واثنى عشرة سنة وقيل ولده اسمعيل لاربع وستين سنة ولما ولد اسحق لتسعين سنة وعن سعيد بن جبير لم يولد لاراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر قوله على الكبر لان المنه بهيبة الولد في هذا السن أعظم من حيث ان هذا الزمان زمان وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت الياس من أعظم النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لاراهيم \* فان قيل ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عند ما سكن اسمعيل وهاجر أمه في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولد له اسحق فكيف يمكنه أن يقول الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق \* قلنا قال القاضي هذا الدليل يقتضي ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الكلام في زمان آخر لاعتقاب ما تقدم من الدعاء ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان كان ظاهر الروايات بخلافه ( البحث الثاني ) على في قوله على الكبر بمعنى مع كقول الشاعر

اني على ما ترى من كبرى \* أعلم من حيث يؤكل الكفت

وهو في موضع الحال ومعناه وهب لي في حال الكبر ( البحث الثالث ) في المناسبة بين قوله ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وبين قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وذلك هو كأنه كان في قلبه أن يطلب من الله اعانتها واطانة ذريتهما بعد موته ولكنه لم يصرح بهذا المطلوب بل قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن أي انك تعلم ما في قلوبنا وضمائرنا ثم قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وذلك يدل ظاهرا على انهما يتقيان بعد موته وانه مشغول القلب بسببهما فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة بعد موته على سبيل الرمز والتعريض وذلك يدل على ان الاشتغال بالثناء عند الحاجة الى الدعاء أفضل من الدعاء قال عليه السلام حاكيا عن ربه أنه قال من شغلته ذكري عن مسألتي اعطيته أفضل ما أعطى السائلين ثم قال ان ربي

حال من الضمير في مكروا أي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشر واقعلا مع تحقق ما يوجب تركه ( وان كان مكرهم ) في العظم والشدة ( لتزول منه الجبال ) أي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وصبر عن ذلك بكونه مسوي ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرية بان الوصلية معطوفة على

تجته مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم أو المكر الذي يخبى بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ  
 وقد حنف ذلك حذفا مطرد الدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان  
 يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النسكته يدور ما في ان الوصلية من التأكيذ المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق  
 وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها \* ٣٦٤ \* كافي قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم

لسميع الدعاء واهل انه لما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الايضاح  
 والتصريح قال ان ربي لسميع الدعاء أي هو عالم بالمقصود سواء صرحت به او لم اصرح  
 وقوله سميع الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتدبه وقبله ومنه سمع الله لمن  
 حده (المطلوب الخامس) قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وفيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على ان أفعال العبد مخلوقة لله تعالى فقالوا ان قوله تعالى  
 حكاية عن ابراهيم عليه السلام اجتنبي وبنى أن نعبد الا صنم يدل على ان ترك النهيات  
 لا يحصل الامن لله وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي يدل على ان فعل المأمورات  
 لا يحصل الامن لله وذلك تصريح بان ابراهيم عليه السلام كان مصرا على ان الكل من  
 الله (المسئلة الثانية) تقدير الا يقرب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي أي واجعل بعض  
 ذريتي كذلك لان كلمة من قوله ومن ذريتي للتبويض وانما ذكر هذا التبويض لانه علم  
 باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين  
 (المطلوب السادس) انه عليه السلام لما دعا الله في المطالب المذكورة دعا الله تعالى في أن  
 يقبل دعاءه فقال ربنا وتقبل دعاء وقال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم  
 وما تدعون من دون الله (المطلوب السابع) قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم  
 الحساب وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لقائل أن يقول طلب المغفرة انما يكون بعد  
 سابقة الذنب فهذا يدل على انه كان قد صدر الذنب عنه وانه كان قاطعا بأن الله يغفر له  
 فكيف طلب تحصيل ما كان قاطعا بمحصله والجواب المقصود منه الاتجاء الى الله تعالى  
 وقطم الطمع الامن فضله وكرمه ورحمته (المسئلة الثانية) ان قال قائل كيف جازان  
 يستغفر لأبويه وكانا كافرين فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان النع منه لا يعلم الا  
 بالتوقيف فعلمه لم يجد منه منعاً فظن كونه جائزا (الثاني) أراد بوالديه آدم وحواء (الثالث)  
 كان ذلك بشرط الاسلام ولقائل أن يقول لو كان الامر كذلك لما كان ذلك الاستغفار  
 باطلا ولو لم يكن باطلا لبطل قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لا استغفرن لك وقال بعضهم  
 كانت أمه مؤمنة ولهذا السبب خص أباه بالذكر في قوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ  
 منه والله أعلم وفي قوله يوم يقوم الحساب قولان (الاول) يقوم أي يثبت وهو مستعار من  
 قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونظيره قوله ترجلت  
 الشمس أي اشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل (الثاني) أن يستند الى الحساب  
 قيام أهله على سبيل المجاز مثل قوله واسأل القرية أي أهلها والله أعلم \* قوله تعالى  
 (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ايام تشخص فيه الابصار مهطعين  
 مقبى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأقتدتهم هواء) اهل انه لما بين دلائل التوحيد ثم حكي  
 عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله ان يصونه عن الشرك وطلب منه أن يوفقه  
 للأعمال الصالحة وأن يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة ذكر بعد ذلك ما يدل على وجود

وينصحه قراءة ابن  
 مسعود رضي الله عنه  
 وما كان مكرهم فالجمله  
 حيثند حال من الضمير  
 في مكر والامن قوله تعالى  
 وعند الله مكرهم أي  
 مكرها مكرهم والحال  
 أن مكرهم لم يكن لتزول  
 منه الجبال على أنها  
 عبارة عن آيات الله تعالى  
 وشرائعه ومجزاته  
 الظاهرة على أيدي  
 الرسل السالفة عليهم  
 السلام التي هي بمنزلة  
 الجبال الراسيات  
 في الرسوخ وأما كونها  
 عبارة عن أمر النبي  
 صلى الله عليه وسلم وأمر  
 القرآن العظيم كما قيل  
 فلا مجال له اذا لما كرون  
 هم المهلكون  
 لا الساكنون في مساكنهم  
 من المخاطبين وان خص  
 الخطاب بالمتذرين  
 وقيل هي مخففة من ان  
 والمعنى انه كان مكرهم  
 لتزول منه ما هو كالجبال  
 في الثبات مما ذكر من  
 الآيات والشرائع  
 والمجزات والجمله

كأهي حال من ضمير مكرها أي مكرها مكرهم اليهود وان الشأن كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع ﴿ يوم ﴾  
 على معنى أنه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ  
 الكسائي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجمله حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم  
 أي عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكر بهم والجبال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال

أى في غاية الشدة وقرى بالفتح والنصب على لغة من يفتح لامى وقرى وان كاد مكرهم هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكرها للمندرين والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عز وجل واذ يكرهون الذين كفروا اليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى ﴿ ٣٦٥ ﴾ وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أى يقال لهم

ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما بنا فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الامثال قد مكرها مكرهم العظيم أى لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذى ونحوه بل اجترأ على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكرها حسبا ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكرها والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم أى وقد مكرها والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التى هى في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها

يوم القيامة وما يدل على صفة يوم القيامة أما الذى يدل على وجود القيامة فهو قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون فالقصد منه التنبيه على انه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم أن يكون اما غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو كان راضيا بذلك الظلم ولما كانت الغفلة والعجز والرضا باظلم محالا على الله امتنع أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم فان قيل كيف يليق برسول صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله موصوفا بالغفلة والجواب من وجوه (الاول) المراد به التثيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا (والثاني) ان المقصود منه بيان انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل غفلته عن ذلك الظلم ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما لكل أحد لاجرم كان عدم الانتقام محالا (والثالث) ان المراد ولا تحسبنه بما ملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على التقير والقطيع (الرابع) أن يكون هذا الكلام وان كان خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر الا أنه يكون في الحقيقة خطابا مع الامة وعن سفیان بن عيينة انه تسليمة للمظلوم وتهديدا للظالم ثم بين تعالى انه انما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم موصوف بصفات (الصفة الاولى) انه لشخص فيه الابصار يقال شخص بصير الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا يطررها وشخص البصر بدل على الحيرة والدهشة وسقوط القوة (والصفة الثانية) قوله مهطعين وفي تفسير الاطع اقوال أربعة (أحدها) قال أبو عبيدة هو الاسراع يقال اهطع البعير في سيره واستهطع اذا أسرع وعلى هذا الوجه فالعنى ان الغالب من حال من يبقى بصره شاحصا من شدة الخوف ان يبقى واقنافية الله تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد فانهم مع شخص اربصارهم يكونون مهطعين أى مسرعين نحو ذلك البلاء (القول الثاني) في الاطع قال أحد بن يحيى المهطع الذى ينظر في ذل وخشوع (والثالث) المهطع الساكت (الرابع) قال الليث يقال للرجل اذا قرودل أهطع (الصفة الثالثة) قوله مقنعي رؤسهم والاقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع فقوله مقنعي رؤسهم أى رافعي رؤسهم والمعنى ان المعتادين يشاهد البلاء انه يطرق رأسه عنه لئلا يراه فيبين تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد وانهم يرفعون رؤسهم (الصفة الرابعة) قوله لا يرتد اليهم طرفهم والمراد من هذه الصفة دوام ذلك الشخص قوله تشخص فيه الابصار لا يفيد كون هذا الشخص دائما وقوله لا يرتد اليهم طرفهم يفيد دوام هذا الشخص وذلك يدل على دوام تلك الحيرة والدهشة في قلوبهم (الصفة الخامسة) قوله واقتدتهم هواء الهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام ثم جعل وصفا فقيل قلب فلان هواء اذا كان خاليا لا قوة فيه والمراد بيان ان قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والافكار اعظم ما ينالهم من الحيرة ومن كل رجاء وأمل لما تحققوه من العقاب ومن كل سرور لكثرة ما فيه من الحزن اذا عرفت هذه الصفات الخمسة فقد احتلغوا

مخففة من الثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يكر بها ما كروا على تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليأمل ( فلا تحسبن الله مخلف وعده رسلة ) لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى ان انبصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لا تخلين أنا ورسلى كما قيل

فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخرى بل ما سلف آتيا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذي أريد به تبيينه عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم آتيا العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم ﴿ ٣٦٦ ﴾ \* بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم

في وقت حصولها فقيل انها عند المحاسبة يدل انما ذكر هذه الصفات عقيب وصف ذلك اليوم بأنه يوم يقوم الحساب وقيل انها تحصل عندما يتجزأ فريق عن فريق والسعداء يذهبون الى الجنة والاشقياء الى النار وقيل بل يحصل عند اجابة الداعي والقيام من القبور والاول اولى للدليل الذي ذكرناه والله اعلم \* قوله تعالى ( وأندرت الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلوا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك وتنبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلوا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ) اعلم ان قوله يوم يأتيهم العذاب فيه البحث ( البحث الاول ) قال صاحب الكشاف يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لقوله وأندرت وهو يوم القيامة ( البحث الثاني ) الالف واللام في لفظ العذاب للمعهود السابق يعني وأندرت الناس يوم يأتيهم العذاب الذي تقدم ذكره وهو شخوص ابصارهم وكونهم مهطعين منتعي رؤسهم ( البحث الثالث ) الانذار هو التخويف بذكر المضار والمفسرون مجمعون على أن قوله يوم يأتيهم العذاب هو يوم القيامة وحله أبو مسلم على انه حال المعاناة والظاهر يشهد بخلافه لانه تعالى وصف اليوم بأن عذابهم يأتي فيه وانهم يسألون الرجعة ويطلبون اولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم زوال ولا يلبق ذلك الا بيوم القيامة وحجة أبي مسلم ان هذه الآية شبيهة بقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب اولاخرتني الى أجل قريب فأصدق ثم يحيى الله سبحانه ما يقول الكفار في ذلك اليوم فقال فيقول الذين ظلوا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك وتنبع الرسل واختلقوا في المراد بقوله أخرنا الى أجل قريب فقال بعضهم طلبوا الرجعة الى الدنيا ليتلافوا ما فرطوا فيه وقال بعضهم بل طلبوا الرجوع الى حال التكليف يدل قولهم نجب دعوتك وتنبع الرسل وأما على قول أبي مسلم فتأويل هذه الآية ظاهر فقال تعالى محبب اليهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ومعناه ما ذكره الله تعالى في آية أخرى وهو قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت الى غير ذلك مما كانوا يذكرونه من انكار المعاد فقرعهم الله تعالى بهذا القول لان التقرير به هذا الجنس أقوى ومعنى مالكم من زوال لاشبهة في انهم كانوا يقولون لازوال لنا من هذه الحياة الى حياة اخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة لانهم كانوا ينكرون أن يزولوا عن حياة الى موت أو عن شباب الى هرم أو عن فقر الى غنى ثم انه تعالى زادهم تقرعاً آخر بقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلوا أنفسهم يعني سكنتم في مساكن الذين كفروا قبلكم وهم قوم نوح وعاد وثمود وظلوا أنفسهم بالكفر والمعصية لان من شاهد هذه الاحوال وجب عليه أن يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستوجبا للدم والتقرع ثم قال وتبين لكم كيف فعلنا بهم وظهر لكم ان عاقبتهم عادت الى الوبال والحزى والنكال فان قيل ولماذا قيل وتبين لكم كيف فعلنا بهم ولم يكن القوم يقولون بأنه تعالى أهلككم لاجل تكذيبهم قلنا انهم علموا أن اولئك المتقدمين

فكانه قيل واذا قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وما يسألونه من الرد الى الدنيا وما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كتبت عليه من اليقين بعدم اخلاقنا رسلنا وعدنا ( ان الله عزيز ) غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ( فواتنقام ) لا وائانه من أعدائه وبالجملة تعليل للنهى المذكور وتبديل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يبدل بأن يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير اليه بالفعل وعبر عنه بالذكر ( يوم تبدل الارض غير الارض )

ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور أى يجزى يوم الخ او معطوف عليه نحو وارقب ﴿ كانوا ﴾ يوم تبدل الارض غير الارض أو لانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتبديده مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخرة الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر

أو باضمار لا يخلف وعدة يوم تبدل الخ وفيه أيضا ما في الوجّه الثالث من الحاجة الاعتذار ولا يجوز أن ينصب بقوله تخلف وعده لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى إن الله عز و ذوات مقام جله اعتراضية فلا يزال بها فاصلا وأعلم أن التبدل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت ٣٦٧ الخ الحلقة خاتما إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله

سبائهم حسنات على بعض  
الاقوال والآية الكريمة  
ليست بنص في أحد  
الوجهين فمن على رضى الله  
عنه تبدل أرضا من فضة  
وسموات من ذهب وعن ابن  
مسعود رضى الله عنه  
تبدل الأرض بأرض  
كالفضة بيضاء نقية  
لم يسفك فيها دم ولم يعمل  
عليها خطيئة وعن ابن  
عباس رضى الله عنهما  
هى تلك الأرض وإنما تغير  
صفاتها وأنشد  
وما الناس بالناس الذين  
عهدتهم \* وما الدار  
بالدار التي كنت تعلم \*  
وتبدل السموات بانشار  
كواكبها وكسوف شمسها  
وخسوف قمرها وانشقاقها  
وكونها أبوابا ويدل عليه  
ما روى أبو هريرة رضى الله  
عنه أنه عليه الصلاة  
والسلام قال تبدل الأرض  
غير الأرض فتبسط  
وتمدد الأديم العكاظي  
لا ترى فيها عوجا ولا أمنا  
(والسموات) أى وتبدل  
السموات غير السموات  
حسب ما مر من التفصيل

كانوا طالين للدنيا ثم انهم فنوا وانقرضوا فعند هذا يعلمون انه لا فائدة في طلب الدنيا  
والواجب الجد والاجتهاد في طلب الدين والواجب على من عرف هذا أن يكون خائعا ورجلا  
فيكون ذلك زجراله هذا اذا قرئ بالتاء اما اذا قرئ بالنون فلا شبهة فيه لان التقدير كأنه  
تعالى قال أولم نبين لكم كيف فعلنا بهم وليس كل ما بين لهم تبذره أما قوله وضر بنا لكم  
الامثال فالمراد ما أورده الله في القرآن مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء  
وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجمل وذلك في كتاب الله كثير والله أعلم  
\* قوله تعالى (وقدم مكرهم ومكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أعلم  
انه تعالى لما ذكر صفة عقابهم أتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقدم مكرهم ومكرهم وفيه  
مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أن الضمير في قوله وقدم مكرهم الى ماذا يعود على وجوه  
(الاول) أن يكون الضمير عائدا الى الذين سكنوا في مساكن الذين طلبوا أنفسهم وهذا  
القول الصحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات (والثاني) أن يكون المراد به  
قوم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله وأندر الناس يا محمد وقدم مكرهم ومكرهم  
وذلك المكر هو الذى ذكره الله تعالى في قوله واذا يكر بك الذين كفروا يثبتوك أو يقتلوك  
أو يخرجوك وقوله مكرهم أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (الثالث) ان  
المراد من هذا المكر ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط  
قوائمه الاربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربعه من التابوت  
عصيا ربا وعلق على كل واحدة منهن قطعة لحم ثم انه جلس مع حاجبه في ذلك التابوت  
فلما بصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جوالهواء ثلاثة أيام وغابت الدنيا عن عين  
نمرود ورأى السماء بحالها فندكس تلك العصي التي علق عليها اللحم فذهلت النسور  
وهبطت الى الأرض فهذا هو المراد من مكرهم قال القاضى وهذا بعيد جدا لان الخطر فيه  
عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حاجة في تأويل الآية البتة  
(المسئلة الثانية) قوله وعند الله مكرهم في وجهان (الاول) أن يكون المكر مضافا الى  
الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجازيهم عليه بكر هو أعظم منه  
(والثاني) أن يكون المكر مضافا الى المفعول والمعنى وعند الله مكرهم الذى يكره بهم وهو  
عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون أما قوله تعالى وان  
كان مكرهم لتزول منه الجبال فاعلم انه قرأ الكسأى وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع  
اللام الاخرى منه والباقون بكسر الاولى ونصب الثانية أما القراءة الاولى فمنها ان  
مكرهم كان معدلا لتزول منه الجبال وليس المقصود من هذا الكلام الاخبار عن وقوعه  
بل التعظيم والتهويل وهو كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وأما القراءة الثانية فالمعنى  
ان لفظة ان في قوله وان كان مكرهم بمعنى ما واللام المكسورة بعدها يعنى بها المحذوم من  
سبيلها نصب الفعل المستقبل والنحويون يسمونها لام الحمد ومثله قوله تعالى وما كان الله

وتقديم تبدل الأرض لقرابها منا ولكون تبدلها أعظم أثرا بالنسبة اليها (ويرزوا) أى الخلائق أو الظالمون  
المدلول عليهم بمعونة السباق والمراد بروزهم من أجداثهم التي في بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا  
يصلونها سرا و يزعمون انها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع أنه لا عملهم للايمان  
بشكلهم بأشكال تناسبها

وهو مقطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أحوال من الارض بتقدير قدوارابط  
بينها وبين صاحبها الواو (لله الواحد القهار) الحسب والجزاء والتعرض للوصفين لتحويل الخطب وتربية  
المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود  
على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر ﴿ ٣٦٨ ﴾ اذا كان الواحد غلاب لا يعار وقادر لا يضار

ليطلعكم على الغيب ما كان الله ليذر المؤمنين والجبال ههنا مثل لامر النبي صلى الله عليه  
وسلم ولا مردين الاسلام واعلامه ودلالته على معنى ان ثبوتها كثبوت الجبال الراسية لان  
الله تعالى وعذبيه اظهر دينه على كل الاديان ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد  
هذه الآية فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله أى قد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم  
والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال أى وكان مكرهم أوهن واضعف من أن تزول  
منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل تسريعه وقرأ على وعمرو  
أن كان مكرهم \* قوله تعالى (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله ان الله عز برذوانتقام) اعلم  
انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال في هذه الآية  
فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله والمقصود منه التنبيه على انه تعالى اولم يقم القيامة  
ولم ينتقم للمظلومين من الظالمين لزم اما كونه غافلا واما كونه مخلفا في الوعد ولما تقرر  
في العقول السليمة ان كل ذلك محال كان القول بأنه لا يقم القيامة باطلا وقوله يخلف  
وعده رسله يعنى قوله اننا لننصر رسلا وقوله كتب الله لا تغلبن أباورسلى فان قيل هلا قيل  
مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلنا يعلم انه لا يخلف الوعد أصلا ان  
الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى لما لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه  
اخلاق المواعيد فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرى يخلف وعده رسله بجر  
الرسول ونصب الوعد والتقدير يخلف رسله وعده وهذه القراءة في الضعف كمن قرأ قتل  
أولادهم شركائهم ثم قال ان الله عز يزأى غالب لا يماكر ذوانتقام لا وليائه \* قوله تعالى  
( يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين  
يومئذ مقرنين في الاصفاد سرايلهم من قطران وتغنى وجوههم النار ليجزى الله كل  
نفس ما كسبت ان الله سر يرم الحساب هذا بلاغ للناس وليذروا به وليعلموا أنما هو اله  
واحد وليذكر أولوا الالباب) اعلم ان الله تعالى لما قال عز يزذوانتقام بين وقت انتقامه  
فقال يوم تبدل الارض غير الارض وعظم من حال ذلك اليوم لانه لا أمر اعظم في العقول  
والنفوس من تغير السموات والارض وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الزجاج  
في نصب يوم وجهين اما على الطرف لانتقام أو على البديل من قوله يوم يأتيهم العذاب  
(المسئلة الثانية) اعلم ان التبدل يحتمل وجهين أحدهما أن تكون الذات باقية وتبدل  
صفتها بصفة اخرى والثاني أن تفتى الذات الاولى وتحدث ذات اخرى والدليل على ان ذكر  
لفظ التبدل لارادة التغير في الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها  
خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات  
ويقال بدلت قبصى جبة أى نقلت العين من صفة الى صفة اخرى ويقال تبدل  
زيد اذا تغيرت أحواله وأما ذكر لفظ التبدل عند وقوع التبدل في الذوات فكذلك  
بدلت الدارهم دنابير ومنه قوله بدلتناهم جلودا غيرها وقوله بدلتناهم بجنتهم جنتين اذا

ولا يفارقان في غاية ما يكون  
من الشدة والصعوبة  
( وترى المجرمين ) عطف  
على برزوا والعدول  
الى صيغة المضارع  
لاستحضار الصورة  
أولدلالة على الاستمرار  
وأما البروز فهو دفعي  
لا استمرار فيه وعلى تقدير  
حالية برزوا فهو مقطوف  
على تبدل ويجوز عطفه  
على عامل الطرف القدم  
على تقدير كونه يجزى  
( يومئذ ) يوم اذ برزوا له  
عز وجل أو يوم اذ تبدل  
الارض أو يوم اذ يجزى  
وعده ( مقرنين ) قرن  
بعضهم مع بعض حسب  
اقتنائهم في الجرائم والجرار  
أو قرنوا مع الشياطين  
الذين أغوؤهم أو قرنوا  
مع ما اقترفوا من العقائد  
الزائفة والملكات الرديئة  
والاعمال السيئة غب  
تصور كل منها وتشكلها  
بما يناسبها من الصورة  
الموحشة والاشكال الهائلة  
أو قرنت أيديهم وأرجلهم  
الى رقابهم وهو حال  
من المجرمين ( في الاصفاد )

﴿ عرفت ﴾

في القيود أو الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين أحوال من ضميره أى مصفدين  
( سرايلهم ) أى قصانهم ( من قطران ) جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم  
في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في أو مستأنفة والقطران ما يعلب من الابهل فيطبخ فتنها به  
الابهل الجربى فيصير الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد ينصل حرارته

الى الجوف وهو اسود منتن يستريح فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يموت ملاوة لهم كالستر اويل  
ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه ﴿ ٣٦٩ ﴾ وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون الموحش

والثقل على أن التفاوت  
بينه وبين ما نشأه  
وبين النارين لا يكاد  
يقادر قدره فكان  
ما نشأه منها أسماء  
مسمياتها في الآخرة  
فبكرمه العميم نعوذ  
وبكفده الواسع نلوذ  
ويحتمل أن يكون ذلك  
تمثيلاً لما يحيط بجوهر  
النفس من الملكات  
الردية والهنات الوحشية  
فتجلب اليها الآلام  
والغموم بل وأن يكون  
القطران المذكور هين  
ما لا يسوه في هذه النشأة  
وجعلوه شعاعاً لهم من  
العقائد الباطلة والاعمال  
السيئة المستحيلة لغنون  
العذاب قد تجسدت  
في النشأة الآخرة بتلك  
لصورة المستبعدة لاشتداد  
العذاب عضماً لله  
سبحانه عن ذلك بمنه  
رأطفه وقرى من قطران  
أى نحاس مذاب متناه  
حره (وتغشى وجوههم  
النار) أى تعلوها وتحيط  
بها النار التي تمس جسد  
المسر بل بالقطران  
وتخصيص الوجوه  
بالحكم المذكور مع عمومه  
السار أعضاءهم لكونها

عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين في الآية قولان (الاول) ان  
المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات قال ابن عباس رضى الله عنهما هي تلك الارض  
الأنها تغيرت في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها  
عوج ولا أمت وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى عليه وسلم انه قال يدل  
الله الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مدالديم العكاظي فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً  
وقوله والسموات أى تبدل السموات غير السموات وهو كقوله عليه السلام لا يقتل مؤمن  
بكافراً ولا ذوع عهد في عهد والمعنى ولا ذوع عهد في عهد بكافراً بتبديل السموات بانتشار  
كواكبها وانفطارها وتكون يرشمها وخسوف قرها وكونها أبواباً وأنها تارة تكون  
كالهمل وتارة تكون كالدهان (والقول الثاني) ان المراد تبديل الذات قال ابن مسعود  
تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة فهذا شرح  
هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض المراد  
هذه الارض والتبدل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة لا بد وأن يكون الموصوف  
موجوداً فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الارض وجب كون هذه الارض باقية  
عند حصول ذلك التبدل ولا يمكن أن تكون هذه الارض باقية مع صفاتها عند حصول  
ذلك التبدل والامتنع حصول التبدل فوجب أن يكون الباقي هو الذات فثبت ان هذه  
الآية تقتضى كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون ان عند قيام  
القيامة لا يهدم الله النوات والاجسام وانما يعدم صفاتها وأحوالها واعلم انه لا يبعد أن  
يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل  
السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله كلاً ان  
كتاب الفجار لفي سجين والله أعلم أما قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار فتقول أما البروز  
لله فقد فسره في قوله تعالى وبرزوا لله جميعاً وانما ذكر الواحد القهار ههنا لان الملك اذا  
كان للمالك واحد غالب لا يغالب قهار لا يقهر فلا مستغاث لاحد الى غيره فكان الامر في  
غاية الصعوبة ونظيره قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما وصف نفسه سبحانه  
بكونه قهاراً بين عجزهم وذلتهم فقال وترى المجرمين يومئذ واعلم انه تعالى ذكر من صفات  
عجزهم وذلتهم أموراً (فالصفة الاولى) كونهم مقرنين في الاصفاد يقال قرنت الشئ بالشئ  
اذا شدته به ووصلته والقران اسم للجبيل الذي يشده شيئاً وجاء ههنا على التكثير كثرة  
أو ثلث القوم والصفاد جمع صفد وهو القيد اذا عرفت هذا فنقول في قوله مقرنين ثلاثة  
أوجه (أحدها) قال الكلبي مقرنين كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو معنى قوله  
واذا النفوس زوجت أى قرنت فيقرن الله تعالى نفوس المؤمنين بالخور العين ونفوس  
الكافرين بقرنائهم من الشياطين واقول حظ البحث العقلي منه ان الانسان اذا فارق  
الدنيا فاما ان يكون قد راض نفسه وهدبها ودعاها الى معرفة الله تعالى وطاعته ومحبته

أعز الاعضاء الظاهرة وأشرفها ﴿ ٤٧ ﴾ خا كقوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ وكونها  
جمع المشاعر والحواس

التي خلقت لأذراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبيره كأن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقدملوها بالجهالات ولذلك قيل نطلع على ﴿ ٣٧٠ ﴾ الأفئدة أو خلوها عن القطران المعنى عن ذكر

أو ما فعل ذلك بل تركها متوغلة في اللذات الجسدانية مقبلة على الأحوال الوهمية والخيالية فإن كان الأول فذلك النفس تغارق مع تلك البهجة بالحضرة الإلهية والسعادة بالعناية الصمدانية وإن كان الثاني فذلك النفس تغارق مع الأسف والحزن والبلاء الشديد بسبب الميل إلى عالم الجسم وهذا هو المراد بقوله وإذا النفوس زوجت وشيطان النفس الكافرة هي الملكات الباطلة والحوادث الفاسدة وهو المراد من قول عطاء إن كل كافر مع شيطانه يكون مقرونا في الأصفاد (والقول الثاني) في تفسير قوله مقرنين في الأصفاد وهو قرن بعض الكفار ببعض المرادان تلك النفوس الشقية والأرواح المكذرة الظلمانية لكونها متجانسة متشاككة ينضم بعضها إلى بعض وتنادى ظلمة كل واحدة بمنها إلى الأخرى فأخذ كل واحد منها إلى الأخرى في تلك الظلمات والخسارات هي المراد بقوله مقرنين في الأصفاد (والقول الثالث) قال زيد بن أرقم قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وحظ العقل من ذلك أن الملكات الحاصلة في جوهر النفس إنما تحصل بتكرير الأفعال الصادرة من الجوارح والأعضاء فإذا كانت تلك الملكات ظلمانية كدرة صارت في المثال كأن أيديها وأرجلها قرنت وغلت في رقابها وأما قوله في الأصفاد فغيبه وجهان أحدهما أن يكون ذلك متعلقا بمقرنين والمعنى يقرون بالأصفاد والثاني أن لا يكون متعلقا به والمعنى أنهم مقرنون مقيدون وحظ العقل معلوم مما سلفت الإشارة إليه (الصفة الثانية) قوله تعالى سرايلهم من قطران السرايل جمع سر بال وهو القميص والقطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسر هاء مع سكون الطاء وفتح القاف وكسر الطاء وهو شئ يتحلب من شجر يسمى الأبل فيطبخ ويطلبي به الأبل الجرب فيحرق الجرب بجرارته ووحده وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف ومن شأنه أن يتسارع فيد اشتعال النار وهو أسود اتون منتن الريح فتطلي به جلود أهل النار حتى يصير ذلك الطلي كالسرايل وهي القميص فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لدع القطران وحرقة وأسراع النار في جلودهم واللون الوحش ومنتن الريح وأيضا التفاوت بين قطران القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين وأقول حظ العقل من هذا أن جوهر الروح جوهر مشرق لامع من عالم القدس وغيبية الجلال وهذا البدن جار مجرى السربال والقميص له وكل ما يحصل للنفس من الآلام والغموم فاعلم يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لدع وحرقة في جوهر النفس لان الشهوة والحرص والغضب إنما تتسارع إلى جوهر الروح بسببه وكونه للكثافة والكثورة والظلمة هو الذي يخفي لمعان الروح وضوءه وهو سبب لحصول التثاقف والعقوبة فشبّه هذا الجسد بسرايل من القطران والقطر وقرأ بعضهم من قطران والقطر الخماس أو الصفر المذاب والآتي المنتهى حره قال أبو بكر بن الأنباري وتلك النار لا تيطل ذلك القطران ولا تفسده كما لا تهلك النار أجسادهم والأغلال التي كانت عليهم (الصفة الثالثة) قوله تعالى

غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف الذهب أحيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الأشهاد وقرئ تغشى أي تغشى بخذف إحدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء (ليجزي الله) متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزي (كل نفس) مجرمة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو غاصية ما كسبت من خيرا وشر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لاسيما

مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة (إن الله سريع الحساب) إذ لا يشغله شأن عن شأن فيمته في أعجل ﴿ وتغشى ﴾ ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المحيى يأتي عن



قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلاً إلى قوله ﴿ ٢٧١ ﴾ سريع الحساب (بلاغ) كفاية في العظة والتذكير

من غير حاجة إلى ما نظوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والتواريخ (لناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وأذرت الناس أولهم وللمؤمنين كافة على تقدير شمولهم أيضاً وإن كان ما شرح مختصاً بالظالمين (ولينذروا به) عطف على مقدر ولام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن يتحسبوا وينذروا به أو هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على أن البلاغ بمعنى البلاغ كافي قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا به أنزل أو تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ إذا علمه وحذره واستعمله (وليعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي أهلاك الأمم واسكان آخرين مساكنهم وغيرها مما سبق وخلق (أنما هو له واحد)

وتغشى وجوههم النار ونظيره قوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يحسبون في النار على وجوههم واعلم أن موضع المعرفة وانكرا والعلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والحيسال هو الرأس وأثر هذه الأحوال إنما تظهر في الوجه فلهاذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آمار العقاب فيهما فتال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وقال في الوجوه وتغشى وجوههم النار بمعنى تغشى ولما ذكر تعالى هذه الصفات الثلاثة قال ليجزي الله كل نفس ما كسبت قال الواحدى المراد منه أنفس الكفار لأن ما سبق ذكره لا يليق أن يكون جزاء لاهل الايمان وأقول يمكن إجراء اللفظ على عمومه لأن أفظ الآية يدل على أنه تعالى يجزي كل شخص بما يليق بعمله وكسبه ولما كان كسب هؤلاء الكفار الكفر والمعصية كان جزاؤهم هو هذا العقاب المذكور ولما كان كسب المؤمنين الايمان والطاعة كان اللاتق بهم هو الثواب وأيضا انه تعالى لما عقاب المجرمين بجرمهم فلائث يثبت المطيعين على طاعتهم كان أولى ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب والمراد أنه تعالى لا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذي يستحقونه وحفظ العقل منه أن الاخلاق الظلمانية هي المبادئ لحصول الآلام الروطانية وحصول تلك الاخلاق في النفس على قدر صدور تلك الاعمال منهم في الحياة الدنيا فان الملكات النفسانية إنما تحصل في جوهر النفس بسبب الافعال المتكررة وعلى هذا التقدير فتلك الآلام تتفاوت بحسب تلك الافعال في كثرتها وقتها وشدتها وضعفها وذلك يشبه الحساب ثم قال تعالى هذا بلاغ للناس أي هذا التذكير والموعظة بلاغ للناس أي كفاية في الموعظة ثم اختلفوا فقيل ان قوله هذا اشارة الى كل القرآن وقيل بل اشارة الى كل هذه السورة وقيل بل اشارة الى المذكور من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب وأما قوله ولينذروا به فهو معطوف على محذوف أي ليتحسبوا ولينذروا به أي بهذا البلاغ ثم قال وليعلموا أنما هو له واحد وليذكر أولو الالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في هذا الكتاب مراراً ان النفس الانسانية لها شعبتان القوة النظرية وكال حالها في معرفة الموجودات بأقسامها واجناسها وأنواعها حتى تصير انفس كالمرآة التي يتجلى فيها قدس الملكوت ويظهر فيها جلال اللاهوت ورئيس هذه المعارف والجلاء معرفة توحيد الله بحسب ذاته وصفاته وافعاله والشعبة الثانية القوة العملية وسعادتها في أن تصير موصوفة بالاخلاق الفاضلة التي تصير مبادئ صدور الافعال الكاملة عنها ورئيس سعادتها هذه القوة طاعة الله وخدمته اذا عرفت هذا فنقول قوله وليعلموا أنما هو له واحد اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس لكمال حال القوة النظرية وقوله وليذكر أولو الالباب اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس لكمال حال القوة العملية فان الفائدة في هذا التذكير انما هو الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الخاتمة كالدليل القاطع في انه

لا شريك له وتقديماً للانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدى الى ما هو غاية من العلم المذكور والتذكير في قوله تعالى (ولينذكر أولو الالباب) أي ليتذكروا ما كانوا يعملونه

قُلْ قَبْلَ مَنْ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ مِنْ شُؤْنِ اللَّهِ فَرُزُوجِلْ وَمَعَامَلَتِهِ مِمَّ عِبَادِهِ فَيُرْتَدُّعُوا عَمَّا يَرْتَدُّعُهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الْكُفَّارُ وَيَتَدَّرَعُوا بِمَا يَحْتَظِرُونَ مِنَ الْعُقَاةِ \* ٣٧٢ \* الْحَقَّةُ وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَفِي تَخْصِيصِ التَّذَكُّرِ بِأُولَى

لِإِسْعَادِ الْإِنْسَانَ الْأَمِنِ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ (المسئلة الثانية) هذه الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواهب والنصائح يوجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه في ذلك ان المرء اذا سمع هذه التحويلات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل فوصل الى معرفة التوحيد والنبوة واشتغل بالأعمال الصالحة (المسئلة الثالثة) قال القاضي أول هذه السورة وآخرها يدل على ان العبد مستقل بفعله ان شاء اطاع وان شاء عصى أما أول السورة فهو قوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور فاننا قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد الخلق كلهم الى الدين والتقوى ومنعهم عن الكفر والمعصية وأما آخر السورة فلان قوله وليتذكر أولوا الاباب يدل على أنه تعالى انما أنزل هذه السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواعظ لاجل ان ينتفع الخلق بها فيصبروا مؤمنين مطيعين ويتركوا الكفر والمعصية فظهر ان أول هذه السورة وآخرها متطابقان في افادة هذا المعنى واعلم ان الجواب المستقصى عنه مذکور في أول السورة فلا فائدة في الاعداء (المسئلة الرابعة) هذه الآية دالة على أنه لافضيلة للإنسان ولا منقبة له الا بسبب عقله لانه تعالى بين أنه انما أنزل هذه الكتب وانما بعث الرسل لتذكير أولى الاباب فلولا الشرف العظيم والمرتبة العالية لأولى الاباب لما كان الامر كذلك قال المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه تم تفسير هذه السورة يوم الجمعة في أواخر شعبان سنة احدى وستمائة ختم بالخير والغفران في صحراء بغداد ونسأل الله الخلاص من الغموم والاحزان والفوز بدرجات الجنان والخلاص من دركات النيران انه الملك المنان الرحيم الدين بجمدا لله وحسن توفيقه وصلاته وسلامه على خاتم النبيين محمد وآله وسلم

(سورة الحجر تسعون وتسع آيات مكية)  
\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الرتك آيات الكتاب وقرآن مبینر بما يود الذين كفروا وكانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتبعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) اعلم ان قوله تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبین الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتشكیر القرآن للتفخيم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان أما قوله ربما يود الذين كفروا وكانوا مسلمين ففيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ نافع وعاصم ربما خفيفة الباء والباقون مشددة قال أبو حاتم أهل الحجاز يخفون ربما وقيس وبكر يشقلونها وأقول في هذه اللفظة لغات وذلك لان الراء من رب وردت مضمومة ومفتوحة أما اذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة ومخففة وساكنة وعلى كل التقديرات تارة مع حرف ما وتارة بدونها وأيضا تارة مع التاء وتارة بدونها وأنشدوا

الاباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لاكل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيد البلاغ من التوحيد وما يرتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة الى أولى الاباب الثابت على ذلك حسبا أشيرا ليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثاني بالذکر وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الأولى والعقبى آمين \* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده \* (سورة الحجر مكيه هو تسع وتسعون آية) \* (بسم الله الرحمن

الرحيم) (الر) قدم الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها (تلك) اشارة اليد أى \* (أسمى) تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل المعهود الفنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به

على الاطلاق أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن وعن الجميع المنزل اذ ذلك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق \* ٣٧٣ \* وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت اليه من نعوت

الكمال لاعلى جملة  
عبارة عن السورة اذ هي  
في الاتصاف بذلك  
ليست بتلك المرتبة  
من الشهرة حتى يستغنى  
عن التصريح بالوصف  
على أنها عبارة عن  
جميع آياتها فلا بد من  
جعل تلك اشارة الى كل  
واحدة منها وفيه من  
التكليف ما لا يخفى كما  
ذكر في سورة الرعد  
(وقرآن) أى قرآن  
عظيم الشأن (مبين)  
مظهر لما في تضاعفه  
من الحكم والاحكام  
أولسبيل الرشد والغي  
أوفارق بين الحق  
والباطل والحلال  
والحرام ولقد فخم شأنه  
العظيم مع ما جمع فيه من  
وصفي الكآبية والقرآنية  
على طريقتين احدهما  
اشتاله على صفات كمال  
جنس الكتب الالهية  
فكانه كلها والثانية  
طريقة كونه تمازا  
عن غيره نسيج وحده  
بديعا في بابه خارجا  
عن دائرة البيان  
وأخرت الطريقة  
الثانية لما أن اشارة

أسمى ما يدريك أن رب فتية \* باكرت لذتهم بأ ذكر مسرع  
ورب بتسكين الباء وأنشدوا بيت الهذلي

أزهيران يشب القذال فأنى \* رب هبضل مرس كفت بهبضل  
والهبضل جماعة منسجمة وأيضاهذه الكلمة قد تبنى حالي تشديد الباء وتخفيفها مع  
حرف ما كقولك ربما وربما وتارة مع التاء وحرف ما كقولك رب تجاوزت بما هذا كله اذا  
كانت الراء من رب مضمومة وقد تكون مفتوحة فيقال رب وربما وربما حكاه قطرب  
قال أبو علي من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو ثم ورب وربت ولاولات  
فهذه اللغات بأسرها رواها الواحدى في البسيط (المسئلة الثانية) رب حرف جر عند  
سبويه ويلحقها ما على وجهين أحدهما أن تكون نكرة بمعنى شئ وذلك كقوله  
رب ما تكره النفوس من الاء \* ر له فرجة كحل العقال

خافى هذا البيت اسم والدليل عليه عود الضمير اليه من الصفقة فان المعنى رب شئ تكرهه  
النفوس واذا عاد الضمير اليه كان اسما ولم يكن حرفا كما ان قوله تعالى أيجسبون أمسا  
تدهم به من مال وبين للمعاد الضمير اليه علمنا بذلك انه اسم وما يدل على ان ما قد يكون  
اسما اذا وقعت بعد رب وقوع من بعدها في قول الشاعر

يارب من ينقص أزوادنا \* رحن على نقصانه واغتنين

فكما دخلت رب على كلمة من وكانت نكرة فكذلك تدخل على كلمة ما فهذا ضرب  
والضرب الآخر أن تدخل ما كافة كما في هذه الآية والتحويون يسمون ما هذه كافة  
يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان له واذا حصل هذا الكف  
فحينئذ تنهيا للدخول على ما لم تكن تدخل عليه ألا ترى ان رب انما تدخل على الاسم  
المفرد نحو رب رجل بقول ذلك ولا تدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها هياؤها للدخول  
على الفعل كهذه الآية والله أعلم (المسئلة الثالثة) اتفقوا على ان رب موضوعة  
للتقليل وهى في التقليل نظيرة كم في التكثير فاذا قال الرجل ربما زارنا فلان دل ربما  
على تقليله الزيادة قال الزجاج ومن قال ان رب يعنى بها الكثرة فهو ضد ما يعرفه أهل  
اللغة وعلى هذا التقدير فهنا سؤال وهوان تمنى الكافر الاسلام مقطوع به وكلمة رب  
تفيد الظن وأيضاً ان ذلك التنى يكثر ويتصل فلا يلىق به لفظه ر بما مع انها تفيد التقليل  
والجواب عنه من وجوه (الاول) ان من عادة العرب انهم اذا أرادوا التكثير ذكروا  
لفظا وضع للتقليل واذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود منه اظهار  
التوقع والاستغناء عن التصريح بالغرض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم  
على فعلك وان كان العلم حاصل بكثره الندم ووجوده بغير شك ومنه قول القائل  
\* قد أترك القرن مصفرا أنامله \* (والوجه الثانى) فى الجواب ان هذا التقليل أبلغ فى  
التهديد ومعناه انه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا العمل فكيف كثير

الى امتيازها عن سائر الكتب بعد التنبه على انطوائه على كالات غيره من الكتب أدخل فى المدح كى لا يتوهم من أول  
الامر أن امتيازها عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتغال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا  
الكلام فى فائحة سورة النمل خلا أنه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولا بين كون السورة الكريمة

بعضاً من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيهما من الاحكام والقصاص والمواظب شرع في بيان ما تضمنه  
قيل (ربما) بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ ﴿ ٣٧٤ ﴾ بالتشديد ويقع الراء محققاً وبزيادة الراء

(والوجه الثالث) في الجواب انه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك الا في القليل (المسئلة  
الرابعة) اتفقوا على ان كلمة رب مختصة بالدخول على الماضي كما يقال ربما قصدي هو رب  
الله ولا يكاد يستعمل المستقبل بعدها وقال بعضهم ليس الامر كذلك والدليل عليه قول  
الشاعر ربما تكره النفوس من الامر وهذا الاستدلال ضعيف لاننا ان كلمة رب في  
هذا البيت داخله على الاسم وكلامها في انها اذا دخلت على الفعل وجب كون ذلك  
الفعل ماضياً فأين أحدهما من الآخر الا أني أقول قول هؤلاء الادياء لا يجوز دخول  
هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع فيه الى  
النقل والاستعمال ولو أنهم وجدوا يتماشى على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح  
وكلام الله أقوى وأجل وأشرف فلم يتسكروا بوروده في هذه الآية على جوازه وصحته  
ثم نقول ان الادياء اجابوا عن هذا السؤال من وجهين (الاول) قالوا ان المترقب في  
اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ودوا (الثاني) ان  
كلمة ما في قوله ربما يود الذين كفروا اسم ويوصفة له والتقدير ربشي يوده الذين كفروا  
قال الزجاج ومن زعم ان الآية على الضمار كان وتقديره ربما كان يود الذين كفروا  
فقد خرج بذلك عن قول سيبويه الا ترى ان كان لا تضمن عنده ولم يجز عبدالله المقبول  
وأنت ترى يدان عبدالله المقبول (المسئلة الخامسة) في تفسير الآية وجوه على مذهب  
المفسرين فان كل أحد حل قوله ربما يود الذين كفروا على محمل آخر والاصح ما قاله الزجاج  
فانه قال الكافر كلما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم ودلوكان  
مسلماً وهذا الوجه هو الاصح وأما المتقدمون فقد ذكروا وجوها قال الضحاك المراد  
منه ما يكون عند الموت فان الكافر اذا شاهد علامات العقاب ودلوكان مسلماً وقيل ان  
هذه الحالة تحصل اذا سودت وجوههم وقيل بل عند دخولهم النار ونزول العذاب  
فانهم يقولون أخرنا الى أجل قريب نحب دعوتك ونتبع الرسل وروى أبو موسى ان  
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من  
شاه الله من أهل القبلة قال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغني عنكم  
اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيفضل الله تعالى بفضل رحته فيأمر باخراج كل من  
كان من أهل القبلة من النار فيخرجون منها حينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعلى هذا القول أكثر المفسرين وروى مجاهد  
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار  
ويدخلهم الجنة بشفاعته الانبياء والملائكة حتى انه تعالى في آخر الامر يقول من كان  
من المسلمين فليدخل الجنة قال فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال القاضي هذه  
الروايات مبنية على انه تعالى يخرج أصحاب الكبار من النار وعلى ان شفاعته الرسول  
مقبولة في اسقاط العقاب وهذا ان الاصلان عندهم دودان فعند هذا حل هذا الخبر على

مشددا وفيه ثمان لغات  
فتح الراء وضمها مشددا  
ومخففا وبزيادة التاء  
أيضا مشددا ومخففا  
ورب حرف جر لا يدخل  
الاعلى الاسم وما كافتة  
مصححة لدخوله على  
الفعل وحقه الدخول  
على الماضي ودخوله  
على قوله تعالى (يود الذين  
كفروا) لما ان المترقب  
في اخباره تعالى كالماضي  
المقطوع في تحقق  
الوقوع فكأنه قيل  
ربما و الذين كفروا  
والمراد كفرهم بالكتاب  
والقرآن ويكونه من  
عند الله تعالى (لو كانوا  
مسلمين) متقادين لحكمه  
ومذعنين لامره وفيه  
ايدان بأن كفرهم انما  
كان بالخطيئة وما علموا  
كونه من عند الله تعالى  
وتلك الودادة يوم القيامة  
أو عند موتهم أو عند  
معاناة حالهم وحال  
المسلمين أو عند رؤيتهم  
خروج عصاة المسلمين  
من النار وروى أبو موسى  
الاشعري رضي الله عنه  
انه قال قال النبي صلى الله  
عليه وسلم اذا كان يوم

القيامة واجتمع أهل النار ومعهم من شاه الله تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار أستم مسلمين قالوا ﴿ وجه ﴾  
بلى قالوا فما اغني عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم  
بفضل رحته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون

منها الحديث بنو الدين كفروا وكانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرتحمو ويشفع  
إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة ﴿ ٣٧٥ ﴾ فعند ذلك يتمون الاسلام والحق أن ذلك محمول على

شدة ودادتهم وأمانفس  
الودادة فليست بمختصة  
بوقت دون وقت بل  
هي مقرررة مستمرة في كل  
ان يمر عليهم وأن المراد  
بيان ذلك على ما هو عليه  
من الكثرة وإنما جئ  
بصيغة التقليل جريا  
على سنن العرب فيما  
يقصدون به الافراد فيما  
يعكسون عنه تقول لبعض  
قواد العساكر كم عندك  
من الفرسان فيقول رب  
فارس عندي أو لا تعدم  
عندي فارسا وعنده  
مقانب جمة من الكتاب  
وقصده في ذلك التماذي  
في تكثير فرسانه ولكنه  
يريد اظهار برادته من  
الترايد وباراز أنه ممن  
يقبل لطواهمة كثيرا  
عنده فضلا عن تكثير  
القليل وهذه طريقتا  
تسلك اذا كان الامر  
من الموضوع بحيث لا  
يحوم حوله شائبة ريب  
فيصاريه هضم الحق  
فدل النظم الكريم على  
ودادة الكافرين للاسلام  
في كل آن من آفات اليوم  
الآخر وأن ذلك من  
الظهور بحيث لا يشبهه

وجه بطابق قوله ويوافق مذهبه وهو انه تعالى يؤخر ادخال طائفة من المؤمنين الجنة  
بحيث يقلب على ظن هؤلاء الكفرة انه تعالى لا يدخلهم الجنة ثم انه تعالى يدخلهم الجنة  
فيردادهم الكفر وحسرتهم وهناك يودون لو كانوا مسلمين قال فبهذه الطريق تصح هذه  
الاخبار والله أعلم فان قيل اذا كان أهل القيامة قد يتمون أمثال هذه الاحوال وجب  
أن يتخي المؤمن الذي يقل ثوابه درجة المؤمن الذي يكثر ثوابه والتمنى للمالم يجده يكون في  
الفصة وتأم القلب وهذا يقتضي أن يكون أكثر المؤمنين في الفصة وتأم القلب قلنا  
أحوال أهل الآخرة لا تنفاس بأحوال أهل الدنيا فالله سبحانه أرى كل أحد بما فيه  
ونزع عن قلوبهم طلب الزيادات كما قال وزعنا ما في صدورهم من غل والله أعلم \* أما قوله  
تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ففيه مسائل ( المسئلة  
الاولى) المعنى دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك أخلاقهم ولا خلاق أهم في  
الآخرة وقوله ويلههم الأمل يقال لهيت عن الشيء الهى لهيا و جاء في الحديث ان ابن  
الزبير كان اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه قال الكسائي والاصمعي كل شيء تركته  
فقد لهيت عنه وأنشد

صرمت جبالك فله منها زين \* ولقد أطلت عنها لو نعتب

فقوله فله عنها أى اتركها وأعرض عنها قال المفسرون شغلهم الأمل عند الاخذ بمحظهم  
عن الايمان والطاعة فسوف يعلمون ( المسئلة الثانية ) احتج أصحابنا بهذه الآية على  
انه تعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالكلف ما يكون له مفسدة في الدين والدليل  
عليه انه تعالى قال لرسوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فتحكم بأن اقبالهم على  
التمتع واستغراقهم في طول الأمل يلهيهم عن الايمان والطاعة ثم انه تعالى أذن لهم فيها  
وذلك يدل على المقصود قالت المعتزلة ليس هذا اذنا ونحوها بل هذا تهديد ووعد قلنا  
ظاهر قوله ذرهم اذن أقصى ما في الباب انه تعالى نبه على ان اقبالهم على هذه الاعمال  
يضرهم في دينهم وهذا عين ما ذكرناه من انه تعالى أذن في شيء مع انه نص على كون ذلك  
الشيء مفسدة لهم في الدين ( المسئلة الثالثة ) دلت الآية على ان اشارة التلذذ والتمتع وما  
يؤدي اليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق  
الهمالكين والاخبار في ذم الأمل كثيرة فمنها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان الحرص على المال وطول الأمل وعنه صلى الله عليه وسلم  
انه نقط ثلاث نقط وقال هذا ابن آدم وهذا الأمل وهذا الاجل ودون الأمل تسع  
وتسعون منية فان أخذته احدا هن والافالهرم من ورائه وعن علي رضي الله عنه انه قال  
انما أخشى عليكم اثنسين طول الأمل واتباع الهوى فان طول الأمل ينسى الآخرة  
واتباع الهوى يصد عن الحق والله أعلم \* قوله تعالى ( وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب  
معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى) اعلم

على أحد ولو جئ بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو  
الموافق لما بين حقايرة شأن الكفار وهدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية

أو ذهابا إلى الأشعار بأن من شأن العاقل إذا علم له أمر يكون مظنون الحمد أو قلة ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يشاركه  
ضده فكيف إذا كان متيقن الحمد كما في قولهم له لك ﴿ ٣٧٦ ﴾ ستندم على ما فعلت وور بما ندبم الإنسان على ما فعل فان

انه تعالى لما توعد من قبل من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ذرهم يأكلوا  
ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون اتبعه بما يؤكدا من جر وهو قوله تعالى وما أهلكنا  
من قرية الا ولها كتاب معلوم في الهلاك والعذاب وانما يقع فيه التقديم والتأخير فالذين  
تقدموا كان وقت هلاكهم في الكتاب مجلا والذين تأخروا كان وقت هلاكهم في  
الكتاب مؤخرا وذلك نهاية في الزجر والتحذير (المسئلة الثانية) قال قوم المراد بهذا  
الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان الله ينزله بالمكذبين المعاندين كما بينه في قوم نوح  
وقوم هود وغيرهم وقال آخرون المراد بهذا الهلاك الموت قال القاضي والاقرب ما تقدم  
لانه في الزجر أبلغ فبين تعالى ان هذا الامهال لا ينبغي أن يغتر به العاقل لان العذاب مدخر  
فان لكل أمة وقتا معينيا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقال قوم آخرون المراد بهذا  
الهلاك مجموع الامرين وهو نزول عذاب الاستئصال ونزول الموت لان كل واحد منهما  
يشارك الآخر في كونه هلاكا فوجب حمل اللفظ على القدر المشترك الذي يدخل فيه  
القسمان معا (المسئلة الثالثة) قال الفراء لو لم تكن الواو مذكورة في قوله ولها كتاب  
كان صوابا كما في آية أخرى وهي قوله وما أهلكنا من قرية الا الهامنذرون وهو كما تقول  
ما رأيت أحدا الا وعليه ثياب وأن شئت قلت الا عليه ثياب \* أما قوله ما تسبق من أمة  
أجلها وما يستأخرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدي من في قوله من أمة  
زائدة مؤكدة كقولك ما جاني من أحد وقال آخرون انها ليست بزائدة لانها تفيد  
التبعيض أي هذا الحكم لم يحصل في بعض من ابعاض هذه الحقيقة فيكون ذلك في افادة  
عموم النفي أكد (المسئلة الثانية) قال صاحب النظم معنى سبق اذا كان واقعا على  
شخص كان معناه انه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمر أي جازه وخلفه وراه ومعناه انه  
قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان كان بالعكس في ذلك كقولك سبق فلان عام  
كذا معناه مضى قبل اتبانه ولم يبلغه فقوله ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون معناه  
انه لا يحصل ذلك الاجل قبل ذلك الوقت ولا بعده بل انما يحصل في ذلك الوقت بعينه  
والسبب فيه ان اختصاص كل حادث بوقته المعين دون الوقت الذي قبله أو بعده ليس على  
سبيل الاتفاق الواقع لا عن مرجح ولا عن مخصص فان رجحا أحد طرفي الممكن على  
الأخر لا مرجح محال وانما اخص حدوثه بذلك الوقت المعين لان العالم خصصه به بعينه  
واذا كان كذلك فقدره الا له وارادته اقتضت ذلك التخصيص وعلمه وحكمته تعلقا بذلك  
الاختصاص بعينه ولما كان تغير صفات الله تعالى أعني القدرة والارادة والعلم  
والحكمة ممتعا كان تغير ذلك الاختصاص ممتعا اذا عرفت هذا فنقول هذا الدليل  
بعينه قائم في افعال العباد أعني ان الصادر من زيد هو الايمان والطاعة ومن عمرو هو  
الكفر والمعصية فوجب أن يمتنع دخول التغير فيهما فان قاوا هذا انما يلزم لو كان  
المقتضى لحوث الكفر والايمان من زيد وعمرو هو قدرة الله تعالى ومشبته أما اذا قلنا

المقصود ليس بيان  
كون الندم مرجو  
الوجود بلا يتقن به أو  
قليل الوقوع بل التنبيه  
على أن العاقل لا يباشر  
ما يرجي فيه الندم أو  
يقبل وقوعه فيه فكيف  
يقطعي الوقوع وأنه  
يكفي قليل الندم في كونه  
حاجزا عن ذلك الفعل  
فكيف كثيره والمقصود  
من سلوك هذه الطريقة  
اظهار الترفع والاستغناء  
عن التصريح بانغرض  
بناء على ادعاء ظهوره  
فالعنى لو كانوا يودون  
الاسلام مرة واحدة  
لو جب عليهم أن لا  
يفارقوه فكيف وهم  
يودونه كل أن وهذا  
أوفق بمقام استزالمهم  
علمهم عليه من الكفر  
وهذا من طريقان متمايزان  
ذاتا ومقارفا فنظهما  
واحدا فقد نأى عن  
توفية المقام حقه (ذرهه)  
فهم عن النهى عما هم  
عليه بالتذكرة والنصيحة  
اذا لا سبيل الى ارضوانهم  
عن ذلك وبالغ في تخليتهم  
وشأنهم بل مرهم تعاطى  
ما يتعاطونه (ياكلوا

ويتمتعوا) بديابهم وفي تقديم الاكل ايدان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع اليها بما لا كل والمشارب ﴿ مقتضى ﴾  
والمراد دوامهم على ذلك لاحدائه فانهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا استماع ما ينص عيشهم من القوارع والزواجر  
فان التمتع على ذلك الوجه

أمر حادث يصلح أن يكون مترتباً على تخليتهم وشأنهم (ويلههم) ويشغلهم عن اتباعك أو عن التفكير فيما هم يصيرون إليه  
أوعن الأيمان والطاعة فإن الأكل والتمتع يفضيان إلى ذلك (الامل) والثوق لطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة  
الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمال الأخير فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر  
بالترك للامر بها على طريقة المجاز أو على أن يكون ﴿ ٣٧٧ ﴾ المراد بالأفعال المرقومة مباشرة لهم بما فليمن عن وخامة

عاقبتها غير سامعين لسوء  
مغبتها أصلاً ولا ريب  
في ترتب ذلك على الامر  
بالترك فإن النهي عما هم  
عليه من ارتكاب القبائح  
ما يشوش عليهم تمنعهم  
ويغص عليهم عيشهم  
فأمر عليه السلام بتركه  
ليترغوا فيما هم فيه من  
حظوظهم فيدهمهم  
ما يدهمهم وهم عنه  
غافلون (فسوف يعلمون)  
سوء صنيعهم أو وخامة  
عاقبته أو حقيقة الحال  
التي ألجأتهم إلى التني  
المذكور حيث لم يعلموا  
ذلك من جهتك وهو  
مع كونه وعبد أياً وعبد  
وتهديد اغب تهديد  
تعليل للامر بالترك فإن  
علمهم ذلك علة لترك النهي  
والنصيحة لهم وفيه  
الزام للحجة ومباغثة في  
الانذار اذ لا يتحقق الامر  
بالضد الا بعد تكرار الانذار  
وتقرر الحجود والانتكار  
وكذلك ما ترتب عليه  
من الأكل والتمتع والألهاء  
(وما أهلكنا) شروع في  
بيان سر تاخير عذابهم

المقتضى لذلك هو قدرة زيد وعمر ومشيئتهم حاسطة ذلك قلنا قدرة زيد وعمر ومشيئتهما ان  
كانتا موجبتين لذلك الفعل المعين فيخالق تلك القدرة والمشيئة الموجبتين لذلك الفعل هو  
الذي قدر ذلك الفعل بعينه فيعود الازام وان لم تكونا موجبتين لذلك الفعل بل كانتا  
صالحين له واضده كان رجحان أحد الطرفين على الآخر لم يكن مرجح فقد عاد الامر الى انه  
حصل ذلك الاختصاص لا لمخصص وهو باطل وان كان لمخصص فذلك المخصص ان كان هو  
العبد عاد البحث وزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فحينئذ يعود البحث الى أن فعل  
العبد انما عين وتقدر بتخصيص الله تعالى وحينئذ يعود الازام (المسئلة الثالثة) دلت  
الآية على ان كل من مات أو قتل فائتمات بأجله وان من قال يجوز ان يموت قبل أجله  
فخطي فان قالوا هذا الاستدلال انما يتم اذا جلتنا قوله وما أهلكنا على الموت أما اذا جلتنا  
على عذاب الاستئصال فكيف يلزم قلنا قوله وما أهلكنا ما ان يدخل تحته الموت  
أولا يدخل فان دخل فالاستدلال ظاهر لازم وان لم يدخل فنقول ان ما لأجله وجب في  
عذاب الاستئصال أن لا يتقدم ولا يتأخر عن وقته المعين قائم في الموت فوجب أن يكون  
الحكم ههنا كذلك والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكراك لمجنون  
لو ما تأتينا باللائكة ان كنت من الصادقين ما نزل الملائكة بالحق وما كانوا اذا منظرين  
انما نحن زنا الذكر وانما له لحافظون) اعلم انه تعالى لما بالغ في تهديد الكفار ذكركم بعدهم شبههم  
في انكار نبوته (فالشبهة الاولى) انهم كانوا يحكمون عليهم بالمجنون وفيه احتمالان (الاول)  
انه عليه السلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا انها جنون  
والدليل عليه قوله ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين وأيضاً قوله أولم يتفكر وا  
ما يصاحبهم من جنة (والثاني) انهم كانوا يستبعدون كونه رسولا حقاً من عند الله تعالى  
فالرجل اذا سمع كلاماً مستبعداً من غيره فر بما قال له هذا جنون وانت مجنون لبعدهما يذكره  
من طريقة العقل وقوله انك لمجنون في هذه الآية يحتمل الوجهين أما قوله يا أيها الذي نزل  
عليه الذكراك لمجنون ففيه وجهان الاول انهم ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون  
ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد وكما  
قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم لان البشارة بالعذاب ممتعة والثاني يا أيها الذي نزل عليه  
الذكرك في زعم واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه ثم حكى عنهم انهم قالوا في تقرر يشبههم  
لو ما تأتينا باللائكة ان كنت من الصادقين وفيه مسثلتان (الاول) المراد لو كنت صادقاً  
في ادعاء النبوة لا يتينا باللائكة يشهدون عندنا بصدقك فيما تدعيه من الرسالة لان المرسل  
الحكيم اذا حاول تحصيل أمر وله طريق يفضى الى تحصيل ذلك المقصود قطعاً وطريق  
آخر قد يفضى وقد لا يفضى ويكون في محل الشكوك والشبهات فان كان ذلك الحكيم  
أراد تحصيل ذلك المقصود فانه يحاول تحصيله بالطريق الاول لا بالطريق الثاني وانزال  
الملائكة الذين يصدقونك ويقررون قولك طريق يفضى الى حصول هذا المقصود قطعاً

الى يوم القيامة وعدم نظمهم ﴿ ٤٨ ﴾ خا في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب أي ما أهلكنا  
(من قرية) من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو باخلائها عن أهلها غيب اهلاكم كما فعل بأخريين  
(الاولها) في ذلك الشأن (كتاب) أي أجل مقدر مكتوب في اللوح







إلْفَواصِلَ وَلِذَلِكَ حَذَفَ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ وَالْجُمْلَةَ مَبْنِيَةً لِمَا سَبَقَ وَالْمَعْنَى أَنْ تَأْخِيراً عَلَيْهِمْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَسِماً أُشِيرَ إِلَيْهِ  
بِبَيَانٍ وَدَادَتْهُمْ لِلْإِسْلَامِ إِذْ ذَاكَ وَبِالْأَمْرِ بِتَرْكِهِمْ وَشَأْنِهِمْ إِلَى أَنْ يَطْلُوا حَقِيقَةَ الْحَالِ أَمَّا هُوَ لِتَأْخُرِ أَجْلُهُمْ الْمَقْدَرُ  
لِمَا يَنْتَضِيهِ مِنَ الْحُكْمِ الْبَالِغَةِ وَمَنْ جَلَّتْهَا مَا عَمِلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِيمَانٍ بَعْضٌ مِنْ يَخْرُجُ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَقَالُوا) شُرُوعٍ  
فِي بَيَانِ كُفْرِهِمْ بِمَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ بَعْدِيَانِ كُفْرِهِمْ بِالْكِتَابِ ﴿ ٣٨٠ ﴾ وَمَا يُؤَلِّهُ إِلَهُ حَالِهِمْ وَالْقَائِلُونَ مُشْرِكُو

والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع  
جهات التحريف مع أن دواعي المحدثه واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من  
أعظم المعجزات وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف وانقضى  
الآن قريباً من ستمائة سنة فكان هذا إخباراً عن الغيب فكان ذلك أيضاً معجزاً قاهراً  
(المسئلة الرابعة) احتج القاضي بقوله أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون على فساد قول  
بعض الامامية في أن القرآن قد دخله التغيير والزيادة والنقصان قال لأنه لو كان الامر  
كذلك لما بقى القرآن محفوظاً وهذا الاستدلال ضعيف لأنه يجري مجرى اثبات الشيء  
بنفسه فالامامية الذين يقولون ان القرآن قد دخله التغيير والزيادة والنقصان لعلمهم  
يقولون ان هذه الآية من جملة الروايات التي ألحقت بالقرآن فثبت أن اثبات هذا المطلوب  
بهذه الآية يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه وأنه باطل والله أعلم \* قوله تعالى ( ولقد  
أرسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلك  
في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد دخلت سنة الاولين ) اعلم أن القوم لما أساؤا في الادب  
وخاطبوه بالسفاهة وقالوا انك لمجنون فآله تعالى ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع  
الانبياء هكذا كانت ولك اسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الانبياء عليهم  
السلام فهذا هو الكلام في نظم الآية وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في الآية محدوف  
والتقدير لو لقد أرسلنا من قبلك رسالا انما حذفت ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله في  
شيع الاولين أي في أئمة الاولين واتباعهم قال الفراء الشيع الاتباع واحدهم شيع وشيعة  
الرجل اتباعه والشيعه الامه سمو بذلك لان بعضهم شايع بعضا وشاكله وذكرنا الكلام  
في هذا الحرف عند قوله أو بلسكم شيئا قال الفراء وقوله في شيع الاولين من اضافة  
الصفة الى الموصوف كقوله حق اليقين وقوله بجانب الغربي وقوله وذلك دين القيمة  
أما قوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أي عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء  
والرسل ذلك الاستهزاء بهم كما فعلوا بك ذكر تسليته النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن السبب  
الذي يحمل هؤلاء الجهال على هذه العادة الخبيثة أمور ( الاول ) انهم يستنقلون التزام  
الطاعات والعبادات والاحتراز عن الطيبات والذات ( والثاني ) ان الرسول يدعوهم الى  
ترك ما لقوه من أديانهم الخبيثة ومذاهبهم الباطلة وذلك ساق شديد على الطباع  
( والثالث ) أن الرسول متبوع مخدوم والاقوام يجب عليهم طاعته وخدمته وذلك أيضا  
في غاية المشقة ( والرابع ) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون فقيرا ولا يكون له  
أعوان وانصار ولا مال ولا جاه فالتنعمون والرؤساء يتقل عليهم خدمة من يكون بهذه  
الصفة ( والخامس ) خذلان الله لهم والقاء دواعي الكفر والجهل في قلوبهم وهذا هو  
السبب الاصلى فلهمذ الأسباب وما يشبهها تقع الجهال والضلال مع أكابر الانبياء عليهم  
السلام في هذه الاعمال القبيحة والافعال المنكرة أما قوله تعالى كذلك نسلك في قلوب

مكة لغاية تماديهم  
في العتو والغي (يا أيها الذي  
نزل عليه الذكر)  
خاطبوا به رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
لأن تسليم ذلك واعتقاد  
له بل استهزاء به عليه  
الصلاة والسلام  
واشعارا بعلته حكمهم  
الباطل في قولهم ( انك  
لمجنون ) كدأب فرعون  
اذ قال ان رسولكم الذي  
أرسل اليكم لمجنون يعنون  
يا من يدعى مثل هذا الامر  
البديع الخارق للعادات  
انك بسبب تلك الدعوى  
أو بشهادة ما يعتريك  
عند ما تدعى أنه ينزل  
عليك لمجنون وتقديم  
الجار والمجرور على القائم  
مقام الفاعل لان  
انكارهم متوجه الى كون  
النازل ذكرا من الله تعالى  
لا الى كون المنزل عليه  
رسول الله بعد تسليم  
كون الناظر منه تعالى  
كما في قوله تعالى لولا نزل  
هذا القرآن على رجل  
من القريتين عظيم فان  
الانكار هناك متوجه

الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لا يهام أن ذلك ليس بفعله ﴿ المجرمين ﴾  
فاعل أو لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل ( لوما نأتينا ) كلمة أو عند تركبها مع ما تفيد  
ماتفيدة عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا أنه عند أرادته لا يليها

الافعل ظاهر أو مضمير وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الاسم ظاهر أو مقدر عند البصير بين والمراد ههنا هو الثاني  
 أي هلا أئتنا (بالملائكة) يشهدون بصحة نبوتك وبعضدوك في الانذار كقوله تعالى لولا أنزل عليه ملك فيكون معه  
 نذيرا أو يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسلم ( ان كنت من الصادقين ) في دعواك فان قدرة الله  
 تعالى على ذلك مما لا ريب فيه ﴿ ٣٨١ ﴾ وكذا احتياجك اليه في تمشية أمرك فانا لانصدقك بدون ذلك

أو ان كنت من جملة  
 تلك الرسل الصادقين  
 الذين عذبت أممهم  
 المكذبة لهم (مانزل  
 الملائكة) بالنون على  
 بناء الفعل لضمير الجلالة  
 من التنزيل وقرى من  
 الانزال وقرى تنزل  
 مضارعا من التنزيل  
 على صيغة البناء للمفعول  
 ومن التنزل بحذف  
 احدى النادين وماضيا  
 منه ومن التنزيل  
 ومن الثلاثي وهو كلام  
 مسوق الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم جوابا لهم  
 عن مقالته المحكية  
 ورد الاقتراحهم الباطل  
 ولشدة استدهاء ذلك  
 للجواب قدم رده على  
 ما هو جواب عن أولها  
 اعنى قوله ان نحن نزلنا  
 الذكر الآية كما فعل  
 في قوله تعالى قال انما  
 يأتيكم به الله فانه مع  
 كونه جوابا عن قولهم  
 فائتنا بما تعدنا قدم  
 على قوله ولا ينفعكم  
 نصحي الآية مع كونه  
 جوابا عن أول كلامهم

المجرمين ففيه مستتان (المسئلة الاولى) السلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخط  
 في الخيط والرح في المطعون وقيل في قوله ما سلككم في سقر أي أدخلكم في جهنم وذكر  
 أبو عبيدة وأبو عبيد سلكته وأسلكته بمعنى واحد (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه  
 الآية على انه تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك  
 نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل  
 هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه لا يقال انه تعالى قال وما يأتينهم من رسول  
 الا كانوا به يستهزؤن وقوله يستهزؤن يدل على الاستهزاء بالضمير في قوله كذلك نسلكه هائد  
 اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا المراد من قوله كذلك نسلكه  
 في قلوب المجرمين هو انه كذلك نسلك الكفر والضلال والاستهزاء بالانبياء الله تعالى ورسله  
 في قلوب المجرمين لاننا نقول ان كان الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا الى الاستهزاء وجب  
 ان يكون الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا أيضا الى الاستهزاء لانهما ضميران تعاقبا  
 وتلاصقا فوجب عودهما الى شيء واحد فوجب أن لا يكونوا مؤمنين بذلك الاستهزاء  
 وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره والذي لا يكون كذلك هو  
 المسلم العالم بطلان الكفر فلا يصدق به وأيضا لو كان تعالى هو الذي يسلك الكفر في قلب  
 الكافر ويخلق فيه فإحدأولى بالعدر من هؤلاء الكفار ولكان على هذا التقدير يمتنع  
 ان يذمهم في الدنيا وان يعاقبهم في الآخرة عليه فثبت انه لا يمكن حل هذه الآية على هذا  
 الوجه فنقول التأويل الصحيح ان الضمير في قوله تعالى كذلك نسلكه هائد الى الذكر الذي هو  
 القرآن فانه تعالى قال قبل هذه الآية ان نحن نزلنا الذكر وقال بعده كذلك نسلكه أي هكذا  
 نسلك القرآن في قلوب المجرمين والمراد من هذا السلك هو انه تعالى يسمعهم هذا القرآن  
 ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم بمعانيه وبين انهم لجهلهم واصرارهم  
 لا يؤمنون به مع هذه الاحوال عنادا وجهلا فكان هذا موجبا للحق الذم الشديد بهم  
 ويدل على صحة هذا التأويل وجهان (الاول) ان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا الى القرآن  
 بالاجماع فوجب أن يكون الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه أيضا لانها ضميران  
 متعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد (والثاني) ان قوله كذلك معناه مثل ما عملنا كذا  
 وكذا نعمل هذا السلك فيكون هذا تشبيها لهذا السلك بعمل آخر ذكره الله تعالى قبل هذه  
 الآية من أعمال نفسه ولم يجر نعمل من أعمال الله ذكر في سابقة هذه الآية الا قوله  
 ان نحن نزلنا الذكر فوجب أن يكون هذا معطوفا عليه ومنشعبا به ومتى كان الامر كذلك  
 كان الضمير في قوله تعالى كذلك نسلكه عائدا الى الذكر وهذا تمام تقرير كلام القوم \* الجواب لا يجوز  
 أن يكون الضمير في قوله تعالى كذلك نسلكه عائدا الى الذكر ويدل عليه وجوه (الاول) ان قوله كذلك  
 نسلكه مذكور بحرفي النون والمراد منه اظهار نهاية التعظيم والجلالة ومثل هذا  
 التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهره أرقوى كامل بحيث صار المنازع والمدافع

الذي هو قولهم ياتون قد جادلنا الماذا ذكر من شدة اقتضائه للجواب ويكون أحدا الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس  
 يلزم انفصل كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما تأتيهم  
 بهم للايدان بأنهم قد أخطوا في التعبير حسما أخطوا في الاقتراح وأن الملائكة اهلوريتهم أعلى من أن ينسب اليهم  
 يطلق الاتيان الشامل للانتقال من أحد الإمكانة

التساوي إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وان يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل (الابالحق) أي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴿ ٣٨٢ ﴾ والذي اقترحوه من التنزيل لاجل

له مغلو بما مقهورا فأما اذا فعل فعلا ولم يظهر له أثر البتة صار المنازع والمدافع غالبا قاهرا فان ذكر اللفظ المشعر بنهاية العظمة والجلالة يكون مستقحا في هذا المقام والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماح القرآن وتحييظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل أن يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله تعالى كالمهدر الضائع وصار الكافر والشيطان كالفالغاب الدافع واذا كان كذلك كان ذكر النون المشعر بالعظمة والجلالة في قوله نسله غير لائق بهذا المقام فثبت بهذا الوجه ان التأويل الذي ذكره فاسد (والوجه الثاني) انه لو كان المراد ما ذكره اوجب أن يقال كذلك نسله في قلوب المجرمين ولا يؤمنون به أي ومع هذا السعي العظيم في تحصيل ايمانهم لا يؤمنون أما لما يذكر الواو فعلنا أن قوله لا يؤمنون به كالتفسير والبيان لقوله نسله في قلوب المجرمين وهذا انما يصح اذا كان المراد أن نسله الكفر والضلال في قلوبهم (الوجه الثالث) ان قوله انما نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤون قريب وعود الضمير إلى أقرب المذكورات هو الواجب أما قوله لو كان الضمير في قوله نسله عائدا إلى الاستهزاء لكان في قوله لا يؤمنون به عائدا اليه وحينئذ يلزم التناقض قلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) ان مقتضى الدليل عود الضمير إلى أقرب المذكورات ولا مانع من اعتبار هذا الدليل في الضمير الاول وحصل المانع من اعتباره في الضمير الثاني فلا جرم قلنا الضمير الاول عائدا إلى الاستهزاء والضمير الثاني عائدا إلى الذكر وتفريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل في القران أليس أن الجبائي والكعبي واقاضي قالوا في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها فلما تعشاها حلت جلا خفيفا فرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقالوا هذه الضمائر من أول الآية إلى قوله جعلناه شركاء عائدة إلى آدم وحواء وأما في قوله جعلناه شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون عائدة إلى غيرهما فهذا ما افتقروا عليه في تفاسيرهم واذا ثبت هذا ظهر أنه لا يلزم من تعاقب الضمائر عودها إلى شيء واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل فكذا ههنا والله أعلم (والوجه الثاني) في الجواب قال بعض الادياب من أصحابنا قوله لا يؤمنون به تفسير للكنية في قوله نسله والتدبر كذلك نسله في قلوب المجرمين أن لا يؤمنوا به والمعنى يجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا به (والوجه الثالث) وهو اننا بينا بالبراهين العقلية القاهرة أن حصول الايمان والكفر بمنع ان يكون بالعبء وذلك لان كل أحد انما يريد الايمان والصدق والعلم والحق وان أحدا لا يقصد تحصيل الكفر والجهل والكذب فلما كان كل أحد لا يقصد الا الايمان والحق ثم انه لا يحصل ذلك وانما يحصل الكفر والباطل علما أن حصول ذلك الكفر ليس منه فان قالوا انما حصل ذلك الكفر لانه ظن انه هو الايمان فتقول فعلى هذا التقدير انما رضى تحصيل ذلك الجهل لاجل جهل آخر سابق عليه فينقل

الشهادة لديهم وهم هم ومزلتهم في الحقايرة واليهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وانما الذي يدخل في حقيقتهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل باضرا بهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة (وما كانوا اذا منظرين) جزاء الشرط مقدر وفيه ايدان بانتاج مقدماتهم لتقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافا الا قليلا قل صاحب النظم لفظه اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول آتيتك اذ جئتني أي حين جئتني ثم ضم اليه

أن فصار اذ أن ثم استقلوا الهمزة فخذوها فحجي لفظه أن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير ﴿ الكلام ﴾ وما كانوا اذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لوزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قبل القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبا أجلا في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل الخ وحال جائل الحكمة بينهم

و بين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا و بايمان بعض ذراريهم و امان نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة  
 فبابه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد و لجاحهم في المكابرة و العناد هذا هو الذي يستدعيه عجزا لتنزيل الجليل  
 و امانا قبل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لاحكمة  
 في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم الا لبسا ﴿ ٣٨٣ ﴾ أو أن انزال الملائكة لا يكون الا بالحق و حصول

الفائدة بانزالهم وقد علم الله  
 تعالى من حال هؤلاء  
 الكفار أنه لو أنزل إليهم  
 الملائكة لبقوا مصرين  
 على كفرهم فيصبروا نزالهم  
 عذابا بلا ولا يكون حقا  
 فمع اخلال كل من ذلك  
 بقطعية الباقي لا يلزم  
 من فرض وقوع شيء  
 من ذلك تعجيل العذاب  
 الذي يفيد قوله تعالى  
 وما كانوا اذا منظرين  
 هذا على تقدير كون  
 اقتراحهم لا تيان الملائكة  
 لاجل الشهادة أما على تقدير  
 كون ذلك لتعذيبهم فالعنى  
 أن ما من نزل الملائكة التعذيب  
 الا تنزلا ملتبسا بالحق  
 الذي تقتضيه الحكمة  
 وتستدعيه المصلحة حتما  
 بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم  
 حسبما اقترحوا ما كان ذلك  
 التنزيل ملتبسا بمقتضى  
 الحكمة الموجبة لتأخير  
 عذابهم الى يوم القيامة  
 لا رفقاهم بل تشديدا  
 عليهم كما مر من قبل و حيث  
 كان في نسبة تنزيلهم  
 للتعذيب الى عدم موافقة  
 الحكمة نوع ايهام اهدم

الكلام الى ذلك الجهل السابق فان كان ذلك لاجل جهل آخر لزم التسلسل وهو محال  
 و الاوجب انتهاء كل الجهالات الى جهل أول سابق حصل في قلبه لا بتحصيله بل بتخليق الله  
 تعالى وذلك هو الذي قلناه ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به  
 والمعنى نجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا به وهو انه تعالى يخلق الكفر والضلال فيها وأيضا  
 قدماء المفسرين مثل ابن عباس وتلامذته أطبقوا على تفسير هذه الآية بأنه تعالى يخلق  
 الكفر والضلال فيها والتأويل الذي ذكره المعتزلة تأويل مستحدث لم يقبل به أحد من  
 المتقدمين فكان مر دود اوروى القاضي عن عكرمة أن المراد كذلك نسلك القسوة في  
 قلوب المجرمين ثم قال القاضي ان القسوة لا تحصل الا من قبل الكافر بأن يستمر على كفره  
 ويعاند فلا يصح اضافته الى الله تعالى فيقال للقاضي ان هذا يجري مجرى المكابرة وذلك  
 لان الكافر يجرد من نفسه نفرة شديدة عن قبول قول الرسول ونبوة عظيمة عنه حتى انه كلما  
 رآه تغير لونه واصفر وجهه ووربما ارتعدت أعضاؤه ولا يقدر على الالتفات اليه والاصغاء  
 لقوله فحصول هذه الاحوال في قلبه أمر اضطراري لا يمكنه دفعها عن نفسه فكيف يقال  
 انها حصلت بفضله واختياره فان قالوا انه يمكنه ترك هذه الاحوال والرجوع الى الانقياد  
 والقبول فنقول هذا مغالطة محضه لانك ان أردت انه مع حصول هذه النفرة الشديدة  
 في القلب والنبوة العظيمة في النفس يمكنه أن يعود الى الانقياد والقبول والطاعة وارضاه  
 فهذا مكابرة وان أردت أن عند زوال هذه الاحوال النفسانية يمكنه العود الى القبول  
 والتسليم فهذا حق الا انه لا يمكنه ازاله هذه الدواعي والصوارف عن القلب فانه ان كان  
 الفاعل لها هو الانسان لا تقدر في تحصيل هذه الدواعي والصوارف الى دواعي سابقة عليها  
 وزم الذهاب الى ما لانها يهتله وذلك محال وان كان الفاعل لها هو الله تعالى في حينئذ يصح انه  
 تعالى هو الذي يسلك هذه الدواعي والصوارف في القلوب وذلك عين ما ذكرناه والله أعلم ﴿  
 أما قوله تعالى وقد دخلت سنة الاولين ففيه قولان (الاول) انه تهديد لكفار مكة بقول قد  
 مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل في القرون الماضية (الثاني) وهو قول الزجاج وقد  
 مضت سنة الله في الاولين بأن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا اللفظ بظاهر اللفظ  
 ﴿ قوله تعالى (ولو قمنا عليهم بايمان السماء فظلا وافية يرجون لقاءنا انما سكرت ابصارنا  
 بل نحن قوم مسحورون) اعلم ان هذا الكلام هو المذكور في سورة الانعام في قوله ولو نزلنا  
 عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحراميين والحاصل  
 ان القوم لما طلبوا نزول ملائكة يصرحون بتصديق الرسول عليه السلام في كونه رسولا  
 من عند الله تعالى بين الله تعالى في هذه الآية أن بتقدير أن يحصل هذا المعنى لقال الذين  
 كفروا هذا من باب السحر وهو لاء الذين يظن ان انزالهم فحسب في الحقيقة لانزالهم والحاصل  
 انه لما علم الله تعالى أنه لا فائدة في نزول الملائكة فلهذا السبب ما أنزلهم فان قيل كيف  
 يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا ساكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار

استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين  
 وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر  
 (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه

وسأ بذلك وتسليمة له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول أي إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له (وإنه لحافظون) من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا وإيا فيكون وعيدا للمستهزئين وأما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى \* ٣٨٤ \* المقام فالوجه الجمل على الحفظ من جمع

الواضح ولو جار حصول الشك في ذلك كانت السفسطة لازمة ولا يبقى حينئذ اعتماد على الحسرة المشاهدة أجاب القاضي عنه بأنه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يبصرون وإنما وصفهم بأنهم يقولون هذا القول وقد يجوز أن يقدم الإنسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة ثم سأله نفسه وقال أفصح من الجمع العظيم أن يظهر الشك في المشاهدات وأجاب بأنه يصح ذلك إذا جهم عليه غرض صحيح معتبر من مواطأة على دفع حجة أو غلبة خصم وأيضا فهذه الحكاية إنما وقعت عن قوم مخصوصين سألو الرسول صلى الله عليه وسلم أنزال الملائكة وهذا السؤال ما كان إلا من رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد واقدام العدد لتقليل على ما يجري مجرى المكابرة جائز (المسئلة الثانية) قوله تعالى فظنوا فيه يرجون يقال ظل فلان نهاره يفعل كذا إذا فعله بانهار ولا تقول العرب ظل يظل إلا لكل عمل عمل بالنهار كما لا يفواون بات بيت الأباليل والمصدر الظلول وقوله فيه يرجون يقال عرج يعرج عروجا ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها والمفسرين في هذه الآية قولان (أحدهما) أن قوله فظنوا فيه يرجون من صفة المشركين قال ابن عباس رضى الله عنهما لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون إلى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوام مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله (القول الثاني) أن هذا العروج للملائكة والمعنى أنه تعالى لو جعل هؤلاء الكفار بحيث يروا أبواب السماء مفتوحة وتصعد منها الملائكة وتنزل أصرفوا ذلك عن وجهه ولقالوا إن السحرة مسحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الأباليل التي لا حقيقة لها وقوله لقالوا إنما سكرت أبصارنا فيه مسئلتان (المسئلة الأولى) قرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون مشددة الكاف قال الواحدى سكرت غشيت وسددت بالسحر هذا قول أهل اللغة قالوا وأصله من السكر وهو سد الشق ثلاثينج الماء فكان هذه الابصار منعت من النظر كما ينم السكر الماء من الجرى والتشديد يوجب زيادة وتكثيرا وقال أبو عمرو بن العلاء هو مأخوذ من سكر الشراب يعني أن الابصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل فإذا كان هذا معنى التخفيف فسكرت بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد أخرى وقال أبو عبيدة سكرت أبصارنا أي غشيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها وعلى هذا القول أصله من السكون يقال سكرت الريح سكرًا إذا سكنت وسكر الحر يسكر وليلة ساكرة لا ریح فيها وقال أوس جذلت على ليلة ساهره \* فليست بطلق ولا ساكرة

ويقال سكرت عينه سكرًا إذا تحيرت وسكنت عن النظر وعلى هذا معنى سكرت أبصارنا أي سكنت عن النظر وهذا القول اختيار الزجاج وقال أبو على القاسى سكرت صارت

ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز أن يراد حفظه بالأعجاز دليل على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند غيره لتهطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجلتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجلية الاسمى دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم! كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جوابا عن أول كلامهم الباطل رداله لما ذكر أنفا ولا ارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي رسلا وإنما لم يذكر الدلالة ما بعده عليه (من قبلك) متعلق بأرسلنا أو بمحذوف هونعت للمفعول المحذوف أي رسلا كأنه من قبلك (في شيع الأولين)

أي فرقهم واحزابهم جمع شيعه وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه \* بحيث \* واضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصر بين أي شيع الإمام الأولين

ومضى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتا بعونه في كل ماياتي ويذرم من امور الدين (وماياتهم من رسول) المراد نبي اتيان كل رسول لشيئته الخاصة به لانني اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشجج جيعا أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الاوهو في معنى الحال ولا على ماض ﴿ ٣٨٥ ﴾ الا هو قريب من الحال أي ما أي شيعة من تلك الشيع

رسول خاص بها  
(الا كانوا يستهزؤن)  
كما يفعله هؤلاء الكفرة  
والجملة في محل نصب  
على أنها حال مقدرة  
من ضمير المفعول في  
يأتيهم اذا كان المراد  
بالاتيان حدوثه أو في  
محل الرفع على أنها  
صفة رسول فان محله  
الرفع على الفاعلية أي  
الارسل كانوا يستهزؤن  
وأما الجر على أنها صفة  
باعتبار لفظه فيغضى  
الى زيادة من الاستعراقية  
في الاثبات ويجوز أن  
يكون منصوبا على  
الوصفية بأن يقدر  
الموصوف منصوبا على  
الاستثناء وان كان المختار  
الرفع على البدلية وهذا  
كما ترى تسليمة لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم بأن  
هذه عادة الجهال مع  
الانبياء عليهم السلام  
وحيث كان الرسول  
مصحوبا بكباب من عند  
الله تعالى تضمن ذكر  
استهزائهم بالرسول

بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها وكان معنى السكر قطع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك تسكير الماء وهو رده عن سننه في الجرية والسكر في الشراب هو أن يقطع عما كان عليه من المضاعف في حال الصحو فلا ينفذ رأيه على حد نفاذه في الصحو فهذه أقوال أربعة في تفسير سكرت وهي في الحقيقة مقاربة والله أعلم (المسئلة الثانية) قال الجبائي من جوز قدرة السحرة على أن يأخذوا بأعين الناس حتى يروههم الشيء على خلاف ما هو عليه لم يصح ايمانه بالانبياء والرسول وذلك لانهم اذا جوزوا ذلك فعلوا هذا الذي يرى أنه محمد بن عبد الله ليس هو ذلك الرجل وانما هو شيطان ولعل هذه المعجزات التي نشاهد هاليس لها حقائق بل هي تكون من باب الاراء الباطلة من ذلك الساحر واذا حصل هذا التجوز بطل الكل والله أعلم \* قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الامن استرق السمع وأتبعه شهاب مبين) اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكري النبوة وكان قد ثبت أن القول بالنبوة مفرغ على القول بالتوحيد أتبعه تعالى بدلائل التوحيد ولما كانت دلائل التوحيد منها سماوية ومنها أرضية بدأ منها بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للنظرين قال اثليث البرج واحد من بروج الفلك والبروج جمع وهي اثنا عشر برجاً ونظيره قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وقال والسماء ذات البروج ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو أن طبائع هذه البروج مختلفة على ما هو متفق عليه بين أرباب الاحكام واذا كان الامر كذلك فالفلك مركب من هذه الاجزاء المختلفة في الماهية والابحاض المختلفة في الحقيقة وكل مركب فلا بد له من مركب يركب تلك الاجزاء والابحاض بحسب الاختيار والحكمة فثبت أن كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب وأما قوله وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الامن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقد استقصينا الكلام فيه في سورة الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فلانعبد ههنا الا القدر الذي لا بد منه قوله وزيناها أي بالشمس والقمر والتجوم للنظرين أي للمعتبرين بها والمستلدين بها على توحيد صانعها وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم فان قيل ما معنى وحفظناها من كل شيطان رجيم والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فأى حاجة الى حفظ السماء منه قلنا لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فحفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ منازلنا من متجسس يخشى منه الفساد ثم نقول معنى الرجم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل للقتل رجم تشبيهاً بالرجم بالحجارة والرجم أيضا السب والشتم لانه رمى بالقول القبيح ومنه قوله لا رجمك أي لا سبناك والرجم اسم لكل ما يرمى به ومنه قوله وجعلناها رجوما للشياطين أي رمى لهم والرجم القول بالظن ومنه قوله رجما بالغيب لانه يرميه بذلك

استهزاءهم بالكتاب ﴿ ٤٩ ﴾ خا ولذلك قيل (كذلك) اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقر ونا بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم وبما جاؤوا به من الكتاب (نسله) أي الذكر (في قلوب المجرمين) أي أهل مكة أو جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا أوليا ومحله إنصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو

حال منه أي نسله سلكا مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أي مقر ونا بالاستهزاء غير مقبول لما اقتضيه الحكمة فانهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وضيعة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة أو للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرح في المطعون (لابو منون به) أي بالذكر ﴿ ٣٨٦ ﴾ حال من ضمير نسله أي غير مؤمن به أو بيان

الظن والرجم أيضا اللعن والطرده وقوله الشيطان الرجيم قد فسروه بكل هذه الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الشياطين لا تحجب عن السموات فكأوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فكل واحد منهم اذا أراد استراق السمع رعى بشهاب وقوله الامن استرق السمع لا يمكن حل لفظه الا ههنا على الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء من أن تكون محفوظة منهم الا أنهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها فلا يصح أن يكون استثناء على التحقيق فوجب أن يكون معناه لكن من استرق السمع قال الزجاج موضع من نصب على هذا التقدير قال وجاز أن يكون في موضع خفض والتقدير الامن قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك لان المارد من الشياطين يعلو فيرى بالشهاب فيحرقه ولا يقاتله ومنهم من يحيله فيصير غولا يضل الناس في البراري وقوله فأتبعه ذكرنا معناه في سورة الاعراف في قصة بلع بن باعورا في قوله فأتبعه الشيطان معناه لحقه والشهاب شعله نار ساطع ثم يسمى الكوكب شهابا والسنان شهابا لاجل أنهما لما فيهما من البريق يشبهان النار واعلم أن في هذا الموضوع أبحاثا دقيقة ذكرناها في سورة الملك وفي سورة الجن ونذكر منها ههنا اشكالا واحدا وهو أن لقائل أن يقول اذا جوزتم في الجملة أن يصعد الشيطان الى السموات ويختلط بالملائكة ويسمع أخبار الغيوب عنهم ثم انها تنزل وتلقى تلك الغيوب على الكهنة فعلى هذا التقدير وجب أن يخرج الاخبار عن المغيبات عن كونه معجزا لان كل غيب يخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم قام فيه هذا الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا دليلا على الصدق لا يقال ان الله تعالى أخبر أنهم معجزوا عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لا نقول هذا العجز لا يمكن اثباته الا بعد القطع بكون محمد رسولا وكون القرآن حقا والقطع بهذا لا يمكن الا بواسطة المعجز وكون الاخبار عن الغيب معجزا لا يثبت الا بعد انطال هذا الاحتمال وحينئذ يلزم الدور وهو باطل محال ويمكن أن يجاب عنه بأن انثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم بنبوته نقطع بان الله تعالى أعجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيوب معجزا وبهذا الطريق يتدفع الدور والله أعلم \* قوله تعالى (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأبدنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) اعلم أنه تعالى لما شرح الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع (النوع الاول) قوله تعالى والارض مددناها قال ابن عباس بسطناها الى وجه الماء وفيه احتمال آخر وذلك لان الارض جسم والجسم هو الذي يكون متدافا الجهات الثلاثة وهي الطول

للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء في تعين البيانية الآن يجعل الضمير المحرور أيضا على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة أو مقارنة للايدان بأن كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (وقد دخلت سنة الاولين) أي قد مضت طريقتهم التي سنه الله تعالى في اهلا كهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جري به تكلمة للتسليمة وتصريحها بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المقترحين المعاندين (بابا من السماء) أي بابا لا بابا من أبوابها المعهودة كاقبل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون)

يآلة أو غيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيد الطول أو نزل الملائكة الذين ﴿ والعرض ﴾ اقترحوا اثباتهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم (لقالوا) لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهن عن قبول الحق (انما سكرت أبصارنا) أي سدت من الاحساس من السكر كما يبدي عليه القراءة بالتحفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من



قرأ سكرت أي حازت ( بل نحن قوم مسحورون ) قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يتنون القول بذلك وأن ما يرونه لاحقته مقوله وانما هو أمر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تنكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان خروج كل منهم الى السماء وان كان مرتباً ﴿ ٣٨٧ ﴾ لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر

عن الابصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تنكير الابصار ( ولقد جعلنا في السماء بروجا ) قصورا يذللها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهياكل والخواص حسب ما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجمل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التضمير فهو مفعول ثان له متعلق بمخدوف أي جعلنا بروجا كأثنت في السماء (وزينها) أي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت (لناظرين) اليها فهي التي بين ظاهرها وللمتفكرين المعبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة ترتيبها مدبرها فترتيبها على نظام بدعي مستتب

والعرض والتخن واذا كان كذلك فتمدد جسم الارض في هذه الجهات الثلاثة مختص بمقدار معين لما ثبت أن كل جسم فانه يجب أن يكون متناهيًا واذا كان كذلك كان تمدد جسم الارض مختصًا بمقدار معين مع أن الازدياد عليه معقول والانتفاص عنه أيضا معقول واذا كان كذلك كان اختصاص ذلك التمدد بذلك القدر المقدر مع جواز حصول الازيد والانتقص اختصاصًا بأمراً جازم وذلك يجب أن يكون بتخصيص مختص وتقدير مقدر وهو الله سبحانه وتعالى \* فان قيل هل يدل قوله والارض مددناها على انها بسيطة \* قلنا نعم لان الارض تقدير كونها كرة فهي كرة في غايبة العظمة والكرة العظيمة يكون كل قطعة صغيرة منها اذا نظر اليها فانها ترى كالسطح المستوي واذا كان كذلك زال ما ذكره من الاشكال والدليل عليه قوله تعالى والجبال أوتادا سماها أوتادام انه قد يحصل عليها سطوح عظيمة مستوية فكذا ههنا ( النوع الثاني ) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وألقينا فيها رواسي وهي الجبال الثوابت واحدها راسي والجمع راسية وجم الجمع رواسي وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وفي تفسيره وجهان ( الاول ) قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينه وأرساها الله تعالى بالجبال الثقال لكيلا تيل بأهلها فان قيل أنقولون انه تعالى خلق الارض بدون الجبال قالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك أو تقولون ان الله خلق الارض والجبال معا قلنا كلا الوجهين محتمل ( والوجه الثاني ) في تفسير قوله وألقينا فيها رواسي يجوز أن يكون المراد انه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض ونواحيها لانها كالاعلام فلا تمل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال وهذا الوجه ظاهر الاحتمال ( النوع الثالث ) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وأبنتنا فيها من كل شئ موزون وفيه بخان ( الاول ) أن الضمير في قوله وأبنتنا فيها يحتمل أن يكون راجعاً الى الارض وأن يكون راجعاً الى الجبال الرواسي الآن رجوعه الى الارض أولى لان أنواع النبات المنتفع بها إنما تولد في الاراضي فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع ومنهم من قال رجوع ذلك الضمير الى الجبال أولى لان المعادن إنما تولد في الجبال والاشياء الموزونة في العرف والعادة هي المعادن لالنبات ( البحث الثاني ) اختلفوا في المراد بالموزون وفيه وجوه ( الاول ) أن يكون المراد انه مقدر بقدر الحاجة قال القاضي وهذا الوجه أقرب لانه تعالى يعلم المقدار الذي يحتاج اليه الناس وينفعون به فثبت تعالى في الارض ذلك المقدار ولذلك اتبعه بقوله وجعلنا لكم فيها معاش لان ذلك الرزق الذي يظهر بالنبات يكون معيشة لهم من وجهين ( الاول ) بحسب الاكل والانتفاع بعينه ( والثاني ) أن ينفع بالتجارة فيه والقائلون بهذا القول قالوا الوزن إنما يعرفه المقدار فكان اطلاق لفظ الوزن لارادة معرفة المقدار من باب اطلاق اسم السبب على

الانمار الحسنة ( وحفظناها من كل شيطان رجيم ) مرعى بالجوم فلا يقدر أن يصعد اليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها وينف على أحوالها ( الا من استرق السمع ) محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ منع الشياطين عن ان تعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع ان فسر ذلك بالنوع عن دخولها والتصريف فيها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما كانوا لا ينجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من فطان السموات بما ينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع (فأتبعه) أي تبعه وخطفه (شهاب) لهب محرق وهو شعلة نار ساطعة ﴿ ٣٨٨ ﴾ وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيهما من

من البريق (مبين) ظاهر أمره للبصرين قال معرقت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالجوم في الجاهلية قال نعم وإن الهم يقص ويرمي به الشيطان فيقتله أو ينجبه لثلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتبية إن الرجم كان قبل بعثه عليه الصلاة والسلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد بعثه عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق

المسبب قالوا وبتأ كذلك أيضا بقوله تعالى وكل شيء هنده بمقدار وقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (والوجه الثاني) في تفسير هذا اللفظان هذا العالم عالم الأسباب والله تعالى إنما يخلق المعادن والنبات والحيوان بواسطة تركيب طبائع هذا العالم فلا بد وأن يحصل من الأرض قدر مخصوص ومن الماء والهواء كذلك ومن تأثير الشمس والكواكب في الحرو والبرد مقدار مخصوص ولو قدرنا حصول الزيادة على ذلك القدر المخصوص أو النقصان عنه لم تتولد المعادن والنبات والحيوان فإله سبحانه وتعالى قدرها على وجه مخصوص بقدرته وعلمه وحكمته فكانه تعالى وزنها بوزان الحكمة حتى حصلت هذه الأنواع (والوجه الثالث) في تفسير هذا اللفظ إن أهل العرف يقولون فلان موزون الحركات أي حركاته متاسبة حركات متاسبة مطابقة للحكمة وهذا الكلام كلام موزون إذا كان متناسبا حسنا بعيدا عن اللغو والسخف فكان المراد منه أنه موزون بوزان الحكمة والعقل وبالجملة فقد جعلوا لفظ الموزون كناية عن الحسن والتناسب فقوله وأبتنا فيهما من كل شيء موزون أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ومطابقة المصلحة (الوجه الرابع) في تفسير هذا اللفظ إن الشيء الذي ينبت من الأرض نوعان المعادن والنبات أما المعادن فهي بأسرها موزونة وهي الأجساد السبعة والأحجار والأملاح والزجاج وغيرها وأما النباتات فيرجع عاقبتها إلى الوزن لأن الحبوب توزن وكذلك الفواكه في الأكثر والله أعلم وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش فيه مشلتان (المسئلة الأولى) ذكرنا الكلام في المعاش في سورة الاعراف وقوله ومن لستم له برازقين فيقولان (القول الأول) أنه معطوف على محل لكم والتقدير وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (والقول الثاني) أنه عطف على قوله معايش والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وعلى هذا القول ففيه احتمالات ثلاثة (الأول) أن كلمة من مختصة بالعقلاء فوجب أن يكون المراد من قوله ومن لستم له برازقين العقلاء وهم العيال والمماليك والخدم والعبيد وتقدير الكلام إن الناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الخادم والمخدوم والمملوك والمالك فإنه لو لانه تعالى خلق الاطعمة والاشربة وأعطى القوة الغازية والمهاضمة والالم يحصل لأحد رزق (والاحتمال الثاني) وهو قول الكلبي قال المراد بقوله ومن لستم له برازقين الوحش والطير فإن قيل كيف يصح هذا التأويل مع أن صيغة من مختصة بمن يعقل قلنا الجواب عنه من وجهين (الأول) أن صيغة من قد وردت في غير العقلاء والدليل عليه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما بينهم من عشي على بطنه ومنهم من عسى على رجليه ومنهم من عشي على أربع (والثاني) أنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها فكانها عند الحاجة تطلب أرزاقها من

وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من ينجبه فيصير غولا فيفضل الناس في البوادي قال ﴿ خالقها ﴾ القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والأول أصح (والأرض مددناها) بسطناها وهو بانصب على الخذف على لشر بطة التفسير ولم يقرأ بالرفع

رجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ والويلوا فاق ما بعده أعني قوله تعالى (والتينافيهما رواسي) أي جبالاتها وبقدس بيانه في أول الرعد (وأبتنافياها) أي في الأرض أوفياها وفي رواسيها (من كل شيء موزون) بيران الحكمة ذاتا وصفة ومدرا وقيل ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة ﴿ ٣٨٩ ﴾ (وجعلنا لكم فيها معايش) ما تعيشون به من المطاعم والملابس

وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياص صريحة وقرى بالهمزة تشبها له بالشمال (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما شبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان ردحسب أنهم يكفون مؤناتهم وتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو جعلنا لكم فيها معايش ولن لستم له برازقين (وان من شيء) أن للشيء ومن مزيدة للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء الممكنة فيدخل فيه ما ذكره خولا أوليا (الا عندنا خزائنه) الطرف خبر المبتدأ وخزائنه مرتفع به على أنه فاعله لاعتماده أو خبره وبالجملة

خالقها فصارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة فلم يبد ذكرها بصيغة من يعقل ألا ترى أنه قال بإيها النمل ادخلوا مساكنكم فذكرها بصيغة جمع العقلاء وقال في الاصنام فانهم عدوى وقال كل في فلك يسبحون فكنا ههنا لا بعد إطلاق اللفظة المختصة بالعقلاء على الوحش والطير لكونها شبيهة بالعقلاء من هذه الجهة وسمعت في بعض الحكايات انه قلت المياه في الاودية والجبال واشتد الحر في عام من الاعوام فحكي عن بعضهم انه رأى بعض الوحش رافع رأسه الى السماء عند اشتداد عطشه قال فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت بحيث امتلأت الاودية منها (والاحتمال الثالث) اننا حمل قوله ومن لستم له برازقين على الاماء والعبيد وعلى الوحش والطير وانما أطلق عليها بصيغة من تغليب الجانب العقلاء على غيرهم (المسئلة الثانية) قوله ومن لستم له برازقين لا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور لا يقال أخذت منك وزيد الاباعادة الخافض كقوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح واعلم أن هذا المعنى جائز على قراءه من قرأ آتساءون به والارحام بالخفض وقد ذكرنا هذه المسئلة هنالك والله أعلم \* قوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كوه وما أنتم له بخازنين) اعلم أنه تعالى لما بين أنه أنبت في الأرض كل شيء موزون وجعل فيها معايش أتبعه بذكر ما هو كالسبب لذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه (وهذا هو النوع الرابع) من الدلائل المذكورة في هذه السورة على تقرير التوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى رحمه الله الخزان جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء أن يحفظ والخزانة أيضا عمل الخازن ويقال خزن الشيء يخزنه اذا أحرزه في خزانة وطامة المفسرين على أن المراد بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه هو المطر وذلك لانه هو السبب للارزاق ولعائش بنى آدم وغيرهم من الطيور والوحوش فلما ذكر تعالى انه يعطيهم المعايش بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده أي في أمره وحكمه وتديبه وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال ابن عباس رحمهما الله يريد قدر الكفاية وقال الحكم مام عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يطر قوم ويحرم قوم آخرون وبما كان في البحر يعني ان الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم غير انه يصرفه الى من يشاء حيث شاء كما شاء ولقائل أن يقول لفظ الآية لا يدل على هذا المعنى فان قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم لا يدل على أنه تعالى ينزله في جميع الاعوام على قدر واحد واذا كان كذلك كان تفسير الآية بهذا المعنى تحكما من غير دليل وأقول أيضا تخصيص قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه بالمطر تحكما محض لان قوله وان من شيء يتناول جميع الاشياء الا ما خصه الدليل وهو الموجود القديم الواجب لذاته وقوله الا عندنا خزائنه اشارة الى كون تلك الاشياء مقدورة له تعالى وحاصل الامر فيه أن

خبر المبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على الملوك والسلطين من خزائن أرزاق الناس شئت مقدوراته تعالى الفائتة للعصر المدرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهابة

مأثمة لا يجهده وتكونه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وحدث بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزان  
السلطانية قد ذكر الخزان على طريقة الاستعارة التخيلية (وما ننزله) أي ما يوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا  
بشيء من الاشياء (الابقدر معلوم) أي الامتصاص بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه  
القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة ﴿ ٣٩٠ ﴾ وقد مر من وقت محدود دون ماعداد ذلك

مع استواء الكل في الامكان  
واستحقاق تعلق  
القدرة به لا بدله من حكمة  
تقتضي اختصاص كل  
من ذلك بما اختص به  
وهذا البيان سر عدم  
تكوين الاشياء على وجه  
الكثرة حسبها هو في  
خزان القدرة وهو اما  
عطف على مقدر أي  
نزله وما ننزله الخ أو حال  
مما سبق أي عندنا  
خزائن كل شيء والحال  
أنما ننزله الابقدر  
معلوم فالاول لبيان  
سعة القدرة والثاني  
ليبين بالغ الحكمة وحيث  
كان انشاء ذلك بطريق  
التفضل من العالم  
العلوي الى العالم السفلي  
كافي بقوله تعالى وأنزل  
لكم من الانعام ثمانية  
أزواج وكان ذلك  
بطريق التدرج عبر  
عنه بالتنزيل وصيغة  
المضارع للدلالة على  
الاستمرار (وأرسلنا  
الرياح) عطف على  
جعلنا لكم فيها معاش  
وما بينهما اعتراض

المراد أن جميع المحركات مقدورة له ومملوكة يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء الا  
أنه تعالى وان كانت مقدوراته غير متناهية الا ان الذي يخرجها منها الى الوجود يجب  
أن يكون متناهيا لان دخول ما لانهاية له في الوجود محال فقوله وان من شيء الا عندنا  
خزائنه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله وما ننزله الابقدر معلوم اشارة الى  
أن كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج منها الى الوجود متناهيا  
كان لا محالة مختصا في الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت أو بعده  
بدل عنه وكان مختصا بجزء معين مع جواز حصوله في سائر الاحياز بدلا عن ذلك الجزء  
وكان مختصا بصفات معينة مع انه كان يجوز في العقل حصول سائر الصفات بدلا عن تلك  
الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص تلك الاشياء المتناهية بذلك الوقت المعين  
والجزء المعين والصفات المعينة بدلا عن أصدادها لا بد وأن يكون بتخصيص مخصوص  
وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله وما ننزله الابقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر  
المختار الذي خصص تلك الاشياء بتلك الاحوال الجائزة لامتنع اختصاصها بتلك  
الصفات الجائزة والمراد من الانزال الاحداث والانشاء والابداع كقوله تعالى وأنزل  
لكم من الانعام ثمانية أزواج وقوله وأنزلنا الحديد والله أعلم (المسئلة الثانية)  
تمسك بعض المعتزلة بهذه الآية في اثبات أن المعدوم شيء قال لان قوله تعالى وان من شيء  
الا عندنا خزائنه يقتضي أن يكون لجميع الاشياء خزائن وأن تكون تلك الخزائن حاصلة  
عند الله تعالى ولا جائز أن يكون المراد من تلك الخزائن الموجودة عند الله تعالى هي تلك  
الموجودات من حيث انها موجودة لاننا بينا أن المراد من قوله تعالى وما ننزله الابقدر  
معلوم الاحداث والابداع والانشاء والتكوين وهذا يضي أن يكون حصول تلك  
الخزائن عند الله مقدما على حدوثها ودخولها في الوجود واذا بطل هذا وجب أن  
يكون المراد أن تلك الدوات والحقائق والماهيات كانت متفرقة عند الله تعالى بمعنى  
انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى أنزل بعضها أي أخرج  
بعضها من العدم الى الوجود ولقائل أن يجيب عن ذلك بقوله لاشك ان لفظ الخزان  
انما ورد ههنا على سبيل التمثيل والتخييل فلم لا يجوز أن يكون المراد منه مجرد كونه تعالى  
قادرا على ايجاد تلك الاشياء وتكوينها واخراجها من العدم الى الوجود وعلى هذا  
التقدير يسقط الاستدلال والمباحث الدقيقة باقية والله أعلم أما قوله تعالى وأرسلنا  
الرياح لواقع فاعلم أن هذا هو النوع الخامس من دلائل التوحيد وفيه مسائل  
(المسئلة الاولى) في وصف الرياح بأنها لواقع أقوال (الاول) قال ابن عباس الرياح  
لواقع للشجر وللسماب وهو قول الحسن وقتادة والضحاك وأصل هذا من قولهم لقيحت  
الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى الماء فيها فحملت فكذلك الرياح جارية تجري الفحل  
للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يعث الله الرياح لتلقح السحاب فحمل

لتحقيق ما سبق وترشح ما لحق أي أرسلنا الرياح لواقع التي تسمى بالخير من انشاء ﴿ الماء ﴾  
سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالقيم ما لا يكون كذلك أو ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائج بمعنى المطبات في قوله  
\* ومخبط مما نطج الطوائج \* أي المهلكات وقرئ وأرسلنا

الريح على ارادة الجنس ( فانزلنا من السماء ) بمد ما أنشأنا نبتك الريح نحبها ما مطرا ( ما فاسقنا كوه ) أي جعلناه لكم سقيا وهو أبلغ من سقينا كوه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معد لهم ينفعون به متى شاءوا ( وما أنتم له بخازنين ) نفى عنهم ما آتاهم من شئ الا عندنا خزائنه كما أنه قيل نحن القادر ون على إيجاده وخزونه في السحاب وانزاله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بمد ما أنزلناه \* ٣٩١ ﴿ في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها

لجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور ( وانا نحن نجحي ) بإيجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ( ونميت ) بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والامانة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو امانا كيد الاول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة من ذلك كما قيل فان الحياة جوزوا دخول لام الأ كيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا هو الفاصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ( ونحن الوارثون ) أي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكون في الكل أولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على أن التأخر ليس بوارث للمقدم كما

الماء وتجه في السحاب ثم انه يهصر السحاب ويده كما تدر اللقحة فهذا هو تفسير القاحها للسحاب وأما تفسير القاحها للشجر فما ذكره فان قيل كيف قال لواقع وهي ملقحة والجواب ما ذهب اليه أبو عبيدة ان لواقع ههنا بمعنى ملاقع جمع ملقحة وأنشد سهيل يرثي أخاه

ليبك يز يدبائس ذو ضراعة \* وأسعت مما طوحت الطوائح

أراد المطوحات وقرر ابن الانباري ذلك فقال تقول العرب أبقل النبت فهو بأقل ير بدون فهو مقل وهذا يدل على جواز ورود لاقح عبارة عن ملقح ( والوجه الثاني ) في الجواب قال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقع وان ألقت غيرها لان معناها النسبة وهو كما يقال درهم وازن أي ذو وزن ورايح وسائف أي ذورح وذو سيف قال الواحدى هذا الجواب ليس بمن لان كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات القاح وهذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة فصح هذا الجواب والله اعلم ( والوجه الثالث ) في الجواب ان الريح في نفسها لاقح وتقريره بطريقتين ( الاول ) ان الريح حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحته حتى اذا أقلت سحابا نقلا أي حلت فعلى هذا المعنى تكون الريح لاقحة بمعنى أنها حاملة تحمل السحاب والماء ( والطريق الثاني ) قال الزجاج يجوز أن يقال للريح لقتت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بالخير وهذا كما تقول العرب قد لقتت الحرب وقد لقتت ولدا أنكند يشبهون ما تشتمل عليه من ضرب الثمر بما تحمله الناقه فكذا ههنا والله أعلم ( المسئلة الثانية ) الريح هواء متحرك وحركة الهواء بعد ان لم يكن متحركا لا بد له من سبب وذلك السبب ليس بنفس كونه هواء ولا شيئا من لوازم ذاته والا لدامت حركة الهواء بدوام ذاته وذلك محال فلم يبق الا أن يقال انه يتحرك بحرك الفاعل المختار والاحوال التي تذكرها الفلاسفة في سبب حركة الهواء عند حدوث الريح قد حكيناها في هذا الكتاب مرارا فأطلناها وبيننا انه لا يمكن أن يكون شئ منها سببا لحدوث الريح فبقي أن يكون محركها هو الله سبحانه وأما قوله وأنزلنا من السماء ماء فأوتينا كوه وما أنتم له بخازنين ففيه مباحث ( الاول ) ان ماء المطر هل ينزل من السماء أو ينزل من ماء السحاب وتقدير أن يقال انه ينزل من السحاب كيف أطلق الله على السحاب لفظ السماء ( وثانيها ) انه ليس السبب في حدوث المطر ما يدكره الفلاسفة بل السبب فيه أن الفاعل المختار ينزله من السحاب الى الارض لغرض الاحسان الى العباد كما قال ههنا فأسقينا كوه قال الازهرى تقول العرب لكل ما كان في بطون الانعام ومن السماء أنهره يجري أسقيته أي جعلته شرابا له وجعلت له منها مسقى فاذا كانت السقيا لسقيه قالوا اسقاه ولم يقولوا اسقاه والذي يؤكده هذا اختلاف القراء في قوله نسقيكم مما في بطونه فقروا باللغتين ولم يختلفوا في قوله وسقاهم ربه شرابا طهورا

يتراى من ظاهر الحال ( ولقد علمنا المستقدمين منكم ) من تقدم منكم ولادة وموتنا ( ولقد علمنا المتأخرين ) من تأخر ولادة وموتنا أو من خرج من أصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شئ من أحوالكم وهو بيان

لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على جهاد ليل عليه وفي شكر بقوله تعالى واتقوا الله لعلكم ترحموا  
 على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فآزدهم جوار عليه فنزلت وقيل ان امرأه حسنة  
 كانت تصلي خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام فتقدم بعض الناس لثلايرها وتاخر آخرون ليرها فآزرت والاول هو  
 المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى ( وان ربك \* ٣٩٢ \* هو يحشرهم ) أي للجزء وتوسط ضمير المفاعلة

للدلالة على أنه هو القادر  
 على حشرهم والاول  
 له لا غير لانهم كانوا  
 يستبعدون ذلك  
 ويستكبرونه ويقولون  
 من يحيى العظام وهي  
 رميم أي هو يحشرهم  
 لا غير وفي الالتفات  
 والتعرض لمنوان  
 ربوبية اشعار بعلة  
 الحكم وفي الاضافة الى  
 ضميره عليه الصلاة  
 والسلام دلالة على اللطف  
 به عليه الصلاة والسلام  
 ( انه حكيم ) بالغ الحكمة  
 متقن في أفعاله فانها عبارة  
 عن العلم بحقائق الاشياء  
 على ما هي عليه والاتبان  
 بالافعال على ما ينبغي  
 ( عليهم ) وسع علمه كل  
 شيء واهل تقديم صفة  
 الحكمة للايدان باقتضائها  
 للحشر والجزاء ( وقد  
 خلقنا الانسان ) أي هذا  
 النوع بأن خلقنا أصله  
 وأول فرد من أفراده  
 خلقا بديعا منطويا على  
 خلق سائر أفراده انطواء  
 اجاليا كما مر تحقيقه في  
 سورة الانعام ( من

وفي قوله والذي هو بطعمني ويسقين قال أبو علي سببته حتى روي وأسقيته نهر أي  
 جعلته شربا له وقوله فأسقيننا كوه أي جعلناه سقيا لكم وربما قالوا في أسقى سقى  
 كقول لبيد يصف سحبا

أقول وصوبه مني بعيد \* يحط السيب من قتل الجبال  
 سقى قومي بني نجد وأسقى \* نيرا والقبائل من هلال

فقوله سقى قومي ليس يريد به ما يروي عطاشهم ولكن يريد رزقهم سقيا للبلادهم يخصبون  
 بها وبعيد أن يسأل لقومه ما يروي العطاش ولغيرهم ما يخصبون به وأما سقيا السقبة  
 فلا يقال فيها أسقاه وأما قول ذي الرمة

وأسقيه حتى كادما أبنيه \* نكلمني أحجاره وملاعبه

فمضى أسقيه أدعوه بالسقاء وأقول سقاء الله وقوله وما أنتم له بخازنين يعني به ذلك الماء  
 المنزل من السماء يعني لستم له بحافظين \* قوله تعالى ( وانا لنحن نحى ونميت ونحى

الوارثون ) وقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين وان ربك يحشرهم انه  
 حكيم عليم ) اعلم أن هذا هو ( النوع السادس ) من دلائل التوحيد وهو الاستدلال

بمحصول الاحياء والامانة لهذه الحيوانات على وجود الاله القادر المختار أما قوله وانا  
 نحن نحى ونميت ففيه قولان منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء النبات والحيوان

ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان ولما ثبت  
 بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحياة الا للحق سبحانه كان حصول الحياة للحيوان

دليلا قاطعا على وجود الاله الفاعل المختار وقوله وانا نحن نحى ونميت يفيد الحصر أي  
 لا قدرة على الاحياء ولا على الامانة الا لنا وقوله ونحن الوارثون معناه انه اذا مات

جميع الخلائق فحينئذ يزول ملك كل أحد عند موته ويكون الله هو الباقي الحق المالك  
 لكل المملوكات وحده فكان هذا شيها بالارث فكان وارثا من هذا الوجه وأما قوله

ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ففيه وجوه ( الاول ) قال ابن عباس  
 رضى الله عنهما في رواية عطاه المتقدمين يريد أهل طاعة الله تعالى والمتأخرين

يريد المتخلفين عن طاعة الله ( الثاني ) أراد بالمتقدمين الصف الاول من أهل الصلاة  
 والمتأخرين الصف الآخر روي انه صلى الله عليه وسلم رغب في صف الاول

في الصلاة فآزدهم الناس عليه فأزله الله تعالى هذه الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر  
 نياتهم ( الثالث ) قال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال ( الرابع ) قال ابن عباس

في رواية أبي الجوزاء كانت امرأة حسنة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لثلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها

واذا ركعوا جافوا أيديهم لينظروا من تحت ابطهم فأزله الله تعالى هذه الآية ( الخامس )  
 قيل المتقدمون هم الاموات والمتأخرون هم الاحياء وقيل المتقدمون هم الامم

صلصال ) من طين يابس غير مطبوخ يصلصل أي بصوت عند نقره قيل اذا توهمت \* السافقة \*  
 في صوته عدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو وصلصلة وقبل هو تضعيف صل اذا أبتن ( من جا )  
 من طين تغبروا سود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أي من صلصال كائن من جا

(مستون) أي مصورين سنة التوحيد وهي صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أي مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر النذابة في القوالب وقيل منقح فهو صفة لجواهر على الاولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخرج عن حاشيتها على أن ابتداء مستونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حيا كأنه سبحانه أفرغ الحيا فصور من ذلك مثال انسان أجوف فيس حتى اذا تفرصت ﴿ ٣٩٣ ﴾ ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (والجان) أبا

الجن وقيل ابليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقوى بالهجرة وانتصابه بفعل نفسه (خلقناه) وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية (من قبل) من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمتقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للسكل (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع من خلق الحياة في الاجرام البسيطة كالامتناع من خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفنة التي غالب أجزائها الجزء الناري فانها أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب

السالفة والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المتقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق واعلم انه تعالى لما قال وانالجن نحبي ونميت أتبعه بقوله ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين تبيينها على انه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم فيدخل فيه علمه تعالى بتقدمهم وتأخرهم في الحدوث والوجود وبتقدمهم وتأخرهم في أنواع الطاعات والخيرات ولا ينبغي أن يخص الآية بحالة دون حاله أو ما قوله وان ربك هو يحشرهم فالمراد منه التنبيه على ان الحشر والنشر والبعث والقيامة أمر واجب وقوله انه حكيم عليم مضاء ان الحكمة تقتضي وجوب الحشر والنشر على ما قررناه بالدلائل الكثيرة في أول سورة يونس عليه السلام \* قوله تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من صلصال من جامسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم ان هذا هو النوع السابع من دلائل التوحيد فانه تعالى لما استدلل بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب ( المسئلة الثانية ) ثبت بالدلائل القاطعة انه يتمتع القول بوجود حوادث لأول لها واذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث الى حادث أول هو أول الحوادث واذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس الى انسان هو أول الناس واذا كان كذلك فذلك الانسان الاول غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا لا بحالة بقدرة الله تعالى فقوله ولقد خلقنا الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول والمفسرون أجمعوا على ان المراد منه هو آدم عليه السلام ونقل في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا ألف آدم أو أكثر وأقول هذا لا يقدح في حدوث العالم بل الامر كيف كان فلا بد من الانتهاء الى انسان أول هو أول الناس واما أن ذلك الانسان هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع واعلم أن الجسم يحدث فوجب القطم بأن آدم عليه السلام وغيره من الاجسام يكون مخلوقا عن عدم محض وأيضا دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على ان آدم مخلوق من تراب ودلت آية أخرى على أنه مخلوق من الطين وهي قوله اني خالق بشر من طين وجاء في هذه الآية ان آدم عليه السلام مخلوق من صلصال من جامسنون والاقرب انه تعالى خلقه أولا من تراب ثم من طين ثم من جامسنون ثم من صلصال كما انفجار ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الاجسام كان بل هو قادر على خلقه ابتداء واما خلقه على هذا الوجه اما المحض المشيئة أولا فيه من دلالة الملائكة ومصالحتهم ومصحة الجن لان خلق الانسان من هذه الامور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه ( المسئلة الثالثة ) في الصلصال قولان قيل الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدافه وصليل واذا توهمت فيه ترجيعاه وصلصلة قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه

كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق ﴿ ٥٠ ﴾ خا الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان به خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) نصب باضما ذكر وتذكير الوقت لما مر من ارامن

أنه أدخل في تكبير ما وقع فيه من الحوادث وفي العرض لوصف الربوبية المنبثقة عن تلخيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديثنا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام اشعار بملء الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام أي أذكر وقت قوله تعالى (للجانكة إني خالق) فيمأسياً وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يشبهه ولا عاطف يلويه (بشراً) أي إنساناً قيل ليس ﴿ ٣٩٤ ﴾ هذا عين العبارة الجارية وقت الخطيب بل الظاهر

أن يكون قد قيل لهم إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسماً كشيء يلاقي ويباشر وقيل خلقاً بادي البشرية بلا صوف ولا شعر (من صلصال) متعلق بخالق أو بمخدوف وقع صفة لمفعوله أي بشراً كأنهم صلصال كأن (من جامسنون) تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشر من طين فإن عدم العرض عند الحكاية لوصف الطين من التغيير والأسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم العرض لذلك عند وقوع المحكي فإيته أنه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا (فإذا سويته) أي صورته بالصورة الانسانية والخالقة البشرية أو سويت أجزائه بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي)

في الشمس أربعين سنة فصار صلصلاً كالخزف ولا يدري أحداً ما يراد به وأما في الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح وحقبة الكلام أنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجاءت الريح إذا مررت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصلاً (والقول الثاني) الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم وأصل إذا أنتق وتغير وهنا القول عندي ضعيف لأنه تعالى قال من صلصال من جامسنون وكونه جامسنوناً يدل على التنت والتغير وظاهر الآية يدل على أن هذا الصلصال إنما تولد من الجاهل المنون فوجب أن يكون كونه صلصلاً مغايراً لكونه جامسنوناً ولو كان كونه صلصلاً عبارة عن التنت والتغير لم يبق بين كونه صلصلاً وبين كونه جامسنوناً تفاوت وأما الجاهل المنون الجاهة بوزن كاهة وقوله مسنون فيه أقوال (الأول) قال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول في قوله مسنون أي متغير قال أبو الهيثم يقال سن الماء فهو مسنون أي تغير والدليل عليه قوله تعالى لم ينسئه أي لم يتغير (الثاني) المسنون المحكوك وهو مأخوذ من سنت الحجر على الحجر إذا حككته عليه والذي يخرج من بينهما يقال له السن وسمي المسن مسنلاً بالحديد بسن عليه (والثالث) قال الزجاج هذا اللفظ مأخوذ من أنه موضوع على سنن الطريق لأنه متى كان كذلك فقد تغير (الرابع) قال أبو عبيدة المسنون المصبوب والسن الصب يقال سن الماء على وجهه سن (الخامس) قال سيويه المسنون المصور على صورة ومثال من سنه الوجه وهي صورته (السادس) روى عن ابن عباس أنه قال المسنون الطين الرطب وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة لأنه إذا كان رطباً يسيل وينبسط على الأرض فيكون مسنوناً بمعنى أنه مصبوب أما قوله تعالى والجان خلقناه فاختلغوا في أن الجان من هو فقال عطاء عن ابن عباس يريد إبليس وهو قول الحسن ومقاتل وقتادة وقال ابن عباس في رواية أخرى الجان هو أب الجن وهو قول الأكثرين وسمى جانا لتواريه عن العين كما سمي الجنين جنيناً لهذا السبب والجنين متوار في بطن أمه ومعنى الجان في اللغة السائر من قولك جن الشيء إذا ستره فالجان المذكور ههنا يحتمل أنه سمي جانا لأنه يستر نفسه عن أعين بني آدم أو يكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول كما يقال في لابن وتامر وماء دافق وعيشة راضية واختلغوا في الجن فقال بعضهم أنهم جنس غير الشياطين والأصح أن الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنًا فإنه لا يسمى بالشيطان وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم والدليل على صحة ذلك أن لفظ الجن مشتق من الاستسار فكل من كان كذلك كان من الجن وقوله تعالى خلقناه من قبل قال ابن عباس يريد من قبل خلق آدم وقوله من نار السموم معنى السموم في اللغة الريح الحارة تكون بالنهار وقد تكون بالليل وعلى هذا فالريح الحارة فيها نار ولها فاع وأوار على ما ورد في الخبر أنها تفتح جهنم قبل سميتها وما لأنها بلطفها تدخل في مسام البدن وهي الخروقي

التفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لا مساكها والامتلاء بها وليس ثمة تفخ ولا متفوخ وإنما هو تمثيل ﴿ الخفية ﴾ لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا أكلت استعدادها وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمرى (ففعوا له) أمر من وقع يقع وفيه دليل على أن ليس الأمر به مجرد



الأخذ بما قيل أي استطواه (ساجدين) تحب له وتظلموا وسجدوا لله تعالى على أنه عليه الصلاة والسلام بمنزلة القبة حيث ظهر فيه تعجب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه \* أليس أول من صلى لقبلكم \* وأعلم الناس بالقرآن والسنن (فسجد الملائكة) أي فخلقهم فسواء فنفع فيه الروح فسجد الملائكة (كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (أجمعون) ﴿ ٣٩٥ ﴾ بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص

لا فائدة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معاً ككل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيداً وأقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صوتاً للكلام عن الالغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التطليق كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على الامر التخييري كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدنا

الخفية التي تكون في جلد الانسان يبرز منها هرقة وبخار باطنه قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق الله منها الجن وتلاهذه الآية فان قيل كيف يعقل خلق الجن من النار قلنا هذا على مذهبنا ظاهر لان البنية عندنا ليست شرطاً لامكان حصول الحياة فالله تعالى قادر على خلق الحياة والعلم في الجوهر الفرد فكذلك يكون قادراً على خلق الحياة والعقل في الجسم الحار واستدل بعضهم على أن الكواكب يتمتع حصول الحياة فيها قال لان الشمس في غاية الحرارة وما كان كذلك امتنع حصول الحياة فيه فتنقضه عليه بقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم بل المعتمد في نفي الحياة عن الكواكب الاجماع \* قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من جهنم مسنون فاذا استويت به ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس ابي أن يسجد مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من جهنم مسنون قل فاخرج منها فانك رجيم وان هلك اللعنة الى يوم الدين) اعلم انه تعالى لما ذكر حدوث الانسان الاول واستدل بذكره على وجود الاله القادر المختار ذكر بعده واقعه وهوانه تعالى أمر الملائكة بالسجود له فأطاعوه الا ابليس فانه ابي وتمرد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ما تفسير كونه بشراً فالمراد منه كونه جسماً كيفاً يباشر ويلاقى والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجسامهم عن أجسام البشر والبشرية ظاهرة الجلد من كل حيوان وأما كونه صلصالاً من جهنم مسنون فقد تقدم ذكره وأما قوله فاذا سويت فيه قولان (الاول) فاذا سويت شكله بالصورة الانسانية والخلقة البشرية (والثاني) فاذا سويت أجزاءه بانه باعتماد الطبايع وتناسب الامشاج كما قال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج وأما قوله ونفخت فيه من روحي فقيه مباحث (الاول) ان النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر وظاهر هذا اللفظ يشعر بأن الروح هي الريح والامشاج وصفها بالنفخ الا ان البحث الكامل في حقيقة الروح سيجي في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وانما اضاف الله سبحانه روح آدم الى نفسه نشر بقاله وتكررها وقوله فقعوا له ساجدين فيه مباحث (أحدها) ان ذلك السجود كان لآدم في الحقيقة أو كان آدم كالبقرة لذلك السجود وهذا البحث قد تقدم ذكره في سورة البقرة (وثانيها) ان المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام هم كل ملائكة السموات أو بعضهم أو ملائكة الارض من الناس من لا يجوز أن يقال ان أكابر الملائكة كانوا مأمورين بالسجود لآدم عليه السلام والدليل عليه قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة الملائكة ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدونه وله يسجدون فقوله وله يسجدون يفيد الحصر وذلك يدل على انهم لا يسجدون الا لله تعالى وذلك يتناقض كونهم ساجدين لآدم عليه السلام أو واحد غير الله تعالى أقصى ما في الباب أن يقال ان قوله

تحقيقه في تفسير سورة البقرة (الابليس) استثناء متصل اما لانه كان جنياً مفرداً مغفوراً بأوف من الملائكة فعدمهم تنظيها واما لان من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم وقوله (أبي أن يكون مع الساجدين) استثناء ميبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الابه والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أي لكن ابليس أبي أن



بلى تعرض لكونه الملائكة في انجيل احوالهم كونه طينته شخيرا وقد اكتفى في صورة الاطراف وسورة من تماحكي  
 عنه هي فانك صبر على حكاية صبره لظلمة عليه الصلاة والسلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل اسجد  
 لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى مالك ليس استفسارا عن المرض بل هو استفسار عن السبب وفي هدوله  
 عن تطبيق جوابه على السؤال روم للنصي ﴿ ٣٩٧ ﴾ عن المناقشة وأي ذلك كما نقل لم أمتنع عن امتثال الامر

ولا عن الانتظام في سلك  
 الملائكة بل عماليتي  
 بشأن من الخضوع  
 للفضول ولقد جرى  
 خذلانا لله تعالى على سنن  
 قهاس ضميم وزل عنه  
 أن ما يدور عليه فك  
 الفضل والكمال هو  
 التحلي بالمعارف الربانية  
 والتخلي عن الملكت  
 الرديئة التي أقبحها  
 التكبر والاستعصاء  
 على أمر رب العالمين  
 جل جلاله (فك) فاخرج  
 منها) أي من زمرة  
 الملائكة المعززين  
 لأن السجدة فان وسوته  
 لا تم عليه الصلاة  
 والسلام في الجنة انما  
 كانت يهدنا الطرد  
 وقوله تعالى فاهبطها  
 ليس نصا في ذلك فان  
 الخروج من بين الملائكة  
 هبوطا أي هبوطا ومن  
 الجنة على أن وسوته  
 كانت بطريق التدها  
 من باهما كإروى عن  
 الحسن البصري  
 أو بطريق المشافهة  
 به أن احتل في دخولها

مجموع شبهة ابليس وقوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم فهذا ليس جوابا عن تلك  
 الشبهة على سبيل التصريح ولكنه جواب عنها على سبيل التبيه وتقريره ان الذي قلته  
 الله تعالى نصي والذى قلته ابليس قياس ومن طارض النص بالقياس كان رجما ملعونا  
 وتمام الكلام في هذا المعنى ذكرناه مستقصى في صورة الاطراف وقوله فاخرج منها قيل  
 المراد من جنة عدن وقيل من السموات وقيل من زمرة الملائكة وتمام هذا الكلام مع  
 تفسير الرجيم قد سبق ذكره في سورة الاطراف وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال  
 ابن جليس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العبد بأعمالهم مثل قوله ملك يوم الدين فان قيل  
 كلمة الى تنفيذ آتيا الغاية فهذا يشعر بأن اللعن لا يحصل الا الى يوم القيامة وعند قيام  
 القيامة يزول اللعن أبا بواضه من وجوه (الاول) المراد منه التأيد ذكر القيامة أبعد  
 غاية ذكرها الناس في كلامهم كقولهم مادامت السموات والارض في التأيد (والثاني)  
 انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن يمتنع  
 فلذا جاء ذلك اليوم عند عذاب ابليس اللعن معه فيصير اللعن حيث صك كالأثر بسبب  
 أن شدة المذاب تذهل عنه ﴿ قوله تعالى ( قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من  
 المنتظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لازين لهم في الارض ولاغوينهم  
 أجسين الاعبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ) في الآية مسائل ( المسئلة  
 الاولى ) قوله فانظرنى متعلق بما تقدم والتقدير اذا جلستى رجما ملعونا الى يوم الدين  
 فانظرنى فطلب الأبقاء من الله تعالى عند اليأس من الآخرة الى وقت قيام القيامة لأن  
 قوله الى يوم يبعثون المراد منه يوم البعث والتشور وهو يوم القيامة وقوله قال فانك من  
 المنتظرين الى يوم الوقت المعلوم اعلم ان ابليس استنظر الى يوم البعث والقيامة وغرضه  
 منه أن لا يموت لانه اذا كان لا يموت قبل يوم القيامة وظاهره ان بعد قيام القيامة لا يموت  
 أحد فحيث يلزم منه أن لا يموت البتة ثم اتى تعالى منه عن هذا المطلوب وقال انك من  
 المنتظرين الى يوم الوقت المعلوم واختلفوا في المراد منه على وجوه (أحدها) ان المراد من  
 يوم الوقت المعلوم وقت النسخة الاولى حين يموت كل الخلائق وانما سمى هذا الوقت  
 بالوقت المعلوم لان من المعلوم انه يموت كل الخلائق فيه وقيل انما سماه الله تعالى بهذا  
 الاسم لان العالم بذلك الوقت هو الله تعالى لا غير كما قال تعالى اعلمها عند ربى لا يعلمها  
 لوقتها الا هو وقال ان الله عنده علم الساعة ( وثانيتها ) ان المراد من يوم الوقت المعلوم هو  
 الذى ذكره ابليس وهو قوله الى يوم يبعثون وانما سماه تعالى يوم الوقت المعلوم لان ابليس  
 لما حينه وأشار اليه بعينه صار ذلك كالعلوم فان قيل لما أجابه الله تعالى الى مطلوبه لم  
 أن لا يموت الى وقت قيام الساعة وبعد قيام القيامة لا يموت أيضا فيلزم ان يتقدم عنه  
 الموت بالكلية قلنا يحمل قوله الى يوم يبعثون الى ما يكون قريبا منه والوقت الذى يموت  
 فيه كل الكالمين قريب من يوم البعث وعلى هذا الوجه فيرجع حاصل هذا الكلام الى

وتوسل اليه بلحية كإروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولا يلقى هنا طرده على رؤس الاشهاد لما يقتضيه  
 من الحكمة البالغة ( فانك رجيم ) مطرود من كل خير وكرامة كل من يطرد رجيم بالحجارة أو شيطان رجيم بالشهاب  
 وهو وعيد ينظم الجواب عن شبهته فلهذا من طارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون ( وان عليك اللعنة ) الا بعباد  
 عن الرحمة وحيث

كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جازما على السنة العباد قبل في سورة من وان عليك لتقني (الي يوم الدين) الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عتابه وجزائه اليه وان العتق كمال ففطانتها ليست جردا لعله وانما يفتق ذلك يومئذ وفيه من انه يول ما لا يوصف وحل ذلك أقصى امد الله ليس لانها تتطوع هناك بل لانه قد نذرتك يعذب بما ينسى به اللعنة من اذنين العذاب فنصبر هي كازائل وقيل انما حدث ﴿ ٣٩٨ ﴾ به لانه ابعدا في يفسر بها الناس

كقوله تعالى خالد بن فيها ما دامت السموات والارض وحيث يمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من آخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب العين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى ( قال رب فانظري ) أي أمهلني وأخرني ولا تمنني والفناء منقطع بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي اذا جلتني رجيا فأمهلني ( الى يوم يعثون ) أن آدم وذريته للجزاء بعد فثامهم وأراد بذلك أن يجد فمهضة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره ويجهو من الموت لاستهائسه بعد يوم البعث ( قال فانك من النظرين ) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض للشمول ماسأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبالمهم في ذلك دليل على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم أزال الانشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه أي انك من جملة الذين أخرت آجالهم أزالا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ﴿ الاغواء ﴾

الوجه الاول ( وثانها ) أن المراد بيوم الوقت المعلوم يوم لا يعلو الا الله تعالى وليس المراد منه يوم القيامة فان قيل انه لا يجوز أن يعلم المكلف متى يموت لان فيه اضرأ بالعامي وذلك لا يجوز على الله تعالى أوجب عنه بأن هذا الزام انما يتوجه اذا كان وقت قيام القيامة معلوما للمكلف قاما اذا علم أنه تعامهله الى وقت قيام القيامة الا انه تعالى ما علمه الوقت الذي تقوم القيامة فيه فلم يلزم منه الاضرأ بالعامي وأوجب عن هذا الجواب بأنه وان لم يعلم الوقت الذي فيه تقوم القيامة على التبيين الا انه علم في الجملة ان من وقت خلقه آدم عليه الصلاة والسلام الى وقت قيام القيامة مدة طويلة فكان قد علم انه لا يموت في تلك المسدة الطويلة اما قوله تعالى قال رب بما أغويتني لآز بين لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين فبما أغويتني للقسم وما مصدر يتو جواب القسم لآز بين والمعنى أقسم باغوائك اياي لآز بين لهم ونظيره قوله تعالى فبعتك لاغوينهم أجمعين الا أنه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وفي قوله بما أغويتني أقسم باغواء الله وهو من صفات الافعال والقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح اما بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه ونقل الواحدى عن قوم آخرين انهم قالوا الباء ههنا بمعنى السبب أي بسبب كونى فاو يلاز بين كقول القائل أقسم فلان بمصنعه ليدخل النار ويطاعته ليدخل الجنة ( البحث الثاني ) اعلم ان اصحابنا قد اختلفوا بهذه الآية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر ويصده عن الدين ويغويه عن الحق من وجوه ( الاول ) ان ابليس استعمل وطلب البقاء الى قيام القيامة مع انه صرح بأنه انما يطلب هذا الامهال والابقاء لاغواء بني آدم واضلالهم وانه تعالى أمهله وأجاب به الى هذا المطلوب ولو كان تعالى يراعى مصالح المكلفين في الدين لما أمهله هذا الزمان الطويل ولما مكنته من الاغواء والاضلال والسوسة ( الثاني ) ان أكابر الانبياء والاولياء مجدودن ومجتهدون في ارشاد الخلق الى الدين الحق وان ابليس ورهطه وشيعته مجدودن ومجتهدون في الضلال والاعواء فلو كان من اد الله تعالى هو الارشاد والهداية لكان من الواجب ابقاء المرشدين والمحققين واهلاك المضلين والفتورين وحيث فعل بالضد منه هلمنا انه اراد بهم الخذلان والكفر ( الثالث ) انه تعالى لما علمه بأنه يموت على الكفر وأنه ملعون الى يوم الدين كان ذلك اغراء له بالكفر والقبيح لانه اذا أبس عن المغفرة والغور بلجنة يجتري حيث نذ على أنواع المعاصي والكفر ( الرابع ) انه لما مال الله تعالى هذا العمر الطويل مع انه تعالى علم منه انه لا يستفيد من هذا العمر الطويل الا زيادة الكفر والتقصية وبسبب تلك الزيادة يزداد استهوائه لانواع العذاب الشديد كان هذا الامهال سببا لزيد عذابه وذلك يدل على انه تعالى اراد به أن يزداد عذابه وعقابه ( الخامس ) انه صرح بأن الله اغواء قتال رب بما أغويتني وذلك تصريح بأن الله تعالى اغواء لا يقال هذا كلام ابليس وهو ليس بحجة وأيضا فهو معارض بقول ابليس فبعتك لاغوينهم أجمعين فاضاف

اجابة لدعائه أي انك من جملة الذين أخرت آجالهم أزالا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ﴿ الاغواء ﴾ قاله ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله \* فان ترحم قانت لذكالكهمل \* فانه لا مكان لجعل الفاء قبل ربط ما فيه تعالى من الاهلية التندية للرجة بوقوع الرجحة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرجة

بوقوعها وان المتظلمة كان طلبا لتأخير الموت اذ به يمتحن كونه من جعلتهم للتأخير العوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من أخرت حتى يتهم الى الآخرة في علم الله تعالى من سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستظهار مع الحياة ولان ذلك التأخير مطوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البحث كما عرفت وفي سورة الاعراف قال أنظرنى الى يوم يحشون قال انك ﴿ ٣٩٩ ﴾ من المتظلمين بترك التوقيت والثناء والفاء في الاستظهار

واظهار نعمو بلا على ما ذكر  
هنا وفي سورة من فان ابراد  
كلام واحد على أساليب  
متعددة فخير من زنى الكتاب  
العز يزو أم ان كل أسلوب  
من أساليب النظم الكريم  
لا بد أن يكون له مقام  
يقضيه مغاير لمقام غيره  
وأن ما حكى من اللعين  
انما صدر عنه مرة وكذا  
جوابه لم يقع الاضة  
فمقام المحاوراة ان اقتضى  
أحد الاساليب المذكورة  
فهو المطابق لمقتضى  
الحال والبالغ الى طبقة  
الاعجاز وما عداها قاصر  
عن رتبة البلاغة فضلا  
عن الارتقاء الى مقام  
الاعجاز فقدم تحفيقه  
بتوفيق الله تعالى في سورة  
الاعراف ( الى يوم الوقت  
المعلوم ) وهو وقت  
الفتنة الاول التي علم  
أنه يصفق عندها  
من في السموات ومن  
في الارض الا من شاء الله  
تعالى ويجوز أن يكون  
المراد بالايام واحدا  
والاختلاف في العبارات  
لاختلاف الاعتبارات

الاعواء الى نفسه لاننا نقول ( أما الجواب عن الاول ) فهو أنه لما ذكر هذا الكلام فان الله تعالى ما أنكره عليه وذلك يدل على أنه كان صادقا فيما قال ( وأما الجواب عن الثاني ) فهو انه قال في هذه الآية رب بما أغويتني لاز ينلهم فالمراد ههنا من قوله لاز ينلهم هو المراد من قوله في تلك الآية لاغويتهم أجمعين الا انه بين في هذه الآية انه انما أمكنه أن يزبن لهم الا باطيل لاجل ان الله تعالى أغواء قبل ذلك وعلى هذا التقدير فقد زال التناقض ويتأكد هذا بما ذكره الله تعالى حكاية عن الشياطين في سورة القصص هؤلاء الذين أغويتنا أغوييناهم كما غويتنا ( السؤال السادس ) أنه قال رب بما أغويتني وهذا اعتراف بان الله تعالى أغواء فتقول اما ان يقال انه كان قد عرف بان الله تعالى أغواء أو ما عرف ذلك فان كان قد عرف بان الله تعالى أغواء امتنع كونه غاويا لانه انما يعرف أن الله تعالى أغواء اذا عرف أن الذي هو عليه جهل وباطل ومن عرف ذلك امتنع مقاؤه على الجهل والضلالة وأما ان قلنا بان ما عرف أن الله أغواء فكيف أمكنه أن يقول رب بما أغويتني فهذا يجمع السؤالات الواردة في هذه الآية ( أما الاشكال الاول ) فلان معتزلة فيده طريقتان ( الاول ) وهو طريق الجبائي أنه تعالى انما مهل ايليس تلك المدة الطويلة لانه تعالى علم انه لا يتفاوت أحوال الناس بسبب وسوسته فتقدير ان لا يوجد ايليس ولا وسوسته فان ذلك الكافر والمعاصي كان يأتي بذلك الكفر والمعصية فلما كان الامر كذلك لاجرم أمهله هذه المدة ( الطريق الثاني ) وهو طريق أبي هاشم أنه لا يبعد أن يقال انه تعالى علم أن أقواما يقعون بسبب وسوسته في الكفر والمعصية الا ان وسوسته ما كانت موجبة لذلك الكفر والمعصية بل الكافر والمعاصي بسبب اختياره اختار ذلك الكفر وتلك المعصية أقصى ما في الباب أن يقال الاحتراز عن التبايح حال عدم الوسوسة أسهل منه حال وجودها الا ان على هذا التقدير تصير وسوسته سبب زيادة المشقة في أداء الطاعات وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق وانزال التشابهات صار سببا لمزيد الشبهات ومع ذلك فلم يمتنع فعله فكذا ههنا وهذا الطريقان هما يعينهما الجواب عن السؤال الثاني ( وأما السؤال الثالث ) وهو ان اعلامه بأنه يموت على الكفر يحمله على الجرأة على المعاصي والاكثر ان منها فجبوابه ان هذا انما يلزم اذا كان علم ايليس بموته على الكفر يحمله على الزيادة في المعاصي أما اذا علم الله تعالى من حاله ان ذلك لا يوجب التفاوت البتة فالسؤال زائل وهذا بعينه هو الجواب عن السؤال الرابع ( وأما السؤال الخامس ) وهو ان ايليس صرح بأن الله تعالى أغواء وأضله عن الدين فقد أجابوا عنه بان ليس المراد ذلك بل فيه وجوه أخرى ( أحدها ) المراد بما خيبتني من رحمتك لا خيبتهم بالدعاء الى مصيبتك ( وثانيها ) المراد كما أضلتني عن طريق الجنة أضلهم أنا أيضا عنه بالدعاء الى المعصية ( وثالثها ) أن يكون المراد بالاعواء الاول الخيبة وبالثاني الاضلال ( ورابعها ) ان المراد باغواء الله تعالى اياه هو أنه أمره بالسجود

فالتصير بيوم البحث لان غرض اللعين به يمتحن و بيوم الدين لما ذكر من الجزاء و بيوم الوقت المعلوم لما ذكر أو لاستثارة تعالى بعلمه فاعلم كلام من هلاك الخلق جميعا و يمتهم و جزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله و يموت في أواسطه و يموت في بقيته ﴿ يزوي اثنين موته و يمته أربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما لين التفتين

ونقل عن اللاحظ بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فلما دخلته  
 عظيمة وكعب الاحبار فيهما كعبت التلس وهو يقول لما حضر أمم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يلرب سبعت  
 في عدوى ابليس اذ ارأى ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا سمك ستد الى الجنة و يوم اخر اللعين الى النفرة  
 ليثوق ألم الموت بعده الاولين والآخرين ثم قال ملك ﴿ ٤٠٠ ﴾ للموت صف كيف تذيب الموت فلما وصفه قل

لا دم فاضى ذلك الى غير معنى انه حصل ذلك الذي عتيبه باختيل ابليس فاما ان يقال  
 ان ذلك الامر صار موجبا لذاته لحصول ذلك الذي يخلو من انه ليس الامر كذلك هنا جلته  
 تلام التوم في هذا الباب وكله ضعيف اما قوله انه لا يخافون الحال بسبب وسوسة ابليس  
 فتقول هذا باطل ويدل عليه القرآن والبرهان اما القرآن فقوله تعالى فازلها الشيطان  
 فاضاف تلك الازلة الى الشيطان وقال فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فاضاف الاخراج  
 اليه وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان وكل ذلك يدل على ان لعن  
 الشيطان في تلك الافعال اثر واما البرهان فلان بداية العقول شاهدة بان ابليس حال من  
 ابتلى بمجالسة شخص يرغبه ابدافى القبايح ويفر عن الخيرات مثل شخص كان حاله بالصد  
 منه والعلم بهذا التفاوت ضرورى واما قوله ان وجوده يصير سببا لزيادة المشقة في  
 الطاعة فتقول تأثير زيادة المشقة انما هو في كثرة الثواب على أحد التقديرين  
 وفي الالتقاء في العذاب الشديد على التقدير الثاني وهو التقدير الاكثر الاغلب وكل من  
 يراعى المصالح فان رعاية هذا التقدير الثاني أولى عنده من رعاية التقدير الاول لان دفع  
 الضرر العظيم أولى من السعي في طلب النفع الزائد الذي لا حاجة الى حصوله أصلا ولما  
 اندفع هذان الجوابان عن هذا السؤال قويت سائر الوجوه المذكورة واما قوله المراد  
 من قوله رب بما أغويتني الحية عن الرحمة أو الاضلال عن طريق الجنة فتقول كل هذا  
 بعيد لانه هو الذي خيب نفسه عن الرحمة وهو الذي أضل نفسه عن طريق الجنة لانه لما  
 أقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن الرحمة وأضل نفسه عن طريق الجنة  
 فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى ثبت ان الاشكالات لازمة وان أجوبتهم ضعيفة  
 والله أعلم \* واما قوله الاعبادك منهم المخلصين ففيه مسائل (الاول) اعلم ان ابليس استثنى  
 المخلصين لانه علم ان كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه وذكرت في مجلس التذكير ان النبي  
 صلوات الله عليه وسلم قال لا يصير كافرا في دعواه فلما استتر ابليس عن الكذب  
 علمنا ان الكذب في غاية الخساسة (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابن طاهر وأبو عمرو  
 المخلصين بكسر اللام في كل القرآن والباقون يفتح اللام وجه القراءة الاولى انهم الذين  
 اخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب ينقض الايمان والتوحيد من فتح اللام فمناه  
 الذين اخلصهم الله بالهداية والايمان والتوفيق والمعصية وهذه القراءة تدل على ان  
 الاخلاص والايمان ليس الا من الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاخلاص جعل للشيء  
 خالصا عن شائبة الغير فتقول كل من ادى عمل فاما ان يكون قد أتى به فله فقط أو غير الله  
 فقط أو لمجموع الامرين وعلى هذا التقدير الثالث فاما ان يكون طلب رضوان الله راجعا  
 أو مرجوحا أو معادا لا والتقدير الرابع ان يأتي به لا لتفرض أصلا وهذا محال لان الفعل  
 بدون الداعية محال (أما الاول) فهو الاخلاص في حق الله تعالى لان الحامل له على

يلرب حسبى فضج التلس  
 وقالوا يا ابا اسحق كيف  
 ذلك فأبى فالخواص  
 يقول الله سبحانه ملك  
 الموت عقيب النفخة الاول  
 فبجملت فيسك قوة  
 أهل السموات السبع  
 وأهل الارضين السبع  
 وانما ألبستك اليوم أثواب  
 السخط والنضب كلها  
 فانزل بفضي وسطوقى  
 على رجيمى ابليس فأذقه  
 الموت واحل عليه فيه  
 مرارة الاولين والآخرين  
 من الثقلين أضعافا  
 مضاعفة وليكن معك  
 من ازابية سبعون ألفا  
 قد امتلوا اغيظا وغضا  
 وليكن مع كل منهم سلسلة  
 من سلاسل جهنم وهل  
 من أغلظ لها وانزع روحه  
 المتن بسبعين ألف كلاب  
 من كلابيها وانما لك  
 ليقتح أبواب النيران  
 فينزل ملك الموت بصورة  
 او ينظر اليها أهل السموات  
 والارضين لما اتوا بقنة  
 من هولها فينتهى  
 الى ابليس فيقول قفلى  
 يا خبيث لا ذيقنك الموت كم

١٥

من عمر أدركت وقرون أضلت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بمكة ﴿ ذلك ﴾  
 الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيموت البعير فتزج منه البهار فلا تقبله فلا يرسل يهرب  
 في الارض ولا يحبس له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق

الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نصبت له الزبابة الكلايب وصارت الارض كالجرّة احتوشته الزبابة وطعنوه بالكلايب وبقى في النزاع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لا دم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكا كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك (قال رب اغفر لي) الباء المقسم وما مصدرية ﴿ ٤٠١ ﴾ والجواب (لاز بين لهم) أي اقسام باغواك اياي لاز بين لهم

المعاصي (في الارض) أي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المقسرة بسلطانه وقهره لاينا في اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلهذا أقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا وأخرى بذلك والاسببية وقوله لاز بين جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبب لاغوائى أقسم لا فطن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بقزين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعترلة أولوا الاغواء بالنسبة الى النخى أو التسبب له بأمره اياه بالسجود لا دم عليه الصلاة والسلام واعتدروا عن امهال الله تعالى وتسليطه له على اغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصبرون الى النار أمهل أم لم يمهل وأن في امهاله تعريضاً خلفه لاستحقاق مزيد الثواب (ولاغو بهم أجمعين) لاجلهم على الغواية (الاعبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم لطاعتك

ذلك الفعل طلب رضوان الله وما جعل هذه الداعية مشوية بناعية أخرى بل بقيت خالصة عن شوائب الغير فهذا هو الاخلاص (وأما الثاني) وهو الاخلاص في حق غير الله فظاهر أن هذا لا يكون اخلاصا في حق الله تعالى (وأما الثالث) هو ان يستل على الجهتين الأنا جانب الله يكون راجحاً فهذا يرجح ان يكون من المخلصين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد الخالصا عن الشوب (وأما الرابع والخامس) فظاهر أنه ليس من المخلصين في حق الله تعالى والحاصل ان القسم الاول اخلاص في حق الله تعالى قطعاً والقسم الثاني يرجح من فضل الله أن يجعله من قسم الاخلاص وأما سائر الاقسام فهو خارج عن الاخلاص قطعاً والله أعلم \* اما قوله تعالى قال هذا صراط على مستقيم ففيه وجوه (الاول) ان ايليس لما قال الاعبادك منهم المخلصين فلفظ المخلص يدل على الاخلاص فقوله هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى أي أنه يؤدي الى كرامتي وثوابي وقال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال آخرون هذا صراط من مر عليه فكأنه مر على وعلى رضواني وكرامتي وهو كما يقال طريقك على (الثاني) ان الاخلاص طريق العبودية فقوله هذا صراط على مستقيم أي هذا الطريق في العبودية طريق على مستقيم (الثالث) قال بعضهم لما ذكر ايليس أنه يغوي بني آدم الامن عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته فقال تعالى هذا صراط على أي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي طريق على مستقيم (الرابع) معناه هذا صراط على تقريره وتأكيده وهو مستقيم حق وصدق وقرابيعقوب صراط على بالرفع والتثوين على أنه صفة لقوله صراطى هو على بمعنى أنه رفيع مستقيم لا عوج فيه قال الواحدى معناه أن طريق التفويض الى الله تعالى والايمان بقضاء الله طريق رفيع مستقيم ﴿ قوله تعالى ( ان هبدي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) اعلم ان ايليس لما قال لاز بين لهم في الارض ولاغو بهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم هذا الكلام ان له سلطانا على عباد الله الذين يكونون من المخلصين فين تعالى في هذه الآية أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين بل من اتبع منهم ايليس باختياره صار متبعاله ولكن حصول تلك المتابعة أيضا ليس لاجل ان ايليس يقهره على تلك المتابعة أو يجبره عليها والحاصل في هذا القول ان ايليس أو هم أن له على بعض عباد الله سلطانا فين تعالى كذبه فيه وذكرانه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلاً وظهر هذه الآية قوله تعالى حكاية عن ايليس أنه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقال تعالى في آية أخرى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن الشيطان والجن يمكنهم صرع

وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم ﴿ ٥١ ﴾ خا كيدى وقرى يكسر اللام أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط) أي حق (على) أن أراعيه (مستقيم) لا عوج فيه والاشارة الى ما نضخته الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى أنه طريق يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والاطهر أن ذلك لما وقع في عبارة ايليس حيث قال لا فطن لهم صراطك

المستقيم ثم لا يتبعهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرى على من علوا الشرف (ان عبادي) وهم المشار اليهم بالملخصين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وتصرف بالاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله الامين تخميم لتأن الملخصين وبيان لتزلفتهم ولا تقطاع محال الاغواء عنهم وأن اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوا اختيارهم (وان جهنم لم وعدهم) أي موعده المتبعين أو الغاوين ﴿ ٤٠٢ ﴾ والاول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة

على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود بما لا يوصف في الغفظة (أجمعين) تأكيد للضمير أحوال والعامل فيها الموعدان جعل مصدر على تقدير المضاف أو معنى الاضافة ان جعل اسم مكان (لها سبعة أبواب) يدخلونها اكثر ثم أوسع طبقات منزلونها بحسب مراتبهم في العوابة والتابعة وهي جهنم ثم اطى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع أو الغواة (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعدادها وأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصائبين والخامسة للمحوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولفى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصائبين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لأنحصار المهلكات في

الناس وازالة عقولهم كما يقوله العامة ور بما نسبوا ذلك الى السهرة قال وذلك خلاف ما نص الله تعالى عليه وفي الآية قول آخر وهو أن ابليس لما قال الاعبادك منهم الملخصين فذكر أنه لا يقدر على اغواء الملخصين صدق الله في هذا الاستثناء فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين فلهذا قال الكلبي العباد المذكورون في هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس واعلم أن على القول الاول يمكن أن يكون قوله الامن اتبعك استثناء لان المعنى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين فان لك عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين لك في الامر والنهي وأما على القول الثاني فيمتنع أن يكون استثناء بل تكون لفظة الامن بمعنى لكن وقوله ان جهنم لم وعدهم أجمعين قال ابن عباس يريد ابليس وأشياعه ومن اتبعه من الغاوين ﴿ ثم قال تعالى لها سبعة أبواب وفيه قولان (الاول) انها سبع طبقات بعضها فوق البعض وتسمى تلك الطبقات بالدركات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (والقول الثاني) ان قرار جهنم مقسوم سبعة أقسام واكل قسم باب معين وعن ابن جريج أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال الضحاك الطبقة الاولى فيها أهل التوحيد بعد بون على قدر أعمالهم ثم يخرجون (والثانية) لليهود (والثالثة) للنصارى (والرابعة) للصائبين (والخامسة) للمحوس (والسادسة) للمشركين (والسابعة) للمنافقين وقوله لكل باب منهم جزء مقسوم فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم في رواية أبي بكر جزء مقسوم والباقون جزئ يتخفيف الزاى وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمة والتي حركتها على الزاى كقولك خب في خب ثم وقف عليه بالتشديد (المسئلة الثانية) الجزء بعض الشيء والجمع الاجزاء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى انه تعالى يجرى أتباع ابليس اجزاء بمعنى انه يجعلهم اقساماً وبقاوا يدخل في كل قسم من أقسام جهنم طائفة من هؤلاء الطوائف والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة بالعلو والخفة فلا جرم صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالعلو والخفة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) اعلم انه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب اتبعه بصفة أهل الثواب وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله ان المتقين قولان (الاول) قال الجبائي وجهور المعتزلة القائلون بالوحد المراد بالمتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي قالوا لانه اسم مدح فلا يتناول الامن يكون كذلك (والقول الثاني) وهو قول جمهور الصحابة والتابعين وهو المنقول عن ابن عباس ان المراد الذين اتقوا الشرك بالله تعالى والكفر به وأقول هذا القول هو الحق الصحيح والذي يدل عليه هو ان المتق هو الآتى بالقوى مرة واحدة كما ان الضارب هو الآتى بالضرب مرة واحدة والقاتل هو الآتى بالقتل مرة واحدة فكما أنه ليس من شرط صدق

المخدوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والفضيية وقرى بضم الزاى ويحذف الهمة والقاه ﴿ الوصف ﴾ حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء أو من ضميره في الطرف لاق مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتبعه في الكفر والقواش فان غيرهما كافر (في جنات وعيون) أي مسترون فيها خالدن لكل واحد منهم جنة وعين أول كل منهم هدة كقوله تعالى ولن



خاف مقامه به جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ( ادخلوها ) على ارادة القول أمر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها أمر الله تعالى لللائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال ( بسلام ) ملتبس بسلام اي سالمين أو مسلما عليكم ( آمنين ) من الآفات والزال ( وزعنا ما في صدورهم من خل ) اي خد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ﴿ ٤٠٣ ﴾ أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى

عليهم أجمعين ( اخوانا ) حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من الضمير في آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيه معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى ( على سرر متقابلين ) ويجوز كونهما صفتين لآخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم ( لا يمسه فيها نصيب ) اي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجب من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير من اولة عمل أصلاً وبأن لا يعترهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف أحوال بعد حال أحوال من الضمير في متقابلين ( وما هم منها بخرجين ) أيد الأباد لان تمام النعمة بالخلود ( نبي عبادي ) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين ( أتى أنا للنفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ) فذلك

الوصف بكونه ضاراً بما وقائلا كونه آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل فكذلك ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً كونه آتياً بجميع أنواع التقوى والذي يقوى هذا الكلام ان الآتي بفرد واحد من افراد التقوى يكون آتياً بالتقوى لان كل فرد من أفراد الماهية فانه يجب كونه مشتتاً على تلك الماهية فالآتي بالتقوى يجب ان يكون متقياً فثبت ان الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يصدق عليه كونه متقياً ولهذا التحقيق اتفق المفسرون على ان ظاهر الامر لا يفيد التكرار اذا ثبت هذا فنقول ظاهر قوله ان المتقين في جنات وعبون يقتضي حصول الجنات والعبون لكل من اتى عن شيء واحد لان الامة مجمعة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم وأيضا فان هذه الآية وردت عقب قول ابليس الاعدادك منهم المخلصين وعقب قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلاجل هذه الدلائل اعتبرنا الايمان في هذا الحكم فوجب أن لا يزيد فيه قيد آخر لان تخصيص العام لما كان بخلاف الظاهر فكما كان التخصيص أقل كان أوفق لمقتضى الاصل والظاهر فثبت ان قوله ان المتقين في جنات وعبون يتناول جميع القائلين بلا اله الا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية وهذا تقرير بين وكلام ظاهر ( المسئلة الثانية ) قوله تعالى في جنات وعبون أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولن خاف مقامه به جنتان ثم قال ومن دونها جنتان فيكون المجموع أربعة وقوله ولن خاف مقامه به جنتان يؤكد ما قلناه لان من آمن بالله لا ينفك قلبه عن الخوف من الله تعالى وقوله ولن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة وأما العبون فيحتمل أن يكون المراد منها ما ذكر الله تعالى في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العبون يتابع مفارقة لتلك الانهار فان قيل أتقولون ان كل واحد من المتقين يخص بعبون أو تجرى تلك العبون من بعض الى بعض قيل لا يمتنع كل واحد من الوجهين فيجوز أن يخص كل أحد بعين ويتنفع به كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل أن يكون يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحسد والحسد وقوله ادخلوها بسلام آمنين يحتمل أن القائل لقوله ادخلوها هو الله تعالى وان يكون ذلك القائل بعض ملائكته وفيه سؤال لانه تعالى حكم قبل هذه الآية بانها في جنات وعبون واذا كانوا فيها فكيف يمكن أن يقال لهم ادخلوها والجواب عنه من وجهين ( الاول ) لعل المراد به قيل لهم قبل دخولهم فيها ادخلوها بسلام ( الثاني ) لعل المراد للملكوا جنات كثيرة فكما أرادوا أن ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها وقوله ادخلوها بسلام آمنين المراد ادخلوها الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال ومع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها

لمالسلف من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة شعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصد دون التعذيب ايذاناً بانها بما يقتضيها الذات وأن العذاب انما يتحقق بما يوجب من خارج ( ونبئهم ) عطف على نبي عبادي المقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من البشرية في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب وبجائته عليه الصلاة والسلام مع أهله

التابعين له في ضمن الخوف وتذبيرهم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذ هم جبريل عليه الصلاة والسلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الثقلان الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض ﴿٤٠٤﴾ لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا رسلا

ثم قال تعالى وزنا ما في صدورهم من غل والغل الحقد الكامن في القلب وهو ما أخوذ من قولهم أغل في جوفه وتغل أي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزاع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أنه قال أرجوان أكون انا وعثمان وطلحة وان يبرئهم وحكي عن الحرث بن الاعمور انه كان جالسا عند علي رضي الله عنه اذ دخل زكريا بن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن أخي أما والله اني لارجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى في حقهم وزنا ما في صدورهم من غل فقال الحرث كلابل الله أهدل من ان يجملك وطلحة في مكان واحد قال رضي الله عنه فلن هذه الآية لاملك بأعور وروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص لبعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نفي الله قلوبهم من الغل والعش والحقد والحسد وقوله اخوانا نصب على الحال وليس المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالصة كما قال الاخلاء يؤخذ بعضهم لبعض عدوا المتقين وقوله على سرر متقابلين السرير معروف والجمع اسرة وسرر قال أبو عبيدة يقال سرر وسرر بفتح الراء وكذا كل فعل من المضاعف فان جمعه فعل وفعل نحو سرر وسرر وجد وجد وقال المفضل بعض نعيم وكلب يقتحون لانهم يستقلون ضمنين متواليين في حرفين من جنس واحد وقال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع مهيا للسرور وهو ما أخوذ منه لانه مجلس سروره قال الليث وسرير العيش مستقره الذي اطمان اليه في حال سروره وفرحه قال ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاه الى الجابية وقوله متقابلين المتقابل التواجه وهو تقيض التدابر ولا شك ان المواجهة أشرف الاحوال وقوله لا يمسهم فيها نصب النصب الاهداء والتعب أي لا ينالهم فيها تعب وما هم منها بخرجين والمراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكالا بلا نقصان وقوزا بلا حرمان واعلم ان الثواب أربع شرائط وهي أن تكون منافية مقرونة بالتعظيم خالصة عن الشوائب دائمة (أما القيد الاول) وهو كونها منفعة فاليه الاشارة بقوله ان المتقين في جنات وعيون (وأما القيد الثاني) وهو كونها مقرونة بالتعظيم فاليه الاشارة بقوله ادخلوها بسلام آمنين لان الله سبحانه اذ اقل لعبيده هذا الكلام أستر ذلك بنهاية التعظيم وغاية الاجلال (وأما القيد الثالث) وهو كون تلك المنافع خالصة عن شوائب الضرر فاعلم ان المضار امان تكون روحانية واما ان تكون جسمانية أما المضار الروحانية فهي الحقد والحسد والغل والغضب وأما المضار الجسمانية فكالاعباء والتعب وقوله وزنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم فيها نصب اشارة الى نفي المضار الجسمانية (وأما القيد الرابع) وهو كون تلك المنافع دائمة آمنة من الزوال فاليه الاشارة بقوله وما هم منها بخرجين فهذا ترتيب حسن معقول بناء على القيود الاربع المعتبرة في ماهية الثواب وحكمها بالاسلام في هذه الآية مثال فانهم قالوا المراد من قوله

الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل الى قوم لوط حسبما أتى ذكره (اذ دخلوا عليه) نصب بفعل مضمر معطوف على نبي أي واذا ذكر وقت دخولهم عليه أو خبر مقدر مضاف الى ضيف أي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الاصل (فقالوا) عند ذلك (سلاما) أي نسلم سلاما وسلاما وسلمت سلاما (قال انا منكم وجلون) أي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتسوق مكروه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من أكل ما قرب به اليهم من العجل الخنيز لما أن المعتاد عندهم أنه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجي بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لاتصل له نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حيثئذ بما اجابوا به ولم يتصد عليه الصلاة

والسلام لتقريب طعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى أنه لم يذكر ﴿وزنا﴾

ههنا رده عليه الصلاة والسلام لسلامهم (قالوا اتوجل) لاتخف وقرى لاتوجل ولا توجل من أوجه أي أخافه ولا توجل من واجله بمعنى أوجه (انا نبشرك) استئناف لتعليل النهي عن الوجل فاننا للبشر به لا يكاد يحوم حول ساحة خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة يقانه وبقاء أهله في طافية وسلامة زمانا طويلا (بسلام) هو اسحق عليه

الصلاة والسلام قوله تعالى فبشرناها بما سبق ولم تعرض ههنا بالبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود (عليه) اذ ابلغ وفي موضع آخر بفلام حليم (قال أبو بشر موني) بذلك (على أن مسني الكبير) وأثر في تعجب عليه الصلاة والسلام من بشارتهم بالولاد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال (فيم تبشرون) أي بأى أعجوبة تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة ﴿ ٤٠٥ ﴾ بغيرشي أو بأى طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجهم في نون الوقاية (قالوا

بشرناك بالحق) أي بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله (فلا تكن من القاذبين) من الآيسين من ذلك فان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقر وقرئ من القاذبين وكان مقصده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى السلوكه فيما بين عباده لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبي عنه قول الملائكة فلا تكن من القاذبين دون أن يقولوا من الممترين أو محوه (قال ومن يقنط) استفهام انكارى أى لا يقنط (من رحمة ربه الا الضالون) المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمة وكال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يياس من روح الله الا القسوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أى

وزعنا ما في صدورهم من غل اشارة الى ان الارواح القدسية النطقية تقيه مطهرة عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرأة عن حوادث الوهم والخيال وقوله اخوانا على سرر متقابلين معناه ان تلك النفوس لما صارت صافية عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاهام ووقم عليها أنوار عالم الكبرياء والجلال فأشرقت بتلك الانوار الالهية وتلاآت بتلك الاضواء العمدية فكل نور فاض على واحد منها انعكس منه على الآخر مثل المرايا المتعابلة المتحاذية فلكونها بهذه الصفة وقع التعبير عنها بقوله اخوانا على سرر متقابلين والله أعلم \* قوله تعالى (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) في الآية مسلتان (المسئلة الاولى) اثبتت الهمة الساكنة في نبي صوره وما أثبتت في قوله دف وجزء لان ما قبلها ساكن فهي تحذف كثيرا وتلقى حر كها على الساكن قبلها فني في الخط على تحقيق الهمة وليس قبل همة نبي ساكن فاجروها على قياس الاصل (المسئلة الثانية) اعلم ان عباد الله قسمان منهم من يكون متقيا ومنهم من لا يكون كذلك فلما ذكر الله تعالى أحوال المتقين في الآية المتقدمة ذكر أحوال غير المتقين في هذه الآية فقال نبي عبادى واعلم أنه ثبت في أصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف حلة لذلك الحكم فهنا وصفهم بكونهم عبادا له ثم أثبت صيب ذكر هذا الوصف الحكم بكونه غفورا رحيماف هذا يدل على ان كل من اعترف بالعبودية ظهر في حقه كون الله غفورا رحيماف ومن أنكر ذلك كان مستوجبا للعقاب الاليم \* وفي الآية لطائف (احداها) أنه أضاف العباد الى نفسه بقوله عبادى وهذا تشرىف عظيم الأثرى أنه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذى أسرى بعبده (وثانيها) أنه لما ذكر الرحمة والمغفرة بانع في التأكيد بألفاظ ثلاثة \* أولها قوله انى \* وثانيها قوله أنا \* وثالثها ادخال حرف الالف واللام على قوله الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل انى أنا المذنب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم (وثالثها) أنه أمر رسوله ان يبلع اليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة (ورابعها) أنه لما قال نبي عبادى كان معناه نبي كل من كان معترفا بعبوديتى وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصى وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن قتاده قال بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله تعالى ما تورع من حرام ولو علم قدر عقابه لبيع نفسه أى قتلها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون والنار بين أيديكم فنزل قوله نبي عبادى انى أنا الغفور الرحيم والله أعلم \* قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انانمكم وجلون قالوا لا توجل انانبشرك بفلام حليم قال أبشر موني على أن مسني الكبير فيم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن

ص

ليس في قنوط من رحمة تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة حالى لفضان تلك النعمة الجليلة على وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسر هامن قنط بالفتح ولم تكن هذه المتفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل ممسارة أيضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكره هناك كما أنه لم يذكره هناك اكتفاء بما ذكره هنا (قال) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسطه بين قوله السابق وبين قوله

(فخطبكم) أي أمركم وشأنكم الخطير الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) صريح في أن بينهما علة مطوية لهم أشير به إلى مكانها كما في قوله تعالى قال أسجدن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذي كرمت على الآية فان قوله الانجيليس مؤصلا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فأخرج منها فالتكريم فان توسط قال بين قوله لا يذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام ﴿ ٤٠٦ ﴾ بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق

من القاذبين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير أمر النبوة ثم أردف بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر عقبيه أحوال القيامة وصفة الاشقياء والسعداء أتبعه بذكر قصص الانبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الانبياء ومحذرا عن المعصية لاستحقاق درجات الاشقياء فبدأ أولا بقصة ابراهيم عليه السلام والضمير في قوله ونبتهم راجع الى قوله عبادي والتقدير ونبي عبادي عن ضيف ابراهيم يقال أنبات القوم انباء ونبتهم تنبئة اذا خبرتهم وذكر تعالى في الآية ان ضيف ابراهيم عليه السلام بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من العذاب وأخبروه ايضا بأنه تعالى سيدب الكفار من قوم لوط بعذاب الاستئصال وكل ذلك يقوى ما ذكره من أنه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب أليم في حق الكفار (المسئلة الثانية) الضيف في الاصل مصدر ضاف بضيف اذا أتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به ولذلك وحذف اللفظ وهم جماعة فان قيل كيف سماهم ضيفا مع امتناعهم عن الاكل قلنا لما ظن ابراهيم انهم انما دخلوا عليه لطلب الضيافة جاز تسميتهم بذلك وقيل ايضا ان من يدخل دار الانسان ويلتجئ اليه يسمى ضيفا وان لم يأكل وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي نسل عليك سلاما أو سلمت سلاما فقال ابراهيم ان انتمكم وجلون أي خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا عليه بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله بوجهه اذا أخافه وقرى لا توجل ولا توجل من واجله بمعنى أوجله وهذه القصة قد مر ذكرها بالاستقصاء في سورة هود وقوله قالوا لا توجل اننا نبشرك بغلام عليم فيه ابحاث (الاول) قرأ حرة اننا نبشرك بفتح التون وتخفيف الباء والباقون نبشرك بالتشديد (البحث الثاني) قوله اننا نبشرك استئناف في معنى التعليل لانه عن الوجع والمعنى انك بمشاية الآمن المبشر فلا توجل (البحث الثالث) قوله اننا نبشرك بغلام عليم بشروه بأمرين (أحدهما) ان الولد ذكروا لا آخر أنه يصير عليما واختلفوا في تفسير العليم فقيل بشروه بذوته بعده وقيل بشروه بأنه عليم بالدين ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه قال أبشروني على ان مسني الكبر فبم تبشرون فمضى على ههنا الحال أي حالة الكبر وقوله فبم تبشرون فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لفظة ماههنا استفهام بمعنى التعجب كأنه قال بآي أعجوبة تبشرون فان قيل في الآية اشكالان (الاول) أنه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وانكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر (الثاني) كيف قال فبم تبشرون مع انهم قد سبقوا ما بشروه به وما فائدة هذا الاستفهام قال القاضي أحسن ما قيل في الجواب عن ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يتقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام ان العادة جار يبقانه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وانما يحصل في حال الشباب فان

مجردا عن ذلك مع تصديره بالغاء دليل على أن مقالتهم المطوية كانت متضمنة ابيان أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله أرسلوا فكانت له قال عليه الصلاة والسلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فاذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا أقوى عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في ذكرها عليه الصلاة والسلام ومرمى ولا الى أنهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة التوجل ولو كانت تمام المقصود لا يتدوا بها فتأمل (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وحي بهم بطريق التنكير ذمالمهم واستهانة بهم (الآل لوط) استثناء متصل من الضمير في مجرمين أي الى قوم أوجروا جميعا الآل لوط فاتصوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا أرسلنا الى قوم أوجروا كلهم الآل لوط نهلك الاولين ونجي الآخرين

و يدل عليه قوله تعالى (انما نجوهم) أي لوط وآله (أجمعين) أي بما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم اعدم اجرامهم اولبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون يكون حالهم بين أول تعليقه ﴿ قيل ﴾ فان من تعلق بهم النتيجة بمنجي من شمول العذاب أو منقطع من قوم وقوله تعالى انما نجوهم متصل بالآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا قوله تعالى (الا امرأته) استثناء من آل لوط أو من

تخيرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل التبعيهم اعتراضا وقرى بالتحفيف (قربنا  
 انهم القاري بن) الباقي مع الكثرة لتهتك معهم وقرى قدرنا بالتحفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك  
 بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره  
 واسنادهم الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه لهم ﴿ ٤٠٧ ﴾ من الزاني والاختصاص ( فلما جاء آل لوط المرسلون )

شروع في بيان كيفية اهلاك  
 المجرمين وتنجية آل لوط حسبما  
 أجل في الاستثناء ثم فصل  
 في التعليل نوع تفصيل ووضع  
 المظهر موضع المضمير للايدان  
 بأن مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به  
 من الاهلاك والتنجية وليس  
 المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق  
 كينوتهم عند آل لوط فان ما حكي  
 عنه عليه الصلاة والسلام بقوله  
 تعالى ( قال انكم قوم منكرون )  
 انما قاله عليه الصلاة والسلام  
 بعد اللتيا والتي حين ضاقت  
 عليه الحيل وعيت به العلى  
 للمم يشاهد من المرسلين عند  
 مقاساته الشدايد ومعاناته المكابد  
 من قومه الذين يريدون به  
 هم ما يريدون ما هو المعهود  
 والعتاد من الاعانة والامداد  
 فيما يأتي ويذر عند تحشمه  
 في تخليصهم انكارا لخذلانهم له  
 وترك نصرته في مثل تلك المضايقة  
 اعترى به بسببهم حيث لم يكونوا  
 مباشرين معه لاسباب المدافعة  
 والممانعة حتى أجاته الى أن قال  
 لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن  
 شديد حسبما فصل في سورة  
 هود لأنه قاله عند ابتداء  
 ورودهم له خوفاً أن يطره  
 بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم  
 المحكي بقوله تعالى ( قالوا بل جئناك

قيل فاذا كان معنى الكلام ما ذكرتم في قولوا بشرناك بالحق فلا تكن من القاطنين قلنا  
 انهم ينوون الله تعالى بشره بالولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة وقولهم فلا تكن من  
 القاطنين لا يدل على أنه كان كذلك بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على انه ليس كذلك  
 فقال ومن يفتن من رجح ربه الا الضالون وفيه جواب آخر وهو ان الانسان اذا كان  
 عظيم الرغبة في شيء وفاته الوقت الذي يطلب على ظنه حصول ذلك المراد فيه فاذا بشر  
 بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره ويصير ذلك الفرح القوى كالمدهش له والمزبل  
 لقوة فهمه وذلك أنه يتكلم بكلمات مضطربة من ذلك الفرح في ذلك الوقت وقيل  
 أيضا انه يستطيب تلك البشارة فر بما يبيد السؤال لسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرة  
 وأكثر طلبا للالتذاب سماع تلك البشارة وطلباً لزيادة العلم أئينة والوثوق مثل قوله ولكن  
 لطمئن قلبي وقيل أيضا استغفهم بأمر الله تبشرون أم من عند أنفسكم واجتهادكم  
 ( المسئلة الثانية ) قرأناهم تبشرون بكسر التون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير  
 بكسر التون وتشديدها والباقون بفتح التون خفيفة اما الكسر والتشديد فتقديره  
 تبشروني أدعجت نون الجيم في نون الاضافة وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون  
 الجمع استئمالا لاجتماع المثليين وطلباً للتخفيف قال أبو حاتم حذف نافع الياء مع التون قال  
 واسقاط الحرفين لا يجوز وأجيب عنه بأنه أسقط حرفاً واحداً وهي التون التي هي علامة  
 للرفع وعلى أن حذف الحرفين جائز قال تعالى في موضع ولاتكن فاما فتح  
 التون فعلى غير الاضافة والتون علامة الرفع وهي مفتوحة أبداً وقوله بشرناك بالحق  
 قال ابن عباس يريد بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب  
 ابراهيم اسحق عليه السلام ويخرج من صلب اسحق مثل ما أخرج من صلب آدم فانه  
 تعالى بشره بأنه يخرج من صلب اسحق أكثر الانبياء فتوجه بالحق اشارة الى هذا المعنى  
 وقوله فلا تكن من القاطنين نهى لاراهيم عليه السلام عن القنوط وقد ذكرنا كثيراً ان  
 نهى الانسان عن الشيء لا يدل على كون المنهى فاعلاً للمنهى عنه كما في قوله ولا تطع  
 الكافرين والمنافقين ثم حكي تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه قال ومن يقنط من رجح  
 ربه الا الضالون وفيه مسثلتان ( المسئلة الاولى ) هذا الكلام حق لان القنوط من رجح  
 الله تعالى لا يحصل الا عند الجهل بامور ( أحدها ) أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه  
 ( وثانيها ) أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد اليه ( وثالثها ) أن يجهل كونه  
 تعالى منزهاً عن الجهل والحاجة والجهل فكل هذه الامور سبب للضلال فهذا المعنى  
 قال ومن يقنط من رجح ربه الا الضالون ( المسئلة الثانية ) قرأ أبو عمرو والكسائي يقنط  
 بكسر التون ولا تقنطوا كذلك والباقون بفتح التون وهما لغتان قنط يقنط نحو ضرب  
 يضرب وقنط يقنط نحو علم يعلم وحكى أبو عبيدة قنط يقنط بضم التون قال أبو علي  
 الفارسي قنط يقنط بفتح التون في الماضي وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات يدل

بما كانوا فيه يعترون) اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكدبونك قد قشروا العصا وينووا عليه الصلاة  
 والسلام جلية الامر فاني يمكن أن يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضربا عن موجب الخوف المذكور  
 على معنى ما جئتكم بما تكره الا لاجله بل بما يسركم وتقر به عينك بل هي اضرب عافهم عليه الصلاة والسلام من ترك

النصرة له والمعنى ماخذناك وماخذناك وبيئهم بل جثناك بمايدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تنوعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ماجرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمساواة الى ذكر بشارة لوط عليه الصلاة والسلام باهلاك قومه وتبجئة آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مبادئها اشير الى ذلك ﴿ ٤٠٨ ﴾ اجلا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال

بتغيير الترتيب الوقوعى ثقة بمراعاته في مواقع أخرى ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه الصلاة والسلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تقوى يص امره اليه لا بطريق نزوله عليه كما أنهم جاؤ به وفوضوا أمره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعددهم به (وأنتناك بالحق) اى باليقين الذى لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبرته بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه أو المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى (وانا الصادقون) تأكيده اى أبتناك فيما قلنا بالخبر الحق اى المطابق للواقع وانا صادقون فى ذلك الخبر أو فى كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيدها ترثا كيد وقوله تعالى (فأسر يا هلك) شروع فى ترتيب مبادئ النجاة أى اذهب بهم فى الليل وقرى بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير فى الليل وقرى فسر من السير (يقطع من الليل) بطائفة منه أو من آخره قال \* اقتهى الباب وانظرى فى النجوم \* كم علينا من قطع ليل بهم \* وقيل

على ذلك اجتماعهم فى قوله من بعد ما قنطوا وحكاية ابي عبيدة تدل أيضا على أن قنط بفتح النون أكثر لان المضارع من فعل بجى على فعل ويفعل مثل فسق يفسق ولا يفسق ولا ينجى مضارع فعل على فعل والله أعلم \* قوله تعالى (قال فاخطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الآل لوط انا لنجوهم أجمعين الامر أنه قدرنا انها لمن القابرين) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فاخطبكم سؤال عمالجه أرسلهم الله تعالى والخطب والشان والامر سواء الا ان لفظ الخطب أدل على عظم الخلال فان قيل ان الملائكة لما بشروه بالولد الذكر العليم فكيف قال لهم بعد ذلك فاخطبكم أيها المرسلون قلنا فيه وجوه (الاول) قال الاصم معناه ما الامر الذى توجهتم له سوى البشرى (الثانى) قال القاضى انه علم أنه لو كان كمال المقصود ايصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا فلما رأى جمعا من الملائكة علم ان لهم غرضا آخر سوى ايصال البشارة فلا جرم قال فاخطبكم أيها المرسلون (الثالث) يمكن أن يقال انهم انما قالوا انا نبشرك بغلام عليم فى معرض ازالة الخوف والوجل ألا ترى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما خاف قالوا له لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ولو كان تمام المقصود من المجيء للهو ذكر تلك البشارة لكانوا فى أول ما دخلوا عليه ذكروا تلك البشارة فلما لم يكن الامر كذلك علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الطريق انه ما كان مجيئهم لمجرد هذه البشارة بل كان لغرض آخر فلا جرم سألهم عن ذلك الغرض فقال فاخطبكم أيها المرسلون ثم حكى تعالى عن الملائكة انهم قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين وانما اقتصروا على هذا القدر لعلم ابراهيم عليه السلام بان الملائكة اذا أرسلوا الى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم واستئصالهم وأيضاً فقوله الآل لوط انا لنجوهم أجمعين يدل على أن المراد بذلك الارسال اهلاك القوم أما قوله تعالى الآل لوط فالمراد من آل لوط أتباعه الذين كانوا على دينه فان قيل قوله الآل لوط هل هو استثناء منقطع أو متصل قلنا قال صاحب الكشاف ان كان هذا الاستثناء من قوم كان منقطعاً لان القوم موصوفون بكونهم مجرمين وآل لوط ما كانوا مجرمين فاختلف الجنس ان فوجب أن يكون الاستثناء منقطعاً وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلاً كأنه قيل الى قوم قد أجمعوا كلهم الآل لوط وحدهم كما قال فاوجدنا فيها غير بيت من السليين ثم قال صاحب الكشاف ويختلف المعنى بحسب اختلاف هذين الوجهين وذلك لان آل لوط يخرجون فى المنقطع من حكم الارسال لان على هذا التقدير الملائكة أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة وما أرسلوا الى آل لوط أصلاً وأما فى المتصل فالملائكة أرسلوا اليهم جميعاً ليهلكوا هو لاهو وبنحوه هو لاهو وأما قوله انا لنجوهم أجمعين فاعلم انه قرأ حزة والكسائى منجوهم خفيفة والباقون مشددة وهما لغتان أما قوله تعالى الامر أنه قال صاحب الكشاف هذا استثناء من الضمير المجرور فى قوله لنجوهم وليس ذلك من باب الاستثناء من الاستثناء لان

هو بعد ماضى منه شئ صالح (واتبع أديارهم) وكن على أثرهم تنوهم وتسرع بهم وتطلع ﴿ الاستثناء ﴾ على أحوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالامر للمبالغة فى ذلك اذا السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الفعلة عن حال التأخر والاتفات انتهى عنه بقوله تعالى (ولا يلفت منكم) أى منك ومنهم (أحد) فيرى

ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم أو لا ينصرف منكم احد ولا يتخلف افرص فيصيبه العذاب وقيل  
 نهوا عن ذلك ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة أو هونى عن ربط القلب بما خلفوه أو هو الاسراع في السير فان الملتفت  
 فلما يخلو عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرء من الاسراء والالتفات لا يستدعى عدم وقوعه فان ذلك لما عرفت مرارا  
 للاكتفاء بما ذكر في مواضع أخر (وامضوا حيث تؤمرون) \* ٤٠٩ \* الى حيث أمركم الله تعالى بالمضى اليه وهو الشام

أو مصرو وحذف الصلتين  
 على الاتساع المشهور وإيثار  
 المضى الى ما ذكر على الوصول  
 اليه والحقق به للايدان بأهمية  
 الحجاة ولراعاة المناسبة بينه  
 وبين ما سلف من الغارين  
 (وقضينا) أى أوحينا (اليه)  
 مقضيا ولذلك عدى بالي  
 (ذلك الامر) مبهم يفسره  
 (أن دابر هؤلاء مقطوع)  
 على أنه بدل منه وإيثار اسم  
 الإشارة على الضمير للدلالة  
 على اتصافهم بصفاتهم  
 القبيحة التي هي مدار ثبوت  
 الحكم أى دابر هؤلاء المجرمين  
 وإيراد صيغة المفعول بدل  
 صيغة المضارع لكونها أدخل  
 في الدلالة على الوقوع وفي  
 لفظ القضاء والتعبير عن العذاب  
 بالامر والإشارة اليه بذلك  
 وتأخير عن الجار والمجرور  
 وإبهامه أو لاثم تفسيره ثانياً من  
 الدلالة على فخامة الامر و  
 فظاعته ما لا يخفى وقرئ  
 بالكسر على الاستئناف والمعنى  
 أنهم يتأصلون عن آخرهم  
 حتى لا يبقى منهم أحد  
 (مصبيين) داخلين في الصبح  
 وهو حال من هؤلاء أو من  
 الضمير في مقطوع ووجهه

الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما أمحد الحكم فيه كما وقيل أهل الكاهم الا آل لوط  
 الامر أنه وكما لو قال المطلق الامر أنه أنت طالق ثلاثا الا اثنين الا واحدة وكما اذا قال  
 المقر فلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فإما في هذه الآية فقد اختلف الحكماء  
 لان قوله الا آل لوط متعلق بقوله أرسلنا أو بقوله مجرمين وقوله الامر أنه قد يتعلق بقوله  
 منجوههم فكيف يكون هذا استثناء من استثناء واما قوله قدرنا انهم المان الغارين ففيه  
 مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره يقال  
 قدره هذا الشيء بهذا أى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات أى جعلها على  
 مقدار الكفاية ثم يفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله عليه كذا وقدره عليه أى جعله  
 على مقدار ما يكتفي في الخبر والشرو وقيل في معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل  
 قضينا والكل متقارب (المسئلة الثانية) قرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا تخفيف الدال ههنا  
 وفي النمل وقرأ الباقون فيها بالتشديد قال الواحدى يقال قدرت الشيء وقدرته ومنه  
 قراءة ابن كثير نحن قدرنا بينكم الموت خفيفا وقراءة الكسائى والذي قدر فهدى  
 ثم قال والمشددة في هذا المعنى أكثر استعمالا لقوله تعالى وقدر فيها أقواتها وقوله وخلق  
 كل شيء قدير تقدير (المسئلة الثالثة) لقائل أن يقول لم أسند الملائكة فعل التقدير  
 الى أنفسهم مع أنه لله تعالى ولم لم يقولوا قدر الله تعالى والجواب انما ذكرناه هذه العبارة  
 لما هم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا  
 والمديرو الأمر هو الملك لا هم وانما يريدون بذلك هذا الكلام اظهر ما لهم من  
 الاختصاص بذلك الملك فكذا ههنا والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله انهم المان الغارين في  
 موضع مفعول التقدير قضينا أنها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما ينهلكون  
 ولا تكون ممن يبقى مع لوط فنصل الى الحجاة والله أعلم \* قوله تعالى (فلا جاء آل لوط

المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا  
 لصادقون) اعلم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم بالولد واخبروه بأنهم مرسلون لعذاب قوم  
 مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وإلى آله وأن لوطا وقومه ما عرفوا أنهم ملائكة الله فلهمذا  
 قال لهم انكم قوم منكرون وفي تأويله وجوه (الاول) انه انما وصفهم بأنهم منكرون  
 لانه عليه الصلاة والسلام ما عرفهم فلما هجموا عليه استنكر منهم ذلك وخاف أنهم دخلوا  
 عليه لأجل شر يوصلونه اليه فقال هذه الكلمة (والثاني) أنهم كانوا شيا بامر دا حسان  
 الوجوه فخاف أن يهجم قومه عليه بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة (والثالث) أن النكرة  
 ضد المعرفة فتقوله انكم قوم منكرون أى لأعرفكم ولا أعرف انكم من أى الاقوام  
 ولاى غرض دخلتم على فعند هذه الكلمة قالت الملائكة بل جنناك بما كانوا فيه  
 يمترون أى بالعذاب الذى كانوا يشكون في نزوله ثم أكدوا ما ذكروه بقولهم وأتيناك  
 بالحق قال الكلبي بالعذاب وقيل باليقين والامر الثابت الذى لا شك فيه وهو عذاب

للحمل على المعنى فان دابر ﴿ ٥٢ ﴾ خا هؤلاء بمعنى مدبرى هؤلاء (وجاء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن  
 القوم عند وقوعهم على مكان الاضياف من ان فعل والقول وما ترتب عليه بعد ما أشير الى ذلك اجالا حسبانيه عليه أى  
 جاء أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أى مستبشرين باضيافه عليه الصلاة والسلام  
 طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضئى) الضيف حيث كان مصدرا في الاصل أطلق على الواحد

والتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم في زى الضيف  
والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصافهم به واطهار اعتناهم بشأنهم وتشمير مراعاة حقوقهم وحجياتهم من  
السوء ولذلك قال (ولا تفضحون) أى عندهم بأن تفضحوا لهم بسوء فعلوا أنه ليس لي عندكم قدر وحرمة أو لا تفضحون  
بفضيحة ضيفي فان من أسى الى ضيفه فقد أسى اليه يقال ﴿ ٤١٠ ﴾ فضحه فضحها وفضيحة اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار

او تلك الاقوام ثم اكد اوه هذا التأكيد بقولهم وان الصادقون \* قوله تعالى (فأسر  
بأهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون  
وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) قرى فأسر بقطع الهمة  
ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الكشاف عن صاحب الاقيد فسر من السير  
واقطع آخر الليل قال الشاعر

افتحى الباب وانظري في النجوم \* كم علينا من قطع ليل بهم  
وقوله واتبع ادبارهم معناه اتبع اثار بناتك وأهلك وقوله ولا يلتفت منكم أحد الفائدة  
فيه أشياء (أحدها) ثلاثية تختلف منكم أحد فيناه العذاب (وثانيها) ثلاثية عظيم ما ينزل  
بهم من البلاء (وثالثها) معناه الاسراع وترك الاهتمام للمخلف وراه كما تقول امض  
لسألك ولا تخرج على شئ (ورابعها) لوبقى منه منافع في ذلك الموضوع فلا يرجع بسببه  
اليه وقوله وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس يعنى الشام قال المفضل حيث يقول  
لكم جبريل وذلك لان جبريل عليه السلام أمرهم أن يمضوا الى قرية معينة أهلها  
ما عملوا مثل عمل قوم لوط وقوله وقضينا اليه عدى قضينا بال لانه ضمن معنى أو حيناً كأنه  
قبل وأوحينا اليه مفضيا مبتوتاً ونظيره قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل وقوله ثم اقضوا  
الى ثم انه فسر به ذلك القضاء المبثوث بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي ايهاهه أو لا  
وتفسره ثانياً تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الأعشى ان بالكسر على الاستئناف كان قائلاً  
قال أخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقتنا ان دابر هؤلاء  
ودابرهم آخرهم يعنى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله مصبحين أى  
حال ظهور الصبح \* قوله تعالى (وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا  
تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم  
فأهلين لعمر كذا هم لى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصبيحة مشرقين فبعلنا طاب لها سافلها  
وامطرنا عليهم بحجارة من سجيل ان فى ذلك لايات للمتوسمين وانها بسبيل مقيم ان فى  
ذلك لاية للمؤمنين ) اعلم أن المراد بأهل المدينة قوم لوط وليس فى الآية دليل على  
المكان الذى جاؤه الا أن القصة تدل على أنهم جاؤا وادار لوط قتل ان الملائكة كلما كانوا فى  
غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل الى قوم لوط وقيل امرأة لوط أخبرتهم بذلك وبالجملة  
فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المرد ماراً يناقط أصبح وجهها ولا أحسن شكلاً منهم  
فذهبوا الى دار لوط طلبها منهم لا وثلث المرد والاستبشار اطهار السرور فقال لهم لوط  
لما قصدوا أضيفه كلامين (الاول) قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون يقال فضحه يفضحه  
فضحها وفضيحة اذا أظهر من أمره ما يلزمه به العار والمعنى ان الضيف يجب اكرامه فاذا  
قصدموهم بالسوء كان ذلك اهانة بي ثم اكد ذلك بقوله واتقوا الله ولا تخزون فأجابوه  
بقولهم أولم ننهك عن العالمين والمعنى أسناقد نهي الكائن تكلمنا فى أحد من الناس اذا

(واتقوا الله) فى مباشرتك  
لما يسوئنى (ولا تخزون) أى  
لا تذوقنى ولا تهينونى بالتعرض  
لمن أجزتهم بمثل تلك الفعله  
الخبثيه وحيث كان التعرض  
لهم بعد أن نهاهم عليه  
الصلاة والسلام عن ذلك  
يقوله فلا تفضحون أكثر  
تأثيراً فى جانيه عليه الصلاة  
والسلام وأجلب العار اليه  
اذا تعرض للجار قبل شعور  
المجبر بذلك بما يتساح فيه  
وأما بعد الشعور به والمناسبة  
لجانيه والذب عنه فذلك  
أعظم العار عبر عليه الصلاة  
والسلام بما يعتر به من جهتهم  
بعد النهى المذكور بسبب  
لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته  
بالخرى وأمرهم بتقوى الله  
تعالى فى ذلك وانما يصرح  
بالنهي عن نفس تلك الفاحشه  
لانه كان يعرف أنه لا يفيدهم  
ذلك وقيل المراد تقوى الله  
تعالى فى ركوب الفاحشه ولا  
يساعده توسطه بين النهيين  
عن أمرين متعلقين بنفسه  
عليه الصلاة والسلام  
وكذلك قوله تعالى ( قالوا  
أولم ننهك عن العالمين )  
أى عن التعرض لهم بضعفهم

عنا وضيفتهم والهمة للانكار والواو للعطف على مقدر أى ألم تقدم اليك ولم تنهك عن ذلك فانهم ﴿ قصدناه ﴿  
كانوا يتعرضون لكل أحد من الغريب بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه  
الصلاة والسلام عن أن يجير أحداً فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخرى انما جاءك من قبلك لامن قبلنا اذ لولا تعرضك  
لما تصدى له لما اعتراك تلك الحاله ولما رأهم لا يلقهون عمامهم عليه (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فلن يى كل



أمة بمنزلة أبيهم أو بناته حقيقة أي فترجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائهم لالعدم مشروعية النكاح بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ( ان كنتم فاعلين ) أي قضاء الوطر أو ما أقول لكم ( لعمرك ) قسم من الله تعالى بحياة النبي عليه الصلاة والسلام وأمن الملائكة بحياة لوط عليه الصلاة والسلام والتقرير لعمرك قسمي وهي آية في العمر يختص به القسم ايشارة ( ٤١١ ) للحظة لكثرة دوراته على الالسنه ( انهم لفي سكرتهم ) غوايتهم أو شدة

غلتهم التي ازال عقولهم وتميزهم بين الخطا والصواب ( يعمهون ) يتخيرون ويتعادون فكيف يسمعون النصيح و قيل الضمير قر يش والجملة اعتراض ( فأخذتهم الصيحة ) أي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ( مشرقين ) داخلين في وقت شروق الشمس ( فجعلنا عاليها ) المدينة أو عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى ( سافلها ) مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفضاعة من العكس كما مر ( وأمطرنا عليهم ) في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب ( حجارة ) ( من سجيل ) من طين منحجر أو طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ( ان في ذلك ) أي فيما ذكر من القصة ( لايات ) لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق ( للتوسمين ) أي المتفكرين المتفرسين الذي يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ( وانها ) أي المدينة أو القرى ( لبسبيل مقيم ) أي طريق

قصدها بالفاحشة ( والكلام الثاني ) مما قاله لوط قوله هو لاه يناتي ان كنتم فاعلين قيل المراد بناته من صلبه وقيل المراد نساء قومه لان رسول الامة يكون كالاب لهم وهو كقوله تعالى النبي اولى بالؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفي قراءة أبي وهو أب لهم والكلام في هذه المباحث قدم بالاستقصاء في سورة هود عليه السلام اما قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ففيه مسائل ( المسئلة الاولى ) العمر والعمر واحد وسمى الرجل عمرًا تفاءؤ لأن يقي ومنه قول ابن أحر \* ذهب الشباب وأخلق العمر \* وعمر الرجل يعمر عمرًا وعمرًا فإذا أقسموا به قالوا لعمرك وعمرك فتحوالهين لا غير قال الزجاج لان القبح أخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فالتزموا الاخف ( المسئلة الثانية ) في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قولان ( الاول ) أن المراد ان الملائكة قالت لوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أي في غوايتهم يعمهون أي يتخيرون فكيف يقبلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك ( والثاني ) ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى قال المحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي وحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو بالله لأفعلن والمعنى أحلف بالله فيحذف لعلم المخاطب بأنك حالف ثم قال تعالى فأخذتهم الصيحة أي صيحة جبريل عليه السلام قال أهل المعاني ليس في الآية دلالة على أن تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام فان ثبت ذلك بدليل قوى قيل به والافليس في الآية دلالة الاعلى أنه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله مشرقين يقال مشرق السارق يشرق شروقًا لكل ما طلع من جانب الشرق ومنه قولهم ما ذر سارق أي طلع طالع فقوله مشرقين أي داخلين في الشروق يقال أشرق الرجل اذا دخل في الشروق وهو بزوغ الشمس واعلم أن الآية تدل على انه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب ( أحدها ) الصيحة الهائلة المنكرة ( وثانيها ) أنه جعل طابها سافلها ( وثالثها ) أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل وكل هذه الاحوال قدم تفسيرها في سورة هود ثم قال تعالى ان في ذلك لايات للتوسمين يقال توسمت في فلان خيرا أي رأيت فيه أثر منه وتفرسته فيه واختلفت عبارات المفسرين في تفسير التوسمين قيل المتفرسين وقيل الناظرين وقيل المتفكرين وقيل المعبرين وقيل المتبصرين قال الزجاج حقيقة التوسمين في اللغة المثبتون في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته والتوسم الناظر في السمة الدالة تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته فيه ثم قال وانها لبسبيل مقيم الضمير في قوله وانها عائد الى مدينة قوم لوط وقد سبق ذكرها في قوله وجاء أهل المدينة وقوله لبسبيل مقيم أي هذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يبرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها ثم قال ان في ذلك لاية للمؤمنين أي

ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ( ان في ذلك ) فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها بحر أي من الناس يشاهدونها في ذهابهم واياهم ( لاية ) عظيمة ( للمؤمنين ) بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلا ما حاق بهم لود صديهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جزمها في السابق لأن الشاهد هنا بقية الآثار لا كل القصة كما في سالف ( وان كان ) ان تحققت من ان ضمير الشأن

الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وان الشأن كان ( أصحاب الايكة ) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والايكة والليكة الشجرة اللتفة المتكاثفة وكان عامه شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم ( ظالمين ) مجاوزين عن الحد ( فانتقمنا منهم ) بالعذاب روى ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سبحانه قاتلها اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقتهم فهو وعذاب يوم الظلة ( وانها ) ( ٤١٢ ) يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدن

فانه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا اليهما فذكر أحدهما منه على الآخر ( لبامام ميين ) بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطير البناء والروح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ( ولقد كذب أصحاب الحجر ) يعني ثمود ( المرسلين ) أي صالحا فان من كذب واحد امن الانبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لانفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيرون نجيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجرواديين المدينة والنمام كانوا يسكنونه ( وآتيناهم آياتنا ) وهي الآيات المنزل على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها أو الأدلة المنصوبة لهم ( فكانوا عريانا ) اعراضا كلبا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا ( وكانوا ينجون من الجبال بيوتا آمنين ) من الانهدام ونقب

كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسال عرف أن ذلك انما كان لاجل أن الله تعالى انتقم لاندبانه من أولئك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على حوادث العالم ووقائعه وعلى حصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية والله أعلم \* قوله تعالى ( وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانها لبامام ميين ) اعلم أن هذه هي القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة ( فأولها ) قصة آدم وابليل ( وثانيها ) قصة ابراهيم ولوط ( وثالثها ) هذه القصة وأصحاب الايكة هم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض فكذبوا شعيبا فأهلكهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والايكة الشجر الملتف يقال ايكة وايك كشجرة وشجر قال ابن عباس الايك هو شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغيضة وقال الزجاج هؤلاء أهل موضع كان ذا شجر قال الواحدى ومعنى ان واللام للتوكيد وان ههنا هي الخفصة من الثقلية وقوله فانتقمنا منهم قال المفسرون اشتد الحر فيهم أياما ثم اضطرهم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم وقوله وانها فيه قولان ( الاول ) المراد قري قوم لوط عليه السلام والايكة ( والقول الثاني ) الضمير للايكة ومدن لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدني جاء بضميرها وقوله لبامام ميين أي بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به قال الفراء والزجاج انما جعل الطريق اماما لانه يؤتم وينبع قال ابن قتبية لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريد وقوله ميين يحتمل انه ميين في نفسه ويحتمل أنه ميين لغيره لان الطريق يهدي الى المقصد \* قوله تعالى ( ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينجون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصعبين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ) هذا هو القصة الرابعة وهي قصة صالح قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وقوله المرسلين المراد منه صالح وحده ولعل القوم كانوا ابراهيم منكرين لكل الرسل وقوله وآتيناهم آياتنا يريد الناقة وكان في الناقة آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم خلقتها وظهور نتاجها عند خروجها وكثرة لبنها وأضاف الايتاء اليهم وان كانت الناقة آية اصالح لانها آيات رسولهم وقوله فكانوا عنها معرضين يدل على أن النظر والاستدلال واجب وان التقليد مذموم وقوله وكانوا ينجون من الجبال قد ذكرنا كيفية ذلك النحت في سورة الاعراف وقوله آمنين يريد من عذاب الله وقال الفراء آمنين أن يقع سقفهم عليهم وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي ما دفع عنهم الضر والبلاء ما كانوا يعملون من نحت تلك الجبال ومن جمع تلك الاموال والله أعلم \* قوله تعالى ( وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لا آية فاصفح الصبح الجليل ان ربك هو الخلاق العليم ) اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل الاهلاك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم فأجاب عنه بأنى انما خلقت الخلق ليكونوا مشغولين

اللصوص وتخريب الاعداء لو نأقتم أو من العذاب لحسبانهم أن ذلك يحجبهم منه \* عن جابر رضى الله تعالى عنه ( بالعبادة ) أنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خفيها ( فأخذتهم الصيحة مصعبين ) وهكذا وقع في سورة هود قيل صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أنهم من السماء صيحة فيها صوت

كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف الصحة المستبحة لتجوج الهواء وتوجاشد يفيض اليها كما مر في سورة هود (فأغنى عنهم) ولم يدفع عنهم مازل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوفرة والعدد المتكاثرة وفيه نهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبا ﴿ ٤١٣ ﴾ كانوا يرجونه لاعدم الاغناء المطلق فانه أمر مستمر

(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور وان ذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء دفعا لفسادهم وإرشاد المن بقي الى الصلاح أو الاسباب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبغي عنه قوله تعالى (وان الساعة لا تية) فينتقم الله تعالى لك فيهما من كذبك (فاصفح) أي أعرض عنهم (الصفح الجليل) اعراضا جليلا وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف (ان ربك) الذي يملك الى غاية الكمال (هو الخلاق) لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق (العليم) بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفع اليوم اصلى الى أن يكون

بالعبادة والطاعة فاذا تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير وجه الارض منهم وهذا النظم حسن الا أنه انما يستقيم على قول المعتزلة قال الجبائي ذلك الآية على أنه تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق لا يكون الباطل لان كل ما فعل باطلا وأريد بفعله كون الباطل لا يكون حقا ولا يكون مخلوقا بالحق وفيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل واعلم ان أصحابنا قالوا هذه الآية تدل على أنه سبحانه هو الخالق لجميع أعمال العباد لانها تدل على أنه سبحانه هو الخالق للسموات والارض ولكل ما بينهما ولا شك أن أعمال العباد بينهما فوجب أن يكون خالقها هو الله سبحانه وفي الآية وجه آخر في النظم وهو أن المقصود من ذكر هذه القصص تصيير الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام على سفاهة قومه فانه اذا سمع أن الامم السالفة كانوا يعاملون انبياء الله تعالى بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما بين انه أنزل العذاب على الامم السالفة فعند هذا قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة لا تية وان الله لينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل والانصاف فكيف يليق بحكمته اهمال أمرك ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفع عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفع الجليل أي فأعرض عنهم واحتمل ما نلتق منهم اعراضا جليلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصبر منسوخا ثم قال ان ربك هو الخلاق العليم ومعناه انه خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت أحوالهم مع علمه بكونهم كذلك واذا كان كذلك فاما خلقهم مع هذا التفاوت ومع العلم بذلك التفاوت أما على قول أهل السنة فلهيئة المشيئة والارادة وأما على قول المعتزلة فلاجل المصلحة والحكمة والله أعلم \* قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لآتمن عينيك الى ما تعنابه أزواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) اعلم انه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفع الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بها لان الانسان اذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفع والتجاوز وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله آتيناك سبعا يحتمل أن يكون سبعا من الآيات وأن يكون سبعا من السور وأن يكون سبعا من الفوائد وليس في اللفظ ما يدل على التعيين وأما المثاني فهو صيغة جمع واحده مشاة والمثناة كل شيء يبنى أي يجعل اثنين من قولك ثبتت الشيء اذا عطفته أو ضمنت اليه آخرو منه يقال ركبت الدابة ومر قسيها مثاني لانها تن بالفتح والعضد ومثاني الوادي معاطفه اذا عرفت هذا فنقول سبعا من المثاني

السيف أصلح فهو تمليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضى الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبعم آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والصحاح وسعيد بن جبيرة وقادة رحيم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابتها الانفال والتوبة فانها في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس

أوالحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع ( من المثاني ) بيان للسبع من الثنية وهي التكرير فان كان المدرا الفاتحة وهو الظاهر قسمتها مثاني لتكرير قراءتها في الصلاة وأما تكرير قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحسب يكون مدار التسمية ولأنها ثني بما يقرأ بعدها في الصلاة وأما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكيفة بالاتفاق ﴿ ٤١٤ ﴾ وان كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني

أن كلام من ذلك تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواضعه أو من التناء لاشتغاله على ما هو ثناء على الله واحدها مثناة أو مثنية صفة الآية وأما الصحائف وهي الاسباع فلما وقع فيها من تكرر القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها ثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أولاته مثني عليه بالاعجاز أو كتب الله تعالى كلها فن للتبويض وعلى الاول للبيان ( والقرآن العظيم ) ان أريد بالسبع الآيات أو السور فن عطف الكل على البعض أو العاصم على الخاص وان أريد به الاسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كافي قوله \* الى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتاب في المزدحم \* أي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم ( لا تمدن عينيك ) لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تمد نظرك ( الى ما تمناه )

مفهومه بسبعة أشياء من جنس الأشياء التي تنفي ولا شك أن هذا القدر مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل وللناس فيه أقوال ( الاول وهو قول أكثر المفسرين ) انه فاتحة الكتاب وهو قول عمرو على وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العالبي ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبيرة وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع المثاني رواه أبو هريرة والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة أنها سبع آيات وأما السبب في تسميتها بالمثاني فوجوه ( الاول ) انها ثني في كل صلاة بمعنى انها تقرأ في كل ركعة ( والثاني ) قال الزجاج سميت مثاني لأنها ثني بعدها ما يقرأ بعدها ( الثالث ) سميت آيات الفاتحة مثاني لأنها قسمت قسمين اثنين والدليل عليه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والحديث مشهور ( الرابع ) سميت مثاني لأنها قسمان ثناء ودعاء وأيضاً النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء ( الخامس ) سميت الفاتحة بالمثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ومرة بالمدينة ( السادس ) سميت بالمثاني لان كتابها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وفي قراءة عمر غير المعصوب عليهم وغير الضالين ( السابع ) قال الزجاج سميت الفاتحة بالمثاني لاشتغالها على الثناء على الله تعالى وهو وجد الله وتوحيده وملكوته واعلم انا اذا حملنا قوله سيما من المثاني على سورة الفاتحة فهمنا أحكام ( الاول ) نقل القاضي عن أبي بكر الاصم أنه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصنفه فاتحة الكتاب رأى أنها ليست من القرآن وأقول لعل جته فيه أن السبع المثاني للمثبت أنه هو الفاتحة ثم انه تعالى عطف السبع المثاني على القرآن والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وجب أن يكون السبع المثاني غير القرآن لأن هذا بشكل بقوله تعالى واخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وكذلك قوله وملائكته وجبريل وميكايل وللخصم أن يجيب بأنه لا يعد أن يذكر الكل ثم يعطف عليه ذكر بعض أجزاءه وأقسامه لكونه أشرف الاقسام أما اذا ذكر شيء ثم عطف عليه شيء آخر كان المذكور أو المعطوف المذكور ثانياً وهو هنا ذكر السبع المثاني ثم عطف عليه القرآن العظيم فوجب حصول المغايرة والجواب الصحيح أن بعض الشيء مغاير لمجموعه فلم لا يكتب هذا القدر من المغايرة في حسن العطف والله اعلم ( الحكم الثاني ) انه لما كان المراد بقوله سبعاً من المثاني هو الفاتحة دل على ان هذه السورة أفضل سور القرآن من وجهين ( أحدهما ) أن افرادها بالذكر مع كونها جزءاً من أجزاء القرآن لا بد أن يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة ( والثاني ) أنه تعالى لما أنزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها واذابت هذا فتقول لما رأينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واظب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره وما أقام سورة أخرى مقامها في شيء من الصلوات دل ذلك على

من زخارف الدنيا وزيئها ومحاسنها وزهرتها ( أزواجهم ) أصنافاً من الكفرة فان ما في الدنيا من ﴿ انه ﴾ أصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما أوتيته مستخر لا يبا به أصلا وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن قرأه أن أحد أوتي أفضل مما أوتي قد صغر عظيمًا وعظم صغيرًا وروى أنه وافق من بصرى وأذرعات سبع قوافل يهوديين قريظة والنضير فيها أنواع البرز والطيب والجواهر وسائر الامتعة قال المسلمون لو كانت هذه الاموال كالنقود بناها

وأنقضاها في سبيل الله قليل لهم قد أعطيت سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ( ولا تحزن عليهم ) حيث لم يؤمنوا ولم ينظمو في سبيلك ليعقوبهم من عفاء المسلمين وقيل أو أنهم المتمعنون به وبآية كذبة على فان تمتعهم به لا يكون مدار العزير عليهم ( واخفض جناحك للمؤمنين ) أي تواضع لهم ورافق بهم وأن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الأعداء ( وقل اني أنا النذير المبين ) أي النذير المظهر لزلزل عذاب الله وحلوله ﴿ ٤١٥ ﴾ ( كما أنزلنا على المقسمين ) قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ

أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب ( الذين جعلوا القرآن عضين ) أي قسموه الى حق وباطل حيث قلوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو اقساموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي و بعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو قسموا ما قرؤا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسليط وصب ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتي عليه الصلاة والسلام ما لم يوت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله اني أنا النذير المبين فإنه في قوة الامر بالانذار كما انه قيل أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنض بأن جعل التوقع كالواقع وقد ير وقع كذلك وانت خير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به

انه يجب على المكلف أن يقرأها في صلاته وأن لا يقيم سائر آيات القرآن مقامها وأن يحتز عن هذا الإبدال فان فيه خطرا عظيما والله أعلم ( القول الثاني ) في تفسير قوله سبحانه الثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبيرة في بعض الروايات ومجاهد وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة معاقلوا وسميت هذه السور مثنائي لان الفرائض والحدود والامثال والعبرثيت فيها وأنكر الربيع هذا القول وقال هذه الآية مكية وأكثر هذه السور السبعة مدنية وما نزل شيء منها في مكة فكيف يمكن حل هذه الآية عليها وأجاب قوم عن هذا الاشكال بأن الله تعالى أنزل القرآن كله الى السماء الدنيا ثم أنزله على نبيه منها نجوما فلما أنزله الى السماء الدنيا وحكم بإنزاله عليه فهو من جملة ما آتاه وان لم ينزل عليه بعد ولقائل أن يقول انه تعالى قال ولقد آتيناك سبعا من الثاني وهذا الكلام انما يصدق اذا وصل ذلك الشيء الى محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذي أنزله الى السماء الدنيا وهو لم يصل بعد الى محمد عليه السلام فهذا الكلام لا يصدق فيه وأما قوله بأنه لما حكم الله تعالى بإنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك جاريا مجرى ما نزل عليه فهذا أيضا ضعيف لان إقامة ما لم ينزل عليه مقام النازل عليه مخالف للظاهر ( والقول الثالث ) في تفسير السبع الثاني انها هي السور التي هي دون الطوال والمئين وفوق المفصل واختار هذا القول قوموا حجبوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني الثاني مكان ازابور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدى والقول في تسمية هذه السور مثنائي كالقول في تسمية الطوال مثنائي وأقول ان صح هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا غبار عليه وان لم يصح فهذا القول مشكل لانا بينا أن المسمى بالسبع الثاني يجب أن يكون أفضل من سائر السور وأجمعوا على أن هذه السور التي سموها بالثاني ليست أفضل من غيرها فيتم حل السبع الثاني على تلك السور ( والقول الرابع ) ان السبع الثاني هو القرآن كله وهو منقول عن ابن عباس في بعض الروايات وقول طائوس قالوا ودليل هذا القول قوله تعالى كتابا متشابها مثنائي فوصف كل القرآن بكونه مثنائي ثم اختلف القائلون بهذا القول في أنه ما المراد بالسبع وما المراد بالثاني أما السبع فذكروا فيه وجوها ( أحدها ) ان القرآن سبعة أسباع ( وثانيها ) أن القرآن مشتمل على سبعة أنواع من العلوم التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر وأحوال العالم والقصص والتكاليف ( وثالثها ) أنه مشتمل على الامر والنهي والخبر والاستخبار والنداء والقسم والامثال وأما وصف كل القرآن بالثاني فلانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وهذا القول ضعيف أيضا لانه لو كان المراد بالسبع الثاني القرآن لكان قوله والقرآن العظيم عطفا لشيء على نفسه وذلك غير جائز وأوجب منه بأنه انما حسن ادخال حرف العطف فيه لاختلاف

تحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشدده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذلك لم يسبق به وعدو وعيد فهم منه في غفلة محضه وشك مر يب وتزبل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من العجز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا قهنا لك قهما مبينا ونظائر على أن تخصيص الاقسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للتصاري في الاقسام المتفرع على الموازنة

والمخالفة وفي الاقسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقسام تخصيص من غير تخصيص وقد حمل الموصول مفعولا اول لانذر أي انذر المصنفين الذين يحزرون القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أرتنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج \* ٤١٦ \* منافاته ساحرو يقول الآخر شاعر والآخر

كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر ووقله بأفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك للمسبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للندرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج المقتسمين منهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الانفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على أن منازل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبهه عذاب غيرهم ولا بخصوصهم بل عام للكافرين يقين وغيرهم مع أن بعض المنذر بن كالأول بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلاك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذر أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون

اللفظين كقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام \* وليت الكيبة في المزدحم

واعلم أن هذا وان كان جائزا الاجل وروده في هذا البيت الا أنهم أجمعوا على أن الاصل خلافه ( والقول الخامس ) يجوز أن يكون المراد بالسبع الفاتحة لانها سبع آيات ويكون المراد بالثاني كل القرآن ويكون التقدير ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة وهي من جملة الثاني الذي هو القرآن وهذا القول عين الاول والغاوت ليس الا بقليل والله أعلم ( المسئلة الثانية ) لفظة من في قوله سبعا من الثاني قال الزجاج فيها وجهان ( أحدهما ) أن تكون للتبويض من القرآن أي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثني بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم قال ويجوز أن تكون من صلة والمعنى آتيناك سبعا هي الثاني كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان المعنى اجتنبوا الاوثان لأن بعضها رجس والله أعلم أما قوله تعالى لا تمدن عينيك الى متعابه أزواجا منهم فاعلم انه تعالى لما عرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو آياته سبعا من الثاني والقرآن العظيم نهاه عن الرغبة في الدنيا فخطر عليه أن يمد عينيه اليها رغبة فيها وفي مد العين أقوال ( الاول ) كأنه قيل له انك أوتيت القرآن العظيم فلا تشغل نفسك وضاطرك بالالتفات الى الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال أبو بكر من أوتي القرآن فرأى ان أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صفر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافق من بعض البلاد سبع قوافل ليهودي بنى قرية وانشى فيها أنواع البر والاصيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها ولا نغفناها في سبيل الله تعالى فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ( القول الثاني ) قال ابن عباس لا تمدن عينيك أي لا تمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا وقرر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون مادا عينيه الى الشيء إذا دام النظر ونحوه وادامة النظر الى الشيء تدل على استحسانه وتنبه وكان صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا وروى أنه نظر الى نعم بنى مصطلق وقد عبست في أبوالها وأبعارها فتقع في ثوبه وقرأ هذه الآية وقوله عبست في أبوالها وأبعارها هو أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها اذا تركت من العمل أيام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهي أحسن ما تكون ( والقول الثالث ) قال بعضهم ولا تمدن عينك أي لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا قال القاضي هذا بعيد لان الحسد من كل أحد قبيح لانه ارادة لئوال نعم الغير عنه وذلك يجري مجرى الاعتراض على الله تعالى والاستقباح لحكمه وقضائه وذلك من كل أحد قبيح فكيف يحسن تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم به وأما قوله تعالى أزواجا منهم قال ابن قتيبة أي أصنافا من الكفار والزوج في اللغة الصنف ثم قال ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا

في مداخل مكة كما حررو فيه مع ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول \* فيقوى \* عليه الصلاة والسلام والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امر ناكذ وان كان الأمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انهم المن الغابرين نكس لا يخفى وأن أعمال الوصف الموصوف بما لا يجوز البصر بون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين أو المصير الى جملة مفعولا غير صريح أي أن التذير المبين بعذاب مثل

عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن هذاهم حيث كان متحققا ومعلومًا للمتذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشابهاه العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولا أول للنذير أو لمادل هو عليه من أنذرا لا يكون ﴿ ٤١٧ ﴾ للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلاة ولا عنوان

الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فأدلة لما أن ذلك إنما يكون للا شعار بعلمة الصلاة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عايه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بعزل من التقاسم على التثبيت الذي هو السبب لهلاك أو لئك كما أن أو لئك بعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهومًا ولا وجودًا تتحدح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التثبيت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد ذلادلالة لعنوان التعضية على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل

فيقوى بمكانهم الاسلام وينعش بهم المؤمنون والحاصل أن قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعناه أزواجنا منهم نهى له عن الالتفات الى أموالهم وقوله ولا تحزن عليهم نهى له عن الالتفات اليهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن ثم قال واخفض جناحك للمؤمنين اخفض معناه في اللغة نقيض الرفع ومنه قوله تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة أي انها تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعات فانخفض معناه الوضع وجناح الانسان يده قال الليث يدا الانسان جناحه ومنه قوله واضم اليك جناحك من الرهب وخفض الجناح كناية عن اللين والرفق والتواضع والمقصود أنه تعالى لما نهى عن الالتفات الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع للفقراء المسلمين ونظيره قوله تعالى أدلته على المؤمنين أحره على الكافرين وقال في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداء على الكفار رحاء بينهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين) اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره بأن يقول للقوم اني أنا النذير المبين فيدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكليف لان كل ما كان واجباترتب على تركه عقاب وكل ما كان حراماترتب على فعله عقاب فكان الاخبار بحصول هذا العقاب داخل تحت لفظ النذير ويدخل تحتها أيضا كونه شارحا لمراتب الثواب والعقاب والجنة والنار ثم أردفه بكونه مبينا ومعناه كونه آتيا في كل ذلك بالبيانات الشافية والبيانات الوافية ثم قال بعده كما أنزلنا على المقتسمين وفيه بحثان (البحث الاول) اختلفوا في أن المقتسمين من هم وفيه أقوال (الاول) قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقرب عددهم من أربعين وقال مقاتل بن سليمان كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقبات مكة وطرقها يقولون لمن يسلكها لاتغتر وابلخارج منا والمدعى للشبوة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عنه بأنه ساحر أو كاهن أو ساحر فأزل الله تعالى بهم خزبا فتواتوا شرميتة والمعنى أنذر تكلم مثل ما نزل بالمقتسمين (والقول الثاني) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات ان المقتسمين هم اليهود والنصارى واختلفوا في أن الله تعالى لم سماهم مقتسمين فقيل لانهم جعلوا القرآن عضين آمنوا بما وافق التوراة وكفروا بالباقي وقال عكرمة لانهم اقتسموا القرآن استهزاء به فقال بعضهم سورة كذالى وقال بعضهم سورة كذالى وقال مقاتل بن حبان اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين (والقول الثالث) في تفسير المقتسمين قال ابن زيد هم قوم صالح تقاسموا النبيته وأهله فرمتهم الملائكة بالحجارة حتى قتلوهم فعلى هذا الاقتسام من القسم لامن القسمة وهو اختيار ابن قتيبة (البحث الثاني) أن قوله كما أنزلنا على المقتسمين يقتضى تشبيه شيء بذلك فاذلك انشىء والجواب عنه من وجهين

الموصول مبتدأ على أن ﴿ ٥٣ ﴾ خا خبره الجملة القسمية لا يلقى بجزالة التنزيل وجلالة هذا فاعلم أن الاقرب من الاقوال المذكورة أنه متعلق بالاول وأن المراد بالمقتسمين أهل مصلته صفة مبنية لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث

جلا لة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لتدآيتناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مما لا تزال الكتابين على أهلها وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لان الفرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناها الكتاب الخ للتشبيه على ما بين الايتاءين ﴿ ٤١٨ ﴾ من التاني فان الاول على وجه التكرمة والامتنان

وستان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبهه فان ذلك انما هو لمسلية عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا للزمية تعود الى ذاته كما في الصلاة الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رجة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وآله اتم وأكل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وانما ذلك للتقدم في الوجود والتصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلا عن اهمام أفضلية ما يتعلق به الاول مما يتعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقسام انكار الاتصافهم به مع تحقق ما يفيد من الانزال المذكور وايدانا بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكنهه حسب اعانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاحاد في الحقيقة التي

(الاول) التقدير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا يعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل يخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل فان قبل فعل هذا القول كيف توسط بين المشبه والمشبه به قوله لا تمدن عينك الى آخرة فلنا لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم (والوجه الثاني) أن يتعلق هذا الكلام بقوله وقل اني أنا النذير المبين واعلم أن هذا الوجه لا يتم الا بأحد أمرين اما التزام اضممار أو التزام حذف أما الاضممار فهو أن يكون التقدير اني أنا النذير المبين عذبا كما أنزلناه على المقتسمين وعلى هذا الوجه المفعول محذوف وهو المشبه ودل عليه المشبه به وهذا كما تقول رأيت كالتعريف الحسن أي رأيت انسانا كالتعريف في الحسن وأما الحذف فهو أن يقال الكاف زائدة محذوفة والتقدير اني أنا النذير المبين ما أنزلناه على المقتسمين وزيادة الكاف له نظير وهو قوله تعالى ليس كمثلته شيء والتقدير ليس مثله شيء وقال بعضهم لا حاجة الى الاضممار والحذف والتقدير اني أنا نذير أي أندرقر يشامثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين وقوله الذين جعلوا القرآن عضين فيه بحثان (البحث الاول) في هذا اللفظ قولان الاول انه صفة للمقتسمين والثاني انه مبتدأ وخبره هو قوله لنسألتهم وهو قول ابن زيد (البحث الثاني) ذكر أهل اللغة في واحد عضين قولين (الاول) أن واحدها عضة مثل عزة وبرة وثبة وأصلها عضة من عضيت الشيء اذا فرقته وكل قطعة عضة وهي مما تنقص منها واوهي لام الفعل والتعضية التجزئة والتفريق يقال عضيت الجزر والشاة تعضية اذا جعلتها أعضاء وقسمتها وفي الحديث لاتعضية في ميراث الا فيما احتمل القسمة أي لا تجزئة فيما لا يحتمل القسمة كالجوهر والسيف فقوله جعلوا القرآن عضين يريد جزؤوه اجزاء فقالوا سحر وشعر وأساطير الاولين ومفتري (والقول الثاني) ان واحدها عضة وأصلها عضة فاستدلوا بالجمع بين هاهن فقالوا عضة كما قالوا اشفة والاصل شفهة بدليل قولهم شافهت مشافهة وسنة وأصلها سنهية في بعض الاقوال وهو مأخوذ من العضة بمعنى الكذب ومنه الحديث اياكم والعضة وقال ابن السكيت العضة بأن يعضه الانسان ويقول فيه مالس فيه وهذا قول الخليل فماروى الحديث عنه فعلى هذا القول معنى قوله تعالى جعلوا القرآن عضين أي جعلوه مفتري وجعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا مما لحقها من الحذف \* قوله تعالى (فور بك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما توهمروا) عرض عن المشركين انا كفييناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعامون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فور بك نسألتهم أجمعين يحتمل أن يكون راجعا الى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين لان عود

هي مطلق الوحي وتوسط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المتصود من بيان حل ما أوتي ﴿ الضمير ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام والتقديين أولا هلو شأنه ورفع مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغناءه به مما سواه ثم نهي عن الالتفات الى زهرة



الدنيا وعبر عن اثباتها لاهلها بالتمتع النبي عن وشك زوالها عنهم ثم من الحزن بقدم ايمان المنهكين فيها وامن  
 بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباطهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم التذارة حجابا فصل في تضاعيف  
 ما أوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية اثباته على وجه أدمج فيه ما يريح شبه المنكرين ويستزله عن العناد  
 من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا ﴿ ٤١٩ ﴾ صادقاً فأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل

المعنى قل انى أنا النذير  
 المبين كما قد أنزلنا  
 في الكتب انك ستأتى  
 نذيرا على أن المقتسمين  
 أهل الكتاب انتهى  
 ير يدأن ما فى كما موصولة  
 والمراد بالمشابهة الاستفادة  
 من الكاف الموافقة وهى  
 مع ما فى حيزها فى محل  
 التصب على الحالة  
 من مفعول قل أى قل  
 هذا القول حال كونه  
 كما أنزلنا على أهل  
 الكتاب بين أى موافقا  
 لذلك فالانصب حيثند  
 حل الاقسام على  
 التحريف ليكون وصفهم  
 بذلك تعريضا بما فعلوا  
 من تحريفهم وكتابتهم  
 لعت انى صلى الله  
 عليه وسلم وقوله تعالى  
 عشرين جمع عضته وهى  
 الفرقة أصلها عضوة  
 فعلة من عضى الشاة  
 تعضية اذا جعلها أعضاء  
 وانما جعت جمع السلامة  
 جبر للمعدوق كسنين  
 وعزى والتعبير عن  
 تجرئة القرآن بالعضية  
 التى هى تفريق الاعضاء

الضمير الى الاقرب أولى ويكون التقدير انه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين  
 عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن سائر المعاصى ويحتمل أن يكون راجعا الى  
 جميع المكلفين لان ذكرهم قد تقدم فى قوله وقل انى أنا النذير المبين أى لجميع الخلق وقد  
 تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين فيعود قوله فور بك لئلا ينهم أجعين على الكل ولا  
 معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر أو عن الايمان بل السؤال  
 واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل فان قيل كيف الجمع بين  
 قوله لئلا ينهم أجعين وبين قوله فيؤمئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان أجابوا عنه من  
 وجوه ( الاول ) قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يستلون سؤال الاستفهام لانه تعالى  
 عالم بكل أعمالهم وانما يستلون سؤال التبريح يقال لهم لم فعلتم كذا ولقائل أن يقول  
 هذا الجواب ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيؤمئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان  
 سؤال الاستفهام لما كان فى تخصيص هذا التنى بقوله فيؤمئذ فائدة لان مثل هذا السؤال  
 على الله تعالى محال فى كل الاوقات ( والوجه الثانى ) فى الجواب أن يصرف التنى الى  
 بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل ولقائل أن يقول  
 فيؤمئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان هذا تصريح بأنه لا يحصل السؤال فى ذلك اليوم  
 فلو حصل السؤال فى جزء من أجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض ( والوجه الثالث ) أن  
 نقول قوله فيؤمئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان يفيد عموم التنى وقوله فور بك لئلا ينهم  
 أجعين عائد الى المقتسمين وهذا خاص ولا شك أن الخاص مقدم على العام أما قوله  
 فاصدع بما تؤمر فاعلم أن معنى الصدع فى الامة الشق والفصل وأنشد ابن السكيت لجرير  
 هذا الخليفة فارضوا ما قضى لكم \* بالحق يصدع ما فى قوله حيف

فقال يصدع يفصل وتصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قوله تعالى فيؤمئذ يصدعون قال انقراء  
 يتفرقون والصدع فى الزجاجة الابانة أقول ولعل ألم الرأس انما سمي صدعا لان فحف  
 الرأس عند ذلك الألم كأنه ينشق قال الازهرى وسمى الصبح صديعا كما يسمى فلما وقد  
 انصدع وانفاق الفجر وانفطر الصبح اذا عرفت هذا فقوله فاصدع بما تؤمر أى فرق بين  
 الحق والباطل وقال الزجاج فاصدع أظهر ما تؤمر به يقال صدع بالجة اذا تكلم بها  
 جهارا كقولك صرح بها وهذا فى الحقيقة يرجع أيضا الى الشق والتفريق أما قوله بما  
 تؤمر فقيه قولان ( الاول ) أن يكون ما معنى الذى أى بما تؤمر به من الشرائع فتحذف  
 الجار كقوله \* أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ( الثانى ) أن تكون ما مصدر يذأى فاصدع  
 بأمرك وشأنك قالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال  
 تعالى وأعرض عن المشركين أى لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة  
 قال بمضهم هذا منسوخ بآية القتال وهو ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة  
 بهم فلا يكون منسوخا ثم قال انا كفييناك المستهزئين قيل كانوا خمسة نفر من المشركين

من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجرئة والتفريق الذين ربما يوجدان فيما لا يضره  
 التبعض من المثليات للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هى فعلة من عضته اذا بهته وعن  
 عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واووعلى الثانى هاء ( فور بك لئلا ينهم أجعين ) أى  
 لنسألن يوم القيامة

أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توييح وتفرغ ( عما كانوا يعملون ) في الدنيا من قول وفعل وترك  
 ميدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا وأوليا ولا يجوز بينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيدا لوعيد  
 ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا إليه الصلاة  
 والسلام اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام ﴿ ٤٢٠ ﴾ ( فاصدع بما تؤمر ) فاجهر به من صدع بالحجة

الولدين المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد  
 يعوث قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكمهم فأومأ الى عقب  
 الوليد فر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم يتعطف تعظما لاخذة فأصاب عرقا في عقبه فقطعه  
 فأت وأومأ الى أخص العاص بن وائل قد دخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت  
 رجله حتى صارت كالرحاومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف  
 عدي بن قيس فامتخط في حافات وأشار الى الاسود بن عبد يعوث وهو قاعد في أصل شجرة  
 فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات واعلم ان المفسرين  
 قد اختلفوا في عدده هؤلاء المشتهرين وفي أسمائهم وفي كيفية طريق استهزائهم ولا حاجة  
 الى تنيئ منها والقدر المعلوم انهم طبقت لهم قوة وشوكة ورياسة لان أمثالهم هم الذين  
 يقدرون على اظهار مثل هذه السفاهة مع مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في علو قدره  
 وعظم منصبه ودل القرآن على ان الله تعالى أفناهم وأبادهم وأزال كيديهم والله أعلم  
 \* قوله تعالى ( ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من  
 الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ) اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهن عليه  
 ولا سيما أولئك المقتسمون وأولئك المستزؤون قال له ولقد نعلم أنك بضيق صدرك  
 بما يقولون لان الجلبة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له فسبح  
 بحمد ربك فامرهم بأمر بعدة أشياء بالتسبيح والحمد والسهود والعبادة واختلف الناس  
 في أنه كيف صار الاقبال على هذه الطاعات سببا لزال ضيق القلب والحزن فقال  
 العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات انكشفت له أضواء  
 عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة  
 خف على القلب فقداؤها ووجدانها فلا يستوحش من فقداؤها ولا يستريح بوجودها  
 وعند ذلك يزول الحزن والغم وقالت المعتزلة من اهتدنت به الله تعالى عن القبايح سهل  
 عليه تحمل المشاق فانه يعلم أنه عدل بمنزلة عن انزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فيحسند  
 يطيب قلبه وقال أهل السنة اذا نزل بالعباد بعض المكروه فزع الى الطاعات كأنه يقول  
 يجب على عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو القيتني في المكروهات وقوله واعبد ربك  
 حتى يأتيك اليقين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الموت وسمى الموت باليقين لانه أمر  
 متيقن فان قيل فأى فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد يعلم انه اذا مات سقطت عنه  
 العبادات قلنا المراد منه واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة  
 عن هذه العبادة والله أعلم ثم تفسر هذه السورة والمجد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا  
 محمد وآله وسلم

اذا تكلم بها جهارا  
 أو افرق بين الحق  
 والباطل وأصله الابانة  
 والتميز وما مصدرية  
 أو موصولة والعائد  
 محذوف أي ماتوا سر به  
 من الشرائع المودعة  
 في تضاعيف ما أوتيته  
 من المثاني السبع والقرآن  
 العظيم ( وأعرض  
 عن المشركين ) أي  
 لا تلتفت الى ما يقولون  
 ولا تبال بهم ولا تصدق  
 للانتقام منهم ( انا كفيناك  
 المشتهرين ) بقصصهم  
 وتدميرهم قيل كانوا خمسة  
 من أشرف قريش  
 الولدين المغيرة والعاص  
 بن وائل والحزن بن قيس  
 بن اطلالة والاسود  
 بن عبد يعوث والاسود  
 بن المطلب يسالفون  
 في ايداء النبي صلى الله  
 عليه وسلم والاستهزاء به  
 فنزل جبريل عليه الصلاة  
 والسلام فقال قد أمرت  
 أن أكفيكمهم فأومأ الى ساق  
 الوليد فر بنبال فتعلق  
 بثوبه سهم فلم يتعطف  
 تعظما لاخذة فأصاب

\* ( سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وحكي الاصم عن بعضهم ان كلاهما مدنية  
 وقال آخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدني وما سواه منكي وعن قتادة بالعكس

عرقا في عقبه فقطعه فأت وأومأ الى أخص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت \* واعلم \*  
 رجله حتى صارت كالرحاومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى والى أنف الحزن فامتخط في حافات والى  
 الاسود بن عبد يعوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (الذين

يُجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ هَا آخِر) وَصَفَهُمْ بِذَلِكَ تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَهْوِينًا لِلْخَطْبِ عَلَيْهِ بِأَعْلَامِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى الْاسْتِهْرَابِ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ بَلْ اجْتَرَأُوا عَلَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ الْأَشْرَاكُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عَاقِبَةُ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) مِنْ كَلِمَاتِ الشُّرْكِ وَالطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ وَالِاسْتِهْرَابِ بِهِ وَبِكَ وَتَحْلِيَةِ الْجَلَّةِ بِالنَّكِيدِ لِإِفَادَةِ تَحْقِيقِ ﴿ ٤٢١ ﴾ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ التَّسْلِيَةِ وَصِيْفَةِ الْاِسْتِقْبَالِ لِإِفَادَةِ اسْتِمْرَارِ الْعِلْمِ حَسَبِ اسْتِمْرَارِ

متعلقه باستمرار ما يوجبه  
من أقوال الكفرة (فسبح  
بمحمد كبرك) فافزع  
إلى الله تعالى فيما نابك  
من ضيق الصدر  
والحرج بالتسبيح  
والتقديس ملتبساً بحمده  
وفي التعرض لعنوان  
الربوبية مع الإضافة  
إلى ضميره عليه الصلاة  
والسلام ما لا يخفى من  
إظهار اللطف به عليه  
الصلاة والسلام والأشعار  
بعله الحكم أعنى الأمر  
بالتسبيح والحمد (وكن  
من الساجدين) أي  
المصلين يكفك ويكشف  
الغم عنك أو فتره عما  
يقولون ملتبساً بحمده  
على أن هذا كالحق  
المبين وعنه عليه الصلاة  
والسلام أنه كان إذا  
حز به أمر فزع إلى  
الصلاة (واعبد ربك) بك  
دم على ما أنت عليه  
من عبادته تعالى وإيثار  
الإظهار باللعنوان  
السالف آنفاً لنا كبد  
ماسبق من إظهار اللطف  
به عليه الصلاة والسلام

واعلم ان هذه السورة تسمى سورة النعم وهي مائة وعشرون وثمان آيات مكية \*

\*( بسم الله الرحمن الرحيم ) \*

(أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادٍ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ) فِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى) اعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَرْتَبَةٌ عَلَى سَوَائِلَ ثَلَاثَةٍ (فَالسُّؤَالُ الْأَوَّلُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخُوفُهُمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا تَارَةً وَهُوَ الْقَتْلُ وَالِاسْتِبْلَاءُ عَلَيْهِمْ كَمَا حَصَلَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ تَارَةً بِعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الَّذِي يَحْصُلُ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا يَشَاهِدُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَحْتَجُّوا بِذَلِكَ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْإِتْيَانَ بِذَلِكَ الْعَذَابِ وَقَالُوا لَهُ أَتُنَابَهُ وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ قَالَ الْكُفَّارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِنَّ هَذَا زَيْمٌ أَنْ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرَّبَتْ فَأَمْسَكُوا عَنْ بَعْضِ مَا تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَأَنَّ فَلَمَّا تَأَخَّرَتْ قَالُوا مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا نَخُوفُنَا بِهِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ فَأَشْفَقُوا وَانْتَظَرُوا وَيَوْمَ هَا ظَلَمْتُمْ أَيَّامَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا نَخُوفُنَا بِهِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ فَوَثَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَ النَّاسَ رُؤُوسَهُمْ فَنَزَلَ قَوْلُهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَثُرَ مِنْ تَهْدِيدِهِمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا نَسَبُوهُ إِلَى الْكُذْبِ فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الشَّبْهِةِ بِقَوْلِهِ أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَفِي تَقْرِيرِ هَذَا الْجَوَابِ وَجْهَانِ (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ ذَلِكَ الْعَذَابُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ وَاجِبَ الْوُقُوعِ وَالشَّيْءُ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ وَالصِّفَةِ فَانْهَ يُقَالُ فِي الْكَلَامِ الْمَعْتَادِ أَنَّهُ قَدْ أَتَى وَوَقَعَ اجْرَاءً لِمَا يَجِبُ وَقَوْعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَجْرَى الْوَاقِعِ يُقَالُ لِمَنْ طَلَبَ الْإِنْعَاءَ وَقَرَّبَ حَصُولَهَا قَدْ جَاءَكَ الْعَوْتُ فَلَا تَجْزِعْ (وَالْوَجْهَ الثَّانِي) وَهُوَ أَنْ يُقَالُ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَحُكْمَهُ بِهِ قَدْ أَتَى وَحَصَلَ وَوَقَعَ فَأَمَّا الْمَحْكُومُ بِهِ فَانْهَ لَمْ يَقَعْ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِوُقُوعِهِ فِي وَقْتٍ مَعِينٍ قَبْلَ مَجِيئِ ذَلِكَ الْوَقْتِ لِأَيُّ الْوُجُودِ وَالْحَاصِلُ كَأَنَّهُ قِيلَ أَمْرَ اللَّهِ وَحُكْمَهُ بِتَزْوِيلِ الْعَذَابِ قَدْ حَصَلَ وَوَجِدَ مِنْ الْأَزْلِ إِلَى الْإِبْدَاحِ قَوْلُنَا أَيُّ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ الْمَحْكُومَ بِهِ وَالْمَأْمُورَ بِهِ انْمَلِكُ يَحْصُلُ لِأَنَّهُ تَعَالَى خَصَّصَ حَصُولَهُ بِوَقْتٍ مَعِينٍ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ وَلَا تَطْلُبُوا حَصُولَهُ قَبْلَ حَضُورِ ذَلِكَ الْوَقْتِ (السُّؤَالُ الثَّانِي) قَالَتِ الْكُفَّارَةُ يَا سَلْمَةَ لِمَا نَخُوفُنَا بِهِ مَا تَقُولُ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْنَا أَمَا فِي الدُّنْيَا وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنَّا نَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ فَانْهَ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَهِيَ تَشْفَعُ لِنَاعْنِدَهُ فَتَخْلُصُ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ الْمَحْكُومَ بِهِ بِسَبَبِ شَفَاعَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الشَّبْهِةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَتَرَى نَفْسَهُ عَنْ شَرِكَةِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَصْنَادِ وَالْإِنْدَادِ وَأَنَّ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ الْإِبَادَةَ وَمَا فِي قَوْلِهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً وَالتَّقْدِيرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ أَشْرَاكِهِمْ وَبِجُوزِ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي أَيُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي جَعَلُوا شُرَكَاءَ لِلَّهِ لِأَنَّهَا جَادَاتٌ خَسِيسَةٌ فَأَيُّ مَنَاسِبَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

والأشعار بعله الأمر بالعباد (حتى يأتبك اليقين) أي الموت فإنه متيقن المحقق بكل شيء مخلوق وأستاد الإتيان إليه للإيدان بأنه متوجه إلى الحي طلب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة مادمت حيا من غير إخلال لحظة \* عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمبتهزين بمحمد صلى الله عليه وسلم

(سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية) \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \* (ان امر الله) أى الساعة أو ما يعمها وغيرهما من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيدان بأن تحققه في نفسه واتباعه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتباعه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقه تنظيم المتوقع في سلك الواقع أو عن آيات مبادئه القريبة على نهج اسناد حال الأسباب الى المسببات وأياما كان ذميه ﴿ ٤٢٢ ﴾ تنبيهه على كمال قربيه من الوقوع

أدون الموجودات فضلا عن أن يحكم بكونها شركاء لمدبر الارض والسموات (السؤال الثالث) هب انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسراء وعلى آخرين بالضرء ولكن كيف يمكنك أن تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده و بأمر ذلك العبد بأن يبلغ الى سائر الخلق ان اله العالم واحد كلفهم بمعرفة التوحيد والعبادة و بين أنهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة وان تردوا و ذموا في شر الدنيا والآخرة فهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق و ظهر بهذا الترتيب الذي لخصناه أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه والله أعلم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وعاصم وجريرة والكسائي ينزل بالياء وكسر الزاي وتشديد هاء الملائكة بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمر وينزل بضم الياء وكسر الزاي وتخفيفها والاول من التفعيل والثاني من الافعال وهما لغتان (المسئلة الثانية) روى عن عطاء عن ابن عباس قال يريد بالملائكة جبريل وحده قال الواحدى وتسمية الواحد باسم الجمل اذا كان ذلك الواحد رئيسا مقدما جائز كقوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه وانا أنزلناه وانا نحن نزلنا الذكور في حق الناس كقوله الذين قال لهم الناس وفيه قول آخر سيأتي شرحه بعد ذلك وقوله بالروح من أمره فيه قولان (الاول) أن المراد من الروح الوحي وهو كلام الله ونظيره قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحنا و قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال أهل التحقيق الجسد موات كشيء مظلم فاذا اتصل به الروح صار حيا لطيفا نورانيا فظهرت آثار النور في الحواس الخمس ثم الروح أيضا ظلمانية جاهلة فاذا اتصل العقل بها صارت مشرقة نورانية كما قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعاون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ثم العقل أيضا ليس بكامل النورانية والصفاء والاشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الارواح والاجساد وعالم الدنيا والآخرة ثم ان هذه المعارف الشريفة الالهية لاتكتمل ولا تصفو الابنور الوحي والقرآن اذا عرفت هذا فنقول القرآن والوحي به تكمل المعارف الالهية والمكاشفات الربانية وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل والعقل به يكمل جوهر الروح والروح به يكمل حال الجسد وعند هذا يظهر أن الروح الاصلى الحقيقى هو الوحي والقرآن لان به يحصل الخلاص من رقدة الجهالة ونوم الغفلة وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية الى أوج الملكية فظهر أن اطلاق لفظ الروح على الوحي في غاية المناسبة والمساكلة وما يقوى ذلك انه تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل عليه السلام في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وعلى عيسى عليه السلام

واتصاله وتكميل لحسن موقع التفرع في قوله عز وجل (فلا تستعجلوه) فان النهى عن استعجال الشيء وان صح تفرعه على قرب وقوعه أو على وقوع أسبابه القريبة ولكنه ليس بمثابة تفرعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحل الاستعجال رأسا لا بما ذكر من قرب وقوعه و وقوع مبادئه والخطاب للكفرة خاصة كما تدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء ولكنه حمل على الحقيقة وهو اعنه بضرب من التهمك لامع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة أما الاول فلائنه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه وأما الثاني فلان استعجالهم بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفت فلا ينظمهما صيغة واحدة والاتجاه في قوله الى ارادة معنى مجازى يعمها معا من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يابق بشأن التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت

الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفت فلا ينظمهما صيغة واحدة والاتجاه في قوله الى ارادة معنى مجازى يعمها معا من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يابق بشأن التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت

الساعة قال الكفار فيما بينهم أن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كأن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقرب للناس حسابهم فأشفتوا وانظروا قر بها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلما تستجلبوه اطعوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل للماتوهم من ﴿ ٤٣٣ ﴾ أن التصدير بالفاء يباه فانه يعمل عن آياته حسبا بحقيقته

بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على أن المراد بالآيات هو الآيات الادعائية لا الحسبية الوجوب لاستحالة الاستحجال المستلزمة لامتناع انتهى عنه لما أن انتهى عن الشيء يقتضى امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو انتهى عن الاستحجال المستلزم لامكانه المقتضى لعدم الوقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستحجل كأنه كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استحجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموهب للكفرة خاصة لكن الذي يقضى به الاجاز ان ينزى بل انه خاص بالكفرة كما استنف عليه ولما كان استحجالهم ذلك من نتائج اشراكهم

في قوله روح الله وانما حسن هذا الاطلاق لانه حصل بسبب وجودها حياة القلب وهي الهداية والمعارف فلما حسن اطلاق اسم الروح عليهما لهذا المعنى فلان بحسن اطلاق لفظ الروح على الوحي والتنزيل كان ذلك أولى (والقول الثاني) في هذه الآية وهو قول أبي عبيدة ان الروح ههنا جبريل عليه السلام والباء في قوله بالروح بمعنى مع كقولهم خرج فلان بئياه أى مع ثيابه وركب الامير بسلاحه أى مع سلاحه فيكون المعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل والاول اقرب وتقرير بهذا الوجه أنه سبحانه وتعالى ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم جبريل وحده بل في أكثر الاحوال كان ينزل مع جبريل أفواجا من الملائكة الأتري ان في يوم بدر وفي كثير من الغزوات كان ينزل مع جبريل عليه السلام أقوام من الملائكة وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ملك الجبال وتارة ملك البحار وتارة رضوان وتارة غيرهم وقوله من أمره يعنى ان ذلك التنزيل والتنزول لا يكون الا بامر الله تعالى ونظير قوله تعالى وما ننزل الا بامر ربك وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقوله وهم من خشيته مشفقون وقوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بأمر الله تعالى واذنه وقوله على من يشاء من عباده يريد الانبياء الذين خصهم الله تعالى رسالته وقوله أن أنذروا قال الزجاج أن يدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بأن أنذروا أى أعلموا الخلائق أنه لا اله الا أنا والانذار هو الاعلام مع التخويف (المسئلة الثالثة) في الآية فواء الفائدة الاولى أن وصول الوحي من الله تعالى الى الانبياء لا يكون الا بواسطة الملائكة وما يهوى ذلك أنه تعالى قال في آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله سبحانه ثم أتبعه بذكر الملائكة لانهم هم الذين يتلقون الوحي من الله ابتداء من غير واسطة وذلك الوحي هو الكتب ثم ان الملائكة يصلون ذلك الوحي الى الانبياء فلا جرم كان الترتيب الصحيح هو الابتداء بذكر الله تعالى ثم بذكر الملائكة ثم بذكر الكتب وفي الدرجة الرابعة بذكر الرسل اذا عرفت هذا فنقول اذا وحي الله تعالى الى الملك فله ذلك الملك بأن ذلك الوحي وحي الله علم ضرورى أو استدلالى ويتقدير أن يكون استدلاليا فكيف يطبق اليه وأيضا الملك اذا بلغ ذلك الوحي الى الرسول فعلم الرسول بكونه ملكا صادقا لا شيطانا رجسما ضرورى أو استدلالى فان كان استدلاليا فكيف الطريق اليه فهذه مقامات ضيقة وتام العلم بها لا يحصل الا بالبحث عن حقيقة الملك وكيفية وحي الله اليه وكيفية تبلغ الملك ذلك الوحي الى الرسول فاما اذا أجرينا هذه الامور على الكلمات المألوفة صعب المرام وزال النظام وذلك لان آيات القرآن ناطقة بأن هذا الوحي والتنزيل انما حصل من الملائكة أو نقول هب ان آيات القرآن لم تدل على ذلك الا أن احتمال كون الامر كذلك قائم في بدية العمل

المستبعد لسببه الله عزوجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد أن أحدا يحجزه عن إنجاز وعده وامضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه ان صح محجى العذاب فالاصنام نخلصنا عنه

بشفاعتها رد ذلك فقبل بطريق الاستئناف ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) أي تزهو وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم  
 المؤدى الى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن ان يكون له شريك في دفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة  
 الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايدان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم  
 وطرحتهم عن رتبة الخطاب وحكاية شأنهم \* ٤٢٤ \* لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تعوت

هذه النكتة كما يفوت  
 ارتباط التهمي عنه بالنتزه  
 عنه وقرئ على صيغة  
 الخطاب ( ينزل الملائكة )  
 بيان التحتم التوحيد حسبما  
 نبه عليه تذيها اجاليا  
 ببيان تقدس جناب  
 الكبرياء وتعاليه عن  
 أن يحوم حوله شائبة أن  
 يشاركه شيء في شيء  
 وايدان بانه دين أجمع  
 هلبه جمهور الانبياء  
 عليهم الصلاة  
 والسلام وأمره وابعده  
 الناس اليه مع الاسارة  
 الى سر البعث والنشور  
 كيفية لقاء الوحي والتنبه  
 على طريق علم الرسول  
 عليه الصلاة والسلام  
 باتيان ما واعدتهم به  
 وباقتراجه ازاحة  
 لاستبعادهم اختصاصه  
 عليه الصلاة والسلام  
 بذلك واظهار البطلان  
 رأيهم في الاستعجال  
 والتكذيب واشار صيغة  
 الاستقبال الاشعار بأن  
 ذلك عادة مسترة له  
 سبحانه والمراد بالملائكة  
 اما جبريل عليه السلام

واذا عرفت هذا فتقول لا نعلم كون جبريل عليه السلام صادقا معصوما عن الكذب  
 والتليس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على أن محمد صلى الله عليه  
 وسلم صادق وصدقه يتوقف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله تعالى لا من قبل شيطان  
 خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبريل صادق بحق مبرأ عن التليس وعن أفعال  
 الشيطان وحينئذ يلزم الدور فهذا مقام صعب أما اذا عرفنا حقيقة النبوة وعرفنا حقيقة  
 الوحي زالت هذه الشبهة بالكلية والله أعلم ( المسئلة الرابعة ) هذه الآية تدل على أن  
 الروح المشار اليها بقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره ليس الا مجرد قوله لا اله الا أنا  
 فاتقون وهذا كلام حق لأن مراتب السعادات البشرية أربعة أولها النفسانية وثانيها  
 البدنية وفي المرتبة الثالثة الصفات البدنية التي لا تكون من اللوازم وفي المرتبة الرابعة  
 الامور المنفصلة عن البدن ( أما المرتبة الاولى ) وهي الكمالات النفسانية فاعلم  
 ان النفس لها قوتان احدهما استعدادها لقبول صور الموجودات من علم الغيب وهذه  
 القوة هي القوة المسماة بالقوة النظرية وسعادة هذه القوة في حصول المعارف وأشرف  
 المعارف وأجلها معرفة انه لا اله الا هو واليه الاشارة بقوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا  
 والقوة الثانية للنفس استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم وهذه القوة هي القوة  
 المسماة بالقوة العملية وسعادة هذه القوة في الايمان بالاعمال الصالحة وأشرف  
 الاعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى واليه الاشارة بقوله فاتقون ولما كانت القوة  
 النظرية أشرف من القوة العملية لا جرم قدم الله تعالى كالات القوة النظرية وهي قوله  
 لا اله الا أنا على كالات القوة العملية وهي قوله فاتقون ( وأما المرتبة الثانية ) وهي  
 السعادات البدنية فهي أيضا قسمان الصحة الجسدانية وكالات القوى الحيوانية  
 أعني القوى السبع عشرة البدنية ( وأما المرتبة الثالثة ) وهي السعادات المتعلقة  
 بالصفات العرضية البدنية فهي أيضا قسمان سعادة الاصول والفروع أعني كمال حال  
 الآباء وكمال حال الاولاد ( وأما المرتبة الرابعة ) وهي أخس المراتب فهي السعادات  
 الحاصلة بسبب الامور المنفصلة وهي المال والجاه فنثبت ان أشرف مراتب السعادات  
 هي الاحوال النفسانية وهي محصورة في كالات القوة النظرية والعملية فلهذا السبب  
 ذكر الله ههنا أعلى حال هاتين القوتين فقال أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون \* قوله  
 تعالى ( خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ) اعلم أنه تعالى للمبين فيما سبق  
 ان معرفة الحق لذاته وهي المراد من قوله أنه لا اله الا أنا ومعرفة الخير لاجل العمل به  
 وهي المراد من قوله فاتقون روح الارواح ومعلم السعادات ومنبع الخيرات  
 والكرامات اتبعه بذكر الدلائل على وجود الصانع الاله تعالى وكال قدرته وحكمته  
 واعلم انا بينا ان دلائل الالهيات اما التمسك بطريقه الامكان في الذوات أو في الصفات  
 أو التمسك بطريقه الحدوث في الذوات أو في الصفات أو بمجموع الامكان والحدوث

قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان ربنا أو هو ومن معه من حفظة الوحي بأمر الله تعالى وقرئ \* في \*  
 ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل ( بالروح ) أي بالوحي الذى من جلته

القرآن على نهج استعارة فانه يصحى القلوب اليه بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بانفعل أو بما هو حال من مفعوله أي ملتبس بالروح (من أمره) ﴿٤٢٥﴾ بيان للروح الذي أريد به الوحي فانه أمر بالخير أو حال

منه أي حال كونه ناشئاً ومبتدأً منه أو وصفه على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أي بالروح الكائن من أمره الناشئ منه أو متعلق بيزل ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطباً أي يزلهم بأمره (على من يشاء من عباده) أن يزلهم به عليهم اختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك (أن أنذروا) بدل من الروح أي يزلهم ملتبس بأن أنذر وأى بهذا القول والمحاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والأمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للأمر كما يشعر به الباء في المبدل منه وأن اما مخففة من أن وضيم الشأن الذي هو اسمها محذوف أي يزلهم ملتبس بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو مفسرة على أن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كأنه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أنذروا

في الذوات أو الصفات فهذه طرق ستة والطريق المذكور في كتب الله تعالى المنزلة هو التمسك بطريقة حدوث الصفات وتغيرات الاحوال ثم هذا الطريق يقع على وجهين (أحدهما) أن يتمسك بالظاهر فالظاهر مترقياً إلى الاخفى فالاخفى وهذا الطريق هو المذكور في أول سورة البقرة فانه تعالى قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم فجعل تعالى تغير احوال نفس كل واحد دليلاً على احتياجه إلى الخالق ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الآباء والامهات واليه الإشارة بقوله والذين من قبلكم ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الارض وهي قوله الذي جعل لكم الارض فراشاً للارض اقرب اليان السماء ثم ذكر في المرتبة الرابعة قوله والسماء بناء ثم ذكر في المرتبة الخامسة الاحوال المتولدة من تركيب السماء بالارض فقال وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقكم (الثاني من الدلائل القرآنية) أن يحتاج الله تعالى بالاشرف فالاشرف نازل إلى الادون فالادون وهذا الطريق هو المذكور في هذه السورة وذلك لانه تعالى ابتدأ في الاحتجاج على وجود الاله المختار بذكر الاجرام العالوية الفلكية ثم ثنى بذكر الاستدلال بأحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال بأحوال الحيوان ثم رابع بذكر الاستدلال بأحوال النبت ثم ختم بذكر الاستدلال بأحوال العناصر الاربع وهذا الترتيب في غاية الحسن اذا عرفت هذه المقدمة فنقول (النوع الاول) من الدلائل المذكورة على وجود الاله الحكيم الاستدلال بأحوال السموات والارض فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض ان لفظ الخلق من كوجه يدل على الاحتياج إلى الخالق الحكيم ولا بأس بأن نعيد تلك الوجوه ههنا فنقول الخلق عبارة عن التقدير بمقدار مخصوص وهذا المعنى حاصل في السموات من وجوه (الاول) ان كل جسم متناه فيجسم السماء متناه وكل ما كان متناهياً في الحميم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانتقص أمر اجازي وكل جاز فلابدله من مقدر ومخصص وكل ما كان مفقراً إلى الغير فهو محدث (الثاني) وهو ان الحركة الازلية متمتعة لان الحركة تقتضي المسبوقية بالغير والازل يتنا فيه فالجمع بين الحركة والازل محال اذا ثبت هذا فنقول اما أن يقال ان الاجرام والاجسام كانت معدومة في الازل ثم حدثت أو يقال انها وان كانت موجودة في الازل الا انها كانت ساكنة ثم تحركت وعلى التقديرين فلحركتها أول فحدثت الحركة من ذلك المبدأ دون ما قبله أو ما بعده خلق وتقدير فوجب افتقاره إلى مقدر وخالق ومخصص له (الثالث) ان جسم الفلك مركب من اجزاء بعضها حصلت في عمق جرم الفلك وبعضها في سطحه والذي حصل في العمق كان يعقل حصوله في السطح وبالعكس واذا ثبت هذا كان اختصاص كل جزء بموضعه المعين أمر اجازي فافتقر إلى المخصص والمقدر وبقيت الوجوه المذكورة في أول سورة الانعام واعلم انه سبحانه لما احتج بالخلق والتقدير على حدوث

فلا محل لها من الاعراب أو مصدرية ﴿٥٤﴾ خا لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وأن أمم وجهك حسبما ذكر في أوائل سورة هود فحلها الجر على البدلية أيضاً والانداز الاعلام خلا انه مختص باعلام المخدور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره

وأنذره بالامر اندازا أى أعلمه وحذره وخوفه في بلاغه كذا في القاموس أى أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا) فالضمير الشأن ومدار وضعه موضع ادعاء شهرته المغنية ﴿ ٤٢٦ ﴾ عن التصريح به وفائدة تصديرا بالجملة به الايدان من أول

الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الدهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الشأن، بهم له خطر فيبقى الدهن متربا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل أنذروا أن الشأن الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس لداته بل من حيث انصاف المنذر في بما يصاده من الاشرار وذلك كاف في كون اعلامه اندازا وقوله سبحانه (فاتقون) خطاب للمستعجلين على طريفة الالتفات والفاء فصيحة أى اذا كان الامر كذا ذكر من جر بان عادته تعالى ينزى الملائكة على الانبياء عليهم السلام وأمرهم بأن يندروا الناس أنه لا شريك له في الالهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباصرة ما ينافيه من الاشرار وفروعه التي من جلته الاستجمال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السبعي للتوحيد شرع في تحرير الأدلة العقلية فقبيل (خلق

السموات والارض قال بعده تعالى عما يشركون والمراد أن القائلين بقدم السموات والارض كانهم أثبتوا لله شريكا في كونه قديما أزليا فتره نفسه عن ذلك و بين أنه لا قديم الا هو وهذا البيان ظهر أن الفائدة المطلوبة من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون في أول السورة غير الفائدة المطلوبة من ذكر هذه الكلمة ههنا لان المطلوب هناك ابطال قول من يقول ان الاصنام تشفع للكفار في دفع العقاب عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول الاجسام قديمة والسموات والارض أزلية فتره الله سبحانه نفسه عن أن يشاركه غيره في الازلية والقدم والله أعلم ﴿ قوله تعالى ( خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ) اعلم ان أشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان فلما ذكر الله تعالى الاستدلال على وجود الاله الحكيم بأجرام الافلاك اتبعه بذكر الاستدلال على هذا المطلوب بالانسان واعلم أن الانسان مركب من بدن ونفس فقوله تعالى خلق الانسان من نطفة اشاره الى الاستدلال ببدنه على وجود الصانع الحكيم وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى الاستدلال بأحوال نفسه على وجود الصانع الحكيم أما الطريق الاول فتقرره أن نقول لاشك أن النطفة جسم متسا به الاجزاء بحسب الحس والمشاهدة الآن من اطباء من يقول انه مختلف الاجزاء في الحقيقة وذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع فان الغذاء يحصل له في المعدة هضم أول وفي الكبد هضم ثان وفي العروق هضم ثالث وعند وصوله الى جواهر الاعضاء هضم رابع ففي هذا الوقت وصل بعض اجزاء الغذاء الى العظم وظهر منه اثر من الطبيعة العظيمة وكذا القول في اللحم والعصب والعروق وغيرها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن عنده هيجان الشهوة يحصل ذوبان من جملة الاعضاء وذلك هو النطفة وعلى هذا التقدير تكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبائع اذا عرفت هذا فتقول النطفة في نفسها اما أن تكون جسما متسا به الاجزاء في الطبيعة والماهية أو مختلف الاجزاء فيها فاركان الحق هو الاول لم يجر أن يكون مقتضى لتولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب بالابتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متسا به الاجزاء ووجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عولوا في قولهم البسائط يجب أن تكون اشكالها الطبيعية في الكرة فلو كان مقتضى لتولد الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب أن يكون شكلها الكره وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا أن مقتضى لحدوث الابدان الحيوانية ليس هو الطبيعة بل فاعل مختار هو يخلق بالحكمة والتدبير والاختيار وأما القسم الثاني وهو أن يقال النطفة جسم مركب من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية فتقول بتقدير أن يكون الامر كذلك فانه يجب أن يكون تولد البدن منها بتدبير فاعل مختار حكيم وبيانه من وجوه (الاول) ان النطفة رطوبة سر بعدة الاستحالة واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع

السموات والارض بالحق) أى أوجدهما على ما هما عليه من الوجوه الفائق والنمط اللائق (تعالى) ﴿ والنسبة ﴾ وتقدس بذاته لاسيما بأفعاله التي من جلته ابداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن اشراكهم الممهورا وعن شركة ما يشركونه به من



الباطل الذي لا يبدى ولا يعيدو بعد ما تبه على صنمه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلأته فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال ﴿ ٤٢٧ ﴾ (خلق الانسان) اى هذا النوع غير الفرد الاول منه (من نطفة)

جاء لاحس له ولا حراك  
سبال لا يحفظ شكلا ولا  
وضعا (فاذا هو) بعد  
الخلق (خصيم) منطبق  
بجادل عن نفسه مكافح  
لخصوم (مبين) لمخجته  
لقن بها وهذا أنسب  
بمقام الامتتان باعطاء  
القدرة على الاستدلال  
بذلك على قدرته تعالى  
ووحده أو مخصص  
لخالقه منكرا قائل  
من يحيى العظام وهي  
رميم وهذا أنسب بمقام  
تعداد هئات الكفرة  
روى أن أبى بن خلف  
الجمحى أتى النبي عليه  
السلام بعظم رميم فقال  
يا محمد أترى الله تعالى  
يحيى هذا بعد ما قد رم  
فترأت (والانعام)  
وهى الأزواج الثمانية  
من الابل والبقر والضأن  
والعزوات تصابها بمضمر  
يفسره قوله تعالى  
(خلقها) أو بالهطف  
على الانسان وما بعده  
بيان ما خلق لاجله  
والذى بعده تفصيل  
لذلك وقوله تعالى (الكم)  
اما متعلق بخلقها وقوله  
(فيها) خبر مقدم وقوله

والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد يحصل فى الفوق واذا كان الامر كذلك وجب أن لا تكون أعضاء الحيوان على هذا الترتيب المعين أمر اذ اأما ولا أكثر يا وحيث كان الامر كذلك علمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس الابتدبير الفاعل المختار الحكيم (والوجه الثانى) ان النطفة بتقدير انها جسم مركب من اجزاء مختلفة الطبايع الا أنه يجب أن ينتهى تحليل تركيبها الى اجزاء يكون كل واحد منها فى نفسه جسما بسيطا واذا كان الامر كذلك فلو كان المدبر لها قوة طبيعية لكان كل واحد من تلك البسائط يجب أن يكون شكله هو الكره فكان يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا أن مدبر أبدان الحيوانات ليس هى الطبايع ولا تأثيرات الانجم والافلاك لان تلك التأثيرات متشابهة فعلمنا ان مدبر أبدان الحيوانات فاعل مختار حكيم وهو المطلوب هذا هو الاستدلال بأبدان الحيوانات على وجود الاله المختار وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة وأما الاستدلال على وجود الصانع المختار الحكيم بأحوال النفس الانسانية فهو المراد من قوله فاذا هو خصيم مبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى بيان وجه الاستدلال وتقريره ان النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من قسر البيضة يميز بين العدو والصدىق فيهرب من الهرة ويلجئ الى الامم ويميز بين الغداء الذى يوافق والغذاء الذى لا يوافقه وأما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين العدو والصدىق ولا بين الضار والنافع فقطهر ان الانسان فى أول الحدوث أنقص حالا وأقل فطنة من سائر الحيوانات نعم ان الانسان بعد كبره يقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث يقوى على مساحة السموات والارض ويقوى على معرفة ذات الله وصفاته وعلى معرفة أصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات والعنصرىات ويقوى على اراد الشبهات القوية فى دين الله تعالى والخصومات الشديدة فى كل المطالب فاتقال نفس الانسان من تلك البلادة المفرطة الى هذه الكياسة المفرطة لا بد وأن يكون بتدبير اله المختار حكيم ينقل الارواح من نقصانها الى كمالها ومن جهالاتها الى معارفها بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا عرفت هذه الدقيقة أمكنك التنبه لوجوه كثيرة (المسئلة الثانية) انه تعالى انما يخلق الانسان من النطفة بواسطة تغيرات كثيرة مدكورة فى القرآن العزيز منها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الا انه تعالى اختصر ههنا لاجل ان ذلك الاستتصاء مذكور فى سائر الايات وقوله فاذا هو خصيم مبين فيه بحثان (الاول) قال الواحدى الخصيم بمعنى الخاصم قال أهل اللغة خصيمك الذى يخاصمك وقبل بمعنى مفاعل معروف كالنسيب

(دفع) متبداً وهو ما بدأ به فيبقى من البرد والجملة حال من المفعول أو النظرى الاول خبر للبتد المدكور وفيها حال من دفع اذ لو تأخر لكان صفة (ومنافع) هى درهاوركو بها وحلها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتنا ول الكلى مع أنه الانسب بمقام الامتتان بالتم وتقديم الدفع على المنافع

لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى (ومنها تأكلون) أى تأكلون ما يؤكل منها من الحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايمان  
الى اذنها الاتى عند الاكل كافى السابق واللاحق فان الدق والمنافم ﴿٤٢٨﴾ والجمل يحصل منها وهى باقية على حالها

بمعنى المناسب والعشير بمعنى المعاشر والاكيل والشريب ويجوز أن يكون خصم فاعلا  
من خصم يخصم بمعنى اختصم ومنه قراءة حمزة تأخذهم وهم يخصمون (البحث الثانى)  
لقوله فاذا هو خصم مبین وجهان (أحدهما) فاذا هو منطبق مجادل عن نفسه منازع  
للخصوم بعد ان كان نطفة قدرة ويجاد الاحس له ولا حركة والمقصود منه ان الانتقال من  
تلك الحالة الخسيسة الى هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم  
(والثانى) فاذا هو خصم لربه منكر على خاتمه قائل من يحى العظام وهى ربه والقرض  
منه وصف الانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة والوجه  
الاول اوفق لان هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع  
الحكيم لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم فى الكفر والكفران \* قوله تعالى (والانعام  
خلقنا لكم فيها دق ومنافم ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين  
تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف  
رحيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن أشرف الاجسام الموجودة فى العالم السفلى  
بعد الانسان سائر الحيوانات لا اختصاصها بالقوى الشريفة وهى الحواس الظاهرة  
والباطنة والشهوة والنغضب ثم هذه الحيوانات قسمان منها ما ينتفع الانسان بها ومنها  
ما لا يكون كذلك والقسم الاول أشرف من الثانى لانه لما كان الانسان أشرف  
الحيوانات وجب فى كل حيوان يكون انتفاع الانسان به أكل وأكثر أن يكون أكل  
وأسرف من غيره ثم نقول والحيوان الذى ينتفع الانسان به اما أن ينتفع به فى ضروريات  
معيشته مثل الاكل واللبس ولا يكون كذلك وانما ينتفع به فى أمور غير ضرورية مثل  
الزينة وغيرها وانقسم الاول أشرف من الثانى وهذا القسم هو الانعام فلهذا السبب  
بدأ الله بذكره فى هذه الآية فقال والانعام خلقها لكم واعلم أن الانعام عبارة عن  
الازواج الثمانية وهى الضأن والمعز والابل والبقر وقد يقال أيضا الانعام ثلاثة الابل  
والبقر والغنم قال صاحب الكشاف وأكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل وقوله والانعام  
منصوبة وانتصابها بضمير يفسره الظاهر كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل ويجوز أن  
يعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام قال الواحدى تم الكلام عند قوله  
والانعام خلقها ثم ابتداء وقال لكم فيها دق ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند  
قوله لكم ثم ابتداء وقال فيها دق قال صاحب النظم احسن الوجهين أن يكون الوقف  
عند قوله خلقها والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها  
دق ولكم فيها جمال (المسئلة الثانية) انه تعالى لما ذكر انه خلق الانعام للكافرين اتبعه  
بتعديد تلك المنافع واعلم أن منافع النعم منها ضرورية ومنها غير ضرورية والله تعالى بدأ  
بذكر المنافع الضرورية فالنعم الاولى قوله لكم فيها دق وقد ذكر هذا المعنى فى آية أخرى  
فقال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها والذق عند أهل اللغة ما يستدقأ به من

ولذلك جعلت مجال لها  
بخلاف الاكل وتقدم  
انظر للايدان بأن  
الاكل منها هو المعتاد  
المتعمد فى المعاش وأن  
الاكل مما عداها من  
الدجاج والبط وصيد  
البر والبحر من قبيل  
التفكه مع أن فيه مراعاة  
للفواصل ويحتمل أن  
يكون معنى الاكل منها  
أكل ما يحصل بسببها  
فان الجبوب والثمار  
المأكولة تكتسب  
بأكرام الابل وبأثمان  
نتاجها وألبانها  
وجلودها (ولكم فيها)  
مع ما فصل من أنواع  
المنافع الضرورية  
جمال أى زينة فى أعين  
الناس ووجاهة عندهم  
(حين تريحون) تردونها  
من مراعيها الى مراعيها  
بالعنى (و حين  
تسرحون) تخرجونها  
بالغداة من حظائرها  
الى مسارجها فالفعل  
مخدوف من كلا الفعلين  
لرعاية الفواصل وتعيين  
الوقت لان ما يدور عليه  
أمر الجمال من تزين  
الافنية والاكناف بها

و بتجاوب ثنائها وزائها انما هو عند دورها وصدورها فى ذئتك الوقتين وأما عند كونها ﴿الأكسية﴾

فى المراعى فينقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند كونها فى الحظائر لا يراها ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الراحة  
على السرخ لتقدم الورود على الصدور ولكونها أظهر

منه في استتباع ما ذكر من الجمال وأتم في استجلاب الانس والبهجة اذا فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد اذبار على  
أحسن ما يكون ملائى البطون مرتعة ﴿ ٤٢٩ ﴾ الضلوع حافلة الضروع وقرى حيناً ترهبون وحيناً

تسرحون على أن كلا  
الفعلين وصف حيناً  
بمعنى ترهبون فيه  
وتسرحون فيه (وتحمل  
أنفالكم) جمع ثقل  
وهو متاع المسافر وقيل  
أنفالكم أجرامكم  
(الى بلد) قال ابن عباس  
رضي الله عنهما أر يديه  
اليمن ومصر والشام  
ولعله نظر الى انها متاجر  
أهل مكة وقال عكرمة  
أر يديه مكة ولعله نظر  
ان أنفالكم واحمالهم  
عند القبول من متاجرهم  
أكثر و حاجتهم الى  
الجولة أمس والظاهر  
انه عام لكل بلد صحيح  
(لم تكونوا بالغيه)  
واصلين اليه بأنفسكم  
مجردين عن الانتقال  
لولا الايل (الابشق  
الانس) فضلاً عن  
استحبابها معكم وقرى  
بفتح الشين وهما الغتان  
يعنى الكلفة والمشقة  
وقيل المقروح مصدر  
من شق الامر عليه شقاً  
وحقيقته راجعة الى الشق  
الذي هو الصدع  
والمكسور النصف كأنه  
يذهب نصف القوة

الأكسية قال الاصمعي ويكون الدفء السخونة يقال اقعدي دفيء هذا الحائط أى  
في كنهه وقرى دفيء بطرح الهمة والقاء حر كنهها على القاء والمنفعة الثانية قوله ومنافع  
قالوا المراد نسلها ودرها وانما عبر الله تعالى عن نسلها ودرها بلفظ المنفعة وهو اللفظ  
الدال على الوصف الاعم لان النسل والدر قد ينتفع به في الاكل وقد ينتفع به في البيع  
بالنقود وقد ينتفع به بأن يندل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام  
بلفظ المنافع ليتناول الكل والمنفعة الثالثة قوله ومنها تأكلون فان قيل قوله ومنها  
تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه قد يتوكل من غيرها وأيضاً منفعة الاكل  
مقدمة على منفعة اللبس فلم أخرج منفعته في الذكر قلنا الجواب عن الاول ان الاكل منها  
هو الاصل الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط  
وصيد البر والبحر فيشبه غير المعتاد وكالجاري مجرى التفكك ويحتمل أيضاً ان غالب  
أطعمتكم منها لانكم تحرثون بالقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وأيضاً تكتسبون  
بأكراء الابل وتذنعون بألبانها وتناجها وجلودها وتشترون بها جميع أطعمتكم والجواب  
عن السؤال الثاني ان الملبوس أكثر بقاء من المطعوم فللهذا قدمه عليه في الذكر (واعلم)  
ان هذه المنافع الثلاثة هي المنافع الضرورية الحاصلة من الانعام وأما المنافع الحاصلة  
من الانعام التي هي ليست بضرورية فأمور (المنفعة الاولى) قوله تعالى وانكم فيها جمال  
حين ترهبون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشى الى مراحيها حيث تأوى اليه  
ليلاو يقال سرح القوم ابلهم سرحاً اذا أخرجوها بالانقادة الى المرعى قال اهل اللغة هذه  
الاراحة أكثر مما تكون أيام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلاء وخرجت العرب للحمية  
وأحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت واعلم ان وجه التجميل بها ان الراعى اذا روحها  
بالعشى وسرحها بالانقادة تزينت عند تلك الراححة والتسريح الافية وتجابوب فيها  
الثغاء والغاء وفرحت أربابها وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها فان  
قيل لم قدمت الراححة على التسريح قلنا لان الجمال في الراححة أكثر لانها تقبل ملائى  
البطون حافلة الضروع ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة لاهلها بخلاف التسريح فانها  
عند خروجها الى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار فظهر ان  
الجمال في الراححة أكثر منه في التسريح (والمنفعة الثانية) قوله وتحمل أنفالكم الى بلد  
لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس ان ربكم رؤوف رحيم وفيه مسثلتان (الاولى) الانتقال  
جمع ثقل وهو متاع المسافر لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس قال ابن عباس يريد من مكة  
الى المدينة أو الى اليمن أو الى الشام أو الى مصر قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد  
لو تكلفتم بلوغه على غير ابل لشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجر أهل مكة  
كانت الى هذه البلاد وقرى بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وأكثر القراء على كسر  
الشين والشق المشقة والشق نصف الشيء وحل اللفظ ههنا على كلا المعنيين جائز فان

لما ناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية أو على تقدير مضاف اي الابشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من أعم  
الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشي من الاشياء الابشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مداراً  
لنعم السابقة الى الجملة الفعلية المقيدة لجرد الحدوث للإشعار بأن هذه النعمة

ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ وخاصة بالابل وبحسب المتعلق ﴿ ٤٣٠ ﴾ بالضرارين في الارض المتقلين فيها للتجارة

حلتها على المشقة كان المعنى لم تكونوا بالغيه الا بالمشقة وان حلتها على نصف الشئ كان المعنى لم تكونوا بالغيه الا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم ويرجم عند التحقيق الى المشقة ومن الناس من قال المراد من قوله والانعام خلقها الا بل فقط بديل انه وصفها في آخر الآية بقوله وتحمل أنقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه وهذا الوصف لا يليق الا بالابل قلنا المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الانعام في بعض تلك المنافع حاصله في الكل وبعضها مختص ببعض والدليل عليه ان قوله ولكم فيها جمال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الابل والله أعلم (المسئلة الثانية) اخرج منكم واكرامات الاولياء بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على ان الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق النفس وحل الاثقال على الجمال ومثبتوا الكرامات يقولون ان الاولياء قد ينقلون من بلد الى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة فكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا ولما بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور لانه لا قائل بالفرق وجوابه اننا نخصص عموم هذه الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات والله أعلم بقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) اعلم أنه تعالى لما ذكر منافع الحيوانات التي ينفع الانسان بها في المنافع الضرورية والحاجات الاصلية ذكر بعده منافع الحيوانات التي ينفع بها الانسان في المنافع التي ليست بضرورية فقال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام أي وخلق الانعام لكدا وكذا وخلق هذه الاشياء للركوب وقوله وزينة أي وخلقها زينة ونظيره قوله تعالى واقدز بنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا المعنى وحفظناها حفظا قال الزجاج نصب قوله وزينة على أنه مفعول له والمعنى وخلقها للزينة (المسئلة الثانية) اخرج القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية فقالوا منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكر الله تعالى علمنا أنه يحرم أكله ويمكن أيضا أن يعوى هذا الاستدلال من وجه آخر فيقال انه تعالى قال في صفة الانعام ومنها تأكلون وهذه الكلمة تفيد الحصر فيقتضى أن لا يجوز الاكل من غير الانعام فوجب أن يحرم أكل لحم الخيل بمقتضى هذا الحصر ثم انه تعالى بعد هذا الكلام ذكر الخيل والبغال والحمير وذكر انها مخلوقة للركوب فهذا يقتضى ان منفعة الاكل مخصوصة بالانعام وغير حاصله في هذه الاشياء ويمكن الاستدلال بهذه الآية من وجه ثالث وهو ان قوله لتركبوها يقتضى ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة ولو حل أكلها لما كان تمام المقصود من خلقها هو الركوب بل كان حل أكلها أيضا مقصودا وحيث يخرج جواز ركوبها عن أن يكون تمام المقصود بل يصير بعض المقصود وأجاب الواحدى بجواب في غاية الحسن فقال لو دلت هذه الآية على

وغيرها في احيين غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فوجوده في جميع أصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما أو في عامة الاوقات (ان ربكم لرؤوف رحيم) ولذلك أسغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل) هو اسم جنس للفرس لا واحده من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام أي خلق الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) تعليل بمعظم منافعها والا فلا تنفع بها بالجمال أيضا كما لا ريب في تحفته (وزينة) عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلن دون الاول وتأخيرها لكون الركوب أهم منه أو مصدر لفاعل محذوف أي وتزينوا بهازينه وقرئ بغيروا أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدرا أو قاعا موقع الحال من فاعل تركبوها أو مفعوله أي متزينين بها أو متزينيها (ويخلق ما لا تعلمون) أي يخلق في الدنيا

غير ما عدد من أصناف النعم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة ﴿ تحريم ﴾ الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس

من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشبه اليه بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر لهن (٢٣١) على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا الخبر أباه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة

على قدرته الباهرة الموجبة  
للتوحيد كنعته الباطنة  
والظاهرة عن ابن عباس  
رضي الله عنهما ان عن عيين  
العرش نهرا من نور  
مثل السموات السبع  
والارضين السبع والبحار  
السبعة يدخل فيه جبريل  
عليه السلام كل سحر  
فيغسل فيزداد نورا  
الى نور وجا الى جمال  
وعظم الى عظم ثم ينفض  
فيخلق الله تعالى من كل  
قطرة تقع من ريشه كذا  
وكذا الف ملك فيدخل  
منهم كل يوم سبعون ألف  
ملك البيت المعمور وسبعون  
ألف ملك الكعبة لا  
يمودون اليه الى يوم القيامة  
(وعلى الله قصد السبيل)  
القصد مصدر بمعنى  
الفاعل يقال سبيل قصد  
وقاصد اي مستقيم  
على طريقة الاستعارة  
أو على صحيح اسناد حال  
سالكه اليه كأنه يقصد  
الوجه الذي يؤمه السالك  
لا يعدل عنه اي حق عليه  
سبحانه وتعالى بموجب  
رحته ووعد المختم بيان  
الطريق المستقيم الموصل

تحريم أكل هذه الحيوانات لكان تحريم أكلها معلوما في مكة لاجل أن هذه السورة  
مكية ولو كان الأمر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان لحوم الجمر الاهلية  
حرمت عام خبير باطلا لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يبق لتخصيص هذا  
التحريم بهذه الشبهة فائدة وهذا جواب حسن متين (المسئلة الثالثة) القائلون بأن  
أفعال الله تعالى معللة بالصالح والحكم احتجوا بظاهر هذه الآية فانه يقتضى ان هذه  
الحيوانات مخلوقة لاجل المنفعة الفلانية ونظيره قوله كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس  
من الظلمات الى النور وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والكلام فيه معلوم  
(المسئلة الرابعة) لقائل أن يقول لما كان معنى الآية انه تعالى خلق الخليل واليغال  
والجمير لتركبوها وليجعلها زينة لكم فلم تترك هذه العبارة وجوابه انه تعالى لو ذكر هذا  
الكلام بهذه العبارة لصار المعنى ان التزين بها أحد الامور المعتمدة في المقصود وذلك غير  
جائز لان التزين بالشيء يورث العجب والتعجب والتعجب وهذه أخلاق مذمومة والله تعالى  
نهى عنها وزجر عنها فكيف يقول انى خلقت هذه الحيوانات لتحصيل هذه المعاني بل قال  
خلقها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمسقة وأما التزين بها  
فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات فهذا هو لفائدة في اختيار هذه  
العبارة واعلم أنه تعالى لما ذكر أولا أحوال الحيوانات التي يذفع الانسان بها انتفاعا  
ضروريا وثانيا أحوال الحيوانات التي يذفع الانسان بها انتفاعا غير ضروري بقى القسم  
الثالث من الحيوانات وهي الاشياء التي لا يذفع الانسان بها في الغالب فدكرها على سبيل  
الاجال فقال ويخلق ما لا تعلمون وذلك لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة  
عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجائب أحوالها لكان المذكور بعد  
كتابة المجلدات الكثيرة كالقطره في البحر فكان أحسن الاحوال ذكرها على سبيل  
الاجال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس  
أنه قال ان على عيين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار  
السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل سحر ويغسل فيزداد نورا الى نور وجا الى  
جماله ثم ينفض فيخلق الله من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم  
كل يوم سبعون ألفا البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى  
أن تقوم الساعة \* قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ومنها جأروا لو شاء لهداكم أجمعين)  
اعلم أنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل أي انما ذكرت هذه  
الدلائل وشرحتها ازاحة معذروا زالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة  
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى القصد استقامة الطريق يقال طريق  
قصد وقاصدا إذا أدرك الى مطلوبك اذا عرفت هذا ففي الآية خذف والتقدير وعلى الله  
بيان قصد السبيل بمقال ومنها جأروا أي عادل مائل ومعنى الجور في اللغة الميل عن الحق

لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه أو مصدر  
بمعنى الإقامة والتعديل قاله ابو اليتام اي عليه عز وجل تفويها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن

لا بعد ما كانت في نفسها مخرقة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نصح قوله سبحانه من صغر العوض وكبر الفيل  
وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادله وقد قفل ﴿ ٤٣٢ ﴾ ذلك حيث ابداع هذه البدائع التي كل واحد

منها الاحب يهتدى بمناره  
وعلم يستضاء بناره وأرسل  
رسلا مبشرين ومنذرين  
وأُنزل عليهم كتباً  
من جلتها هذا الوحي  
الناطق بحقيقة الحق  
الفاحص عن كل ما جل  
من الاسرار ودق الهادي  
الى سبيل الاستدال بتلك  
الادلة المفضية الى معالم  
الهدى المنجية عن فيافي  
الضلالة ومهاوى  
الردى الايري كيفيين  
أولانزه جناب الكبرياء  
وتعاليه بحسب الذات  
عن أن يحوم شائبة توهم  
الاسراك ثم أوضح سر القاء  
الوحي على الانبياء  
عليهم الصلاة والسلام  
وكيفية أمرهم بانذار  
الناس ودعوتهم  
الى التوحيد ونهيهم  
عن الاسراك ثم كرر  
على بيان تعالیه عن ذلك  
بحسب الافعال مرشدا  
الى طريقة الاستدلال فبدأ  
بفعله المتعلق بمحيط العالم  
الجسماني ومركزه بقوله  
نعالي خلق السموات  
والارض بالحق تعالی  
عما بشركون ثم فضل  
أفعاله المتعلقة بما بينهما

والكنائية في قوله ومنها جارر تعود على السبيل وهي مؤنثة في لغة الخجاز يعني ومن السبيل  
ما هو جارر غير قاصد الحق هو أنواع الكفر والضلال والله أعلم (المسئلة الثانية) قالت  
المعتزلة دلت الآية على أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العلل  
والاعذار لانه تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى والله على  
الناس حج البيت ودلت الآية أيضا على انه تعالى لا يضل أحدا ولا يغويه ولا يصد عنه  
وذلك لانه تعالى لو كان فاعلا للضلال لقال وعلى الله قصد السبيل وعليه جارها أو قال  
وعليه الجارر فلما لم يقل كذلك بل قال في قصد السبيل انه عليه ولم يقل في جور السبيل انه  
عليه بل قال ومنها جارر دل على انه تعالى لا يضل عن الدين أحدا أجاب أصحابنا أن المراد  
على الله بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب الصحيح فالما أن يبين كيفية  
الاغواء والاضلال فذلك غير واجب فهذا هو المراد والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله  
ولو شاء لهداكم أجمعين يدل على انه تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان  
كلمة لو تفيد انتفاء شئ لا انتفاء شئ غيره قوله ولو شاء لهداكم معناه لو شاء هدايتكم لهداكم  
وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم وذلك يدل على المقصود وأجاب  
الاصم عنه بأن المراد لو شاء أن يلجئكم الى الايمان لهداكم وهذا يدل على ان مشيئة  
الاجبار لم تحصل وأجاب الجبائي بان المعنى ولو شاء لهداكم الى الجنة والى نيل الثواب  
لكنه لا يفعل ذلك الا بمن يستحقه ولم يرد به الهدى الى الايمان لانه مقدور جميع المكلفين  
وأجاب بعضهم فقال المراد ولو شاء لهداكم الى الجنة ابتداء على سبيل التفضل الا أنه  
تعالى عرفكم للممثلة العظيمة بما نصب من الادلة وبين فن تمسك بها فاز بتلك المنازل ومن  
عدل عنها فاتته وصار الى العذاب والله أعلم واعلم ان هذه الكلمات قد ذكرناها مرارا  
وأطوارا مع الجواب فلا فائدة في الاعادة قوله تعالى ( هو الذي أنزل من السماء ماء لكم  
منه شراب ومنه سجر فيه تسميون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن  
كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ) اعلم ان أسرف أجسام العالم السفلي بعد  
الحيوان النبات فلما قرأ الله تعالى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بجائبات أحوال  
الحيوانات أتبعه في هذه الآية بذكر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بجائبات  
أحوال النبات واعلم ان الماء المنزل من السماء هو المطر وأمان المطر نازل من السحاب  
أو من السماء فقد ذكرناه في هذا الكتاب مرارا والحاصل ان ماء المطر قسمان أحدهما  
هو الذي جعله الله تعالى شرابنا ولكل حي وهو المراد بقوله لكم منه شراب وقد بين الله  
تعالى في آية أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شئ حي فان قيل  
أفتقولون ان شرب الخلق ليس الا من المطر أو تقولون قد يكون منه وقد يكون من غيره  
وهو الماء الموجود في قعر الارض أجاب القاضى بأنه تعالى بين ان المطر شرابنا ولم ينف  
أن شرب من غيره ولقائل أن يقول ظاهر الآية يدل على الحصر لان قوله لكم منه

فبدأ بفعله المتعلق بأنفس مخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته ﴿ شراب ﴾  
على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان للسبيل التوحيد غيب بيان وتصديقه  
أيما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة

التصد إليه وقوله تعالى (ومنها) في محل الرفع على الابتداء أما باعتبار مضمونه وأما بنية نكير الموصوف كما في قوله تعالى  
ومنادون ذلك وقدم في قوله تعالى ومن الناس من ﴿ ٤٣٣ ﴾ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ أي بعض السبيل

أو بعض من السبيل  
فإنها تزئنت وتذكر (جاء)  
أي ماثل عن الحق  
منحرف عنه لا يوصل  
سالكة إليه وهو طرقت  
الضلال التي لا يكاد  
يحصى عددها المندرج  
كلها تحت الجأر وعلى  
الثنائي نفس السبيل  
المستقيم والضمير في  
منها راجع إليها بتقدير  
المضاف أي ومن جنسها  
لما عرفت من أن تعديل  
السبيل وتقوية ابداعه  
ابتداء على وجه الاستقامة  
والعدالة لا تقويمه بعد  
انحرافه وأيا ما كان  
فليس في النظم الكريم  
تغيير الأسلوب رعاية  
لامر مطلوب كما قيل فإن  
ذلك إنما يكون فيما  
اقتضى الطاهر سبكا  
معينا ولكن يعدل عن  
ذلك لنكتة أهم منه  
كما في قوله سبحانه الذي  
يطعمني ويسقيني وإذا  
مرضت فهو يشفين  
فإن مقتضى الظاهر أن  
يقال والذي يستعني  
ويشفين ولكن غير إلى  
ما عليه النظم الكريم  
تماما عن اسناد ما نكره

شراب يفيد الحصر لأن مضامنه لا من غيره إذا ثبت هذا فنقول لا يمتنع أن يكون  
الماء العذب تحت الأرض من جملة ماء المطر يسكن هناك والدليل عليه قوله تعالى  
في سورة المؤمنين وأزلقنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ولا يمتنع أيضا  
في غير العذب وهو البحر أن يكون من جملة ماء المطر والقسم الثاني من المياه  
النازلة من السماء ما يجعله الله سببا لتكوين النبات وإليه الإشارة بقوله ومنه  
شجر فيه تسميون إلى آخر الآية وفيه مباحث (البحث الأول) ظاهر هذه الآية  
يقضي أن اسامة الشجر ممكنة وهذا إنما يصح لو كان المراد من الشجر الكلا والعشب  
وهنا قولان (الأول) قال الزجاج كل ما ثبت على الأرض فهو شجر وأنشد  
يطعمها اللحم إذا عز الشجر \* يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجذبت الأرض وقال  
ابن قتيبة في هذه الآية المراد من الشجر الكلا وفي حديث عكرمة لا تأكلوا من الشجر  
فإنه سحت يعني الكلا ولقائل أن يقول إنه تعالى قال والنجم والشجر يسجدان والمراد من  
النجم ما ينجم من الأرض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق هكذا قال المفسرون وبالجملة  
فلماء عطف الشجر على النجم دل على التغاير بينهما ويمكن أن يجاب عنه بأن عطف الجنس  
على النوع وبالضد مشهور وأيضا فلفظ الشجر مشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم  
إذا اختلط أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح إذا اختلطت وقال تعالى حتى  
يحكموك فيما شجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا فوجب جواز  
اطلاق لفظ الشجر عليه (القول الثاني) أن الأبل تقدر على رمي ورق الأشجار الكبار  
وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى ما ذكرناه في القول الأول (البحث الثاني) قوله فيه تسميون  
أي في الشجر ترعون مواشيكم يقال أسمت الماشية إذا خلتها ترعى وسامت هي تسوم  
سوما إذا رعت حيث شاءت فهي سوام وسائمة قال الزجاج أخذ ذلك من السومة وهي  
العلامة وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره لأنها تعلم للإرسال في  
المرعى وعمام الكلام في هذا اللفظ قد ذكرناه في سورة آل عمران في قوله تعالى والخيل  
المسومة أما قوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ففيه مباحث  
(البحث الأول) هو أن النبات الذي ينبت الله من ماء السماء قسمان أحدهما معدل رمي  
الانعام واسامة الحيوانات وهو المراد من قوله فيه تسميون والثاني ما كان مخلوقا لا كل  
الإنسان وهو المراد من قوله ينبت لكم به الزرع والزيتون فإن قيل إنه تعالى بدأ في هذه  
الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للإنسان وفي آية أخرى  
عكس هذا الترتيب فبدأ بذكر ما كولا الإنسان ثم بما رعاها سائر الحيوانات فقال كوا  
وارهاوا أنعامكم فما الفائدة فيه قلنا أما الترتيب المذكور في هذه الآية فبينه على مكارم  
الأخلاق وهو أن يكون اهتمام الإنسان بمن يكون تحت يده أكل من اهتمامه بحال  
نفسه وأما الترتيب المذكور في الآية الأخرى فمقصود منه ما هو المذكور في قوله عليه

النفس إليه سبحانه وليس ﴿ ٥٥ ﴾ خا المراد بيان قصد السبيل مجرد اعلام أنه مستقيم حتى يصح اسناد أنه  
جاء إليه تعالى فيحتاج إلى الاعتذار عن عدم ذلك على أنه لو أريد ذلك لم يوجد لتغيير الأسلوب نكتة وقد بين ذلك  
في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الأدلة لهداية الناس إليه ولا إمكان لاسناد مثله

اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجارها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لئلا تستدفيه ولا يتوهم متوهم حتى يقتضى الحال دفع ذلك بان يقال ﴿ ٤٣٤ ﴾ لا جارها ثم يفسر سبب النظم عن ذلك لداعية أقوى

السلام ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (البحث الثاني) قرأنا صم في رواية أبي بكر نسبت بالتون على التفخيم والباقون بالياء قال الواحدى والياء أشبه بما تقدم (البحث الثالث) اعلم ان الانسان خلق محتاجا الى الغذاء والغذاء اما ان يكون من الحيوان أو من النباتات والغذاء الحيوانى أشرف من الغذاء النباتى لان تولد أعضاء الانسان عند أكل أعضاء الحيوان أسهل من تولدها عند أكل النبات لان المشابهة هناك أكل وأتم والغذاء الحيوانى انما يحصل من اسامد الحيوانات والسبحى في تنميتها بواسطة الرعى وهذا هو الذى ذكره الله تعالى فى الاسامة وأما الغذاء النباتى فقسمان حبوب وفواكه أما الحبوب فاليها الاشارة بلفظ الزرع وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والتخيل والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وادام من وجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة فى الاكل والطللى واشتعال السرج وأما امتياز التخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر معلوم وكانه تعالى لما ذكر الحيوانات التى ينفع الناس بها على التفصيل ثم قال فى صفة البقية ويخلق ما لا تعلمون فكذلك ههنا لما ذكر الانواع المنتفع بها من النبات قال فى صفة البقية ومن كل الثمرات تنبئها على ان تفصيل القول فى أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها لا يمكن ذكره فى مجلدات فالاولى الاقتصار فيه على الكلام المجمل ثم قال ان فى ذلك لاية تقوم يتفكرون وههنا بحثان (الاول) فى شرح كون هذه الاشياء آيات دالة على وجود الله تعالى فتقول ان الحبة الواحدة تقع فى الطين فاذا مضت على هذه الحالة مقادير معينة من الوقت نفدت فى داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الارض وتداوتها فتنتفخ الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الارض الى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة فى قعر الارض وهذه الغائصة هى المسماة بعروق الشجرة ثم ان تلك الشجرة لاتزال تزداد وتغوى وتقوى وتم يخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمرة تشتمل على اجسام مختلفة الطبائع مثل العنب فان قشره وعجمه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماءه حاران رطبان لطيفان اذا عرفت هذا فنقول نسبة الطبائع السفلية الى هذا الجسم منسابة ونسبة التأثيرات الفلكية والتحريرات الكوكبية الى الكل منسابة ومع تشابه نسب هذه الاشياء ترى هذه الاجسام مختلفة فى الطبع والطعم واللون والرائحة والصفة فدل صريح العقل على ان ذلك ليس الا لاجل فاعل قادر حكيم رحيم فهذا تقدير هذه الدلالة (البحث الثانى) انه تعالى ختم هذه الآيات بقوله قوم يتفكرون والسبب فيه انه تعالى ذكر أنه أنزل من السماء ماء فأنبث به الزرع والزيتون والتخيل والاعناب ولقائل أن يقول لانسم انه تعالى هو الذى أنبتنا وام لا يجوز أن يقال ان هذه الاشياء انما حدثت وتولدت بسبب تعاقب الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والتمر والكواكب واذا عرفت هذا السؤال فالم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون هذا الدليل تاما وافيافا فإعادة هذا المطلوب بل

منه بل الجملة الظرفية اعتراضية حتى بهالبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر العمة فى ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رجه بل هو محل بحكمته حيث يستدعى تسوية المحسن والمسى والطبع والعاصى بحسب الاستعداد واليه أشير بقوله تعالى (ولو شاء لهداكم أجمعين) أى لو شاء أن يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة فى تلك المشيئة لما أن

الذى عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذى عليه يترتب يكون الاعمال التى بها يتجزأ هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه



اليه هلى نهج الاستقامة وايتاز حرق الاستسلام على أداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استسلام لشي عليه سبحانه وتعالى عند علوا ﴿ ٤٣٥ ﴾ كبريا كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم

فالتصدم صدر بمعنى  
الفاعل والمراد بالسبيل  
الجنس كما مر وقوله  
تعالى ومنها جار معطوف  
على الجملة الاولى والمعنى  
ان قصد السبيل واصل  
اليه تعالى بالاستقامة  
ومضاهما منحرف عنه  
ولو شاء لهداكم جيعا  
الى الاول وأنت خبير  
بأن هذا حق في نفسه  
ولكنه يعزل عن زكته  
موجبة لتوسيطه بين  
ما سبق من أدلة التوحيد  
وبين ما لحق ولما بين  
الطريق السمي للتوحيد  
على وجه اجالي وفصل  
بعض أدلته المتعلقة  
باحوال الحيوانات وعقب  
ذلك ببيان السر الداعي  
اليه بعثا للخطابين  
على التأمل فيما سبق  
وحثا على حسن التلقي  
لما لحق أتبع ذلك ذكر  
ما يدل عليه من احوال  
النبات فقيل (هو الذي  
أنزل) بقدرته القاهرة  
(من السماء) أي من  
السماب أو من جانب  
السماء (ماء) أي نوعا منه  
وهو المطر وتأخيره عن  
المجرور لما مر مرارا من

يكون مقام الفكر والتأمل باقيا فلهذا السبب ختم هذه الآية بقوله لقوم يتفكرون  
\* قوله تعالى ( وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لاية لقوم  
يذكرون ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم ان الله تعالى أجاب في هذه الآية عن  
السؤال الذي ذكرناه من وجهين ( الاول ) أن تقول هب ان حدوث الحوادث في هذا  
العالم السفلي مستندة الى الاتصالات الفلكية والتشكلات الكوكبية الأنة لا بد  
لحركاتها واتصالاتها من أسباب وأسباب تلك الحركات اما ذواتها واما أمور مغايرة لها  
والاول باطل لوجهين ( الاول ) ان الاجسام متماثلة فلو كان جسم علة لاصفة لكان كل  
جسم واجب الاتصاف بتلك الصفة وهو محال ( والثاني ) ان ذات الجسم لو كانت علة  
لحصول هذا الجزء من الحركة لوجب دوام هذا الجزء من الحركة بدوام تلك الذات ولو كان  
كذلك لوجب بقاء الجسم على حالة واحدة من غير تغيير أصلا وذلك يوجب كونه ساكنا  
و يمنع من كونه متحركا فثبت ان القول بأن الجسم متحرك لذاته يوجب كونه ساكنا لذاته  
وما أفضى ثبوته الى عدمه كان باطلا فثبت ان الجسم يمتنع أن يكون متحركا لكونه جسما  
فبقي أن يكون متحركا لغيره وذلك الغير انما يكون ساريا فيه أو مبايناعنه والاول باطل  
لان البحث المذكور عائد في ان ذلك الجسم بعينه لم يختص بتلك القوة بعينها دون سائر  
الاجسام فثبت ان محرك اجسام الافلاك والكواكب أمور مباينة عنها وذلك المبين  
ان كان جسما أو جسما نيا عاد التقسيم الاول فيه وان لم يكن جسما ولا جسما نيا فاما ان  
يكون موجبا بالذات أو فاعلا بمختارا والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى  
جميع الاجسام على السوية فلم يكن بعض الاجسام يقبل بعض الآثار المعينة أولى من  
بعض ولما بطل هذائبت ان محرك الافلاك والكواكب هو الفاعل المختار القادر المنزه  
عن كونه جسما وجسمانيا وذلك هو الله تعالى فالخاصل انا ولو حكمنا باسناد حوادث  
العالم السفلي الى الحركات الفلكية والكوكبية فهذه الحركات الكوكبية والفلكية  
لا يمكن استنادها الى أفلاك أخرى والازم التسلسل وهو محال فوجب أن يكون خالق هذه  
الحركات ومدبرها هو الله تعالى واذا كانت الحوادث السفلية مستندة الى الحركات  
الفلكية وثبت ان الحركات الفلكية حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه فكان  
هذا اعترافا بأن الكل من الله تعالى وباحدائه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله وسخر لكم  
الليل والنهار والشمس والقمر يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل  
والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وأن يكون حدوثها بتخليق الله تعالى  
وتسخيره قطع التسلسل ولما تم هذا الدليل في هذا المقام لاجرم ختم هذه الآية بقوله ان في  
ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان كل من كان عاقلا علم ان القول بالتسلسل باطل ولا بد من  
الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل المختار القدير فهذا تقريرا أحد الجوابين والجواب الثاني

أن المقصود هو الاخبار بأنه أنزل من السماء شيئا هو الماء لأنه أنزله من السماء والسرفيه ماسلف من أن عند تأخير ما حقه  
التقديم حتى الذهن مترقبه مشتاقا اليه فيمكن لديه عند وروده عليه فضل يمكن (لكم منه شراب) أي ما تشر بونه  
وهو اما امر تفع بالظرف الاول أو بتدأ وهو خبره والجملة صفة

لما والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعية وليس في تقديمه إيهام خصم للشراب فيه حتى يقتصر على الاعتذار بأنه لا بأس به لأن مياه اليمون والابيار منه لقوله تعالى ﴿ ٤٣٦ ﴾ فسلكه يتابع في الارض وقوله تعالى فأسكنناه

في الارض وقيل الطرف الاول متعلق بأنزل والثاني خبر لشراب والجملة تصفة لماء وأنت خير بأن مافيه من توسط المنسوب بين المجرورين وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته مما يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل (ومنه شجر) من ابتدائية أي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق أو لا أو تبعية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كأنه منه كقوله \* أسفة الآبال قر بابه \* يعني به المطر الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الأبل فسمي أسمتها وفي حديث عكرمة لانا كوا من الشجر فانه سمحت يعني الكلاء (فيه تسميون) ترعون من سمات الماشية وأسماها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض (نبت) أي الله عز وجل وقرى بالتون (لكم به) بما أنزل من السماء (الزرع والزيون والتخيل

عن ذلك السؤال أن تقول نحن نقيم الدلالة على انه لا يجوز أن يكون حدوث النبات والحيوان لاجل تأثير الطبايع والافلاك والانجم وذلك لان تأثير الطبايع والافلاك والانجم والشمس والقمر بالنسبة الى الكل واحد ثم نرى انه اذا تولد العنب كان قشره على طبع وبجمه على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه على طبع رابع بل نقول انما نرى في الورد ما يكون أحدهم في الورقة الواحدة مند في غاية الصفرة والوجه الثاني من تلك الورقة في غاية الحمرة وتلك الورقة تكون في غاية الرقة واللطافة ونعلم بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك الى وجهي تلك الورقة الرقيقة نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لاتفعل الافعلا واحدا الأ ترى انهم قالوا شكل البسيط هو الكرة لان تأثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب أن يكون متشابهة والشكل الذي يتشابه جميع جوانبه هو الكرة وأيضا اذا وضعنا الشمع فاذا استضاء خسة أذرع من ذلك الشمع من أحد الجوانب وجب أن يحصل مثل هذا الأثر في جميع الجوانب لان الطبيعة المؤثرة يجب أن تتشابه نسبتها الى كل الجوانب اذا ثبت هذا فنقول ظهر ان نسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك والطبايع الى وجهي تلك الورقة اللطيفة الرقيقة نسبة واحدة وثبت ان الطبيعة المؤثرة متى كانت نسبتها واحدة كان الأثر متشابهة وثبت ان الأثر غير متشابه لان أحد جانبي تلك الورقة في غاية الصفرة والجانب الثاني في غاية الحمرة فهذا يفيد القطع بأن المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال ليس هو الطبيعة بل المؤثر فيها هو الفاعل المختار الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى وهذا هو المراد من قوله وما ذرا لكم في الارض مختلفا ألوانه واعلم انه لما كان مدار هذه الجهة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب أن يكون نسبتبه الى الكل نسبة واحدة فلما بدل الحس في هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها وتنافر أحوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس واجبا بالذات بل فاعلا مختارا فهذا تمام تقدير هذه الدلائل وثبت ان ختم الآية الاولى بقوله تقوم يتفكرون والآية الثانية بقوله تقوم يعقلون والآية الثالثة بقوله تقوم يدكرون هو الذي نبه على هذه الفوائد النفيسة والدلائل الظاهرة والحمد لله على أطفافه في الدين والدنيا (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم كلها بالرفع على الابتداء والخبر هو قوله مسخرات وقرأ حفص عن عاصم والنجوم بالرفع على أن يكون قوله والنجوم ابتداء وانما جعلها على هذا الثلاثي تكرر لفظ السخيرة اذا العرب لاتقول مسخرت هذا الشيء مسخرنا فاجوابه ان المعنى انه تعالى مسخرنا هذه الاشياء حال كونها مسخرة تحت قدرته وارا دته وهذا هو الكلام الصحيح والتقدير انه تعالى مسخر للناس هذه الاشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله تعالى وأمره واذنه وعلى هذا التقدير فالتكرير الخالي عن الفائدة غير لازم والله أعلم بقى في الآية سوالات (الاول) السخيرة عبارة عن القمر والقسر ولا يليق ذلك الابن هو قادر يجوز أن يقهر فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي

والاعصاب) بيان النعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على الجمادات على التجدد والاستمرار وانها ستنه الجارية على مر الدهور أو لا يستحضار صورة الانبات وتقديم الطرفين على المفعول

المسرح للامر انما مع طلق تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعود العاش وتقديم الزيتون (٤٣٧) لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم

التخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتغال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى (ومن كل الثمرات) الاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر اول الارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ماتحت يده اكل من اهتمامه بامر نفسه اول ان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ يثبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه (ان في ذلك) أي في ازال الماء وانبات ما فصل (لاية) عظيمة

المجادات والشمس والقمر والجواب من وجهين الاول انه تعالى لما بر هذه الاشياء على طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعباد المتقاد المطواع فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير وعن الوجه الثاني في الجواب وهو لا يستقيم الاعلى من ذهب اصحاب علم الهيئة وذلك لانهم يقولون ان الحركة الطبيعية للشمس والقمر هي الحركة من المغرب الى المشرق والله تعالى يحرك هذه الكواكب بواسطة حركة الفلك الاعظم من المشرق الى المغرب فكانت هذه الحركة قسرية فلهذا السبب ورد فيها لفظ التسخير (السؤال الثاني) اذا كان لا يحصل للنهار والليل وجود الاسباب حركات الشمس كان ذكر النهار والليل مغنيا عن ذكر الشمس والجواب ان حدوث النهار والليل ليس بسبب حركة الشمس بل حدوثها بسبب حركة الفلك الاعظم الذي دللنا على ان حركته ليست الا بتحرك الله سبحانه واما حركة الشمس فانها حادثة لحدوث السنة لا حدوث اليوم (السؤال الثالث) ما معنى قوله مسخرات بامرهم والمؤثر في التسخير هو القدرة لا الامر والجواب ان هذه الآية مبنية على ان الافلاك والكواكب جادات أم لا واكثر المسلمين على انها جادات فلا جرم حلوا الامر في هذه الآية على الخلق والتقدير ولفظ الامر بمعنى الشان والفعل كثير قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ومن الناس من يقول انها ليست جادات فهنا يحمل الامر على الاذن والتكليف والله اعلم \* قوله تعالى (وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتسخر جوار منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) اعلم انه تعالى لما احتج على اثبات الاله في المرتبة الاولى بأجرام السموات وفي المرتبة الثانية ببدن الانسان ونفسه وفي المرتبة الثالثة بعجائب خلقه الحيوانات وفي المرتبة الرابعة بعجائب طبائم النبات ذكر في المرتبة الخامسة الاستدلال على وجود الصانع بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بخصر الماء واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة في الماء وذلك هو البحر المحيط وهو كلية عنصر الماء وحصل في هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال بعده والبحر يمدد من بعده سبعة ابحر والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالنوص واعلم ان منافع البحار كثيرة والله تعالى ذكر منها في هذه الآية ثلاثة أنواع (المنفعة الاولى) قوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وفيه مسائل (الاولى) قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز وقد طرو بطر وطرارة وقال الفراء طرايطر اطراء ممدودا وطرارة كما يقال شقي يشق شقاء وشقاوة واعلم ان في ذكر الطري مزيد فائدة وذلك لانه لو كان السمك كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري فانه لما خرج من البحر الملح الزقاق الحيوان الذي لجده في غايه العذوبة علم انه اما حدث لا بحسب الطبيعة بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد

دالة على تفرده تعالى بالالوهية لا شتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في أن الحية أو النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تغذيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الارض وينشق أعلاها وان كانت متكيسة في الوقوع ويخرج منه اساق فيجوز ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة

على أجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواته فتولد الامثال على النمط المحرر لالى نهايتهم مع انحاء  
المواد واستواء نسبة الطائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة ﴿ ٤٣٨ ﴾ الى الكل علم أن من هذه افعاله وآثاره

لا يمكن أن يشبهه شيء  
في شيء من صفات  
الكمال فضلا عن  
أن يشاركه أحسن الاشياء  
في أحسن صفاته التي  
هي الالوهية واستحقاق  
العبادة تعالى عن ذلك  
علوا كبيرا وحيث افتقر  
سلوك هذه الطريقة  
الى ترتيب المقدمات  
الفكرية قطع الآية  
الكريمة بالتفكير (وسخر  
لكم الليل والنهار)  
يتعاقبان خلفه لئلا تم  
ومعاشكم ولقد انوار  
وانضاجها (والشمس  
والقمر) يدأبان في سيرهما  
وانارتها أصالة وخلافة  
واصلاحهما لما يظ  
بهما صلاحا من  
المكونات التي من جلتها  
ما فصل وأجل كل  
ذلك لصلاحكم ومانفعتكم  
وليس المراد بتسخيرها  
لهم تمكينهم من تصرفها  
كيف شاؤا كما في قوله  
تعالى سبحانه الذي  
سخر لنا هذا ونظائره  
يل هو تصرفه تعالى  
لها حسبما يترتب عليه  
منافعهم ومصالحهم  
كأن ذلك تسخير لهم

(المسئلة الثانية) قال ابو حنيفة رحمه الله لو حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم السمك لا يحنث  
قالوا لان لحم السمك ليس بلحم وقال آخرون انه يحنث لانه تعالى نص على كونه لحما في هذه  
الآية وليس فوق بيان الله بيان \* روى ان ابا حنيفة رحمه الله لما قال بهذا القول وسمعه  
سفيان الثوري فأنكر عليه ذلك واحتج عليه بهذه الآية بعث اليه رجلا وسأله عن رجل  
حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث أم لا قال سفيان لا يحنث فقال  
السائل أليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا قال ففرق سفيان أن ذلك  
كان بتلقين أبي حنيفة ولقائل أن يقول هذا الكلام ليس بقوى لان أقصى ما في الباب  
اننا تركنا العمل بظاهر القرآن في لفظ البساط للدليل الذي قام عليه فكيف يلزمنا ترك  
العمل بظاهر القرآن في آية أخرى والفرق بين الصورتين من وجهين (الاول) انه لما حلف  
لا يصلي على البساط فلما دخلنا الارض تحت لفظ البساط لزمنا أن نمنعه من الصلاة لانه  
ان صلى على الارض المفروشة بالبساط لزمه الحنث لامحالة ولو صلى على الارض التي  
لا تكون مفروشة لزمه الحنث أيضا على تقدير أن يدخل الارض تحت لفظ البساط فهذا  
يقضى منعه من الصلاة وذلك مما لا سبيل اليه بخلاف ما اذا أدخلنا لحم السمك تحت لفظ  
اللحم لانه ليس في منعه من أكل اللحم على الإطلاق محذور فظهر الفرق (الثاني) انا  
نعلم بالضرورة من عرف أهل اللغة أن وقوع اسم البساط على الارض الخالصة مجازا ما  
وقوع اسم اللحم على لحم السمك فلم يعرف انه مجاز فظهر الفرق والله أعلم ووجه أبي حنيفة  
رحمه الله أن مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يخفهم  
منه لحم السمك بدليل انه اذا قال الرجل لعلامة اشترهده الدارهم لحما فجاء بالسمك كان  
حقيقا بالانكار والجواب اننا رأيناكم في كتاب الايمان تارة تعتبرون اللفظ وتارة تعتبرون  
العرف وما رأيناكم ذكرتم ضابطا بين القسمين والدليل عليه انه اذا قال لعلامة اشترهده  
الدارهم لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار عليه مع انكم تقولون انه يحنث  
ياكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين والله أعلم  
(المنفعة الثانية) من منافع البحر قوله تعالى وتسخر جوامه حلية تلبسونها والمراد بالحلية  
اللولؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم  
لانهم من جلتهم ولان اقدامهم على التزين بها انما يكون من أجلهم فكانت زينتهم  
ولباسهم ورأيت بعض أصحابنا تمسكوا في مسألة انه لا يجب الزكاة في الحلى المباح بحديث  
عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في الحلى فقلت هذا الحديث ضعيف  
الرواية وبتقدير الصحة فيمكن أن يقال فيه لفظ الحلى لفظ مفرد محلى بالالف واللام وقد  
بيننا في أصول الفقه ان هذا اللفظ يجب حله على المعهود السابق والحلى الذي هو المعهود  
السابق هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في هذه الآية وهو قوله وتسخر جوامه حلية  
تلبسونها فصار بتقدير صحة ذلك الخبر لا زكاة في اللآلى وحينئذ يسقط الاستدلال به والله

وتصرف من قلوبهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في السخرات ﴿ اعلم ﴾  
من صعوبة المآخذ بالنسبة الى المخاطبين وايماء صيغة الماضي للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمر وان تجددت آثاره  
(والجوامه سخرات بأمره) مبدأ وخبر أى سائر الجوامه في حرركاتها وأوضاعها

من التلث والتزيغ ونحوهما مسخرات لله تعالى وأولما خلقن لها رادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين (٤٣٩) لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه

يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر أيضا وقرئ بنصب النجوم على أنه مفعول أول الفعل مقدر يني عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له أي وجعل النجوم مسخرات بامر أو على أنه معطوف على المنصوبات المقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها وديرها كيف شاء وأولما خلقن له بإيجاده وتقديره أو الحكمة أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع أي أنواعا من التسخير وما قيل من أن فيه أيذانا بالجواب عما عسى يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها بأن ذلك إن سلم فلا ريب

أعلم (المنفعة الثالثة) قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت جرى الفلك بالرياح إذا عرفت هذا فقول ابن عباس مواخر أي جوارى إنما حسن التفسير به لانها لا تشق الماء إلا إذا كانت جارية وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله يعني لتركبوه للتجارة فطلبوا الربح من فضل الله وإذا وجدتم فضل الله تعالى واحسانه فلعلمكم تقدمون على شكره والله أعلم \* قوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تعبدوكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون) اعلم ان المقصود من هذه الآية ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الأرض (فالمنفعة الأولى) قوله وألقى في الأرض رواسي أن تعبدوكم وفيه مسثلتان (المسئلة الأولى) قوله أن تعبدوكم يعني لتلا تعبدكم على قول الكوفيين وكرهه أن تعبدكم على قول البصريين وذكرنا هذا عند قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا والميدان الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ما يمد ميذا (المسئلة الثانية) المشهور عن الجمهور في تفسير هذه الآية ان قالوا ان السفينة اذ ألقيت على وجه الماء فانها تميد من جانب إلى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فاستوت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال الثقال فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل هذه الجبال ولقائل أن يقول هذا يشك من وجوه (الأول) ان هذا التعليل اما أن يذكر مع تسليم كون الأرض والماء ثقيلة بالطبع أو مع المنع من هذا الاصل ومع القول بأن حركات هذه الاجسام بطبيعتها أو ليست بطبيعتها بل هي واقعة بتخليق الفاعل المختار أما على التقدير الأول فهذا التعليل مشكل لان على هذا الاصل لا شك ان الأرض أثقل من الماء والاثقل من الماء يفوق في الماء ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق طافيا عليه امتنع أن يقال انها تميد وتميل وتضطرب وهذا بخلاف السفينة لانها منخدة من الخشب وفي داخل الخشب تجويغات مملوءة من الهواء فلهذا السبب تبقى الخشبية طافية على الماء فيتميد وتضطرب وتميل على وجه الماء فاذا أرسيت بالاجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق وأما على التقدير الثاني وهو أن يقال ليس للأرض ولا للماء طبائع توجب الثقل والرسوب والأرض إنما تنزل لان الله تعالى أجرى عادته يجعلها كذلك وإنما صار الماء محيطا بالأرض لمجرد اجراء العادة وليس ههنا طبيعة للأرض ولا للماء توجب حاله مخصوصة فنقول فعلى هذا التقدير علة سكنون الأرض هي ان الله تعالى يخلق فيها السكون وعلته كونها مائدة مضطربة هي ان الله تعالى يخلق فيها الحركة وعلى هذا التقدير فانه يفسد القول بأن الأرض كانت مائدة مائلة فخلق الله الجبال وأرساها عليها لتبقى ساكنة لان هذا إنما يصح اذا كانت طبيعة الأرض توجب الميدان وطبيعة الجبال توجب الارساء والثبات ونحن إنما نتكلم الآن على تقدير نفي الطبائع الموجبة لهذه الاحوال فثبت ان هذا التعليل

في انها أيضا أمور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مختص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فبناءً على ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الامر كذلك فانه ليس مما يتنازع فيه الخصم ولا يتلتم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر يقولون الله فاني يوفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء  
 فاحيي به الارض من بعد موتها يقولون الله الآية ﴿ ٤٤٠ ﴾ وانما ذلك أدلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم

أن يشاركه شيء في شيء  
 فضلا عن أن يشاركه  
 الجداد في الألوهية (ان  
 في ذلك) أي فيما ذكر  
 من التخصير المتعلق بما  
 ذكر مجعلا ومفصلا  
 (آيات) باهرة متكاثرة  
 (تقوم يعقلون) وحيث  
 كانت هذه الآثار العلوية  
 متعددة ودلالة ما فيها  
 من عظيم القدرة والعلم  
 والحكمة على الوجدانية  
 أظهر جمع الآيات وعلقت  
 بمجرد العقل من غير  
 حاجة إلى التأمل والتفكير  
 ويجوز أن يكون المراد  
 تقوم يعقلون ذلك فالشار  
 إليه حينئذ تعجب  
 الدقائق المودعة في  
 العلويات المدلول عليها  
 بالتخصير التي لا تصدى  
 لمعرفتها إلا المهرة من  
 أساطين علماء الحكمة  
 ولا ريب في أن احتياجها  
 إلى التفكير أكثر (وما  
 ذرا) عطف على قوله  
 تعالى والتجوم رفعا ونصبا  
 على أنه مفعول لجعل أي  
 وما خلق (لكم في الارض)  
 من حيوان ونبات حال  
 كونه (مختلفا ألوانه)  
 أي أصنافه فان اختلافها

مشكل على كل التقديرات (السؤال الثاني) هو أن ارساء الارض بالجبال انما يعقل  
 لاجل ان تبقى الارض على وجه الماء من غير أن تميد وتميل من جانب إلى جانب وهذا انما  
 يعقل اذا كان الماء الذي استقرت الارض على وجهه واقفا فنقول فما مقتضى لسكون  
 ذلك الماء ووقوفه في حيزه المخصوص فان قلت مقتضى لسكونه في ذلك الحيز المخصوص  
 هو أن طبيعته المخصوصة توجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فلم لا تقول مثله في الارض وهو  
 أن الطبيعة المخصوصة التي للارض توجب وقوفها في ذلك الحيز المعين وذلك يفسد القول  
 بأن الارض انما وقفت بسبب أن الله تعالى أرساها بالجبال فان قلت مقتضى لسكون  
 الماء في حيزه المعين هو أن الله تعالى سكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص فلم لا تقول  
 مثله في سكن الارض وحينئذ يفسد هذا التعليل أيضا (السؤال الثالث) ان مجموع  
 الارض جسم عظيم في تقدير أن تميد كليته وتضطرب على وجه البحر المحيط تظهر تلك  
 الحالة للناس فان قيل أليس ان الارض تحركها البخارات المحتقة في داخلها عند الازل  
 وتظهر تلك الحركات للناس فبم تنكرون على من يقول انه لولا الجبال لتحركت الارض  
 الا انه تعالى لما أرساها بالجبال الثقال لم تقو الرياح على تحريكها قلنا تلك البخارات انما  
 احتقت في داخل قطعة صغيرة من الارض فلما حصلت الحركة في تلك القطعة الصغيرة  
 ظهرت تلك الحركة قال القائلون بهذا القول ان ظهور الحركة في تلك القطعة المعينة من  
 الارض يجري مجرى اختلاج يحصل في عضو معين من بدن الانسان أما لو حررت كلية  
 الارض لم تظهر تلك الحركة ألا ترى ان الساكن في السفينة لا يحس بحركة كلية السفينة  
 وان كانت واقعة على أسرع الوجوه وأقواها فكذلكها هنا فما في هذا الوضع من  
 المباحث الدقيقة العميقة والذي عندي في هذا الوضع المشكل أن يقال ثبت بالدلائل  
 البقينية ان الارض كرة وثبت ان هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى  
 خشونات تحصل على وجه هذه الكرة اذا ثبت هذا فنقول لو فرضنا ان هذه الخشونات  
 ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات  
 اصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بآدمي سبب لان الجرم البسيط المستدير اما أن يجب كونه  
 متحركا بالاستدارة على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا أنه بآدمي سبب يتحرك على هذا  
 الوجه أما لما حصل على ظاهر سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالأخشونات الواقعة  
 على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه نحو مركز العالم وتوجه  
 ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يتم  
 كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على وجه الارض كالأوتاد  
 المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة فكانت مانعة للارض من الميل والميل  
 والاضطراب بمعنى أنها تمتع الارض من الحركة المستديرة فهذا ما وصل إليه مجي  
 في هذا الباب والله أعلم برأيه (النعمة الثانية) من النعم التي أظهرها الله تعالى على وجه

غالبا يكون باختلاف الاوان مسخره لله تعالى أولا خلق له من الخواص والاحوال والكميات أو جعل  
 ذلك مختلف الاوان أي الاصناف لتمتعوا من ذلك بأي صنفا شتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب  
 بأن ذكر الخلق لهم

مفني عن ذكر التسخير واقتدر بين الاول لا يستلزم الثاني لزوما فليجوز ان يكون ما خلق لهم من الزمراة صعب الثقل وقيل هو منصوب بفعل مقدر أي خلق وأثبت على أن قوله ﴿ ٤٤١ ﴾ مختلغا أولونه حال من مفعوله (ان في ذلك) الذي ذكر من

التسخيرات ونحوها  
(لاية) بينة الدلالة على  
أن من هذا شأنه واحد  
لانده ولا ضد (لقوم  
يذكرون) فان ذلك غير  
محتاج الا الى تذكر ما عسى  
يفعل عنه من العلوم  
الضرورية وأما ما يقال  
من أن اختلا فها في  
الطباع والهيئات  
والمناظر ليس الا بصنع  
صانع حكيم فدارها  
لو حنا به من حبان ما ذكر  
دليلا على اثبات الصانع  
تعالى وقد عرفت حقيقة  
الحال فان اراد ما يدل  
على ادصافه سبحانه  
بما ذكر من صفات  
الكمال ليس بطريق  
الاستدلال عليه بل من  
حيث ان ذلك من المقدمات  
المسلمة حتى به للاستدلال به  
على ما يقتضيه ضرورة  
من وحدانيته تعالى  
واستحالة ان يشاركه شيء  
في الألوهية (وهو الذي  
سخر البحر) شروع  
في تعداد التعم التعلق  
بالبحر اثر تفصيل التعم  
لمعلقة بالبرحيوانا وناياتنا  
أي جعله بحيث يتمكنون  
من الانتفاع به باركوب

الارض هي انه تعالى أجرى الانهار على وجه الارض واعلم انه حصل ههنا بحثان (البحث  
الاول) ان قوله وأنهارا معطوف على قوله وألقى في الارض رواسي والتقدير وألقى  
رواسي وانهارا وخلق الانهار لا يبعد ان يسمى باللقاء فيقال ألقى الله في الارض أنهارا كما  
قال وألقى فيها رواسي واللقاء معناه الجملة الاترى انه تعالى قال في آية أخرى وجعل فيها  
رواسي من فوقها وبارك فيها واللقاء يقارب الانزال لان اللقاء يدل على طرح الشيء من  
الاعلى الى الاسفل الأخرى المراد من هذا اللقاء الجملة والخلق قال تعالى وألقى عليك  
حبة مني (البحث الثاني) أنه ثبت في العلوم العقلية ان أكثر الانهار انما تنبع من منابعها  
في الجبال فلهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال اتبع ذكرها بتفجير العيون والانهار  
(النعمة الثالثة) قوله تعالى وسبلا لعلكم تهتدون وهي أيضا معطوفة على قوله وألقى  
في الارض رواسي والتقدير وألقى في الارض سبلا ومعناه أنه تعالى أظهرها وبينها لاجل  
ان تهتدوا بها في أسفاركم ونظيره قوله تعالى في آية أخرى وسلك لكم فيها سبلا وقوله لعلكم  
تهتدون أي لكي تهتدوا واعلم أنه تعالى لما ذكر انه أظهر في الارض سبلا معينة ذكر أنه  
أظهر فيها علامات مخصوصة حتى يتمكن المكلف من الاستدلال بها فيصل بواسطتها الى  
مقصوده فقال وعلامات وهي أيضا معطوفة على قوله في الارض رواسي والتقدير وألقى  
في الارض رواسي وألقى فيها أنهارا وسبلا وألقى فيها علامات والمراد بالعلامات معالم  
الطرق وهي الاشياء التي يهتدى وهذه العلامات هي الجبال وارياح ورأيت جماعة  
يشمون الزباب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرق قال الاخفش تم الكلام عند قوله  
وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كقولك  
كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ  
الحسن وبالنجم بضمين ويضمة فسكون وهو نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل  
حنف الواو من النجم تخفيفا فان قيل قوله أن تميد بكم خطاب الحاضر بن وقوله وبالنجم هم  
يهتدون خطاب للقائمين فما السبب فيه قلنا ان قر يسا كانت تكثر أسفارها لطلب المال  
ومن كثرت أسفارها كان علمه بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم فقوله وبالنجم  
هم يهتدون اشارة الى قر يسا للسبب الذي ذكرناه والله اعلم واختلف المفسرون فمنهم من  
قال قوله وبالنجم هم يهتدون مختص بالبحر لانه تعالى لما ذكر صفة البحر وما فيه من المنافع  
بين ان من يسيرون فيه يهتدون بالنجم ومنهم من قال بل هو مطلق يدخل فيه السير في البر  
والبحر وهذا القول أولى انه أعم في كونه نعمة ولان الاهتداء بالنجم قديم يحصل في الوقتين  
معاً ومن القهله من يجعل ذلك دليلا على ان المسافر اذا عمت عليه القبلة فانه يجب  
عليه أن يستدل بالنجوم وبالعلامات التي في الارض وهي الجبال وارياح وذلك صحيح لانه  
كما يمكن الاهتداء بهذه العلامات في معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها  
في معرفة طلب القبلة واعلم ان اشتباه القبلة اما ان يكون بعلامات لأتحة أو لا يكون فان

والفوس والاصطياد (لتأكلوا منه لجماليا) ﴿ ٥٦ ﴾ خا هو السمك والتعبير عنه بالجم مع كونه حيوانا للتلويح  
بأنحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبه على وجوب المسارعة الى أكله كيلا ينسارع

اليه الفساد كما ينبغي عنه جعل البحر مبدأ أكله ولا يذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ما زقاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري أن من حلف لا يأكل اللحم حث بأكله ﴿ ٤٤٢ ﴾ والجواب أن مبنى الايمان العرفي ولا ريب

في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو أمر حادمه بشراء اللحم فجاءه بالسلم لم يكن ممثلا بالامر ألا يرى الى أن الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يخشون الله حين يؤكلون لا يركب دابة (وتستخر جوامه حلية) كالواو والمرجان (نابسونها) عبر في مقام الامتنان عن ليس نسائهم بلبسهم لكونهم منهم أو لكون لبسهن لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه مقبلة ومدبرة ومعرضة بريح واحدة تشقه بحيز ومها من الخمر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبتغوا) عطف على تستخر جواروا عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادى الانتفاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على حلة مخدوفة أي لتبتغوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانبارى أو متعلقة بفعل مخدوف أى وفعل ذلك لتبتغوا (من فضله) من سعة رزقه بركوبها التجارة (واعلمكم تشكرون) أى

كانت لأئحة وجب أن يجب الاجتهاد ويوجه الى حيث غلب على الظن انه هو القبلة فان تبين الخطأ وجب الاعادة لانه كان مقصرا فيما وجب عليه وان لم تظهر العلامات فهناطرى يقان (أحدهما) ان يكون مخيرا في الصلاة الى أى جهة شاء لان الجهات لما تساوت وامتنع الترجيح لم يبق الا التحير (والطريق الثاني) ان يصل الى جميع الجهات فيتحذير يعلم يقين انه خرج عن العهدة وهذا كما يقوله الفقهاء فيمن نسي صلاة لا يعرفها بعينها ان الواجب عليه في القضاء ان يأتي بالصلوات الخمس ليكون على يقين من قضاء ما رزقه ومنهم من يقول الواجب منها واحدة فقط وهذا غلط لانه لما رزقه ان يفعل الكل كان الكل واجبا وان كان سبب وجوب كل هذه الصلوات فوت الصلاة الواحدة والله اعلم \* قوله تعالى (افن يخلق كمن لا يخلق أفلات تذكرون وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعشون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على وجود الاله القادر الحكيم على الترتيب الاحسن والنظم الاكل وكانت تلك الدلائل كما انها كانت دلائل فكذلك أيضا كانت شرحا وتفصيلا لانواع نعم الله تعالى وأقسام احسانه أتبعه بذكر ابطال عبادة غير الله تعالى والمقصود أنه لما دلت هذه الدلائل الباهرة والينات الزاهرة القاهرة على وجود اله قادر حكيم وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم والمهطى لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة موجود سواء لاسيما اذا كان ذلك الموجود جادا لا يفهم ولا يقدر فلهذا الوجه قال بعد تلك الآيات أفن يخلق كمن لا يخلق أفلات تذكرون والمعنى أفن يخلق هذه الاشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شئ أفلات تذكرون فان هذا القدر لا يحتاج الى تدبر وتفكر ونظر ويكفى فيه ان تنبهوا على ما في عقولكم من ان العبادة لا تليق الا بالنعمة الاعظم وأنتم ترون في الشاهدا نسانا طاقلا فاهما ينعم بالنعمة العظيمة ومع ذلك فتعلون انه يقبح عبادته فهذه الاصنام جادات محضة وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها وطاعتها (المسئلة الثانية) المراد بقوله من لا يخلق الاصنام وانها جادات فلا يخلق بها لفظة من لانها أولى العلم وأجيب عنه من وجوه (الاول) ان الكفار لما سموها آلهة وعبدوها لاجرم اجريت مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (والوجه الثاني) في الجواب أن السبب فيه المشاكلة بينه وبين من يخلق (والثالث) أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف من لا يعلم عنده كقوله ألهم أرجل يشون بها معنى ان الآلهة التي تدعونها حالهم منحلة عن حال من لهم أرجل وأيدواذان وقلوب لان هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف يصح منهم عبادتها وليس المراد أنه لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح أن يعبدوا فان قيل

تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها باطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر ﴿ قوله ﴾ من حيث ان فيها قطع المسافة طويلا مع أحوال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاوله اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسط الفوز بالملوب بين الابتغاء والشكر



لا يبدان باستثناءه عن التصريح به و بمحصلهما معا ( والى في الارض رواسي ) اي جبال لا توابت وقد مر تحقيقه في أول سورة الزهد ( أن تعبدكم ) كراهة ﴿ ٤٤٣ ﴾ أن تعبدكم وتضطرب أولًا لتعبدكم فان الارض قبل أن تخلق

فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتنا وتوجهت الجبال بشقلها نحو المركز فصارت كاللاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بقمر احد على ظهرها فأصيحت وقد أرسيت بالجبال ( وأنهارا ) أي وجعل فيه أنهارا لان في التي معنى الجمل ( وسبلالكم تهتدون ) بها الى مقاصدكم ( وعلامات ) معا يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل أن جماعة يشمون العراب ويعترفون به الطرقات ( وبالجمهم يهتدون ) بالليل في البراري والبحار حيث لاعلامه غيره والمراد بالجمهم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى وقرى بضمين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن

قوله أفن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام عبدة الاوثان حيث جعلوا غير الخالق مثل الخالق في التسمية بالاله وفي الاشتغال بعبادتها فكان حق الازام أن يقال أفن لا يخلق كمن يخلق والجواب المراد منه أن من يخلق هذه الاشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع الجليلة كيف يسوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية باسم الاله وفي الاشتغال بعبادتها والاقدام على غاية تعظيمها فوق التعظيم عن هذا المعنى بقوله أفن يخلق كمن لا يخلق ( المسئلة الثالثة ) احيى بعض أصحابنا بهذه الآية على ان العبد غير خالق لافعال نفسه فقال انه تعالى ميز نفسه عن سائر الاشياء التي كانوا يعبدونها بصفة الخالقية لان قوله أفن يخلق كمن لا يخلق الفرض منه بيان كونه متمازا عن الابداد بصفة الخالقية وانه انما استحق الالهية والمعبودية بسبب كونه خالقا فهذا يقتضى ان العبد لو كان خالقا لبعض الاشياء لوجب كونه الها معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والايجاد قالت المعتزلة الجواب عنه من وجوه ( الاول ) ان المراد أفن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والنجوم والجبال كمن لا يقدر على خلق شيء اصلا فهذا يقتضى ان من كان خالقا لهذه الاشياء فانه يكون الها ولم يلزم منه ان من يقدر على افعال نفسه ان يكون الها ( والثاني ) ان معنى الآية ان من كان خالقا كان أفضل ممن لا يكون خالقا فوجب امتناع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها والدليل عليه قوله تعالى ألهم أرجل يمشون بها ومعناه ان الذي حصل له رجل يمشى بها يكون أفضل من الذي حصل له رجل لا يقدر أن يمشى بها وهذا يوجب ان يكون الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يلبق به عبادة الاخس فهذا هو المقصود من هذه الآية ثم انها لا تدل على ان من حصل له رجل يمشى بها ان يكون الها فكذلك ههنا المقصود من هذه الآية بيان ان الخالق أفضل من غير الخالق فيمتنع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية ولا يلزم منه ان بمجرد حصول صفة الخالقية يكون الها ( والوجه الثالث ) في الجواب ان كثيرا من المعتزلة لا يطلقون لفظ الخالق على العبد قال الكوفي في تفسيره اننا نقول انا نخلق أفعالنا قال ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين واعلم ان أصحاب أبي هاشم يطلون لفظ الخالق على العبد حتى ان أباعبد الله البصير بالغ وقال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وذلك عبارة عن الظن والحسبان وهو في حق العبد حاصل وفي حق الله تعالى محال واعلم ان هذه الاجوبة قوية والاستدلال بهذه الآية على صحة مذهبنا ليس بقوى والله أعلم اما قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ففيه مستلذان ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى لما بين بالآية المتقدمة ان الاشتغال بعبادة غير الله باطل وخطأ بين بهذه الآية ان العبد لا يمكنه الاتيان بعبادة الله تعالى وشكر نعمه والقيام

ورهن وقيل الاول بطريق حنف الواو من التجمو للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالجمم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه أزم لهم وأوجب عليهم

(افن يخلق) هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة ويخلق كل شيء (كن لا يخلق) شيئا أصلا وهو تكبكت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ﴿ ٤٤٤ ﴾ ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه

بمقتضى كرمه على سبيل الكمال والتمام بل العبد وان أتعب نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ في شكر نعمة الله تعالى فانه يكون مقصرا وذلك لان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلمه بتلك النعم على سبيل التفصيل والتحصيل فان ما لا يكون متصورا ولا مفهوما ولا معلوما امتنع الاشتغال بشكره الا ان العلم بنعم الله تعالى على التفصيل غير حاصل للعبد لان نعم الله تعالى كثيرة واقسامها وشعبها واسعة عظيمة وعقول الخلق قاصرة عن الاحاطة بمباديها فضلا عن غاياتها فثبت انها غير مطومة على سبيل التفصيل وبما كان كذلك امتنع الاشتغال بشكره على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لاثبات تلك النعم فهذا هو المفهوم من قوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني انكم لا تعرفونها على سبيل التمام والكمال واذا لم تعرفوها امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام والكمال وذلك يدل على ان شكر الخلق قاصر عن نعم الحق وعلى ان طاعات الخلق قاصرة عن روية الحق وعلى ان معارف الخلق قاصرة عن كنهه جلال الحق وبما يدل قطعا على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة اقسام نعم الله تعالى ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتفقد العيش على الانسان ولتختل الدنيا حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الاكمل الاصلح مع الانسان لاعلمه بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه ولا بدفع مفاسده فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهيأة لا تنفاهك بها حتى تعلم ان عقول الخلق تغني في معرفة حكمة الرحمن في خلق الانسان فضلا عن سائر وجوه الفضل والاحسان فان قيل فلما قررتم ان الاشتغال بالشكر موقوف على حصول العلم باقسام النعم ودلائمها على ان حصول العلم باقسام النعم محال أو غير واقع فكيف أمر الله الخلق بالقيام بشكر النعم قلنا الطريق اليه ان يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلها ومجملها فهذا هو الطريق الذي به يمكن الخروج عن عهدة الشكر والله أعلم (المسئلة الثانية) قال بعضهم انه ليس لله على الكافر نعمة وقال الاكثرون لله على الكافر والمؤمن نعم كثيرة والدليل عليه ان الانعام بخلق السموات والارض والانعام بخلق الانسان من النطفة والانعام بخلق الانعام وبخلق الخيل والبغال والحمير ويخلق اصناف النعم من الزرع والزيوت والتخيل والاعصاب وبتسخير البحر لياكل الانسان منه لمخاطريا ويستخرج منه حلية يلبسها كل ذلك مشترك فيه بين المؤمن والكافر ثم أكد تعالى ذلك بقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وذلك يدل على ان كل هذه الاشياء نعم من الله تعالى في حق الكل وهذا يدل على ان نعم الله واصلة الى الكافر والله أعلم أما قوله ان الله لغفور رحيم اعلم انه تعالى قال في سورة ابراهيم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان اظلم كفار وقال ههنا ان الله لغفور رحيم والمعنى انه لما بين بان الانسان لا يمكنه القيام باداء الشكر على سبيل التفصيل قال ان الله لغفور رحيم اي غفور

سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضى ذلك اقتضاء مظهر او تعقيب الهمة بالغاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبا يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الايتين والاقنار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها وأظهرها واستباعد اياها ولوكون كل منها خلقا مخصوصا أي ابعدهم و اختصاصه تعالى بمبدئية هذه النون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمنزل من ذلك بالمره كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق

سبق الملكة على العدم وثغاديا عن توسط عدمها بينهما وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتبديها ﴿ للتفصير ﴾ على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محطها بل هو حط المنزلة الى رتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد عن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتجبر عنه

بما يخص بالانصاف للمشكلة او الظلم خاصة ويعرف منه حال قبحهم بدلالة النص فان من خلق حيث لم يكن  
كن لا يخلق وهو من جهة الظلم فالخلق ٢٤٥ ﴿ بالجادوا بما كان قد خول الاصنام في حكم عدم الملائكة والشياطين

اما بطريق الاندراج  
تحت الوصول العام  
واما بطريق الاتهام  
بدلالة النص على الطريقة  
البرهانية لا بانها هي  
المرادة بالموصول خاصة  
(أفلا تذكرن) أي  
ألا تلاحظون فلا  
تذكرن ذلك فانه  
لوضوحه بحيث لا يفتقر  
الى شيء سوى التذكير  
(وان تعدوا نعمت الله)  
تذكيرا جاليا لنعمته تعالى  
بعد تعداد ما شئتم منها  
وكان الظاهر ارادة  
عقوبتها تكلمة لها على  
طريقة قوله تعالى ويخلق  
ما لا تعلمون ولعل فصل  
ما بينهما بقوله تعالى  
أفمن يخلق كمن لا يخلق  
أفلا تذكرن للبادرة  
الى الزام الجهة والقائه  
الحجرا ثم تفصيل ما فصل  
من الافاضل التي هي  
ادلة الموحدين نسبة مع  
ملفئه من سرسنتف عليه  
ودلاتها عليها وان  
لم تكن مقصورة على  
حيثية الخلق ضرورة  
ظهور دلالتها عليها  
من حيثية الانعام ايضا  
لكهما حيث كانت من  
مستبعات الحيثية الاولى  
استغنى عن التصريح  
بها ثم بين حالها

للتصغير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه رحيم بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب  
تقصيركم اما قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ففيه وجهان (الاول) ان الكفار كانوا مع  
اشتمالهم بعبادة غير الله تعالى يسرون ضروبا من الكفر في مكاييد الرسول عليه السلام  
فقبل هذا نذر جر الهمة حيا (والثاني) انه تعالى زيف في الآية الاولى عبادة الاصنام بسبب  
انه لا قدرة لها على الخلق والانعام وزيف في هذه الآية ايضا عبادتها بسبب ان الاله يجب  
ان يكون طالما بالسر والعلانية وهذه الاصنام جادات لا معرفة لها بشيء أصلا فكيف  
تحسن عبادتها اما قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فاعلم انه  
تعالى وصف هذه الاصنام بصفات كثيرة (فالصفة الاولى) انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون  
قرأ حطص عن عاصم يسرون ويعلنون ويدعون كلها بالياء على الحكاية عن الغائب وقرأ  
أبو بكر عن عاصم يدعون بالياء خاصة على المغايبه وتسرون وتعلنون بالياء على الخطاب  
والباقيون كلها بالياء على الخطاب عطفًا على ما قبله فان قيل اليس ان قوله أفي ول الآية  
أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا وقوله ههنا لا يخلقون شيئا يدل  
على نفس هذا المعنى فكان هذا بعض التكرير وجوابه ان المذكور في أول الآية انهم  
لا يخلقون شيئا والمذكور ههنا انهم لا يخلقون شيئا وانهم مخلوقون لغيرهم فكان هذا زيادة  
في المعنى وكانه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذواتهم وصفاتهم فيبين اولانها لا تخلق شيئا ثم  
بين ثانيا انها لا تخلق غيرها فهي مخلوقة لغيرها (والصفة الثانية) قوله أموات غير أحياء  
والعنى انها لو كانت آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائر عليها الموت  
كأطى الذي لا يموت سبحانه وتعالى وامر هذه الاصنام على العكس من ذلك فان قيل لما  
قال أموات علم أنها غير أحياء فالغائبة في قوله غير أحياء والجواب من وجهين (الاول)  
ان الاله هو الحي الذي لا يحصل عقيب حياته وموت وهذه الاصنام أموات لا يحصل عقيب  
موتها الحلية (والثاني) ان هذا الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية  
الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الضال الذي قد يحسن ان يعبر عن المعنى الواحد  
بالعبارات الكثيرة وفرضه منه الاعلام بكون ذلك المخاطب في غاية الغباوة وأنه انما يعيد  
تلك الكلمات لتكون ذلك السامع في نهاية الجهالة وانه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة  
الواحدة (الصفة الثالثة) قوله وما يشعرون أي ان يعشون والضمير في قوله وما يشعرون هاند  
الى الاصنام وفي الضمير في قوله يشعرون قولان (احدهما) انه طأد الى العابدين للاصنام  
يعنى ان الاصنام لا يشعرون متى تبيحت عبادتهم وفيه تمكيد بالشركين وان آلهتهم لا يعلمون  
وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء عنهم على عبادتهم (والثاني) انه طأد الى الاصنام  
يعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى بعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله يبعث الاصنام  
ولها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بها الى النار فان قيل الاصنام جادات والجدادات  
لا توصف بانها أموات ولا توصف بغيرهم لا يشعرون كذا وكذا والجواب عنه من وجوه

بطريق الاجمال أي ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبا يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم  
ما في الارض جميعا (لا تعصوها) أي لا تطيعوا حصرها وضبط عددها ولو اجالا فضلا عن القيام بشكرها  
وقد خرجنا عن عهدة تعاقبه في صورة ابراهيم بفضل الله

سبحانه (انا لله لفقور) حيث يستمر طرد منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يماجلكم بالتوبة على فلك  
 (رحيم) حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون (٤٤٦) وتذرون من أصناف الكفر التي من جنسها

(الاول) ان الجناد قد يوصف بكونه ميتا قال تعالى يخرج الحي من الميت (الثاني) ان القوم  
 لما وصفوا تلك الاصنام بالالهية والمعبودية قيل لهم ليس الامر كذلك بل هي اموات  
 ولا يعرفون شيئا فتركت هذه العبارات على وفق معتقدهم (والثالث) أن يكون المراد بقوله  
 والذين يدعون من دون الله الملائكة وكان نلس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم  
 اموات لا بد لهم من الموت غير احياء أى غير باقية حياتهم وما يشعرون ايان يبشون أى  
 لا علم لهم بوقت بعثهم والله اعلم قوله تعالى (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة  
 قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يجب  
 المستكبرين) اعلم انه تعالى لما زيف فيما تقدم طريقة عبدة الاوثان والاصنام وبين فساد  
 مذهبهم بالدلائل القاهرة قال الهكم اله واحد ثم ذكر تعالى ما لاجله أصمر الكفار على  
 القول بالشرك وانكار التوحيد فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم  
 مستكبرون والمعنى ان الذين يؤمنون بالآخرة ولا يخرون يرضون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون  
 الوقوع في العقاب الدائم اذا سمعوا الدلائل والترهيب والترهيب خافوا العقاب فتأملوا  
 وتفكروا فيما يسمونه فلا جرم ينتفون بسماع الدلائل ويرجعون من الباطل الى  
 الحق أما الذين لا يؤمنون بالآخرة وينكرونها فانهم لا يرضون في حصول الثواب  
 ولا يرهبون من الوقوع في العقاب فيبقون منكبين لكل كلام يخالف قولهم ويستكبرون  
 عن الرجوع الى قول غيرهم فلا جرم يبقون مصرين على ما كانوا عليه من الجهل والضلال  
 ثم قال تعالى لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والمعنى انه تعالى يعلم ان اصرارهم  
 على هذه المذاهب الفاسدة ليس لاجل شبهة تصوروها أو اشكال تخيلوها بل ذلك لاجل  
 التقليد والنفرة عن الرجوع الى الحق والشغف بنصرة مذاهب الاسلاف والتكبر  
 والتخوة فلماذا قال انه لا يجب المستكبرين وهذا الوعيد يتناول كل المتكبرين قوله  
 تعالى (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم  
 القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الاسماء ما يزرون) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير  
 دلائل التوحيد واورد الدلائل القاهرة في أبطال مذاهب عبدة الاصنام ذكر بعد ذلك  
 شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها (فالشبهة الاولى) ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم لما احتج على صحة نبوة نفسه بكون القرآن معجزة طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير  
 الاولين وليس هو من جنس المعجزات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان  
 ذلك السائل من كان قيل هو من كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو  
 قول المتقسمين الذين اقتسموا داخل مكة يتفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا  
 هم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) لتأمل ان  
 يقول كيف يكون تنزيل رسهم اساطير الاولين وجوابه من وجوه (الاول) انه المذكور  
 على سبيل السخرية كقوله تعالى عنهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله يا ايها

عدم الفرق بين الخالق  
 وغيره وكل من فلك نعمة  
 وأيا نعمة فاجله تمليل  
 للحكم بعلم الاحصاء  
 وتقديم وصف المفخرة على  
 نعت الرحمة لتقدم الخلية  
 على التحلية ( والله يعلم  
 ماتسرون ) تضمونه  
 من العقائد والاعمال  
 ( وما تعلنون ) أى  
 تظهرونه منها وحذف  
 العائلا راحة الفواصل  
 أى يستوى بالنسبة الى  
 علمه المحيط سرهم وعلمكم  
 وفيه من الوعيد والدلالة  
 على اختصاصه سبحانه  
 بنوع الالهية ما لا يخفى  
 وتقديم السر على العلن  
 لما ذكرناه في سورة البقرة  
 وسورة هود من تحقيق  
 المساواة بين عليه المتعلقين  
 بهما على ابلغ وجه كان  
 علمه تعالى بالسراقدم  
 منه بالعلن أو لان كل  
 شئ يعلن فهو قبل ذلك  
 مضمير في القلب فتعلق  
 علمه تعالى بحالته الاولى  
 اقدم من تعلقه بحالته  
 الثانية (والذين يدعون)  
 شروع في تحقيق كون  
 الاصنام بعزل من  
 استحقاق العبادة

وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديدا وصفها واحوالها المنافية لتلك منافاة ظاهرة وتلك الذى  
 الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتشبيه على كمال حقاقتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح  
 أى والاكهة الذين يعبدونهم الكفار ( من دون الله ) سبحانه وقرى على صيغة المبني

المسئول ونهى الخطأ ( لا يخطون شيئا ) من الاشياء اصلا أى ليس من شأنهم ذلك وللممكن بين نفي الخالقين وبين  
المخلوقة تلازم بحسب المفهوم وان تلازما ﴿ ٤٤٧ ﴾ في الصدق أثبت لهم ذلك صريحا قبيلا ( وهم يخلقون )

أى شأنهم ومقتضى ذاتهم  
المخلوقة لانها ذات ممكنة  
مفتقرة في ماهياتها  
ووجوداتها الى الموجد  
وبناء الفعل للفعل لتحقيق  
التضاد والقبالة بين  
ما ثبت لهم وبين ما نفي  
عنهم من وصفى المخلوقة  
والخالقية ولا يذان بعدم  
الافتقار الى بيان الفاعل  
لظهور اختصاص الفعل  
بفاعله جل جلاله ويجوز  
أن يحمل الخلق الثانى  
عبارة عن التحدث والتصوير  
رعاية للمشاكله بينه وبين  
الاول ومبالغة في كونهم  
مصنوعين بعدتهم وأعجز  
عنهم وايداننا بكمال ركافة  
عقولهم حيث أشركوا  
بمخالقتهم مخلوقهم  
واما جعل الاول أيضا  
عبارة عن ذلك كما فعل  
فلا وجه له اذ القدرة  
على مثل ذلك الخلق  
ليست مما يدور عليه  
استحقاق العبادة أصلا  
ولما أن اثبات المخلوقة لهم  
غير مستدع لنفي الحياة  
عنهم لما أن بعض المخلوقين  
أحياء صرح بذلك قبيلا  
( اموات ) وهو خبر ثان  
للموصول بالضمير كما قيل

الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وقوله يا ايها الساحراد مع لنا ربك ( الثانى ) أن يكون  
التقدير هذا الذى تذكر انهم من ربكم هو أساطير الاولين ( الثالث ) يحتمل أن يكون  
المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزله الله ولكنه أساطير الاولين ليس فيه شئ من  
العلوم والقصاصات والحقائق واعلم انه تعالى لما حكى شبههم قال يحملوا اوزارهم  
كاملة يوم القيامة اللام فى يحملوا الام العاقبة وذلك لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير  
الاولين لاجل أن يحملوا اوزارهم ولكن لما كانت طاقتهم ذلك حسن ذكر هذه اللام  
كقوله فاتقوا الله ان يكون لهم عدوا وخزنا وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف  
من عقابهم شيئا بل يوصل ذلك العقاب بكليته اليهم وأقول هذا يدل على أنه تعالى قد يسقط  
بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص  
هؤلاء الكفار بهذا التكميل معنى وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم معناه يحصل للرؤساء  
مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ايماداع  
دعا الى الهدى فاتبع كأنه مثل أجر من اتبعه لا ينقص من أجورهم شئ وايماداع دعا  
الى ضلالة فاتبع كأن عليه مثل وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شئ واعلم أنه ليس المراد  
منه أنه تعالى يوصل العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء وذلك لان هذا لا يليق  
بعدل الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى وأن ليس للانسان الاماسى وقوله ولا تزوروا  
وزرا أخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون  
مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع قال الواحدى ونقطة من في قوله ومن  
اوزار الذين يضلونهم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض خلف عن الاتباع بعض  
اوزارهم وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من اوزارهم شئ ولكنها  
لجنس أى ليصلوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون  
على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم انه  
تعالى ختم الكلام بقوله ألساء ما يزرون والمقصود بالمبالغة فى الزجر فان قيل انه تعالى لما  
حكى عن القوم هذه الشبهة لم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فالسبب فيه قلنا  
السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن مجزيا بطريقين ( الاول ) أنه صلى الله عليه وسلم  
تحدثهم بكل القرآن وتارة بعشر سورة وتارة بسورة واحدة وتارة بمحدث واحد وعجزوا عن  
المعارضة وذلك يدل على كونه مجزيا ( الثانى ) انه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها فى آية أخرى  
وهو قوله أكتبها فهى على بكرة وأصيلا وابطلها بقوله قل انزله الذى يعلم السر  
فى السموات والارض ومعناه أن القرآن مشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتأتى  
الا من يكون طالبا بسر السموات والارض فلما ثبت كون القرآن مجزيا بهذين الطريقين  
وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد  
ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة والله أعلم \* قوله تعالى ( قدم مكر الذين

أوخبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتربه الحياة سابقا أولا حقا كاجساد الحيوان والتطف التى  
يشتهها الله تعالى حيوانا احتز عن ذلك قبيل ( خير أحياء ) أى لا يعتربها الحياة أصلا فهى أموات على الاطلاق  
وأما قوله تعالى ( وما يشعرون أبان )

يه ثون) أي ما بشر أولئك الألهة أين يبعث صديقتهم فعلى طريقة التهمك بهم لان شعور الجلم بالانهد الغناهم  
بديهي الاحتمال عند كل أحد فكيف بالاعلمه الا العظيم ﴿ ٤٤٨ ﴾ الخبير وفيه ايدان بأن البصر من لوان

من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من  
حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزن بهم ويقول ابن كافي الدين كنتم تشاقون فيهم قال  
الدين أو تو العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي  
انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون اعلم ان المقصود  
من هذه الآية المبالغة في وصف وعيد أولئك الكفار وفي المراد بالذين من قبلهم قولان  
(الاول) وهو قول الاكثر من المفسرين ان المراد منه نمرود بن كنعان بن صرحا عظيما  
يبال طول خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان ورام منه الصعود الى السماء ليقابل أهلها  
فلمراد بالمكرههنا بنه الصرح لمقاتلة أهل السماء (والقول الثاني) وهو الاصح ان هذا عام  
في جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالمحقين أما قوله تعالى فأتى الله  
بنيانهم من القواعد ففيه مسلتان ( المسئلة الاول ) ان الاتيان والحركة على لغة  
محال فالمراد أنهم لما كفروا أتاهم الله بزلزل قلع بها بنيانهم من القواعد والاساس  
( المسئلة الثانية ) في قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد قولان (الاول) أن هذا محض  
التشيل والمعنى أنهم رتبوا منصوبات ليكروا بها أنبياء الله تعالى فجعل الله تعالى حالهم  
في تلك المنصوبات مثل حال قوم بنو ابيانا وعمدوه بالاساطين فأنهدم ذلك البناء وضعت  
تلك الاساطين فسقط السقف عليهم ونظيره قولهم من حفر يثر لا أخيه أو قعه الله فيه  
(والقول الثاني) أن المراد منه ما دل عليه الظاهر وهو أنه تعالى أسقط عليهم السقف  
وأماهم تحته والاول أقرب الى المعنى أما قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ففيه  
سؤال وهو ان السقف لا يختر الامن فوقهم فامعنى هذا الكلام وجوابه من وجهين  
(الاول) أن يكون المقصود التأكيد (والثاني) ر بما خرا السقف ولا يكون تحته أحد فلما  
قال فخر عليهم السقف من فوقهم دل هذا الكلام على أنهم كانوا تحته حينئذ يفيد هذا  
الكلام ان الابنية قد تهدمت وهم ما توا تحتها وقوله وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون  
ان حلتنا هذا الكلام على محض التشيل فالامر ظاهر والمعنى انهم اعتمدوا على منصوباتهم  
ثم تولد البلا منها باعيانها وان حلتنا على الظاهر فالعنى أنه نزل ذلك السقف عليهم بقعة  
لانه اذا كان كذلك كان أعظم في الزجر لمن سلك مثل سبيلهم ثم بين تعالى أن عذابهم لا يكون  
مقصورا على هذا القدر بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة والخزي هو العذاب مع  
الموان وفسر تعالى ذلك الموان بأنه تعالى يقول لهم أين شركائي الذين كنتم تشاقون  
فيهم وفيه ابجاث (الاول) قال الزجاج قوله أين شركائي معناه أين شركائي في ذنوبكم  
واعتقادكم ونظيره قوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وقل ايضا وقال شركاؤهم  
ما كنتم آياتا تعبديون وانما حسنت هذا لاضافته لانه يكتفي في حسن الاضافة انه سبب وهذا  
كما قال لمن يحمل خشبة خذ طرفك وآخذ طرفي فأضيف الطرف اليه (البصث الثالث) قوله  
تشاقون فيهم أي تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم وقيل المشقة عبارة عن كون

التكليف وأن معرفة  
وقته مما لا يمنه في الالوهية  
(الهكم اله واحد)  
لا يشاركه شيء في شيء  
وهو تصريح بالمدعى  
وتخصيص النتيجة باقامة  
الجملة (فان الذين لا يؤمنون  
بالآخرة) واحوالها التي  
من جعلتها ما ذكر من البعث  
وما يقبته من الجزاء المستلزم  
لعمو بهم وذلهم  
(قلوبهم منكورة)  
للوحدانية جاحدة لها  
أولآيات الدالة عليها  
(وهم مستكبرون)  
عن الاعتراف بها  
أوعن الآيات الدالة عليها  
والغناء للايدان بأن  
اصرارهم على الانكار  
واستمرارهم على الاستكبار  
وقع موقع النتيجة للدلائل  
لظاهرة والبواهي الباهرة  
والعنى انه قد ثبت بما قرر  
من الحجج والبيانات  
اختصاص الالهية به  
سبحانه فكان من نتيجة  
ذلك اصرارهم على ما ذكر  
من الانكار والاستكبار  
وبناء الحكم المذكور  
على الموصول للاشعار  
بكونه معطلا بما في حيز  
الصلة فان الكفر بالآخرة  
و بما فيها من البعث

والجزاء المتوع الى التولب على الطاعة والعقاب على المعصية يومئذ الى قصر النظر على الهاجل والاهراض ﴿ واحد ﴾  
عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها واتكار مؤذاهوا والاستكبار عن اتباع الرسول عليه الصلوات والبركات  
وتصدقوه أو ما الايمان بها وما فيها

فيذوه لاجرم الى التامل في الآيات والدلائل ورضية ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى (لاجرم) أي حقا وقد من تحققت في سورة هود (ان ﴿ ٤٤٩ ﴾ الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلمون) من

استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجاز بهم بذلك (انه لا يجب المستكبرين) تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يجب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها ولا يجب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر (واذا قيل لهم) أي لا واثق المتكبرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غيب بيان ضلالهم (ماذا انزل ربكم) القائل الواقدون عليهم والمسلون أو بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شيء انزل أو ما الذي انزله (قالوا اساطير الاولين) أي ما تدعون نزوله والمنزل بطريق السخرية احاديث الاولين وأباطيلهم وليس من الازال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله

أحد الحميمين في شق وكون الآخر في الشق الآخر (البحث الثالث) قرأنا فم تشاقون بكسر النون على الاضافة والباقون بفتح النون على الجمع ثم قال تعالى قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفيه بحثان (الاول) قال الذين أوتوا العلم قال ابن عباس يريد الملائكة وقال آخرون هم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين والفائدة فيه أن الكفار كانوا يشكرون على المؤمنين في الدنيا فاذا ذكر المؤمنون هذا الكلام يوم القيامة في معرض اهانته الكافر كان وقع هذا الكلام على الكافر وتأثيره في ايدائه أكمل وحصول الشماتة به أقوى (البحث الثاني) المرجحنا حجبوا هذه الآية على أن العذاب مخصص بالكافر قالوا لان قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على أن ماهية الخزي والسوء في يوم القيامة مخصصة بالكافر وذلك ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم وتأكد هذا بقول موسى عليه السلام ان اقدأوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف عذاب هؤلاء الكفار من وجه آخر فقال الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قرأ حزة يتوفاهم الملائكة بالياء لان الملائكة ذكور والباقون بالياء للفظ ثم قال فألقوا السلم ما كانوا يعمل من سوء وفيه قولان (الاول) أنه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من الموت قال ابن عباس أسلوا وأقروا الله بالعبودية عند الموت وقوله ما كنا نعمل من سوء أي قالوا ما كنا نعمل من سوء والمراد من هذا سوء الشرك فقالت الملائكة ردا عليهم وتكديبا بلي ان الله عليهم بما كنتم تعملون من التكذيب والشرك ومعنى بلي رد قولهم ما كنا نعمل من سوء وفيه قولان (الاول) انه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من الموت (والقول الثاني) انه تم الكلام عند قوله ظالمي أنفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة والمعنى انهم يوم القيامة ألقوا السلم وقالوا ما كنا نعمل في الدنيا من سوء ثم ههنا اختلفوا فالذين جوزوا الكذب على أهل القيامة قالوا هذا القول منهم على سبيل الكذب وانما أقدموا على هذا الكذب لغاية الخوف والذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم قالوا معنى الآية ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا وفي اعتقادنا وأما بيان أن الكذب على أهل القامية هل يجوز أم لا فقد ذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا ما كنا نعمل من سوء قال بلي ان الله عليهم بما كنتم تعملون ولا يبعد أن يكون قائل هذا القول هو الله تعالى أو بعض الملائكة ردا عليهم وتكديبا بهم ومعنى بلي الرد لقولهم ما كنا نعمل من سوء وقوله ان الله عليهم بما كنتم تعملون يعني انه عالم بما كنتم عليه في الدنيا فلا ينعفكم هذا الكذب فانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم ثم صرح بذكر العقاب فقال (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) وهذا يدل على تفاوت منازلهم في العقاب فيكون عقاب بعضهم أعظم من عقاب بعض وانما صرح تعالى بذكر الخلود

عليه وسلم عند سؤال ﴿ ٥٧ ﴾ خا وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام (ليحملوا) متعلق بقالوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا (أوزارهم) الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شيء بشكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا

(ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شر يكافئ ههنا بضله وهذا يطاوعه فيهما لان الوزر واللام للتعليل في ﴿ ٤٥٠ ﴾ نفس الامر من غير أن يكون عرضا وصيفة

ليكون الغم والحزن أعظم ثم قال ( فلبس مشوى المتكبرين ) عن قبول التوحيد وسائر ما أنت به الانبياء وتفسير التكبر قد مر في هذا الكتاب غير مرة والله أعلم بقوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولو تعلم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين اتقواهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الاقوام الذين اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين وذكر انهم يحملون أوزارهم ومن أوزار أتباعهم وذكر أن الملائكة تنوفاهم ظلمى أنفسهم وذكر انهم في الآخرة يلقون السلم وذكر انه تعالى يقول لهم ادخلوا أبواب جهنم أتبعه بذكر وصف المؤمنين الذين اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا وذكر ما عده لهم في الدنيا والآخرة من منازل الخيرات ودرجات السموات ليكون وعد هؤلاء مذكورا مع وعيد أولئك وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال القاضي يدخل تحت التقوى ان يكون تاركا لكل المحرمات فاعلا لكل الواجبات ومن جمع بين هذين الامرين فهو مؤمن كامل الايمان وقال أصحابنا ير يد الذين اتقوا الشرك وأيقنوا أنه لا اله الا الله محمد رسول الله وأقول هذا أولى مما قاله القاضي لاننا بينا أنه يكفي في صدق قوله فلان قاتل أو ضارب كونه آتيا بقتل واحد وضرب واحد ولا يتوقف صدق هذا الكلام على كونه آتيا بجميع أنواع القتل وجميع أنواع الضرب فعلى هذا قوله وقيل للذين اتقوا يتناول كل من أتى بنوع واحد من أنواع التقوى الا اننا أجمعنا على أنه لا بد من التقوى عن الكفر والشرك فوجب أن لا يزيد على هذا القيد لانه لما كان تقييد المطلق خلاف الاصل كان تقييد المقيدا كثر تخالفه للاصل وأيضا فلانه تعالى انما ذكر هؤلاء في مقابلة أولئك الذين كفروا وأشركوا فوجب أن يكون المراد من اتقى عن ذلك الكفر والشرك والله أعلم (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول انه قال في الآية الاولى قالوا أساطير الاولين وفي هذه الآية قالوا خيرا فلم يقع الاول ونصب هذا أجاب صاحب الكشاف عنه بأن قال المقصود منه الفصل بين جواب القرو جواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعموا وأطبعوا الجواب على السؤال بينما مكشوفاً مفعولا للانزال فقالوا خيرا أى انزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال في شئ (المسئلة الثالثة) قال المفسرون هذا كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه ساحر وكاهن وكتاب فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا والمعنى أنزل خيرا ويحتمل أن يكون المراد الذي قاله من الجواب موصوف بأنه خير وقوله خير جامع لكونه حقا وصوابا ولكونهم معترفين بصحته وزومه فهو بالضد من قول الذين لا يؤمنون بالآخرة ان ذلك أساطير الاولين على وجه التكذيب (المسئلة الرابعة) قوله للذين

الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أى يضلونهم غير عالين بان ما يدعون اليه طريق الضلال وأما حله على معنى غير عالين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والاضلال على أن يكون العامل في الحال قالوا وتأيد به سياتى من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حل ما ذكر من أوزار الضلال و الاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوى كما استشف عليه أحوال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبية على

أن جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق الحقيق ﴿ أحسنوا ﴾ بالاتباع وبين المبطل (الاساء مايزرون) أى بئس شيثا يزرونه ما ذكر (قدمم الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى أنفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من



العذاب العاجل اى قدسوا ومنصوبات ليكروا بهارسل الله تعالى ( فأتى الله ) اى أمره وحكمة ( بنيانهم ) وقرى  
يتهم و يوتهم ( من القواعد ) وهى الاساطين ﴿ ٤٥١ ﴾ التى تعمده أو أساسه فضعفت أركانها ( فخر عليهم  
السقف من فوقهم )

اى سقط عليهم سقف  
بنيانهم اذ لا يتصور له  
القيام بعد تهدم القواعد  
شبهت حال أولئك الما  
كرين فى تسويتهم المكاييد  
والمنصوبات التى أرادوا  
بها الايقاع برسلى الله  
سبحانه وفى ابطاله تعالى  
تلك الخيل والمكاييد  
وجعله اياها أسبا با  
لهلاكهم بحال قوم  
بنو ابينا و عمدوه بالاساطين  
فأتى ذلك من قبل  
أساطينه بأن ضعفت  
فسقط عليهم السقف  
فهلكوا وقرى فخر  
عليهم السقف بضمتين  
( وأتاهم العذاب ) اى  
الهلاك والدمار ( من  
حيث لا يشعرون ) بانيانه  
منه بل يتوقعون اتيان  
مقابله بما يريدون ويشتهون  
والمعنى ان هؤلاء الماكرين  
القائلين للقرآن العظيم  
أساطير الاولين سيأتهم  
من العذاب مثل ما أتاهم  
وهم لا يحتسبون والمراد به  
العذاب العاجل لقوله  
سبحانه ( ثم يوم القيامة  
يخزيهم ) فانه عطف  
على مقدر يشجب عليه

أحسنوا وما بعده بدل من قوله خيرا وهو حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول  
و يجوز أيضا أن يكون قوله للذين أحسنوا اخبارا عن الله والتقدير ان المتقين لما قيل لهم  
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ثم انه تعالى أكد قولهم وقال للذين أحسنوا فى هذه الدنيا  
حسنة وفى المراد بقوله للذين أحسنوا قولان أما للذين يقولون ان أهل لاله الا الله  
يخرجون من النار فانهم يحملونه على قول لاله الا الله مع الاعتقاد الحق وأما المعتزلة  
الذين يقولون ان فساق أهل الصلاة لا يخرجون من النار يحملون قوله أحسنوا على من  
اتى بالايان وجيم الواجبات واحترز عن كل المحرمات وأما قوله فى هذه الدنيا  
ففيه قولان ( أحدهما ) انه متعلق بقوله أحسنوا والتقدير للذين اتقوا بعمل الحسنه  
فى الدنيا فلهم فى الآخرة حسنة وتلك الحسنه هى الثواب العظيم وقيل تلك الحسنه هو  
ان ثوابها يضاعف بعشر مرات و بسبعمائة الى ما لانهاية له ( والقول الثانى ) ان قوله  
فى هذه الدنيا متعلق بقوله حسنة والتقدير للذين أحسنوا أن تحصل لهم الحسنه فى الدنيا  
وهذا القول أولى لانه قال بعده ولدار الآخرة خيرا وعلى هذا التقدير فى تفسير هذه  
الحسنه الحاصلة فى الدنيا وجوه ( الاول ) يحتمل أن يكون المراد ما يستحقونه من المدح  
والتعظيم والثناء والرفعة وجميع ذلك جزاء على ما عملوه ( والثانى ) يحتمل ان يكون المراد به  
الظفر على أعداء الدين بالحجة وبالغلبة لهم وباستغنام أموالهم وقبح بلادهم كما جرى بيدر  
وعند فتح مكة وقد أخلوهم عنها وأخرجوهم الى الهجرة واخلاء الوطن ومفارقة الأهل  
والولد وكل ذلك مما يعظم موقعه ( والثالث ) يحتمل أن يكون المراد أنهم لما أحسنوا بمعنى  
أنهم أتوا بالطاعات فتح الله عليهم أبواب المكاشفات والمشاهدات والالطاف كقوله تعالى  
والذين اهتدوا زادهم هدى وأما قوله ولدار الآخرة خيرا فقد بينا فى سورة الانعام فى قوله  
وللدار الآخرة خير للذين يتقون بالدلائل القطعية العقلية حصول هذا الخير ثم قال ولنعم  
دار المتقين اى نعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لسبق ذكرها هذا اذا لم يجعل  
هذه الآية متصلة بما بعدها فان وصلتها بما بعدها قلت ولنعم دار المتقين جنات عدن  
فترفع جنات على انها اسم لنعم كما تقول نعم الدار دار ينزلها زيدا ما قوله جنات عدن ففيه  
مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انها ان كانت موصولة بما قبلها فقد ذكرنا وجه ارتفاعها  
وأما ان كانت مقطوعة فقال الزجاج جنات عدن مرفوعة باضمار هى كأنك لما قلت  
ولنعم دار المتقين قبل اى دارهى هذه الممدوحة فقلت هى جنات عدن وان شئت قلت  
جنات عدن رفع بالابتداء و يدخلونها خبره وان شئت قلت نعم دار المتقين خبره والتقدير  
جنات عدن نعم دار المتقين ( المسئلة الثانية ) قوله جنات يدل على القصور والبساتين  
وقوله عدن يدل على العوام وقوله تجرى من تحتها الانهار يدل على انه حصل هناك أبنية  
يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم ثم انه تعالى قال لهم فيها ما يشاؤون  
وفيه بحثان ( الاول ) ان هذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات وهذا

الكلام اى هذا الذى فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء أو ما هو أعم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم فى الدنيا  
ويوم القيامة يخزيهم اى يذللهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد وأصل الخزي ذل يستحي منه ثم للايمان الى  
ما بين الجزاين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي

الزمانى وتغيير السبب بتقديم الظرف ليس لقصر الجزى على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزأهم في الدنيا مؤذن ﴿ ٤٥٢ ﴾ بأن لهم جزاء آخر ويقتضى النفس متقية الى وورده

أبلغ من قوله فيهما ما تشتهى الانفس وتلد الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله لهم فيهما ما يشاء من مع أقسام أخرى (الثاني) قوله لهم فيهما ما يشاءون يعنى هذه الحالة لا يحصل الا في الجنة لان قوله لهم فيهما ما يشاءون يفيد الحصر وذلك يدل على أن الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا ثم قال تعالى كذلك يجزى الله المتقين اى هكذا يكون جزاء التقوى ثم انه تعالى عاد الى وصف المتقين قتل الذين توفاهم الملائكة طيبين وهذا مذكور في مقابلة قوله الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقوله الذين توفاهم الملائكة صفة للمتقين في قوله كذلك يجزى الله المتقين وقوله طيبين كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة وذلك لانه يدخل فيه اتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس والطهارة ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الارواح وانها لم تقبض الامم البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت وأكثر المفسرين على ان هذا التوفى هو قبض الارواح وان كان الحسن يقول انه وفاة الحشر ثم بين تعالى أنه يقال لهم عند هذه الحالة ادخلوا الجنة فاحتج الحسن بهذا على أن المراد بذلك التوفى وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الارواح في الدنيا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ومن ذهب الى القول الاول وهم الاكثرون يقولون ان الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة اى هى خاصة لكم كأنكم فيها وقوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيأت ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال ان القوم لما طعنوا في القرآن بأن قالوا انه أساطير الاولين وذكر الله تعالى أنواع التهديد والوعيد لهم ثم اتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا وصدقا وصوابا عاد الى بيان أن أولئك الكفار لا يبرز جرون عن الكفر بسبب البيانات التي ذكرناها بل كانوا لا يبرز جرون عن تلك الاقوال الباطلة الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد وأتاهم أمر ربك وهو عذاب الاستئصال واعلم أن على كلا التقديرين فقد قال تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم اى كلام هؤلاء وأفعالهم يشبه كلام الكفار المتقدمين وأفعالهم ثم قال وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والتقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم الهلاك المجهل وما ظلمهم الله بذلك فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم ولكنهم ظلموا أنفسهم بأن كفروا وكذبوا الرسل فاستوجبوا ما نزل بهم ثم قال فأصابهم سيأت ما عملوا والمراد أصابهم

سائلة هذه بأنه ما دام تيقنها بأنه في الآخرة فسبق الكلام على وجه يؤذن بأن المقصود بالذكريا هو أنهم لا يكونه يوم القيامة والضمير اما للمقترين في حق القرآن الكريم أولهم ولن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير اليه وتخصيصه بهم بأباه السباق والسياق كما ستقف عليه (ويقول) لهم تفضيحا وتوبيخا فهو بيان للاخزاء (أين شركائى) أضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة فغيه تو يبيخ اثر تو يبيخ مع الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) اى تحاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقا حين يتوالكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيك والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بأنه يجوز أن يحال

بينهم وبين عبادتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا فيها أو بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم عتاب غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالضوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولأما كنهها على أن قوله ليتفقدوها ليس بسد ينفاته قديبين عندهم الامر

حيث فرجوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التقصير في بكسر التون أي تشاقوتني على انمشافة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لاسيما ﴿ ٤٥٣ ﴾ في شأن متعلق به سبحانه مشاقفة عز وجل (قال الذين أوتوا العلم)

من أهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين أوتوا الصلابة لاثل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي يقولون توبخناهم واظهارا للشتمانة بهم وتقرير الما كانوا يعظونهم وتحقيا لما وعدوهم به واشارصيفة الماضي للدلالة على تحقده وتحتم وقوعه حسبها هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف (ان الخزي) الة ضجة والذل والهوان (اليوم) منصوب بالخزي على رأى من يرى اعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار في الطرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا أنه مفتقر في الطرف ويراده للاسعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشفاق ( والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسله (الذين تتوفاهم الملائكة) بتأييد الفعل وقرئ بتذكيره وبإدغام

عقاب سيئات ما عملوا وحاق بهم أي نزل بهم على وجه أحاط بجوانبهم ما كانوا به يستهزؤون أي عقاب استهزأ بهم \* قوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ونحن لا بأبوانا ولا حرمنا من دونه من شيء) كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الابلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ختمهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان طاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين) اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لمنكري النبوة وتقريرها انهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن في النبوة فقالوا لو شاء الله الايمان لحصل الايمان سواء جئت أولم تجيء ولو شاء الله الكفر فانه يحصل الكفر سواء جئت أولم تجيء وإذا كان الامر كذلك فانك من الله تعالى ولا فائدة في مجيئك وارسالك فكان القول بالنبوة باطلا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن هذه الشبهة هي عين ما حكاها الله تعالى عنهم في سورة الانعام في قوله سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبوانا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال المعتزلة به مثل استدلالهم بتلك الآية والكلام فيه استدلالا واعتراضا عين ما تقدم هناك فلا فائدة في الاعادة ولا بأس بأن نذكر منه القليل فنقول الجواب عن هذه الشبهة هي انهم قالوا لما كان الكل من الله تعالى كان بعثة الانبياء عينا فنقول هذا اعتراض على الله تعالى فان قولهم اذا لم يكن في بعثة الرسول من يد فائدة في حصول الايمان ودفع الكفر كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى فهذا القول جار مجرى طلب العلة في أحكام الله تعالى وفي أفعاله وذلك باطل بل لله تعالى أن يحكم في ملكه وملكوته ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يجوز أن يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذلك والدليل على أن الانكار انما توجه الى هذا المعنى انه تعالى صرح في آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى أن سنته في عباده ارسال الرسل اليهم وأمرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فتمهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان أمر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر لأنه تعالى هدى البعض وأضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع العباد وهي أنه يأمر الكل بالايمان وينهاهم عن الكفر ثم يخلق الايمان في البعض والكفر في البعض ولما كانت سنة الله تعالى في هذا المعنى سنة قديمة في حق كل الانبياء وكل الامم والملل وانما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه الهامزها عن اعتراضات المعتضين ومطالبات المنازعين كان ايراد هذا السؤال من هؤلاء الكفار موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت ان الله تعالى انما يحكم على هؤلاء باستحقاق الخزي واللعن لانيهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء بل لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الانبياء والرسول وهذا باطل فلا جرم استهضوا

التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيقهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على أنه نعت للكافرين أو بئله منه أو في محل التصبب أو الرقيم على الدم وقادته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين

الموت فون من امن منهم ولو في آخر عمره اى على الكافر بن المستر بن على الكافر لادان يوفاهم للملائكة (ظالمى انفسهم)  
اى حال كونهم مستر بن على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم ﴿ ٤٥٤ ﴾ و اى ظلم حبسهم منوها للعداب الخلد

على هذا الاعتقاد من يدالتم واللحن فهذا هو الجواب الصحيح الذى يعول عليه في هذا  
الباب واما من تقدمنا من المتكلمين والمفسرين فقد ذكروا فيه وجهها آخر فقالوا ان  
المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شبيب عليه السلام له انك  
لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين لكانوا مؤمنين والله اعلم (المسئلة الثانية)  
اعلم انه تعالى لما حكى هذه الشبهة قال كذلك فعل الذين من قبلهم اى هؤلاء الكفار ابدا  
كانوا متمسكين بهذه الشبهة ثم قال فهل على الرسل الابلاغ المبين اى المعتبرة فقالوا معناه  
ان الله تعالى ما منع احدا من الايمان وما اوقعه في الكفر والرسل ليس عليهم الا التبليغ  
فما بلغوا التكليف وثبت انه تعالى ما منع احدا عن الحق كانت هذه الشبهة ساقطة  
اما اصحابنا فقالوا معناه انه تعالى امر الرسل بالتبليغ فهذا التبليغ واجب عليهم فاملان  
الايمان هل يحصل ام لا يحصل فذلك لا يتعلق للرسول به ولكنه تعالى يهدى من يشاء  
يا حسانه ويضل من يشاء بخذلاناه (المسئلة الثالثة) احتج اصحابنا في بيان ان الهدى  
والضلال من الله بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت  
وهذا يدل على انه تعالى كان ابدا في جميع الملل والامم امرا بالايان ونهايا عن الكفر ثم  
قل فتم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى فتم من هدا الله الى الايمان  
والصدق والحق ومنهم من اصله عن الحق واعماه عن الصدق واوقعه في الكفر والضلال  
وهذا يدل على ان امر الله تعالى لا يوافق ارادته بل قد يامر بالشيء ولا يريد ونهى عن  
الشيء ويريد كما هو مذهبنا والحاصل ان المعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان  
اما العلم والارادة فقد يختلفان ولفظ هذه الآية صريح في قولنا وهو ان الامر بالايمان  
عام في حق الكل اما ارادة الايمان فخاصة بالبعث دون البعض اجاب الجبائي بان المراد  
فتم من هدى الله لنيل ثوابه وجنته ومنهم من حقت عليه الضلالة اى العاقب قال وفي  
قوله حقت عليه دلالة على انها العذاب دون كلمة الكفر لان الكفر والمعصية لا يجوز  
وصفهما بأنه حق وايضا قال تعالى بعده فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة  
الكلبيين وهذه العاقبة هى آتار المهلاك لمن تقدم من الامم الدين استأصلهم الله تعالى  
بالعذاب وذلك يدل على ان المراد بالضلال المذكور هو عذاب الاستئصال واجاب السكبي  
عنه بان قال قوله فتم من هدى الله اى من اهتدى فكان في حكم الله مهتديا ومنهم من  
حقت عليه الضلالة يريد من ظهرت ضلالته كما يقال للظالم حق طلك وتبين ويجوز ان  
يكون المراد حق عليهم من الله ان يضلهم اذا ضلوا كقوله ويضل الله الظالمين واعلم اننا  
في آيات كثيرة بالدلائل العقلية القاطعة ان الهدى والضلال لا يكونان الا من الله تعالى  
فلا قائمة في الابدان وهذه الوجوه المتعسفة والتأويلات المستكرهه قد ينسأ منعها  
وسقوطها مراما فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم (المسئلة الرابعة) في الطاغوت قولان  
(أحدهما) ان المراد به اجتناب عبادة ما يعبدون من دون الله فسمى الكل طاغوتا

وبدلوا فطرة الله تبديلا  
(فأتوا السلم) اى  
فيلقون والعدول الى  
صيغة الماضى للدلالة  
على تحقق الوقوع وهو  
عطف على قوله تعالى  
ويقول اى شركائى  
وما بينهما جملة اعتراضية  
يجى بها تحقيقا لما حاق  
بهم من الخزي على  
رؤس الاشهاد  
اى فيسالمون ويتركون  
المشاققة ويتركون عما  
كانوا عليه في الدنيا  
من الكبر وشدة الشكوة  
فأئلين (ما كنا نعمل)  
في الدنيا (من سوء)  
اى من شرك قالوه  
منكرين لصدوره عنهم  
كقولهم والله ربنا  
ما كنا مشركين وانما  
عبدا وعنده بالسوء اعترافا  
بكونه شيئا لا ينكارا  
لكونه ككذلك مع  
الاعتراف بصدوره  
عنهم ويجوز ان يكون  
تفسيرا للسلم على ان  
يكون المراد به الكلام  
الدال عليه وعلى  
التقدير بن فهو جواب  
عن قوله سبحانه اى  
شركائى كما في سورة

الانعام لانه قول اولى العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لمادهم من الخزي والسوء (بلى) رد عليهم ﴿ ولا يمتنع ﴾  
من قبل اولى العلم واجبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون (ان الله عليهم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه  
وهذا اوانه (فادخلوا ابواب جهنم) اى كل صنف باب به المعدله وقيل ابوابها اصناف عذابها

فالدخول عبادة فغن الملايسة والمفاصة ( خالدين فيها ) ان ارب بما الدخول حدوثة فاطال صدره وان ار ينمطلق الكون فيها فهي مقارنة ( فلبس ثوبى التكبير ) ﴿ ٤٥٥ ﴾ عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون

وذكرهم بعنوان التكبير  
للاشعار بعليته لثوابهم  
فيها والخصوص بالنم  
مخدوف أى جهنم  
وتأويل قولهم ما كنا  
نعمل من سواه انما كنا  
عاملين ذلك في اعتقادنا  
روما للمحافظ على  
أن لا كذب ثمة يرد الرد  
المذكور وما في سورة  
الانعام من قوله تعالى  
انظر كيف كذبوا على  
انفسهم ( وقيل للذين  
اتقوا ) أى المؤمنين  
وصفوا بالتقوى اشعارا  
بان ما صدر عنهم من  
الجواب ناشى عن التقوى  
( ماذا أنزل ربكم قالوا  
خيبرا ) سلكو فى الجواب  
مسلك السؤال من  
غير تعلم ولا تغيير فى  
الصورة والمعنى أى أنزل  
خيرافاته جواب مطابق  
للسؤال سبكا وللواقع  
فى نفس الامر مضمونا  
وأما الكفرة فانهم خذ  
لهم الله تعالى كما غيروا  
الجواب عن نهم الحق  
الواقع الذى ليس له من  
دافع غير صورته  
وعدلوا بها عن سنن  
السؤال حيث رفضوا

ولا يمتنع أن يكون المراد اجتناب طاعة الشيطان فى فاعانه لكم ( المسئلة الخامسة ) قوله تعالى ومنهم من حقت عليه الضلالة يدل على مذهبنا لانه تعالى لما أخبر عنه أنه حقت عليه الضلالة امتنع أن لا يصدر منه الضلالة والالاتقلب خبر الله الصديق كفسا وذلك محال ومستلزم المحال محال فكان عدم الضلالة منهم محالا ووجود الضلالة منهم واجبا عقلا فهذه الآية دالة على صحة مذهبنا من هذه الوجوه الكثيرة والله أعلم ونظرا هذه الآية كثيرة منها قوله فر يقا هدى وفر يقا حق عليهم الضلالة وقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وقوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ثم قال تعالى فسبروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين والمعنى سبروا فى الارض معتبرين لتعرفوا ان العذاب نازل بكم كما نزل بهم ثم أكد ان من حقت عليه الضلالة فانه لا يهتدى فقال ان تحرص على هداهم أى ان تطلب بجهدك ذلك فان الله لا يهتدى من يضل وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ طاصم وجرزة والكسائى يهدى بفتح اليا وكسر المال والباقون لا يهدى بضم اليا وفتح الدال أما القراءة الاولى ففيتها وجهان ( الاول ) فان الله لا يرشد أحدا أضله وبهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما ( والثانى ) أن يهدى بمعنى يهتدى قال الفراء العرب تقول قد هدى الرجل يريدون قد اهتدى والمعنى أن الله اذا أضل أحدا لم يصبر ذلك مهتديا وأما القراءة المشهورة فالوجه فيها ان الله لا يهدى من يضل أى من يضلله فالراجع الى الموصول الذى هو من مخدوف مقدر وهذا كقوله من يضل الله فلا هادى له وكقوله فغن يهتدي من بعد الله أى من بعد اضلال الله اياه ثم قال تعالى ومالهم من ناصرين أى وليس لهم أحد ينصرهم أى يعينهم على مطلوبهم فى الدنيا والآخرة وأقول أول هذه الآيات موهم لمذهب المعتزلة وآخرها مشتمل على الوجوه الكثيرة الدالة على قولنا وأكثر الآيات كذلك مشتملة على الوجهين والله أعلم ﴿ قوله تعالى ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه ولعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) وفيه مسلتان ( الاولى ) اعلم أن هذا هو الشبهة الرابعة لمنكرى النبوة فقالوا القول بالبعث والحشر والنشر باطل فكان القول بالنبوة باطلا ( أما المقام الاول ) فتقريره ان الانسان ليس الا هذه البينة المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبطل ذلك المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فثاته وعدمه فالذى يعود يجب أن يكون شيئا مغايرا للاول فلا يكون عينه ( وأما المقام الثانى ) وهو أنه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة وتقريره من وجهين ( الاول ) أن محمدا كان داعيا الى تقرير القول بالبعث فاذا بطل ذلك ثبت أنه كان داعيا الى القول بالباطل ومن كان كذلك لم يكن رسولا صادقا ( الثانى ) أنه يقرر نبوة نفسه ووجوب طاعته بناء على الترغيب فى الثواب

الاساطير روما لما مر من انكار النزول روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم خبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقسمون وأمره بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انما شر وافدان رجعت الى قومي دون أن أستعلم امر محمد وأراه فيلق أصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم ورضى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا (الذين أحسنوا) أي أعمالهم أو فعلوا الاحسان (في هذه الدار) الدنيا حسنة (أي مثوبة حسنة) ﴿ ٤٥٦ ﴾ مكافأة فيها (ولدار الآخرة) أي مثوبتهم فيها

والترهيب عن العقاب وإذا بطل ذلك بطلت نبوته إذا عرفت هذا فتقول قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت مئة منهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن الشيء إذا فني وصار عدما محضا ونفيا صرفا فإنه بعد هذا العلم لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا آخر غيره وهذا القسم واليمين إشارة إلى أنهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن عوده بعينه بعد عدمه محال في بديهته العقل وأقسموا بالله جهد أيمانهم على أنهم يجدون من قلوبهم وعقولهم هذا العلم الضروري وأما بيان أنه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة فلم يذكره على سبيل التصريح لانه كلام جلي متبادر إلى العقول فتركوه لهذا العذر ثم انه تعالى بين ان القول بالبعث ممكن ويدل عليه وجهان (الاول) أنه وعد حق على الله تعالى فوجب تحقيقه ثم بين السبب الذي لاجله كان وعدا حقا على الله تعالى وهو التمييز بين المطيع وبين العاصي وبين المحق والمبطل وبين الظالم والمظلوم وهو قوله ليعين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وهذه الطريقة قد بالغت في شرحها وتقريرها في سورة يونس (والوجه الثاني) في بيان إمكان الحشر والنشر ان كونه تعالى موجودا للاشياء ومكونا لها لا يتوقف على سبق مادة ولا مدة ولا آلة وهو تعالى انما يكونها بمحض قدرته ومشيئته وليس لقدرة دافعه ولا لمشيئته مانع فعبر تعالى عن هذا النفاذ الخالي عن المعارض بقوله انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقوله كن فيكون واذا كان كذلك فكما أنه تعالى قدر على الاجادة في الابتداء ووجب أن يكون قادرا عليه في الاعادة فثبت بهذين الدليلين القاطعين ان القول بالحشر والنشر والبعث والقيامة حق وصدق واقوم انما طعنوا في صحة النبوة بناء على الطعن في هذا الاصل فلما بطل هذا الطعن بطل أيضا طعنهم في النبوة والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم حكاية عن الذين أشركوا وقوله بلى اثبات لما بعد النبي أي بلى يعثهم وقوله وعدا عليه حقا مصدر مؤكد أي وعد بالبعث وعدا حقا لا خلف فيه لان قوله يعثهم دل على قوله وعد بالبعث وقوله ليعين لهم الذي يختلفون فيه من أمور البعث أي بلى يعثهم ليعين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما أقسموا فيه ثم قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول كن فيكون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقائل أن يقول قوله كن ان كان خطابا مع المعلوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان هذا أمر ابتحاصل الحاصل وهو محال والجواب ان هذا تمثيل لنفي الكلام والمعابة وخطاب مع الخلق بما يعقلون وليس خطابا للمعلوم لان ما أراد الله تعالى فهو كائن على كل حال وعلى ما أراد من الاسراع ولو أراد خلق الدنيا والآخرة فيهما من السموات والارض في قدر لمح البصر لقدرة على ذلك ولكن العباد خوطبوا بذلك على قدر عقولهم (المسئلة الثانية) قوله تعالى قولنا مبتدأ وأن نقول خيره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي اذا أردنا حدوث شيء فليس الا أن نقول له

فيها (خير) مما أوتوا في الدنيا من الثوبة أو خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخبرية الى نفس دار الآخرة (ولعلم دار المتقين) أي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب أو بطل من خيرا أو تفسيره أي أن خيرها هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم جنات ويجوز أن يكون هو المحصوص بالمدح (يدخلونها) صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (تجري من تحتها الانهار) أو كلاهما حال على تقدير علميته (لهم فيها) في تلك الجنات (ما يشاؤون) الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول أو متعلق به أي حاصل لهم فيها ما

يشاؤون من أنواع المشتهيات وتقديره للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مر مرارا من أن تأخير ﴿ احدث ﴾ ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فتمكن عند ورود فعلها بفضل تمكن (كنيظك) مثل ذلك الجزاء الاوفى (يجزي الله المتقين) اللام

الجنس الى كل من يتقى من الشرك والمعاصي و يدخل فيه المشغون المذكورون دخولا اوليا و يكون فيه بمشغيرهم على التقوى  
اول العهد فيكون فيه تحسيرا لكثرة (الذين توفاهم) ﴿ ٤٥٧ ﴾ (الملائكة) نعمت للمعتدين وقوله تعالى (طيبين) اي

طاهرين عن دنس الظلم  
لا تنفسهم حال من الضمير  
وفائدته الايدان بان ملك  
الامر في التقوى هو  
الصهارة عما ذكر الى  
وقت توفيتهم فقيه حث  
للمؤمنين على الاستمرار  
على ذلك ولنغيرهم على  
تحصيله وقيل فرحين  
طبي النفوس بشارة  
الملائكة اياهم بالجنة أو  
طيبين بقبض ارواحهم  
لتوجه نفوسهم بالكلية  
الى جناب القدس  
( يقولون ) حال من  
الملائكة أي قائلين لهم  
( سلام عليكم ) قال  
القرطبي رحمه الله اذا  
استدعت نفس المؤمن  
جاءه ملك الموت عليه  
السلام فقال السلام  
عليك يا ولي الله الله تعالى  
يقرأ عليك السلام ويشرك  
بالجنة ( ادخلوا الجنة )  
اللام للعهد أي جنات  
عدن الخ ولذلك جردت  
عن الثعت والمراد دخولهم  
لها في وقتها فان ذلك  
بشارة عظيمة وان تراخي  
المبشر به لادخول القبر  
الذي هو روضة من

احدث فيحدث صعب ذلك من غير توقف ( المسئلة الثالثة ) قرأ ابن عامر والكسائي  
فيكون ينصب النون والباقون بالرفع قال القراء القراءة بالرفع وجهها أن يجعل قوله  
أن نقول له كلاما تاما ثم يخبر عنه بأنه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان أمر فيفعل  
فترفع قولك فيفعل على أن تجعله كلاما مبتدأ وأما القراءة بالنصب فوجهه أن تجعله  
عطفًا على أن نقول والمعنى أن نقول كن فيكون هذا قول جيبس التحويين قال الزجاج  
ويجوز أن يكون نصبا على جواب كن قال أبو علي لفظه كن وان كانت على لفظه  
الامر فليس القصد به ههنا الامر انما هو والله أعلم الاخبار عن كون الشيء وحدوثه واذا  
كان الامر كذلك فيحتمل بطل قوله انه نصب على جواب كن والله أعلم ( المسئلة الرابعة )  
احتج بعض أصحابنا بهذه الآية على قدم القرآن فقالوا قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا  
أردناه أن نقول له كن فيكون يدل على انه تعالى اذا أراد احداث شيء قاله كن فيكون  
فلو كان قوله كن حادنا لافتقر احداثه الى أن يقول له كن وذلك يوجب التسلسل وهو  
محال فثبت ان كلام الله قديم واعلم ان هذا الدليل عندى ليس في غاية القوة وبيانه من  
وجوه ( الاول ) ان كلمة اذا لا تفيد التكرار والدليل عليه ان الرجل اذا قال لامرأته اذا  
دخلت الدار فانت طالق فدخلت الدار مرة طلقت طلقة واحدة فلودخلت ثانيا لم تطلق  
طلقة ثانية فعلنا ان كلمة اذا لا تفيد التكرار واذا كان كذلك ثبت أنه لا يلزم في كل  
ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن فيلزم التسلسل ( والثاني ) ان هذا الدليل ان صح  
لزم القول بدم لفظه كن وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان لفظه كن مركبة  
من الكاف والنون وعند حضور الكاف لم تكن النون حاضرة وعند مجيء النون  
تتولى الكاف وذلك يدل على ان كلمة كن يمتنع كونها قديمة وانما الذي يدعى أصحابنا  
كونه قديما صفة مغايرة للفظه كن فالذي تدل عليه الآية لا يقول به أصحابنا والذي  
يقولون به لا تدل عليه الآية فسقط التمسك به ( والثالث ) ان الرجل اذا قال ان فلانا  
لا يقدم على قول ولا على فعل الا ويستعين فيه بالله تعالى فان طافلا لا يقول ان استعانته  
بالله فعل من انما له فيلزم أن يكون كل استعانة مسبوقه باستعانة أخرى الى غير النهاية  
لان هذا الكلام بحسب العرف باطل فكذلك ما قالوه ( الوجه الرابع ) ان هذه الآية  
مشعرة بحدوث الكلام من وجوه ( الاول ) ان قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه  
يقضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث ( والثاني ) انه علق القول  
بكلمة اذا ولا شك ان لفظه اذا تدخل للاستقبال ( والثالث ) ان قوله أن نقول له لا خلاف  
ان ذلك ينبى عن الاستقبال ( والرابع ) ان قوله كن فيكون يدل على ان حدوث الكون  
حاصل عقب قوله كن فتكون كلمة كن متقدمة على حدوث الكون بزمان واحد والمتقدم  
على المحدث بزمان واحد يجب أن يكون محدثا ( والوجه الخامس ) انه معارض بقوله تعالى  
وكان امر الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدره را الله نزل أحسن الحديث فليأتوا

رياضها اذ ليس في البشارة به ﴿ ٥٨ ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ خا ما في البشارة بدخول نفس الجنة ( بما كنتم تعملون ) بسبب ثباتكم على  
التقوى والطاعة أو بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفى التوفى للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق ( هل  
ينظرون ) اي ما ينظرون كفار مكة الماركة كرههم ( الا ان تأنيبهم الملائكة ) لقبض ارواحهم

بالعذاب جعلوا متظنرين انك وشتان بينهم وبين انظاره لانه يلطمهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه  
الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويتصدون ﴿ ٤٥٨ ﴾ لوروده وقرى بتذكير الفعل (أو يأتي أمر

بحديث مثله ومن قبله كتاب موسى اما ما ورحة فان قيل فهب ان هذه الآية لا تنل على  
قدم الكلام ولكنكم ذكرتم انها تدل على حدوث الكلام فالجواب عنه قلنا نصرف  
هذه الدلائل الى الكلام المسموع الذي هو مركب من الحروف والاصوات ونحن نقول  
بكونه محدثا مخلوقا والله أعلم ﴿ قوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوتهم  
في الدنيا حسنة ولا جرا الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلوهم بتوكلون ) اعلم  
انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسوا بالله جهدا يمانهم على انكار البعث والقيامة  
دل ذلك على انهم عماد وفي النفي والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يبعد اقدمهم على  
ايداء المسلمين وضرهم وانزال العقوبات بهم وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا عن  
تلك الديار والمساكن فذكر تعالى في هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين مالهؤلاء المهاجرين  
من الحسنات في الدنيا والاجر في الآخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله وذلك  
ترغيب لغيرهم في طاعة الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة  
من الصحابة صهيب و بلال وعمار وخباب وطابس وجبير وموليت لقريش فجعلوا بعد بوئهم  
ليردوهم عن الاسلام اما صهيب فقال لهم أنا رجل كبير ان كنت لكم لم أنفعكم وان كنت  
عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله فلما رآه أبو بكر قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم  
الرجل صهيب لولم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لولم يخلق الله النار لا طاعه فكيف  
ظنك به وقد خلقها واما سائرهم فقد قالوا لبعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر والرجوع  
عن الاسلام فتركوا عذابهم ثم هاجروا فنزلت هذه الآية وبين الله تعالى بهذه الآية عظم  
محل الهجرة ومحل المهاجرين فالوجه فيه ظاهر لان بسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما  
أن بنصرة الانصار قويت شوكتهم ودل تعالى بقوله والذين هاجروا في الله ان الهجرة اذا لم  
تكن لله لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله من بعد ما ظلموا معناه  
انهم كانوا مظلومين في أيدي الكفار لانهم كانوا بعد بوئهم ثم قال لنبوتهم في الدنيا حسنة  
وفيه وجوه (الاول) ان قوله حسنة صفة للمصدر من قوله لنبوتهم في الدنيا والتقدير  
لنبوتهم تبوئة حسنة وفي قراءة على رضي الله عنه لنبوتهم ابو امة حسنة (الثاني) انزلتهم  
في الدنيا بمنزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلواهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل  
المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله  
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكبر ( والقول الثالث) لنبوتهم  
مباة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم وهذا قول الحسن والشعبي  
وقناة والتقدير لنبوتهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة يعنى المدينة ثم قال تعالى  
ولا أجر الآخرة أكبر وأعظم وأشرف لو كانوا يعلمون والضمير الى من يعود فيه قولان  
(الاول) أنه عائد الى الكفار أى لو عملوا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم  
الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم (والثاني) أنه راجع الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك

ريك) التعرض لوصف  
الربوبية مع الاضافة  
الى ضميره عليه الصلاة  
والسلام اشعار بان اتيانه  
لطف به عليه الصلاة  
والسلام وان كان عذابا  
عليهم والمراد بالامر  
العذاب الدنيوى لا القيامة  
لكن لاننا نتظارها  
يجامع انتظار اتيان  
الملائكة فلا يلائمه  
العطف بأولائها ليست  
نصا في العناد اذ يجوز  
أن يعتبر منع الخلو ويراد  
بإرادها كفاية كل واحد  
من الامرين في عذابهم  
بل لان قوله تعالى فيما  
سيأتى ولكن كانوا أنفسهم  
يظلمون فأصابهم الآية  
صريح في ان المراد به  
ما أصابهم من العذاب  
الدنيوى (كذلك) أى  
مثل فعل هو لا من الشرك  
والظلم والكذب  
والاستهزاء (فعل الذين)  
خلوا (من قبلهم) من  
الامم (وما ظلمهم الله)  
بما سئلى من عذابهم  
(ولكن كانوا) بما كانوا  
مستترين عليه من القبايح  
الموجبة لذلك (أنفسهم  
يظلمون) كان الظاهر

أن يقال ولكن كانوا الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان قائله ﴿ زادوا ﴾  
ظلمهم آية اليهم وعاقبه مقصورة عليهم مع استراام اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه  
من حيث الصدور وقدمر تحقيقه في سورة يونس



(فأصابهم) صطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك ظلم لانفسهم  
(سببنا ما علوا) أى اجزية أعمالهم للسبب \* ٤٥٩ على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بغضاخته لاعلى  
حذف المضاعف فانه

زادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم قال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وفي محل الذين وجوه  
(الاول) انه بدل من قوله والذين هاجروا (والثاني) أن يكون التقدير هم الذين صبروا  
(والثالث) أن يكون التقدير أعني الذين صبروا وكلا الوجهين مدح والمعنى انهم صبروا  
على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانفس  
في سبيل الله وبالجملة فقد ذكر فيه الصبر والتوكل أما الصبر فلا يسعى في قهر النفس وأما  
التوكل فلا يتطاع بالكلية من الخلق والتوجه بالكلية الى الحق (فالاول) هو مبدأ  
السلوك الى الله تعالى (والثاني) آخر هذا الطريق ونهايته والله أعلم \* قوله تعالى  
(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات  
واذ يروا أنزلنا اليك الذكري لتبين للناس ما نزل اليهم واعلمهم يتفكرون أقام من الذين مكروا  
السبب أن يخسف الله بهم الارض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم  
في تغليبهم فاهم بمجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم) في الآية مسائل  
(المسئلة الاولى) اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري النبوة كانوا يقولون الله اعلى  
واجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثة رسولنا لكان يبعث  
ملكا وقد ذكرنا تقرير هذه الشبهة في سورة الانعام فلانعيده ههنا ونظير هذه الآية قوله  
تعالى حكاية عنهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا أنؤمن لبشر ين مثلنا وقالوا ما هذا  
الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم  
وقال أكان للناس عجبنا ان أوحينا الى رجل منهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك فيكون معه  
نذير فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم والمعنى  
ان عادة الله تعالى من أول زمان الخلق والتكليف أنه لم يبعث رسولا الا من البشر فهذه  
العادة مستمرة لله سبحانه وتعالى وطعن هؤلاء الجهال بهذا السؤال الركيك أيضا طعن  
قديم فلا يلتفت اليه (المسئلة الثانية) دلت الآية على انه تعالى ما أرسل أحدا من النساء  
ودلت أيضا على انه ما أرسل ملكا لكن ظاهر قوله جاعل الملائكة رسلا يدل على ان  
الملائكة رسل الله الى سائر الملائكة فكان ظاهر هذه الآية دليلا على انه ما أرسل رسولا  
من الملائكة الى الناس قال القاضي وزعم أبو على الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء عليهم  
السلام الا من هو بصورة الرجال من الملائكة ثم قال القاضي لعله أراد ان الملك الذي  
يرسل الى الانبياء عليهم السلام بخضرة أممهم لانه اذا كان كذلك فلا بد من أن يكون أيضا  
بصورة الرجال كما روى ان جبريل عليه السلام حضر عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في صورة دحية الكلبي وفي صورة سراقه وانما قلنا ذلك لان المعلوم من حال الملائكة  
ان عند ابلاغ الرسالة من الله تعالى الى الرسول قديقون على صورتهم الاصلية الملكية  
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو

يوهم ان لهم اعمالا غير  
سببناهم (وحاق بهم)  
اى أحاط بهم من الحيق  
الذي هو احاطة الشر  
وهو أبلغ من الاصابة  
وأفطع ( ما كانوا به  
يستهنون ) من العذاب  
(وقال الذين أشركوا)  
أى أهل مكة وهو بيان  
لفن آخر من كفرهم  
والعدول عن الاضمار  
الى الموصول لتقر يعهم  
بما في حيز الصلة وذمهم  
بذلك من اول الامر  
(لوشاء الله ما عبدنا  
من دونه من شئ) أى  
لوشاء عدم عبادتنا لشيء  
غيره كما تقول للمعبدنا  
ذلك (نحن ولا آباؤنا)  
الدين نقدي بهم في ديننا  
(ولا حرمنا من دونه  
من شئ) من السوائب  
والبخار وغيرها وانما قالوا  
ذلك تكديبا للرسول  
عليه الصلاة والسلام  
وطعنا في الرسالة رأسا  
متسكين بأن ما شاء الله  
تعالى يجب وما لم يشأ  
يستم فلوانه شاء أن  
نوحده ولا نشرك به شيئا  
ولا نحرم ما حرمنا شيئا

كما يقوله الرسل ويتلوونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد وفي الاشرار وما يتبعها وحيث لم يكن كذلك  
ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فاجب عنه بقوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الفعل الشنيع  
(فعل الذين من قبلهم) من الأمم أى أشركوا بالله وحر مواجعه وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطايا

وهدهم الى الحق ( فهل على الرسل ) الذين يبلغون رسالات الله وصحوا من امره ونهيه ( الا البلاغ المبين ) أي ليست  
وظيفة التبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موضعا وابانة طريق الحق ﴿ ٤٦٠ ﴾ واطهار احكام الوحي الذي من جلتها

عليها امرين وعليه تأولو اقوله تعالى ولقد آتاه نزلة أخرى ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام  
اتبعه بقوله فاسئلوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في المراد  
بأهل الذکر وجوه ( الاول ) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد أهل التوراة والذکر هو  
التوراة والدليل عليه قوله تعالى واقد كتبنا في الزبور من بعد الذکر يعني التوراة ( الثاني )  
قال الزجاج فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى فانهم يعرفون  
ان الانبياء كلهم بشر ( والثالث ) أهل الذکر أهل العلم باخبار الماضين اذ العالم بالشيء  
يكون ذاكراه ( والرابع ) قال الزجاج معناه سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وأقول الظاهر  
ان هذه الشبهة وهي قولهم الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر انما  
تمسك بها كفار مكة ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب  
فأمرهم الله بان يرجعوا في هذه المسئلة الى اليهود والنصارى ليعينوا لهم ضعف هذه  
الشبهة وسقوطها فان اليهودي والنصراني لا بد لهما من تعريف هذه الشبهة وبيان  
سقوطها ( المسئلة الثانية ) اختلف الناس في انه هل يجوز للمجتهد تقليد المجتهد منهم من  
حكم بالجواز واحتج بهذه الآية فقال للملبيكن احدا المجتهدين عالما وجب عليه الرجوع  
الى المجتهد الآخر الذي يكون عالما لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون فان  
لم يجب فلا أقل من الجواز ( المسئلة الثالثة ) احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا المكلف  
اذا نزلت به واقعة فان كان عالما بحكمها لم يجزئه القياس وان لم يكن عالما بحكمها وجب  
عليه سؤال من كان عالما بها لظاهر هذه الآية ولو كان القياس حجة لما وجب عليه سؤال  
العالم لاجل انه يمكنه استنباط ذلك الحكم بواسطة القياس فثبت أن تجوز العمل  
بالقياس يوجب ترك العمل بظاهر هذه الآية فوجب أن لا يجوز والله أعلم وجوابه  
انه ثبت جواز العمل بالقياس باجتماع الصحابة والاجماع أقوى من هذا الدليل والله أعلم  
ثم قال تعالى بالبينات وانزبر وفيه مستثنان ( المسئلة الاولى ) ذكروا في الجالب لهذه  
الباء وجوها ( الاول ) ان التقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات وانزبر الارجالا يوحى اليهم  
وأنكر الفراء ذلك وقال ان صلة ما قبل الاية آخر الى ما بعد الاية والدليل عليه ان المستثنى  
عنه هو مجموع ما قبل الامع صلته فالملبصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال  
الاستثناء عليه ( الثاني ) ان التقدير وما أرسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم بالبينات وانزبر  
وعلى هذا التقدير فقوله بالبينات وانزبر متعلق بالمستثنى ( الثالث ) ان الجالب لهذه  
الباء محذوف والتقدير ارسلناهم بالبينات وهذا قول الفراء قال ونظيره ما امر الاخوانك  
بزيد ما امر الاخوانك ثم يقول من يزيد ( الرابع ) أن يقال الذکر بمعنى العلم والتقدير فاسألوا  
أهل الذکر بالبينات وانزبر ان كنتم لاتعلمون ( الخامس ) أن يكون التقدير ان كنتم  
لاتعلمون بالبينات وانزبر فاسألوا أهل الذکر ( المسئلة الثانية ) قوله تعالى بالبينات وانزبر  
لفظة جامعة لكل ما تكامل به الرسالة لان مدار أمرها على المجزئات الدالة على صدق من

تحتم تعلق مشيئة الله  
تعالى باهتداء من صرف  
قدرته واختياره الى  
تحصيل الحق لقوله تعالى  
والذين جاهدوا فينا  
لنهديهم سبلنا وأما  
الجواز هم الى ذلك وتنفيذ  
قولهم عليهم شأوا  
أو أبوا كما هو مقتضى  
استدلالهم فليس ذلك  
من وظيفةهم ولا من  
الحكمة التي عليها يدور  
أمر التكليف في شيء حتى  
يستدل بعدم ظهور آثاره  
على عدم حقيقة الرسل  
أو على عدم تعلق مشيئته  
تعالى بذلك فان ما يرتب  
عليه الثواب والعقاب  
من أفعال العباد لا بد في  
تعلق مشيئته تعالى  
بوقوعه من مباشرتهم  
الاختيارية له وصرف  
اختيارهم الجزئي الى  
تحصيله والالكان الثواب  
والعقاب اضطرار بين  
فالقاء للتعليل كانه قيل  
كذلك فعل اسلافهم  
وذلك باطل فان الرسل  
ليس شأنهم التبليغ  
أو امر الله تعالى ونواهيه  
لا تحقيق مضمونها  
واجراء موجبهما

على الناس قسرا واجلاء و ايراد كلمة على للايدان بانهم في ذلك مأورون أو بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ﴿ يدعى ﴾  
ايافوه وبهذا ظهر أن جعل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب ( ولقد بعثنا في كل  
أمة رسولا ) تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان ان الاجزاء ليس من وظائف

الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم أى بعثنا في كل أمة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم (أن عبدوا الله) ﴿٤٦١﴾ يجوز أن تكون أن مفسرة لما في البعث من معنى القول

وان تكون مصدرية  
أى بعثنا بان اعبدوا الله  
وحده ( واجتنبوا  
الطاغوت) هو الشيطان  
وكل ما يدعو الى الضلالة  
(فهم) أى من تلك  
الامم والنساء فصيحة  
أى فبلغوا ما بعثوا به  
من الامر بعبادة الله  
وحده واجتساب  
الطاغوت ففرقوا  
فهم (من هدى الله)  
الى الحق الذى هو  
عبادته واجتساب  
الطاغوت بعد صرف  
قدرتهم واختيارهم  
الجزئى الى تخصيصه  
(ومنهم من حقت عليه  
الضلالة) أى وجبت  
وثبتت الى حين الموت  
لناده واصرارها عليها  
وعدم صرف قدرته  
الى تحصيل الحق وتغيير  
الاسلوب للاشعار بان  
ذلك لسوء اختيارهم  
كقوله تعالى واذا مرضت  
فهو يشفين فلم يكن كل  
من مشيئة الهداية  
وعدمها الاحتمال حاصل  
منهم من التوجه الى  
الحق وعدمه الا بطريق  
القسر والاجاء حتى

يدعى الرسالة وهى البنات وعلى التكليف التى يلغها الرسول من الله تعالى الى العباد  
وهى الز برغم قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزلنا اليهم وفيه مسائل (المسئلة  
الاولى) ظاهر هذا الكلام يقتضى ان هذا الذكر مفترق الى بيان رسول الله والمفترق الى  
البيان مجمل فظاهر هذا النص يقتضى ان القرآن كله مجمل فلهذا المعنى قال بعضهم متى  
وقم التعارض بين القرآن وبين الخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن مجمل والدليل عليه هذه  
الآية والخبر مبين له بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل والجواب ان القرآن منه  
محكم ومنه من مشابه والمحكم يجب كونه مبينا فثبت ان القرآن ليس كله مجمل بل فيه ما يكون  
مجمل لقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على المجملات (المسئلة الثانية) ظاهر هذه الآية  
يقتضى أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لكل ما أنزله الله تعالى على المكلفين  
فعند هذا قال تفة القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول بيان كل ما أنزله الله  
تعالى على المكلفين من الاحكام لاحتمال أن بين المكلف ذلك الحكم بطريقة القياس  
ولمادت هذه الآية على أن المبين لكل التكليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم  
علمنا ان القياس ليس بحجة وأجيب عنه بأنه صلى الله عليه وسلم لما بين ان القياس حقيق  
رجع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان  
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى أفأمن الذين مكروا السيئات المكر فى اللغة عبارة  
عن السعى بالفساد على سبيل الاخفاء ولا بد ههنا من اضمار والتقدير المكرات السيئات  
والمراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله  
تعالى والاقرب ان المراد سعيهم فى ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه على سبيل  
الخفية ثم انه تعالى ذكر فى تهديدهم أمور أربعة (الاول) ان يخسف الله بهم الارض كما  
خسف بقارون (والثانى) ان يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون والمراد ان يأتيهم  
العذاب من السماء من حيث يفجؤهم فيهلكهم بغتة كما فعل بقوم لوط (والثالث) ان يأخذهم  
فى قلوبهم فاهم بمعجزين وفى تفسير هذا القلب وجوه (الاول) انه يأخذهم بالقوية  
فى أسفارهم فانه تعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما أنه قادر على اهلاكهم فى الحضر  
وهم لا يعجزون الله بسبب ضررهم فى البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا وحل لفظ  
القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى لا يفرنك قلب الذين كفروا فى البلاد  
(وثانيهما) تفسير هذا اللفظ بانه يأخذهم بالليل والنهار فى أحوال اقبالهم وادبارهم  
وذهابهم ومجيئهم وحقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها أمثالهم (وثالثها)  
أن يكون المعنى أو يأخذهم فى حال ما ينقلبون فى قضايا أفكارهم فيحول الله بينهم وبين  
اتمام تلك الخيل قسرا كما قال ولونشاء اطعنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى  
يصرون وحل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله وقلوبك الامور فانهم اذا  
قلوبها فقد تقلبوا فيها (والنوع الرابع) من الاشياء التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية

يستدل بعدد ما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) بامعشر قر يش (فى الارض فانظروا)  
فى اكتافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد ونمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين  
تساهدون فى منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسبر على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة

عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايدان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالبيان وترتيب النظر على السير لانه بعده  
وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعليق لانه لو شاء الله ﴿٤٦٣﴾ ما عبدنا من دونه من شيء (ان تحرص)

خطاب لرَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَقَرَأَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَهِيَ  
لُغِيَّةٌ (عَلَى هَدَاهُمْ)  
أَيِ ان تَطْلُبُ هِدَايَتَهُمْ  
بِجَهْدِكَ (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
مَنْ يَضَلُّ) أَيِ فَاعِلٌ  
أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْلُقُ الْهَدَايَةَ  
جَبْرًا وَقَسْرًا فَيَنْبَغِي  
فِيهِ الضَّلَالَةُ بِسُوءِ  
اخْتِيَارِهِ وَالْمُرَادُ بِهِ قُرَيْشٌ  
وَأَمَّا مَوْضِعُ الْمَوْصُولِ مَوْضِعُ  
الضَّمِيرِ لِتَصْبِيحِ عَالِي  
أَنَّهُمْ مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ  
الضَّلَالَةُ وَاللَّشَارُ بِعَلَّةِ  
الْحُكْمِ وَبِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ  
الْمَذْكُورُ عِلَّةً لِلْجَزَاءِ  
الْمَحذُوفِ أَيِ ان تَحْرُسُ  
عَلَى هِدَاهُمْ فَلَسْتُ  
بِقَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ  
اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضَلُّ  
وَهُوَ لَا مِنْ جَلَّتْهُمْ  
وَقَرَأَ لَا يَهْدِي عَلَى  
بِنَاءِ الْمَفْعُولِ أَيِ لَا يَقْدِرُ  
أَحَدٌ عَلَى هِدَايَةِ  
مَنْ يَضَلُّ اللَّهُ تَعَالَى وَقَرَأَ  
لَا يَهْدِي بِفَتْحِ الْمَاءِ  
وَأَدْخَامِ تَاءِ يَهْدِي فِي  
الدَّالِ وَيَحُجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
يَهْدِي بِمَعْنَى يَهْدِي  
وَقَرَأَ يَضَلُّ بِفَتْحِ الْمَاءِ  
وَقَرَأَ لَا هَادِيَ لِمَنْ يَضَلُّ  
وَلَنْ أَضِلُّ (وَمَلَّتْهُمْ

تخوف الرجل منها تاما كقردا \* كما تخوف عود النبعة السفن  
قال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه  
تفسير كتابكم اذا عرفت هذا فتقول هذا التنقص يحتمل أن يكون المراد منه ما يقع  
في اطراف بلادهم كما قال تعالى أولايرون انما تأتي الارض تنقصها من اطرافها والمعنى انه  
تعالى لا يعاجلهم بالعذاب ولكن ينقص من اطراف بلادهم الى القرى التي تجاورهم  
حتى يخلص الامر اليهم فيجئد يهلكهم ويحتمل أن يكون المراد منه ينقص أموالهم  
وأفسههم قليلا قليلا حتى يأتي الفناء على الكل فهذا تفسير هذه الامور الاربعة والحاصل  
انه تعالى خوفهم يخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء او بافات تحدث دفعة  
واحدة حال ما لا يكونون عالمين بعلاماتها ودلائلها او بافات تحدث قليلا قليلا الى أن يأتي  
الهلاك على آخرهم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم رؤوف رحيم والمعنى انه يمهّل في أكثر  
الامر لانه رؤوف رحيم فلا يعاجل بالعذاب \* قوله تعالى ( أولم يروا الى ما خلق الله من  
شيء يتفبوطلاله عن اليمين والشمال سجدة لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات  
وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون  
ما يؤمرون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما خوف المشركين بالانواع  
الاربعة المذكورة من العذاب اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم  
العلوي والسفلي وتدبير احوال الارواح والاجسام ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة  
القاهرة والقوة الغير المتناهية لا يعجز عن اوصول العذاب اليهم على أحد تلك الاقسام  
الاربعة ( المسئلة الثانية ) قرأ حرة والكسائي أولم تروا بالناء على الخطاب وكذلك في  
اسورة الضكوت أولم تروا أن الله يبدأ الخلق ثم يعيده بالناء على الخطاب والباقون بالياء  
فيهما كناية عن الدين مكرها والسيات وايضا ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم  
الارض أو يأتيهم العذاب أو ياخذهم فكنا قوله أولم يروا وقرأ أبو عمرو ووحده تنفيو  
بالناء والباقون بالياء وكلاهما جائز تقدم الفعل على الجمع ( المسئلة الثالثة ) قوله أولم  
يروا الى ما خلق الله لما كانت الروية هم بما معنى النظر وصلت بالي لان المراد به الاعتبار

من ناصرين) يتصرفونهم في الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار ﴿والاعتبار﴾  
الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لان المراد في طائفة من الناصرين من كل  
منهم (واقسموا بالله) شترج في بيان فن آخر من اباطلهم وهو انكارهم البسب (جهنم ايمانهم) مصدر في موقع

الحال أبي جاهدين في أيامهم (لا يثبت الله من موت) وتقدر ذل الله تعالى عليهم ابلغ ردي بقوله الحق (يلى) أي يلى  
يبشهم (وعدا) مصدر مؤكد للمثل عليه ﴿٤٦٣﴾ يلى فان ذلك موعد من الله سبحانه أو لم ينفى أي وعد

بذلك وعدا (عليه) صفة  
لوعدا أي وعدا ما يتأمله  
انجاز لا متاع الخلف  
في وعده أو لان اليه من  
مقتضيات الحكمة (حقا)  
صفة أخرى لها أو نصب  
على المصدرية أي حق  
حقا (ولكن أكثر الناس)  
لجهلهم بشؤون الله عز سانه  
من العلم والقدرة والحكمة  
وغيرها من صفات الكمال  
وبما يجوز عليه وما لا يجوز  
وعدم وقوفهم على سر  
التكوين والغاية  
القصوى منه وعلى  
ان البعث مما يقتضيه  
الحكمة التي جرت عادته  
سبحانه بمراتها  
(لا يعلمون) أنه يبشهم  
فيبتون القول بعده  
أو أنه وعد عليه حق  
فيكذبونه قائلين لقد وعدنا  
نحن وآباؤنا هذا من قبل  
ان هذا الاساطير الاولين  
(ليبين لهم) فاي قلاد  
عليه يلى من البعث والضمير  
لمن يموت اذا التبين لهم  
المؤمنين أيضا فانهم  
وان كانوا علمين بذلك  
لكنه عدم معانته حقيقة  
الحال يتضح الامر فيصل  
علمهم الى مرتبة عين

والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتى يكون معها نظري الشيء وتامل لاحواله وقوله الى  
ما خلق الله من شيء قال أهل المعاني اراد من شيء له ظل من جبل وشجرو بناء وجسم قائم  
ولفظ الآية يشمر بهذا القيد لان قوله من شيء يتغير ظلالة عن اليمين والشمال بدل على  
ان ذلك الشيء كيف يقع ظل على الارض وقوله يتغير ظلالة اخبار عن قوله شيء وليس  
بوصف له ويتغير بفعل من التي يقال فاه الظل يني فيا اذا رجوع وعاد بعد ما نسخه ضياء  
الشمس وأصل التي الرجوع ومنه في المولى وذكرنا ذلك في قوله تعالى فان فاه فان الله  
ضفور رحيم وكذلك في المسلمين لما يعود على المسلمين من مال من خالف دينهم ومنه قوله تعالى  
ما فاه الله على رسوله منهم واصل هذا كله من الرجوع اذا عرفت هذا فتقول اذا عدى فاه  
فانه يعدى اما بزيادة الهمة أو بتضعيف العين أما التعدية بزيادة الهمة فكقوله ما فاه  
الله وأما بتضعيف العين فكقوله فيا الله الظل فنيا وتنيا مطاوع فيا قال الازهرى تفيو  
الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالغيو لا يكون الا بالشيء بعد ما انصرفت عنه  
الشمس والظل ما يكون بالعداء وهو ما لم تله الشمس كما قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيع \* والانيء من برد الشيء تذوق

قال ثعلب اخبرت عن أبي عبيدة ان رؤية قال كل ما كانت عليه الشمس فرالت عنه فهو  
فيء وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ومنهم من أكر ذلك فان ابا زيد أنشد للناطقة  
الجدي

فسلام الاله يغدو عليهم \* وفيه الغروس ذات الظلال

فهذا الشعر قد أوقع فيه لفظ التيء على ما لم تتسخه الشمس لان ما في الجنة من الظل  
ما حصل بعد أن كان زائلا بسبب نور الشمس وتقول العرب في جم فيء أفياء وهي للعدد  
القليل وفيه للكثير كالنفوس والعيون وقوله طلاله أضاف الظلال الى مفرد ومعناه  
الاضافة الى ذوى الظلال وانما حسن هذا لان الذي عاد اليه الضمير وان كان واحدا  
في اللفظ وهو قوله الى ما خلق الله الا أنه كثير في المعنى ونظيره قوله تعالى لتستووا على  
ظهوره فاضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد اى يديه الكثرة وهو  
قوله ما تركبون هذا كله كلام الواحدى وهو بحث حسن أما قوله عن اليمين والشمال  
ففيه بحثان (الاول) في المراد باليمين والشمال قولان (الاول) ان يمين الفلك هو المشرق  
وشماله هو المغرب والسبب في تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين ان أقوى جانبي  
الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية فلما كانت الحركة الفلكية اليومية آخذة من  
المشرق الى المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله اذا عرفت هذا فتقول  
ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الاطلال الى الجانب الغربي  
فاذا نجدت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربي وقع الاطلال في الجانب الشرقي  
فهذا هو المراد من تغير الظلال من اليمين الى الشمال وبالعكس وعلى هذا التقدير فالاطلال

اليمين أي يبشهم ليعين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعانيتها بصورها الحقيقية الشأن  
(الذي يختلفون فيه) من الحق المنتظم بجمع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا  
(وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعدهم الحق (انهم كانوا كافرين) في كل ما

يقولون لاسيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتمير عن الحق بالوصول للدلالة على فخامته والاشارة بطبقة ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية ﴿ ٤٦٤ ﴾ للبعث المشار اليه باعتباره وروده في معرض الرد

في أول النهار تبتدى من يمين الفلك على الريح الغربي من الارض ومن وقت انحدار الشمس من وسط الفلك تبتدى الاظلال من شمال الفلك واقعة على الريح الشرقي من الارض (القول الثاني) ان البلدة التي يكون عرضها أقل من مقدار الميل فان في الصيف تحصل الشمس على يسارها وحيث يقع الاظلال على يمينهم فهذا هو المراد من انتقال الاظلال عن الايمان الى الشك والبعكس هذا ما حصلت في هذا الباب وكلام المفسرين فيه غير ملخص (البحث الثاني) لقائل أن يقول ما السبب في ان ذكر اليمين بلفظ الواحد والشكائل بصيغة الجمع وأجيب عنه باشياء (أحدها) انه وحده اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر في اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدر (وثانيها) قال الفراء كأنه اذا وحده ذهب الى واحدة من ذوات الاظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع على ما بيناه فيحتمل كلا الأمرين (وثالثها) ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (ورابعها) اننا اذا فسرنا اليمين بالشرق كانت النقطه التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة وأما الشكائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر الله تعالى عنها بصيغة الجمع والله أعلم (المسئلة الرابعة) أما قوله سبحانه فيهِ احتمالات (الاول) أن يكون المراد من السجود الاستسلام والانتقاد يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا ماتت لكثرة الحمل ويقال سجد لقرء السوء في زمانه أي اخضعه قال الشاعر \* ترى الاكم فيها سجدا للحوافر \* أي متواضعة اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى دبر النيرات الفلكية والاشخاص الكوكبية بحيث يقع اضواءها على هذا العالم السفلي على وجوه مخصوصة ثم اننا شاهدنا تلك الاضواء وتلك الاظلال لاتقع في هذا العالم الاعلى وفق تدبير الله تعالى وتقديره فنشاهد ان الشمس اذا طلعت وقمت للجسام الكثيفة اظلال ممتدة في الجانب الغربي من الارض ثم كلما ازدادت الشمس طلوعا وارتفاعا ازدادت تلك الاظلال تقلصا وانتقاصا الى الجانب الشرقي الى ان تصل الشمس الى وسط الفلك فاذا انحدرت الى الجانب الغربي ابتدأت الاظلال بالوقوع في الجانب الشرقي وكلما ازدادت الشمس انحدارا ازدادت الاظلال تمعدا وتزايدت في الجانب الشرقي وكانا اننا شاهدنا هذه الحالة في اليوم الواحد فكذلك نشاهد احوال الاظلال مختلفة في التيامن والتياسر في طول السنة بسبب اختلاف احوال الشمس في الحركة من الجنوب الى الشمال وبالعكس فلما شاهدنا احوال هذه الاظلال مختلفة بسبب الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الارض وغربها وبسبب الاختلافات الواقعة في طول السنة في يمين الفلك ويساره ورأينا انها واقعة على وجه مخصوص وترتيب معين علمنا انها منقادة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتديره فكانت السجدة عبارة عن هذه

على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا أن تحقيق البعث اذا كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك أجزايم عن انكاره وأدعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات أدل على وقوع الفعل الغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للمخلق الغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما يذكر ذلك لتكرره في مواضع اخرى وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكتبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل يحيى بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به

فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المخالفون وأما كذب الكافرين فليس من هنا ﴿ الحالة ﴾ القبيل فالتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل أنفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى ينبئناك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل

ولم يخلوا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضا (انما قولنا) استثناء لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على آية ﴿ ٤٦٥ ﴾ البعث ومنه يظهر كيفيته فا كافة وقولنا مبتدأ

وقوله (لشيء) أي أي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية أي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لانه كان شيئا قبل ذلك (اذا أردناه) ظرف لقولنا أي وقت ارادتنا لوجوده (أن نقول له كن) خبر للمبتدأ (فيكون) اما عطف على مقدر يفصح عنه الغاء وينسحب عليه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذ قضى أمرنا قلنا قول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف أي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا ما مورحى يقال انه يلزم منه أحد المحالين اما خطاب العدم أو تحصيل الحاصل أو يقال انما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب

الحالة فان قيل لم لا يجوز أن يقال اختلاف حال هذه الاطلال معلى باختلاف سير النير الاعظم الذي هو الشمس لاجل تقدير الله تعالى وتدييره قلنا قد دللنا على ان الجسم لا يكون متحركا لذاته اذ لو كانت ذاته علة لهذا الجزء المحصوص من الحركة لبقى هذا الجزء من الحركة لبقاء ذاته ولو بقي ذلك الجزء من الحركة لامتنع حصول الجزء الآخر من الحركة ولو كان الامر كذلك لكان هذا سكونا لا حركة فا قول بان الجسم متحرك لذاته يوجب القول بكونه ساكنا لذاته وانه محال وما أفضى ثبوته الى نفيه كان باطلا فقلنا ان الجسم يمتنع كونه متحركا لذاته وأيضا فقد دللنا على ان الاجسام مماثلة في تمام الماهية فاخصاص جرم الشمس بالقوة المعينة والخاصية المعينة لا بد وأن يكون بتدبير الخالق المختار الحكيم اذ انبت هذا فنقول هب ان اختلاف أحوال الاطلال انما كان لاجل حركات الشمس الا اننا لمادلنا على ان محرك الشمس بالحركة الخاصة ليس الا الله سبحانه كان هذا لئلا على ان اختلاف أحوال الاطلال لم يقع الابتدبير الله تعالى وتخايته فثبت ان المراد بهذا السجود الانقياد والتواضع وتطيره قوله والنجم والشجر يسجدان وقوله وطلالهم بالغدو والآصال قدم بيانه وشرحه (والقول الثاني) في تفسير هذا السجود ان هذه الاطلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد قال أبو العلاء المعري في صفة واد

بحرف يطيل الخج فيه سجوده \* وللارض زى الراهب المتعبد

فما كانت الاطلال تشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وكان الحسن يقول أما ظلك فمجد ربك وأما أنت فلا تسجد له بسما صنعت وقال مجاهد طل الكافر يصلى وهو لا يصلى وقيل ظل كل شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجدا أم لا واعلم ان الوجه الاول أقرب الى الحقائق العقلية والثاني أقرب الى الشبهات الظاهرة (المسئلة الخامسة) قوله سجدا حال من الظلال وقوله وهم داخرون أي صاغرون يقال دخر يدخر دخورا أي صغر يصغر صفارا وهو الذي يفعل ما أمره شاه أم أبي وذلك لان هذه الاشياء متفاداة لقدرة الله تعالى وتدييره وقوله وهم داخرون حال أيضا من الطلال فان قيل الظلال ليست من العقلاء فكيف جاز جعلها باواو والتون قلنا لانه تعالى لما وصفهم بالطاعة والدخور أشبهوا العقلاء أما قوله تعالى والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة و الملائكة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان السجود على نوعين سجود هو عبادة كسجود المسلمين لله تعالى وسجود هو عبارة عن الانقياد لله تعالى والخضوع ويرجع حاصل هذا السجود الى انها في نفسها ممكنة الوجود والعدم قابلة لهملوانه لا يترجم أحد الطرفين على الآخر المرجح اذا عرفت هذا فنقول من الناس من قال المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالاعنى الثاني وهو التواضع والانقياد والدليل عليه ان اللائق بالدابة ليس الا هذا السجود ومنهم من قال

التكوين فيه كما يفيد ﴿ ٥٩ ﴾ حاقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو يمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها

ونصؤيز لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الأمر المطاع فالغنى إنما يجتاز ما  
لشيء عند تعلق مشيئته أن توجده في أسرع ﴿ ٢٦٦ ﴾ ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول مخصوص

وجب أن يعبر عن مطلق  
الايجاب بالقول المطلق  
فتامل وفي الآية الكريمة  
من الغمامة والجزالة  
ما يحار فيه العقول والابواب  
وقرى بنصب يكون  
عطفاً على نقول  
أو تشبيهه بالجواب الأمر  
(والذين هاجروا في  
الله) أي في شأن الله  
تعالى ورضاه وفي حقه  
ولوجهه (من بعد ما  
ظلموا) ولعلمهم الذين  
ظلمهم أهل مكة من  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وأخرجهم  
من ديارهم فهاجروا  
إلى الحبشة ثم بوأهم  
الله تعالى المدينة حسبا  
وعد بقوله سبحانه  
(لنبوئهم في الدنيا  
حسنة) أي مبلغة حسنة  
أو تبوئة حسنة كما قال  
قادة وهو الأنسب بما  
هو المشهور من كون  
السورة غير ثلاث آيات  
من آخرها مكة وأما  
ما نقل عن ابن عباس  
رضي الله عنهما من  
انها نزلت في صهيب  
وبلال وعمار وخباب  
وعابس وجبير وأبي

المراد بالسجود ههنا هو المعنى الاول لان الالاق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى لان  
السجود بالمعنى الثاني حاصل في كل الحيوانات والنباتات والجمادات ومنهم من قال  
السجود لفظ مشترك بين المعنيين وحمل اللفظ المشترك لافادة مجموع معنييه جائز فحمل  
لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معا أما في حق الدابة فبمعنى التواضع وأما في  
حق الملائكة فبمعنى سجود المسلمين لله تعالى وهذا القول ضعيف لانه ثبت ان استعمال  
اللفظ المشترك لافادة جميع مفهوماته معا غير جائز (المسئلة الثانية) قوله من دابة قال  
الاخفش يريد من الدواب وأخبر بالواحد كما تقول مأتاني من رجل مثله ومأتاني من  
الرجال مثله وقال ابن عباس يريد كل مادب على الارض (المسئلة الثالثة) لقائل أن  
يقول ما الوجه في تخصيص الدواب والملائكة بالذكر فنقول فيه وجوه (الاول) انه  
تعالى بين في آية الظلال ان الجمادات بأسرها متفاداة لله تعالى وبين بهذه الآية أن  
الحيوانات بأسرها متفاداة لله تعالى لان أحسها الدواب وأشرفها الملائكة فلما بين في  
أحسها وفي أشرفها كونها متفاداة لله تعالى كان ذلك دليلا على انها بأسرها متفاداة  
خاصة لله تعالى (والوجه الثاني) قال حكماء الاسلام الدابة اشتقاقها من الديد  
والديدب عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويذب  
فلما بين الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا أنها ليست مما يدب بل هي أرواح محضة مجردة  
ويمكن الجواب عنه بأن الجناح للطيران مغاير للديدب بدليل قوله تعالى وما من دابة في  
الارض ولا طائر يطير بجناحيه والله أعلم أما قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون ربهم  
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) المقصود من هذه الآية  
شرح صفات الملائكة وهي دلالة فاهرة قاطعة على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب  
لان قوله وهم لا يستكبرون يدل على أنهم متفادون لصانهم وخالقهم وانهم ما خالفوه في  
أمر من الامور ونظيره قوله تعالى وما تنزل الا بأمر ربك وقوله لا يسبغونه بالقول وهم  
بأمره يعملون وأما قوله ويفعلون ما يؤمرون فهذا أيضا يدل على انهم فعلوا كل  
ما كانوا مأمورين به وذلك يدل على عصمتهم عن كل الذنوب فان قالوا هب ان هذه الآية  
تدل على انهم فعلوا كل ما أمروا به فلم قلتم انها تدل على انهم تركوا كل ما نهوا عنه قلنا  
لان كل من نهى عن شيء فقد أمر بتركه وحيث تدخل في اللفظ واذا ثبت بهذه الآية  
كون الملائكة معصومين من كل الذنوب وثبت ان ابليس ما كان معصوما من الذنوب  
بل كان كافرا زما القطع بأن ابليس ما كان من الملائكة (والوجه الثاني) في بيان هذا  
المقصود انه تعالى قال في صفة الملائكة وهم لا يستكبرون ثم قال لا يبليس أستكبرت أم  
كنت من العالمين وقال أيضا له اخرج منها فما يكون لك ان تكبر فيها ثبت ان الملائكة  
لا يستكبرون وثبت ان ابليس تكبر واستكبر فوجب أن لا يكون من الملائكة وأيضا لما  
ثبت بهذه الآية وجوب عصمة الملائكة ثبت ان القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق

جندل بن سهيل أخذهم المشركون فبعلوا بعدونهم ليردوهم عن الاسلام فأما صهيب فقال لهم ﴿ هاروت ﴾  
أنارجل كبيران كنت معكم لم أفمكم وان كنت هلكم لم أضركم فاقدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله  
عنه قال ربح البيع بأصهيب وقال غير رضي الله عنه نعم البصهيب لولم يخف الله لم يعصه



فانما يناسب ما حكى عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية في آخر السورة مدنية فيجمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في أصحاب ﴿ ٤٦٧ ﴾ المهاجرين على أن يكون نزولها بالمدينة بين المهاجرين

وأما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلاتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرى لشوئهم ومعناه اتواءة حسنة أولئذ لهم في الدنيا منزلة حسنة وهي القلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة (ولا جراخرة) أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة (أكبر) بما يجعل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما دخر في الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهم هؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افقوهم في الدين وقيل للمهاجرين أي لو علموا ذلك زادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما أصابهم من الهجرة وشدائدها (الذين صبروا) على الشدائد

هاروت وماروت كلام باطل فان الله تعالى وهو أصدق القائلين لما شهد في هذه الآية على عصمة الملائكة وبرايتهم عن كل ذنب وجب القطع بان تلك القصة كاذبة باطلة والله أعلم واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف ولولا انهم يجوزون على أنفسهم الاقدام على الكبائر والذنوب والالهم يحصل الخوف والجواب من وجهين (الاول) انه تعالى حذرهم من العقاب فقال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم لهذا الخوف يتكبرون الذنب (والثاني) وهو الاصح ان ذلك الخوف خوف الاجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والدليل على صحته قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم كان الخوف منه أعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والكبرياء والله أعلم (المسئلة الثانية) قالت المشبهة قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم هذا يدل على ان الاله تعالى فوقهم بالذات واعلم اننا بلغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى القاهر فوق عباده والذي يزيد ههنا ان قوله يخافون ربهم من فوقهم معناه يخافون ربهم من ان ينزل عليهم العذاب من فوقهم واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى سقط قولهم وأيضا يجب حل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله وانا فوقهم قاهرون والذي يقوى هذا الوجه انه تعالى لما قال يخافون ربهم من فوقهم يجب أن يكون المقضى لهذا الخوف هو كون ربهم فوقهم لما ثبت في أصول الفقه ان الحكم المرتب على الوصف يشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف اذا ثبت هذا فنقول هذا التعليل انما يصح لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لانها هي الموجبة للخوف أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل ان حارس البيت فوق الملاك بالمكان والجهة مع انه أخس عبيده فسقطت هذه الشبهة (المسئلة الثالثة) دلت هذه الآية على ان الملائكة مكلفون من قبل الله تعالى وان الامر والنهي متوجه عليهم كسائر المكلفين ومتى كانوا كذلك وجب أن يكونوا قادرين على الخير والشر (المسئلة الرابعة) تمسك قوم بهذه الآية في بيان ان الملاك أفضل من البشر من وجوه (الاول) انه تعالى قال والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وذكرنا ان تخصيص هذين النوعين بالذكر انما يحسن اذا كان أحد الطرفين أخس المراتب وكان الطرف الثاني أشرفها حتى يكون ذكر هذين الطرفين منبها على الباقي واذا كان كذلك وجب أن يكون الملائكة أشرف خلق الله تعالى (الثاني) ان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل على انه ليس في قلوبهم تكبر وترفع وقوله ويفعلون ما يؤمرون يدل على ان أعمالهم خالية عن الذنب والمعصية فجميع هذين الكلامين يدل على أن بواطنهم وطواهرهم مبرأة عن الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة وأما البشر فليسوا كذلك ويدل عليه القرآن والخبر ما القرآن فقوله تعالى قتل الانسان ما أكره وهذا الحكم عام في الانسان واقل

من أذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومجمله النصب أو الرفع على المدح (وعلى ربهم) خاصة (يتوكلون) منقطعين اليه تعالى معرضين فما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة امامه مطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على

تدوام التوكل أحوال من ضمير صبروا ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ) وقرئ بإياه مبنيا للمفعول وهو رد  
تقرئ حين قالوا الله أجل من أن يكون له رسول ﴿ ٤٦٨ ﴾ من الشرك كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ

مراتبه أن تكون طبيعة الانسان مقتضية لهذه الاحوال الذميمة وأما الخبر فقوله عليه  
السلام ما لنا الا وقد عصي أوهم بالمعصية غير يحيى بن ذكريا ومن المعلوم بالضرورة ان  
المبرأ عن المعصية والهمم بها أفضل من عصي أوهم بها ( الوجه الثالث ) انه لا شك ان الله  
تعالى خلق الملائكة قبل البشر بادوار متطاولة وازمان ممتدة ثم انه وصفهم بالطاعة  
والخضوع والخشوع طول هذه المدة وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة  
لوجهين ( الاول ) قوله عليه السلام الشيخ في قومه كائني في أمته فضل الشيخ على الشاب  
وما ذاك الا لانه لما كان عمره أطول فالظاهر ان طاعته أكثر فكان أفضل ( والثاني ) أنه  
صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة فلما  
كان شروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فيها لم ينالوا فضلهم الذي ينالون  
هذه السنة الحسنة وهي طاعة الخالق القديم الرحيم والبشر انما جاؤا بعدهم واستنوا  
سنتهم فوجب بمقتضى هذا الخبر ان كل ما حصل للبشر من الثواب فقد حصل مثله للملائكة  
ولهم ثواب القدر الزائد من الطاعة فوجب كونهم أفضل من غيرهم ( الوجه الرابع ) في  
دلالة الآية على هذا المعنى قوله يخافون ربهم من فوقهم وقد بينا بالدليل ان هذه الفوقية  
عبارة عن الفوقية بالرتبة والشرف والقدرة والقوة فظاهر الآية يدل على انه لا شيء  
فوقهم في الشرف والرتبة الا الله تعالى وذلك يدل على كونهم أفضل المخلوقات والله أعلم  
﴿ قوله تعالى ( وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فباي فارهبون وله ما في

السموات والارض وله الدين واصبا فقير الله تتعون وما بكم من نعمة فن الله ثم اذا مسكم  
الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فر بق منكم رب بهم يشركون ليكفروا  
بما آتيناهم فتنعوا فسوف تعلمون ) اعلم انه تعالى لما بين في الآية الاولى ان كل ما سوى الله  
سواء كان من عالم الارواح او من عالم الاجسام فهو متفاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه  
اتبه في هذه الآية بالتهى عن الشرك وبالامر بأن كل ما سواه فهو ملكه وملكه وانه  
غنى عن الكل فقال لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد وفي الآية مسائل ( المسئلة  
الاولى ) لقائل أن يقول ان الهين لا بد وان يكونا اثنين فما الغائدة في قوله الهين اثنين  
وجوابه من وجوه ( أحدها ) قال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا  
اثنين الهين ( وثانيها ) وهو الاقرب عندي ان الشيء اذا كان مستنكرا مستقبحا فن أراد  
المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببا لوقوف  
العقل على ما فيه من القبح اذا عرفت هذا فالقول بوجود الهين قول مستقبح في  
العقول ولهذا المعنى فان أحدم من العقلاء لم يقل بوجود الهين متساويين في الوجوب  
والقدم وصفات الكمال فقوله لا تتخذوا الهين اثنين المقصود من تكريره تأكيد التنفير  
عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح ( وثالثها ) ان قوله الهين لفظ واحد يدل  
على أمرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لا تتخذوا الهين لم يعرف من هذا اللفظ ان

أى جرت السنة الالهية  
تجسما اقتضته الحكمة  
بأن لا يعث للدعوة العامة  
الإبشرا يوحى اليهم  
بواسطة الملك أو امره  
ونوايه ليبلغوها للناس  
ولما كان المقصود من  
الخطاب لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم تبيينه  
الكفار على مضمونه  
صرف الخطاب اليهم  
ف قيل ( فاستلوا أهل  
الذكر ) أى أهل الكتاب  
أو علماء الاخبار أو كل  
من يذكر بعلم وتحقيق  
ليعلم ذلك ( ان كنتم  
لا تعلمون ) حذف جوابه  
لدلالة ما قبله عليه وفيه  
دلالة على أنه لم يرسل  
للدعوة العامة ملكا وقوله  
تعالى جاعل الملائكة  
رسلا معناه رسلا الى  
الملائكة أو الى الرسل  
ولا امرأة ولا صبي  
ولا ينافيه نبوه عيسى  
عليه الصلاة والسلام  
وهو في المهد لانها أعم  
من الرسالة وإشارة الى  
وجوب المراجعة الى العلماء  
فيما لا يعلم ( بالبينات  
والزبر ) بالمعجزات  
والكتب والبيات متعلقه

بمقدور وقع جوابا عن سؤال من قال لم يرسلوا قبيل ارسلوا بالبينات والزر برأ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي إليهم ﴿ انتهى ﴾  
مع رجاء الاعتد من بجوزة أى ما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قيل اداة  
الاستثناء أى ما أرسلنا من قبلك بالبينات

وَأَنَّ بَرَّ الْأَرْجَاءِ الْأَصْدَقُ مَنْ يَجُوزُ بِأَخْرَصِ صَلَاةٍ مَا قَبِلَ إِلَّا إِلَى مَا بَعْدَهُ أَوْ بِمَا وَقَعَ صِفَةُ الْبَسْتَنِيِّ أَيْ الْأَرْجَاءِ الْمُنْتَهِيَةِ بِالْبَيِّنَاتِ أَوْ بِتَوْحِي  
عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ أَوْ الْحَالِيَّةِ مِنَ الْقَائِمِ مَقَامَ فَاعِلٍ ﴿٤٦٩﴾ يَوْحِي وَهُوَ الْبِهِمُ عَلَى أَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى فَاسَأَلُوا عِزْرَةَ أَوْ قَوْلَهُ  
لَا تَعْلَمُونَ عَلَى أَنْ الشَّرْطُ

للتبكي كقول الاجبران  
كنت عملت لك فأعطني  
حقى ( وأزلتنا اليك  
الذكر ) أى القرآن  
والمسمى به لانه تذكير  
وتنبيه للغافلين (للتبين  
للناس) كافة ويدخل  
فيهم أهل مكة دخولا  
أوليا (مازل اليهم) في  
ذلك الذكر من الاحكام  
والشرائى وغير ذلك  
من أحوال القرون  
المهلكة بأفانين العذاب  
حسب أعمالهم الموجبة  
لذلك على وجه التفصيل  
بيانا شافيا كما ينبغي عنه  
صيغة التفصيل في الفعلين  
لا سيما بعد ورود الثانى  
أولا على صيغة الافعال  
ولما ان التبين أعم من  
التصريح بالمقصود  
ومن الارشاد الى ما يدل  
عليه دخل تحته القياس  
على الاطلاق سواء كان  
في الاحكام الشرعية  
أو غيرها ولعل قوله  
عز وجل ( ولعلمهم  
يتفكرون ) اشارة الى  
ذلك أى ارادة ان يتأملوا  
فتبينوا الحقائق وما فيه  
من العبر ويحتزوا عما

النهى وقع عن اثبات الاله أو عن اثبات التعدد أو عن مجموعهما فلما قال لا تتخذوا  
الهيى اثنين ثبت ان قوله لا تتخذوا الهيى نهي عن اثبات التعدد قطع (ورابعها) ان  
الاثنية منافية للالهية وتقريره من وجوه (الاول) ان الوفرضا موجودين يكون كل  
واحد منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتى ومباينين بالتعين ومابه  
المشاركة غير مابه المباشرة فكل واحد منهما مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن  
فثبت ان القول بان واجب الوجود أكثر من واحد ينفي القول بكونهما واجبي  
الوجود (الثانى) ان الوفرضا الهيى وحاول أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه  
امتنع كون أحدهما أولى بالفعل من الثانى لان الحركة الواحدة والسكون الواحد  
لا يقبل القسمة أصلا ولا التفاوت أصلا واذا كان كذلك امتنع أن تكون القدرة على  
أحدهما أكمل من القدرة على الثانى واذا ثبت هذا امتنع كون احدى القدرتين أولى  
بالتأثير من الثانية واذا ثبت هذا فاما أن يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال  
أولا يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال أولا يحصل مراد واحد منهما البتة فحينئذ  
يكون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها فثبت أن كونهما اثنين ينفي كون كل  
واحد منهما الها (الثالث) ان الوفرضا الهيى اثنين لكان اما أن يقدر احدهما على ان  
يستر ملكه عن الآخر أولا يقدر فان قدر فذاك اله والآخر ضعيف وان لم يقدر فهو  
ضعيف (الرابع) وهو ان أحدهما اما أن يقوى على مخالفة الآخر أو لا يقوى عليه  
فان لم يقوى عليه فهو ضعيف وان قوى عليه فذاك الآخر ان لم يقوى على الدفع فهو ضعيف  
وان قوى عليه فالاول المغلوب ضعيف فثبت ان الاثنية والالهية متضادتان فقوله  
لا تتخذوا الهيى اثنين المقصود منه التنبيه على حصول المناقاة والمضادة بين الالهية  
وبين الاثنية والله أعلم واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال انما هو اله واحد والمعنى  
انه لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من الاله و ثبت ان القول بوجود الالهين  
محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق الصمد ثم قال بعده فايى فارهبون وهذا رجوع  
من الغيبة الى الحضور والتقدير انه لما ثبت ان الاله واحد و ثبت ان التكلم بهذا  
الكلام اله فحينئذ ثبت انه لا اله للعالم الا المتكلم بهذا الكلام فحينئذ يحسن منه  
أن يعدل من الغيبة الى الحضور ويقول فايى فارهبون وفيه دققة أخرى وهى أن قوله  
فايى فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يهرب الخلق الا منه وان لا يرغبوا الا في فضله  
واحسانه وذلك لان الوجود اما قديم واما محدث أما القديم الذى هو اله فهو واحد  
وأما ما سواه فمحدث وانما حدث بتخليق ذلك القديم و بايجاده واذا كان كذلك فلا رغبة  
الا لله ولا رهبة الا منه ففضله تندفع الحاجات ويتكوى به وبتخليقه تنقطع الضرورات  
ثم قال بعده وله ماقى السموات والارض وهذا حق لانه لما كان الاله واحدا والواجب  
لذاته واحدا كان كل ما سواه حاصلًا بتخليقه وتكوينه و ايجاده فثبت بهذا البرهان صحة

يؤدى الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب ( أفأمن الذين مكروا السيآت ) هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله  
صلى الله عليه وسلم وراموا صدأصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا الهلاك الا نبياء كما قيل ولا من يعم  
الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما أصاب

أولئك من فزون العذاب العتودة والسيئات نعت لصدر محذوف أي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم أو مفعول به  
للعمل المذكور على تخطيته معنى العمل أي عملوا السيئات فقوله ﴿ ١٧٠ ﴾ تعال (أن يخسف الله بهم الأرض)

قوله وله ما في السموات والأرض واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة  
لله تعالى لأن أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض فوجب أن تكون أفعال  
العباد لله تعالى وليس المراد من كونها لله تعالى أنها مفعولة لاجله ولتعرض طاعته لأن  
فيها المباحات والمحظورات التي يوتى بها الفرض الشهوة واللذة لا تفرض الطاعة فوجب  
أن يكون المراد من قولنا أنها لله تعالى أنها واقعة بتكويته وتخليقه وهو المطلوب ثم قال بعده  
وله الدين وأصبا الدين ههنا الطاعة والواصب الدائم يقال وصب الشيء يصب وصبوا  
إذا دام قال تعالى ولهم عذاب وأصب ويقال واظب على الشيء وواصب عليه إذا دام  
ومقازة وأصبه أي بعيدة لأغاية لها ويقال للعليل وأصب لكون ذلك المرض لازماله قال  
ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الانقطاع ذلك بسبب في حال الحياة أو بالموت إلا  
الحق سبحانه فان طاعته واجبة أبدا واعلم أن قوله وأصبا حال والعامل فيه ما في الطرف  
من معنى الفعل وأقول الدين قديعني به الانقياد يقال يامن دانت له الرقاب أي انقادت  
فقوله وله الدين وأصبا أي انقياد كل مأسواه له لازم أبدا لأن انقياد غيره له معلل بان غيره  
يمكن لذاته والممكن لذاته يلزمه أن يكون محتاجا إلى السبب في طر في الوجود والعدم  
والماهيات يلزمها الامكان لزوما ذاتيا والامكان يلزمه الاحتياج إلى المؤثر لزوما ذاتيا  
يتبع ان الماهيات يلزمها الاحتياج إلى المؤثر لزوما ذاتيا فهذه الماهيات موصوفة  
بالانقياد لله تعالى اتصافا دائما واجبا لازما بمتنع التغير وأقول في الآية دقيقة أخرى  
وهي ان العقلاء اتفقوا على أن الممكن حال حدوثه محتاج إلى السبب المرجح واختلفوا  
في الممكن حال بقائه هل هو محتاج إلى السبب قال المحققون انه محتاج لأن علة الحاجة  
هي الامكان والامكان من لوازم الماهية فيكون حاصل الماهية حال حدوثها وحال  
بقائها فتكون علة الحاجة حال حدوث الممكن وحال بقائه فوجب أن تكون الحاجة  
حاملة حال حدوثها وحال بقائها إذا عرفت هذا فقوله وله ما في السموات والأرض معناه  
أن كل مأسوى الحق فإنه محتاج في انقلابه من العدم إلى الوجود أو من الوجود إلى العدم  
إلى مرجع وتخصص وقوله وله الدين وأصبا معناه ان هذا الانقياد وهذا الاحتياج حاصل  
دائما أبدا وهو إشارة إلى ما ذكرناه من أن الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المرجح  
والتخصص وهذه دقائق من أسرار العلوم الالهية مودعة في هذه الالفاظ الغائضة من  
عالم الوحي والنبوة ثم قال تعالى أفغير الله تتقون والمعنى انكم بعدما عرفتم ان الله العالم  
واحد وعرفتم ان كل مأسواه محتاج إليه في وقت حدوثه ومحتاج إليه أيضا في وقت دوامه  
و بقائه فبعد العلم بهذه الاصول كيف يعقل أن يكون للانسان رغبة في غير الله تعالى  
أو رهبة عن غير الله تعالى فلهذا المعنى قال على سبيل التجب أفغير الله تتقون ثم قال  
وما يكمن من نعمه فمن الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه لمساين بالآية الاولى ان  
الواجب على العاقل أن لا يتق غير الله بين في هذه الآية انه يجب عليه أن لا يشكر أحدا

يَفْعُولَ لَأَمِّنَ أَوَّالِ السَّيِّئَاتِ  
صَقَّةٌ لَهَا هُوَ الْمَعْمُولُ أَى  
لَأَمِّنَ الْمَاكْرُونَ الْعُقُوبَاتِ  
السَّيِّئَةِ وَقَوْلُهُ أَنْ يَخْسِفَ  
الْخَبْرَ بَدَلَ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَى  
كُلِّ حَالٍ فَالْفَاءُ لِعَطْفِ  
عَلَى مَقْدَرٍ يَنْسَجِبُ عَلَيْهِ  
الْعَظِيمُ الْكَرِيمُ أَى أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ  
مُضْمَرُهُ الَّذِي مِنْ جَلَمَتِهِ  
أَنْبَاءُ الْأُمَّةِ الْمُهْلِكَةِ بِفَعُولِ  
الْعَذَابِ وَيَتَفَكَّرُوا فِي  
ذَلِكَ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا  
فَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا  
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ  
بِهِمُ الْأَرْضَ كَمَا فَعَلَ  
بِقَارُونَ عَلَى تَوْجِيهِ  
الْإِنْكَارِ إِلَى الْعَطُوفِينَ  
مَعَا أَوْ تَفَكَّرُوا فَأَمَّنُوا  
عَلَى تَوْجِيهِ إِلَى الْعَطُوفِ  
عَلَى أَنْ الْأَمِّنَ بَعْدَ التَّفَكُّرِ  
بِمَا لَا يَكُونُ دِيْفَعْلُهُ أَحَدٌ  
وَقِيلَ هُوَ عَطْفٌ عَلَى مَقْدَرٍ  
يُنْبِئُ عَنْهُ الصَّلَاةُ أَى  
أَمَرَ فَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا  
الْخَبْرَ (أَوْ بَاتِيهِمْ الْعَذَابُ  
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)  
بَاتِيَانَهُ أَى فِي حَالَةٍ  
غَفْلَتِهِمْ أَوْ مِنْ مَأْمَنِهِمْ  
أَوْ مِنْ حَيْثُ يَرْجُونَ  
إِتْيَانَهُ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا حَكِيَ  
فِيمَا سَلَفَ بِمَا زَلَّ بِالْمَاكِرِينَ

(أو يأخذهم في قلبهم) أي في حالة قلبهم في مسايرهم ومناجرهم (فأهم بحجزين) بمتنعين أو فائتين ﴿ الإلهة ﴾  
بالهرب والفرار على ما يورثهم حال القلب والسير والغاء اما لتعليل الاخذ والترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته

وفظا حته حسبا قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذهم بغلته وايرأذ الجلمة الا تسمية للدلالة على دوام النقي لان في  
الدوام (او ياخذهم على تخوف) أي مخافة وحذر ﴿ ٤٧١ ﴾ عن الهالك والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيخوفوا

فياخذهم العذاب وهم  
متخوفون وحيث كانت  
حالتا القلب والتخوف  
مظنة للهرب عبر عن  
اصابة العذاب فيها  
بالاخذ وعن اصابتها  
حالة الغفلة المنبثة عن  
السكون بالاتبان وقيل  
التخوف التقص قال  
قائلهم \* تخوف الرجل  
منها تاما كقردا \* كما تخوف  
عود النعمة السفن \* أي  
ياخذهم على أن يتقصم  
شيئا بعد شيء في أنفسهم  
وأموالهم حتى يهلكوا  
والمراد بكرا الاحوال  
الثلاث بيان قدرة الله  
سبحانه على هلاكهم  
بأي وجه كان لا الحصر  
فيها (أي) بكم لرؤف  
رحم (أي) لا يما جلكم  
بالعقوبة ريحلم عنكم مع  
استحقاقكم لها (أولم  
يروا) استفهام انكاري  
وقرى على صيغة الخطاب  
والواو للعطف على  
مقدر يقتضيه المقام  
أي ألم ينظروا ولم يروا  
متوجهين (إلى ما خلق الله  
من شيء) أي من كل  
شيء (يتغيا ظلاله) أي  
يرجع شيئا فشيئا حسبا

الإلهة تعالى لان الشكر انما يلزم على النعمة وكل نعمة حصلت للانسان فهي من الله  
تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله فثبت بهذا ان العاقل يجب عليه أن لا يخاف وان  
لا يتق أحد الا الله وأن لا يشكر أحد الا الله تعالى (المسئلة الثانية) اخرج أصحابنا بهذه  
الآية على ان الايمان حصل بخلق الله تعالى فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فهي من الله  
تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ينتج ان الايمان من الله وانما قلنا ان الايمان نعمة  
لان المسلمين مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان وأيضا فالتعصبة عبارة عن كل  
ما يكون منتعما به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فثبت ان الايمان نعمة واذا ثبت  
هذا فنقول وكل نعمة فهي من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله وهذه اللفظة  
تفيد العموم وأيضا مما يدل على ان كل نعمة فهي من الله لا أن كل ما كان موجودا  
فهو اما واجب لذاته واما ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا الله تعالى والممكن لذاته  
لا يوجد الا المرجح وذلك المرجح ان كان واجبا لذاته كان حصول ذلك الممكن بايجاد الله  
تعالى وان كان ممكنا لذاته عاد التقسيم الاول فيه ولا يذهب الى التسلسل بل ينتهي الى  
ايجاد الواجب لذاته فثبت بهذا البيان ان كل نعمة فهي من الله تعالى (المسئلة  
الثالثة) النعم اما دينية واما دنيوية أما النعم الدينية فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة  
الخير لاجل العمل به وأما النعم الدنيوية فهي اما نفسانية واما بدنية واما خارقة وكل  
واحد من هذه الثلاثة جنس تحته أنواع خارجة عن الحصر والتحديد كما قال وان تعدوا  
نعمة الله لا تحصوها والاشارة الى تفصيل تلك الانواع قد ذكرناها مرارا فلا نعيد لها  
(المسئلة الرابعة) انما دخلت الفاء في قوله فمن الله لان الباء في قوله بكم متصلة بفعل  
مضمر والمعنى ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله ثم قال تعالى ثم اذا مسكم الضر  
قال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة فاليه تجأرون أي ترفعون أصواتكم  
بالاستغاثة وتتضرعون اليه بالدعاء يقال جأر جوارا وهو الصوت الشديد كصوت  
البقرة وقال الاعشى بصف راهبا

يراوح من صلوات المليك \* طورا سجدوا وطورا جوارا

والمعنى انه تعالى بين ان جميع النعم من الله تعالى ثم اذا اتفق لاحد مضرة تو جب زوال  
شيء من تلك النعم فالى الله يجأر أي لا يستغيث أحد الا الله تعالى لعلمه بانه لا مفرع للخلق  
الا هو فكانت نعمة تعالى قال لهم فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة ثم قال  
بعده ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يربهم يشركون فين تعالى ان عند  
كشف الضر وسلامة الاحوال يفترقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه عند  
الضر في أن لا يفزع الا الى الله تعالى وفريق منهم عند ذلك يتغيرون فيشركون بالله غيره  
وهنا جهل وضلال لانه لما شهدت فطرته الاصلية وخلقته الغريزية عند نزول البلاء  
والضر والافات والمخافات أن لا مفرع الا الى الواحد ولا مستغاث الا الواحد فعند

يتنضمها رادة الخالق تعالى فان التغيث مطاوع الافاء وقرى بتأنيث الفعل (عن اليمين والشمال) أي ألم يروا الاشياء التي  
لها ظلال متبينة عن ايمانها وشمالها أي عن جانبي كل واحد منها استعبر لهما ذلك من يمين الانسان وشماله  
(سجد الله) حال من ظلال كقوله تعالى

وقال لهم بالظلمة والاصال والمراد بتجوذها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتعالى لارادته تعالى في الامتداد والظلمة  
وخيرهما غير متممة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى ﴿ ٤٧٢ ﴾ ( وهم داخرون ) أى صاغرون مفادون حال من

زوال البلاء والضراء وجب أن يبقى على ذلك الاعتقاد فأما انه عند نزول البلاء يفر بانه  
لامستغاث الا الله تعالى وعند زوال البلاء يثبت الاضداد والشركاء فهذا جهل عظيم  
وضلال كامل ونظير هذه الآية قوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم بشركون ثم قال  
تعالى ليكفروا بما آتيناهم وفي هذه اللام وجهان ( الاول ) انها لام كي والمعنى انهم  
أشركوا بالله غيره في كشف ذلك الضر عنهم وغرضهم من ذلك الاشارة أن يتكروا  
كون ذلك الانعام من الله تعالى ألا ترى ان العليل اذا اشتد وجعه تضرع الى الله  
تعالى في ازالة ذلك الوجع فاذا زال أحال زواله على الدواء القلاني والعلاج القلاني  
وهذا أكمة أحوال الخلق وقال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله في  
اليوم الذي كنت أكتب هذه الاوراق وهو اليوم الاول من محرم سنة اثنين وستمئة  
حصلت زلزلة شديدة وهذه عظيمة وقت الصبح ورأيت الناس يصيحون بالدعاء والتضرع  
فلما سكنت وطاب الهواء وحسن أنواع الوقت نسوا في الحال تلك الزلزلة وعادوا الى  
ما كانوا عليه من تلك السفاهة والجهالة وكان هذه الحالة التي سرحها الله تعالى في هذه  
الآية تجرى مجرى الصفة اللازمة لجوهر نفس الانسان ( والقول الثاني ) ان هذه اللام  
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا يعني أن عاقبة تلك  
التضرعات ما كانت الا هذا الكفر واعلم أن المراد بقوله مما آتيناهم فيه قولان ( الاول )  
أنه عبارة عن كشف الضر وازالة المكروه ( والثاني ) قال بعضهم المراد به القرآن وما جاء به  
محمد صلى الله عليه وسلم من النبوة والشرائع واعلم انه تعالى توعدهم بعد ذلك فقال فتمتعوا  
وهذا لفظ أمر والمراد منه التهديد كقوله من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله قل آمنوا به  
اولا تؤمنوا ثم قال تعالى فسوف تعلمون اي عاقبة أمركم وما يزل بكم من العذاب والله أعلم  
بقوله تعالى ( ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون  
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالاثني ظل وجهه مسودا  
وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره به أي مسكه على هون أم يدسه في التراب الأساء  
ما يحكمون للدين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم )  
اعلم انه تعالى لما بين بالدلائل القاهرة فساد أقوال أهل الشرك والتشبيه شرخ في هذه  
الآية تفاصيل أقوالهم وبين فسادها وسخافتها ( فالنوع الاول ) من كلماتهم الفاسدة  
انهم يجعلون لما لا يعلمون نصيبا وفيه مسئلتان ( المسئلة الاول ) الضمير في قوله لما لا يعلمون  
الى ماذا يعود فيه قولان ( الاول ) أنه عائذ الى المشركين المذكورين في قوله اذا فريق  
منكم بر بهم بشركون والمعنى ان المشركين لا يعلمون ( والثاني ) أنه عائذ الى الاصنام أي  
لا يعلم الاصنام ما يفعل عبادها قل بعضهم الاول أولى لو جوه ( أحدها ) أن نفي العلم عن  
الحى حقيقة وعن الجهاد مجاز ( وثانيها ) ان الضمير في قوله ويجعلون عائذ الى المشركين  
فكذلك في قوله لما لا يعلمون يجب أن يكون عائذ اليهم ( وثالثها ) أن قوله لما لا يعلمون جمع

الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى ويراد الصيغة الخاصة بالعتلاء لنا أن الدخور من خصا نصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقتها ومغارها فانها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم مفادة لما قدر لها من التغيث وواقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة المساجد والحبال أن أصحابها من الاجرام سدخرة مفادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور سخن عن وصف ظلالها أو كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها متفادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما معنى عن وصف ظلالها بهما والمعنى المرجاد بل لوصول الجادات من الجبال والاشجار والاجرام التي لا يظهر ظلالها أثر سوى التغيث بما ذكر

من ارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقتها ومغارها أو بالحيوان فظله يتحرك كدوقيل المراد بالواو بالبين والجهائل يمين الصلابة وهو جانب الاشرق لان الكواكب منقطعة آخيدة في الارتفاع والسطوع وشبهه وهو باقية

الغربي المقابل له فان الظلال في أول النهار تبدى من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبدى من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ﴿ ٤٧٣ ﴾ ما بين سجود الظلال وأصحابها من الاجرام السفلية الثابتة

في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال أو لا تقبل (ولله يستجد) أي له تعالى وحده يخضع وينقاد لانشي غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر ينظم القلب والافراد الآن الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين (ما في السموات) قاطبة (وما في الارض) كأننا ما كان (من دابة) بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولثلايقع بين المبين والمبين فصل والافراد معان المراد الجمع لا فائدة ووضوح نحول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله (والملائكة) عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً واجلالاً أو على أن يراد بمساقى السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ﴿ ٦٠ ﴾ خا ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من

بالواو والتون وهو بالعلاء أليق منه بالاصنام التي هي جمادات ومنهم من قال بل القول الثاني أول اوجوه (الاول) انا اذا قلنا انه عائد الى المشركين افقرنا الى اصنام فان التقدير ويطعون للماليعلون الها أو لا يعلون كونه نافعاً صاروا اذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نفتقر الى الاصنام لان التقدير ويجعلون للماعلم لها ولا فهم (والثاني) انه لو كان العلم مضافاً الى المشركين لفسد المعنى لان من المحال أن يجعلوا نصيباً من رزقهم للماليعلونه فهذا ما قيل في ترجيح أحد هذين القولين على الآخر واعلم انا اذا قلنا بالقول الاول افقرنا فيه الى الاصنام وذلك يحتمل وجوهاً (أحدها) ويجعلون للماليعلون له حقاً ولا يعلون في طاعته نفعاً ولا في الاعراض عنه ضرراً قال مجاهد يعلون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون للماليعلون انه ينفعهم ويضرهم نصيباً (وثانيها) ويجعلون للماليعلون الهيئات (وثالثها) ويجعلون للماليعلون السبب في صيرورتها معبودة (ورابعها) المراد استهتار الاصنام حتى كأنها قلتها لا تعلم (المسئلة الثانية) في تفسير ذلك النصيب احتمالات (الاول) المراد منه انهم جعلوا لله نصيباً من الحرث والانعام يتقربون الى الله تعالى به ونصيباً الى الاصنام يتقربون به اليها وقد سرحنا ذلك في آخر سورة الانعام (والثاني) ان المراد من هذا النصيب البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وهو قول الحسن (والثالث) ربما اعتقدوا في بعض الاشياء انه انما حصل باعانة بعض تلك الاصنام كما ان التجمين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لرحل كذا من المعادن والنبات والحيوانات وللمشترى أشياء أخرى فكذا ههنا واعلم انه تعالى لما حكى عن المشركين هذا المذهب قال تالله لتسأن وهذا في هؤلاء الاقوام خاصة بمنزلة قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وعلى التقديرين فأقسم الله تعالى بنفسه انه يسألهم وهذا تهديد منه شديد لان المراد انه يسألهم سؤال توبيخ وتهديد وفي وقت هذا السؤال احتمالان (الاول) انه يقع ذلك السؤال عند اقرب من الموت ومعابنة ملائكة العذاب وقيل عند عذاب القبر (والثاني) انه يقع ذلك في الآخرة وهذا أولى لانه تعالى قد أخبر بما يجري هناك من ضرور التوبيخ عند المسئلة فهو الى الوعيد أقرب (التوع الثاني من كلماتهم الفاسدة) انهم يجعلون لله البنات ونظيره قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً كانت خرافة وكنافة تقول الملائكة بنات الله أقول أظن أن العرب انما أطلقوا لفظ البنات لان الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون اشبهوا النساء في الاستنار فاطلقوا عليهم لفظ البنات وأيضا قرص الشمس يجري مجرى المستر عن العيون بسبب ضوئه الباهر وتوره القاهر فأطلقوا عليه لفظ التأنيث فهذا ما يغلب على الظن في سبب اقتدامهم على هذا القول الفاسد والمذهب الباطل ولما حكى الله تعالى عنهم هذا القول قال سبحانه وفيه وجوه (الاول) أن يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد اليه (والثاني) لعجب الخلق من هذا الجهل القبيح وهو وصف الملائكة بالانوثه ثم نسبتها

ملائكة السموات وبقوله والملائكة ﴿ ٦٠ ﴾ خا ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من

ضمير الفاعل في يتعبد مستندا الى الملائكة أو استئناف أخبر عنهم بذلك (بخافون ربهم) أي مالك أمرهم وفيه تربية لهم بما تواسعوا به لعله الحكم (من فوقهم) أي يخافونه ﴿ ٤٧٤ ﴾ جل وعلا خوف هبة واجلال وهو فوقهم

بالولدية الى الله تعالى ( والثالث ) قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الاول ثم قال تعالى ولهم ما يشتهون أجازا ثماء في ما وجهين ( الاول ) أن يكون في محل النصب على معنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون ( والثاني ) أن يكون رفعا على الابتداء كأنه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتداء فقال ولهم ما يشتهون يعني البنين وهو كقوله أمه البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثاني وقال لو كان نصيبا لقال ولانفسهم ما يشتهون لانك تقول جعلت نفسك كذا وكذا ولا تقول جعلت لك وأبي الزجاج اجازة الوجه الاول وقال ما في موضع رفع لا غير والتقدير ولهم الشيء الذي يشتهونه ولا يجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه ما تشتهي ولا تقول جعل له ما تشتهي وهو يعني نفسه ثم انه تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فالأيرتضيه لنفسه كيف ينسبه لله تعالى فقال واذا ينسأ أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور الا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يوثق في تغير بشرة الوجه ومعلوم ان السرور كما يوجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجب أن يكون لفظه التبشير حقيقة في القسامين ويتأ كدهنا بقوله فبشرهم بعذاب أليم ومنهم من قال المراد بالتبشير ههنا الاخبار والقول الاول أدخل في التحقيق أما قوله ظل وجهه مسودا فالعنى انه يصير متغيرا تغيره مغم و يقال لمن لقي مكرها قد اسود وجهه غما وحزنا وأقول انما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم وذلك لان الانسان اذا قوى فرحه انشرح صدره وانبسط روح قلبه من داخل القلب ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد واذا وصل الروح الى ظاهر الوجه أسرق الوجه وتلاها واستنار وأما اذا قوى غم الانسان احتقن الروح في باطن القلب ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم يربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الارضية والكثافة فثبت ان من لوازم الفرح استنارة الوجه واشرافه ومن لوازم الغم كودة الوجه وغبرته وسواده فلهذا السبب جعل بياض الوجه واشرافه كناية عن الفرح وغبرته وكودته وسواده كناية عن الغم والحزن والكراهية ولهذا المعنى قال ظل وجهه مسودا وهو كظيم أي متملى غما وحزنا ثم قال تعالى يتوارى من القوم من سوء أي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به قال المفسرون كان الرجل في الجاهلية اذا ظهر آثارا للطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم الى أن يعلم ما يولد له فان كان ذكرا ابتهج به وان كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها انه ماذا يصنع بها وهو قوله أي مسكه على هون أم يدسه في التراب والمعنى أي يحبسه والامسك ههنا بمعنى الحبس كقوله أمسك عليك زوجك وانما قال أي مسكه ذكره بضمير اندكران لان هذا الضمير تأد على ما في قوله ما بشر به والهون الهوان قال انضمر ابن شميل يقال انه أهون عليه هونا وهوانا وأهنته هونا وهوانا وذكرنا هذا في سورة

بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبنيا لله فقول جرى على سنن الجلالة وايدان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات يخصصون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلا لله عز وجل أرف ذلك بحكاية تهيب سبحانه وتعالى للمكافين عن الاشرار قبيل (وقال الله) عطفًا على قوله والله يسجدوا لظاهر الفاعل وتخصيص لفظه الجلالة

بالذكر للايدان بأنه متعين الالوهية وانما المنهى عنه هو الاشرار به لأن المنهى عنه مطلق اتخذ ﴿ الانعام ﴾ الهين بحيث يتحقق الانتهاه عنه برذم ايها كان أي قال تعالى بل مع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) وانما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مضمية



عن ذلك دلالة على ان مساق انتهى هي الاثنية وانها منافية للالوهية كان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى ( انما هو  
الواحد ) للدلالة على ان المقصود اثبات ﴿ ٤٧٥ ﴾ الوحداية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم

النبت له سبحانه واليه  
أشير حيث أسند اليه  
القول وفيه الثغات  
من التكلم الى الغيبة على  
رأى من اكتفى في تحقق  
الاثغات بكون الاسلوب  
الملتفت عنه حق الكلام  
ولم يشترط سبق الذكر  
على ذلك الوجه ( فاي  
فارهبون ) الثغات من  
الغيبة الى التكلم لترتبة  
المهابة والقضاء الرهبة  
في القلوب ولذلك قدم  
المفعول وكرر المفعول أي أن  
كتم راهبين شيئا فاي  
ارهبوا فارهبون لاخير  
فاني ذلك الواحد الذي  
يسجد له ما في السموات  
والارض ( وله ما في  
السموات والارض )  
خلقا وملكا تفرير لعله  
انقياد ما فيها له سبحانه  
خاصة وتحقيق تخصيص  
الرهبة به تعالى وتقديم  
الظرف لتقوية ما في اللام  
من معنى الاختصاص  
وكذا في قوله تعالى  
( وله الدين ) أي  
الطاعة والانقياد  
( واصبا ) أي واجبا  
ثابتا لازواله لما تقدم  
أنه الاله وحده الحقيقي

الانعام عند قوله عذاب الهون وفي ان هذا الهون صفة من قولان ( الاول ) انه صفة  
المولودة ومعناه أنه يمسكها على هون منه لها ( والثاني ) قال عطاه عن ابن عباس انه صفة  
لللاب ومعناه انه يمسكها مع الرضا به وان نفسه وعلى رجم أنه ثم قال أم يدسه في التراب  
والدس اخفاء الشيء في الشيء يروي ان العرب كانوا يحفرون حفيرة ويحعلونها فيها حتى  
تموت وروى عن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله اني واريت ثمانى بنات في الجاهلية  
فقتل عليه السلام اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله اني ذوابل فقال اهد  
عن كل واحدة منهن هديا وروى أن رجلا قال يا رسول الله ما أجد حلاوة الاسلام منذ  
أسلمت فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى ان تربتها فأخرجتها الى فاتميت بها  
الى واد بعيدا فالتقيتها فيه فقالت يا أبة قلنتي فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال  
عليه السلام ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار واعلم  
انهم كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى أن تموت ومنهم  
من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يفرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون  
ذلك تارة للغيرة والحمية وتارة خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة ثم انه تعالى قال الاساء  
ما يحكمون وذلك لانهم بلغوا في الاستنكاف من البنت الى أعظم الغايات ( فأولها )  
انه يسود وجهه ( وثانيها ) انه يخشى عن القوم من شدة نفرتة عن البنت ( وثالثها ) ان الولد  
محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب شدة نفرتة عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على أن  
النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزداد عليه اذا ثبت هذا فالشيء الذي بلغ  
الاستنكاف منه الى هذا الحد العظيم كيف يليق بالعاقل أن ينسبه لاله العالم المقدس  
العالى من مشابهة جميع المخلوقات ونظير هذه الآية قوله تعالى ألكم الذكركم وله الاشئ  
تلك اذا قسمه ضيرى ( المسئلة الثانية ) قال القاضى هذه الآية تدل على بطلان الجبر  
لانهم يضيفون الى الله تعالى من الظلم والفواحش ما اذا أضيف الى أحدهم أجهد نفسه  
في البراءة منه والتباعد عنه فحكمهم في ذلك مشابه لحكم هؤلاء المشركين ثم قال بل  
أعظم لان اضافة البنات اليه اضافة فيج واحد وذلك أسهل من اضافة كل القبائح  
والفواحش الى الله تعالى فيقال للقاضى انه لما ثبت بالدليل استحالة الصاحبة والولد على  
الله تعالى أردفه الله تعالى بذكر هذا الوجه الاقناعى والافليس كل ما قبح منا في العرف  
قبح من الله تعالى ألا ترى لو أن رجلا زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن ثم بالغ  
في تقوية الشهوة فيهن وفيهن ثم جمع بين الكل وأزال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق  
حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على  
العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقه بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين  
القطعية امتناع الولد على الله فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية أما أفعال  
العباد قد ثبتت بالدلائل اليقينية القاطعة ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق

بأن يهرب وقيل واصبا من الوصف أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع  
نوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ( أفغير الله تتقون ) الهمة للانكار والغاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السباق  
أي أعقب تقرر الشؤن المذكورة من تخصيص جميع الموجودات

للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهية عن اتخاذ الابداد وكون الدين له واصل المستدعي ذلك تخصيص القوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون ( وما بكم ) ﴿ ٤٧٦ ﴾ أي أي شيء يلا بكم وبصاحبكم ( من نعمة )

أحد البابين بالآخر لولا شدة العصب والله أعلم ثم قال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى والمثل السوء عبارة عن الصفة السوء وهي احتياجهم إلى الولد وكرهتهم الإناث خوف الفقر والعار ولله المثل الأعلى أي الصفة العالية المقدسة وهي كونه تعالى مزها عن الولد فإن قيل كيف جاء ولله المثل الأعلى مع قوله فلا تضر بوالله الأمثال قلنا المثل الذي يذكره الله حق وصدق والذي يذكره غيره فهو الباطل والله أعلم \* قوله تعالى ( ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب إن لهم الحسنى لا جرم إن لهم النار وإنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) اعلم انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبح قولهم بين انه يمهل هو لاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة والكرم وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) احتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة من وجهين ( الاول ) انه قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فأضاف الظلم إلى كل الناس ولا شك أن الظلم من المعاصي فهذا يقتضي كون كل انسان آتيا بالذنب والمعصية والانبياء عليهم السلام من الناس فوجب كونهم آتين بالذنب والمعصية ( والثاني ) أنه تعالى قال ما ترك على ظهرها من دابة وهذا يقتضي ان كل من كان على ظهر الارض فهو آت بالظلم والذنب حتى يلزم من افناء كل من كان ظالما افناء كل الناس أما ذاقنا الانبياء عليهم السلام لم يصدر عنهم ظلم فلا يجب افناؤهم وحينئذ لا يلزم من افناء كل الظالمين افناء كل الناس وأن لا يبقى على ظهر الارض دابة ولما لم يعمدنا ان كل البشر ظالمون سواء كانوا من الانبياء أولم يكونوا كذلك والجواب ثبت بالدليل أن كل الناس ليسوا ظالمين لانه تعالى قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أي من العباد من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للمتصد والسابق ظالما للفسد ذلك التقسيم فعلنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل أنه لا يجوز أن يقال كل الخلق ظالمون وإذا ثبت هذا فنقول الناس المذكورون في قوله ولو يؤاخذ الله الناس اما كل العصاة المستحقين للعقاب أو الذين تقدم ذكركم من المشركين ومن الذين أثبتوا لله البنات وعلى هذا التقدير فيسقط الاستدلال والله أعلم ( المسئلة الثانية ) من الناس من احتج بهذه الآية على ان الاصل في المضار الحرمة فقال لو كان الضرر مشروعا لكان اما أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء على جرم صادر منهم أو على هذا الوجه والقسمان باطلان فوجب أن لا يكون مشروعا أصلا أما بيان فساد القسم الاول فلقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

أية نعمة كانت ( فن الله ) فهي من الله فاشراطية أو موصولة منضمة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ( ثم إذا مسكم الضرر ) مساسا يسيرا ( فاليه تجأرون ) تتضرعون في كشفه لآلى غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك \* طورا سجودا وطورا جوارا \* وقرى تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها إلى ما قبلها وفي ذكر المساس النبي عن أدنى اصابة ويراده بالجملة الفعلية العربية عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضرر بلام الجنس المفيدة لمساس أدنى ما يتصلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها

للمخاطبين ببناء المصاحبة و ايراد المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفحامة ولعل ايراد اذادون ﴿ ما ترك ﴾ ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ( ثم اذا كشف الضر عنكم ) وقرى كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تبادى زمان مساس الضرر و وقوع الكشيف بعد برهة يديدة بل

للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشرار المدلول عليها بقوله سبحانه (اذا فریق منكم برئتم بشر كون)  
فان ترتبها على ذلك في ابعاد غاية من الضلال ﴿٤٧٧﴾ ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا من التبعض والفریق فریق

الكفرة وان وجه الى  
الكفرة فمن البيان كانه  
قبل اذا فریق كافر وهم  
أتم ويجوز أن يكون  
فيهم من اعتبروا زجر  
كقوله تعالى فلما نجاهم  
الى البر فبهم مقصد  
فمن تبعضية أيضا  
والتعرض لوصف  
الربوبية للايدان  
بكمال قبج ما ارتكبوه من  
الاشراك والكفران  
(ليكفروا بما آتيناهم)  
من نعمة الكشف عنهم  
كانهم جعلوا غرضهم  
في الشرك كفران النعمة  
وانكار كونها من الله  
عز وجل (فتمتعوا)  
أمر تهديد والاتفات  
الى الخطاب للايدان  
بنتاهي السخط وقرئ  
بالياء مبنيا للمفعول عطفا  
على ليكفروا على  
أن يكون كفران النعمة  
والتمتع غرضاهم من  
الاشراك ويجوز  
أن يكون اللام لام الامر  
الوارد للتهديد (فسوف  
تعلمون) عاقبة أمركم  
وما ينزل بكم من العذاب  
وفيه وصيد أكيد مني  
عن أخذ شديد حيث

ماترك على ظهرها من دابة والاستدلال به من وجهين (الاول) ان كلمة لو وضعت لانتفاء  
الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها من دابة يقتضى  
انه تعالى ما أخذهم بظلمهم وأنه ترك على ظهرها من دابة (والثاني) انه لما دلت الآية على  
ان لازمة أخذ الله الناس بظلمهم هو أن لا يترك على ظهرها دابة تم اننا شاهد انه تعالى ترك  
على ظهرها دواب كثيرين فوجب القطع بانه تعالى لا يؤاخذ الناس بظلمهم فثبت بهذا  
انه لا يجوز أن تكون المضار مشروعة على وجه تقع أجزية عن الجرائم (وأما القسم  
الثاني) وهو أن يكون مشروعا ابتداء لاعلى وجه يقع أجزية عن جرم سابق فهذا باطل  
بالاجماع فثبت ان مقتضى هذه الآية تحريم المضار مطلقا ويتأكد هذا أيضا بآيات  
أخرى كقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله وما جعل عليكم في الدين  
من حرج وكقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكقوله عليه السلام لا ضرر ولا  
ضرار في الاسلام وكقوله ملعون من ضرر مسلما فثبت بمجموع هذه الآيات والاخبار  
أن الاصل في المضار الحرمة فقول اذا وقعت حادثة مشتتة على الضرر من كل الوجوه  
فان وجدنا نصا خاصا يدل على كونه مشروعا فوضينا به تقديم الخاص على العام والاقضينا  
عليه بالحرمة بناء على هذا الاصل الذي قرناه ومنهم من قال هذه القاعدة تدل على ان كل  
ما يريد الانسان وجب أن يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر رغب  
مشروع بمقتضى هذا الاصل وكل ما يكرهه الانسان وجب أن يحرم لان وجوده ضرر  
والضرر غير مشروع فثبت ان هذا الاصل يتناول جميع الوقائع الممكنة الى يوم القيامة  
ثم نقول القياس الذي يتمسك به في اثبات الاحكام اما أن يكون على وفق هذه القاعدة  
أو على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يعنى عنه والثاني باطل لان النص راجع على  
القياس والله اعلم (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان الظلم والمعاصي  
ليست فعلا لله تعالى بل تكون افعالا للعباد لانه تعالى أضاف ظلم العباد اليهم وما أضافه  
الى نفسه فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم وايضا قال لو كان خلقا لله تعالى لكانت  
مؤاخذتهم بها ظلما من الله تعالى ولما منع الله تعالى العباد من الظلم في هذه الآية فبان  
يكون منزها عن الظلم كان أولى قالوا ويدل أيضا على ان أعمالهم مؤثرة في وجوب  
الثواب والعقاب ان قوله بظلمهم الباء فيه تدل على العلية كما في قوله ذلك بأنهم شاقوا الله  
واعلم ان الكلام في هذه المسائل قد ذكرناه مرارا فلانعيده والله اعلم (المسئلة الرابعة)  
ظاهر الآية يدل على ان اقدام الناس على الظلم يوجب اهلاك جميع الدواب وذلك غير  
جائز لان الدابة لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز اهلاكها بسبب ظلم الناس والجواب عنه  
من وجهين (الاول) اننا لانسلم ان قوله ماترك على ظهرها من دابة يتناول جميع الدواب  
وأجاب أبو على الجبائي عن ذلك أن المراد لو يؤاخذهم الله بما كسبوا من كفر ومعصية ليجل  
هلاكهم وحيث لا يبقى لهم نسل ثم من العلوم أنه لا أحد الا في أحد آياته من يستحق

لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف (و يجعلون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداد الجنائياتهم أي يفعلون  
ما يفعلون من الجوار الى الله تعالى عند مساس الضرر من الاشرار به عند كشفه و يجعلون (للايعلمون) أي لما لا يعلمون  
حقيقته وقدره الحسيس من الجمادات التي يتخذونها شركا لله سبحانه جهالة

وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ماموصولة والمائداليها محذوف اولما لاعلمه أصلا وليس من شانه ذلك فمأموصولة أيضا والمائداليها ما في الفصل من الضمير المستكن وصيغة (٤٧٨) جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم

التي وصفوها بصفت  
العقلاء أو مصدرية واللام  
للتعليل أي لعدم علمهم  
والمجمول له محذوف للعلم  
بمكانه (نصيا بما رزقناهم)  
من الزرع والانععام  
وغيرها تقربا اليها  
(ثالثا لتسألن) سؤال  
تويخ وتقرع (عما كنتم  
تفترون) في الدنيا بأنها  
آلهة حقيقة بأن يتقرب  
اليها وفي تصدير الجملة  
بالتسمي وصرف الكلام  
من الغيبة الى الخطاب  
المنجي عن كمال الغضب  
من شدة الوعيد ما لا يخفى  
(ويجعلون لله البنات)  
هم خراعة وكنانة الذين  
يقولون الملائكة بنات  
الله (سبحانه) تنزيه  
وتقديس له عز وجل  
عن مضمون قولهم ذلك  
أو تعجب من جراتهم  
على التقوه بمثل تلك  
العظيممة (ولهم  
ما يشتهون) من البنين  
وما مر فوعة المحل على  
أنه مبتدأ والظرف  
المقدم خبره والجملة  
حالية وسبحانه اعتراض  
في حاق موقعت وجعلها  
منصوبة بالعطف على

البنات أي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يودى الى جعل الجمل بمعنى يم الزعم والاختيار **✎** وأيضا **✎**  
(واذا بشر أحدكم بالانثى) أي أخبر بولادتها (ظل وجهه) أي صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياة

من الناس وأسوداد الوجه كمنابة حق الاحتمام والتشويش (وهو كظيم) بمثل حنقا وغيظا (يتوارى) أي يستخفي  
(من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوءه والتشهير (٤٧٩) عنها بالاسقاطها عن درجة العقلاء (أي بمسكه)

أي مترددا في أمره محدثا  
نفسه في شأنه أي مسكه  
(علي هون) ذل وقرى  
هوان (أم يدسه) يخفيه  
(في القرب) بالوآد  
والتذكير باعتبار لفظ  
ما وقرى بالتأنيث (الأساء  
ما يحكمون) حيث يحلون  
ما هذا شأنه عند هم  
من الهون والحفارة لله  
المتعالى عن الصحابة  
والوالد والحال أنهم  
يتحاشون عنده ويختارون  
لانفسهم البنين فدار  
الخطا جعلهم ذلك  
لله سبحانه مع ابائهم اياه  
لاجعلهم البنين لانفسهم  
ولاعدم جعلهم له سبحانه  
ويجوز ان يكون مداره  
التعكيس لقوله تعالى تلك  
اذ قسمه ضميرى (للذين  
لا يؤمنون بالآخرة)  
من ذكرت قبائحهم (مثل  
السوء) صفة السوء الذى  
هو كالمثل في القبح وهى  
الحاجة الى الولد ليقوم  
مقامهم عند موتهم وياشار  
الذكور للاستظهار بهم  
وواد البنات لدفع العار  
وخشية الاملاق المنادى  
كل ذلك بالعجز والقصور  
والشع البالغ ووضع

وأيضاً فتقدير أنهم كانوا منكرين للقيامه فلعلهم قالوا ان كان محمد صادقا في قوله بالبعث  
والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذى نحن عليه ومن  
الناس من قال الاولى أن يحمل الحسنى على هذا الوجه بدليل انه تعالى قال بعده لاجرم  
أن لهم النار فرد قولهم عليهم واثبت لهم النار فدل هذا على انهم حكموا لانفسهم بالجنة  
قال الزجاج لارد لقولهم والمعنى ليس الامر كما وصفوا جرم فعلهم أى كسب ذلك القول  
لهم النار فعلى هذا لفظ أن في محل النصب بوقوع الكسب عليه وقال قطرب أن في  
موضع رفع والمعنى وجب أن لهم النار وكيف كان الاعراب فالمعنى هو انه يحق لهم النار  
ويجب ويثبت وقوله وأنهم مفرطون قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون بكسر الراء  
والباقون مفرطون بفتح الراء أما قراءة نافع فقال الفراء المعنى أنهم كانوا مفرطين على  
انفسهم في الذنوب وقيل أفرطوا في الافتراء على الله تعالى وقال أبو على الفارسي كأنه من  
أفرط أصارذا فرط مثل أجب أي صارذا جرب والمعنى أنهم ذوو فرط الى النار كأنهم  
قد أرسلوا من يهبي لهم مواضع فيها وأما قراءة قوله مفرطون بفتح الراء ففيه قولان  
(الاول) المعنى أنهم متروكون في النار قال الكسائي يقال ما أفرطت من القوم أحدا  
أى ما تركت وقال الفراء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أى خلقتهم وأنسيتهم (والقوم  
الثاني) مفرطون أى مجملون قال الواحدى رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال أبو  
زيد وغيره فرط الرجل أصحابه يفرطهم فرطا وفرطا اذا تقدمهم الى الماء ليصلح الدلاء  
والارسان وأفرط القوم الفسارط وفرطوه اذا قدموه فعنى قوله مفرطون على هذا  
التقدير كأنهم قدموا الى النار فهم فيها فرط للذين يدخلون بعدهم ثم بين تعالى ان مثل  
هذا الصنع الذى يصدر من مشركى قريش قد صدر من سائر الامم السابقيين  
في حق الانبياء المتقدمين عليه السلام فقال تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم  
الشیطان أعمالهم وهذا يجرى مجرى التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله  
من الغم بسبب جهالات القوم قالت المعتزلة الآية تدل على فساد قول المجبرة من وجوه  
(الاول) انه اذا كان خالق أعمالهم هو الله تعالى فلا فائدة في التزيين (والثاني) ان ذلك  
التزيين لما كان بخلق الله تعالى لم يجزئ الشيطان بسببه (والثالث) ان التزيين هو الذى  
يدعو الانسان الى الفعل واذا كان حصول الفعل فيه بخلق الله تعالى كان ضروريا فلم  
يكن التزيين داعيا (والرابع) ان على قولهم الخالق لذلك العمل أجدر أن يكون وليا لهم  
من الداعي اليه (والخامس) أنه تعالى أضاف التزيين الى الشيطان ولو كان ذلك المزين  
هو الله تعالى لكانت اضافته الى الشيطان كذبا وجوابه ان كان مزين القبائح في أعين  
الكفار هو الشيطان فزين تلاء الوسواس في عين الشيطان ان كان شيطانا آخر زم  
التسلسل وان كان هو الله تعالى فهو المطلوب ثم قال تعالى فهو وليهم اليوم وفيه  
احتمالان (الاول) ان المراد منه كفار مكة بقوله فهو وليهم اليوم أى الشيطان ويتولى

الموصول موضع الضمير للاشعار بأن مدار انصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (المثل  
الاصلى) أى الصفة الحميدة الشأن التى هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الواسع  
والتواضع عن صفات المخلوقين ويدخل فيه كل متعالى عما قالوه عليه

كثيرا (وهو العزيز) المتفرد بكمال القدرة لاسيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يفعل كل مايقبل  
بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته ﴿ ٤٨٠ ﴾ العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار

اغواهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الامم قبلك فيكون على هذا التقدير رجع عن  
أخبار الامم الماضية الى الاخبار عن كفار مكة (الثاني) انه أراد باليوم يوم القيامة يقول  
فهو ولي أولئك الذين كفروا يزبن لهم أعمالهم يوم القيامة وأطلق اسم اليوم على يوم  
القيامة لشهرة ذلك اليوم والمقصود من قوله فهو وليهم اليوم هو انه لا ولي لهم ذلك اليوم  
ولاناصر وذلك لانهم اذا عابوا العذاب وقد نزل بالشيطان كنزوله بهم ورواؤه لا يخلص له  
منه كما لا يخلص لهم منه جازان يوحى بان يقال لهم هذا وليكم اليوم على وجه السخرية  
ثم ذكر تعالى أن مع هذا الوعيد الشديد قد أقام الله الحجة وأزاح العلة فقال وما أنزلنا عليك  
الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
المعنى انما أنزلنا عليك القرآن الا لتبين لهم بواسطة بيانات هذا القرآن الاشياء التي  
اختلفوا فيها والمختلفون هم أهل الملل والاهواء وما اختلفوا فيه هو الدين مثل التوحيد  
والشرك والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه ومثل الاحكام مثل أنهم حرموا أشياء تحل  
كالبحيرة والسائبة وغيرهما وحلوا أشياء تحرم كالليتة (المسئلة الثانية) اللام في قوله لتبين  
تدل على ان أعمال الله تعالى معللة بالاغراض ونظيره آيات كثيرة منها قوله كتاب أنزلناه  
اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وجوابه أنه لما ثبت  
بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التأويل (المسئلة الثالثة) قال صاحب  
الكشاف قوله هدى ورحمة معطوفان على محل قوله لتبين الا أنهما اتصبا على أنه مفعول  
لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام في قوله لتبين لانه فعل المخاطب  
لا فعل المنزل وانما ينصب مفعولا له ما كان فعلا لذلك الفاعل (المسئلة الرابعة) قال الكلبي  
وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينفى كونه كذلك في حق الكل كما أن  
قوله تعالى في أول سورة البقرة هدى للمتقين لا ينفى كونه هدى لكل الناس كما ذكره في  
قوله هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث  
انهم قبلوه فانتفعوا به كما في قوله انما أنزلنا من السماء ماء فاحيي به الارض بعد  
موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من  
بين فرث ودم ليناخالصا ساغفا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا  
ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون اعلم اننا قد ذكرنا ان المقصود الاعظم من هنا  
القرآن العظيم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء والقدر  
والمقصود الاعظم من هذه الاصول الاربعة تقرير الالهيات فلهذا السبب كلما امتد  
الكلام في فصل من الفصول في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات وقد ذكرنا في أول  
هذه السورة أنه تعالى لما أراد ذكر دلائل الالهيات ابتداء بالاجرام الفلكية وثم  
بالانسان وثم بالحيوان وربم بالنبات وخمس بذكر احوال البحر والارض فههنا في هذه

(بظلمهم) يكفرهم  
ومعاصيهم التي من جللتها  
ما عدد من قبائحهم وهذا  
تصريح بما أفاده قوله  
تعالى وهو العزيز الحكيم  
وايدان بأن ما أتوه  
من القبائح قد تناهى  
الى أمد لا غاية وراه (ماترك  
عليها) على الارض  
المدلول عليها بالناس  
وقوله تعالى (من دابة)  
أى ماترك عليها شيئا  
من دابة قطبل أهلكتها  
بالمره بشؤم ظلم الظالمين  
وقوله تعالى واتقوا فتنة  
لا تصيبن الذين ظلموا منكم  
خاصة وعن أبي هريرة  
رضي الله عنه انه سمع رجلا  
يقول ان الظالم لا يضر  
لانفسه فقال بلى والله  
حتى ان الحبارى لتتوت  
في وكرها بظلم الظالم  
ومن ابن مسعود رضي الله  
عنه كلد الجمل يهلك  
في حجره بذنب ابن آدم  
أو من دابة ظالم وقيل  
لو أهلك الآباء لم يكن الابناء  
فيلزم أن لا يكون في الارض  
ذابئة لئلا يخلقوا فتنافع  
البشر لقوله سبحانه  
هو الذي خلق لكم  
ما في الارض جميعا

(ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يوخرهم الى أجل مسمى) لا عمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا ﴿ الآية ﴾  
أو يكثر ذنوبهم (فاذا جله أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن ذلك الاجل أى لا يتأخرون وصيغة الاستفصال  
للإشارة بعجزهم عنه مع طلبهم له (ساعة) فيلة وهي مثل في قلة اليد

(ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجي الاجل مبالغة في بيان علم الاستفهام بنظمه في سلك ما يمتنع كافي قوله تعالى ﴿ ٤٨١ ﴾ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا

حضر أحدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبه له رأسا قد نظم في سطر من لم تقبل توبته لا يذنبان بأنهما سيان في ذلك وقدم في تفسير سورة يونس (ويجملون الله) أي يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم (ما يكرهون) لانفسهم بما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف ألسنتهم الكذب) اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف ألسنتهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذب على أنه صفة اللسان (لاجرم) رد لكلامهم ذلك وأثبت لتقيضه أي حقا (أن لهم) مكان ما أملوا من الحسنى (النار) التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم

الآية لما عاد الى تقرير دلائل الالهيات بدأ بالذكر الفلكيات فقال والله أنزل من السماء ماء فأحى به الارض بعد موتها والمعنى انه تعالى خلق السماء على وجه ينزل منه الماء وبصير ذلك الماء سببا للحياة الارض والمراد بحياة الارض نبات الزرع والشجر والنور والثمر بعد أن كان لا يثمر وينفع بعد ان كان لا ينفع وتقر برهذه الدلائل قد ذكرناه مرارا كثيرة ثم قال ان في ذلك آية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لم يسمع (والنوع الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآيات الاستدلال بجائب أحوال الحيوانات وهو قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه قد ذكرنا معنى العبرة في قوله لعبرة لاولى الابصار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وجريرة والكسائي نسقيكم ضم النون والباقون بالفتح أما من فتح النون فحجته ظاهرة تقول سقيته حتى روى أسقبه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال والذي هو يطعمنى ويسقين وقال وسقوا ماء حميا ومن ضم النون فهو من قولك أسقاه اذا جعل له شرابا كقوله وأسقيناهم ماء فرانا وقوله فأسقيناهم والمعنى ههنا انا جعلناه في كثرته وادامته كالسقى واختار أبو عبيد الضم قال لانه شرب دائم وأكثر ما يقال في هذا المقام أسقبت (المسئلة الثانية) قوله مما في بطونه الضمير عائد الى الانعام فكان الواجب أن يقال مما في بطونها وذكر الخويون فيه وجوها (الاول) ان لفظ الانعام لفظ مفرد وضع لافادة جمع كارهط والقوم والبقر والنعم فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث فلهذا السبب قال ههنا في بطونه وقال في سورة المؤمن في بطونها (الثاني) قوله في بطونه أي في بطون ما ذكرنا وهذا جواب الكسائي قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي يعنى هذا الشئ الطالع ربي وقال ان هذه تذكرة فمن شاه ذكره أي ذكر هذا الشئ واعلم ان هذا انما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقي أما الذى يكون تأنيثه حقيقيا فلا يجوز فانه لا يجوز في مستقيم الكلام أن يقال جاريتك ذهب ولا غلامك ذهبت على تقدير أن نحمله على النسبة (الثالث) ان فيه اضممار او التقدير نسقيكم مما في بطونه اللبن اذ ليس كلها ذات لبن (المسئلة الثالثة) القرث سرجين الكرث روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال اذا استقر العلف في الكرث صار أسفله قرثا وأعله دما وأوسطه لبنا فيجرى الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى القرث كما هو فذلك هو قوله تعالى من بين قرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا القرث ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان البتة في الكرث والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح بجماتها وما رأى أحد في قرثها لادما وللبنا ولو كان تولد الدم واللبن في الكرث لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشئ الذى دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير اليه بل الحق ان الحيوان اذا تناول

في السواى (وأنتهم) ﴿ ٦١ ﴾ خا مفرطون) أي مقدمون اليها من أفرطته أي قدمته في طلب الماء وقيل مذنبون من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسبته وقرئ بالتشديد وقبح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفریط في الطامات

ويكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حيث ندمن أحوالهم الاخر وية كما عطف عليه ( تالله لقد أرسلنا  
الى أمم من قبلك ) تسلية رسول الله صلى الله عليه ﷺ ٤٨٢ وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم

على ذلك أى أرسلنا اليهم رسلا فدعواهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك (فزين لهم الشيطان أعمالهم ) القبيحة فمكفوا عليها مصرين (فهو وليهم) أى قرينهم وبئس القرين (اليوم) أى يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو في الدنيا أو يوم القيامة على طريق حكاية الحال الآتية وهى حال كونهم معذبين في النار والولى بمعنى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى ولى أمثالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (اللاتين) استثناء مفرغ من أهم الطل أى ما أنزلناه عليك

الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كتيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى يحصل منه فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثانى ويكون ذلك الدم مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائىة أما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما ذلك الدم فإنه يدخل فى الاوردة وهى العروق السابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الابيض من صورة الدم الى صورة اللبن فهذه والقول الصحيح فى كيفية تولد اللبن فان قيل فهذه المعانى حاصلة فى الحيوان الذكر فلم يحصل منه اللبن قلنا الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه الاثيق به الموافق لمصلحته فراج الذكر من كل حيوان يجب أن يكون حارا ياسا ومزاج الاثى يجب أن يكون باردا رطبا والحكمة فيه ان الولد انما يتكون فى داخل بدن الاثى فوجب أن تكون الاثى مختصة بمزيد الرطوبات لوجهين (الاول) ان الولد انما يتولد من الرطوبات فوجب أن يحصل فى بدن الاثى رطوبات كثيرة لتصير مادة لتولد الولد (والثانى) ان الولد اذا كبر وجب أن يكون بدن الام قابلا للتمدد حتى يتسع لذلك الولد فاذا كانت الرطوبات غالبة على بدن الام كان بدنهما قليلا للتمدد فيتسع للولد فثبت بما ذكرنا انه تعالى خص بدن الانثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة ثم ان الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى رحم الام فعند انفصال الجنين تنصب الى الشدى والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير اذا عرفت هذا فاعلم ان السبب الذى لاجله يتولد اللبن من الدم فى حق الاثى غير حاصل فى حق الذكر فظهر الفرق اذا عرفت هذا التصوير فقول المفسرون قالوا المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد فى موضع واحد فالفرث يكون فى أسفل الكرش والدم يكون فى أعلاه والبن يكون فى الوسط وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة ولان الدم لو كان يتولد فى أعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قام أن يبق الدم وذلك باطل قطعاً وأما نحن فنقول المراد من الآتية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش وهذا اللبن متولد من الاجزاء التى كانت حاصلة فيما بين الفرث أولانم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً فصفاه الله تعالى عن تلك الاجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التى باعتبارها صارت لبناً موافقاً لبدن الطفل فهذاما حصلناه فى هذا المقام والله أعلم (المسئلة الرابعة) اعلم ان حدوث اللبن فى الشدى واتصافه بالصفات التى باعتبارها يكون موافقاً لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيبة

لعله من العلل اللاتين (لهم) أى للنس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحكام الافعال (واسرار) وأحوال المعاد (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين أى وللهداية والرحمة (لقوم يؤمنون) وإعجاباً بتصيبها لكونها ترى فاعل الفعل



المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقد ان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالؤمنين لانهم المعتنون آثاره ﴿ ٤٨٣ ﴾ ( والله أنزل من السماء من السماء أو من جانب السماء

حسب امر وهذا تكرر  
لمسبق تأكيد المضمونه  
وتوطئة لما يقبده من أدلة  
التوحيد (ماء) توطئا خاصا  
من الماء هو المطر وتقديم  
المجرور على المنصوب  
للمرمرار من التشويق  
الى المؤخر (فأحيى به  
الارض) بما أنبت به فيها  
من انواع النباتات  
بعد موتها (أى بعد  
يدها وما يفيد الفاء  
من التعقيب العادى  
لا ينافيه ما بين المعطوفين  
من المهلة (ان فى ذلك)  
أى فى انزال الماء من السماء  
واحياء الارض الميتة به  
(لاية) وأية آية دالة

على وحدته سبحانه وعلمه  
وقدرته وحكمته (تقوم  
يسمعون) هذا التذكير  
ونظاره سماع تفكر  
وتدبر فكأن من ليس  
كذلك أصم (وان لكم  
فى الانعام لعبرة) عظيمة  
وأى عبرة نحار فى دركها  
العقول وتهيم فى فهمها  
ألباب الفحول (نسيقكم)  
استئناف لبيان ما بهم  
أولا من العبرة (بما  
فى بطونه) أى بطون  
الانعام والتذكير هنا

وأسرار بديعة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم  
وبيانه من وجوه (الاول) أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة مغذا يخرج منه نقل الغذاء  
فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه  
شيء من ذلك الماء كقول والمشروب الى أن يكمل انهضامه فى المعدة ويجذب ما صفا منه الى  
الكبد ويبقى الثفل هناك فحيث ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من  
العجائب التى لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى بقاء  
الغذاء فى المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ واذا حصلت الحاجة الى خروج ذلك الجسم  
عن المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة  
بما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم (الثانى) انه تعالى أودع فى الكبد قوة تجذب  
الاجزاء اللطيفة الحاصلة فى ذلك الماء كقول أو المسروب ولا تجذب الاجزاء الكثيفة  
وخلق فى الامعاء قوة تجذب تلك الاجزاء الكثيفة التى هى الثفل ولا تجذب الاجزاء  
اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن وفسد نظام هذا التركيب  
(الثالث) انه تعالى أودع فى الكبد قوة هاضمة طابخة حتى ان تلك الاجزاء اللطيفة  
تتطبخ فى الكبد وتقلب دما ثم انه تعالى أودع فى المرارة قوة جاذبة للصفراء وفى الطحال  
قوة جاذبة للسوداء وفى الكلى قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم الصافى الموافق  
لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن  
الا بتقدير الحكيم العليم (الرابع) ان فى الوقت الذى يكون الجنين فى رحم الام ينصب  
من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو أعضائه ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل  
ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذى  
يكون غذاءه فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لالى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب  
على مجموع بدن المتغذى فانصباب ذلك الدم فى كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا  
للمصلحة والحكمة لا يتأتى الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم (والخامس) ان عند تولد اللبن  
فى الضرع أحدث تعالى فى حمة الثدي ثقباً صغيراً ومسام ضيقة وجعلها بحيث  
اذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحمة انفصل اللبن عنها فى تلك المسام الضيقة ولما كانت  
تلك المسام ضيقة جداً فحينئذ لا يخرج منها الا ما كان فى غاية الصفاء واللطافة وأما  
الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى فى الداخل والحكمة  
فى احداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة فى رأس حمة الثدي أن يكون ذلك  
كالصفاء فكل ما كان لطيفاً خرج وكل ما كان كثيفاً احتبس فى الداخل ولم يخرج  
فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصاً موافقاً لبدن الصبي سائغاً لشاربين (السادس) انه  
تعالى ألهم ذلك الصبي الى المص فان الام كلما ألهمت حمة الثدي فى فم الصبي فذلك الصبي  
فى الحال يأخذ فى المص فلو لان الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك

لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عدده سبويه فى المفردات البنية على أفعال كالكياش وأخلاف كما أن تأنيده  
فى سورة المؤمن رعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير لبعض فان اللبن لجمعها أوله على المعنى  
فان المراد به الجنس وقربى

بفتح بالنون ههنا وفي سورة المؤمنين ( من بين فرث ودم لنا ) الفرث فضالة ما يبق من العلف في الكرش التي هي ضمة  
بعض الأنهضام وكثيف ما يبق في المعى وعن ابن عباس ﴿ ٤٨٤ ﴾ رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ

العمل المخصوص والام يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي ( السابع ) اننا بينا  
انه تعالى انما خلق اللبن من فضلة الدم وانما خلق الدم من الغذاء الذي يتناوله الحيوان  
فالشاة لما تناولت العشب والماء فالله تعالى خلق الدم من لطيف تلك الاجزاء ثم خلق  
اللبن من بعض اجزاء ذلك الدم ثم ان اللبن حصلت فيه اجزاء ثلاثة على طبائع متضادة  
فما فيه من الدهن يكون حارار طبيا وما فيه من المائية يكون بارادار طبيا وما فيه من الجينية  
يكون بارد ايا بسا وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناولته الشاة فظهر  
بهذا ان هذه الاجسام لاتزال تتقلب من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة مع انه لا يناسب  
بعضها بعضا ولا يشاكل بعضها بعضا وعند ذلك يظهر ان هذه الاحوال انما تحدث بتدبير  
فاعل حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فسبحان من تشهد جميع  
ذرات العالم الاعلى والاسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته له الخلق والامر تبارك  
الله رب العالمين اما قوله ساغفا للشار بين فعناه جاريا في حلوقهم لذيذاهنثا يقال ساغ  
الشراب في الخلق واساغه صاحبه ومنه قوله ولا يكاد يسيغه ( المسئلة الخامسة ) قال  
اهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار سبحانه فكذلك يدل  
على امكان الحشر والتشمر وذلك لان هذا العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من  
الماء والارض فخالق العالم دبر تدبيرا فقلب ذلك الطين نباتا وعشبنا ثم اذا اكله الحيوان  
دبر تدبير اخر فقلب ذلك العشب دما ثم دبر تدبير اخر فقلب ذلك الدم لبنا ثم دبر تدبير  
آخر فحدث من ذلك اللبن الدهن والجبن فهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يقلب هذه  
الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع ايضا ان يكون  
قادرا على ان يقلب اجزاء ابدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك  
فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على ان البعث والقيامة امر ممكن غير ممتنع والله اعلم  
ثم قال تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكر او رزقا حسنا اعلم انه تعالى  
لما ذكر بعض منافع الحيوانات في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية بعض منافع  
النبات وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) فان قيل لم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب  
قلنا لم تحذف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرها وحذف  
لدلالة نسقيكم قبله وقوله تتخذون منه سكر ايبان واكشف عن كنه الاسقاء ( المسئلة  
الثانية ) قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات لاعلى النخيل لانه يصير التقدير ومن  
ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليست له ثمرة اخرى ( المسئلة الثالثة ) في تفسير السكر  
وجوه ( الاول ) السكر الخمر سميت بالصدر من سكر سكر او سكر انحور شد رشا ورشدا  
واما الرزق الحسن فسائر ما يتخذ من النخيل والاعناب كالرب والخل والديس والتمر  
والزبيب فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام اجابوا عنه من وجوه  
( الاول ) ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية

العلق في كرشها كان  
اسفله فرثا واوسطه  
لينا واعلاه دما وعل  
المراد به ان اوسطه  
يكون مادة اللبن واعلاه  
مادة الدم الذي يغذو  
البدن لان عدم تكونهما  
في الكرش مما لا ريب  
فيه بل الكبد تجذب  
صفوة الطعام النهض  
في الكرش وبقثله  
وهو الفرث ثم يسكبها  
ريغا يعضها فيحدث  
أخلاط اربعة معها  
مائية فتبخر القوة المميزة  
تلك المائية بما زاد على  
قدر الحاجة من المرتين  
الصفراء والسوداء  
وتدفعها الى الكلية  
والمرارة والطحال ثم  
توزع الباقي على الاعضاء  
بخصبها فتجري على كل  
حته على ما يليق به  
بتقدير العزيز العليم ثم  
ان كان الحيوان اثنى زاد  
أخلاطها على قدر  
غذائها لاستيلاء البرد  
والرطوبة على مزاجها  
فيندفع الزائد اولاجل  
الجبن الى الرحم فاذا  
انفصل انصب ذلك  
الزائد او بعضه الى  
الضروع فيبيض لمجاورته  
لجودها الغذوية البيضاء

ويلدطعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائم صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ﴿ في ﴾  
ومجارها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفه فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه

وقدرته وحكمته وتناهي رأفته فمن الاولى تبعية لما أن العين بهض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في القرث حسبما فصل ﴿ ٤٨٥ ﴾ والثانية ابتدائية كقوله سقيت من الحوض لان بين

القرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسبكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من أن تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا للفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف منافي لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتناوبا بحيث لا يتراعى ناراها فان ذلك بما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا أو حال من لا يقدم عليه لتكثيره والتنبية على انه موضع العبرة (خالصا) عن شائبة ما في الدم والقرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بني أحدهما عليه مع كونهما مكتفين له (سائعا للشار بين) سهل المرور في حلقهم قبل لم ينص أحد بالبن وقري سيفا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين

في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة (الثاني) انه لا حاجة الى التزام هذا النسخ وذلك لانه تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من النافع وخطاب المشركين بها والخمر من أشد بهم فهي منفعة في حقهم ثم انه تعالى نبه في هذه الآية أيضا على تحريمها وذلك لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن لا يكون السكر رزقا حسنا ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا بحسب الشريعة وهذا انما يكون كذلك اذا كانت محرمة (القول الثاني) ان السكر هو التبيد وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله الى حد السكر ويحتاج أن هذه الآية تدل على أن السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على أن الخمر حرام قال عليه السلام الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من أثبت هذه المغايرة قال انه التبيد المطبوخ (والقول الثالث) ان السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر \* جعلت أعراض الكرام سكرًا \* أي جعلت ذمهم طعاما لك قال الزجاج هذا بالخمر أشبه منه بالطعام والمعنى انك جعلت تتخمر بأعراض الكرام والمعنى انه جعل شفقه بغيبة الناس وتمزيق أعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الوجوه التي هي دلائل من وجهه وتعدد للنعم العظيمة من وجه آخر قال ان في ذلك لآية لقوم يعقلون والمعنى ان من كان عاقلا علم بالضرورة ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى فيحتاج بحصولها على وجود الاله القادر الحكيم والله اعلم \* قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) اعلم أنه تعالى لما بين ان اخراج الالبان من النعم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دلائل قاهرة وبيئات باهرة على ان لهذا العالم الهاقدا مختارا حكما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المقصود وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله وأوحى ربك الى النحل يقال وحى وأوحى وهو الالهام والمراد من الالهام انه تعالى قرر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر وبيانه من وجوه (الاول) انها تبنى البيوت المسدسة من أصلاح متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الابالات وأدوات مثل المسطر والفرجار (والثاني) انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة باشكال سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة أما اذا كانت تلك البيوت مسدسة فانه لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة فأهداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية

وهين (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاصطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب أي ونظركم من ثمرات النخيل ومن الاعناب أي من عصيرها وقوله تعالى (تخذون منه سكرًا) استنباه لبيان كنهه

الاطعام وكشفه أو بقوله تخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد أو خبر ابتداء محذوف صفته تخذون أي ومن ثمرات  
التخيل والاعتاب ثم تخذون منه وحذف الموصوف اذا كان ﴿ ٤٨٦ ﴾ في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله

والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب ( والثالث ) ان التحل يحصل فيما بينها واحد يكون  
كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقي ويكون نافذا لحكمه على تلك  
البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران وذلك أيضا من الاعاجيب ( والرابع ) انها  
اذ انفرت من وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها  
ضربوا الطنبور والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالخان يقدرون على ردها  
الى وكرها وهذا أيضا حكمة عجيبة فلما تاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على  
من يد الذكاء والكياسة وكان حصول هذه الانواع من الكياسة ليس الاعلى سبيل  
الالهام وهي حالة شديدة بالوحى لاجرم قال تعالى في حقها وأوحى ربك الى التحل واعلم  
ان الوحي قد ورد في حق الانبياء لقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا  
وفي حق الاولياء أيضا قال تعالى واذا أوحيت الى الخوارج بين وبمعنى الالهام في حق  
البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفي حق سائر الحيوانات كما في قوله وأوحى ربك  
الى التحل ولكل واحد من هذه الاقسام معنى خاص والله أعلم ( المسئلة الثانية ) قال  
الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان تحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي  
يخرج من بطونها وقال غيره التحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في اعة الحجاز ولذلك أنشأها  
الله تعالى وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحد الالهاء ثم قال تعالى أن اتخذى من  
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال صاحب  
الكشاف أن اتخذى هي أن المفسرة لان الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر  
الباء ومن الشجر ومما يعرشون أى يبنون ويسقفون وفيه لغتان قرئ بهما ضم الراء  
وكسرها مثل يعكفون ويعكفون واعلم أن التحل نوعان ( أحدهما ) ما يسكن في الجبال  
والغياض ولا يتعهدا أحد من الناس ( والنوع الثاني ) التي تسكن بيوت الناس  
ونكون في تعهدات الناس فالاول هو المراد بقوله أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر  
والثاني هو المراد بقوله ومما يعرشون وهو خلايا التحل فان قيل ما معنى من في قوله  
أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر  
قلنا أر يديه معنى البهضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وشجر بل في مساكن توافق  
مصالحها وتليق بها ( المسئلة الثانية ) ظاهر قوله تعالى أن اتخذى من الجبال بيوتا أمر  
وقد اختلفوا فيه فمن الناس من يقول لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول ولا يبعد  
أن يتوجه عليها من الله تعالى أمر ونهى وقال آخرون ليس الامر كذلك بل المراد منه  
انه تعالى خلق فيها غرائر وطبائع توجب هذه الاحوال والكلام المستقصى في هذه  
المسئلة مذكور في تفسير قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ثم قال تعالى ثم كلى  
من كل الثمرات لفظه من ههنا للتبعض أو لابتداء الغاية ورأيت في كتب الطب أنه تعالى  
دبر هذا العالم على وجهه وهوانه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع ذلك الطل

تعالى وامانا الاله مقام  
معلوم وتذكير الضمير  
على الوجهين الاولين  
لانه للمضاف المحذوف  
أعني المصير لأن المراد  
هو الجنس والسكر  
مصدر سمي به الخمر  
وقيل هو التبيذ وقيل  
هو العظم (ورزقا حسنا)  
كالتروالدبس والزبد  
والحل والآية ان كانت  
سابقة النزول على تحريم  
الخمر فدالة على  
كراهتها والافجامة  
بين العتاب والمنة ان  
في ذلك لآية ) باهرة  
( اقوم يعقلون ) يستعملون  
عقولهم في الآيات  
بالنظر والتأمل ( وأوحى  
ربك الى التحل ) أى  
ألهما وقذف في قلوبها  
وعلمها بوجه لا يعلمه  
الا لعليم الخبير وقرئ  
بفتحين ( أن اتخذى )  
أى بأن اتخذى على أن  
أن مصدرية ويجوز  
أن تكون مفسرة  
لما في الإيحاء من معنى  
القول وتأنيث الضمير  
مع أن التحل مذكور  
للمحل على المعنى أولانه  
جمع نحلة والتأنيث لغة

أهل الحجاز ( من الجبال بيوتا ) أى وكارامع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ( ومن الشجر ) على  
ومما يعرشون ) أى يعرشه الناس أى يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويدونه للتحل والمعنى اتخذى  
لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك أرباب والا فتخذى ما يعرشونه

لك وايراد حرف التبويض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ( ثم كل من كل الثمرات )  
من كل ثمرة تشتمنها حلوا ومرها ( فاسلكي ) ﴿ ٤٨٧ ﴾ ما أكلت منها ( سبل ربك ) أي مسالكه التي برأها بحيث

يحصل فيها بقدرته  
القاهرة التورالمرعسلا  
من أجوافك أو فاسلكي  
الطرق التي ألهمك  
في عمل العسل أو فاسلكي  
راجعنا إلى بيوتك سبل  
ربك لا تنوع عليك ولا  
تلتبس ( ذللا ) جمع  
ذلول وهو حال من  
السبل أي مدلة غير  
متوعدة ذلها الله سبحانه  
وسهلها لك أو من الضمير  
في اسلكي أي اسلكي  
مفاداة لما أمرت به  
( يخرج من بطونها )  
استئناف عدل به عن  
خطاب التحليل بيان ما  
يظهر منها من تعاجيب  
صنع الله تعالى التي هي  
موضع العبرة بما أمرت  
بما أمرت ( شراب ) أي  
عسل لانه مشروب  
واخرج به ويقول تعالى  
كل من زعم أن التحل  
تأكل الأزهار والأوراق  
الطرية فتستحيل في بطنها  
عسلا ثم تقي ادخارا  
للشئ ومن زعم انها  
تلتقط بأفوها أجزاء  
قليلة حلوة صغيرة متفرقة  
على الأزهار والأوراق  
وتضعها في بيوتها فإذا

على أوراق الأشجار فقد تكون تلك الأجزاء الطرية لطيفة صغيرة متفرقة على الأوراق  
والأزهار وقد تكون كثيرة بحيث يجمع منها أجزاء محسوسة ( أما القسم الثاني )  
فهو مثل الترنجيبين فإنه ظل يزل من الهواء ويجمع على أطراف الطرفاء في بعض  
البلدان وذلك محسوس ( وأما القسم الأول ) فهو الذي ألهم الله تعالى هذا التحل حتى  
انها تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفوها وتاكلها وتغذي بها  
فإذا شبت التقت بأفوها مرة أخرى شيئا من تلك الأجزاء وذهبت بها إلى بيوتها  
ووضعتها هناك لأنها تحاول أن تدخل لنفسها غذاءها فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء  
الطرية شيء كثير فذاك هو العسل ومن الناس من يقول ان التحل تأكل من الأزهار  
الطرية والأوراق العطرية أشياء ثم انه تعالى يقبل تلك الأجسام في داخل بدنها عسلا  
ثم انها تقي مرة أخرى فذاك هو العسل والقول الأول أقرب إلى العقل وأشد مناسبة  
إلى الاستقراء فان طبيعة الترنجيبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه ظل  
يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار فكذلك ههنا وأيضا فحين نشاهد  
ان هذا التحل انما تغذي بالعسل ولذلك فانا اذا استخرجنا العسل من بيوت التحل  
نترك لها بقية من ذلك لاجل أن تغذي بها فعلنا انها انما تغذي بالعسل وانها انما تقع  
على الأشجار والأزهار لأنها تغذي بتلك الأجزاء الطرية العسلية الواقعة من الهواء  
عليها اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ثم كل من كل الثمرات كلمة من ههنا تكون لا ابتداء  
الغاية ولا تكون للتبويض على هذا القول ثم قال تعالى فاسلكي سبل ربك والمعنى ثم كل  
كل ثمرة تشتمنها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك في الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل  
العسل أو يكون المراد فاسلكي في طلب تلك الثمرات سبل ربك أما قوله ذللا فقيه قولان  
( الأول ) انه حال من السبل لان الله تعالى ذلها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي  
جعل لكم الأرض ذلولا ( الثاني ) انه حال من الضمير في فاسلكي أي وأنت أيها التحل ذل  
مفاداة لما أمرت به غير ممتعة ثم قال تعالى يخرج من بطونها وفيه بحثان ( الأول ) ان  
هذا رجوع من الخطاب إلى الغيبة والسبب فيه ان المقصود من ذكر هذه الأحوال أن  
يحتج الانسان المكلف به على قدرة الله تعالى وحكمته وحسن تديره لأحوال العالم  
العلوي والسفلي فكأنه تعالى لما خاطب التحل بما سبق ذكره خاطب الانسان وقال  
انا ألهمنا هذا التحل لهذه الجائبات لاجل أن يخرج من بطونها شرابا مختلف الوانه  
( البحث الثاني ) انه قد ذكرنا ان من الناس من يقول العسل عبارة عن أجزاء طرية يحدث  
في الهواء وتقع على أطراف الأشجار وعلى الأوراق والأزهار فيلقطها الزبور فمعه  
فإذا ذهبنا إلى هذا الوجه كان المراد من قوله يخرج من بطونها أي من أفوها وكل  
تجويف في داخل البدن فإنه يسمى بطننا ألا ترى انهم يقولون بطن الدماغ وعنوانها  
تجاويف الدماغ وكذا ههنا يخرج من بطونها أي من أفوها وأما على قول أهل الظاهر

اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطن بالأفواه (مختلف ألوانه) أبيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف من  
التحل أو الفصل أو الذي أخذت منه العسل ( فيه شفاء للناس ) اما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره  
كما في سائر الأمراض اذ قلما يكون

مجنون لا يكون فيه غسل مع أن التكفيرية مشفر بالبيض ويجوز كونه للتخميم وعن قتادة إن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكى بطنه ﴿ ٤٨٨ ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام اسقه العسل فذهب ثم رجم

وهو أن الحلة تأكل الاوراق والثمرات ثم تقي فذلك هو العسل فالكلام ظاهر ثم قال شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس اعلم انه تعالى وصف العسل بهذه الصفات الثلاثة ( فالصفة الاولى ) كونه شرابا والامر كذلك لانه تارة يشرب وحده وتارة يتخذ منه الاشربة ( والصفة الثانية ) قوله مختلف ألوانه والمعنى ان منه أحمر وأبيض وأصفر ونظيره قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود والمقصود منه ابطان القول بالطبع لان هذا الجسم مع كونه متساوي الطبيعة لما حدث على ألوان مختلفة دل ذلك على أن حدوث تلك الالوان بتدبير الفاعل المختار للاجل ايجاب الطبيعة ( والصفة الثالثة ) قوله فيه شفاء للناس وفيه قولان ( الاول ) وهو الصحيح انه صفة للعسل فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفرى ويخرج المرار قلنا انه تعالى لم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء وفي كل حال بل لما كان شفاء لبعض ومن بعض الادواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء والذي يدل على انه شفاء في الجملة أنه قل مجنون من المعاجين الاوتامه وكاله انما يحصل بالجن بالعسل وأيضا فالاشربة المتخذة منه في الامراض البلغمية عظيمة النفع ( والقول الثاني ) وهو قول مجاهد ان المراد ان القرآن شفاء للناس وعلى هذا التقدير فقصة تولد العسل من الحبل تمت عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس أى في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدعة مثل هذا الذي في قصة الحبل وعن ابن مسعود ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور واعلم أن هذا القول ضعيف ويدل عليه وجهان ( الاول ) ان الضمير في قوله فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات وما ذاك الا قوله شراب مختلف ألوانه واما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب ( والثاني ) ما روى أبو سعيد الخدري أنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أخي يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيئا فقال عليه الصلاة والسلام اذهب واسقه عسلا فذهب فسقاه فكذا كما نشط من عقال فقال صدق الله وكذب بطن أخيك وحلوا قوله صدق الله وكذب بطن أخيك على قوله فيه شفاء للناس وذلك انما يصح لو كان هذا صفة للعسل فان قال قائل ما المراد بقوله عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك قلنا اعلمه عليه السلام علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع أنه عليه السلام كان عالما بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك كان هذا جاريا مجرى الكذب فلهذا السبب أطلق عليه هذا اللفظ ثم انه تعالى ختم الآية بقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون واعلم أن تقرير هذه الآية من وجوه ( الاول ) اختصاص الحبل بتلك العلوم الدقيقة والمعارف الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة وسائر الاحوال التي ذكرناها ( والثاني ) اهتداؤها الى جميع تلك الاجزاء العسلية من أطراف الاشجار

قال قد سقيته فأنفع فقال اذهب فسقاه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبني كأننا نشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى من أحوال الحبل وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن ( ان في ذلك ) الذي ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى ( الآية ) عظيمة ( لقوم يتفكرون ) فان من تفكر في اختصاص الحبل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها احد اذ المهندسين الابيات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله ( والله خلقكم ) لما ذكر سبحانه من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والحمل أشار

الى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا ﴿ والاوراق ﴾ مراتب العمر في أربع الاولى سن النشور والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل

وهي سن الكهولة والرابعة من الأخطاط الكبرى هي سن الشيخوخة (ثم توفاكم) حسبما تقتضيه مشيئة المبتية على حكم  
بالتعب بأجال مختلفة أطفالا وشبابا وشيوخا ﴿ ٤٨٩ ﴾ (ومنكم من يرد) قبل توفيه أي يعاد (الى أرذل العمر) أي أخسه

وأخقره وهو خمس وسبعون  
سنة على ما روى عن علي  
رضي الله عنه وتسعون  
سنة على ما نقل عن قتادة  
رضي الله عنه وقيل خمس  
وتسعون واثنا عشر على  
الوصول والبلوغ ونحو  
هما الايذان بان بلوغه  
والوصول اليه رجوع  
في الحقيقة الى الضعف  
بعد القوة كقوله تعالى  
ومن نعمة ننكسه في الخلق  
ولا عمر أسوأ حالا من عمر  
الهرم الذي يشبه الطفل  
في نقصان العقل والقوة  
(لكيلا يعلم بعد علم) كثير  
(شيئا) من العلم أو من  
المعلومات أو لكيلا يعلم  
شيئا بعد علم بذلك الشيء  
وقيل لئلا يعقل بعد عقله  
الاول شيئا (ان الله عليم)  
بمقادير أعماركم (قدير)  
على كل شيء يميت الشباب  
النشيط ويبقي الهرم  
القاني وفيه تنبيه على  
أن تفاوت الأجال ليس  
الابتدري قادر حكيم ركب  
أبيتهم وصدل أمر جتهم  
على قدر معلوم ولو كان  
ذلك مقتضى الطبائع لما  
بلغ التفاوت هذا المبلغ  
(والله فضل بعضكم

والاوراق) (والثالث) خلق الله تعالى تلك الاجزاء النافعة في جواهرها ثم القاؤها على  
أطراف الاشجار والاوراق ثم الهام النحل الى جمعها بعد تفريقها وكل ذلك أمور  
عجيبة دالة على أن العالم مبنى ترتيبه على رعاية الحكمة والمصلحة والله أعلم بقوله تعالى  
( والله خلقكم ثم توفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله  
عليم قدير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) لما ذكر تعالى بعض عجائب أحوال  
الحيوانات ذكر بعده بعض عجائب أحوال الناس فمنها ما هو مذكور في هذه الآية  
وهو اشارة الى مراتب عمر الانسان والعقل ضبطوها في أربع مراتب أولها سن  
النشو والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الأخطاط القليل وهو  
سن الكهولة ورابعها سن الأخطاط الكبير وهو سن الشيخوخة فاحتج تعالى بانتقال  
الحيوان من بعض هذه المراتب الى بعض على ان ذلك الناقل هو الله تعالى والاطباء  
الطبايعيون قالوا مقتضى لهذا الانتقال هو طبيعة الانسان وأنا أحكي كلامهم على  
الوجه المخلص وأبين ضعفه وفساده وحيث ينبغي ان ذلك الناقل هو الله سبحانه وعند ذلك  
يصح بالدليل العقلي ما ذكر الله تعالى في هذه الآية قال الطبايعيون ان بدن الانسان  
مخلوق من المني ومن دم الطمخ والمني والدم جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت  
في الجسم الرطب قلت رطوبته وافادته نوع يدس وهذا مشاهد معلوم قالوا فلا يزال  
ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقل ما فيه من الرطوبة حتى تتصلب الاعضاء  
ويظهر فيه الانعقاد ويحدث العظم والغضروف والعصب والتورور باطوسا والاعضاء  
فاذا تم تكون البدن وكل فعند ذلك يفصل الجنين من رحم الام ومع ذلك فالرطوبات  
زائدة والدليل عليه انك ترى أعضاء الطفل بعد انفصاله من الام اينة لطيفة وعظامه لينة  
قريبة الطبع من الغضار يف ثم ان ما في البدن من الحرارة يعمل في تلك الرطوبات  
ويقلها قالوا ويحصل للبدن ثلاثة احوال (الحالة الاولى) أن تكون رطوبة البدن  
زائدة على حرارته وحيث تكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وذلك هو سن  
النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة أو خمس وثلاثين سنة (الحالة الثانية) ان تصير رطوبات  
البدن أقل ما كانت فتكون وافية بحفظ الحرارة الفريزية الاصلية لانها لا تكون زائدة  
على هذا القدر وهذا هو سن الوقوف وسن الشباب وغايته خمس سنين وعند تمامه يتم  
الاربعون ( والحالة الثالثة) أن تقل الرطوبات وتصير بحيث لا تكون وافية بحفظ  
الحرارة الفريزية وعند ذلك يظهر نقصان ثم هذا ان نقصان قديكون خفيا وهو سن  
الكهولة وتتمامه الى ستين سنة وقديكون ظاهرا وهو سن الشيخوخة وتتمامه الى مائة  
وعشرين سنة فهذا هو الذي حصله الاطباء في هذا الباب وعندى ان هذا التعليل ضعيف  
ويدل على ضعفه وجوه (الاول) اننا نقول ان في أول ما كان المني منيا وكان الدم دما  
كانت الرطوبات غالبية وكانت الحرارة الفريزية مغمورة وكانت ضعيفة بهذا السبب

على بعض في الرزق) أي جعلكم ﴿ ٦٢ ﴾ متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل مما أعطى مالم يكتم (فالذين  
فضلوا) فيه على غيرهم (برادى رزقهم) الذي رزقهم اياه (على ما ملكت أيمانهم) على مالم يكتم الذين هم شركاؤهم  
في الخلوقة والمرزوقية (فهم)

أنى الملك والممالك (فيه) أى فى الرزق (سواء) أى لا يرتونه عليهم بحيث يساؤونهم فى التصرف و يشار كونهم فى التدبير  
والفائدة دلالة على ترتيب التساوى على الرأى لا يردونه ﴿ ٤٩٠ ﴾ عليهم ردا مستتباً للتساوى وانما يردون عليهم

ثم انما مع ضعفها قويت على تحليل أكثر تلك الرطوبات وابتات من حد الدموية والنوية  
الى ان صارت عظامها وغضروفها وعصاها و رباطها وعندما تولدت الاعضاء وكل البدن قلت  
الرطوبات فوجب أن تكون للحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن  
يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكاله أزيد من تحليلها قبل تولد البدن ومعلوم أنه  
ليس الامر كذلك لان قبل تولد البدن انتقل جسم المني والدم الى ان صار عظاما وعصبا  
وأما بعد تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشرة فلو كان تولد هذه الاعضاء  
يسبب تأثير الحرارة فى الرطوبة لوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد كمال البدن أكثر من  
تحليلها قبل تكون البدن ولما لم يكن الامر كذلك علمنا ان تولد البدن انما كان بتدبير قادر  
حكيم يدبر أيدان الحيوانات على وفق مصالحها وأنه ما كان تولد البدن لاجل ما قالوه  
من تأثير الحرارة فى الرطوبة (والوجه الثانى) فى ابطال هذا الكلام أن نقول ان الحرارة  
الغريزية الحاصلة فى بدن الانسان الكامل ما أن تكون هي عين ما كان حاصلها فى جوهر  
النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزى الحاصل فى جوهر  
النطفة كان بمقدار جرم النطفة ولا شك ان جرم النطفة كان قليلا صغيرا فهذا البدن  
بعد كبره اولم يحصل فيه من الحرارة الغريزية الا ذلك القدر كان فى غاية القلة ولم يظهر منه  
فى هذا البدن أثر أصلا وأما الثانى ففيه تسليم ان الحرارة الغريزية تتزايد بحسب تزايد  
الجثة والبدن واذا تزايدت الحرارة الغريزية ساعة فساعة وثبت ان تزايدها يوجب تزايد  
القوة والصحة ساعة فساعة فوجب ان يبقى البدن الحيوانى أبدا فى التزايد والتكامل  
وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان ازدياد حال البدن الحيوانى وانتقاصه ليس بحسب  
الطبيعة بل بسبب تدبير الفاعل المختار ( والوجه الثالث) وهو الذى أوردناه على الاطباء  
فى كتابنا الكبير فى الطب فنلناه بان رطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية  
فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت وأن ينقل الانسان من  
سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه أنه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة  
الغريزية بعد ذلك تؤثر فى تجفيف الرطوبة الغريزية فنقل الرطوبات الغريزية حتى  
صارت بحيث لا تبقى بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحالة ضعفت الحرارة  
الغريزية أيضا لان الرطوبة الغريزية كالفذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء  
ضعف المعتدى فالحاصل ان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقتها  
توجب ضعف الحرارة الغريزية ويلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى الى أن  
تنتهى الى حيث لا يبقى من الرطوبة الغريزية شئ وحيث تنطق الحرارة الغريزية  
ويحصل الموت هذا منتهى ما قالوه فى هذا الباب وهو ضعيف لاننا نقول ان الحرارة  
الغريزية اذا أثرت فى تجفيف الرطوبة الغريزية وقتها فلم لا يجوز أن يقال ان القوة الغازية  
تورد بدلها فمضى هذا قالوا القوة الغازية انما تقوى على ايراد بدلها لو كانت الحرارة  
الغريزية قوية فاما عند ضعفها فلا فنقول فمضى هذا الدور لان الرطوبة الغريزية انما تنقل

منه شيئا يسيرا فحيث  
لا يرضون بمساواة بمالكهم  
لانفسهم وهم أمثالهم  
فى البشرية والمخلوقية  
لله عز سلطانه فى شئ  
لا يختص بهم بل بهم  
واياهم من الرزق الذى  
هم أسوة لهم فى استحقاقه  
فبالهم يشركون بالله  
سبحانه وتعالى فيما لا يليق  
الايه من الاوهية  
والمعبودية الخاصة بذاته  
تعالى لذاته بعض مخلوقاته  
الذى هو بعزل من درجة  
الاعتبار وهذا كما ترى  
مثل ضرب لكمال قباحة  
ما فعله المشركون تقريرا  
عليهم كقوله تعالى هل  
لكم مما ملكت أيمانكم  
من شركاء فيما رزقناكم  
فأنتم فيه سواء الآية  
(أفبينتم الله سبحانه  
حيث يفعلون ما يفعلون  
من الاشراك فان ذلك  
يقتضى أن يضيفوا تم  
الله سبحانه الفاضلة  
عليهم الى شركائهم  
ويجحدوا كونهما من  
عند الله تعالى أو حيث  
أنكروا أمثال هذه الحجج  
البالغة بعدما أنعم الله بها  
عليهم وبالسا لتضمين

المجود معنى الكفر نحو وجدها والفاء لطف على مقدروها داخله فى المعنى على الفعل أى أشركون ﴿ وتنفص ﴾  
به فيجحدون نعمته وقربى مجحدون على الخطأ ب أوليس الموالى برادى رزقهم على مالكهم بل ان الذى أرزقهم وياهم  
فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئا وانما



هو رزقي أجريته على أيديهم فهم جميعا في ذلك سواء لامرئيه لهم على ما ليكممهم ألا يفهمون ذلك فيحسدون نعمه الله فهو رزقي  
على زعم الفضلين أو على فعلهم المؤذن بذلك ﴿٤٩١﴾ أو ما المفضلون يرادى بعض فضلهم على ما ليكممهم فيستأووا

في ذلك جميعا مع أن  
التفضيل لبس الألبان لهم  
أيشكرون أم يكفرون ألا  
يعرفون ذلك فيحسدون  
نعمه الله تعالى كأنه قيل  
فلم يردوه عليهم وبالجملة  
الاسمية للدلالة على  
استمرارهم على عدم  
الرد يحكى عن أبي ذر  
رضي الله عنه أنه سمع  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول اتعالمهم  
أخوانكم فأكسوهم  
بما تلبسون وأطعموهم  
بما تطعمون فاروى  
عبد بعد ذلك الأوردائه

رداؤه وازاره ازاره من غير  
تفاوت (والله جعل لكم  
من أنفسكم) أي من  
جنسكم (أزواجاً)  
لأنسوا بها وتقيموا بذلك  
جميع مصالحكم ويكون  
أولادكم أمثالكم وقيل  
هو خلق سواء من ضلع  
آدم عليه الصلاة  
والسلام) وجعل لكم  
من أزواجكم) وضع  
الظاهر موضع المضمرة  
الأيذان بان المراد جعل  
لكل منكم من زوجته  
لا من زوج غيره (بين)  
و بان نتيجة الأزواج

وتنقص أولم تكن القوة الغذائية وافية بإيراد بداها وانما تجز القوة الغذائية عن هذا  
الإيراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة  
أن لو قلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القوة اذا تجزت الغذائية عن إيراد البدل  
فثبت ان على القول الذي قالوه يلزم الدور وأنه باطل فثبت ان تعاليل انتقال الانسان من  
سن الى سن بما ذكره من اعتبار الطبائع يوجب عليهم هذه المحالات المذكورة فكان  
القول به باطلا ولما بطل هذا القول وجب القطع باسناد هذه الاحوال الى الاله القادر  
المختار الحكيم الرحيم الذي يدبر أبدان الحيوانات على الوجه الموافق لمصالحها وذلك هو  
المطلوب وقد كنت أقرأ يوما من الانام سورة والمرسلات فلما وصلت الى قوله تعالى ألم  
نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقد رنا فم القادرون ويل  
يومئذ للمكذبين قتلنا لا شك ان المراد به هؤلاء المكذبين هم الذين نسبوا تكون الابدان  
الحيوانية الى الطبائع وتأثير الحرارة في الرطوبة وانما ومن من صميم قلبه العزة بأن هذه  
التدبيرات ليست من الطبائع بل من حائق العالم الذي هو أحكم الحاكمين وأكرم الأكرمين  
اذا عرفت هذا فقد صح بالدليل العقلي صدق قوله والله خلقكم لانه ثبت أن خالق أبدان  
الناس وسائر الحيوانات ليس هو الطبائع بل هو الله سبحانه وتعالى وقوله ثم يتوفاكم قدينا  
ان السبب الذي ذكره في صيرورة الموت فاسد باطل وأنه يلزم عليه القول بالدور ولما بطل  
ذلك ثبت أن الحياة والموت انما حصلتا بتخليق الله وتقديره وقوله ومنكم من يرد الى  
أرذل العمر قدينا بالدليل ان الطبائع لا يجوز أن تكون علة لانتقال الانسان من الكمال  
الى النقصان ومن القوة الى الضعف فلزم القطع بان انتقال الانسان من الشباب الى  
الشيوخة ومن الصحة الى الهرم ومن العقل الكمال الى ان صار خرفا غافلا ليس  
بمقتضى الطبيعة بل بفعل الفاعل المختار واذا ثبت ما ذكرنا ظهر ان الذي دل عليه لفظ  
القران قد ثبت صحته بقاطع القران ثم قال تعالى ان الله عليم قدير وهذا كالأصل الذي  
عليه تفرع كل ما ذكرناه وذلك لان الطبيعة جاهلة لا تميز بين وقت المصلحة ووقت المفسدة  
فهذه الانفعالات في هدايا الانسان لا يمكن اسنادها اليها أماله العالم ومدبره وخالقه فهو  
الكامل في العلم الكامل في القدرة فلاجل كمال علمه يعلم مقادير المصالح والمفاسد ولاجل  
كمال قدرته يقدر على تحصيل المصالح ودفع المفاسد فلاجرم أمكن اسناد تخليق الحيوانات  
الى اله العالم فلا يمكن اسناده الى الطبائع والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير الفاظ الآيات  
قال المفسرون والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من  
يرد الى أرذل العمر وهو رذوؤه واضعفه يقال رذل الشيء يردل رذالة وأرذله غيره ومنه  
قوله الا الذين هم أرادنا ومنه قوله واتبعك الارذاون وقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر  
هل يتناول المسلم أو هو مختص بالكافر فيه قولان (الأول) أنه يتناوله قيل أنه العمر  
الطويل وعلى هذا الوجه نقل عن علي رضي الله عنه أنه قال أرذل العمر خمس وسبعون سنة

هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسبي ونمخذ  
أي جعل لكم خدما يصرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الأولد وقيل النبات عبر عنهم بذلك أي انا  
بوجه المنه فانهم ينمخذ من البيوت أم

خادمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنسوب في الموضوعين عن المجرور لما مر \* ٤٩٢ \* من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايدان

وقال قتادة تسعون سنة وقال السدي انه الخرف \* والقول الاول اولى لان الخرف معناه زوال العقل فقوله ومنكم من يرد الى ارضه العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا يدل على انه تعالى انما رده الى ارضه العمر لاجل ان يزيل عقله فلو كان المراد من ارضه العمر هو زوال العقل لصار الشيء عين الغاية المطلوبة منه وانه باطل والقول الثاني ان هذا ليس في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب طول العمر الاكرامة على الله تعالى ولا يجوز ان يقال في حقه انه يرد الى ارضه العمر والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيبين تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما ردوا الى اسفل سافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى ارضه العمر وقوله ان الله عليم قال ابن عباس اريد بما صنع اولياؤه واعداءؤه قد ير على ما يريد (المسئلة الثالثة) هذه الآية كالتدليل على وجوده العالم الفاعل المختار فهي ايضا تدل على صحة البعث والقيامة وذلك لان الانسان كان عدما محضاً فاجده الله ثم اعدمه مرة ثانية فدل هذا على انه لما كان معدوماً في المرة الاولى وكان عوده الى العدم في المرة الثانية جائزاً فكذلك لما صار موجوداً ثم عدم وجب ان يكون عوده الى الوجود في المرة الثانية جائزاً وايضا كان ميتاً حين كان نطفة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الاول جائزاً كان الموت الثاني كذلك لما كانت الحياة الاولى جائزة وجب ان يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية وايضا الانسان في اول طفولته جاهل لا يعرف شيئا ثم صار عالماً عاقلاً فاهماً فلما بلغ ارضه العمر عاد الى ما كان عليه في زمان الطفولة وهو عدم العقل والفهم فعدم العقل والفهم في المرة الاولى عاد بعينه في آخر العمر فكذلك العقل الذي حصل ثم زال وجب ان يكون جائز العود في المرة الثانية واذ ثبتت هذه الجملة ثبت ان الذي مات وعدم فانه يجوز عود وجوده وعود حياته وعود عقله مرة اخرى ومتى كان الامر كذلك ثبت ان القول بالبعث والحشر والنشر حق والله اعلم \* قوله تعالى ( والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالذين فضلوا يراى رزقهم على ما ملكت ايما نهم فهم فيه سواء اذنبه الله يحجدون ) اعلم ان هذا اعتبار حال اخرى من احوال الانسان وذلك ان ترى اكيس الناس واكثرهم عقلاً وفهماً يفنى عمره في طلب القدر القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ويزى اجهل الخلق واقلهم عقلاً وفهماً تنفتح عليه ابواب الدنيا وكل شيء خطر بباله ودار في خياله فانه يحصل له في الحال ولو كان السبب جهد الانسان وعقله لوجب ان يكون الاعقل افضل في هذه الاحوال فلما رأينا ان الاعقل اقل نصيباً وان الاجهل الاخص اوفر نصيباً علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام كما قال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه \* يؤس اللبيب وطيب عيش الاحق

واعلم ان هذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له وقد

من اول الامر يعود منفعة الجمل اليهم امداداً للتشويق وتقوية له أي يجعل لمصلحكم مما يناسبكم أزواجاً وجمل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بين وحفدة (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ ومن الحلالات ومن للتبعض اذا المرزوق في الدنيا أمودج لما في الآخرة (أفبالباطل يؤمنون) وهوان الاصنام تنفهم وأن الجسار ونحوها حرام والفاء في المعنى داخله على الفعل وهي العطف على مقدر أي يكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو بعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (و بنعمت الله تعالى الغائضة عليهم مما ذكر مما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لايهام الاختصاص مبالغة أو رعاية القواصل

والالتفات الى الغيبة للايدان باستيجاب حاجهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم \* كنت من السامعين تعجبوا بهم بما فعلوه (و يعبدون من دون الله) لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي أي يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (ما لا يملك لهم رزقاً من السموات

والارض شيئا) ان جعل الرزق مصدر افشيئا نصب على المفعولية منه أى ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئا لأن السموات  
مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل ﴿ ٤٩٣ ﴾ اسم المفعول فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات

والارض صفة لرزقا  
أى كأننا منهما ويجوز  
كونه تأكيداً للايتمالك  
أى لا يملك رزقا ما شيئا  
من الملك (ولا يستطيعون)  
أن يملكوه اذ لا استطاعة  
لهم رأسا لانها موات  
لا حراك بها فالضمير  
للالهة ويجوز أن يكون  
للكفرة على معنى أنهم  
مع كونهم أحياء  
متصرفين في الامور  
لا يستطيعون من ذلك  
شيئا فكيف بالجناد الذين  
لا حس به (فلا تضربوا  
لله الامثال) الفغات الى  
الخطاب للايذان بالاهتمام  
بشأن النهى أى  
لا تشركوا به شيئا والتعبير  
عن ذلك بضرب المثل  
للقصد الى النهى عن  
الاشراك به تعالى فى  
شأن من الشؤن فان  
ضرب المثل مبنيا تشبيه  
حالة بحالة وقصة بقصة  
أى لا تشبهوا بشأنه تعالى  
شأن من الشؤن واللام  
مثلها فى قوله تعالى  
ضرب الله مثلا للذين  
كفروا امرأة نوح  
وضرب الله مثلا للذين  
آمنوا امرأة فرعون

كنت مصاحباً لبعض الملوك فى بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه وكانت  
الجنائب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها اور بما حضرت الاطعمة  
الشهية والفواكه العطرة عنده وما كان يمكنه تناول شئ منها وكان الواحد منا صحيح المزاج  
قوى البنية كامل القوة وما كان يجد ملء بطنه طعاما فذلك الملك وان كان يفضل على  
هذا الفقير فى المال الا أن هذا الفقير كان يفضل على ذلك الملك فى الصحة والقوة وهذا باب  
واسع اذا اعتبره الانسان عظيم تعجبه منه أماقوله فما للذين فضلوا برادى رزقهم على  
ما ملكت أيمانهم ففيه قولان (الاول) ان المراد من هذا الكلام تقرير ما سبق فى الآية  
المقدمة من أن السعادة والخوسة لا يحصلان الا من الله تعالى والمعنى أن الموالى  
والممالك أنارازقهم جميعا فهم فى رزق سواء فلا يحب من الموالى أنهم يردون على ممالكهم  
من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزق أجرته اليهم على أيديهم وحاصل القول فيه أن  
المقصود منه بيان أن الرازق هو الله تعالى وأن الممالك لا يرزق العبد بل الرازق للعبد  
والمولى هو الله تعالى وتحقيق القول أنه ربا مكان العبد أكل عقلا وأقوى جسما  
وأكثر وقوا على المصالح والمفاسد من المولى وذلك يدل على أن ذلة العبد وعزة ذلك  
المولى من الله تعالى كما قال تعالى من تشاء وتذل من تشاء (واقول الثانى) أن المراد من هذه  
الآية الرد على من أثبت شر يكال الله تعالى ثم على هذا القول فقيه وجهان (الاول) أن  
يكون هذا ردا على عبدة الاوثان والاصنام كأنه قيل انه تعالى فضل الملوك على ممالكهم  
فجعل المملوك لا يقدر على ملك مع مولاة فمالم يجعلوا عبيدكم معكم سواء فى الملك فكيف  
تجعلون هذه الجمادة معى سواء فى العبودية (والثانى) قال ابن عباس رضى الله عنهما  
نزات هذه الآية فى نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم ابن الله فلعنى انكم  
لا تشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدى ولدانى وشرىكا  
فى الالهية ثم قال تعالى فهم فيه سواء معنى الغاء فى قوله فهم حتى والمعنى فما الذين  
فضلوا بجاعلى رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فبهم سواء فى الملك ثم قال  
أفبينم الله يمجدون وفيه مستلذان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم فى رواية أبى بكر  
تمجدون باناء على الخطاب لقوله خلقكم وفضل بعضكم والباقون بالياء لقوله فهم  
فيه سواء واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لقرب الخبر عنه وايضا فظاهر الخطاب أن يكون  
مع المسلمين والمسلمون لا يخاطبون بجد نعمة الله تعالى (المسئلة الثانية) لاشبهة  
فى أن المراد من قوله أفبينم الله يمجدون الانكار على المشركين الذين أورد الله تعالى  
هذا الحجية عليهم فان قيل كيف يصيرون جاحدين بنعمة الله عليهم بسبب عبادة الاصنام  
قلنا فيه وجهان (الاول) انه لما كان المعطى لكل الخيرات هو الله تعالى فن أثبت لله  
شرىكا فقد اضاف اليه بعض تلك الخيرات فكان جاحدا لكونها من عند الله تعالى وايضا  
فان أهل الطبايم وأهل التجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبايع والى التجوم وذلك  
يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى (والوجه الثانى) قال الزجاج المراد أنه

لامثلها فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ونظاره والغافل لدلالة على ترتب النهى على ما عدد من النعم  
الفاضلة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بعزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والارض  
شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضل فى الرزق ونعمة الأزواج والاولاد (ان الله يعلم) تغليل

لأنهم المذكور ووهيد على المنهى عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذكرون وأنه في غاية العظم والقبح (وأنتم لاتعلمون) ذلك والامثال علمتموه أو أنه تعالى يعلم كنه الاشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف

تعالى لما قرر هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال أفبنتمة الله في تقريره هذه البيانات وايضاح هذه البيانات يحجدون (المسئلة الثانية) الباء في قوله أفبنتمة الله يجوز أن تكون زائدة لان المحمود لا يعدى بالباء كما تقول خذ الخطام وبالخطام وتعلقت زيدا ويزيد ويجوز أن يراد بالجدود الكفر فعدى بالياء لكونه بمعنى الكفر والله أعلم \* قوله تعالى ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبا باطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ) اعلم ان هذا نوع آخر من أحوال الناس ذكره الله تعالى ليستدل به على وجود الاله المختار الحكيم ويكون ذلك تديهاعلى انعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم فقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا قال بعضهم المراد انه تعالى خلق حواء من ضلع آدم وهذا ضعيف لان قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا خطاب مع الكل فخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل بل هذا الحكم عام في جمع الذكور والاناث والمعنى انه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم مثل قوله فاقتلوا أنفسكم وقوله فسئلوا على أنفسكم أي بعضكم على بعض ونظير هذه الآية قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا قال الاطباء وأهل الطبيعة التفاوت بين الذكر والانثى انما كان لاجل ان كل من كان أسخن من اجا فهو الذكر وكل من كان أكثر بردا ورطوبة فهو المرأة ثم قالوا المنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد ذكرا في طبيعة الاناث وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد انثى في طبيعة الذكور واعلم ان حاصل هذا الكلام أن الذكورة علتها الحرارة واليبوسة والانوثة علتها البرودة والرطوبة وهذه العلة في غاية الضعف فقدرأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولو كان الموجب للذكورة والانوثة ذلك لا يتم ذلك فثبت أن خالق الذكر والانثى هو الاله القديم الحكيم وظهر بالدليل الذي ذكرنا صحة قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ثم قال تعالى وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال الواحدى أصل الحفدة من الحفد وهو الحففة في الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا اذا أسرع ومنه في دعاء القنوت واليك نسني ونحفد والحفدة جمع الخافد والخافد كل من يخف في خدمتك ويسرع في العمل بطاعتك يقال في جمعه الحفد بغيره كما يقال الرصد في الحفدة في اللغة الاعوان والخدام ثم يجب أن يكون المراد من الحفدة في هذه الآية الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من

الامثال لما ورد عليكم من الامر والنهى ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وأنتم لاتعلمون ذلك فتقومون فيما تقومون فيه من مهاوى الردى والضلال ثم صابهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلا) أي ذكروا ورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما أشركوا به وعلى تباين ما يحدث ينادى بفساد ما ارتكبه ونهاده تجليا (عبدا علموا كالا يقدر على شئ) بدل من مثلا وتفسيره والامثال في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتبميز عن الحر لا شترأ كهما في كونها عبدا لله سبحانه وقد أدمج فيه أن الكل عبيده تعالى وبعدم القدرة لتبميزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل

أولاً ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبدأى (و أزواجكم) رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حال ضرب المثل والرزق (منا) من جنابنا الكبير المتعالي (رزقا حسنا)

حللا طيبا أو مستحسنا ضد الناس مرشيا ( فهو يتفق منه ) فضلا وأحسانا والغناء لترتيب الانفاق على الرزق كالمه  
قبل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق ﴿ ٤٩٥ ﴾ وإيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر

للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي (سرا وجهرا) أى حال السر والجهر أو انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للإيدان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينين بأن يقال وحراما لكالا للمال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لو تخي تحقيق الحق بأن الاحرار أيضا تحت ربة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مال كيتهم لما يملكونه ليست الابان يرزهم الله تعالى اياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فإظنك بالجناد ومالك الملك خلاق العالمين (هل يستون) جمع الضمير للإيدان بأن المراد بما ذكر

أزواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية اذا عرفت هذا فتقول قيل هم الاختان وقيل هم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا ان اللفظ محتمل لكل بحسب المعنى المشترك الذي ذكرناه ثم قال تعالى ورزقكم من الطيبات لما ذكر تعالى انعامه على عبده بالتركوع وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالطعمومات الطيبة سواء كانت من النبات وهى الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من الحيوان ثم قال أفتالباطل يؤمنون قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى بالاصنام وقال مقاتل يعنى بالشيطان وقال عطاء يصدقون ان لشر يكا وصاحبة وولدا وبنعمة الله هم يكفرون أى بأن يضيفوها الى غير الله ويتكروا اضافتها الى الله تعالى وفي الآية قول آخر وهو أنه تعالى لما قال ورزقكم من الطيبات قال بعده أفتالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون والمراد منه انهم يحرمون على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم مثل العجيرة والسائبة والوصيلة ويبيعون لانفسهم محرمت حرما الله عليهم وهى الميتة والدم والحلم الخنزير وما ذبح على النصب يعنى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة وبانعام الله فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يحجدون ويكفرون والله أعلم \* قوله تعالى ( ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضر بوا لله الامثال ان الله يعلم وأتم لا تعلمون ) اعلم انه تعالى لما شرح أنواعا كثيرة فى دلائل التوحيد وتلك الانواع كما انها دلائل على صحة التوحيد فكذلك بدأ بذكر أقسام التعم الجليلة السريفة ثم اتبعها فى هذه الآية بالرد على عبدة الاصنام فقال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون أما الرزق الذى يأتى من جانب السماء فيعنى به الغيث الذى يأتى من جهة السماء وأما الذى يأتى من جانب الارض فهو النبات والثمار التى تخرج منها وقوله من السموات والارض من صفة النكرة التى هى قوله رزقا كأنه قيل لا يملك لهم رزقا من الغيث والنبات وقوله شيئا قال الاخفش جعل قوله شيئا بدلا من قوله رزقا والمعنى لا يملكون رزقا لا قليلا ولا كثيرا ثم قال ولا يستطيعون والفسادة فى هذه اللفظة ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة أن يملكه بطريق من الطرق فبين تعالى ان هذه الاصنام لا تملك وليس لها أيضا استطاعة تحصيل الملك فان قيل انه تعالى قال ويعبدون من دون الله مالا يملك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهى لغير أولى اعلم ثم قال ولا يستطيعون والجمع بالواو والنون مختص بالولى العلم فكيف الجمع بين الامرين والجواب أنه عبر عنها بلفظ ما اعتبارا لما هو الحقيقة فى نفس الامر وذكر الجمع بالواو والنون اعتبارا لما يعتقدون فيها انها آلهة ثم قال تعالى فلا تضر بوا لله الامثال وفيه وجوه (الاول) قال المفسرون يعنى لا تشبهوه بمخلقه (الثانى) قال الزجاج أى لا يجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له (الثالث) أقول يحتمل أن يكون المراد أن عبدة الاوثان كانوا يقولون ان اله العالم أجل وأعظم من أن يعبد اله الواحد

من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لافراد معينان منهما أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سياتى فى البشرية والمخلوقية لله سبحانه وأن ما يتفقه الاحرار ليس بمالهم دخل فى إجماده ولا فى تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى

اياهم فحيث لم يستو الفريقان فاظنكم رب العالمين حيث تشركون به مالا ذليل اذك مند وهو الاصنام ( الحمد لله )  
 أي كماله لانه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره ﴿ ٤٩٦ ﴾ وان ظهرت على أيدي بعض الوسايط فضلا

منا بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله  
 الاكبر الاعظم والدليل عليه العرف فان أصغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك  
 وأولئك الاكابر يخدمون الملك فكذلك ههنا فعند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة  
 هذه الاصنام والكواكب ولا تضربوا الله الامثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين  
 في عبادة الاله الحكيم القدير ثم قال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وفيه وجهان (الاول) ان الله  
 تعالى يعلم ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه الاصنام وانتم لا تعلمون ذلك ولو  
 علمتموه لتركتم عبادتها (الثاني) ان الله تعالى لما نهاكم عن عبادة هذه الاصنام فتركوا  
 عبادتها وتركوا دليلكم الذي عوانتم عليه وهو قولكم الاشغال بعبادة عبيد الملك أدخل  
 في التعظيم من الاستخال بعبادة نفس الملك لان هذا قياس والقياس يجب تركه عند ورود  
 النص فلهمنا قال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون \* ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا  
 لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوتون الحمد  
 لله بل أكثرهم لا يعلمون) اعلم انه تعالى أكد بطلان مذهب عبدة الاصنام بهذا المثل وفيه  
 مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذا المثل قولان (الاول) أن المراد اننا لو فرضنا عبدا  
 مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثيرا لاتفاق سرا وجهرا فصريح العقل  
 يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فللم تميز التسوية بينهما مع  
 استوائهما في الخلقة والصوره والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر  
 على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة (والقول الثاني) ان المراد  
 بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر فانه من حيث انه بقي محروما عن عبودية  
 الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز والمراد بقوله ومن رزقناه منارزقا  
 حسنا هو المؤمن فانه مشغول بالتعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فبين تعالى  
 انهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله تعالى واعلم ان القول  
 الاول أقرب لان ما قبل هذه الآية وما بعدها انما ورد في اثبات التوحيد وفي الرد على  
 الناثلين بالشرك فحمل هذه الآية على هذا المعنى أولى (المسئلة الثانية) اختلفوا  
 في المراد بقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فقيل المراد به الضم لانه عبد بدليل قوله ان كل  
 من في السموات والارض الآت الرجن عبدا وأما أنه مملوك ولا يقدر على شيء فظاهر  
 والمراد بقوله ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا عابدا الضم لان الله  
 تعالى رزقه المال وهو ينفق من ذلك المال على نفسه وعلى أتباعه سرا وجهرا اذا ثبت هذا  
 فتقول هما لا يستويان في بديهة العقل بل صريح العقل يشهد بان ذلك القادر أكمل حالا  
 وأفضل مرتبة من ذلك العاجز فههنا صريح العقل يشهد بان عابدا الضم أفضل من ذلك  
 الضم فكيف يجوز الحكم بكونه مساويا لرب العالمين في العبودية (والقول الثاني)  
 أن المراد بقوله عبدا مملوكا عبد معين وقيل هو عبد لعثمان بن عفان وحلوا قوله

عن استحقاق العبادة  
 وفيه ارشاد الى ما هو الحق  
 من أن ما يظهر على يد  
 من ينفق بما ذكر راجع  
 الى الله سبحانه كالوجه به  
 قوله تعالى رزقناه  
 (بل أكثرهم لا يعلمون)  
 ما ذكر فيضيفون نعمه  
 تعالى الى غيره وبعبدونه  
 لاجلها ونفى العلم  
 عن أكثرهم للاشعار  
 بأن بعضهم يعلمون ذلك  
 وانما لا يعملون بموجبه  
 عناداً لقوله تعالى يعرفون  
 نعمه الله ثم ينكرونها  
 وأكثرهم الكافرون  
 (وضرب الله مثلا) أي مثلا  
 آخر يدل على ما دل عليه  
 المثل السابق على وجه  
 أوضح وأظهر وبعد  
 ما بهم ذلك لتتنظر النفس  
 الى وروده وترقبه حتى يتمكن  
 لديها عند وروده بين قبيل  
 (رجلين أحدهما أبكم)  
 وهو من ولد أخرس  
 (لا يقدر على شيء)  
 من الاشياء المتعلقة بنفسه  
 أو بغيره بحس أو فرائس  
 قلته فهمه وسوادراكه  
 (وهو كل) نقل وعيال  
 (على مولا) على من يعوله  
 وبلى أمره وهذا بيان

لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى ﴿ ومن ﴾  
 (أبنا يوجهه) أي حيث يرسله مولا في أمر بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولا ولو كانت مصلحة بسيرة  
 وقري على البناء للمضول وعلى صيغة

الماضي من الوجه (لايات بخبر) أصبح وكفاية مهم البتة (هل يستوى هو) مع ما في من الاوصاف المذكورة (ومن  
بأمر بالعدل) أي من هو منطبق فهم ذور أي ﴿ ٤٩٧ ﴾ وكفاية ورشد ينفع الناس بحشهم على العدل الجامع

لجامع الفضائل (وهو)  
في نفسه مع ما ذكر من  
نفعه العام للخاص  
والعام (على صراط  
مستقيم) ومقابلة  
الصفات المذكورة بهذين  
الوصفين لانهما في حاق  
ما يقابلها فان حصل  
الصفات المذكورة  
عدم استحقاق المأمورية  
ولخص هذين استحقاق  
كالمصرية المستتبع  
لحياسة المحاسن بأجمعها  
وتغيير الاسلوب حيث لم  
يقبل والاخر أمر بالعدل  
الآية لمراعاة الملازمة  
بينه وبين ماهو المقصود  
من بيان التباين بين  
القرنين واعلم أن كلا  
من الفعلين ليس المراد  
بهما حكاية الضرب  
الماضي بل المراد انساؤه  
بما ذكر عقبيه ولا يعذر  
أن يقال ان الله تعالى  
ضرب مثلا بخلق الفريقين  
على ما هما عليه فكان  
خافهما كذلك للاستدلال  
بعدم تساويهما على  
امتناع التساوي بينه  
سبحانه وبين ما يشركون  
فيكون كل من الفعلين  
حكاية للضرب الماضي

ومن رزقنا منارزقا حسنا على عثمان خاصة (واقول الثالث) انه عام في كل عبد  
بهذه الصفة وفي كل حر بهذه الصفة وهذا القول هو الاظهر لانه هو الموافق لما أراد الله  
تعالى في هذه الآية والله أعلم (المسئلة الثالثة) احتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد  
لا يملك شيئا فان قالوا ظاهر الآية يدل على أن عبدا من العبيد لا يقدر على شيء فلم قلتم ان  
كل عبد كذلك فقول الذي يدل عليه وجهان (الاول) انه ثبت في أصول الفقه أن  
الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف له لذلك الحكم  
وكونه عبد اوصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور  
عقبيه فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبدا وبهذا الطريق يثبت  
العموم (الثاني) انه تعالى قال بعده ومن رزقناه منارزقا حسنا في هذا القسم الثاني عن  
القسم الاول وهو العبد بهذه الصفة وهو أنه يرزقه رزقا فوجب أن لا يحصل هذا الوصف  
للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني وبين القسم الاول ولو ملك العبد لكان الله  
قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا أو كثيرا فثبت بهذين  
الوجهين ان ظاهر الآية يقتضي ان العبد لا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ثم اختلفوا فروى  
عن ابن عباس وغيره التشدد في ذلك حتى قال لا يملك الاطلاق أيضا وكذا الفقهاء قالوا  
بملك الاطلاق انما يملك المال ولا ماله تعلق بالمال واختلفوا في أن المالك اذا ملكه شيئا  
فهل يملكه أم لا وظاهر الآية يفيد في الآيات سوالات (الاول) لم قال مملوكا لا يقدر  
على شيء وكل عبد فهو مملوك وغير قادر على التصرف قلنا ما ذكر المملوك فليحصل الامتياز  
بينه وبين الحر لان الحر قد يقال انه عبد لله وأما قوله لا يقدر على شيء قد يحصل الامتياز  
بينه وبين المكاتب وبين العبد المأذون لانهما يقدران على التصرف (السؤال الثاني)  
من في قوله ومن رزقناه ما هي قلنا الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرار رزقناه ليطابق  
عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة (السؤال الثالث) لم قال يستوون على الجمع قلنا معناه  
هل يستوى الاحرار والعبيد ثم قال الحمد لله وفيه وجوه (الاول) قال ابن عباس الحمد لله  
على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد (والثاني) المعنى ان كل الحمد لله وليس شيء من  
الحمد الا صنم لانها لانعمة لها على أحد وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يعني أنهم لا يعلمون  
ان كل الحمد لله وليس شيء منه للاصنام (الثالث) قال القاضي في التفسير قال للرسول  
عليه الصلاة والسلام قل الحمد لله ويحتمل أن يكون خطابا لمن رزقه الله رزقا حسنا أن  
يقول الحمد لله على ان مبره في هذه القدرة عن ذلك العبد الضعيف (الرابع) يحتمل أن  
يكون المراد انه تعالى لما ذكر هذا المثل وكان هذا مثلا مطا بقالفرض كاشفا عن المقصود  
قال بعده الحمد لله يعني الحمد لله على قوة هذه الحجة وتظهر هذه البينة ثم قال بل أكثرهم  
لا يعلمون يعني انها مع غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هؤلاء الضلال  
والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل

(وقه) تعالى خاصة ﴿ ٦٣ ﴾ خالا لا حد غيره استقلاله ولا اشتراكا (غيب السموات والارض) أي الامور الغائبة  
عن علوم المخلوقين فاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما  
إما باعتبار الوقوع

فيهما جالا أو لا أو ما باعتبار الغيبة عن اهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث العلومية سبحانه  
صه عنوان الغيبة لامن حيث المخلوقة والملوكية وان ﴿ ٤٩٨ ﴾ كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان

عليه سبحانه حضوري  
فان تحقق الغيوب في  
أنفسها علم بالنسبة اليه  
تعالى ولذلك لم يقل والله  
علم غيب السموات  
والارض ( وما أمر  
الساعة) التي هي أعظم  
ما وقع فيه الممارسة من  
الغيوب المتعلقة بهما من  
حيث غيبتها عن اهلها  
أو ظهور آثارها فيهما  
عند وقوعها فان وقت  
وقوعها بعينه من  
الغيوب المختصة به سبحانه  
وان كان اتيتها من  
الغيوب التي نصبت عليها  
الادلة اي ما شأنها في  
سرعة الجحيم ( الاكلح  
البصر ) اي كرجم  
الطرف من أعلى الحدقة  
الى أسفلها (أوهو) اي  
يل أمرها فيما ذكر (أقرب)  
من ذلك وأسرع زمانا  
بان يقع في بعض من زمانه  
فان ذلك وان قصر عن  
حركة انية لها هوية  
اتصالية منطبقة على  
زمان له هوية كذلك  
قابل للانقسام الى  
أبعاض هي أزمنة أيضا  
يل في آن غير منقسم من  
ذلك الزمان وهو آن

علي مولاة أيغا بوجهه لايات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط  
مستقيم) اعلم أنه تعالى أبطل قول عبدة الاوثان والاصنام بهذا المثل الثاني وتقريره  
انه كما تقرر في أوائل العقول أن الايكم العاجز لا يكون مساويا في الفضل والشرف  
لناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية فلان يحكم بأن الجواد لا يكون مساويا  
لرب العالمين في العبودية كان أولى ثم نقول في الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) انه تعالى  
وصف الرجل الاول بصفات (الصفة الاولى) الايكم وفي تفسيره أقوال نقلها الواحدى  
(الاول) قال أبو زيد رجل أبكم وهو العي المعجم وقد بكم بكماء وبكامة وقال أيضا الايكم  
الاقطع اللسان وهو الذي لا يحسن الكلام (الثاني) روى ثعلب عن ابن الارصاني الايكم  
الذي لا يعقل (الثالث) قال الزجاج الايكم المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر (الصفة الثانية)  
قوله لا يقدر على شيء وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (والصفة الثالثة) قوله  
كل على مولاة أي هذا الايكم العاجز كل على مولاة قال أهل المعاني أصله من الغلظ الذي  
هو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته فلم يقطع وكل لسانه اذا غلظ فلم يقدر  
على الكلام وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله كل على مولاة أي غلظ  
وثقل على مولاة (الصفة الرابعة) قوله أيغا بوجهه لايات بخير أي أيغا يرسله ومعنى  
التوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق يقال وجهته الى موضع كذا  
فتوجه اليه وقوله لايات بخير معناه لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم ثم قال تعالى هل يستوى  
هو أي هذا الموصوف بهذه الصفات الرابع ومن يأمر بالعدل واعلم أن الأمر بالعدل  
يجب أن يكون موصوفاً بالخلق والالم يكن أمر او يجب أن يكون قادر الان الامر مشعر  
بعلو المرتبة وذلك لا يحصل الا مع كونه قادرا ويجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين  
العدل وبين الجور فثبت ان وصفه بأنه يأمر بالعدل يتضمن وصفه بكونه قادرا عالما  
وكونه أمر يناقض كون الاول أبكم وكونه قادرا يناقض وصف الاول بأنه لا يقدر على  
شيء وبأنه كل على مولاة وكونه عالما يناقض وصف الاول بأنه لايات بخير ثم قال وهو على  
صراط مستقيم معناه كونه عاد لا مبرأ عن الجور والعبث اذا ثبت هذا فنقول ظاهر  
في بديهة العقل ان الاول والثاني لا يستويان فكدا ههنا والله أعلم (المسئلة الثانية)  
في المراد بهذا المثل أقوال كما في المثل المتقدم (فالاول) قال مجاهد كل هذا مثل اله الخلق  
وما يدعى من دونه من الباطل وأما الايكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة وكذلك لا يقدر  
على شيء وأيضا كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم يتفنون عليه وأيضا الى أي مهم توجه  
الصنم لم يات بخير وأما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه (والقول الثاني) ان المراد  
من هذا الايكم هو عبد لعثمان بن عفان كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان فيه خير  
ومولاة وهو عثمان بن عفان كان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم  
(والقول الثالث) أن المقصود منه كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل حر

ابتداء تلك الحركة أو ما أمرها الاكاشي الذي يستقربو يقال هو كالحج البصر أو هو أقرب وأياما ﴿ موصوف ﴾  
كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسيها عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالآيات ( ان الله على كل شيء قدير) ومن  
جمله الإشياء أن يجي بها أسرع ما يكون



فهو قادر على ذلك أو وما أمر إقامة الساعة التي كنتها وكيفيةها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي امانة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل ﴿ ٤٩٩ ﴾ صور الاكوان اجمعين وقد أنكرها المنكرون وجعلوها

من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة الثاني الاكلع البصر أو هو أقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه بخصوصه غائب عن أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ) عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منسجما معك في سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمة وقرئ بكسرهما أيضا جسم الام زيت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اوراق وشدت زيادتها في الواحدة قل \* امهتي

موصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا القول أولى من القول الاول لان وصفه تعالى اياهما بكونهما رجلين يمنع من حمل ذلك على الوثن وكذلك باليكم وبالكل و بالتوجه في جهات المنافع وكذلك وصف الآخر بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وايضا فالقصد تشبيه صورة بصورة في أمر من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدي الصورتين مغايرة للآخرى ( وأما القول الثاني ) فضعيف أيضا لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك غير مختص بسخص معين بل أيما حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود والله أعلم \* قوله تعالى ( والله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الاكلع البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألميروا الى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ) اعلم انه تعالى لما ذكر في الآية الاولى مثل الكفار بالابكم العاجز ومثل نفسه بالذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم انه يمتنع أن يكون أمر بالعدل وأن يكون على صراط مستقيم الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة ذكر في هذه الآية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة أما بيان كمال العلم فهو قوله والله غيب السموات والارض والمعنى علم الله غيب السموات والارض وأيضا فقوله والله غيب السموات والارض يفيد الحصر معناه ان العلم بهذه الغيوب ليس الا لله وأما بيان كمال القدرة فقوله وما أمر الساعة الاكلع البصر أو هو أقرب والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفتجأ الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله الاكلع البصر اللوح النظر بسرعة يقال لمح بصيره لمح والمحا والمعنى وما أمر قيام القيامة في السرعة الا كطرف العين والمراد منه تقرير كمال القدرة وقوله أو هو أقرب معناه ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ولا شك ان الحدقة مؤلفة من أجزاء لا تجزأ فلمح البصر عبارة عن المرور على جلة تلك الاجزاء التي منها تألف سطح الحدقة ولا شك ان تلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من آتات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآتات فلهذا قال أو هو أقرب الا انه لمساكن أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وافكارنا هو لمح البصر لاجرم ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيها على ما ذكرناه ولاشبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك بل المراد بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الابهام عن المخاطبين أنه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر لمح البصر او بما هو أسرع قال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال انه تعالى يأتي بها في زمان بل الواجب أن يخلقها دفعة واحدة في وقت واحد ويفارق ما ذكرناه في ابتداء خلق السموات والارض لان تلك الحال حال تكليف فلم يمتنع أن يخلقهما

خندق والياس أبي \* ( لاتعلمون شيئا ) في موقع الحال اي غير عالين شيئا أصلا ( وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ) عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج أي جعل لكم هذه الاشياء

الات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتذكروها باقتداتكم وتنسبها لما بينهما من المشاركات والبيانات بتكرار الاحساس فيحصل لكم \* ٥٠٠ \* علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل

كذلك لما فيه من مصلحة الملائكة واعلم أن هذا الاعتراض انما يستقيم على مذهب القاضي أما على قولنا في أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فليس له قوة والله اعلم ثم انه تعالى طاد الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فقال والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرا حرة والكسافي امهاتكم بكسر الهمزة والباقون بضمها (المسئلة الثانية) أمها تكلم أصله أماتكم الا انه زيد الهاء فيه كما زيد في اراق فقبل اهراق وشدت زيادتها في الواحدة في قوله \* أمهتي خندق والياس أبي \* (المسئلة الثالثة) الانسان خلق في مبد الفطرة خاليا عن معرفة الاشياء ثم قال وجعل لكم السمع والا بصار والافتدة والمعنى ان النفس الانسانية لما كانت في اول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله فآله تعالى أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم وتتمام الكلام في هذا الباب يستدعى من يدتقرر فقول التصورات والتصديقات اما أن تكون كسبية واما أن تكون بديهية والكسبيات انما يمكن تحصيلها بواسطة تركيبات البديهيات فلا بد من سبق هذه العلوم البديهية وحينئذ لسائل أن يسأل فيقول هذه العلوم البديهية اما أن يقال انها كانت حاصلة مند خلقنا أو ما كانت حاصلة (والاول) باطل لاننا بالضرورة نعلم اننا حين كنا جنينا في رحم الام ما كنا نعرف ان النقي والاثبات لا يجتمعان وما كنا نعرف أن الكل أعظم من الجزء (وأما القسم الثاني) فانه يقتضى ان هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد انها ما كانت حاصلة فحينئذ لا يمكن حصولها الا بكسب وطلب وكل ما كان كسبيا فهو مسبوق بما هو أخرى فهذه العلوم البديهية تصير كسبية ويجب أن تكون مسبوقه بعلوم أخرى الى غير نهاية وكل ذلك محال وهذا سؤال قوى مشكل وجوابه أن نقول الحق ان هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا ثم انها حدثت وحصلت أما قوله فيلزم أن نكون كسبية قلنا هذه المقدمة ممنوعة بل نقول انها انما حدثت في نفوسنا بعد عدمها بواسطة اعانة الحواس التي هي السمع والبصر وتقريره ان النفس كانت في مبداء الخلقة خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر فاذا أبصر الصقل شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المصير وكذلك اذا سمع شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع وكذا القول في سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات في النفس والعقل ثم ان تلك الماهيات على قسمين أحد القسمين ما يكون نفس حضوره موجبا تاما في جزم الذهن باسناد بعضها الى بعض بالنقي أو الاثبات مثل أنه اذا حضر في الذهن ان الواحد ماهو وان نصف الاثنين ماهو كان حضور هذين التصويرين في الذهن علة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم عليه بأنه نصف الاثنين وهذا القسم هو عين العلوم البديهية (القسم الثاني) ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية مثل أنه اذا حضر في الذهن ان الجسم ماهو وان المحدث ماهو

العلوم الكسبية والافتدة  
جمع فؤاد وهو وسط  
القلب وهو من القلب  
كالقلب من الصدر وهو  
من جوع القلة التي جرت  
محرم جوع الكثرة  
وتقديم المجرور على  
المنصوبات لما مر من  
الايدان من أول الامر  
بكون الجموع نافعاهم  
وتشويق الى المؤخر  
لا يمكن عندورده عليها  
فضل تمكن (لعلمكم  
تشكرون) كي تعرفوا  
ما أنعم به عليكم طور اغب  
طور فتشكروه وتقديم  
السمع على البصر لانه  
طريق نلقى الوحي أولان  
ادراكه أقدم من ادراك  
البصر وافراده باعتبار  
كونه مصدرا في الاصل  
(المبروا) وقرى بالناء  
(الى الطير) جمع طائر  
أى ألم ينظروا اليها  
(مسخرات) مذلات  
للطيران بما خلق لها  
من الاجنحة والاسباب  
المساعدة له وفيه مبالغة  
من حيث ان معنى التسخير  
جعل الشيء منقاد الآخر  
تصرف فيه كيف يشاء  
كتسخير البحر والفلك

والدواب الانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير \* فان \* السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطير ان ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى (في جوار السماء) أى في الهواء المتباعد من الأرض

والسكك واللوح أبعد منه وأضافه الى السماء لما أنه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة (ما يمكن) في الجوحين قبض أجنحتهم وبسطها ﴿ ٥٠١ ﴾ ووقوفهم (الاله) عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة

قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير واما مستأنف ( ان في ذلك ) الذي ذكر من تسخير الطير للطير ان بان خلقها خلقة تمكن بها منه بان جعل لها أجنحة خفيفة واذا بنا كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت أجنحتها وأذنا بها لا يطبق ثقلها تخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير (لايات) ظاهرة (قوم يوثنون) أي من شأنهم أن يوثنون وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به ( والله جعل لكم مطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايدان من أول الامر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم

فان مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم يحدث بل لا بد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة والحاصل ان العلوم الكسبية انما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية وحدثت هذه العلوم البديهية انما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها وحدثت هذه التصورات انما كان بسبب اعانة هذه الحواس على جزئياتها فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس فلماذا السبب قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافتدة ليصير حصول هذه الحواس سببا للانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق الذي ذكرناه وهذه البحوث شريفة عقلية محضة مدرجة في هذه الآيات وقال المفسرون وجعل لكم السمع لتسموا مواظبا لله والابصار لتبصروا دلائل الله والافتدة لتعلموا عظمة الله والافتدة جمع فؤاد نحو أغربة وغراب قال الزجاج ولم يجمع فؤاد عن أكثر العدد وما قيل فيه فئدان كما قيل غراب وغريان وأقول لعل الفؤاد انما جمع على بناء جمع القلة تذيها على أن السمع والبصر كثيران وأن الفؤاد قليل لان الفؤاد انما خلق للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وأكثر الخلق ليسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالافعال البهيمية والصفات السبعية فكان فؤادهم ليس بفؤاد فلماذا السبب ذكر في جمعه صيغة جمع القلة فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله أخرجكم وهذا يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج عن البطن ومعلوم أنه ليس كذلك والجواب ان حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا اذا حلنا السمع على الاستماع والابصار على الروية زال السؤال والله أعلم أما قوله ألم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمكن ان الله ففیه مسئلان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وحرزة والكسائي ألم تروا بالنساء والباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره من الكفار (المسئلة الثانية) هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فانه لو لانه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه لما أمكن ذلك فانه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة و يكسره أخرى مثل ما يعمله السائح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولو لولا ذلك لما كان الطيران ممكنا وأما قوله تعالى ما يمكن ان الله فالعنى ان جسد الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعامة تحت ولا علاقة فوقه فوجب أن يكون المسك له في ذلك الجو هو والله تعالى ثم من الظاهر ان بقاءه في الجو معلقا فعله وحاصل باختباره ثبت ان خالق فعل العبد هو الله تعالى قال القاضي انما أضاف الله تعالى هذا الامسك الى نفسه لانه تعالى هو الذى أعطى الآلات التي لاجلها يمكن الطير من تلك الافعال فلما كان تعالى هو المسبب لذلك لاجرم صححت هذه الاضافة الى الله تعالى والجواب ان هذا ترك للاظهار بغير دليل وانه

لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى (من يوتنكم) أي من يوتنكم المعهودة التي تبثونها من الحجر والمدرتبين لذلك الجمول المبهم في الجملة وتأكد لما سبق من التشويق (سكنا) فعل بمعنى مفعول أي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم أو تسكنون اليه من غير أن ينقل من مكانه أي جعل بعض يوتنكم بحيث

تمكنون اليه وتعلمثون به (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) اي بيوتا اخر مغارة بيوتكم المهودية هي الخيام والقباب  
والاخبية والفساطيط (تستخفونها) تجدونها خفيفة سهلة ﴿ ٥٠٢ ﴾ المأخذ (يوم ظنكم) وقت رحالكم

لا يجوز لاسيما والدلائل العقلية دلت على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ثم قال تعالى  
في آخر الآية ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وخص هذه الآيات بالموثمين لانهم هم  
المتفعلون بها وان كانت هذه الآيات لآيات لكل العقلاء والله اعلم \* قوله تعالى ( والله  
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظنكم  
ويوم اقامتكم ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها اثنا وثمانا الى حين) اعلم ان هذا نوع  
آخر من دلائل التوحيد وأقسام النعم والفضل والسكن المسكن أنشد الفراء  
جاء الشتاء ولما أخذ سكننا \* يا ويح كفى من حفر القراميص

والسكن ما سكنت اليه وما سكنت فيه قال صاحب الكشاف السكن فعل بمعنى مفعول  
وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها  
على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف  
البيوت واليها الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت  
لا يمكن نقله بل الانسان ينقل اليه (والقسم الثاني) القباب والخيام والفساطيط  
واليها الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظنكم  
ويوم اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله من مكان الى مكان واعلم  
ان المراد الانطاع وقد تعمل العرب البيوت من الادم وهي جلود الانعام أي يخف  
عليكم حملها في أسفاركم قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يوم ظنكم بفتح العين والباقون  
ساكنة العين قال الواحدي وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان الغطن  
سير البادية لجمعة او حضور ماء أو طلب مربع وقد يقال لكل شاخص لسفر ظاعن وهو  
صند الخافض وقوله ويوم اقامتكم بمعنى لا يشغل عليكم في الحالين وقوله ومن اصوافها  
وأوبارها وأشعارها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والابوار للابل  
والاشعار للمز وقوله اثنا وثمانا أنواع مناع البيت من الفرش والاكسية قال الفراء  
ولا واحد له كما أن المناع لا واحد له قال واوجعت فقلت آتشة في القليل وأثت في الكثير  
لم يبعد وقال أبو زيد واحدها اثنا قال ابن عباس في قوله اثنا ثاير يد طنافس وبسطا وثيايا  
وكسوة قل الخليل وأصله من قواهم أث النبات والشعر اذا كثرت وقوله مناعا أي  
ما يتمعون به وقوله الى حين يريد الى حين البلا وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد  
الحين وقيل الى يوم القيامة فان قيل صطف المناع على الاثا والعطف يقتضى المغارة  
وما الفرق بين الاثا والمناع قلنا الاقرب ان الاثا ما يكتسى به المرء ويستعمله في الغطاء  
والوطاء والمناع ما يفرش في المنازل ويزين به \* قوله تعالى ( والله جعل لكم مما خلق  
ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تفيكم الحر وسرابيل تفيكم  
بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم اعلكم تسلمون فان تولوا فاعلم انك البلاغ المبين يعرفون  
نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) اعلم ان الانسان اما أن يكون مقيما

في النقص والجل والنقل  
وقرى بفتح العين  
(و يوم اقامتكم) وقت  
زولكم في الضرب  
والبناء (ومن اصوافها  
وأوبارها وأشعارها)  
عطف على قوله تعالى  
من جلود والضمائر  
للانعام على وجه  
التنويح أي وجعل لكم  
من اصواف الضأن  
وأوبار الابل وأشعار  
المز ( اثنا وثمانا ) أي مناع  
البيت وأصله الكثرة  
والاجتماع ومنه شعر  
أثيت (ومناعا) اي شينا  
يتمتع به بغضون التمتع  
( الى حين ) الى أن  
تقضوا منه أو طاركم  
أوالى أن يبلى ويفنى فانه  
في معرض البلا والغناء  
وقيل الى أن تموتوا  
والكلام في ترتيب المفاعيل  
مثل ما مر من قبل  
( والله جعل لكم مما خلق )  
من غير صنع من قبلكم  
( ظلالا ) أشياء تستظلون  
بها من الحر كالانعام  
والشجر والجبل وغيرها  
امتت سبحانه بذلك لما  
أن تلك الديار غالبية  
الحرارة ( وجعل لكم

من الجبال أكنانا) مواضع تستكنون فيها من الكهوف والعيان والسروب والكلام في الترتيب الواقع ﴿ أو ﴾  
بين المفاعيل كالذي مر غير مرة ( وجعل لكم سرابيل ) جمع سربال وهو كل ما يلبس أي جعل لكم ثيابا من القطن  
والكتان والصفوف وغيرها ( تفيكم الحر ) خصه بالذكر

اكتناه بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لان وقائنه هي الأهم عندهم للامر آنفا (وسرايل) من الذروع والجواشن (تقيكم بأسكم) أي البأس الذي يصل ﴿ ٥٠٣ ﴾ الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطمع

ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جمع نعمة الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ثم ما يخص المسافرين من لهم قدرة على الخيام وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الخ ثم ما يخص من لا يقدر على ذلك ولا يابويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالاً الخ ثم ما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرايل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرايل تقيكم بأسكم ثم قال (كذلك) أي مثل ذلك الاتمام البالغ (بتم نعمته) عليكم لعلكم تسلمون) أي ارادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانسية والافاقية فتعرفوا حق منعها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنفادوا الامر وافراد

أو مسافرا والمسافر اما أن يكون غنيا يمكنه استحباب الخيام والقساطيط ولا يمكنه ذلك فهذه أقسام ثلاثة (أما القسم الاول) فاليه الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكناً (وأما القسم الثاني) فاليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً (وأما القسم الثالث) فاليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وذلك لان المسافر اذا لم يكن له خيمة يستظل بها فانه لا بد وأن يستظل بشيء آخر كالجدران والاشجار وقد يستظل بالتمام كما قال وظلنا عليكم الغمام ثم قال وجعل لكم من الجبال أكنانا واحدا لا كنان كن على قياس احوال وحل ولكن المراد كل شيء وفي شياو يقال استكن وأكن اذا صار في كنف واعلم أن بلاد العرب شديدة الحرو حاجتهم الى الظل ودفع الحر شديدة فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة وأيضاً البلاد المعتدلة والاقوات المعتدلة نادرة جدا والغالب اما غلبة الحر أو غلبة البرد وعلى كل التقديرات فلا بد للانسان من مسكن يأوي اليه فكان الانعام بتحصيله عظيماً ولما ذكر تعالى أمر المسكن ذكر بعده أمر الملبوس فقال وجعل لكم سرايل تقيكم الحروس سرايل تقيكم بأسكم السرايل القمص واحدها سر بال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سر بال من قيص أو درع أو جوشن أو غيره والذي يدل على صحة هذا القول أنه جعل السرايل على قسمين أحدهما ما يكون واقياً من الحر والبرد (والثاني) ما يتقي به عن البأس والحروب وذلك هو الجوشن وغيره وذلك يدل على أن كل واحد من القسمين من السرايل فان قيل لم ذكر الحر ولم يذكر البرد أجاوب عنه من وجوه (الاول) قال عطاه الخراساني مخاطبون بهذا الكلام هم العرب وبلادهم حارة فكانت حاجتهم الى ما يدفع الحرق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال ومن أصوافها أو بارها أو أشعارها وسائر أنواع الثياب أشرف الا انه تعالى ذكر ذلك النوع لانه كان القتميم بها أشد واعتيادهم للبسه أكثر ولذلك قال ونزل من السماء من جبال فيها من برد لم عرفتم بذلك وما أنزل من الثلج أعظم ولكنهم كانوا لا يعرفونه (والوجه الثاني) في الجواب قال المبردان ذكر أحدا الضدين تنبيه على الآخر قلت ثبت في العلوم العقلية ان العلم بأحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر فان الانسان متى خطر بباله الحر خطر بباله أيضاً البرد وكذا القول في النور والظلمة والسواد والبياض فلما كان الشعور بأحدهما مستتبعا للشعور بالآخر كان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر (والوجه الثالث) قال الزجاج ما وقع من الحروق من البرد فكان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر فان قيل هذا بالضد أولى لان دفع الحر يكتفي فيه السرايل التي هي القمص من دون تكلف زيادة وأما البرد فانه لا يندفع الا بتكلف زائد قلنا القمص الواحد لما كان دافعا للحركات كان الاستكثار من القمص دافعا للبرد فصح ما ذكرناه وقوله وسرايل تقيكم بأسكم يعني دروع الحديد ومعنى البأس الشدة ويريدها شدة الطعن والضرب والرمي واعلم أنه تعالى لما عدد أقسام نعمة الدنيا قال كذلك بتم نعمته عليكم

النعمة اما لان المراد بها المصدر والاطهار ان ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء شيء قليل وقرى تسلمون أي تسلمون من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً له أي فان

أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبوات (فإنما عليك البلاغ المبين) أي فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح ﴿ ٥٠٤ ﴾ وقد فعلته بما لا من يدعيه فهو من باب وضع السبب

موضع السبب (يعرفون نعمت الله) استئناف لبيان أن توليهم وأعرضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فإنهم يعرفونها ويعترفون أنها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا وقيل نعمه الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمجرات كما يعرفون أبنائهم ثم أنكروها اعتادا ومعنى ثم لاستبعاد الإنكار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الإنكار أو اسناد المعرفة والإنكار المتفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب اسناد حال البعض إلى الكل كقولهم يتوفلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم فإن بعضهم ليس كذلك لقوله سبحانه (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بقولهم غير المعترفين بما ذكره وأحكم عليهم مطلق الكفر المؤذن بالكمال

أي مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم فإنه يتم نعمة الدنيا والدين عليكم لعلمكم تسلمون قال ابن عباس لعلمكم بأهل مكة تخلصون لله الر بوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه ونقل عن ابن عباس أنه قرأ لعلمكم تسلمون بفتح التاء والمعنى انا أعطيتناكم هذه السراييل لتسلموا عن بأس الحرب وقيل أعطيتكم هذه النعم لتفكروا فيها فتؤمنوا فسلموا من عذاب الله ثم قال تعالى فان تولوا فإنا على البلاغ المبين أي فان تولوا يا محمد وأعرضوا وآثر والذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة في الكفر فعلى أنفسهم جنوا ذلك وليس عليك الا ما فعلت من التبليغ التام ثم انه تعالى ذمهم بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وذلك نهائية في كفران النعمة فان قيل ما معنى ثم قلنا الدلالة على أن إنكارهم أمر يستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لان ينكروا في المراد بهذه النعمة وجوه (الاول) قال القاضي المراد بها جميع ما ذكره الله تعالى في الآيات المقدمة من جميع أنواع النعم ومعنى أنهم أنكروا هو أنهم ما أفردوه تعالى بالشكر والعبادة بل شكروا على تلك النعم غير الله ولا أنهم قالوا إنما حصلت هذه النعم بشفاعة هذه الاصنام (والثاني) ان المراد أنهم عرفوا أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق ثم ينكرونها وتبوتها نعمة عظيمة كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (الثالث) يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها أي لا يستعملونها في طلب رضوان الله تعالى ثم قال تعالى وأكثرهم الكافرون فان قيل ما معنى قوله وأكثرهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين قلنا الجواب من وجوه (الاول) انما قال وأكثرهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين لم يتم عليه الحجية من لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل معنوها فأراد بالاكثر البالغين الاصحاء (الثاني) أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وحينئذ نقول انما قال وأكثرهم الكافرون لانه كان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبيا حقا من عند الله (الثالث) انه ذكر الاكثر والمراد الجميع لان أكثر الشيء يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذا في الجميع وهذا كقوله الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والله أعلم \* قوله تعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذرأي الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) اعلم أنه تعالى لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها واذكر أيضا من حالهم ان أكثرهم الكافرون أتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وذلك يدل على ان أولئك الشهداء يشهدون عليهم بذلك الإنكار وبذلك الكفر والمراد بهؤلاء الشهداء الانبياء كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله ثم لا يؤذن للذين كفروا فيه وجوه (أحدها) لا يؤذن لهم في الاعتذار لقوله ولا يؤذن لهم فيعتدرون (وثانيها) لا يؤذن لهم في كثرة الكلام (وثالثها) لا يؤذن لهم في الرجوع الى دار الدنيا والى

من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم ﴿ التكليف ﴾ لم يعرفوا نقصان العقل أو التفريط في النظر أولم يتم عليه الحجية لانه لم يبلغ حد التكليف فقدر

(وَيَوْمَ نَبِّئُكُمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) يشهد لهم بالإيمان والطاعة وغلبهم بالكفر والعصيان وهو نبيا (ثم لا يؤذن للذين كفروا)  
في الاعتذار إذا عذر لهم ومم الدلالة على ﴿٥٠٥﴾ أن ابتلاءهم بالنجس عن الاعتذار النبي عن الاقناط الكافي وهو

عندما يقال لهم اخسوا  
فيها ولا تكلمون أشد من  
ابتلائهم بشهادة الانبياء  
عليهم السلام عليهم  
وأطم (ولاهم يستعذبون)  
يسترضون أي لا يقال  
لهم أرضوا ربكم  
إذا الآخرة دار الجزاء  
لدار العمل وانتصاب  
الظرف بمحذوف تقديره  
أذكر أو خوفهم يوم نبئ  
الح أو يوم نبئ بما يحق  
بهم بما يحق بما لا يوصف  
وكذا قوله تعالى (وإذا  
رأى الذين ظلوا العذاب)  
الذي يستوجبونه بظلمهم  
وهو عذاب جهنم (فلا  
يخفف عنهم) ذلك (ولاهم  
ينظرون) أي يمهلون  
أقوله تعالى بل تأتيهم  
بغتة فبغتتهم (وإذا رأى  
الذين أشركوا شركاءهم  
الذين كانوا يدعونهم في  
الدنيا وهم الاوثان أو  
الشياطين الذين شارك  
هم في الكفر بالجل  
عليه وقارنوهم في النفي  
والضلال (قالوا ربنا هو  
شركاؤنا الذين كنا ندعو  
من دونك) أي نعبدهم  
أو نطعمهم ولعلمهم قالوا  
ذلك طمعا في تزيير

التكليف (و رابعها) لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت اهل الجمع كلهم ليشهد  
الشهود (وخامسها) لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله  
تعالى ثم قال ولاهم يستعذبون الاستعذاب طلب العتاب والرجل انما يطلب العتاب من  
خصمه اذا كان على جزم أنه اذا عاتبه رجع الى الرضا فاذا لم يطلب العتاب منه دل على أنه  
راسخ في غضبه وسطوته ثم انه تعالى أكد هذا الوعيد فقال واذا رأى الذين ظلوا العذاب  
فلا يخفف عنهم والمعنى ان هؤلاء المشركين اذا رأوا العذاب ووصلوا اليه فعند ذلك  
لا يخفف عنهم العذاب ولاهم أيضا ينظرون أي لا يؤخرون ولا يمهلون لان التوبة هناك  
غير موجودة وتحققه ما يقوله المتكلمون من ان العذاب يجب أن يكون خالصا عن  
شوائب النفع وهو المراد من قوله لا يخفف عنهم العذاب ويجب أن يكون العذاب دائما  
وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون \* قوله تعالى ( واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا  
ربنا هو ولا شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فأقوا اليهم القول انكم لكاذبون وأقوا  
الى الله يومئذ السلم واصل عنهم ما كانوا يفترون) اعلم ان هذا أيضا من بقية وعيد المشركين  
وفي الشركاء قولان (الاول) أنه تعالى يبعث الاصنام التي كان يعبدونها المشركون  
والمقصود من اعادتها ان المشركين يشاهدونها في غيبة الدلة والحجارة وأيضا انها تكذب  
المشركين وكل ذلك مما يوجب زيادة الغم والحسرة في قلوبهم وانما وصفهم الله بكونهم  
شركاء لوجهين (الاول) ان الكفار كانوا يسمونها بانها شركاء الله (والثاني) ان الكفار  
جعلوا لهم نصيبا من أموالهم (والقول الثاني) ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا  
الكفار الى الكفر وهو قول الحسن وانما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن أولئك  
الشركاء أنهم أقوا الى الذين أشركوا انهم لكاذبون والاصنام جمادات فلا يصح منهم  
هذا القول فوجب أن يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول  
وهذا بعيد لانه تعالى قادر على خلق الحياة في تلك الاصنام وعلى خلق العقل والنطق فيها  
وحيث يصح منها هذا القول ثم حكى تعالى عن المشركين أنهم اذا رأوا تلك الشركاء قالوا  
ربنا هو ولا شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فان قيل فما فائدتهم في هذا القول فلنا فيه  
وجهان (الاول) قال أبو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على هذه  
الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله تعالى أو ينقص من عذابهم فعند هذا  
تكذبهم تلك الاصنام قال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعلمون علماضوريا في الآخرة  
ان العذاب سينزل بهم وأنه لا نصرة ولا فدية ولا شفاعة (والقول الثاني) ان المشركين  
يقولون هذا الكلام لعجب من حضور تلك الاصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا  
مخطفين في عبادتها ثم حكى تعالى ان الاصنام يكذبونهم فقال فأقوا اليهم القول انكم  
لكاذبون والمعنى انه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الاصنام حتى تقول هذا  
القول وقوله انكم لكاذبون بدل من القول والتقدير فأقوا اليهم انكم لكاذبون فان

العذاب بينهم كما نبئ عنه قوله ﴿٦٤﴾ خا سبحانه (فأقوا) أي شركاؤهم (اليهم القول انكم لكاذبون) فان تكذيبهم  
اياهم فيما قالوا ليس الالبمدافعة والخلص عن غائله مضمونه وانما كذبهم وقد كانوا يبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان  
ما كانوا راغبيين بعبادتهم لهم

فكان عبادة لهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لأنهم أو كذبوهم في نسبتهم ﴿ ٥٠٦ ﴾ شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه عن الشرك والشياطين

قيل ان المشركين ما قالوا الا أنهم لما أشاروا الى الاصنام قالوا ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم دونك وقد كانوا صادقين في كل ذلك فكيف قالت الاصنام انكم لكاذبون قلنا فيه وجوه والاصح أن يقال المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هو ان هؤلاء الذين كنا نقول انهم شركاء الله في العبودية فالاصنام كذبوهم في اثبات هذه الشركة وقيل المراد انكم لكاذبون في قولكم اننا نستحق العبادة ويدل عليه قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ثم قال تعالى وألقوا الى الله يومئذ السلم قال الكلبي استسلم العابد والمعبود وأقروا لله بالربوبية وبالبراءة عن الشركاء والانداد وفضل عنهم ما كانوا يفترون وفيه وجهان وقيل ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان من ان الله شريكا وصاحبة ولدوا وقيل بطل ما كانوا يأملون من ان آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى \* قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الفير عن سبيل الله وفي تفسير قوله وصدوا عن سبيل الله وجهان قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح انه يتناول جلة الايمان بالله والرسول والشرايع لان اللفظ عام فلا معنى للتخصيص وقوله زدناهم عذابا فوق العذاب فالعني انهم زادوا على كفرهم صدغيرهم عن الايمان فهم في الحقيقة ازدادوا كفرا على كفرهم فلجزم بزبدتهم الله تعالى عذابا على عذاب وأيضاً أتباعهم انما اقتدوا بهم في الكفر فوجب أن يحصل لهم مثل عقاب أتباعهم لقوله تعالى ولا يحملن أثقالهم على رقابهم ممن أتفكروا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها وزرنا عمل بها الى يوم القيامة ومن المفسرين من ذكر تفصيل تلك الزيادة فقال ابن عباس المراد بتلك الزيادة خمسة أشهر من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة بائيل واثنتان بالنهار وقال بعضهم زدناهم عذابا بجيات وعقارب كما مثال البخت فيستغيثون بالهرب منها الى النار ومنهم من ذكر لكل عقرب ثلثمائة قره في كل فقرة للثمائة قلة من سم وقيل عقارب لها أنياب كالنخل الطوال ثم قال تعالى بما كانوا يفسدون أي هذه الزيادة من العذاب انما حصلت معللة بذلك الصد وهذا يدل على ان من دعا غيره الى الكفر والضلال فقد عظم عذابه فكذلك اذا دعا الى الدين واليقين فقد عظم قدره عند الله تعالى والله أعلم \* قوله تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجنتناك شهيدا على هؤلاء وزنا عليك الكتاب نبيا ناكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) اعلم ان هذا نوع آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي واعلم ان الامة عبارة عن القرن والجماعة اذا ثبت هذا فنقول في الآية قولان (الاول) ان المراد ان كل نبي شاهد على أمته (والثاني) ان كل جم وقرن يحصل في الدنيا فلا بد وأن يحصل فيهم واحد يكون شهيدا عليهم أما الشهيد على الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الرسول بدليل قوله تعالى وكذلك جئناكم أمة وسطا لئلا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القمر والالجاء كما قال ابلليس وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فكانتم من قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم ( وألقوا ) أي الذين أشركوا ( الى الله يومئذ السلم ) الاستسلام والانتقاد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا ( وفضل عنهم ) أي ضاع و بطل ( ما كانوا يفترون ) ان سبحانه شركاؤا أنهم ينصرونهم ويشفون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم ( الذين كفروا ) في أنفسهم ( وصدوا ) غيرهم ( عن سبيل الله ) بالنع عن الاسلام والحق على الكفر ( زدناهم عذابا فوق العذاب ) الذي كانوا يستحقونه يكفرهم قبل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال / ناسع احدا من فيجد صاحبها حيا

أر بعين خريفها وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار ( ما كانوا يفسدون ) ﴿ شهيدا ﴾ متعلق بقوله زدناهم أي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ( ويوم نبعث ) تكرر لما سبق بثبته التهديد ( في كل أمة شهيدا عليهم ) أي نبيا



(من أنفسهم) من جنسهم قطعاً لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بحضور منهم (وجنتك) ايتار لفظ الجحى \* على البعث ﴿ ٥٠٧ ﴾ لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق

الوقوع (شهادتي) هو (الامم وشهادتهم) كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجنتناك على هؤلاء شهيد او قيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة (وزننا عليك الكتاب) الكامل في الكتابة الحقيقي بان يخص باسم الجنس وهو اما استئناف احوال بتقدير قد (تبياناً) بياناً بليغاً (لكل شئ) يتعلق بأمر الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيداً عليهم وكذا من جملة ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيداً عليهم عليهم الصلاة والسلام والتبيان كالتقاء في كسر اوله وكونه تبياناً لكل شئ من أمور الدين باعتبار ان فيه نصاعلي بعضها واحالة بعضها على السنة حيث أمر بتابع النبي عليه السلام

شهدا وثبت أيضاً أنه لا بد في كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد فحصل من هذا ان عصراً من الاعصار لا يخلو من شهيد على الناس وذلك الشهيد لا بد وان يكون غير جائز الخطا والافتقار الى شهيد آخر ويمتد ذلك الى غير النهاية وذلك باطل فثبت أنه لا بد في كل عصر من اقوام تقوم الجحى بقولهم وذلك يقتضى ان يكون اجماع الامم حجة قال أبو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى انها تشهد عليه وهي الاذن والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه انه قال في صفة الشهيدانه من أنفسهم وهذه الاعضاء لاشك انها من أنفسهم اجاب القاضي عنه من وجوه (الاول) انه تعالى قال شهيداً عليهم أى على الامم فيجب ان يكون غيرهم (الثاني) انه قال من كل امة فوجب ان يكون ذلك الشهيد من الامم وآحاد الاعضاء لا يصح وصفها بانها من الامم واما حمله هؤلاء الشهداء على الانبياء فمجرد ذلك لان كونهم انبياء مبرهين الى الخلق امر معلوم بالضرورة فلا فائدة في حمل هذه الآية عليه ثم قال تعالى وزننا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجه تعلق هذا الكلام بما قبله انه تعالى لما قال وجنتناك شهيداً على هؤلاء بين انه أزاح عنهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة (المسئلة الثانية) من الناس من قال القرآن تبيان لكل شئ وذلك لان العلوم اما دينية او غير دينية اما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية لان من المعلوم بان ضرورة ان الله تعالى انما مدح القرآن بكونه مشتقاً على علوم الدين فاما ما لا يكون من علوم الدين فلا تعلق اليه واما علوم الدين فاما الاصول واما الفروع اما علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن واما علم الفروع فالاصول براءة المذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا تكليف من الله تعالى الا ما ورد في هذا القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافياً ببيان كل الاحكام واما الفقههاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبياناً لكل شئ لانه يدل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة فاذا ثبت حكم من الاحكام بأحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن وهذه المسئلة قد سبق ذكرها بالاستقصاء في سورة الاحراف والله اعلم (المسئلة الثالثة) روى الواحدى باسناده عن الزجاج انه قال تبياناً في معنى اسم البيان ومثل التبيان التلقاء وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصر بين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفهال الاحرفان تبياناً وتلقاء واذا تركت هذين اللفظين استوى لك القياس فقلت في كل مصدر تفعال بفتح التاء مثل تسيار وتذكار وتكرار وقلت في كل اسم تفعال بكسر التاء مثل تقصار وتثال \* قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاه ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لكم تذكرون) واعلم انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب أتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً وما يتصل بالاخلاق

وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثاً على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته بتابع اصحابه حيث قال أصحابي كالجموم بأبيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضرب ما في البعض من

الخفاء في كونه تديباً فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام لاميد انه من قولك فلان ظالم لعبد وظلام له بيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار ﴿٥٠٨﴾ (وهدي ورحمة) للعالمين فان حرمان

الكفرة من مفاتيح آتاره  
من تفر يطهم لامن  
جهة الكتاب (وبشرى  
للمسلمين) خاصة ويكون  
كل ذلك خاصا بهم لانهم  
المنتفعون بذلك (ان الله  
يا امر) أي فيما نزله تيمانا  
لكل شئ وهدى ورحمة  
وبشرى للمسلمين وياشار  
صيغة الاستقبال فيه  
وفيما بعده لافادة التجدد  
والاستمرار (بالعدل)  
بمراعاة التوسط بين طرفي  
الافراط والتفر يط وهو  
راس الفضائل كلها  
يندرج تحته فضيله القوة  
العقلية الملكية من الحكمة  
التوسطة بين الحرمة  
والبلادة وفضيلة القوة  
الشهوية البهيمية من العفة  
التوسطة بين الخلاعة  
والحمود وفضيلة القوة  
الغضبية السبعية من  
الشجاعة المتوسطة بين  
التهور والجنون فن الحكم  
الاعتقادية التوحيد  
المتسط بين التعطيل  
والتشريك نقل عن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
أن العدل هو التوحيد  
والقول بالكسب المتوسط  
بين الجبر والقدر

والآداب عموما وخصوصا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في بيان فضائل هذه الآية  
روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال ما أسأت أو لا الاحياء من محمد  
عليه السلام ولم يتقرر الاسلام في قاي فخضرت ذات يوم فيمنها هو ويحدثني اذا رأيت بصره  
شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينما انا أحدثك اذا  
يجبريل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل شهادة أن لا اله الا الله  
والاحسان القيام بالفرائض وإيتاء ذى القربى أى صلة ذى القربى وينهى عن  
الفحشاء الزنا والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبنى الاستطالة قال عثمان فوقع  
الايمان في قلبي فأنت ابا طالب فأخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن أخي ترشدوا واوالتن  
كان صادقا وكاذبا فانه ما يأمركم الا بكارم الاخلاق فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم  
من عمه اللين قال يا عمه ان تأمر الناس أن يتبعوني وتدع نفسك وجهد عليه فأبى أن يسلم  
فنزله قوله انك لا تهدي من أحببت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أجمع آية في القرآن  
لخير وشر هذه الآية وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحب  
الأمر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا نهى الله تعالى عنه في هذه الآية  
وروى القاضي في تفسيره عن ابن ماجه عن علي رضي الله عنه انه قال أمر الله تعالى نبيه  
أن يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج وأنامعه وأبو بكر فوقفتنا على مجلس عليهم الوقار  
فقال أبو بكر من القوم فقالوا من شيبان بن بعلبة فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الى الشهادتين والى ان ينصروه فان قريشا كذبوه فقال مقرون بن عمرو والام تدعوننا أخوا  
قريش فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية  
فقال مقرون بن عمرو دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم  
كذبوك وظاهر واعليك وعن هكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على  
الوايد فاستعاده ثم قال ان له لخالوة وان عليه نطلاوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله  
كتب الاحسان على كل شئ فاذا قتلتم فأحسنوا القنلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة  
وايحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية أكثر  
الناس في تفسير هذه الآية قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله  
والاحسان أداء الفرائض وقال في رواية أخرى العدل خلم الانداد والاحسان أن تعبد  
الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا أحببت ان يزداد إيمانا  
وان كان كافرا أحببت أن يصير أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد  
والاحسان الاخلاص فيه وقال آخرون يعني بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال  
فلا تعمل الا ما هو عدل ولا تنقل الا ما هو احسان وقوله وإيتاء ذى القربى يريد صلة الرحم  
بالمال فان لم يكن فبالدعاء روى أبو سلمة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
ان أعجل الطاعة ثوبا صلة الرحم ان أهل البيت ليكونون بخارا فتمنى أموالهم ويكثر

ومن الحكم العملية التعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية ﴿٥٠٨﴾ عدوهم  
الجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) أى الاتيان بأمر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية  
كالتلوع بالتواقل

أو بحسب الكيفية كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك (وإيتاء ذى القربى) أى إعطاء الأقارب ما يحتاجون ﴿٥٠٩﴾ إليه وهو تخصيص التعميم اهتماما بشأنه ( وينهى عن الفحشاء) الافراط

في مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلا (والمنكر) ما ينكر شرطا أو عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية ( والبغى) الاستلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هي أجمع آية في القرآن الحبيب والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تيبا لكل شئ ( يعظكم ) بما أمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضميرين في الفعلين ( لعلكم تذكرون ) طلبا لان تتظنوا بذلك (وأوفوا بعهدهم الله) هو البيعة لرسول الله

عدهم اذا وصلوا أرحامهم وقوله وينهى عن الفحشاء قيل الزنا وقيل البخل وقيل كل الذنوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة وسواء كانت في القول أو في الفعل وأما المنكر فقيل إنه الكفر بالله تعالى وقيل المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وأما البغى فقيل الكبر والظلم وقيل أن تبغى على أخيك واعلم ان في المأمورات كثرة وفي المنهيات أيضا كثرة وانما حسن تفسير لفظ معين لشيء معين اذا حصل بين ذلك اللفظ وبين ذلك المعنى مناسبة أما اذا لم تحصل هذه الحالة كان ذلك التفسير فاسدا فإذا فسرنا العدل بشئ والاحسان بشئ آخر وجب أن نبين أن لفظ العدل يناسب ذلك المعنى ولفظ الاحسان يناسب هذا المعنى فلما لم نبين هذا المعنى كان ذلك مجرد التحكم ولم يكن جعل بعض تلك المعاني تفسير لبعض تلك الالفاظ أولى من العكس ثبت ان هذه الوجوه التي ذكرناها ليست قوية في تفسير هذه الآية وأقول ظاهر هذه الآية يدل على انه تعالى أمر بثلاثة أشياء وهي العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وذمى عن ثلاثة أشياء وهي الفحشاء والمنكر والبغى فوجب أن يكون العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ثلاثة أشياء متغايرة لان العطف يوجب المتغايرة فنقول أما العدل فهو المنكر والبغى ثلاثة أشياء متغايرة لان العطف يوجب المتغايرة فنقول أما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الاشياء ولا بد من تفصيل القول فيه فنقول الاحوال التي وقع التكليف بها اما الاعتقادات واما اعمال الجوارح أما الاعتقادات فالعدل في كلها واجب الرعاية (فأحدها) قال ابن عباس ان المراد بالعدل هو قول لاله الا الله وتحقيق القول فيه ان نفي الاله تعطيل محض وإثبات أن من الله واحد تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو إثبات الاله الواحد وهو قول لاله الا الله (وثانيها) ان القول بان الاله ليس بوجود ولا شئ تعطيل محض والقول بأنه جسم وجوه ومركب من الاعضاء ومختص بالمكان تشبيه محض والعدل إثبات له موجود متحقق بشرط أن يكون منزها عن الجسمية والجوهرية والاعضاء والاجزاء والمكان (وثالثها) ان القول بان الاله غير موصوف بالصفات من العلم والقدرة تعطيل محض والقول بأن صفاته حادثة متغيرة تشييد محض والعدل هو إثبات ان الاله عالم قادر حي مع الاعتراف بأن صفاته ليست حادثة ولا متغيرة (ورابعها) ان القول بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والقول بان العبد مستقل بأفعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما الله تعالى فيه (وخامسها) القول بأن الله تعالى لا يؤخذ عبده على شئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه تعالى يتخذ في النار عبده العارف بالعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار كل من قال واعتقد انه لاله الا الله فهذه أمثلة ذكرناها في رعاية معنى العدل في الاعتقادات وأما رعاية العدل فيما يتعلق بأفعال الجوارح فنذكر ستة أمثلة منها (أحدها) ان قوما من نفاة التكليف

صلى الله عليه وسلم فإنها مبايعة الله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ( اذا طهروا ) أى حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه ويايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تتعضوا الايمان) التي تحلقون بها عند المعاهدة (بعد توكيدها) حسبها هو اليهود في أثناء اليهود لاعلى أن يكون النهى مقيدا بالتوكيد

فخصابه ( وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ) شاهدا رقيبا فان الكفيل مراغ لحال المكفول به محافظ عليه ( ان الله يعلم ما تفعلون ) من نقض الايمان واليهود فيجازيكم على ذلك ( ولا تكونوا ) ( ٥١٠ ) فيما تصنعون من النقض ( كالتى

يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شئ من المعاصي وليس لله عليه تكليف أصلا وقال قوم من الهند ومن المانوية انه يجب على الانسان أن يجتنب عن كل الطيبات وأن يبائع في تعذيب نفسه وأن يجتري عن كل ما يبيل الطبع اليه حتى ان المانوية يخصون أنفسهم ويرمون أنفسهم من شاهق الجبل فهذان أكل الطمام الطيب والهند يحرفون أنفسهم ويرمون أنفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والوسط المعتدل هو هذا الشرع الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ( وثانيها ) ان التشديد في دين موسى عليه السلام غاب جدا واتساهل في دين عيسى عليه السلام فآب جدا والوسط العدل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل كان شرع موسى عليه السلام في القتل العمد استيفاء القصاص لا محالة وفي شرع عيسى عليه السلام العفو أما في شرعنا فان شاء استوفى القصاص على سبيل المماثلة ان شاء استوفى الدية وان شاء عفا وأيضا شرع موسى يقتضى الاحتراز العظيم عن المرأة حال حيضها وشرع عيسى يقتضى حل وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا وهو انه يحرم وطؤها احترازا عن التلطيخ بتلك الدماء الخبيثة أما لا يجب اخراجها عن الدار ( وثالثها ) انه تعالى قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا يعني متباعدين عن طرفي الإفراط والتفريط على كل الامور وقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والمراد من الكل رعاية العدل والوسط ( ورابعها ) ان شريعتنا أمرت بالخنان والحكمة فيه ان رأس ذلك العضو جسم شديد الحس ولاجله عظم الالتئاذ عند الوقوع فلو بقيت تلك الجلد على ذلك العضو بقى ذلك العضو على كمال القوة وشدة الاحساس فيعظم الالتئاذ أما اذا قطعت تلك الجلد بقى ذلك العضو عاريا فيلحق الثياب وسائر الاجسام فيتصلب ويضعف حسه ويقل شعوره فيقل الالتئاذ بالوقوع فتقل الرغبة فيه فكان الشريعة انما أمرت بالخنان سعيا في تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال وأن لا تصير الرغبة فيه غالبية على الطبع فالإخصاء وقطع الآلات على ما تذهب اليه المانوية مذموم لانه افراط وبقاء تلك الجلد مباحة في تقوية تلك اللذة والعدل الوسط هو الاتيان بالخنان فظهر بهذه الامثلة ان العدل واجب الرعاية في جميع الاحوال ومن الكلمات المشهورة قولهم وبالعدل قامت السموات والارض ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب وهى القلوب وتقلب الطبائع كلها الى طيبة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة في هذا العالم واحترق كل ما في هذا العالم

نقضت غزلها ) أى ما غزلته مصدر بمعنى المفعول ( من بعد قوة ) متعلق بنقضت أى كالرأة التى نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه ( أنكاثا ) طاقات نكثت قتلها جمع نكث واتصابه على الحالية من غزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقييح حال النقض بنسبته الناقض بمثل هذه الخرقاء المعروفة قيل هى ربطة بنت سعد ابن تيم وكانت خرقاء اتخذت مفر لا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وقلدة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن ( تنخذون أيمانكم دخلا بينكم ) حال من الضمير فى لا تكونوا أوفى الجار والجور الواقع موقع الخبر أى مشايير لامرأه شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة

وذلا بينكم واصل الدخلى ما يدخل الشئ ولم يكن منه ( أن تكون أمة ) أى بان تكون جماعة \* ولو ( هى أربى ) أى أزيد عددا وافر مالا ( من أمة ) من جماعة أخرى أى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقتهم أو لكثرة مناديتهم وقتهم كقريش فأنهم كانوا اذارا واشوكة فى أعادى خليفاتهم نفضوا عهدهم وخالفوا أصدابهم ( انما يلوون لله به )

أى بأن تكون أمة أرى من أمة أى يعاملكم بذلك معاملة من يخبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بههدلله وبيعة  
رسوله عليه السلام أم تغفرون بكثرة قريش وشوكتهم ﴿ ٥١١ ﴾ وقلة المؤمنين وضمهم بحسب ظاهر الحال  
(وليبيئن لكم يوم القيامة

واوكان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجود على هذا العالم وكذا القول في  
مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها فان الواحد منها لو كان أزيد مما هو  
الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم فظهر بهذا السبب الذى  
ذكرناه صدق قولهم وبالعدل قامت السموات والارض فهذه اشارة مختصرة الى شرح  
حقيقة العدل وأما الاحسان فاعلم ان الزيادة على العدل قد تكون احسانا وقد تكون  
اساءة مثله ان العدل فى الطاعات هو أداء الواجبات اما الزيادة على الواجبات فهي أيضا  
طاعات وذلك من باب الاحسان وبالجملة فالمبالغة فى أداء الطاعات بحسب الكمية  
وبحسب الكيفية هو الاحسان والدليل عليه ان جبريل لمسال النبي صلى الله عليه وسلم  
عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان قالوا  
لمسمى هذا المعنى بالاحسان قلنا كأنه بالمبالغة فى الطاعة يحسن الى نفسه ويوصل الخير  
والفعل الحسن الى نفسه والحاصل ان العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات  
والاحسان عبارة عن الزيادة فى تلك الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية  
وبحسب الدواعى والصوارف وبحسب الاستغراق فى سهود مقامات العبودية والربوبية  
فهذا هو الاحسان واعلم ان الاحسان بالتفسير الذى ذكرناه دخل فيه التعظيم لامر الله  
تعالى والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله أقسام كثيرة وأشرفها  
وأجلها صلة الرحم لاجرم انه سبحانه أفرد بالذكر فقال وايتاء ذى القربى فهذا تفصيل  
القول فى هذه الثلاثة التى أمر الله تعالى بها وأما الثلاثة التى نهى الله عنها وهي الفحشاء  
والمنكر والبغى فنقول انه تعالى أودع فى النفس البشرية قوى أربعة وهى الشهوانية  
البهيمية والغضبية السبعية والوهيمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه القوة الرابعة أعنى  
العقلية الملكية لا يحتاج الانسان الى تأديبها وتهذيبها لانها من جواهر الملائكة ومن  
نتائج الارواح القدسية العلوية انما يحتاج الى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة  
الاول اما القوة الشهوانية فهي انما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوانية وهذا النوع  
مخصوص باسم الفحش ألا ترى انه تعالى سمي الزنا فاحشة فقال انه كان فاحشة وساء سبيلا  
فتوله تعالى وينهى عن الفحشاء المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة  
عن اذن الشريعة وأما القوة الغضبية السبعية فهي أبدا تسعى فى إيصال الشر والبلاء  
والإيذاء الى سائر الناس ولاسك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط  
الحاصل فى أنار القوة الغضبية وأما القوة الوهيمية الشيطانية فهي أبدا تسعى فى  
الاستعلاء على الناس والترفع واطهار الرياسة والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه  
لامعنى للبغى الا الطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكرنا ان هذه الالفاظ  
الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة ومن العجائب فى هذا الباب ان العقلاء  
قالوا أحسن هذه القوى الثلاثة هى الشهوانية وأوسطها الغضبية وأهلها الوهيمية والله

عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة ( وتذوقوا السوء) أى العذاب الدنيوى ( بما صدتم) بصدودكم  
أو بصدكم غيركم ( عن سبيل الله) الذى ينظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سبب  
اغبره ( ولكم) فى الآخرة ( عذاب عظيم

ولأشترقوا بعهدة الله) أي لا تأخذوا بمقابلة عهدة تعالى وبيعة رسوله عليه السلام أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على اليهود والايان (مناقيلًا) أي لا تستبدلوا بها ﴿ ٥١٢ ﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش بعدون ضعفة

تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغي الذي هو نتيجة القوة الوهمية فهذا ما وصل إليه عقلي وخاطري في تفسير هذه الالفاظ فان يك صوابا فمن الرحمن وان يك خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله عنه برئان والحمد لله على ما خصنا بهذا النوع من الفضل والاحسان انه الملك الديان ثم قال تعالى يعظكم اعلمكم تذكرون والمراد بقوله تعالى يعظكم أمره تعالى بتلك الثلاثة ونهيهم عن هذه الثلاثة لعلمكم تذكرون وفيه مسئلتان (الاولى) انه تعالى لما قال في الآية الأولى وزنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء اردفه بهذه الآية مشتملة على الامر بهذه الثلاثة والنهي عن هذه الثلاثة كان ذلك تنبيها على أن المراد بكون القرآن تبيانًا لكل شيء هو هذه التكاليف الستة وهي في الحقيقة كذلك لان جوهر النفس من زمرة الملائكة ومن نتائج الارواح العالية القدسية الا أنه دخل في هذا العالم خاليا عاريا عن العلاقات فتلك الثلاثة التي أمر الله بها هي التي ترقيها بالمعارف الالهية والاعمال الصالحة وتلك المعارف والاعمال هي التي ترقيها الى عالم الغيب وسرادقات القدس ومجاورة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين وتلك الثلاثة التي نهى الله عنها هي التي تصدها عن تلك السعادات وتنهها عن الفوز بتلك الخيرات فلما أمر الله تعالى بتلك الثلاثة ونهى عن هذه الثلاثة فقد نهى على كل ما يحتاج اليه المسافرون من عالم الدنيا الى مبداء عرصة القيامة (المسئلة الثانية) قال الكعبى الآية تدل على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء وذلك من وجوه (الاول) انه تعالى كيف ينهاهم عما اخترعه فيهم وكيف ينهى عما يريد تحصيله فيهم ولو كان الامر كما قالوا لكان كأنه تعالى قال ان الله يأمركم أن تفعلوا خلاف ما خلقه فيكم وينهاكم عن أعمال خلقها فيكم ومعلوم ان ذلك باطل في بديهته العقل (والثاني) انه تعالى لما أمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلوانه تعالى أمر بتلك الثلاثة ثم انه ما فعلها لدخل تحت قوله أن أمر ون الناس بالبر وتذون أنفسكم وتحت قوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (الثالث) ان قوله اعلمكم تذكرون ليس المراد منه الترتي والتنى فان ذلك محال على الله تعالى فوجب أن يكون معناه انه تعالى يعظكم لارادة أن تتذكروا طاعته وذلك يدل على انه تعالى يريد الايمان من الكل (الرابع) انه تعالى لو صرح وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى ولكنه يمنع منه ويصد عنه ولا يمكن العبد منه ثم قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ولكنه يوجد كل هذه الثلاثة في العبد شاء أم أبى وأراد منه ومنعه من تركه ومن الاحتراز عنه لحكم كل أحد عليه بالركاكة وفساد النظم والترتيب وذلك يدل على كونه سبحانه متعاليا عن فعل القبائح واعلم ان هذا النوع من الاستدلال كثير وقد مر الجواب عنه والمعتمد في دفع هذه المشاغبات التعويل على سؤال الداعي وسؤال العلم

المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا (ان ما عند الله) فزوجه من النصر والتغيم والثواب الاخرى (هو خير لكم) مما بعدونكم (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كان قوله تعالى (ما عندكم) تعليل للخبرية بطريق الاستئناف أي ما تتمتعون به من نعم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا (ينقد) وان جم عدده وينقض وان طال أمده (وما عند الله) من خزائن رحمة الدنيا والاخرى (باق) لانفادله اما الاخرى وية فظاهرة وأما الدنيا وية فحيث كانت موصولة بالآخرى وية ومستتعبة لها فعدت انظمت في سبط الباقيات الصالحات وفي ايتار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى (وليجزبن) بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرر للوعد المستفاد

من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسيمي مبالغة في الجمل على الثبات ﴿ والله ﴾ في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولجيزبنكم أجركم بأحسن

ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعلية الجزاء أي والله تجزيين (الذين صبروا) على أذية  
المشركين ومشاق الاسلام التي من جعلتها الوفاء ﴿ ٥١٣ ﴾ بالعهد والفقير وقرى بالياء من غير الثغات (أجرهم)

مفعول ثان لتجزيين أي  
لنعطينهم أجرهم الخاص  
بهم بمقابلة صبرهم على  
مأموناه من الامور  
المذكورة (ياحسن  
ما كانوا يعملون) أي  
لتجزيينهم بما كانوا  
يعملونه من الصبر  
المذكور وإنما أضيف  
اليه الاحسن للاشعار  
يكمال حسنه كما في قوله  
سبحانه وحسن ثواب  
الآخرة لا لافادة قصر  
الجزاء على الاحسن  
منه دون الحسن فان  
ذلك مما لا يخطر ببال  
أحد لا سيما بعد قوله  
تعالى أجرهم أو لتجزيينهم  
بحسب أحسن أفراد  
أعمالهم على معنى  
لنعطينهم بمقابلة الفرد  
الادنى من أعمالهم  
المذكورة مانه عليه بمقابلة  
الفرد الادنى منها من  
الاجر الجزيل لا انانه على  
الاجر بحسب افراده  
المتفاوتة في مراتب  
الحسن بأن تجزي الحسن  
منها بالاجر الحسن  
والاحسن بالا حسن  
وفيه ما لا يخفى من العدة  
الجميلة باغتفار ما عسى

والله أعلم (المسئلة الثالثة) اتفق المتكلمون من أهل السنة ومن المعتزلة على أن تذكر  
الاشياء من فعل الله لا من فعل العبد والدليل عليه هو أن التذكر عبارة عن طلب المتذكر  
فحال الطلب اما أن يكون له به شعور أو لا يكون له به شعور فان كان له شعور فذلك التذكر  
حاصل والحاصل لا يطلب تحصيله وان لم يكن له به شعور فكيف يطلبه بعينه لان توجيه  
الطلب اليه بعينه حال ما لا يكون هو بعينه متصورا محال اذا ثبت هذا فنقول قوله لعلكم  
تذكرون معناه ان المقصود من هذا الوعد أن يقدموا على تحصيل ذلك التذكر فاذا لم  
يكن التذكر فعلا له فكيف طلب منه تحصيله وهذا هو الذي يخرج به أصحابنا على ان قوله  
تعالى لعلكم تذكرون لا يدل على انه تعالى يريد منه ذلك والله أعلم بقوله تعالى (وأوفوا بعهدي  
الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم  
ما تفعلون ولا تكونوا كاتبي نقضت غزلها من بعد قوة انكنا ما نتخذون ايمانكم دخلا  
بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمة انما يلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم  
فيه تختلفون) اعلم انه تعالى لما جمع كل المأمورات والمنهيات في الآية الاولى على سبيل  
الاجال ذكر في هذه الآية بعض تلك الاقسام فبدأ تعالى بالامر بالوفاء بالعهد وفي الآية  
مسائل (المسئلة الاولى) ذكر وفي تفسير قوله بعهدي الله وجوها (الاول) قال صاحب  
الكشاف عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الدين  
بما يعونك انما يابعون الله يدالله فوق أيديهم أي ولا تنقضوا ايمان البيعة بعدتوكيدها  
أي بعد توثيقها باسم الله (الثاني) ان المراد منه كل عهد يلتزمه الانسان باختياره قال ابن  
عباس والوعد من العهد وقال ميمون بن مهران من عاهدته وف بعهده مسلما كان  
أو كافرا فانما العهد لله تعالى (الثالث) قال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في  
الاموال من حق (الرابع) عهد الله هو اليمين بالله وقال هذا القائل انما يجب الوفاء باليمين  
اذا لم يكون الصلاح في خلافه لانه عليه السلام قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها  
فليأت الذي هو خير ثم ليكفر (الخامس) قال القاضي العهد يتناول كل أمر يجب الوفاء  
بمقتضاه ومعلوم ان أدلة العقل والسمع أو كذا في لزوم الوفاء بما يلدان على وجوبه من  
اليمين ولذلك لا يصح في هذين الداليلين التغير والاختلاف ويصح ذلك في اليمين ور بما ندب  
فيه خلاف الوفاء ولقائل أن يقول انه تعالى قال وأوفوا بعهدي الله اذا عاهدتم فهذا يجب  
أن يكون مختصا بالعهود التي يلتزمها الانسان باختيار نفسه لان قوله اذا عاهدتم يدل  
على هذا المعنى وحيث لا يبقى المعنى الذي ذكره القاضي معتبرا ولانه تعالى قال في آخر  
الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وهذا يدل على أن الآية واردة فيمن آمن بالله  
والرسول وأيضا يجب أن لا يحمل هذا العهد على اليمين لان الوعد له عليه لكان قوله بعد  
ذلك ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها تكرار لان الوفاء بالعهد والمنع من النقض  
متعاربان لان الامر بالفعل يستلزم النهي عن الترك الا اذا قيل ان الوفاء بالعهد عام

يعتريهم في تضاعيف الصبر ﴿ ٦٥ ﴾ خا من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لتجزيينهم بجزاء  
أحسن من أعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من أعمالهم كالأجبات والمندوبات أو بما ترجح تركه أيضا كالحرمات  
والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون

ما يستوى فعله وترمه كما باحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة  
والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاجراج ﴿ ٥١٤ ﴾ ببعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير

فدخل تحته اليمين ثم انه تعالى خص اليمين بالذكر تنبيهها على انه أولى أنواع العهد  
بوجوب الرقابة وعند هذا نقول الاولى أن يحمل هذا العهد على ما يلزمه الانسان  
باختياره ويدخل فيه المباينة على الايمان بالله وبرسوله ويدخل فيه عهد الجهاد وعهد  
الوفاء بالالتزامات من المنذورات والاشياء التي أكدها بالخلف واليمين وفي قوله ولا تنقضوا  
الايمان بعد توكيدها ما بحث (الاول) قال الزجاج يقال وكدت وأكدت ائتمن  
جيدتان والاصل الواو والهجرة بدل منها (البحث الثاني) قال أصحاب أبي حنيفة رحمه الله  
يمين اللغو هي يمين الغموس والدليل عليه انه تعالى قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها  
فهي في هذه الآية عن نقض الايمان فوجب أن يكون كل يمين قابلا للبر والحث  
ويمين الغموس غير قابلة للبر والحث فوجب أن لا تكون من الايمان واحتج الواحدى  
بهذه الآية على ان يمين اللغو هي قول العرب لا والله وبلى والله قال انما قال تعالى بعد  
توكيدها للفرق بين الايمان المؤكدة بالعزم والاعتدو بين لغو اليمين ( البحث الثالث )  
قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لاننا انما نلخص على انه  
متى كان الصلاح في نقض الايمان جاز نقضها ثم قال وقد جعلتم الله عليكم كفيلا هذه واو  
الحال أى لا تنقضوها وقد جعلتم الله كفيلا عليكم بالوفاء وذلك ان من حلف بالله تعالى  
فكأنه قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف ثم قال ان الله يعلم ما تفعلون وفيه  
ترغيب وترهيب والمراد فيجازيكم على ما تفعلون ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم انه تعالى  
أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض وقال ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة  
أنكثا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في المشبه به قولان (الاول) انها امرأة من قر يش  
يقال لها رايطة وقيل ربطة وقيل تلقب بجرامه وكانت حتماء تغزل الغزل هي وجواربها  
فاذا غزلت وأبرمت أمرتهن فنقضن ما غزلن (والقول الثاني) ان المراد بالمثل الوصف  
دون التعيين لان القصد بالامثال صرف المكلف عنه اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان  
حسنا وذلك يتم به من دون التعيين ( المسئلة الثانية ) قوله من بعد قوة أى من بعد قوة  
الغزل بابرارها وفتلها ( المسئلة الثالثة ) قوله انكثا قال الازهرى واحد هانكث وهو  
انغزل من الصوف والشعيريم وينسج فاذا أحكمت النسجة قطعتها ونكثت خيوطها  
المبرمة ونفشت تلك الخيوط وخلطت بالصوف ثم غزلت ثانياً والنكث المصدر ومنه يقال  
نكث فلان عهده اذا نقضه بعد احكامه كما ينكث خيط الصوف بعد ابرامه ( المسئلة  
الرابعة) في انتصاب قوله انكثا وجوه (الاول) قال الزجاج انكثا منصوب لانه بمعنى  
المصدر لان معنى نكثت نقضت ومعنى نقضت نكثت وهذا غلط منه لان الانكثاجم  
نكث وهو اسم للمصدر فكيف يكون قوله انكثا بمعنى المصدر (الثاني) قال الواحدى  
انكثا مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء على معنى جملة اقطاعا وأجزاء  
فكنا ههنا قوله نقضت غزلها انكثا أى جعلت غزلها انكثا (الثالث) ان قوله انكثا

الرحمة الواسعة في مقام  
توسيع جهاها (من عمل  
صالحا) أى غلا صالحا  
أى عمل كان وهذا شروع  
في تحريض كافة المؤمنين  
على كل عمل صالح  
غيب ترغيب طائفة  
منهم في الثبات على  
ما هم عليه من عمل  
صالح مخصوص دفعا  
لثوهم اختصاص الاجر  
الموفور بهم وبعملهم  
المذكور وقوله تعالى  
(من ذكر أو أنسى) بالغة  
في بيان شموله لكل  
( وهو مؤمن قيده به  
اذلا اعتداد باعمال  
الكفرة في استحقاق  
الثواب أو تخفيف العذاب  
لقوله تعالى وقد منالى  
ما عملوا من عمل فيجزيه  
هباء منشورا واينار اراده  
بالجمله الاسمية الحالية  
على نظمه في سلك  
الصلة لافادة وجوب  
دوامه ومقارنته للعمل  
الصالح ( فلصينه حياة  
طيبة ) في الدنيا يعيش  
عيشا طيبا أما ان كان  
موسرا فظاهر وأما ان  
كان مصرا فيطيب  
عيشه بالقتاعة والرضا

بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان ﴿ حال ﴾  
موسرا فظاهر وان كان مصرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن تنهأ ببشده ( وأجزئ منهم ) في الآخرة ( أجرهم )  
بأحسن ما كانوا يعملون ( حسبما فعل بالصابرين قليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة



الى الموصول مراعاة جانب المعنى كما ان الاقراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ و اياش ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية و وقوع ما في حيز: ﴿ ٥١٥ ﴾ الصلة و ما يترتب عليه بطريق الافتراق و التعاقب

الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل و حسن رتب عليه بالغاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح و يخلص عن شوب الفساد ف قيل ( فاذا قرأت القرآن ) أى اذا أردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة ( فاستعذ بالله ) فاسأله عن جاره ان يعينك ( من الشيطان الرجيم ) من وساوسه و خطراته كي لا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في أميته الآية و توجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و تخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتبنيه على انها الغيرة عليه الصلاة والسلام و في سائر الاعمال الصالحة أهم

حال مؤكدة ( المسئلة الخامسة ) قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها و التقدير و اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم و لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل المرأة التي غزت غزلا و احكمته فلما استحكمت نفقته فجعلته انكاثا ثم قال تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال الواحدى الدخول و الدغل الغش و الخيانة قال الزجاج كل ما دخله عيب قيل هو مدخول و فيه دخل و قال غيره الدخول ما أدخل في الشئ على فساد ثم قال ان تكون أمة هي أرى من أمة أرى أى أكثر من ربال الشئ ير بو اذا زاد و هذه الزيادة قد تكون في العدد و في القوة و في الشرف قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجذبون من كان أعز منهم و أسرف فيقتضون حلف الاولين و يحالفون هؤلاء الدين هم أعز ففهمهم الله تعالى عن ذلك و قوله ان تكون معناه انكم تتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان تكون أمة أرى من أمة في العدد و القوة و الشرف فقوله تتخذون ايمانكم دخلا بينكم استفهام على سبيل الانكار و المعنى أتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان أمة أزيد في القوة و الكثرة من أمة أخرى ثم قال تعالى انما يلوكم الله به أى بما أمركم و ينهاكم و قد تقدم ذكر الامر و النهى و ليدين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فبتيز المحق من المبطل بما يظهر من درجات الثواب و العقاب و الله أعلم \* قوله تعالى ( ولو شاء الله لجلدكم أمة واحدة و لكن يضل من يشاء و يهدى من يشاء و ان تسئلن عما كنتم تعملون ) اعلم انه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد و تحريم نقضه أتبعه ببيان انه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء و على سائر ابواب الايمان و لكن سببانه يحكم الالهية يضل من يشاء و يهدى من يشاء أما المعتزلة فانهم حاروا ذلك على الاجراء أى لو أراد أن يلجمهم الى الايمان أو الى الكفر لقدر عليه الا أن ذلك يبطل التكليف فلا جرم ما الجأهم اليه و فوض الامر الى اختيارهم في هذه التكليف و اما قول أصحابنا فيه فهو ظاهر و هذه المناظرة قد تكررت مرارا كثيرة و روى الواحدى ان عزير اقال يارب خلقت الخلق ففضل من تشاء و تهدى من تشاء فقال يا عزير اعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال اعرض عن هذا و الامحوت اسمك من النبوة قالت المعتزلة و مما يدل على ان المراد من هذه المشيئة مشيئة الاجراء انه تعالى قال بعده و تسئلن عما كنتم تعملون فلو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سوء الهمة عنها عبثا و الجواب عنه قد سبق مرارا و الله أعلم \* قوله تعالى ( و لا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فترل قدم بعد ثبوتها و تدوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله و لكم عذاب عظيم و ما عند الله باق و ليجزيبن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنجينه حياة طيبة و ليجزيبنهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) اعلم انه تعالى لما حذر في الآية الاولى عن نقض العهد و الايمان على

فانه عليه السلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه فاطنكم بمن عداه عليه السلام في اعداء القراءة من الاعمال و الامر للتدب و هذا مذهب الجمهور و عند عطاء الوجوب و قد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب

القرائة أبو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحجة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ ﴿ ٥١٦ ﴾ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام

الاطلاق حذر في هذه الآية فقال ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم وليس المراد منه  
التحذير عن نقض مطلق الايمان والالزم التكرير الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل  
المراد نهى أوثك الاقوام المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا  
عليها فلهذا المعنى قال المفسرون المراد من هذه الآية نهى الذين يابعدوا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عن نقض عهده لان هذا الوعيد وهو قوله فترل قدم بعد ثبوتها لا يليق  
بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به  
وسرائعه وقوله فترل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد عافية ومحنة بعد  
نعمة فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في مثل هذه  
الضلالة ويدل على هذا قوله تعالى وتذوقوا السوء أى العذاب بما صدتم أى بصدكم  
عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم أى ذلك السوء الذى تذوقونه سوء عظيم وعقاب شديد  
تم أكد هذا التحذير فقال ولا تشتروا بعهد الله ثم قليلا يريد عرض الدنيا وان كان كثيرا  
الان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون يعنى انكم وان وجدتم على نقض عهد  
الاسلام خيرا من خيرات الدنيا فلا لتفتوا ليه لان الذى أعد الله تعالى على البقاء على  
الاسلام خير وأفضل وأكمل مما يجدهونه فى الدنيا على نقض عهد الاسلام ان كنتم تعلمون  
التفاوت بين خيرات الدنيا وبين خيرات الآخرة ثم ذكر الدليل القاطع على ان ما عند الله  
خير مما يجدهونه من طيبات الدنيا فقال ما عندكم يتفد وما عند الله باق وفيه بحثن (الاول)  
الحسن شاهد بأن خيرات الدنيا منقطعة والعقل دل على ان خيرات الآخرة باقية والباقي  
خير من المنقطع والدليل عليه ان هذا المنقطع اما أن يقال انه كان خيرا هاليا شرىفا  
أو كان خيرا دنيا خيسا فان قلنا انه كان خيرا هاليا سريفا هاليا عالم بأنه سينقطع بجعله منفصا  
حال حصوله وأما حال حصول ذلك الانقطاع فابها تعظم الحسرة والحزن وكون تلك  
النعمة العالية السريفة كذلك ينقص فيها ويقلل مرتبتها وتفتر الرغبة فيها وأمان قلنا  
ان تلك النعمة المنقطعة كانت من الخيرات الحسيسة فهمنا من الطاهر ان ذلك الخير  
الدائم وجب أن يكون أفضل من ذلك الخير المنقطع فثبت بهذا ان قوله تعالى ما عندكم  
ينفد وما عند الله باق برهان قاطع على ان خيرات الآخرة افضل من خيرات الدنيا  
البحث الثاني ان قوله وما عند الله باق يدل على ان نعيم أهل الجنة باق لا ينقطع وقال  
جهنم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه واعلم ان المؤمن اذا آمن بالله فقد التزم  
شرائع الاسلام والايمان وحيث يجب عليه أمر ان (احدهما) أن يصبر على ذلك  
الالتزام وأن لا يرجع عنه وأن لا ينقضه بعد ثبوته (والثاني) أن يأتي بكل ما هو من  
شرائع الاسلام ولو ازمه اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى رغب المؤمنين فى القسم الاول  
وهو الصبر على ما التزمه وقال ويجزى الذين صبروا أى على ما التزموه من شرائع الاسلام  
بأحسن ما كانوا يعملون أى يجزىهم على أحسن أعمالهم وذلك لان المؤمن قديما

قل أعوذ بالله من الشيطان  
الرجيم هكذا أقرأه  
جبريل عليه السلام  
عن القلم عن اللوح  
المحفوظ (انه) الضمير  
للشأن أول الشيطان (ليس له  
سلطان) تسلط وولاية  
(على الذين آمنوا وعلى  
رهم يتوكلون) أى  
اليه يفوضون أمورهم  
و به يعسودون فى كل  
ما يأتون وما يذرون فان  
وسوسته لا تؤثر فيهم  
ودعوته غير مستجابة  
عندهم و اى اشارة  
الماضى فى الصلة الاولى  
للدلالة على التحقق كأن  
اختيار صيغة الاستقبال  
فى الثانية لافادة الاستمرار  
التجددى وفى التعرض  
لوصف الربوبية عدة  
كريمة باعادة المتوكلين  
والجملة لتعليل الامر  
بالاستعاذة أو لجوابه المنوى  
أى يعذك أو نحو (انما  
سلطانه) أى تسلطه  
وولايته بدعوته المستتعبة  
للاستجابة لسلطانه  
بالقسر والالغاء فانه  
منتف عن الفريقين  
لقوله سبحانه حكاية عنه  
وما كان لى عليكم من  
سلطان الا أن دعوتكم

فاستجبتم لى وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أى يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ﴿ بالباحات ﴾  
و يعطونه فان المقسور يعزل من ذلك (والفريقين) سبحانه وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون  
أذ هو الذى جعلهم

على الاشارة بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غيب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى ﴿ ٥١٧ ﴾ الشيطان وان كان بينهما واسطة في المغموم وأن من لم يتوكل عليه

تعالى ينتظم في سلك  
من يتولى الشيطان من  
حيث لا يجنس اذ به  
يتم التعليل ففيه مبالغة  
في الجمل على التوكل  
والتحذير عن مقابله  
وايثار الجملة الفعلية  
الاستقبالية في الصلة  
الاولى لما مر من افادة  
الاستمرار التجددي كما  
أن اختيار الجملة الاسمية  
في الثانية للدلالة على  
الثبات وتكرير الموصول  
للاحتراز عن توهم  
كون الصلة الثانية  
حالية مفيدة لعدم دخول  
غير المشركين من اولياء  
الشيطان تحت سلطانه  
وتقديم الاولى على  
الثانية التي هي بمقابلة  
الصلة الاولى فيما سلف  
رعاية المقارنة بينهما  
وبين ما يقابلها من التوكل  
على الله تعالى ولوروى  
الترتيب السابق لانفصل  
كل من القرينين عما  
يقابلها (واذا بدأنا آية  
مكان آية) أي اذا أنزلنا  
آية من القرآن مكان  
آية منه وجعلناها بدلا  
منها بان نسخناها بها  
( والله أعلم بما ينزل )

بالمباحات وبالمدوبات وبالواجبات ولا شك انه على فعل المدوبات والواجبات يثاب  
لاعلى فعل المباحات فلماذا قال وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون  
ثم انه تعالى رغب المؤمنين في القسم الثاني وهو الايمان بكل ما كان من شرائع الاسلام  
فقال من عمل صالحا من ذكر أو أنسى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم  
بأحسن ما كانوا يعملون وفي الآية سوالات (السؤال الاول) لفظة من في قوله من عمل  
صالحا تفيد العموم فالقائدة في ذكر الذكر والاشي والجواب ان هذه الآية للوعد  
بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة  
لوهم التخصيص (السؤال الثاني) هل تدل هذه الآية على ان الايمان مغاير للعمل الصالح  
والجواب نعم لانه تعالى جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب وشرط  
الشيء مغاير لذلك الشيء (السؤال الثالث) ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما  
يفسد الاثر بشرط الايمان فظاهر قوله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل  
الصالح يفسد الاثر سواء كان مع الايمان أو كان مع عدمه والجواب ان افادة العمل  
الصالح للحياة الطيبة مشروط بالايمان أما افادته لا غير هذه الحياة الطيبة وهو تخفيف  
العقاب فانه لا يتوقف على الايمان (السؤال الرابع) هذه الحياة الطيبة تحصل في الدنيا  
أو في القبر أو في الآخرة والجواب فيه ثلاثة أقوال (الاول) قال القاضي الاقرب انها  
تحصل في الدنيا بدليل انه تعالى أعقبه بقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون  
ولا شبهة في ان المراد منه ما يكون في الآخرة ولقائل أن يقول لا يبعد أن يكون المراد من  
الحياة الطيبة ما يحصل في الآخرة ثم انه مع ذلك وعدهم الله على انه انما يجز بهم على  
ما هو أحسن أعمالهم فهذا لامتناع فيه فان قيل بتقدير أن تكون هذه الحياة الطيبة  
انما تحصل في الدنيا فاهي والجواب ذكرها فيه وجوها قيل هو الرزق الحلال الطيب  
وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة وقيل رزق يوم بيوم كان النبي صلى الله  
عليه وسلم يقول في دعائه فتعني بمارزقتني وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
كان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال الواحدى وقول من يقول انه القناعة  
حسن مختار لانه لا يطيب عيش أحد في الدنيا الا عيش القانع وأما الحر يص فانه يكون أبدا  
في الكد والعناء \* واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه (الاول)  
انه لما عرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل  
الا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه وقدره وعلم ان مصلحته في ذلك أما الجاهل فلا يعرف  
هذه الاصول فكان أبدا في الحزن والشقاء (وثانيها) ان المؤمن أبدا يستحضر في عقله  
أنواع المصائب والحزن ويقدرو وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها لان الرضاء بقضاء  
الله تعالى واجب فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فانه يكون غافلا عن تلك  
المعارف فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه (وثالثها) ان قلب المؤمن منشرح

أولا وأخرا وبأن كلام من ذلك ما نزلت حينما نزلت الاحكام مقتضية الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى  
الآخر فكم من مصلحة في وقت تغلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وبما الشرائع  
الامصال للعباد في العايش والمعاد تدور حسيما تدور المصالح والجملة

أما معترضه لتوبيخ الكفرة والنبية على فساد رأيهم وفي اللغات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات  
فالا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية ﴿ ٥١٨ ﴾ وقرى بالتخفيف من الانزال (قالوا) أى

بنور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان مملو أمن هذه المعارف لم ينسج الاحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فانه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم بصير مملو أمن الاحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ورابعها) ان المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيصة فلا يعظم فرحه بوجودها ونغمه بفقدانها أما الجاهل فانه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجودها ونغمه بفقدانها (وخامسها) ان المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة الغير سريرة القلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه واعلم ان ما كان واجب التغيير فانه عند وصوله اليه لا يتقلب حقيقة ولا تبدل ماهيته فعند وصوله اليه يكون أيضا واجب التغيير فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليه ولا يقيم له في قلبه وزنا بخلاف الجاهل فانه يكون غافلا عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمعشوقه فمذفوتته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده فهذه وجوه كافية في بيان ان عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر هذا كله اذا فرسنا الحياة الطيبة بأنها في الدنيا (والقول الثاني) وهو قول السدي ان هذه الحياة الطيبة انما تحصل في القبر (والقول الثالث) وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ان هذه الحياة الطيبة لا تحصل الا في الآخرة والدليل عليه قوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقية فين ان هذا الكدح باق الى أن يصل الى ربه وذلك ما قلناه وأما بيان ان الحياة الطيبة في الجنة فلازها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا شقاء فثبت ان الحياة الطيبة ليست الا تلك الحياة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقد سبق تفسيره والله أعلم \* قوله تعالى (فاذا قرأت آقران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على

الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) اعلم انه تعالى لما قال قبل هذه الآية ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون أرشد الى العمل الذي به تخلص أعماله عن الوسوس فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) الشيطان ساع في القاء الوسوسة في القلب حتى في حق الانبياء بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه والاستعاذة بالله مانعة للشيطان من القاء الوسوسة بدليل قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فلهذا السبب أمر الله تعالى رسوله بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن الوسوسة (المسئلة الثانية) قوله فاذا قرأت القرآن خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به الكل لان الرسول لما كان محتاجا الى الاستعاذة عند القراءة فخير الرسول أولى بها (المسئلة الثالثة) القاء في قوله فاستعذ بالله لاتعقب فظاهر هذه الآية يدل على ان الاستعاذة بعد قراءة القرآن واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين قال الواحدى

الكفرة الجاهلون بحكمة

التسخ (انما أنت مفتر)

أى متقول على الله تعالى

تأمر بشئ ثم يدوك

فتبى عنه وحكاية

هذا القول عنهم ههنا

للايدان بأن ذلك كفره

تباشرة من نزعات الشيطان

وأنه وإيهم (بل أكثرهم

لا يعلمون) أى لا يعلمون

شئنا أصلاً ولا يعلمون

أن في التسخ حكماً بالغة

واسناد هذا الحكم الى

الاكثر لما أن منهم من

يعلم ذلك وانما يتكبره

عناداً (قل نزل) أى

القرآن المدلول عليه

بآية (روح القدس)

يعنى جبريل عليه السلام

أى الروح المطهر من

الادناس البشرية

واضافة الروح الى

القدس وهو الطهر

كاضافة حاتم الى الجود

حيث قيل حاتم الجود

للبالغة في ذلك الوصف

كأنه طبع منه في صيغة

التفصيل في الموضعين

اشعار بأن التدرج

في الانزال مما تقتضيه

الحكم البالغة (من

ربك) في اضافة الرب

الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوية عليه صلى الله عليه وسلم ما ليس ﴿ وهو ﴿ في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض (بلحق) أى ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المتقضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن التسخ حق

(ليثت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناس يخونون ويروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال  
رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ﴿ ٥١٩ ﴾ ليثت من الافعال ( وهدي وبشري للمسلمين) المتفادين

لحكمه تعالى وهما  
معطوفان على محل ليثت  
أي تثبتا وهداية وبشارة  
وفيه تعرض بحصول  
أضداد الامور المذكورة  
لمن سواهم من الكفار  
( ولقد نعلم أنهم يقولون )  
غير ما نقل عنهم من  
المقالة الشنعاء ( انما يعلمه )  
أي القرآن ( بشر ) على  
طريق البت مع ظهور  
انه نزله الروح القدس  
عليه الصلاة والسلام  
وتخلية الجملة بفنون  
التأكيد لتحقيق ما تضمنه  
من الوعيد وصيغة  
الاستقبال لا فائدة استمرار  
العلم بحسب الاستمرار  
التجدد في متعلقه  
فانهم مستمرين على  
تفوه تلك العظيمة يضيون  
بذلك جبر الرومي غلام  
عاصر بن الحضرمي  
وقيل جبر او يسار اكانا  
يصنعان السيف بمكة  
ويقرآن التوراة والانجيل  
وكان الرسول عليه الصلاة  
والسلطان يمر عليها  
ويسمع ما يقرآنه وقيل  
عابسا غلام حو بطبا  
بن عبد العزيز قد أسلم  
وكان صاحب كتب

وهو قول أبي هريرة ومالك وداود قالوا والفائدة فيه انه اذا قرأ القرآن استحق به ثوابا  
عظيما فان لم يأت بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه وتلك الوسوسة تحبط ثواب القراءة  
أما اذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوسوس وبقى الثواب مصونا عن الاحباط أما  
الاكثر من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة  
وقالوا معنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد وليس معناه استعد بعد القراءة  
ومثله اذا أكلت فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة  
فاغسلوا أي اذا أردتم القيام الى الصلاة فاغسلوا وأيضا لما ثبت ان الشيطان التي  
الوسوسة في اثناء قراءة الرسول بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي  
الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ومن الظاهر انه تعالى انما أمر الرسول بالاستعاذة عند  
القراءة لدفع تلك الوسوس فهذا المقصود انما يحصل عند تقديم الاستعاذة ( المسئلة  
الرابعة ) مذهب عطاه انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت القراءة في الصلاة  
أو غيرها وسأثر الفقهاء اتفقوا على انه ليس كذلك لانه لا خلاف بينهم انه ان لم يتعوذ قبل  
القراءة في الصلاة فصلاته ماضية وكذلك حال القراءة في غير الصلاة لكن حال القراءة في  
الصلاة أكد ( المسئلة الخامسة ) المراد بالشيطان في هذه الآية قيل ابليس والاقراب  
انه للجنس لان الجحيم المردة من الشياطين حظا في الوسوسة واعلم انه تعالى لما أمر رسوله  
بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يومهم ان الشيطان قدرة على التصرف في أبدان  
الناس فأزال الله تعالى هذا الوهم و بين انه لا قدرة له البتة الاعلى الوسوسة فقال انه ليس  
له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تغني اذا  
حضر في قلب الانسان كونه ضعيقا وانه لا يمكنه التحفظ عن وسوسة الشيطان الا بعصمة  
الله تعالى ولهذا المعنى قال المحققون لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله ولا قوة  
على طاعة الله الا بتوفيق الله تعالى والتفويض الحاصل على هذا الوجه هو المراد من  
قوله وعلى ربهم يتوكلون ثم قال انما سلطانه على الذين يتولونه قال ابن عباس بطبعونه  
يقال توليته أي اطعته وتوليت عنه أي اعرضت عنه والذين هم به مشركون الضمير  
في قوله به الى ما ذابعد وفيه قولان ( الاول ) انه راجع الى ربهم ( والثاني ) انه راجع الى  
الشيطان والمعنى بسببه وهذا كما تقول للرجل اذا تكلم بكلمة مؤدية الى الكفر كفرت  
بهذه الكلمة أي من أجلها فكذلك قوله والذين هم به مشركون أي من أجله ومن أجل  
جمله اياهم على الشرك بالله صاروا مشركين \* قوله تعالى ( واذا بدلنا آية مكان آية والله  
اعلم بما يبذل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق  
ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشري للمسلمين ) اعلم انه تعالى شرع من هذا الموضع في  
حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال ابن  
عباس رضي الله عنهما كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها تقول كفار قريش

وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلم مع كونه أدخل في ظهور كذبهم للايدان بأن مدار خطاهم  
ليس نسبته عليه السلام الى العلم من شخص معين بل من البشر كأثنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم  
الاولين والآخرين ( لسان الندي

يلحدون اليه أعجمي) الالحاد الامال من الالحاد القبر اذا مال حفرة عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل اطالة عن الاستقامة فقالوا لحد فلان في قوله وألحد في دينه ﴿ ٥٢٠ ﴾ أي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة

والله ما محمد الا يسخر بأصحابه اليوم بأمر بأمر وغدا ينهى عنه وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فانزل الله تعالى قوله واذا بدلنا آية مكان آية ومعنى التبدل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبدل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها وقوله والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من النسخ والنسوخ والتعليق والتخفيف أي هو اعلم بجمع ذلك في مصالح العباد وهذا توخي للكفار على قوله انما أنت مفتر أي اذا كان هو اعلم بما ينزل فبالله ينسبون محمد صلى الله عليه وسلم الى الافتراء لاجل التبدل والنسخ وقوله بل أكثرهم لا يعلمون أي لا يعلمون حقيقة القرآن وفائدة النسخ والتبدل وأن ذلك لمصالح العباد كما ان الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهاء عنها ويأمره بضد تلك الشربة وقوله قل نزله روح القدس من ربك تفسير روح القدس مر ذكره في سورة البقرة وقال صاحب الكشاف روح القدس جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطاهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح القدس وحاتم الجواد وزيد الخير والقدس المطهر من الماء ومن في قوله من ربك صلة للقرآن أي ان جبريل نزل القرآن من ربك ليثبت الذين آمنوا أي يبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا حكم لهم بثبات القدم في الدين وصحة اليقين بأن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدي وبشرى مفعول لهما معطوف على محل ليثبت والتقدير ثبتنا لهم وارشاد او بشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الصفات لغيرهم (المسئلة الثانية) قد ذكرنا ان مذهب أبي مسلم الاصفهانى ان النسخ غير واقع في هذه الشريعة فقال المراد ههنا اذا بدلنا آية مكان آية في الكتب المتقدمة مثل انه حول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة قال المشركون انت مفترى هذه التبدل وأما سائر المفسرين فقالوا النسخ واقع في هذه الشريعة والكلام فيه على الاستقصاء مدكور في سائر السور (المسئلة الثالثة) قال الشافعي رحمه الله القرآن لا ينسخ بالسنة واحتج على صحته بقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية وهذا يقتضى ان الآية لا تصير منسوخة الاباية أخرى وهذا ضعيف لان هذه تدل على أنه تعالى يبدل آية بآية أخرى ولادلالة فيها على انه تعالى لا يبدل آية الاباية وأيضاً جبريل عليه السلام قد ينزل بالسنة كما ينزل بالآية وأيضاً بالسنة قد تكون مثبتة للآية وأيضاً فهنا حكاية كلام الكفار فكيف يصح التعلق به والله اعلم ﴿ قوله تعالى ( ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلم بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآية الله لا يهدى بهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ) اعلم ان المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمداً انما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لانه يستفيدا من انسان آخر ويتعلمها منه واختلفوا في

أعجمية غير بينة وقرى بفتح الباء والحاء وتعرف اللسان ( وهذا ) أي القرآن الكريم ( لسان عربي مبين ) ذو بيان وفصاحة والجلتان مستأفتان لا بطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فان زعمتم أن بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا والتشبيث في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ( ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ) أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر ( لا يهدى بهم الله ) الى الحق أو الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ( ولهم ) في الآخرة ( عذاب أليم ) وهذا تهديد لهم ووعد على علي ما هم عليه من الكفر

بآيات الله تعالى ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد ما طمعت شبهتهم ورد ﴿ هذا ﴾ طعنهم وقوله تعالى ( انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ) رد قولهم انما أنت مفترى قلب الامر عليهم ببيان أنهم هم المغترون بعد رده بتحقيق

لأنه منزله من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بيتهما قوله تعالى ولم تعدن الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالاول  
 والمعنى والله تعالى أعلم ان المفترى هو الذي يكذب بايت الله ويقول انه افتراء ومعلم من الشرأى تكذيبها على الوجه  
 المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بأمر ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء  
 كالحكم بأمر ما ليس بكلامه تعالى ٥٢١ \* والتصريح بالكذب للبالغة في بيان قبحه وصفة

المضارع لرعاية  
 المطابقة بينه وبين ما هو  
 عبارة عنه أعني قوله  
 لا يؤمنون وقيل المعنى  
 انما يفترى الكذب ويليق  
 ذلك بمن لا يؤمن بايات  
 الله لانه لا يتقرب عقابا  
 عليه ليرتدع عنه وأما  
 من يؤمن بها ويخاف  
 ما نطق به من العقاب  
 فلا يمكن أن يصد عنه  
 افتراء البتة (وأولئك)  
 الموصوفون بما ذكر من  
 عدم الايمان بايات الله  
 (هم الكاذبون) على  
 الحقيقة أو الكاملون  
 في الكذب اذ لا كذب  
 أعظم من تكذيب آياته  
 تعالى واللعن فيها بما مثل  
 هاتيك الاباطيل والسر  
 في ذلك أن الكذب  
 الساذج الذي هو عبارة  
 عن الاخبار بعدم وقوع  
 ما هو واقف في نفس  
 الامر بخلق الله تعالى  
 او بوقوع ما لم يقع كذا  
 مدافعة لله تعالى في فعله  
 فقط والتكذيب مدافعة  
 له سبحانه في فعله وقوله  
 النبي عنه معاً والذين

هذا البشر الذي نسب المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى العلم منه قيل هو عبد بنى  
 عامر بن لوى يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل  
 عبد بنى الحضرمي صاحب كتب وكان اسمه جبراً وكانت قرين تقول عبد بنى الحضرمي  
 يعلم خديجة وخديجة تعلم محمداً وقيل كان بكفة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال له  
 أبو ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعدد هذه الاسماء  
 والحاصل ان القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه  
 ويزعم أنه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى أجاب عنه بأن قال لسان الذي  
 يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ومعنى الالحاد في اللغة الميل يقال لحدوا لحد  
 اذا مال عن القصد ومنه يقال للمادل عن الحق لمحد وقرأ حرة والكسائي يلحدون بفتح  
 الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء قال الواحدى والاولى ضم الياء لانه لغة  
 القرآن والدليل عليه قوله ومن رد فيه بالحد بطلم والالحاد قد يكون بمعنى الامالة ومنه  
 يقال لحدت له لحداً اذا حفرته في جانب القبر ما نل عن الاستواء وقبر ملحد وملحد ومنه  
 المحدث لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمل عن دين الى دين آخر وفسر الالحاد في هذه  
 الاية بالقولين قال الفراء يميلون من الميل وقال الزجاج يميلون من الامالة أى لسان  
 اذى يميلون القول اليه أعجمي وأما قوله أعجمي فقال أبو الفتح الموصلى تركيب  
 ح ج م وضع في كلام العرب اللبهام والاختفاء وضد البيان والابيضاح ومنه  
 قولهم رجل أعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يفصحان وبجم الذنب سمي بذلك لاستناره  
 واختفائه والجماء البهية لانها لا توضح ما في نفسها وسموا صلاتى الطهر والعصر  
 عجماء لان القراءة حاصله فيها باسرها بالجمهور أما قولهم أعجمت الكتاب فمعناه  
 أزلت عجمته وأفعلت قدياً والمراد منه السلب كقولهم أشكيت فلانا اذا أزلت  
 ما يشكوه فهذا هو الاصل في هذه الكلمة ثم ان العرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم  
 ولا يتكلم بلسانهم أعجمي وأعجمياً قال الفراء وأحد بن يحيى الأعجم الذى في لسانه عجمة  
 وان كان من العرب والأعجمي والعجمي الذى أصله من العجم قال أبو على الفارسي الأعجم  
 الذى لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم الا ترى انهم قالوا زياد الأعجم لانه كانت  
 في لسانه عجمة مع انه كان عربياً وأما معنى العربي واشتقاقه فقد ذكرناه عند قوله الاعراب  
 أشد كفراً ونفاقاً وقال الفراء والزجاج في هذه الاية يقال عرب لسانه عرابية وعروبة  
 هذا تفسيراً معاذ الاية وأما تحرير وجه الجواب فاعلم انه انما يظهر اذا قلنا القرآن انما  
 كان معجز المافية من الفصاحة العائدة الى اللفظ وكأنه قيل هب انه يتعلم المعاني من ذلك  
 الأعجمي الا أن القرآن انما كان معجز المافى ألفاظه من الفصاحة فيستقدر أن تكونوا  
 صادقين في ان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم تلك المعاني من ذلك الرجل الا أنه لا يفتح ذلك  
 في المقصود اذا القرآن انما كان معجزاً بفصاحته وما ذكرتموه لا يفتح في ذلك المقصود

فانما تكذب لا يرهم عنه \* ٦٦ \* وازع من دين أو مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر (من كفر  
 بالله) أى تلفظ بكلمة الكفر (من بعد ايمانه) به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد ما آمن بها بعد بيان  
 حال من لم يؤمن بها رأساً ومن موصولة ومحلها الرفع على

لا ابتداء والخبر مخدوف لدلالة الخبر الاتي عليه وهو خبر لهم ماعا أو انصب على الذم (الامن اكراه) على ذلك بغرض مضاف  
 على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما أشير  
 اليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالايان) حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لانفس الاكراه لان مقارنة  
 اطمئنان القلب بالايان للاكراه لا تجدى نفعاً وانما المجدى مقارنته ﴿٥٢٢﴾ للكفر الواقع به أي الامن كفر باكراه أو الامن

ولما ذكر الله تعالى هذا الجواب أردفه بالتهديد والوعيد فقال ان الذين لا يؤمنون بآيات  
 الله لا يهديهم الله أمناً تفسيراً أصحابنا هذه الآية فظاهراً وقال القاضي أقوى ما قيل في  
 ذلك انه لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب أليم والمراد انهم لما تركوا  
 الايمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار ثم انه تعالى بين كونهم كذابين  
 في ذلك القول فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون  
 وفيه مسائل (الاول) المقصود منه انه تعالى بين في الآية السابقة ان الذي قالوه بتقدير  
 أن يصح لم يقدح في المقصود ثم انه تعالى بين في هذه الآية أن الذي قالوه لم يصح وهم كذبوا  
 فيه والدليل على كونهم كاذبين في ذلك القول وجوه (الاول) انه لا يؤمنون بآيات الله  
 وهم كفرون ومتى كان الامر كذلك كانوا أعداء لرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العدا  
 ضرب من التهديد ولا شهادة لهم (والثاني) ان أمر التعلم لا يأتي في جلسة واحدة ولا يتم  
 في الحفظة بل التعلم انما يتم اذا اختلف المعلم الى المتعلم أزمنة متعاقبة ومددا متباعدة ولو  
 كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق ان محمد اعطيه السلام يتعلم العلوم من فلان وفلان  
 (الثالث) ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة وتعلمها لا يتأتى اذا كان المعلم في غاية  
 الفضل والتحقيق فلو حصل فيهم انسان بلغ في التعليم والتحقيق الى هذا الحد لكان  
 مشاراً اليه بالاصابع في التحقيق والتدقيق في الدنيا فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم  
 العالية والمباحث النفيسة من عند فلان وفلان واعلم ان الطعن في نبوة رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بأمثال هذه الكلمات الركيكة يدل على ان الحججة لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم كانت ظاهرة باهرة مان الخصوص كانوا عاجزين عن الطعن فيها ولا جلي غاية عجزهم  
 عدلوا الى هذه الكلمات الركيكة (المسئلة الثانية) في هذه الآية دلالة قوية على ان  
 الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش والدليل عليه ان كلمة انما للحصر والمعنى ان  
 الكذب والقربة لا يقدم عليهما الامن كان غير موثوق بآيات الله تعالى والامن كان كافراً  
 وهذا تهديد في النهاية فان قيل قوله لا يؤمنون بآيات الله فعل وقوله وأولئك هم الكاذبون  
 اسم وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فيجوز السبب في حصوله ههنا قلنا الفعل قد  
 يكون لازماً وقد يكون مقارفاً والدليل عليه قوله تعالى ثم بدالهم من بعد ما رأوا الآيات  
 ليسبحنه حتى حين ذكره بلفظ الفعل تنبيهاً على ان ذلك السبحن لا يدوم وقال فرعون  
 لموسى عليه السلام لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ذكره بصيغة الاسم  
 تنبيهاً على الدوام وقال أصحابنا انه تعالى قال وعصى آدم ربه فغوى ولا يجوز أن يقال ان  
 آدم عاص وغاوان صيغة الفعل لاتفيد الدوم وصيغة الاسم تفيد اذا عرفت هذه  
 المقدمة فنقول قوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ذكر ذلك تنبيهاً على  
 ان من أقدم على الكذب ذكائه دخل في الكفر ثم قال وأولئك هم الكاذبون تنبيهاً على  
 ان صفة الكذب فيهم ثابتة راسخة دائمة وهذا كما تقول كذبت وأنت كاذب فيكون

أكراه فكفر والحال أن  
 قلبه مطمئن بالايان  
 لم تتغير عقيدته أو انما سلم  
 بصرح به ايماء الى أنه  
 ليس بكفر حقيقة وفيه  
 دليل على أن الايمان هو  
 التصديق بالقلب (ولكن  
 من) لم يكن كذلك بل  
 (شرح بالكفر صدرا)  
 أي اعتقده وطاب به نفسا  
 (فعليةم غضب) عظيم  
 لا يكتنه كنهه (من الله)  
 اظهار الاسم الجليل  
 لترقية المهابة وتعوية  
 تعظيم العذاب (ولهم  
 عذاب عظيم) اذ لاجرم  
 أعظم من جرهم والجمع  
 في الضميرين المجرورين  
 مراعاة جانب المعنى كما أن  
 الافراد في المستكن في  
 الصلة لرعاية جانب اللفظ  
 روي أن قر يشأ أكرهوا  
 غماراً وأبو يهاسر اسمية  
 على الارتداد فأباه أبواه  
 فربطوا اسمية بين بعيرين  
 ووجئت بحر بتقي قبلها  
 وقالوا انما أسلمت من  
 اجل الرجال قتلوها  
 وقتلوا ياسر او هما أول

قتلين في الاسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال ﴿ قولك ﴾  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كلالان عماراه الى ما يمان من قرنه الى قدمه واخطلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى



الله عليه وسلم فسمع عينية وقال مالك ان صادواك فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه  
 الجبى وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزاز الدين كما فعله ابواه وروى ان مسئلة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما  
 ماتقول في محمد قال رسول الله قال ماتقول في محمد قال رسول الله قال ماتقول في محمد قال رسول الله قال ماتقول  
 في قال انا صرنا عادلتا فاعاد جوابه ﴿ ٥٢٣ ﴾ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة

الله واما الثاني فقد صدق  
 بالحق ( ذلك ) اشارة  
 الي كفر بعد الايمان او الى  
 الوعيد المذكور ( بانهم )  
 بسبب انهم ( استحبوا  
 الحياة الدنيا ) آثروها  
 ( على الآخرة وان الله  
 لا يهدي ) الى الايمان  
 والى ما يوجب الثبات  
 عليه هداية قسر  
 والجد ( القوم الكافرين )  
 في علمه المحيط فلا يصح  
 عن الزيف وما يوردى اليه  
 من ان غضب والعذاب  
 العظيم ولولا احد  
 الامرين اما ايشار  
 الحياة الدنيا على الآخرة  
 واما عدم هداية الله  
 سبحانه للكافرين هداية  
 قسر بان آثروا الآخرة  
 على الدنيا او بان  
 هداهم الله تعالى هداية  
 قسر لما كان ذلك لكن  
 الثاني مخالف للحكمة  
 والاول بما لا يدخل تحت  
 الوقوع واليه اشير  
 بقوله تعالى ( اولئك )  
 أى اولئك الموصوفون  
 بما ذكر من القبائح  
 ( الذين طبع الله على

قولك وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب ومعناه ان صادتك ان تكون كاذبا ( المسئلة  
 الثالثة ) ظاهر الآية يدل على ان الكاذب المشترى الذي لا يؤمن بآيات الله والامر  
 كذلك لانه لا معنى للكفر الا انكار الالهية ونبوة الانبياء وهذا الانكار مشتمل على  
 الكذب والافتراء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا ثم قرأ  
 هذه الآية والله اعلم \* قوله تعالى ( من كفر بالله من بعد ايمانه لا من اكره وقلبه مطمئن  
 بالايمان ولكن من كفر بعد ايمانه فاعلمهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم  
 استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين  
 طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم  
 الخاسرون ) اعلم انه تعالى لما عظم تهديد الكافرين ذكر في هذه الآية تفصيلا في بيان  
 من يكفر بلسانه لا بقلبه ومن يكفر بلسانه وقلبه معا وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى )  
 قوله من كفر بالله من بعد ايمانه مبتدأ خبره غير متدكور فهذا السبب اختلف المفسرون  
 وذكروا فيه وجوها ( الاول ) ان يكون قوله من كفر بدلا من قوله الذين لا يؤمنون بآيات  
 الله والتقدير انما يفتري من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت  
 حكم الافتراء وعلى هذا التقدير فقوله واولئك هم الكاذبون اعتراض وقم بين البديل  
 والمبديل منه ( والثاني ) يجوز ايضا ان يكون بدلا من الخبر الذى هو الكاذبون والتقدير  
 واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ( والثالث ) يجوز ان ينصب على الدم والتقدير  
 واولئك هم الكاذبون اعنى من كفر بالله من بعد ايمانه وهو احسن الوجوه عندي  
 وبعدها عن التعسف ( والرابع ) ان يكون قوله من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتدأ  
 ويحذف جوابه لان جواب الشرط المذكور بعده يدل على جوابه كأنه قيل من كفر بالله  
 من بعد ايمانه فاعلمهم غضب من الله الامن اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعلمهم  
 غضب من الله ( المسئلة الثانية ) اجمعوا على انه لا يجب عليه التكلم بالكفر يدل عليه  
 وجوه احدها اناروينا ان بلا الصبر على ذلك العذاب وكان يقول احد احد روى ان  
 ناسا من اهل مكة فتناوفا رتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى  
 كلمة الكفر على لسانه مع انه كان بقلبه مصرا على الايمان منهم عمار وابواه ياسر  
 وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقيل ربطت بين بعيرين ووخزت  
 في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال وقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين قتلوا  
 في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا  
 كفر فقال كلان عمارا على ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بالحمة ودمه فأتى  
 عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعينه  
 ويقول مالك ان عادواك فعدلهم بما قلت ومنهم جبرمولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر  
 ثم اسلم مولاة واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا ( المسئلة الثالثة ) قوله الامن اكره ليس

قلوبهم وسمعهم وابصارهم ) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه ( واولئك هم الغافلون ) أى الكاملون في الغفلة  
 اذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبير العواقب ( لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ) اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها  
 الى ما لا ينفعى الا الى العذاب المخلد ( ثم ان ذلك للذين هاجروا ) الى دار الاسلام وهم

عَمَّا رَوَاهُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَيْ لَهُمْ بِالْوَلَايَةِ وَالنَّصْرِ لِعَلَيْهِمْ كَمَا يُوْجِبُهُ ظَاهِرُ أَعْمَالِهِمْ أَيْ بِنَصْفِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ خَيْرٌ لَانِ  
وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مَحْدُوفًا لِدَلَالَةِ الْخَبْرِ الَّتِي عَلَيْهِ وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهَا وَتَكُونُ الْثَانِيَةَ تَأْكِيدَ الْأَوَّلَى  
مِمَّا دَلَّلَتْ عَلَى تَبَاعُدِ رَتَبَةِ حَالِهِمْ هَذِهِ عَنْ رَتَبَةِ حَالِهِمْ الَّتِي يَفِيدُهَا الْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ مَجْرَدِ الْخُرُوجِ عَنْ حُكْمِ الْغَضَبِ وَالْعَذَابِ  
بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لِأَنَّ رَتَبَةَ حَالِ الْكُفْرَةِ ( مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ) ﴿ ٥٢٤ ﴾ أَي عَذَابِهَا عَلَى الْإِرْتِدَادِ وَتَغْلُظُهَا بِمَا يَرْضِيهِمْ

بِاسْتِثْنَاءِ لَانَ الْمَكْرَهَ لَيْسَ بِكَافِرٍ فَلَا يَصِحُّ اسْتِثْنَاؤُهُ مِنَ الْكَافِرِ لَكِنَّ الْمَكْرَهَ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ بَعْدَ  
الْإِيمَانِ مَا مِثْلُهُ يَظْهَرُ مِنَ الْكَافِرِ طَوْعًا صَحَّ هَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ لِهَذِهِ الْمَشَاكَلَةِ ( الْمَسْئَلَةُ الرَّابِعَةُ )  
يَجِبُ هَهُنَا بَيَانُ الْإِكْرَاهِ الَّذِي عِنْدَهُ يَجُوزُ التَّلْفِظُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَهُوَ أَنْ يَعْذِبَهُ بِعَذَابِ  
لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ مِثْلُ التَّخْوِيفِ بِالْقَتْلِ وَمِثْلُ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ وَالْإِبْلَامَاتِ الْقَوِيَّةِ قَالَ مُجَاهِدٌ  
أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَخِيَابٌ وَصَهْبِيبٌ  
وَبِلَالٌ وَعِمَارٌ وَسَمِيَّةُ أُمُّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَتَعَهُ أَبُو طَالِبٌ وَأُمُّ أَبِي بَكْرٍ فَخَفَعَهُ  
قَوْمُهُ وَأَخَذَ الْآخَرُونَ وَالْبَسَوَادُ رُوعَ الْحَدِيدِ ثُمَّ أَجْلَسُوا فِي الشَّمْسِ فَبَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهْدُ  
بِحَرِّ الْحَدِيدِ وَالشَّمْسِ وَأَتَاهُمْ أَبُو جَهْلٍ يَسْتَمْتُهُمْ وَيُبُوخُهُمْ وَيَسْتَمُّ سَمِيَّةَ ثُمَّ طَعَنَ الْحَرْبَةَ  
فِي فَرْجِهَا وَقَالَ الْآخَرُونَ مَا نَالُوا مِنْهُمْ غَيْرَ بِلَالٍ فَانْتَهَمُوا بِعَذَابِهِ فَقِيلَ لِأَحَدٍ  
حَتَّى مَلُوا فَكَيْفَ تَقْوَهُ وَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا مِنْ لَيْفٍ وَدَفَعُوهُ إِلَى صَبِيَانَتِهِمْ يَلْعَبُونَ بِهِ حَتَّى مَلُوهُ  
فَقَرَّ كَوْهٌ قَالَ عِمَارٌ كَانُوا تَكْلِمُ بِالَّذِي أَرَادُوا غَيْرَ بِلَالٍ فَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَتَرَّ كَوْهٌ قَالَ خُبَابٌ  
لَقَدْ أَوْقَدُوا لِي نَارًا مَا أَطْفَأُهَا إِلَّا وَدَكْتُ نَظِيرِي ( الْمَسْئَلَةُ الْخَامِسَةُ ) أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ  
كَلِمَةِ الْكُفْرِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُبْرِئَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَابِ وَأَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى التَّعْرِيبَاتِ مِثْلِ  
أَنْ يَقُولَ إِنَّ مُحَمَّدًا كَذَابٌ وَيَعْنِي عِنْدَ الْكُفَّارِ أَوْ يَعْنِي بِهِ مُحَمَّدًا آخِرًا أَوْ يَذْكَرُهُ عَلَى نِيَّةِ  
الْإِسْتِفْهَامِ بِعَنْ الْإِنْكَارِ وَهَهُنَا بَيَانُ ( الْأَوَّلِ ) أَنَّهُ إِذَا أُعْجِلَ مِنْ أِكْرَاهِهِ عَنْ احْتِضَارِ هَذِهِ  
النِّيَّةِ أَوْلَانَهُ لَمَّا هَظُمَ خَوْفُهُ زَالَ عَنْ قَلْبِهِ ذِكْرُ هَذِهِ النِّيَّةِ كَانُ مَلُومًا وَعَفْوُ اللَّهِ مُتَوَقَّعٌ  
( الْبَحْثُ الثَّانِي ) لَوْ ضِيقُ الْمَكْرَهَ لِأَمْرٍ عَلَيْهِ وَشَرَحَ لَهُ كُلَّ أَقْسَامِ التَّعْرِيبَاتِ وَطَلَبَ مِنْهُ  
أَنْ يَصْرَحَ بِأَنَّهُ مَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْهَا وَمَا أَرَادَ الْإِذْكَالَ الْمَعْنَى فَهَهُنَا يَتَعَيَّنُ أَمَّا التَّزَامُ الْكُذْبِ  
وَأَمَّا تَعْرِيبُ النَّفْسِ لِلْقَتْلِ فَمَنْ النَّاسُ مِنْ قَالٍ يَبَاحُ لَهُ الْكُذْبُ هُنَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ لَيْسَ لَهُ  
ذَلِكَ وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْقَاضِي قَالَ لِأَنَّ الْكُذْبَ إِنَّمَا يَتَّبَعُ لِكُونِهِ كَذِبًا فَوَجِبَ أَنْ يَقْبَحَ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَوْ جَازًا أَنْ يُخْرَجَ عَنِ الْقَبِيحِ لِرِعَايَةِ بَعْضِ الْمَصَالِحِ لَمْ يَنْبَغِ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ الْكُذْبَ  
لِرِعَايَةِ بَعْضِ الْمَصَالِحِ وَحَيْثُ لَا يَتَّبَعُ وَيَتَوَقَّعُ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يُوَعِّدُهُ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ  
الْكُذْبَ لِرِعَايَةِ بَعْضِ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ( الْمَسْئَلَةُ السَّادِسَةُ ) أَجْمَعُوا عَلَى  
أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ التَّكْلِيمُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَيُدَلُّ عَلَيْهِ وَجُوهٌ ( أَحَدُهَا ) أَنَّ رُوِيَ أَنَّ بِلَالَ صَبَرَ  
عَلَى ذَلِكَ الْعَذَابِ وَكَانَ يَقُولُ أَحَدًا أَحَدًا وَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَ  
مَا صَنَعْتَ بِلَ عَظْمِهِ عَلَيْهِ فَذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ التَّكْلِيمُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ ( وَثَانِيهَا ) مَا رَأَى  
أَنْ مَسِيئَةَ الْكُذْبِ أَخَذَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ  
مَا تَقُولُ فِي قَالَ أَنْتَ أَيْضًا فَخَلَّاهُ وَقَالَ لِالْآخَرِ مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ مَا تَقُولُ  
فِي قَالَ أَنَا أَصَمُّ فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَأَعَادَ جَوَابَهُ فَقَتَلَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَقَالَ أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَخَذَ بِرِخْصَةِ اللَّهِ وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ صَدَّقَ بِالْحَقِّ فَهَهُنَا لَوْجُهُ الْإِسْتِدْلَالُ  
بِهَذَا الْخَبْرِ مِنْ وَجْهَيْنِ ( الْأَوَّلِ ) أَنَّهُ سُمِّيَ التَّلْفِظُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ رِخْصَةً ( وَالثَّانِي ) أَنَّهُ عَظُمَ

دَعَا أَلْمُتَّحِينَ قُلُوبِهِمْ  
بِالْإِيمَانِ وَقَرِيءٌ عَلَى بِنَاءِ  
الْفَاعِلِ أَي عَذَبُوا  
الْمُؤْمِنِينَ كَالْحَضْرِيِّ  
أَكْرَهَ مَوْلَاهُ جِبْرَاهِي  
أَرْتَدَّ ثُمَّ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ  
( ثُمَّ جَاهَدُوا ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
( وَصَبَرُوا ) عَلَى مَشَاقِ  
الْجِهَادِ ( إِنَّ رَبَّكَ  
مِنْ بَعْدِهَا ) مِنْ بَعْدِ  
الْمُهَاجِرَةِ وَالْجِهَادِ  
وَالصَّبْرِ فَهُوَ تَصْرِيحٌ  
بِمَا شَرَعَ بِهِ بِنَاءَ الْحُكْمِ  
عَلَى الْمَوْصُولِ مِنْ عِلِيَّةِ  
الصَّلَاةِ أَوْ مِنْ بَعْدِ الْفِتْنَةِ  
الْمَذْكُورَةِ فَهُوَ لِبَيَانِ  
هَدْمِ إِخْلَالِ ذَلِكَ بِالْحُكْمِ  
( لَمُغْفُورٍ ) لِمَا قُتِلُوا  
مِنْ قَبْلِ ( رَحِيمٍ ) يَنْعَمُ  
عَلَيْهِمْ بِمَجَازَةٍ عَلَى  
مَا صَنَعُوا مِنْ بَعْدِ وَفِي  
التَّعْرِيبِ لِعِنَانِ الرَّبُوبِيَّةِ  
فِي الْمَوْضِعِينَ إِيْمَانًا إِلَى عِلَّةِ  
الْحُكْمِ وَفِي إِضَافَةِ الرَّبِّ  
إِلَى صُغِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
مَعَ ظَهْوَرِ الْإِثْرِ فِي الطَّائِفَةِ  
الْمَذْكُورَةِ أَظْهَرَ لِكَمَالِ  
اللُّطْفِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَإِشْعَارِ بِأَنَّ إِفَاضَةَ  
آثَارِ الرَّبُوبِيَّةِ عَلَيْهِمْ

مِنَ الْبَغْضَةِ وَالرَّحْمَةِ بِوَسْطِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِكُونِهِمْ أَتْبَاعُهُ ( يَوْمٌ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ) مَنْصُوبٌ بِرَحِيمٍ ﴿ حَالٌ ﴾  
وَيَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ يَذْكَرُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ( تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا ) عَنْ ذَاتِهَا تَسْمَى  
فِي إِخْلَاصِهَا بِالْإِعْتِدَارِ لِإِيْمَانِهَا شَأْنِ غَيْرِهَا فَتَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي ( وَتُوفِي كُلُّ نَفْسٍ ) أَي تُعْطَى وَافِيًا كَمَا مَلَ ( مَا عَمِلَتْ )  
أَي جَزَاءَ مَا عَمِلَتْ بِطَرِيقِ إِطْلَاقِ اسْمِ السَّبَبِ

على السبب اشعار اكتمال الاتصال بين الاجزىة والاعمال وايشار الاظهار على الاضمار زيادة التقرير ولا يبدان باختلاف  
 وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد ( وهم لا يظلمون ) لا ينقضون اجورهم ولا يباقيون بغير موجب  
 ولا يزداد في عقابهم على ذنوبهم ( وضرب الله مثلا قرية ) قيل ضرب المثل صنعه واعتماه وقدمر تحقيقه في سورة  
 البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد ﴿ ٥٢٥ ﴾ وانما عدى الى الاثنين لتضمينه معنى الجمل وتأخير قرينة

مع كونها مفعولا اول  
 لتلايحول المفعول الثاني  
 بينها وبين صفتها  
 وما يترتب عليها اذ  
 التأخير عن الكل محل  
 بتجاذب أطراف النظم  
 وتجاوبها ولان تأخير  
 ما حقه التقديم مما يورث  
 النفس ترقب الورد  
 وتشوقا اليه لاسيما اذ  
 كان في المقدم ما يدعو  
 اليه فان المثل مما يدعو  
 الى المحاسنة على  
 تفاصيل احوال ما هو  
 مثل فيمكن المؤخر  
 عند وروده لديها  
 فضل تمكن والقرينة  
 اما محققة في الغابرين  
 واما مقدره أي جعلها  
 مثلا لاهل مكة خاصة  
 أولئك قوم أنعم الله  
 تعالى عليهم فأبطرتهم  
 النعمة ففعلوا ما فعلوا  
 فبدل الله تعالى بنعمتهم  
 نقمة ودخل فيهم أهل  
 مكة دخولا أوليا  
 ( كانت آمنة ) ذات أمن  
 من كل مخوف ( مطمئنة )  
 لا يزعم أهلها من عجم  
 ( بأنها رزقها ) أقوات

حال من أمسك عنه حتى قتل ( وثانها ) ان بذل النفس في تقرر الحق أشق فوجب أن  
 يكون أكثر ثوابا لقوله عليه السلام أصل العبادات أحزها أي أشقها ( ورابعها ) ان  
 الذي أمسك عن كلمة الكفر طهر قلبه ولسانه عن الكفر أما الذي تلفظ بها فهب ان قلبه  
 طاهر عنه الآن لسانه في الظاهر قد تلطخ بتلك الكلمة الخبيثة فوجب أن يكون حال  
 الاول أفضل والله أعلم ( المسئلة السابعة ) اعلان الاكراه مراتب ( أحدها ) أن يجب  
 الفعل المكروه عليه مثل ما اذا أكرهه على شرب الخمر وأكل الخنزير أو كل الميتة فاذا  
 أكرهه عليه بالسيف فهنا يجب الاكل وذلك لان صون الروح عن القوات واجب  
 ولا سبيل اليه في هذه الصورة الا بهذا الاكل واس في هذا الاكل ضرر على حيوان  
 ولا فيه اهانة لحنى الله تعالى فوجب أن يجب لقوله تعالى ولا تلتقوا بأيديكم الى التهلكة  
 ( المرتبة الثانية ) أن يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا ومثاله ما اذا أكرهه على التلذذ  
 بكلمة الكفر فهنا يباح له ولكنه لا يجب كما قررناه ( المرتبة الثالثة ) أن لا يجب ولا يباح  
 بل يحرم وهذا مثل ما اذا أكرهه انسان على قتل انسان آخر أو على قطع عضو من أعضائه  
 فهنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وهل يسقط القصاص عن المكروه أم لا قال الشافعي  
 رحمه الله في أحد قولي يجب القصاص ويدل عليه وجهان ( الاول ) انه قتله عمدا عدوانا  
 فيجب عليه القصاص لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى  
 ( والثاني ) أجمنا على أن المكروه اذا قصد قتله فانه يحل له أن يدفعه عن نفسه ولو بالقتل فلما  
 كان توهم اقدامه على القتل يوجب اهدار دمه فلان يكون عند صدور القتل منه  
 حقيقة يصير دمه مهدرا كان أولى والله أعلم ( المسئلة الثامنة ) من الافعال ما يقبل  
 الاكراه عليه كالقتل والتكلم بكلمة الكفر ومنه ما لا يقبل الاكراه عليه قيل وهو الزنا  
 لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآفة فحيث دخل الزنا في  
 الوجود علم انه وقع بالاختيار لا على سبيل الاكراه ( المسئلة التاسعة ) قال الشافعي رحمه  
 الله طلاق المكره لا يقع وقال أبو حنيفة رحمه الله يقع وحجة الشافعي رحمه الله قوله  
 لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على  
 نفي آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وأيضا قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ  
 والنسيان وما استكرهوا عليه وأيضا قوله عليه السلام لا طلاق في اغلاق أي اكراه فان  
 قالوا طلقها فتدخل تحت قوله فان طلقها فلا تحل له فالجواب لما تعارضت الدلائل وجب  
 أن يبقى ما كان على ما كان على ما هو قولنا والله أعلم ( المسئلة العاشرة ) قوله وقلبه مطمئن  
 بالايمن يدل على ان محل الايمان هو القلب والذي محله القلب اما الاعتقاد واما كلام  
 النفس فوجب أن يكون الايمان عبارة اما عن المعرفة واما عن التصديق بكلام النفس  
 والله أعلم ثم قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا أي فحبه ووسعه لقبول الكفر  
 وانتصب صدرا على انه مفعول لشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدرة وحذف

أهلها صفة ثانية لقرينة وتغيير سببها عن الصفة الاولى لما أن اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة  
 ثابت مستمر ( رغدا ) واسعا ( من كل مكان ) من نواحيها ( فكفرت ) أي كفر أهلها ( بالنعمة ) أي بتفضله  
 جمع نعمة على ترك الاعتداد بالنساء كد روع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس والمراد بهما نعمة الرزق  
 والأمن المستمر وايشار جمع القلة للايدان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العداية في ظنك

يكفران نعم كثيرة (فاذا ذاقها الله) أي أذاق أهلها (لبس الجوع والخوف) شبه أتر الجوع والخوف وضررها المحيط بهم  
باللباس الغاشي للابس فاستعمله اسمه وأوقع عليه الأذافة المستعارة لمطلق الإيصال المنبثة عن شدة الإصابة بما فيها  
من اجتماع ادراكى اللامسة والذائفة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على  
اللسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير \* غم الرداء اذا تبسم \* ٥٢٦ \* ضاحكا \* غلقت لضحكته رقاب المال \*

فان القمر مع كونه  
في الحقيقة من احوال  
الماء الكثير لما كان  
كثير الاستعمال  
في المعروف المشبه بالماء  
الكثير جرى مجرى  
الحقيقة فصارت  
اضافته الى الرداء  
المستعار المعروف تجريدا  
أوشبه أثرهما وضررها  
من حيث الاحاطة بهم  
والكراهة لديهم تارة  
باللباس الغاشي للابس  
المناسب للخوف بجمام  
الاحاطة والرزوم تشبيه  
معقول بمحسوس  
فاستعمله اسمه استعارة  
تصريحية وأخرى بطم  
المرالبع الملائم للجوع  
الناشئ من فقد الرزق  
بجمام الكراهة فأومئ  
اليه بأن أوقع عليه  
الأذافة المستعارة  
لايصال الضار المنبثة  
عن شدة الإصابة بما فيها  
من اجتماع ادراكى  
اللامسة والذائفة  
وتقديم الجوع الناشئ  
بما ذكر من فقدان الرزق

الضمير لانه لايشكل بصدر غيره اذا لبس لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد بها  
المعرفة ثم قال فعليهم غضب من الله والمعنى انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك  
العذاب فقال ولهم عذاب عظيم ثم قال تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة  
أي رجحوا الدنيا على الآخرة والمعنى ان ذلك الارتداد وذلك الاقدام على الكفر لاجل انه  
تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصمهم عن الكفر قال القاضي المراد ان الله لا يهديهم الى  
الجنة فيقال له هذا ضعيف لان قوله وان الله لا يهدي القوم الكافرين معطوف على قوله  
ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فوجب أن يكون قوله وان الله لا يهدي  
القوم الكافرين علة وسببا موجبا لاقدامهم على ذلك الارتداد وعدم الهداية يوم  
القيامة الى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة بل مسبب عنه ومعلول له فبطل هذا  
التأويل ثم اكد بيان انه تعالى صرفهم عن الايمان فقال أولئك الذين طبع الله على  
قلوبهم وسمعهم وأبصارهم قال القاضي الطبع ليس يمنع من الايمان ويدل عليه وجوه  
(الاول) انه تعالى ذكر ذلك في معرض الذم لهم واو كما نواعا جزين عن الايمان به لما  
استحقوا الذم بتركه (الثاني) انه تعالى أسرك بين السمع والبصر وبين القلب في هذا  
الطبع ومعلوم من حال السمع والبصر ان مع فقدهما قد يصح أن يكون مؤثرا فضلا عن  
طبع لطمتهما في القلب (الثالث) وصفهم بالعفلة ومن منع من الشيء لا يوصف بأنه  
غافل عنه فثبت ان المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي يخلقها في القلب وقد ذكرنا  
في سورة البقرة معنى الطبع والختم وأقول هذه الكلمات مع القريرات الكثيرة ومع  
الجوابات القوية مذكورة في أول سورة البقرة وفي سائر الآيات فلا فائدة في الاعادة  
ثم قال تعالى وأولئك هم الخاسرون قال ابن عباس أي عمادتهم في الآخرة ثم قال  
لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون واعلم ان الموجب لهذا الخسران هو ان الله تعالى  
وصفهم في الآيات المقدمة بصفات ستة (الصفة الاولى) انهم استوجبوا غضب الله  
(والصفة الثانية) انهم استحبوا العذاب الاليم (الصفة الثالثة) انهم استحبوا الحياة  
الدنيا على الآخرة (والصفة الرابعة) انه تعالى حرمهم من الهداية (والصفة الخامسة)  
انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (والصفة السادسة) انه جعلهم من  
الغافلين عمادتهم من العذاب الشديد يوم القيامة فلا جرم لا يسمعون في دفعها فثبت  
انه حصل في حقهم هذه الصفات الستة التي كل واحد منها من أعظم الاحوال المانعة  
عن الفوز بالخيرات والسعادات ومعلوم انه تعالى انما أدخل الانسان الدنيا ليكون  
كالتاجر الذي يشتري بطاياته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم  
خسرانه فلهذا السبب قال لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون أي هم الخاسرون  
لاغيرهم والمقصود التشبيه على عظم خسرانهم والله أعلم بقوله تعالى (ثم ان ربك للذنين  
هاجر وان بعد ما فتوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها غفور رحيم يوم تأتي كل

على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه أنسب بالأذافة ﴿ نفس ﴾  
أولراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وينصبه أيضا عطفا على المضاف أو إقامة  
له مقام مضاف محذوف وأصله ولبس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران  
المذكور أسند ذلك الى أهل

القرية ثمة للاحمر بعد اسناد الكفران اليها واغاخ اذا فقه عليها ارادة للبالغة وفي صيغة الصنعة اليذان بان كفران  
 النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة (وقد جاء هم) من تمة المثل يحيى بهما البيان أن ما فعلوه من كفران  
 التعم لم يكن مزاجة منهم لتفضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضا أي ولقد جاء أهل تلك  
 القرية (رسول منهم) أي من جنسهم يعرفونه ﴿ ٥٢٧ ﴾ باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة

وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون

وما يذرون (فكذبوه)

في رسالته أو فيما أخبرهم به

بما ذكره فالفاء فصيحة وعدم

ذكره للايدان بمفاجأتهم

بالتكذيب من غير تلثم

(فاخذهم العذاب)

المستاصل لشأفتهم غضب

ماذا قوا نبذة من ذلك

(وهم ظالمون) أي حال

التباسهم بما هم عليه

من الظلم الذي هو كفران

نعم الله تعالى وتكذيب

رسوله غير مقلدين عنه

بماذا قوا من مقدماته

الزاجرة عنه وفيه دلالة

على تهاديهم في الكفر والعناد

وتجاوزهم في ذلك كل حد

معتاد وترتيب العذاب

على تكذيب الرسول جري

على سنة الله تعالى حسبا

يرسد اليه قوله سبحانه

وما كنا معذبين حتى ننبئ

رسولا وبه يتم التمثيل

فان حال أهل مكة سواء

ضرب المثل لهم خاصة أو

لن سار سيرتهم كافة بمحاذية

لحال أهل تلك القرية

حدوا القذة بالقذة من غير

تفاوت بينهما ولو في خصلة

نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) وفي الآية مسائل  
 (المسئلة الاولى) انه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه  
 وحال من أكره على الكفر فذكر بسبب الخوف كلمة الكفر وحال من لم يذكرها ذكر بعده  
 حال من هاجر من بعد ما فتن فقال ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا (المسئلة الثانية)  
 قرأ ابن عامر فتوا بفتح الفاء على أسناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم الفاء على فعل  
 ما لم يسم فاعله أما وجه القراءة الاولى فأمر (الاول) أن يكون المراد أن الكافر المشركين  
 وهم الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم (والثاني) أن  
 فتن وأقتن بمعنى واحد كما يقال مان وأمان بمعنى واحد (والثالث) أن أولئك الضعفاء لما  
 ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم وانما جعل ذلك فتنه لان  
 الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت في ذلك الوقت وأما وجه القراءة بفعل ما لم يسم  
 فاعله فظاهر لان أولئك المفتونين هم المستضعفون الذين جعلهم أقوياء المشركين على الردة  
 والرجوع عن الايمان فيبين تعالى انهم اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله تعالى يغفر  
 لهم تكلمهم بكلمة الكفر (المسئلة الثالثة) قوله من بعد ما فتنوا يحتمل أن يكون المراد  
 بالفتنة هو أذيتهم عذبوا ويحتمل أن يكون المراد هو انهم خوفوا بالعذاب ويحتمل أن يكون  
 المراد ان أولئك المسلمين ارتدوا قال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من اموئنين كأبو بكرة  
 فعرضت لهم فتنه فارتدوا وشكوا في الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انهم أسلوا وهاجروا  
 فنزلت هذه الآية فيهم وقيل نزلت في عبد الله بن سعيد بن أبي شرح ارتد فلما كان يوم الفتح  
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لوجهنا هذه السورة مدينة أو جعلنا  
 هذه الآية منها مدنية ويحتمل أن يكون المراد ان أولئك الضعفاء المعذبين تكلموا بكلمة  
 الكفر على سبيل التقية فتوله من بعد ما فتنوا يحتمل كل واحد من هذه الوجوه الاربعة  
 وليس في اللفظ ما يدل على التبعين اذا عرفت هذا فنقول ان كانت هذه الآية نازلة فيمن  
 أظهر الكفر فالمراد ان ذلك مما لا اثم فيه وأن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم  
 يكره وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والتيسام بما يجب عليه يزيل ذلك  
 العقاب ويحصل له الغفران والرحمة فالهاء في قوله من بعدها تعود الى الاعمال المذكورة  
 فيما قبل وهي الهجرة والجهاد والصبر أما قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فغيره  
 ابجاث (الاول) قال الزجاج يوم منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون المعنى ان  
 ربك من بعدها الغفور رحيم يوم تأتي بمعنى انه تعالى يعطي الرحمة والغفران في ذلك اليوم  
 الذي يعظم احتياج الانسان فيه الى الرحمة والغفران (والثاني) أن يكون التقدير  
 وذكرهم أو اذكر يوم كذا وكذا لان معنى القرآن العظة والانذار والتذكير (البحث  
 الثاني) لقائل أن يقول النفس لا تكون لها نفس أخرى فانه في قوله كل نفس تجادل

قذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويخطف الناس من حولهم وما يمر بهم طيف من الخوف وكانت تجبي اليه  
 ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم وأي رسول يحار في ادراك سمورتيه العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف  
 الديور والقبول فكفروا بأنهم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فاذا فهم الله لباس الجوع

والخوف حيث أصابهم ببطائه عليه السلام بقوله اللهم أعني عليهم بسير مع يوسف ما أصابهم من حديد شديد وأزمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم الى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهر وهو الوبر المعالج باللهم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرابا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغربون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم ﴿ ٥٢٨ ﴾ من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه

حسن النظام وأما ما أجمع عن نفسها والجواب النفس قد يراد به بد الحى وقد يراد به ذات الشئ وحقيقته فالنفس الأولى هي الجنة والبنو والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمله شأن غيره قال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب نفسي نفسي حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا السبيل وقولهم والله ربنا ما كنا منكين ثم قال تعالى وتوفي كل نفس ما عملت فيه محذوف والمعنى توفي كل نفس جزء ما عملت من غير بخش ولا نقصان وقوله وهم لا يظلمون قال الواحدى معناه لا يتقصون قال القاضى هذه الآية من أقوى ما يدل على ما ذهب اليه في الوعيد لانها تدل على انه تعالى يوصل الى كل أحد حقه من غير نقصان ولو انه تعالى أزال عقاب المذنب بسبب الشفاعة لم يصح ذلك والجواب لان طواهر العمومات يدل على قولكم الآن مذهبنا ان التمسك بطواهر العمومات لا يفيد القطع وأيضا فطواهر الوعيد معارضة بطواهر الوعد ثم ينفى في سورة البقرة في تفسير قوله بلى من كسب سنته وأحاطت به خطيئته ان جانب الوعد راحح على جانب الوعد من وجوه كثيرة والله أعلم \* قوله تعالى ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الأولى ) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف كما ذكره في هذه الآية ( المسئلة الثانية ) المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موحودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ موحود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتللك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة ( المسئلة الثالثة ) ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات ( الصفة الأولى ) كونها آمنة أى ذات أمن لا يفار عليهم كما قال ولم يروا أناجعلنا حراما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والامر في مكة كان كذلك لان العرب كان يغير بعضهم على بعض أما أهل مكة فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونه ويخصونهم بالتعظيم والتكريم واعلم انه يجوز وصف القرية بالامن وان كان ذلك لاهلها لاجل انها مكان الأمن وظرفه والطروف من الازمنة والامكنة توصف بما حلها كما يقال طيب وبارد ( والصفة الثانية ) قوله مطمئنة قال الواحدى معناه انها قارة ساكنة فاهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لخوف أو ضيق أقول ان كان المراد من كونها مطمئنة انهم لا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف فهذا هو معنى كونها آمنة وان كان المراد انهم لا يحتاجون الى

عنه النفس النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله تعالى وقد جاءهم لاهل مكة وقد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم وأن المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من الجذب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه ( فكلوا مما رزقكم الله ) مفرع على نتيجة التمثيل وصدلهم عما يودى الى مثل عاقبته والمعنى واذا قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله هو كحبيب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتي والى أولها وآخرها فانتهاوا بها أنتم عليه من كفران المنعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يجعل بكم مثل ما حل بهم واعر فوا بحق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه واكلوا من رزق الله حلالا كونه ( حلالا طيبا ) وذروا ما تضرعون من حريم

بالبطير ونحوها (واشكروا نعمة الله) واعر فوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والغاء في المعنى **﴿ الانتقال ﴾** معاملة على الامر بالشكر وإنما أدخلت على الامر بالاكل ليكون ادكل ذريعة الى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله فبأكلها حلالا طيبا وقد أخرج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب

في أن هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفا بعد وقد تمهدت مبادئه وبعد ما وقع ما وقع من هذا الذي يحدر من ذالذي يؤمر بالاكل والشكر وحل قوله تعالى فأخذهم لعذاب وهم ظالمين على الاخبار بذلك قبل الوقوع بآية التصدي لاستئصالهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع أن ما يلوه من خطاب النبي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدى ﴿ ٥٢٩ ﴾ حيث قال فكلوا أتم بامعشر المؤمنين مما رزقكم

الله من الغنائم مما لا يليق  
بشأن التنزيل الجليل  
(ان كنتم اياه تعبدون)  
اي تطيعون أو ان صح  
زعكم انكم تفقدون  
بعبادة الآلهة عبادته  
تعالى (انما حرم عليكم  
الميتة والدم ولحم الخنزير  
وما أهل لغير الله به)  
تعليل لحل ما أمرهم  
بأكله مما رزقهم اي  
انما حرم هذه الاشياء  
دون ما تزعمون حرمة  
من البحار والسواحب  
وبحورها (فن اضطر)  
بما اعتراه من الضرورة  
فتناول شيئا من ذلك  
(غير باغ) اي على مضطر  
آخر (ولا عاد) اي مجاوز  
قدر الضرورة (فان ربك  
غفور رحيم) اي لا يؤاخذ  
خذ بذلك فأقيم سببه  
مقامه وفي التعرض  
لوصف الربوبية ايماء  
الى علة الحكم وفي الاضائه  
الى ضميره عليه السلام  
اظهار لكمال اللطف  
به عليه السلام وتصدير  
الجملة بانما لحصر المحرمات  
في الاجناس الاربعة

الانتقال عنها بسبب الضيق فهذا هو معنى قوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان وعلى كلا التقديرين فانه يلزم التكرار والجواب ان العقلاء قالوا

ثلاثة ليس لها نهاية \* الامن والصحة والكفاية

فقوله آمنة إشارة الى الامن وقوله مطمئنة إشارة الى الصحة لان هواء ذلك البلد لما كان ملائما لمرزقهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه وقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان إشارة الى الكفاية قال المفسرون وقوله من كل مكان السبب فيه اجابة دعوة ابراهيم عليه السلام وهو قوله فاجعل أئمة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات ثم انه تعالى لما وصف القرية بهذه الصفات الثلاثة قال فكفرت بأنعم الله الانعم جمع نعمة مثل أشد وشدة أقول ههنا سؤال وهو ان الانعم جمع قلة فكان المعنى أن أهل تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من النعم فعذبها الله وكان اللائق أن يقال انهم كفروا بنعم عظيمة لله فاستوجبوا العذاب فما السبب في ذكر جمع القلة والجواب المقصود التنبه بالادنى على الاعلى يعنى ان كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى بايجاب العذاب وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبانفواق ايدائه فلا جرم سلط الله عليهم البلاء قال المفسرون عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجف والعظام والعلهن والتدما بالخوف فهوان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم سرايا فيغيرون عليهم ونقل ابن الراوندى قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابي لا لباس ولا لباس يا أيها السناس هب انك تشك ان محمدا ما كان نبيا أما كان عربيا وكان مقصود ابن الراوندى الطعن في هذه الآية وهوان اللباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال فكساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع وأقول جوابه من وجوه (الاول) ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان (أحدهما) أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع (والثاني) ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاطهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحصل انه حصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله تعالى كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (الوجه الثاني) ان التقدير ان الله عرفها لباس الجوع والخوف الا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالشم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف وهو الاختيار تقول ناظر فلا يذوق ما عنده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها \* وسبق اليها عذبا وعذابها

ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال فكما قال تقول تعرفت سوء اثر الخوف والجوع على فلان كذلك

الاما ضم اليه كالسباع ﴿ ٦٧ ﴾ خا والجر الاهلية ثم أكد ذلك بانتهى عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أهوات أى لا تقولوا في شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا

وَعُزِمَ عَلَى أَزْوَاجِنَا مِنْ تَحْرِيرِ رَبِّكَ ذَلِكَ الْوَصْفُ عَلَى مِلْحَظَةِ وَفِكْرٍ فَضْلًا عَنْ اسْتِنَادِهِ إِلَى وَحْيٍ أَوْ قِيَاسٍ مَبْنِي عَلَيْهِ (الكذب) متعصب بلا تقولوا وقوله تعالى (هذا حلال وهذا حرام) يدل منه ويجوز أن يتعلق بتصرف على إرادة القول أى لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالاً من السنتهم أى قائله هذا حلال الخ ويجوز أن ينصب الكذب ﴿ ٥٣٠ ﴾ بتصرفه يتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام

للتعليل وما مصدرية  
أى لا تقولوا هذا حلال  
وهذا حرام لوصف  
ألسنتكم الكذب أى  
لا تحلوا ولا تحرموا مجرد  
وصف ألسنتكم الكذب  
وتصور حاله بصورة  
مستحسنة وتزبينها له  
في السامع كأن ألسنتهم  
لكونها منشأ الكذب  
ومتبعاً للزور يخص طام  
بكنهه ومحيط بحقيقته  
يصفه للناس ويعرفه  
أوضح وصف وأبين  
تعريف على طريقة  
الاستعارة بالكناية كما  
يقال وجهه يصف  
أبجال وعينه تصف  
السحور قري بالجر صفة  
لما مع مدخولها كأنه قيل  
لوصفها الكذب بمعنى  
الكاذب كقوله تعالى  
بدم كذب والمراد بالوصف  
وصفها البهائم بالحل  
والحرمة وقري الكذب  
جمع كدوب بالرفع صفة  
للاسنه وبالتصبي على  
الشم أو بمعنى الكلاه  
الكواذب أو هو جمع  
الكذاب من قولهم

يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان (والوجه الثالث) أن يحل لفظ اللبس على المماسه فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وأخرجوه من مكة وهموا بقتله قال الفراء ولم يقل بما صنعت ومثله في القرآن كثير ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بيتاً أو هم قائلون وإيقل قائله وتحقيق الكلام أنه تعالى وصف القرية بأنها مطمئنة يأتيها رزقها رغداً فكفرت بأنعم الله فكل هذه الصفات وإن أجزيت بحسب اللفظ على القرية إلا أن المراد في الحقيقة أهلها فلا جرم قال في آخر الآية بما كانوا يصنعون والله أعلم \* قوله تعالى (واقدموا إليهم رسولهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) اعلم أنه تعالى لما ذكر المثل ذكر المثل فقال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم يعني من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه فكذبوه فأخذهم العذاب قال ابن عباس رضى الله عنهما يعني الجوع الذى كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وأقول قول ابن عباس أولى لأنه تعالى قال بعده فكلوا مما رزقكم الله إن كنتم إياه تعبدون يعني إن ذلك الجوع إنما كان بسبب كفركم فاتركوا الكفر حتى تأكلوا فلهذا السبب قال فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس رحمه الله فكلوا بما عثر المسلمين مما رزقكم الله يريد من الغنائم وقال الكلبي إن رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فإبل النسوان والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في حل الطعام إليهم فحمل إليهم الطعام فقال الله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً والقول ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ويدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل الآية يعني انكم لما أنتمم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنمية واتركوا الحباثت وهي الميتة والدم \* قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) اعلم أن هذه الآية إلى آخرها مذكورة في سورة البقرة مفسرة هناك ولا فائدة في الإعادة وأقول أنه تعالى حصر المحرمات في هذه الأشياء الأربعة في هذه السورة لأن لفظة انما تفيد الحصر وحصرها أيضاً في هذه الأربعة في سورة الأنعام في قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها أيضاً في هذه الأربعة في سورة البقرة لأن هذه الآية بهذه اللفظة وردت في سورة البقرة وحصرها أيضاً في سورة المائدة فإنه تعالى قال في أول هذه السورة أحلت لكم جميعاً الأنعام إلا ما تلى عليكم فأباح الكل إلا ما تلى عليهم وأجدهوا على أن المراد بقوله عليكم هو قوله تعالى في تلك السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فذكر تلك الأربعة المذكورة في تلك السورة الثلاثة ثم قال والنخنة والموقوذة والمتريفة والنطيحة وما أكل السبع

كذب كذاباً ذكره ابن جني (تفوتوا على الله الكذب) فإن مدار الحل والحرمه ليس الأمر الله تعالى ﴿ ٥٣١ ﴾ فالحكم بالحل والحرمه استناداً للتعليل والتحرير إلى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام العاقبة (إن الذين يفترون على الله الكذب) في أمر من الأمور (لا يفطنون) لا يفوزون بمطابقتهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها (متاع قليل)

خير مبتدأ محذوف أمر متعصبهم



فياهم عليه من افعال الجاهلية منغمة قليلة ( ولهم ) في الآخرة (عذاب أليم) لا يكتنه كنهه (وعلى الذين هادهم وا) خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين (حرمتنا ما قصصنا عليك) أي بقوله تعالى حرمتنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم شحومهما الآية ( من قبل ) متعلق بقصصنا أو بحرمتنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود ﴿ ٥٣١ ﴾ وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة

عليه وإنما كانت محرمة على نوح و ابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر اليها (وما ظلمناهم) بذلك التحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبنا على عليهم قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمتنا عليهم طبيبات أحلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قل لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطبيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ( ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة)

الاما ذكيتهم وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو أحد الاقسام الداخلة تحت قوله وما أهل به لغير الله فثبت ان هذه السور الاربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة فن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة الاما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل أن نخشى عليه لان هذه السورة دلت على أن حصر المحرمات في هذه الاربعة كان شرعا ثابتا في أول أمر مكة وآخرها وأول المدينة وآخرها وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعا للاعتذار وإزالة للشبهة والله أعلم \* قوله تعالى ( ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم ) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما حصر المحرمات في تلك الاربعة باع في تأكيده ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي النقصان عنها أخرى فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خالصة لنا وكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادوا في المحرمات وزادوا أيضا في المحللات وذلك لانهم حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى فالله تعالى بين ان المحرمات هي هذه الاربعة وبين ان الاشياء التي يقولون ان هذا حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله ثم ذكر الوعيد الشديد على هذا الكذب وأقول انه تعالى لما بين هذا الحصر في هذه السور الاربعة ثم ذكر في هذه الآية ان الزيادة عليها والنقصان عنها كذب وافتراء على الله تعالى وموجب للوعيد الشديد علما انه لا مزيد على هذا الحصر والله أعلم (المسئلة الثانية) في انتصاب الكذب في قوله لما تصف ألسنتكم الكذب وجهان (الاول) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية والتقدير ولا تقولوا الا لاجل وصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نظيره أن يقال لا تقولوا الكذا كذا وكذا فان قالوا اجل الآية عليه يؤدي الى التكرار لان قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب عين ذلك والجواب ان قوله لما تصف ألسنتكم الكذب ليس فيه بيان كذب على الله تعالى فأعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليحصل فيه هذا البيان الزائد ونظائره في القرآن كثيرة وهو انه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة (الثاني) أن تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا الذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظه ليكون معلوما (المسئلة الثالثة) قوله تعالى تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام ويده كان ماهية الكذب وحقيقته مجهولة وكلامهم الكذب يكشف حقيقة الكذب ويوضح ماهيته وهذا ما بلغه في وصف كلامهم يكونه كذبا ونظيره قول أبي العلاء المعري سرى برق المعرفة بعد وهن \* فبات برامة يصف الكلالا

أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليم الجهل بالله وبقائه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء بعم الافتراء على الله تعالى وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك) أي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيده والمباينة ( وأصلحوا ) أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح ( ان ربك من بعدها ) من بعد

التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد  
واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الارقي الثابتين  
للايمان الى ان افاضه آثار الاربوية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكوثرهم من أتباعه كما أشير اليه  
فيما مر (ان ابراهيم كان أمة) على حياله لحيازة ﴿ ٥٣٢ ﴾ من الفضائل البشرية ما لا تنكاد توجد الا متفرقة

في أمة جمة حسبما قبل  
ليس على الله بمستنكر  
أن يجمع العالم في واحد  
وهو رئيس أهل التوحيد  
وقدوة أصحاب التحقيق  
جادل أهل الشرك  
وأقبحهم الحجر بينات  
باهرة لا تبتى ولا تذر  
وأبطل مذاهبهم الزائفة  
بالبراهين القاطعة والنجح  
الدامغة أولانه عليه  
السلام كان مؤمنا وحده  
والناس كلهم كفار وقيل  
هي فعلة بمعنى مفعول  
كالرحلة والنخبة من أمة  
اذا قصدته أو اقتدى به  
فان الناس كانوا  
يقصدونه ويتقدون  
بسيرته لقوله تعالى اني  
جاعلك للناس اماما  
وايراد ذكره عليه السلام  
عقيب تزييف مذاهب  
المشركين من الشرك  
والطعن في النبوة وتحريم  
ما أحله الله تعالى للايثار  
بان حقيقة دين الاسلام  
وبطلان الشرك وفروعه  
أمر ثابت لا ريب فيه  
(قاتلته) مطيعا له قائما  
بأمره (حنيفا) ماثلا

والمعنى ان سرى ذلك البرق يصف الكلال فكذا ههنا والله أعلم ثم قال تعالى لتفتروا على  
الله الكذب المعنى انهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل الى الله تعالى ويقولون انه  
أمرنا بذلك وأظن ان هذا الام لا يس لام الغرض لان ذلك الافتراء ما كان غرضاهم بل  
كان لام العاقبة كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا قال الواحدى وقوله لتفتروا على  
الله الكذب بدل من قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لان وصفهم الكذب هو افتراء على  
الله تعالى ففسروا وصفهم الكذب بالافتراء على الله تعالى ثم أوعد المفتريين وقال ان الذين  
يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن  
قريب فقال متاع قليل قال الزجاج المعنى متاعهم متاع قليل وقال ابن عباس بل متاع  
كل الدنيا متاع قليل ثم يردون الى عذاب أليم وهو قوله ولهم عذاب أليم \* قوله تعالى  
(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما طئناهم ولكن كانوا أنفسهم  
يظلمون) اعلم أنه تعالى لما بين ما يحل وما يحرم لاهل الاسلام أتبعه بيان ما خص اليهود به  
من المحرمات فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وهو الذى سبق ذكره  
في سورة الانعام ثم قال تعالى وما طئناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وتفسيره هو  
المذكور في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم \* قوله تعالى  
(ثم ان ربك للذين عموا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها  
لغفور رحيم) اعلم أن المقصود بيان ان الافتراء على الله ومخالفة أمر الله لا ينعهم من  
التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولفظ السوء يتناول كل ما لا يبغي وهو الكفر والمعاصي  
وكل من عمل السوء فاعما يفعله بالجهالة أما الكفر فلان أحد الايرضى به مع العلم بكونه  
كفرا فانه ما لم يعتقد كون ذلك المذهب حقا أو صدقا فانه لا يتخاره ولا يرتضيه وأما المعصية  
فالم تصير الشهوة غالبة للعقل والعلم تصد عنه تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء  
فانما يقدم عليه بسبب الجهالة فقال تعالى اننا قد ابتغنا قى تهديدا وثلك الكفار الذين  
يحللون ويحرمون بمقتضى الشهوة والغريزة على الله تعالى ثم ان بعد ذلك نقول ان ربك  
في حق الذين عملوا السوء بسبب الجهالة ثم تابوا من بعد ذلك أى من بعد تلك السيئة وقيل  
من بعد تلك الجهالة ثم انهم بعد التوبة عن تلك السيئات أصلحوا أى آمنوا وأطاعوا الله  
ثم أعاد قوله ان ربك من بعدها على سبيل التأكيد ثم قال لغفور رحيم والمعنى انه  
لغفور رحيم لذلك السوء الذى صدر عنهم بسبب الجهالة وحاصل الكلام ان الانسان  
وان كان قد أقدم على الكفر والمعاصي دهرا دهرا وأمدامديدا فاذا تاب عنه وآمن  
وأبى بالأعمال الصالحة فان الله غفور رحيم يقبل توبته ويخلصه من العذاب \* قوله  
تعالى (ان ابراهيم كان أمة قاتلته حنيفا ولم يك من المشركين شاكر الانعمه اجتباه  
وهده الى صراط مستقيم وأتيناها في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين

عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال (وليك من المشركين) في أمر من امورد دينهم \* ثم  
أصلا وفروعا صرح بذلك مع ظهوره لاردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة آيتنا ابراهيم بل عليهم وعلى  
اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افتراءهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان

على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينظم  
 أمر ايراد التحريم والسبب سابقا ولاحقا (شاكر لا نعمه) صفة ثالثة لامة وانما أثر صيغة جمع القلة للايدان بانه عليه  
 السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة والتصریح بكونه عليه السلام علي اختلاف ما هم عليه من الكفران  
 بأنعم الله تعالى حسبما بين ذلك ﴿ ٥٣٣ ﴾ بضرب المثل (اجتباء) للنبوة (وهدها الى صراط مستقيم) موصل اليه

سبحانه وهو ملة الاسلام  
 وليست نتيحة هذه  
 الهداية مجرد اهتدائه  
 عليه السلام بل مع  
 ارشاد الخلق أيضا  
 بمعونته قرينة الاجتباء  
 (وآتيانه في الدنيا حسنة)  
 حالة حسنة من الذكر  
 الجليل والثناء فيما بين  
 الناس قاطبة حتى انه  
 ليس من أهل دين  
 الا وهم يتولونه وقيل  
 هي الخلة والنبوة وقيل  
 قول المصلي منا كما صليت  
 على ابراهيم والالتفات  
 الى التكلم لاظهار كمال  
 الاعتناء بشانه وتفضيم  
 مكانه عليه الصلاة  
 والسلام (وانه في الآخرة  
 لمن الصالحين) أصحاب  
 الدرجات العالية في  
 الجنة حسبما ساله بقوله  
 وألحني بالصالحين  
 واجعل لي لسان صدق  
 في الآخرين واجعلني  
 من ورثة جنة النعيم  
 (ثم أوحينا اليك) مع  
 علو طبقتك وسهولتبتك  
 (أن اتبع ملة ابراهيم)  
 الملة اسم لما شرعه الله

ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اعلم أنه تعالى لما زيف  
 في هذه السورة مذاهب المشركين في أشياء منها قولهم بإثبات الشركاء والانداد لله تعالى  
 ومنها طعنهم في نبوة الانبياء والرسول عليهم السلام وقولهم لو أرسل الله رسولا لكان ذلك  
 الرسول من الملائكة ومنها قولهم بتحليل أشياء حرمها الله وتحريم أشياء أباحها الله تعالى  
 فلما بالغ في ابطال مذاهبهم في هذه الاقوال وكان ابراهيم عليه السلام رئيس الموحدين  
 وقدوة الاصوليين وهو الذي دعا الناس الى التوحيد وابطال الشرك والى الشرائع  
 والمشركون كانوا مقتضين به معترفين بحسن طريقته مقربين بوجود الاقتداء به  
 لاجرم ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك  
 حاملا لهم والامم المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك واعلم أنه تعالى وصف  
 ابراهيم عليه السلام بصفات (الصفة الاولى) انه كان أمة وفي تفسيره وجوه (الاول) انه  
 كان وحده أمة من الامم لكمالها في صفات الخير كقوله

ليس على الله بمشرك \* أن يجمع العالم في واحد

(الثاني) قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا فلهذا المعنى كان وحده  
 أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده  
 (الثالث) أن يكون أمة فعلة بمعنى مقبول كالرحلة والبيعة فالامة هو الذي يؤتم به  
 ودليله قوله اني جاعلك للناس اماما (الرابع) انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله  
 جعلت أمة متمازين عن سواهم بالتوحيد والدين الحق ولما جرى مجرى السبب لحصول  
 تلك الامة سماه الله تعالى بالامة اطلاقا لاسم السبب على السبب وعن شهر بن حوشب  
 لم يتبق أرض الا وفيها أربع عشرة يدفع الله اليهم عن أهل الأرض الا زمن ابراهيم عليه  
 السلام فانه كان وحده (الصفة الثانية) كونه قانتا لله والقانت هو القائم بما أمره الله  
 تعالى به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه كونه مطيعا لله (الصفة الثالثة) كونه حنيفا  
 والحنيف المائل الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما انه أول  
 من اختن وأقام مناسك الحج وضحى وهذه صفة الحنيفية (الصفة الرابعة) قوله ولم يك  
 من المشركين معناه انه كان من الموحدين في الصغر والكبر والذي يقرر كونه كذلك  
 ان اكثر همته عليه السلام كان في تقرير علم الاصول فذكر دلائل اثبات الصانع مع ملك  
 زمانه وهو قوله ربني الذي يحيي ويميت ثم ابطال عبادة الاصنام والكواكب بقوله  
 لأحب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن أقوه في النار ثم طلب  
 من الله أن يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له من يد الطمانينة ومن وقف على علم القرآن  
 علم أن ابراهيم عليه السلام كان غارقا في بحر التوحيد (الصفة الخامسة) قوله شاكر  
 لأنعمه روى أنه عليه السلام كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فآخر  
 غذاه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فاطمروا أن بهم

تعالى اعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من أمم الكتاب اذا أملت له وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه  
 أن الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يعبد ويعمل به يسمى دينا قال  
 الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه

هو إلى آحاد الأمة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بعلمته عليه السلام الاسلام الذي خبر عنه أنفا  
 فالصراط المستقيم (حينئذ) حال من المضائق اليه لما أن المضائق لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فقد  
 بذلك من قبيل رأيت وجهه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من  
 التراخي في الرتبة للإيدان بأن هذه النعمة من أجل النعم \* ٥٣٤ \* الفاضلة عليه عليه السلام (وما كان

علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكلكم فلو لا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا  
 البلاء \* فان قيل لفظ الاثم جمع قلة ونعم الله تعالى على ابراهيم عليه السلام كانت كثيرة  
 فلما قال شاكر لا نتممه \* قلنا المراد انه كان شاكرًا لجميع نعم الله ان كانت قليلة فكيف  
 الكثيرة (الصفة السادسة) قوله اجتباه أي اصطفاه بالنبوة والاجتباه هو أن تأخذ الشيء  
 بالكلية وهو افتعال من جبيت وأصله جمع الماء في الحوض والحياية هي الحوض  
 (الصفة السابعة) قوله وهداه إلى صراط مستقيم أي في الدعوة إلى الله والتزغيب في الدين  
 الحق والتنفير عن الدين الباطل نظيره قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيم أفاتيوه  
 (الصفة الثامنة) قوله وآتينا في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله حببه إلى كل الخلق فكل  
 أهل الأديان يقرون به أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر  
 العرب فلا فخر لهم الا به وتحقيق الكلام ان الله أجاب دعاه في قوله واجعل لي لسان صدق  
 في الآخرين وقال آخرون هو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم  
 وقيل الصدق والوفاء والعبادة (الصفة التاسعة) قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين  
 فان قيل لم يقل وانه في الآخرة لمن الصالحين ولم يقل وانه في الآخرة في أعلى مقامات  
 الصالحين قلنا لانه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لي حكما وألحقي بالصالحين فقال هبنا  
 وانه في الآخرة لمن الصالحين تنبيها على أنه تعالى أجاب دعاه ثم ان كونه من الصالحين  
 لا ينبغي أن يكون في أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين ذلك في آية أخرى وهي قوله  
 وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء واعلم أنه تعالى لما وصف  
 ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة قال ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة  
 ابراهيم حنيفا وفيه مباحث (البحث الاول) قال قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على  
 شريعة ابراهيم عليه السلام وليس له شرع هو به منفرد بل المقصود من بعثته عليه السلام  
 احياء شرع ابراهيم عليه السلام وعود في اثبات مذهبه على هذه الآية وهذا القول  
 ضعيف لانه تعالى وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين فلما  
 قال واتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما بنى الشرك  
 وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حل  
 قوله أن اتبع على هذا المعنى فوجب حمل على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها قلنا  
 يحتمل أن يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو اليه  
 بطريق الرفق والسهولة ويراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة  
 المألوفة في القرآن (البحث الثاني) قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم أوحينا إليك  
 تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والإيدان بأن أشرف  
 ما أوتي خليل الله من الكرامة وأجل ما أوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد هذا النعم في المرتبة عن سائر المدائح

من المشركين) تكرر  
 لما سبق لزيادة تأكيد  
 وتقرير انزاهته عليه  
 السلام عما هم عليه  
 من عقد وعمل وقوله  
 تعال (انما جعل السبب)  
 أي فرض تعظيمه  
 واتمخلى فيه للعبادة وترك  
 الصيد فيه تحقيق لذلك  
 النبي الكلي وتوضيح له  
 بإبطال ما عسى يتوهم  
 كونه قادحا في كليته  
 حسبما سلف في قوله  
 تعال وعلى الذين  
 هادوا حرمان الخ  
 فان اليهود كانوا يدعون  
 أن السبب من سائر  
 الاسلام وأن ابراهيم  
 عليه السلام كان محافظا  
 عليه أي ليس السبب  
 من شرائع ابراهيم  
 وشعار ملته التي أمرت  
 باتباعها حتى يكون بينه  
 عليه الصلاة والسلام  
 وبين بعض المشركين  
 علاقة في الجملة وانما  
 شرع ذلك لبني اسرائيل  
 بعد مدة طويلة وإيراد  
 الفعل مبنيا للمفعول  
 جرى على سنن الكبرياء

وأيذا نعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الاستناد إلى الضمير وقد قرى على البناء للفاعل وانما هو التي  
 خبر عن ذلك بالجمل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبب (على الذين اختلفوا  
 فيه) للإيدان بتخصيه للتشديد والابتلاء المؤدى إلى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع

اشاره على ما امر الله تعالى به واختار العكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وكقوم القائله لفر يقين بل باعتبار حال منشا الاختلاف من الطرفين المتخالفين الحق وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا زيد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شردمة منهم قدر ضوا بالجمعة \* ٥٣٥ \* فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم

الصيده فيه فأطاع أمرنا  
الله تعالى الراضون  
بالجمعة وكانوا لا يصيدون  
وأعقابهم لم يصبروا عن  
الصيد فسخطهم الله  
سبحانه فردة دون أولئك  
المطيعين ( وان ربك  
ليحكم بينهم ) اي بين  
الفرقتين المختلفتين فيه  
( يوم القيامة فيما كانوا  
فيه يختلفون ) اي يفصل  
ما بينهما من الخصومة  
والاختلاف فيجازي  
كل فريق بما يستحقه  
من الثواب والعقاب  
وفيه ايماء الى أن ما وقع  
في الدنيا من مسخ  
أحد الفرقتين وانجاء  
الآخر بالنسبة الى ما  
سيقم في الآخرة شيء  
لا يذهب هذا هو الذي  
يستدعيه الإعجاز التنزيلى  
وقيل المعنى انما جعل  
وبال السبت وهو المسخ  
على الذين اختلفوا فيه  
اي أحلوا الصيد فيه تارة  
وحرموه أخرى وكان  
حنطا عليهم أن يتفقوا  
على تحريمه حسب أمر الله  
سبحانه به وفسر الحكم

التي مدحه الله بها \* قوله تعالى ( انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك  
ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ) اعلم أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه  
وسلم بتبعية ابراهيم عليه السلام وكان محمد عليه السلام اختار يوم الجمعة فهذه المتابعة  
انما تحصل اذا قلنا ان ابراهيم عليه السلام كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة وعند هذا  
لسائل أن يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فأجاب الله تعالى عنه بقوله انما جعل السبت  
على الذين اختلفوا فيه وفي الآية قولان ( الاول ) روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن  
عباس رضي الله عنهما أنه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرخوا لله في كل سبعة أيام يوما  
واحدا وهو يوم الجمعة لا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم فأبوا أن يقولوا ذلك وقالوا ان زيد  
الا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل الله تعالى السبت لهم وشدد  
عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بالجمعة فقالت النصراني لاني لا بد أن يكون  
عبيدكم بعد عبيدنا واتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالتاس لنا فيه  
تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى على الذين اختلفوا  
فيه أي على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختلفوا في السبت فاختلافهم في السبت كان  
اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود  
اختلفوا فيه فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك فلا يمكن  
تفسير قوله اختلفوا فيه بهذا بل الصحيح ما قدمناه فان قال قائل هل في العقل وجه يدل  
على أن يوم الجمعة أفضل من يوم السبت وذلك لان أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى  
خلق العالم في ستة أيام وبدأ تعالى بالخلق والتكوين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة فكان  
يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فميناو السبت  
لهذا المعنى وقالت النصراني مبدأ الخلق واتكويرن هو يوم الاحد فجعل هذا اليوم  
عبدنا فهذان الوجهان معقولان فالوجه في جعل اليوم الجمعة عيدنا قلنا يوم الجمعة  
هو يوم الكمال والتمام وحصول التمام والكمال يوجب الفرحة الكامل والسرور العظيم  
فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى من هذا الوجه والله أعلم ( القول الثاني ) في اختلافهم  
في السبت أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا  
في تحريمه على كلمة واحدة ثم قال تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه  
يختلفون والمعنى انه تعالى سيحكم يوم القيامة للمحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب  
\* قوله تعالى ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن  
ان ربك هو اعلم بن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ) اعلم أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله  
عليه وسلم بتبعية ابراهيم عليه السلام بين الشيء الذي أمره بتباعته فيه فقال ادع الى سبيل  
ربك بالحكمة واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحده هذه الطرق الثلاثة وهي

ينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالاحلال تارة والتحريم أخرى ووجه ابراده ههنا بأنه أريد به انذار المشركين من  
سخط الله تعالى على العصاة والمتخالفين لا وأمره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا يربى في أن كلمة بينهم  
تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفرقتين من الاختلاف وأن توسط حديث المسخ للانذار المذكور

بين جحابة امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فامل ( ادع ) اي من بعث اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول لتعميمه وافعل الدعوة كافي قولهم يعطى و يمنع أى يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة عنى عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه ﴿ ٥٣٦ ﴾ مخصوص (الى سبيل ربك) الى الاسلام الذى عبر

عنه تارة بالصراف المستقيم وأخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفي الترض لعنوان الربوبية المنبثقة عن المالكية وتبليغ الشئ الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عليه الصلاة والسلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشرعية من الدلالة على اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والاياء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى ( بالحكمة ) اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المريح المشبهة (والموعظة الحسنة) اي الخطايات المنقذة والعبر النافذة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصدهم ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز أن يكون المراد

الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقا متغايرة متباينة وما رأيت للمفسرين فيه كلاما ملخصا مضبوطا واعلم أن الدعوة الى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينه والمقصود من ذكر الحجج اما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين واما أن يكون المقصود الزام الخصم وفتحامه أما القسم الاول فينقسم أيضا الى قسمين لأن تلك الحجج اما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض واما أن لا تكون كذلك بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والاقناع الكامل فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الاقسام الثلاثة ( اولها ) الحجج القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وذلك هو المسمى بالحكمة وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات وهي التي قال الله في صفتها ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ( وثانيها ) الامارات الطنية والدلائل الاقناعية وهي الموعظة الحسنة ( وثالثها ) الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها الزام الخصوم وفتحامهم وذلك هو الجدل ثم هذا الجدل على قسمين ( أحدهما ) أن يكون دليلا مر كبا من مقدمات مسلمة في المشهور عند الجمهور أو مقدمات مسلمة عند ذلك القائل وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن ( والقسم الثاني ) أن يكون ذلك الدليل مر كبا من مقدمات باطلة فاسدة الا أن قائلها يحاول تر ويجها على المستمعين بالسقاهة والشغب والحيل الباطلة والطرق الفاسدة وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل اعمال اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج في هذه الاقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية اذا عرفت هذا فنقول أهل العلم ثلاث طوائف الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية والمكاملة مع هؤلاء لا تمكن الا بالدلائل القطعية اليقينية وهي الحكمة والقسم الثاني الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية والمكاملة اللاتقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الافحام والالزام وهذان القسمان هما الطرفان فالاول هو طرف الكمال والثاني طرف النقصان واما القسم الثالث فهو الواسطة وهم الذين ما بلغوا في الكمال الى حد الحكماء المحققين وفي النقصان والذالة الى حد المشاغبين المخاصمين بل هم أقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكيمية والمكاملة مع هؤلاء لا تمكن الا بالموعظة الحسنة وأدناها المجادلة وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون وأوسطهم عامة الخلق وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة والغلبة وأدنى المراتب الذين جبلوا على طبيعة المنازعة والمخاصمة فقوله تعالى ادع الى سبيل ربك

بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين ( وجادلهم ) اي ناظر معانديهم ( بالتي هي أحسن ) ﴿ بالحكمة ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكين الشغب واطفاء لهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ( ان ربك هو أعلم بن صل عن سبيله ) الذي أمر بك بدعوة

الخلق اليه وأعرض عن قبول الحق بعدما جاب ما جاب من الحكم والمواظع والعباد (وهو أعلم بالهتدين) اليه بذلك وهو  
 لتليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى أعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فإنه تعالى هو أعلم بحال من لا  
 يعرض عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصبر أمره الى الاهتداء لما فيه من خير جليلي فأنشره لك في  
 الدعوة وهو الذي تقتضيه الحكمة فإنه كاف ﴿ ٥٣٧ ﴾ في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين أو ما عليك الاما ذكر

من الدعوة والمجادلة  
 بالاحسن وأما حصول  
 الهداية أو الضلال  
 والمجازاة عليهم ما قاله الله  
 سبحانه اذ هو أعلم بمن  
 يبقى على الضلال ومن  
 يهتدى اليه فيجازي  
 كلامهم بما يستحقه  
 وتقديم الضالين لما أن  
 مساق الكلام لهم ويراد  
 الضلال بصيغة الفعل  
 الدال على الحدوث  
 لما أنه تغير لفظة الله التي  
 فطر الناس عليها  
 واعراض عن الدعوة  
 وذلك أمر عارض بخلاف  
 الاهتداء الذي هو عبارة  
 عن الثبات على الفطرة  
 والجريان على موجب  
 الدعوة ولذلك جئ به على  
 صيغة الاسم النبي عن  
 الثبات وتكريره هو أعلم  
 للتأكيد والشعار بنين  
 حال المعلومين وما لهما  
 من العقاب والثواب وبعد  
 ما أمره عليه الصلاة  
 والسلام فيما يختص به  
 من شأن الدعوة بما  
 أمره به من الوجه اللائق

بالحكمة معناه ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعية  
 اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلائل اليقينية الاقناعية الظنية وتكلم  
 مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن الاكمل \* ومن لطائف هذه الآية أنه قال  
 ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين  
 لان الدعوة ان كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة وان كانت بالدلائل الظنية  
 فهي الموعظة الحسنة أما الجدل فليس من باب الدعوة بل المقصود منه عرض آخر مغاير  
 للدعوة وهو الازام والافحام فهذا السبب لم يقل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة  
 الحسنة والجدل الاحسن بل قطع الجدل عن باب الدعوة تبييناً على أنه لا يحصل الدعوة  
 وانما الغرض منه شيء آخر والله أعلم واعلم أن هذه المباحث تدل على انه تعالى أدرج  
 في هذه الآية هذه الاسرار العالوية الشريفة مع أن أكثر الخلق كانوا غافلين عنها فظهر  
 ان هذا الكتاب الكريم لا يهتدى الى ما فيه من الاسرار الامن كان من خواص  
 أولى الابصار ثم قال تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين والمعنى  
 انك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة فاما حصول الهداية فلا يتعلق بك  
 فهو تعالى أعلم بالضالين وأعلم بالمهتدين والذي عندي في هذا الباب ان جواهر النفوس  
 البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانيات كثيرة  
 الانجذاب الى عالم الروحانيات وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديدة  
 الالتفات الى الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع  
 انقلابها وزوالها فهذا قال تعالى اشتمل أنت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية  
 لكل فإنه تعالى هو العالم بضلال النفوس الضالة الجاهلة وباشراق النفوس المشرقة  
 الصافية فلكل نفس فطرة مخصوصة وماهية مخصوصة كما قال فطرة الله التي فطر الناس  
 عليها لا يتبدل خلق الله والله أعلم \* قوله تعالى ( وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق  
 مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) في الآية مسائل ( المسئلة  
 الاولى ) قال الواحدى هذه الآية فيها ثلاثة أقوال ( أحدها ) وهو الذى عليه العامة ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة وقد مثلوا به قال والله لأمثلن بسبعين منهم مكابك  
 فنزل جبريل عليه السلام بخواتيم سورة النحل فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأمسك عما أراد وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وأبي بن كعب  
 والسعبي وعلى هذا قالوا ان سورة النحل كلها مكية الا هذه الآيات الثلاث ( والقول  
 الثاني ) ان هذا كان قبل الامر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال  
 مع من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم  
 ولا تقعدوا ان الله لا يحب المعتدين وفي هذه الآية أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما صيبتهم

عقبه بخطاب شامل له ولئن شابهه فيما يعم ﴿ ٦٨ ﴾ خا الكل فقال ( وان عاقبتهم ) أى ان أردتم الما قبة على طريقة  
 قول الطيب للحتمى ان أكلت فكل قليلاً ( فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) أى بمثل ما فعل بكم وقد عذر عنه بالعقاب على طريقة  
 اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدن اعداؤه وعلى نهيم المشاكلة والمقصود ان يجاب مرعاة العدل مع من ناصبهم

من غير تجاوز خيره. نال الجدل الى القتال وأدى النزاع الى الفراع فان الدعوة للمأثور بها لانكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة بمصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في فلاة غير معهود، فاضية عليهم بفساد ما باتون وما يذرمون وبطلان دين استمرت عليهم آباؤهم الاولون وقد صانقت عليهم الحبل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحتاجة والناظرة وأرجحت دونهم أبواب الباحثة ﴿ ٥٣٨ ﴾ والمحاوره وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حرة

من العقوبة ولا يزيدوا (واقول الثالث) ان المقصود من هذه الآية نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين قال ابن سيرين ان أخذ منك رجل شيئاً فخذ منه مثله وأقول ان حل هذه الآية على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى وذلك بطرق الطعن اليد وهو في غاية البعد بل الا صوب عندي أن يقال المراد أنه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق الى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن ثم ان تلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباؤهم وأسلافهم وبالأعراض عنه والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك بما يشوش القلوب ويوحش الصدور ويحمل أكثر المستمعين على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب ثانياً وبالشتيم ثالثاً ثم ان ذلك المحق اذا شاهد تلك السفاهات وسمع تلك المشاغبات لا بد وأن يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فمعهذا أمر المحققين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حل الآية عليه فان قيل فهل تفقدون فيما روي أنه عليه السلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية قلنا لا حاجة الى القدح في تلك الرواية لانا نقول تلك الواقعة داخله في عموم هذه الآية فيمكن التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية انما الذي ينزع فيه انه لا يجوز قصر هذه الآية على هذه الواقعة لان ذلك يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى أمر برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب (المرتبة الاولى) قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته وفي قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به دليل على ان الاولى له أن يفعل كما انك اذا قلت للبرص ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه ان الاولى بك أن لا تأكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض على ان الاولى تركه (المرتبة الثانية) الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا تصريح بأن الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة أفضل من القسوة والانفاع أفضل من الايلام (المرتبة الثالثة) وهو ورود الامر بالجزم بالترك وهو قوله واصبر لانه في المرتبة الثانية ذكر ان الترك خير وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالامر بالصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شاقاً شديداً ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله أي بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلي الاصلى المفيد في حصول الصبر وفي حصول جميع أنواع الطاعات ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصلى ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن عليهم ولانك في ضيق مما يمكرون وذلك لان اقدام الانسان على الانتقام وعلى ازالة الضرر بالغير لا يكون الا عند هيجان الغضب

رضي الله عنه يوم أحد قدمثل به قال لئن أظفرتي الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتهم فعقوا أي وان قفيتهم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير تجاوزين عنه والامروان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضاً وقد صرح به على الوجه الآكد قيل (ولئن صبرتم) اي عن المعاقبة بالمثل (لهو) اي اصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل (للصابرين) مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر أو وصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الصبر الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم في جنس الصابرين

دخولاً وأوليا ثم أمر عليه الصلاة والسلام صر يحاجب ان يدب اليه غيره تعريضاً من الصبر لانه أولى الناس ﴿ وشدة ﴾ بعزائم الامور زيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به قيل (واصبر) اي على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وطابت من امر اضهم عن الحق بالكلية (وما صبرك الا بالله) استثناء مفرغ من أعم الاشياء أي



وما صبرك ملا بساوم مع هو بابشي من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق في مراقبة شؤنه والتبتل اليه بمجامم الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه بالامر بدعليه أو الابدئسته المبني على حكم بالغة مستبعدة لعواقب جديدة فالتسليمة من حيث اشتتاه على غايات جميلة وقيل الابتوفيقه ومعونته نهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ( ولا تحزن عليهم ) اى على الكافرين ﴿ ٥٣٩ ﴾ بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك تحوفا لئلا

على القوم الكافرين  
وقيل على المؤمنين  
وما فعل بهم والاول  
هو الانسب بجزالة  
النظم الكريم ( ولا تك  
في ضيق ) بالفتح وقرئ  
بالكسر وهما لغتان  
كالفعل والقيل اى لا تكن  
في ضيق صدر ورح  
ويجوز أن يكون الاول  
تخفيف ضيق كهين  
من هين اى فى امر ضيق  
( بما يمكرون ) اى من مكر  
هم بك فيما يستقبل فالاول  
نهي عن التألم بطلب  
من قبلهم فات والثاني  
عن التألم بمحذور من  
جهتهم آت والنهي  
عنها مع أن انتفاءهما  
من لوازم الصبر  
المأمور به لاسيما على  
الوجه الاول لزيادة  
التأكيد واظهار كمال  
العناية بشأن التسليمة  
والافهل يحظر بيان  
من توجه الى الله سبحانه  
بشراشر نفسه متزها  
عن كل ماسواه من  
الشواغل شئ من  
مطلوب فينهي عن الجزن

وشدة الغضب لا تعصل الا لحد أمرين أحدهما فوات نفع كان حاصل في الماضي واليه  
الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم قيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد ومعناه ولا تحزن بسبب  
فوت أو لثك الاصدقاء ويرجع حاصله الى فوت النفع والسبب اثنان لشدة الغضب توقع  
ضرر في المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تك في ضيق بما يمكرون ومن وقف على هذه  
اللطائف عرف أنه لا يمكن كلام أدخل في الحسن والضبط من هذا الكلام بقى في لفظ  
الآية مباحث ( البحث الاول ) قرأ ابن كثير ولا تك في ضيق بكسر الضاد وفي التمل مثله  
والباقون بفتح الضاد في الحرفين أما الوجه في القراءة المشهورة فأمرور قال أبو عبيدة  
الضيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن وما كان في القلب فانه الضيق وقال أبو عمرو  
الضيق بالكسر الشدة والضيق بفتح الضاد الغم وقال القتيبي ضيق تخفيف ضيق مثل هين  
وهين واين ولين وبهذا الطريق فلنأناه تصح قراءة ابن كثير ( البحث الثاني ) قرئ  
ولا تكن في ضيق ( البحث الثالث ) هذا من كلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة  
تكون حاصله في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصله في الصفة فكان المعنى فلا يكن  
الضيق فيك الا أن الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هو أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالنسيء  
المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا  
اللفظ هذا المعنى والله أعلم ( المرتبة الرابعة ) قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم  
محسنون وهذا مجرى مجرى التهديد لان في المرتبة الاول رغب في ترك الانتقام على سبيل  
الرمز وفي المرتبة الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله ولئن صبرتم لهو خير  
للسابرين وفي المرتبة الثالثة امرنا بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كأنه  
ذكر الوعيد في فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا عن استيفاء الزيادة والذين هم  
محسنون في ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين  
ومن وقف على هذا الترتيب عرف أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون  
على سبيل الرفق واللاطف مرتبة فرتبة ولما قل الله لسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة ذكر هذه المراتب الاربعه تنبيها على أن الدهوة بالحكمة والموعظة  
الحسنة يجب أن تكون واقعة على هذا الوجه وعند الوقوف على هذه اللطائف يعلم  
العاقل أن هذا الكتاب الكريم بجزل ساحله ( المسئلة الثالثة ) قوله ان الله مع الذين  
اتقوا معيته بالرحمة والفضل والرتبة وقوله الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله تعالى  
وقوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله وذلك يدل على أن كمال السعادة  
للانسان في هذين الامرين أعنى التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله وعبر عنه  
بعض المشايخ فقال كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال الحكماء كمال  
الانسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وعن هرم بن حيان انه قيل له عند  
القرب من الوفاة أوص فقال انما الوصية من المال والامال لي ولكني أوصيكم بخواتيم

بقواته أو محذور فيكف عن الخوف من وقوعه ( ان الله مع الذين اتقوا ) تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد  
بالعبية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شأبة شئ من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول  
كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المبايرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع

الصابرين ونظارهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني التزهد عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشرائحه نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث ولايته تعالى القرونه بيشارة قوله سبحانه إلا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه ﴿ ٥٤٠ ﴾ فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب

سورة التحل (المسئلة الرابعة) قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به ولئن صبرتم لهم وخير للصابرين منسوخ بآية السيف وهذا في غاية البدلان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوة الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تطلق لهذه الاشياء بآية السيف وأكثر المفسرين مشغوفون بشكثير القول بالنسخ ولا أرى فيه فائدة والله أعلم بالصواب قال المصنف رحمه الله تم تفسير هذه السورة ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة بزمان معتدل وقال رحمه الله الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعد والوصول هجر والحقائق مصونة والمعاني في غيب الغيب محصونة والاسرار فيما وراء العز مخزونة ويبد الخلق القيل والقال والكمال ليس الا الله ذي الاكرام والجلال والمحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد النبي الامي وآله وصحبه وسلم

\* (سورة بنى اسرائيل عدد هاتمة آية وعشر آيات عن ابن عباس انها مكتبة غير قوله وان كادوا يستغزونك من الارض الى قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فانها مديبات نزلت حين جاء وفد ثقف ) \*

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(سبحان الذي أسرى بعبده لئلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا انه هو السميع البصير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال التحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح كقولك كفرت اليمين تكفيرا وكفرا نانا وتفسيره تزيه الله تعالى من كل سوء قال صاحب النظم السبح في اللغة التباعد يدل عليه قوله تعالى ان لك في النهار سبحا أي تباعدا فعنى سبح الله تعالى أي بعدد وزهه عما ينبغي وتما المباحث العقلية في لفظ التسبيح فد ذكرناها في أول سورة الحديد وقد جاء في لفظ التسبيح معان أخرى (أحدها) ان التسبيح يذكر بمعنى الصلاة ومنه قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين أي من المصلين والسجدة الصلاة النافلة وتما قيل للمصلي مسبح لانه معظم لله بالصلاة ومزله عما لا ينبغي (وثانيها) ورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله تعالى قال أو سطهم أم أقل انكم لو لا تسبحون أي تستنونون وتأوله أيضا يعود الى تعظيم الله تعالى في الاستثناء بمشيئته (وثالثها) جاء في الحديث لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء قيل معناه نور وجهه وقيل سبحات وجهه نور وجهه الذي اذا رآه الرائي قال سبحان الله وقوله أسرى قال أهل اللغة أسرى وسرى لغتان وقوله بعبده أجمع المفسرون على ان المراد محمد عليه الصلاة والسلام وسمعت الشيخ الامام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال سمعت الشيخ الامام أبانقاسم سليمان الانصاري قال لما وصل محمد صلوات الله عليه الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المارج أوحى الله تعالى اليه يا محمد أشرفك قال يارب بأن تذبني الى نفسك بالعبودية

أو مجذور فضلا عن الحزن بفواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به جسما أشير اليه وبه يحصل التتريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق في مقامه والافتحرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه وديفه وانما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما أوثر ما عليه النظم الكريم بمبالغة في الحث على الصبر بالنسبة على أنه من خصائص أجل التعون الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للاشعار بأنه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فان الله

لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلام الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى ﴿ فانزل ﴾ انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن

تراه فانه يرثو تكرر الموصول للايدان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان تكون احداهما مائة الاخرى  
 وايراد الاولى فعليه للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيعة راسخة لهم وتقديم القوى  
 على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه الصلاة  
 والسلام داخل في زميرتهم دخولا اوليا ﴿ ٥٤١ ﴾ واما هو عليه الصلاة والسلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك

مدحهم وثناء عليهم  
 بالعتين الجليلين وفيه  
 رمز الى ان صنيعه عليه  
 الصلاة والسلام مستغنى  
 لاقتداء الامة به كقول  
 من قال لابن عباس  
 رضى الله عنهما  
 عند للعترة

اصبر تكن بك صابرين فانما\*  
 صبر الرعية عند صبر الراي  
 \* عن هرم بن حيان أنه  
 قيل له حين الاحتضار  
 أوص قال انما الوصية  
 من المال وأوصيكم  
 بخواتيم سورة التحل\*  
 عن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم من قرأ سورة  
 التحل لم يحاسبه الله  
 تعالى بما أنتم عليه  
 في دار الدنيا وان مات  
 في يوم تلاها ساء اوليته  
 كان له من الاجر كالذي  
 مات وأحسن الوصية  
 والحمد لله وحده والصلاة  
 والسلام على رسوله  
 وآله أجمعين  
 \* (سورة بني اسرائيل  
 مائة واحدى عشرة  
 آية مكية الايات  
 في آخرها)\*

فأنزل الله فيه سبحانه الذي أسرى بعبدته وقوله ليلا نصب على الظرف فان قيل الاسراء  
 لا يكون الا بالليل فاعنى ذكر الليل قلنا أراد بقوله ليلا بلفظ التكبير تقابل مدة الاسراء  
 وأنه أسرى به في بعض الناييل من مكة الى الشام مسيرة أربعة اربعين ليلة وذلك أن التكبير فيه  
 قد دل على معنى البعضية واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة  
 بسنة ونقل صاحب الكشاف عن أنس والحسين أنه كان ذلك قبل البعثة وقوله من  
 المسجد الحرام اختلفوا في المكان الذي أسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو  
 الذي يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا  
 في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل بالبراق وقيل  
 أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم  
 لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وهذا قول الاكثرين  
 وقوله الى المسجد الاقصى اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس وسمى بالاقصى  
 لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله الذي باركنا حوله قيل بالثمار والازهار وقيل  
 بسبب أنه مقر الانبياء ومهبط الملائكة واعلم أن كلمة الى لانهاء الغاية فدل قوله الى  
 المسجد الاقصى أنه وصل الى حد ذلك المسجد فاما انه دخل ذلك المسجد أم لا فليس  
 في اللفظ دلالة عليه وقوله ليزيه من آياتنا يعنى ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات  
 التي تدل على قدرة الله تعالى فان قالوا قوله ليزيه من آياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه  
 الابعض الآيات لان كلمة من تفيد التبعض وقال في حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم  
 ملكوت السموات والارض فيلزم أن يكون معراج ابراهيم عليه السلام أفضل من  
 معراج محمد صلى الله عليه وسلم قلنا الذي رآه ابراهيم ملكوت السموات والارض والذي  
 رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ولا شك ان آيات الله أفضل ثم قال انه هو  
 السميع البصير أى ان الذي أسرى بعبدته هو السميع لاقوال محمد البصير بأفعاله العالم  
 يكونها مهذبة خالصة عن شوائب الريامقرونة بالصدق والصفاء فلهذا السبب خصه الله  
 تعالى بهذه الكرامات وقيل المراد سميع لما يقولون للرسول في هذا الامر بصير  
 بما يعملون في هذه الواقعة (المسئلة الثانية) اختلف في كيفية ذلك الاسراء فالأكثر  
 من طوائف المسلمين اتفقوا على انه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقا  
 قالوا انه ما أسرى الا بروحه حكى عن محمد بن جرير الطبرى في تفسيره عن حذيفة أنه قال  
 ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا  
 القول أيضا عن عائشة رضى الله عنها وعن معاوية رضى الله عنه واعلم أن الكلام في هذا  
 الباب يقع في مقامين (أحدهما) في اثبات الجواز العقلى والثاني في الوقوع (أما المقام  
 الاول) وهو اثبات الجواز العقلى فنقول الحركة الواقعة في السرعة الى هذا الحد ممكنة  
 في نفسها والله تعالى قادر على جميع الممكنات وذلك يدل على أن حصول الحركة في هذا

\* (بسم الله الرحمن الرحيم)\* (سبحان الذي أسرى بعبدته) سبحان صل للتسبيح كسبحان لرجل وحيث كان المسمى  
 معنى لا عينيا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المارك أو حاتم طي واتصافه بفعل متروك  
 الاظهار تقديره أسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التفضية البليغ من حيث الاشتقاق من السبح  
 الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس

سُبُوخِ أَيْ وَاسِعِ الْجَرِيِّ وَمِنْ جِهَةِ النُّقْلِ إِلَى التَّفْعِيلِ وَمِنْ جِهَةِ العُدُولِ مِنَ المَصْدَرِ إِلَى المَصْدَرِ المَوْضُوعِ لَهُ خَاصَّةٌ لِاسْمِيًّا وَهُوَ عِلْمٌ بِشِيرِ إِلَى الحَقِيقَةِ الحَاضِرَةِ فِي الذَّهْنِ وَمِنْ جِهَةِ قِيَامِهِ مَقَامَ المَصْدَرِ مَعَ الفِعْلِ وَقِيلَ هُوَ مَصْدَرٌ كَقَفْرَانٍ بِعَنَى التَّنْزَعِ فَفِيهِ مِبَالِغَةٌ مِنْ حَيْثُ إِضَافَةُ التَّنْزَعِ إِلَى ذَاتِهِ القُدْسَةِ وَمُنَاسِبَةٌ تَامَّةٌ بَيْنَ المَحذُوفِ وَبَيْنَ مَا عَطَفَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى كَأَنَّهُ قِيلَ تَنَزَّهَ بِذَاتِهِ وَتَعَالَى ﴿ ٥٤٢ ﴾ وَالْإِسْرَاءُ السَّيْرُ بِاللَّيْلِ خَاصَّةٌ كَالسَّرِيِّ وَقَوْلُهُ

تَعَالَى (لَيْلًا) لِإِفَادَةِ قَلَّةِ زَمَانِ الإِسْرَاءِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْبِيرِ الدَّالِّ عَلَى البَعْضِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الأَجْزَاءُ دَلَّتْهُ عَلَى البَعْضِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الأَفْرَادِ فَان قَوْلِكَ سَمَرَتْ لَيْلًا كَأَيُّهَا بَعْضِيَّةٌ مِزْمَانِ سِيرِكَ مِنَ اللَّيَالِي يُفِيدُ بَعْضِيَّتَهُ مِنْ فِرْدِ وَوَاحِدٍ مِنْهَا بِخِلَافِ مَا إِذَا قَلَّتْ سَمَرَتْ اللَّيْلُ فَانهُ يُفِيدُ اسْتِيعَابَ السَّيْرَةِ جَمِيعًا فَيَكُونُ مَعِيسَارًا لِلسَّيْرِ لِأَخْطَرِ فَانهُ وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مِنَ اللَّيْلِ أَيْ بَعْضُهُ وَيُشَارُ لِقَطْعِ العَبْدِ لِلأَيِّدِ أَنْ يَتَمَحَّضَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي عِبَادَتِهِ سَبَّحَانَهُ وَيُلَوِّغُهُ فِي ذَلِكَ غَايَةَ الغَايَاتِ القَاصِيَةَ وَنَهَايَةَ النِّهَايَاتِ النَّائِيَةَ حَسْبَمَا يُلَوِّحُ بِهِ مَبْدَأُ الإِسْرَاءِ وَمُنْتَهَاهُ وَإِضَافَةُ التَّنْزِيهِ أَوْ التَّنْزَعِ إِلَى المَوْضُوعِ المَذْكُورِ لِلاشْعَارِ بِعِلْمِيَّةٍ مَا فِي حَيْزِ الصَّلَاةِ لِلْمُضَافِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَدْلَةِ كَيْلِ قُدْرَتِهِ

الحد من السرعة غير ممتنع فتفتقر ههنا الى بيان مقدمتين ( المقدمة الاولى ) في اثبات ان الحركة الواقعة الى هذا الحد ممكنة في نفسها ويدل عليه وجوه ( الاول ) ان الفلك الاعظم يتحرك من اول الليل الى آخره ما يقرب من نصف الدور وقد ثبت في الهندسة ان نسبة القطر الواحد الى الدور نسبة الواحد الى ثلاثه وسبع فيلزم ان تكون نسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد الى ثلاثة وسبع وبتقدير ان يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة الى ما فوق الفلك الاعظم فهو لم يتحرك الا بمقدار نصف القطر فلما حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر اولى بالامكان فهذا برهان قاطع على ان الارتفاع من مكة الى ما فوق العرش في مقدار ثلث من الليل امر ممكن في نفسه واذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل اولى بالامكان والله اعلم ( الوجه الثاني ) وهو انه ثبت في الهندسة ان قرص الشمس يساوي كره الارض مائة وستين وكذا مره ثم اننا نشاهد ان طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة في السرعة الى الحد المذكور امر ممكن في نفسه ( الوجه الثالث ) انه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكشيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الواحدة متمما في العقول كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة متمما ووحكمننا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بنبوت المعراج فرع على تسليم جواز اصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام في اللحظة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكره ايضا باطلا فان قالوا نحن لانقول ان جبريل عليه الصلاة والسلام جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه السلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل عليه الصلاة والسلام فلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المسلمين فهم مقرون بان جبريل عليه الصلاة والسلام جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الازام المذكور قويا روي انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر قصة المعراج كذبه الكل وذهبوا الى ابي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا وكذا فقال ابو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكما ذكر شيئا قال ابو بكر صدقت فلما تم الكلام قال ابو بكر اشهد انك رسول الله حقا فقال له الرسول وانا اشهد انك الصديق حقا وحاصل الكلام ان ابا بكر

وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين ( من المسجد الحرام ) اختلف في مبدا الاسراء فقيل ﴿ رضى ﴾ هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين التأمم واليقظان اذا تاني جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لا يحاط به بالمسجد والتباسه

أولان الحرم كله مسجد فله زوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليه فلما قام ليخرج الى المسجد تشبث بثوبه عليه الصلاة والسلام لتنتمة خشية أن يكذبه القوم قال عليه الصلاة والسلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره صلى الله عليه وسلم بصديث الاسراء فقال أبو جهل يامعشر ﴿ ٥٤٣ ﴾ كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فن مصفق وواضع يده

على رأسه تعجبا وانكارا وارتناس من كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أنه صدق على ذلك قال انى أصدقه على بعد من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه ويتعده لهم فقالوا أما لنت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جبالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جل أورك فخرحوا يشدون ذلك اليوم نحو اتيمة فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جل أورك كما قال محمد ثم لم يؤمنوا فانهم الله انى يؤفكون \* واختلف في وقته أيضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن

رضي الله عنه كأنه قال لما سمات رساله فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا (الوجه الرابع) ان أكثر أرباب الملل والحل يسلمون وجود ابليس و يسلمون انه هو الذى يتولى القاء الوسوسة في قلوب بني آدم و يسلمون انه يمكنه الانتقال من المشرق الى المغرب لاجل القاء الوسوس في قلوب بني آدم فلما سلوا جواز مثل هذه الحركة السريعة في حق ابليس فلان يسلموا جواز مثلها في حق أكابر الانبياء كان أولى وهذا الاكراه قوى على من يسلم ان ابليس جسم ينتقل من مكان الى مكان أما الذين يقولون انه من الارواح الخبيثة الشريفة وانه ليس بجسم ولا جسمانى فهذا الاكراه غير وارد عليهم الا أن أكثر أرباب الملل والحل يوافقون على أنه جسم لطيف متنقل فان قالوا هب ان الملائكة والشياطين يصح في حقهم حصول مثل هذه الحركة السريعة لانهم أجسام لطيفة ولا يتمتع حصول مثل هذه الحركة السريعة في ذواتها أما الانسان فانه جسم كثيف فكيف يعقل حصول مثل هذه الحركة السريعة فيه قلنا نحن انما استدللنا بأحوال الملائكة والشياطين على ان حصول حركة منتهية في السرعة الى هذا الحد يمكن في نفس الامر وأما بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها كانت أيضا ممكنة الحصول في جسم البدن الانسانى فذلك المقام آخر سيأتى تقريره ان شاء الله تعالى (الوجه الخامس) انه جاء في القرآن ان الرياح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام الى المواضع البعيدة في الاوقات القليلة قال تعالى في صفة مسير سليمان عليه الصلاة والسلام غدوها شهر ورواحها شهر بل نقول الحس يدل على ان الرياح تنقل عند سدة هبوبها من مكان الى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وذلك أيضا يدل على ان مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة (الوجه السادس) ان القرآن يدل على ان الذى عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن الى أقصى الشام في مقدار لمح البصر بدليل قوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك واذ كان ممكنا في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه ممكن الوجود (الوجه السابع) ان من الناس من يقول الحيوان انما يبصر المبصرات لاجل ان الشعاع يخرج من عينه ويتصل بالمبصر ثم انا اذا قمنا العين ونظرنا الى رجل رأيناه فعلى قول هؤلاء ان نقل شعاع العين من أبصارنا الى رجل في تلك اللحظة اللطيفة وذلك يدل على ان الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لامن المتعنت قبت بهذه الوجوه ان حصول الحركة المنتهية في السرعة الى هذا الحد أمر ممكن الوجود في نفسه (المقدمة الثانية) في بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد صلى الله عليه وسلم متمعا والذى يدل عليه اننا بيننا بالدلائل القطعية ان الاجسام متمثلة في تمام ماهياتها فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام وجب امكان حصولها في سائر الاجسام وذلك يوجب القطع بأن حصول مثل هذه الحركة في جسد محمد صلى الله

أنه كان قبل البعثه واختلف أيضا أنه في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الاقويل بخلافه والحق أنه كان في المنام قبل البعثه وفي اليقظة بعدها واختلف أيضا أنه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خرج بروحه وعن معاوية أنه قال انما خرج بروحه والحق انه كان

خسائيا على ما ينبغي صفة التصدير بالترزية وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قر يش وأحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكهاها في أقل من ثانية \* ٥٤٤ \* وقد تقرر أن الاجسام متساوية في قبول

الاعراض التي من جملتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به خيطة الامكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يحمله ولولم يكن مستبعدا لم يكن معجزا ( اى المسجد الاقصى ) اى بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التزوية والتعجب ما لا يخفى (الذي باركنا حوله) ببركات الدين والدينا لانه مهبط الوحي وتمتع الانبياء عليهم الصلاة والسلام (تزوية) غاية للاسراء (من آياتنا) العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدر في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والاتفات الى التكلم لتعظيم تلك

عليه وسلم أمر يمكن الوجود في نفسه واذ ثبت هذا فنقول ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت ان حصول الحركة البالغة في السرعة الى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن فوجب كونه تعالى قادرا عليه وحينئذ يلزم من مجموع هذه المقدمات ان القول بنبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه أقصى ما في الباب أنه يبقى التعجب الان هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات فانقلاب العصا ثعبانا يتبع سبعين ألف جبل من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل الاصم واطلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المعجزات فان كان مجرد التعجب يوجب الانكار والدفع لزم الجزم بفساد القول باثبات المعجزات واثبات المعجزات فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب لا يوجب الانكار والابطال فكذا ههنا فهذا تمام القول في بيان ان القول بالمعراج ممكن غير متمم والله اعلم (المقام الثاني) في البحث عن وقوع المعراج قال أهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر أما القرآن فهو هذه الآية وتقرير الدليل ان العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الاسراء حاملا لمجموع الجسد والروح واعلم أن هذا الاستدلال موقوف على أن الانسان هو الروح وحده أو الجسد وحده أو مجموع الجسد والروح أما القائلون بأن الانسان هو الروح وحده فقد احتجوا عليه بوجوه (أحدها) ان الانسان شيء واحد باق من أول عمره الى آخره والأجزاء البدنية في التبدل والغير والانتقال والباقي غير متبدل فالانسان مغاير لهذا البدن (وثانيها) ان الانسان قديكون عارفا بذاته المخصوصة حال ما يكون غافلا عن جميع أجزائه البدنية والمعلوم مغاير للمفعول عنه فالانسان مغاير لهذا البدن (وثالثها) ان الانسان يقول بمقتضى فطرته السليمة يدي ورجلي ودماعى وقلبي وكذا القول في سائر الاعضاء فيضيف كلها الى ذاته المخصوصة والمضاف غير المضاف اليه فذاته المخصوصة وجب أن تكون مغايرة لكل هذه الاعضاء فان قالوا ليس أنه يضيف ذاته الى نفسه فيقول ذاتى ونفسى فليزكم أن تكون نفسه مغايرة لذاته وهذا محال قلنا نحن لانتمسك بمجرد اللفظ حتى يلزونا ما ذكرتموه بل انما تمسك بمحض العقل فان صريح العقل يدل على أن الانسان موجود واحد وذلك الشيء الواحد يأخذ بألة اليد ويصير بألة العين ويسمع بألة الاذن فالانسان شيء واحد وهذه الاعضاء آلات له في هذه الافعال وذلك يدل على أن الانسان شيء مغاير لهذه الاعضاء والآلات فثبت بهذه الوجوه ان الانسان شيء مغاير لهذه البنية ولهذا الجسد اذ ثبت هذا فنقول سبحانه الذي أسرى بعبد المراد من العبد جوهر الروح وعلى هذا التقدير فله في الآية دلالة على حصول الاسراء بالجسد فان قالوا فالاسراء بالروح ليس بأمر يخالف للعادة فلا يليق به

البركات والآيات وقرى ليريه بالياه ( انه هو السميع ) لاقواله عليه الصلاة والسلام بلاذن \* أن \* ( البصير ) بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويفر به بحسب ذلك وفيه اعناء الى أن اسراء المذكور ليس الاكثر منه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والا فالاحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات

الى الغيبة لتربية المهابة (واتينا موسى الكتاب) اى التوراة وفيها ايمان الى دعوته عليه السلام الى الطور  
او ما وقع فيه من المنجاة جمع بين الامر بالمؤمنين ٥٤٥ في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي عليه السلام

الى السماء وما كان فيه  
مما لا يكتنه كنهه حسبا  
نطقته به سورة العجم  
تقريباً للاسراء الى  
قبول السامعين اى  
آتيته التوراة بسعد  
ما أسرىنا به الى الطور  
(وجعلناه) اى قلبك  
الكتاب (هدى لىنى  
اسرائيل) يهتدون بما فى  
مطاويه (أن لا تتخذوا)  
اى لا تتخذوا نحو كعبت  
اليه أن افعل كذا  
وقرى بالياء على أن ان  
مصدرية والمعنى آتينا  
موسى الكتاب لهداية  
بنى اسرائيل لئلا يتخذوا  
(من دونى وكىلا) اى  
ربا يتكلمون اليه أموركم  
والافراد لما أن فيعلا  
مفرد فى اللفظ جمع فى  
المعنى (ذرية من حملنا مع  
نوح) نصب على  
الاختصاص أو النداء  
على قراءة النهى والمراد  
تأكيد الحمل على التوحيد  
بتذكير انعامه تعالى  
عليهم فى ضمن انجاء  
آبائهم من العرق فى  
سفينة نوح عليه السلام  
أو على أنه أحد مفعول  
لا يتخذوا على قراءة

أن يقال سبحان الذى أسرى بعبده قلنا هذا أيضاً بعيد لانه لا يبعد أن يقال انه حصل  
لروحه من أنواع المكاشفات والمشاهدات ما لم يحصل لغيره البتة فلا جرم كان هذا  
الكلام لا تقابله فهذا تقرير يوجه السؤال على الاستدلال بهذه الآية فى اثبات المعراج  
بالروح والجسد معاً والجواب أن لفظ العبد لا يتناول الا مجموع الروح والجسد والدليل  
عليه قوله تعالى أرايت الذى يهوى عبداً اذا صلى ولا شك أن المراد من العبد ههنا مجموع  
الروح والجسد وقال أيضاً فى سورة الجن وانه لما قام عبداً فادعوه كادوا يكونون عليه  
لبدا والمراد مجموع الروح والجسد فكذا ههنا وأما الخبر فهو الحديث المروى فى الصحاح  
وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السموات واحتج  
المتكرون له بوجوه (أحدها) بالوجوه العقلية وهى ثلاثة أولها ان الحركة البالغة  
فى السرعة الى هذا الحد غير معقولة (وثانيها) ان صعود الجرم الثقيل الى السموات غير  
معقول (وثالثها) ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الافلاك وذلك محال (والشبهة  
الثانية) ان هذا المعنى لو صح لكان أعظم من سائر المجزئات وكان يجب أن يظهر ذلك عند  
اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه فى ادعاء النبوة فاما أن يحصل ذلك فى وقت لا يراه  
أحد ولا يشاهده أحد فانه يكون ذلك عبثاً وذلك لا يليق بالحكيم (والشبهة الثالثة) تمسكوا  
بقوله وما جعلنا الرويا التى أرى ناك الافتنة للناس وماتلك الرويا الاحديث المعراج وانما  
كان فتنة للناس لان كثير آمن آمن به لما سمع هذا الكلام كذبه وكفر به فكان حديث  
المعراج سبباً لفتنة الناس فثبت ان ذلك رؤيا آرى فى المنام (الشبهة الرابعة) ان حديث  
المعراج استعمل على أشياء بعيدة منها ما روى من شق بطنه وتطهيره بماء زمزم وهو بعيد لان  
الذى يمكن غسله بالماء هو الجاسات العينية ولا تاثير لذلك فى تطهير القلب عن العقائد  
الباطلة والاخلاق المذمومة ومنها ما روى من ركوب البراق وهو بعيد لانه تعالى لما سيره  
من هذا العالم الى عالم الافلاك فأى حاجة الى البراق ومنها ما روى أنه تعالى أوجب خمسين  
صلاة ثم ان محمد صلى الله عليه وسلم لم يزل يتردد بين الله تعالى وبين موسى الى ان عاد الجسمون  
الى خمس بسبب شفقة موسى عليه الصلاة والسلام قال القاضى وهذا يقتضى نسخ الحكم  
قبل حضوره وانه يوجب البدء وذلك على الله تعالى محال فثبت ان ذلك الحديث مشتمل  
على ما لا يجوز قبوله فكان مردود او الجواب عن الوجوه العقلية قد سبق فلان عيدها  
(والجواب عن الشبهة الثانية) ما ذكره الله تعالى وهو قوله لزيه من آياتنا وهذا كلام  
بجمل وفى تفصيله وشرحه وجوه (الاول) ان خيرات الجنة عظيمة وأهوال النار شديدة  
فلو أنه عليه الصلاة والسلام ما شاهد ههنا فى الدنيا ثم شاهد ههنا فى ابتداء يوم القيامة فر بما  
رغب فى خيرات الجنة أو خاف من أهوال النار أما لما شاهد ههنا فى الدنيا فى ليلة المعراج  
فحينئذ لا يعظم وقع ههنا فى قلبه يوم القيامة فلا يبقى مشغول القلب بهما وحينئذ يتفرغ  
للشفاة (الثانى) لا يمتنع أن تكون مشاهدته ليلة المعراج للانبيا والملائكة صارت

النبي ومن دونى حال من ﴿ ٦٩ ﴾ وكىلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً وقرى  
بالرفع على أنه خبر مبتدأ

مخدوف او يدل من واولاتخذوا يبدال الظاهر من ضمير الخطاب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرى ذرية  
بكسر النال (انه) أي ان نوحا عليه الصلاة والسلام ﴿٥٤٦﴾ (كان عبدا شكورا) كثير الشكر في مجامع

سبب التكمال مصطلحه أو مصطلحتهم (الثالث) أنه لا يعد انه اذا صعد الفلك وشاهد أحوال  
السموات والكرسي والعرش صارت مشاهدة أحوال هذا العالم وأهواله حقيرة في  
عينه فتحصل له زيادة قوة في القلب باعتبارها يكون في شروعه في الدعوة الى الله تعالى  
أكمل وقلة التفاته الى أعداء الله تعالى أقوى بين ذلك أن من عين قدرة الله تعالى في هذا  
الباب لا يكون حاله في قوة النفس وثبات القلب على احتمال المكاره في الجهاد وغيره  
الاضعاف ما يكون عليه حال من لم يعاين واعلم ان قوله لزيه من آياتنا كالدلالة على ان  
فائدة ذلك الاسراء مختصة به وعائدة اليه على سبيل التعيين (والجواب عن الشبهة الثالثة)  
اننا عند الاتهام الى تفسير تلك الآية في هذه السورة نبين ان تلك الروايات رويها  
منام (والجواب عن الشبهة الرابعة) لاعتراض على الله تعالى في أفعاله فهو يفعل ما يشاء  
ويحكم ما يريد والله أعلم (المسئلة الرابعة) أما العروج الى السموات والى ما فوق العرش  
فهذه الآية لا تدل عليه ومنهم من استدل عليه بأول سورة والنجم ومنهم من استدل  
عليه بقوله تعالى لتركن طبيعنا عن طبق وتفسيرهما مذکور في موضعه وأما دلالة  
الحديث فكما سلف والله أعلم \* قوله تعالى (وآتيناموسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى

اسرائيل ألا اتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا)  
في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان الكلام في الآية التي قبل هذه الآية  
وفيها انتقل من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة لان قوله سبحانه الذى أسرى  
فيه ذكر الله على سبيل الغيبة وقوله باركتنا حوله لزيه من آياتنا فيه ثلاثة ألفاظ دلالة على  
الحضور وقوله انه هو السميع البصير يدل على الغيبة وقوله وآتيناموسى الكتاب الخ  
يدل على الحضور وانتقال الكلام من الغيبة الى الحضور وبالـكس يسمى صنعة  
الانفاس (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى في الآية الاولى أكرامه محمد صلى الله عليه  
وسلم بأن أسرى به وذكر في هذه الآية أنه أكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله  
بالكتاب الذى آناه فقال وآتيناموسى الكتاب يعنى التوراة وجعلناه هدى أى يخرجهم  
بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق وقوله  
ألا اتخذوا من دونى وكيلا وفيه ابحاث (البحث الاول) قرأ أبو عمرو ألا اتخذوا بالياء خبرا  
عن بنى اسرائيل والباقون بالياء على الخطاب أى قلنا لهم لا اتخذوا (البحث الثانى) قال  
أبو على الفارسي ان قوله ألا اتخذوا فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون أن ناصبة  
للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى لثلاث اتخذوا (وثانيها) أن تكون أن بمعنى أى التى  
للتفسير وانصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب في قراءة العامة كما انصرف منها الى  
الخطاب والامر في قوله وانطلق الملائمة منهم أن امشوا فكذلك انصرف من الغيبة الى  
النهى في قوله ألا اتخذوا (وثالثها) أن تكون أن زائدة ويجعل اتخذوا على القول المصغر  
والقدير وجعلناه هدى لبنى اسرائيل فقلنا لا اتخذوا من دونى وكيلا (البحث الثالث)

حالته وفيه ايدان بأن  
انجاء من معه كان ببركة  
شكره عليه الصلاة  
والسلام وحث للذرية  
على الاقتداء به وزجر لهم  
عن الشرك الذى هو  
أعظم مراتب الكفران  
وقيل الضمير لموسى  
عليه السلام (وقضينا)  
أى أعممنا وأحكمتنا  
مزلين (الى بنى اسرائيل)  
أو موحين اليهم (في  
الكتاب) أى في التوراة  
فان الازال والوحى الى  
موسى عليه السلام انزال  
ووحى اليهم (لتفسدن  
في الارض) جواب قسم  
مخدوف ويجوز اجراء  
القضاء المختوم مجرى  
القسم كأنه قيل  
وأقسمنا لتفسدن (مرتين)  
مصدر والعامل فيه من  
غير جنسه أو لاهما  
مخالفة حكم التوراة  
وقتل شعبا عليه الصلاة  
والسلام وحبس ارميا.  
حين أنذرهم بخط الله  
تعالى والثابتة قتل زكريا  
ويجى وقصد قتل  
عيسى عليه الصلاة  
والسلام (وتعلن علوا  
كبيرا) لتستكبرن عن  
طاعة الله سبحانه أو لغلن الناس بالظلم والمدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوز للحدود (فانجاء) قوله \*

طاعة الله سبحانه أو لغلن الناس بالظلم والمدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوز للحدود (فانجاء) قوله \*  
وعيد أولاهما) أى أولى كرتي



الافساد أي حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لمواخذتكم بجهانكم (عبادتنا) وقرى عبيدنا  
(أولى بأس شديد) ذوى قوة و بطش في الحروب هم ﴿٥٤٧﴾ سنجار يب من أهل بنوى وجنوده وقيل يختصر

عامل لهراسب وقيل  
جالوت (فجاسوا) أي  
ترددوا والطلبكم بالفساد  
وقرى بالحساء والمعنى  
واحد وقرى وجوسوا  
(خلال الديار) في  
اوساطها القتل والغارة  
وقرى خلل الديار  
فقتلوا علماءهم وكبارهم  
وأحرقوا التوراة وخرّبوا  
المسجد وسبوا منهم  
سبعين ألفا وذلك من  
قبيل تولية بعض الظالمين  
بعضا ماجرت به السنة  
الالهية (وكان ذلك  
(وعدا مفعولا) لا محالة  
بميت لا صارف عنه  
ولا مبدل (ثم رددنا لكم  
الكرة) أي الدولة والغلبة  
(عليهم) على الذين  
فعلوا بكم ما فعلوا بعد  
مائة سنة حين تبتم ورجعتم  
عما كنتم عليه من الافساد  
والعلو قيل هي قتل  
بختصر واستفادني  
اسرائيل أسارا هم  
وأموالهم ورجوع الملك  
اليهم وذلك أنه لما ورت  
بهم ابن اسفنديار الملك  
من جده كشتاسف بن  
لهراسب ألقى الله تعالى  
في قلبه الثقة عليهم

قوله وكيلا أي ربان تكون أموركم اليه أقول حاصل الكلام في الآية أنه تعالى ذكر  
تشرىف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ثم ذكر عقبيه تشرىف موسى عليه الصلاة  
والسلام بانزال التوراة عليه ثم وصف التوراة بكونها هدى ثم بين ان التوراة انما  
كان هدى لاشتماله على النهى عن اتخاذ غير الله وكيلا وذلك هو التوحيد فرجع حاصل  
الكلام بعد رعاية هذه المراتب أنه لامعراج أعلى ولا درجة أشرف ولا منقبة أعظم من  
أن يصير المرء غرقا في بحر التوحيد وأن لا يعول في أمر من الامور الاعلى الله فان نطق  
نطق بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تزيه الله تعالى وان طلب طلب من الله فيكون  
كله لله وبالله ثم قال ذرية من حملنا مع نوح وفي نصب ذرية وجهان (الاول) أن يكون  
نصبا على النداء يعنى يا ذرية من حملنا مع نوح وهذا قول مجاهد لانه قال هذا نداء قال  
الواحدى وانما يصح هذا على قراءة من قرأ بالياء كأنه قيل لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا  
يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة قال فتادة الناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في  
السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافت فالناس كلهم من ذرية أولئك فكان قوله يا ذرية من  
حملنا مع نوح قائما مقام قوله يا أيها الناس (الوجه الثاني) في نصب قوله ذرية ان  
الاتخاذ فعل يتعدى الى مفعولين كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا والتقدير لا تتخذوا ذرية  
من حملنا مع نوح من دونى وكيلا ثم انه تعالى أثنى على نوح فقال انه كان عبدا شكورا  
أي كان كثير الشكر روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذى  
أطعمنى ولو شاء أجاجنى واذا شرب قال الحمد لله الذى أسقانى ولو شاء أطمأنى واذا  
أكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعمرانى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى  
ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى آذاه فى عافية ولو شاء  
حسبه وروى أنه كان اذا أراد الافطار عرض طعمه على من آمن به فان وجدته محتاجا  
آثره به فان قيل قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملايمته لما قبله قلنا التقدير كأنه قال  
لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشرىفوا بى لان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا  
وانما يكون العبد شكورا لو كان موحدا لا يرى حصول شئ من النعم الا من فضل الله  
وأتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح عليه السلام كما أن آباءكم اقتدوا به والله أعلم \* قوله  
تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب انفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا  
فاذا جاء وعدا ولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان  
وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكتزفيرا)  
اعلم انه تعالى لما ذكر انعامه على بنى اسرائيل بانزال التوراة عليهم وبانه جعل التوراة  
هدى لهم بين انهم ما اهدوا واهتدوا بل وقعوا فى الفساد فقال وقضينا الى بنى اسرائيل فى  
الكتاب انفسدن فى الارض مرتين وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) القضاء فى اللغة  
عبار عن قطع الاشياء عن احكام ومثله قوله فقضاهن سبع سموات وقول الشاعر

فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستواوا على من كان فيها من أتباع بختصر

وقبل هي قتل داود عليه السلام لجالوت (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (و بنين) بعد ما سببت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) كما كنتم من قبل أو من عدوكم والغير ﴿٥٤٨﴾ من نفرم الرجل من قومه وقبل جمع نفروهم

\* وعليهما مسرودتان قضاهما \* داود فقوله وقضينا أي علمناهم وأخبرناهم بذلك وأوحينا اليهم وأفظأى صلة اللامحاة لان معنى قضينا أوحينا اليهم كذا وقوله لتفسدن يريد المعاصي وخلاف أحكام التوراة وقوله في الأرض يعني أرض مصر وقوله ولتعلن علوا كبيرا يعني أنه يكون استعلاؤكم على الناس بغير الحق استعلاء عظيما لانه يقال لكل متجبر قد علا وتعظم ثم قال فاذا جاء وعد أولاهما يعني أولى المرتين بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد والمعنى انه اذا جاء وعد الفساد في المرة الأولى أرسلنا عليكم قوما أولى بأس شديد ونجدة وشدة والباس القتال ومنه قوله تعالى وحين الباس ومعنى بعثنا عليكم أرسلنا عليكم وخلصنا بينكم وبينهم خاذلين اياكم واختلفوا في ان هؤلاء العباد من هم قبل ان يبي اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك أول الفسادين فسلط الله عليهم بختصر فقتل منهم أربعين ألفا بمن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرض نفسه فبقوا هناك في الذل الى ان قبض الله ملكا آخر غزا اهل بابل واتفق أن تزوج بامرأة من بني اسرائيل فطلبت تلك المرأة من ذلك الملك أن يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل و بعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى أحسن ما كانوا فهو قوله ثم ردنا لكم الكرة عليهم (والقول الثاني) ان المراد من قوله بعثنا عليكم عبادا لان الله تعالى سلط عليهم جالوت حتى أهلكتهم وأبادهم وقوله ثم ردنا لكم الكرة هو أنه تعالى قوى طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود حتى قتل جالوت فذاك هو عود الكرة (والقول الثالث) ان قوله بعثنا عليكم عبادا لانه تعالى ألقى الرعب من بني اسرائيل في قلوب الجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال ذلك الرعب عن قلوب الجوس فقصدهم وبالغوا في قتلهم وافنائهم واهلاكهم واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أو تلك الاقوام باعيانهم بل المقصود هو أنهم لما كثروا من المعاصي ساطع عليهم أقواما قتلوهم وأفنوهم ثم قال تعالى فجاسوا خلال الديار قال الليث الجوس والجوسان التردد خلال الديار والبيوت في الفساد والخلال هو الانفراج بين الشيتين والديار ديار بيت المقدس واختلفت عبارات المفسرين في تفسير جاسوا فعن ابن عباس قنشوا وقال أبو عبيدة طلبوا من فيها وقال ابن قتيبة عاثوا وأفسدوا وقال الزجاج طافوا خلال الديار هل بقي أحدهم يقتلوه قال الواحدى الجوس هو التردد والطلب وذلك محتمل لكل ما قالوه ثم قال تعالى وكان وعدا مفعولا أي كان قضاء الله بذلك قضاء جزما احتمالا يقبل النقص والتسخيم ثم قال تعالى ثم ردنا لكم الكرة أي أهلكتنا أعداءكم وردنا للدولة والقوة عليكم وجعلناكم أكثر نفيرا والغير العدد من الرجال وأصله من نفرم الرجل من عشيرته وقومه والغير والتاخر واحد كالتقدير والقادر وذكرنا معنى نفر عند قوله فلولا نفر من كل فرقة وقوله انفروا خفافا (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في مسئلة القضاء والقدر من وجوه (الأول) انه تعالى قال وقضينا الى بني اسرائيل

القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعنى (ان أحسنتم) أعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم أو متعديّة الى الغير أي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد أن تكون الاعمال حسنة في أنفسها أو ان فعلتم الاحسان (أحسنتم لانفسكم) لان ثوابها بان عملتموها لاعلى الوجه اللائق ويلزمه السوء الدائى أو فعلتم الاساءة (فلها) اذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه ما أحسنت الى احد ولا سأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة (ليسووا وجوهكم) متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليسووا ومعنى ليسووا وجوهكم ليحطوا لآثار المساءة والكآبة يادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ

على رضی الله عنه لتسوان على أنه جواب اذا قرى لسوان بالتون الخفيفة وليسوان واللام في قوله عز وجل ( وليدخلوا المسجد) عطف على يسوا وامتعلق ﴿ ٥٤٩ ﴾ بما تعلق هو به (كادخلوه أول مرة) أي في أول مرة (وليتبروا) أي يهلكوا (ما علوا) ما غلبوه واستولوا عليه

أومدة علوهم (تتبروا) فظيحا لا يوصف بأن سلطانا على سلطانة عليهم الغرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرد وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش منبج قرا بينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قريان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال لئلا هذا ينتقم منكم ويحكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بأذن الله تعالى قبل أن لا أتى منهم أحدا فهذا (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الآخرة ان يتيم توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي (وان عدتم)

في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وتعلمن علوا كبيرا وهذا القضاء أقل احتمالاته الحكم الجزم والخبر الحتم فثبت انه تعالى أخبر عنهم انهم سيقدمون على الفساد والمعاصي خيرا جزما حتما لا يقبل التسخ لان القضاء معناه الحكم الجزم على ما شرحتنا ثم انه تعالى أكد ذلك القضاء من يد تأكيد فقال وكان وعدا مفعولا اذا ثبت هذا فنقول عدم وقوع ذلك الفساد عنهم يستلزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا وانقلاب حكمه الجازم باطلا وانقلاب علمه الحق جهلا وكل ذلك محال فكان عدم اقدامهم على ذلك الفساد محالا فكان اقدامهم عليه واجبا ضروريا لا يقبل التسخ والرفع مع انهم كلفوا بتركه ولم ينوا على فعله وذلك يدل على قولنا ان الله قديا أمر بشئ ويصد عنه وقد ينهى عن شئ ويقيضه بتحصيله فلهذا أحد وجوه الاستدلال بهذه الآية (الوجه الثاني) في الاستدلال بهذه الآية قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد والمراد أولئك الذين تسلطوا على بني اسرائيل بالقتل والنهب والاسر فيبين تعالى أنه هو الذي بعثهم على بني اسرائيل ولا شك ان قتل بني اسرائيل ونهب أموالهم واسر أولادهم كان مشتتلا على الظلم الكثير والمعاصي العظيمة ثم انه تعالى أضاف كل ذلك الى نفسه بقوله ثم بعثنا عليكم وذلك يدل على أن الخير والشر والطاعة والمعصية من الله تعالى أجاب الجبائي عنه من وجهين (الاول) المراد من بعثنا عليكم هو انه تعالى أمر أولئك الاقوام بغزو بني اسرائيل لما ظهر فيهم من الفساد فاضيف ذلك الفعل الى الله تعالى من حيث الامر (والثاني) أن يكون المراد خليتنا بينهم وبين بني اسرائيل وما ألقينا الخوف من بني اسرائيل في قلوبهم وحاصل الكلام ان المراد من هذا البعث التخليية وعدم المنع واعلم ان الجواب الاول ضعيف لان الذين قصدوا تخريب بيت المقدس واحراق التوراة وقتل حفاظ التوراة لا يجوز أن يقال انهم فعلوا ذلك بأمر الله تعالى والجواب الثاني أيضا ضعيف لان البعث على الفعل عبارة عن التقوية على يد والقاء الدواعي القوية في القلب وأما التخليية فعبارة عن عدم المنع والاول فعل والثاني ترك فتفسير البعث بالتخليية تفسير لاحد الضدين بالآخر وأنه لا يجوز فثبت صحة ما ذكرناه والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذاجاء وعد الآخرة ليسوا ووجوهكم وليدخلوا المسجد كادخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبروا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وفيه مسائل (المسئلة اولى) اعلم انه تعالى حكى عنهم انهم لما عصوا سلط عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي ولما تابوا أزال عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر انهم ان أطاعوا فقد أحسنوا الى أنفسهم وان أسروا على المعصية فقد أسأوا الى أنفسهم وقد تقرر في العقول ان الاحسان الى النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (المسئلة الثانية) قال الواحدى لا بد ههنا من اضمار

الى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى (عدنا) الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم الاكساسة ففعلوا بهم

فأفعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام فهم يعطون الجزية  
هن يدوهم صافرون وعن قتادة مثله ( وجعلنا جهنم ﴿ ٥٥٠ ﴾ للكافرين حصيرا ) أي محبسا لا يستطيعون

الخروج منها أبدا لأبدان  
وقيل بساطا كما يبسط  
الحصير وإنما عدل  
هن أن يقال وجعلنا  
جهنم لكم تسجيلا على  
كفرهم بالعود وذمالمهم  
بذلك وإشعارا بعله  
الحكم (ان هذا القرآن)  
الذي آتيناك (يهدي)  
أي الناس كافة لافرقه  
مخصوصة منهم كدأب  
الكتاب الذي آتينا  
موسى (التي) للطريقة  
التي (هي أقوم) أي  
أقوم الطرائق وأسدها  
أعني صلة الاسلام  
والتوحيد وترك ذكرها  
ليس لقصد التعميم لها  
وللمالة والخصلة ونحوها  
مما يعبر به عن المقصد  
المذكور بل للايدان  
بالغنى عن التصريح  
بها لتأية ظهورها  
لاسيما به ذكر الهداية  
التي هي من روادفها  
والمراد بهدايته لها  
كونه بحيث يهتدى اليها  
من يتسكب به لا تحصيل  
الاهتداء بالفعل فإنه  
مخصوص بالمؤمنين  
حينئذ (ويشتر المؤمنين)  
بما في تضاعيفه

والتقدير وقلنا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم والمعنى ان أحسنتم بفعل الطاعات فقد  
أحسنتم الى أنفسكم من حيث ان ببركة تلك الطاعات يفتح الله عليكم أبواب الخيرات  
والبركات وان أسأتم بفعل المحرمات أسأتم الى أنفسكم من حيث ان يشؤم تلك المعاصي  
يفتح الله عليكم أبواب العقوبات ( المسئلة الثالثة ) قال الخويون إنما قال وان أسأتم  
فلها للتقابل والمعنى فاليها أو فعليها مع ان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله  
تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها أي اليها ( المسئلة الرابعة ) قال أهل  
الاشارات هذه الآية تدل على ان رحمة الله تعالى غالبية على غضبه بدليل أنه لما حكى عنهم  
الاحسان أعاده مرتين فقال ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر  
على ذكرها مرة واحدة فقال وان أسأتم فلها ولولا أن جانب الرحمة غالب والامساكن  
كذلك ثم قال تعالى فاذا جاء وعد الآخرة وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال المفسرون  
معناه وعد المرة الاخيرة وهذه المرة الاخيرة هي اقدمهم على قتل ذكر يابو يحيى عليهما الصلاة  
والسلام قال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم بختصر البابلى المجوسى أنفض خلقه اليه  
فسبى بنى اسرائيل وقتل وخرّب بيت المقدس أقول التواريخ تشهد بأن بختصر كان قبل  
وقت عيسى عليه الصلاة والسلام ويحىي و ذكر يا عليها الصلاة والسلام بسنين متطاولة  
ومعلوم ان الملك الذي انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك  
والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من أغراض تفسير القرآن بمعرفة أعيان هؤلاء  
الاقوام ( المسئلة الثانية ) جواب قوله فاذا جاء محذوف تقديره فاذا جاء وعد الآخرة  
بمثابهم ليسووا وجوهكم وإنما حسن هذا الحذف لدلالة ما تقدم عليه من قوله بعثنا  
عليكم عبادا لنا ثم قال ليسووا وجوهكم وفيه مسئلتان ( المسئلة الاولى ) يقال ساءه  
يسوءه أي أحزنه وإنما عرنا الاساءة الى الوجوه لان آثار الاعراض النفسانية الحاصلة  
في القلب انما تظهر على الوجه فان حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والاشراق  
والاسفار في الوجه وان حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد  
في الوجه فلهاذا السبب عزيت الاساءة الى الوجوه في هذه الآية ونظير هذا المعنى كثير  
في القران ( المسئلة الثانية ) قرأ العامة ليسووا على صيغة المفاعلة قال الواحدى وهي  
موافقة للمعنى واللفظ أما المعنى فهو ان المبعوثين هم الذين يسوونهم في الحقيقة لانهم هم  
الذين يقتلون ويأسرون وأما اللفظ فلانه يوافق قوله ويدخلوا المسجد وقرأ ابن عامر وأبو  
بكر عن عامر وحرة يسوءه على اسناد الفعل الى الواحد وذلك الواحد يحتمل ان يكون  
أحد أشياء ثلاثة اما اسم الله سبحانه لان الذي تقدم هو قوله ثم رددنا وأمددنا وكل ذلك  
ضمير عائد الى الله تعالى واما أن يكون ذلك الواحد هو البعث ودل عليه قوله بعثنا والفعل  
المتقدم يدل على المصدر كقوله تعالى ولا تحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو  
خيبر لهم وقال الزجاج ليسوء الوعد وجوهكم وقرأ الكسائى بالتون وهذا على اسناد

من الاحكام والشرائع وقرى بالتحفيف ( الذين يعملون الصالحات ) التي شرحت فيسء ﴿ الفعل ﴾  
( أن لهم ) أي بأن لهم بقايلة تلك الاعمال ( أجزا

كبيراً) بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مران فصاعداً (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء ونخصبها ﴿ ٥٥١ ﴾ بالذكر من بين سائر ما كثر ذكراً له لكونها معظم ما أمروا

بالإيمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذي أنبأ عنه قوله عز وجل (اعتدنا لهم عذاباً أليماً) وهو عذاب جهنم أي اعتدنا لهم فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذاباً أليماً وهو أبلغ في الزجر لما أن آيات العذاب من حيث لا يحتسب أقطع وأجزع والجملة معطوفة على جملة يشربوا خمرًا يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخله معه تحت التبشير المراد به مجازاً مطلق الأخبار المنتظم للأخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بياناً له داية القرآن بالترغيب والترهيب وهو يزكو التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين بيشارين ثوابهم وعقاب أعدائهم وقوله تعالى (و يدع الانسان بالشكر) بيان لحال المهدي أريان حال الهادي وأظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس

الفعل الى الله تعالى كقوله بعثنا عليكم وأمددنا ثم قال تعالى وليتبروا ما علوا تديراً يقال تبرأ الشيء تبرأ إذا هلك وتبره أهلكه قال الزجاج كل شيء جعلته مكسراً ومفتتاً فقد تبرته ومنه قيل تبرأ الزجاج وتبرأ الذهب لمكسره ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وقوله ولا تزد الظالمين الا تباراً وقوله ما علوا يحتمل ما غلبوا عليه وظفروا به ويحتمل ويتبروا ماداموا غالبين أي مادام سلطانهم جارياً على بني اسرائيل وقوله تديراً ذكر المصدر على معنى تحقيق الخبر وازالة الشك في صدقه كقوله وكلم الله موسى تكليماً أي حقا والمعنى وليدمروا ويخربوا ما غلبوا عليه ثم قال تعالى عسى ربكم أن يرجحكم والمعنى لعل ربكم أن يرجحكم ويعفوعنكم بعد انتقامه منكم يا بني اسرائيل ثم قال وان عدتم عدنا يعني ان بعثنا عليكم من بعثنا ففعلوا بكم ما فعلوا حقوا به لكم وعظما لتنتفعوا به وتزجروا به عن ارتكاب المعاصي ثم رجحتم فأزال هذا العذاب عنكم فان عدتم مرة أخرى الى المعصية عدنا الى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القائل وانما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الاعراف خبر عن بني اسرائيل واذا نذرت ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم قال وان عدتم عدنا أي وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجري على بني النضير وقرظلة و بني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلد ثم الكافرين حصيرا والحصير فويل فيحتمل أن يكون بمعنى الفاعل أي وجعلنا جهنم حاصرة لهم ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول أي جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى أن عذاب الدنيا وان كان شديدا قويا الا أنه قد تغلبت به بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص عنه اما بالموت واما بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للانسان محيطا به لا رجاء في الخلاص عنه فهو هؤلاء الاقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا ﴿ قوله تعالى ( ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ) اعلم انه تعالى لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين وهو الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباء الكتاب لموسى عليه الصلاة والسلام وما فعله في حق العصاة والمتردين وهو تسليط أنواع البلاء عليهم كان ذلك تنبيها على ان طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومهيبته توجب كل بلية وغرامة لا جرم أي على القرآن فقال ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم واعلم ان قوله تعالى دينا فيما مله ابراهيم حنيفا يدل على كون هذا الدين مستقيما وقوله في هذه الآية التي هي أقوم يدل على ان هذا الدين أقوم من سائر الأديان

أسند اليه حال بعض أفراده أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه فالعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير

فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو أى بهض منه وهو الكافر يدصول نفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة ﴿ ٥٥٢ ﴾ كذاب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من

عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اثنابعدذاب أليم ومن قال فائتبا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما بأعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو يدين كلهم (دعاه بالخير) أى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمنزل من الدعاء به وفيه رمز الى أنه اللاتق بمحاله (وكان الانسان) أى من أسند اليه الدعاء المذكور من أفراد (عجولا) يسارع الى طلب ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغافى الجملة يستجلب العذاب وهو آتبه لا محالة فقيه نوع تمكيم به وعلى تقدير حل لدعاه على أعمالهم تحمل العجولية على اللج والتأدى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض أحيائه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه

وأقول قولنا هذا الشئ أقوم من ذلك انما يصح فى شئين يشتركان فى معنى الاستقامة ثم كان حصول معنى الاستقامة فى احدى الصورتين أكثر واكمل من حصوله فى الصورة الثانية وهذا محال لان المراد من كونه مستقيما كونه حقا وصدقا ودخول التفاوت فى كون الشئ حقا وصدقا محال فكان وصفه بأنه أقوم مجازا الا ان لفظ الافعل قد جاء بمعنى الفاعل كقولنا الله أكبر أى الله كبير وقولنا الاشج والناقص أعد لابي مروان أى عاد لابي مروان أو يعمل هذا اللفظ على الظاهر المتعارف والله أعلم (البحث الثاني) قوله للتى هى أقوم نعت لموصوف محذوف والتقدير يهدى للملة أو الشريعة أو الطريقة التى هى أقوم الملل والشرائع والطرق ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال فى القرآن كقوله ادفع بالتي هى أحسن أى بالحصله التى هى أحسن أما قوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا فاعلم انه تعالى وصف القرآن بثلاثة أنواع من الصفات أوها أنه يهدى للتى هى أقوم وقد مر تفسيره (والصفة الثانية) أنه يبشر الذين يعملون الصالحات بالاجر الكبير وذلك لان الصفة الالهى لما دلت على كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الاصبوب والعمل الاصلح ووجب أن يظهر لهذا الصواب والصلاح أثر وذلك هو الاجر الكبير لان الطريق الاقوم لا بد وان يفيد الرخ الاكبر والنفع الاعظم (والصفة الثالثة) قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما وذلك لان الاعتقاد الاصبوب والعمل الاصلح كما يوجب لفاعله النفع الاكبر الاعظم فكذلك تركه يوجب لتاركة الضرر الاعظم الاكل واعلم أن قوله وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا والمعنى انه تعالى يبشر المؤمنين بنوعين من البشارة بنوايبهم وبعقاب أعدائهم ونظيره قوله بشرت زيدا أنه سيه على وبأن عدوه سيمنع فان قيل كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب قلنا مذكور على سبيل التهكم أو يقال انه من باب اطلاق اسم الضدين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فان قيل هذه الآية ورادة فى شرح أحوال اليهود وهم ما كانوا يتكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الموضع قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما قلنا اعنه جوابان (أحدهما) ان أكثر اليهود يتكرون الثواب والعقاب الجسمانيين (والثاني) أن بعضهم قال لن تمسنا النار الا أياما معدودات فهم فى هذا القول صاروا كالمتكبرين للآخرة والله أعلم \* قوله تعالى (ويدع الانسان باشر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا) وفى الآية مباحث (البحث الاول) اعلم ان وجه النظم هو أن الانسان بعد أن أنزل الله عليه القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة والكرامة الكاملة قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع الى بياناته ويقدم على ما لا فائدة فيه فقال ويدع الانسان بالشر دعاه بالخير (البحث الثاني) اختلفوا فى المراد من دعاه الانسان بالشر على أقوال (الاول) المراد منه الضرر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجاب الله

وأهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتانى الى أن يزول عنه ﴿ دعاه ﴾ ما يستر به روى أنه عليه الصلاة

والسلام دفع الى سودة أسيرا فأرخت كتافه رحمة لا ينه بالليل من أم القد فهرب فلما أخبره النبي عليه الصلاة والسلام قال اللهم اقطع يديها فرغت سودة يديها فتوقع ﴿ ٥٥٣ ﴾ الاجابة فقال عليه السلام انى حات الله تعالى أن يجعل دعائى

على من لا يستحق من  
أهلى عذابا رحمة أو يدهو  
بما هو شر وهو يحسبه  
خبرا وكان الانسان عجولا  
غير متبصر لا يتدبر في  
أمره حق التدبر لا يتحقق  
ما هو خير حقيق بالدعاء به  
وما هو شر جدير  
بالاستعاذة منه (وجعلنا  
الليل والنهار آيتين)  
شروع في بيان بعض  
وجوه ما ذكر من الهداية  
بالارشاد الى مسلك  
الاستدلال بالآيات  
والدلائل الاتفاقية التي  
كل واحدة منها برهان  
نير لا ريب فيه ومنهاج  
بين لا يضل من يتحبه  
فان الجمل المذكور وما  
عطف عليه من محوآية  
الليل وجعل آية النهار  
مبصرة وان كانت من  
الهدايات التكوينية لكن  
الاخبار بذلك من  
الهدايات القرآنية  
المنبهة على تلك الهدايات و  
تقديم الليل لمراعاة الترتيب  
الوجودى اذ منه ينسلك  
النهار وفيه تظهر غرر  
الشهور واوان الليلة  
أضيفت الى ما قبلها  
من النهار لكانت من

دعاه وضربت رقبتة فكان بعضهم يقول اثنا بعذاب الله وآخرون يقولون متى هذا  
الوعدان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل واعتقادان محمدا كاذب فيما يقول  
(والقول الثانى) المراد انه في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له  
في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة  
بنت زمعة أسيرا فقبل يثن بالليل فقالت له مالك تئن فشكى أم القد فأرخت له من كتافه فلما  
نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي عليه الصلاة والسلام دعاه فاعلم بشأنه فقال عليه  
الصلاة والسلام اللهم اقطع يدها فرغت سودة يديها فتوقع أن يقطع الله يدها فقال النبي  
صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن يجعل دعائى على من لا يستحق عذابا من أهلى رحمة  
لانى بشر أعضب كما تعضبون فلتزد سودة يدها (والقول الثالث) أقول يحتمل أن يكون  
المراد ان الانسان قديباغ في الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خيره فيه مع ان ذلك الشيء يكون  
منع شره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا  
العمل لكونه عجولا مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها (البحث  
الرابع) القياس اثبات الواو في قوله ويدع الا انه حذف في المصحف من الكتابة لانه  
لا يظهر في اللفظ ألم لم تحذف في المعنى لانها في موضع ارفع ونظيره سندع الاز بانية وسوف  
يوث الله المؤمنين ويوم يناد المناد فاتنن النذر ولو كان بالواو والياء لكان صوابا بهذا  
كلام الفراء وأقول ان هذا يدل على انه سبحانه قد عصم هذا القرآن المجيد عن التحريف  
والتغيير فان اثبات الياء والواو في أكثر الفاظ القرآن وعدم اثباتهما في هذه المواضع  
المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحدا لم يتصرف فيه بمقدار فهمه وقوة  
عقله ثم قال تعالى وكان الانسان عجولا وفي هذا الانسان قولان (الاول) آدم عليه  
السلام وذلك لانه لما انتهت الروح الى سترته نظر الى جسده فأعجبه فذهب اينهض فلم يقدر  
فهو قوله وكان الانسان عجولا (والقول الثانى) انه محمول على الجنس لان أحدا من  
الناس لا يعرى عن عجلة ولو تركها لكان تركها أصلح له في الدين والدنيا وأقول بتقدير  
أن يكون المراد هو القول الاول كان المقصود عائدا الى القول الثانى لانا اذا حملنا  
الانسان على آدم عليه الصلاة والسلام كان المعنى ان آدم الذى كان أصل البشر لما كان  
موصوفا بهذه الجملة وجب أن تكون هذه صفة لازمة لكل فكان المقصود عائدا الى  
القول الثانى والله أعلم \* قوله تعالى ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا  
آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب وكل شى فصلنا  
تفصيلا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما  
بين في الآية المقدمة ما وصل الى الخلق من نعم الدين وهو القرآن أتبعه ببيان ما وصل  
اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وكان القرآن ممتزج من المحكم  
والمتشابه فكذلك الدهم مركب من النهار والليل فالمحكم كان النهار والمتشابه كالليل وكان

شهر وصاحبها من شهر آخر وترتيب ﴿ ٧٠ ﴾ خا غاية آية النهار عليها بلا واسطة أى جعلنا اللوون بربا

وتمامها واختلافها في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يخار في فهمها القول آيتين تدلان على أن لهما صانعا حكما  
قادرا عليهما وتهديانا الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة ﴿ ٥٥٤ ﴾ الاسلام والتوحيد (فحونا الآية الليل) الاضافة

اما يانية كافي اضافة  
العدد الى المعدود اى  
مخونا الآية التي هي  
الليل وفائدتها تحقيق  
مضمون الجملة السابقة  
ومحوها جعلها مضمومة  
الضوء مطموسه لكن  
لا بعد ان لم يكن كذلك  
بل ابدا عها على ذلك  
كافي قولهم سبحانه من  
صغر البعوض وكبر  
الغيل اى انشأهما كذلك  
والفاء تفسيرية لان المحو  
تلك كور وما عطف عليه  
ليسا مما يحصل عقيب  
جعل الجديدين آيتين بل  
هما من جملة ذلك الجمل  
ومتماته ( وجعلنا آية  
النهار ) اى الآية التي  
هي النهار على نحو ما  
( مبصرة ) اى مضيئة  
يصرف فيها الاشياء وصفا  
لها بحال أهلها اى مبصرة  
للناس من أبصره فبصره  
واما حقيقة الآية الليل  
والنهار نيراهما ومحو  
القمر اما خلقه مطموس  
النور في نفسه فالفناء كما  
ذكر واما نقص ما استفاد  
من الشمس شيئا فشيئا  
الى المحاق على ما هو  
معنى المحو والفناء للتعقيب

ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر الحكم والمنشأ به فكذلك الوقت والزمان لا يكمل  
الانتفاع به الا بالنتهاء والليل ( والوجه الثاني ) في تقرير النظم أنه تعالى لما بين في الآية  
المتقدمة ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم وذلك الاقوم ليس الا ذكر الدلائل الدالة على  
التوحيد والنبوة لاجرم اوردفه بذكر دلائل التوحيد وهو عجائب العالم العلوى والسفلى  
( الوجه الثالث ) انهما لوصف الانسان بكونه عجولا اى منتقلا من صفة الى صفة ومن  
حالة الى حالة بين ان كل احوال هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة وبالضد  
وانتقال نور القمر من الزيادة الى النقصان وبالضد والله اعلم ( المسئلة الثانية ) في قوله  
وجعلنا الليل والنهار آيتين قولان ( الاول ) أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل  
والنهار والمعنى انه تعالى جعلهما دليلين للحق على مصالح الدين والدنيا اى ما فى الدين فلان  
كل واحد منهما مضاد للآخر معاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام من اقوى الدلائل  
على انهما غير موجودين لذاتهما بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير  
المخصوصة واما فى الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل وانهار فلو لا الليل لما حصل  
السكون والراحة ولو لا النهار لما حصل الكسب والنصرف في وجوه المعاش ثم قال تعالى  
فحونا الآية الليل وعلى هذا القول تكون الاضافة في آية الليل والنهار للتبيين والتقدير  
فحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي نفس النهار مبصرة ونظيره قولنا نفس  
الشيء وذاته فكذلك آية الليل هي نفس الليل ويقال ايضا دخلت بلا دخرا سان اى  
دخلت البلاد التي هي خراسان فكذلك ههنا ( القول الثاني ) أن يكون المراد وجعلنا نيرى  
الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فحونا آية الليل وهي القمر وفي تفسير محو القمر  
قولان ( الاول ) المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أول  
الامر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في الانقاص  
قليلا قليلا وذلك هو المحو الى أن يعود الى المحاق ( والقول الثاني ) المراد من محو القمر  
الكلف الذى يظهر في وجهه يروى ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل  
الله جبريل عليه الصلاة والسلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ومعنى  
المحوف اللغة اذ هاب الاثر تقول محوته أمحوه وانمحي وامحى اذا ذهب أثره وأقول حل  
المحوف هذه الآية على الوجه الاول اولى وذلك لان اللام في قوله لتبتغوا فضلا من ربكم  
وتعلموا عدد السنين والحساب متعلق بما هو مذكور قبل وهو محو آية الليل وجعل آية  
النهار مبصرة ومحو آية الليل انما يؤتى في ابتداء فضل الله اذا جعلنا المحو على زيادة نور القمر  
ونقصانه لان سبب حصول هذه الحالة يختلف بأحوال نور القمر وأهل التجارب بينوا  
ان اختلاف احوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في احوال هذا العالم ومصلحه مثل  
أحوال البحار في المد والجزر ومثل احوال التجربات على ما تذكره الاطباء في كتبهم  
وأبضا بسبب زيادة نور القمر ونقصانه يحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور يحصل

وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة ( لتبتغوا ) السنون ﴿



متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير إليه أي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار ( فضلا من ربكم ) أي رزقا فلا يتسنى ذلك في الليل ﴿ ٥٥٥ ﴾ وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض

لصفة الربوبية المنبثقة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلبة وإنما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضا بحكم الربوبية ( وتعلموا ) متعلق بكلا الفعلين أعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ يكون ذلك بانفراد مدارا للعلم المذكور أي لتعلموا بتفاوت الجديدين أو تيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما أو حركتهما أو أوضاعهما وسائر أحوالهما ( عدد السنين ) التي يتعلق بها غرض علمي لا إقامة مصالحكم الدنيوية والدينية ( والحساب ) أي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات أي الاشهر والايام والايام وغير ذلك مما يطبه شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينظمه

السنون العربية المبنية على رؤية الالهة كما قال وتعلموا عدد السنين والحساب فثبت ان حل المحو على ما ذكرناه أولى وأقول أيضا لو حلنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضا برهان عظيم قاهر على صحة قول المسلمين في المبدأ والمعاد ما دللته على صحة قولهم في المبدأ فلان جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات فمحصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على أنه ليس بسبب الطبيعة بل لاجل ان الفاعل المختار خصص بعض أجزائه بالنور القوى وبعض أجزائه بالنور الضعيف وذلك يدل على ان مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات واحسن ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه انه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الافلاك فلما كانت تلك الاجرام أقل ضوئا من جرم القمر لاجرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان وهذا لا يفيد مقصود الخصم لان جرم القمر لما كان متشابه الاجزاء فلم ارتكزت تلك الاجرام الظلمانية في بعض اجزاء القمر دون سائر الاجزاء وبمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب وذلك لان الفلك جرم بسيط متشابه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب وذلك يدل على ان اختصاص ذلك الكواكب بذلك الموضع المعين من الفلك لاجل تخصيص الفاعل المختار وكل هذه الدلائل انما يراد من تقريرها وإيرادها التنبية على ان المؤثر في العالم فاعل بالاختيار لا موجب بالذات والله أعلم بما قوله وجعلنا آية انهار مبصرة ففيه وجهان ( الاول ) ان معنى كونها مبصرة أي مضيئة وذلك لان الاضاءة سبب لحصول الابصار فاطلق اسم الابصار على الاضاءة اطلاقا لاسم السبب على السبب ( والثاني ) قال أبو عبيدة يقال قد أبصر النهار اذا صار الناس يهضرون فيه كقولهم رجل يحب اذا كان أصحابه خبيثا ورجل مضعف اذا كانت ذراريه ضعافا فكندا قوله والنهار مبصرا أي أهله بصراء واعلم انه تعالى ذكر في آيات كثيرة منافع الليل والنهار قال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال أيضا جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ثم قال تعالى ولتبتغوا فضلا من ربكم أي لتبصروا وكيف تتصرفون في أعمالكم وتعلموا عدد السنين والحساب واعلم ان الحساب مبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنون فالعدد للسنين والحساب للمادون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعده المراتب الاربع لا يحصل الا التكرار كما انهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والالوف وليس بعدها الا التكرار والله أعلم ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا والمعنى انه تعالى لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى على اهل الدنيا فلما شرح الله تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق كان ذلك

الحساب وانما الذي يتعلق به العددانفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة للناس من الحيثة المذكورة أعني حيثة تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد تحصل

كل واحد منهما من عدة أيام قد حصل كل منها ببطء ففة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد  
من تلك الطائفة المعدودة بعدها أي يفنيها من غير أن يعتبر ﴿ ٥٥٦ ﴾ في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه مأمور

تفصيلا نافعوا وينا كما فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا أي كل شيء بكم اليه حاجة  
في مصالح دينكم ودنياكم فقد فصلناه وشرحناه وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من  
شيء وقوله وزنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وانما ذكر  
المصدر وهو قوله تفصيلا للاجل تأكيد الكلام وتقريره كأنه قال وفصلناه حقا وفصلناه  
على الوجه الذي لا من يدعيه والله أعلم \* قوله تعالى ( وكل انسان أزمانه طائر في عنقه  
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا )  
اعلم ان في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) في كيفية النظم وجوه ( الاول ) انه تعالى لما  
قال وكل شيء فصلناه تفصيلا كان معناه أن كل ما يحتاج اليه من دلائل التوحيد والتبوة  
والمعاد فقد صار مذكورا وكل ما يحتاج اليه من شرح أحوال الوعد والوعيد  
والترغيب والترهيب فقد صار مذكورا واذا كان الامر كذلك فقد أزيلت الاعذار  
وأزيلت العلة فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فقد أزمانه طائر في عنقه ونقول له  
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ( الوجه الثاني ) انه تعالى لما بين انه وصل الى  
الخلق أصناف الاشياء النافعة لهم في الدين والدنيا مثل آيتي الليل والنهار وغيرهما كان  
منعنا عليهم بأعظم وجوه النعم وذلك يقتضى وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته فلا جرم  
كل من ورد عرصة القيامة فانه يكون مسؤلا عن أعماله وأقواله ( الوجه الثالث ) في تقرير  
النظم انه تعالى لما بين انه ما خلق الخلق الا ليشغلوا بعبادته كما قال وما خلقت الجن  
والانس الا ليعبدون فلما شرح أحوال الشمس والقمر والليل والنهار كان المعنى اني انما  
خلقت هذه الاشياء لتنتفعوا بها فتصبروا متمكنين من الاشتغال بطاعتي وخدمتي واذا  
كان كذلك فكل من ورد عرصة القيامة سأله انه هل أتى بتلك الخدمة والطاعة أو تمرد  
وعصى وبغى فمذاهر الوجه في تقرير النظم ( المسئلة الثانية ) في تفسير لفظ الطائر قولان  
( الاول ) ان العرب اذا ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك  
العمل يسوقهم الى خيرا أو الى شر اعتبروا أحوال الطير وهو انه يطير بنفسه أو يحتاج الى  
ازعاجه واذا طار فهل يطير متيامنا أو ميتاسرا أو صاعدا الى الجوالى غير ذلك من الاحوال  
التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة  
والحسوسة فلما كثر ذلك منهم سمي الخبير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه ونظيره قوله  
تعالى في سورة يس قالوا انا تطيرنا بكم الى قوله قالوا طائركم معكم فقوله وكل انسان  
أزمانه طائر في عنقه أي كل انسان أزمانه عمله في عنقه وتدل على صحة هذا الوجه قراءة  
الجن ومجاهد أزمانه طيره في عنقه ( القول الثاني ) قال أبو عبيدة الطائر عند العرب  
الحظ وهو الذي تسميه الفرس الجنت وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر ما طار له من  
خير وشر والتحقيق في هذا الباب انه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار  
مخصوص من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه

في سورة يونس من أن  
الحساب احصاء ما له كمية  
منفصلة بتكرير أمثاله  
من حيث يحصل  
بطائفة معينة منها حد  
معين منه له اسم خاص  
وحكم مستقل كما أشير  
اليه آنفا والعدا احصاؤه  
بمجرد تكرير أمثاله  
من غير أن يحصل منه  
شيء كذلك ولما أن السنين  
لم يعتبر فيها حد معين له  
أنتم خاص وحكم مستقل  
أطيف اليها العدد  
وخلق الحساب بما عداها  
كما اعتبر فيه تحصل  
بمرات معينة لها اسم  
خاصة وأحكام مستقلة  
فوق تحصل مراتب  
الاعداد من العشرات  
والمئات والالوف  
اعتباري لا يجدي في  
تحصيل المعدودات  
وتقديم العدد  
على الحساب مع أن  
الترتيب بين متعلقيهما  
وجودا وعلما على  
العكس النبيه من اول  
الامر على أن متعلق  
الحساب ما في تضاعيف  
السنين من الاوقات  
أولان العلم المتعلق بعدد

السنين علم اجالي بما يتعلق به الحساب تفصيلا أولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل \* ان  
شيء آخر منه حسبا ذكرنا زل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيطين

المركب أولان العلم المنطق بالاول أقصى المراتب فكان جديراً بالتقدير في مقام الامتنان والله سبحانه أعلم ( وكل شيء )  
تفتشرون اليه في المعاش والمعاد سوى ﴿ ٥٥٧ ﴾ ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية

والديوية وهو منصوب  
بفعل يفسره قوله تعالى  
( فصلناه تفصيلاً ) أى  
يبناه في القرآن الكريم  
ببانا بليغاً لا لبس  
معه كقوله تعالى وزنا  
عليك الكتاب تبياناً  
لكل شيء فظهر كونه  
هادياً التي هي أقوم  
ظهوراً بيننا ( وكل انسان )  
مكلف ( أزمناء طائر )  
أى عمله الصادر عنه  
باختياره حسب قدره  
كأنه طائر اليه من  
عش الغيب ووكرا القدر  
أوما وقع له في القسمة  
الازلية الواقعة حسب  
استحقاقه في العلم الازل  
من قولهم طار له سهم  
كذا ( في عنقه ) تصوير  
لشدة الزوم وكال  
الارتباط أى أزمناء  
عمله بحيث لا يفارقه  
أبدان يلزمه زوم  
القلادة أو الغل للعنق  
لا يفك عنه بحال  
وقرى بسكون النون  
( ونخرج له ) بنون  
العظمة وقد قرى بالياء  
مبنياً للفاعل على أن  
الضمير لله عز وجل  
والمفعول والضمير للطائر

ان يتجاوز ذلك القدر وان ينحرف عنه بل لا بد وان يصل الى ذلك القدر بحسب الكمية  
والكيفية فذلك الاشياء المقدرة كأنها تطير اليه وتصير اليه فهذا المعنى لا يجدان يعبر  
عن تلك الاحوال المقدرة بلفظ الطائر فقوله وكل انسان أزمناء طائر في عنقه كناية عن ان  
كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه حصوله فهو لازم له واصل اليه غير منحرف عنه واعلم  
ان هذا من أدل الدلائل على ان كل ما قدره الله تعالى للانسان وحكم عليه به في سابق عمله  
فهو واجب الوقوع متمم لعدم وتقريره من وجهين ( الاول ) ان تقدير الآية وكل  
انسان أزمناء عمله في عنقه فبين تعالى ان ذلك العمل لازم له وما كان لازماً للشيء كان  
متمم الزوال عنه واجب الحصول له وهو المقصود ( والوجه الثاني ) انه تعالى أضاف ذلك  
الالزام الى نفسه لان قوله أزمناء تصریح بان ذلك الالزام انما صدر منه ونظيره قوله تعالى  
وأزمنهم كلمة التقوى وهذه الآية دالة على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل  
واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة والله أعلم  
( المسئلة الثالثة ) قوله في عنقه كناية عن الزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أى قلدتك  
هذا العمل وأزمنتك الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقتك كذا أى صرفته اليك  
وازمنته اياك ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في زومها له في موضع القلادة  
ومكان الطوق ومنه يقال فلان يقلد فلان أى جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على  
عنقه قال أهل المعاني وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء بهذا المعنى لان الذي  
يكون عليه اما أن يكون خيراً يزينه أو شراً يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلى  
والذي يشين فهو كالغل فلهذا عمله ان كان من الخيرات كان زينة له وان كان من المعاصي  
كان كالغل على رقبته ثم قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً قال الحسن  
با بن آدم بسطنا لك صحيفة ووكلك بك ملكان فهماعن يمينك وشمالك فاما الذي عن يمينك  
فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مات طويت صحيفتك  
وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة قوله ونخرج له أى من قبره يجوز  
أن يكون معناه نخرج له ذلك لانه لم يركب في الدنيا فاذا بعث أظهر له ذلك وأخرج من الستر  
وقرأ يعقوب ويخرج له يوم القيامة كتاباً أى يخرج له الطائر أى عمله كتاباً منشوراً كقوله  
تعالى وأذا الصحف نشرت وقرأ ابن عامر يلقاه من قولهم لقيت فلاناً الشيء أى استقبلته به  
قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وهو منقول بالتشديد من لقيت الشيء ولقائه زيد ثم قال  
تعالى اقرأ كتابك والتقدير يقال له وهذا القائل هو الله تعالى على السنة الملائكة اقرأ  
كتابك قال الحسن يقرؤه أمياً كان أو غير أمي وقال بكر بن عبدالله يوثى بالموء من يوم  
القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف  
صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن انها قد أوبقتة قال الله تعالى اذهب فقد غفرتنا لك  
فيما بيني وبينك فيه ظم سروره وبصير من الذين قال في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة

كافي قراءة تخرج من الخروج ( يوم القيامة ) والبعث للحساب ( كتاباً ) مسطوراً فيه ما ذكر من عمله نقرأ وقطعياً وهو  
مفعول لتخرج على القرائتين

الاوليين أو حال من المقبول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخر بين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر (يلقاه) أى يلقي الانسان أو يلقيه الانسان (منشورا) \* ٥٥٨ \* وهما صفتان للكتاب أو الاول صفة والثاني

مستبشرة ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه واما قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أى محاسبا قال الحسن عدل والله في حقك من جهلك حبيب نفسك قال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله أعلم (المسئلة الرابعة) قال حكيماء الاسلام هذه الآية في غاية الشرف وفيها أسرار عجيبة في ابحاث (فالبحت الاول) انه تعالى جعل فعل العبد كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل أحد في الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذى سبق في علم الازل وحكمه الازل لا بدوان يصل اليه فذلك الحكم كأنه طائر يطير اليه من الازل الى ذلك الوقت فاذا حضر ذلك الوقت وصل اليه ذلك الطائر وصولا لا خلاص له البتة ولا انحراف عنه البتة واذ علم الانسان في كل قول وفعل ونحة وفكرة انه كان ذلك بمنزلة طائر طيره الله اليه على منهج معين وطريق معين وانه لا بدوان يصل اليه ذلك الطائر فند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لانتم الابالعبانية الازلية (والبحث الثاني) ان هذه التقديرات انما تقدرت بلازم الله تعالى وذلك باعتبار انه تعالى جعل لكل حادث حادثا متقدما عليه لحصول الحادث المتأخر فلما كان وضع هذه السلسلة من الله لا جرم كان الكل من الله وعند هذا يتخيل الانسان طيور الانهائية لها ولا غاية لاعدادها فانه تعالى طيرها من وكر الازل وظلمات عالم الغيب وانها صارت وطارت طيرا لا ابدية له ولا غاية له وكان كل واحد منها متوجها الى ذلك الانسان المعين في الوقت المعين بالصفة المعينة وهذا هو المراد من قوله أزمناه طائر في عنقه (البحث الثالث) ان التجربة تدل على ان تكرار الاعمال الاختيارية تفيد حدوث الملكة النفسانية الراسخة في جوهر النفس ألا ترى ان من واطب على تكرار قراءة درس واحد صار ذلك الدرس محفوظا ومن واطب على عمل واحد مدة مديدة صار ذلك العمل ملكة له اذا عرفت هذا فنقول لما كان التكرار الكثير يوجب حصول الملكة الراسخة ووجب أن يحصل لكل واحد من تلك الاعمال أثرها في جوهر النفس فاننا لما رأينا ان عند توالي القطرات الكثيرة من الماء على الحجر حصلت الثقبية في الحجر علمنا ان لكل واحد من تلك القطرات أثرا ما في حصول ذلك الثقب وان كان ضعيفا قليلا وان كانت الكتابة أيضا في عرف الناس عبارة عن نقوش مخصوصة اصطلاح الناس على جعلها معارف لالفاظ مخصوصة فعلى هذا دلالة تلك النقوش على تلك المعاني المخصوصة دلالة كالتة جوهرية واجبة الشبوت ممتعة الزوال كان الكتاب المشتمل على تلك النقوش أولى باسم الكتاب من الصحيفة المشتملة على النقوش الدالة بالوضع والاصطلاح واذا عرفت هاتين المقدمتين فنقول ان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان أو قليلا قويا كان أو ضعيفا فانه يحصل منه لا محالة في جوهر النفس الانسانية أثر مخصوص فان كان ذلك الأثر الجذب جوهر الروح من الخلق الى حضرة الحق كان ذلك من موجبات السعادات والكرامات

حال منها وقرى يلقاه من لقيته كذا أى يلقي الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكلك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى قائلين لك ذلك عن فتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بأثار أعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص الا أنه يخفى مادام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت

نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ \* وان \* عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى

بنفسك اليوم عليك حسيا ) اي كفى نفسك والباء ﴿ ٥٥٩ ﴾ زائدة واليوم ظرف لكفى وحسبنا ثمير وعلى صلته

لانه بمعنى الحاسب  
كالصريم بمعنى الصارم  
من حسب عليه كذا  
او بمعنى الكافي ووضع  
موضع الشهيد لانه يكفي  
المدعى ما اهمه وتذكيره  
لان ما ذكر من الحساب  
والكفاية مما يتولاه الرجال  
اولا لانه مبني على تأويل  
النفس بالشخص على انها  
عبارة عن نفس المذكر  
كقول جبلة بن حريث  
\* يانفس انك بالذات  
مسرور \* فاذا كرفل  
ينفعك اليوم تذكير  
(من اهتدى فانما يهتدى  
لنفسه) فذلك لما تقدم  
من بيان كون القرآن هاديا  
لاقوم الطرائق ولزوم  
الاعمال لاصحابها  
أى من اهتدى بهدياته  
وعمل بما في نضاه عيضا  
من الاحكام وانتهى  
عناها عنه فانما تعود منفعة  
اهتدائه الى نفسه لا لتخطاه  
الى غيره ممن لم يهتد  
(ومن ضل) عن الطريقة  
التي يهتدي بها (فانما يضل  
عليها) أى فانما يضل  
ضلاله عليها الاعلى من  
عداه ممن لم ييسا شره  
حتى يمكن مفارقة العمل

وان كان ذلك الاثر الجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من  
موجبات الشقاوة والخذلان لان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان  
اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وتجليها وظهورها  
فاذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن فهناك تحصل القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام  
من مات فقد قامت قيامته ومعنى كون هذه الحالة قياما ان النفس الناطقة كانت  
كانت ساكنة مستقرة في هذا الجسد السفلى فاذا انقطع ذلك التعلق قامت النفس  
وتوجهت نحو السموات الى العالم العلوى فهذا هو المراد من كون هذه الحالة قياما ثم عند  
حصول القيامة بهذا المعنى زال الغطاء وانكشف الوطاء وقيل له فكشفنا عنك غطاءك  
فبصرك اليوم حديد وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا معناه ونخرج له  
عند حصول هذه القيامة من عرق البدن المظلم كتابا مشملا على جميع تلك الآثار الحاصلة  
بسبب الاحوال الدنيوية ويكون هذا الكتاب في هذا الوقت منشورا لان الروح حين  
كانت في البدن كانت هذه الاحوال فيه مخفية فكانت كالطوية أما بعد انقطع التعلق  
الجسد انى ظهرت هذه الاحوال وجلت وانكشفت فصارت كأنها مكشوفة منشورة  
بعد ان كانت مطوية وظاهرة بعد ان كانت مخفية وعند ذلك تشهد القوة العقلية جميع  
تلك الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ كتابك  
ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيا فان تلك الآثار ان كانت من موجبات  
السعادة حصلت السعادة لا محالة وان كانت من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة  
لا محالة فهذا تفسير هذه الآية بحسب الاحوال الروحانية واعلم ان الحق ان الاحوال  
الظاهرة التي وردت فيها الروايات حق وصدق لامرية فيها واحتمال الآية لهذه المعاني  
الروحانية ظاهر أيضا والمنهج القويم والصرط المستقيم هو الاقرار بالكل والله أعلم  
بمخائيق الامور \* قوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها  
ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) في الآية مسائل (المسئلة  
الاولى) انه تعالى لما قال في الآية الاولى وكل انسان اذناه طائر في عنقه ومعناه ان كل  
أحد مختص بعمل نفسه عبر عن هذا المعنى بعبارة اخرى أقرب الى الافهام وأبعد عن الغلط  
فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يعنى ان ثواب العمل  
الصالح مختص بفاعله ولا يتعدى منه الى غيره ويتأكد هذا بقوله وأن ليس للانسان  
الاماسعى وأن سعيه سوف يرى قال الكعبى الآية دالة على ان العبد ممكن من الخير  
والشر وانه غير مجبور على عمل بعينه أصلا لان قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن  
ضل فانما يضل عليها انما يليق بالقادر على الفعل الممكن منه كيف شاء وأراد اما المجبور  
على أحد الطرفين المنوع من الطرف الثاني فهذا لا يليق به (المسئلة الثانية) انه تعالى  
أعاد تقرير ان كل أحد مختص بأثر عمله بنفسه بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج

صاحبه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تأكيد للجملة الثانية أى لا تحمل نفس حامله للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن  
تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا

تحقيق المعنى قوله عز وجل وكل انسان أذن طاره \* ٥٦٠ \* في حنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع

يقال وزير فهو وزير ووزر وزرا ووزرة ومعناه المباشرة كما قال وفي تاويل الآية وجهان (الاول) ان المذنب لا يؤخذ بذنب غيره وأيضاً غيره لا يؤخذ بذنبه بل كل أحد يختص بذنب نفسه (والثاني) انه لا ينبغي ان يعمل الانسان بالاثم لان غيره عمله كما قال الكفار انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون واعلم ان الناس تمسكوا بهذه الآية في اثبات أحكام كثيرة (الحكم الاول) قال الجبائي في الآية دلالة على انه تعالى لا يعذب الاطفال بكفر آبائهم والالكان الطفل مؤاخذاً بذنب أبيه وذلك على خلاف ظاهر هذه الآية (الحكم الثاني) روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت يعذب ببكاء أهله فعائشة طعنت في صحة هذا الخبر واحتجبت على صحة ذلك الطعن بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزراً أخرى فان تعذيب الميت بسبب بكاء أهله أخذ للانسان بجرم غيره وذلك خلاف هذه الآية (الحكم الثالث) قال القاضي دلت هذه الآية على ان الوزر والاثم ليس من فعل الله تعالى وبيانه من وجوه (أحدها) انه لو كان كذلك لامتنع ان يؤخذ العبد به كما لا يؤخذ بوزر غيره (وثانيها) انه كان يجب ارتفاع الوزر أصلاً لان الوزر انما يصح أن يوصف بذلك اذا كان مختاراً يمكنه التحرر واهذا المعنى لا يوصف الصبي بهذا (الحكم الرابع) ان جماعة من قدماء الفقهاء امتنعوا من ضرب الدية على العاقلة وقالوا لان ذلك يقتضي مؤاخذاً الانسان بسبب فعل الغير وذلك على مضادة هذه الآية وأوجب عنه بان الخطي ليس بمؤاخذاً على ذلك الفعل فكيف يصير غيره مؤاخذاً بسبب ذلك الفعل بل ذلك تكليف واقع على سبيل الاتداء من الله تعالى (المسئلة الثالثة) قال أصحابنا وجوب شكر المنعم لا يثبت باعتق بل بالسمع والدليل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجه الاستدلال ان الوجوب لا يتقرر بما هيته الا بترتيب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرح بحكم هذه الآية فوجب أن لا يتحقق الوجوب قبل الشرح ثم أكدوا هذه الآية بقوله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبقوله ولو أنأهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ولقائل أن يقول هذا الاستدلال ضعيف وبيانه من وجهين (الاول) أن نقول لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي البتة وهذا باطل فذاك باطل بيان الملازمة من وجوه (أحدها) انه اذا جاء المشرع وادعى كونه نبياً من عند الله تعالى وأظهر المعجزة فهل يجب على المستمع استماع قوله والتأمل في معجزاته أو لا يجب فان لم يجب فقد بطل القول بالنبوة وان وجب فاما أن يجب بالعقل أو بالشرع فان وجب بالعقل فقد ثبت الوجوب العقلي وان وجب بالشرع فهو باطل لان ذلك الشرع اما أن يكون هو ذلك المدعى أو غيره والاول باطل لانه يرجع حاصل الكلام الى ان ذلك الرجل يقول الدليل على انه يجب قبول قولي اني أقول انه يجب قبول قولي وهذا ثابت للشيء بنفسه وان كان ذلك الشارع غيره كان

شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنه وتضرره بسئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسئته فان جزاء الحسنه والسئته اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل ال من يشفع جزاء شفاعته لاجزاء أصل الحسنه والسئته وكذلك جزاء الضلال مقصور على المضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الضلال لاجزاء الضلال وانما خص التأكيدها بالجملة الثانية قطعاً للاطماع بالفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعية على أسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذبين) بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته

وعلم مؤاخذاً النفس بجناية غيرها أي وما صح وما استقام منابل استجمال في سنتنا النبوية \* الكلام \*  
على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي

وقضائنا السابق أن نعذب أحدا من أهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ﴿ ٥٦١ ﴾ وبقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب

المزل عليه والمراد بالعداب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده والجنس الشامل للديوي والاخر وى وهو من أفرادها وأيا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخر وى لا يمكن وقوعه هقيب البعث والديوي أيضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الأيرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زها ألف سنة وقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعنم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنها المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل دنووقتها كما في قوله تعالى أتى أمر الله أى واذا دنا وقت تعلق

الكلام فيه كما في الاول ولزم اما الدور أو التسلسل وهما محالان (وثانيتها) ان الشرع اذا جاء ووجب بعض الافعال وحرّم بعضها فلا معنى للايجاب والتحريم الا أن يقول لو تركت كذا وفعلت كذا العاقبتك فنقول اما أن يجب عليه الاحتراز عن العقاب أو لا يجب فلزم يجب عليه الاحتراز عن العقاب لم يتقرر معنى الوجوب البتة وهذا باطل فذلك باطل وان وجب عليه الاحتراز عن العقاب فاما ان يجب بالعقل وبالسمع فان وجب بالعقل فهو المتصور وان وجب بالسمع لم يتقرر معنى هذا الوجوب الاسبب ترتيب العقاب عليه وحينئذ يعود التسميم الاول ويلزم التسلسل وهو محال (وثالثها) ان مذهب أهل السنة أنه يجوز من الله تعالى أن يعفو عن العقاب على ترك الواجب واذا كان كذلك كانت ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا أن يقال ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب وهذا الخوف حاصل بمحض العقل فثبت ان ماهية الوجوب انما تحصل بسبب هذا الخوف وثبت ان هذا الخوف حاصل بمجرد العقل فلزم ان يقال الوجوب حاصل بمحض العقل فان قالوا ماهية الوجوب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من الدم قلنا انه تعالى اذا عفا فقد سقط الدم فعلى هذا ماهية الوجوب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من الدم وذلك حاصل بمحض العقل فثبت بهذه الوجوه ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه واذا ثبت هذا فنقول في الآية قولان (الاول) ان تجرى الآية على ظاهرها ونقول العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة أحد من الانبياء فالعقل هو الرسول الاصلى فكان معنى الآية وما كنا معنيين حتى نبعث رسول العقل (والثاني) ان تخصص عموم الآية فنقول المراد وما كنا معنيين في الاعمال التي لا سييل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الابعد مجي الشرع وتخصيص العموم وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه عند قيام الدلائل وقد بينا قيام الدلائل الثلاثة على انالوقية الوجوب العقلي زمان في الوجوب الشرعي والله أعلم واهل ان الذي ترتضيه ونذهب اليه ان مجرد العقل سبب في أن يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يضر به أما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله تعالى شئ وذلك لاننا نجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر فلا جرم كان العقل وحده كافيا في الوجوب في حقنا والله تعالى منزّه عن طلب النفع والهرب من الضرر فامتنع أن يحكم العقل عليه بوجوب فعل أو ترك فعل والله أعلم \* قوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) كم أهلكتنا من القرون من بعد نوح وكنى بربك بذنوب عباده خبير بصيرا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله أمرنا مترفيها في تفسير هذا الامر قولان (الاول) أن المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية لا يدل على انه تعالى بماذا يأمرهم فقال الاكثر من معناه انه تعالى يأمرهم بالطاعات والخيرات ثم انهم يخالفون ذلك الامر ويفسقون وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل على انه تعالى يأمرهم بافسق فيفسقون الا ان هذا

ارادتنا باهلاك قرية ﴿ ٧١ ﴾ خا بان نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح مناقبه البعثة أو بنوع

بأمرنا فإسائة ممن مطلق العذاب ألقى عذاب الاستئصال للملهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حدمعين (أمرنا) بواسطة الرسول ﷺ ٥٦٢ ﴿المبعوث الى أهلها﴾ مترفها) منعيها وجباريها

مجاز ومعناه أنه فتح عليهم أبواب الخيرات والراحات فعند ذلك تمردوا وطفوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته فقر الأيفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة فكذا ههنا لما قال أمرنا مترفها ففسقوا فيها واجب أن يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا لا يقال بشكل هذا بقولهم أمرته فدعصاني أو فخالفني فان هذا لا يفهم منه اني أمرته بالمعصية والمخالفة لانا نقول ان المعصية منافية للأمر ومناقضة له فكذلك أمرته ففسق يدل على أن المأمور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا يتنافى كونه مأمورا به كما أن كونها معصية يتنافى كونها مأمورا بها فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور غساده فثبت ان الحق ما ذكره الكل وهو أن المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة والقوم خانفوا ذلك الامر عنادا وأقدموا على الفسق (القول الثاني) في تفسير قوله أمرنا مترفها أي أكثرنا فساقها قال الواحدى العرب تقول أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروا وأمرهم أيضا بالمدروى الجرمي عن ابي زيد أمر الله القوم وأمرهم أي كثروا وخجج أبو عبيدة على صحة هذه اللفظة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال مهرة مأمورة وسكته مأبورة والمعنى مهرة قد كثرت نسلها يقولون أمر الله المهرة أي كثروا ودها ومن الناس من انكر أن يكون أمر بمعنى كثروا قالوا أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله بالمدروى كثروا وحلوا وقوله عليه الصلاة والسلام مهرة مأمورة على ان المراد كونها مأمورة بتكثير النسل على سبيل الاستعارة وأما المترف فعناه في اللغة المتنع الذي قد أنطرتة النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها أي خرجوا عما أمرهم الله فحق عليها القول بربداستوجب العذاب وهذا كالتفسير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا وقوله ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فاعلمون فلما حكم تعالى في هذه الآيات انه تعالى لا يهلك قرية حتى يخالفوا أمر الله فلا جرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا الاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول وقوله فدمرنا هاتدميرا أي أهلكتنا اهلاكا الاستئصال والدمار هلاك على سبيل الاستئصال (المسئلة الثانية) اخجج أصحابنا هذه الآية على صحة مذهبهم من وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أرداد ابصال الضرر اليهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكتهم بهذا الطريق (الثاني) ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى انما خص المترفين بذلك الامر لعلمه بأنهم يفسقون وذلك يدل على انه تعالى أراد منهم الفسق (والثالث) انه تعالى قال فحق عليها القول بالتعذيب والكره ومتى حق عليها القول بذلك امتنع صدور الايمان منهم لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا وذلك محال والمفضى الى المحال محال قال الكعبى ان سائر الآيات دلت

وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي أتباع لهم ولان توجه الامر اليهم أكد وعدم التعرض للمأمور به اما الظهور أن المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد ذكر هداية القرآن للمهدي اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطى وينسخ (فسقوا فيها) أي خرجوا عن الطاعة وتمردوا (فحق عليها القول) أي ثبت وتحقق موجه بحلول العذاب اثر ما ظهر منهم من الفسق والظن ان (فدمرناها) بتدمير أهلها (تدميرا) لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز عن الجمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليه ما أبطرهم وأفضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء فأمر أي كثرت فكثروني

الجنتيخ خير المال سكته مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتائج ويعضده قراءة أمرنا وأمرنا من الافعال ﴿على﴾ والتفصيل وقد جعلنا من الامارة أي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام



الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك أن طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعلمه عليهم بنعم وافرة أبطرتهم وحدثهم على الفسق حلا ﴿ ٥٦٣ ﴾ حقيقا أن يعبر عنه بالامر به (كم أهلكنا) أى وكثيرا

مأهلكنا (من القرون  
بيان لكم وتميز له والقرن  
مدة من الزمان يختم  
فيها القوم وهي عشرون  
أو ثلاثون أو أربعون  
أو ثمانون أو مائة وقد أيد  
ذلك بأنه عليه الصلاة  
والسلام ذمها لرجل  
فقال عش قرن افعاش  
مائة سنة أو مائة وعشرون  
(من بعد نوح) من بعد  
زمنه عليه الصلاة  
والسلام كعاد وحمود  
ومن بعدهم من قصت  
أحوالهم في القرآن  
العظيم ومن لم تقص  
وعدم نظم قومه عليه  
الصلاة والسلام في تلك  
القرون المهلكة لظهور  
أمرهم على أن ذكره  
عليه الصلاة والسلام  
رمز إلى ذكرهم (وكفى  
بربك) أى كفى ربك  
(بذنوب عباده خيرا  
بصيرا) يحيط بظواهرها  
وبواطنها فيعاقب عليها  
وتقديم الخبير لتقدم  
متعلقه من الاعتقادات  
والنيات التي هي مبادئ  
الاعمال الظاهرة أو لعمومه  
حيث يتعلق بغير المبررات  
أيضا وفيه إشارة إلى

على انه تعالى لا يتدى بالتعذيب والاهلاك لقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقوله وما كنا مهلكي القري الا أو أهلها ظالمون فكل هذه الآيات تدل على انه تعالى لا يتدى بالاضرار وأيضاً ما قبل هذه الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ومن المحال أن يقع بين آيات القرآن تناقض فثبت ان الآيات التي تلونها محكمة وكذا الآية التي نحن في تفسيرها فيجب حل هذه الآية على تلك الآيات هذا ما قاله الكعبي واعلم ان أحسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية على وجه يوافق قول المعتزلة القفال فإنه ذكر فيه وجهين (الاول) قال انه أخبر أنه لا يعذب أحدا بما يعلمه منه ما لم يعمل به أى لا يجعل علمه حجة على من علم انه ان أمره عصاه بل يأمره فاذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه بقوله واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها معنا واذا أردنا ماضيا ما سبق من القضاء باهلاك قومنا المتنعمين المعتززين الطائنين ان أموالهم وأولادهم وأنصارهم ترد عنهم بأسنا بالايمان في والعمل بشرائهم ديني على ما بلغهم عنى رسول ففسقوا فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ مرنها والحاصل ان المعنى واذا أردنا أن نهلك قرية بسبب علمنا بأنهم لا يقدمون الا على المعصية لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل أمرنا مترفيها ففسقوا فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به (والوجه الثاني) في التأويل ان نقول واذا أردنا أن نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من أهلها لم نعالجهم بالعذاب في أول ظهور المعاصي منهم بل أمرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي وانما يخص المترفين بذلك الامر لان المترف هو المستعم ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر أوجب فاذا أمرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد أخرى مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيدها حالا بعد حال فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل الى الحق فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبائهم قال القفال وهذا التأويل ان راجعنا الى ان الله تعالى أخبر عباده انه لا يعاجل بالعقوبة أمة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية الاعذار الذي يقع منه اليأس من ايمنهم كما قال في قوم نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقال انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن وقال في غيرهم فا كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاخبرنا على أولائه لا يظهر العذاب الا بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم أخبرنا في هذه الآية انه اذا بعث الرسول ايضا فكذبوا لم يعاجلهم بالعذاب بل يتابع عليهم النصائح والمواعظ فان بقوا مصرين على الذنوب فهناك ينزل عليهم عذاب الاستئصال وهذا التأويل الذي ذكره القفال في تطبيق الآية على قول المعتزلة لم يتيسر لاحد من شيوخ المعتزلة مثله وأجاب الجبائي بان قال ليس المراد من الآية انه تعالى يريد اهلاكهم قبل ان يعصوا ويستحقوا وذلك لانه ظلم وهو على الله محال بل المراد من الارادة قرب تلك الحالة

أن البعث والامر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الجملة من كل وجه (من

كان يريد) بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كأعمال البر أو بطريق ترتب المعلولات على العلة كالأسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمراد ﴿ ٥٦٤ ﴾ على الأول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثاني

أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدين والمجاهد لمحض الغنمة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كإتيني عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها إرادة ما فيها من فنون مطا لبها كقوله تعالى ومن كان يريد حث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله (عجلناه فيها) أي في تلك العاجلة فإن الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له فالأنسب بذلك كلمة من كافي قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها (مانشاء) أي مانشاء تعجيله من نعيمها الأكل ما يريد (لمن يريد) تعجيل مانشاءه وهو يدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المتني

عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وهو واحد ﴿ وان ﴾ من الديره وتقييد المجل والمجل له بما ذكر من المثبتة والإرادة لا

أن الحكمة التي عليها يدور فلك الكون لا تقتضي وصول كل طلب الى مراده ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه وأما ما يترامى من قوله تعالى من كان ﴿ ٥٦٥ ﴾ يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبغضون

من نيل كل مؤمل بلجيم  
آماله ووصول كل حامل  
الى نتيجة أعماله فقد أشير  
الى تحقيق القول فيه  
في سورة هود بفضل الله  
تعالى (ثم جعلناه) مكان  
ما جعلناه (جهنم)  
وما فيها من أصناف  
العذاب (بصلاها)  
يدخلها وهو حال من  
الضمير المجرور أو من جهنم  
أو استئناف (مذموما  
مدحورا) مطرودا من  
رجة الله تعالى وقيل  
الآية في المنافقين كانوا  
يراؤون المسلمين ويفرون  
معهم ولم يكن غرضهم  
الإساهمة بهم في القتال  
ونحوها و آياه ما يقال  
ان السورة مكية سوى  
آيات معينة (ومن أراد)  
بأعماله (الآخرة) الدار  
الآخرة وما فيها من  
النعيم المقيم (وسعى  
لها سعيها) أى السعى  
اللاثق بها وهو الاتيان  
بما أمر والانتهاه عما  
نهى لا التقرب بما  
يختصون بأزائمهم وفائدة  
اللام اعتبار النية  
والإخلاص (وهو  
مؤمن) إيماننا صحيحا

أن تكون دائمة وخالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلناه جهنم بصلاها إشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذموما إشارة الى الإهانة والذم وقوله مدحورا إشارة الى البعد والطرده عن رحمة الله وهي تفيد كون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة وتفيد كونها دائمة وخالية عن التبدل بالراحة والخلاص (الفائدة الثانية) ان من الجهال من اذا ساعدته الدنيا اغتر بها وظن أن ذلك لاجل كرامته على الله تعالى وانه تعالى بين ان مساعدة الدنيا لا ينبغي أن يستدل بها على رضا الله تعالى لان الدنيا قد تحصل مع ان عاقبتها هي المصير الى عذاب الله وإهانتة فهذا الانسان عمله تشبه طائر السوء في لزومها له وكونها ساقطة له الى اشد العذاب (الفائدة الثالثة) قوله تعالى لمن يريد على انه لا يحصل الفوز بالدنيا لكل أحد بل كثير من الكفار والضلال يعرضون عن الدين في طلب الدنيا ثم يقعون محرومين عن الدنيا وعن الدين وهذا أيضا فيه زجر عظيم لهؤلاء الكفار والضلال الذين يتكفرون بالدين لطلب الدنيا فانهم بما فاتتهم الدنيا فهم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (واما القسم الثاني) وهو قوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فشرط تعالى فيه شروطا ثلاثة (أحدها) ان يريد بعمله الآخرة أى ثواب الآخرة فانه ان لم يحصل هذه الإرادة وهذه النية لم ينفع بذلك العمل لقوله تعالى وأنيس الانسان الاماسعى وقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات ولان المقصود من الاعمال استنارة القلب بعرفة الله تعالى ومحبته وهذا لا يحصل الا ان نوى بعمله عبودية الله تعالى وطلب طاعته (والشرط الثاني) قوله وسعى لها سعيها وذلك هو أن يكون العمل الذى يتوصل به الى الفوز بثواب الآخرة من الاعمال التي بها ينال ثواب الآخرة ولا يكون كذلك الا اذا كان من باب القرب والطاعات وكثير من الناس يتقربون الى الله تعالى باعمال باطلة فان الكفار يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاوثان ولهم فيه تأويلان (أحدهما) يقولون له العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته فليس لنا هذا القدر والدرجة ولكن غاية قدرنا أن نشغل بعبودية بعض المقر بين من عباد الله تعالى مثل أن نشغل بعبادة كوكب أو عبادة ملك من الملائكة ثم ان الملك والكوكب يشغلون بعبادة الله تعالى فهو لاء يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق الا انه لما كان فاسدا في نفسه لاجرم لم يحصل الانتفاع به (والثاويل الثاني لهم) انهم قالوا نحن اتخذنا هذه التماثيل على صور الانبياء والاولياء ومرادنا من عبادتها ان تصير أولئك الانبياء والاولياء شفعاء لنا عند الله تعالى وهذا الطريق أيضا فاسد وأيضا نقل عن الهند انهم يتقربون الى الله تعالى بقتل أنفسهم نارة و باحراق أنفسهم أخرى و يبالغون في تعظيم الله تعالى الا أنه لما كان الطريق فاسدا لاجرم لم ينفع به وكذلك القول في جميع فرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بمذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة وأعمالهم المخرفة عن قانون الصدق والصواب

لا يخاطب شئ قادح فيه و اراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حد الصلاة (فأولئك) إشارة الى الموصول بمضوان اتصافه بها

في غير الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجاتهم وبعدهم عنهم والجمية لمراعاة جانب المعنى ايمان الى  
ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أي اولئك \* ٥٦٦ \* الجامعون لما مر من الحصول الحميدة أصنى

(والشرط الثالث) قوله تعالى وهو مؤمن وهذا الشرط معتبر لان الشرط في كون أعمال  
البر موجبة للثواب تقدم الايمان فاذا لم يوجد الشرط لم يحصل المشروط ثم انه تعالى  
أخبر ان عند حصول هذه الشرائط يصير السعي مشكورا والعمل مبرورا واعلم ان الشكر  
عبارة عن مجموع أمور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال واثناء عليه بالقول  
والايمان بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله تعالى يعامل المطيعين بهذه  
الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه تعالى يثني عليهم بكلامه  
وانه تعالى يعاملهم بعاملات دالة على كونهم معظمين عند الله تعالى واذا كان مجموع هذه  
الثلاثة حاصلًا كانوا مشكورين على طاعتهم من قبل الله تعالى ورأيت في كتب المعتزلة ان  
جعفر بن حرب حضر عنده واحد من أهل السنة وقال الدليل على أن الايمان حصل بخلق  
الله تعالى اننا نشكر الله على الايمان ولولم يكن الايمان حاصلًا بإيجاده لامتنع ان نشكره  
عليه لان مدح الانسان وشكره على ما ليس من عله فيصح قال الله تعالى ويحبون أن يحمدا  
بما لم يفعلوا فيجزوا الحاضرون عن الجواب فدخل ثمانية بن الاشرس وقال انما نمدح الله تعالى  
ونشكره على ما أعطانا من القدرة والعقل وانزال الكتب وايضاح الدلائل والله تعالى  
يشكرنا على فعل الايمان قال تعالى فاولئك كان سعيهم مشكورا قال فضحك جعفر بن حرب  
وقال صعب المسئلة فسهلت واعلم ان قولنا مجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل كلام  
واضح لانه تعالى هو الذي أعطى الموجب التام لحصول الايمان فكان هو المستحق للشكر  
ولما حصل الايمان للعبد وكان الايمان موجبا للسعادة التامة صار العبد أيضا مشكورا  
ولامنافاة بين الامرين (المسئلة الثانية) اعلم أن كل من اتى بفعل فاما أن يقصد بذلك  
الفعل تحصيل خيرات الدنيا وتحصيل خيرات الآخرة أو يقصد به مجموعهما أو لم يقصد به  
واحد منهما هذا هو التقسيم الصحيح اما ان يقصد به تحصيل الدنيا فقط أو تحصيل الآخرة  
فقط فالله تعالى ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية (أما القسم الثالث) فهو ينقسم الى  
ثلاثة أقسام لانه اما أن يكون طلب الآخرة راجحا أو مرجوحا أو يكون الطالبان  
متعادلين \* أما القسم الاول وهو أن يكون طلب الآخرة راجحا فهل يكون هذا العمل  
مقبولا عند الله تعالى فيه بحث يحتمل أن يقال انه غير مقبول لما روى ان النبي صلى الله  
عليه وسلم حكى عن رب العزة انه قال أنا اغني الاغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه  
غيري تركته وشريكه وأيضا فطلب رضوان الله اما أن يقال انه كان سببا مستقلا بكونه  
باعثا على ذلك الفعل أو داعيا اليه واما أن يقال ما كان كذلك فان كان الاول امتنع  
أن يكون لغيره مدخل في ذلك البعث والدعاء لان الحكم اذا حصل مسندا الى سبب تام  
كامل امتنع أن يكون لغيره مدخل فيه وان كان الثاني فحينئذ يكون الحامل على ذلك  
الفعل والداعي اليه ذلك المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب رضوان الله تعالى لان  
المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب كونه مغاير الكل واحد من جزأيه فهذا

ارادة الآخرة والسعي  
الجليل لها والايمان  
(كان سعيهم مشكورا)  
مقبولا عند الله تعالى  
أحسن التبول مثا بعليه  
وفي تعليق المشكورية  
بالسعي دون قرينيه  
اشعار بأنه العمدة  
فيها (كلا) التوين  
عوض عن المضاف  
اليه أي كل واحد من  
الفريقين لا الفريق  
الاخير المراد بالخبر الحقيقي  
بالاسعاف فقط (نمد)  
أي زيد مرة بعد مرة  
بجيت يكون الآنف  
مددا للسا لف وما به  
الامداد ما جعل لاحدهما  
من العطايا العاجلة  
وما أعد للآخر من  
العطايا الآجلة المشار  
اليها بمشكورية السعي  
واتملم بصرح به تعويلا  
على ما سبق تصريحا  
وتلويحا واتكالا على  
ما لحق عبارة وإشارة  
كما استقف عليه وقوله  
تعالى (هو لاه) بدل من  
كلا (وهو لاه) عطف  
عليه أي عند هو لاه  
المجمل لهم وهو لاه  
المشكور سعيهم فان

الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان للذات فقط كالاشارة فيه تذكير لما به الامداد \* القسم \*  
وتعيين للمضاف اليه المحنوق دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير

وتأكيد القصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى (من عطاء ربك) أي من عطاء الواسع الذي لا تنهيه له متعلق بئذ  
ومعنى عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد \* ٥٦٧ \* المذكور ليس بطريق الاستحباب بالسعي والعمل بل

بمحض التفضل (وما  
كان عطاء ربك) أي  
دينويا كان أو آخرويا  
وانما اظهر اظهرا المزيد  
الاعتناء بشأنه واشعارا  
بعلية الحكم (محظورا)  
منوعا ممن يريده بل هو  
فأرض على من قدر له  
بموجب المشيئة المبنية  
على الحكمة وان وجد  
منه ما يقتضى الحظر  
كالكافر وهو في معنى  
التعليل لشمول الامداد  
للغير يقين والتعرض  
لعنوان الربوبية في  
الموضعين للاشعار  
ببدايتها لما ذكر من  
الامداد وعدم الحظر  
( انظر كيف فضلنا  
بعضهم على بعض)  
كيف في محل النصب  
بفضلنا على الحالية والمراد  
توضيح ما مر من الامداد  
وعدم محظورية العطاء  
بالتنبيه على استحضار  
مراتب أحد العطاءين  
والاستدلال بها على  
مراتب الآخر أي  
انظر بنظر الاعتبار  
كيف فضلنا بعضهم  
على بعض فيما امددناهم  
به من العطايا العاجلة

القسم التحق بالقسم الذي كان الداعي اليه مقابرا لطلب رضوان الله تعالى فوجب أن  
يكون مقبولا ويمكن أن يقال لما كان طلب الآخرة راجعا على طلب الدنيا تعارض المثل  
بالمثل فيبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولا واما اذا كان  
طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين او كان طلب الدنيا راجعا فهذا قد اتفقوا على انه  
غير مقبول الا انه على كل حال خير مما اذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الآخرة  
( واما القسم الرابع ) وهو أن يقال انه أقدم على ذلك الفعل من غير داع فهذا بناء على ان  
صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون انه متوقف  
قالوا هذا القسم ممنوع الحصول والذين قالوا انه لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا اثر له  
في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث والله أعلم ثم قال تعالى كلا أي كل واحد من  
الغريقين والتوطين عوض من المضاف اليه ندمه ولا وهو لا من عطاء ربك أي انه تعالى  
يعد الغريقين بالاموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الاموال والاولاد وغيرهما من  
اسباب العز والزينة في الدنيا لان عطاءنا ليس يضيق عن أحد وهو منا كان أو كافرا لان  
الكل مخلوقون في دار العمل فوجب ازالة العذر وازالة العلة عن الكل وايصال  
متاع الدنيا الى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فبين تعالى ان عطاءه ليس بمحظور  
أي غير ممنوع حظه يحظره وكل من حال بينك وبين شئ فقد حظه عليك ثم قال تعالى  
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وفيه قولان (الاول) المعنى انظر الى عطائنا المباح الى  
الغريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فأوصلنا الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن  
آخر وأوصلنا الى كافر وقبضناه عن كافر آخر وقد بين تعالى وجه الحكمة في هذا  
التفاوت فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض  
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقال في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض  
درجات ليلبواكم فيما آتاكم ثم قال والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والمعنى ان تفاضل  
الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم  
فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة  
الى الدينان فاذا كان الانسان تشدد رغبته في طلب فضيلة الدينان تقوى رغبته  
في طلب فضيلة الآخرة أول ( القول الثاني ) ان المراد ان الآخرة اعظم وأشرف من  
الدنيا والمعنى ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضل المؤمنين  
على الكافرين ونظيره قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا  
\* قوله تعالى ( لا يجعل مع الله الها آخر فتعد مذموما مخذولا ) في الآية مسائل  
( المسئلة الاولى ) في بيان وجه التظيم فنقول انه تعالى لما بين ان الناس فريقان منهم من  
يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العقاب والعذاب ومنهم من يريد به طاعة الله وهم أهل  
الثواب ثم شرط ذلك بشرائط ثلاثة ( أولها ) ارادة الآخرة ( وثانيها ) أن يعمل عملا ويسعى

فن وصنيع ورفيع وظالم وصنيع وما لك ومملوك ومؤسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الاجلة ودرجات  
تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال

الاعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (والآخرة أكبر) أي هي بما فيها أكبر من الدنيا وقرى أكثر (درجات وأكبر تفضيلاً) لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية ﴿ ٥٦٨ ﴾ لا يقادر قدرها ولا يكتبه كتبها كيف لا وقد عبر عنه

سعيًا موافقًا لطلب الآخرة (وإنالها) أن يكون مؤمنًا لا جرم فصل في هذه الآية تلك  
المجملات فبدأ أولاً بشرح حقيقة الايمان وأشرف اجزاء الايمان هو التوحيد ونفي  
الشركاء والاضداد فقال لا تجعل مع الله الهة أخرى ثم ذكر عقبيه سأر الأعمال التي يكون  
المقدم عليها والمشتغل بها سعيًا سعيًا يليق بطلب الآخرة وصار من الذين سعد طائرهم  
وحسن بختهم وكملت أحوالهم (المسئلة الثانية) قال المفسرون هذا في الظاهر خطاب للنبى  
صلى الله عليه وسلم ولكن في المعنى عام لجميع المكلفين كقوله يا أيها النبي اذا طلقت النساء  
ويحتمل أيضا أن يكون الخطاب للانسان كأنه قيل أيها الانسان لا تجعل مع الله الهة أخرى  
وهذا الاحتمال عندي أولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه الى  
قوله اما بلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام لان أبو يبه  
ما يلفظ الكبير عنده فعلنا ان المخاطب بهذا هو نوع الانسان (المسئلة الثالثة) معنى الآية  
ان من اشرك بالله كان مذمومًا مخذولًا والذي يدل على ان الامر كذلك وجوه \* الاول ان  
المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان \* الثاني انه لما ثبت بالدليل انه لا اله الا  
ولا مدبر ولا مقدر الا الواحد الاحد فعلى هذا التقدير تكون جميع النعم حاصله من الله  
تعالى فمن اشرك بالله فقد اضاف بعض تلك النعم الى غير الله تعالى مع ان الحق ان كلهما من  
الله فحيث يستحق الذم لان الخالق تعالى استحق الشكر باعطاء تلك النعم فلما جحد كونها من  
الله فقد قابل احسان الله تعالى بالاساءة والمخرد والكفران فاستوجب الذم وانما قلنا انه  
يستحق الخذلان لانه لما أثبت شره بكانه تعالى استحق ان يفوض أمره الى ذلك الشريك  
فلما كان ذلك الشريك مدمومًا ببقى بلانا صر ولا حافظ ولا معين وذلك عين الخذلان  
\* الثالث ان الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمن أثبت الشريك فقد وقع في جانب  
النقصان واستوجب الذم والخذلان واعلم انه لما دل لفظ الآية على ان المشرك مذموم  
مخذول وجب بحكم الآية أن يكون الموحده مدمومًا منصورًا والله اعلم (المسئلة الرابعة)  
العود المذکور في قوله فتعقد مذمومًا مخذولًا فيه وجوه (الاول) ان معناه المكث أى  
فتمكث في الناس مدمومًا مخذولًا وهذه اللفظة مستعملة في لسان العرب والفرس في هذا  
المعنى فاذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلدة فيقول المجيب هو قاعد بأسوا حال  
معناه المكث سواء كان قائمًا أو جاسا (الثاني) ان من شأن المذموم المخذول ان يقع نادما  
متفكرا على ما فرط منه (الثالث) ان المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها  
والسعى انما يتأتى بالقيام وأما العاجز عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جاسا قاعدا عن  
الطلب فلما كان القيام على الرجل أحد الامور التي بها يتم الفوز بالخيرات وكان القعود  
والجلوس علامة على عدم تلك المسكنة والقدرة لاجرم جعل القيام كناية عن القدرة على  
تحصيل الخيرات والقعود كناية عن العجز والضعف (المسئلة الخامسة) قال الواحدى  
قوله فتعقد انتصب لانه وقع بعد انفا، جوابا لمنهى وانتصابه باضمار أن كقواك لاتقطع

بما لا عين رأت ولا أذن  
سمعت ولا خطر على  
قلب بشر هذا ويجوز  
أن يراد بما به الامداد  
العطايا العاجلة فقط  
ويحمل القصر المذکور  
على دفع توهم اختصاصها  
بالفريق الاول فان  
بمخصيص ارادتهم لها  
ووصولهم اليها بالذکر  
من غير تعرض لبيان  
النسبة بينها وبين الفريق  
الثاني ارادة ووصول  
بما يوهم اختصاصها  
بالاولين فالعنى كل واحد  
من الفريقين ندب بالعطايا  
العاجلة لا من ذكرنا  
ارادته لها فقط من  
الفريق الاول من عطاء  
ربك الواسع وما كان  
صطاؤه النبوى محظورا  
من أحد من يريده ومن  
يريد غيره انظر كيف  
فضلنا في ذلك العطاء  
بعض كل من الفريقين  
على بعض آخر منهما  
والآخرة الآية واعتبار  
عدم المحظورية بالنسبة  
الى الفريق الاول تحقيقا  
لشمول الامداد له كما فعله  
الجمهور حيث قالوا  
لا يعتمد من عاص اعصياه

يقضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد النبوى بالفريق الثاني مع أنه لم يسبق في  
الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن اجهام اختصاصه (لان جعل مع الله الهة أخرى) عنا



الرباطة والأحسان واحدهما قائل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ  
يبان فأحدهما بدل من ضمير الشبهة وكلاهما عطف \* ٥٧٠ \* عليه ولا سبيل إلى جعل كلاهما توكيدا للضمير

وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعدهم أن ما سبق على الجمع الاحتمال عن التباس المراد فان المقصود بهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قبول الجمع بالجمع أو بالشبهة لم يحصل هذا المرام (فلا تقل لهما) أي لو احسد منهما حاتني الانفراد والاجتماع (أف) وهو صوت يني عن تضرير أو اسم فعل هو أتضجر وقرئ بالكسر يلاتون وبالفتح والضم منونا وضمير منون أي لا تضجر يا ستغندر منهما وتستقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهار الاعتناء بشأنه فقيل (ولا تهرهما) أي لا تزجرهما عمالا يجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولاً كريماً) ذا كرم أو هو وصف له بوصف صاحبه أي قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول \* خير على المرودة مثل أن يقول

وهو المراد من قوله عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق بصرف الشفقة إليه هو الابوان لكثرة انعامهما على الانسان فقوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وبالوالدين احساناً اشارة الى الشفقة على خلق الله (الوجه الثالث) ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون أحد من الخالقين من معاملك وشكره أيضاً واجب لقوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لأحد من الخلائق نعمة على الانسان مثل مال والوالدين وتقريره من وجوه (أحدها) ان الولد قطعة من والديه قال عليه السلام فاطمة بضعة مني (وثانيها) ان شفقة الابوين على الولد عظيمة وجدتهما في اقبال الخير إلى الولد كالامر الطبيعي واحترازهما عن اقبال الضرر إليه كالامر الطبيعي ومتى كانت الدواعي إلى اقبال الخير متوفرة والصوارف عنه زائلة لا جرم كثرة اقبال الخير فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة أكثر من كل نعمة تصل من انسان الى انسان (وثانيها) ان الانسان حال ما يكور في غاية الضعف ونهاية العجز يكون في انعام الابوين فاصناف نعمهما في ذلك الوقت واصلة إليه واصناف رجة ذلك الولد واصلة الى الوالدين في ذلك الوقت ومن المعلوم ان الانعام اذا كان واقفاً على هذا الوجه كان موقعه عظيماً (ورابعها) ان اقبال الخير الى الغير قد يكون لداعية اقبال الخير إليه وقد يترجى بهذا الفرض سائر الاغراض وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الفرض فقط فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت انه ليس لأحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل مال والوالدين على الولد فبدأ الله تعالى بشكر نعمة الخالق وهو قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه ثم اردفه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله وبالوالدين احساناً والسبب فيه ما بيننا ان أعظم النعم بعد انعام الاله الخالق نعمة الوالدين فان قيل الوالدان انما طلبا تحصيل اللذة لنفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود وحصوله في عالم الآفات والمحافات فأى انعام للابوين على الولد حكي ان واحداً من المتسبين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت والفقر والعنى والزمانة وقيل لابي العلامة المعري ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه هذا جناه أبي علي وما جنبت على أحد

وقال في ترك التزوج والولد وترك أولادى وهم في نعمة \* العدم التي سبقت نعيم العاجل ولو انهم ولدوا لعانوا شدة \* ترمى بهم في موبات الآجل وقيل للاسكندر أستاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال الأستاذ أعظم منة لانه نحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي أرتعني في نور العلم وأما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه وأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المشهورة المسطورة

خير \* خير



بابه ويأماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لايه يايت مع مابه من الكفر ولا يدعوها بأسمائها فانه من الجفاء وسوء الادب ودين الدعار وسئل الفضيل \* ٥٧١ \* بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم الى خدمتهما

عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يربا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن ترحم عليهما ما عاشا وتدعولهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي عليه الصلاة والسلام أن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه (واخفض لهما جناح الذل) عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل أو جعل لذه جناح كما جعل لييد في قوله \* وغداة ربح قد كشفت وقره \* اذا أصبحت بيد الشمال زمامها \* القره زماما وللشمال يدا تشبيهاله بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لهما وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله النقال فلا يناسب المقام

خيرا لآباء من علمك والجواب هب انهما في أول الامر طلبا الذة الواقع الأنا الاهتمام بإيصال الخيرات وفي دفع الآفات من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر ليس انه أعظم من جميع ما يتخيل من جهات الخيرات والمبرات فسقطت هذه للشبهات والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله وبالوالدين احسانا قال أهل اللغة تقدير الآية وقضى ربك ألا تعبدوا الا الله وان تحسبوا أو يقال وقضى ألا تعبدوا الا الله واحسبوا بالوالدين احسانا قال صاحب الكشاف ولا يجوز ان تتعلق ابناء في وبالوالدين بالاحسان لان المصدر لا تقدم عليه صلته ثم لا يذ كر دليلا على ان المصدر لا يجوز ان تقدم عليه صلته وقال الواحدى في البسيط الباء في وبالوالدين من صلة الاحسان وقدمت عليه كما تقول بز بدفا مرر وهذا المثال الذى ذكره الواحدى غير مطابق لان المطلوب تقديم صلة المصدر عليه والمثال المذكور ليس كذلك (المسئلة الثالثة) قال القفال لفظ الاحسان قد يوصل بحرف الباء تارة وبحرف الاء اخرى وكذلك الاساءة يقال أحسنت به واليه وأسأت به واليه قال الله تعالى وقد أحسن بنى وقال القائل

أسبى بنا أو أحسنى لاملومة \* لدينا ولا مقلية ان تغلب

وأقول لفظ الآيه مشتتل على قيود كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة فى الاحسان الى الوالدين (أحدها) انه تعالى قال فى الآيه المقدمة ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى أردفه بهذه الآيه المسئلة على الاعمال التى بواسطتها يحصل الفوز بعادة الآخرة فذكر من جعلتها البر بالوالدين وذلك يدل على ان هذه الطاعة من اصول الطاعات التى تفيد سعادة الآخرة (وثانيها) انه تعالى بدأ بذكر الامر باتوحيد وثنى بطاعة الله تعالى وثلك بالبر بالوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة فى تعظيم هذه الطاعة (وثالثها) انه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام (ورابعها) انه قال احسانا بلفظ التنكير والتكبير يدل على التعظيم والمعنى وقضى ربك ان تحسبوا الى الوالدين احسانا عظيما كاملا وذلك لانه لما كان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات فلا تحصل المكافأة لان انعامهما عليك كان على سبيل الابتداء وفى الامثال المشهورة ان الياى بالبر لا يكادأ ثم قال تعالى اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظا مالفظة مركبة من لفظتين ان وما أمأكله ان فهى للشرط وأما كلة ما فهى أيضا للشرط كقوله تعالى ما ننسخ من آية فلما جمع بين هاتين الكلمتين أفادنا كيد فى معنى الاشتراط الأنا علامة الجزم لم تظهر مع نون التأ كيد لان الفعل يبنى مع نون التأ كيد وأقول لقائل أن يقول ان نون التأ كيد انما يلىق بالموضع الذى يكون اللائق به تأ كيد فذلك الحكم المذكور وتقريره وإثباته على أقوى الوجوه الا ان هذا المعنى لا يلىق بهذا الموضع لان

(من الرحمة) من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورتك لهما لا فقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله تعالى

الرباطية والاحزاب التي من جعلتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك ﴿ ٥٧٢ ﴾ كثرهما ( كارياني ) الكاف في محل  
يبلغان فأب على انه نعمت

قول القائل الشيء اما كذا واما كذا فالمطلوب منه ترديد الحكم بين ذينك الشئين  
المدكورين وهذا الموضوع لا يليق به التقرير واثنا كيد فكيف يليق الجمع بين كذا واما وبين  
نون التأكيد وجوابه ان المراد ان هذا الحكم المنفرد التأكيد اما ان يقع واما ان لا يقع  
والله اعلم ( المسئلة الثانية ) قرأ الاكثرون اما يلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما  
وعلى هذا التقدير فتقوله يلغن فعل وفاضله هو قوله أحدهما وقوله أو كلاهما عطف عليه  
كقولك ضرب زيدا وعمرو ولو اسند قوله بيلغن الى قوله كلاهما جاز ان تقدم الفعل تقول  
قال رجل وقال رجلان وقالت الرجال وقرأ حزة والكسائي بيلغان وعلى هذه القراءة  
فقوله أحدهما بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما  
فاعلا أو بدلا فان قيل لوقيل اما بيلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فليزعم انه  
بدل قلنا لانه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا الاثنين فانظم في حكمه فوجب  
أن يكون مثله في كونه بدلا فان قيل لم لا يجوز أن يقال قوله أحدهما بدل وقوله أو كلاهما  
توكيد ويكون ذلك عطفا للتوكيد على البدل قلنا اطفى يقتضى المشاركة ففعل  
أحدهما بدلا والآخر توكيد اخلاف الاصل والله اعلم ( المسئلة الثالثة ) قال أبو الهيثم  
الرازي وأبو الفتح الموصلي وأبو علي الجرجاني ان كلا اسم مفرد يفيد معنى التثنية ووزنه  
فعل ولا مفعول معتل بمنزلة لام حجي ورضي وهي كلمة وضعت على هذه الخلقة توكيدها الاثنان  
خاصة ولا تكون الامضافة والدليل عليه انها لو كانت تثنية لوجب أن يقال في النصب  
والخفض مررت بكلي الرجلين بكسر الباء كما تقول بين يدي الرجل ومن ثلثي الليل  
ويا صاحبي السجن وطرفي النهار وللم يكن الامر كذلك علمنا انها ليست تثنية بل هي لفظة  
مفردة وضعت للدلالة على التثنية كما ان لفظة ككل اسم واحد موضوع للجماعة فاذن  
أخبرت عن لفظه كما تخبر عن الواحد كقوله تعالى وكلهم آتية يوم القيامة فردا وكذلك اذا  
أخبرت عن كلاً أخبرت عن واحد فقلت كلا اخوتك كان قائما قال الله تعالى كلنا الجنين  
أنت اكلاهما ولم يقل آتتا والله اعلم ( المسئلة الرابعة ) قوله يلغن عندك الكبر أحدهما  
أو كلاهما معناه انهما بيلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت  
عندهما في أول العمر واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الجملة فعنده هذا الذي كلف الانسان في حق  
الوالدين بخمسة أشياء ( النوع الاول ) قوله تعالى فلا تقل لهما أف وفيه مسائل ( المسئلة  
( الاولى ) قال الزجاج فيه سبع لغات كسر الفاء وضمها وفتحها وكل هذه الثلاثة بنون  
وبغير نون فهذه ستة واللغة السابعة أف بالياء قال الاخفش كانه أضاف هذا القول الى  
نفسه فقال قولي هذا وذكر ابن الانباري من لغات هذه اللفظة ثلاثة زائدة على ما ذكره  
الزجاج أف بكسر الالف وفتح الفاء وفتح الالف وادخال الهاء أف بضم الالف وتسكين  
الفاء ( المسئلة الثانية ) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير نون وناقض وحقق  
بكسر الفاء والتون والباقون بكسر الفاء من غير نون وكلها لغات وعلى هذا الخلاف

وتوذكر محذوف اي رحمة  
مثل تربيتها لي أو مثل  
رحمتها لي على أن  
التربية رحمة ويجوز  
أن يكون لهما الرحمة  
والتربية معا وقد ذكر  
احدهما في أحد  
الجنائين والآخر في  
الآخر كما يابوح به  
التعرض لعنوان الريوية  
في مطلع الدعاء كأنه  
قيل رب ارحهما  
وربهما كما رحاني  
وريباني ( صغيرا )  
ويجوز أن تكون الكاف  
للتعليل أي لاجل  
تربيتها لي كقوله تعالى  
واذ كروه كما هذا كقوله قد  
بالغ عز وجل في التوصية  
بهما حيث افتتحها  
بأن شفع الاحسان  
اليهما بتوحيده سبحانه  
ونظمهما في سلك  
القضاء بهما معا  
ثم ضيق الامر في باب  
مراعاتهما حتى  
لم يخصص في ادنى كلمة  
تغلغلت من المتضجر  
مع ماله من موجبات  
الضجر مما لا يكاد  
يدخل تحت الحصر

وختمها بان جعل رحته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتها وعن النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ في ﴾  
رضي الله في رضي الوالدين وسخطه في سخطهما

وروي يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا ﴿٥٧٣﴾ من الكبر أني أكل منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتها

حقهما قال لا فانهما  
كان يفعلان ذلك وهما  
يحبان بقاءك وأنت تفعل  
ذلك وأنت تريد موتها  
وروي إن شيخاً أتى النبي  
عليه الصلاة والسلام  
فقال إن ابني هذا له  
مال كثير وإنه لا ينفق  
علي من ماله فتزل  
جبريل عليه السلام  
وقال إن هذا الشيخ  
قد أنشأ في ابنه آياتاً  
ما قرع سمع بمثلهما  
فاستنشدتها \* فأنشدها  
الشيخ فقال \* غدتوك  
مولوداً وميتك يافعا \*  
تعل بما أجنى عليك  
وتنهل \* اذ اليلة ضا فاك  
يا لسقم لم آيت \* لسقمك  
الابا كيا اتمل \* كاني  
أنا المطروق دونك  
بالذي \* طرقت به دوني  
وعصبي تحمل \* فلما بان  
السن والغايه التي \*  
اليها مدى ما كنت  
فيك أو مل \* جعلت  
جزائ غلظة ووظاظة  
\* كالك أنت المنعم  
المتفضل \* فليتك  
اذ لم ترع حق أبوتي \*  
فعلت كما الجار المجاوز  
يفعل \* فغضب رسول  
( إن تكونوا صالحين )

في سورة الانبياء أف لكم وفي الاحقاف أف لكما وأقول البحث المشكل ههنا اننا لما نقلنا  
عشرة أنواع من اللغات في هذه اللفظة فما السبب في انهم تركوا أكثر تلك اللغات في قراءة  
هذه اللفظة واقتصروا على وجوه قليلة منها (المسئلة الثالثة) ذكروا في تفسير هذه اللفظة  
وجوها (الاول) قال القراء تقول العرب جعل فلان يتأفف من ريح وجدها معناه يقول  
أف أف (الثاني) قال الاصمعي الأف وسخ الاذن والتف وسخ الطفر يقال ذلك عند  
استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به (الثالث) قال بعضهم أف معناه  
قلة وهو مأخوذ من الأفيق وهو الشيء القليل وتف اتباع له كقولهم شيطان ليطان خبيث  
نيث (الرابع) روي نعلب عن ابن الاعرابي الأف الضجير (الخامس) قال القتيبي أصل  
هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد نغخت في دأثره والصوت الحاصل عند تلك  
النغخة هو قولك أف ثم انهم توسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل اليهم  
(السادس) قال الزجاج أف معناه التثق وهذا قول مجاهد لانه قال معني قوله ولا تقل لهما  
أف أي لا تنقدرهما كما انهما لم يتقدرا لك حين كنت تخراً وتبول وفي رواية أخرى عن  
مجاهد انه اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما أف (المسئلة الرابعة) قول القائل  
لا تقل لفلان أف مثل يضرب للمنع من كل مكروه وأذية وان خف وقل واختلف  
الاصوليون في أن دلالة هذا اللفظ على المنع من سائر أنواع الايذاء دلالة لفظية أو دلالة  
مفهومة بمقتضى القياس قال بعضهم انها دلالة لفظية لان أهل العرف اذا قالوا لا تقل  
لفلان أف عنوا به انه لا يتعرض له بنوع من أنواع الايذاء والايحاش وجرى هذا مجرى  
قولهم فلان لا يملك تغير او لا قطميرا في انه بحسب العرف يدل على انه لا يملك شيئا والقول  
الثاني ان هذا اللفظ انما يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء بحسب القياس الجلي  
وتقريره ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن حكم صورة أخرى فاذا أردنا  
الحاق الصورة المسكوت عن حكمها بالصورة المذكور حكمها فهذا على ثلاثة أقسام  
(أحدها) أن يكون ثبوت ذلك الحكم في محل السكوت أولى من ثبوته في محل الذكركم مثل  
هذه الصورة فان اللفظ انما يدل على المنع من التأفيف والضرب أولى بالمنع من التأفيف  
(وثانيها) أن يكون الحكم في محل السكوت مساويا للحكم في محل الذكر وهذا هو الذي  
يسميه الاصويون القياس في معنى الاصل وضرر بوالهنا مثلا وهو قوله عليه السلام من  
اعتق نصيبه من عبد قوم عليه الباقي فان الحكم في الامة والعبد متساويان (وثالثها)  
أن يكون الحكم في محل السكوت أخفى من الحكم في محل الذكر وهو أكبر القياسات اذا  
عرفت هذا فنقول المنع من التأفيف انما يدل على المنع من الضرب بواسطة القياس الجلي  
الذي يكون من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى والدليل عليه ان التأفيف غير الضرب  
فالمنع من التأفيف لا يكون منعاً من الضرب وأيضاً المنع من التأفيف لا يستلزم المنع من  
الضرب عقلاً لان الملك الكبير اذا أخذ ملكاً عظيماً كان عدواً له فقد يقول للجلاد اياك

الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لايك (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من البر والعقوق قاصدين للصالح والبرود

ألقوا بالفساد (فانه) تعالى (كان للاولين) أي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه  
البشر (غفورا) لما وقع منهم من نوع تفصير أو أذية فعلية أو ﴿ ٥٧٤ ﴾ قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد

في الأمر بمرعاة حقوقهما  
ويعجز أن يكون تاما  
لكل تائب ويدخل  
فيه الجاني على أبيه  
دخولا أوليا (وأتذا  
القربي) أي ذا القرابة  
(حقه) توصية بالأقارب  
إثر التوصية ببر الوالدين  
ولعل المراد بهم المحارم  
وبحسبهم النفقة كما ينبغي  
عنه قوله تعالى (والمسكين  
وابن السبيل) فان  
المأمور به في حقهما  
المواساة المالية لا محالة  
أي وآتمسا حقهما  
بما كان مفترضا بمكة  
بمنزلة الزكاة وكذا  
النهى عن التبذير  
وعن الإفراط في القبض  
والبسط فان الكلي  
من التصرفات المالية  
(ولا تبذرت ذرا) نهى  
عن صرف المال الى  
من سواهم ممن لا يستحقه  
فان التبذير تفريق  
في غير موضعه مأخوذ  
من تفريق حبات والقائها  
كيف ما كان من غير  
تعهد لمواقفه لاعتن  
الأكثاري في صرفه اليهم  
والاناسبه الاسراف  
الذي هو تجاوز الحد

في صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم (ان المبذرين كانوا اخوان ﴿ الوجه ﴾  
الشياطين) تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملذ وذاني قرن الشياطين

والمراد بالاخوة المبالغة التامة في كل ما لاخير \* o v o \* فيه من صفات السوء التي من جعلتها التبذير أي كانوا

بما فعلوا من التبذير أمثال  
الشياطين أو الصداقة  
والملازمة أي كانوا  
أصدقاءهم وأتباعهم  
فيما ذكر من التبذير  
والصرف في المعاصي  
فانهم كانوا يتحرون الابل  
وينسا سرون عليها  
ويذرون أموالهم  
في السمعة وسائر ما لاخير  
فيه من المناهي والملاهي  
أو المقارنة أي قرانهم  
في النار على سبيل الوعيد  
( وكان الشيطان له ربه  
كفوراً ) من تمة التعليل  
أي مبالغته في كفران نعمته  
تعالى لان شأنه أن يصرف  
جميع ما أعطاه الله تعالى  
من القوى والقدرة الى غير  
ما خلقت هي له من أنواع  
المعاصي والافساد  
في أرض واضلال الناس  
وحملهم على الكفر بالله  
وكفران نعمه الفاضلة  
عليهم وصرّفها الى غير  
ما أمر الله تعالى به  
وتخصيص هذا الوصف  
بالذكر من بين سائر أوصافه  
القبیحة للايدان بأن  
التبذير الذي هو عبارة  
عن صرف نعم الله تعالى  
الى غير مصرفها من باب

الوجه فان قيل كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لا جناح له قلنا فيه وجهان (الاول)  
انه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكما ان المراد هناك خاتم الجواد فكذلك  
ههنا المراد واخفص لهما جناحك الذليل أي المذلول (والثاني) ان مدار الاستعارة على  
الخيالات فههنا تخيل للذل جناحاً واثبت لذلك الجناح صفة ما تكميلاً لامر هذه الاستعارة  
كما قال لبيد \* اذا أصبحت بيد الشمال ذمهاها \* فأثبت للشمال بدا ووضع زمامها في يد  
الشمال وكذا ههنا وقوله من الرحمة مهناه ايكن خفص جناحك لهما بسبب فرط رحمتك  
لهما وعطفك عليهما بسبب كبرهما وضعفهما (والنوع الخامس) قوله وقل رب ارحهما  
كارياني صغيرا وفيه مباحث (البحث الاول) قال القفال رحمه الله تعالى انه لم يقتصر  
في تعليم البر بالوالدين على تعليم الاقوال بل أضاف اليه تعليم الافعال وهو ان يدعو لهما  
بالرحمة فيقول رب ارحهما ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا ثم يقول كما  
رياني صغيرا يعني رب افعالهما هذا النوع من الاحسان كما أحسنا الى في تربيتهما اياي  
والترية هي التمية وهي من قولهم رب انشي اذا انتفخ ومنه قوله تعالى فاذا أنزلنا عليها  
الماء اهترت وربت (البحث الثاني) اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال  
( الاول ) انها منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين  
فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول رب ارحهما ( والقول  
الثاني ) ان هذه الآية غير منسوخة ولكنها مخصوصة في حق المشركين وهذا اول من  
القول الاول لان التخصيص اول من النسخ ( والقول الثالث ) انه لا نسخ ولا تخصيص  
لان الوالدين اذا كانا كافرين فله ان يدعو لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما  
بعد حصول الايمان ( البحث الثالث ) ظاهر الامر للوجوب فقوله وقل رب ارحهما أمر  
وظاهر الامر لا يفيد التكرار فيمكن في العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول مرة  
واحدة سئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم مرة أو في الشهر أو في السنة فقال  
زجو ان يجزئه اذا دعا لهما في أواخر التشهدات كما أن الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا  
صلوا عليه فكانوا يرون ان التشهد يجزى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان  
الله تعالى قال واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكررون في أدبار الصلوات ثم قال تعالى  
ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين والمعنى ان انا قد أمرناكم في هذه الآية  
بالخلاص للعبادة لله تعالى وبالاحسان بالوالدين ولا يخفى على الله ما تضررونه في أنفسكم  
من الاخلاص في الطاعة وعدم الاخلاص فيها فاعلموا أن الله تعالى مطلع على ما في  
نفوسكم بل هو اعلم بتلك الاحوال منكم به لان علوم البشر قد يختلط بها السهو والنسيان  
وعدم الاحاطة بالكل فأما علم الله فغزاه عن كل هذه الاحوال واذا كان الامر كذلك كان  
عالمًا بكل ما في قلوبكم والمقصود منه التحذير عن ترك الاخلاص ثم قال تعالى ان تكونوا  
صالحين أي ان كنتم برآء عن جهات الفساد في أحوال قلوبكم كنتم أو ابين أي رجاعين الى

الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال  
عنته فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال

والطغيان ( واما تعرض عن أي ان اعتراك أمر اضطررك ٥٧٦ ) إلى أن تعرض عن أوائك المستحقين ( ابتغاء

الله متقطعين إليه في كل الأعمال وسنة الله وحكمه في الاوابين انه غفور لهم يكفر عنهم  
سيئاتهم والابواب هو الذي من عادته ودينه الرجوع الى الله تعالى والاتجاه الى فضله  
لا ياتجى الى شفاعته شفيع كما يفعله المشركون الذين يعبدون من دون الله جادا يزعمون  
انه يشفع لهم وللفظ الابواب على وزن فعال وهو يفيد المداومة والكثرة كقولهم قتال  
وضراب والمقصود من هذه الآيات ان الآيات الاولى لما دلت على وجوب تعظيم الوالدين من  
كل الوجوه ثم ان الولد قد يظهر منه نادرة مخلة بتعظيمهما فقال ربكم أعلم بما في نفوسكم  
يعنى انه تعالى عالم بأحوال قلوبكم فان كانت تلك الهفوة ليست لاجل العقوق بل ظهرت  
بمقتضى الجبلية البشرية كانت في محل الغفران والله أعلم \* قوله تعالى ( وآت ذا القربى  
حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان البذر ين كانوا اخوان الشياطين وكان  
الشیطان لربه كفورا واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا  
ميسورا ) اعلم ان هذا هو النوع الرابع من أعمال الخير والطاعة المذكورة في هذه  
الآيات وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله وآت خطاب مع من فيه قولان الاول انه  
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فأمره الله ان يوتى أقاربه الحقوق التي وجبت لهم  
في النفي والغنمة وأوجب عليه أيضا اخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضا من هذين  
المثاليين ( والقول الثاني ) انه خطاب لكل والدليل عليه انه معطوف على قوله ورضي ربك  
الاتعبد والاياه والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب أن تستغل بمراسم الأقارب  
الأقرب فالأقرب ثم باصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل واعلم ان قوله تعالى وآت  
ذا القربى حقه مجمل وليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وعند الشافعي رحمه الله انه لا يجب  
الاتفاق الاعلى الولد والوالدين وقال قوم يجب الاتفاق على المحارم بقدر الحاجة وانفقوا  
على ان من لم يكن من المحارم كبناء العم فلاحق لهم الامواله والزيادة وحسن المعاشرة  
والموافقة في السراء والضراء أما المسكين وابن السبيل فقد تقدم وصفهما في سورة التوبة  
في تفسير آية الزكاة ويجب أن يدفع الى المسكين ما بقي بقوته وقوت عياله وان يدفع الى ابن  
السبيل ما يكفيه من زاده وراحلته الى أن يباع مقصده ثم قال تعالى ولا تبذر تبذيرا  
والتبذير في اللغة افساد المال وانفاقه في السرف قال عثمان بن الاسود كنت أطوف في  
المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفم رأسه الى أبي قبيس وقال لو أن رجلا أنفق مثل  
هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين ولو أنفق درهما واحدا في معصية الله كان من  
المسرفين وأنفق بعصم نفقة في خيرا فكثر قبيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير  
وعن عبدالله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا  
السرف يا سعد فقال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ثم به تعالى على قبح  
التبذير باضافته اياه الى أفعال الشياطين فقال ان البذر ين كانوا اخوان الشياطين  
والمراد من هذه الاخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح وذلك لان العرب يسمون الملازم

رحمة من ربك) أي لعقد  
رزق من ربك اقامة  
للمسبب مقام السبب  
فان المقدس سبب للابتغاء  
(ترجوها) من الله تعالى  
تعظيمهم وكان عليه السلام  
اذا سئل شيئا وليس عنده  
اعرض عن السائل و  
سكت حياء فأمر بتعظيمهم  
بالقول الجليل لئلا تعترتهم  
الوحشة بسكونه عليه  
السلام قبيل (قل لهم  
قولا ميسورا) سهلا ينافوا  
عدهم وعدا جيلان يسر  
الامر نحو سعدا وقل لهم  
رزقناقه واياكم من فضله  
على انه دعا لهم يسر عليهم  
فقرهم (ولا تجعل يدك  
مغلولة الى عنقك  
ولا تبسطها كل البسط)  
تمثيلان لمنع الشح  
واسراف الميزر جرها  
عنها ووجلا على ما بينهما  
من الاقتصاد \* كالأمر  
في قصد الامور ذمهم \*  
وحيث كان قبح الشح  
مقارنا له معلوما من أول  
الامر روى ذلك في التصوير  
بأفصح الصور ولما كان غائلة  
الاسراف في آخره بين قبحه  
في اثره قبيل (فتعلم ما  
أي فتصبر لموا عند الله

تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت ( محسورا ) نادما أو منقطعاً بك \* للشيء \*  
لا شيء عندك من حسره السرف اذا بلغ منه وما قيل من أنه روى عن جابر

رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذا تاه صبي فقال ان أمي تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فنهالنا فذهب ان أمه ﴿ ٥١٧ ﴾ فقالت له قل ان أمي تستكسيك الدرع الذي عليك

فدخل صلى الله عليه وسلم داره ووزع قبضه وأعطاه وقعد عريا ناواذن بلال واتشظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت في آياه أن السورة مكية خلايات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام أعطى الاقرع بن حابس مائة من الايل وكذا عيينة بن حصن الفراري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول \* أتجعل نبي ونهب العبيد \* بين عيينة والاقرع \* وما كان حصن ولا حاس \* يقوقان مرداس في مجمع \* وما كنت دون امرئ منها \* ومن تضع اليوم لا يرفع \* فقال عليه السلام يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الايل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لتعليل لما رأى يوسف على بعض و يضيقه على آخرين حسبا تتعلق به مشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة التي

لشيء أخاه فيقولون فلان أخو النكرم والجود وأخو السفر اذا كان مواظبا على هذه الاعمال وقيل قوله اخوان الشياطين أى قرناءهم في الدنيا والآخرة كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى قرناءهم من الشياطين ثم انه تعالى بين صفة الشيطان فقال وكان الشيطان لربه كفورا ومعنى كون الشيطان كفورا لربه هو انه يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الارض والاضلال للناس وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالا أوجاها فصرفه الى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا للنعمة الله تعالى والمقصود ان المبشرين اخوان الشياطين بمعنى كونهم موافقين للشياطين في الصفة والفعل ثم الشيطان كفورا لربه فيلزم كون المبذر أيضا كفورا لربه وقال بعض العلماء خرجت هذه الآية على وفق عادة العرب وذلك لانهم كانوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم كانوا يفقونها في طلب الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن الاسلام وتوهين أهله واعانته فأنزلت هذه الآية تبيها على قبح أعمالهم في هذا الباب ثم قال تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والمعنى انك ان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد بسبب الفقر والقلة فقل لهم قولاميسورا أى سهلا لينا وقوله ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله واحسانه فلما كان فقد المال سببا لهذا الطلب ولهذا الابتغاء أطلق اسم السبب على السبب فسمى الفقير بابتغاء رحمة الله تعالى والمعنى ان عند حصول الفقر والقلة لا تترك تعهدهم بالقول الجميل والكلام الحسن بل تعدهم بالوعد الجميل وتذكر لهم العذر وهو حصول القلة وعدم المال او تقول لهم الله سهل وفي تفسير القول الميسور وجوه (الاول) القول الميسور هو الرذيل الطريق الاحسن (والثاني) القول الميسور اللين السهل قال الكسائي يسرت أيسرله القول أى ليتله (والثالث) قال بعضهم القول الميسور مثل قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى قالوا والميسور هو المعروف لان القول المتعارف لا يحوج الى تكلف والله أعلم \* قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعده ملوما محسورا) ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا اعلم انه تعالى لما أمره بالانفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية أدب الانفاق واعلم انه تعالى شرح وصف عباده المؤمنين في الانفاق في سورة الفرقان فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهمنا أمر رسوله بمثل ذلك الوصف فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة المنوعة من الانبساط ولا تبسطها كل البسط أى ولا توسع في الانفاق توسعا مفرطا بحيث لا يبقى في يدك شيء

تحوحك الى الاعراض ﴿ ٧٣ ﴾ خا عن السائلين أو نفاذ ما في يدك اذا بسطتها كل البسط المصلمتلك (انه كان بعباده خيرا بصيرا) لتعليل لما سبق أى يعلم

سرهم وعلتهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرار والظواهر الذي بيده خزائن السموات والأرض وأما ﴿ ٥٧٨ ﴾ العباد فليعلم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى

وحاصل الكلام أن الحكماء ذكروا في كتب الأخلاق أن لكل خلق طرفي إفراط وتفریط  
وهما مذمومان فالجمل إفراط في الإمساك والتبذير إفراط في الانفاق وهما مذمومان  
والخلق الفاضل هو العدل والوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم قال تعالى  
فتعد ملوما محسورا أما تفسير تعدد قد سبق في الآية المقدمة وأما كونه ملوما فلأنه  
يلوم نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد في الضر  
والمحنة وأما كونه محسورا فقال الفراء تقول العرب للبحير هو محسور إذا انقطع سيره  
وحسرت الدابة إذا سيرها حتى ينقطع سيرها ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا  
وهو حسير وجم الحسير حسرى مثل قتلى وصرعى وقال القفال المقصود تشبيه حال من  
أنفق كل ماله ونفقاته بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته لأن ذلك المقدار من المال  
كأنه مطية يحمل الإنسان ويلتفت إلى آخر الشهر أو السنة كما أن ذلك البعير يحمله  
ويلتفت إلى آخر المنزل فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزا متعبا فكذلك  
إذا أنفق الإنسان مقدارا يحتاج إليه في مدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزا  
ومن فعل هذا لحقه اللوم من أهله والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم بسبب سوء تدبيرهم  
الحريم في مهمات معاشه ثم قال تعالى إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهذين  
عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه ربا والرب هو الذي يربي المربوب ويقوم بك  
مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيق  
على البعض والقدر في اللغة الضيق ومنه قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى  
وأما إذا ما ابتلاء فقد ر عليه رزقه أي ضيق وانما توسع على البعض لأن ذلك هو الصلاح لهم  
قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ثم قال تعالى  
إنه كان عباده خيرا بصيرا يعني أنه تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يهبط عليه إلا ذلك  
القدر فالنقص في الرزق العباد ليس لاجل الجهل بل لاجل رعاية المصالح بقوله تعالى  
(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا) هذا هو  
النوع الخامس من الطاعات المذكورة في هذه الآيات وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى)  
في تقرير النظم وجوه (الأول) أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه هو المتكفل بالرزق  
العباد حيث قال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية  
املاق نحن نرزقهم وإياكم (الثاني) أنه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين في الآية المقدمة  
علم في هذه الآية كيفية البر بالأولاد ولهذا قال بعضهم إن الذين يسمون بالارباب انما سموا  
بذلك لأنهم يروا الآباء والأبناء وانما يجب بالآباء مكافأة على ما صدر منها من أنواع البر  
بالأولاد وانما يجب بالبر بالوالدين في غاية الضعف ولا كفيل لهم غير الوالدين (الوجه  
الثالث) أن امتناع الأولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم لأن الآباء إذا علموا ذلك  
قلت رغبتهم في تربية الأولاد فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه فثبت أن عمارة

يبسط تارة ويقبض  
أخرى فاستنوا بسنته  
فلا تقبضوا كل القبض  
ولا تبسطوا كل البسط  
وأن يراد أنه تعالى يبسط  
ويقدر حسب مشيئته  
فلا تبسطوا على من قدر  
عليه رزقه وأن يكون  
تهيدا لقوله (ولا تقتلوا  
أولادكم خشية إملاق)  
أي مخافة فقر وقرى  
بكسر الخاء كانوا يتدون  
بناتهم مخافة الفقر فنهوا  
عن ذلك (نحن نرزقهم  
وإياكم) لأنهم فلا تخافوا  
الفاقة بناء على علمكم  
بجزءكم عن تحصيل رزقهم  
وهو ضمان لرزقهم  
وتعليل للنهي المذكور  
بإبطال موجب في زعمهم  
وتقديم ضمير الأولاد  
على المخاطبين على عكس  
ما وقع في سورة الأنعام  
للاشارة بإصابتهم في  
إفاضة الرزق أولان  
الباعث على القتل هناك  
الاملاق الناجز ولذلك  
قبل من املاق وههنا  
الاملاق المتوقع ولذلك  
قبل خشية املاق فكانه  
قبل رزقهم من غير أن  
ينقص من رزقكم شيء

فيعتريكم ما تخشونه وإياكم أيضا رزقنا في رزقكم (إن قتلهم كان خطأ كبيرا) تعليل آخر يبين أن ﴿ العالم ﴾  
المنهي عنه في نفسه منكر عظيم



والخطء الذنب والاثم يقال خطي \* خطا كاتم انما وقرى \* بالفتح والسكون وبتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل  
بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمدو بفتحها ﴿ ٥٧٩ ﴾ ممدودا وبتحتها وحذف الهزة وبكسرهما كذلك

(ولا تقر بوزنا) مباشرة  
مباديه القرية أو البعيدة  
فضلا عن مباشرة  
وانما نهي عن قرابته  
على خلاف ماسبق ولحق  
من القتل للبلابة في النهي  
عن نفسه ولان قرابته  
داع الى مباشرة وتوسيط  
النهي عنه بين النهي  
عن قتل الاولاد والنهي  
عن قتل النفس المحرمة  
على الاطلاق باعتبار  
انه قتل للاولاد لما انه  
تضييع للانساب فان  
من لم يثبت نسبه ميت  
حكما (انه كان فاحشة)  
فعله ظاهرة القبح متجاوزة  
عن الحد (وساء سيلا)  
أي بئس طريقا يقره  
فانه غصب الابضاع  
المؤدي الى اختلال  
أمر الانساب وهيجان  
الفتن كيف لا وقد قال  
النبي عليه السلام اذا  
زنى العبد خرج منه  
الايمن فكان على رأسه  
كالظلة فاذا انقطع رجم  
اليه وقال عليه السلام  
لا يزني الزاني حين يزني  
وهو موثق وعن حذيفة  
رضي الله عنه انه قال  
عليه السلام اياكم والزنا

العالم انما تحصل اذا حصلت المبرة بين الاباء والاولاد من الجانبين (الوجه الرابع) ان قتل  
الاولاد ان كان لحوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي  
في تخريب العالم فالاول ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله  
تعالى وكلاهما منحوم والله أعلم (الوجه الخامس) ان قرابة الاولاد قرابة الجزئية  
والبعضوية وهي من أعظم الموجبات للحبة فلولا تحصل المحبة دل ذلك على غلاظ شديد  
في الروح وقسوة في القلب وذلك من أعظم الاخلاق الذميمة فرغب الله في الاحسان الى  
الاولاد ازالة لهذه الخصلة الذميمة (المسئلة الثانية) العرب كانوا يقتلون البنات لبحر  
البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدمهم على النهب والغارة وأيضا كانوا  
يخافون ان قرها ينفر كفاها عن الرغبة فيها فيحتاجون الى انكاحها من غير الاكفاء  
وفي ذلك ما رشيد فقال تعالى ولا تقتلوا اولادكم وهذا لفظ عام للذكور والاناث والمعنى  
انه الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور وبين  
الإناث وأما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد  
يخاف أيضا في العاجزين من البنين ثم قال تعالى نحن نرزقهم واياكم يعني الارزاق بيد الله  
تعالى فكما انه تعالى فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح أبواب الرزق على النساء  
عرضنا شلة الثالثة) الجمهور قروا ان قتلهم كان خطأ كبيرا أي انما كبيرا يقال خطي \* بخطأ  
والثمة قتلها مثل اثم اثم انما قال تعالى انا كنا خاطئين أي آثمين وقرأ ابن عامر خطأ بالفتح يقال  
لواقر لاطأ بخطي \* اخطاء وخطأ اذا اتى بما لا ينبغي من غير قصد ويكون الخطأ اسما للصدر  
والمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس بصواب قال القفال رحمه الله وقرأ ابن كثير خطاء  
بكسر الخاء ممدودة ولعلها لغتان مثل دفع ودفاع ولبس ولباس \* قوله تعالى (ولا تقر بوا  
الزنا) كان فاحشة وساء سيلا) اعلم انه تعالى لما أمر بالاشياء الخمسة التي تقدم ذكرها  
وحاصلها يرجع الى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله أتبعها بذكر النهي عن  
اشياء (أولها) انه تعالى نهى عن الزنا فقال ولا تقر بوا الزنا قال القفال اذا قيل للانسان  
لا تقر بوا هذا فهذا أكد من أن يقوله لا تفعله ثم انه تعالى علل هذا النهي بكونه فاحشة  
وساء سيلا واعلم أن الناس قد اختلفوا في أنه تعالى اذا أمر بشي \* أو نهى عن شي \* فهل يصح  
أن يقال انه تعالى انما أمر بذلك الشي \* أو نهى عنه لوجه تأديله أم لا فقال القائلون  
بتحسين العقل وتقييده الامر كذلك وقال المنكرون لتحسين العقل وتقييده ليس الامر  
كذلك احتج القائلون بتحسين العقل وتقييده على صحة قولهم بهذه الآية قالوا انه تعالى  
نهى عن الزنا وعلل ذلك النهي بكونه فاحشة فيمتنع أن يكون كونه فاحشة عبارة عن  
كونه منها عن والالزم لتليل الشي \* بنفسه وهو محال فوجب أن يقال كونه فاحشة  
وصف حاصل له باعتبار كونه زنا وذلك يدل على أن الاشياء تحسن وتقبح لوجوه عائدة اليها في  
أنفسها ويدل أيضا على أن نهى الله تعالى عنها معلل بوقوعها في أنفسها على تلك الوجوه

فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فذهاب البهائم ودوام الفقر وقصر العمر  
وأما التي في الآخرة فيحفظ

الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بان عصبها بالاسلام أو بالمهد (الاباحق)  
الاباحدي ثلاث كفر بعد ايمان ووزنا بعد احسان ﴿ ٥٨٠ ﴾ وقل نفس معصومة عمد افاستاهم فرغ أي لا تقتلوهما

وهذا الاستدلال قريب والاولى أن يقال ان كون الشيء في نفسه مصلحة أو مفسدة أمر ثابت لذاته لا بالشرع فان تناول الغذاء الموافق مصلحة والضرب المؤلم مفسدة وكونه كذلك أمر ثابت بالعقل لا بالشرع واذا ثبت هذا فنقول تكاليف الله تعالى واقعة على وفق مصالح العالم في العاش والمعاد فهذا هو الكلام الظاهري وفيه مشكلات هائلة وباحث غيقة نسال الله التوفيق لبلوغ الغاية فيها اذا عرفت هذا فنقول الزنا اشتمل على أنواع من المفسد (أولها) اختلاط الانساب واشتباها فلا يعرف الانسان ان الولد الذي أتت به الزانية أهومته أو من غيره فلا يقوم بترتيبه ولا يستمر في تعهده وذلك يوجب ضياع الاولاد وذلك يوجب انقطاع النسل وخراب العالم (وثانيها) انه اذا لم يوجد سبب شرعي لاجله يكون هذا الرجل أولى بهذه المرأة من غيره لم يبق في حصول ذلك الاختصاص الا التوايب والتقاتل وذلك يفضي الى فتح باب الهرج والمرج والمقاتلة وكما سمعنا وقوع القتل الدرهم بسبب اقدام المرأة الواحدة على الزنا (وثالثها) ان المرأة اذا باشرت الزنا وتمرت عليه يستقدرها كل طبع سليم وكل خاطر مستقيم وحينئذ لا تحصل اللفة والمجبة ولا يتم السكن والازدواج ولذلك فان المرأة اذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طبايع أكثر الخلق (ورابعها) انه اذا انفتح باب الزنا فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة وكل رجل يمكنه التوايب على كل امرأة شئت وارادت وحينئذ لا يبقى بين نوع الانسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب (وخامسها) انه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة بل ان تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته من الطعام والمشروب والملبوس وأن تكون ربة البيت وحافظة للباب وان تكون قائمة بأمور الاولاد والعبيد وهذه المهمات لا تتم الا اذا كانت مقصورة المهمة على هذا الرجل الواحد منقطع الطمع عن سائر الرجال وذلك لا يحصل الا بتعريم الزنا وسد هذا الباب بالكلية (وسادسها) ان الوطء يوجب الذل الشديد والدليل عليه ان أعظم أنواع الشتم عند الناس ذكر الفاظ الوقاح ولولا ان الوطء يوجب الذل والا لما كان الامر كذلك وأيضاً فان جميع العقلاء لا يقدمون على الوطء الا في المواضع المستورة وفي الاوقات التي لا يطلع عليهم أحد وان جميع العقلاء يستنكفون عن ذكر أزواج بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم لما يقدمون على وطئهن ولولا أن الوطء ذل والا لما كان كذلك واذا ثبت هذا فنقول لما كان الوطء ذلاً كان السعي في تقليده موافقاً للعقول فاقصر المرأة الواحدة على الرجل الواحد سعي في تقليد ذلك العمل وأيضاً ما فيه من الذل يصير مجبوراً بالنافع الحاصلة في الكاح أما الزنا فإنه فتح باب لذلك العمل القبيح ولم يصير مجبوراً بشيء من المنافع فوجب بقاؤه على أصل المنع والحجر فثبت بما ذكرنا ان العقول السليمة تقضي على الزنا بالقبح واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى وصف الزنا بصفات ثلاثة كونه فاحشة ومقتضى آية أخرى وساء سيلاً أما كونه فاحشة فهو اشارة الى اشتماله على فساد الانساب الموجبة لخراب العالم والى اشتماله على التقاتل

بسبب من الاسباب  
الاسباب الحلق أو ملتبسين  
أو ملتبسة بشيء من  
الاشياء ويجوز أن يكون  
نعنا لمصدر محذوف  
أي لا تقتلوهما قتلاً ما  
الاقلام ملتبسة بالحق  
(ومن قتل مظلوماً)  
بغير حق يوجب قتله  
أو يبيحه للقتال حتى  
انه لا يعتبر باخوته لغير  
القاتل فان من عليه  
القصاص اذا قتله غير  
من له القصاص يقتص له  
ولا يفيد قول الولي انا  
أمرته بذلك ما لم يكن  
الامر ظاهراً (فقد  
جعلنا لوليه) لمن يلى  
أمره من الوارث  
أو للسلطان عند عدم  
الوارث (سلطاناً)  
تسلطاً واستيلاء على  
القاتل يؤاخذ به بالقصاص  
أو بالدية حسبما تقتضيه  
جنايته أو حجة غالبية  
(فلا يسرف) وقرئ  
لاتسرف (في القتل)  
أي لا يسرف الولي  
في أمر القتل بأن يتجاوز  
الحد المشروع بأن يزيد  
عليه المثلثة أو بأن يقتل  
غير القاتل من أقاربه

أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله أهل الجاهلية أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ ﴿ والتوايب ﴾ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي (انه كان منصوراً) تعليل للنهي

والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعونته في استيغاه حقه فلا يبخ  
ما وراء حقه ولا يسترد عليه ﴿ ٥٨١ ﴾ ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول ظناً على معنى انه تعالى نصره

بما ذكر فلا يسرف عليه  
في شأنه أو للذي يقتله  
الولي ظمناً وأسراً  
ووجه التعليل ظاهر  
وعن مجاهد أن الضمير  
في لا يسرف للقائل الاول  
ويعضده قراءة فلا  
تسرفوا والضمير ان  
في التعليل عائد ان الى  
الولي أو المقتول فالمراد  
بالاسراف حينئذ  
اسراف القائل على نفسه  
بتعريضه لها للمهلك  
العاجل والآجل  
لا الاسراف وتجاوز  
الحد في القتل أي لا  
يسرف على نفسه في  
شأن القتل كما في قوله  
تعالى قل يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم  
(ولا تفر بأمال النيم)  
نهى عن قربانه لما ذكر  
من المبالغة في النهي  
عن التعرض له ومن  
افضاه ذلك اليه وللنوسل  
الى الاستثناء بقوله تعالى  
(الاباتي هي أحسن)  
أي الابان الحصلة والطريقة  
التي هي أحسن الخصال  
والطرائق وهي حفظه  
واستثماره ( حتى يبلغ  
أشده ) غاية لجسواز

والتوايب على الفروج وهو أيضاً يوجب خراب العالم وأما المقت فقد ذكرنا ان الزانية  
تصبراً مقنونة مكروهة وذلك يوجب عدم حصول السكن والازدواج وان لا يعتمد الانسان  
عليها في شيء من مهماته ومصالحه وأما نه ساء سبباً فهو ما ذكرنا انه لا يبق فرق بين الانسان  
و بين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث وأيضاً جنى ذل هذا العمل وعيبه  
وعاره على المرأة من غير أن يصير مجبوراً بشيء من المنافع فقد ذكرنا في قبج الزانسة أوجه  
والله تعالى ذكر أفعالاً ثلاثة فحملنا كل واحد من هذه الأفعال الثلاثة على وجهين من  
تلك الوجوه الستة والله أعلم بمراده ثم قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق  
ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) هذا هو  
النوع الثاني مما نهى الله عنه في هذه الآية وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) أقائل أن  
يقول ان أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل فالسبب في أن الله تعالى بدأ أولاً بذكر  
النهي عن الزنا وثانياً بذكر النهي عن القتل وجوابه اننا بينا ان فتح باب الزنا بمنع من دخول  
الانسان في الوجود والقتل هبارة عن ابطال الانسان بعد دخوله في الوجود ودخوله  
في الوجود مقدم على ابطاله واعدامه بعد وجوده فلهذا السبب ذكر الله تعالى الزنا أولاً  
ثم ذكر القتل ثانياً ( المسئلة الثانية ) اعلم ان الاصل في القتل هو الحرمة المعلقة والحل انما  
يثبت بسبب عارضى فلما كان الامر كذلك لاجرم نهى الله عن القتل مطلقاً بناء على حكم  
الاصل ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهو عند حصول الاسباب العرضية  
فقال الابالحق فنقتصر ههنا الى بيان أن الاصل في القتل التحريم والذي يدل عليه وجوه  
( الاول ) ان القتل ضرر والاصل في المضار الحرمة لقوله ما جعل عليكم في الدين من  
حرج ولا يريد بكم العسر ولا ضرر ولا ضرار ( الثاني ) قوله عليه السلام الآدمي بنيان  
الرب ملعون من هدم بنيان الرب ( الثالث ) ان الآدمي خلق للاشتغال بالعبادة لقوله  
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عليه السلام حق الله على العباد أن يعبدوه  
ولا يشركوا به شيئاً والاشتغال بالعبادة لا يتم الا عند هدم القتل ( الرابع ) ان القتل افساد  
فوجب ان يحرم لقوله تعالى ولا تفسدوا ( الخامس ) انه اذا تعارض دليل تحريم القتل  
ودليل اباحته فقد أجمعوا على ان جانب الحرمة راجح ولولا أن مقتضى الاصل هو التحريم  
والالكان ذلك ترجيحاً للرجح وهو محال ( السادس ) اننا اذا لم نعرف في الانسان صفة من  
الصفات الاجرد كونه انساناً عاقلاً حكماً فانه يحريم قتله وما لم نعرف شيئاً اذنا على كونه  
انساناً لم نحكم فيه بجعل دمه ولولا أن أصل الانسانية يقتضى حرمة القتل والامساك ان  
كذلك فثبت بهمة الوجوه ان الاصل في القتل هو التحريم وان حله لا يثبت الاسباب  
عرضية واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى حكم بان الاصل في القتل هو التحريم فقال  
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق فقوله ولا تقتلوا نهى وتحريم وقوله حرم الله اعادة  
لذكر التحريم على سبيل التأكيد ثم استثنى هذه الاسباب العرضية الاتفاقية فقال الابالحق

التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم  
وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد

والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل إلا بلباء فرقا بينه وبين الإيفاء الحسي كإيفاء الكيل والوزن (إن العهد) أظهر في مقام الاضمار اظهار الكمال العناية ﴿ ٥٨٢ ﴾ بشأنه أولان المراد مطلق العهد المنتظم

ثم ههنا طريقان (الأول) ان مجرد قوله الابالحق مجمل لانه ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وكيف هو ثم انه تعالى قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا أى في استيفاء القصاص من القاتل وهذا الكلام يصلح جعله بيانا لذلك المجمل وتقريره كأنه تعالى قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق وذلك الحق هو أن من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا في استيفاء القصاص واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الحق هذه الصورة فقط فصارت تقدير الآية ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا عند القصاص وعلى هذا التقدير فتكون الآية نصاصا صريحا في تحريم القتل الابهذا السبب الواحد فوجب أن يبقى على الحرمة فيمسوى هذه الصورة الواحدة (والطريق الثاني) أن نقول دلت السنة على ان ذلك الحق هو أحد امور ثلاثة وهو قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم إلا بحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق واعلم ان هذا الخبر من باب الآحاد فان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تفسير لقوله الابالحق كانت الآية صريحة في انه لا يحل القتل الابهذا السبب الواحد فحينئذ يصير هذا الخبر مخصصا لهذه الآية ويصير ذلك فرعا لقولنا انه يجوز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وأما ان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ليس تفسير لقوله الابالحق فحينئذ يصير هذا الخبر مفسر للحق المذكور في الآية وعلى هذا التقدير لا يصير هذا فرعا على مسألة جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد فلتكن هذه الدقيقة معلومة والله أعلم (المسئلة الثالثة) ظاهر هذه الآية أنه لا سبب لحل القتل الا قتل المظلوم وظاهر الخبر يقتضى ضم شيئين آخرين اليه وهو الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان ودلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ودلت آية أخرى على حصول سبب خامس وهو الكفر ظل تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقال واقتلوهم حيث وجدتموهم والفضهاء تكلموا واختلفوا في أشياء أخرى فمنها ان تارك الصلاة هل يقتل أم لا فعند الشافعي رحمه الله يقتل وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يقتل (وثانيهما) ان فعل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب (وثالثهما) ان الساحر اذا قتل قتل به هري فلان فعند الشافعي يوجب القتل وعند أبي حنيفة لا يوجب (ورابعهما) ان القتل بالثقل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب (وخامسها) ان الامتناع من أداء الزكاة هل يوجب القتل أم لا اختلفوا فيه في زمان أبي بكر (وسادسها) ان اتيان البهيمه هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجب حجة القائلين بانه لا يجوز القتل في هذه الصور هو أن الآية صريحة في منع القتل على الاطلاق الالسبب واحد وهو قتل المظلوم ففيماعدا هذا السبب الواحد وجب البقاء على اصل الحرمة ثم قالوا وهذا النص قد تأكد بالدلائل الكثيرة

للعهد المنتظم كان مشولا أى مسؤولا على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز أن يكون تخيلا لانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفيك نكيتا للناك كما يقال للوؤدة بأى ذنب قلت (وأفوا الكيل) أى أتموه ولا تغسروه (اذا كاتم) أى وقت كيلكم للشترين وتقييد الامر بذلك لما أن التطفيف هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا كاتلوا على الناس يستوفون الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القرسطون وقيل

كل ميزان صغيرا كان أو كبيرا روى معرب ولا يفتح ذلك في عربية القرآن لا تنظام العربات في سلك ﴿ الموجبة ﴾ الكلم العربية وقرئ بضم القاف (المستقيم) أى العديل السوى

ولهل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايقاف الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجوز والبال بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطبيق مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء **﴿ ٤٨٣ ﴾** بايقاف الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايقافه لا يتصور

بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه أيضا في قوله تعالى أو فوا الكيل والميزان بالقسط (ذلك أي ايقاف الكيل والوزن بالميزان السوى (خير) في الدنيا اذ هو أمانة توجب الرغبة في ماملته والذكر الجليل بين الناس (وأحسن تأويلا) عاقبة تفصيل من آل اذا رجح والمراد ما يؤول اليه (ولا تقف) ولا تتبع من قفا أثره اذا تبعه وقرى ولا تقف من قاف أثره أي قفاه ومنه القافة في جمع القائف (ماليس لك به علم) أي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعي كان أو ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرحم وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبه الله تعالى في درغة الجبال حتى يأتي بالخرج ومنه قول الكمي

الموجبة لحرمة الدم على الاطلاق فترك العمل بهذه الدلائل لا يكون الامراض وذلك العارض اما ان يكون نصا متواترا أو نصا من باب الاحاد أو يكون قياسا أما النص المتواتر فنقود والاما بقي الخلف وأما النص من باب الاحاد فهو مرجوح بالنسبة الى هذه التصوص المتواترة الكثيرة وأما القياس فلا يعارض النص فثبت بمقتضى هذا الاصل القوي القاهران الاصل في الدماء الحرمة الا في الصور المعذوبة والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فيه بجان (الاول) ان هذه الآية تدل على انه اثبت لولي الدم سلطانا فأما بيان ان هذه السلطنة تحصل فيما ذا فليس في قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا دلالة عليه ثم ههنا طر يقان (الاول) انه تعالى لما قال بعده فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما حصلت في استيفاء القتل وهذا ضعيف لاحتمال أن يكون المراد ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا ينبغي ان يسرف الظالم في ذلك القتل لان ذلك المقتول منصور بواسطة اثبات هذه السلطنة لوليه (والثاني) ان تلك السلطنة مجمله ثم صارت مفسرة بالآية والخبر أما الآية فقوله تعالى في سورة البقرة يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن عفى له من أخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا في تفسير هذه الآية انها تشمل على ان الواجب هو كون المكلف محيرا بين القصاص وبين الدية وأما الخبر فهو قوله عليه السلام يوم القحح من قتل قتيلًا فأهله بين خيرتين ان أحبوا قتلوا وان أحبوا أخذوا الدية وعلى هذا الطريق فقوله فلا يسرف في القتل معناه انه لما حصلت سلطنة استيفاء القصاص ان شاء وسلطنة استيفاء الدية ان شاء قال بعده فلا يسرف في القتل معناه ان الاولى أن لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بأخذ الدية أو يميل الى العفو وبالجملة فلفظة في محمولة على الباء والمعنى فلا يصير مسرفا بسبب اقدامه على القتل ويصير معناه الترغيب في العفو والاكتفاء بالدية كما قل وأن تعفو أقرب للتقوى (البحث الثاني) ان في قوله ومن قتل مظلوما ذكر كونه مظلوما بصيغة التنكير وصيغة التكثير على ما عرف تدل على الكمال فالإنسان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص قل الشافعي رحمه الله قد دللنا على ان المسلم اذا قتل الذي لم يدخل تحت هذه الآية بدليل ان الدمى مشرك والمشرک يحمل دمه انما قلنا انه مشرك بقوله تعالى ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء حكيم بان ما سوى الشرك موقوف في حق البعض فلو كان كفر اليهودي والنصراني شيئا مغايرا للشرك لوجب أن يصير مغفورا في حق بعض الناس بمقتضى هذه الآية فلما لم يصير مغفورا في حق أحد دل على ان كفرهم شرك ولانه تعالى قل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا التثنية الذي قال به هؤلاء اما أن يكون تثليثا في الصفات وهو باطل لان ذلك هو الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة فلا يمكن جملة تثليثا للكفر وأما أن يكون تثليثا في الذوات وذلك هو الحق ولا شك أن

ب\* ولا اقفلوا حواصن انبرمينا\* (ان السهم والبصر والغواد) وقرى بفتح الفاء والواو والقلوبه من  
والوفاء به والقيام لقاها (كل أولئك) أي كل واحد من تلك ﴿٥٨٤﴾ الاعضاء فأجر يت مجرى الغلاء لما كانت مسؤولة عن  
(ان العهد) شهادة على

القاتل به مشرك فثبت أن الدمى مشرك وانما قلنا ان المشرك يجب قتله لقوله تعالى اقتلوا  
المشركين ومقتضى هذا الدليل اباحة دم الدمى فان لم تثبت الاباحة فلا أقل من حصول  
شبهة الاباحة واذا ثبت هذا فنقول ثبت انه ليس كاملا في المظلومية فلم يندرج تحت قوله  
تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وأما الحر اذا قتل عبدا فهو داخل تحت  
هذه الآية الا اننا بينا ان قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد  
يدل على المنع من قتل الحر بالعبد من وجوه كثيرة وتلك الآية أخص من قوله ومن قتل  
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والخاص مقدم على العام فثبت ان هذه الآية لا يجوز  
التمسك بها في مسألة ان موجب العمد هو القصاص ولا في مسألة انه يجب قتل المسلم  
بالدمى ولا في مسألة انه يجب قتل الحر بالعبد والله أعلم أما قوله تعالى فلا يسرف في القتل  
ففيه مباحث (البحث الاول) فيه وجوه (الاول) المراد هو أن يقتل القاتل وغير القاتل  
وذلك لان الواحد منهم اذا قتل واحدا من قبيله شريفة فأولياء ذلك المقتول كانوا يقتلون  
خلقا من القبيلة الدينية فسمى الله تعالى عنه وأمر بالاعتصاف على قتل القاتل وحده  
(الثاني) هو ان لا يرضى بقتل القاتل فان أهل الجاهلية كانوا يقتلون أشرف قبيلة  
القاتل ثم كانوا يقتلون منهم قوما معينين ويتركون القاتل (والثالث) هو أن لا يقتل  
بقتل القاتل بل يمثل به ويقطع اعضاءه قال القفال ولا يبعد حمله على الكل لان جملة هذه  
المعاني مشتركة في كونها اسرافا (البحث الثاني) قرأ الا كثرون فلا يسرف بالياء وفيه  
وجهان (الاول) التقدير فلا ينبغي ان يسرف الولي في القتل (الثاني) ان الضمير للقاتل  
الظالم ابتداء أي فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالم واسرافه عبارة عن الإسراف على ذلك  
القتل الظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف بالتاء على الخطاب وهذه التسمية مجمل  
وجهين (أحدهما) أن يكون الخطاب للبتدي القاتل طالما كأنه قيل له لا تسرف أيها  
الإنسان وذلك الاسراف هو اقدامه على ذلك القتل الذي هو ظلم محض والمعنى لا تفعل  
فانك ان قتلته مظلوما استوى في القصاص منك (والآخر) أن يكون الخطاب للولي فيكون  
التقدير لا تسرف في القتل أيها الولي أي اکتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة  
وأما قوله ان كان منصورا ففيه ثلاثة أوجه (الاول) كأنه قيل للظالم البتدي بذلك القتل  
على سبيل الظلم لا تفعل ذلك فان ذلك المقتول يكون منصورا في الدنيا والآخرة أما نصرته  
في الدنيا فبقتل قاتله وأما في الآخرة فبكثر الثواب له وكثرة العقاب لقاتله (والقول الثاني)  
ان هذا الولي يكون منصورا في قتل ذلك القاتل الظالم فليكتف بهذا القدر فانه يكون  
منصورا فيه ولا ينبغي أن يطمع في الزيادة منه لان من يكون منصورا من عند الله يحرم  
عليه طلب الزيادة (والقول الثالث) ان هذا القاتل الظالم ينبغي أن يكتفى باستيفاء  
القصاص وان لا يطلب الزيادة واعلم ان على القول الاول والثاني طهر ان المقتول وولي  
دمه يكونان منصورين من عند الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قلت

للعهد المأبها هذا وان اولاد  
وان غلب في الغلاء  
لكنه من حيث انه اسم  
جمع لذا الذي يعم القبيلين  
جاء ليعبرهم أيضا قال  
\* ذم المنازل بدم منزلة  
اللولي \* والعيش بعد  
أولئك الايام \* (كان عنه  
مسؤولا) أي كان كل  
من تلك الاعضاء مسؤولا  
عن نفسه على أن اسم  
كان ضمير يرجع الى كل  
وكذا الضمير المجرور وقد  
جوز أن يكون الاسم  
ضمير القاتل بطريق  
الالتفات اذا الظاهر أن  
يقال كنت عنه مسؤولا  
وقل الجار والمجرور في  
محل الرفع قد استدله  
مسؤولا معللا بأن الجار  
والمجرور لا يلتبس بالبتدي  
وهو السبب في منع تقديم  
الفاعل وما يقوم مقامه  
ولكن الخماس حكي  
الاجماع على عدم جواز  
تقديم القائم مقام الفاعل  
اذا كان جارا ومجرورا  
ويجوز أن يكون من باب  
الحنف على شريطة  
التفسير ويحنف الجار  
من المفسر وبعود الضمير

مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسؤولا مستندا الى المصدر المدلول ﴿على﴾

عليه بالفعل وإن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل التصب وسأل ابن جني أبا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فأين المرفوع فقال المصدر ﴿ ٥٨٥ ﴾ أي فيك يرغب الرغبة بمعنى تغلب الرغبة كما في قولهم يعطى

ويمنع أي يفعل الاعطاء والمنع وجوز أن يكون اسم كان أو فاعله ضمير كل مجذوف المضاف أي كان صاحبه عنه مسؤلاً أو مسؤلاً صاحبه (ولا تمش في الأرض) التقييد لزيادة التقرير والاشعار بأن المشي عليها مالا يليق بالمرح (مرحاً) تكبراً وهو بطراً واختيالاً وهو مصدر وقع موقع الحال أي ذامح أو ترح مرحاً أو لاجل المرح وقرئ بالكسر (انك لن تحرق الأرض) تعليل للنهي وفيه تمكيد بالختال وإيدان بأن ذلك مفسخرة مع الأرض وتكبر عليه ما لن تحرق الأرض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء (ولن تبلغ الجبال) التي هي بعض أجزاء الأرض (طولا) حتى يمكن لك أن تتكبر عليها إذا تكبراً بما يكون بكثرة القوة وعظم الجشنة وكلاهما مفعول وفيد تعريض بما عليه الخيال من رفع رأسه ومشي على صدره قدميه (كل ذلك) إشارة إلى ما علم في تضاعيف ذلك

لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه وإيم الله ليظهرت عليكم ابن أبي سفيان لأن الله تعالى يقول ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً وقال الحسن والله ما نضر معاوية علي على رضي الله عنه إلا يقول الله تعالى ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً والله أعلم بقوله تعالى ( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ) أعلم ان هذا هو النوع الثالث من الأشياء التي نهى الله عنها في هذه الآيات وأعلم اننا ذكرنا ان الزنا يوجب اختلاط الانساب وذلك يوجب منع الاهتمام بترية الاولاد وذلك يوجب انقطاع النسل وذلك يوجب المنع من دخول الناس في الوجود وأما القتل فهو عبارة عن اعدام الناس بعد دخولهم في الوجود فثبت ان النهي عن الزنا والنهي عن القتل يرجع حاصله الى النهي عن اتلاف النفوس فلما ذكر الله تعالى ذلك اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال لان أعز الأشياء بعد النفوس الاموال وأحق الناس بالنهي عن اتلاف أموالهم هو اليتيم لانه لا يملك نفسه وكال عجزه يعظم ضرره بان اتلاف ماله فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ونظيره قوله تعالى ولا تأكلوا مما اسرفوا بداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وفي تفسير قوله الابالي هي أحسن وجهان (الاول) الابالي تصريف الذي ينهيه ويكثره (الثاني) المراد هو أن تأكل معه اذا احتجت اليه وروي مجاهد عن ابن عباس قال اذا احتاج أكل بالمعروف فاذا أيسر قضاءه فأن لم يوسر فلا شيء عليه وأعلم ان الولي انما يتقرب ولايته على اليتيم الى أن يبلغ أشده وهو بلوغ النكاح كما بينه الله تعالى في آية أخرى وهي قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم والمراد بالاشد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله وعند ذلك نزول ولاية غيره عنه وذلك حد البلوغ فأما اذا بلغ غير كامل العقل لم تنزل الولاية عنه والله أعلم وبلوغ العقل هو أن يكمل عقله وقواه الحسية والحركية والله أعلم بقوله تعالى ( وأوفوا بالعهدان المهدي كان مسؤلاً وأوفوا الكيل اذا كنتم وزواً بالقسط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ) أعلم انه تعالى أمر بخمسة أشياء أو لا ثم اتبعه بالنهي عن ثلاثة أشياء وهو النهي عن الزنا وعن القتل الابالحق وعن قربان مال اليتيم الابالي هي أحسن ثم اتبعه بهذه الاوامر الثلاثة فالاول قوله وأوفوا بالعهد واعلم ان كل عقد تقدم لاجل توثيق الامر وتوكيده فهو عهد وقوله وأوفوا بالعهد نظير لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود فدخل في قوله أوفوا بالعقود كل عقد من العقود كعقد البيع والشركة وعقد اليمين والنذر وعقد الصلح وعقد النكاح وحاصل القول فيه ان مقتضى هذه الآية ان كل عقد وعهد جرى بين انسانين فانه يجب عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد والعهد الا اذا دل دليل منفصل على انه لا يجب الوفاء به فقتضاه الحكم بصحة كل بيع وقع التراضي به وبصحة كل شركة وقع التراضي بها

الاوامر والنواهي ﴿ ٧٤ ﴾ خا من الحصال الخمس والعشرين (كان

سيئته) الذي نهى عنه وهي الثنا عشرة خصله (عند ربك مكرها) منضا خبر مضي أو غير ماضيا لإرادة الإولى لا غير مراد مطلقا لقيام الأدلة الناطقة على أن جميع الأشياء واقعة ﴿ ٥٨٦ ﴾ بإرادته سبحانه وهو تمة لتعليل الأمور المنهى

ونها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبار لا يذآن بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الاتهاء عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها إليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جله بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مريضاً عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك أيذانا بالفنى عنه وقيل الإضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على أنه خبر كان وذلك إشارة إلى ما نهى عنه من الأمور المذكورة ومكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى ساء وقد قرئ به أو مجرى على موصوف مذكر أى أمر أمكروها أو مجرى مجرى الأسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالاً من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة وقرئ سياتة وقرئ سأتة (ذلك) أى

ويؤكد هذا النص بسائر الآيات الدالة على الوفاء بالعهود والعتود كقوله والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقوله وأحل الله البيع وقوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقوله واشهدوا إذا تباعتم وقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه وقوله إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم يدايد وقوله من اشترى شيئا لم يره فهو بالخيار إذا رآه فجميع هذه الآيات والأخبار دالة على أن الأصل في البيوعات والعهود والصحة ووجوب الالتزام إذا ثبت هذا فنقول إن وجدنا نصاً يخص من هذه النصوص بدل على البطلان والفساد قضينا به تقديم الخاص على العام والأقضية بالصحة في الصكل وأما تخصيص النص باقتباس فقد أبطلناه وبهذا الطريق تصير أبواب المعاملات على طولها وأطنابها مضبوطة معلومة بهذه الآية الواحدة ويكون المكلف آمن القلب مطمئن النفس في العمل لأنه المادلت هذه النصوص على صحتها فليس بعد بيان الله يسان وتصير الشريعة مضبوطة معلومة ثم قال تعالى إن العهد كان مسؤولاً وفيه وجوه (أحدها) أن يراد صاحب العهد كان مسؤولاً فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله وأسأل القرية (وثانيها) أن يكون هذا تخيلاً كأنه يقال للعهد لم نكث وهلا وفي بك تيكيتا لنا كذا كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت وكقوله أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين الآية فالخطابة لعبس عليه السلام والانكار على غيره (النوع الثاني) من الأوامر المذكورة في هذه الآية قوله وأوفوا الكيل إذا كنتم والمقصود منه إتمام الكيل وذكر الوعيد الشديد في نقصانه في قوله ويل للمطففين الذين إذا اكتابوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (النوع الثالث) من الأوامر المذكورة في هذه الآية قوله وزنوا بالقسط المستقيم فالآية المقدمة في إتمام الكيل وهذه الآية في إتمام الوزن ونظيره قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز منه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء وقد يكون الإنسان فاعلاً لا يمتدنى إلى حفظ ماله فالشارع بائع في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال على الملاك ومنعاً من تلطيح النفس بسرقة ذلك المقدار الحقيق والقسطاس في معنى الميزان إلا أنه في العرف أكبر منه ولهذا اشتهر في السنة العامة أنه القبان وقيل أنه بلسان الروم أو السرياني والأصح أنه لغة العرب وهو مأخوذ من القسط وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال وبالجملة فعناه المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الجانبين وأجمعوا على جواز الغنين فيه ضم القاف وكسر هاءه فكسر قراءة



او من جنسه (من الحكمة) التي هي علم الشرائع أو معرف الحق لذاته والعمل به أو من الاحكام المحكمة التي لا تطرق اليها التسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ٥٨٧ ﴾ ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في الواح

موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكنبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن امانتة باوحى على انها مبضية أو ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره المحذوف في الصلة أي كأننا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار (ولا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر التنبيه على أن التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذقها أساطين الحكماء وحك يافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشرار والأولاد حيث قيل فتعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجة في العقبى فقبل (فلقى في جهنم ملوما) من جهة نفسك ومن جهة غيرك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالتقاء مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء

حرة والكسائي وحفص عن عاصم والباقون بالضم ثم قال تعالى ذلك خير أي الايمان بالتمام والكمال خير من التطفيف القليل من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وأحسن تأويله والتأويل ما يؤول اليه الامر كما قال في موضع آخر خير مردا خير عقي خيرا ملا واما حكم الله تعالى بأن عاقبة هذا الامر أحسن العواقب لانه في الدنيا اذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت القلوب اليه وحصل له الاستغناء في الزمان القليل وكما قدرنا من الفقراء لما اشتهروا عند الناس بالامانة والاحتراز عن الحيانة أقبلت القلوب عليهم وحصلت الاموال الكثيرة لهم في المدة القليلة وأما في الآخرة فالغوز بالسواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم \* قوله تعالى ( ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى لما شرح الاوامر الثلاثة عاد بعده الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة أشياء اولها قوله ولا تقف ما ليس لك به علم قوله تقف مأخوذ من قولهم قفوت أثر فلان اقفوقفوا وقفوا اذا تجمعت أثره وسميت قافية الشعرا قافية لانها تقفوا البيت وسميت القليلة المشهورة بالقافية لانهم يتبعون آثار اقدام الناس ويستدلون بها على أحوال الانسان وقال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وسعى القافا لانه مؤخر بدن الانسان كأنه شيء يتبعه ويقفوه فقوله ولا تقف أي ولا تتبع ولا تقف ما لا تعلم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية يندرج تحتهما أنواع كثيرة وكل واحد من المفسرين حله على واحد من تلك الأنواع وفيه وحده (الاول) المراد نهى المشركين عن المذاهب التي كانوا يعتقدونها في الالهيات والنبوات بسبب تقليد اسلافهم لانه تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال ان هي الأسماء سميتوها أتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقال انكارهم البعث بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها معون وحكي عنهم انهم قالوا ان نطن الاظنا ومانحن بمستيقنين وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن (والقول الثاني) نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رآته عينك وسمعته اذناك ووعاه قلبك (والقول الثالث) المراد منه النهي عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه (والقول الرابع) المراد منه النهي عن الكذب قال قتادة لا نقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تره علمت ولم تعلم (والقول الخامس) ان القفو هو البهت وأصله من القفا كأنه قول يقال خلفه وهو في معنى الغيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما بسوه وفي بعض الاخبار من

وأخذوا بالمشرك وجعل له من قبيل خشبية يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التور ( أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أمانا ) خطاب للقائنين بأن الملائكة ﴿ ٥٨٨ ﴾ بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جملة خاصا

والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدم يفسره المذكور أى أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الاولاد على وجه الخلوص وآر لفا ته أحسها وأدناها كما في قوله سبحانه أنكم الذكرو له الاثنى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الر بوبية تشديد التنكير وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليه السلام وإيراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم أخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالاثوثة التى هى أحسن صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا انكم نقولون) يقتضى من ذهبكم الباطل الذى هو اضافة الولد اليه سبحانه (قولا عظيما) لا يقادر قدره فى استبعاد الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترى عليه أحد بحيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثل شئ وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه ما تنكرون من

عليه سلا بما ليس فيه حبسه الله فى رذغة الخبال واعلم ان اللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتفديد والله أعلم (المسئلة الثانية) احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا القياس لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم فالحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب أن لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أجيب عنه من وجوه (الاول) ان الحكم فى الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة فى صور كثيرة (أحدها) ان العمل بالقوى عمل بالظن وهو جائز (وثانيها) العمل بالشهادة عمل بالظن وانه جائز (وثالثها) الاجتهاد فى طلب القبلة لا يفيد الا الظن وانه جائز (ورابعها) قيم المتلفات وأروش الجنائيات لا يسبيل اليها الا بالظن وانه جائز (وخامسها) الفصد والحجامة وسائر المعالجات بناء على الظن وانه جائز (وسادسها) كون هذه الذبيحة ذبيحة للمسلم مظنون لامعلوم وبناء الحكم عليه جائز (وسابعها) قال تعالى وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لامعلوم (وثامنها) الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون ثم بنى على هذا الظن أحكاما كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن فى مقابر المسلمين وغيرهما (وتاسعها) جميع الاعمال المعتبرة فى الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المخصوصة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون جائز (وعاشرها) قال عليه السلام نحن نحكم باظهار والله يتولى السرار وذلك تصریح بأن الظن معتبر فى هذه الانواع العشرة فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن (والجواب الثانى) ان الظن قد يسمى بالعلم والدليل عليه قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وذلك لا يفيد الا الظن فههنا الله تعالى سمى الظن علما (والجواب الثالث) ان الدليل القاطع لم يدل على وجوب العمل بالقياس وكان ذلك الدليل وليسلا على انه متى حصل ظن ان حكم الله فى هذه السورة يساوى حكمه فى محل النص فأنتم مكلفون بالعمل على وفق ذلك الظن فههنا الظن وقع فى طريق الحكم تأما ذلك الحكم فهو معلوم متيقن أجب نفاة القياس عن السؤال الاول فقالوا قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم عام دخله التخصيص فى الصور العشرة المذكورة فيبقى هذا العموم فيما وراء هذه الصورة ثم نقول الفرق بين هذه الصور العشر وبين محل النزاع ان هذه الصور العشر مشتركة فى ان تلك الاحكام أحكام مخصصة بأشخاص معينين فى أوقات معينة فان الواقعة التى يرجع فيها الانسان المعين الى المعنى المعين واقعة متعلقة بذلك الشخص المعين وكذلك القول فى الشهادة وفى طلب القبلة وفى سائر الصور والتخصيص على وقائم الأشخاص المعين فى الاوقات المعينة يجرى مجرى التخصيص على ما لانها يات له وذلك متعذر فلهذه الضرورة اكتفينا بالظن أما الاحكام المثبتة بالاقبسة

الزوال وليس كمثل شئ وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه ما تنكرون من

أخس الاولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان فبالها من ضلته \* ٥٨٩ \* ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها (واقدمصرفنا)

هذا المعنى وكررها

(في هذا القرآن)

على وجوه من التصريف

في مواضع منه وانما ترك

الضمير تعويلا على

الظهور وقري

بالتخفيف (ليذكروا)

ما فيه ويقفوا على

بطلان ما يقولونه

والانقضاء الى الغيبة

لايذنان باقتضاء الحال

أن يعرض عنهم ويحكي

للسامعين هياتهم وقري

بالتخفيف من الذكر

بمعنى التذكار ويجوز

أن يراد بهذا القرآن

ما نطق ببطلان مقاتتهم

المدكورة من الآيات

الكريمة الواردة على

أساليب مختلفة ومعنى

التصريف فيه جعله

مكانه أي أوقفنا فيه

التصريف كقولهم

\* يجرح في عراقيها

نصلي \* وقد جوز

أن يراد به ابطال

اضافتهم اليه تعالى

البنات وأنت تعلم أن

ابطالها من آثار القرآن

وتأنيده (ومايزيدهم)

أي والحال انه مايزيدهم

ذلك التصريف البالغ

فهي أحكام كلية معتبرة في وقائع كلية وهي مضبوطة قليلة والتصحيح عليها يمكن ولذلك فان الفقهاء الذين استخرجوا تلك الاحكام بطريق القياس ضبطوها وذكروها في كتبهم اذا عرفت هذا فنقول التصحيح على الاحكام في الصور العشرة التي ذكرتموها غير ممكن فلا جرم اكتفى الشارح ~~بها بالظن~~ بالمسائل المثبتة بالطرق القياسية التصحيح عليها يمكن فلم يجر الاكتفاء فيها بالظن فظهر الفرق (وأما الجواب الثاني) وهو قولهم الظن قد يسمى علما فنقول هذا باطل فانه يصح أن يقال هذا مظهر غير معلوم وهذا معلوم وغير مظهر وذلك يدل على حصول المقابلة ثم الذي يدل عليه قوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن نبي اعلم واثبت للظن وذلك يدل على حصول المقابلة ~~والمقابلة~~ فان علمتوهن مؤمنات فالؤمن هو المقر وذلك الاقرار هو العلم (وأما الجواب الثالث) فهو أيضا ضعيف لان ذلك الكلام انما يتم لو ثبت ان قياس حجة بديل قاطع وذلك باطل لان تلك الحجة اما أن تكون عقلية أو غلبية والاول باطل لان القياس الذي يفيد الظن لا يجب عقلا أن يكون حجة والدليل عليه ~~الاستدلال~~ أن يصح من الشرع أن يقول نبيكم عن الرجوع الى القياس ولو كان كونه حجة أمرا ~~عقليا~~ فمقتضى ذلك والثاني أيضا باطل لان الدليل التقلي في كون القياس حجة انما يكون قطعيًا لو كان متقولًا نقلًا متواترًا وكانت دلالاته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة التقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل وعرفه الكل ولا يرتفع الخلاف وحيث لم يكن كذلك علمنا انه لم يحصل في هذه المسئلة دليل سمعي قاطع فثبت انه لم يوجد في اثبات كون القياس حجة دليل قاطع البتة فبطل قولكم كون الحكم المثبت بالقياس حجة معلوم لا مظهر فهدا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وأحسن ما يمكن أن يقال في الجواب عنه ان التمسك بهذه الآية التي عولتم عليها تمسك بعام مخصوص والتمسك بالعام بخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على ان التمسك بالظن غير جائز دلت على ان التمسك بهذه الآية غير جائز فاقول يكون هذه الآية حجة يقتضى ثبوته الى نفيه فكان متناقضا فاقط الاستدلال به والله أعلم والحجيب أن يحجب فيقول نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التمسك بآيات القرآن حجة في السريعة ويمكن أن يجاب عن هذا الجواب بأن كون العام مخصوص حجة غير معلوم بالتواتر والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا فيه بحثان (الاول) ان العلوم اما مستفادة من الحواس أو من العقول أما القسم الاول فاليه الاشارة بذكر السمع والبصر فان الانسان اذا سمع شيئًا ورآه فانه يروي به ويخبر عنه وأما القسم الثاني فهو العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان البدئية والكسبية والى العلوم العقلية الاشارة بذكر الفؤاد (البحث الثاني) ظاهر الآية يدل على ان هذه الجوارح مسؤولة وفيه وجوه (الاول) ان المراد ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لان السؤال لا يصح الا من كان

(الانثورا) عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكار المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح (قل)

في اظهار بطلان تلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى

بالمشرك وجعل له مومن قاطبة وقرى بالناه خطا بهم من قبل النبي عليه الصلاة والسلام والكاف في محل  
من قوله أباتا خلد محذوف أي كونا مشابها لما يقاوان ﴿ ٥٩٠ ﴾ والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة

عاقلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فهو كقوله تعالى  
واسأل القرية والمراد أهلها يقال لهم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك  
النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه (والوجه الثاني) ان تقرير الآية ان  
أولئك الاقوام كلهم مسئولون عن السمع والبصر والقواد فيقال لهم استعملتم السمع  
فيماذا أي الطاعة أو في المعصية وكذلك القول في بقية الاعضاء وذلك لان هذه الحواس  
آلات النفس والنفس كالاميرها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملتها النفس في  
الخيرات استوجبت الثواب وان استعملتها في المعاصي استحققت العقاب (والوجه  
الثالث) انه ثبت بالقرآن انه تعالى يخلق الحياة في الاعضاء ثم انها تشهد على الانسان  
والدليل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون  
ولذلك لا يعد أن يخلق الحياء والعقل والطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى بوجه السؤال  
عليها ﴿ قوله تعالى ( ولا تمس في الارض مرحاك ان تحرق الارض ولن تبلغ الجبال  
طولا كل ذلك كان سنيته عندك مكروها ) اعلم ان هذا هو النوع الثاني من الاشياء  
التي نهى الله عنها في هذه الآيات وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) المرح شدة الفرح  
يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح والمراد من الآية انه يمشي عن ان يمشي الانسان مشيا  
يدل على الكبرياء والعظمة قال الزجاج لا تمس في الارض مختالا فخورا ونظيره قوله تعالى  
في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال في سورة لقمان  
واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال ايضا فيها ولا تمس في الارض مرحا ان الله  
لا يحب كل مختال فخور ( المسئلة الثانية ) قال الاخفش واوقى مرحا بالكسر كان  
أحسن في القراءة قال الزجاج مرحا مصدر ومرحا اسم الفاعل وكلاهما جائز الآن  
المصدر أحسن ههنا وأوكدت قول جاز بدر كضاورا كضا فرضا أو كدلانه يدل على  
توكيد الفعل ثم انه تعالى أكد النهي عن الخيلاء والتكبر فقال انك لن تحرق الارض  
ولن تبلغ الجبال طولا والمراد من الحرق ههنا نقب الارض ثم ذكر وافيده وجوها (الاول)  
ان المشي انما يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنك قيل انك حال الانخفاض لاتقدر على  
خرق الارض ونقبها وحال الارتفاع لاتقدر على ان تصل الى رؤس الجبال والمراد التنبيه  
على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر ( الثاني ) المراد منه ان تحنك الارض التي  
لاتقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لاتقدر على الوصول اليها فانت محاط بك من فوقك  
وتحنك بتوعين من الجباد وأنت أضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر  
فكأنه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب  
فلاتفعل فعل المقدر القوى ثم قال تعالى كل ذلك كان سنيته عندك مكروها وفيه  
مسائل ( المسئلة الاولى ) الاكثر من قرؤا سنيته بضم الهاء والهمزة وقرأ نافع وابن كثير  
وأبو عمرو سنيته منصوبة أما وجه قراءة الاكثرين فظاهر من وجهين (الاول) قال الحسن

والهمزة للانكار واثن  
للعطف على متا وجزاء  
المذكور ألبوا ( الى  
على مرش ) أي الى  
رأه الملك والربو يتطلى  
الاطلاق ( سبيلا )  
بالمباغة والمباغة كما هو  
دين الملوك بعضهم مع  
بعض على طريقة قوله  
تعالى لو كان فيهما آلهة  
الا الله لفسدنا وقيل  
بالتقرب اليه تعالى كقوله  
تعالى أو تشك الذين  
يدعون يتغون الى ربهم  
الوسيلة والاول هو  
الاطهر الانسب لقوله  
( سبحانه ) فانه صريح  
في أن المراد بيان انه  
يلزم مما يقاونه محذور  
عظيم من حيث  
لا يحتسبون وأما بغاء  
السبل اليه تعالى بالتقرب  
فليس مما يختص بهذا  
التقرير ولا هو مما يلزمهم  
من حيث لا يشعرون  
بل هو أمر يعتقدونه  
رأسا أي تنزه بذاته  
تنزها حقيقا به (وتعالى)  
متباعدة ( عما يقولون )  
من العظيمة التي هي  
ان يكون معه آلهة وأن  
يكون له بنات ( علوا )

تعالى كقوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا ( كبيرا ) لا غاية وراه كيف لا وانه سبحانه ﴿ انه ﴿  
في أقصى غايات الوجود وهو

الوجوب الذاتي ما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولاداً في أبعاد مراتب العدم اعني الامتناع لانه تعالى في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب ﴿ ٥٩١ ﴾ الوجود لذاته واتخاذ الولد من أحدى مراتبه فانه من خواص ما يتمتع بقاؤه كما قيل

فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذ تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب في أن ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود

وكونه من أدنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شأنه ذلك ( تسبح ) بالفوقانية وقرئ بالتختانية وقرئ ( سبحته ) السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والظلمين على ان المراد بالتسبح معنى منتظم لما ينطبق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز ( وان من شيء )

من الاشياء حيوانا كان أو نباتا أو جادا ( الايسح ) ملتبسا ( بحمده ) أي بزهده تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولو احق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بإمكانه وحدونه يدل دلالة واضحة على أن له صانعا عليا قادرا حكما واجبا لذاته قطعاً للسلسلة ( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) أيها المشركون لاخلالكم بانظر التسبيح الذي يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على

انه تعالى ذكر قبل هذا أشياء أمر بيهضها ونهى عن بعضها فلو حكم على الكل بكونه سيئة لزم كون الأمور به سيئة وذلك لا يجوز اما اذا قرأناه بالاضافة كان المعنى ان ما كان من تلك الاشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله واستقام الكلام ( والوجه الثاني ) اننا لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة اوجب أن يقال انها مكروهة وليس الامر كذلك لانه تعالى قال مكروها اما اذا قرأناه بصيغة الاضافة كان المعنى ان سيئ تلك الاقسام يكون مكروها وحينئذ يستقيم الكلام أما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو فيها وجوه ( الاول ) ان الكلام ثم عند قوله ذلك خير وأحسن تأويلاً ثم ابتداء وقال ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تمس في الارض مراً ثم قال كل ذلك كان سيئة والمراد هذه الاشياء الاخيرة التي نهى الله عنها ( والثاني ) ان المراد بقوله كل ذلك أي كل ما نهى الله عنه فيما تقدم وأما قوله مكروها فذكرها في تصحيحه على هذه القراءة وجوها ( الاول ) التقدير كل ذلك كان سيئة وكان مكروها ( الثاني ) قال صاحب الكشاف السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئه ألا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى سيئ وموئث ( الثالث ) فيه تقديم وتأخير والتقدير كل ذلك كان مكروها وسيئة عند ربك ( الرابع ) انه محمول على المعنى لان السيئة هي الذنب وهو مذكر ( المسئلة الثانية ) قال القاضي دلت هذه الآية على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون مراداً له فهذه الاعمال غير مرادة لله تعالى فبطل قول من يقول كل ما دخل في الوجود فهو مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب أن لا تكون مخلوقة له لانها لو كانت مخلوقة لله تعالى لكانت مرادة له لا يقال المراد من كونها مكروهة ان الله تعالى نهى عنها وأيضاً معنى كونها مكروهة ان الله تعالى كره وقوعها وعلى هذا التقدير فهذا لا يمنع ان الله تعالى أراد وجودها لان الجواب عن الاول انه عدول عن الظاهر وأيضاً كونها سيئة عند ربك يدل على كونها منهيها عنها فلو حملنا المكروه على النهي لزم التكرار والجواب عن الثاني انه تعالى انما ذكر هذه الآية في معرض الزجر عن هذه الافعال ولا يليق بهذا الموضع أن يقال انه تعالى يكره وقوعها هذا تمام هذا الاستدلال والجواب ان المراد من المكروه النهي عنه ولا بأس بالتكرير لاجل التأكيد والله أعلم ( المسئلة الثالثة ) قال القاضي دلت هذه الآية على انه تعالى كانه موصوف بكونه مرئداً فكذلك أيضاً موصوف بكونه كارهاً وقال أصحابنا الكراهية في حقه تعالى محمولة اما على النهي أو على ارادة العدم والله أعلم \* قوله تعالى ( ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجمل مع الله الهام آخر قلتي في جهنم ملوماً مدحوراً أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً ) اعلم انه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعاً من

واضحاً على أن له صانعا عليا قادرا حكما واجبا لذاته قطعاً للسلسلة ( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) أيها المشركون لاخلالكم بانظر التسبيح الذي يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على

صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل ( انه كان خليما ) وذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبير في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد ﴿ ٥٩٢ ﴾ والانهماك في الكفر والاشراك

التكاليف فأولها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه  
مشتل على تكلفين الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غير الله فكان المجموع  
ثلاثة وقوله وبالوالدين احسانا هو الرابع ثم ذكر في شرح ذلك الاحسان خمسة أخرى  
وهي قوله فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل  
من الرحمة وقل رب ارحهما فيكون المجموع تسعة ثم قال وآت ذا القربى حقه والمسكين  
وابن السبيل وهو ثلاثة فيكون المجموع اثني عشر ثم قال ولا تبذر تبريرا فيصير ثلاثة عشر  
ثم قال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا وهو الرابع  
عشر ثم قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الى آخر الآية وهو الخامس عشر ثم قال  
ولا تقتلوا اولادكم وهو السادس عشر ثم قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق  
وهو السابع عشر ثم قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وهو الثامن عشر ثم قال  
فلا يسرف في القتل وهو التاسع عشر ثم قال وأوفوا بالعهد وهو العشرون ثم قال وأوفوا  
الكيل اذا كنتم وهو الحادي والعشرون ثم قال وزنوا بالقسطاس المستقيم وهو الثاني  
والعشرون ثم قال ولا تقف ما ليس لك به علم وهو الثالث والعشرون ثم قال ولا تنس في  
الارض مرحا وهو الرابع والعشرون ثم قال ولا تجعل مع الله الها آخر وهو الخامس  
والعشرون فهذه خمسة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواه  
جبهها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتعبد  
مذموما مخذولا وخاتمها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقي في جهنم ملوما مذمورا اذا  
عرفت هذا فتقول ههنا فوائد (الفائدة الاولى) قوله ذلك اشارة الى كل ما تقدم ذكره من  
التكاليف وسماها حكمة وانما سماها بهذا الاسم لوجوه (أحدها) ان حاصلها يرجع  
الى الامر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال على  
الآخرة والعقول تدل على صحتها فالآتي بعث هذه الشريعة لا يكون داعيا الى دين  
الشیطان بل الفطرة الاصلية تشهد بأنه يكون داعيا الى دين الرحمن وتما تقر بهذا  
ماند كره في سورة الشعراء في قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفكأثم  
(وثانيها) ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان  
والمثل ولا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار (وثالثها) ان  
الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد عبارة عن  
القسم الاول وسائر التكاليف عبارة عن تعاميم الخيرات حتى يواظب الانسان عليها ولا  
ينحرف عنها فثبت ان هذه الاشياء المذكورة في هذه الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس  
ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه الصلاة والسلام (أولها) لا تجعل مع الله  
الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء (والفائدة  
الثانية) من فوائد هذه الآية انه تعالى بدأ في هذه التكاليف بالامر بالتوحيد والنهي

(عقورا) لمن تاب منكم  
(واذا قرأت القرآن)  
الناسطق بالتسبيح  
والتزيه ودعوتهم  
الى العمل بما فيه  
من التوحيد ورفض  
الشرك وغير ذلك  
من الشرائع (جعلنا)  
بقدرتنا ومشيئتنا  
المبنية على دواعي  
الحكم الخفية (بيدك)  
وبين الذين لا يؤمنون  
بالآخرة) أو اثر الوصول  
على الضمير فما لهم بما  
في حيز الصلاة وانما خص  
بالذكر كفرهم بالآخرة  
من بين سائر ما كفروا به  
من التوحيد ونحوه  
دلالة على انها معظم  
مأمرها بالايمان به  
في القرآن وتمهيدا لما  
سينقل من انكار البعث  
واستجماله ونحو ذلك  
(جبايا) يحجبهم  
من أن يدركوك على ما  
انت عليه من النبوة  
ويغفوا فذكر الجليل  
ولذلك اجترأ على  
تفوه العظيمة التي هي  
قولهم ان تبعون الا  
رجلا مسحورا وحل  
الحجاب على ماروي

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه من انه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء ام جيل امرأة أبي لهب عن  
وفي يدها فهر والنهي عليه الصلاة والسلام فاعد في المسجد ومعه أبو بكر

رضي الله عنه فلما رآه قال يا رسول الله لقد أقبلت هده **٥٩٣** \* وأخاف أن تراك قال عليه الصلاة والسلام

انها لن تراني وقرأ آنا  
فوقفت على أبي بكر  
رضي الله عنه ولم تر  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلا يقبله  
الدوق السليم ولا يساعد  
انظم الكريم (مستورا)  
ذاستر كما في قولهم  
سبل مفعم أو مستورا عن  
الحس بمعنى غير حسي  
أو مستورا في نفسه  
بجباب آخر أو مستورا  
كونه جبابا حيث لا يدرون  
انهم لا يدرون (وجعلنا على  
قلوبهم أكنة) أغطية  
كثيرة جمع كنان (أن  
يقفهوه) مفعول لاجله  
أي كراهة أن يقفهوه  
أو مفعول لمادل عليه  
الكلام أي منعناهم أن  
يقفوا على كهو ويعرفوا  
أنه من عند الله تعالى  
(وفي اذانهم وقرا)  
صمما وثقلا مانعا من  
سماعه اللائق به وهذه  
تشيلات معرفة عن كمال  
جهلهم بشؤون النبي  
عليه الصلاة والسلام  
وفرط نيقولونهم عن  
فهم القرآن الكريم ووج  
أسماءهم له يحي بها  
بينا لعدم فقهم تسبيح

عن الشرك وختمها بعين هذا المعنى والمقصود منه التنبيه على أن أول كل عمل وقول  
وفكر وذكر يجب أن يكون ذكر التوحيد وآخره يجب أن يكون ذكر التوحيد تنبيها على  
أن المقصود من جميع التكاليف هو معرفة التوحيد والاستغراق فيه فهذا التكرير  
حسن موقعه لهذه القاعدة العظيمة ثم انه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الشرك يوجب أن  
يكون صاحبه مذموما مخذولا وذكر في الآية الأخيرة أن الشرك يوجب أن يلقي صاحبه  
في جهنم ملوما مذمورا فاللوم والخذلان يحصلان في الدنيا والقائه في جهنم يحصل يوم  
القيامة ويجب علينا أن نذكر الفرق بين المذموم المخذول وبين المذموم المدحور فنقول أما  
الفرق بين المذموم وبين المذموم فهو أن كونه مذموما معناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم  
عليه قبيح ومنكر فلهذا معناه كونه مذموما وإذا ذكر له ذلك فبعد ذلك يقال له لم فعلت مثل  
كذلك الفعل وما الذي حلاك عليه وما استغدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك  
وهذا هو اللوم فثبت ان أول الامر هو أن يصير مذموما وآخره أن يصير ملوما وأما الفرق  
بين المخذول وبين المدحور فهو أن المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذلت أعضاؤه  
أي ضعفت وأما المدحور فهو المطرود والطرود عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال  
تعالى ويخلف فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعلمته وتفويضه الى نفسه وكونه  
مدحورا عبارة عن اهانتة والاستخفاف به فثبت أن أول الامر أن يصير مخذولا وآخره  
أن يصير مدحورا والله أعلم بمراده وأما قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة  
بناتنا فاعلم انه تعالى لما نبه على فساده يفة من أثبت لله شركا ونظير انبه على طريقته من  
أثبت له الولد وعلى كمال جهل هذه الفرقة وهي انهم اعتقدوا ان الولد قسمان أحسن  
القسمين البنون وأحسنهما البنات ثم انهم أثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم  
أثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له  
واجب غاية له وذلك يدل على نهاية جهل القائل بهذا القول ونظيره قوله تعالى  
أم له البنات قسم البنون وقوله ألكم الذكروه الا نبي وقوله أفأصفاكم يقال أصفاء بالشيء  
إذا أثر به ويقال للضياع التي يستخصها السلطان بخاصية الصواني قال أبو عبيدة في قوله  
أفأصفاكم أفخصكم وقال المفضل أخلصكم قال الخويون هذه الهمة همزة تدل على  
الانكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لاجواب لصاحبه الا بما فيه أعظم  
الفضيحة ثم قال تعالى انكم تقولون قولا عظيما وبيان هذا التعظيم من وجهين (الأول)  
ان اثبات الولد يقتضي كونه تعالى مر كبا من الاجزاء والابحاض وذلك يقدح في كونه  
قدما واجب الوجود لذاته وذلك عظيم من القول ومنكر من الكلام (والثاني) ان  
بتقدير ثبوت الولد فقد جعلتم أشرف القسمن لانفسكم وأحسن القسمن لله وهذا أيضا  
جهل عظيم قوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم الا نفورا  
قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لا يتفوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى

لسان المقال اثر بيان عدم فقهمهم **٧٥** \* خا لتسبح لسان الحال وايدانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم  
فهمه الا لما تم قوى يعتري المشاعر فيبطلها وتنبهها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لاحكامه لما قالوا قلوبنا في أكنة

من الاصل حق القرآن والنبي  
 (ضفو) عليه الصلاة والسلام  
 جهلا وكفرا من  
 اتصافهما بأوصاف  
 مائة من التصديق  
 والايان ككون القرآن  
 سحرا وسعرا وأساطير  
 وقس عليه حال النبي  
 عليه الصلاة والسلام  
 لا الاخبار بأن هناك  
 أمر او آراء ما أدركوه  
 قد حال بينهم وبين  
 ادراكه حائل من قبلهم  
 ولا ريب في أن ذلك المعنى  
 مما لا يكاد يلائم المقام (واذا  
 ذكرت ربك في القرآن  
 وحده) واحدا غير  
 مشفوع به آلهتهم وهو  
 مصدر وقع موقع الحال  
 أصله محذو حده (ولو  
 على أدبارهم) أي  
 هربوا ونفروا (نفورا)  
 أو ولو انافرين (نحن  
 أعلم بما يستمعون به)  
 ملتبسين به من اللغو  
 والاستخفاف والهزء بك  
 وبالقرآن يروى انه كان  
 يقوم عن يمينه عليه  
 الصلاة والسلام رجلان  
 من بني عبد الدار وعن  
 يساره رجلان فيصغون  
 ويصفرون ويخاطبون  
 عليه بالاشعار (اذ يستمعون

عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح  
 بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) اعلم أن التصريف في اللغة عبارة  
 عن صرف الشيء من جهة الى جهة نحو تصريف الريح وتصريف الامور هذا هو الاصل  
 في اللغة ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين لان من حاول بيان شيء فانه يصرف  
 كلامه من نوع الى نوع آخر ومن مثال الى مثال آخر ليكمل الايضاح وتقوى البيان فقوله  
 ولقد صرفنا أي بينا ومفعول التصريف محذوف وفيه وجوه (أحدها) ولقد صرفنا  
 في هذا القرآن ضروبا من كل مثل (وثانيتها) أن تكون لفظه في زائدة كقوله وأصلح لي  
 في ذريتي أي أصلح لي ذريتي أما قوله ليدكر وافيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ للجمهور  
 ليدكروا بفتح الذال والكاف وتشديدهما والمعنى ليدكروا فأدغمت التاء في الذال تقرب  
 من خرجيهما وقرأ حمزة والكسائي ليدكروا ساكنة الذال مضمومة الكاف وفي سورة  
 الفرقان مثله من الذكرك قال الواحدى والتذكر ههنا أشبه من الذكر لان المراد منه التدبر  
 والتفكر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان ثم قال وأما قراءة حمزة  
 والكسائي ففيها وجهان (الاول) ان الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى  
 خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا ما فيه (والثاني) أن يكون المعنى  
 صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن ليدكره بألسنتهم فان الذكر باللسان قد يؤدي الى  
 تأثر القلب بمعناه (المسئلة الثانية) قال الجبائي قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدكروا  
 يدل على انه تعالى انما أنزل هذا القرآن وانما كثر فيه من ذكر الدلائل لانه تعالى أولها  
 منهم ففهمها والايان بها وهذا يدل على انه تعالى يفعل أفضاله لا غراض حكمية ويدل على  
 انه تعالى أراد الايمان من الكل سواء آمنوا أو كفروا والله أعلم ثم قال تعالى وما يزيدهم  
 الا نفورا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الاصم شبههم بالدواب النافرة أي  
 ما زادوا من الحق الابداء وهو كقوله فزادتهم رجسا (المسئلة الثانية) إيجع أصحابنا  
 بهذه الآية على أنه تعالى ما أراد الايمان من الكفار وقالوا انه تعالى عالم بأن تصريف  
 القرآن لا يزيدهم الا نفورا فلما أراد الايمان منهم لما أنزل عليهم ما يزيدهم نفرة ونبوة عند  
 لان الحكيم اذا أراد تحصيل أمر من الامور وعلم ان الفعل القلاني يصير سبب لما يذنبه  
 والنبوة عنه فانه عندما يحاول تحصيل ذلك المقصود يكثر عجزا ويوجب مزيدا للنفرة والنبوة  
 فلما أخبر تعالى ان هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه ما أراد الايمان منهم والله أعلم  
 أما قوله تعالى قل لو كان مع آلهة كما تقولون اذا لا تبغوا الى ذى العرش سبيلا ففيه  
 مسئلتان (المسئلة الاولى) في تفسيره وجهان (الاول) ان المراد من قوله اذا لا تبغوا الى  
 ذى العرش سبيلا هو اننا لو فرضنا وجود آلهة مع الله تعالى لعلم بعضهم بعضا وحاصله  
 يرجع الى دليل التامع وقد شرحتاه في سورة الانبياء في تفسير قوله لو كان فيهما آلهة  
 الا الله لفسدتا فلما ائدة في الاعادة (والوجه الثاني) ان الكفار كانوا يقولون ما نعبدهم

اليك) ظرف لا علم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لأن العلم ﴿ الا ﴾ يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى (واذ هم نجوى) لكن لامن حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي



المدلول عليه بسباق التظيم والمعنى نحن أعلم بالذي ﴿ ٥٩٥ ﴾ يستمعون ملتبسين به مما لا يخبر فيه من الامور المذكورة

وبالذي يتناجون به  
فيما بينهم أو الاول طرف  
ليستمعون والثاني  
ليتناجون والمعنى نحن  
أعلم بما به الاستماع وقت  
استماعهم من غير تأخير  
وبما به التناجى وقت  
تناجهم ونحوه مرفوع  
على الخبر بالهدى  
المضاف أى ذو ونحوه  
أو هو جمع نجى كقلى  
جمع قتل أى متناجون  
( اذ يقول الظالمون )  
بدل من اذهم وفيه  
دليل على أن ما يتناجون  
به غير ما يستمعون به  
وانما وضع الظالمون  
موضع المضمر اسعارا  
بأنهم في ذلك ظالمون  
مجاوزون للحد أى يقول  
كل منهم للآخرين  
هذمتناجهم ( ان تتبعون )  
ما تتبعون ان وجدتمكم  
الاتباع فرضاً وما تتبعون  
باللغو والهزة ( الارجلا  
يسمحوا ) أى سحر فجن  
أورجلا ذاهم أى رنة  
ينتفس أى بشرامثلكم  
( انظر كيف ضرب بوالك  
الامثال ) أى مثلك  
بالشاعر والساحر  
والجنون ( فضلوا )

الايقربونا الى الله زلفى فقال الله لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من انما تقر بكم الى  
الله زلفى اطلبت لانفسها أيضاً فزاد الى الله تعالى وسيلا اليه واطلقت لانفسها المراتب  
المالية والدرجات الشريفة من الاحوال الرفيعة فلما لم تقدر ان تتخذ لانفسها سبيلا الى  
الله فكيف يعقل أن تقر بكم الى الله ( المسئلة الثانية ) قرأ ابن كثير كما يقولون  
وعما يقولون ويسبح بالياء في هذه الثلاثة والمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة  
من دونه فهو مثل قوله قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون وقرأ حزقيا والكسائي كلاهما  
بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم في الاول بالتاء على الخطاب وفي الثاني  
ونثالث بالياء على الحكاية وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء والاخير بالتاء وقرأ  
أبو عمر والاول والاخير بالتاء والاولى بالياء والاخير بالتاء وقرأ  
علوا كبيرا وفيه مسلتان ( المسئلة الاولى ) لما أقام الدليل القاطع على كونه ممتزا عن  
الشركاء وعلى أن القول بآيات الآلهة قول باطل أردفه بما يدل على تزيهه عن هذا  
القول الباطل فقال سبحانه وقد ذكرنا ان التسييح عبارة عن تزيه الله تعالى عما لا يليق به  
ثم قال وتعالى والمراد من هذا التعالى الارتفاع وهو العلو وظاهر ان المراد من هذا  
التعالى ليس هو التعالى في المكان والجهة لان التعالى عن الشرك والتظير والتفانص  
والآفات لا يمكن تفسيره بالتعالى بالمكان والجهة فعلمنا ان لفظ التعالى في حق الله تعالى  
غير مفسر بالعلو بحسب المكان والجهة ( المسئلة الثانية ) جعل العلوم مصدر التعالى  
فقال تعالى علوا كبيرا وكان يجب أن يقال تعالى تعاليا كبيرا الا أن نظيره قوله تعالى والله  
أنتكم من الارض نباتا فان قيل ما الفائدة في وصف ذلك العلو بالكبير فلنا لان المنافة  
بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة  
بلغت في القوة والكمال الى حيث لا تغفل ازياة عليها لان المنافة بين الواجب لذاته  
والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغنى والمحتاج منافاة لا تغفل ازياة عليها  
فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير ثم قال تعالى تسبح له السموات السبع  
والارض ومن فيهن وفيه مسلتان ( المسئلة الاولى ) اعلم أن الحى المكلف يسبح لله  
بوجهين ( الاول ) بالقول كقوله باللسان سبحانه الله ( والثاني ) بدلالة أحواله على توحيد  
الله تعالى وتقديسه وعزته فأما الذى لا يكون مكلفا مثل البهائم ومن لا يكون حيا مثل  
الجمادات فهى انما تسبح لله تعالى بالطريق الثانى لان التسييح بالطريق الاول لا يحصل  
الامع الفهم والعلم والادراك والنطق وكل ذلك في الجماد محال فليبق حصول التسييح  
في حقه الا بالطريق الثانى واعلم انا جوزنا في الجماد أن يكون عالما متكلمنا لجوزنا عن  
الاستدلال بكونه تعالى عالما قادر على كونه حيا وحيث يفسد علينا باب العلم بكونه حيا  
وذلك كعرفانه يقال اذا جاز في الجمادات أن تكون عالمة بذات الله تعالى وصفاته وتسبحه  
مع انها ليست بأحياء فيثبت لا يلزم من كون الشئ عالما قادرا متكلمنا كونه حيا فلم يلزم

في جميع ذلك عن منهاج الحاجة ( فلا يستطيعون سيلا ) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فية هاتون ويخبطون ويأتون بما  
لا يرتاب في بطلانه أحد أو الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد مال الحال الى هذا  
المال لما بين غضاضة  
الحى ويوسه الرميم  
من التناقى كأن استصالة  
الامر من الظهور بحيث  
لا يقدر المخاطب على  
التكلم به والرفات  
ما يواغ في دقه وتفتيته  
وقال الفراء هو التراب  
وهو قول مجاهد وقيل  
هو الحطام واذا تمحضت  
للطرفية وهو الاظهر  
والعامل فيها ما دل عليه  
قوله تعالى (أنتالبعوثون)  
لانفسه لان ما بعد ان  
والهمزة واللام لا يعمل  
فيما قبلها وهونبعث  
أونعاد وهو المرجع  
للاينكار وتقسيمه بالوقت  
المذكور ليس لتخصيصه به  
فانهم منكرون للاحياء  
بعد الموت وان كان البدن  
على حاله بل لتقوية  
الانكار لبعث بتوجيهه  
اليه في حالة منافية له  
ونكرير الهمزة في قولهم  
أنتالبعث كيد التكبير  
وتحلية الجملة باللام  
لأن كيد الانكار لا يانكار  
النا كيد كعسى يتوهم  
من ظاهر النظم فان تقديم  
الهمزة لاقتضائها الصدارة

من كونه تعالى عالما قادرا كونه حيا وذلك جهل وكفر لان من المعلوم بالضرورة ان من  
ليس بحى لم يكن عالما قادرا متكلما هذا هو القول الذى أطبق العلماء المحققون عليه  
ومن الناس من قال ان الجمادات وأنواع النبات والحيوان كلها تسبح الله تعالى واحتجوا  
على صحة قولهم بأن قالوا دل هذا النص على كونها مسبحة لله تعالى ولا يمكن تفسير هذا  
التسبيح بكونها دلائل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته لانه تعالى قال ولكن لا تفقهون  
تسبيحهم فهذا يقتضى ان تسبيح هذه الاشياء غير معلوم لنا ولا لتسبيحها على وجود قدرة الله  
وحكمته معلوم والمعلوم مغاير لما هو غير معلوم فدل على أنها تسبح الله تعالى وان تسبيحها  
غير معلوم لنا فوجب أن يكون التسبيح المذكور في هذه الآية مغايرا لكونها دالة على  
وجود قدرة الله تعالى وحكمته والجواب عنه من وجوه (الاول) انك اذا أخذت تفاحة  
واحدة فتلك التفاحة مركبة من عدد كثير من الاجزاء التى لا تجزأ وكل واحد من تلك  
الاجزاء دليل تام مستقل على وجود الاله ولكل واحد من تلك الاجزاء التى لا تجزأ  
صفات مخصوصة من الطبع والطعم واللون والرائحة والحيز والجهة واختصاص ذلك  
الجوهر الفرد بتلك الصفة المعينة من الجائزات فلا يحصل ذلك الاختصاص الا بتخصيص  
مخصص قادر حكيم اذا عرفت هذا فقد ظهر أن كل واحد من أجزاء تلك التفاحة دليل  
تام على وجود الاله وكل صفة من الصفات القائمة بذلك الجزء الواحد فهو أيضا دليل تام  
على وجود الاله تعالى ثم عدد تلك الاجزاء غير معلوم وأحوال تلك الصفات غير معلومة  
فلهذا المعنى قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم (والوجه الثانى) هو أن الكفار  
وان كانوا يقولون بألسنتهم بايات اله العالم الا انهم ما كانوا يتفكرون في أنواع الدلائل  
ولهذا المعنى قال تعالى وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها  
معرضون فكان المراد من قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم هذا المعنى (والوجه الثالث)  
ان القوم وان كانوا مقرين بألسنتهم بايات اله العالم الا انهم ما كانوا طالين بكمال قدرته  
ولذلك فانهم استبعدوا كونه تعالى قادرا على الحشر والنشر فكان المراد ذلك وأيضا فانه  
تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لو كان معه آلهة كاتقولون اذا لايتفخروا الى ذى  
العرش سبيلا فهم ما كانوا عاينين بهذا الدليل فلما ذكر هذا الدليل قال تسبح له السموات  
السبع والارض ومن فيهن فتسبيح السموات والارض ومن فيهن يشهد بصحة هذا الدليل  
وقوته وأتم لا تفقهون هذا الدليل ولا تعرفونه بل نقول ان القوم كانوا غافلين عن أكثر  
دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد فكان المراد من قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم  
ذلك وما يدل على ان الامر كما ذكرناه قوله انه كان حليما غفورا فذكر الحليم والغفور  
ههنا يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم وهذا  
انما يكون جرما اذا كان المراد من ذلك التسبيح كونها دالة على كمال قدرة الله تعالى  
وحكمته ثم انهم لغفلاتهم وجهلهم ما عرفوا وجه دلالة تلك الدلائل أما لو حللتها للتسبيح

كفى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظاره على رأى الجمهر فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لانكار التعقيب ﴿ على ﴾  
كاهو المسهور وليس مدار انكارهم كونهم مابئين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم

عظاما ورفاتا كما يترامى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وصرجه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة ﴿ ٥٩٧ ﴾ على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه (خلقا جديدا)

نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جوابا لهم وتقرى بالما استبدوه (كولو اجمارة أو وحديدا أو خلقا) آخر مما يكبر في صدوركم أي يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال البايئة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لامحالة (فسيقولون من بعيدنا) مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة (قل) لهم تحقيا للحق وازاحة للاستبعاد وارشاد الهم الى طريقة الاستدلال (الذي) أي بعيدكم القادر العظيم الذي (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب ينتجيه وكنتم ترابا ماشم رائحة الحياة أليس الذي يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير (فستغضون اليك رؤسهم) أي سيحرقونها تحرقا ونجسا وانكارا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي ما ذكرته من الاعادة (قل) لهم (عسى أن يكون) ذلك (قريبا)

على أن هذه الجمادات تسبح الله بأقوالها وألفاظها لم يكن عدم الفقه لتلك التسبيحات جرما ولا ذنبوا إذ لم يكن فلك جرما ولا ذنبا لم يكن قوله انه كان حليما غفورا لا نقسا بهذا الموضع فهذا الوجه قوى في نصرة القول الذي اخترناه واعلم أن القائلين بأن هذه الجمادات والحيوانات تسبح الله بألفاظها أضافوا الى كل حيوان نوعا آخر من التسبيح وقالوا انها اذا ذبحت لم تسبح مع انهم يقولون ان الجمادات تسبح الله فاذا كان كونه جادا لا يمنع من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعاه من التسبيح وقالوا أيضا ان غصن الشجرة اذا كسر لم يسبح واذا كان كونه جادا لا يمنع من كونه مسبحا فكسره كيف يمنع من ذلك فعلم ان هذه الكلمات ضعيفة والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله تسبح له السموات السبع والارض و من فيهن تصريح باضافة التسبيح الى السموات والارض والى المكلفين الحاصلين فيهن وقد دللنا على ان التسبيح المضاف الى الجمادات ليس الا بمعنى الدلالة على تزيه الله تعالى واطلاق لفظ التسبيح على هذا المعنى مجاز وأما التسبيح الصادر عن المكلفين وهو قولهم سبحان الله فهذا حقيقة فيلزم أن يكون قوله تسبح لفظا واحدا قد استعمل في الحقيقة والمجاز معا وانه باطل على ما ثبت دليه في أصول الفقه فالاولى أن يحتمل هذا التسبيح على الوجه المجازي في حق الجمادات لاني حق العقلاء ثلاثا يلزم ذلك المحذور والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان نتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال ففضلوا فلا يستمعون سبيلا) اعلم انه تعالى لما تكلم في الآية المتقدمة في المسائل الالهية تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النبوة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله واذا قرأت القرآن قولان (الاول) ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قرأ القرآن على الناس روى انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ القرآن قائم عن يمينه رجلان وعن يساره آخران من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخططون عليه بالاشعار وعن أسماء انه صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه أبو بكر اذا قبلت امرأة أبي لهب ومعهما فهدرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول ﴿مذمما أتينا\* ودينه قلينا\* وامره عصينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها فهدر أخشاها عليك فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجماعت فارأت رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالت ان قرء بشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجك وروى ابن عباس أن أبا سفيان والنضر بن الحرث وأبا جهل وضميرهم كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما لأدري ما يقول محمد غير أني أرى شفاه تهرج بشي وقال أبو سفيان اني لأرى

اليك رؤسهم) أي سيحرقونها تحرقا ونجسا وانكارا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي ما ذكرته من الاعادة (قل) لهم (عسى أن يكون) ذلك (قريبا)

نصب على انه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أي أن يتم ﴿ ٥٤٨ ﴾ في زمان قريب ومحل أن مع ما في حيزها

بعض ما يقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حويص  
عبد العري هو شاعر فنزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد تلاوة  
القرآن قرأ قبلها ثلاث آيات وهي قوله في سورة الكهف انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن  
يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي العجل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي سمع الجائبة  
أفرايت من اتخذ الهه هواه إلى آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات  
عن عيون المشركين وهر المراد من قوله تعالى جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة  
حجابا مستورا وفيه سؤال وهو أنه كان يجب أن يقال حجابا ساترا والجواب عنه من وجوه  
(الاول) أن ذلك الحجاب حجاب يخلفه الله تعالى في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب عن  
روية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شيء لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه  
أصح أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في أنه يجوز أن تكون الحاسة سليمة يمكن  
المرئي حاضرا مع أنه لا يراه ذلك الانسان لاجل ان الله تعالى خلق في صفيه ما  
رويته بهذه الآية قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حاضرا وكانت حواس  
سليمة ثم انهم ما كانوا يرونه وأخبار الله تعالى ان ذلك انما كان لاجل انه جعل بينهم وبينهم  
حجابا مستورا والحجاب المستور لا معنى له الا للمعنى الذي خلقه الله تعالى في عيونهم وكان  
ذلك المعنى مانعا لهم من أن يروه ويصروه (والوجه الثاني) في الجواب أنه كما يجوز أن  
يقال لابن ونامر بمعنى ذولبن وفوتمر فكذلك لا يبعد أن يقال مستورا معناه فوستر  
والدليل عليه قولهم مرطوب أي فورطوبة ولا يقال رطبية ويقال مكان مهول أي فيه  
هول ولا يقال هلت المكان بمعنى جعلت فيه الهول ويقال جارية مفنوجة ذات غنج  
ولا يقال غنجهها (والوجه الثالث) في الجواب قال الاخفش المستور ههنا بمعنى الساتر فان  
الفاعل قديمي بلفظ المفعول كما يقال انك لمشوم علينا وميمون وانما هو شام ويامن  
لانه من قولهم شامهم وينهم هذا قول الاخفش وتابعه عليه قوم الا ان كثيرا منهم طعن  
في هذا القول والحق هو الجواب الاول (واقول الثاني) ان معنى الحجاب الطبع الذي  
على قلوبهم والطبع والنوع الذي منعهم عن أن يدركوا لطائف القرآن ومحاسنه وفوائده  
فالمراد من الحجاب المستور ذلك الطبع الذي خلقه الله في قلوبهم ثم قال تعالى وجعلنا على  
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وهذه الآية مذكورة بعينها في سورة الانعام  
وذكرنا استدلال أصحابنا بما ذكرنا سوالات المعتزلة ولا بأس بإعادة بعضها قال الاصحاب  
دلت هذه الآية على انه تعالى جعل قلوبهم في الأكنة والأكنة جمع كنان وهو ماستر الشيء  
مثل كنان النبل وقوله أن يفقهوه أي لا يفقهوه وجعل في آذانهم وقرا وسطوهم انهم  
كانوا عقلاء سامعين فاهمين فعلمنا ان المراد منعهم عن الايمان ومنعهم عن سماع القرآن  
بحيث لا يفقهون على أسرارهم ولا يفهمون دقائقه وحقائقه قالت المعتزلة ليس المراد من  
الآية ما ذكرتم بل المراد منه وجوه أخرى (الاول) قال الجبائي كانوا يطلبون موضعه

اما نصب على انه خبر  
لسى وهى ناقصة  
واسمها ضمير عائذ الى  
ما عاد اليه هو أى عسى  
البعث أن يكون قريبا  
أو عسى البعث يقع  
في زمان قريب أو وقع  
على انه فاعل لسى وهى  
تامة أى عسى كونه  
قريبا أو وقوعه في زمان  
قريب (يوم يدعوكم)  
منصوب بفعل مضمر أى  
اذكروا أو على انه بدل  
من قريبا على انه ظرف  
أو يكون تامة بالاتفاق  
أو ناقصة عند من يجوز  
اعمال الناقصة  
في الظروف أو بضمير  
المصدر المستكن في عسى  
أو يكون أعني البعث  
عند من يجوز أعمال  
ضمير المصدر كما في قول  
زهير \* وما الحرب الا  
ما علمت وذقت \* وما هو  
عنها بالحديث المرجح \*  
فهو ضمير المصدر وقد  
تعلق به ما بعده من الجار  
(فتستجيون) أى يوم  
يحكم فتبشون وقد  
استعمل لها اللطاء  
والاجابة ايذانا بكمال  
سهولة التامى وبأن  
المقصود منها الاحضار للحاسبة والجواب (بجمله) حال من ضمير تستجيون أى مقادير له حامدين لما فعل ﴿ في ﴾  
بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آبارها ومعاينة أحكامها (وتظنون) عطف على

المقصود منها الاحضار للحاسبة والجواب (بجمله) حال من ضمير تستجيون أى مقادير له حامدين لما فعل ﴿ في ﴾ بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آبارها ومعاينة أحكامها (وتظنون) عطف على

تستجيبون أي تعجبون عند ما ترون ما ترون من ﴿ ٥٩٩ ﴾ الامور الهائلة (ان لبثتم) أي ما لبثتم في القبور (الاقبلا)

كالذي مر على قرية  
أو ما لبثتم في الدنيا (وقل  
لعبادي) أي المؤمنين  
(يقولوا) عند محاورتهم  
مع المشركين (التي) أي  
الكلمة التي (هي أحسن)  
ولا يخاشنهم كقوله  
تعالى ولا تجادلوا أهل  
الكتاب الا بالتي هي  
أحسن (ان الشيطان  
يتزغ بينهم) أي يفسد  
و يبيح الشر والمراء  
و يغري بعضهم على  
بعض لتقع بينهم المشاقة  
والمشارة والمصاراة  
والمضارة فلعل ذلك  
يؤدي الى تأكد العناد  
وتعمد الفساد فهو  
تعليل للامر السابق  
وقرى بكسر الزاء (ان  
الشيطان كان) قدما  
(للانسان عدوا مينا)  
ظاهر العداوة وهو  
تعليل لما سبق من أن  
الشيطان يتزغ بينهم  
(ربكم أعلم بكم ان يشأ  
برحكم) بالتوفيق للايمان  
(أو ان يشأ يعذبكم)  
بالامانة على الكفر وهذا  
تفسير التي هي أحسن وما  
بينهما اعتراض أي  
قولوا لهم هذه الكلمة

في اليا ليتهوا اليه و يوثقه ويستدلون على ميته باستماع قراءته فأمته الله تعالى من  
شرهم ولذ كره له أنه جعل بينه وبينهم حجابا لا يمكنهم الوصول اليه معه و بين أنه جعل  
في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما يمنع من سماع صوته و يجوز أن يكون  
ذلك مرضا شاغلا يمنعهم عن التصير اليه والتفرغ له لانه حصل هناك كن للقلب و وفر  
في الاذن (التي) قال الكعبى ان القوم لشدة اعتناهم عن قبول دلائل محمد صلى الله  
عليه وسلم صاروا كأنه حصل بينهم وبين تلك الدلائل حجاب مانع وساروا بما نسب الله  
تعالى ذلك الجلب الى نفسه لانه لما خلاهم مع أنفسهم و ما منعهم عن ذلك الاعراض  
صارت تلك التخلية كأنها هي السبب لوقوعهم في تلك الحالة وهذا مثل ان السيد  
اذا لم يراقب أحوال عبده فاذا ساءت سيرته فالسيد يقول أنا الذي أقيمتك في هذه الحالة  
بسبب اني خلطت مع رأيك و ما راقبت أحوالك (الثاني) قال القفال انه تعالى لما خذلهم  
بمعنى أنه لم يفعل الا لطاف الداعية لهم الى الايمان صح أن يقال انه فعل الجلب السار  
واعلم أن هذه الوجوه مع كلمات أخرى ذكرناها في سورة الانعام وأجبتنا عنها فائدة  
في الاعادة ثم قال تعالى و انزلنا من القرآن وحده و لو اعلى أديارهم نفورا واعلم أن  
المراد أن القوم كانوا عند استماع القرآن على خائنين لانهم اذا سمعوا من القرآن ما ليس  
فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهورين مخبرين لا يفهمون منه شيئا و اذا سمعوا آية فيها ذكر الله  
تعالى و ذم الشرك بالله و لو انفورا و تركوا ذلك المجلس و ذكر الزجاج في قوله و لو اعلى  
أديارهم نفورا و جهين (الاول) المصدر والمعنى و لو انفرين نفورا (والثاني) أن يكون  
نفورا جم نافر مثل شهود و شاهد و ركوع و ركوع و سجود و ساجد و قعود و قاعد ثم قال  
تعالى نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك أي نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به  
وهو الهز و التكذيب و به في موضع الحال كما تقول مستمعين بالهز و اذ يستمعون نصب  
بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون و انهم نجوى أي و بما يتناجون به اذ هم  
ذو و نجوى اذ يقول الظالمون بدل من قوله و انهم نجوى ان تبعون الار جلا مسحورا  
وفيه مباحث (الاول) قال المفسرون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يخذ  
طعما و يدعو اليه أشراف قريش من المشركين ففعل على رضى الله عنه ذلك و دخل عليهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم و قرأ عليهم القرآن و دعاهم الى التوحيد و قال قولوا لا اله الا  
الله حتى تطيعكم العرب و تدین لكم الجهم فأبوا عليه ذلك و كانوا عند استماعهم من النبي  
صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متاجين هو ساحر وهو  
مسحور وما أشبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى نبيه بأنهم يقولون ان تبعون الار جلا  
مسحورا فان قيل انهم لم يتبعوا رسول الله فكيف يصح ان يقولوا ان تبعون الار جلا  
مسحورا قلنا معناه انكم ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا والمسحور الذي قد سحر  
فاختلط عليه عقله و زال عن حد الاستواء هذا هو القول الصحيح وقال بعضهم المسحور هو

وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من أهل النار فانه مما يهيجهم على الشرع أن العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فغسي يهديهم الى  
الايمان (وما أرسلناك عليهم وكيلا) مو كولا اليك أمورهم فسرهم على الايمان و انما أرسلناك بشيرا و نذيرا فدارهم و مر أصحابك

رجل فامر بالعمى وقيل  
أفرط أذية المشركين  
بالمؤمنين فشكوا الى  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فترلت وقيل الكلمة  
التي هي أحسن أن يقولوا  
يهديكم الله برحمة الله  
(وربك أعلم بمن في  
السموات والارض)  
وتفاصيل أحوالهم  
الظاهرة والكامنة التي  
بها يستأهلون الاصطفاة  
والاجتباء فيختار منهم  
لنبوته وولايته من يشاء  
من يستحقه وهو رده عليهم  
اذ قالوا بعيد أن يكون يقيم  
أبي طالب نبيا وأن يكون  
المرأة الجوع أصحابه دون  
أن يكون ذلك من الاكابر  
والصناديد وذكر من  
في السموات لا بطل قولهم  
اولاً أنزل علينا الملائكة  
وذكر من في الارض  
رد قولهم لولا نزل هذا  
القرآن على رجل من  
القرىتين العظيم (ولقد  
فضلنا بعض النبيين على  
بعض) بالفضائل  
النفسانية والتزاه عن  
العلائق الجسمانية لا بكثرة  
الاموال والاتباع (وآتيناه  
داود زبوراً) بيان الحثية

الذي أفسد يقال طعام محصور اذا أفسد حله وأرض مسهورة أصابها من المطر أكثر  
ما ينبغي فأفسدها وقال أبو عبيدة يريد بشر اذا سهر أي ذارته قال ابن قتيبة ولا أدري  
ما الذي حله على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجه الواضح وقال  
مجاهد مسهوراً أي مخدو طالان السهر حيلة وخديعة وذلك لان المشركين كانوا يقولون  
ان محمداً يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك الناس يخدعونهم بهذه الكلمات  
وهذه الحكايات فلذلك قالوا انه مسهور أي مخدوع وأيضا كانوا يقولون ان الشيطان  
يخيل له فيظن انه ملك فقالوا انه مخدوع من قبل الشيطان ثم قال انظر كيف ضربوا لك  
الامثال أي كل أحد شبهك بشي آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر وعالم ومجنون فضلوا  
عن الحق والطريق المستقيم فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والحق ﴿ قوله تعالى  
(وقالوا أنذا كنا عظاما ورقانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا  
أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة فسيقضون  
اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فستجيبون بحمده  
وتظنون ان لبئس الاقبيلا) اعلم انه تعالى لما تكلم أولاً في الالهيات ثم أتبعه بذكر شبهاتهم  
في النبوات ذكر في هذه الآية شبهات القوم في انكار المعاد والبعث والقيامة وتخاذلنا  
كثيراً أن مدار القرآن على المسائل الاربعة وهي الالهيات والنبوات والمعاد والقيامة  
والقدر وأيضا ان القوم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه مسهوراً فأسد العقل  
فذكروا من جلة ما يدل على فساد عقله أنه يدعي ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورقانا انه  
يعود حيا طفلا كما كان فذكروا هذا الكلام رواية عنه لتقرير كونه مختل العقل قال  
الواحدى رحمه الله الرقت كسر الشئ بيدك تقول رفته ارفته بالكسر كما رقت المدر  
والعظم البالي والرفات الاجزاء المنفتحة من كل شئ يكسرو ويقال رفت عظام الجزور رقنا  
اذا كسرها ويقال للبن الرقت لانها تقاق الزرع قال الاخفش رفت رقتا فهو مر فوت  
نحو حطم حطما فهو محطوم والرفات والحطام الاسم كالجنداذ والرفاض والقنات  
فهذا ما يتعلق باللغة أما تقرير شبهة القوم فهي ان الانسان اذا مات جفت أعضاؤه  
وتناثرت وتفرقت في حوالى العالم فاختلط بتلك الاجزاء سائر اجزاء العالم أما الاجزاء  
المائية في البدن فاختلط بمياه العالم وأما الاجزاء الترابية فاختلط بتراب العالم وأما الاجزاء  
الهوائية فاختلط بهواء العالم وأما الاجزاء النارية فاختلط بنار العالم واذا صار الامر  
كذلك فكيف يغفل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يغفل صود الحياة اليها بأعيانها  
مرة أخرى فهذا هو تقرير الشبهة والجواب عنها ان هذا الاشكال لا يتم الا بالمدح في كمال  
علم الله وفي كمال قدرته أما اذا سلمنا كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات فحيث هذه  
الاجزاء وان اختلطت بأجزاء العالم الا انها متمايزة في علم الله تعالى ولما سلمنا كونه تعالى  
قادرا على كل الممكنات كان قادرا على اعادة التأييد والترتيب والحياة والعقل الى تلك

تفضيله عليه الصلاة والسلام فان ذلك ابتداء الزبور لا ابتداء الملك والسلطنة وفيه ايدان بتفضيل النبي عليهم السلام ﴿ الاجزاء ﴾  
الصلاة والسلام فان نعمته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وأن المراد بعبادة الله

الصلحين في قوله تعالى ان الارض يرزها ﴿ ٦٠١ ﴾ عبادى الصالحون هو النبي عليه الصلاة والسلام وأمه

وتعريف الزبور تارة  
وتكبيره أخرى امالانه  
في الاصل فعول بمعنى  
المفعول كالحلوب  
او مصدر بمعناه كالتبول  
وامالان المراد آتينا داود  
زبوراً من الزبور وبه  
من الزبور في ذكره عليه  
الصلاة والسلام وورى  
بضم زاي على انه جمع  
زبور بمعنى مزبور (قل  
ادعوا الذين زعمتم)  
انها هذه (من دونه)  
تعالى من الملا  
والمسبحون (ولا  
يملكون) فلا يستطيعون  
(كشف السر لكم)  
بارة كارض والفقير  
والنحوض ونحو ذلك (ولا  
تحولاً) أى ولا تحويله  
الى غير ذلك (أوئك الذى  
يدعون) أى وأولئك  
الآلهة الذين يدعوهم  
انسر كون من المدكورين  
(يتبعون) يتلون لا  
نفسهم (الى ربهم) ومالك  
أمورهم (الوسيلة)  
انقر بقباضاعد والعبادة  
(ايهم أقرب) بدل من  
فاعل يدعون وأى  
موصولة أى يتغنى من  
هو أقرب اليه تعالى  
او سله فكيف بمن دونه

الاجزاء باعيانها فثبت انما تمى سلبنا كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه السببه باركليه  
أما قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديداً فالعنى ان القوم استبعدوا أن يردهم الى حال  
الحياة بعد ان صاروا عظاماً ورفاتاً وهى وان كانت صفة منافية لقبول الحياه بحسب  
الظاهر لكن قدروا انتهاء هذه الاجسام بعد الموت الى صفة أخرى أسد منافاة لقبول  
الحياة من كونها عظاماً ورفاتاً مثل أن تصير حجارة أو حديداً فان المنافاة بين الحجرية  
والحديدية وبين قبول الحياه أسد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياه وذلك ان  
العظم قد كان جزءاً من بدن الحى أما الحجارة والحديد فسا كانا البتة موصوفين بالحياة  
فبتقدير أن تصير أبدان الناس موصوفة بصفة الحجرية والحديدية بعد الموت فان الله تعالى  
يعيد الحياة اليها ويجعلها حياً عاقلاً كما كان والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة  
للحياة والعقل اذ لو لم يكن هذا القبول حاصلًا لحصل العقل والحياه لها في أول الامر  
واله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تستبه عليه أجزاء بدن زيد المطيع بالجزء بدن عمرو  
العاصى وقادر على كل الممكنات واذا ثبت ان عود الحياه الى تلك الاجزاء ممكن في نفسه  
وثبت ان الله العالم عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عود الحيه الى تلك  
الاجزاء ممكنًا قطعاً سواء صارت عظاماً ورفاتاً وصارت شيئاً بعدهم اعطيت في قبول الحياه  
وهى أن تصير حجارة أو حديداً فهذا تقر بهذا الكلام بالدليل القاطع وقوله  
كونوا حجارة أو حديداً ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لاسا عجزتم الله  
تعالى عن الاعادة وذلك كقول السائل للرجل أن تطمع في وأنا دلان فقول كمن من سنت  
كن ابن الخليفة فسا طلب منك حتى فان قيل ما المراد بقوله أو حلاً ما يكبر في صدوركم  
قلنا المراد أن كون الحجر والحديد قابلاً للحياه أمر مستبعد فقل لهم فافرضوا شيئاً آخر  
أبعد عن قبول الحياه من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلاً للحياه وعلى  
هذا الوجه فلا حاجة الى أن يتعين ذلك الشيء لان المراد أن أبدان الناس وان انتهت  
بعد موتها الى أى صفة فرضت وأى حالة قدرت وان كانت في غاية البعد عن قبول الحياه  
فان الله تعالى قادر على اعادة الحياه اليها واذا كان المراد من الآيد هذا المعنى فلا حاجة  
الى تعيين ذلك الشيء وقال ابن عباس المراد منه الموت يعنى لو صارت أبدانكم نفس الموت  
فان الله تعالى يعيد الحياه اليها واعلم ان هذا الكلام انما يحسن ذكره على سبيل الامتناع  
مثل أن يقال لو كنت عين الحياه فالله يمتك ولو كنت عين اعمى فان الله يفكرك فهذا  
قد ذكر على سبيل المبالغة اما في نفس الامر فهذا محال لان ابدان الناس اجسام والموت  
عرض والجسم لا يتقلب عرضاً ثم يتقدير أن يتقلب عرضاً فلو لم يقبل الحياه لان أحد  
الضدين تمتع انصافاً بالضد الآخر وقال مجاهد يعنى السماء والارض ثم قال فسيقولون  
من بعيدنا قل الذى فطركم أول مرة والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة أو حديداً اوسيتنا  
أعد في قبول الحياه من هذين الشئين فان أعادة الحياه اليه ممكنة فمنذ ذلك قالوا من هذا

أوضحن الابتغاء معنى ﴿ ٧٦ ﴾ خا الحرس فكأنه قيل يحرسون أنهم يكون أقرب اليه تعالى باطاعة والعبادة  
(ويرجون رحمة) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلاً عن

الالهية (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقيا ﴿ ٦٠٢ ﴾ بان يحذره كل الملائكة والرسل عليهم

الذي يقدر على اعادة الحياة اليه قال تعالى قل يا محمد الذي فطركم اول مرة يعني ان القول  
بالحياة الاعادة فرع على تسليم ان خالق الحيوانات هو الله تعالى فاذا ثبت ذلك فنقول ان  
تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل واله العالم قادر لذاته عالم لذاته فلا يبطل علمه وقدرته  
البتة فالقادر على الابتداء يجب ان يتي قادرا على الاعادة وهذا كلام تام و برهان قوى  
ثم قال تعالى فسينغضون اليك رؤسهم قال الفراء يقال انغض فلان رأسه ينغضه انغاضا  
اذا حركه الى فوق والى أسفل وسمى الظليم نغضالانه يحرك رأسه وقال أبو الهيثم يقال  
للرجل اذا أخبر بشئ فحرك رأسه انكارا له قد انغض رأسه فقوله فسينغضون اليك رؤسهم  
يعني يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ثم قال تعالى ويقولون متى هو واعلم ان  
هنا السؤال فاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي حكيناها ثم  
ان الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكنا في نفسه فقولهم متى هو كلام لا تعلق له بالبحث  
الاول فانه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بامكانه  
فاما انه متى يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدلائل  
السمعية فان أخبار الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والافلاسيب الى معرفته واعلم  
انه تعالى بين في القرآن أنه لا يطلع أحد من الخلق على وقته المعين فقال ان الله عنده علم  
الساعة وقال انما علمها عند ربى وقال ان الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى قل  
صسى أن يكون قريبا قال المفسرون عسى من الله واجب معناه أنه قريب فان قالوا  
كيف يكون قريبا وقد انقضت ستمائة سنة ولم يظهروا لنا اذا كان ماضى أكثر مما بقى  
كان الباقي قريبا قليلا ثم قال تعالى يوم يدعوكم وفيه قولان (الاول) انه خطاب مع  
الكفار بدليل ان ما قبل هذه الآية كله خطاب مع الكفار ثم نقول انتصب يوما على  
البدل من قوله قريبا والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم أى بالنداء الذى يسعكم  
وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادى المناد من مكان قريب يقال ان اسرافيل ينادى أيتها  
الاجساد البالية والعظام الخصرة والاجزاء المنفرقة عودى كما كنت بقدره الله تعالى  
وباذنه وتكويته وقال تعالى يوم يدعو الداع الى شئ تنكر وقوله فتستجيبون بحمده أى  
تجيبون والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى الاجابة الا ان الاستجابة تقتضى  
طلب الموافقة فهى أو كد من الاجابة وقوله بحمده قال سعيد بن جبيرة يخرجون من  
قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك و بحمدك فهو قوله فتستجيبون  
بحمده وقال قتادة بعرفته وطاعته وتوجيه هذا القول انهم لما أجابوا بالتسبيح والحمد  
كان ذلك معرفة منهم وطاعة ولكنهم لا ينفقههم ذلك في ذلك اليوم فلماذا قال المفسرون  
حدوا حين لا ينفقههم الحمد وقال أهل المعاني تستجيبون بحمده أى تستجيبون حامدين كما  
يقال جاء بفضبه أى جاء غضبان وركب الامير بسيفه أى وسيفه معه وقال صاحب  
الكشاف بحمده حال منهم أى حامدين وهذا مبالغته في انقيادهم للبعث كقولك لمن

الصلاة والسلام وهو  
تعليل لقوله تعالى ويحذرون  
عذابه وتخصيصه بالتعليل  
لما ان المقام مقام التحذير  
من العذاب وأن بينهم  
وبين العذاب بونا بعيدا  
(وان من قرية) بيان لتحتم  
حلول عذابه تعالى بمن  
لا يحذره اثر يسان أنه  
حقيق بالحدور وأن أساطير  
الخلق من الملائكة  
والنبيين عليهم الصلاة  
والسلام على حذر من  
ذلك وكلمة ان نافية ومن  
استغراقية والمراد بالقرية  
القرية الكافرة أى ما من  
قرية من قرى الكفار  
(الآنحن مهلكوها) أى  
تخربوها البتة بالخسف  
بها أو باهلاك أهلها  
بالمرء لما ارتكبوا من عظام  
الموبقات المستوجبة  
لذلك وفي صيغة الفاعل  
وان كانت بمعنى المستقبل  
ماليس فيه من الدلالة  
على التحق والتقرر وانما  
قيل (قبل يوم القيامة)  
لان الاهلاك يومئذ غير  
مخصص بالقرى الكافرة  
ولا هو بطريق العقوبة  
وانما هو لانقضاء عمر  
الدنيا (أو معذبوها) أى

معذبو أهلها على الاسناد المجازى (عذابا شديدا) لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل ﴿ تأمره ﴾  
بلايا كتبه كنه من فنون العقوبات الاخرى ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قبله الاهلاك من



قلبية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى \* ٦٠٣ \* العاتبة العاصية قد أخرجت عقوباتها الى يوم القيامة

(كان ذلك) الذي ذكر  
من الاهلاك والتعذيب  
(في الكتاب) أي اللوح  
المحفوظ (مسطورا)  
مكتوب بالم يقادر منه شيء  
الابن فيه بكيفياته وأسبابه  
الموجبة له ووقته  
المضروب له هذا وقد  
قيل الهلاك للقرى الصالحة  
والعذاب للاطالحة  
وعن مقاتل وجدت  
في كتاب الضحك  
بن مزاحم في تفسيرها  
أمامكة فيختر بها الحبشة  
وتهلك المدينة بالجوع  
والبصرة بالغرق والكوفة  
بالترك والجالبال بالصواعق  
والرواجف وأما خراسان  
فهبلا كما ضروب ثم ذكرها  
بلدا بلدا وقال الحافظ  
أبو عمرو الدواني في كتاب  
انفتحت انه روى عن وهب  
بن منبه ان الجزيرة آمنة  
في الخراب حتى تخرب  
أرمينية وأرمينية آمنة  
حتى تخرب مصر ومصر  
آمنة حتى تخرب الكوفة  
ولا تكون المحمة الكبرى  
حتى تخرب الكوفة  
فاذا كانت المحمة الكبرى  
فتحت قسطنطينية  
على يدي رجل من بني

تأمره بعمل يشق عليه ستأتي به وأنت حامد شاكر أي ستنهي الى حالة تحمد الله وتشكره  
على ان اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد ثم قال وتظنون ان لبثتم  
الاقبلا قال ابن عباس يريد بين النختمين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في ذلك  
الوقت والدليل عليه قوله في سورة يس من يشا من مرقدنا فظنهم بأن هذا البث قليل عائد  
الى لبثهم فيما بين النختمين وقال الحسن معناه تقرب وقت البعث فكأنك بالدنيا لم تكن  
وبالآخرة لم تنزل فهذا يرجع الى استقلال مدة البث في الدنيا وقيل المراد استقلال لبثهم  
في عرصة القيامة لانه لما كانت عاقبة أمرهم الدخول في النار استقصروا مدة لبثهم في  
برزخ القيامة (القول الثاني) ان الكلام مع الكفار ثم عند قوله عسى أن يكون قريبا  
وأما قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فهو خطاب مع المؤمنين لامع الكافرين لان  
هذا الكلام هو اللائق بالمؤمنين لانهم يستجيبون لله بحمده ويحمدونه على احسانه  
اليهم والقول الاول هو المشهور والثاني ظاهر الاحتمال \* قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا  
التي هي أحسن ان الشيطان يترغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم  
أعلم بكم ان يشأ ارحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلًا و ربك أعلم بمن في  
السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا) اعلم ان قوله  
قل لعبادي فيه قولان (الاول) ان المراد به المؤمنون وذلك لان لفظ العباد في أكثر  
آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فيشر عبادي الذين يستمعون القول وقال  
فادخلي في عبادي وقال عينا يشرب بها عباد الله اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما  
ذكر الحجة البقينية في ابطال الشرك وهو قوله لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لا تتبوا الى  
ذي العرش سبيلا وذكر الحجة البقينية في صحة المعاد وهو قوله قل الذي فطركم أول مرة قال  
في هذه الآية وقل يا محمد لعبادي اذا أردتم ايراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل  
بالطريق الاحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطا بالشم والسب ونظير هذه الآية قوله  
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ولا تتجادلوا أهل الكتاب الابالي  
هي أحسن وذلك لان ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب والشم لقابلوكم بمثله كما قال  
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم يزيداد العصب وتتكامل  
النفرة ويمتنع حصول المقصود اما اذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الاحسن  
الخالى عن الشتم والابذاء أثرت في القلب تأثيرا شديدا فهذا هو المراد من قوله وقل لعبادي  
يقولوا التي هي أحسن ثم انه تعالى نبه على وجه المنفعة في هذا الطريق فقال ان الشيطان  
يترغ بينهم جامعا للفر يقين أي متى صارت الحجة مرة بمنزلة البذاءة صارت سببا للثوران  
الفتنة ثم قال ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا والمعنى ان العداوة الحاصلة بين  
الشيطان وبين الانسان عداوة قديمة قال تعالى حكاية عنه ثم لا تئينهم من بين أيديهم ومن  
خلفهم وعن أيامانهم وعن شمائلهم وقال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر

هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افر يقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف  
الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب

الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ﴿ ٦٠٤ ﴾ أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب

قال انى برى منك انى اخاف الله رب العالمين وقال واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برى منكم ثم قال تعالى ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم واعلم اننا انما نتكلم الآن على تقدير أن قوله تعالى قل اعبادى المراد به المؤمنون وعلى هذا التقدير فقوله ربكم اعلم بكم خطاب مع المؤمنين والمعنى ان يشأ يرحمكم والمراد بتلك الرحمة الانجاء من كفار مكة واذاهم أو ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم ثم قال وما أرسلناك يا محمد عليهم وكيلاً أى حافظاً وكفيلاً فاشتغل أنت بالدعوة ولاشئ عليك من كفرهم فان شاء الله هدايتهم هداهم والافلا (القول الثانى) ان المراد من قوله وقل اعبادى الكفار وذلك لان المقصود من هذه الآيات الدعوة فلا يبعد فى مثل هذا الموضع ان يخاطبوا بالخطاب الحسن ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم ويميل طباعهم الى قبول الدين الحق فكأنه تعالى قال يا محمد قل اعبادى الذين أقروا بكونهم عبداً الى يقولوا التى هى أحسن وذلك لانا قبل النظر فى الدلائل والبيئات نعلم بالضرورة ان وصف الله تعالى بالتوحيد والبراءة عن الشركاء والاضداد أحسن من اثبات الشركاء والاضداد ووصفه بالقدرة على الحشر والنشر بعد الموت أحسن من وصفه بالعجز عن ذلك وعرفهم أنه لا ينبغي لهم أن يصرخوا على تلك المذاهب الباطلة تعصبا للاسلاف لان الحامل على مثل هذا التعصب هو الشيطان والشيطان عدو فلا ينبغي أن يلتفت الى قوله ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بأن يوفقكم للايمان والهداية والعرفه وان يشأ يمتكم على الكفر فيعذبكم بالأن تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا وتم فى طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل والجهل لئلا تصيروا محرومين عن السعادات الابدية والخيرات السرمدية ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك عليهم وكيلاً أى لا تشدد الامر عليهم ولا تغفلهم فى القول والمقصود من كل هذه الكلمات اظهار اللين والرفق لهم عند الدعوة فان ذلك هو الذى يؤثر فى القلب ويفيد حصول المقصود ثم قال وربك اعلم بمن فى السموات والارض والمعنى انه لما قال قبل ذلك ربكم اعلم بكم قال بعده ربك اعلم بمن فى السموات والارض بمعنى أن عمله غير مقصور عليكم ولا على أحوالكم بل عمله متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذوات الارضين والسموات فيعلم حال كل واحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهمذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود از بوروعيسى الانجيل فلم يبعد أيضاً أن يوتى محمد القرآن ولم يبعد أن يفضل على جميع الخلق فان قيل ما السبب فى تخصيص داود عليه الصلاة والسلام فى هذا المقام بالذكر قلنا فيه وجوه (الاول) أنه تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتىنا داود زبوراً يعنى أن داود كان ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب تبييناً على ان التفضيل الذى ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين

البصرة من قبل الغرق وخراب اليلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً لمدينة وقد أخرجه العمري من هذا الوجه وأنت خير بأن تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى الآيات التى اقترحتها قرى من احياء الموتى وقلب الصفاذها ونحو ذلك (الأن كذب بها الاولون) استثناء مفرغ من أعم الاشياء أى وما منعنا ارسالها شئ من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيئته المبينة على الحكم البالغة لالنع مانع من ذلك

﴿ لا ﴾

من التكذيب أو غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استنباعه لا يستصلحهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم

الاشترك في التوراة والتمادوا فضاءه الى أن ﴿ ٦٠٥ ﴾ يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا

لا رسال ما اقترحوه من  
الآيات لتعين التكذيب  
المستدعي للاقتضال  
المخالف لما جرى به قلم  
القضاء من تأخير حقوقات  
هذه الامة الى الآخرة  
لحكم باهرة من جعلتها  
ما يتوهم من ايمان بعض  
أعقابهم عبر عن تلك  
المنافاة بالنسج على نهج  
الاستعارة ايذانا بتعاضد  
مبادئ الارسال لا كما  
زعموا من عدم ارادته  
تعالى لتأييده عليه  
الصلاة والسلام بالمعجزات  
وهو السر في ايشار  
الارسال على الايتاء  
لمفقيه من الاشعار بتداعي  
الآيات الى النزول لولا  
أن تمسكها يد التقدير  
واسناد هذا المنم الى  
تكذيب الاولين لالى  
علمه تعالى بما سيكون  
من الآخريين كافي قوله  
تعالى ولو علم الله فيهم  
خيرا لسمعهم ولو أسمعهم  
لتولوا وهم معرضون  
لاقامة الحجية عليهم  
بإراز الامم وذج وللايدان  
بأن مدار عدم الاجابة  
الى ايتاء مقتضاهم ليس  
الاصححهم ( وآيتنا عمود

لا بلال ( والوجه الثاني ) ان السبب في تخصيصه بالذكر انه تعالى كتب في الزبور ان  
خاتم النبيين وان آمنه خيرا لامم قال تعالى واقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض  
يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وآمنه فان قيل هلا عرف كما في قوله واقد كتبنا في الزبور  
قلنا التكبير ههنا يدل على تعظيم حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب  
فكان معنى التكبير أنه كامل في كونه كتابا ( الوجه الثالث ) ان السبب فيه ان ككفار  
قربش ما كانوا أهل نظر وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات  
واليهود كانوا يقولون انه لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله تعالى عليهم  
كلامهم بانزال الزبور على داود وقرأ حمزة ز بورا بضم الزاي وذكرنا وجه ذلك في آخر  
سورة النساء \* قوله تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دوني فلا يملكون كشف الضر  
عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون  
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ) اعلم ان المقصود من هذه  
الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا ان المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشغل  
بعبادة الله تعالى فحين نعبد بعض المقر بين من عباد الله وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك  
الملك الذي عبده تماثلا وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على  
بطلان قولهم في هذه الآية فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وليس المراد الاصنام  
لانه تعالى قال في صفتهم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة  
الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة اذ ثبت هذا فنقول ان قوما عبدوا الملائكة فنزلت  
هذه الآية فيهم وقيل انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزير وقيل ان قوما عبدوا وانفرا  
من الجن فاسلم النفر من الجن وبقى أولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت هذه الآية  
قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب ثم انه تعالى احتج  
على فساد مذهب هؤلاء ان الاله المعبود هو الذي يقدر على ازالة الضرر وايصال المنفعة  
وهذه الاشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف  
الضرر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بانها ليست آلهة ولقائل ان يقول هذا الدليل  
انما يتم اذا دللتم على ان الملائكة لا قدرة لها على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع فا  
الدليل على ان الامر كذلك حتى يتم دليلكم فان قلتم لاناري ان أولئك الكفار كانوا  
يتضرعون اليها فلا تحصل الاجابة قلنا معارضة لذلك قد نرى أيضا ان المسلمين يتضرعون  
الى الله تعالى فلا تحصل الاجابة والمسلمون يقولون ان القدر الحاصل من كشف الضرر  
وتحصيل النفع انما يحصل من الله تعالى لان الملائكة وأولئك الكفار يقولون انه  
يحصل من الملائكة لان الله تعالى وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام والجواب ان  
الدليل تام كامل وذلك لان الكفار كانوا مقرين بان الملائكة عباد الله وخالق الملائكة  
وخالق العالم لا بد وأن يكون أقدر من الملائكة وأقوى منهم وأكمل حالهم واذ ثبت

الناقة) عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات الآن كذب بها الاولون حيث آتيناهم  
ما اقترحوه من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا بقرا حهم ثمود الناقة ( مبصرة ) على صيغة الفاعل أي بينة ذات أبصار

أو بصائر يدر كها لناس أو أسند اليها حال من يشاهدها مجازا ﴿٦٠٦﴾ أو جاعلتهم قوى بصائر من أبصره جملة بسيرا

هذا فنقول كمال قدرة الله تعالى معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة واذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة لان كون الله مستحقا للعبادة معلوم وكون الملائكة كذلك مجهول والاخذ بالمعلوم أولى وأما أصحابنا المتكلمون من أهل السنة والجماعة فلهم في هذا الباب طريقة أخرى وهو أنهم يقيمون الحجة العقلية على أنه لا موجد الا الله تعالى ولا يخرج لشيء من العدم الى الوجود الا الله تعالى واذا ثبت هذا ثبت أنه لا ضار ولا نافع الا الله تعالى فوجب القطع بأنه لا معبود الا الله تعالى وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة لانهم لما جاوزوا كون العبد موجدا لافعاله امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة لا قدرة لها على الاحياء والامانة وخلق الجسم واذا عجزوا عن ذلك لم يتم لهم هذا الدليل فهذا هو ذكر الدليل القاطع على صحة قوله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا والتحويل عبارة عن النقل من حال الى حال ومكان الى مكان يقال حوله فحول ثم قال تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وفيه قولان (الاول) قال القراء قوله يدعون فعل الآدميين العابدين وقوله يبتغون فعل المعبودين ومعناه ان أولئك المعبودين يبتغون الى ربهم الوسيلة فانه لا نزاع أن الملائكة يرجعون الى الله في طلب المنافع ودفم المضار ويرجون رحمته ويخافون عذابه واذا كان كذلك كانوا موصوفين بالجز والحاجة والله تعالى أغنى الاغنياء فكان الاشتغال بعبادته أولى فان قالوا لانهم ان الملائكة محتاجون الى رحمة الله وخائفون من عذابه فنقول هؤلاء الملائكة اما ان يقال انها واجبة الوجود لذواتها أو يقال بمكنة الوجود لذواتها \* والاول باطل لان جميع الكفار كانوا معترفين بأن الملائكة عباد الله ومحتاجون اليه \* وأما الثاني فهو يوجب القول بكون الملائكة محتاجين في ذواتها وفي كالاتها الى الله تعالى فكان الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة (والقول الثاني) أن قوله أولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وتعلق بهذا الكلام بما سبق هو أن الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لا يعبدون الا الله تعالى ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فاتهم بالافتداء بهم احق فلا تعبدوا غير الله تعالى واحتج القائلون بهذا القول على صحته بان قالوا الملائكة لا يعصون الله فلا يخافون عذابه فثبت ان هذا غير لائق بالملائكة وانما هو لائق بالانبياء قلنا الملائكة يخافون عذاب الله لو أقدموا على الذنب والدليل عليه قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اما قوله ان عذاب ربك كان محذورا فالمراد أن من حقه ان يحذر فان لم يحذره بعض الناس لجهله فهو لا يخرج من كونه بحيث يجب الحذر عنه \* قوله تعالى (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا) اعلم انه تعالى لما قال ان عذاب

وقرى على صيغة المفعول وفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرى بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف (فظلوا وبها) فكفروا بها ظالمين أى لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العرأ وظلموا أنفسهم وعرضوا لله الهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن مؤدعرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وورودا وصدورا أو لانها من جهة انها حيوان أخرج من الحجر أوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفا) ان أرسلت هي عليهم ما يعقبا من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حيثند من الاعراب ويجوز أن تكون حالا من ضمير ظلموا

أى فظلموا بها ولم يخافوا عقابته والحال أن ما نرسل بالآيات التي هي من جعلتها الاتخويفا من العذاب ﴿ربك﴾ الذي يعقبا فنزل بهم ما نزل (واذ قلنا لك ان ربك أحيات الناس) أى علما كان قبله الامام الطهري عن

ابن عباس رضی اللہ عنہما فلا یخفی علیہ شیء ﴿ ٦٠٧ ﴾ من أفعالہم الماضیة والمستقبلہ من الکفر والتکذیب وفي قوله

تعالی (وما جعلنا الرؤیا  
التي أريناك الا فتنة  
للناس) الى آخر الآیة  
تنبيه على تحققها  
بالاستدلال علیها بما صدر  
عنهم عند مجئ بعض  
الآیات لا اشتراك الكل في  
كونها أمورا خارقة  
للعادات منزلة من جانب  
الله سبحانه لتصديق  
النبي عليه الصلاة والسلام  
فتكذيبهم لبعضها  
مستلزم لتكذيب الباقي  
كما أن تكذيب الآخرين  
بغير المقترحة يدل على  
تكذيبهم بالآیات المقترحة  
والمراد بالرؤیا ما عاينه  
عليه الصلاة والسلام  
ليلة المعراج من عجائب  
الارض والسماء حسبما  
ذكر في فاتحة السورة  
الكریمة والتعبير عن  
ذلك بالرؤیا اما لانه لا فرق  
بينها وبين الرؤیة اولانها  
وقعت بالليل اولان الكفرة  
قالوا لعلها رؤیا ای وما  
جعلنا الرؤیا التي أرينا  
كها عيانا مع كونها آیة  
عظيمة وآیة آیه حقیقة  
بأن لا يتلوهن في تصديقها  
أحد من له أدنى بصيرة  
الافتنة افتتن بها الناس

ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع أهلها فلا بد وان يرجم حالها الى أحد أمرين إما  
الاهلاك وإما التعذيب قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقيل  
المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولا بد وأن تكون عاقبتها أحد أمرين إما  
الاستئصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك أو بعذاب شديد دون ذلك من قتل كبارهم  
وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال وأخذ الجزية ثم بين تعالی ان هذا الحكم  
حكم مجزوم به واقع فقال كان ذلك في الكتاب مسطورا ومعناه ظاهر \* قوله تعالی  
( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون وآتيناهم الناقة مبصرة فظلموا  
بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤیا التي  
أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فايز يدهم الاطغيانا كبيرا)  
اعلم انه تعالی لما ذكر الدليل على فساد قول المشركين وأتبعه بالوعيد أتبعه بذكر مسألة  
النبوذة وذلك لان كفار قريش اقترحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهار معجزات  
عظيمة قاهرة كما حكى الله عنهم أنهم قالوا لولا آياتنا بآية كما أرسل الاولون وقال آخرون  
المراد ما طلبوه بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعن سعيد بن جبيران  
القوم قالوا انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فنفهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحكي  
الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالی عن هذه الشبهة بقوله وما منعنا أن  
نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون وفي تفسير هذا الجواب وجوه ( الاول ) المعنى  
انه تعالی لو أظهر تلك المعجزات القاهرة ثم لم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم  
فحينئذ يصبرون مستحقين لعذاب الاستئصال لكن انزال عذاب الاستئصال على هذه  
الامة فقير جائز لان الله تعالی اعلم ان فيهم من سيؤمن أو يؤمن أولادهم فلهذا السبب  
ما أجابهم الله تعالی الى مطلوبهم وما أظهر تلك المعجزات القاهرة روى ابن عباس أن أهل  
مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وان يزيل لهم الجبال حتى  
يزرعوا تلك الاراضي فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالی فقال الله تعالی  
ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط انهم ان كفروا أهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم  
لا أريد ذلك بل تتأني بهم فنزلت هذه الآیة ( الوجد الثاني ) في تفسير هذا الجواب  
اننا لانظر هذه المعجزات لان آباءكم الذين رأوها لم يؤمنوا بها وانتم مقلدون لهم فلورأيتوها  
أنتم لم تؤمنوا بها أيضا ( الوجد الثالث ) ان الاولين شاهدوا هذه المعجزات وكذبوا  
بها فعمل الله منكم أيضا انكم لو شاهدتموها لكذبتم فكان اظهارها عبثا والعبث لا يفعله  
الحكيم ثم قال تعالی وآتيناهم الناقة مبصرة فظلموا بها وفيه اثبات ( الاول ) المعنى ان  
الآیة التي التمسوها هي مثل آية ثمود وقد آتيناهم ثمود واضحة بينة ثم كفروا بها  
فاستحقوا عذاب الاستئصال فكيف يتمناها هؤلاء على سبيل الاقتراح والتحكيم على الله  
تعالی ( البحث الثاني ) قوله تعالی مبصرة وفيه وجهان ( الاول ) قال الفراء مبصرة أي

حتى ارتد بعضهم ( والشجرة الملعونة في القرآن ) عطف على الرؤیا والمراد ببلضها فيه لمن طاعها على الاستناد المجازي  
أو ابسادهما عن الرجعة فانها تنبت في أصل الجحيم في أبعد

امكان من الرحمة أي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك ﴿ ٣٠٨ ﴾ وقالوا ان محمدا يزعم ان الحجر يحرق

مضينة قال تعالى والنهار يصير أي مضينة (الثاني) بصرة أي ذات ابصار أي فيها ابصار لمن تأملها يصير بهار هبه ويستدل بها على صدق ذلك الرسول (البحث الثالث) قوله فظلموا بها أي ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وقال ابن قتبية ظلموا بها أي جحدوا بانها من الله تعالى ثم قال تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا قيل لا آية الا وتضمن التخويف بها عند التكذيب ايمان العذاب المجمل أو من عذاب الآخرة فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات أن يستدل بها على صدق المدعى فكيف حصر المقصود من اظهارها في التخويف قلنا المقصود ان مدعى النبوة اذا أظهر الآيات فاذ اسمع الخلق أنه أظهر آية فهم لا يعلمون ان تلك الآيات معجزة أو مخوفة الا انهم يجوزون كونها معجزة وبتقدير أن تكون معجزة فلولم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها على الصدق لاستحقوا العقاب الشديد فهذا هو الخوف الذي يحملهم على التفكير والتأمل في تلك المعجزات فالمراد من قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا هذا الذي ذكرناه والله أعلم واعلم ان القوم لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات القاهرة وأجاب الله تعالى بان اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لجرأة أولئك الكفار بالطعن فيه وان يقولوا له لو كنت رسولا حقا من عند الله تعالى لآتيت بهذه المعجزات التي اقترحتها منك كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله قلبه وبين له انه تعالى ينصره ويؤيده فقال واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وفيه قولان (الاول) المعنى ان حكمته وقدرته محيطه بالناس فهم في قبضته وقدرته ومتى كان الامر كذلك فهم لا يقدر ان يقدروا على امر من الامور الا بقضائه وقدره والمقصود كانه تعالى بقوله ننصرك وتقويك حتى تبلغ رسالتنا وتظهر ديننا قال الحسن حال بينهم وبين ان يقتلوه كما قال تعالى والله يعصمك من الناس (والقول الثاني) ان المراد بالناس أهل مكة واحاطة الله بهم هو أنه تعالى يفهم المؤمنين فكان المعنى واذ بشرناك بان الله أحاط باهل مكة بمعنى انه يغلبهم ويقتلهم ويظهر دولتك عليهم ونظيره قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال فل للذين كفروا ستغليون وتمشرون الى قوله أحاط بالناس لما كان كل ما يخبر الله عن وقوعه فهو واجب الوقوع فكان من هذا الاعتبار كأواقع فلا جرم قال أحاط بالناس وروى أنه لما تراخى الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك لي ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ثم قال تعالى وما جعلنا الرويا التي أرى بناك الا فتنة للناس وفي هذه الرويا أقوال (الاول) ان الله أرى محمد في المنام مصارع كفار قریش فحين ورد ماء بدر قال والله كأتى أنظر الى مصارع القوم ثم أخذ يقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمعت قریش ذلك جعلوا روياء سخريه وكانوا يستعجلون بما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقول الثاني) ان المراد روياء التي رآها أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية

الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كانوا قاضية عقولهم فانهم يرون العامة تبلع الحجر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المتأديب المتخذة من وبر السمندل تلتق في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر نار اوقرى بارفع على حذق الخبير كانه قبل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (وتخوفهم) بذلك ويظن انهم من الآيات فان الكل للتخويف وايشار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار (فايز يدهم) التخويف (الاطفيان اكبرا) متجاوزا عن الحد فلو أن أرسلنا بما قترحوه من الآيات لفعلوا بما فعلوا بظننا ما فعلوا فعل بهم ما فعلوا بأشياء عنهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد جعل أكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية

رسول الله صلى الله عليه وسلم عما صي بعترية من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا

﴿ كان ﴾

حالاته بهذه المعجزات كما أنى بهاموسى ﴿ ٦٠٦ ﴾ وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل

اذكر وقت قولنا لك  
ان ربك اللطيف بك  
قد احاط بالناس فهم  
في قبضة قدرته لا يقدر  
على الخروج من مشيئته  
فهو يحفظك منهم  
فلاتهم بهم وامض لما  
أمرتك به من تبليغ الرسالة  
ألا يرى أن الروايات التي  
أريناك من قبل جعلناها  
فتنة للناس مورثة  
للشبهة مع أنها ما أورثت  
ضعفا لا امرئك وفتورا في  
حالك وقد فسرا الاحاطة  
باهلاك قريش يوم بدر  
وانما عبر عنه بالماضي مع  
كونه متظرا احسب اني  
عنه قوله تعالى سيهزم  
الجمع ويولون الدبر وقوله  
تعالى قل للذين كفروا  
ستعذبون وتحشرون الى  
جهنم وغير ذلك جريا  
على عادته سبحانه في  
أخباره وأول الروايات ما  
عليه الصلاة والسلام  
في المنام من مصارعهم  
لما روى انه عليه الصلاة  
والسلام لما ورد ما بدر  
قال والله لكأنى أنظر الى  
مصارع القوم وهو  
يومي الى الارض هذا  
مصارع فلان وهذا  
مصارع فلان فتساءلت

كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابى بكر أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخل البيت ونطوف به فقال أبو بكر انه لم يخبرنا ان فعل ذلك في هذه السنة فستفعل ذلك في سنة أخرى فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى اقد صدق الله رسوله الرويا بالحق اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدينتان وهذا السؤال ضعيف لان هاتين الواقعتين مدينتان أما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة (والقول الثالث) قال سعيد بن المسيب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية يزورون على منبره نزوا القردة فساء ذلك وهذا قول ابن عباس في رواية عطاه والاشكال المذكور عايد فيه لان هذه الآية مكية وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة منبره ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أنه بالمدينة منبر ابتدأه بنو أمية (وقول الرابع) وهو الاصح وهو قول أكثر المفسرين ان المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الاسراء واختلفوا في معنى هذه الروايات فقال الاكثرون فرق بين الروية والروايات في اللغة يقال رأيت بعينى روية ورويا وقال الاقلون هذا يدل على أن قصة الاسراء انما حصلت في المنام وهذا القول ضعيف باطل على ما قررناه في أول هذه السورة وقوله الافتنة للناس مضاه انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروا به كثير من كان آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهم هذا السبب كان امتحانا ثم قال تعالى والشجرة الملعونة في القرآن وهذا على التقدير والتأخير والتقدير وما جعلنا الروايات التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الافتنة للناس وقيل المعنى والشجرة الملعونة في القرآن كذلك واختلفوا في هذه الشجرة فالأكثر قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وكانت هذه الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين (الاول) ان أبا جهل قال زعم صاحبكم بأن نار جهنم تحرق الحجر حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول بأن في النار شجرا والنار تأكل كل الشجر فكيف تولد فيها الشجر (والثاني) قال ابن الزبير ما نعلم الزقوم الا التمر والابن بفتح القوافم منه فأمر الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرا انما جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قيل ليس في القرآن لعن هذه الشجرة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد لعن الكفار الذين يأكلونها (الثاني) العرب تقول لكل طعام مكروه ضارانه ملعون (والثالث) ان اللعن في أصل اللغة هو التباعد فلما كانت هذه الشجرة الملعونة في القرآن مبعدة عن جميع صفات الخير سميت ملعونة (القول الثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما الشجرة بنو أمية يعنى الحكم بن أبى العاص قال ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان يتد اوون منبره فقص رؤياه على أبى بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبره ويا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستد ذلك عليه واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم فتفاه رسول الله صلى الله

به قريش فاستخبروا منه وبما رآه ﴿ ٧٧ ﴾ خا عليه الصلاة والسلام انه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه إليها فصدده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون

الوحى باهلاكهم وكذا الرويا واقعا بمكة وذكر الرويا ٦١٠ \* وتعين المصارغ واقعين بغد الهجرة وانت خير

عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الآن يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به أحد ومما يؤكدها التأويل قول عائشة لمران لعن الله أبك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنه الله ( والقول الثالث ) ان الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا فان قال قائل ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالمعجزات القاهرة فأجاب أنه لا مصلحة في اظهارها لانها لو ظهرت ولم تؤمنوا نزل الله عليكم عذاب الاستئصال وذلك غير جائز وأى تعلق لهذا الكلام بذكر الرويا التي صارت فتنة للناس وبذكر الشجرة التي صارت فتنة للناس قلنا التقدير كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم أنكلم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة لهم في أنك لست بصادق في دعوى النبوة الآن وقوع هذه الشبهة لا يوهن أمرك ولا يصير سببا للضعف حالك ألا ترى ان ذكر تلك الرويا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة في القلوب ثم ان قوة تلك الشبهات ما أوجبت ضعفا في أمرك ولا فتورا في اجتماع المحققين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات لا توجب فتورا في حالك ولا ضعفا في أمرك والله أعلم ثم قال تعالى ونخوفهم فايزيدهم الاطفيانا كبيرا والمقصود منه ذكر سبب آخر في أنه تعالى ما أظهر المعجزات التي اقترحوها وذلك لان هؤلاء خوفوا بخاوف الدنيا والآخرة وبشجرة الزقوم فاذا زادهم هذا التخصيف الاطفيانا كبيرا وذلك يدل على قسوة قلوبهم وتماديهم في النفي والاطفيان واذا كان الامر كذلك فبتقدير أن يظهر الله لهم تلك المعجزات التي اقترحوها لم يشفعوا بها ولا يزدادون الانجابا في الجهل والعناد واذا كان كذلك وجب في الحكمة أن لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الآيات والمعجزات والله أعلم \* قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أسجد لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتسبن ذريته الا قليلا قال اذهب فم تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في كيفية التظيم وجوه (الاول) اعلم أنه تعالى لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه بين أن حال جميع الانبياء مع أهل زمانهم كذلك ألا ترى ان أول الانبياء هو آدم ثم انه كان في محنة شديدة من ابليس (الثاني) ان القوم انما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطأندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لآمرين الكبر والحسد أما الكبر فلان تكبرهم كان يمنعهم من الانقياد وأما الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة والدرجة العالية فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان جلا ابليس على الخروج من الايمان والدخول في الكفر فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق (والثالث) انه تعالى لما وصفهم بقوله فايزيدهم الاطفيانا كبيرا بين ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتسبن ذريته الا قليلا فلجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة ابليس

بأنه يلزم منه أن يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازديادهم طغيانا متوقفا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرويا ما رآه عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذير يكهم الله في منامك قليلا ولو أراهم كثيرا لغشتم ولا ريب في أن تلك الرويا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس (واذ قلنا للملائكة) تذكر لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن

حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر أي واذا ذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية \* وآدم وتكرما لله من الفضائل المستوجبة لذلك (فسجدوا) له من غير تلثم امثال الامر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام (الابليس) وكان داخلا



في زميرتهم مندرجات الامر بالسجود ﴿ ٦١١ ﴾ (قال) أي عندما يخرج بقوله عز سلطانه يا ابليس مالك أن

لا تكون مع الساجدين  
وقوله ما منك أن لا تسجد  
إذا أمرت بك وقوله ما منك  
أن تسجد لما خلقت  
ييدي كما أشير اليه في سورة  
الجم (أأسجد) وأنا  
مخلوق من الغنصر  
العالي (لبن خلقت طينا)  
نصب على نزع الخافض  
أي من طين أو حال  
من الراجع الى الموصول  
أي خلقته وهو طين  
أو من نفس الموصول  
أي أسجده وأصله  
طين والتعبير عنه عليه  
الصلاة والسلام  
بالموصول لتعليل انكاره  
بما في حيز الصلة (قال)  
أي ابليس لكن لا عقيب  
كلامه المحكي بل بعد  
الانظار المتب على  
استنظاره المتفرع على  
الامر بخروجه من بين  
الملا الأعلى باللعن المؤبد  
وإنما يصرح بذلك  
اكتفاء بما ذكر في مواضع  
أخر فإن تو سيط قال  
بين كلامي العين للأيذان  
بعدم اتصال الثاني  
بالاول وعدم ابتناؤه  
عليه بل على غيره كما في  
قوله تعالى قال فما خطبكم

وآدم فهذا هو الكلام في كيفية النظم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه القصة قد ذكرها  
الله تعالى في سور سبعة وهي البقرة والاعراف والحجرو هذه السورة والكهف وطه وص  
والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة والاعراف والحجرو فلأفائدة في الاعادة ولا بأس  
بتعديد بعض المسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أن المأمورين بالسجود لآدم  
أهم جميع الملائكة أم ملائكة الارض على التخصيص فظاهر لفظ الملائكة يفيد  
العموم إلا أن قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة ملائكة السموات وله يسجدون  
يوجب خروج ملائكة السموات عن هذا العموم (المسئلة الثانية) ان المراد من هذه  
السجدة وضع الجبهة على الارض أو التحية وعلى التقدير الاول فآدم كان هو المسجود له  
أو يقال كان المسجود له هو الله تعالى وآدم كان قبله للسجود (المسئلة الثالثة) ان ابليس  
هل هو من الملائكة أم لا وان لم يكن من الملائكة فامر الملائكة بالسجود كيف  
يتناولوه (المسئلة الرابعة) هل كان ابليس كافرا من أول الامر أو يقال انما كفر في ذلك  
الوقت (المسئلة الخامسة) الملائكة سجدوا لآدم من أول ما كملت حياته أو بعد ذلك  
(المسئلة السادسة) شبهة ابليس في الامتناع من السجود هو قوله أسجد لمن خلقت طينا  
أو غيره (المسئلة السابعة) دلت هذه الآيات على أن ابليس كان عارفا بربه إلا أنه وقع  
في الكفر بسبب الكبر والحسد ومنهم من أنكروا قال ما عرف الله البتة (المسئلة  
الثامنة) ما سبب حكمة امهال ابليس وتسليطه على الخلق بالوسوسة \* ولنرجع الى  
التفسير فتقول انه تعالى حكى في هذه الآية عن ابليس نوعا واحدا من العمل ونوعين من  
القول أما العمل فهو أنه لم يسجد لآدم وهو المراد من قوله فسجدوا إلا ابليس وأما  
النوعان من القول فأولهما قوله أسجد لمن خلقت طينا وهذا استفهام بمعنى الانكار  
معناه ان أصلى أشرف من أصله فوجب أن أكون أنا أشرف منه والأشرف يقبح  
في العقول أمره بخدمة الأدنى (والنوع الثاني) من كلامه قوله أرأيتك هذا الذي كرم  
على قال الزجاج قوله أرأيتك معناه أخبرني وقد استقصينا في تفسير هذه الكامة في سورة  
الانعام وقوله هذا الذي كرمت عليه وجوه (الاول) معناه أخبرني عن هذا الذي فضله  
على لم فضله على وأنا أخبر منه ثم اختصر الكلام لكونه مفهوما (الثاني) يمكن أن يقال  
هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والذي مع صلته خبر تقديره أخبرني أهذا الذي  
كرمته على وذلك على وجه الاستصغار والاستحقار وإنما حذف حرف الاستفهام لان  
حصوله في قوله أرأيتك أغنى عن تكراره (والوجه الثالث) أن يكون هذا مفعول أرأيت  
لان الكاف جاءت لمجرد الخطاب ولا محل لها كأنه قال على وجه التعجب والانكار  
أبصرت أو علمت هذا الذي كرمت على بمعنى لو أبصرته أو علمته لكان يجب أن لا تكرمه  
على هذا هو حقيقة هذه الكلمة ثم قال تعالى حكاية عنه لئن أخرتن الى يوم القيامة  
لاحتبكن ذريته الا قليلا وفيه مباحث (الاول) قرأ ابن كثير لئن أخرتن الى يوم القيامة

بعد قوله تعالى قال ومن يقنطن رحمة ربه الا الضالون (أرأيتك هذا الذي كرمت على) الكاف أ كيدا لخطاب لا محل لها  
من الاهراب وهذا مفعول أول والموصول صفة والثاني محذوف للدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن

أمرني بالسجود له لم كرمته على وقيل هذا مبتدأ حذف عنه ﴿ ٦١٢ ﴾ حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره

بأبيات الباء في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزة والكسائي بالخذف ونافع وأبو عمرو بآبائه في الوصل دون الوقف (البحث الثاني) في الاحتكاك قولان (أحدهما) انه عبارة عن الاخذ بالكلية يقال احتك فلان ما عند فلان من مال اذا استقصاه وأخذه بالكلية واحتك الجراد الزرع اذا أكله بالكلية (والثاني) انه من قول العرب حنك الدابة يحنكها اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به قال أبو مسلم الاحتكاك افعال من الحنك كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه فعلى القول الاول معنى الآية لاستأصلتهم بالاغواء وعلى القول الثاني لا قودنهم الى المعاصي كإقتاد الدابة بحبلها (البحث الثالث) قوله الا قليلا هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل كيف ظن ايليس هذا الظن الصادق بذرية آدم قلنا فيه وجوه (الاول) أنه سمع الملائكة يقولون أن يجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء ففرق هذه الاحوال (الثاني) انه وسوس الى آدم فلم يجده عزما فقال الظاهر ان اولاده يكونون مثله في ضعف العزم (الثالث) أنه عرف أنه مركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة سبعة غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاثة أعنى الشهوانية والنفسية والوهمية تكون هي المستولية في أول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومتى كان الامر كذلك كان ما ذكره ايليس لازما واعلم أنه تعالى لما حكى عن ايليس ذلك حكى عن نفسه أنه تعالى قال له اذهب وهذا ليس من الذهاب الذي هو تقيض المحي وانما معناه امض لشانك الذي اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه ثم قال فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ونظيره قول موسى عليه الصلاة والسلام فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس فان قيل أليس الاول أن يقال فان جهنم جزاؤهم جزاء موفورا ليكون هذا الضمير راجعا الى قوله فن تبعك قلنا فيه وجوه (الاول) التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم (والثاني) يجوز أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الالتفات (والثالث) أنه صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فكل معصية توجد فيحصل لايليس مثل وزر ذلك العامل فلما كان ايليس هو الاصل في كل المعاصي صار المخاطب بالوعيد هو ايليس ثم قال جزاء موفورا وهذه اللفظة فتدبج متعبدا ولازما أما المتعدى فيقال وفرته أفره وفره فهو موفور موفر قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه \* يفره ومن لا يتق الشتم يشتم  
واللازم كقولك وفر المال يفر و فورا فهو وا فر فعلى التقدير الاول يكون المعنى جزاء موفورا موفورا وعلى الثاني يكون المعنى جزاء موفورا وا فر واتصّب قوله جزاء على المصدر \* قوله تعالى (واسفرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم نجيلك ورجلك

ومقصوده الاستصغار والاستحقار اى أخبرنى أهذا من كرمته على وقيل معنى أرايتك أنأملت كان المتكلم يذبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقبيه (لئن أخرتن) حيا (الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطنه للقسم وجوابه قوله (لاحتكن ذريته) اى لاستأصلتهم من قولهم احتك الجراد الارض اذا جرد ما عليها كالأولاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازين لهم في الارض ولاقويتهم أجمعين وانما علم نسي ذلك المطاب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام او استنباطا من قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه (الا قليلا) منهم وهم المخلصون

الذين عصمهم الله تعالى (قال اذهب) اى امض لشانك الذى اخترته وهو طرده وتخلية بينه وبين \* وشاركهم \* ماسولت له نفسه (فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية

لحق المتبوعة (جراه موفورا) اى جراه مكبلا ﴿٦١٣﴾ من قولهم فر لصاحبك مر منه فرة اى وفر وهو نصب على

انه مصدر مؤكد لما فى  
قوله فان جهنم جزاؤكم  
من معنى تجاوزون اول الفعل  
المقدر أو حال موطنه  
لقوله موفورا (واستفرز)  
اى استخف (من استطعت  
منهم) أن تستفرزه  
(بصوتك) بدعائك الى  
الفساد (وأجلب عليهم)  
اى صح عليهم من الجلبة  
وهى الصياح (بخيلك  
ورجلك) اى بأعوانك  
وأنصارك من راكب  
وراجل من أهل العيث  
والفساد قال ابن عباس  
رضى الله عنهما ومجاهد  
وقناة ان له خيلا ورجلا  
من الجن والانسان فا كان  
من راكب يقاتل فى  
معصية الله تعالى فهو  
من خيل ابليس وما كان  
من راجل يقاتل فى  
معصية الله تعالى فهو  
من رجل ابليس والخيل  
الحياطة وانه قوله عليه  
الصلاة والسلام يا خيل  
الله اركبى والرجل اسم  
جمع للراجل كالصعب  
والركب وقرى بكسر  
الجيم وهى قراءة حفص  
على انه فعل بمعنى فاعل  
كتعب وتاعب وبمعنى

وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما بعدهم الشيطان الا فرورا ان عبادى ليس  
لك عليهم سلطان وكفى برك وكبلا) اعلم أن ابليس لما طلب من الله الامهال الى  
يوم القيامة لاجل أن يحتك ذرية آدم فالله تعالى ذكر أشياء (أولها) قوله اذهب ومعناه  
أمهلتك هذه المدة (وثانيها) قوله تعالى واستفرز من استطعت منهم بصوتك يقال أفرزه  
الخوف واستفرزه أى أزعجه وأستخفه وصوته دطاؤه الى معصية الله تعالى وقيل أراد  
بصوتك الغناء والهلو واللعب ومعنى صيغة الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك  
فسترى ما ينزل بك (وثالثها) وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وفى قوله وأجلب وجوه  
(الاول) قال الفراء انه من الجلبة وهى الصياح ورجلوا الجلب كما قالوا الغلبة والغلب  
والشفقة والشفق وقال الليث وأبو عبيدة أجلبوا وجلبوا من الصياح (الثانى) قال  
الزجاج فى فعل وأفعل أجلب على العدو اجلابا اذا جم عليه الخيول (الثالث) قال ابن  
السكيت يقال هم يجلبون عليه بمعنى انهم يعينون عليه (الرابع) روى ثعلب عن ابن  
الاعرابى أجلب الرجل على الرجل اذا توعدده الشر وجم عليه اجمع فقوله وأجلب عليهم  
معناه على قول الفراء صح عليهم بخيلك ورجلك وعلى قول الزجاج اجمع عليهم كل ما تقدر  
عليه من مكابك وتكون الباء فى قوله بخيلك زائدة على هذا القول وعلى قول ابن  
السكيت معناه أعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الاجلاب على هذا القول محذوف  
كأنه يستعين على اغوائهم بخيله ورجله وهذا أيضا يقرب من قول ابن الاعرابى  
واختلفوا فى تفسير الخيل والرجل فروى أبو الضحى عن ابن عباس أنه قال كل راكب  
أوراجل فى معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده ويدخل فيه كل راكب وماش  
فى معصية الله تعالى فعلى هذا التقدير خيله ورجله كل من شاركه فى الدغاة الى المعصية  
(والقول الثانى) يحتمل أن يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم  
راجل (والقول الثالث) ان المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتسا  
بخيلك ورجلك وهذا الوجه أقرب والخيل تقع على الفرسان قال عليه الصلاة والسلام  
يا خيل الله اركبى وقد تقع على الافراس خاصة والمراد ههنا الاول والرجل جمع راجل كما  
قالوا تاجر وتجر وصاحب وصحب وراكب وركب وروى حفص عن طاصم ورجلك بكسر  
الجيم وغيره بالضم قال أبو زيد يقال رجل ورجل بمعنى واحد ومثله حدث وحدثت وندس  
وندى قال ابن الانبارى أخبرنا ثعلب عن الفراء قال يقال رجل ورجل ورجلان بمعنى  
واحد (والنوع الرابع) من الاشياء التى ذكرها الله تعالى لابليس قوله وشاركهم  
فى الاموال والاولاد نقول أما المشاركة فى الاموال فهى عبارة عن كل تصرف فيبيع  
فى المال سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه أو وضعه فى غير حقه ويدخل فيه  
الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة وهكذا قاله القاضى وهو ضبط حسن وأما  
المفسرون فقد ذكروا وجوها قال قادة المشاركة فى الاموال هى ان جعلوا بحيرة وسأبة

مثل حدث وحدثت وندس ونظائرهما اى جمعك اراجل ايطابق الخيل وقرى رجلك ورجالك ويجوز أن يكون  
استفرازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يعقوبه فكانه ميفوار أوقع على قوم

فصوت بهم صوتا يزعمهم من أما كتبهم ويتلقمهم من حرا كرمهم ﴿٦١٤﴾ وأجلب عليهم بجمعه من خيالة ورجالة

وقال عكرمة هي عبارة عن تبتيكمهم أذان الانعام وقيل هي ان جعلوا من أموالهم شيئا لغرضه تعالى كما قال تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا شركائنا والاصوب ما قاله القاضي وأما المشاركة في الاولاد فقد كروا فيه وجوها (أحدها) انها النطه الى الزنا ويف الاصم ذلك بأن قال انه لا يخدم على الولد ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد وشاركهم في طريق تحصيل الولد وذلك بالدعاء الى الزنا (وثانيها) أن يسموا أولادهم بعيد اللات وعبد العزى (وثالثها) أن يرضوا أولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية وغيرهما (ورابعها) اقدمهم على قتل الاولاد ووأدهم (وخامسها) ترغيبهم في حفظ الاشعار المشغلة على الفحش وترغيبهم في القتل والقتال والحرف الخبيثة الخبيسة والضابط أن يقال ان كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي ذلك الى ارتكاب منكر أو قبيح فهو داخل فيه (والنوع الخامس) من الاشياء التي ذكرها الله تعالى لا يلبس في هذه الآية قوله وعدهم واعلم انه لما كان مقصود الشيطان الترغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتفكير عن الاعتقاد الحق والعمل الحق ومعلوم ان الترغيب في الشيء لا يمكن الا بأن يقرر عنده أنه لا يضر البتة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة والتفكير عن الشيء لا يمكن الا بأن يقرر عنده أنه لا فائدة في فعله ومع ذلك يفيد المضار العظيمة اذا ثبت هذا فتقول ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد وأن يقرر أولاً أنه لا مضرة في فعله البتة وذلك انما يمكن اذا قال لامعاد ولاجنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فبهذا الطريق يقرر عنده أنه لا مضرة البتة في فعل هذه المعاصي واذا فرغ من هذا المقام قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في هذه الدنيا الا به فتقويتها حين وخسران كما قال الشاعر

خذوا بنصيب من سرور ولذة \* فكل وان طال المني يتصرم

فهذا هو طريق الدعوة الى المعصية وأما طريق التفكير عن الطاعة فهو أن يقرر أولاً عنده أنه لا فائدة فيه وتقريره من وجهين (الاول) أن يقول لاجنة ولا نار ولا ثواب ولا عذاب (والثاني) ان هذه العبادات لا فائدة فيها للعابد والمعبود فكانت عبثا محضا فيبهذين الطريقين يقرر الشيطان عند الانسان أنه لا فائدة فيها واذا فرغ من هذا المقام قال انها توجب التعب والحنة وذلك أعظم المضار فهذه مجامع تلبس الشيطان بقوله وعدهم يتناول كل هذه الاقسام قال المفسرون قوله وعدهم أي بأنه لاجنة ولا نار وقال آخرون وعدهم بتسوية التوبة وقوله آخرون وعدهم بالاماني الباطلة مثل قوله لا دم مانها كإر بكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخسالدين وقال آخرون وعدهم بشفاعاة الاصنام عند الله تعالى وبالانساب الشريفة وايشار العاجل على الآجل وبالجملة فهذه الاقسام كثيرة وكلها داخله في الضبط الذي ذكرناه وان أردت الاستصلة في هذا الباب فطالع كتاب ذم الفرو من كتب احياء علوم الدين للشيخ الفزالي

حتى استأصلهم (وشاركهم في الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي (والاولاد) بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتنسيتهم بعبد العزى والتضليل بالجل على الاديان الزائفة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل (وما يبعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض ابيان شأن مواعيدهم والاتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلمية شيطنته للفرو وهو تزيب بين الخطا بما يوهم انه صواب (ان عبادي) الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن الاضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى (ليس لك عليهم سلطان) أي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وكفى بربك وكيلًا) لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوسف

سلطان) أي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وكفى بربك وكيلًا) لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوسف

كفايته تعالى لهم أعني  
سلب قدرته على اغوائهم  
( ر بكم الذي يزجي لكم  
الفلك في البحر ) مبتدأ  
وخبر والاز جاء السوق  
حالا بعد حال أي هو  
القادر الحكيم الذي  
يسوق لنا فكم الفلك  
و يجربها في البحر ( لتبتغوا  
من فضله ) من رزقه  
الذي هو فضل من قبله  
أو من الريح الذي هو  
معطيه ومن مز يد أو  
تبعيضية وهذا تذ كبر  
لبعض النعم التي هي دلائل  
التوحيد وتمهيد لذكر  
توحيدهم عند مساس  
الضرر تكملة للمامر من  
قوله تعالى فلا يملكون  
الآية ( انه كان بكم )  
أزلا وأبد ( رحما ) حيث  
هيا لكم ما تحتاجون اليه  
وسهل عليكم ما يسر  
من مباديه وهذا تذليل  
فيه تعليل لما سبق من  
الاز جاء لا بتغاء الفضل  
وصيغة الرحيم للدلالة  
على أن المراد بالرحمة  
الرحمة الدنيوية والنعمة  
العاجلة المنقسمة الى  
الجليلة والحظيرة ( واذا  
مسكم الضر في البحر )

حتى يحيط عقلك بمجا مع تليس ابليس واعلم أن الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما يكون  
زاجرا عن قبول وعده فقال وما يهدم الشيطان الا ضرورا والسبب فيه أنه انما يدعو الى  
أحد أمور ثلاثة قضاء الشهوة وامضاء الغضب وطلب الرياسة وعلو الدرجة ولا يدعو  
البتة الى معرفة الله تعالى ولا الى خدمته وتلك الاشياء الثلاثة معنوية من وجوه كثيرة  
( أحدها ) انها في الحقيقة ليست لذات بل هي خلاص عن الآلام ( وثانيها ) وان كانت  
لذات لكنها لذات خنيسة مشتركة فيها بين الكلاب والديدان والخنافس وغيرها ( وثالثها )  
انها سريعة الزوال والانهيار والانتقاض والانتراض ( ورابعها ) انها لا تحصل الا بتعاب كثيرة  
ومشاق عظيمة ( وخامسها ) ان لذات البطن والفرج لا تتم الا بمزاولة رطوبات صفة  
مستفدرة ( وسادسها ) انها غير باقية بل يتبعها الموت والهروم والفقير والحسرة على القوت  
والخوف من الموت فلما كانت هذه المطالب وان كانت لذينة بحسب الظاهر الا انها  
ممزوجة بهذه الآفات العظيمة والمخافات الجسيمة كان الترضيب فيها تغريرا ولهذا المعنى  
قال تعالى وما يهدم الشيطان الا ضرورا واعلم أنه تعالى لما قال لما فعل ما تقدر عليه فقال  
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه قولان ( الاول ) ان المراد كل عباد الله من  
المكلفين وهذا قول أبي علي الجبائي قال والدليل عليه انه تعالى استثنى منه في آيات كثيرة  
من يتبعه بقوله الامن اتبعك ثم استدلل بهذا على أنه لا سبيل لابليس وجنوده على تصريع  
الناس وتخبيط عقولهم وأنه لا قدرة له الا على قدر الوسوسة وأكده ذلك بقوله تعالى  
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم  
وأیضا فلو قدر على هذه الاعمال لكان يجب أن يخبط أهل الفضل وأهل العلم دون سائر  
الناس ليكون ضرره أعظم ثم قال وانما يزول عقله لا من جهة الشيطان لكن لغلبة  
الاخلاق الفاسدة ولا يمتنع أن يكون أحد أسباب ذلك المرض اعتقاد أن الشيطان  
يقدم عليه فيغلب الخوف عليه فيحدث ذلك المرض ( والقول الثاني ) ان المراد بقوله ان  
عبادي أهل الفضل والعلم والایمان لما بينا فيما تقدم ان لفظ العباد في القرآن مخصوص  
بأهل الايمان والدليل عليه أنه قال في آية أخرى انما سلطاننا على الذين يتولونه ثم قال  
وكفى برك وكيلا وفيه بحثان ( الاول ) انه تعالى لما مكن ابليس من أن يأتي بأفصى  
ما يقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان  
قال وكفى برك وكيلا ومعناه ان الشيطان وان كان قادرا فالله تعالى أقدر منه وأرحم  
بعباده من الكل فهو تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويصممه من اضلاله وأغوائه ( البحث  
الثاني ) هذه الآية تدل على أن المعصوم من عصمة الله تعالى وان الانسان لا يمكنه أن  
يحتز بنفسه عن مواقع الضلالة لانه لو كان الاقدام على الحق والاجام عن الباطل  
انما يحصل للانسان من نفسه لوجب أن يقال وكفى للانسان نفسه في الاحتراز عن  
الشيطان فلما يقل ذلك بل قال وكفى برك علنا ان الكل من الله ولهذا قال المحققون

خوف الفرق فيه ( ضل من تدعون ) أي ذهب عن خواطر كما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم  
( الاياه ) وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً

أوصل كل من تدعونه من اغاثكم وانقاذكم بقره ٦١٦ ﴿ على ذلك الا الله على الاستثناء المتطعم ( فلما نجاكم )

لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله بقره في الآية  
سؤالان ( السؤال الاول ) ان ابليس هل كان طالما بأن الذي تكلم معه بقوله واستغفر  
من استطعت منهم هو اله العالم أولم يعلم ذلك فان علم ذلك ثم انه تعالى قال فان جهنم جزاء  
جزاء موفورا فكيف لم يصر هذا الوعيد الشديد ما نعاله من المعصية مع انه سمعه من الله  
تعالى من غير واسطة وان لم يعلم ان هذا القائل هو اله العالم فكيف قال رأيتك هذا الذي  
كرمت على والجواب لعله كان شاكا في الكل أو كان يقول في كل قسم ما يخطر بباله على  
سبيل الظن ( والسؤال الثاني ) ما الحكمة في أنه تعالى أنظره الى يوم القيامة ومكده من  
الوسوسة والحكيم اذا أراد أمرا وعلم أن شيئا من الاشياء يمنع من حصوله فانه لا يسعى  
في تحصيل ذلك المانع والجواب امامه هنا فظاهر في هذا الباب وأما المعتبرة فليعلم قولان  
قال الجبائي علم الله تعالى ان الذين كفروا عند وسوسة ابليس يكفرون بتقدير أن لا يوجد  
ابليس واذا كان كذلك لم يكن في وجوده مزيد مفسدة وقال أبو هاشم لا بعد أن يحصل  
من وجوده مزيد مفسدة الا أنه تعالى أبقاه تشديدا للتكليف على الخلق ليستحقوا بسبب  
ذلك التشديد مزيد الثواب وهذا الوجهان قد ذكرناهما في سورة الاحراف والجر  
وبالفنا في الكشف عنهما والله أعلم ﴿ قوله تعالى ( ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر  
لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيمًا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه  
فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفانتم أن نخسف بكم جانب البر  
أو نرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أنتم أن نعبدكم فيه تارة أخرى فنرسل  
عليكم قاصفا من الريح فتغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ) اعلم أنه تعالى  
عاد الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته ورحمته وقد ذكرنا ان المقصود الا عظم  
في هذا الكتاب الكريم تقرير دلائل التوحيد فاذا امتد الكلام في فصل من الفصول  
عاد الكلام بعده الى ذكر دلائل التوحيد والمذكور ههنا الوجه المستنبط من  
الانعامات في أحوال ركوب البحر ( فالنوع الاول ) كيفية حركة الفلك على وجه البحر  
وهو قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال  
وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله ببضاعة من جاة والمعنى ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر  
لتبتغوا من فضله في طلب التجارة انه كان بكم رحيمًا والخطاب في قوله ربكم وفي قوله انه  
كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها ( والنوع الثاني ) قوله  
واذا مسكم الضر في البحر والمراد من الضر الخوف الشديد كخوف الفرق ضل من  
تدعون الاياه والمراد ان الانسان في تلك الحالة لا يتضرع الى الصنم والشمس والقمر  
والملك والفلك وانما يتضرع الى الله تعالى فلما نجاكم من الفرق والبحر وأخر جكم الى البر  
أعرضتم عن الايمان والاخلاص وكان الانسان كفورا نعم الله بسبب ان عند الشدة  
يتمسك بفضله ورحمته وعند الرخاء والراحة يعرض عنه ويتمسك بغيره ( والنوع الثالث )

من الفرق وأوصلكم  
( الى البر أعرضتم ) عن  
التوحيد أو اتستم في  
كفران النعمة ( وكان  
الانسان كفورا ) تعليل  
لما سبق من الاعراض  
( أفانتم ) الهمة للانكار  
والغناء للعطف على  
مخدوف تقديره تجوتم  
فانتم ( أن نخسف بكم  
جانب البر ) الذي هو  
ما منكم اي قلبه ملتبسا  
بكم أو بسبب كونكم  
فيه وفي زيادة الجانب  
تنبه على تساوى  
الجوانب والجهات  
بالنسبة على قدرته سبحانه  
وتعالى وقهره وسلطانه  
وقرى بنون العظمة  
( أو يرسل عليكم ) من  
فوقكم وقرى بالنون  
( حاصبا ) ريحا ترمي  
بالحصبا ) ثم لا تجدوا  
لكم وكيلا ) يحفظكم  
من ذلك أو يصرفه  
عنكم فانه لا يراد امره  
الغالب ( أم أنتم أن  
يعبدكم فيه ) في البحر  
أورث كلمة في على كلمة  
الى المنبثه عن مجرد الاتهام  
للدلالة على استقرارهم  
فيه ( تارة أخرى ) استاد

الاعادة اليه تعالى مع أن العود اليه باختيارهم باعتبار خلق الداعي المجهته لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة ﴿ قوله ﴿  
هول ما لا قوة في التارة الاولى بحيث لولا الاطدة لما طادوا ( فيرسل عليكم ) وأنتم في البحر

وقرى بالنون (قاصفا من الريح) وهي التي لاتمر ﴿ ٦١٧ ﴾ بشئ الا كسرته وجعلته كالريم أو التي لها قصف وهو

الصوت الشديد كانها  
تتقصف أي تتكسر  
(فيغرقكم) بعد كسر  
فلكم كما ينبي عنه  
عنوان القصف وقرى  
بالنون وبالتاء على الاسناد  
الى ضمير الريح (بما كفرتم)  
بسبب اشراككم أو  
كفر انكم لتعمة الانبياء  
(ثم لا تجدوا لكم علينا به  
تبيعا) أي ما رأينا  
بما فعلنا ان تصار منا ودركا  
للأثر من جهتنا كقوله  
سبحانه ولا يخاف عقباها  
(ولقد كرمنا بني آدم)  
قاطبة تكريما شاملا  
لسبهم وفاجرهم أي  
كرمناهم بالصورة والقامة  
المعتدلة والتسلط على  
مافي الارض والتمتع به  
والتمكن من الصناعات  
وغير ذلك مما لا يكاد يحيط  
به نطاق العبارة ومن  
جلته ما ذكره ابن عباس  
رضي الله عنهما من ان  
كل حيوان يتناول طعامه  
بفيه الا الانسان فانه  
يرفعه اليه بيده وما قيل  
من شركة القرد له في ذلك  
مبنى على عدم الفرق  
بين اليد والرجل فانه  
متساو له برجله التي  
يطأ بها القاذورات لا يده

قوله أفأنتم أن تخسف بكم جانب البرق الميث الخسف والخسوف هو دخول الشئ  
في الشئ يقال عين خاسفة وهي التي غابت حدقتها في الرأس وعين من الماء خاسفة أي  
غائرة الماء وخسفت الشمس أي احتجبت وكانها وقعت تحت حجاب أو دخلت في حجر  
فقوله أن تخسف بكم جانب البرأى نغيبكم في جانب البر وهو الارض وانما قال جانب  
البر لانه ذكر البحر في الآية الاولى فهو جانب البر وجانب البر جانب الله تعالى أنه كما  
قدر على أن يغيبهم في الماء فهو قادر أيضا على أن يغيبهم في الارض فالغرق تغيب تحت  
الماء كما ان الخسف تغيب تحت التراب وتقرير الكلام انه تعالى ذكر في الآية الاولى انهم  
كانوا خائفين من هول البحر فلما نجاهم منه آمنوا فقال هب أنكم نجوت من هول البحر  
فكيف أنتم من هول البر فانه تعالى قادر على ان يسلم عليكم آفات البر من جانب تحت  
أو من جانب الفوق أما من جانب تحت فبالخسف وأما من جانب الفوق فبامطار الحجارة  
عليهم وهو المراد من قوله أو نزل عليكم حاصبا فكما لا يتضرعون الا الى الله تعالى عند  
ركوب البحر فكذلك يجب أن لا يتضرعوا الا اليه في كل الاحوال ومعنى الحصب في اللغة  
الرمي يقال حصبت أحصبا حصبيا إذا رميت والحصب الرمي ومنه قوله تعالى حصب  
جهنم أي يلقون فيها ومعنى قوله حاصبا أي عذابا يحصبهم أي يرميهم بحجارة ويقال للريح  
التي تحمل التراب والحصبا حاصب والسحاب الذي يرمي بالثلج والبرد يسمى حاصبا لانه  
يرمي بجماريا وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصباء والحاصب على هذا  
ذو الحصباء مثل اللابن والنامر وقوله ثم لا تجدوا لكم وكيلا يعني لا تجدوا لنا صرنا نصركم  
و بصونكم من عذاب الله ثم قال أم أنتم ان نعيدكم فيه أي في البحر تارة أخرى وقوله  
فنزل عليكم قاصفا من الريح القاصف الكاسر يقال قصف الشئ يقصه قصفا اذا  
كسره بشدة والقاصف من الريح التي تكسر الشجر وأراد ههنا ريحا شديدة تقصف  
الفلك وتغرقهم وقوله فغرقكم بما كفرتم أي بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا  
قال الزجاج أي لا تجدوا من يتبعنا بانكار ما نزل بكم بان يصرفه عنكم وتبيع بمعنى تابع  
واعلم ان هذه الآية مشتتة على ألفاظ خمسة وهي قوله أن تخسف أو نزل أو نعيدكم فنزل  
فغرقكم قرأ ابن كثير وأبو عمر وجيع هذه الخمسة بالنون والباقيون بالياء فن قرأ بالياء  
فلان ما قبله على الواحد الغائب وهو قوله الاياه فلما نجواكم من قرأ بالنون فلان هذا البحر  
من الكلام قدينا قطع بعضه من بعض وهو سهل لان المعنى واحد ألا ترى أنه قد جاء  
وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا فانتقل من الجمع الى الافراد  
وكذلك ههنا يجوز أن ينتقل من الغيبة الى الخطاب والمعنى واحد والكل جائز والله أعلم  
\* قوله تعالى ( ولقد كرمنا بني آدم و جعلناهم في البر والبحر و رزقناهم من الطيبات  
و فضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ) اعلم ان المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى  
جليلة رقيقة من نعم الله تعالى على الانسان وهي الاشياء التي بها فضل الانسان على غيره

(وجعلناهم في البر والبحر) على الدواب ﴿ ٧٨ ﴾ خا والسفن من جلته اذا جعلته ما يركبه وليس من المخلوقات

شئ كذلك وقبل جعلناهم فيها حيث لم تخسف بهم الارض ولم تفرقهم بالماء وأنت خير بان

الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ﴿ ٦١٨ ﴾ (ورزقناهم من الطيبات) أي فنون النعم وضروب

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أنواع (النوع الاول) قوله ولقد كرمنا بني آدم واعلم ان الانسان جوهر مركب من النفس والبدن فانفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي وبدنه أشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي وتقرير هذه الفضيلة في النفس الانسانية هي أن النفس الانسانية قواها الاصلية ثلاث وهي الاغتذاء والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة أو باطنة والحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة اعني الاغتذاء والنمو والتوليد والحس والحركة حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مخصصة بقوة اخرى وهي القوة العاقلة المدركة لخفايق الاشياء كما هي وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي يطلع على اسرار عالمي الخلق والامر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هي وهذه القوة من تلقاها لجواهر القدسية والارواح المجردة الالهية فهذه القوة لانسبة لها في الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسة النباتية والحيوانية واذا كان الامر كذلك ظهر ان النفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم وان أردت ان تعرف فضائل القوة العقلية ونقصانات القوى الجسمية فتأمل ما كتبه في هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض فاننا ذكرنا هناك هشرين وجها في بيان ان القوة العقلية أجل وأعلى من القوى الجسمية فلا فائدة في الاعادة وأما بيان ان البدن الانساني أشرف اجسام هذا العالم فالمفسرون انما ذكروا في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم هذا النوع من الفضائل وذكرنا أشياء (أحدها) روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولقد كرمنا بني آدم قال كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم فانه يأكل بيديه وقيل ان الرشيد أحضرت عنده أطعمة فدعا بالملاعق وعند أبو يوسف فقال له جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلناهم أصابع يأكلون بها فرد الملاعق وأكل بأصابعه (وثانيها) قال الضحاك بالنطق والتمييز وتحقيق الكلام ان من عرف شيئا فاما ان يعجز عن تعريف غيره كونه عارفا بذلك الشيء أو يقدر على هذا التعريف (أما القسم الاول) فهو حال جلة الحيوانات سوى الانسان فانه اذا حصل في باطنها ألم أولدة فانها تعجز عن تعريف غيرها تلك الاحوال تعريفها تماما وافيها (وأما القسم الثاني) فهو الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه ووقف عليه وأحاط به فكونه قادرا على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقا وبهذا البيان ظهر ان الانسان الاخرس داخل في هذا الوصف لانه وان عجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة و بطريق الكتابة وغيرهما ولا يدخل فيه البيغاء لانه وان قدر على تعريفات قلبية فلا قدره على تعريف جميع الاحوال على سبيل الكمال والتمام (وثالثها) قال عطاء بامتداد القامة واعلم ان هذا الكلام غير تام لان الاشجار أطول من قامة الانسان بل

المستلذات بما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم (وفضلناهم) في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح (على كثير من خلقنا) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام (تفضيلا) عظيما فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلا عن فضل علي من عدا الملائكة الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطا والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو افضل في عظم الدرجة وزيادة

القرية عند الله سبحانه ان قيل أي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالتفضيل فان استثناء ﴿ بنينا ﴾ الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يتلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفرادهم عليهم قلنا



لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة ﴿ ٦١٩ ﴾ للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو

ينبغي أن يشترط فيه شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية والقوى الحسية  
والحركية (ورابها) قال بيان بحسن الصورة والدليل عليه قوله تعالى وصوركم فأحسن  
صوركم لماذا ذكر الله تعالى خلقه الانسان قال فتبارك الله أحسن الخالقين وقال صبغة الله  
ومن أحسن من الله صبغة وان شئت فتأمل عضوا واحدا من أعضاء الانسان وهو العين  
فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد  
الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين  
ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق بياض الجبهة سواد الشعر وليكن  
هذا المثال الواحد أم هو ذالك في هذا الباب (وخامسها) قال بعضهم من كرامات الأدي  
أن آتاه الله الخط وتحقيق الكلام في هذا الباب ان العلم الذي يقدر الانسان على  
استنباطه يكون قليلا أما اذا استنبط الانسان علما وأودعه في الكتاب وجاء الانسان  
الثاني واستعان بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه أشياء أخرى ثم لا يزالون يتعاقبون  
ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت الفضائل  
والمعارف وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى أقصى الغايات وأكمل  
النهايات ومعلوم ان هذا الباب لا يتأتى الا بواسطة الخط والكتابة ولهذه الفضيلة  
الكاملة قال تعالى اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (وسادسها) ان  
أجسام هذا العالم اما بسائط وامر كيات أما البسائط فهي الارض والماء والهواء  
والنار والانسان ينتفع بكل هذه الاربع أما الارض فهي لنا كالأمان الحاضنة قال تعالى  
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقد سماها الله تعالى بأسماء  
بالنسبة اليها وهي الفراش والمهد والمهاد وأما الماء فانتفاعنا به في الشرب والزراعة  
والحرارة ظاهروا أيضا سحر البحر لتأكل منه لجماطر ياونستخرج منه حلقة تلبسها وزرى  
الغلك مواخر فيه وأما الهواء فهو مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على  
هذه المعمورة وأما النار فيمطبخ الاغذية والاشربة ونضجها وهي قائمة مقام الشمس  
والقمر في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد كما قال الشاعر

ومن يرد في الشتاء فأكهة \* فان نار الشتاء فأكهته

وأما المركبات فهي اما الأثمار العلوية واما المعادن والنبات واما الحيوان والانسان  
كالستولى على هذه الأقسام والمنتفع بها والستمخر لكل أقسامها فهذا العالم بأسره جار  
بحرى قرية معمورة أو خان معد وجميع منافعها ومصالحها مصروفة الى الانسان  
والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة اليه كالعبيد  
وكل ذلك يدل على كونه مخصوصا من عند الله بزيد التكريم والتفضيل والله أعلم  
(وسابعها) ان المخلوقات تنقسم الى أربعة أقسام الى ما حصلت له القوة العقلية  
الحكمية ولم تحصل له القوة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة والى ما يكون بالعكس

المتانع فيه أصلا بل هم  
أدنى من كل دنى حسبا  
ينبى عنه قوله تعالى أولئك  
كالانعام بل هم أضل  
وقوله تعالى ان شر الدواب  
عند الله الذين كفروا  
(يوم ندعوا) نصب  
على المفعولية باضمار اذ ذكر  
أوظرف لما دل عليه قوله  
تعالى ولا يظلمون وقرئ  
بالياء على البناء للفاعل  
والمفعول ويدعوا بقلب  
الالف واوا على لغة  
من يقول في أفعى أفعو  
وقد جوز كون الواو علامة  
الجمع كما في قوله تعالى  
وأسرنا الجوى أو ضميرة  
وكل بدلا منه والنون  
مخدوفة لقله المبالة بها  
فانم ليست الاعلامه الرفم  
وقديكنى بتقديره كما في يدعى  
(كل اناس) من نبى آدم  
الذين فعلناهم في الدنيا  
ما فعلنا من التكريم والتفضيل  
وهذا شروع في بيان تفاوت  
أحوالهم في الآخرة بحسب  
أحوالهم وأعمالهم في الدنيا  
(بأمامهم) أى بمن اتعوا به  
من نبى أو مقدم في الدين  
أو كتاب أو دين وقيل  
بكتاب أعمالهم التي قدموها  
فيقال بأصحاب كتاب

الخيريا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كدنيا أهل كتاب كذا وقيل الامام جمع أم كخف وخفاف والحكمة  
في دعوتهم بأمهاتهم اجلال عيسى عليه السلام

وتشريف الحسنيين رضى الله عنهما والستر على أولاد الزنا ﴿ ٦٢٠ ﴾ (فن أوتى) يومئذ من أولئك المدعوين

وهم البهائم والى ما خلا عن القسامين وهو النبات والجمادات والى ما حصل النوعان فيه وهو الانسان ولاشك أن الانسان لكونه مستجما للقوة العقلية القدسية المحضة والقوى الشهوانية البهيمية والغضبية والسبعية يكون أفضل من البهيمية ومن السبعية ولاشك أيضا أنه أفضل من الاجسام الخالية عن القوتين مثل النبات والمعادن والجمادات واذا ثبت ذلك ظهر ان الله تعالى فضل الانسان على أكثر أقسام المخلوقات بقى ههنا بحث فى ان الملك أفضل أم البشر والمعنى ان الجوهر البسيط الموصوف بالقوة العقلية القدسية المحضة أفضل أم البشر المستجمع لهاتين القوتين وذلك بحث آخر (وثانها) الموجود اما أن يكون أزليا وأبديا معا وهو الله سبحانه وتعالى واما أن يكون لأزليا ولأبديا وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أخس الاقسام واما أن يكون أزليا لأبديا وهو المتمم الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما أن لا يكون أزليا ولكنه يكون أبديا وهو الانسان والملك ولاشك ان هذا القسم أشرف من القسم الثانى والثالث وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر مخلوقات الله تعالى (وتاسعها) العالم العلوى أشرف من العالم السفلى وروح الانسان من جنس الارواح العلوية والجواهر القدسية فليس فى موجودات العالم السفلى شئ حصل فيه شئ من العالم العلوى الا الانسان فوجب كون الانسان أشرف موجودات العالم السفلى (وعاشرها) أشرف الموجودات هو الله تعالى واذا كان كذلك فكل موجود كان قربه من الله تعالى أتم وجب أن يكون أشرف لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله هو الانسان بسبب أن قلبه مستنير بمعرفة الله تعالى ولسانه مشرف بذكر الله وجوارحه وأعضاؤه مكرمة بطاعة الله فوجب الجزم بان أشرف موجودات هذا العالم السفلى هو الانسان ولما ثبت ان الانسان موجود ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ثبت ان كل ما حصل للانسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهى انما حصلت باحسان الله تعالى وانعامه فلهذا المعنى قال تعالى ولقد كرمتنا بنى آدم ومن تمام كرامته على الله تعالى انه تعالى لما خلق فى أول الامر وصف نفسه بأنه أكرم فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق للانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للانسان فقال واقد كرمتنا بنى آدم ووصف نفسه بالكريم فى آخر احوال الانسان فقال يا أيها الانسان ما غرك ربك الكريم وهذا يدل على انه لانهاية لكريم الله تعالى وفضله واحسانه مع الانسان والله أعلم (والوجه الحادى عشر) قال بعضهم هذا التكريم معناه انه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كمن فيكون ومن كان مخلوقا بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل وكان أكرم وأكمل ولما جعلنا من أولاده ووجب كون بنى آدم أكرم وأكمل والله أعلم (النوع الثانى) من المدايح المذكورة فى هذه الآية قوله وحملناهم فى البر والبحر قال ابن عباس فى البر على الخيل والبغال والحمير

(كتابه) صحيفة أعماله  
(بمينه) ابانة لخطر  
الكتاب الموثق وتشريفا  
اصاحبه وتشيراله من  
أول الامر بما فى مطاويه  
(فاولئك) اشارة الى  
من باعتبار معناه ايدانا  
بأنهم حزب مجتهدون  
على شان جليل أو اشعارا  
بأن قرائتهم لكتبهم  
تكون على وجه الاجتماع  
لاعلى وجه الافراد  
كافى حال الايتاء وما فيه  
من الدلالة على البعد  
للاشعار برفعة درجاتهم  
أى أوائل المختصون بتلك  
الكرامة التى يشربها  
الايتاء المزبور (يقرون  
كتابهم) الذى أوتوه  
على وجه المين تجعجا  
بما سطر فيه من الحسنات  
المستتعبة لفنون الكرامات  
(ولا يظلمون) أى لا ينقصون  
من اجور أعمالهم المرتسمة  
فى كتبهم بل يؤتونها  
مضاعفة (فتيلا) أى قدر  
فتيل وهو القشرة التى  
فى شق النواة وأدنى شئ  
فان الفتيل مثل فى القلة  
والحقارة (ومن كان)  
من المدعوين المذكورين  
(فى هذه) الدنيا التى

فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل (أعنى) فاقد البصيرة لا يهتدى الى رشده ولا يعرف ﴿ والاييل ﴾ ما أولناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل

ما ودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقناه ﴿ ٦٢١ ﴾ من العلوم والمعارف الحقّة (فهو في الآخرة) التي عبر عنها

يوم ندعو (أعني)  
كذلك أي لا يهتدى إلى  
ما ينجيه ولا يظفر بما  
يجديه لأن العمى الأول  
موجب للثاني وقد جوز  
كون الثاني بمعنى التفضيل  
على أن عماء في الآخرة  
أشد من عماء في الدنيا  
ولذلك قرأ أبو عمرو  
الأول بمال والثاني مفتحماً  
(وأصل سبيلاً) أي من  
الاعمى زوال الاستعداد  
الممكن وتعمل الآلات  
بالكلية وهذا بعينه هو  
الذي أوتى كتابه بشماله  
بدلالة حال ما سبق من  
الفرق المقابل له ولعل  
العدول عن ذكره بذلك  
الضنوان مع أنه الذي  
يستدعيه حسن المقابلة  
حسبها هو الواقع في سورة  
الحاقة وسورة الانشقاق  
الأيذان بالعلم الموجبة له  
كافي قوله تعالى وأما ان  
كان من المكذبين الضالين  
بعد قوله تعالى فأما ان  
كان من أصحاب اليمين  
وللمرئ إلى علة حال  
الفرق الأول وقد ذكر  
في أحد الجانبين المسبب  
وفي الآخر السبب ودل  
بالمذكور في كل منهما

والأبل وفي البحر على السفن وهذا أيضاً من موكدات التكريم المذكور أولاً لأنه تعالى  
سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقاتل وينب عن نفسه وكذلك  
تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يخص به  
ابن آدم كل ذلك مما يدل على أن الإنسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل  
ما سواه فهو رعيته وتبع له (النوع الثالث) من المدائح قوله ورزقناهم من الطيبات  
وذلك لأن الاغذية إما حيوانية وإما نباتية وكلا القسمين إنما يقضى الإنسان منه بالأطف  
انواعها وأشرف أقسامها بعد التتمية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما  
لا يحصل للانسان (النوع الرابع) قوله وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً وههنا  
بمخنان (البحث الأول) أنه قال في أول الآية ولقد كرّمنا بني آدم وقال في آخرها وفضلناهم  
ولا بد من الفرق بين هذا التكريم والتفضيل والالزام التكرار والأقرب أن يقال أنه تعالى  
فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط  
والصورة الحسننة والقامة المديدة ثم أنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم  
لاكتساب العقائد الحقّة والاخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل  
(البحث الثاني) أنه تعالى لم يقل وفضلناهم على الكل بل قال وفضلناهم على كثير من خلقنا  
تفضيلاً فهذا يدل على أنه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون الإنسان مفضلاً عليه  
وكل من أثبت هذا القسم قال أنه هو الملائكة فلزم القول بأن الإنسان ليس أفضل من  
الملائكة بل الملك أفضل من الإنسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختيار الزجاج  
على ما رواه الواحدى في البسيط واعلم أن هذا الكلام مشتمل على بحثين (أحدهما) أن  
الانباء عليهم السلام أفضل أم الملائكة وقد سبق ذكر هذه المسئلة بالاستقصاء في سورة  
البقرة في تفسير قوله تعالى واذقنا للملائكة اسجدوا لآدم (والبحث الثاني) أن عوام  
الملائكة وعوام المؤمنين أيهما أفضل من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة  
واحتجوا عليه بما روى عن زيد بن اسلم قال قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بني آدم  
الدينايا أكلون فيها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك في الآخرة فقال وعزتي وجلالي  
لا جعل ذرية من خلقت يدي كمن قلت له كن فكان وقال أبو هريرة رضى الله عنه المؤمن  
أكرم على الله من الملائكة الذين عنده هكذا أورده الواحدى في البسيط وأما القائلون  
بأن الملك أفضل من البشر على الإطلاق فقد عولوا على هذه الآية وهو في الحقيقة تمسك  
بدليل الخطأ لأن تقرير الدليل أن يقال أن تخصيص الكثير بالذكر يدل على أن الحال  
في القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطأ والله أعلم \* قوله تعالى (يوم ندعو كل إنسان  
بإمامهم فن أوتى كتابه بينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتية) ومن كان في هذه أعشى  
فهو في الآخرة أعشى (وأصل سبيلاً) اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا  
ذكر أحوال درجاته في الآخرة في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرئ يدعو

على المتروك في الآخرة تعالى على شهادة العقل كافي قوله عز وعلا وان يمسك الله بضرف فلا تكشفه الا هو  
وان يردك بخير فلا راد لفضله (وان كادوا ليفتنوك) نزلت في ثقيف اذ قالوا لاني صلى الله عليه

وتم الأمدخل في امرك حتى نعلمينا خصصا لا تقض بها على العرب ﴿٦٤٢﴾ لا نعشر ولا نعشر ولا نعشر في صلواتنا وكل ربنا

بالباء والنون ويدي كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس قال  
الغراء واهل العربية لا يعرفون وجهها لهذه القراءة المتقولة عن الحسن ولطه قرأ يدي  
بفتح عيمر بوجه بالضم فظن الراوي انه قرأ يدعو (المسئلة الثانية) قوله يوم ندهون صب  
بضم اذ كر ولا يجوز أن يقال العاقل فيه قوله وفضلناهم لانه فعل ماض ويمكن ان  
يجاب عنه فيقال المراد وتفضلهم بما نعطيهم من الكرامة والثواب (المسئلة الثالثة)  
قوله بامامهم الامام في اللغة كل من اتهم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالتبى امام أمته  
والخليفة امام رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذي يقتدون به في الصلاة  
وذكر وافي تفسير الامام ههنا أقوالا (الاول) امامهم بينهم روى ذلك مرفوعا عن أبي  
هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى انه ينادى يوم القيامة  
يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الاياد  
فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادى يا تابع فرعون يا تابع عمرو ذياتابع فلان وفلان من  
رؤساء الضلال وأكابر الكفر وعلى هذا القول فالباء في قوله بامامهم فيه وجهان  
(الاول) أن يكون التقدير يدعو كل اناس بامامهم تبعوا وشيعة لامامهم كما تقول أدعوك  
باسمك (والثاني) ان يتعلق بمخدوف وذلك المخدوف في موضع الحال كأنه قيل يدعو كل  
اناس محتاطين بامامهم أى يدعوون وامامهم فيهم محور كبحنوده (والقول الثاني)  
وهو قول الضحاك وابن زيد بامامهم أى بكتابهم الذي انزل عليهم وعلى هذا التقدير ينادى  
في القيامة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل (والقول الثالث) قال الحسن  
بكتابهم الذي فيه اعمالهم وهو قول الربيم وأبي العالية والدليل على ان هذا الكتاب  
يسى اماما قوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب اماما  
وتقدر الباء على هذا القول بمعنى مع أى ندعو كل اناس ومعهم كتابهم كقولك ادفعه اليه  
برمته أى ومعده رمته (القول الرابع) قال صاحب الكشاف ومن يدع التفاسير ان الامام  
جمع أم وان الناس يدعوون يوم القيامة بامماتهم وان الحكمة في الدعاء بالاممات دون  
الآباء رعاية حق عيسى واطهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح اولاد الزنا ثم قال  
صاحب الكشاف وليت شعري ايهما ابدع أصح لفظه ام بيان حكمته (والقول  
الخامس) اقول في اللفظ احتمال آخر وهو ان انواع الاخلاق الفاضلة والفاسدة كثيرة  
والمتولى على كل انسان نوع من تلك الاخلاق فمنهم من يكون الغالب عليه الفاضل  
ومنهم من يكون الغالب عليه شهوة القود أو شهوة الضياع ومنهم من يكون الغالب  
عليه الحقد والحسد وفي جانب الاخلاق الفاضلة منهم من يكون الغالب عليه الفقه  
او الشجاعة او الكرم او طلب العلم والزهد اذا عرفت هذا فتقول الداعي الى الافعال  
الظاهرة من تلك الاخلاق الباطنة فذاك الخلق الباطن كالامله والملك المطاع  
والرئيس المتبوع فيوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة

فمولنا وكل ربنا علينا  
فهو موضوع عناوان  
تمتضا باللات سنة  
وأن نجرم وادينا وج  
كاحرمتمكة فاذا قالت  
العرب لم فعلت فقل ان  
الله امرني بذلك وقيل  
في قریش حيث قالوا  
اجل لنا آية عذاب آية  
رحمة وآية رحمة آية عذاب  
أوقالوا لا يمكنك من  
استلام الحجر حتى تلم  
يا كهنتا فان محففة من  
المشدة وضير الشأن  
الذي هو اسمها محذوف  
واللام هي الفارقة بينها  
وبين الناقبة أى ان  
الشأن قاربوا أن يفتنوك  
أى يخذعوك فانذين (عن  
الذي أوحينا اليك) من  
أوامرنا ونواهيها ووعدها  
ووعيدنا (لتفتري علينا  
غيره) لتقول علينا  
غير الذي أوحينا اليك  
مما اقترحتة ثقيف او قریش  
حسبا نقل (واذن  
لاتخذوك خديلا) أى لو  
اتبعت أهواءهم لكنت  
لهم وليا ولخرجت من  
ولايتي (ولولان ثباتك)  
على ما أنت عليه من الحق  
بعميتالك (لقد كدت  
تركن اليهم شيئا قليلا)

من الركون الذي هو أدنى ميل أى لولا ثبتي تلك تقاربت أن تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير ﴿من﴾  
أقوه خذوهم وعدوحتي اليهم لكن أدركت العصمة فميتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون اليهم فضلا

عن نفس الزكون وهذا صريح في أنه ﴿ ٦٤٣ ﴾ عليه الصلاة والسلام ملهم بالاجابة مع قوة الداعي اليها وادبيل

على أن العصمة بتوفيق  
الله تعالى وخصايته (إذا)  
لو قاربت أن تركن  
اليهم ادنى ركنة  
(لأذقتك ضعف الحياة  
وضعف الممات) أي  
عذاب الدنيا وعذاب  
الآخرة ضعف ما يمتد  
به في الدارين بمثل هذا  
الفعل غيرك لأن خطأ  
الخطير خطير وكان  
أصل الكلام عذابا ضعفا  
في الحياة وعذابا ضعفا  
في الممات بمعنى مضاعفا  
ثم حذف الموصوف  
وأقيمت الصفة مقامه ثم  
أضيفت إضافة  
موصوفة لها وقيل الضعف  
من أسماء العذاب وقيل  
المراد بضعف الحياة  
عذاب الآخرة وبضعف  
الممات عذاب القبر (ثم  
لا تجدك علينا نصيرا) ■  
يدفع عنك العذاب  
(وان كادوا) الكلام  
فيه كما في الاول أي كاد  
أهل مكة (ليستغفرونك)  
أي ليزعجونك بعداوتهم  
ومكرهم (من الارض)  
أي الارض التي أنت  
فيها وهي أرض مكة  
(ليخرجوك منها وإذا

من تلك الاخلاق فهذا هو المراد من قوله يوم ندعو كل اناس بما هم فيه هذا الاحتمال خطر  
بالبال والله أعلم بمراده ثم قال تعالى فن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤون كتابهم  
ولا يظلمون فتبلا قال صاحب الكشاف انما قل أولئك لان من أوتى في معنى الجمع  
والقتيل القشرة التي في شق النواة وسمى بهذا الاسم لانه اذا اراد الانسان استخراج  
انضل وهذا يضرب مثلا للشيء الحقيق التافه ومثله القطير والتغير في ضرب المثل به والمعنى  
لا ينقصون من الثواب بمقدار قتل ونظيره قوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظما ولا هضما  
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال القتل هو الوسخ الذي يظهر بقتل الانسان ابهامه  
بسببه وهو غيبيل من القتل بمعنى مغول فان قيل لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع  
ان اصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلنا الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه  
مشتتلا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والنغازي الشديدة فيستولى الخوف  
والدهشة على قلوبهم وينقل لسانهم فيعجزوا عن القراءة وأما اصحاب اليمين فأمرهم على  
عكس ذلك لاجرم انهم يقرؤن كتابهم على أحسن الوجوه واثبتها ثم لا يكتفون بقراءتهم  
وحدهم بل يقول القارىء لاهل المحشر هلو ثم اقرؤا كتابيد فظهر الفرق والله اعلم ثم قال  
تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا وفيه مثلتان (الاولى)  
قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ونصر عن الكسائي ومن كان في هذه أعمى بالامالة  
والكسر فهو في الآخرة أعمى بالفتح وقرأ بالفتح والتفخيم فيهما ابني كثير ونافع وابن عامر  
وحفص عن عاصم وقرأ حرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم في رواية بالامالة فيهما قل  
أبو علي الفارسي الوجه في تصحيح قراءة أبي عمرو أن المراد بالاعى في الكلمة الاولى كونه في  
نفسه أعمى وبهذا التقدير تكون هذه الكلمة تامة فتقبل الامالة واما في الكلمة الثانية  
فالمراد من الاعى افعال التفضيل فكانت بمعنى افعال من وبهذا التقدير لا تكون لفظة  
أعمى تامة فلم تقبل الامالة والحاصل ان ادخال الامالة في الاولى دل على انه ليس المراد  
أفعال التفضيل وتركها في الثانية يدل على المراد منها افعال التفضيل والله اعلم (المسئلة  
الثانية) لا شك انه ليس المراد من قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى  
عنى البصر بل المراد منه عنى القلب وعلی هذا التقدير ففيه وجوه (الاول) قل عكرمة جاء نفر من  
أهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأ ما قبلها فقرأ ربكم الذي  
يربى لكم الفلك في البحر الى قوله تفضيلا قال ابن عباس من كان أعمى في هذه النعم التي  
قدرأى وعان فهو في امر الآخرة التي لم يرو لم يعان اعنى واصل سبيلا وعلى هذا الوجه  
فقوله في هذه اشارة الى النعم المذكورة في الآيات المتقدمة (وثانيها) روى أبو روق عن  
الضحاك عن ابن عباس قال من كان في الدنيا أعمى عميرى من قدرتي في خلق السموات  
والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الآخرة أعمى واصل سبيلا

لا يلبثون) بالفم عطفا على خبر كاد وقرى لا يلبثوا بالنصب بما عمل اذن على أن الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستغفرونك  
(خلافا) أي بعدك قال \* خلت السيار خلافتهم فكأنما \* بسط الشواهد بينهن حصيرا \* أي واخرجت لا يقعون بعد

خروجك وقرى خلفك (الاقبلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك \* ٦٢٤ \* فانهم اهلكوا بيدر بعد هجرته عليه

وابعد عن تحصيل العلم به وعلى هذا الوجه فقوله فمن كان في هذه اشارة الى الدنيا وعلى هذين القولين فالمراد من كان في الدنيا اعنى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبان يكون في الآخرة اعنى القلب عن معرفة احوال الآخرة اولى فالعسى في المرتين حصل في الدنيا (وثالثها) قال الحسن من كان في الدنيا ضاللا كافرا فهو في الآخرة اعشى وأضل سبيلا لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته وفي الدنيا يهتدى الى التخلص عن أبواب الافات وفي الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة (ورابعها) انه لا يمكن حل العسى الثاني على الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة فكان المراد منه العسى عن طريق الجنة أى ومن كان في هذه الدنيا اعشى عن معرفة الله فهو في الآخرة اعشى عن طريق الجنة (وخامسها) ان الذين حصل لهم عسى القلب في الدنيا انما حصلت هذه الحالة لهم لشدة حرصهم على تحصيل الدنيا وابتهاجهم بلذاتها وطيباتها فهذه الرغبة تزداد في الآخرة وتعمم هناك حسرتهم على فوات الدنيا وليس معهم شئ من أنوار معرفة الله تعالى فيبقون في ظلمة شديدة وحسرة عظيمة فذاك هو المراد من العسى (القول الثاني) ان يحمل العسى الثاني على عسى العين والبصر فمن كان في هذه الدنيا اعشى القلب حشر يوم القيامة اعشى العين والبصر كما قال ونحشره يوم القيامة اعشى قال رب لم حشرتنى اعشى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتت آياتنا فاستبها وكذلك اليوم تنسى وقال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وبكبا وصما وهذا العسى زيادة في عقوبتهم والله أعلم \* قوله تعالى ( وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لا اتخذوك خليلا ولو لان نبينا لك قد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) اعلم انه تعالى لما عدد في الآيات المتقدمة اقسام نعمه على خلقه واتبعها بذكر درجات الخلق في الآخرة وشرح احوال السعداء اردفه بما يجرى مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس أرباب الضلال والانخداع بكلامهم المشتمل على المكر والتلبس فقال وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس في رواية عطاء نزلت هذه الآية في وقد تيقف أتوارسول الله صلى الله عليه وسلم فسأوه شططا وقالوا متعنا باللات سنة وحرمة وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم فكرر واذلك الالتماس وقالوا انما نحب ان تعرف العرب فضلنا عليهم فان كرهت ما نقول وخشيت ان تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فأنزل الله هذه الآية وروى صاحب الكشاف أنهم جاؤا بكتابتهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى ثقب لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت

الصلاة والسلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحقى بها حتى نوث من بك فوقع ذلك في قلبه عليه الصلاة والسلام فخرج مرحلة فترلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل (سنة من فدأرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدر يبدأ أى سن الله تعالى سنة وهى أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل (ولا تجد لسنننا خويلا) أى تغيرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) زوالها كما ينبت عنه قوله عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه

من الدلك لان من نظر البها حينئذ يدلك عينه وقيل لغرو بهما من دلكت الشمس أى غربت وقيل أصل الدلوك الميل (رسول) فينظم كلا المعنيين واللام للتأقبت مثلها في قولك ثلاث خلون (الى غسق الليل) الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه



وفقران الفجر (ان قران الفجر) (٦٢٦) أظهر في مقام الاضمار باقتضائه الاهتمام به

هذا العذاب ان أقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام أكثر فكانت ذنوبهم  
 أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها أكثر ونظيره قوله تعالى بالنساء النبي من يأت منك  
 بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فان قيل قال عليه السلام من سن سنة سيئة  
 فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فوجب هذا الحديث انه عليه السلام  
 لورضى بما قاله لكان وزره مثل وزر كل أحد من أولئك الكفار وعلى هذا التقدير  
 يكون عقابه زائدا على الضعف قلنا اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه الا بالبناء على  
 دليل الخطاب وهو جهة ضعيفة ثم قال تعالى ثم لا تجدك علينا نصيرا يعني اذا أذقناك  
 العذاب المضاعف لم تجد أحدا يخلصك من عذابنا وعقابنا والله أعلم (المسئلة الثالثة)  
 احتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على  
 صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه (الاول) ان الآية دلت على انه عليه السلام قرب  
 من أن يفترى على الله والفرية على الله من أعظم الذنوب (والثاني) انها تدل على انه لولا  
 ان الله تعالى نبته وعصمه لقرب من أن يركن الى دينهم ويميل الى مذهبهم (والثالث) انه  
 لولاسبق جرم وجناية والافلاحة الى ذكر هذا الوعيد الشديد والجواب عن الاول ان  
 كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية انه قرب وقوعه في الفتنة وهذا القدر لا يدل على  
 الوقوع في تلك الفتنة فاننا اذا قلنا كاد الامير ان يضرب فلانا لا يفهم منه انه ضربه  
 والجواب عن الثاني ان كلمة لولا تنفيد انتفاء الشيء للثبوت غيره تقول لولا على لهلك عمر  
 معناه ان وجوده على منع من حصول الهلاك للمر فكذلك ههنا قوله ولولا أن ثبتناك لقد  
 كدت تركن اليهم معناه انه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول  
 ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون والجواب عن الثالث ان ذلك التهديد على  
 المعصية لا يدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله ولتقول علينا بعض  
 الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنها قوله لئن أسرحت ليعبطن عملك ومنها  
 قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين والله أعلم (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على صحة  
 قولهم بانه لا عصمة عن المعاصي الا بتوفيق الله تعالى بقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت  
 تركن اليهم شيئا قليلا قالوا انه تعالى بين انه لولا تثبيت الله تعالى له لما الى طريقة الكفار  
 ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أقوى من غيره في قوة الدين وصفاء اليقين فلما  
 بين الله تعالى ان بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لم يحصل الا باعانة الله تعالى وانعائه  
 كان حصول هذا المعنى في حق غيره اولي قالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت اللطف  
 الصارفة عن ذلك وهي ما خطر بباله من ذكر وعده ووعيده ومن ذكر ان كونه نبيا من  
 عند الله تعالى يمنع من ذلك والجواب لاشك ان هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله بمنع  
 الرسول من الوقوع في ذلك العمل المخدور فنقول لولم يوجد المقضى للاقدام على ذلك  
 العمل المخدور في حق الرسول لما كان الى ايجاد هذا المانع حاجة وحيث وقعت الحاجة

وفقران الفجر (ان قران الفجر) (٦٢٦) أظهر في مقام الاضمار باقتضائه الاهتمام به  
 (كان مشهورا في الودا) يشهده  
 ملائكة الامم  
 رأوا شواهدا لقدرة  
 السلام تبدل الضياء بالظلمة  
 من الانبياء بالنوم الذي هو  
 أخو الموت أو يشهده  
 كثير من المصلين أو من  
 حقه أن يشهده الجهم  
 الفقير فالآية على تفسير  
 الدلوك باز والجامعة  
 للصلوات الخمس وعلى  
 تفسيره بالغروب لما عدا  
 الظهر والعصر (ومن  
 الليل) قبل هو نصب  
 على الاغراء أي الزم  
 بعض الليل وقيل  
 لا يكون المغرور  
 به حرفا ولا يجدي نفعا  
 كون مضاهها التبعض  
 فان واو مع ليست اسما  
 بالاجماع وان كانت  
 بمعنى الاسم الصريح  
 بل هو منصوب على  
 الطرفية بمضمر أي م  
 بعض الليل (فنهجد  
 به) أي أزل وألق الهجود  
 أي النوم فان صبغة  
 التفل تجيء لازالة  
 كالبحر والحنث والتائم  
 ونظائرهما والضمير المجرور  
 للقرآن من حيث هو لا يقيد  
 اضافته الى الفجر أو



أى تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى ﴿ ٦٢٧ ﴾ في وقيل منصوب بتهجد أى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة

واياى فارهبون  
( نافلة لك ) فريضة  
زائدة على الصلوات  
الخمس المفروضة  
خاصة بك دون الأمة  
واعله هو الوجه في تأخير  
ذكرها عن ذكر صلاة  
الفجر مع تقدم وقتها  
على وقتها أو تطوعا  
لكن لا كونها زيادة  
على الفرائض بل  
لكونها زيادة له صلى الله  
عليه وسلم في الدرجات  
على ما قال مجاهد والسدى  
فانه عليه السلام معفوره  
ما تقدم من ذنبه وما  
تأخر فيكون تطوعه  
زيادة في درجاته بخلاف  
من عداه من الامم فان  
تطوعهم لتكفير ذنوبهم  
وتدارك الخلل الواقع  
في فرائضهم واتصاها  
اما على المصدرية  
بتقدير تنقل أو يجعل  
تهجد بمعناه أو يجعل  
نافلة بمعنى تهجد فان  
ذلك عبادة زائدة واما  
على الحالية من الضمير  
الراجع الى القران أى  
حال كونها صلاة نافلة  
واما على المفعولية  
لتهجد اذا جعل بمعنى

الى تحصيل هذا المانع علما ان مقتضى قد حصل في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وان  
هذا المانع الذى فعله الله تعالى منع ذلك المقتضى من العمل وهذا لا يتم الا اذا قلنا ان  
القدرة مع الداعى توجب الفعل فاذا حصلت داعية اخرى معارضة للداعية الاولى اختل  
المؤثر فامتنع الفعل ونحن لا نريد الاثبات هذا المعنى والله اعلم ( المسئلة الخامسة ) قال  
القفال رحمه الله قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة ويمكن أيضا  
أن يلبها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه لان من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون  
في ابطال أحرر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون  
ان عبدت آلهتنا عبدنا الهك فأنزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون  
وقوله ودوا الوتد هن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليزرك  
ادعاء النبوة فأنزل الله تعالى قوله ولا تمدن عينيك ودعوه الى طرد المؤمنين عن نفسه  
فأنزل الله تعالى قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم فيحوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا  
الباب وذلك انهم قصدوا أن يفتوه عن دينه وأن يزيلوه عن فهمه فينبى تعالى انه يشبهه  
على الدين القويم والمنهج المستقيم وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الآيات  
الى سبب من تلك الروايات والله اعلم \* قوله تعالى ( وان كادوا ليستفزونك من الارض  
ليخرجوك منها واذا لبسوا الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد  
لستنا نحو يلا ) في هذه الآية قولان ( الاول ) قال قتادة هم أهل مكة هموا باخراج النبي  
صلى الله عليه وسلم من مكة ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا ولكن الله منهم من اخرجهم حتى أمره  
الله بالخروج ثم انه قل لبثهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله  
عليهم القتل يوم بدر وهذا قول مجاهد ( والقول الثاني ) قال ابن عباس ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قر به منهم فقالوا يا أبا القاسم  
ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام  
آمن بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله  
فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة فيل بدى  
الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه وبراء الناس طارما على الخروج الى الشام لحرصه على  
دخول الناس في دين الله فترأت هذه الآية فرجع فالحقول الاول اختيار الزجاج وهو  
الوجه لان السورة مكبة فان صح القول الثاني كانت الآية مدينة والارض في قوله  
ليستفزونك من الارض على القول الاول مكة وعلى القول الثاني المدينة وكثر في التزييل  
ذكر الارض والمراد منها مكان مخصوص كقوله أو يتفوا من الارض يعنى من مواضعهم  
وقوله فلن أرح الارض يعنى الارض التى كان قصدها لطلب الميرة فان قيل قال الله تعالى  
وكأين من قرية همى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك يعنى مكة والمراد أهلها فذكر أنهم  
أخرجوه وقال في هذه الآية وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها فكيف

صل وجعل الضمير المجرور لبعض أى فصل في ذلك البعض نافلة لك ( سبب ان يبشكرك ) الذى

يلفك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما نبئت ﴿ ٢٤٨ ﴾ من النجوم الذي هو الموت الاصغر

بالصلاة والعبادة (مقاما)  
انصب على الظرفية  
على اضممار فيفيمك أو تضمين  
البعث معنى الإقامة اذ لا بد  
من أن يكون العامل في مثل  
هذا الظرف فعلا فيه معنى  
الاستقرار ويجوز أن يكون  
حالا بتقدير مضاف  
أي بعثك ذامقام (محمودا)  
عندك وعند جميع الناس  
وفيه تهوين لشقة قيام  
الليل وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
المقام المحمود هو المقام  
الذي أشفع فيه لامتي  
وعن ابن عباس رضي الله  
عنهما مقاما يحمدك فيه  
الاولون والآخرين  
وتسرف فيه على جميع  
الخلائق تسأل فتعطي  
وتشفع فتشفع ليس أحدا لا  
تحت لو أنك وعن حذيفة  
رضي الله عنه يجمع الناس  
في سعيد واحد فلا تتكلم  
فيه نفس فأول مدعو محمد  
صلى الله عليه وسلم فيقول  
ليبك وسعديك والشر  
ليس اليك والمهدي  
من هديت وعبدك بين  
يدك وبك واليك لا محجا  
ولا منجبا

الجمع بينهما على قول من قال الارض في هذه الآية مكة قلنا انهم هموا باخراجهم وهو عليه  
السلام ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بأمر الله تعالى قرال التافض ثم قال تعالى  
واذا لا يلبثون خلقك الا قليلا وفيه مستلذان (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير  
وأبو عمر وعن عاصم خلقك بفتح الخاء وسكون اللام والباقون خلافك زعم الاخفش ان  
خلافك في معنى خلقك وروى ذلك يونس عن عيسى وهذا كقوله بتعمدهم خلاف  
رسول الله وقال الشاعر

صفت الديار خلافهم فكأنما \* بسط الشواطئ بينهم حصيرا

قال صاحب الكشاف قري لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على افعال اذن فان قيل  
ما وجه القراءتين قلنا اما السابقة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه  
خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي قوله  
اذا لا يلبثون عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ثم قال تعالى سنة من قد أرسلنا  
قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم أخرجوا نبيهم من ظهرا نبيهم فسنة الله أن يهلكهم فقوله  
سنة نصب على المصدر الموكدا أي سننا ذلك سنة فبين قد أرسلنا قبلك ثم قال ولا تجد لسننا  
تحويلا والمعنى ان ما جرى الله تعالى به العادة لم يتهايا لحد أن يقلب تلك العادة وتعام  
الكلام في هذا الباب ان اختصاص كل حادث بوقته المعين وصفته المعينة ليس أمرا ثابتا  
له لذاته واللازم أن يدوم أبدا على تلك الحالة وأن لا يتغير الشيء عما يماثله في تلك الصفات بل  
انما يحصل ذلك الاختصاص بتخصيص المخصص وذلك التخصيص هو انه تعالى يريد  
تحصيله في ذلك الوقت ثم تتعلق قدرته بتحصيله في ذلك الوقت ثم يتعلق علمه بحصوله في ذلك  
الوقت ثم تقول هذه الصفات الثلاثة التي هي المؤثرة في حصول ذلك الاختصاص ان  
كانت حادثة افتقر حدوثها الى تخصيص آخر ولزم التسلسل وهو محال وان كانت قديمة  
فاقديم يمتنع تغيره لان ما ثبت قدمه امتنع عديمه ولما كان التغير على تلك الصفات المؤثرة  
في ذلك الاختصاص ممتعا كان التغير في تلك الاشياء المقدره ممتعا ثبت بهذا البرهان  
صحة قوله تعالى ولا تجد لسننا تحويلا \* قوله تعالى (أم الصلاة لادلوك الشمس الى غسق  
الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فقم حديبه نافلة لك عسى أن  
يبعث ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل  
لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق ورحق الباطل ان الباطل كان زهوقا) في الآية  
مسائل (المسئلة الاولى) في النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما قرأ أمر الالهيات والمعاد  
والنبوات أردفها بذكر الامر بالطاعات وأنسرف الطاعات بعد الايمان الصلاة فلهذا  
السبب أمر بها (الثاني) انه تعالى لما قال وان كادوا ليستفزونك من الارض أمره تعالى  
بالاقبال على عبادته لكي ينصره عليهم فكأنه قيل له لا يتبال بسعيهم في اخراجك من بلدتك  
ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات فانه تعالى يدفع مكرهم

منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب ( ﴿ ٦٢٩ ﴾ البيت (وقل رب اذخني) أى القبر (مدخل صدق)

أى ادخال مرضيا  
( وأخرجني ) أى منه  
عند البعث ( مخرج  
صدق ) أى اخراج  
مرضيا ملقى بالكرامة  
فهو تلقين للدعاء بما  
وعده من البعث المقرون  
بالاقامة المعهودة التي  
لا كرامة فوقها وقيل  
المراد ادخال المدينة  
والاخراج من مكة وتغيير  
ترتيب الوجود ليكون  
الادخال هو المقصد وقيل  
ادخاله عليه السلام  
مكة ظاهرا عليها  
واخراجه منها آمنا من  
المشركين وقيل ادخاله  
النهار واخراجه منه  
سائلا وقيل ادخاله فيما  
حمله من أعباء الرسالة  
واخراجه منه مؤديا حقه  
وقيل ادخاله في كل ما  
يلابسه من مكان أو أمر  
واخراجه منه وقرئ  
مدخل ومخرج بالفتح  
على معنى ادخلى فأدخل  
دخولا وأخرجني فأخرج  
خروجا كقوله \* وعضة  
دهريا ابن مروان لم  
تدع \* من المال الامسحت  
أو مجلف \* أى لم تدع  
فلم يبق ( واجعل لي من  
لذاتك سلطانا نصيرا )

وشمرهم عنك و يجعل يدك فوق أيديهم ودينك غالباً على أيديهم ونظيره قوله في سورة طه  
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أنما الليل فسبح  
وأطراف النهار لعنك ترضى وقال ولقد نعمت عليك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد  
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ( والوجه الثالث ) في تقرير  
النظم ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فإنه مسكن الانبياء عزم صلى الله عليه وسلم  
على الذهاب اليه فكأنه قيل له العبود واحد في كل البلاد وما النصر والعبودية الا بتأييده  
ونصرته فداوم على الصلوات وارجع الى مفرك ومسكنك واذا دخلته ورجعت اليه  
فقل رب ادخلى مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي في هذا البلد سلطانا  
نصيرا في تقرير دينك واظهار شرعك والله أعلم ( المسئلة الثانية ) اختلف أهل اللغة  
والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين ( أحدهما ) ان دلوكها غروبها وهذا القول  
مروى عن جماعة من الصحابة فنقل الواحدى في البسيط عن علي بن رضى الله عنه انه قال  
دلوك الشمس غيوبها وروى زر بن حبیش ان عبد الله بن مسعود قال دلوك الشمس غروبها  
وروى سعيد بن جبیر هذا القول عن ابن عباس وهذا القول اختيار القراء وابن قتيبة  
من المتأخرين ( والقول الثانى ) ان دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار  
الاكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه ( الجملة  
الاولى ) روى الواحدى في البسيط عن جابر انه قال طعم عندي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا  
حين دلت الشمس ( الجملة الثانية ) روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه  
وسلم انه قال أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى في الظهر  
( الجملة الثالثة ) قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس  
اذا زالت نصف النهار دلوكه وقيل لها اذا قلت دلوكا لانها في الحالتين زائلة هكذا قاله  
الازهرى وقال القفال أصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت  
للمغرب اذا عرفت هذا فنقول وجب أن يكون المراد من الدلوك ههنا الزوال عن  
كبد السماء وذلك لانه تعالى علق اقامة الصلاة بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال  
فوجب أن يقال انه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا  
المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتطابق به وجوب الصلاة وذلك يدل على ان  
المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء وهذه جملة قوية في هذا الباب  
استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة ان الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله أعلم  
( الجملة الرابعة ) قال الازهرى الاولى حل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى أقم  
الصلاة أى أدمها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقدير فيدخل  
فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن العجر فاذا حل الدلوك على الزوال

لذاتك سلطانا نصيرا )

ناصر الاسلام مظهره على الكفر فأجبت دعوته ﴿ ٦٣٠ ﴾ عليه السلام بقوله من وعلا والله يعصمك من الناس

دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية وان جلتها على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال واحتج الفراء على قوله الدلوك هو الغروب بقول الشاعر

هذا مقام قدمي رباح \* وقتت حتى دلكت براح

وبراح اسم الشمس أي حتى قابت واحتج ابن قتيبة بقول ذي الرمة

مصايح ليست باللواتي يقودها \* نجوم ولا افلاكهن الدواك

واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لان عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير وهذا المعنى حاصل في الغروب فكان الغروب نوعاً من أنواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك على الغروب لا ينافي وقوعه على الزوال كما ان وقوع لفظ الحيوان على الانسان لا ينافي وقوعه على الفرس ومنهم من احتج أيضاً على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها وهذا انما يصح في الوقت الذي يمكن النظر اليها ومعلوم انها عند كونها في وسط السماء لا يمكن النظر اليها ما عند قربها من الغروب يمكن النظر اليها عندما ينظر الانسان اليها في ذلك الوقت يدلك عينه فثبت ان لفظ الدلوك يختص بالغروب والجواب ان الحاجة الى ذلك التبيين عند كونها في وسط السماء أتم فهذا الذي ذكرته بأن يدل على ان الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السماء أولى والله أعلم (المسئلة الثالثة) قال الواحدى اللام في قوله للدلوك الشمس لام الاجل والسبب وذلك لان الصلاة بما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي اقامتها لاجل دلوك الشمس (المسئلة الرابعة) قوله الى غسق الليل غسق الليل سواده وطلته قال الكسائي غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين وقل التضمر بن شميل غسق الليل دخول أوله وأتته حين غسق الليل أي حين يختلط ويسد المناظر وأصل هذا الحرف من السيلان يقال غسقت العين تغسق وهو هملان العين بالماء والغاسق السائل ومن هذا يقال لما يسيل من أهل النار الغساق بمعنى غسق الليل أي انصب بظلامه وذلك ان الظلمة كأنها تنصب على العالم وأما قول المفسرين قال ابن جريج قلت لعطاء ما غسق الليل قال أوله حين يدخل وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال دخول الليل بظلمته وقال الأزهرى غسق الليل عند غيبوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشتدادها يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة اذا امتلأت دماً قال لانا لو حلتنا الغسق على هذا المعنى دخلت الصلوات الأربع فيه وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ولو حلتنا الغسق على ظهور أول الظلمة لم يدخل فيه الا الظهر والعصر والمغرب فوجب أن يكون الأول أولى واعلم انه يتفرع على هذين القولين بحث شريف فان فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات وقت

الان حرب لله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض (وقل جاء الحق) أي الاسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهق الباطل) أي ذهب وهلك الشرك والكفر ونسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل) كأنما كان (كان زهوقاً) أي شأنه أن يكون مضطجلاً غير ثابت وهو عدة كريمة باجابه الدعاء بالسلطان النصير الذي لقنه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً فجعل ينكت بمخضرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبنى صنم خراطة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره (ونزل من القرآن) وقرئ نزل من الانزال (ماهو

﴿ الزوال ﴾

شفاء) لما في الصدور من ادواء الرب ( ٦٣١ ) واسقام الاوهام ( ورحمة للمؤمنين ) به العالين بما في تضاعفه

أى ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن يئيبه قدمت على المين اعتناه فان كل القرآن كذلك وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاؤه الله أو تبعيضه لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى ان انزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك من نزل عليهم بسبب موافقته لحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لا بأنه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بانشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبويض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ( ولا يزيد الظالمين الا خسارا ) أى لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه

الكافرين

الزوال و وقت أول المغرب و وقت الفجر وهذا يقتضى أن يكون الزوال وقتا للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول المغرب وقتا للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا أيضا بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا لأنه دل الدليل على ان الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب أن يكون الجمع جائزا بعد السفر وهدرا المطر وغيره أما ان فسرنا الشق بالظلمة المترابطة فنقول الظلمة المترابطة تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض وكلمة الى لانتهاه الغاية والحكم الممدود الى غاية يكون مشروطا قبل حصول تلك الغاية فوجب جواز اقامة الصلوات كلها قبل غيبوبة الشفق الابيض وهذا مما يصح اذا قلنا انها تجب عند غيبوبة الشفق الاحمر والله أعلم ( المسئلة الخامسة ) قوله وقرآن الفجر أجمعوا على ان المراد منه صلاة الصبح وانتصابه بالمطف على الصلاة في قوله أتم الصلاة والتقدير أتم الصلاة وأتم قرآن الفجر وفيه فوائد ( الاولى ) ان هذه الآية تدل على ان الصلاة لا تتم الا بالقراءة ( القائدة الثانية ) انه تعالى أضاف القرآن الى الفجر والتقدير أتم قرآن الفجر فوجب أن تتعلق القراءة بحصول الفجر وفي أول طلوع الصبح قد حصل الفجر لان الفجر سمي فجر الانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح وظاهر الامر للوجوب يقتضى هذا اللفظ وجوب اقامة صلاة الفجر من أول طلوعه الا اننا أجعنا على ان هذا الوجوب غير حاصل فوجب ان يبقى التنب لان الوجوب عبارة عن رجحان مانع من الترتك فاذا منع مانع من تحقق الوجوب وجب أن يرتفع المنع من الترتك وان بقي أصل الرجحان حتى تنقل مخالفة الدليل ثبت أن هذه الآية تقتضى ان اقامة الفجر في أول الوقت أفضل وهذا يدل على صحة مذهب الشافعي في ان التخليس أفضل من التنوير والله أعلم ( القائدة الثالثة ) ان الفقهاء يبنوا ان السنة أن تكون القراءة في هذه الصلاة أطول من القراءة في سائر الصلوات فالقصد من قوله وقرآن الفجر الحث على ان تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب لان التخصيص بالذكر يدل على كونه أكثر من غيره ( القائدة الرابعة ) انه وصف قرآن الفجر بكونه مشهورا قال الجمهور معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار مجتمعون في صلاة الصبح خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة العداة وقبل ان تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل فكثرت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا سعدت قالت يارب انارت كونا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا آتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم وأقول هذا أيضا دليل قوى في ان التخليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح في ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار فهذا الطريق يحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار اما ما بدأ بهذه

الصلاة في وقت التنوير فهناك ما بقيت الظلمة فلم يبق في ذلك الوقت أحد من ثلاثكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فثبت ان قوله تعالى انه كان مشهودا دليل قوي على ان التغليس أفضل وعندى في تفسير قوله تعالى انه كان مشهودا احتمال آخر وذلك لانه كلما كانت الحوادث الطائفة أعظم وأكمل كان الاستدلال بها على كمال قدرة الله تعالى أكمل فالإنسان كلما شرف في أدائه صلاة الصبح من أول هذا الوقت كانت الظلمة القوية باقية في العالم فاذا انتهى القراء في اثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم والوجود وعلى هذا التقدير فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ثم انه مع ذلك يشاهد في اثناء صلواته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضوء ومن الموت الى الحياة ومن السكون الى الحركة ومن العدم الى الوجود وهذه الحالة عجيبة تشهد العقول والارواح بأنه لا يقدر على هذا التقلب والتحويل والتبديل الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وحيث يستنير العقل بنور هذه المعرفة وينفتح على الحق والروح أبواب الكاشفات الروحية الالهية فتصير الصلاة التي هي عبارة عن أشرف الجوارح مشهودا عليها بهذه الكاشفات الالهية المقدسة ولذلك فكل من له ذوق سليم وطبع مستقيم اذا قام من منامه وأدى صلاة الصبح في أول الوقت واعتبر اختلاف أحوال العالم من الظلمة الحاصلة الى النور ومن السكون الى الحركة فإنه يجد في قلبه روحا وراحة ومن ينال في نور المعرفة وقوة اليقين فهنا هو المراد من قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا وظهر ان هذا الاعتبار لا يحصل الا عند أداء صلاة الفجر على سبيل التغليس فهذا ما خطر بالبال والله أعلم بمراده وفي الآية احتمال ثالث وهو أن يكون المراد من قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا الترغيب في أن تؤدي هذه الصلاة بالجماعة ويكون المعنى كونها مشهودا بالجماعة الكثيرة ومن يد التحصين فيه أننا بينا أن تأثير هذه الصلاة في تصفية القلب وفي تنويره أكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين في المسجد لاداء هذه العبادة استثار قلب كل واحد منهم ثم بسبب ذلك الاجتماع كأنه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب الآخر فتصير أرواحهم كالمرايا المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها أنوار الشمس فإنه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرايا الى الاخرى فكذلك في هذه الصورة ولهذا السبب فإن كل من له ذوق سليم وأدى هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا وراحة (القائمة الخامسة) قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يحتمل أن يكون السبب في كونه مشهودا هو ان الانسان لما نام طول الليل فصار كأنه غافل في هذه المدة عن مراقبة أحوال الدنيا فرأى صور الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه اللوح كألواح سحرت فيها نقوش فاسدة ثم غسلت وأزيلت تلك النقوش عنها في أول

يكفرهم وتكذب بهم لانقصا ما كاقبل فان ما بهم من ذاء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا با نقصان النجى عن حصول بعض مبادئ الاسقام فيهم وزياتهم في مراتب الهلاك من حيث أنهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدرجوا زادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى أن ما بلو منين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المرادون في ذلك بسوء صنعم باعتبار كونه سبب ذلك وفيه تعجب من أمره حيث يكون مدارا للشقاء والهلاك (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والنعمة (أعرض)

عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر

(وأي) تباعد عن طاعتنا  
 (بجانبه) الثأى بالباب  
 أن يلوى عن السيء عطفه  
 ويوليه عرض وجهه  
 وهو تأكيد للاعراض  
 أو عماره عن الاستيثار  
 لأنه من دين التكبير  
 (وإذا مسه السر) من  
 فقر أو مرض أو نارله  
 من التوازل وفي اسناد  
 المساس إلى السر بعد  
 اسناد الامام إلى السر  
 الحلاله ايدان بان الخير  
 من ابد السدات و اشرف  
 ايس اتمام (كأنا) و  
 شديد ايس من رويها  
 هـ انما وصف الحسن  
 يا عمار بعض افراده  
 من هو على هذه الصفة  
 ولانافته فوالله  
 واذا مسه السر فذودعا  
 عرض و عمار فار  
 ذلك بان عرض آخرين  
 منهم وقد اريد به  
 الواحد من المعبر و فري  
 هـ اما على التلب كما يقال  
 رهن رأى و اما على  
 بمعنى نهض (قل كل)  
 أي كل أحد منكم ومن  
 هو على خلافكم  
 (يعمل) عمله (على)

وقت النيام من المنام صارت ألواح عقله وفكره وخياله مطهرة عن النقوش الفاسدة  
 الباطلة فاذا تسارع الانسان في ذلك الوقت الى عبادة الله تعالى وقراءة الكلمات الدالة  
 على تزيينه والاقدام على الافعال الدالة على تعظيم الله تعالى انهش في لوح عقله وفكره  
 وخياله هذه النقوش الطاهرة المقدسة ثم ان حصول هذه النقوش يمنع من استهكام  
 النقوش الفاسدة وهي النقوش المتولدة من الميل الى الدنيا وسهواتها فبهذا النظر بق يتروح  
 الميل الى معرفة الله تعالى ومحبيته وطاعته وضعف الميل الى الدنيا وسهواتها اذا عرفت  
 هذا فنقول هذه الحكمة انما تحصل اذا تسرع الانسان في الصلاة من أول قيامه من النوم  
 عند التعليل وذلك يدل على المقصود واعلم ان أكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب  
 وهي حب الدنيا والحرص والحسد والفاخر والذكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرعى  
 اذا كانت مملوءة من المرضى والانباء كما يطبدا الحماذقين والمرضى ر بما قد قوى مرضه  
 فلا يعود الى الصحة الا بعد الحيات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا يتفاد لاصب  
 ويخالفه في أكثر الامر لأن الطبيب اذا كان مشتتقا حافظا فانه يسعى في ازالة ذلك  
 المرض بكل طريق يقدر عليه فان لم يقدر على ازاله فانه يسعى في نقله وتحققه اذا  
 عرفت هذا فنقول مرض حب الدنيا مستول على الخلق ولا علاج له الا بدعوة الى معرفة  
 الله تعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل من يقبله ويتقاده لاجرم  
 الانبياء اجتهدوا في تقليل هذا المرض وحل الخلق على السروع في انطاعة وعبادة من  
 أول وقت القيام من النوم بما يقع في ازاله هذا المرض من اوجه الذي قرنته فوجب ان  
 يكون مشروعا والله أعلم بأسرار كلامه أما قوله تعالى ومن الميل فمنجده نافلة لك فأعلم انه  
 تعالى لما أمر يا صلوات الخمس على سبيل الزم والاسارة اريد فيه بالحث على صلاة الميل وهو  
 مباحث (انزل) التمجيد عبارة عن صلاة الميل فتتوله فتجده أي باقرآن جهال في الال  
 الا قليلا الى قوله و رتل القرآن تزيلا (البحث الثاني) قال ابو احديس انه جود في اامة  
 النوم وهو معروف كثير في الشعر يقال اهدته وهدته أي اتمه ومنه قول ابي  
 هجدا فقه دطلال السرى كأنه قال نومنا فن السرى قد نطال غلبا حتى غلبنا النوم  
 وروى ابو عبيد عن أبي عبيد الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل وروى مالك عن ابن  
 الاعرابي مثل هذا القول كأنه قال هجد الرجل اذا صلى من الليل وهجد اذانا بالليل فعند  
 هؤلاء هذا اللفظ من الاضداد وأما الازهرن فانه توسط في تفسير هذا اللفظ وقال المعروف  
 في كلام العرب ان الهاجد هو انائم ثم رأينا أن في السرع يقال لم قام من النوم الى  
 الصلاة انه متجد فوجب ان يحمل هذا على انه سمي متجد لانقائه الهجود عن نفسه  
 كما قيل للماء منحت لانقائه الحنث عن نفسه وهو الامم ويقال فلان رجل متخرج  
 ومائم ومتحوب أي يلقى المرح والامم والحب عن نفسه وأقول فيه احتمال آخر وهو  
 ان الانسان انما يتك هذه النوم ويحمل مسقة القيام الى الصلاة يضيق رقادته وهجود

عند الموت فلما كان غرضه من ترك هذا الهجود ان يصل الى الهجود اللذيذ عند الموت  
 كان هذا القيام طلبا لذلك الهجود فسمى تهجدا لهذا السبب ( وفيه وجه ثالث ) وهو  
 ما روى ان الحجاج بن عمرو المازني قال أيحسب أحدكم اذا قام من الليل فصلى حتى يصبح  
 انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد الزاد ثم صلاة أخرى بعد رقدة ثم صلاة أخرى بعد  
 رقدة هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عرفت هذا فنقول كلما صلى  
 الانسان طلب هجود او رقادا فلا يبعد انه سمي تهجدا لهذا السبب ( البحث الثالث ) قوله  
 من في قوله ومن الليل لا بد له من متعلق والقائه في قوله فتهجد لا بد له من معطوف عليه  
 والتقدير من الليل أي في بعض الليل فتهجده وقوله به أي بالقرآن والمراد منه الصلاة  
 المستتلة على القرآن ( البحث الرابع ) معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الاصل ذكرناه  
 في قوله تعالى يستلونك عن الانفال ومعناها أيضا في هذه الآية الزيادة وفي تفسير كونها  
 زيادة قولنا مبنيان على ان صلاة الليل هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا  
 فمن الناس من قال انها كانت واجبة عليه ثم نسخت فصارت نافلة أي تطوعا وزيادة  
 على الفرائض وذكر مجاهد والسدي في تفسير كونها نافلة وجهها حسنا قال انه تعالى غفر  
 للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة يأتي بها سوى المكتوبة  
 فانه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة  
 الثواب وكان المقصود من تلك العبادة زيادة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الامعة  
 فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات محتاجون اليها لتكفير الذنوب  
 والسيئات فثبت ان هذه الطاعات انما تكون زائدا ونوافل في حق النبي صلى الله عليه  
 وسلم لا في حق غيره فلهذا السبب قال نافلة لك يعني انه هاز وائذونوافل في حقك لا في حق  
 غيرك وتقريره ما ذكرناه وأما الذين قالوا ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله  
 عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص انها فرضة عليك زائدة على الصلوات  
 الخمس خصصت بهما من بين أمك ويمكن نصرته هذا القول بأن قوله فتهجد أمر وصيغة  
 الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا فلو حملنا قوله نافلة لك على عدم  
 الوجوب لزم التعارض وهو خلاف الاصل فوجب أن يكون معنى كونها نافلة له  
 ما ذكرناه من كون وجوبها زائدا على وجوب الصلوات الخمس والله أعلم ( البحث  
 الخامس ) قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر وان كان ظاهرا الامر  
 فيه مختصا بالرسول صلى الله عليه وسلم الا أنه في المعنى عام في حق الاممة والدليل عليه انه  
 قال ومن الليل فتهجده نافلة لك فبين ان الامر بالتهجد مخصوص بالرسول وهذا يدل على  
 ان الامر بالصلوات الخمس غير مخصوص بالرسول عليه السلام والامم يمكن تقييد الامر  
 بالتهجد بهذا القيد فائدة أصلا والله أعلم ثم قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا  
 اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لان لفظة عسى تعيد

سالكته) طريقته التي  
 تشاكل حاله في الهدى  
 والضلالة أو جوهر  
 روحه وأحواله التابعة  
 لمزاج بدنه ( فر بكم ) الذي  
 يرآكم على هذه الطبايع  
 المتخالفة ( أعلم عن هو  
 أهدي سبيلا ) أي أسد  
 طريقا وأبين منها جارا  
 وقد فسرت الشاكلة  
 بالطبيعة والعادة والدين  
 ( ويسألونك عن الروح )  
 الظاهر ان السؤال كان  
 عن حقيقة الروح  
 الذي هو مدبر البدن  
 الانساني ومبدأ حياته  
 روى أن اليه وود قالوا  
 لقر يش سلوه عن أصحاب  
 الكهف وعن ذى القرنين  
 وعن الروح فان أجاب  
 عنها جميعا وسكت فليس  
 بنبي وان أجاب عن  
 بعض وسكت عن بعض  
 فهو نبي فين لهم القصتين  
 وأبهم أمر الروح وهو  
 مبهم في التوراة ( قل  
 الروح ) اظهر في مقام  
 الاضمار اظهر الكمال  
 الاعتناء بشأنه ( من  
 أمر ربى ) كلمة من بيانية  
 والامر بمعنى الشأن  
 والاضافة للاختصاص  
 العلى



الاطماع ومن أطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى أكرم من أن يطمع أحدا في شيء ثم لا يهبطه ذلك وقوله مقاما محمودا فيه بحثان (البحث الاول) في انتصاب قوله محمودا وجهان (الاول) أن يكون انتصابه على الحال من قوله يبعثك أي يبعثك محمودا (والثاني) أن يكون نعنا للمقام وهو ظاهر (البحث الثاني) في تفسير المقام المحمود أقوال (الاول) انه الشفاعة قال الواحدى أجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه لامتي وأقول اللفظ مشعر به وذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاما أنعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليم الشرع لان ذلك كان جاصلا في الحال وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا تطميع وتطميع الانسان في الشيء الذي حصل له وعنده في الحال محال فوجب أن يكون ذلك الانعام الذي لاجله يصير محمودا انعاما سيصل منه بعد ذلك الى الناس وما ذلك الا شفاعته عند الله فدل هذا على ان لفظ الآية وهو قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على هذا المعنى وأيضا التنكير في قوله مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام حديبا عظيم كامل ومن العلوم ان حده الانسان على سعيه في التخليص عن العقاب أعظم من حده في السعي في زيادة من الثواب لاجابة به البها لان احتياج الانسان الى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل النافع الزائدة التي لاجابة به الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة ولما ثبت ان لفظ الآية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويما وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حمل اللفظ عليه وما يؤكده هذا الوجه الدعاء المشهور وروايته المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الاولون والآخرون واتفق الناس على ان المراد منه الشفاعة (والقول الثاني) قال حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ليك وسعديك وانشريك ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك و بك واليك لاهل الجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا هو المراد من قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وأقول القول الاول أولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على حده فيصير محمودا وأما ذكر هذا الدعاء فلا يفيد الا الثواب أما الحمد فلا فان قالوا لم لا يجوز أن يقال انه تعالى يحمده على هذا القول قلنا لان الحمد في اللغة مختص بالشاء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز (القول الثالث) المراد مقام محمد عاقبته وهذا أيضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه في القول الثاني (القول الرابع) قال الواحدى روى عن ابن مسعود انه

لا الايجادى لا اشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كافي الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه أي هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) لا يمكن تعلقه بأشكال ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصون بهذا الخطاب قال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير ما تسعه الطافة البشرية بل ما يبط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لانهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه أو بالنسبة الى

قال يقصد الله محمداً على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش ثم قال الواحدى وهذا قول رذل موحش فطبع ونص الكتاب ينادى بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه (الاول) ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت النازل والقاعد فابعث ويقال بعث الله الميت أى أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير للضد بالضد وهو فاسد (والثاني) انه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لاموضع القعود (والثالث) لو كان تعالى جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد عليه الصلاة والسلام لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث (والرابع) يقال ان جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثيرا عزاز لان هؤلاء الجهال والحمقى يقولون في كل أهل الجنة انهم يزورون الله تعالى وانهم يجلسون معه وانه تعالى يسألهم عن أحوالهم التي كانوا فيها في الدنيا واذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يكن لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بهما من يد شرف ورتبة (والخامس) انه اذا قيل السلطان بعث فلانا فهم منه انه أرسله الى قوم لا صلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول كلام رذل سقط لا يعيل اليه الا انسان قليل العقل عديم الدين والله أعلم ثم قال تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وفيه مباحث (البحث الاول) اما ذكرنا في تفسير قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض قولين أحدهما المراد منه سعى كفار مكة في اخراجه منها والثاني المراد منه ان اليهود قالوا له الاول لك ان تخرج من المدينة الى الشام ثم انه تعالى قال له أقم الصلاة واشغل بعبادة الله تعالى ولا تلتفت الى هؤلاء الجهال فانه تعالى ناصرهم ومعينك ثم عاد بعد هذا الكلام الى شرح تلك الواقعة فان فسرنا تلك الآية ان المراد منها أن كفار مكة أرادوا اخراجه من مكة كان معنى هذه الآية انه تعالى أمره بالهجرة الى المدينة وقاله وقل رب أدخلني مدخل صدق وهو المدينة وأخرجني مخرج صدق وهو مكة وهذا قول الحسن وقناة وان فسرنا تلك الآية بان المراد منها ان اليهود دخلوه على الخروح من المدينة والذهاب الى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثم أمره الله تعالى بان يرجع اليها كان المراد انه عليه الصلاة والسلام عند العود الى المدينة قال رب أدخلني مدخل صدق وهو المدينة وأخرجني مخرج صدق يعنى أخرجني منها الى مكة مخرج صدق أى اقتحمتها والقول الثاني في تفسير هذه الآية وهو أكمل مما سبق ان المراد وقل رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها هم الصدق والاخلاص وخصوص ذكرك والقيام بلوازم شكر (والقول الثاني) وهو أكمل مما سبق أن المراد وقل رب أدخلني في القيام بمهمات اداء دينك وشربك وأخرجني منها بعد الفراغ منها اخراجا لا يبقى على منها بعة وبقية (والقول الرابع) وهو أعلى مما سبق وقل رب أدخلني في بحار دلائل توحيدك وتزنيهم وقدسك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل

الانسان أو هو من الابداعات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من أصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مبادئه وما له انه من عالم الامر لان عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر أو من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما يمكن هذا القدر الاجالى المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا أى الاعلم قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل أكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من أحواله التي يدور عليها معرفة ذاته وأما جل ما ذكر على السؤال عن قدمه

وحدوثه وجعل الجواب  
 اخبارا بحدوثه أى كأن  
 يتكونه حادث باحداثه  
 بالامر التكويني فم عدم  
 ملاءمته لحال السائلين  
 لا يساعده التعرض  
 لبيان قلة عليهم فان  
 ما سألوا عنه بما يقى به  
 عليهم حيث قد أخبر  
 عنه وقيل المراد بالروح  
 خلق عظيم روحاني  
 أعظم من الملك وقيل  
 جبريل عليه السلام  
 وقيل القرآن ومعنى من أمر  
 ربي من وحيد وكلامه  
 لا من كلام البشر ( وأثن  
 شئنا لنذهب بالذي  
 أوحينا اليك ) من القرآن  
 الذي هو شفاء ورحمة  
 للمؤمنين ومنبع للعلوم  
 التي أوتيتوها وثبتناك  
 عليه حين كادوا  
 يفتنونك عنه وأولاه  
 لكدت تركزن اليهم  
 شيئا قليلا وانما صبر عنه  
 بالموصول تفخيما لشأنه  
 ووصفاله بما يقى حيز  
 الصلة ابتداء واعلاما  
 بحاله من أول الامر

في آثار حدوث المحدثات الى الاستفراق في معرفة الاحد الفرد المتزه عن التكثيرات  
 والتغيرات ( والقول الخامس ) أدخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك  
 والاستفراق بمعرفتك وأخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة  
 والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلا في كل دخول وخروج وحركة  
 وسكون ( والقول السادس ) أدخلني القبر مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق  
 ( البحث الثاني ) مدخل بضم الميم مصدر كالادخال يقال أدخلته مدخلا كما قال وقول رب  
 أنزني منزلا مباركا ومعنى اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحهما كأنه سأل الله  
 تعالى ادخلا حسنا واخر ارجا حسنا لا يرى فيهما ما يكره ثم قال تعالى واجعل لي من لدنك  
 سلطانا نصيرا أى حجة بينة ظاهرة تتصرنى بها على جميع من خالفني وبالجملة فقد سأل الله  
 تعالى ان يرزقه التقوية على من خالفه بالجملة والقهر والقدرة وقد أجاب الله تعالى دعاه  
 وأعلمه بأنه يعصمه من الناس فقال والله يعصمك من الناس وقال ألان حزب الله هم  
 الغالبون وقال ليظهره على الدين كله ولما سأل الله النصره بين الله انه أجاب دعاه فقال  
 وقل جاء الحق وهودينه وشرعه وزهق الباطل وهو كل ما سواه من الاديان والشرائع  
 وزهق بطل واضحل وأصله من زهقت نفسه زهق أى هلكت وعن ابن مسعود انه دخل  
 مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعن بها بعد في يده ويقول جاء الحق  
 وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب على وجهه وقوله ان الباطل كان زهوقا يعنى ان  
 الباطل وان انقضت له دولة وصوله الأنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه والله أعلم  
 \* قوله تعالى ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا  
 واذا أنعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسفا كل يعمل  
 على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ) اعلم انه تعالى لما طنب في شرح الالهيات  
 والنبوات والحشر والمعاد والبحث واثبات القضاء والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلاة ونبه  
 على ما فيها من الاسرار وانما ذكر كل ذلك في القرآن اتبعه ببيان كون القرآن شفاء  
 ورحمة فقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ولغظ من ههنا ليست للتبويض بل هي  
 للجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والمعنى ونزل من هذا الجنس الذي هو قرآن  
 ما هو شفاء فجميع القرآن شفاء للمؤمنين واعلم ان القرآن شفاء من الامراض الروحانية  
 وشفاء ايضا من الامراض الجسدية أما كونه شفاء من الامراض الروحانية فظاهر  
 وذلك لان الامراض الروحانية نوعان الاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة أما  
 الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد  
 والقضاء والقدر والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب وابطال  
 المذاهب الباطلة فيها ولما كان أقوى الامراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب  
 والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة

لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني وأما الاخلاق المذمومة  
فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعرف ما فيها من الفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة  
الكاملة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت ان  
القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية  
فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة  
وأصحاب الطلسمات بان قراءة الرقي المجهولة والعرايم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة  
في تحصيل المنافع ودفع المفاسد فلان تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر  
جلال الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول المنفع  
في الدين والدنيا كان أولى وبتأ كد ما ذكرنا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله تعالى وأما كونه رحمة للمؤمنين فاعلم انا بينا ان  
الارواح البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والاخلاق الفاسدة والقرآن قسمان  
بعضهما ما يفيد الخلاص عن شبهات الضالين وتمويهات المبطلين وهو الشفاء وبعضها  
ما يفيد تعليم كريمة اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان  
الى جوار رب العالمين والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو الرحمة ولما كان ازالة  
المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة لاجرم بدأ الله تعالى في هذه الآية  
بذكر الشفاء ثم أتبعه بذكر الرحمة واعلم انه تعالى لما بين كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين  
بين كونه سببا للخسار والضلال في حق الظالمين والمراد به المشركون وانما كان كذلك  
لان سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضا وحقا وحسدا وهذه الاخلاق الذميمة تدعوهم  
الى الاعمال الباطلة وتزيد في تقوية تلك الاخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم ثم لا يزال  
الخلق الخبيث النفساني يحمل على الاعمال الفاسدة والاتبان بتلك الاعمال يقوى تلك  
الاخلاق فبهذا الطريق يصبر القرآن سببا لتزايد هؤلاء المشركين الضالين في درجات  
الخرى والضلال والفساد والتكال ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء  
الجاهلين الضالين في اودية الضلال ومقامات الخرى والشكال وهو حب الدنيا والرغبة  
في المال والجاه واعتقادهم ان ذلك انما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال واذا أنعمنا  
على الانسان أعرض ونأى بجانبه وفيه مباحث الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما ان  
الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة وهذا بعيد بل المراد ان نوع الانسان من شأنه انه اذا  
فاز بمصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصار غافلا عن عبودية الله تعالى متمردا عن طاعة  
الله كما قال ان الانسان ليطنني أن رآه استغنى (البحث الثاني) قوله أعرض أي ولى ظهره  
أي عرضته الى ناحية ونأى بجانبه أي تباعد ومعنى التأى في اللغة البعد والاهراض عن  
الشيء أن يولى عرض وجهه والتأى بالجانب أي يولى عند عطفه ويولى ظهره وأراد  
الاستكبار لان ذلك عادة المتكبرين وفي قوله نأى قرأت احداها نأى وهي قراءة العامة

وبانه ليس من قبيل كلام  
المخلوق واللام موطئة  
للقسم ولتذهبن جوابه  
النائب مناسب جزاء  
الشرط وبذلك حسن  
حذف مفعول المشبهة  
والمراد من الذهاب به  
المحو من المصاحف  
والصدور وهو أبلغ  
من الاذهاب عن ابن  
مسعود رضي الله عنه  
ان أول ما تفقدون  
من دينكم الامانة واخر  
ما تفقدون الصلاة  
ويصلين قوم ولادين  
لهم وان هذا القرآن  
تصبرون يوما وما فيكم  
منه شيء فقال رجل كيف  
ذاك وقد أئبتاه  
في قلوبنا وأئبتاه  
في مصاحفنا فله انباءنا  
ويعلم ابناءونا ابناءهم  
فقال يسرى عليه ليل  
فيصبح الناس منه فقراء  
ترفع المصاحف ويزرع  
ما في القلوب (ثم لا تجد  
لك به) أي بالقرآن  
(علينا وكلا) من توكل  
علينا استرداده  
مسطورا محفوطا

(الارحة من ربك)  
 فانها ان نالتك لعلها  
 تسترده عليك ويجوز  
 ان يكون الاستثناء  
 منقطعاً بمعنى ولكن رحة  
 من ربك تركته غير  
 مذهب فيكون امتناناً  
 بابقائه بعد المنه بتزيله  
 و تزغيباً في المحافظة  
 على أداء حقوقه وتحذيراً  
 من أن لا يقدر قدره الجليل  
 ويفرط في القيام بشكره  
 وهو أجل النعم وأعظمها  
 ( ان فضله كان عليك  
 كبيراً ) كارسالك وانزال  
 الكتاب عليك وبقائه  
 في حفظك وغير ذلك  
 ( قل ) للذين لا يعرفون  
 جلاله قدر التنزيل ولا  
 يفهمون فخامة شأنه  
 الجليل بل يزعمون أنه من  
 كلام البشر ( لئن اجتمعت  
 الانس والجن ) أي  
 اتفقوا ( على أن أتوا  
 بمثل هذا القرآن ) النعوت  
 بما لا تدركه العقول من  
 النعوت الجليلة في البلاغة  
 وحسن النظم وكمال  
 المعنى وتخصيص  
 الثقلين بالذكر

بفتح النون والهمزة وفي حم السجدة مثله وهي اللغة الغالبة والنأي البعد يقال نأى أي أبعده  
 بعد وثابها قرأه ابن طمرناه وله وجهان تقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى  
 ويجوز أن يكون من نأى بمعنى نهض ( وثالثها ) قراءة حمزة والكسائي بإمالة الفتحين وذلك  
 لانهم أمالوا الهمزة من نأى ثم كسر وا النون اتباعاً للكسرة مثل رأى ( ورابعها ) قرأ  
 أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ونصير عن الكسائي وحمزة نأى بفتح النون وكسر الهمز  
 على الاصل في فتح النون وإمالة الهمزة ثم قال تعالى واذا مسه الشركان يوسأى اذا مسه  
 فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يوسأ شديد اليأس من رحمة الله ولا يئس من  
 روح الله الا القوم الكافرون والحاصل انه ان فاز بالنعمة والدولة اخترجها فئس ذكر  
 الله وان بقى في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الاسف والحزن ولم يفرغ لذكر الله تعالى  
 فهذا المسكين محروم أبداً عن ذكر الله ونظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه  
 فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنى الى قوله ربى أهاننى وكذلك قوله ان لانسان خلق  
 هلوفاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً ثم قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته  
 قال الزجاج الشاكلة الطريقة والمذهب والدليل عليه انه يقال هذا طر بقى ذو شواكل  
 أى ينشعب منه طرق كثيرة ثم الذى يقوى عندي ان المراد من الآية ذلك قوله تعالى  
 فربكم أعلمين هو أهدى سبيلاً وفيه وجه آخر وهو ان المراد ان كل أحد يعمل على وفق  
 ما شاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفساً مشرقة خيرة طاهرة علوية  
 صدرت عنه أفعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفساً كدرة مذلة خبيثة مضلة ظلمانية  
 صدرت عنه أفعال خسيسة فاسدة وأقول العقلاء اختلفوا في أن النفوس الساطقة  
 البشرية هل هي مختلفة بالمهابة أم لا منهم من قال انها مختلفة بالمهابة وان اختلف  
 أفعالها وأحوالها لاجل اختلف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية  
 في المهابة واختلف أفعالها لاجل اختلف أمرجتها والختار عندي هو القسم الاول  
 والقرآن مشعر بذلك وذلك لانه تعالى بين في الآية المتقدمة ان القرآن بالنسبة الى البعض  
 يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى أقوام آخر ينفيد الخسار والحزى ثم أتبعه بقوله  
 قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها  
 من القرآن آثار الذكاء والكمال وبتلك النفوس الكدرة أن يظهر فيها من القرآن آثار  
 الحزى والضلال كأن الشمس تعد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود  
 وجهه وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة  
 بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية  
 يظهر فيها من القرآن ضلال على ضلال ونكال على ضلال \* قوله تعالى (و يستلونك  
 عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أتيتم من العلم الا قليلاً) اعلم انه تعالى لما ختم  
 الآية المتقدمة بقوله قل كل يعمل على شاكلته وذكرنا ان المراد منه مشاكلة الارواح

للافعال الصادرة عنها ووجب البحث ههنا عن ماهية الروح وحقيقته فلذلك سألوها عن الروح وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) للفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أظهرها ان المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة روى ان اليهود قالوا لتريش أسألو محمدا عن ثلاث فان أخبركم باثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي أسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة فقال عليه السلام خدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي أربعين يوما ثم نزل الوحي بعده ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك خدا الا ان يشاء الله ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وأبهم قصة الروح ونزل فيه قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وبين ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه (أولها) ان الروح ليس أعظم شأننا ولا أعلى مكانا من الله تعالى فاذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأى مانع يمنع من معرفة الروح ( وثانيها ) ان اليهود قالوا ان أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا كلام بعيد عن العقل لان أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليست الاحكاية من الحكايات وذكر الحكايات يمنع ان يكون دليلا على النبوة وأيضاً فالحكاية التي يذكرها ما ان تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم بنبوته فان كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وان كان بعد العلم بنبوته فخبتند صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا فائدة في ذكر هذه الحكايات وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يعد جملة دليلا على صحة النبوة ( وثالثها ) ان مسئلة الروح يعرفها اصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى الله عليه وسلم اني لا أعرفها لا ورت ذلك ما يوجب التحقير والتفخير فان الجهل بمثل هذه المسئلة يفيد تحقير أى انسان كان فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء ( ورابعها ) أنه تعالى قال في حق الرحمن علم القرآن وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال وقل رب زدني علما وقال في صفة القرآن ولا تطب ولا يابس الا في كتاب مبين وكان عليه السلام يقول أرنا الاشياء كما هي فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول انما لأعرف هذه المسئلة مع انها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق بل المختار عندنا منهم سألوه عن الروح وانه صلى الله عليه وسلم أجاب عنه على أحسن الوجوه وتقريره ان المذكور في الآية أنهم سألوه عن الروح والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة ( أحدها ) أن يقال ماهية الروح أهو متخيز او حال في التخيز أو موجود غير متخيز ولا حال في التخيز ( وثالثها ) أن يقال الروح قديمة أو حادثة ( وثالثها ) أن يقال الارواح هل تبقى بعد موت الاجسام أو تنفنى ( ورابعها ) أن يقال ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة فللباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله يسألونك عن الروح

لان التكرار لكونه من عند الله تعالى فمنها لامن غيرهما لان غيرهما قادر على المعارضة ( لاياتون بمثله ) أو اثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن أن يتوهم أن له مثلا معينا وايدانا بأن المراد نفي الايمان بمثل ماى لاياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبي عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير \* وان أتاه خليل يوم مسئلة \* يقول لا غائب مالى ولا حرم \* وحيث كان المراد بالاجتماع على الايمان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد

ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها إلا أنه تعالى ذكره في الجواب عن هذا السؤال قوله قل الروح من أمر ربي وهذا الجواب لا يليق إلا بمسئلتين من المسائل التي ذكرناها أحدهما السؤال عن ماهية الروح والثانية عن قدمها وحدوثها (أما البحث الأول) فهم قالوا ما حقيقة الروح وماهيته أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبايع والاخلط أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتكوين أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الاجسام أو هو عبارة عن موجود يغير هذه الاجسام والاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الاجسام ولهذه الاعراض وذلك لان هذه الاجسام أشياء تحدث من امتزاج الاخلط والعناصر وأما الروح فانه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا يحدث قوله كن فيكون فقالوا لم كان شيئاً مغايراً لهذه الاجسام ولهذه الاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فان أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة فانا نعلم ان السكجيين له خاصية تقتضى قطع الصفراء فأما اذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذلك غير معلوم فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذلك ههنا وهذا هو المراد من قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلاً (وأما البحث الثاني) فهو ان لفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما أمر فرعون برشيد وقال فلما جاء أمرنا أي فعلنا فقوله قل الروح من أمر ربي وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه ان الروح قديمة أو حادثه فقال بل هي حادثه وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجادة ثم احتج على حدوث الروح بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلاً يعني أن الارواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف فهي لاتزال تكون في التغيير من حال الى حال وفي التبدل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من أمارات الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربي يدل على أنهم سألوه أن الروح هل هي حادثه فأجاب بانها حادثه واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المراد من قوله قل الروح من أمر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد من قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلاً فهذا ما نقوله في هذا الباب والله أعلم (المسئلة الثانية) في ذكر سائر الاقوال المقولة في نفس الروح المذكورة في هذه الآية اعلم أن الناس ذكروا أقوالاً أخرى سوى ما تقدم ذكره (فالقول الاول) ان المراد من هذا الروح هو القرآن قالوا ذلك لان الله تعالى سمي القرآن في كثير من الآيات روحاً واللائق بالروح المسؤل عنه في هذا الموضع ليس الا القرآن فلا بد من تقرير مقامين (المقام الاول) تسمية الله القرآن بالروح يدل عليه قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره وأيضاً السبب في تسمية القرآن بالروح أن القرآن

منهم على الانفراد أو من المجموع بأن يتألبوا على تليفق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضداً لا نظار قبل (واو كان بعضهم لبعض ظهيراً) أي في تحقيق ما يتوخونه من الايمان مثله وهو عطف على مقدر أي لا يأتون بمثله اولم يكن بعضهم ظهير البعض ولو كان الخ وقد حذف الموطوف عليه حذفاً مطرداً للدلالة الموطوف عليه دلالة واضحة فان الايمان بمثله حيث اتنى عند التظاهر فلان ينتفى عند عدمه أولى وعلى هذه الكمة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيدي كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه أي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المتأففة اهدم

تحصل حياة الارواح والنفوس لان به تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة  
 كتبه ورسله والارواح انما تحيا بهذه المعارف وتتمام تقرير هذا الموضوع ذكرناه في تفسير  
 قوله ينزل الملائكة بالروح من امره (وأما بيان المقام الثاني) وهوان الروح اللائق بهذا  
 الموضوع هو القرآن لانه تقدمه قوله وينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين والذي  
 تأخر عنه قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الى قوله قل لئن اجتمعت الانس  
 والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان  
 ما قبل هذه الآية في وصف القرآن وما بعد ها كذلك وجب أيضا أن يكون المراد من هذا  
 الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسفة وذلك لان القوم  
 استعظموا أمر القرآن فسألوا انه من جنس الشعر أو من جنس السكبانة فأجابهم الله  
 تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحية وتنزيله فقال  
 قل الروح من أمر ربي اي القرآن انما ظهر بأمر ربي وليس من جنس كلام البشر  
 (القول الثاني) ان الروح المسؤل عنه في هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو  
 أعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ونفوا عن  
 على بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال هو ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون  
 ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من  
 كل تسبيحة ملكا يطيرم الملائكة الى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله تعالى خلقا أعظم  
 من الروح غير العرش ولو شاء أن يتلغ السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن  
 بلقمة واحدة لفعل ولقائل أن يقول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) أن  
 هذا التفصيل للمعرفة على فالتى أول أن يكون قد عرفه فلم يخبرهم به وأيضا ان عليا  
 ما كان ينزل عليه الوحي فهذا التفصيل ما عرفه الامن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر  
 النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الشرح والبيان لعلي ولم يذكره غيره (الثاني) أن ذلك الملك  
 ان كان حيوانا واحدا وعاقلا واحدالم يكن في تكثير تلك اللغات فائدة وان كان المتكلم  
 بكل واحدة من تلك اللغات حيوانا آخر لم يكن ذلك ملكا واحدا بل يكون ذلك مجموع  
 ملائكة (والثالث) ان هذا شئ مجهول الوجود فكيف يسئل عنه أما الروح الذي هو  
 سبب الحياة فهو شئ تتوفر دواعي العقلاء على معرفته فصرف هذا السؤال اليه أولى  
 (والقول الثالث) وهو قول الحسن وقتادة ان هذا الروح جبريل والدليل عليه انه تعالى  
 سمى جبريل بالروح في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله فأرسلنا اليها روحنا  
 وبو كدهذا انه تعالى قال قل الروح من أمر ربي وقال جبريل وماتتزل الابامر ربك  
 فسألوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي اليه (والقول الرابع)  
 قال مجاهد الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورة نبي آدم ياكلون ولهم أيدي وأرجل  
 وروس وقال أبو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس ولم أجد في القرآن ولا في الاخبار

الايان به فضلا عن غير  
 ها وفيه حسم لاطماعهم  
 الفارغة في روم تبديل  
 بعض آياته ببعض ولا مساغ  
 لكون الآية تقرير الما  
 قبلها من قوله تعالى ثم  
 لا تجد لك به علينا وكلا  
 كاقيل لكن لا لما قيل من  
 أن الايان بمثله أصعب  
 من استرداد عينه ونفي  
 الشئ انما يقرره نفي مادونه  
 لانني ما فوقه فان أصعبية  
 الاسترداد بغير أمره تعالى  
 من الايان بمثله مما لا شبهة  
 فيه بل لان الجملة القسمية  
 ليست مسوقة الى النبي  
 صلى الله عليه وسلم بل  
 الى المكابرين من قبله  
 عليه السلام (ولقد  
 صرفنا) كرنا ورددنا  
 على أنحاء مختلفة توجب  
 زيادة تقريره وبيان وكادة  
 رسوخه واطمئنان للناس  
 في هذا القرآن المنعوت  
 بما ذكر من التعوت  
 الفاضلة (من كل مثل)



من كل معنى بديع هو  
 في الحسن والقرابة  
 واستجلاب النفس كالمثل  
 ليتلقوه بالقبول ( فابي  
 أكثر الناس ) أو ثرا الاظهار  
 على الاضمار تأكيذا  
 وتوضيحا ( الاكفورا )  
 اى الاجودا وانما صح  
 الاستثناء من الموجب  
 مع أنه لا يصح ضربت  
 الازيد الا انه متاول بالنفي  
 كأنه قيل ما قبل أكثرهم  
 الا كفورا وفيه من  
 البالغة ما ليس في أبوا  
 الايمان لان فيه دلالة على  
 أنهم لم يرضوا بخصلة  
 سوى الكفور من الايمان  
 والاستوقف في الامر  
 ونحو ذلك وأنهم بالغوا  
 في عدم الرضا حتى بلغوا  
 مرتبة الاباء ( وقالوا )  
 عند ظهور عجزهم  
 ووضوح مغلو يدتهم  
 بالاعجاز التزبيلي وغيره  
 من المعجزات الباهرة  
 متعطلين بما لا يمكن في  
 العادة وجوده

الصحيحة شيئا يمكن التمسك به في اثبات هذا القول وأيضا فهذه اشيء مجهول فيبدا صرف  
 هذا السؤال اليه لمخاض ما ذكرناه في تفسير الروح المذكورة في هذه الآية هذه الاقوال  
 الخمسة والله اعلم بالصواب ( المسئلة الثالثة ) في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان  
 اعلم أن العلم الضرورى حاصل بأن ههنا شيئا اليه يشير الانسان بقوله انا واذا قال  
 الانسان علمت وفهمت وأبصرت وسمعت وذقت وشممت ولمست وغضبت فالمشار اليه  
 لكل أحد بقوله انا اما أن يكون جسما أو عرضا أو مجموع الجسم والعرض أو شيئا مغايرا  
 للجسم والعرض أو ما تتركب من الجسم والعرض أو من ذلك الشئ الثالث فهذا ضبط  
 مقول ( أما القسم الاول ) وهو أن يقال ان الانسان جسم فذلك الجسم اما أن يكون هو  
 هذه البنية أو جسما داخلا في هذه البنية أو جسما خارجا عنها أما القائلون بأن الانسان  
 عبارة عن هذه البنية المحسوسة وعن هذا الجسم المحسوس فهم جمهور المتكلمين وهؤلاء  
 يقولون الانسان لا يحتاج تعريفه الى ذكر حد أو رسم بل الواجب أن يقال الانسان هو  
 الجسم المبني بهذه البنية المحسوسة واعلم أن هذا القول عندنا باطل وتقريره انهم قالوا  
 الانسان هو هذا الجسم المحسوس فاذا أبطلنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم  
 وأبطلنا كون الانسان محسوسا فقد بطل كلامهم بالكلية والذى يدل على انه لا يمكن أن  
 يكون الانسان عبارة عن هذا الجسم وجوه ( اللمحة الاولى ) ان العلم الالهى حاصل بأن  
 أجزاء هذه الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان تارة بحسب النمو والذبول وتارة بحسب السمن  
 والهزال والعلم الضرورى حاصل بأن المتبدل المتغير مغاير للثابت الباقي ويحصل من  
 مجموع هذه المقدمات الثلاثة العلم القطعى بأن الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة  
 ( اللمحة الثانية ) ان الانسان حال ما يكون مشغول الفكر متوجه الهمة نحو امر معين  
 مخصوص فانه في تلك الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه وعن أعضائه وابعاضه  
 مجموعها ومفصلها وهو في تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعينة بدليل انه في تلك الحالة  
 قد يكون غضبت واشتهيت وسمعت كلامك وأبصرت وجهك وتاء الضمير كناية عن نفسه  
 فهو في تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة وغافل عن جلة بدنه وعن كل واحد من أعضائه  
 وابعاضه والمعلوم غير ما هو غير معلوم فالانسان يجب أن يكون مغايرا للجملة هذا البدن  
 ولكل واحد من أعضائه وابعاضه ( اللمحة الثالثة ) ان كل أحد يحكم عقله باضافه كل  
 واحد من هذه الاعضاء الى نفسه فيقول رأسى وهنئى ويدي ورجلى ولسانئى وقلبي  
 والمضاف غير المضاف اليه فوجب أن يكون الشئ الذى هو الانسان مغايرا للجملة هذا  
 البدن ولكل واحد من هذه الاعضاء فان قالوا قد يقول نفسى وذاتى فيضيف النفس  
 والذات الى نفسه فيلزم أن يكون الشئ ذاته مغايرة لنفسه وهو محال فلنا تقدير اذ به هذا  
 البدن المخصوص وقدير اذ بنفس الشئ ذاته الحقيقة المخصوصة التى يشير اليها كل أحد  
 بقوله انا فاذا قال نفسى وذاتى فان كان المراد البدن فندنا أنه مغاير لجوهر الانسان

أما إذا أريد بالنفس والذات الحقيقة المخصوصة المشار إليها بقوله أنا فلا نسلم أن الإنسان يمكنه أن يضيف ذلك الشيء إلى نفسه بقوله إنساني وذلك لأنه عين ذاته فكيف يضيفه مرة أخرى إلى ذاته (الجملة الرابعة) أن كل دليل يدل على أن الإنسان يتمتع أن يكون جسما فهو أيضا يدل على أنه يتمتع أن يكون عبارة عن هذا الجسم وسيأتي تفريغ تلك الدلائل (الجملة الخامسة) أن الإنسان قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون الإنسان مغاير لهذا البدن والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فهذا النص صريح في أن أولئك المقتولين أحياء والحس يدل على أن هذا الجسد ميت (الجملة السادسة) أن قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله أغرقوا فأدخلوا نارا يدل على أن الإنسان يمينا بعد الموت وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته كل هذه النصوص تدل على أن الإنسان يبقى بعد موت الجسد وبدية العقل والفطرة شاهدان بأن هذا الجسد ميت ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع الجمادات وذلك عين السفسطة وإذا ثبت أن الإنسان حي وكان الجسد ميتا لزم أن الإنسان شيء غير هذا الجسد (الجملة السابعة) قوله عليه السلام في خطبة طويلة له حتى إذا حمل الميت على نعشه رفر فروحه فوق النعش ويقول يا أهلي ويأولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وغير حله فالتفتي أغبري والتبعت علي فاحذروا مثل ما حل بي وجه الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بأن حال ما يكون الجسد محمولا على النعش بقى هناك شيء يتأدى ويقول يا أهلي ويأولدي جمعت المال من حله وغير حله ومعلوم أن الذي كان الأهل أهلاله وكان جامعا للمال من الحرام والحلال والذي بقى في رقبته الوبال ليس إلا ذلك الإنسان فهذا تصريح بأن في الوقت الذي كان الجسد ميتا محمولا كان ذلك الإنسان حيا باقيا فاهما وذلك تصريح بأن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد ولهذا الهيكل (الجملة الثامنة) قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والخطاب بقوله ارجعي إنما هو متوجه عليها حال الموت فدل هذا على أن الشيء الذي يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون حيا راضيا عن الله ويكون راضيا عنه الله والذي يكون راضيا ليس إلا الإنسان فهذا يدل على أن الإنسان بقى حيا بعد موت الجسد والحي غير الميت فالإنسان مغاير لهذا الجسد (الجملة التاسعة) قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولى هم الحق أثبت كونهم مردودين إلى الله الذي هو مولاهم حال كون الجسد ميتا فوجب أن يكون ذلك المردود إلى الله مغاير لذلك الجسد الميت (الجملة العاشرة) نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع

ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الأمور كما هو دين المبهوت الممجوج (لن يؤمن لك حتى تفجر) وقرى بالتشديد (لنؤمن) (الارض) أرض مكة (ينبوعا) عين لا ينضب ماؤها يفعل من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر (أو تكون لك الجنة) أي بستان تستر أشجاره ما تحتها من العرصة (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار) أي تجريها بقوة (خلالها تفجيرا) كثيرا والمراد أجراء الأنهار لخلالها عند سدسها أو أدامة أجراءها كما ينبغي عنه الفاء لا ابتداء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرى بالسكون كسدره وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على أنه صفة مصدر

أر باب الملل والأهل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير وينهبون إلى زيارتهم ولو لا أنهم بعد موت الجسد بقوا أحياء لكان التصديق عنهم عبثاً والدعاء لهم عبثاً ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً فالطباقي على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شيء غير هذا الجسد وأن ذلك الشيء لا يموت بل يموت هذا الجسد (الجزء الحادية عشرة) أن كثيراً من الناس يرى أباه أو أبنته بعد موته في المنام ويقول له اذهب إلى الموضع الفلاني فإن فيه ذهباً دفنته لك وقد يراه فيؤصيه بقضاء دين عنه ثم عند اليقظة إذا فتنس كأن كآراه في النوم من غير تفاوت وإلا أن الإنسان يبقى بعد الموت لما كان كذلك ولما دل هذا الدليل على أن الإنسان يبقى بعد الموت ودل الحس على أن الجسد ميت كان الإنسان مفياً لهذا الجسد الميت (الجزء الثانية عشرة) أن الإنسان إذا ضاع عضو من أعضائه مثل أن تقطع يده أو رجلاه أو تقطع عيناه أو تقطع أذناه إلى غيرها من الأعضاء فإن ذلك الإنسان يجد من قلبه وعقله أنه هو عين ذلك الإنسان ولم يقع في عين ذلك الإنسان تفاوت حتى أنه يقول أنا ذلك الإنسان الذي كنت موجوداً قبل ذلك إلا أنه يقول أنهم قطعوا يدي ورجلي وذلك برهان يقيني على أن ذلك الإنسان شيء مفياً لهذه الأعضاء والأعضاء وذلك يبطل قول من يقول الإنسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة (الجزء الثالثة عشرة) أن القرآن والأحاديث يدلان على أن جماعة من اليهود قد منحنهم الله وجعلهم في صورة القرود والخنازير فنقول ذلك الإنسان هل بقي حال ذلك المسخ أم لم يبق فإن لم يبق كان هذا أمانة لذلك الإنسان وخلقاً لذلك الخنزير وليس هذا من المسخ في شيء وإن قلنا أن ذلك الإنسان بقي حال حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير ذلك الإنسان باق وتلك البنية وذلك الهيكل غير باق فوجب أن يكون ذلك الإنسان شيئاً مفياً لتلك البنية (الجزء الرابعة عشرة) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي وكان يرى إبليس في صورة الشيخ الجدي فهنا بنية الإنسان وهيكله وشكله حاصل مع أن حقيقة الإنسان غير حاصله وهذا يدل على أن الإنسان ليس عبارة عن هذه البنية وهذا الهيكل والفرق بين هذه الجزمة والتي قبلها أنه حصلت صورة هذه البنية مع عدم هذه البنية وهذا الهيكل (الجزء الخامسة عشرة) أن الزاني يزني بفرجه فيضرب على ظهره فوجب أن يكون الإنسان شيئاً آخر سوى الفرج وسوى الظهر ويقال إن ذلك الشيء يستعمل الفرج في عمل والظهر في عمل آخر فيكون المتلذذ والمتألم هو ذلك الشيء إلا أنه تحصل تلك اللذة بواسطة ذلك العضو ويتألم بواسطة الضرب على هذا العضو (الجزء السادسة عشرة) أني إذا تكلمت مع زيد وقلت له افعل كذا أو لا تفعل كذا فالتخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهي ليس هو جهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فمه

مخدوف أي اسقاطاً مما تلا  
 لما زعمت يعنون بذلك  
 قوله تعالى أو تسقط  
 عليهم كسفان السماء  
 (أو تأتي بألفه والملائكة  
 قبيلاً) أي مقابلاً كالعشير  
 والمعاشرة أو كقبيلاً يشهد  
 بصحة ما تدعيه وهو حال  
 من الجلالة وحال الملائكة  
 مخدوفة لدلائلها عليها  
 أي والملائكة قبلاً كما  
 حذف الخبر في قوله  
 \*فاني وقيار بها لغير  
 أوجاعة فيكون حالاً  
 من الملائكة (أو يكون  
 لك بيت من زخرف)  
 من ذهب وقد قرئ به  
 وأصله الزينة (أو ترقى  
 في السماء) أي في معارجها  
 فحذف المضاف يقال  
 رقى في السلم وفي الدرجة  
 (ولن نؤمن لربك)  
 أي لاجل ربيك فيها  
 وحده أولن نصدق  
 ربيك فيها (حتى تنزل)  
 منها (هلينا كتاباً) فيه  
 تصديقك (نقروء)  
 نحن

ولا يشتمن أعضائه بعينه فوجب أن يكون للأموور والمنهى والمخاطب شيئا مغايرا لهذه  
 الاعضائه وذلك يدل على ان ذلك الامور والمنهى غير هذا الجسد فان قالوا لم لا يجوز أن  
 يقال الامور والمنهى جلة هذا البدن لاشي من أعضائه وابعاضه قلنا توجه التكليف على  
 الجلة اعماصح لو كانت الجلة فاهمة عالة فتقول لو كانت الجلة فاهمة طلبة فاما أن  
 يقوم بمجموع البدن علم واحد أو يقوم بكل واحد من أجزاء البدن علم على حدة والاول  
 يقتضى قيام المرض بالحال الكثيرة وهو محال والشانى يقتضى أن يكون كل واحد من  
 أجزاء البدن طالما فاهما مدر كاعلى سبيل الاستقلال وقد بينا ان العلم الضرورى حاصل  
 بأن الجزء المعين من البدن ليس طالما فاهما مدركا بالاستقلال فسقط هذا السؤال ( الجلة  
 السابعة عشرة ) ان الانسان يجب أن يكون طالما والعلم لا يحصل الا فى القلب فيلزم أن  
 يكون الانسان عبارة عن الشئ الموجود فى القلب واذ ثبت هذا بطل القول بأن الانسان  
 عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجلة انما قلنا ان الانسان يجب أن يكون طالما لانه فاعل  
 مختار والفاعل المختار هو الذى يفعل بواسطة القلب والاختيار وهما مشروطان بالعلم  
 لان ما لا يكون مقصودا امتنع التصد الى تكوينه ثبت ان الانسان يجب أن يكون طالما  
 بالاشياء وانما قلنا ان العلم لا يوجد الا فى القلب للبرهان والقرآن أما البرهان فلانا نجد  
 العلم الضرورى بأشياء معلومنا من ناحية القلب وأما القرآن فأيات نحو قوله تعالى لهم  
 قلوب لا يفقهون بها وقوله كتب فى قلوبهم الايمان وقوله نزل به الروح الامين على قلبك  
 واذ ثبت ان الانسان يجب أن يكون طالما وثبت ان العلم ليس الا فى القلب ثبت ان  
 الانسان شئ فى القلب أو شئ له تعلق بالقلب وعلى التقديرين فانه يبطل قول من يقول  
 الانسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل وأما البحث الثانى وهو بيان ان الانسان غير  
 محسوس وهوان حقيقة الانسان شئ مغاير للسطح واللون وكل ما هو مرئى فهو اما السطح  
 واما اللون وهما مقدمتان قطعيتان وينتج هذا القياس ان حقيقة الانسان غير مرئية  
 ولا محسوسة وهذا برهان يقينى (المسئلة الرابعة) فى شرح مذاهب القائلين بأن الانسان  
 جسم موجود فى داخل البدن اعلم أن الاجسام الموجودة فى هذا العالم السفلى اما أن  
 تكون أحد العناصر الاربعة أو ما يكون متولدا من امتزاجها ويمتنع أن يحصل فى البدن  
 الانسانى جسم عنصرى خالص بل لا بد وأن يكون الحاصل جسما متولدا من امتزاجات  
 هذه الاربعة فنقول أما الجسم الذى تغلب عليه الارضية فهو الاعضاء الصلبة الكثيفة  
 كالعظم والفضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولم يقل أحد من  
 العقلاء الذين قالوا الانسان شئ مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معين من هذه  
 الاعضاء وذلك لان هذه الاعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية فلا جرم لم يقل أحد من العقلاء بان  
 الانسان عبارة عن احد هذه الاعضاء وأما الجسم الذى تغلب عليه المائية فهو الاخلاط  
 الاربعة ولم يقل أحد فى شئ منها انه الانسان الا فى الدم فان منهم من قال انه هو الروح

من غير أن يتلقى من قبلك  
 عن ابن عباس رضى الله  
 عنهما قل عبادة ابن  
 أبى أمية ان تؤمن لك  
 حتى تغدالى السماء سلا  
 ثم ترفى فيه وأنا أنظر  
 حتى تأبها وتأتى منك  
 بصك منشور مع أربعة  
 من الملائكة يشهدون  
 أنك كما تقول وما كانوا  
 يقصدون بهاتيك  
 الاقتراحات الباطلة الا  
 العناصر والمجاوول وأنهم  
 أولوا أضاف ما اقترحوا  
 من الآيات ما زادهم  
 ذلك الامكارة والافتد  
 كان يكفهم بعض ما  
 شاهدوا من المعجزات  
 التى تخربها صم الجبال  
 (قل) تهبان شدة  
 شكيتهم وتنزيها الساحة  
 السهات عما لا يكاد  
 يليق بها من مثل هذه  
 الاقتراحات الشنيعة  
 التى تكاد السموات  
 يخرطن منها أو عن  
 طلبك ذلك وتنبهها  
 على بطلان

دليل انه اذا خرج لزم الموت أما الجسم الذي تطلب عليه الهوائية والنارية فهو الارواح  
 وهي نوطان (أحدهما) أجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة اما في القلب  
 أو في الدماغ وقالوا انها هي الروح وانها هي الانسان ثم اختلفوا فتنهم من يقول الانسان  
 هو الروح الذي في القلب ومنهم من يقول انه جزء لا يتجزأ في الدماغ ومنهم من يقول  
 الروح عبارة عن أجزاء نارية مختلطة بهذه الارواح القلبية والدماغية وتلك الاجزاء  
 النارية وهي السماة بالحرارة الغريزية هي الانسان ومن الناس من يقول الروح عبارة  
 عن اجسام نورانية سماوية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس وهي لا تقبل التحلل  
 والتبدل ولا التفرق ولا التزقي فاذا تكون البدن وتم استعداده وهو المراد بقوله  
 فاذا سوته نفذت تلك الاجسام الشريفة السماوية الالهية في داخل أعضاء البدن  
 نفاذ النار في الفحم ونفاذ دهن السمسم في السمسم ونفاذ ماء الورد في جسم الورد ونفاذ  
 تلك الاجسام السماوية في جوهر البدن هو المراد بقوله وثقت فيه من روي ثم ان  
 البدن مادام يبقى سليما قابلا لنفاذ تلك الاجسام الشريفة تبقى حيا فاذا تولدت في البدن  
 أخلاط غليظة منعت تلك الاخلاط الغليظة من سريان تلك الاجسام الشريفة فيها  
 فانفصلت عن هذا البدن فحينئذ يمرض الموت فهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل  
 فيه فانه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت فهذا تفصيل  
 مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود في داخل البدن وأما أن الانسان جسم  
 موجود خارج البدن فلا أعرف أحدا ذهب الى هذا القول (أما القسم الثاني) وهو أن  
 يقال الانسان عرض حال في البدن فهذا لا يقول به عاقل لان من المعلوم بالضرورة ان  
 الانسان جوهر لانه موصوف بالعلم والقدرة والتدبير والتصرف ومن كان كذلك كان  
 جوهر او الجوهر لا يكون عرضا بل الذي يمكن أن يقول به كل عاقل هو ان الانسان بشرط  
 أن يكون موصوفا بأعراض مخصوصة وعلى هذا التقدير فلناس فيه أقوال (القول  
 الاول) ان العناصر الاربع اذا امتزجت وانكسرت سورة كل واحد منها بسورة  
 الآخر حصلت كيفية معتدلة هي المزاج ومراتب هذا المزاج غير متناهية فبعضها هي  
 الانسانية وبعضها هي الفرسية فالانسانية عبارة عن اجسام موصوفة متولدة عن  
 امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص هذا قول جمهور الاطباء ومنكري بقائه  
 للنفس وقول أبي الحسين البصري من المعتزلة (والقول الثاني) ان الانسان عبارة عن  
 اجسام مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة والحياة عرض قائم  
 بالجسم وهو لاه أنكروا الروح والنفس وقالوا ليس ههنا الاجسام مؤتلفة موصوفة  
 بهذه الاعراض المخصوصة وهي الحياة والعلم والقدرة وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة  
 (والقول الثالث) أن الانسان عبارة عن اجسام موصوفة بالحياة والعلم والقدرة  
 والانسان انما يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه وأجزائه الا أن

ما قالوه (سبحان ربي)  
 وقرى قال سبحان ربي  
 (هل كنت الا بشرا)  
 لا ملكا حتى يتصور  
 مني الرقي في السماء ونحوه  
 (رسولا) مأمورا من  
 قبل ربي بنبلغ الرسالة  
 من غير أن يكون له حيرة  
 في الامر كسائر الرسل  
 وكانوا لا يأتون قومهم  
 الا بما يظهره الله على  
 أيديهم حسبما يلائم حال  
 قومهم ولم يكن امر  
 الآيات اليهم والالهم  
 أن يتحكموا على الله  
 سبحانه بشيء منها  
 وقوله بشرا خبر لكانت  
 ورسولا صفة (وما منع  
 الناس) أي الذين  
 حكيت ابا بلهم (أن  
 يؤمنوا) مفعول ثان لنم  
 وقوله (اذ جاءهم الهدى)  
 أي الوحي ظرف لمنع  
 أو يؤمنوا أي وما منعهم  
 وقت مجي الوحي المقرون

هذا مشكل فان الملائكة قد ينشبهون بصور الناس فهنا صورة الانسان حاصلة مع عدم الانسانية وفي صورة المسخ معنى الانسانية حاصل مما ان هذه الصورة غير حاصلة قد بطل اعتبار هذا الشكل في حصول معنى الانسانية طردا وعكسا ( اما القسم الثالث ) وهو ان يقال الانسان موجود ليس بجسم ولا جسمانية فهو قول أكثر الالهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المثبتين للنفس معادا روحانيا وروبا وحقا با وحسابا روحانيا وذهب اليه جماعة عظيمة من علماء المسلمين مثل الشيخ أبي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي رحمه الله ومن قدماء المعتزلة عمر بن عباد السلي ومن الشيعة الملقب عندهم بالشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة واعلم ان القائلين بآبات النفس فريقان ( الاول ) وهم المحققون منهم من قال الانسان عبارة عن هذا الجواهر المخصوص وهذا البدن وعلى هذا التقدير فالانسان غير موجود في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان اله العالم لاتعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ( والفرق الثاني ) الذين قالوا النفس اذا تعلقت بالبدن اتحدت بالبدن فصارت النفس عين البدن والبدن عين النفس ومجموعهما عند الاتحاد هو الانسان فاذا جاء وقت الموت بطل هذا الاتحاد وبقيت النفس وفسد البدن فهذه جملة مذاهب الناس في الانسان وكان ثابت بن قرة يثبت النفس ويقول انها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للكون والفساد والتفرق والتزريق وان تلك الاجسام تكون سارية في البدن وما دام يبقى ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن فاذا انفصلت تلك الاجسام اللطيفة عن جواهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن ( المسئلة الخامسة ) في دلائل مثبتة النفس من ناحية العقل احتج القوم بوجوده كثيرة بعضها قوى وبعضها ضعيف والوجوه القوية بعضها قطعية وبعضها افتراضية فلنذكر الوجوه القطعية ( الحجة الاولى ) لاشك ان الانسان جوهر فاما ان يكون جوهر امتحيرا او غير متحيز والاول باطل فتعين الثاني والذي يدل على انه يتمتع ان يكون جوهر امتحيرا انه لو كان كذلك لكان كونه متحيزا غير تلك الذات ولو كان كذلك لكان كل ما علم الانسان ذاته المخصوصة وجب ان يعلم كونه متحيزا بمقدار مخصوص وليس الامر كذلك فوجب ان لا يكون الانسان جوهر امتحيرا افتقر في تقرير هذا الدليل الى مقدمات ثلاثة ( المقدمة الاولى ) لو كان الانسان جوهر امتحير الكان كونه متحيزا عين ذاته المخصوصة والدليل عليه انه لو كان متحيزا بصفة قائمة لكان ذلك المحل من حيث هو مع قطع النظر عن هذه الصفة اما ان يكون متحيزا اوليا يكون والقسمان باطلان فبطل القول بكون التحيز صفة قائمة بالمحل انما قلنا انه يتمتع ان يكون محل التحيز لانه يلزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولانه يلزم اجتماع المثليين ولانه ليس جعل أحدهما ذاتا والآخر صفة أول من

بالعجزات المستدعية  
للايمان أن يؤمنوا بالقران  
و بنبوتك أو ما منعهم أن  
يؤمنوا بذلك وقت محي  
ما ذكر ( الآن قالوا )  
في محل الرفع على أنه  
فاعل منع أي الاقولهم  
( أبعث الله بشرار رسولا )  
منكرين أن يكون  
رسول الله تعالى من  
جنس البشر وليس  
المراد أن هذا القول  
صدر عن بعضهم فمع  
بعض آخر منهم بل  
المانع هو الاعتقاد الشامل  
للكل المستتب لهذا  
القول منهم وانما عبر  
عنه بالقول ايذانا بأنه  
مجرد قول يقولونه  
يا أفوا هم من غير أن  
يكون له مفهوم  
ومصداق وحصر

العكس ولأن التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل وهو محال وانما قلنا انه يمتنع أن يكون محل التحيز غير متحيز لان حقيقة التحيز هو الذهاب في الجهات والابتداء فيها والشئ الذي لا يكون متحيزا لم يكن له اختصاص بالجهات وحصوله فيها ليس بمتحيز محال فثبت بهذا أنه لو كان الانسان جوهر متحيزا لكان تحيزه غير ذاته المخصوصة (المقدمة الثانية) لو كان تحيز ذاته المخصوصة عين ذاته المخصوصة لكان متى عرف ذاته المخصوصة فقد عرف كونها متحيزة والدليل عليه أنه لو صارت ذاته المخصوصة معلومة وصارت تحيزه مجهولا لزم اجتماع النفي والاثبات في الشئ الواحد وهو محال (المقدمة الثالثة) اننا قد نعرف ذاتنا حال كوننا جاهلين بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاثة وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان فان الانسان حال كونه مشتغلا بشئ من المهمات مثل أن يقول لبعده لم فعلت كذا ولم خالفت أمرى وانى أبلغ في تأديبك وضر بك فعند ما يقول لم خالفت أمرى يكون طالبا بذاته المخصوصة اذ لو لم يعلم ذاته المخصوصة لامتنع أن يعلم ان ذلك الانسان خالفه ولا يمتنع أن يخبر عن نفسه بانه على عزم ان يؤدبه ويضرب به ففي هذه الحالة يعلم ذاته المخصوصة مع انه في تلك الحالة لا يخطر بباله حقيقة التحيز والامتداد في الجهات والحصول في الحيز فثبت بما ذكرنا أنه لو كان ذات الانسان جوهر متحيزا لكان تحيزه عين ذاته المخصوصة ولو كان كذلك لكان كل ما علم ذاته المخصوصة فقد علم التحيز وثبت أنه ليس كذلك فيلزم أن يقال ذات الانسان ليس جوهر متحيزا وذلك هو المطلوب فان قالوا هذا معارض بانه لو كان ذات الانسان جوهر مجردا لكان كل من عرف ذات نفسه عرف كونه جوهر مجردا وليس الامر كذلك قلنا الفرق ظاهر لان كونه مجردا معناه أنه ليس بمتحيز ولا محل في التحيز وهذا السلب ليس عين تلك الذات المخصوصة لان السلب ليس عين الثبوت واذا كان كذلك لم يبعد أن تكون تلك الذات المخصوصة معلومة وان لا يكون ذلك السلب معلوما بخلاف كونه متحيزا فاننا قد دللنا على أن تقدير كون الانسان جوهر متحيزا يكون تحيزه عين ذاته المخصوصة وعلى هذا التقدير يمتنع أن تكون ذاته معلومة ويكون تحيزه مجهولا فظهر الفرق (الحجة الثانية) النفس واحدة ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مفارقة لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه فهذه الحجة مبنية على مقدمات (المقدمة الاولى) هي قولنا النفس واحدة وانما ههنا مقامان تارة ندعى العلم البديهي فيه وأخرى نقيم البرهان على صحته (أما المقام الاول) وهو ادعاء البديهي فنقول المراد من النفس هو الشئ الذي يشير اليه كل أحد بقوله انا وكل أحد يعلم بالضرورة أنه اذا أشار الى ذاته المخصوصة بقوله انا كان ذلك المشار اليه واحدا غير متعدد فان قيل لم لا يجوز أن يكون المشار اليه لكل أحد بقوله انا وان كان واحدا إلا أن ذلك الواحد يكون مر كبا من أشياء كثيرة قلنا انه لا حاجة لنا في هذا المقام الى دفع هذا السؤال بل نقول المشار اليه بقول انا معلوم بالضرورة أنه شئ

المانع من الايمان فيما ذكر  
مع أن لهم موانع شتى لما  
انه معظمها ولا انه هو  
المانع بحسب الحال أعنى  
عند سماع الجواب بقوله  
تعالى هل كنت الا بشرا  
رسولا اذ هو والذي يتشبهون  
به حينئذ من غير أن يخطر  
ببالهم شبهة أخرى من  
شبههم الواهية وفيه  
ايدان بكمال عنادهم  
حيث يشير الى أن الجواب  
المذكور مع كونه حاسما  
لمواد شبههم ملجئ الى  
الايمان يعكسون الامر  
و يجعلونه مانعا منه  
(قل) لهم أولامن قبلنا  
تدبينا الحكمة وتحققنا  
الحق المزيج للريب  
( لو كان ) أى لو وجد  
واستقر (في الارض)  
بدل البشر ( ملائكة  
يمشون مطحنيين )

واحد فاما أن ذلك الواحد هل هو واحد مركب من أشياء كثيرة أو هو واحد في نفسه  
 واحد في حقيقته فهذا الاحاطة اليه في هذا المقام ( أما المقام الثاني ) وهو مقام الاستدلال  
 فالذي يدل على وحدة النفس وجوه ( الحجمة الاولى ) ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند  
 ارادة دفع المنافر والشهوة حالة نفسانية تحدث عند طلب الملايم مشروطا بالشعور  
 يكون الشيء ملايما ومنافرا للقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافر ان لم يكن لها شعور  
 بكونه منافرا امتنع اتباعها للدفع ذلك المنافر على سبيل القصد والاختيار لان القصد الى  
 الجذب تارة والى الدفع أخرى مشروط بالشعور بالشيء فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعا  
 للمنافر على سبيل الاختيار لا بد وأن يكون له شعور بكونه منافرا فالذي يغضب لا بد وأن  
 يكون هو بعينه مدركا ثبت بهذا البرهان اليقيني مبانة حاصلة في ذوات متباينة ( الحجمة  
 الثانية ) انا اذا فرضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص  
 امتنع أن يصير اشتغال أحدهما بفعله الخاص مانعا للآخر من اشتغاله بفعله الخاص  
 به واذا ثبت هذا فنقول لو كان محل الادراك والفكر جوهر او محل الغضب جوهر  
 آخر ومحل الشهوة جوهر ثالثا وجب أن لا يكون اشتغال القوة الغضبية بفعالها مانعا  
 للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعالها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان  
 بالشهوة وانصيابه اليها يمنع من الاشتغال بالغضب وانصيابه اليه وبالعكس فعلمنا ان هذه  
 الامور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة بل هي صفات مختلفة بجوهر واحد فلا جرم كان  
 اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال عائقا له عن الاشتغال بالفعل الآخر ( الحجمة  
 الثالثة ) انا اذا أدركنا اشياء فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يصير سببا  
 لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغاير للذي يغضب والذي يشتهي فحين أدرك  
 الجوهر المدرك لم يحصل عند الجوهر المشتهى من ذلك الادراك اثر ولا خبر فوجب أن لا  
 يترتب على ذلك الادراك لا حصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا  
 الترتيب والاستلزام علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة بعينها وصاحب  
 الغضب بعينه ( الحجمة الرابعة ) ان حقيقة الحيوان أنه جسم ذو نفس حساسة متحركة  
 بالارادة فالنفس لا يمكنها أن تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي والامعنى للداعي  
 الا الشعور بنخير يرغب في جذبها أو بشر يرغب في دفعه وهذا يقتضى أن يكون المتحرك  
 بالارادة هو بعينه مدركا للخير والشر والملد والمؤذى والتافع والضار فثبت بما ذكرنا ان  
 النفس الانسانية شيء واحد وثبت ان ذلك الشيء هو البصر والسامع والشام والذائق  
 واللامس والتمخيل والمتفكر والمتذكر والمشتهى والغاضب وهو الموصوف بجميع  
 الادراكات لكل المدركات وهو الموصوف بجميع الافعال الاختيارية والحركات  
 الارادية ( وأما المقدمة الثانية ) في بيان انه لما كانت النفس شيئا واحدا وجب أن لا  
 تكون النفس في هذا البدن ولا شيئا من أجزائه فنقول أما بيان انه متى كان الامر

فارين فيهما من غير أن  
 يعرجوا في السماء ويعلموا  
 ما يجب أن يعلم ( انزلنا  
 عليهم من السماء ملكا  
 رسولا ) يهديهم الى الحق  
 ويرشدهم الى الخير  
 لتمكنهم من الاجتماع  
 والتلقى منه وأما عامة  
 البشر فهم يعزل من  
 استحقاق المفاوضة  
 الملكية كيف لا وهي  
 منوطه بالتناسب  
 والتجانس فبعث الملك  
 اليهم من ارحم الحكمة  
 التي عليها مبني التكوين  
 والتشريع وانما يبعث  
 الملك من بينهم الى  
 الخواص المختصين  
 بالنفوس الزكية المؤيدين  
 بالقوة القدسية المطلقين  
 بكلا العالمين الروحاني  
 والجسماني ليتلقوا من  
 جانب و يلقوا الى جانب  
 وقوله تعالى



كذلك امتنع كون النفس عبارة عن جلة هذا البدن وكذا القوة السامعة وكذا سائر  
القوى كالتخيل والتذكر والتفكر والعلم بان هذه القوى غير سارية في جلة أجزاء البدن  
علم بديهي بل هو من أقوى العلوم البديهية وأما بيان أنه يتمتع أن تكون النفس جزأ من  
أجزاء هذا البدن فانا نعلم بالضرورة أنه ليس في البدن جزء واحد هو بعينه موصوف  
بالابصار والسمع والفكر والذكر بل الذي يتبادر الى الخاطر ان الابصار مخصوص  
بالعين لابصار الاعضاء والسمع مخصوص بالاذن لابصار الاعضاء والصوت مخصوص  
بالخلق لابصار الاعضاء وكذلك القول في سائر الادراكات وسائر الافعال فاما ان يقال  
انه حصل في البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الادراكات وبكل هذه الافعال فالعلم  
الضروري حاصل بانه ليس الامر كذلك مثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شيء واحد  
موصوف بجملة هذه الادراكات وجملة هذه الافعال وثبت بالبديهية ان جلة البدن  
ليست كذلك وثبت أيضا ان شيئاً من أجزاء البدن ليس كذلك فيحتمل يحصل اليقين بان  
النفس شيء مغاير لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه وهو المطلوب ولتقرر هذا البرهان  
بعبارة أخرى فنقول اننا نعلم بالضرورة اننا اذا أبصرنا شيئاً عرفناه واذا عرفناه اشتهيته  
واذا اشتهيته حركنا أبداننا الى القرب منه فوجب القطع بان الذي أبصره هو الذي عرف  
وان الذي عرف هو الذي اشتهى وان الذي اشتهى هو الذي حرك الى القرب منه فيلزم  
القطع بان البصر لذلك الشيء والعارف به والمشتهى والمتحرك الى القرب منه شيء واحد  
اذ لو كان البصر شيئاً والعارف شيئاً ثانياً والمشتهى شيئاً ثالثاً والمتحرك شيئاً رابعاً لكان  
الذي أبصر لم يعرف والذي عرف لم يشته والذي اشتهى لم يتحرك ومن المعلوم ان كون  
الشيء مبصر الشيء لا يقتضي صيرورة شيء آخر عا لبا بذلك الشيء وكذلك القول في سائر  
المراتب وأيضا فانا نعلم بالضرورة ان الرائي للمرئيات لما رآها فقد عرفها ولما عرفها فقد  
اشتهاها ولما اشتهاها طلبها وحرك الاعضاء الى القرب منها ونعلم أيضا بالضرورة ان  
الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحرك هو لا غيره وأيضا  
العقلاء قالوا الحيوان لا بد أن يكون حساسا متحركا بالارادة فانه ان لم يحس بشيء  
لم يشعر بكونه ملايما أو بكونه منافرا واذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مريدا للجذب  
أو الدفع فثبت ان الشيء الذي يكون متحركا بالارادة فانه بعينه يجب أن يكون حساسا  
فثبت ان المدرك لجميع المدركات يدرك بجميع أصناف الادراكات وان المباشر  
لجميع التحريكات الاختيارية شيء واحد وأيضا فلانا اذا تكلمنا بكلام نقصد تفهيم الغير  
معاني تلك الكلمات ثم لما عقلمناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعاني ولما حصلت هذه  
الارادة في قلوبنا حاولنا ادخال تلك الحروف والاصوات في الوجود لتتوسل بها الى  
تعريف غيرنا تلك المعاني اذ ثبت هذا فنقول ان كان محل العلم والارادة ومحل تلك  
الحروف والاصوات جسما واحدا لزم أن يقال ان محل العلوم والارادات هو الخنجرة

ملكها يحتمل أن يكون حالا  
من رسولا وان يكون  
موصوفاً به وكذلك بشرا  
في قوله تعالى أبعث الله  
بشرا رسولا والاول اولى  
(قل) لهم ثانيا من جهتك  
بعد ما قلت لهم من قبلنا  
ما قلت و بينت لهم  
ما تقتضيه الحكمة في البعثة  
ولم يرفعوا اليه رأسا  
(كفى بالله) وحده (شهيدا)  
على اني أدبت ما على  
من مواجب الرسالة اكل  
أداء، وأنكم فعلتم ما فعلتم  
من التكذيب والعناد  
وتوجيه الشهادة الى كونه  
عليه السلام رسولا باظهار  
المعجزة على وفق دعواه  
كما اختير لا يساعده قوله  
تعالى (ينفي و بينكم)  
وما بعده من التعليل وانما  
لم يقل بيننا تحميها

واللهمة واللسان ومعلوم أنه ليس كذلك وان قلنا محل العلوم والارادات هو القلب لزم  
 أيضا ان يكون محل الصوت هو القلب وذلك أيضا باطل بالضرورة وان قلنا محل الكلام  
 هو الخجيرة واللهمة واللسان ومحل العلوم والارادات هو القلب ومحل القدرة هو  
 الاعصاب والاورتار والعضلات كناقدوزعنا هذه الامور على هذه الاعضاء المختلفة لكننا  
 أبطلنا ذلك وبينا ان المدرك لجميع المدركات والمحرك لجميع الاعضاء بكل أنواع  
 التحريك يجب أن يكون شيئا واحدا فليبق الآن يقال في الادراك والقدرة على  
 التحريك شئ سوى هذا البدن وسوى أجزاء هذا البدن وان هذه الاعضاء جارية  
 مجرى الآلات والادوات فكما ان الانسان يعقل أفعالا مختلفة بواسطة آلات مختلفة  
 فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتتفكر بالدماع وتعقل بالقلب فهذه الاعضاء  
 آلات النفس وأدوات لها والنفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق  
 التصرف والتدبير وهذا البرهان برهان شريف يقيني في ثبوت هذا المطلوب والله أعلم  
 ( المقدمة الثالثة ) لو كان الانسان عبارة عن هذا الجسد لكان اما أن يقوم بكل  
 واحد من الاجزاء حياة وعلم وقدرة على حدة واما أن يقوم بمجموع الاجزاء حياة وعلم  
 وقدرة والقسمان باطلان فبطل القول بكون الانسان عبارة عن هذا الجسد أما باطلان  
 القسم الاول فلانه يقتضى ككون كل واحد من اجزاء الجسد حيا طالما قادرا على  
 سبيل الاستقلال فوجب أن لا يكون الانسان الواحد حيوانا واحدا بل أحياء عاقلين  
 قادرين وحينئذ لا يبقى فرق بين الانسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس وربط  
 بعضهم ببعض بالتسلسل لكننا علم بالضرورة فساد هذا الكلام لاني أجد ذاتي ذاتا واحدة  
 لحيوانات كثيرين وأيضا بتقدير أن يكون كل واحد من اجزاء هذا الجسد حيوانا  
 واحدا على حدة فحينئذ لا يكون لكل واحد منهما خبر عن حال صاحبه فلا يتمتع ان يريد  
 هذا أن يتحرك الى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر أن يتحرك الى الجانب الآخر  
 فحينئذ يقع التدافع بين اجزاء بدن الانسان الواحد كما يقع بين شخصين وفساد ذلك معلوم  
 بالبديهة وأما باطلان القسم الثاني فلانه يقتضى قيام الصفة الواحدة في المحال الكثيرة  
 وذلك معلوم البطلان بالضرورة ولانه لو جاز حلول الصفة الواحدة في المحال الكثيرة  
 لم يعد أيضا حصول الجسم الواحد في الاحياز الكثيرة ولان بتقدير ان تحصل الصفة  
 الواحدة في المحال المتعددة فحينئذ يكون كل واحد من تلك الاجزاء حيا قاطنا فبجرد  
 الامر الى كون هذه الجثة الواحدة اناسا كثيرين ولما ظهر فساد القسمين ثبت ان  
 الانسان ليس هو هذه الجثة فان قالوا لم لا يجوز أن تقوم الحياة الواحدة بالجزء الواحد  
 ثم ان تلك الحياة تقتضى صيرورة جملة الاجزاء أحياء قلنا هذا باطل لانه لا معنى للحياة  
 الا الحية ولا معنى للعالم الا العالمية وبتقدير ان تساعد على ان الحياة معنى يوجب الحية  
 والعلم معنى يوجب العالمية الا اننا نقول ان حصل في مجموع جثة مجموع حياة واحدة

للمفارقة وابانة للمباينة  
 وشهدا اما حال أو تمييز  
 ( انه كان بعباده ) من الرسل  
 والمرسل اليهم ( خيرا  
 بصيرا ) محيطا بظواهر  
 أحوالهم وبواطنها  
 فيجازيهم على ذلك وهو  
 تعاميل للكفاية وفيه تسليمة  
 لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وتهديد للكفار  
 ( ومن يهد الله ) كلام مبتدأ  
 يفصل ما أشار اليه الكلام  
 السابق من مجازاة العباد  
 اشارة اجالية أي  
 من يمهده الله الى الحق بما جا  
 من قبله من الهدى ( فهو  
 المهتد ) اليه والى ما يودى  
 اليه من الثواب أو المهتد الى  
 كل مطلوب ( ومن يضل )  
 أي يخلق فيه الضلال  
 بسوء اختياره

وعالية واحدة قد حصلت الصفة الواحدة في المحال الكثيرة وهو محال وان حصل في كل جزء وجثة حياة على حدة وعالية على حدة عاد ما ذكرنا من كون الانسان الواحد اناسا كثيرين وهو محال ( المقدمة الرابعة ) انما تأملنا في أحوال النفس رأينا أحوالها بالضد من أحوال الجسم وذلك يدل على ان النفس ليست جسما وتقر بهذه المناقاة من وجوه ( الاول ) ان كل جسم حصلت فيه صورة فانه لا يقبل صورة أخرى من جنس الصورة الاولى الا بعد زوال الصورة الاولى زوايا تاما مثاله ان الشمع اذا حصل فيه شكل التمثيل امتنع أن يحصل فيه شكل التريم والتدوير الا بعد زوال الشكل الاول عنه نعم اننا وجدنا الحال في تصور النفس بصور العقولات بالضد من ذلك فان النفس التي لم تقبل صورة عقلية البتة يبعد قبولها لشيء من الصور العقلية فاذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصورة الثانية أسهل ثم ان النفس لا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير أن تضعف البتة بل كلما كان قبولها للصور أكثر صار قبولها للصور الآتية بعد ذلك أسهل وأسرع ولهذا السبب يزداد الانسان فهما وادراكا كلما ازداد تخرجا وارتباطا في العلوم فثبت أن قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصور وذلك يوهم أن النفس ليست بجسم ( والثاني ) أن المواظبة على الافكار الدقيقة لها أثر في النفس وأثر في البدن أما أثرها في النفس فهو تأثيرها في اخراج النفس من القوة الى الفعل في التفات والادراكات وكلما كانت الافكار أكثر كان حصول هذه الاحوال أكمل وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالتها وأما أثرها في البدن فهو انها توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة لو استمرت لانتقلت الى الماخوليا وسوق الموت فثبت بما ذكرنا أن هذه الافكار توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد سببا لکماله ونقصانه معا وحياته وموته معا وانه محال ( والثالث ) انا اذا شاهدنا انه ربما كان بدن الانسان ضعيفا نحيفا فاذا لاح له نور من الأنوار القدسية وتجلى له سر من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الانسان جراءة عظيمة وسلطنة قوية ولم يعأ بحضور أكبر السلاطين ولم يقم لهم وزنا ولولا أن النفس شيء سوى البدن لما كان الامر كذلك ( الرابع ) أن أصحاب الرياضات والمجاهدات كلما معنوا في قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية وأشرفت أسرارهم بالمعارف الالهية وكلما معن الانسان في الاكل والشرب وقضاء الشهوة الجسدانية صار كالبهيمة وبقى محروما عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة ولولا أن النفس غير البدن لما كان الامر كذلك ( الخامس ) ان ترى ان النفس تفعل أفعالها بآلات بدنية فانها تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتأخذ باليد وتمشي بالرجل أما اذا آل الامر الى العقل والادراك فانها مستقلة بذاتها في هذا الفعل من غير اعانة شيء من الآلات ولذلك فان الانسان لا يمكنه ان يبصر شيئا اذا غمض عينيه وأن لا يسمع

كهلولة المساندين  
( فلن تجد لهم ) أوثر  
ضمير الجماعة اعتبار المعنى  
من غب ما أوثر في مقابله  
الافراد نظرا الى لفظها  
تلويحا بوحدة طريق  
الحق وقلة سالكيه  
وتعدد سبل الضلال  
وكثرة الضلال ( أولياء  
من دونه ) من دون الله  
تعالى أي انصارا  
يهدونهم الى طريق  
الحق أو الى طريق  
يوصلهم الى مطالبهم  
الدنيوية والاخروية  
أولى طريق النجاة  
من العذاب الذي  
يستدعيه ضلالهم على  
معنى لن تجد لاحد منهم  
وليس على ما تقتضيه  
قضية مقابلة الجمع بالجمع  
من انقسام الآحاد الى  
الآحاد ( ونحشرهم )  
التفات من الغيبة الى  
التكلم ايذانا بكمال

صوتا اذا سد اذنيه اما لا يمكنه البتة أن يزيل عن قلبه العلم بما كان طالبا به فعلنا ان  
 النفس غنية بذاتها في العلوم والمعارف عن شئ من الآلات البدنية فهذه الوجوه  
 الخمسة أمارات قوية في أن النفس ليست بجسم وفي المسئلة الاولى كثير من دلائل  
 المتقدمين ذكرناها في كتابنا الحكيمه فلا فائدة في الاطادة ( المسئلة السادسة ) في  
 اثبات أن النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية ( الحجمة الاولى ) قوله تعالى  
 ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ومعلوم أن أحدا من العقلاء لا ينسى هذا  
 الهيكل المشاهد فدل ذلك على أن النفس التي يساها الانسان عند فرط الجهل شئ آخر  
 غير هذا البدن ( الحجمة الثانية ) قوله تعالى أخرجوا أنفسكم وهذا صريح أن النفس غير  
 البدن وقد استصينا في تفسير هذه فليرجع اليه ( الحجمة الثالثة ) أنه تعالى ذكر مراتب  
 الخلقة الجسمانية فقال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار  
 مكين الى قوله فكسونا العظام لحما ولا شك ان جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في  
 الاحوال الجسمانية ثم انه تعالى لما أراد أن يذ كر نفخ الروح قال ثم أنشأناه خلقا آخر  
 وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التفسيرات الواقعة  
 في الاحوال الجسمانية وذلك يدل على أن الروح شئ مغاير للبدن فان قالوا هذه الآية حجة  
 عليكم لانه تعالى قال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكلمة من للتبويض وهذا يدل  
 على أن الانسان بعض من ابعاض الطين قلنا كلمة من أصلها الابتداء الغاية كقولك  
 خرجت من البصرة الى الكوفة فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين  
 يقتضى أن يكون ابتداء تخليق الانسان حاصلا من هذه السلاله ونحن نقول بموجبه لانه  
 تعالى يسوى المزاج أولا ثم ينفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلاله ( الحجمة  
 الرابعة ) قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح  
 فالسوية عبارة عن تخليق الاعضاء وتعديل المزاج والاشباح فلما ميز نفخ  
 الروح عن سوية الاعضاء ثم أضاف الروح الى نفسه بقوله من روحي دل ذلك على ان  
 جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد ( الحجمة الخامسة ) قوله تعالى ونفس وما سواها  
 فألهمها فجورها وتقواها وهذه الآية صريحة في وجود شئ موصوف بالادراك  
 والتحريك معا لان الالهام عبارة عن الادراك وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه  
 الآية صريحة في ان الانسان شئ واحد وهو موصوف بالادراك والتحريك وموصوف  
 أيضا بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم ان جلة البدن غير موصوف  
 بمبدن الوصفين فلا بد من اثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الامور ( الحجمة  
 السادسة ) قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج بتليه فجعلناه سمعا بصيرا فهدأ  
 تصريح بأن الانسان شئ واحد وذلك الشئ هو المبتلى بالتكاليف الالهية والامور  
 الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضون أعضاء

الاعتناء بأمر الخشر  
 ( يوم القيامة على  
 وجوههم ) حال من  
 الضمير المنصوب أى  
 كائين عليها سحبا كقوله  
 تعالى يوم يصحبون  
 في النار على وجوههم  
 أو مشيا فقد روى أنه  
 قيل لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم كيف يشون  
 على وجوههم قال  
 ان الذى أمشاهم على  
 أقدامهم قادر على  
 أن يمشيهم على وجوههم  
 ( عجا ) حال من الضمير  
 المجرور في الحال السابقة  
 ( وبكما وصحا )  
 لا يصرون ما يقرأ عينهم  
 ولا ينطقون ما يقبل منهم  
 ولا يسمعون ما يلد  
 مسامعهم لما قد كانوا  
 في الدنيا لا يستبصرون  
 بالآيات والعبور لا ينطقون  
 بالحق ولا يستمعونه  
 ويجوز أن يحشروا

البدن كذلك فالنفس شيء مفاير لجملة البدن ومفاير اجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات واعلم أن الاحاديث الواردة في صفة الارواح قبل تعلقها بالاجساد وبعد انفصالها من الاجساد كثيرة وكل ذلك يدل على ان النفس شيء غير هذا الجسد والتعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروى هذه الاخبار الكثيرة ثم يقول توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعرف الروح وهذا من العجائب والله اعلم ( المسئلة السابعة ) في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه أن الروح لو كانت جسما منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد ان كانت موصوفة بصفات اخرى فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار رزوا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقة ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال انه من أمر ربي بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود الا لاجل أن الله تعالى قال له كن فيكون دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الاجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياض وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي خلق الله الارواح من بين الجبال والبهائم فلولا أنه سترها لمجد لها كل كافر وامايان أن تعلقه الاول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره الى جملة الاعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين واحتج المنكرون بوجوه ( الاول ) لو كانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمام الماهية وذلك محال ( الثاني ) قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وهذا تصریح بأن الانسان شيء مخلوق من النطفة وأنه يموت ويدخل القبر ثم انه تعالى يخرج من القبر ولولم يكن الانسان عبارة عن هذه الجثة والالم تكن الاحوال المذكورة في هذه الآية صحيحة ( الثالث ) قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الى قوله يرزقون فرحين وهذا يدل على ان الروح جسم لان الارزاق والفرح من صفات الاجسام ( الجواب عن الاول ) ان المساواة في أنه ليس بمتحيز ولا حال في التحيز مساواة في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب المماثلة واعلم ان جماعة من الجهال يظنون أنه لما كان الروح موجودا ليس بمتحيز ولا حال في التحيز وجب أن يكون مثلا للاله أو جراً للاله وذلك جهل فاحش وغلط قبيح وتحقيقه ما ذكرناه من أن المساواة في السلوب لو أوجبت المماثلة لوجب القول باستواء كل المختلفات وان كل ماهيتين مختلفتين فلا بد أن يشتركا في سلب كل ما عدهما عنهما فلتكن هذه الدقيقة معلومة فانها مظنة عظيمة للجهال ( والجواب عن الثاني ) أنه لما كان الانسان في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة اطلق عليه اسم الانسان في العرف

بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا يب فيه ( ما واهم جهنم ) اما حال أو استئناف وكذا قوله تعالى ( كما خبت زنادهم سعيرا ) أي كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم و لحومهم وليبقى فيهم ما يتعلق به النار ونحره زنادهم توقدا بأن بدلتاهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها عيانا حيث لم يعلوها برهانها كما يفصح عنه

( والجواب عن الثالث ) أن الرزق المذكور في الآية محمول على ما يقوى حالهم ويكمل كمالهم وهو معرفة الله ومحبته بل نقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لأن أبدانهم قد بليت تحت التراب والله تعالى يقول ان أرواحهم تأوى الى فتاديل معلقة تحت العرش وهذا يدل على أن الروح غير البدن وليكن هذا آخر كلامنا في هذا الباب ولنرجع الى علم التفسير ثم قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وعلى قولنا قد ذكرنا فيه احتمالين أما المفسرون فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فقال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك يا محمد ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل قوله ولوان ما في الارض من شجرة أقلام الى آخره وما ذكره وليس بلازم لان الشيء قد يكون قليلا بالنسبة الى شيء كثيرا بالنسبة الى شيء آخر فالعلوم الحاصلة عند الناس قليلة جدا بالنسبة الى علم الله وبالنسبة الى حقائق الاشياء ولكنها كثيرة بالنسبة الى الشهوات الجسماية واللذات الجسدانية \* قوله تعالى ( ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجدلك به علينا وكيلا الارحة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الاولى انه ما آتاهم من العلم الا قليلا بين في هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضا لقدر عليه وذلك بان يحو حفضه من القلوب وكتابه من الكتب وهذا وان كان أمرا مخالفا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه ( المسئلة الثانية ) احتج الكسبي بهذه الآية على أن القرآن مخلوق فقال والذي يقدر على ازالته والذهاب به يستحيل أن يكون قديما بل يجب أن يكون محدثا وهذا الاستدلال بعيد لان المراد بهذا الازالة العلم به عن القلوب وازالة النقوش الدالة عليه عن الصحف وذلك لا يوجب كون ذلك العلوم المدلول محدثا وقوله ثم لا تجدلك به علينا وكيلا أى لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه ثم قال الارحة من ربك أى الآن رجك ربك فبره عليك أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رجح ربك تركته غير مذهب به وهذا امتان من الله ببقاء القرآن على انه تعالى من على جميع العلماء بنوعين من المنة ( أحدهما ) تسهيل ذلك العلم عليه ( الثانى ) ابقاء حفضه عليه وقوله ان فضله كان عليك كبيرا فيه قولان ( الاول ) المراد ان فضله كان عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن عليك ( الثانى ) المراد ان فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبئين وأعطاك المقام المحمود فلما كان كذلك لاجرم أنعم عليك أيضا بابقاء العلم والقرآن عليك \* قوله تعالى ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم ان اناق سورة البقرة في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله باختلاف بيان اعجاز القرآن

قوله تعالى ( ذلك ) أى \*  
ذلك العذاب ( جزاؤهم  
بأنهم ) أى بسبب أنهم  
( كفروا بآياتنا ) العقلية  
والنقلية الدالة على  
صحة الاعادة دلالة  
واضحة فذلك مبتدأ  
وجزاؤهم خبره ويجوز  
أن يكون مبتدأ ثانيا  
وبأنهم خبره والجملة  
خبرها لذلك وأن يكون  
جزاؤهم بدلا من ذلك  
أو بيان له والخبر هو  
الظرف ( وقالوا )  
منكرين أشد الانكار  
( أنذا كنا عظاما ورفاتا  
أنس الجعوثون خلقنا  
جديدا ) امام صدر  
مؤكد من غير لفظه  
أى الجعوثون بفتح جدينا  
واما حال أى مخلوقين  
مستأنفين ( أولم يروا )  
أى ألم يتفكروا ولم يعلموا

والناس فيه قولان منهم من قال القرآن مجزئ في نفسه ومنهم من قال انه ليس في نفسه مجزئاً الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الايمان بمعارضته مع ان تلك الدواعي كانت قوية كانت هذه الصرفة مجزئة والمختار عندنا في هذا الباب أن نقول القرآن في نفسه اما أن يكون مجزئاً أو لا يكون فان كان مجزئاً فقد حصل المطلوب وان لم يكن معجزاً بل كانوا قادرين على الايمان بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الايمان بهذه المعارضة وما كان لهم عنها صارف ومانع وعلى هذا التقدير كان الايمان بمعارضته واجبا لازما فدمم الايمان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضاً للعادة فيكون مجزئاً فهذا هو الطريق الذي نختاره في هذا الباب (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول هب أنه قد ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرفتم عجز الجن عن معارضته وأيضا فلم لا يجوز أن يقال ان هذا الكلام نظم الجن ألقوه على محمد صلى الله عليه وسلم وخصوه به على سبيل السعي في اضلال الخلق فعلى هذا لما تعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم اذا عرفتم ان محمداً صادق في قوله انه ليس من كلام الجن بل هو من كلام الله تعالى فحينئذ يلزم الدور وليس لاحد أن يقول كيف يعقل أن يكون هذا من قول الجن لاننا نقول ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن وانما يحسن هذا التحدى لو كانوا فصحاء بلغاء ومتى كان الامر كذلك كان الاحتمال المذكور قائماً فأجاب العلماء عن الاول بان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه مجزئاً وعن الثاني ان ذلك لو وقع لوجب في حكمة الله أن يظهر ذلك للتليس وحيث لم يظهر ذلك دل على عدمه وعلى انه تعالى قد أجاب عن هذا السؤال بالاجوبة الشافية الكافية في آخر سورة الشعراء في قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفكأثم وقد شرحنا كيفية هذه الاجوبة هناك فلا فائدة في الاعداد (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على ان القرآن مخلوق لان التحدى بالقديم محال وهذه المسئلة قد ذكرناها أيضا بالاستقصاء في سورة البقرة فلا فائدة في الاعداد \* ثم قال تعالى (ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وهذا الكلام يحتمل وجوهاً (أحدها) انه وقع التحدى بكل القرآن كافي هذه الآية ووقع التحدى أيضا بعشر سور منه كافي قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ووقع التحدى بالسورة الواحدة كافي قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ووقع التحدى بكلام من سورة واحدة كافي قوله فليأتوا بحديث مثله فقولوا لقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتمل أن يكون المراد منه التحدى كما شرحناه ثم انهم مع ظهور عجزهم في جميع هذه المراتب بقوامصرين على كفرهم (وثانيتها) أن يكون المراد من قوله ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل انا أخبرناهم بان الذين بقوا مصرين على الكفر مثل قوم نوح وعاد وثمود كيف ابتلاهم بانواع البلاء وشرحناه هذه الطريقة مراراً وأطواراً ثم ان هؤلاء الاقوام يعني أهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان بل بقوامصرين على الكفر

( أن الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمتهم )  
 (قادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الاعداد كما عده عنهما بذلك حيث قيل خلقا جديداً (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) عطف على أولم يروا فانه في قوة قدر أو والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس وجعل لهم وبعثهم أجلا محققا لا ريب فيه هو يوم القيامة ( فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تمجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة (الأكفورا) أى بجودا (قل أو أنتم

(وثالثها) أن يكون المراد انه تعالى ذكر دلائل التوحيد ونفي الشرك كما هو الاضداد في هذا القرآن مرارا كثيرة وذكريات منكري النبوة والمعادمراراً وأطواراً وأجاب عنهما ثم أردفها بذكر الدلائل القاطعة على صحة النبوة والمعاد ثم ان هؤلاء الكفار لم ينتفعوا بسماعها بل بقوامصرين على الشرك وانكار النبوة \* ثم قال تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) يريد أكثر أهل مكة الا كفورا أى بجود الحق وذلك انهم أنكروا ما لا حاجة الى اظهاره فان قيل كيف جازفأبى أكثر الناس الا كفورا ولا يجوز أن يقال ضربت الازيدا قلنا لفظ أبى يفيد النفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا \* قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيجرا أو تسقط السماء كإزعمت علينا كسفا) أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) اعلم انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجرا وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد صلى الله عليه وسلم فيثبت الدليل على كونه نبيا صادقا لاننا نقول ان محمدا ادعى النبوة وظهر المعجز على وفق دعواه وكل من كان كذلك فهو نبى صادق فهذا يدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها الا لوقتها هذا الباب للزم أن لا ينتهى الامر فيه الى مقطع وكلما أتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر ولا ينتهى الامر فيه الى حديث قطع عنده عناد المعاند ين وتغلب الجاهلين لانه تعالى حكى عن الكفار أنهم بعد أن ظهر كون القرآن معجرا التمسوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المعجزات القاهرة كما حكى عن ابن عباس ان رؤساء أهل مكة أرسلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فسير جبالها لتنتفع فيها وفجر لنا فيها ينبوعا أى نهر او عيون تزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيجرا فقال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من زخرف أى من ذهب فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع ان تأتي قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع قالوا فاذا كنت لاتستطيع الخير فاستطعم الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أى قطعنا بالعذاب وقوله كما زعمت اشارة الى قوله اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت فقال عبد الله بن أمية المخزومي وأمه عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والذي يحلف به لأومن بك حتى تشد سلمات صدفيه ونحن ننظر اليك فتأتى باربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لأدرى أنؤمن بك أم لا فهذا شرح هذه القصة كما رواها ابن عباس (المسئلة الثانية) اعلم انهم اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعا من المعجزات (أولها) قولهم حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فأمر حاصم وحررة والكسائي تفجر بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة واختره أبو حاتم

تلكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وأتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لوزان سوار لطحنى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (اذن لا مسكتم) ليجلتم (خشية الانفاق) مخافة النفاق بالانفاق اذ ليس في الدنيا أحد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو أثر غيره بنى فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه (وكان الانسان قنورا) مبالغى البخل لان مبنى أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله (واقعد آتينا موسى



قال لان ينبوع واحد والباقون بالتشديد واختاره أبو عبيدة ولم يختلفوا في التائسة  
 مشددة لاجل الانهار لانها جمع يقال فجرت الماء فجرا وفجرته تعجيرا فمن ثقل أراد به كثرة  
 الانفجار من ينبوع وهو وان كان واحدا فللكثرة الانفجار فيه يحسن أن يتقل كما  
 تقول ضرب زيد اذا كثرت الضرب منه فيكثر فعله وان كان الفاعل واحدا ومن خفف  
 فلان ينبوع واحد وقوله ينبوعا يعني عيننا ينبوع الماء منه تقول نبع الماء ينبوعا  
 وينوعا ونبعا ذكره الفراء قال القوم ازل عنا جبال مكة وفجرتنا ينبوع ليسهل علينا  
 أمر الزراعة والحراثة (وثانيها) قولهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجير الانهار  
 خلالها تعجيرا والتقدير كأنهم قالوا هب انك لا تعجز هذه الانهار لاجلنا فقجرتها من  
 أجلك (وثالثها) قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وفيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) قرأ ابن طامر كسفا بفتح السين ههنا وفي سائر القرآن بسكونها وقرأنا فم وأبو  
 بكر عن طامر ههنا وفي الروم بفتح السين وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر  
 القرآن بالفتح الا في الروم وقرأ ابن كثير وأبو عمر ووحمة والكسائي في الروم بفتح السين  
 وفي سائر القرآن بسكون السين قال الواحدي رحمه الله كسفا فيه وجهان من القراءة  
 سكون السين وقهها قال أبو زيد يقال كسفت الثوب أكسفه كسفا اذا قطعه قطعا  
 وقال الليث الكسف قطع العرقوب والكسفة القطعة وقال الفراء سمعت اعرابيا  
 يقول لبراز أعطني كسفة يريد قطعة فنقرأ بسكون السين احتمل قوله وجوها (أحدها)  
 قال الفراء أن يكون جمع كسفة مثل دمنة ودمن وسدره وسدر (وثانيها) قال أبو علي  
 اذا كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كما تقول في الطحن والطبخ والسقي  
 ويؤكد هذا قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا (وثالثها) قال الزجاج من قرأ كسفا  
 كأنه قال أو يسقطها طبعا علينا واشتقاقه من كسفت الشيء اذا عطيته وأما فتح السين  
 فهو جمع كسفة مثل قطعة وقطع وسدره وسدر وهو نصب على الحال في القراءتين جميعا  
 كأنه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة (المسئلة الثانية) قوله كما زعمت فيه وجوه  
 (الاول) قال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبى فأسقط السماء علينا (والثاني) قال آخرون  
 كما زعمت ان ربك ان شاء فعل (الثالث) يمكن أن يكون المراد ما ذكره الله تعالى في هذه  
 السورة في قوله أفأنتم أن نخسف بكم جانب البرأ ونرسل عليكم حاصبا قتيلا اجعل  
 السماء قطعا متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا (ورابعها) قولهم أو تأتي بالله  
 والملائكة قبلا وفي لفظ القبيل وجوه (الاول) القبيل بمعنى المقابل كما لعشيرة بمعنى  
 العاشرة وهذا القول منهم يدل على جهلهم حيث لم يعلموا أنه لا يجوز عليه المقابلة ويقرب  
 منه قوله وحشرنا عليهم كل شيء قبلا (والقول الثاني) ما قاله ابن عباس يريد فوجا بعد  
 فوج قال الليث وكل جنود من الجن والانس قبيل وذكرنا ذلك في قوله انه يراكم هو وقبيله  
 (القول الثالث) ان قوله قبيلامناه ههنا ضمنا وكقبيلنا قال الزجاج يقال قبلت به أقبل

تسع آيات بينات )  
 واضحات الدلالة على  
 نبوته وصحة ما جاء به من  
 عند الله وهي العصا  
 واليد والجراد والقمل  
 والضفادع والدم  
 والطوفان والسنون  
 ونقص الثمرات وقيل  
 انفجار الماء من الحجر  
 وتنفق الطور على بني  
 اسرائيل وانغلاق البحر  
 بدل الثلاث الاخيرة  
 وبأباه أن هذه الثلاث  
 لم تكن منزلة اذذاك وأن  
 الاولين لاتعلق لهما  
 بفرعون وانما أوتيهما  
 بنو اسرائيل وعن صفوان  
 بن عسال ان يهوديا  
 سأل النبي عليه الصلاة  
 والسلام عنها فقال أن  
 لاتشر كوابه شيئا ولا  
 تسرفوا ولا تنزوا ولا  
 تقتلوا النفس التي

كقولك كفلت به أكفل وعلى هذا القول فهو واحد أريد به الجمع كقوله تعالى وحسن أولئك رفيقا ( والقول الرابع ) قال أبو علي معناه المعايينة والدليل عليه قوله تعالى لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا ( وخامسها ) قولهم أو يكون لك بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله أو يكون لك بيت من ذهب قال الزجاج الزخرف الزينة بدل عليه قوله تعالى حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت أي أخذت كإل زينتها ولاسي في تحسين البيت وتزيينه كالذهب ( وسادسها ) قولهم أوترقى في السماء قال الفراء يقال رقت وأنارت رقي ورقيا وأنشد

أنت الذي كلفتني رقي الدرج \* على الكلال والمشيبي والعرج

وقوله في السماء أي في معارج السماء تخذف المضاف يقال رقي السلم ورقى الدرجة ثم قالوا ولن نؤمن لريك أي لن نؤمن لاجل ريك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قال عبد الله بن أمية لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول ولما حكى الله تعالى عن الكفار اقتراح هذه المعجزات قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وفيه مباحث ( البحث الاول ) انه تعالى حكى من قول الكفار قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربي وكل ذلك كلام القوم وانما لا نجد بين تلك الكلمات وبين سائر آيات القرآن تفاوتا في النظم فصح بهذا صحة ما قاله الكفار لونها قلنا مثل هذا ( والجواب ) ان هذا القرآن قليل لا يظهر فيه التفاوت بين مراتب الفصاحة والبلاغة فزال هذا السؤال ( البحث الثاني ) هذه الآيات من أدل الدلائل على ان المجيء والذهاب على الله محال لان كلمة سبحان للتزييه عمالا يذبحي وقوله سبحان ربي تزييه لله تعالى عن شئ لا يليق به أو نسب اليه مما تقدم ذكره وليس فيما تقدم ذكره شئ لا يليق بالله الا قولهم أو تأتي بالله فدل هذا على ان قوله سبحان ربي تزييه لله عن الاتيان والمجيء وذلك يدل على فساد قول المشبهة في ان الله تعالى يجيء ويذهب فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد تزييه لله تعالى عن ان يتحكم عليه المتحكمون في اقتراح الاشياء قلنا القوم لم يتحكموا على الله وانما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فاطلب من الله ان يشر فك بهذه المعجزات فالتوم تتحكموا على الرسول وما تتحكموا على الله فلا يليق حل قوله سبحان ربي على هذا المعنى فوجب حمله على قولهم أو تأتي بالله ( البحث الثالث ) تقرير هذا الجواب أن يقال اما أن يكون مرادكم من هذا الاقتراح أنكم طلبتم الاتيان من عند نفسي بهذه الاشياء أو طلبتم مني ان أطلب من الله تعالى اظهارها على يدى لئدلى على كوني رسولا حقا من عند الله والاول باطل لاني بشر والبشر لا قدرته على هذه الاشياء والثاني أيضا باطل لاني قد أتيتكم بمعجزة واحدة وهي القرآن والدلالة على كونها معجزة فطلب هذه المعجزات طلبا لا حاجة اليه ولا ضرورة

حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الر باولا تمشوا بيري الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودى يده ورجله عليه السلام ولا يساعده أيضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما أنه المهم للسائل وقبوله لما أنه كان في التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن جهة الوحى ( فاسأل بنى اسرائيل ) وقرئ فسل أي قتلناه سلمهم من فرعون وقل له أرسل معي بنى اسرائيل أو سلمهم عن ايمانهم أو عن حال دينهم أو سلمهم أن

فكان طلبها يجري مجرى التعنت والتحكيم وأنا عبد مأمور ليس لي ان أتحكّم على آتية  
فسقط هذا السؤال فثبت ان قوله قل سبحانه ربي هل كنت الابشر ارسولا جواب كاف  
في هذا الباب وحاصل الكلام أنه سبحانه بين بقوله سبحانه ربي هل كنت الابشر ارسولا  
كونهم على الضلال في الالهيات وفي النبوات اما في الالهيات فيدل على ضلالهم قوله  
سبحان ربي أي سبحانه عن أن يكون له آياتان ويجيء ذهابا واما في النبوات فيدل على  
ضلالهم قوله هل كنت الي بشر ارسولا وتقريره ما ذكرناه \* قوله تعالى (وما منم الناس  
أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض  
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني  
و بينكم انه كان بعباده خيرا بصيرا) اعلم انه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات  
الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة أخرى وهي ان القوم استبعدوا أن يبعث الله الي  
الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا ان الله تعالى لو أرسل رسولا الي الخلق لو جب أن  
يكون ذلك الرسول من الملائكة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه (الاول)  
قوله وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وتقريره هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث  
الله ملكا رسولا الي الخلق فالخلق انما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لاجل قيام  
المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم الي معرفة ذلك الملك في ادطاء رسالة  
الله تعالى فالمراد من قوله تعالى اذ جاءهم الهدى هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد  
الملك أو على يد البشر وجب الاقرار برسائه فثبت أن يكون قولهم بان الرسول لا بد وأن  
يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتعنتا باطلا (الوجه الثاني) من الاجوبة التي ذكرها  
الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو ان أهل الارض لو كانوا ملائكة لو جب أن يكون  
رسولهم من الملائكة لان الجنس الي الجنس أميل اما لو كان أهل الارض من البشر  
لو جب أن يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله لو كان في الارض ملائكة  
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (الوجه الثالث) من الاجوبة  
المدكورة في هذه الآية قوله قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم وتقريره ان الله تعالى لما  
أظهر المعجزة على وفق دعواي كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ومن شهد الله  
على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بان الرسول يجب ان يكون ملكا لانسانا  
تحكم فاسد لا يلتفت اليه ولما ذكر الله تعالى هذه الاجوبة الثلاثة أردفها بما يجري  
مجري التهديد والوعيد فقال انه كان بعباده خيرا بصيرا يعني يعلم ظواهرهم وبواطنهم  
و يعلم من قلوبهم أنهم لا يدكرون هذه الشبهات الا لمحض الحسد وحب الرياسة  
والاستنكاف من الانقياد للحق \* قوله تعالى (ومن يهدى الله فهو المهتدي ومن  
يضل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القامة على وجوههم غياوبا كما وصفا  
ما واهم جهنم كلما خبت زنادهم سعيرا فلك جزاؤهم بأنهم كفر و آياتنا) اعلم انه تعالى

بعضدوكو بوئيدقراءة  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على صيغة الماضي  
وقيل خطاب للتي عليه  
الصلاة والسلام أي  
فأسألهم عن تلك الآيات  
لتزداد يقينا وطمأينة  
أو ليظهر صدقك (اذ  
جاءهم) متعلق بقولنا  
وبسأل على القراءة  
المدكورة و آياتنا و  
بعضر هو يخبروك أو اذكر  
على تقدير كون الخطاب  
لرسول عليه الصلاة  
والسلام (فقال له  
فرعون) القاء فصيحة  
أي فأظهر عند فرعون  
ما آتينا من الآيات  
البيئات و بلغه ما أرسل  
به فقال له فرعون (اني  
لاظنك يا موسى مسهورا)  
سهرت فخطبت عتاك  
(قال لقد علمت ما أنزل  
هؤلاء)

لما أجاب عن شبهات القوم في انكار النبوة وأردفها بالوعد الاجالى وهو قوله انه كان  
 بعباده خيرا بصيرا ذكر بعده الوعد الشديد على سبيل التفصيل اما قوله من يهدى الله فهو  
 المهتدى ومن يضل فلن نجد لهم اولياء من دونه فالقصد تسلية الرسول وهو ان الذين  
 سبق لهم حكم الله بالايان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله  
 بالضللال والجهل استحال ان يتقلبوا عن ذلك الضلال واستحال أن يوجد من يصرفهم  
 عن ذلك الضلال واحتج أصحابنا بهذه الآية على صحة مذهبهم في الهدى والضللال  
 والمقتلة حلوا هذا الاضلال تارة على الاضلال من طريق الجنة وتارة على منع الاطاف  
 وتارة على التخلية وعدم التعرض له بالنعم وهذه المباحث قد ذكرناها مرارا فإفادة في  
 الاعادة اما قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وبكما وصما فان قيل  
 كيف يمكنهم المشى على وجوههم قلنا الجواب من وجهين (الاول) انهم يسحبون على  
 وجوههم قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم (الثاني) روى أبو هريرة قيل  
 يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي يشيهم على اقدامهم قادر على أن  
 يشيهم على وجوههم قال حكاه الاسلام الكفار وأرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذا تها  
 وليس لها تعلق بعالم الارار وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم  
 وأرواحهم متوجهة الى الدنيا لاجرم كان حشرهم على وجوههم واما قوله عيا وبكما  
 وصما فاعلم ان واحدا قال لابن عباس رضى الله عنه أليس انه تعالى يقول ورأى  
 المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتي كل  
 نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله بنا ما كنا مشركين فثبت بهذه  
 الآيات انهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال ههنا عيا وبكما وصما أجاب ابن  
 عباس وتلامذته عنه من وجوه (الاول) قال ابن عباس عيا لا يرون شيئا يسمون صما  
 لا يسمعون شيئا يسمون بكما لا ينطقون بحجة (الثاني) قال في رواية عطاء عيا عن النظر الى  
 ما جعله الله لاوليائه بكما عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقر بين صما عن ثناء الله تعالى  
 على اوليائه (الثالث) قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون يصيرون  
 عيا بكما صما اما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون (الرابع) انهم يكونون راين  
 سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولان يسموا  
 الزام بحجة الله عليهم لانهم اذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم الله عيا وبكما  
 وصما (الجواب) ان الآيات السابقة تدل على انهم في النار يبصرون ويسمعون  
 وبصيحون اما قوله تعالى ما واهم جهنم فظاهر واما قوله كلما خيت زدناهم سعيرا ففيه  
 مباحث (البحث الاول) قال الواحدى الخبو سكون النار يقال خبت النار تخبوا اذا  
 سكن لهبها ومعنى خبت سكنت وطققت يقال في مصدره الخبو وأخبأها الخبي أخبأها  
 أخذها ثم قال زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة زدناهم سعيرا أى تلبها (البحث الثاني) لما قيل

بمعنى الآيات التي أظهرها  
 (الارب السموات  
 والارض) خالقهما  
 ومدبرهما والتعرض  
 لربوبيته تعالى لهما  
 للايدان بأنه لا يقدر على  
 ايتاء مثل هاتيك الآيات  
 العظام الا خالقهما  
 ومدبرهما (بصائر) حال  
 من الآيات أى بينات  
 مكتشفات تبصر كصدق  
 ولكنك تعاندون تكابر نحو  
 ووجدوا بها واستيقنتها  
 أنفسهم ومن ضرورة ذلك  
 العلم العلم بأنه عليه الصلاة  
 والسلام على كمال رصانة  
 العقل فضلا عن توهم  
 المسحورية وقرى معلت  
 على صيغة التكلم أى  
 لقد علمت يتبين أن هذه  
 الآيات الباهرة أنزلها الله  
 عرسلطانه



فثبت ان كلمة لو مختصة بالافعال وأنشدوا قول التمس  
ولو غير أخوالى أراد وانقيصنى \* نصبت لهم فوق العرائن ما تمأ  
والمعنى لو أراد غير أخوالى (واما البحث) المتعلق بعلم البيان فهو ان التقديم بالذكر يدل  
على التخصيص فقوله أنتم تملكون دلالة على أنهم هم المختصون بهذه الحالة الحسية  
والشخ الكامل (المسئلة الثالثة) خزائن فضل الله ورحته غير متناهية فكان المعنى  
انكم لوملكتم من الخير والتم خزائن لانهاية لها لبقيتم على الشخ وهذا مبالغة عظيمة في  
وصفهم بهذا الشيء ثم قال تعالى وكان الانسان قنورا أى بخيلا يقال قنر يقترقن أو اقتر  
اقتارا وقتر تقيرا اذا قصر في الاتفاق فان قيل فقد دخل في الانسان الجواد الكريم  
فالجواب من وجوه (الاول) ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج  
لا بد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسه لنفسه الا انه قد يجوده لاسباب من خارج  
فثبت ان الاصل في الانسان البخل (الثاني) ان الانسان انما يبذل لطلب الثناء والحمد  
وللخروج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا يأخذ العوض فهو في الحقيقة  
بخيل (الثالث) ان المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الدين قالوا لن نؤمن لك  
حتى تقبلنا من الارض ينبوعا \* قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل  
بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل  
هو لاء الارب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مشورا فاراد ان يستغفرهم  
من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقتلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا  
جاء وعد الآخرة جثنا بكم لفيقا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود  
من هذا الكلام أيضا الجواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى نأتيها بهذه المعجزات القاهرة  
فقال تعالى انا آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التي طلبتها بل أقوى منها  
وأعظم فلو حصل في علمنا ان جعلها في زمانكم مصلحة افعلناها كما فعلنا في حق موسى  
فدل هذا على انا انما نعلم نفعها في زمانكم لعلمنا أنه لا مصلحة في فعلها (المسئلة  
الثانية) اعلم انه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه الصلاة  
والسلام (أحدها) ان الله تعالى أزال العقدة من لسانه قيل في التفسير ذهبت الجمجمة  
وصار فصيحاً (وثانيها) انقلاب العصاحية (وثالثها) تلقف الحية جبالهم وعصيتهم مع  
كترتها (ورابعها) البد البيضاء وخسة أخروهي الطوفان والجراد والقمل  
والضفادع والدم (والعاشر) شق البحر وهو قوله واذ فرقنا بكم البحر (والحادى عشر)  
الجر وهو قوله أن اضرب بعصاك الحجر (والثاني عشر) اظلال الجبل وهو قوله تعالى  
واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (والثالث عشر) ازال المن والسلوى عليه وعلى قومه  
(والرابع عشر والخامس عشر) قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص  
من الثمرات (والسادس عشر) الطمس على أموالهم من العسل والدقيق والاطعمة

بعده) من بعد اغراقهم  
(لبنى اسرائيل اسكنوا  
الارض) التي أراد  
أن يستغفر كم منها  
(فاذا جاء وعد الآخرة)  
الكثرة الآخرة والحياة  
أو الساعة أو الدار  
الآخرة أى قيام القيامة  
(جثنا بكم لفيقا)  
مخاطبين اياكم واياهم  
ثم نحكم بينكم ونميز  
سعداءكم من أشقيائكم  
والشفيف الجماعات  
من قبائل شتى (وبالحق  
أنزلناه وبالحق نزل)  
أى وما أنزلنا القرآن الا  
ملتبسا بالحق المقضى  
لا تزاله وما نزل الاملتبسا  
بالحق الذى استمل عليه  
أوما أنزلناه من السماء  
الامحفوظا وما نزل على  
الرسول الامحفوظا  
من تخليط الشياطين  
ونعل المراد بيان عدم  
اعتراء البطلان له أول  
الامر وآخره



ابن جرير الطبري معناه أعطيت علم السحر فهذه الحجاب التي تأتي بها من ذلك السحر ثم أجابه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السموات والأرض وفيه مباحث (البحث الأول) قرأ الكسائي علمت بضم التاء أي علمت انها من عند الله فان علمت وأقررت والاهلكت والباقون بالفتح وضم التاء قراءة علي وقحها قراءة ابن عباس وكان علي رضي الله عنه يقول والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فاحتج بقوله تعالى ومجدوا بها واستيقنتها أنفسهم على ان فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى عليه السلام قال الزجاج الاجود في القراءة الفتح لان علم فرعون بانها آيات نازلة من عند الله أو كد في الحجة فاحتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون أو كد من الاحتجاج بعلم نفسه وأجاب الناصرون لقراءة علي رضي الله عنه عن دليل ابن عباس فقالوا قوله ومجدوا بها واستيقنتها أنفسهم يدل على انهم استيقنوا شيئا ما فاما انهم استيقنوا كون هذه الآيات نازلة من عند الله فليس في الآية ما يدل عليه وأجابوا عن الوجه الثاني بان فرعون قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم ليجنون قال موسى لقد علمت فكأنه نبي ذلك وقال لقد علمت صحة ما أثبت به علما صححوا علم العقلاء واعلم ان هذه الآيات من عند الله ولا تشك في ذلك بسبب سفاهتك (البحث الثاني) التقدير ما أنزل هؤلاء الآيات ونظيره قوله والعيش بعد أوامرك الاقوام \* وقوله بصائر أي حجج باينة كأنها بصائر العقول وتحقق الكلام ان المجرمة فعل خارق للعادة فعلة فاعله لغرض تصديق المدعي ومعجزات موسى عليه الصلاة والسلام كانت موصوفة بهذين الوصفين لانها كانت أفعالا خارقة للعادة وصرائح العقول تشهد بان قلب العصاحية معجزة عظيمة لا يقدر عليه الا الله ثم ان تلك الحجة تلقت حبال السحرة وعصبيهم على كثرتها ثم عادت عصاها كانت فاصناف تلك الافعال لا يقدر عليها احد الا الله وكذا القول في فرق البحر واطلال الجبل فثبت ان تلك الاشياء ما أنزلها الأرب السموات (الصفة الثانية) انه تعالى انما خلقها لتدل على صدق موسى في دعوة النبوة وهذا هو المراد من قوله ما أنزل هؤلاء الأرب السموات والأرض حال كونها بصائر أي دالة على صدق موسى في دعواه وهذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن الا بعد اتقان علم الاصول وأقول يبعد أن يصير غير علم الاصول العقلي قاهرا في تفسير كلام الله ثم حكى تعالى ان موسى قال لفرعون واني لاطنك يا فرعون مشورا واعلم ان فرعون قال لموسى واني لاطنك يا موسى ممحورا فعارضه موسى وقال له واني لاطنك يا فرعون مشورا قال الغراء المشبور الملعون المحبوس عن الخير والعرب تقول ما تبرك عن هذا أي ما منعك منه وما صرفك وقال أبو زيد يقال تبرت فلانا عن الشيء أي رددته عنه وقال مجاهد وقادة هالكوا وقال الزجاج يقال تبر الرجل فهو مشبور اذا هلك والتبور الهلاك ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والتبور وعند مصيبة تناله وقال تعالى دعوا هؤلاء

والباطل والمحق والمبطل ورواها فيهما عنك ونعت ما أنزل اليك (اذ ايتي) أي القرآن (عليهم يخرون للاذقان) أي يسقطون على وجوههم (سجدا) تعظيما لأمر الله تعالى أو شكر الإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثك وتخصيص الاذقان بالذكور للدلالة على كمال الذلال اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايتار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله \* فخرصر بعا للبين ولانهم \* وهو تعليل لما فهم من قوله تعالى آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن ايمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل يايمان العلماء عن ايمان الجاهلة ولا تتكثرت



ثبورا لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا واعلم ان فرعون لما وصف موسى  
 بكونه مسحورا أجابه موسى بانك مشبور يعني هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة  
 ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله وفي أنه تعالى انما أظهرها لاجل تصديقي وأنت  
 تنكرها فلا يحملك على هذا الانكار الاحسد والعناد والغي والجهل وحب الدنيا ومن  
 كان كذلك كانت عاقبته الدمار والشبور ثم قال تعالى فأراد أن يستفزهم من الارض  
 يعني أراد فرعون أن يخرجهم يعني موسى وقومه بنى اسرائيل ومعنى تفسير الاستفزاز  
 تقدم في هذه السورة من الارض يعني أرض مصر قال الزجاج لا يبعد أن يكون المراد من  
 استفزازهم اخراجهم منها بالقتل أو بالتحية ثم قال فاغرقناه ومن معه جميعا المعنى ما ذكره  
 الله تعالى في قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض  
 مصر لتخص له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل ملك مصر خالصة لموسى  
 وقومه وقال لبنى اسرائيل اسكنوا هذه الارض خالصة لكم خالية من عدوكم قال تعالى  
 فاذا جاء وعد الآخرة ير يدالقيامة جثنا بكم لفيقنا من ههنا وههنا والقياف الجمع العظيم  
 من اخلاط شتى من الشرىف والدينى والمطيع والعاصى والقوى والضعيف وكل شىء  
 خلطته بشىء آخر فقد لفته ومنه قيل لفتت الجيوش اذا ضربت بعضها ببعض وقوله  
 التفت الزحوف ومنه التفت السلق بالساق والمعنى جثنا بكم من قبوركم الى المحشر  
 اخلاطا يعني جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر \* قوله تعالى ( وبالحق أنزلناه  
 وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقدناه لتقرأه على الناس على مكث  
 ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولانؤمنوا ان الذين أتوا العلم من قبله اذيتلى عليهم يخرون  
 للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان بكون  
 ويزيدهم خشوعا) اعلم انه تعالى لما بين ان القرآن معجز قاهر دال على الصدق في قوله قل لن  
 اجتمع الانس والجن ثم حكي عن الكفار انهم لم يكتفوا بهذا المعجز بل طلبوا سائر  
 المعجزات ثم أجاب الله بانه لا حاجة الى اظهار سائر المعجزات وبين ذلك بوجوه كثيرة منها ان  
 قوم موسى عليه الصلاة والسلام آتاهم الله تسع آيات بينات فلما جحدوا بها أهلكهم الله  
 فكذا ههنا ثم أنه تعالى لو أتى قوم محمد تلك المعجزات التي اقترحوها ثم كفروا بها وجب  
 انزال عذاب الاستئصال بهم وذلك غير جائز في الحكمة لعلمه تعالى أن منهم من يؤمن والذى  
 لا يؤمن فسيظهر من نسله من يصير مؤمنا ولما تم هذا الجواب عاد الى تعظيم حال القرآن  
 وجلالة درجته فقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل والمعنى انه ما أردنا بانزاله الا تقرير الحق  
 والصدق وكما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع هذا المعنى وحصل وفي هذه الآية فوائد  
 (الفائدة الاولى) ان الحق هو الثابت الذى لا يزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وهذا  
 الكتاب الكريم مستل على أشياء لا تزول وذلك لانه مستل على دلائل التوحيد وصفات  
 الجلال والاکرام وعلى تعظيم الملائكة وتقدير نبوة الانبياء واثبات المحشر والنشر

بإيمانهم واعراضهم  
 (و يقولون) في سجدتهم  
 (سبحان ربنا) عما يفعل  
 الكفرة من التكذيب  
 أو عن خلف وعده  
 (ان كان وعد ربنا لمفعولا)  
 ان مخفقة عن المثقلة واللام  
 فارقة أى ان الشأن هذا  
 (ويخرون للاذقان  
 بكون) كرر الخور  
 للاذقان لاختلاف السبب  
 فان الاول لتعظيم أمر الله  
 تعالى او الشكر لأجازه  
 الوعد والثاني لما أثر فيهم  
 من مواعد القرآن حال  
 كونهم باكين من خشية الله  
 (ويزيدهم) أى القرآن  
 بسما عهم (خشوعا)  
 كما يزيدهم علما ويقينا بالله  
 تعالى (قل ادعوا الله  
 أو ادعوا الرحمن) نزل حين  
 سمع المشركون رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول  
 يا الله يا رحمن فقالوا انه  
 ينهانا عن عبادة الهين  
 وهو يدعوها آخر وقالت  
 اليهود انك لتقل ذكر

والقيامه وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ومشتل أيضا على شريعة باقية لا يطرُق اليها النسخ  
 والنقض والتخريف وأيضا فهذا الكتاب كتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف الزائغين  
 بتدبير الجاهلين كما قال انانحن نزلنا الذكر واناله لحافظون فكان هذا الكتاب حقا  
 من كل الوجوه (الفائدة الثانية) ان قوله وبالحق أنزلناه يفيد الحصر ومعناه أنه ما أنزلنا  
 لمقصود آخر سوى اظهار الحق وقالت المعتزلة وهذا يدل على انه ما قصد بانزاله اضلال احد  
 من الخلق ولا اغواؤه ولا منعه عن دين الله (الفائدة الثالثة) قوله وبالحق أنزلناه وبالحق  
 نزل يدل على ان الاتزال غير الزول فوجب أن يكون الخلق غير المخلوق وان يكون التكوين  
 غير المكون على ما ذهب اليه قوم (الفائدة الرابعة) قال أبو علي الفارسي الباء في قوله وبالحق  
 أنزلناه بمعنى مع كما تقول نزل بعدته وخرج بسلاحه والمعنى انزلنا القرآن مع الحق وقوله  
 وبالحق نزل فيه احتملان (أحدهما) أن يكون التقدير نزل بالحق كما تقول نزلت يزيد وعلى  
 هذا التقدير الحق محمد صلى الله عليه وسلم لان القرآن نزل به أى عليه (الثاني) أن تكون  
 بمعنى مع كما قلنا في قوله وبالحق أنزلناه ثم قال تعالى وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا والمقصود  
 أن هؤلاء الجاهل الذين بقترحون عليك هذه المعجزات ويتمردون عن قبول دينك لاشئ  
 عليك من كفرهم فاني ما أرسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للجاحدين فان قبلوا الدين  
 الحق انتفعوا به والافليس عليك من كفرهم شئ ثم قال وقرأنا فرمناه لتقرأه على الناس على  
 مكث وفيه مباحث (البحث الاول) ان القوم قالوا هب ان هذا القرآن معجزا لانه يتقدر  
 أن يكون الامر كذلك فكان من الواجب أن يبره الله عليك دفعة واحدة ليظهر فيه وجه  
 الاعجاز فجعلوا آيات الرسول بهذا القرآن متفرقا شبهة في أنه يتفكر في فصل فصل ويقرأه  
 على الناس فاجاب الله عنه بانه انما فرقه ليكون حفظه أسهل ولتكون الاحاطة والوقوف  
 على دقائقه وحقائقه أسهل (البحث الثاني) قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر  
 من السماء العليا الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة كان بين  
 اوله وآخره عشرين سنة والمعنى قطعناه آية آية وسورة سورة ولم ننزله جلة لتقرأه على الناس  
 على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة اي لاعلى فورة قال الفراء يقال مكث ومكث  
 بمكث والفتح قراءة عاصم في قوله فكث غير بعيد (البحث الثالث) الاختيار عند الأئمة  
 فرقناه بالتخفيف وفسره أبو عمرو وبناه قال أبو عبيد التخفيف أعجب الى لان تفسيره يبناه  
 ومن قرأه بالتشديد لم يكن له معنى الا انه أنزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكد  
 ما روى نعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت أفرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام ويدل  
 عليه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم البيمان بالخيار ما لم يتفرقا ولم يقل يفترقا والتفرق  
 مطاوع التفريق والافتراق مطاوع الفرق ثم قال ونزلناه تزيلا أى صلى الحد المذكور  
 والصفة المذكورة ثم قال قل آمنوا به أولاتوا مناوا يخاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات  
 العظيمة على وجه التهديد والانكار أى أنه تعالى أوضح البينات والدلائل وأزاح الاعذار

الرحمن وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما بيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى (أيامات دعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف أولهما استثناء عنه وأول التخبير والتووين في اياعوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتأكيدهما في أي من الابهام والضرب في له للمسمى لان التسمية له الاسم وكان أصل الكلام أيامات دعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمباشرة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن

فاختاروا ما تريدون ثم قال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله أي من قبل نزول القرآن قال  
 مجاهد هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجدا  
 منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبدالله بن سلام ثم قال يخرون للاذقان سجدا  
 وفيه أقوال ( القول الاول ) قال الزجاج الذقن مجتمع الحيين وكما يتدنى الانسان بالحرور  
 الى السجود فأقرب الاشياء من الجبهة الى الارض الذقن ( والقول الثاني ) ان الاذقان  
 كناية عن الحصى والانسان اذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ر بما مسح لحيته  
 على التراب فان الحية يباليغ في تنظيفها فاذا عرفها الانسان بالتراب فقد أتى بغاية  
 التعظيم ( والقول الثالث ) ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فر بما سقط على  
 الارض في معرض السجود كالمغشي عليه ومتى كان الامر كذلك كان خروجه على الذقن  
 في موضع السجود فقوله يخرون للاذقان كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته ثم بقى في  
 الآية سؤالان ( السؤال الاول ) لم قال يخرون للاذقان سجدا ولم يقل يسجدون والجواب  
 المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى انهم يسقطون ( السؤال الثاني ) لم  
 قال يخرون للاذقان ولم يقل على الاذقان والجواب العرب تقول اذا خر الرجل فوقع  
 على وجهه خر للذقن والله أعلم ثم قال تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا  
 لم ينصنا انهم يقولون في سجودهم سبحان ربنا أي يزهونه ويعظمونه ان كان وعد ربنا  
 لم ينصنا أي بانزال القرآن وبعث محمد وهذا يدل على ان هؤلاء كانوا من أهل الكتاب لان  
 الوعد بيئته محمد سبق في كتابهم فهم كانوا ينتظرون انجاز ذلك الوعد ثم قال ويخرون للاذقان  
 يكون والفائدة في هذا التكرير اختلاف الخالين وهما خروجه للسجود وفي حال كونهم  
 يأتين عند استماع القرآن ويدل عليه قوله ويزيدهم خشوعا ويجوز أن يكون تكرار  
 القول دلالة على تكرار الفعل منهم وقوله يكون معناه الحال ويزيدهم خشوعا أي  
 تواضعا واعلم ان المقصود من هذه الآية تقرير تحييرهم والازدراء بشأنهم وعدم  
 الاكتراب بهم وبإيمانهم وامتناعهم منه وانهم وان لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم  
 \* قوله تعالى ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي اذعوا الله أو ادعوا الرحمن أو ادعوا  
 بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك  
 في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبرا ) قال صاحب الكشاف المراد بهما الاسم  
 لا المسمى والواو للتخيير بمعنى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي سمعوا بهذا الاسم أو بهذا  
 أو اذكروا اما هذا واما هذا والتوين في أبا عوض عن المضاف اليه وماصلة للابهام  
 المؤكدة للمنفق أي والتقدير أي هذين الاسمين سميتم وذكرتهم فله الاسماء الحسنى والضمير  
 في قوله فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز  
 وعلا والمعنى أي اذعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت  
 أسماؤه فقد حسن هذان الاسمان لانهما منها وما معنى حسن أسماء الله كونها مفيدة لعاني

جميع أسمائه يستدعى  
 حسن ذنك الاسمين  
 وكونها حسنى لدلائهن  
 على صفات الكمال  
 الجلال والجمال والاكرام  
 ( ولا تجهر بصلاتك )  
 أي بقراءة صلاتك بحيث  
 تسمع المشركين فان ذلك  
 يحلهم على السب  
 والغو فيها ( ولا تخافت  
 بها ) أي بقراءتها  
 بحيث لا تسمع من خلفك  
 من المؤمنين ( وابتغ )  
 بين ذلك أي بين الجهر  
 والخافتة على الوجه  
 المذكور ( سبيلا )  
 أمر او سطا قصدا  
 فان خيرا الامور واساطها  
 والتعبير عن ذلك بالسبيل  
 باعتبار أنه أمر يتوجه  
 اليه المتوجهون ويؤمه  
 المقندون ويوصلهم  
 الى المطلوب وروى أن  
 أبا بكر رضى الله تعالى  
 عنه كان يخفت ويقول

العصيدة والتقديس وقد سبق الاستقصاء في هذا الباب في آخر سورة الاعراف في تفسير قوله والله الاسماء الحسنى فادعوه بها واحتج الجبائي بهذه الآية فقال لو كان تعالى هو الخالق للظلم والجور لصح ان يقال يا ظالم وحينئذ يبطل ما ثبت في هذه الآية من كون اسمائه باسمها حسنة ( والجواب ) اننا نسلم انه لو كان خالقا لافعال العباد لصح وصفه بانه ظالم وجائر كما انه لا يلزم من كونه خالقا للحركة والسكون والسواد والبياض ان يقال يا متحرك ويا ساكن ويا أسود ويا أبيض فان قالوا فيلزم جواز ان يقال يا خالق الظلم والجور قلنا فيلزمكم ان تقولوا يا خالق الصدقات والديدان والخنفس وكما انكم تقولون ان ذلك حق في نفس الامر ولكن الادب ان يقال يا خالق السموات والارض فكذا قولنا ههنا ثم قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وفيه ما حيث ( البحث الاول ) قوله ولا تجهر بصلاتك فيه أقوال ( الاول ) روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في هذه الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاءه فواضح لله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله وعدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلا ( القول الثاني ) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور العمابة وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره تخفي صوتك فقال أناسي ربي وقد علم حاجتي وقال امر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان وأوقف الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا ( القول الثالث ) معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار ( والقول الرابع ) ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة رضي الله عنها في الدعاء وروى هذا من فوط ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية انما ذلك في الدعاء والمسئلة لا ترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك فتعير بها فالجهر بالدعاء منى عنه والمبالغة في الاسرار غير جائزة والمستحب من ذلك التوسط وهو ان يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود انه قال لم يخافت من أسمع اذنيته ( والقول الخامس ) قال الحسن لا تراء بعلايتها ولا تسيئ بسريتها ( البحث الثاني ) الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت فلما رادهم نامن الصلوات ببعض اجزاء ماهية الصلاة وهو الاذكار والقرآن وهو من باب اطلاق اسم الكل لارادة الجزء ( البحث الثالث ) يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفتونا اذا ضعف وسكن وصوت خفت أي خفيض ومنه يقال للرجل اذا مات قد خفت أي انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل وخفت الرجل يخافت بقرآته اذا لم يبين قرآته برفع الصوت وقد تخافت القوم اذا تساروا بينهم وأقول ثبت في كتب الاخلاق ان كلا طرفي الامور ذميم والعدل هو رعاية الوسط ولهذا المعنى مدح الله

أناسي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول أطرده الشيطان واوقف الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم بضرعا وخفية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ( ولم يكن له سر يك في الملك ) أي الالهية

هذه الامة بقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال في مدح المؤمنين والذين اذا اُنْفِقُوا لم يفسرفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواما و امر الله رسوله فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فكذا ههنا نهى عن الطرفين وهو الجهر والمخافتة و امر بالتوسط بينهما فقال وابتغ بين ذلك سبيلا ومنهم من قال الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهو بعيد واعلم انه تعالى لما أمر أن لا يدكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى علمه كيفية التمجيد فقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وول من الذل وكبره تكبيرا غدا كرهنا من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع من الصفات (التوع الاول) من الصفات أنه لم يتخذ ولدا والسبب فيه وجوه (الاول) ان الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الاجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد (الثاني) ان كل من له ولد فانه يملك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد افاض كل تلك النعم على عبده (الثالث) ان الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفناؤه فلو كان له ولد اكان مقتضيا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فوجب أن لا يستحق الحمد على الاطلاق (والتوع الثاني) من الصفات السلبية قوله ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك فخينئذ لا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر (والتوع الثالث) قوله ولم يكن له ولي من الذل والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو جاز عليه ولي من الذل لم يجب شكره ليجوز ان غيره حله على ذلك الانعام او منعه منه اما اذا كان مزها عن الولد وعن الشريك وكان مزها عن أن يكون له ولي يلى امره كان مستوجبا لالعظم أنواع الحمد مستحقا لاجل اقسام الشكر ثم قال تعالى وكبره تكبيرا ومعناه ان التمجيد يجب أن يكون مقرونا بالتكبير ويحتمل أنواعا من المعاني (أولها) تكبيره في ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وانه غنى عن كل ماسواه (وثانيها) تكبيره في صفاته وذلك من ثلاثة أوجه (أولها) أن يعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات الجلال والعز والعظمة والكمال وهو مزه عن كل صفات القانص (وثالثها) ان يعتقد أن كل واحد من تلك الصفات متعلق بما لانهاية له من المعلومات وقدرته متعلقة بما لانهاية له من المقدورات والممكنات (ورابعها) أن يعتقد انه كاتقدست ذاته عن الحدوث وتزهت عن التغير والزوال والتحول والانتقال فكذلك صفاته أزلية قديمة سرمدية مزهة عن التغير والزوال والتحول والانتقال (التوع الثالث) من تكبير الله تكبيره في أفعاله وعند هذا تختلف أهل الجبر والقدر فقال أهل السنة ان الحمد لله وتكبيره ونعظمه عن أن يجرى في سلطانه شيء لاعلى وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته ومشيئته وارادته وقوات المعتزلة ان تكبير الله ونعظمه عن أن يكون فاعلا لهذه القابح والقوا حش بل نعتقد ان حكمته تقتضى التنزيه والتقديس عنها وعن ارادتها وسمعت ان الاستاذ ابا اسحق

كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة (ولم يكن له ولي من الذل) ناصر ومانع منه لاعترازه به أو لي يوال أحدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايدان بأن المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الاجتاد وما يتفرع عليه من افاضة أنواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او نعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على أن العبد وان بالغ في التنزيه والتعجب واجتهد في الطساعة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم

الاسفراييني كان جالسا في دارالصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الجبار بن أحمد  
 المهداني فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ أبو اسحق سبحان من  
 لا يجرى في ملكه الامايشاء ( النوع الرابع ) تكبير الله في أحكامه وهو أن يعتقد أنه ملك  
 مطاع وله الامر والنهي والرقم والخفض وانه لا اعتراض لاحد عليه في شيء أحكامه  
 يعز من يشاء وينزل من يشاء ( النوع الخامس ) تكبير الله في أسمائه وهوان لا يذكر  
 الا باسمائه الحسنى ولا يوصف الا بصفاته المقدسة العالية المترتبة ( النوع السادس )  
 من التكبير هو ان الانسان بعد ان يبلغ في التكبير والتعظيم والتعزيب والتقديس مقدار  
 عقله وفهمه وخطره يعترف ان عقله وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره  
 وجوارحه وأعضاؤه لا تفي بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره وافيًا بكنهه ومجده وعزته  
 وهذا أقصى ما يقدر عليه العبد الضعيف من التكبير والتعظيم ونسأل الله تعالى الرحمة  
 قبل الموت وعند الموت وبعد الموت انه الكريم الرحيم وبالله العصمة والتوفيق وحسبنا  
 الله ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء بين الظهر  
 والعصر يوم العشرين من شهر المحرم في بلدة غزني سنة احدى وستمائة والحمد لله والصلاة  
 على نبي محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿ سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية قال ابن عباس انها مكية غير آيتين منها فيهما  
 ذكر عبيدة بن حصن الفزاري وعن قتادة انها مكية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 الأدلكم على سورة شعبها سبعون ألف ملك حين نزلت هي سورة الكهف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشّر  
 المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا ما كثر فيهم أبدا في الآ  
 مسائل ( المسئلة الاولى ) أما الكلام في حقائق قولنا الحمد لله فقد سبق والذي أقوله  
 ههنا ان التسبيح أينما جاء فانه جاء مقدما على التمجيد الا ترى انه يقال سبحان الله والحمد لله  
 اذا عرفت هذا فنقول انه جل جلاله ذكر التسبيح عندما اخبر أنه أسرى بمحمد صلى  
 الله عليه وسلم فقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وذكر التمجيد عند ما ذكر انه أنزل  
 الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وفيه  
 فوائد ( الفائدة الاولى ) ان التسبيح أول الامر لانه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهو  
 اشارة الى كونه كاملا في ذاته والتمجيد عبارة عن كونه مكتملا لغيره ولا شك ان  
 أول الامر هو كونه كاملا في ذاته ونهاية الامر كونه مكتملا لغيره فلا جرم وقع  
 الابتداء في الذكر بقولنا سبحان الله ثم نذكر بعده الحمد لله تنبيها على أن مقام التسبيح مبدأ  
 ومقام التمجيد نهاية اذا عرفت هذا فنقول ذكر عند الامراء لفظ التسبيح وعند انزال  
 الكتاب لفظ التمجيد وهذا تنبيد على ان الاسراء به أول درجات كماله وانزال الكتاب غاية

كان اذا افصح الغلام  
 من بني عبد المطلب  
 علمه هذه الآية الكريمة  
 وعند عليه الصلاة  
 والسلام من قرأ سورة  
 بني أسرا تيل فرق  
 قلبه عند ذكر الوالدين  
 كان له قطار في الجنة  
 والقطار ألف اوقية  
 ومائتا اوقية والحمد لله  
 سبحانه وله الكبرياء  
 والعظمة والجبروت  
 ﴿ سورة الكهف مكية ﴾  
 وقل الا قوله تعالى  
 واصبر نفسك الآية  
 وهي مائة واحدى  
 عشرة آية م ﴿ ﴿ ﴾  
 ( بسم الله الرحمن الرحيم )  
 الحمد لله الذي أنزل على  
 عبده ( محمد صلى الله  
 عليه وسلم ) ( الكتاب )  
 أي الكتاب الكامل  
 الغنى عن الوصف

بالكمال المعروف بذلك من بين الكتاب الختيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل حينئذ كما مراراً وفي وصفه تعالى بالوصول اشعاراً بعلية ماني حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايدان بعظم شأن التزليل الجليل كيف لا وعليه يدور فلكه مطوعة للدارين يوفى التمييز من الرسول عليه الصلاة والسلام بالعباد مضافاً الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلاة والسلام الى أعلى ﴿ ٦٧٣ ﴾ معارج العبادة وتشرى به أي بشريفه واشعار بأن شأن

الرسول أن يكون عبداً للعرس لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ( ولم يجعل له عوجاً ) أي شيئاً من العوج بنوع احتلال في النظم وتناف في المعنى أو انحراف عن السوية الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان وام قوله تعالى لا ترى فيها عوجاً ولا أمانع كون الجبال من الاعيان ، فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عايد بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عند من قبيل ماني المعاني وقيل القبح في اعوجاج المتصعب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان أو معنى

درجات كماله والامر في الحقيقة كذلك لان الاسراء به الى العراج يقتضى حصول الكمال له وانزال الكتاب عليه يقتضى كونه مكملًا للارواح البشرية وناقلًا لها من حضيض البهيمية الى أعلى درجات الملكية ولاشك ان هذا الثاني أكمل وهذا تنبيه على ان أعلى مقامات العباد مقام أن يصير طاماً في ذاته معلماً غيره ولهذا روي في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيماً في السموات ( القائدة الثانية ) ان الاسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت الى فوق وانزال الكتاب عليه عبارة عن انزال نور الوحي عليه من فوق الى تحت ولاشك ان هذا الثاني أكمل ( القائدة الثالثة ) ان منافع الاسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى انه تعالى قال هنالك لنزيه من آياتنا ومنافع انزال الكتاب عليه متعددة ألا ترى انه قال لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين والقوائد المتعدية أفضل من القاصرة ( المسئلة الثانية ) المسبهة استدلوا بلفظ الاسراء في السورة المقدمة ولفظ الانزال في هذه السورة على انه تعالى مخصص بجهة فرق ( والجواب ) عنه مذكور بالتمام في سورة الاعراف في تفسير قوله تعالى ثم استوى على العرش ( المسئلة الثالثة ) انزال الكتاب نعمة عليه ونعمة علينا أما كونه نعمة عليه فلانه تعالى أطلعنا بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتز به وصفات الجلال والاکرام وأسرار أحوال الملائكة والانبياء وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال علم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات وتصيير النفس كالمرآة التي يعكس فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت فلاشك ان ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلانه مستعمل على التكليف والاحكام والوعود والوعيد والثواب والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل واحد ينفع به بمقدار طاقته وفهمه فلما كان كذلك وجب على الرسول وعلى جميع أمته أن يحمداً والله عليه فعلمهم الله تعالى كيفية ذلك التحميد فقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين فقال ولم يجعل له عوجاً قميماً وفيه أبحاث ( البحث الاول ) اننا قد ذكرنا ان الشيء يجب أن يكون كاملاً في ذاته ثم يكون مكملًا لغيره ويجب أن يكون تاماً في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يغيب عليه كمال الغير اذا عرفت هذا فنقول في قوله ولم يجعل له عوجاً إشارة الى كونه كاملاً في ذاته وقوله قميماً إشارة الى كونه مكملًا لغيره لان القيم عبارة عن التمام بمصالح الغير ونظيره قوله في أول سورة البقرة في صفة الكتاب لا يرب فيه هدى للمتقين فقوله لا يرب فيه إشارة الى كونه في نفسه بالغافي الصحة وعدم الاخلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله هدى للمتقين إشارة الى كونه سبباً لهداية الخلق واكمل حالهم فقوله ولم يجعل له عوجاً قائم مقام قوله لا يرب فيه وقوله قميماً قائم مقام قوله هدى للمتقين وهذه أسرار

( قميماً ) بالمصالح الدينية والدنيوية ﴿ ٨٥ ﴾ خا للعباد على ما ينبغي عنده ما بعده من الانذار والتشهير فيكون وصفه له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهد بصحتها ومهمتها عليها أو متناهياً في الاستقامة فيكون تأكيد المادد عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له

بني سمع الصبي ١١٥٦ في عنه العوج مع كونه من شأنه واتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر بني منه نون العوج تقديره جعله فيما وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب إذا انفصل حيث شد بين أبعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيسا (لينذر) متعلق بأنزل والنفاصل ضمير الجلالة كفاي الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول ﴿ ٦٨٤ ﴾ الاول للايدان بأن ما سبق له الكلام

اطيفة (البحث الثاني) قال أهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد منه وجوه (أحدها) نفي التناقض عن آياته كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وثانيها) ان كل ما ذكر الله من التوحيد والنبوة والاحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولا خلل في شيء منها البتة (وثالثها) ان الانسان كأنه خرج من عالم الغيب متوجها الى عالم الآخرة والى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كأنها رباط بني على طريق عالم القيامة حتى ان المسافر اذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التي يجب رعايتها في هذا السفر ثم يرحل منه متوجها الى عالم الآخرة فكل ما دعاه من الدنيا الى الآخرة ومن الجسمانيات الى الروحانيات ومن الخلق الى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية الى الاستنارة بالانوار الصمدانية فثبت انه مبرا عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى ولم يجعل له عوجا (الصفة الثانية) للكتاب وهي قوله قيسا قال ابن عباس يريد مستقيما وهذا عندي مشكل لانه لا معنى لنفي العوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وانه باطل بل الحق ما ذكرناه وان المراد من كونه قيسا انه سبب لهداية الخلق وانه يجرى مجرى من يكون قيسا للاطفال فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم (البحث الثالث) قال الواحدى جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير والتقدير أنزل على عبده الكتاب قيسا ولم يجعل له عوجا وأقول قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لاننا ان قوله ولم يجعل له عوجا يدل على كونه كاملا في ذاته وقوله قيسا يدل على كونه مكتملا لغيره وكونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكتملا لغيره فثبت بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله ولم يجعل له عوجا قيسا فظهر أن ما ذكره من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه (البحث الرابع) اختلف العجويون في اتصاف قوله قيسا وذكروا فيه وجوها (الاول) قال صاحب الكشاف لا يجوز جملة حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجعله حالا من الكتاب يوجب انفصال بين الحال وذو الحال ببعض الصلة وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير ولم يجعل له عوجا وجعله قيسا (الوجه الثاني) قال الاصفهاني الذي نرى فيه أن يقال قوله ولم يجعل له عوجا حال وقوله قيسا حال أخرى وهما حالان متواليان والتقدير أنزل على عبده الكتاب غير مجعول له عوجا قيسا (الوجه الثالث) قال السيد صاحب حل العقد يمكن أن يكون قوله قيسا بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا لان معنى لم يجعل له عوجا انه جعله مستقيما فكأنه قيل أنزل على عبده الكتاب وجعله قيسا (الوجه الرابع) أن يكون حالا من الضمير في قوله ولم يجعل له عوجا أي حال كونه قائما بمصالح العباد وأحكام الدين واعلم انه تعالى لما ذكر انه أنزل على عبده هذه الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لاجله أنزله فقال لينذر بأسا شديدا

هو المفعول الثاني وأن الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره أي أنزل الكتاب لينذر بما فيه الدين كفر وابه (بأسا) أي عذابا (شديدا) من لدنه أي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشتمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر) بالتسديد وقرئ بالتخفيف (المؤمنين) أي المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الاعمال الصالحة التي ينتفي تضاعيفه وايتار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الاعمال هو الايمان (ان لهم) أي بان لهم بمقابلة ايمانهم وأعمالهم المذكورة (أجر احسنا)

هو الجند وما فيها من الثوبات الحسنى (ما كسبن) حال من الضمير المحرور في لهم (فيه) أي في ذلك الاجر ﴿ من ﴾ (أبدا) من غير انتهاء أي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لما كسبن وتقديم الانذار على التبشير لانهما كال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التحلية على التخلية وتكرير الانذار بقوله تعالى (ولينذر الذين قالوا اتخذنا الله ولدا) متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار



السابق من مستحق البأس الشديد لا يذنب بكمال فظاعة حالهم اغاية شناعة كفرهم وضلالهم أي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المشوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر ﴿ ٦٧٥ ﴾ على أقبح الوجوه وايشار صيغة الصى في الصلة للدلالة على

تحقق صدور تلك الكلمة  
القبحة عنهم فيما سبق  
وجعل المفعول المحذوف  
فيما سلف عبارة عن هذه  
الطائفة بوذى الى خروج  
سائر اصناف الكفرة  
عن الانذار والوعيد  
وتعميم الانذار هناك  
للمؤمنين أيضا بحمله على  
معنى مجرد الاخبار بالخبر  
الضار من غير اعتبار  
حلول المنذر به على المنذر  
كفاي قوله تعالى أن أنذر  
الناس وبشر الذين  
آمنوا يفضى الى خا  
النظم الكريم عن الدلالة  
على حلول البأس الشديد  
على من عدا هذه الفرقة  
ويجوز أن يكون الفاعل  
في الافعال الثلاثة ضمير  
الكتاب أو ضمير الرسول  
عليه الصلاة والسلام  
( ما لهم به ) أي باتخاذ  
سبحانه وتعالى ولدا ( من )  
علم) مرفوع على الابتداء  
أو الفاعلية لاعتماد  
الظرف ومن من يده  
لأ كد النبي والجملة حالية  
أو مستأنفة لبيان حالهم

من لدنه وأنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا الا انه اقتصر ههنا على  
أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا كما قال في ضده ويبشر المؤمنين والبأس  
ماخوذ من قوله تعالى بعذاب بئس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبأسه وقوله  
من لدنه أي صادر من عنده قال الزجاج وفي لدن لغات يقال لدن ولدى ولد والمعنى واحد  
قال وهي لا يمكن تمكن عند لاندك تقول هذا القول صواب عندي ولا تقول صواب لدني  
وتقول عندي مال عظيم والمال غائب عنك ولدني لما يليك لا غير وقرأ عاصم في رواية أبي  
بكر يسكون الدال مع اشمام الضم وكسر النون والهاء وهي لغة بني كلاب ثم قال تعالى  
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا واعلم أن المقصود من  
ارسال الرسل انذار المذنبين و بشارة المطيعين ولما كان دفع الضرر أهم عند العقول من  
ايصال النعم لاجرم قدم الانذار على التبشير في اللفظ قال صاحب الكشف وقرئ  
ويبشر بالتخفيف والتثقل وقوله ما كثر في أيدا يعني خالد بن وهو حال للمؤمنين  
من قوله ان لهم أجرا قال القاضي الآية دالة على صحة قولنا في مسائل ( أحدها ) ان القرآن  
مخلوق و يانه من وجوه ( الاول ) انه تعالى وصفه بالانزال والنزول وذلك من صفات  
المحدثات فان القديم لا يجوز عليه التغير ( الثاني ) وصفه بكونه كتابا والكتب هو الجمع  
وهو سمي كتابا لكونه مجموعا من الحروف والكلمات وما صح فيه التركيب والتأليف  
فهو محدث ( الثالث ) انه تعالى أثبت الحمد لنفسه على ازال الكتاب والحمد انما يستحق  
على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة ( الرابع ) انه وصف الكتاب بانه غير معوج وبأنه  
مستقيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك فثبت انه محدث مخلوق ( وثانيها ) مسألة خلق  
الاعمال فان هذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسئلة من وجوه ( الاول ) نفس الامر  
بالحمد لانه لو لم يكن لا بعد فعل لم ينفع بالكتاب اذا الانتفاع به انما يحصل اذا قدر على أن  
يفعل ما دل الكتاب على أنه يجب فعله و يترك ما دل الكتاب على أنه يجب تركه وهو  
انما يفعل ذلك لو كان مستقلا بنفسه أما اذا لم يكن مستقلا بنفسه لم يكن اعوج الكتاب  
اثر في اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب فيما اثر في استقامة فعله أما اذا كان العبد  
قادرا على الفعل مختارا فيه لم يعوج الكتاب واستقامته اثر في فعله ( والثاني ) انه تعالى  
لو كان أنزل بعض الكتاب ليكون سببا لكفر البعض وأنزل الباقي ليؤمن البعض الآخر  
فمن أين ان الكتاب قيم لا عوج فيه لانه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك ( والثالث ) قوله  
لينذر وفيه دلالة على انه تعالى أراد مند صلى الله عليه وسلم انذار الكل وتبشير الكل  
وبتقدير أن يكون خالق الكفر والايان هو الله تعالى لم يبق للانذار والتبشير معنى لانه  
تعالى اذا خلق الايمان فيه حصل شاء أو لم يشأ واذا خلق الكفر فيه حصل شاء أو لم يشأ  
فبقى الانذار والتبشير على الكفر والايان جار مجرى الانذار والتبشير على كونه طويلا  
قصيرا وأسود وأبيض مما لا قدرة له عليه ( والرابع ) وصفه المؤمنين بأنهم يعملون

في مقالهم أي ما لهم بذلك شيء من علم أصلا لا الاخلالهم بطريفة مع تحقق المعلوم أو امكانه بل لاستحاطته في نفسه  
( ولا لا بأنهم ) الذين قلدوهم فنهاوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة أو ما لهم علم بما قالوه أو صواب أم خطا بل انما قالوه  
ربما عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كفاي قوله تعالى وخرقوا البين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه وبعظم

رتبه في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى (كبرت كلمة) أي عظمت مقاتلتهم هذه الكفر والافتراء لما فيها من نسبتة سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقاوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير بهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كئیس رجلا والمخصوص بالذم محذوف \* ٦٧٦ \* تقديره كبرت هي كلمة خارجة من

الصالحات فان كان ما وقع خلق الله تعالى فلا عمل لهم البتة (الخامسة) ايجابه لهم الاجر الحسن على ما عملوا فان كان الله تعالى يخلق ذلك فيهم فلا ايجاب ولا استحقاق (المسئلة الثالثة) قال قوله اينذر يدل على انه تعالى انما يفعل أفعاله لا غراض صحيحة وذلك يطل قول من يقول ان قوله غير معطل بالعرض واعلم ان هذه الكلمات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فائدة في الاعادة \* قوله تعالى ( و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآئهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فاعلمك باخع نفسك على آئهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا معطوف على قوله لينذر بأسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف عليه فالاول عام في حق كل من استحق العذاب والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بآية اذا ذكركم قضية كذبة عطف عليها بعض جزئياتها تبيينها على كونه أعظم جريئات ذلك الكلي كقوله تعالى ولا تذكروا جبريل وميكال فكذاهمنا لعطف يدل على ان أقبح أنواع الكفر والمعصية اثبات الولد لله تعالى (المسئلة الثانية) الذين أثبتوا الولد لله تعالى ثلاث طوائف (أحدها) كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله (وبانيها) النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله (وبانيها) اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والكلام في اثبات الولد لله كفر عظيم ويلزم منه محال عظمية قد ذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات يعبر علم وتامه مذكور في سورة مريم ثم انه تعالى أنكر على القائلين بآيات الوالد لله تعالى من وجهين (الاول) قوله ما لهم به من علم ولا لآئهم فان قيل اتخذ الله ولدا محال في نفسه وكيف قيل ما لهم به من علم قلنا انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله ومن يدع مع الله الها آخر لانه له به واعلم ان نفاة القياس تسكوا بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على ان القول في الدين بغير علم باطل والقول بالقياس الطني قول في الدين بغير علم فكون باطلا وتام نفي ربه مذكور في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله ولا لآئهم أي ولا أحد من أسلافهم وهذا ميانة في كون تلك المقالة باطلة فاسدة (النوع الثاني) ما ذكره الله في ابطاله قوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم وفيه مباحث (البحث الاول) قرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية قال الواحدى ومعنى التمييز انك اذا قلت كبرت المقالة أو الكلمة جازان يشوهم انها كبرت كذبا أو جهلا أو افتراء فلما قلت كلمة ميزتها من محتملاتها فاتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فحصل فيه الاضمار أما من رفع فلم يضم شيئا كما تقول عظم فلان فلذلك قال الصويون والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة (البحث الثاني) قوله كبرت أي كبرت الكلمة والمراد من هذه الكلمة ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله قالوا اتخذ الله ولدا

أفواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع انعام الضم وقرئ كلمة بالرفع (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجزائهم على التفوه بها واسناد الحروح اليها مع أن الخارج هو الهواء المتكف بكيفية الصوت للابسته بها (ان يقولون) ما يقولون في ذلك السان (الا كذبا) أي الاقولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق أصلا والضمير ان لهم ولا آئهم مثل حاله عليه الصلاة والسلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوايهم عن الايمان باقرآن وكال التمسر عليهم محال من يتوقع منه اهلاك نفسه ارفوت ما يحبه عند مفارقة أحبته ناسفا على مفاردهم وبلغ فاعلى مهاجرتهم فقيل على طريقة التليل حملاه عليه الصلاة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك (فاعلمك باخع)

أي مهلك (نفسك على آئهم) عما وجدوا على فراقهم وقرئ بالاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا) فصارت الحديث) أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة أي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال

ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه (أسفا) مفعول للمبايع أي لقرط الحزن والغضب أو حال بما فيه من الضمير أو متأسفا عليهم ويجوز حل النظم الكريم على الاستمارة التبعية بجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقدم تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلبه (انا جعلنا ما على الارض) استثناف وتعليل لما في لعل من معنى الاسفاق اي ﴿ ٦٧٧ ﴾ انا جعلنا ما علىهما من عدم من وجه اليه التكليف من

الزخارف حيوانا كان  
أونباتا أو معدنا كقوله  
تعالى هو الذي خلق  
لكم ما في الارض جميعا  
(زينة) مفعول ثان للجعل  
ان حمل على معنى التصيير  
أوحال ان حمل على معنى  
الابداع واللام في (لها)  
اما متعلقة بزينة أو  
بمخدوف هو صفة لها  
أي كاشفة لها أي ابتغ  
بها الناظرون من المكلفين  
وينفعوا بها نظرا  
واستدلالا فان الحياة  
والعقارب من حيث تدبير  
هما اعداب الآخرة من  
قبيل المنافع بل كل  
حادث داخل تحت  
الزينة من حيث دلالة  
على وجود الصانع  
ووجوده فان الأزواج  
والاولاد أيضا من زينة  
الحياة الدنيا بل أعظمها  
ولا يمنع ذلك كونهم من  
جمله المكلفين فاسم  
من جهة انسابهم الى  
أصحابهم داخلون  
تحت الزينة ومن جهة  
كونهم مكلفين داخلون  
تحت الابتلاء (لنبلوهم)

فصارت مضرة في كبرت وسميت كلمة كما يسمون القصيد كلمة (البحث الثالث) احتج  
النظام في اثبات قوله ان الكلام جسم بهذه الآية قال انه تعالى وصف الكلمة بابها  
تخرج من أفواههم وانحروج عبارة عن الحركة والحركة لا تضحح الاعلى الاجسام والجواب  
ان الحروف والاصوات انما تحدث بسبب خروج النفس عن الخلق فلما كان خروج  
النفس سببا لحدوث الكلمة أطلق لفظ الخروج على الكلمة (البحث الرابع) قوله له تخرج  
من أفواههم يدل على ان هذا الكلام مستكره جدا عند العقل كأنه يقول هذا الذي  
يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه سئ  
يجري به لسانهم على سبيل التقليد لانهم مع انها قولهم عقولهم وفكرهم تأبأها وتفر عنها  
ثم قال تعالى ان يقولون الا كذبا ومعناه ظاهر واعلم ان الناس قد اختلفوا في حقيقة  
الكذب فتعدنا انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه سواء اعتقد المخبر انه مطابق أم لا ومن  
الناس من قال سرط كونه كذبا أن لا يطابق الخبر عنه مع علمه بأنه غير مطابق وهذا  
القدم عندنا باطل والدليل عليه هذه الآية فانه تعالى وصف قولهم باثبات الولد لله بكونه  
كذبا مع ان الكثير منهم يقول ذلك ولا يعلم كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه  
فهو كذب سواء علم القائل بكونه مطابقا أو لم يعلم ثم قال تعالى فلعنك باخع نفسك على  
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وفيه مباحث (البحث الاول) المقصود منه ان  
يقال للرسول لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا ومبشرا  
فأما تحصيل الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والقرض تسلية الرسول صلى الله عليه  
وسلم عنه (البحث الثاني) قال البيت نحم ال جل نفسه اذا قتلها غيظا من شدة وجده بالسي  
وقال الاخفش والقراء أصل النجم الجهد يقال نجمت لك نفسي أي جهدتها وفي  
حديث عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عمر فقالت نجح الارض أي جهدها حتى أخذ  
ما فيها من أموال الملوك وقال الكسائي نجحت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة  
بسبب متابعة الحرثة ونجح ال جل نفسه اذا نهكها وعلى هذا معنى باخع نفسك أي  
ناهكها وجاهدها حتى تهلكها ولكن أهل التأويل كلهم قالوا قائل نفسك ومهلكها  
والاصل ما ذكرناه هكذا قال الواحدى (البحث الثالث) قوله على آثارهم أي من بعدهم  
يقال مات فلان على اثر فلان أي بعده وأصل هذا ان الانسان اذا مات بقيت علاماته  
وآثاره بعد موته مدة ثم انها تنحس وتبطل بالكلية فاذا كان موته قريبا من موت الاول  
كان موته حاصلا حال بقاء آثار الاول فصح أن يقال مات فلان على اثر فلان (البحث  
الرابع) قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث المراد بالحديث القرآن قال القاضي وهذا  
يقضى وصف القرآن بانه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول انه قديم وجوابه انه  
محمول على الالفاظ وهي حادثة (البحث الخامس) قوله أسفا لاسف المبالغة في الحزن  
وذكرنا الكلام فيه عند قوله غضبان أسفا في سورة الاعراف وعند قوله بأسفا على

متعلق بجعلنا أي جعلنا ما جعلنا تعاملهم معاملة من يخبرهم (أيهم أحسن عملا) فيجاز بهم بالثواب والعقاب حسب ما تبين  
الحسن من السيئ وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على أنظارهم  
وتفاوت درجات أعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي اما استفهامية مر فووعة

رتبه في الشان خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار طاقته كالسؤال والنظر  
 الانسب يتى مجراه بطر بق التمثيل والاستعارة التبية واما موصولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ ضمير والجملة صلة لها  
 بخبر خبر النصب بدل من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو أحسن علا فحينئذ يحتمل أن تكون الضمة في أيهم البناء كما  
 قوله عز وجل ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد ﴿ ٦٧٨ ﴾ على الرحمن عتيا على أحد الأقوال لتحقق شرط

يوسف وفي اتصابه و جوه (الاول) انه نصب على المصدر ودل ما قبله من الكلام على انه  
 بأسف ( الثاني ) يجوز أن يكون مفعولا له أي للأسف كقولك جئتك بخير انبغاء الخير  
 ( والثالث ) قال ازجاج أسفا منصوب لانه مصدر في موضع الحال (المبحث السادس)  
 القاد في قوله فقلعك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه ومعناه الأخير  
 \* قوله تعالى ( انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجالعون  
 ما عليها صعيدا جزا ) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال القاضي وجه النظم كأنه  
 تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزيتها أخرجت منها أنواع المنافع والمصالح  
 والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكليف ثم انهم يكفرون  
 و يتردون ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأنت أيضا يا محمد ينبغي أن لا تنتهي  
 في الحزن بسبب كفرهم الى أن تترك الاستغال بدعوتهم الى الدين الحق ( المسئلة الثانية )  
 اختلفوا في تفسير هذه الزينة فقال بعضهم النبات والشجر وضم بعضهم اليه الذهب  
 والفضة والمعادن وضم بعضهم اليه سائر الحيوانات وقال بعضهم بل المراد الناس  
 فهم زينة الارض وبالجملة فليس بالارض الا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات  
 والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان وقال القاضي الاولى انه لا يدخل في هذه  
 الزينة المكلف لانه تعالى قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم فنبلوهم يجب  
 أن لا يدخل في ذلك فأما سائر النبات والحيوان فانهم يدخلون فيه كدخول سائر ما ينتفع به  
 وقوله زينة لها أي للارض ولا يمتنع أن يكون ما يحسن به الارض زينة للارض كما جعل  
 الله السماء من زينة الكواكب أما قوله لنبلوهم أيهم أحسن علا فقه مسائل  
 ( المسئلة الاولى ) ذهب هشام بن الحكم الى أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند دخولها  
 في الوجود فعلى هذا الابتلاء والامتحان على الله جائز و احمج عليه بأنه تعالى لو كان عالما  
 بالجزئيات قبل وقوعها لكان كل ما علم وقوعه واجب الوقوع وكل ما علم عدمه ممتنع  
 الوقوع والا لزم انقلاب علمه جهلا وذلك محال والمنفصلي الى المحال محال ولو كان ذلك  
 واجبا فالذي علم وقوعه يجب كونه فاعلا له ولا قدرة له على الترك والذي علم عدمه يكون  
 ممتنع الوقوع ولا قدرة له على الفعل وعلى هذا يلزم أن لا يكون الله قادر على شيء أصلا  
 بل يكون موجبا بالذات وأيضا فيلزم أن لا يكون للعبد قدرة لاعلى الفعل ولا على الترك  
 لان ما علم الله وقوعه امتنع من العبد تركه وما علم الله عدمه امتنع من فعله فالتقول يكونه  
 تعالى عالما بالاشياء قبل وقوعها يقدر في الر بوبية وفي العبودية وذلك باطل فثبت أنه  
 تعالى انما يعلم الاشياء عند وقوعها وعلى هذا التقدير فالابتلاء والامتحان والاختبار  
 جائز عليه وعند هذا قال يجرى قوله تعالى لنبلوهم أيهم أحسن علا على ظاهره وأما جمهور  
 علماء الاسلام فقد استبعدوا هذا القول وقالوا انه تعالى من الازل الى الابد عالم بجميع  
 الجزئيات فالابتلاء والامتحان محالان عليه وأيضا وردت هذه الالفاظ فالمراد انه تعالى

البناء الذي هو الاضافة  
 لفظا وحذف صدق  
 الصلة وأن تكون  
 للاعراب لان ما ذكر  
 شرط لجواز البناء  
 لوجوبه وحسن العمل  
 الزهد فيها وعدم الاعتراض  
 بها والقناعة باليسير  
 منها وصرفها على ما  
 ينبغي والتأمل في شأنها  
 وجعلها ذريعة الى معرفة  
 حائقها والتمتع بها حسبما  
 أذن له الشرع وأداء  
 حقوقها والشكر لها  
 لا اتخاذها وسيلة الى  
 الشهوات والاعراض  
 الفاسدة كما يفعل الكفرة  
 وأصحاب الاهواء ويراد  
 صيغة التفضيل مع أن  
 الابتلاء شامل للفرقيين  
 باعتبار أعمالهم المنقسمة  
 الى الحسن والقيح أيضا  
 لا الى الحسن والاحسن  
 فقط للاشعار بأن الغاية  
 الاصلية للجعل المذكور  
 انما هو ظهور كمال  
 احسان المحسنين على  
 ما حقق في تفسير قوله  
 تعالى لنبلوكم أيهم أحسن

عملا ( وانا لجالعون ) فيما سأتى عند تنهاى عمر الدنيا ( ما عليها ) من المخلوقات فاطبة بافتائها بالكلية \* \* \* معاملهم \*  
 وانا أظهر في مقام الاضمار زيادة التقرير أو لادراج المكلفين فيه ( صعيدا ) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب  
 أو وجه الارض قال أبو صبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه ( جززا ) زبا بالنبات فيه

بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنْ نَجْمَةِ النُّظَارِ وَتَشْرَفُ بِمَشَاهِدَتِهِ الْإِبْصَارِ يُقَالُ أَرْضٌ جَرَزٌ لَانْبَاتِ فِيهَا وَسَنَةٌ جَرَزٌ لَامْطَرِ فِيهَا  
قَالَ الْفَرَّاءُ جَرَزَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَجْرُوزَةٌ أَيْ ذَهَبَتْ نَبَاتُهَا بِمَحَطِّ أَوْ جَرَادٍ يُقَالُ جَرَزَهَا الْجَرَادُ وَالشَّاةُ وَالْإِبِلُ إِذَا أَكَلَتْ  
مَا عَلَيْهَا وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لِتَكْمِيلِ مَا فِي السَّابِقَةِ مِنَ التَّعْلِيلِ وَالْمَعْنَى لَا تَحْرَنَ بِمَا عَيَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ تَكْدِيبِ مَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ مِنْ  
الْكِتَابِ فَأَنَا قَدْ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ فَنُونِ الْأَشْيَاءِ ﴿ ٦٧٩ ﴾ زِينَةً لَهَا تَحْتَبِرُ أَعْمَالُهُمْ قَبْجَازٍ يَمُّ بِحَسْبِهَا وَأَنَا

لِعُنُونِ جَمِيعِ ذَلِكَ عَنْ  
قَرِيبٍ وَبِحَازُونَ لَهُمْ  
بِحَسْبِ أَعْمَالِهِمْ ( أَمْ  
حَسِبْتَ ) الْخَطَابُ لِلرَّسُولِ  
اللَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالرَّادُ أَنْكَارُ حَسْبَانَ  
أُمَّتِهِ وَأَمْ مَنْقُطَةٌ مَقْدَرَةٌ  
يَبْلُغُ التَّيْهَى الْإِنْتِقَالَ  
مِنْ حَدِيثٍ إِلَى حَدِيثٍ  
لَا لِلْإِبْطَالِ وَبِهِمْ حَزْرَةٌ  
الِاسْتِفْهَامِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ  
وَيَبْلُغُ وَحْدَهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ  
أَيْ بَلْ أَحْسِبْتَ ( أَنْ  
أَصْحَابُ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ  
كَانُوا ) فِي بَقَائِهِمْ عَلَى  
الْحَيَاةِ مَدَّةً طَوِيلَةً مِنْ  
الدَّهْرِ ( مِنْ آيَاتِنَا ) مِنْ بَيْنِ  
آيَاتِنَا الَّتِي مِنْ جَلَّتْهَا  
مَا ذَكَرْنَا مِنْ جَعْلِ مَا  
عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا  
لِلْحِكْمَةِ الْمَشَارِ الْبِهَائِمِ  
جَعَلَ ذَلِكَ كَمَا صَعِيدًا  
جَرَزًا كَأَنَّهَا تَفْنُ بِالْأَمْسِ  
( عَجْبًا ) أَيْ آيَةٌ ذَاتُ  
عَجْبٍ وَضَعَالَةٍ مَوْضِعُ  
الْمُضَافِ أَوْ وَصْفَانِ ذَلِكَ  
بِالْمَصْدَرِ مِبَالِغَةٌ وَهِيَ  
خَبْرٌ لِكُنُوتِهَا وَمِنْ آيَاتِنَا  
حَالٌ مِنْهُ وَالْمَعْنَى أَنَّ  
قِصَّتَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ  
حَارِقَةً لِلْعَادَاتِ لَيْسَتْ

يَعَامِلُهُمْ مَعَامَلَةً لَوْ صَدَرَتْ تِلْكَ الْعَامَلَةُ عَنْ غَيْرِهِ لَكَانَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِبْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ  
وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ مَرَارًا كَثِيرَةً ( الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ ) قَالَ الْقَاضِي مَعْنَى قَوْلِهِ لَنْبَلُوهُمْ  
أَيْهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا هَوَانَهُ يَبْلُوهُمْ لِيَبْصُرَهُمْ أَيْهُمْ أَطْوَعُ لِلَّهِ وَأَسَدُ اسْتِمْرَارًا عَلَى خِدْمَتِهِ لِأَنَّ  
مِنْ هَذَا حَالَهُ هُوَ الَّذِي يَفُوزُ بِالْجَنَّةِ فَبَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ كَلَّفَ لِأَجْلِ ذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَعْصَى فِدْلُ  
ذَلِكَ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ خَلَقَ بَعْضُهُمْ لِلنَّارِ ( الْمَسْئَلَةُ الثَّلَاثَةُ ) الْإِلَامُ فِي قَوْلِهِ لَنْبَلُوهُمْ  
تَدَلُّ ظَاهِرًا عَلَى أَنَّ أَعْمَالَ اللَّهِ مَعْلَلَةٌ بِالْأَغْرَاضِ عِنْدَ الْمُعْتَرِثَةِ وَأَصْحَابِنَا قَالُوا هَذَا مَحَالٌ  
لِأَنَّ التَّعْلِيلَ بِالْفَرْضِ إِنَّمَا يَصِحُّ فِي حَقِّ مَنْ لَا يُمْكِنُ تَحْصِيلُ ذَلِكَ الْفَرْضِ الْإِبْتِلَاقِ الْوَاسِطَةِ  
وَهَذَا يَقْتَضِي الْعِجْزَ الْإِبْتِلَاقِ الْوَاسِطَةِ وَهَذَا يَقْتَضِي الْعِزَّ وَهُوَ عَلَى اللَّهِ مَحَالٌ ( الْمَسْئَلَةُ  
الرَّابِعَةُ ) قَالَ الزَّجَاجُ أَيْهُمْ رَفَعُوا بِالْإِبْتِدَاءِ الْآنَ لَفْظُهُ لِقَظِ الْاسْتِفْهَامِ وَالْمَعْنَى لَنْبَلُوهُمْ نَعْنَى  
هَذَا أَحْسَنَ عَمَلًا ذَاكَ نَمَّ قَالَ تَعَالَى وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جَرَزًا وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى  
بَيْنَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَزِينُ الْأَرْضَ لِأَجْلِ الْإِمْتِحَانِ وَالِإِبْتِلَاءِ لِأَجْلِ أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُتَعَمِّمًا  
أَبْدَانًا يَزْهَدُ فِيهَا بِقَوْلِهِ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا آيَةً وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ كُلِّ مِنْ عَلَيْهَا فَازَ وَقَوْلُهُ  
فَيَذَرُهَا قَاعًا آيَةً وَقَوْلُهُ وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ آيَةً وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَبْدُ مِنْ الْمَجَازَةِ بَعْدَ فَنَاءِ  
مَا عَلَى الْأَرْضِ وَتَحْصِيصِ الْإِبْطَالِ وَالْإِهْلَاكِ بِمَا عَلَى الْأَرْضِ يَوْمَهُمْ بَقَاءُ الْأَرْضِ الْآنَ  
سَأَرْنَا الْآيَاتِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ أَيْضًا لَاتَّبَعِي وَهُوَ قَوْلُهُ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ قَالَ  
أَبُو عُبَيْدَةَ الصَّعِيدِ الْمَسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ الزَّجَاجُ هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي لَانْبَاتِ فِيهِ  
وَقَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ الصَّعِيدِ فِي آيَةِ التَّيْمِ وَأَمَّا الْجَرَزُ فَقَالَ الْفَرَّاءُ الْجَرَزُ الْأَرْضُ الَّتِي لَانْبَاتِ  
عَلَيْهَا يُقَالُ جَرَزَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَجْرُوزَةٌ وَجَرَزَهَا الْجَرَادُ وَالشَّاةُ وَالْإِبِلُ إِذَا أَكَلَتْ مَا عَلَيْهَا  
وَأَمْرًا جَرُوزًا إِذَا كَانَتْ أَوْ كَوَلًا وَسَيْفُ جَرَزَ إِذَا كَانَ مَسْأَلًا وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى نَسُوقُ  
الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجَرَزِ \* قَوْلُهُ تَعَالَى ( أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ  
آيَاتِنَا عَجْبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكُهْفِ فَنَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِجَةً وَهِيَ تِنَانٌ مِنْ أَمْرِنَا  
رَشْدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى  
لِلْمَلْبُوثِ أَمَدًا ) فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ ( الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى ) اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ تَعَجَّبُوا مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ  
الْكُهْفِ وَسَأَلُوا عَنْهَا الرَّسُولَ عَلَى سَبِيلِ الْإِمْتِحَانِ فَقَالَ تَعَالَى أَمْ حَسِبْتَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَجْبًا  
مِنْ آيَاتِنَا فَقَطْ فَلَا تَحْسِبَنَّ ذَلِكَ فَانْ آيَاتِنَا كُلُّهَا عَجْبٌ فَانْ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَخْلِيقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ يَزِينُ الْأَرْضَ بِأَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ وَالنَّاتِ وَالْحَيَوَانَ ثُمَّ يَجْعَلُهَا بَعْدَ  
ذَلِكَ صَعِيدًا جَرَزًا خَالِيَةً عَنِ الْكُلِّ كَيْفَ يَسْتَعْبِدُونَ مِنْ قُدْرَتِهِ وَحِفْظِهِ وَرِجَّتِهِ حَفِظَ  
طَائِفَةً مَدَّةً ثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَكْثَرَ فِي النَّوْمِ هَذَا هُوَ الْوَجْهُ فِي تَقْرِيرِ النَّظْمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ( الْمَسْئَلَةُ  
الثَّانِيَّةُ ) قَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ نَزُولِ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ  
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَشْرُوحًا فَقَالَ كَانَ  
النَّضْرُ بْنُ الْحَرِثِ مِنْ شَيْطَانِينَ قَرِيشِ وَكَانَ يُؤَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِصَالِهِ

بِعِجْبَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَأَرِ الْآيَاتِ الَّتِي مِنْ جَلَّتْهَا مَا ذَكَرَ مِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ هِيَ عِنْدَهَا كَالْتَرِيقِ الْحَقِيرِ وَالْكُهْفِ  
الْفَارِ الْوَاسِعِ فِي الْجِبَلِ وَالرَّقِيمِ كَلْبُهُمْ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ \* وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ بِمَجَاوِرًا \* وَصِيدُهُمْ وَالْقَوْمُ فِي الْكُهْفِ  
هَمْدٌ \* وَقِيلَ هُوَ لَوْحٌ رِصَاصِي أَوْ حِجْرِي رَقَّتْ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَجَعَلَ عَلَى بَابِ الْكُهْفِ وَقِيلَ هُوَ الْوَادِي

الذي فيه الكهف فهو من رقة الوادي أي جانبه وقيل الجبل قريتهم وقيل مكانهم بين قضبان وإيه قون فلسطين  
 وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الفارق بجوابه كركل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحاحين  
 ( إذاوى ) ظرف ليجبال حسب أو مفعول لا ذكر أي حين التجال ( الفتية ) أي أصحاب الكهف أو ترا الظهار على الاضمار  
 لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة ﴿ ٦٨٠ ﴾ فانهم كانوا فتية من أشرف الروم ارادهم دقيانوس

المدواة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها احاديث رستم واسفنديار وكان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر فيه الله وحدث قومه ما أصاب من كان قبلهم من الامم  
 وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام فقال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه  
 فهل موافقا أنا أحدثكم يا حسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه  
 وبعثوا معه عتبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلوهما عن محمد  
 وصفته وأخبروهما بقوله فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم  
 الانبياء فخرجوا حتى قدما الى المدينة فسألوا أحبار اليهود عن أحوال محمد فقال أحبار  
 اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب  
 وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح وما هو  
 فان أخبركم فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالوا قد جئناكم بفصل  
 ما بيننا وبين محمد وأخبروا بما قاله اليهود فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سألتكم عن غدأ ولم يستن فانصرفوا عنه وهكذا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به وقالوا  
 وعدنا محمد غدأ واليوم خمس عشرة ليلة فشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل من عند الله  
 بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبه الله اياه على حزنه عليهم وفيها خبر اولئك الفتية  
 وخبر الرجل الطواف ( المسئلة الثالثة ) الكهف الغار الواسع في الجبل فاذا صغر فهو  
 الغار وفي الرقيم أقوال ( الاول ) روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كل القرآن أعلمه  
 الأربعة غسلين وحنانا والواو والرقيم ( الثاني ) روى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل  
 عن الرقيم فقال زعم كعب انها القرية التي خرجوا منها وهو قول السدي ( الثالث ) قال  
 سعيد بن جبيرة ومجاهد الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتب فيه أسماءهم وقتصتهم  
 وشد ذلك اللوح على باب الكهف وهذا قول جميع أهل المعاني والعريفة قالوا والرقيم  
 الكتاب والاصل فيه المرقوم ثم نقل الى فعل والرقيم الكتابة ومنه قوله تعالى كتاب مرقوم  
 أي مكتوب قال الفراء الرقيم لوح كان فيه أسماءهم وصفاتهم ونظن انه انما سمي رقيما  
 لان أسماءهم كانت مرقومة فيه وقيل الناس رقاوا حديثهم نقرا في جانب الجبل وقوله  
 كانوا من آياتنا عجبا المراد أحسبت ان واقعتهم كانت عجيبا في أحوال مخلوقاتها  
 فلا تحسب ذلك فان تلك الواقعة ليست عجيبا في جانب مخلوقاتنا والعجب ههنا مصدر  
 سمي المفعول به والتقدير كانوا معجوبا منهم فسما بالمصدر والمفعول به من هذا يستعمل  
 باسم المصدر ثم قال تعالى اذا وى الفتية الى الكهف لا يجوز أن يكون اذهنا متعلقا  
 بما قبله على تقديرهم حسب اذا وى الفتية لانه كان بين النبي وبينهم مدة طويلة فلم  
 يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي أووا فيه الى الكهف بل يتعلق بمحذوف والتقدير  
 اذ كر اذا وى ومعنى أوى الفتية في الكهف صاروا اليه وجعلوه أوواهم قال فقالوا

على الشرك فهو بوا منه  
 بديتهم ولان صاحبية  
 الكهف من فروع  
 التجاهم الى الكهف  
 فلا يناسب اعتبارها  
 معهم قبل بيانه ( الى  
 الكهف ) بجبلهم للجلوس  
 واتخذوه ماوى ( فقالوا  
 ر بناتنا من لدنك ) من  
 حزان رحمتك الخاصة  
 المكنونة عن عبون  
 أهل العادات فمن  
 ابتدائية متعلقة باتنا  
 أو محذوف وقع حال من  
 مفعوله الثاني قدمت عليه  
 لكونه نكرة ولو تاخرت  
 لكانت صفة له أي آتنا  
 كأنه من لدنك ( رجة )  
 خاصة تستوجب المغفرة  
 والرزق والامن من  
 الاعداء ( وهى لتامن  
 أمرنا ) الذي نحن عليه  
 من مهاجرة الكفار  
 والمثابرة على طاعتك  
 وأصل التهيئة أحداث  
 هيئة الشيء أي أصلح  
 ورتب وأتم لتامن أمرنا  
 ( رشدا ) اصابته بالطريق  
 الموصل الى المطلوب  
 واهتداء اليه وكلا الجارين

متعلق بهي لا اختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما نحو ربنا  
 و ابراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع  
 الى وروده ينبي عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتناؤه بمحصله لا محالة وكذا الكلام

في تقديم قوله تعالى من ادنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا الايدان من اول الامر بكون المسؤل . رغبوا فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشاكله على أن من تجر يدية مثلها في قولك رأيت منك أسدا (فضر بنا على آذانهم) أي أمتناهم على طريقة التثليل المبني على تشبيه الانامة الفظة المنعفة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك سائر **٦٨١** المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند اسوم لما تم الاحتاج الى الحجب

عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لاسيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقبل الضرب على الاذان كتابة عن الانامة التيميلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد العبد أي منهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا وانما في فخرنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور ما ترتب عليه من انقلاب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغر ذلك ابتداء رحمة الدنية حافية عن ابصار المتسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم (في الكهف) ظرف مكان لضربنا (سنين) ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتداءه (عددا) أي ذوات عددا وتعد عددا على انه مصدر أو معدودة على انه بمعنى المفعول

ربنا آتنا من لدنك رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهي الهداية بالمعرفة والصبر والرزق والامن من الاعداء وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لأئمة بفضل الله تعالى وواسم وجوده وهي لنا أي أصلح من قولك هيأت الامر قتها من أمرنا رشاكله والرشد والرشاد تقيض الضلال وفي تفسير اللفظ (الاول) التقدير وهي لنا أمرنا ذار شد حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (الثاني) اجعل أمرنا رشاكله كقولك رأيت منك رشاك ثم قال تعالى فضر بنا على آذانهم قال المفسرون معناه أمتناهم وتقدير الكلام انه تعالى ضرب على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل الى أسماعهم الاصوات الموقظلة والتقدير ضرب بنا عليهم حجابا لأنه حذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امر الله يريدون بنى عليها التبة ثم انه تعالى بين انه انما ضرب على آذانهم في الكهف وهو ظرف المكان وقوله سنين عددا طرف الزمان وفي قوله عددا بثمان (الاول) قل الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثره السنين وكذلك كل شيء مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف به أريد كثره لانه اذا قل فهم مقداره بدون التعدد ما اذا كثر فهناك يحتاج الى التعدد فاذا قلت أقت أياما عددا أردت به الكثرة (البحث الثاني) في انصاف قوله عددا وجهان (أحدهما) نعت لسنين المعنى سنين ذات العدد أي معدودة هذا قول افراء وقول الزجاج وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير (أحدهما) حذف المضاف (والثاني) تسمية المفعول باسم المصدر قال الزجاج ويجوز أن ينصب على المصدر المعنى تعددا ثم قال تعالى ثم عشناهم يريد من بعد نومهم يعني أيقظناهم بعد نومهم وقوله لنعلم أي الحز بين أحصى لما لبثوا أمدا فيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله ثم عشناهم لنعلم الام لا من الغرض فيدل على ان أفعال الله معللة بالاعراض وقد سبق الكلام فيه (المسئلة الثانية) ظاهر اللفظ يقتضي انه تعالى انما بعثهم ليحصل له هذا العلم وعند هذا يرجع الى أنه تعالى هل يعلم الحوادث قبل وقوعها أم لا فقال هشام لا يعلمها الا عند حدوثها واحتج بهذه الآية والكلام في قد سبق ونظائر هذه الآية كثيرة في القرآن منها ما سبق في هذه السورة ومنها قوله في سورة البقرة لا تعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وفي آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لئلا يبلوهم وقوله وتبلاؤنكم حتى تعلم المجاهدين منكم (المسئلة الثالثة) أي رفع بالابتداء وأحصى خبره وهذه الجملة بمجموعها متعاقق العلم فلهذا السبب لم يظهر عمل قوله لنعلم في لفظة أي بل بقيت على ارتفاعها ونظيره قوله اذهب فاعلم أيهم قام قال تعالى سألهم أيهم بذلك زعيم وقوله ثم لنترعن من كل شيعة أيهم أشد على لرحن شتيا وقرى ليعلم على قول ما لم يسم فاعله وفي هذه القراءة فالتان (أحدهما) ان على هذا التقدير لا يلزم اثبات العلم المتجدد لله بل المقصود انما بعثناهم ليحصل هذا العلم لبعض الخلق (والثانية) ان على هذا التقدير يجب ظهور انصاف في لفظة أي لكن اقائل أن يقول الاشكال بعد ذلك لان ارتفاع

ووصف السنين بذلك **٨٦** **٦٨٦** فما اما لكثير وهو الانسب باظهار كمال اقدرة اولادك وهو والايق بمقام انكار كون القصة عجبا . بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كيهض يوم عنده عز وجل (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من تلك انومة اثقلها اذ همة بالموت (لنعلم) بنون الفظة وقرى بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو

غاية لا يثبت لكن لا يجعل العلم مجازاً من الاظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوده غاية للبعث الحادث من العلم الخالي الذي  
تعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الاتعا من يدع رسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى ويعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي  
يتحقق فيها العلم بحقق متعلقه قطعاً فان تحويل القبلة قدر ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين  
الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الإيمان والمترزل \* ٦٨٢ \* فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الخالي

والاظهار والتمييز  
واما بعث هؤلاء فلم يترتب  
عليه تفرقهم الى المحصى  
وغيره حتى يتعلق بهما  
العلم والاظهار والتمييز  
ويتسنى نظم شيء من ذلك  
في سلك الغاية وانما الذي  
ترتب عليه تفرقهم الى  
مقدر تقدير غير مصيب  
ومفوض الى العلم الرباني  
وليس شيء منها من  
الاحصاء في شيء بل يحمل  
النظم الكريم على التثليل  
المبني على جعل العلم عبارة  
عن الاختبار مجازاً  
بطريق اطلاق اسم  
السبب على السبب وليس  
من ضرورة الاختبار  
صدور الفعل المخبرية  
عن المخبر قطعاً بل قد  
يكون لاظهار عجزه عنه  
على سنن التكليف  
المجبرية كتدوله تعالى  
فأت بهم من المغرب وهو  
المراد ههنا فالعني بعثنا  
هم لتعاملهم معاملة من  
يختبرهم (أي الحزبين)  
أي الفريقين المختلفين  
في مدة لبثهم بالتقدير

لفظة أي بالابتداء لأبسانا يعلم اليه ولجيب أن يجيب فيقول انه لا يتمتع اجتماع عاملين  
على معمول واحد لان العوامل التحزبية علامات ومعرفات ولا يتمتع اجتماع المعارف  
الكثيرة على الشيء الواحد والله أعلم (المسئلة الرابعة) اختلفوا في الحزب بين فقال عطاه  
عن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالحزب بين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك  
فالملوك حزب واصحاب الكهف حزب (والقول الثاني) قال مجاهد الحزبان من هذه الفتية  
لان اصحاب الكهف لما اتبهاوا اختلفوا في انهم كم ناموا والدليل عليه قوله تعالى قال  
قائل منهم كم لبثتم قالوا البتة يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان  
وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثتم قد تناول (القول الثالث) قال  
الفراء ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم ( المسئلة  
الخامسة) قال أبو علي الفارسي قوله أحصى ليس من باب أفعال التفضيل لان هذا البناء  
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس فأما قولهم ما أعطاهم الدرهم وما أولاه للمعروف وأعدى  
من الجرب وأفلس من ابن المداق فن الشواذ والشاذ لا يقاس عليه بل الصواب ان  
أحصى فعمل ماض وهو خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر مفعول فعلم وأمداء قول به لا حصى  
وما في قوله تعالى للمبشوا مصدرية والتقدير أحصى أمد اللبثهم وحاصل الكلام لتعلم أي  
الحزب بين أحصى أمد ذلك اللبث ونظيره قوله أحصاه الله وقوله وأحصى كل شيء عدداً  
(المسئلة السادسة) احتج أصحابنا بالصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات وهو  
استدلال ظاهر ونذكر هذه المسئلة ههنا على سبيل الاستقصاء فنقول قبل الخوض في  
الدليل على جواز الكرامات نفتقر الى تقديم مقدمتين (المقدمة الاولى) في بيان ان  
الولي ما هو فنقول هنا وجهان (الاول) أن يكون فعلاً مبالغاً من الفاعل كالعلم  
والقدر فيكون معناه من تواتر طاعته من غير تخلل معصية (الثاني) أن يكون فعلاً  
بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقول ومجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه  
وحراسته على التوالي عن كل انواع المعاصي ويديم توفيقه على الطاعات واعلم أن هذا  
الاسم مأخوذ من قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقوله وهو يتولى الصالحين وقوله تعالى  
أنت مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين وقوله ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان  
الكافر ين لامولى لهم وقوله انما وليكم الله ورسوله وأقول الولي هو اقرب في اللغة فاذا  
كان العبد قريبا من حضرة الله بسبب كثرة طاعته وكثرة اخلاصه وكان الرب قريبا منه  
برحمته وفضله واحسانه فهناك حصلت الولاية (المقدمة الثانية) اذا ظهر فعل خارق للعادة  
على الانسان فذاك اما أن يكون مقروناً بالدعوى أو لامع الدعوى واقسم الاول وهو أن  
يكون مع الدعوى فذلك الدعوى اما أن تكون دعوى الالهية أو دعوى النبوة أو دعوى  
الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين فهذه أربعة أقسام (القسم الاول) ادعاء الالهية  
وجوز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يدهم من غير معارضة كما نقل ان فرعون كان

والنفوس كإسياني (أحصى) أي ضبط (المبشوا) أي لبثهم (أمداء) أي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا \* يدعى  
ذلك الى العليم الخبير ويتفرقوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أديانهم وأديانهم فبر دادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه  
ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك اطلاقاً من زمانهم وآية بيده لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على



ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساهل المؤدى اليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بان يقال بشناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبا وقع في تفسير قوله تعالى ولعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت أذر بما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقيق المراد فيعود المحذور فيصير الى جعل ﴿ ٦٨٣ ﴾ ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر واختر

هذا وقد قرى لي علم مبينا  
 للمفعول ومبني للفاعل  
 من الاعلام على أن المفعول  
 الاول محذوف وبالجملة  
 المصدرة بأى في موقع  
 المفعول الثاني فقطان جعل  
 العلم عرفانيا وفي موقع  
 المفعولين ان جعل يقينيا  
 أى اعلم الله الناس  
 أى الحزبين أى حصى الخ  
 وروى عطاء عن ابن عباس  
 رضى الله عنهما ان أحد  
 الحزبين الفتية والآخر  
 الملوك الذين تداواوا المدينة  
 ملكا بعد ملك وقيل  
 كلاهما من غيرهم والاول  
 هو الاظهر فان اللام للعهد  
 ولا عهد لغيرهم والامد  
 بمعنى المدى كالغاية  
 في قولهم ابتداء الغاية  
 وانتهاء الغاية وهو مفعول  
 لأحصى والجار والمجرور  
 حال منه قدمت عليه لكونه  
 نكرة وليس معنى احصاء  
 تلك المدة ضبطها من حيث  
 كيتها المتصلة الداتية  
 فانه لا يسمى احصاء  
 بل ضبطها من حيث كيتها  
 المنفصلة العارضة لها  
 باعتبار قسمتها الى السنين

يدعى الالهية وكانت تظهر خوارق العادات على يده وكان نقل ذلك أيضا في حق الدجال قال أصحابنا وانما جاز ذلك لان شكله وخلقه تدل على كذبه فظهور الخوارق على يده لا يفضى الى التلبس (والقسم الثاني) وهو ادعاء النبوة فهذا القسم على قسمين لانه إما أن يكون ذلك المدعى صادقا وكاذبا فان كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا متفق عليه بين كل من أقر بحقيقة نبوة الانبياء وان كان كاذبا لم يجز ظهور الخوارق على يده وبتقدير ان تظهر وجب حصول المعارضة (وأما القسم الثالث) وهو ادعاء الولاية والقائلون بكرامات الاولياء اختلفوا في انه هل يجوز أن يدعى الكرامات ثم انهما تحصل على وفق دعواه أم لا (وأما القسم الرابع) وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان فعند أصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يده وعند المعتزلة لا يجوز (وأما القسم الثاني) وهو أن تظهر خوارق العادات عن يد انسان من غير شئ من الدعاوى فذلك الانسان إما أن يكون صالحا مرضيا عند الله وإما أن يكون خبيثا مذنبا والاول هو القول بكرامات الاولياء وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرها المعتزلة إلا أبا الحسين البصرى وصاحبه محمود الخوارزمي (وأما القسم الثالث) وهو أن تظهر خوارق العادات على بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى فهذا هو المسمى بالاستدراج فهذا تفصيل الكلام في هاتين المقدمتين اذا عرفت ذلك فنقول الذى يدل على جواز كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فالعتمد فيه عندنا آيات (الجملة الاولى) قصة مريم عليها السلام وقد شرحنها في سورة آل عمران فلان عيدها (الجملة الثانية) قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسم سنين وانه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال وتحسبهم أيقاظا وهم رقود الى قوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ومن الناس من تمسك في هذه المسئلة بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقدينا أن ذلك الذى كان عنده علم من الكتاب هو سليمان فسقط هذا الاستدلال لأجاب القاضى عنه بأن قال لا بد من أن يكون فيهم أوفى ذلك الزمان نبى يصير ذلك عماله لما فيه من نقض العادة كسائر المعجزات قلنا انه يستحيل أن تكون هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء لان اقدامهم على النوم أمر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لان الناس لا يصدقونه في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلاثمائة سنين وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق إلا أن تجعل كرامة للاولياء واحسانا اليهم أما الاخبار فكثيرة (الخبر الاول) ما اخرج في الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وعيسى في زمن جريج الناسك وصى آخر أما عيسى فقد

ولوغها من تلك الحينية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالامد معناه الوضعى بتقدير المصاف أى زمان لبشهم وبدونه أيضا فان اللبث عبارة عن الكون المسنن المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له يسبب يكون له أمدا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية

غاية البعث لكن لا يبي المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان المتبد بالذات وهأنو  
 تعلق به الجزاء كلهم فان معرفته من تلك الخبيثة لا تخفى على أحد ولا تسمى احصاء كأمربل باعتبار كميته المتصلة  
 يتحقق فيهب عروضه الزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انضمامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب  
 الناس تحق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ﴿ ٦٨٤ ﴾ ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة

والمدة المنقسمة

الى السنين فهو مجموع  
 ثلثمائة وتسع سنين  
 وفي الصورة الاخيرة منتهى

تلك المدة المنقسمة اليها

أعنى السنة التاسعة بعد

الثلثمائة وتعلق الاحصاء

بالامد بالمعنى الاول ظاهر

وأما تعضفه به بالمعنى الثاني

فباعتبار ان نظامه لما تحته

من مراتب العدد واحتماله

عليها هذا على تقدير كون

ما في قوله تعالى للنبشوا

مصدر بدو ويجوز ان نكور

موصولة حذف عائدها

من الصلة أي الذي يسوا

فيه من الزمان الذي عبر

عنه فيما قبل بسنين عددا

فألمد بجماد الوضعي

على ما تحققت وقيل الام

مزيدة والموصول مفعول

وأمداد صب على التمييز

وأما ما قبل من أن أحصى

اسم تعضيل لانه الموافق

لما وقع في سائر الآيات

الكرية يدعوهم أحسن

علما بهم أقرب لكم نفعا

الى غير ذلك مما لا يحصى

ولان كونه فعلا ماضيا

يشعر بان غايه البعث

عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عاديا بيني اسرائيل وكانت له أم فكان وما يصلي اذا شتافت  
 اليه أمه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلاة خير أم روئيها ثم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك  
 حتى قال ثلاث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه فقالت اللهم لا تمته حتى ترى به  
 المومسات وكانت زانية هناك فنالت اللهم أنا أفنت جريجا حتى يرى نأته فلم تقدر على شيء  
 وكان هناك راع يأوى بالليل الى أصل صومعته فلما أعيها راودت الراعي على نفسها  
 فأناها فولدت ثم قالت ولدي هدامن جريج وأناه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتوه  
 فصلى ودعاهم نخس الغلام قال أبو هريرة كأنني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال  
 يدي يا غلام من أبوك فقال الراعي فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا بيني  
 صومعته من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبنائها كما كانت وأما الصبي الآخر فان امرأة كان  
 معها صبي لها ترضع اذ مر بها شاب جيل ذوشارة حسنة فقالت اللهم اجعل ابني مثل  
 هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة تذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت  
 فقالت اللهم لا تجعل ابي مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمه في ذلك  
 فقال ان الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وان هذه قيل انها زنت  
 ولم ترن وقيل انها سرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله ( الخبز الثاني ) وهو خير الغار  
 وهو مشهور في الصحاح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم انطلق ثلاثة رهط من كان قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من  
 الجبل وسدت عليهم باب الغار فقالوا والله لا ننجيك من هذه الصخرة الا أن تدعو الله  
 بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قبلهما  
 فناما في ظل شجرة يوما فلما أرح عنهما وحلت لهما غبوة فهاجستهما به فوجدتهما نائمين  
 فكرهت أن أوقضهما وكرهت أن أعقب قبلهما فتمت واقده في يدي انتظرا استيقاظهما  
 حتى طهر الفجر فاستيقظا فذمرا بغبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج  
 عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال  
 الآخر كانت لي ابنة عم وكانت أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى أملت  
 بهاسنة من السنين فجأتني وأعطيتهما ما لا أعطي اعلى أن تحلى بيني وبين نفسي فلما قدرت  
 عليها قالت لا يجوز لك أن تفك الخاتم الابحمة فخرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت  
 المال معها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة  
 غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث  
 اللهم اني اسأجرت اجراء فأعصيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فمرت  
 أجرته حتى كثرت منه الاموال فجأتني بعد حين وقال يا عبد الله أدالي أجرتي فقلت له كل  
 ما ترى من أجرتك من الابل والنعيم والرفيق فقال يا عبد الله أنت تهزى بي فقلت اني  
 لأستهزى بك فأخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن

هو العلم بالاحصاء المندم على ابعث / بالاحصاء الآخر عند واس كذلك وادعاء ان محيى أفضل ﴿ فيه ﴾

الفضيل من المزيد عند غير يابى مدفوع بأنا عند به فواس مضافا وعند ابن جعفر في ابيات هزرتة لا نقل  
 ولا ريب في أن ما بين فيه من ذلك انقبيل وامتناع عمله اما هو في غير التميز من المعاملات وأما أن التميز

يجب كونه فاعلا في المعنى فلما نزع أن يمنعه بصحة أن يقال أيهم احفظ لهذا الشهر وزنا وتقطيعا أو يقال إن العامل في أمدا فعل محذوف بدل عليه المذكور أي محصى للشوا أمدا كما في قوله \* وأضرب منابا للسيوف القوانسا \* وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بأشتراليه من فائدة الموافقة للنظائر فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه أن يكون المقصود بالاختبار اظهار \* ٦٨٥ \* أفضل الحزبين وتميزه عن الأذى مع تحقق أصل الاحصاء

فيهما ومن البين ان لا تحقق له أصلا وأن المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعاً وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى أعلم ( نحن نقص عليك ) شروع في تفصيل ما أجل فيما سلف من قوله تعالى اذ أوى الفتية الخ أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارهم وقدم بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام ( نبأهم ) النبأ الخبر الذي له شأن وخطر ( بالحق ) اما صفة المصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به

فيه فانفجرت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث حسن صحيح متفق عليه ( الخبر الثالث ) قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له أو أفسم على الله لا يبره ولم يفرق بين شئ وشئ فيما يقسم به على الله ( الخبر الرابع ) روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حبل عليها فالتفت اليه البقرة فقالت اني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ( الخبر الخامس ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسمع رجدا أو صوتا في الصحاب أن أسق حديقة فلان قال فعدوت الى تلك الحديقة فإذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان قلت فأتصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في الصحاب أن أسق حديقة فلان قال أما إذ قلت فاني أجعلها اثلاثا فأجعل لنفسى وأهلي ثلثا وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا ( أما الأكار ) فلنبداً بانقل انه ظهر عن الخلفاء الراشدين من الكرمات ثم بما ظهر عن سائر الصحابة أما أبو بكر رضي الله عنه فن كراماته انه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالبواب فإذا الباب قد انفتح واذابها تف يهتف من القبر أدخلوا الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضي الله عنه فقد ظهرت أنواع كثيرة من كراماته واحداها ما روى انه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فكنت تارنج تلك الكلمة فقدم رسول مقدم الجيش فقال بأمر المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهمزونا فإذا بانسان يصيح يا سارية الجبل الجبل فاستندنا فلهورنا الى الجبل فهمز الله الكفار وظفرنا بالفئام العظيمة ببركة ذلك الصوت قلت سمعت بعض المدكرين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه قال لابي بكر وعمر أتنامني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه وسلم لا جرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم ( الثاني ) روى ابن ابي عمير عن رجل من الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجرى حتى يلقى فيه جارية واحدة حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الواقعة الى عمر فكتب عمر على خزفة أيها النيل ان كنت تجرى بأمر الله فاجروا ان كنت تجرى بأمرى فاجروا فاجروا بك فاجروا بنا اليك وأقيت تلك الخزفة في انيل فجري ولم يقف بعد ذلك ( الثالث ) وقعت الزلزلة في المدينة فضررت عمر الدرعه على الارض وقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك ( الرابع ) وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة يانار اسكني باذن الله فألقوها في النار فانطقت في الحال ( الخامس ) روى ان رسول ملاك الروم جاء الى عمر فطلب دارة

أو نبأهم اللاتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مر ج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفت ملوكهم فعبدوا الاعنام وذبحوا لاطواغيت وكان من بالغ في ذلك وعناقتوا كبريا دقيا نوس فانه غلافه غلوا سيدا جلس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقل من خالفه من المتسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يبع الناس فيخبرهم بين القتل وعبادة الاوثان فن رغب في الحياة الدنيا الدنيا يصنع

ما يصنع ومن اثر عليها الحياة الابدية قتله و قطع ارا به وعلقها في سورة المدينة وأبوها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا اعظماء اهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فحضر عوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضرهم بين يديه فقال لهم ما قل وخبرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الهاملا السموات والارض عظمته وجبروته لمن ندعو من دونه ﴿ ٦٨٦ ﴾ أحدا ولن نقر لما تدعوننا اليه أبدا فاقض

فلئن ان دار مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى عمر رضى الله عنه وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فحجب الرسول من ذلك وقال ان اهل الشرق والغرب يخافون من هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه انى وجدته خايبا فاقتله وأخلص الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله من الارض أسدين فقتلهما فألقى السيف من يده وانتهى عمر ولم ير شيئا فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم وأقول هذه الوقائع رويت بالأحاد وههنا ما هو معلوم بالتواتر وهو انه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والنهوض بالسياسة والشرق والغرب وقلب الممالك والدول ولونظرت في كتب التواريخ علمت انه لم يتفق لاحد من أول عهد آدم الى الآن ما يتسره له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولاشك ان هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان رضى الله عنه فروى أنس قال سرت في الطريق فرفعت عيني الى امرأة ثم دخلت على عثمان فقال ما لي أراكم تدخلون على وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أجد الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن قراسة صادقة (الثاني) انه لما طعن بالسيف فأول قطرة من دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسيفكفكهم الله وهو السميع العليم (الثالث) ان جهجاها الغفارى انتزع العصا من يد عثمان وكسرها على ركبته فوقعت الاكلة في ركبته وأما على كرم الله وجهه فبروى ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا أسود فأتى به الى على فقال له أسرفت قال نعم فقطع يده فانصرف من عند على عليه السلام فلقبه سلمان الفارسى وابن الكرا فقال ابن الكرا من قطع يدك فقال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه فقال ولم لأمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمي سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود ووضعه على ساعده وغطاه بغطاء بنديل ودعا بدعوات فسمنا صوتنا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعناه فاذا اليد قد برأت باذن الله تعالى وجعل صنعه أما سائر الصحابة فأحوالهم في هذا الباب كثيرة فنذكر منها شيئا قليلا (الاول) روى محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في خبيسة فيها أسد فخرج الاسد الى يدي فقلت يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم وداني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع (الثاني) روى ثابت عن أنس ان أسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار تحدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فأضأت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما انفرق بينهما الطريق أضأت لآخر عصاه فبقي في ضوئها حتى بلغ منزله (الثالث) قالوا لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلة فطاق

ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة يبنوى بعض شأنه وأمه لهم الى رجوعه ليتاملوا في أمرهم فان تبعوه والافضل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمت الفتية على الفرار بالدين والاتجاء الى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آتاء الليل وأطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجوار ورفضوا أمر نفقتهم الى علي بن أبي طالب فكان اذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يحتاجهم ويحس ما فيههم من الاحبار ويعود الى أصحابه فلبثوا على ذلك الى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر

آباءهم فاعتذروا بانهم عصومهم ونهبوا أموالهم ويذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى ﴿ بالعسكر ﴾ علي بن أبي طالب ما رأى من الشر رحع الى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شاهد من الهول ففرعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رموا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فاناموا ونفقتهم عند رؤسهم

فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله وزجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فإبط أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعاً قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يتوажوا وعطشا وليكن كهفهم قبر لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (انهم فتية) استثناف تحقيقي مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب ﴿ ٢٨٧ ﴾ والفتية جمع قلة لفتى كاصبية للصبي (آمنوا برهم) او تراالات

للأشعار بعلية وصف  
الر بوية لايمانهم  
ولراة ما صدر عنهم  
من المقالة حسبما سيجي  
عنهم (وزدناهم هدى)  
بأن ثبتناهم على ما كانوا  
عليه من الدين واظهرنا  
لهم مكنونات محاسنه  
وفيدالغات من الغيبة  
الى ما عليه سبك النظم  
سباقا وسباقا من التكلم  
(وربطنا على قلوبهم)  
أى قوياتها حتى انعموا  
مضائق الصبر على هجر  
الاهل والاطوان والتعب  
والاخوان واجبروا على  
الصدع بالحق من غير  
خوف وحذار والرد  
على دقيانوس الجبار  
(اذا قاموا) منصوب  
بربطنا والمراد بقيامهم  
انتصابهم لاطهار  
شعار الدين قال مجاهد  
خرجوا من المدينة  
فاجتمعوا على غير معاد  
فقال أكبرهم انى لاجد  
في نفسى شيأ أن ربي  
رب السموات والارض  
فقالوا نحن أيضا  
كذلك فقاموا جميعا  
(فقالوا ربنا رب السموات  
والارض) ضموا دعواهم

بالمسك فلقى رجلا على فرس ومعه زق خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله  
خلاف ذهب الرجل الى أصحابه فقال أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فحوا فاذا  
هو خل فقالوا والله ما جئنا إلا بخل فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد (الرابع) الواقعة  
المشهورة وهى ان خالد بن الوليد كل كفا من السم على اسم الله وماضره (الخامس)  
روى ان ابن عمر كان في بعض أسفاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع  
فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما يسلم على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط  
عليه شئ (السادس) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة  
ففعال بينهم وبين المطلوب قطعة من البصر فدعا باسم الله الأعظم ومشوا على الماء في كتب  
الصوفية من هذا الباب روايات مجاوزة عن الحدوا لحصر من أرادها طالعها وأما  
الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات فمن وجوه (الحجة الاولى) ان العبدولى  
الله قال الله تعالى ألان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والربولى العبدقال  
تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال وهو يتولى الصالحين وقال انما وليكم الله ورسوله  
وقال أنت مولانا وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فثبت ان الرب ولى العبد وان  
العبدولى الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى يحبهم ويحبونه  
وقال والذين آمنوا أشد حبا لله وقال ان الله يحب المتوايين ويجب المنظرين واذا ثبت  
هذا فنقول العبد اذا بلغ في الطاعة الى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه  
وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة  
ما يريد العبد بل هو أولى لان العبد مع ثؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريد الله ويأمره  
به فلان يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراد العبد كان أولى ولهذا قال تعالى أوفوا  
بعهدى أوف بعهدكم (الحجة الثانية) لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك اما لاجل ان  
الله ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أولاجل ان المؤمن ليس أهلا لان يعطيه الله  
هذه العطية (والاول) قدح في قدرة الله وهو كقر (والثاني) باطل فان معرفة ذات الله  
وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه  
وتمجيدته وتهليله أسرف من اعطاء رغب واحدي في مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى  
المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلان يعطيه رغبيا في مفازة فأى بعد فيه  
(الحجة الثالثة) قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة ما تقرب عبد الى بمثل  
أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له  
سماوا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا في ستم وبي يبصر وبي ينطق وبي يمشى وهذا الخبر  
يدل على انه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر أعضائهم اذ لو بقى  
هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره اذا ثبت هذا فنقول لاثك ان هذا المقام  
أسرف من تسخير الحية والسبع واعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من الماء فلما

ما يحقق فخواهاو يقضى بمقتضاها فان ربو بينه عز وجل لها ما تقضى ربو بينه لما فيها أى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين  
يدي الجبار من غير مبالاة به حين طاب عليهم على ترك عبادة الاصنام فيئذ يكون ما سياتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا  
عما قبله صادر عنهم بعد خروجهم من عنده (ان ندعو) لن نعبد أبدا (من دونها) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا  
والصدول عن

أن يقال رب بالتصحيح على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم الهة وللأشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية  
 ولأيدان بان ربوبية تعالى بطريق الألوهية لا بطريق الملكية المجازية (لقد قلنا إذا شططنا) أي قولاً شططاً أي  
 تجاوز عن الحد وقولاً هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيد  
 كانت العبادة مستلزماً للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود ﴿٦٨٨﴾ والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا جوا

أوصل الله برحمة عبده إلى هذه الدرجات العالية فأبى بعدى أن يعطيه رغباً واحداً  
 أو شربة ماء في مقارفة (الحجة الرابعة) قال عليه السلام حاكياً عن رب العزة من أذى لي  
 ولياً فقد بارزني بالمحاربة فجعل أيداء الولي قائماً مقام أيدائه وهذا قريب من قوله تعالى  
 إن الذين يبغونك إنما يبغون الله وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله  
 ورسوله أمراً وقال إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة فجعل بيعة  
 محمد صلى الله عليه وسلم بيعة مع الله ورضاه محمد صلى الله عليه وسلم رضاه الله وأيداء محمد  
 صلى الله عليه وسلم أيداء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات  
 إلى أبلغ الغايات فكنا ههنا لما قال من أذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة دل ذلك على أنه  
 تعالى جعل أيداء الولي قائماً مقام أيداء نفسه ويتأكد هذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول  
 يوم القيامة مرضت فلم تعدني استسقيتني فاستسقيتني استطعمتني فاطعمتني فيقول يا رب  
 كيف أفعل هذا وانت رب العالمين فيقول إن عبدى فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك  
 لو عدته لوجدت ذلك عندي وكذا في السقي والاطعام فدلّت هذه الأخبار على أن أيداء  
 الله يبلغون إلى هذه الدرجات فأبى بعدى أن يعطيه الله كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر  
 له طيباً أو ورداً (الحجة الخامسة) إننا شاهد في العرف أن من خصه الملك بالخدمة الخاصة  
 وأذن له في الدخول عليه في مجلس الأنس فقد يخصه أيضاً بأن يقدره على ما لا يقدر عليه  
 غيره بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فإنه يتبعه هذه المناصب فجعل  
 القرب أصلاً والمنصب تبعاً أعظم الملوك هورب العالمين فإذا شرف عبداً بأنه أوصله  
 إلى عتبات خدمته ودرجات كرامته وأوقفه على أسرار معرفته ورفع حجب البعد بينه وبين  
 نفسه وأجلسه على بساط طرفة فأبى بعدى أن يظهر بعض تلك الكرامات في هذا العالم  
 مع أن كل هذا العالم بالنسبة إلى ذرة من تلك السعادات الروحية والمعارف الربانية  
 كالعدم المحض (الحجة السادسة) لا شك أن المتولى للأفعال هو الروح لا البدن ولا شك  
 أن معرفة الله تعالى للروح كالروح للبدن على ما قررناه في تفسير قوله تعالى ينزل  
 الملائكة بالروح من أمره وقال عليه السلام آيت عند ربى يطعمنى ويسقبنى ولهذا  
 المعنى زى إن كل من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقل ضعفاً  
 ولهذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانية  
 ولكن بقوة ربانية وذلك لأن علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم  
 الأجساد وأشرق الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشبه بجواهر الأرواح  
 الملكية وتلاآت فيه أضواء عالم القدس والعطمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر  
 به أعلى مما يقدر عليه غيره وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذى  
 يقول الله كنت له سمياً وبصراً فإذا صار نور جلال الله سمعاً سمع القريب والبعيد وإذا  
 صار ذلك النور بصراً رأى القريب والبعيد وإذا صار ذلك النور يدلاً فقد قدر على التصرف

وحزاء أي أود عوناً  
 من دونه الها والله لقد  
 قلنا قولاً خارجاً عن حد  
 القول مفرطاً في الظلم  
 (هؤلاء) هو مبتدأ  
 وفي اسم الإشارة تحقير لهم  
 (قومنا) عطف بيان له  
 (أخذوا من دونه الهة)  
 خبره وفيه معنى الإنكار  
 (لولا يأتون) تحضيض  
 فيه معنى الإنكار  
 والتعجيز أي هلا يأتون  
 (عليهم) على ألوهيتهم  
 أو على صحة اتخاذهم  
 لها الهة (بسلطان بين)  
 بحدّة ظاهرة الدلالة  
 على مسدّاتهم وهو  
 نيكيت لهم والتسام  
 حجر (من أظلم من افترى  
 على الله كذباً) بنسبة  
 السرك البه تعالى عن  
 ذلك علواً كبيراً والمعنى  
 أنه أظلم من كل ظالم  
 وإن كان سبب التنظير  
 على إنكار الاطمية  
 من غير تعرض لإنكار  
 المساواة كما مر تحقيقه  
 في سورة هود (وإذا  
 اعتزلتموه) أي  
 فارقتموه في الاعتقاد

وأردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون إلا الله) عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أي ﴿ في ﴾  
 إذا اعتزلتموه ومعبوديهم إلا الله أو عبادتهم إلا الله وعلى التقديرين فلا استثناء متصل على تقدير كونهم  
 مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحصهم في عبادة الأوثان ويجوز كون ما نافية على أنه أخبار من الله  
 تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين أذواجوابه (فأووا) أي التجؤاً

(المالك الكهف) قال القراء هو جواب افئنا تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أي اذا عترت لثوبهم اعترالا  
اجتماعيا فاغتر لثوبهم اعترالاجتماعيا واذا ردم اعترالهم فافعلوا ذلك بالاتجاه الى الكهف (ينشر لكم) يسقط لكم ويوسع  
عليكم (ريكم) مالك أمركم (من رحته) في الدارين (ويهي لكم) يسهل لكم (من أمركم) الذي أنتم بصدده  
من الفرار بالدين (مرفقا) ما ترتفقون وتتفقون به ﴿ ٦٨٩ ﴾ وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدر اكل المرجم وتقديم

لكم في الموضوعين لما مر  
مر ارامن الايدان من  
أول الامر يكون المؤخر  
من منافعهم والتشويق  
الى وروده (وترى الشمس)  
بيان لحالهم بعد ما اوا  
الى الكهف ولم يصرح  
به ايدا باعدم الحاجة  
اليه اطهو رج ريانهم  
على موجب الامر به  
اكونه صادر عن رأي  
صائب وتعو بلا على  
ماسلف من قوله سبحانه  
اذ اوى القتيبة الى الكهف  
و ملحق من اضافة  
الكهف اليهم وكونهم  
في فحوه منه والخطاب  
لارسل عليه الصلاه  
والسلام واكل أحد من  
يصلح للخطاب و ليس  
المراد به الاخبار بوقوع  
الرؤية تحقيقا بل الانباء  
بكون الكهف بحيث  
لورأيته ترى الشمس  
(اذا طلعت تزاور) أي  
تزاور وتنجي بحذف  
احدى التاءين وقرئ  
بادغام التاء في الزاي وتزور  
تتحمرو تزاور كتحمار  
وتزور وكلها من الزور

في الصعب والسهل والبعيد والقريب (الجنة السابعة) وهي مبنية على القوانين العقلية  
الحكمية وهي انا قد بينا أن جوهر الروح ليس من جنس الاجسام الكائنة الفاسدة  
المتعرضة للتفريق والتزريق بل هو من جنس جواهر ثلاثكة وسكان عالم السموات ونوع  
القدس المظهرين بالأنه لما ملق بهذا البدن واستغرق في تدبيره صار في ذلك الاستغراق  
الى حيث نسي الوطن الاول والمسكن المتقدم وصار بالكلية متشبهاً بهذا الجسم الفاسد  
فضعفت قوته وذهبت مكنته ولم يقدر على شيء من الافعال أما اذا استأنست بمعرفة الله  
ومحبته وقل انعماسها في تدبير هذا البدن وأشرقت عليها أنوار الارواح السماوية  
العرشية المقدسة وفاضت عليها من تلك الانوار قويات على التصرف في اجسام هذا  
العالم مثل قوة الارواح الفلكية على هذه الاعمال وذلك هو الكرامات وفيه دققة  
أخرى هي أن مذهب ان الارواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة وفيها  
التورانية والكدرية وفيها الحرة والنذلة والارواح الفلكية أيضا كذلك ألا ترى الى  
جبريل كيف قال الله في وصفه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع  
ثم أمين وقال في قوم آخرين من الملائكة وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم سيئا  
فكذا ههنا فاذا اتفق في نفس من النفوس كونها قوية القوة القدسية الغنصرية  
مشرقة الجوهر علوية الطبيعة ثم انضاضها انواع الرياضات التي تزيل عن وجهها  
غبرة عالم الكون والفساد أشرفت وتلاآت وقويات على التصرف في هيولى عالم  
الكون والفساد باعانة نور معرفة الحضرة الصمدية وتقوية أضواء حضرة الجلال والعره  
ولتقبض ههنا عنان البيان فان وراءها أسرار دققة واحوال العميقة من لم يصل اليها  
لم يصدق بها ونسأل الله الاعانة على ادراك الحيرات واحتج المنكرون للكرامات بوجوه  
(الشبهة الاولى) وهي التي عليها يعولون وبها يضلون ان ظهور الحارق للعادة جعله الله  
دليلا على النبوة فلو حصل لغيري لبطلت هذه الدلالة لان حصول الدليل مع عدم  
المدلول يقدر في كونه دليلا وذلك باطل (والشبهة الثانية) تمسكوا بقوله عليه السلام  
حكاية عن الله سبحانه ان يتقرب التقرّبون الى مثل أداء ما افترضت عليهم قالوا هذا يدل  
على ان التقرب الى الله بأداء الفرائض أعظم من التقرب اليه بأداء النوافل ثم ان  
التقرب اليه بأداء الفرائض لا يحصل له شيء من الكرامات فالتقرب اليه بأداء النوافل  
أولى أن لا يحصل له ذلك (الشبهة الثالثة) تمسكوا بقوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد  
لم تكونوا بالغيث الا بشق الانفس والقول بان الولي ينتقل من بلدا الى بلد بعيدا على  
الوجه طعن في هذه الآية و ايضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة  
الا في أيام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل أن يقال ان الولي ينتقل من بلد نفسه الى  
الحج في يوم واحد (الشبهة الرابعة) قالوا هذا الولي الذي تظهر عليه الكرامات اذا  
ادعى على انسان درهما فهل نطالبه بالبينة أم لا فان طالبناه بالبينة كان عبثا لان ظهور

وهو المليل (عن كهفهم) ﴿ ٨٧ ﴾ خا الذي اوا الى فالاضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) أي جهة ذات يمين  
الكهف عند توجه الداخل الى قعره أي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت)  
أي تراها عند غروبها (تقرضهم) أي تقطعهم من الطبيعة والصرم ولا تقربهم (ذات الشمال)

أى جهة ذات شمال الكهف أى جانبه الذى بلى المشرق وكان ذلك بتصرف الله سبحانه على منهاج خافى أرى العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم فى فجوة منه) جملة حاله مينة لكون ذلك أمر ابدى على أى تراها تجل عنهم عينا ولا تتألا ولا تحوم حولهم مع أنهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها بالولا أن صرفتها عنهم يد التقدير (ذلك) أى ما صنع الله بهم من تراور الشمس وقرضها حالى الطلوع والغروب مع ﴿ ٦٩٠ ﴾ كونهم فى موقع شعاعها (من آيات الله) البقلة بحسب الدالة

على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف سماليا مستقبلا بنات نعش وأقرب المشارق والمغرب الى محاذاته رأس مشرق السرطان ومغربها والشمس اذا كان مدارها مداره نطلع مائلة عنده مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذى بلى المغرب وتغرب بحاذية لجانبه الأيسر فبقع شعاعها على جنبه وتحلل عقونته وتعديل هواه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلب ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان أكثر وذلك أوقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم فذلك حيثد اشارة الى ايو أهم الى كهف هذا شأنه وأما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة

الكرامات عليه يدل على انه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الإفراط بليل الظنى وان لم نطالبه بما فقد تركنا قوله عليه السلام البينة على المدعى فهذا يدل على ان القول بالكرامة باطل (الشبهة الخامسة) اذا جاز ظهور الكرامة على بعض الأوصياء جاز ظهورها على الباقيين فاذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وقتها العادة وذلك يقدح فى المعجزة والكرامة (والجواب) عن الشبهة الاولى ان الناس اختلفوا فى أنه هل يجوز للولى دعوى الولاية فقال قوم من المحققين ان ذلك لا يجوز فعلى هذا القول يكون الفرق بين المعجزات والكرامات ان المعجزة تكون مسبقة بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبقة بدعوى الولاية والسبب فى هذا الفرق ان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا الى الخلق ليصيروا دعاء الخلق من الكفر الى الإيمان ومن المعصية الى الطاعة فلو لم تظهر دعوى النبوة لم يؤمنوا به واذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر واذا ادعوا النبوة وأظهروا المعجزة آمن القوم بهم فاقدام الانبياء على دعوى النبوة ليس الغرض منه تعظيم النفس بل المقصود منه اظهار الشفقة على الخلق حتى ينقلوا من الكفر الى الإيمان اما ثبوت الولاية للولى فليس الجمل بها كفرا ولا معرفتها إيمانا فكان دعوى الولاية طلب الشهوة انفس فعلنا ان النبي يجب عليه اظهار دعوى النبوة والولى لا يجوز له دعوى الولاية فظهر الفرق أما الذين قالوا يجوز للولى دعوى الولاية فقد ذكروا الفرق بين المعجزة والكرامة من وجوه (الاول) ان ظهور الفعل الخارج للعامة يدل على كون ذلك الانسان مبرا عن المعصية ثم ان اقتزى هذا الفعل بادعاء النبوة دل على كونه صادقا فى دعوى النبوة وان اقتزى بادعاء الولاية دل على كونه صادقا فى دعوى الولاية وهذا الطريق لا يكون ظهور الكرامة على الاولياء طعنا فى معجزات الانبياء عليهم السلام (الثانى) ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى المعجزة ويقطع بها والولى اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لان المعجزة يجب ظهورها أما الكرامة لا يجب ظهورها (الثالث) انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة (الرابع) ان الولى لا يجوز ظهور الكرامة على الولى عند ادعاء الولاية الا اذا أقر عند تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبي ومتى كان الامر كذلك صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبي ومؤكدة لرسالته وبهذا التقدير لا يكون ظهور الكرامة طعنا فى نبوة النبي بل يصير مقويا لها (والجواب) عن الشبهة الثانية ان التقرب بالفرائض وحدها أكمل من التقرب بالنوافل أما الولى فانهما يكون وليا اذا كان آتيا بالفرائض والنوافل ولا شك انه يكون حاله اتم من حال من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق والجواب عن الشبهة الثالثة ان قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء أحوال نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم وهذا هو الجواب عن الشبهة الرابعة وهى التمسك بقوله عليه السلام البينة على المدعى (والجواب) عن الشبهة الخامسة ان

أولى اطلاعه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على أخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعيف القصة ﴿ المطيعين ﴾ (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو الممهّد) الذى أصاب الفلاح والمراد اما انشاء عليهم والشهادة لهم بإصابتهم المطلوب والاخبار بتخصيق ما أملوه من نشر الرحمة وتميئة المرافق



أو التنبه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وقته الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضلل) أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه (فلن تجده) أي بدأ وان بانغت في التبع والاستقصاء (وليا) ناصر (مرشدا) يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لأنك لا تجده مع وجوده أو امكانه (وتح بهم) بفتح السين وقرئ بكسرهما أيضا والخطاب فيه كما سبق (أي قاطنا) \* ٦٩١ \* جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان

انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى وتقلبهم ( وهم رقيود ) أي نيام وهو تقير للملم يذكر فجما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على آذانهم (وتقلبهم) في رقبتهم (ذات اليمين) نصب على الطرفيه أي جهة تلي أيانهم (وذات الشمال) أي جهة تلي شما ئلهم كي لا يأكل الارض ما يليها من أيدانهم قال ابن عباس رضى الله عنهما اولم يقبلوا الاكاتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبية واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقبلهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر يني عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم (وكلبهم) قيل هو كلب مروا به فنبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع

المطيعين فيهم قلة كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وكما قال ابيس ولا تجد أكثرهم شاكرين وافا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات في الاوقات النادرة فادحاق كونها على خلاف العادة (المسئلة السابعة) في الفرق بين الكرامات والاستدراج اعلم ان من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وجبها عند الله تعالى سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك أكراما للعبد وقد يكون استدراجا له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة في القرآن (أحدها) الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما يريد في الدنيا ليزداد غيبه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله وتحقيقه انه ثبت في العلوم العقلية ان تكرر الافعال سبب لحصول الملكة الراسخة فاذا مال قلب العبد الى الدنيا تم أعطاه الله مراده فينتد يصل الطالب الى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل وحصول الميل يوجب مزيد السعى ولا يزال يتأذى كل واحد منهما الى الآخر وتتقوى كل واحدة من هاتين الحالتين درجة فدرجة ومعلوم ان الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة الى أن يتكامل فهذا هو الاستدراج ( وثانيها ) المكر قال تعالى فلا آمن من مكر الله الا القوم الخاسرون ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا مكروا ومكرونا مكر اوهم لا يشعرون ( وثالثها ) الكيد قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم ( ورابعها ) الاملاء قال تعالى ولأنحسن الذين كفروا انما على لهم خير انفسهم انما على لهم ليزدادوا انما ( وخامسها ) الاهلاك قال تعالى حتى اذا فرحوا بما أتوا أخذناهم وقال فرعون واسيتكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناهم وخنودهم فنبذناهم في اليم فظهر بهذه الآيات ان الايصال الى المرادات لا يدل على كمال الدرجات والفوز بالحيرات بقى علينا أن نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات \* فنقول ان صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أسد وحذره من قهر الله أقوى فانه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج وأما صاحب الاستدراج فانه يستأنس بتلك الذي يظهر عليه و يظن انه انما وجد تلك الكرامة لانه كان مستحقا لها وحينئذ يستحتر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فاذا ظهرت شي من هذه الاحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على انها كانت استدراجا لا كرامة فلهذا المعنى قال المحققون أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من انواع البلاء والذي يدل على ان الاستئناس فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جاني فاني أحب احياء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع فذبحهم على دينهم ويؤيده قراءة كالهم اذا الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيدا أحدهم أو زرع أو غنم واختلف في اونه فقيل كان امر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه فطمير وقيل ريان وقيل تنوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الذواب الا كلب

أصحاب الكهف وخار بلهم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسداً (بسط فرائجه) حكايته على ما مضى  
ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من النصر بين يجوز أعماله مطلقاً والذراع من المرفق  
إلى رأس الأصبع الوسطى (بالوصيد) أى بموضع الباب من الكهف (وأطلعت عليهم) أى لو طابقتهم وشاهدتهم  
وأصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة \* ٦٩٢ \* والمشاهدة وقرئ بضم الواو (وليت منهم فراراً) هرباً بما

سأهدت منهم وهو  
أما نصب على المصدرية  
من معنى ما قبله إذا تلوياً  
والفرار من واحد  
وأما على الحالية يجعل  
المصدر بمعنى الفاعل أى  
فأراً أو يجعل الفاعل  
مصدره إمبالغة كما فى  
قولها \* فأنما هى اقبال  
وإدبار \* وأما على أنه  
مفعول له (ولمئت منهم  
رعياً) وقرئ بضم  
العين أى خوفاً يملأ  
الصدر ويرعبه وهو أما  
مفعول ثان أو تمييز وذلك  
لما لبسهم الله عز وجل  
من الهيبة والهيبة كانت  
أعينهم مفتحاً كالمنطق  
الذى يريد أن يتكلم  
وقيل لطول أظفارهم  
وسمورهم ولا يساعده  
قولهم لبسنا يوماً أو بعض  
يوم وقوله ولا يشعرن  
بكم أجداً فان الظاهر  
من ذلك عدم اختلاف  
أحوالهم فى أنفسهم  
وقيل لعظم أجرامهم  
ولعل ناخبرهم هذا من ذكر  
التولية الأيذان باستقلال  
كل منهم فى الترتيب

بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه (الحجة الأولى) ان هذا الفرور إنما يحصل إذا اعتقد  
الرجل انه مستحق لهذه الكرامة لان بتقدير أن لا يكون مستحقاً لها امتنع حصول  
الفرح به ايل يجب أن يكون فرحه بكرم المولى وفضله أكبر من فرحه بنفسه فثبت ان  
الفرح بالكرامة أكثر من فرحه بنفسه وثبت ان الفرح بالكرامة لا يحصل الا اذا  
اعتقد انه أهل ومستحق لها وهذا عين الجهل لان الملائكة قالوا لعل لنا الاما علمتنا وقال  
تعالى وما قدر والله حق قدره وأيضا قد ثبت بالبرهان اليقيني انه لاحق لاحد من الخلق  
على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق (الحجة الثانية) ان الكرامات أشياء معايرة للحق  
سبحانه فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب عن الحق والمحبوب  
عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور (الحجة الثالثة) ان من اعتقد فى نفسه انه صار  
مستحقاً للكرامة بسبب عمله حصل له وقع عظيم فى قلبه ومن كان عمله وقع عنده كان  
جاهلاً ولو عرف ربه لعلم ان كل طاعات الخلق فى جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم فى  
جنب آله ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهمى فى مقابلة هيبته حيرة وجهل  
\* رأيت فى بعض الكتب انه قرأ القرئ فى مجلس الأستاذ أبى على الدقاق قوله تعالى  
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن الحق رفع علمك أن لا يبقى  
عندك فان بقى علمك فى نظرك فهو مدفوع وان لم يبق معك فهو مدفوع مقبول (الحجة  
الرابعة) ان صاحب الكرامة انما وجد الكرامة لاظهار الذل والتواضع فى حضرة  
الله فاذا ترفع وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل ما به وصل الى الكرامات  
فهذا طريق ثبوته يؤديه الى عدمه فكان مردوداً ولهذا المعنى لما ذكر النبي صلى الله  
عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول فى آخر كل واحد منها ولا فتخر يعنى لا أقتخر  
بهذه الكرامات وانما أقتخر بالكرم والمعطى (الحجة الخامسة) ان ظاهر الكرامات فى  
حق ابليس وفى حق بلعام كان عظيمائهم قيل لابليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فثله  
كمثل الكلب وقيل لعلاء بنى اسرائيل مثل الذين جالوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار  
يحمل أسفارا وقيل أيضاً فى حقهم وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم  
العلم بغيا بينهم فبين ان وقوعهم فى الغلطات والضلالات كان بسبب فرحهم بما أوتوا من  
العلم والزهد (الحجة السادسة) ان الكرامة غير المكرم وكل ما هو غير المكرم فهو ذليل  
وكل من تعزز بالدليل فهو ذليل ولهذا المعنى قال الخليل صلوات الله عليه أما اليك فلا  
فلاستغناء بالفقر فقر والتقوى بالعساجز عجز والا استكمال بالنقص نقصان والفرح  
بالمحدث بله والاقبال بالكلية على الحق خلاص فثبت ان الفقير اذا التمسج بالكرامة سقط  
عن درجته أما اذا كان لا يشاهد فى الكرامات الا المكرم ولا فى الاعزاز الا المعز ولا فى  
الخلق الا الخالق فهناك يحق الوصول (الحجة السابعة) ان الافتخار بالنفس وبصفاتهما من  
صفات ابليس وفرعون قال ابليس أنا خير منه وقال فرعون أنيس لى ملك مصر وكل من

على الاطلاع اذ لوروى ترتيب الوجود كبادالى الغمهم ترتيب المجموع من حيث هو هو عليه والاشمار ادى  
بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غر الروم فى الكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم  
فقاله ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قدمتم الله تعالى من هو خير منك حيث قال

لو اطاعت عليهم الآية قل معلومة لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقل لهم اذ هيوا فانظروا فافعلوا فافعلوا الكهف  
بعث الله تعالى ريجما فأجرقتهم وقرى بشديد الالم على التكثير وابدال المهرتيا مع التخفيف والتشديد (و كذلك  
بعثناهم) أي كما أمانها وحفظنا أجسادهم من البلى والهلاك آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم (ليتساءلوا بينهم)  
أي يسأل بعضهم بعضا فيرتب عليه ما فصل هو ٦٩٣ من الحكم البالغة وجعله غاية البعث المعلن فيماسبق

بالاختيار من حيث انه  
من أحكامه المترتبة عليه  
والاقتصار على ذكره  
لاستبانه لسائر آياته  
(قال) استئناف ابيان  
تساءلهم (قائل منهم) هو  
رئيسهم واسمه مكسليا  
(كم ليتم) في منامكم  
لعله قاله لما رأى من  
مخالفة حالهم لما هو  
المعادى الجملة (قالوا)  
أي بعضهم (ابتنا يوما أو  
بعض يوم) قيل انما  
قالوه لما أنهم دخلوا  
الكهف غدوة وكان  
انتباههم آخر النهار  
فقالوا البنا يوما فثاروا  
أن الشمس لم تغرب  
بعد قالوا أو بعض يوم  
وكان ذلك بناء على الظن  
الغالب فلم يعزوا الى  
الكذب (قالوا) أي بعض  
آخر منهم بما سئخ لهم  
من الأدلة أو بالهام  
من الله سبحانه (ربكم  
أعلم بالبتهم) أي أنتم  
لا تعلمون مدة ابتناكم وانما  
يعلمها الله سبحانه وهذا  
رد منهم على الاولين  
بأجل ما يكون من مراعاة

ادعى الالهية أو النبوة بالكذب فليس له غرض الا تزوين النفس وتقوية الحرص  
والحجب ولهذا قال عليه السلام ثلاث مهلكات وختمها بقوله واعجاب المرء بنفسه (الجملة  
الثامنة) انه تعالى قال فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين  
فلما أعطاه الله العظيمة الكبرى أمره بالاستئصال بخدمة المعطي لا يفرح بالمعطية (الجملة  
التاسعة) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خبره الله بين أنه يكون ملكا نبيا وبين أن يكون  
عبدا نبيا ترك الملك ولاشك ان وجد ان الملك الذي يم المشرق والمغرب من الكرامات  
يل من المعجزات ثم انه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك الملك واختار العبودية لانه اذا كان  
عبدا كان اقتضاه بمولاه واذا كان ملكا كان اقتضاه بعبده فلما اختار العبودية  
لاجرم جعل السنة التي في التحيات التي رواها ابن مسعود وأشهد أن محمدا عبده ورسوله  
وقبل في المراج سبحان الذي أسرى بعبده (الجملة العاشرة) ان محب المولى غير موجب  
ما للمولى غير فمن أحب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى فلا استئناس  
بغير المولى والفرح بغيره يدل على انه ما كان محبا للمولى بل كان محبا لتصيب نفسه ونصيب  
النفس انما يطلب للنفس فهذا الشخص ما أحب الانفسه وما كان المولى محبوا به بل  
جعل المولى وسيلة الى تحصيل ذلك المطلوب والصنم الاكبر هو النفس كما قال تعالى  
أفرأيت من اتخذ الهه هواه فهذا الانسان طيب للصنم الاكبر حتى ان المحققين قالوا الامضرة  
في عبادة شيء من الاصنام مثل المضرة الحاصلة في عبادة النفس ولا خوف من عبادة  
الاصنام كالخوف من الفرح بالكرامات (الجملة الحادية عشرة) قوله تعالى ومن يتق الله  
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وهذا يدل على  
أن من لم يتق الله ولم يتوكل عليه لم يحصل له شيء من هذه الاعمال والاحوال (المسئلة  
الثامنة) في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ أبو بكر بن فورك لا يجوز وقال  
الاستاذ أبو علي الدقاق وتليده أبو القاسم القشيري يجوز وجهة المانعين وجوه (الجملة  
الاولى) لو عرف الرجل كونه وليا لحصل له الامن بدليل قوله تعالى ألا ان أولياء الله  
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكن حصول الامن غير جائز ويدل عليه وجوه (أحدها)  
قوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون واليأس أيضا غير جائز لقوله تعالى انه  
لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ولقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه  
الا الضالون والمعنى فيه ان الامن لا يحصل الا عند اعتقاد الجز واليأس لا يحصل الا عند  
اعتقاد البخل واعتقاد العجز والبخل في حق الله كفر فلا جرم كان حصول الامن  
والقنوط كفرا (الثاني) ان الطاعات وان كثرت الا أن قهر الحق أعظم ومع كون القهر  
غالبا لا يحصل الامن (الثالث) ان الامن يقتضى زوال العبودية وترك الخدمة  
والعبودية يوجب العداوة والامن يقتضى ترك الخوف (الرابع) انه تعالى وصف  
المخلصين بقوله ويدهون نار غياورها وكانوا لنا خاشعين قيل رغبا في ثوابنا ورهبانا من عقابنا

حسن الادب به يتحقق التعرّب الى الحزبين اليهودين فيماسبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده  
النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضى بان الكلام جار على منهاج المحاوراة والمجاوبة  
والا لقليل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبنا (فابتوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) قالوه



(وان تظنوا اذا) أي ان دخلتم فيها ولو بالكره والاجلاء لن تفوزوا بخير (أبدا) لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى (وكذلك) أي وكأنتاهم وبعثناهم لما أمر من أزيدادهم في مراتب اليقين (أعزنا) أي أطلعنا الناس (عليهم ليعلموا) أي الذين أعزناهم عليهم بما طينوا من أحوالهم العجيبة (أن وعد الله) أي وعده بالبعث أو مواعود النبي هو البعث وأن كل وعده أو كل ﴿ ٦٦٥ ﴾ مواعوده فيدخل فيه وعده بالبعث أو بالبعث الموعود

دخولا وأوليا (حق) صادق  
 لا خلف فيه أو ثابت  
 لا مرد له لان نومهم  
 وانباهم كحال من يموت  
 ثم يبعث (وأن الساعة)  
 أي القيامة التي هي  
 عبارة عن وقت بعث  
 الخلائق جميعا للحساب  
 والجزاء (لا ريب فيها)  
 لا شك في قيامها فان من  
 شاهد أنه جل وعلا توفي  
 نفوسهم وأمسكها  
 لثلاثة سنة وأكثر حافظا  
 أبدانها من التحلل والتفتت  
 ثم أرسلها إليها لا يبقى  
 له شائبة شك في أن وعده  
 تعالى حق وأنه يبعث من  
 في القبور فيرد اليهم  
 أرواحهم فيحاسبهم  
 ويجزى بهم بحسب أعمالهم  
 (اذ يتنازعون) طرف  
 لقوله أعزنا قدم عليه  
 الغاية اطهار الكمال  
 العناية بذكرها لا لقوله  
 ليعلموا كما قيل لدلائله  
 على أن التنازع يحدث  
 بعد الاعتراض وليس كذلك  
 أي أعزناهم عليهم حين  
 يتنازعون (بينهم أمرهم)  
 ليرتفع الخلاف وينين

انهم فتية آمنوا بر بهم كانوا جماعة من الشبان آمنوا بالله ثم قال تعالى في صفاتهم ور بطنا  
 على قلوبهم أي ألهمناها الصبر وثبتاها اذ قاموا وفي هذا القيام أقوال (الاول) قال  
 مجاهد كانوا عظماء مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل  
 منهم أكبر القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما أظن ان أحدا يجده قالوا ما تجد قل أجد  
 في نفسي ان ربي رب السموات والارض (القول الثاني) انهم قاموا بين يدي ملكهم  
 دقيانوس الجبار وقالوا ربنا رب السموات والارض وذلك لانه كان يدعو الناس الى  
 عبادة الطواغيت فبنت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا  
 بر بوية الله وصرحوا بالبراءة عن الشركاء والانداد (والقول الثالث) وهو قول عطاء  
 ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم وهذا بعيد لان الله استأنف قستهم بقوله  
 نحن نقص عليك وقوله لقد قاتلنا اذا شططا معنى الشطط في اللغة مجاوزة الحد قال الفراء  
 يقال قد أشطط في السوم اذا جاوز الحد ولم يسمع الأشط يشط اشطاطا وشططا وحكى  
 الزجاج وغيره شط الرجل وأشط اذا جاوز الحد ومنه قوله ولا تشطط وأصل هذا من  
 قولهم شطت الدار اذا بعدت فالشطط البعد عن الحق وهو ههنا منصوب على المصدر  
 والمعنى لقد قاتلنا اذا قولا شططا أما قوله هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة هذا من قول  
 أصحاب الكهف ويضون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الاصنام لولا يأتون  
 هلا يأتون عليهم بسلطان بين بحجة بينة ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة ومعنى  
 الكلام ان عدم البينة بعدم الدلائل على ذلك لا يدل على عدم المدلول ومن الناس من  
 يحتج بعدم الدليل على عدم المدلول ويستدل على صحة هذه الطريقة بهذه الآية  
 فقال انه تعالى استدل على عدم الشركاء والاضداد بعدم الدليل عليها فثبت ان الاستدلال  
 بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية ثم قال فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يعني  
 ان الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وكذب عليه وهذا من  
 أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد \* قوله تعالى (واذا عزرتوهم وما يعبدون الا الله  
 فأووا الى الكهف ينسركم ربكم من رحمة وبهي لكم من أمركم مرفقا وترى  
 الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم  
 في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضل فلن نجد له وليا  
 مرشدا) اعلم ان المراد انه قال بعضهم لبعض واذا عزرتوهم واعتزتهم الشيء الذي يعبدونه  
 الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادة الله فأووا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ  
 فعلت كذا فافعل كذا ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم ينسركم ربكم من رحمة  
 أي ييسر لها عليكم وبهي لكم من أمركم مرفقا قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية  
 مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والياقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء قال الفراء وهما  
 لقنان واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي ينكر في مرفق الانسان الذي في اليد

الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقرله وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون  
 الاجساد وآخر يقول ببعثها معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف أهل ملكته في البعث  
 حسبما فصل فدخل الملك بيته وأخلق بابيه ولبس ممصا وجلس على رماد وسال

اعراضا عن التسمية مضر و ية و صرح لحي قال في الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهمم ما شد به دقيانوس باب الكهف ليخففه حظيرة و بادغام القذالك بشهم الله تعالى فجرى بينهم من القاول ماجرى روى أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليشتري تعالى (قلعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كذا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان من انبأنا أخبرونا بان فتية فروا بيديهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء ﴿ ٦٩٦ ﴾ فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم

وكافر و ابصر وهم و كلوهم ثم قالت الفتية للملك فسئتودعك الله و نعيذك به من شر الانس و الجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فأتوا فأتى الملك عليهم ثيابا و جعل اكل منهم ثابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فحبسها من الساج و بنى على باب الكهف مسجدا و قيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أو لا لا يفرحوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا و قيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أي أعتزنا عليهم حين يتذكرون بينهم أمرهم و ماجرى بينهم و بين دقيانوس من الاحوال و الاحوال و يتلقون ذلك من الاساطير و أفواه الرجال و على التقديرين فالقاء في قوله عز وجل (فقالوا) فصيحة أي اعتزناهم عليهم فرأوا ما رأوا فأتوا فقلوا أي قال بعضهم (ابنوا عليهم) أي على باب كهفهم

الأكسر الميم و فتح الفاء و القراء يجسره في الأمر وفي اليد و قيل هما لغتان إلا أن الفتح أقسى و الكسر أكثر و قيل المرفق ما ارتفتت به و المرفق بالفتح المرافق ثم قال تعالى و ترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و اذا غربت تقرضهم ذات الشمال و فيه مباحث (المبحث الاول) قرأ ابن عامر تزورسا كنه الزاي المعجمة مشددة الراء مثل تحمر و قرأ عامر و حجرة و الكسائي تزاور بالالف و التخفيف و الباقون تزاور بالتشديد و الالف و الكل بمعنى و التزاور هو الميل و الانحراف و منه زاره اذا مال اليه و الزور الميل عن الصدق و أما التشديد فأصله تتزاور سكنت التاء الثانية و ادغمت في الزاي و أما التخفيف فهو تفاعل من الزور و أما تزور فهو من الازورار (المبحث الثاني) قوله و ترى الشمس أي أنت أيها المخاطب ترى الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم و ليس المراد ان من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو و معناه أنك لو رأيت زأيته على هذه الصورة (المبحث الثالث) قوله ذات اليمين أي جهة اليمين و أصله ان ذات صفة أقيمت مقام الموصوف لانها تأتي ذوق قولهم رجل فومال و امرأة ذات مال و التقدير كأنه قيل تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين و أما قوله و اذا غربت تقرضهم ذات الشمال ففيه بجمان (المبحث الاول) قال الكسائي قرضت المكان أي عدلت عنه و قال أبو عبيد القرظ في أشياء فذها القطع و كذلك السير في البلاد أي اذا قطعتها تقول لصاحبك هل وردت مكان كذا فيقول الجيب انما قرضته فقوله تقرضهم ذات الشمال أي تعدل عن سمت رؤسهم الى جهة الشمال (المبحث الثاني) للمفسر بن هبنا قولان (القول الاول) ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا غربت الشمس كانت على عين الكهف و اذا غربت كانت على شماله فضوء الشمس يصل الى داخل الكهف و كان الهواء الطيب و النسيم الموافق يصل اليه و المقصود من قوله تعالى صان أصحاب الكهف من أن يقع عليهم ضوء الشمس و الا لتسدت أجسامهم فهي مصونة عن العقوبة و القساد (والقول الثاني) انه ليس المراد ذلك و إنما المراد ان الشمس اذا طلعت منع الله ضوء الشمس من الوقوع و كذا القول حال غروبها و كان ذلك فعلا خارجا للمادة و كرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف و هذا قول الزجاج و احتج على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الأمر كما ذكره أصحاب القول الاول لكان ذلك أمرا معتادا ما لو فافلم يكن ذلك من آيات الله و أما اذا حلنا الآية على هذا الوجه الثاني كان ذلك كرامة عجيبة فكانت من آيات الله و اعلم انه تعالى أخبر بعد ذلك انهم كانوا في منسج من الكهف ينالهم فيه برد الريح و نسيم الهواء قال وهم في فجوة منه أي من الكهف و الفجوة منسج في مكان قال أبو صبيدة و جمعها فجوات و منه الحديث فاذا وجد فجوة نص ثم قال تعالى ذلك من آيات الله و فيه قولان الذين قالوا انه يمنع وصول ضوء الشمس بقدرته قالوا المراد من قوله ذلك أي ذلك التزاور و الميل و الذين لم يقولوا به قالوا

(بنبانا) ثلاث طرق اليهم الناس ضنا بتر بيتهم و محافظتها عليها و قوله تعالى (ربهم أعلم بهم) من كلام ﴿ المراد المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب و من حيث العدد و من حيث البيت في الكهف قالوا ذلك تغويضا للامر الى علام الغيوب

أو من كلام الله تعالى رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين وقيل أمرهم وتديبرهم عند قولهم  
 أو شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو ناموا كما في أول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى (قال الذين  
 غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلون (لتخذن عليهم مسجدا) وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون  
 وإشارة صيغة الماضي للدلالة على أن هذا \* ٦٩٧ \* القول ليس مما يستر ويبتعد كالتنازع وقيل متعلق بما ذكر

مضمر أو أمانته بقرينة ما  
 فيأباه أن اعثارهم ليس  
 في زمان تنازعهم فيما  
 ذكر بل قبله وجعل  
 وقت التنازع متدا  
 يقع في بعضه الاعثار  
 وفي بعضه التنازع  
 تعسف لا يخفى مع أنه  
 لا يخص لا ضافة  
 إلى التنازع وهو مؤخر  
 في الوقوع (سيقولون  
 الضمير في الأفعال الثلاثة  
 للخائضين في قصتهم  
 في عهد النبي عليه  
 الصلاة والسلام  
 من أهل الكتاب والمسلمين  
 لكن لأعلى وجه اسناد  
 كل منها إلى كلهم بل  
 إلى بعضهم (ثلاثة  
 رابعهم كلهم) أي هم  
 ثلاثة أشخاص رابعهم  
 أي جعلهم أربعة  
 بانضمامهم إليهم كلهم  
 قيل قائله اليهود وقيل  
 قاله السيد من نصارى  
 نجران وكان يعقوبيا  
 وقرى ثلاثة بادغام الثاء  
 في التاء (ويقولون  
 خمسة سادسهم كلهم)  
 قيل قائله النصارى

المراد بقوله ذلك أي فلك الحفظ الذي حفظهم الله في ذلك الغارتلك المدة الطويلة من  
 آيات الله الدالة على عجائب قدرته وبدائع حكمته ثم بين تعالى أنه كما أن بقاؤهم هذه المدة  
 الطويلة مصوناً عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرمه فكذلك رجوعهم أولاً  
 عن الكفر ورجعتهم في الإيمان كان بإعانة الله وإطفاءه فقال من يهدى الله فهو المهتدى  
 مثل أصحاب الكهف ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً كدقيانوس الكافر وأصحابه  
 ومناظرات أهل الجبر والقدر في هذه الآية معلومة \* قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظاً  
 وهم رهودون) أي فيهم ذات اليمين وذات الشمال وكبهم بأسط ذراعيه بالوصيد لواطلت عليهم  
 لوليت منهم فرار ووليت منهم رعباً (اعلم أن معنى قوله وتحسبهم على ما ذكرناه في قوله  
 وترى الشمس أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً وهو جرم يقظ ويقظان قاله الاخفش وأبو  
 عبيدة والزجاج وأنشدوا رؤيته \* ووجدوا إخوانهم أيقاظاً \* ومثله قوله نجد ونجدان  
 والتجداد وهم رقاد أي نائمون وهو مصدر سمي المفعول به كما يقال قوم ركوع وقعود وسجود  
 يوصف الجمع بالمصدر ومن قال أنه جمع راقد فقد أبعده لأنه لم يجمع فاعل على فاعول قال  
 الواحدى وإنما يحسبون أيقاظاً لأن أعينهم مقحمة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تقلبهم  
 يظن أنهم أيقاظ واليدل عليه قوله تعالى وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال واختلافوا  
 في مقدار مدة التقلب فمن أن هريرة رضى الله عنه أنهم في كل عام تقلبتين وعن مجاهد  
 يكونون على إيمانهم تسع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقاداً تسع سنين وقيل لهم  
 تقلبية واحدة في يوم عاشوراء وأقول هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها وللفظ القرآن  
 لا يدل عليه وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف وقال ابن عباس رضى الله عنهما فإنه  
 تقلبهم ثلاثاً أكل الأرض لحومهم ولاتيلهم وأقول هذا عجيب لأنه تعالى لما قدر على أن  
 يمسك حياتهم مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فلم يقدر على حفظ أجسادهم أيضاً من غير تقلب  
 وقوله ذات منصوبة على الظرف لأن المعنى تقلبهم في ناحية اليمين أو على ناحية اليمين  
 كما قلنا في قوله زاور عن كهفهم ذات اليمين وقوله وكبهم بأسط ذراعيه قال ابن عباس  
 وأكثر المفسرين قالوا أنهم هر بوا إيلامن ملكهم فرأوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم  
 ومعه كلبه وقال كعب مر وابكك فنجح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا مراً فقال لهم  
 الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جاني أنا أحب أحياء الله فناموا حتى أحرسكم وقال عبيد  
 ابن عمير كان ذلك كلب صيدهم ومعنى بأسط ذراعيه أي يلقبهما على الأرض مبسوطتين  
 غير مقبوضتين ومنه الحديث في الصلاة أنه نهى عن افتراش السبع وقال لا تقترش  
 ذراعيك افتراش السبع قوله بالوصيد يعني فناء الكهف قال الزجاج الوصيد فناء البيت  
 وفناء الدار ووجهه وصائد ووجد وقال يونس والاختف والفرار الوصيد والاصيد لقتان  
 مثل الوكاف والاكاف وقال السدي الوصيد الباب والكهف لا يكون له باب ولا عتبة  
 وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت ثم قال لواطلت عليهم أي أشرفت

أو العاقب منهم وكان نسطوريا (رجا \* ٨٨ \* خا بالغيب) رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه أو طنا  
 بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجعين أو على المصدرية  
 منهما فإن الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا أي يرجون رجاء  
 وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك

(ويقولون سبعة وثمانهم كلهم) هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المغيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها الايوسي آخر كما قيل (قل) تحقيقا للحق وردا على الاولين (ربي اعلم) أي أقوى علما (بعدهم) بعددهم (ما يعلمهم) أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدهم (الاقليل) \* ٦٩٨ \* من الناس قد وقفهم الله تعالى للاستسهاد

بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوه رضي الله عنه أمان ذلك القليل ولو كان في ذلك وحى آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستسهاد بالواو لو كان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماء وهم علي بن أبي طالب ومكشلي بنينا ومثلي بنينا هؤلاء أصحاب عيين الملك وكان عن يساره من نوح وديبر نوح وشاذ نوح وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسامع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشيط طيبوش (فلاتار) الفاء تفرج النهي على ما قبله أي اذا قد عرفت جهل أصحاب القولين الاولين فلا يجادلهم (فيهم) في شأن الفتية (الامراء) ظاهرا قدر ماتع رص

عليهم يقال اطلمت عليهم أي أشرفت عليهم ويقال اطلمت فلانا على الشيء فاطلم وقوله لوليت منهم فرارا قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لان معنى وايت منهم فررت ولملت منهم رعبا أي فرعا وخوفا قيل في التفسير طالت سعورهم وأطغارهم وبقيت أعينهم مفتوحة وهم نيام فلماذا السبب لوراهم الرائي لهم رب منهم مرعوبا وقيل انه تعالى جعلهم بحيث كل من رآهم فرع فرعا شديدا فاما تفصيل سبب الرعب فانه أعلم به وهذا هو الاصح وقوله ولملت منهم رعبا قرأنا فاع و ابن كثير لملت بتشديد اللام والهجرة والياقون تخفيف اللام وروى عن ابن كثير بالتخفيف والمعنى واحد الا أن في التشديد مبالغة قال الاخفش الخفيفة أجود في كلام العرب يقال ملائتي رعبا ولا يكادون يعرفون ملائتي ويذل على هذا أكثر استعمالهم كقوله \* فيملا بيتنا أقطا وسمنا \* وقول الآخر ومن مالي عينية من شيء غيره \* اذاراح نحو الجرة البيض كالدي وقال الآخر \* لا تملأ الدلو وصرق فيها \* وقال الآخر \* امتلا الحوض وقال قطبي \* وقد جاء التشجيل أيضا وأنشدوا للمخمل السعدي

واذ قتل النعمان بالناس محرما \* فلا من عوف بن كعب سلسله وقرأ ابن طامر والكسائي رعبا بضم العين في جميع القرآن والياقون بالاسكان \* قوله تعالى (و كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبتنا يوما وبعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فليظنر أيها الرزي طعاما فليأتكم رزق منه وليتلطف ولا يشعركم بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم رزقكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تعلموا اذا بدأ) اعلم ان التقدير وكأزديناهم هدى ور بطناهم في قوله فبشرنا على آذانهم وأمتناهم وأبقيناهم أحياء لا يأكلون ولا يشربون ونقلبهم وكذلك بعثناهم أي أحييناهم من تلك التومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم تساءل تنازع واختلاف في مدة لبثهم فان قيل هل يجوز أن يكون الغرض من بعثهم أن يتساءلوا ويتنازعوا قلنا لا يعد ذلك لانهم اذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى أمور عجيبة وأحوال غريبة وذلك الانكشاف أمر مطلوب لذاته ثم قال تعالى قال قائل منهم كم لبثتم أي كم مقدار لبثنا في هذا الكهف قالوا لبتنا يوما وبعض يوم قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلدك قالوا لبتنا يوما فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم ثم قال تعالى قالوا ربكم أعلم بما لبثتم قال ابن عباس هورثيسهم عليهما رجع ذلك الى الله تعالى لانه لما نظر الى اشعارهم وأطغارهم وبشره وجوههم رأى فيها آثار التقدير الشديد فعلم أن مثل ذلك التغيير لا يحصل الا في الايام الطويلة ثم قال فابشوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة قرأ أبو عمرو وحجرة وأبو بكر عن عاصم بورقكم ساكنة الراء مفتوحة الواو ومنهم من قرأ مكسورة الواو ساكنة الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم القاف

له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير \* في \* تصريح بجعلهم ونقصهم فانه مما يحل بمكارم الاخلاق (ولا تستفت فيهم) في شأنهم (منهم) من الخاضعين (أحدا) فان فيما قص عليك لمدوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطية الاقليل من أهل الكتاب فالضمار الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد



لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص عما في الاول من التكلف في جعل أحد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشأ عن الحكاية مع كون الاخيرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لآتمار والمعنى حيثئذ واذ قد وقفت على أن كاهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا يجادلهم الاجد الاظهار انطلق به الرحي المبين من غير تجهيل لحيههم فان فيهم مصيبا وانقل والنهي ﴿ ٦٩٩ ﴾ عن الاستثناء لدفع ماعسى يتوهم من احتمال جوازه أو احتمال

وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالعنى لا تراجع اليهم في شأن الغتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحي ( ولا تقولن لشيء ) أى لاجل شئ تعزم عليه ( انى فاعل ذلك ) السىء ( غدا ) أى فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا وليافاته نزل حين قالت اليهود لقر يش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسالوه عليه الصلاة والسلام فقال اثونى غدا أخبركم وليستن فأبطأ عليه الوحي حتى سق حليد وكذبته قر يش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما به ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرد أن ما بعده ليس بمعناه في مناط النهى فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل ( الأأن يشاء الله ) استثناء مفرغ من النهى أى لا تقولن ذلك في حال من الاحوال

في الكاف وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على هذه الورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة أم لا ويبد عليه ماروى ان خرقة أتخذ أنفا من ورق وفيه لغات ورق وورق وورق مثل كبد وكبدو وكبد ذكره الفراء والزجاج قال الفراء وكسر الواو وأردوها ويقال أيضا للورق الرقة قل الأزهرى أصله ورق مثل صلة وعدة قال المفسرون كانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذى كان في زمانهم يعنى بلديته التى يقال لها اليوم طرسوس وهذه الآية تدل على ان السعى في امساك الزاد أمر مهم مشروع وانه لا يبطل التوكل وقوله فليظنر أيها أذى طعاما قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظلما قبيحا أذى طعاما يريدون أيها أبعدهن الغصب وقيل أيها أطيب وألذ وقيل أيها أرخص قال الزجاج قوله أيها أرفع بالابتداء وأذى خبره وطعاما نصب على التمييز وقوله وليلطف أى يكون ذلك في سر وكتمان يعنى دخول المدينة وشراء الطعام ولا يشعرن بكم أحد أى لا يخبرن بمكانكم أحد من أهل المدينة انهم ان يظهروا عليكم أى يطلعوا ويشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته وظهرت على السطح اذا صرت فوقه ومنه قوله تعالى فأصبحوا ظاهرين أى طالبين وكذلك قوله ليظهره على الدين كله أى ليعليه وقوله يرجوكم يقتلوكم والرجم بمعنى القتل كثير في التهليل كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله أن ترجون وأصله الرجم قال الزجاج أى يقتلوكم بالرجم وأخبت أنواع القتل وقوله أو يعيدوكم في ملتهم أى يردوكم الى دينهم ولن تغلوا اذا أبدا أى ان رجعتهم الى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا فى الآخرة قال الزجاج قوله اذا أبدا يدل على الشرط أى ولن تغلوا ان رجعتهم الى ملتهم أبدا قال القاضى ما على المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين فأحدهما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذى هو أخبت أنواع القتل والآخر هلاك الدين بأن يردوا الى الكفر فان قيل أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى انهم أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تغلوا اذا أبدا قلنا يحتمل أن يكون المراد انهم لو ردوا هو لاد المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه بقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فانه يميل قلبهم الى ذلك الكفر ويصبروا كافرين في الحقيقة فهذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه والله أعلم \* قوله تعالى ( وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يشا زعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كسهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا لغيب و يقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحد ) اعلم ان المعنى كان ذاتهم هدى ووربطنا على قلوبهم وأنتاهم وقلبتاهم وبعثناهم لما فيها من الحكم الظاهرة فكذلك أعتزنا عليهم أى أطلعنا غيرهم على أحوالهم يقال عتزت على كذا أى

الاحال ملابسته بشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال ان شاء الله أوفى وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله أن تقول له لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان أيضا بشيئته تعالى ولا ماساغ لتعليقه بفاعل لادم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهى وقبل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقوانه أبدا

كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله (واذكر ربك) بقولك ان شاء الله مدار كاله (اذانسيت) اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة مالم يمضت ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولاطلاق ولاعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الائم واما الاستثناء المغير للحكم ﴿ ٧٠٠ ﴾ فلا يكون الامتصلا ويجوز أن يكون المعنى واذا ذكر

ربك بالتسبيح والاستغفار اذانسيت الاستثناء بالغة في الحث عليه واذا ذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ايبتك ذلك على التدارك واذا ذكره اذا عترك النسيان اي ذكرك المنسى وقد جعل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى ان يهدينى ربي) أى يوفقنى (لا أقرب من هذا) أى لئنى أقرب وأطهر من نبا أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى (رشدا) أى ارساد الناس ودلاله على ذلك وقد فعل عروجل ذلك حيث آناه من البيئات ما هو أعظم من ذلك وابين قصص الانبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلية الى قيام الساعة أو لأقرب رشدا وأدنى خبرا من المنسى (ولبتوا فى كهفهم) أحياء مضروبا على آذانهم (ثلثمائة سنين) وازدادوا تسعا) وهى جملة مستأنفة مبنية للأجل

عليه وقاوان أصل هذا ان من كان غافلا عن شئ فعمر به نظر اليه فعرفه فكان العثار سببا لحصول العلم والتبين فاطلق اسم السبب على المسبب واختلفوا فى السبب الذى لاجله عرف الناس واقعة أصحاب الكهف على وجهين (الاول) انه طالت سعورهم وأظفارهم طولاً مخالفا للعادة وظهرت فى بشره وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قطالت طولاً خارجاً عن العادة (والثانى) ان ذلك الرجل لما ذهب الى السوق لبشترى الطعام وأخرج الدراهم لئمن الطعام قال صاحب الطعام هذه النقود غير موجودة فى هذا اليوم وانها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة طويلة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزاً واختلف الناس فيه وحلوا ذلك الرجل الى ملك البلد فقال الملك من أين وجدت هذه الدراهم فقال بعث بها أمس شيئاً من الثمر وخرجنا فراراً من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزاً وان الله بعثه بعد موته ثم قال تعالى ليعلموا أن وعد الله حق يعنى أنا انما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم ان وعد الله حق بالبعث والحشر والنشروى ان ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث الا أنه كان مع كفره منصفاً فجعل الله امر الفتية دليلاً للملك وقيل بل اختلفت الامة فى ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعاً وقال آخرون الروح تبعث وأما الجسد فتأكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع الى الله ان يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق فى هذه المسئلة فأطعمه الله تعالى على أمر أصحاب الكهف فاستدل ذلك الملك بواقفتهم على صحة البعث الاجساد لان انبثاهم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فقوله اذ يتنازعون بينهم متعلق باعتبارنا أى اعتبارناهم عليهم حين يتنازعون بينهم واختلفوا فى المراد بهذا التنازع فقل كانوا يتنازعون فى صحة البعث فالتسائلون به استدلوا بهذه الواقعة على صحته وقالوا كما قدر الله على حفظ أجسادهم مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين فكذلك يقدر على حشر الاجساد بعد موتها وقيل ان الملك وقومه لما رأوا أصحاب الكهف ووقفوا على أحوالهم عاد القوم الى كهفهم فأمانهم الله فمئذ هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا (والتقول الثالث) ان بعضهم قال الاولى ان يسديب الكهف لئلا يدخل عليهم أحد ولا يقف على أحوالهم انسان وقال آخرون بل الاولى أن يبنى على باب الكهف مسجد وهذا القول يدل على ان أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة (والتقول الرابع) ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا فنحنذ عليهم نبينا والمسلمون قالوا كانوا على ديننا فنحنذ عليهم مسجداً (والتقول الخامس) انهم تنازعوا فى قدر مكشهم (والسادس) انهم تنازعوا فى عددهم وأسمائهم ثم قال تعالى ربه أعلم بهم وهذا فيه وجهان (أحدهما) انه من كلام المتنازعين كأنهم لما تناذروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أسمائهم وأحوالهم ومدة ابعثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربه أعلم بهم (الثانى) ان هذا من كلام الله تعالى ذكره رد المتنازعين فى حديثهم من أولئك المتنازعين

فيا سلف وأسير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم ثم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم لثمائة وروى عن على رضى الله عنه انه قال عند أهل الكتاب انهم لبثوا لثمائة سنة سمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما فى كل

مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وستين عطف بيان لثلاثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضاهة وصما جمع ووسع  
 المفرد وما يحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ( قل الله أعلم  
 بالباطن ) أي بالزمان الذي لبثوا فيه ( له غيب السموات والارض ) أي ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها واللام  
 للاختصاص العلي دون الكويني فانه غير ﴿ ٧٠١ ﴾ مختص بالغيب ( أبصر به وأسم ) دل بصيغة التعجب على

أن شأن علم سبحانه  
 بالبصرات والمسوعات  
 خارج عما عليه ادراك  
 المدركين لا يحجبه شيء  
 ولا يحول دونه حائل  
 ولا يتفاوت بالنسبة اليه  
 اللطيف والكفيف  
 والصغير والكبير والحقى  
 والجلي والهائم ضمير  
 الجلالة ومحل الرفع على  
 الفاعلية والباء مزيدة  
 عند سبويه وكان أصله  
 أبصر أي صار ذا بصر  
 ثم نقل الى صبغة الامر  
 للانشاء فبرز الضمير  
 لعدم لياقة الصيغة له  
 أول زيادة الباء كما في كفى به  
 والنصب على المفعولية  
 عند الاخفش والفاعل  
 ضمير المأمور وهو كل أحد  
 والباء مزيدة ان كانت  
 الهمزة لاتعدية ومعدية  
 ان كانت لصيرورة واصل  
 تقديم أمرا بصاره  
 تعالى لما أن الذي نحن  
 بصدد من قبيل  
 البصرات ( مالهم )  
 لاهل السموات والارض  
 ( من دونه ) تعالى  
 ( من ولى ) يتولى

ثم قال تعالى قال الذين ظلموا على أمرهم قيل المراد به الملك المسلم وقيل أولياء اصحاب  
 الكهف وقيل رؤساء البلد لتختن عليهم مسجدا نعبدا لله فيه ونسبى آثار اصحاب  
 الكهف بسبب ذلك المسجد ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في قوله  
 سيقولون عائد الى المتنازعين روى ان السيد والعاقب واصحابهما من أهل نجران كانوا  
 عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبا  
 كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال  
 المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال أكثر المفسرين هذا الاخير هو الحق ويدل عليه  
 وجوه ( الاول ) ان الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة  
 للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخرو ومررت  
 بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم فاندتها  
 تؤكد ثبوت الصفة للموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر فكانت  
 هذه الواو الدالة على صدق الذين قالوا انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا قولا متقرا  
 متحققا عن ثبات وعلم وطأ بينة نفس ( الوجه الثاني ) قالوا انه تعالى خص هذا الموضع  
 بهذا الحرف الزائد وهو الواو فوجب أن يحصل به فائدة زائدة صوتا للفظ عن التعطيل  
 وكل من أثبت هذه الفائدة الزائدة قال المراد منها تخصيص هذا القول بالاثبات والتصحيح  
 ( الوجه الثالث ) انه تعالى أتبع القولين الاولين بقوله رجبا بالغيب وتخصيص الشيء  
 بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل  
 هو القولان الاولان وأن يكون القول الثالث مخالفا لهما في كونهما رجبا بالظن  
 ( والوجه الرابع ) انه تعالى لما حكى قولهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعده قل ربي  
 أعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل فاتباع القولين الاولين بكونهما رجبا بالغيب والله واتباع هذا  
 القول الثالث بقوله قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل يدل على ان هذا القول ممتاز عن  
 القولين الاولين بزيادة القوة والصحة ( والوجه الخامس ) انه تعالى قال ما يعلمهم الاقليل  
 وهذا يقتضى انه حصل العلم بعدتهم لذلك الاقليل وكل من قال من المسلمين قولا في هذا  
 الباب قالوا انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فوجب أن يكون المراد من ذلك الاقليل هؤلاء  
 الذين قالوا هذا القول كان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماء وهم  
 هذا علي بن مكيلىنا مسلمينا وهؤلاء الثلاثة كانوا اصحاب بين الملك وكان عن يساره  
 حرنوس وديرنوس وسادنوس وكان الملك يستشير هؤلاء الستة في مهماته والسابع  
 هو الراعى الذى واقفهم لماهر بوا من ملكهم واسم كلبهم قطمير وكان ابن عباس رضى  
 الله عنهما يقول أنامن أولئك العدد الاقليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم ( الوجه  
 السادس ) انه تعالى لما قال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم  
 الاقليل والظاهر أنه تعالى لما حكى الاقوال فقد حكى كل ما قيل من الحق والباطل لانه

أمورهم وينصرهم استقلالاً ( ولا يشرك في حكمه ) في قضائه أو في علم الغيب ( أحدا ) منهم ولا يجعل له فيه  
 مدخلا وهو كما ترى أبلغ في نفي الشرك من أن يقال من ولى ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على أن الخطاب  
 لكل احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 من الغيبات علم انه وحى معجز أمره عليه

السلام بالداومة على دراسته فقال ( وائل ما وصحى اليك من كتابك ) ولا تسمع لقولهم انت بقرآن غير هذا أو بآية ( لا يبديل لكلماته ) لا قادر على تبديله وتغييره غيره ( ولن نجد ) أبد الدهر وان بالغت في الطلب ( من دونه ملتصدا ) ملجأ تعدل اليه عند الملامطة ( واصبر نفسك ) احبسها وثبتها مصاحبة ( مع الذين يدعونر بهم بالفداء والعشي ) أى دائين على الدماء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ ﴿ ٧٠٢ ﴾ بالفدوة على أن ادخال اللام عليها وهى

يعدناه تعالى ذكر الاقوال الباطلة ولم يذكر ما هو الحق فثبت ان جملة الاقوال الحقية والباطلة ليست الا هذه الثلاثة ثم خص الاولين باثنيهما رجم بالغيب فوجب ان يكون الحق هو هذا الثالث ( الوجه السابع ) انه تعالى قال لرسوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحد افنعه الله تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم في هذا الباب وهذا انما يكون لو علم حكم هذه الواقعة وأيضاً انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وبيد أن يحصل العلم بذلك لغير النبي ولا يحصل للنبي فعلمنا ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي عليه السلام والظاهر انه لم يحصل ذلك العلم الا بهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وأن يكون الامر كذلك فكان الحق هو قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم واعلم ان هذه الوجوه وان كان بعضها أضعف من بعض الا أنه لما تقوى بعضها ببعض حصل فيه كمال وتعام والله أعلم بقى في الآية مباحث ( البحث الاول ) في الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة حذف مبتدا للدلالة الكلام عليه ( البحث الثاني ) خص القول الاول بسين الاستقبال وهو قوله سيقولون والسبب فيه ان حرف العطف يوجب دخول القولين الآخرين فيه ( البحث الثالث ) الرجم هو الرمي والغيب ما غاب عن الانسان فقوله رجا بالغيب معناه ان يرمى ما غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة يقال فلان يرمى بالكلام رمياً أى يتكلم من غير تدبر ( البحث الرابع ) ذكروا في فائدة الواو في قوله وثامنهم كلبهم وجوها ( الاول ) ما ذكرنا انه يدل على ان هذا القول اول من سائر الاقوال ( وثانيها ) ان السبعة عند العرب أصل في المبالغة في العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة واذا كان كذلك فاذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظاً يدل على الاستثنا فقلوا وثمانية فجاء هذا الكلام على هذا القاتون قالوا ويدل عليه نظيره في ثلاث آيات وهى قوله والناهون عن المنكر لان هذا هو العدد الثامن من الاعداد المتقدمة وقوله حتى اذا جاؤوها وقحت أبوابها لان أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله ثيبات وأبكارا لان قوله وأبكارا هو العدد الثامن مما تقدم والثاس يعمون هذه الواو والثمانية ومعناه ما ذكرناه قال القفال وهذا ليس بشئ والدليل عليه قوله تعالى هو الله الذى لاله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن ثم قال تعالى قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق لان العلم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث التى حدثت في الماضى والمستقبل لا تحصل الا عند الله تعالى والاعند من أخبره الله عنها وقال ابن عباس أنامن أولئك القليل قال القاضى ان كان قد عرفه ببيان الرسول صح وان كان قد تعلق فيه بحرف الواو فضعيف ويمكن أن يقال الوجوه السبعة المذكورة وان كانت لا تعيد الجزم لأنها تفيد الظن واعلم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أتبعه بأن نهى رسوله عن شيئين عن المراء والاستفتاء أما النهى عن المراء فقوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا والمراد من المراء الظاهر أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لادليل

علمي الاغلب على تأويل التكبر والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم رضى الله عنهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله وسلمح هو لاه الموالى الذين كأن ريمهم ريم الضأن حتى نجاسك كما قال قوم نوح عليه السلام أنو من لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالوصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة ( يريدون ) بدعاتهم ذلك ( وجهه ) حال من المستكن في يدعون أى مر يدى رضى الله تعالى وطاعته ( ولا تعد عينك عنهم ) أى لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه أى جاوزه واستعماله بعين لتضمينه معنى النبوا ولا تصرف عينك

النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر أى صرفه عنه على ان المفعول محذوف اظهوره وقرئ ﴿ عليه ﴾ ولا تعد عينك ولا تعد عينك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدرابهم لثلاثة ز بهم طموحا الى زى الاغنياء ( تزيد زينة الحياة الدنيا ) أى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء وأصحاب الدنيا وهى حال من

الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وصيرت بملعينين واسناد الارادة اليه مجازا وتوحيد للتلزم كما في قوله \* ان زحل و قمره \* بها العينان تهمل \* ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين (ولا تطع) في تحية القراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أي جعلناه غافلا لبطلان استعدادنا \* تذكر بالمرأة أو وجدناه غافلا كقولك اجنبته وأبغضته اذا وجدته \* ٧٠٣ \* كذلك أو هو من أغفل اليه أي لم نسمه بالذكر (عن ذكرنا) كأولئك

الذين يدعونك الى طرد القراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانها كما في الحسيات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا يزينة الجسد وقرئ \* أغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب أي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بلوا اخذته من غفلته اذا وجدته غافلا (واتبع هواه وكان أمره فرطاً) ضياعا و هلاكا أو متقدما للحق والصواب بانذاله ورائطه من قولهم فرس فرط أي متقدم للخيل أو هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتهاون

عليه فوجب التوقف وترك القطع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن وأما النهي عن الاستغناء فقوله ولا تستغث فيهم منهم احدا وذلك لانه لما ثبت انه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استغاثتهم واعلم ان نفاة القياس تمسكوا بهذه الآية قالوا ان قوله رجبا بالغيب وضع الرجم فيه موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثر وان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قوله \* وما هو عنها بالحديث المرجح \* أي المظنون هكذا قاله صاحب الكشاف وذلك يدل على أن القول بالظن مذموم عند الله ثم انه تعالى لما ذم هذه الطريقة رتب عليه المنع من استغناء هؤلاء الظانين فدل ذلك على ان الفتوى بالمظنون غير جائزة عند الله وجواب مثبت القياس عنه قد ذكرناه مرارا \* قوله تعالى ( ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ) واذكر بك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لا أقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تساقا قل اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا ) اعلم أن في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال المفسرون ان القرء لما سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة قل عليه السلام أجيبكم عنها غدا ولم يقل ان شاء الله فاتحسب الوحي خمسة عشر يوما في رواية أخرى أر بعين يوما ثم زلت هذه الآية اعتراض القاضي على هذا الكلام من وجهين (الاول) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالما بانه اذا أخبر عن انه سيفعل الفعل الفلاني غدا فر بما جاءته الوفاة قبل الغد ور بما عاقده سابق آخرص الاقدام على ذلك الفعل غدا واذا كان كل هذه الامور محتملا فلولا يقل ان شاء الله ر بما خرج لكلام مخالفا لما عليه الوجود وذلك بوجوب التنكير عنه وعن كلامه عليه السلام أما اذا قل ان شاء الله كان محترزا عن هذا المحذور واذا كان كذلك كان من البعيد أن يعد بشيء ولم يقل فيه ان شاء الله ( الثاني ) ان هذه الآية مشتملة على فوائد كثيرة لا ينفع من أن يكون سبب نزوله واحدا منها ( المسئلة الثانية ) قوله الا أن يشاء الله ليس فيه بيان انه شاء الله ماذا وفيه قولان (الاول) التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله أن يأذن لك في ذلك القول والمعنى انه ليس لك أن تخبر عن نفسك انك تفعل الفعل الفلاني الا اذا أذن الله لك في ذلك الاخبار (القول الثاني) أن يكون التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن تقول ان شاء الله والسبب في انه لا بد من ذكر هذا القول هو ان الانسان اذا قل أفعال الفعل الفلاني غدا لم يمد أن يموت قبل مجي الغد ولم يعد ابضالو بقي حيا أن يعوقه عن ذلك الفعل شيء من العوائق فاذا كان لم يقل ان شاء

عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالوصول للايدان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة ( وقل ) لا أولئك الغافلين المتبعين هواهم ( الحق من ربكم ) أي ما أوحى الى الحق لا غير كأننا من ربكم أو الحق المهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل أو يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اما من تمام القول المأمور به والغاء لترتيب ما بعدها

على ما قبلها بطريق التهديد لا تنفر به عليه كما في قوله لي نما هذا عطاؤه فاقام من اوا مسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممتزين أي عقيب تحقق أن ما أوحى الى حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربك فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن من قبلنا المؤمنين ولا يتعلل بالابكاد يصلح للتعلل ومن شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبيانهم وجودا وعدما ﴿ ٧٠٤ ﴾ ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء

لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لاعلى مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفر به أو يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى (انا اعتدنا) وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيد من الزجر عن الكفر أولا يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام برجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي أي قل لهم ذلك انا اعتدنا (للظالمين) أي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتخيير عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع

الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام فلهذا السبب أوجب عليه أن يقول ان شاء الله حتى ان بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذبا فيحصل التفسير (المسئلة الثالثة) اعلم ان مذهب المعتزلة ان الله تعالى يريد الايمان والطاعة من العبد والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الله فتكون ارادة العبد غالبية و ارادة الله تعالى مغلوبية واما عندنا فكل ما اراد الله تعالى فهو واقع فهو تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الايمان من المؤمن وعلى هذا التقرير ف ارادة الله تعالى غالبية و ارادة العبد مغلوبية اذا عرفت هذا فنقول اذا قال العبد لا فعلن كذا فعدا الا ان يشاء الله والله انما يدفع عنه الكذب اذا كانت ارادة الله غالبية على ارادة العبد فان على هذا القول يكون التقدير ان العبد قال انا أفعل الفعل الغلبي الا اذا كانت ارادة الله بخلافه فأنما على هذا التقدير لا أفعل لان ارادة الله غالبية على ارادتي فعند قيام المانم الغالب لأقوى على الفعل اما بتقدير أن تكون ارادة الله تعالى مغلوبية فانها لا تصلح عذرا في هذا الباب لان المغلوب لا يمنع العالب اذا ثبت هذا فنقول أجمعت الامة على انه اذا قال والله لا فعلن كذا ثم قال ان شاء الله دادعا للحنث فلا يكون دافعا للحنث الا اذا كانت ارادة الله غالبية فلما حصل دفع الحنث بالاجماع وجب القطع بكون ارادة الله تعالى غالبية وانه لا يحصل في الوجود الا ما اراده الله وأصحابنا أكدوا هذا الكلام في صورة معينة وهو ان الرجل اذا كان له على انسان دين وكان ذلك المدين قادرا على أداء الدين فقال والله لا قضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء القبول يقض هذا الدين لم يحنث وعلى قول المعتزلة انه تعالى يريد منه قضاء الدين وعلى هذا التقدير فقوله ان شاء الله تعلق لذلك الحكم على شرط واقع فوجب أن يحنث ولما أجمعوا على انه لا يحنث علنا ان ذلك انما كان لان الله تعالى ما ساء ذلك العمل مع ان ذلك الفعل قد أمر الله به ورغب فيه وزجر عن الاخلال به وثبت انه تعالى قد ينهى عن الشيء ويريد وقديما أمر بالشيء ولا يريد وهو المطلوب فان قيل هل يلحق الامر كما ذكرتم الا أن كثيرا من الفقهاء قالوا اذا قال الرجل لامرأته أنت طالق لم يقع الطلاق فما السبب فيه قلنا السبب هو انه لما علق وقوع الطلاق على نفسه لم يقع الا اذا عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا أو لاحظنا وقوعه لكن مشيئة الله تعالى غيب فلا سبيل الى العلم بحصولها الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة قد وقع وحصل وهو الطلاق فعلى هذا الطريق لانعرف حصول المشيئة الا اذا عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا وقوع المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم بالآخر وهو دور والدور باطل فلهذا السبب قالوا الطلاق غير واقع (المسئلة الرابعة) اخرج القائلون بأن المدوم شئ بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك فهدا الآن يشاء الله قالوا الشئ الذي سيفعله الفاعل غدا سماه الله تعالى في الحسبان بأنه شئ بقوله

للشيء في غير موضعه (نارا) عطية عجيبة (أحاط بهم) أي يحيط بهم وايشار صيغة الماضي للدلالة على ﴿ ولا تقولن ﴾ التحقق (سرادقها) أي فسماطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجر التي تكون حول الفسماط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يفاتوا بما كالمهل) كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت

وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصليب (يشوى الوجوه) اذا قدم بشرب اشوى الوجه لحرارته عن النبي عليه الصلاة والسلام هو كما كرر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتقا) متكا وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وانما هو بمقابلة قوله تعالى حسنت مرتقا (ان الدين آمنوا) في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل ﴿ ٧٠٥ ﴾ وللذين آمنوا ولعل لآيئنا منكم الايمان بكمال تنافي

ما الى الفريقين أى ان الذين آمنوا بالحق الذى أوحى اليك (وعملوا الصالحات) حسبا بين فى تضاعيفه (انا لا نضع أجرا من أحسن عملا) خبر ان الاولى هى الثانية مع ما فى خبرها (والراجع محذوف أى من أحسن منهم عملا او مستغنى عنه كما فى قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فان من أحسن عملا فى الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (أو لك) المتعوتون بالتعوت الجبلية (لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار) استئناف لبيان الاجر أو هو الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتكبير للتفخيم وهو جمع اسورة أو اسوار جمع سوار (و يلبسون ثيابا خضرا)

ولا تقولان شئ معلوم ان الشئ الذى سيفعله الفاعل غدا فهو معدوم فى الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شئ والجواب ان هذا الاستدلال لا يفيد الا أن المعدوم مسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيه ان الذى سيصير شيئا يجوز تسميته بكونه شيئا فى الحال كما أنه قال أنى أمر الله والمراد سأتى أمر الله أما قوله واذكر ربك اذا نسيت ففيه وجهان (الاول) أنه كلام متعلق بما قبله والتقدير انه اذا نسى أن يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكره وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس رضى الله عنهما لولم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة ثم ذكر ان من شاء الله كفى فى دفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم وعن طاوس أنه يقدر على الاستثناء فى مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب الناقة الغزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا أثر له فى الاحكام ما لم يكن موصولا و اخرج ابن عباس بقوله واذكر ربك اذا نسيت لان الظاهر ان المراد من قوله واذكر ربك اذا نسيت هو الذى تقدم ذكره فى قوله الا أن يشاء الله وقوله واذكر ربك غير مختص بوقت معين بل هو يتناول كل الاوقات فوجب أن يجب عليه هذا الذكر فى أى وقت حصل هذا التذكير وكل من قال وجب هذا الذكر قال انه انما وجب ادفع الحنث وذلك يفيد المطلوب واعلم ان استدلال ابن عباس رضى الله عنهما ظاهرا فى ان الاستثناء لا يجب أن يكون متصلا أما الفقهاء فقالوا ان الوجوز ناذلك لهم أن لا يستقرنى من العقود والايان يحكى أنه باغ المنصور أن أباحنيقة رجه الله خالف ابن عباس فى الاستثناء المنفصل فاستحضره ليكر عليه فقال أبو حنيفة رجه الله هذا يرمم عليك فالك تأخذ البيعة بالايان أتفرض أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضى به واعلم ان حاصل هذا الكلام يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه ما فيه وأيضاً فلو قال ان شاء الله على سبيل الخفية بلسانه بحيث لا يسمعه أحد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذى ذكرتم حاصل فيه فثبت ان الذى عولوا عليه ليس بقوى والاولى أن يحتجوا فى وجوب كون الاستثناء متصلا بأن الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعهد قال تعالى أو فوا بالعهد وقال أو فوا بالعهد فالآتى بالعهد يجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا هذا الدليل فيما اذا كان متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل ان لفظ الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى نصف اللفظ الواحد فجملة الكلام كالكلمة الواحدة المفيدة وعلى هذا التقدير فعند ذكر الاستثناء عرفنا انه لم يلزم شئ بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا فانه حصل الالتزام التام بالكلام فوجب عليه الوفاء بذلك الملتزم والقول الثانى ان قوله واذكر ربك اذا نسيت لا تعلق له بما قبله بل هو كلام مستأنف وعلى هذا القول ففيه وجوه (أحدها) واذكر ربك بالتسييح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء والمراد منه الترضيب فى الاهتمام بذكر هذه الكلمة (وثانيها) واذكر ربك اذا اعتراك النسيان ليدذكرك النسي (وثالثها) حله بعضهم

خصت الخضرة بثيابهم لانها ﴿ ٨٩ ﴾ خا أحسن الالوان وأكثرها طراوة (من سندس واستبرق) أى عمارق من الديباج وما غلظ جمع بين التوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهى الانفس وتلد الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرر على ما هوشن المتعمين (نعم انشاب) ذلك (وحسنت) أى الارائك

(مرثقا) أي منكا (واضرب لهم) أي للفريقين الكافر والمؤمن (مثلا رجلين) مفعولان لا ضرب أولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان أي اضرب للكافرين والمؤمنين لامن حيث أحوالهما المستفادة مما ذكرنا من أن الاولين في الآخرة كذا والآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقديهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدهم مساق الفة مثلا حال رجلين مقدرين أو محققين ﴿ ٧٠٦ ﴾ هما اخوان من بني اسرائيل أو شريك كان كافرا اسمه

قطروس ومؤمن اسمه يهوذا افسس ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فال أمرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاسد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن أم سلمة رضي الله عنهما أولا (جعلنا لاحدهما) وهو الكافر (جنتين) ستانين (مر أعصاب) من كروم متنوعة والجملة بتامها بان للتشيل أو صفة لرجلين (وحققناهما نخل) أي جعلنا النخل محيطا بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا أطافوا به وحفنه بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيت به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات

على أداء الصلاة المسبية عند ذكرها وهذا القول بما فيه من الوجوه الثلاثة بعد لان تعلق هذا الكلام بما قبله يفيد اتمام الكلام في هذه القضية وجعله كلاما مستأنفا يوجب صيرورة الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز ثم قال تعالى وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا وفيه وجوه (الاول) ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره أحسن من تركه وقوله لا قرب من هذا رشدا المراد منه ذكر هذه الجملة (الثاني) اذا وعدهم بشيء وقال معه ان شاء الله فيقول عسى أن يهدين ربي لشيء أحسن وأكل مما وعدتكم به (والثالث) أن قوله لا قرب من هذا رشدا اشارة الى نبي أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على صحة اتى نبي من عند الله صادق القول في ادعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رسدا من نبي أصحاب الكهف وقد فعل الله ذلك حيث آناه من قصص الانبياء والاخبار بالقبوب ما هو أعظم من ذلك وأما قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أنصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يسرك في حكمه أحدا فاعلم أن هذه الآية آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف وفي قوله ولبثوا في كهفهم قولان (الاول) ان هذا حكاية كلام القوم والدليل عليه أنه تعالى قال سيقولون ثلثة رابعهم كلهم وكذا الى أن قال ولبثوا في كهفهم أي أن أولئك الاقوام قالوا ذلك وبؤكده أنه تعالى قال بعدة قل الله أعلم بما لبثوا وهذا يشبه الرد على الكلام المذكور قبله وبؤكده أيضا ما روي في مصحف عبد الله وقالوا ولبثوا في كهفهم (والقول الثاني) أن قوله ولبثوا في كهفهم هو كلام الله تعالى فانه أخبر عن كمية تلك المدة وأما قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلهم فهو كلام قديم وقد تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع أحدهما عن الآخر وهو قوله فلا تمار فيهم الامر اظاهرا وقوله قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض لا يوجب أن ما قبله حكاية وذلك لانه تعالى أراد قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض فارجعوا الى خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب (المسئلة الثانية) قرأ حرة والكسائي ثلثمائة سنين بغير تنوين والباقون ياتون وذلك لان قوله سنين عطف بيان لقوله ثلثمائة لانه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة لم يعرف أنها ايام أم شهور أم سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلثمائة فكان هذا عطف بيان له وقيل هو على التقديم والبا حير أي لبثوا سنين ثلثمائة واما وجه قراءة حرة فهو أن الواجب في الاضافة ثلثمائة سنة الا أنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في المميز كقوله بالاخسرين أعمالا (المسئلة الثالثة) قوله وازدادوا تسعا المعنى وازدادوا تسع سنين فان قالوا لم يقل ثلثمائة وتسع سنين وما الفائدة في قوله وازدادوا تسعا قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلثمائة سنة من السنين السمسبية وثلثمائة وتسع سنين من القمرية وهذا مشكل لانه لا يصح بالحساب هذا القول ويمكن أن يقال لعلهم لمسا استكملوا ثلثمائة سنة أقرب أمرهم من

والفوا له متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الاتيق (كلنا الجنة أنت أكلها) ثمها ﴿ الانبياء ﴾ وبلعت مبعاصا للحلال كل وقرى يسكون الكاف وقرى كل الجنة آتى آكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من أكلها (شيئا) كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان المارضا يكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في



بعض الاعوام دون بعض ( وغيرنا خلاهما ) فيما بين كل من الجنة (نهر) على حدة ليصوم شرهما ويزيدها وهما  
 وقرى بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تغيير النهر عن ذكر اتياء الاكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للايدان باستقلال  
 كل من اتياء الاكل وتغيير النهر في تكميل محاسن الجنة كافي قصة البقرة ونحوها ولوعكس لانفهم أن المجموع  
 خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ﴿ ٧٠٧ ﴾ اتياء الاكل منفرع على انساق مادة وفيه اتياء الى أن اتياء

الاكل لا يتوقف على  
 السقي كقوله تعالى يكاد  
 زيتها يضيء وأولم تمسه  
 نار (وكان له) لصاحب  
 الجنة (نمر) أنواع  
 من المال غير الجنة من  
 ثمره اذا كثرة قال ابن  
 عباس رضي الله عنهما  
 هو جميع المال من الذهب  
 والفضة والحوان وغير  
 ذلك وقال مجاهد هو  
 الذهب والفضة خاصة  
 (فقال لصاحبه) المؤمن  
 (وهو) أي القائل  
 (بماوره) أي صاحبه  
 المؤمن وان جاز العكس  
 أي يراجع في الكلام  
 من حار اذا رجع (أنا) كثر  
 منك ما لا أعرف (نمرا) حسنا  
 وأخوانا وأولادنا ذكورا  
 لانهم الذين يفرون معه  
 (ودخل جنته) التي  
 شرحت أحوالها وعددها  
 وصفاتها وهيأتها  
 وتوحيدها ما العدم تعلق  
 الغرض بتعددتها واما  
 لاتصال احدها  
 بالآخرى واما لان الدخول  
 يكون في واحدة فواحدة  
 (وهو ظالم لنفسه) ضار

الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم قال قل الله أعلم بما  
 لشوا معناه أنه تعالى أعلم بمقدار هذه المدة من الناس الذين اختلفوا فيه وانما كان أولى  
 بأن يكون عالما به لانه موجد للسموات والارض ومدبر للعالم واذا كان كذلك كان عالما  
 بغير السموات والارض فيكون عالما بهذه الواقعة لا محالة ثم قال تعالى أبصر به وأسمع  
 وهذه كلمة تذكر في التعجب والمعنى ما أبصره وما أسمعهم وقد بالغنا في تفسير كلمة التعجب في  
 سورة البقرة في تفسير قوله تعالى فأصبرهم على النار ثم قال تعالى ما لهم من دونه من ولد  
 وفيه وجوه (الاول) ما لأصحاب الكهف من دون الله من ولي فانه هو الذي يتولى حفظهم  
 في ذلك النوم الطويل (الثاني) ليس لهؤلاء المختلفين في مدة لبث أهل الكهف ولم من  
 دون الله يتولى أمرهم ويقيم لهم تدبيراً أنفسهم فاذا كانوا محتاجين الى تدبير الله وحفظه  
 فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه (الثالث) ان بعض القوم لما ذكروا في هذا  
 الباب أقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فينبغي أن الله ليس لهم من دون  
 ولي يمنع الله من ازال العقاب عليهم ثم قال ولا يشرك في حكمه أحدا والمعنى أنه تعالى لما  
 حكم أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولاً بخلافه والاصل ان الاثنين اذا  
 كانا شريكين فان الاعتراض من كل واحد منهما على صاحبه يكثر ويصير ذلك مانعا لكل  
 واحد منهما من امضاء الامر على وفق ما يريد وحاصله يرجع الى قوله تعالى لو كان فيهما  
 آلهة الا الله لفسدنا فالله تعالى نفي ذلك عن نفسه بقوله تعالى ولا يشرك في حكمه أحدا  
 وقرأ ابن عامر ولا تشرك بالبناء والجرم على النهي والخطاب عطف على قوله ولا تقولن لشيء  
 أو على قوله واذا ذكر ربك اذا نسيت والمعنى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة  
 أصحاب الكهف واقتصر على حكمه وبيانه ولا تشرك أحدا في طلب معرفة تلك الواقعة  
 وقرأ الباقر بالباء والرفع على الخبر والمعنى أنه تعالى لا يفعل ذلك (المسئلة الرابعة)  
 اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم أما الزمان الذي حصلوا فيه فقيل  
 انهم كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا السبب فان  
 اليهود سألو عنهم وقيل انهم دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر المسيح بخبرهم ثم بعثوا في  
 الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم دخلوا  
 الكهف بعد المسيح وحكى القفال هذا القول عن محمد بن اسحق وقال قوم انهم لم يموتوا  
 ولا يموتون الى يوم القيامة وأما مكان هذا الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى  
 الخوارزمي المنجم أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف الى الروم قال فوجه ملك  
 الروم معي أقواما الى الموضع الذي يقال انهم فيه قال وان الرجل الموكل بذلك الموضع  
 فرزني من الدخول عليهم قال فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم قال وعرفت أنه  
 تويه واحتيايل وأن الناس كانوا قد عال جواتك الجثث بالادوية المحققة لأبدان الموتى  
 لتصونها عن البلى مثل التلطيح بالصبر وغيره ثم قال القفال والذي عندنا لا يعرف أن

لها بعجبه وكفره (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فاذا قال اذ ذاك فقيل  
 قال (ما أظن أن تبدي هذه) الجنة أي تفتي (أبدا) لطول أمه وتماذي غفلته واغتراره بمهله وامله انما قاله بمقابلته موحدة  
 صاحبه وتذكيره بفساد جنته ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات (وما أظن

الساعة قائمة ) كائنة فيما سأتى ( واثن رددت ) بالبعث عند قيامها كما تقول ( الى ربي لا جدن ) يومئذ ( خير انهما ) الى  
من هذه الجنة وقرى منهما أى من الجنة ( منقلباً ) مرجعاً وعاقة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاداً به تعالى  
انما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك ذلك استدراج ( قاله صاحبه ) ابتساف  
كاسبق ( وهو يحاوره ) له حاله كما مر فائدتها التنبه \* ٧٠٨ \* من أول الامر على أن ما تلاوه كلامه حتى بشأته

ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف أو موضع آخر والذي أخبر الله عنه وجبى في طبع  
به ولا عبرة بقول أهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف وذو صرقي  
الكشاف عن ما عاوية انه غر الروم غر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هو لافضة ناليهم  
فقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قدم مع الله من هو خير منك قرأوا واطلعت  
عليهم لوليت منهم فراراً ولوليت منهم رعباً فقال لابن عباس لا انتهى حتى أعلم حالهم فبعث  
أناساً فقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم يحافاً حرقتهم وأقول  
العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال وإنما يساد ذلك من نص وذلك  
مفقود فثبت أنه لا سبيل اليه ( المسئلة الخامسة ) اعلم ان مر القبول بالثبات البعث  
والقيامة على أصول ثلاثة (أحدها) انه تعالى قادر على كل الممكن والثاني انه تعالى عالم  
بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ( وثالثها ) ان كل ما كان ممكن الحصول في  
بعض الاوقات كان ممكن الحصول في سائر الاوقات فاذا ثبتت هذه اصول الثلاثة ثبت  
القول بإمكان البعث والقيامة فكذلك ههنا ثبت انه تعالى عالم قادر على كل ما كان ممكن  
بقاء الانسان حياً في النوم مدة يوم ممكن فكذلك بقاءه مدة ثلثمائة سنة يجب أن يكون  
ممكناً بمعنى أناله العالم يحفظه ويصونه عن الآفة وأما العلاسة فانهم يولون أيضاً  
لا يبعد وقوع أشكال فلكية غريبة توجب في هوى عالم الكون والفصل حصول  
أحوال غريبة نادرة وأقول هذه السور الثلاثة المتعاقبة استل كل واحد منها على  
حصول حالة عجيبة نادرة في هذا العالم فسورة نبي اسرائيل اشتملت على الامراء بجسد  
محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى الشام وهو حالة عجيبة وهذه السورة اشتملت على بقاء  
القوم في النوم مدة ثلثمائة سنة وأز يدوهو أيضاً حالة عجيبة وسورة مريم اشتملت على  
حدوث الولد لامن الاب وهو أيضاً حالة عجيبة والمعتمد في بيان امكان كل هذه العجائب  
والغرائب المذكورة في هذه السور الثلاثة المتوالية هو الطريقة التي ذكرناها وثابيل  
على أن هذا المعنى من الممكنات أن أباعلى بن سينا ذكر في باب الزمان من كتاب الشفاء أن  
ارسطاطاليس الحكيم ذكر أنه عرض لقوم من المتألهين حالة سببهه بحالة أصحاب  
الكهف ثم قال أبو علي ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل أصحاب الكهف \* قوله  
تعالى ( واتل ما وحي اليك من كتابك لا يبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتبها ) اعلم  
ان من هذه الآية الى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة وذلك أن كابر  
كفار قريش احتجوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن نؤمن بك فاطرد  
من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهاه عن ذلك ومنعه عنه وأظن في  
جلاة هذه الآيات في بيان أن الذي افترحوه والتسموه مطلوب فاسد واقتراح باطل ثم انه  
تعالى جعل الاصل في هذا الباب شيئاً واحداً وهو أن يواظب على تلاوة الكتاب الذي  
أوحاه الله اليه وعلى العمل به وأن لا يلتفت الى اقتراح المقترحين وتعتت المتعتين فقال

مسوق للحسوة  
( أ كفرت ) حيث قلت  
ما أظن الساعة قائمة  
( بالذي خلقك ) أى  
في ضمن خلق أصلاك  
( من تراب ) فان خلق  
آدم عليه السلام منه  
متضمن خلقه منه لما أن  
خلق كل فرد من أفراد  
البشر له حظ من خلقه  
عليه السلام اذ لم تكن  
فطرته الشريرة مقصورة  
على نفسه بل كانت انموذجاً  
منضوياً على فطرته سائر  
أفراد الجنس انطواء  
اجيالاً مستتبعين بالجران  
اثارها على الكل فكان  
خلقهم عليه السلام من  
التراب خلقاً لا كل منه  
وقيل خلقك منه لانه أصل  
مادتك اذ به يحصل الغذاء  
الذى منه تحصل النطفة  
فتدبر ( ثم من نطفة ) هى  
مادتك القريبة فالخلق  
واحد والمبدأ متعدد ( ثم  
سواء الرجال ) أى عدلك  
وكذلك انساناً ذكراً  
او صيرك رجلاً والتعبير عنه  
تعالى بالموصول للاشعار  
بعلية ما في حيز الصلة

لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث \* واتل \*  
فانا خلقناكم من تراب الخ ( لكننا هو الله ربى ) أصله لكن انا وقد قرى كذلك فجدت الهمزة فتلاقت التونان فكان  
الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلك الجملة

خبرنا والعاث منها اليه الضمير وقرئ بآيات ألف انافي الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء  
ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو في ومدار الاستدراك قوله تعالى أ كفرت كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن موحد (ولا  
اشرك بربى أحد) فيه ايذان بأن كفره كأن بطر يق الاشرار (ولو لا دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عندما دخلتها  
وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان ﴿٧٠٩﴾ يتحتم القول في أن الدخول من غير بيت لا للقصر (ما شاء الله)

أي الامر ما شاء الله أو  
ما شاء الله كأن على أن  
ما موصولة مرفوعة  
المحل أو أي شئ شاء الله  
كان على انها شرطية  
منصوبة والجواب  
مخوف والمراد تحضيضه  
على الاعتراف بانها وما  
فيها بمشبهة الله تعالى ان  
شاء أبقاها وان شاء أفضاها  
(لا قوة الا بالله) أي هلا  
قلت ذلك اعترافا بجزرك  
وبأن ما تيسرك من  
عمارتها وتديب امرها  
انما هو بمعونه تعالى  
واقداره عن النبي  
صلى الله عليه وسلم من  
رأى شيئا فأعجب فقال  
ما شاء الله لا قوة الا بالله  
لم يضره (ان ترن أنا أقل  
منك ما لا اولاد) أنا ما  
مؤكديا المتكلم أو ضمير  
فصل بين مفعولي الروية  
ان جعلت عملية وأقل  
ثانيتها وحال ان جعلت  
بصرية فيكون انما حينئذ  
تأكيدا لا غير لان شرط  
كونه ضمير فصل توسطه  
بين المبتدا والخبر وما  
أصله المبتدا والخبر

وانل ما اوحى اليك من كتاب ربك وفي الآية مسألة وهي أن قوله اتل يتناول القراءة  
و يتناول الاتباع أيضا فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب الذي اوحى اليك والزم العمل به  
ثم قال لا يبدل لكلماته أي يتمتع بطرق التغير والتبديل اليه وهذه الآية يمكن التمسك بها  
في اثبات ان تخصيص النص بالقياس غير جائز لان قوله اتل ما اوحى اليك من كتاب ربك  
معناه الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضى وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان  
قبل فيجب أن لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا هو مذهب أبي مسلم الاصفهانى فليس يبعد  
وأبضا فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان  
النسخ فالنسخ كالتأنيب فكيف يكون تبديلا أما قوله ولن تجد من دونه ملتصدا اتفقوا  
على أن الملتصدا هو الملتصدا بآية الله تعالى هو من لحد وألحد اذا مال ومنه قوله تعالى لسان  
الذي يلحدون اليه والمحدد المائل عن الدين والمعنى ولن تجد من دونه ملجأ في البيان  
والرشد قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه  
ولا تعد عينك عنهم تريد ينطأ الحياة الدنيا ولا تطعم من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه  
وكان أمره فرطا) اعلم أن أ كابر قريش اجتمعوا وقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ان أردت أن تؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك فاذا حضرنا لم يحضروا وتعين لهم  
وقتا يجتمعون فيه عندك فأزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية فيبين فيها  
انه لا يجوز طردهم بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم ولا تلتفت الى أقوال أولئك  
الكفار ولا تقم لهم في نظرك وزنا سواء غابوا أو حضروا وهذه القصة منقطة عما قبلها  
وكلام مبتدا مستقل ونظير هذه الاية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله ولا تطرد الذين  
يدعون ربهم بالغدا والعشي في تلك الاية نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم  
وفي هذه الاية أمره بجالسهم والمصابرة معهم فقوله واصبر نفسك أصل الصبر الحسب ومنه  
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المصيرة وهي البهيمية تجسس فترى أما قوله مع الذين  
يدعون ربهم بالغدا والعشي فقيه مستلثان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر بالغدا بضم  
العين والياقون بالغدا وكلاهما لغة (المسئلة الثانية) في قوله بالغدا والعشي وجوه  
(الاول) المراد كونهم مواطنين على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان  
عمل بالغدا والعشي الا ستم الناس (الثاني) ان المراد صلاة الفجر والعصر (الثالث)  
المراد أن الغداوة هي الوقت الذي ينقل الانسان فيه من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال  
سببه الانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو الوقت الذي ينقل الانسان فيه من  
اليقظة الى النوم ومن الحياة الى الموت والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير  
الذكر لله عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه ثم قال ولا تعد عينك عنهم يقال عدا اذا جاوزه  
ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيد وانما عدى بلفظة عن لانها تفيد المباعدة  
فكانه تعالى نهى عن تلك المباعدة وقرئ ولا تعد عينك ولا تعد عينك من أعداء وعلماء

وقرئ أقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للروية أو حال وفي قوله تعالى وولدنا نصره لمن فسر الزفر بالولد (فمسي ربي أن  
يؤتيني خيرا من جنتك) هو جواب الشرط والمعنى ان ترن أقفر منك فاننا أتوقم من صنع الله سبحانه أن يقلب  
مابى وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرتك نعمته ويخرب جنتك

( ويرسل عليها حسابنا ) هو مصدر بمعنى الحساب كالإطلاق والنفران أي مقدار اقدرة الله تعالى وحسبه وهو الحكم  
 بخبريها وقيل عذاب حسابان وهو حساب ما كسبت يده وقبل مرأى جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم  
 الكريم فيمسايق الأولين أكثر ( من السماء فتصبح صعيدا زلقا ) مصدر رار يده المفعول مبالغة أي أرضا ملساء يزلق عليها  
 لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات ﴿ ٧١٠ ﴾ ( أو يصبح ) عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه

الثالث على يرسل ( ماؤها  
 غورا ) أي غارا في  
 الأرض أطلق عليه  
 المصدر مبالغة ( فلن  
 تستطيع ) أبدا ( له ) أي للهاء  
 الفاعل ( طلبا ) فضلا عن  
 وجدانه ورده ( واحيط  
 بمره ) أهلك أمواله  
 المهدودة من جنبيه وما  
 فيها واصله من احاطة  
 العدو وهو عطف على  
 مقدر كأنه قيل فوقع  
 بعض ما توقع من المحذور  
 وأهلك أمواله وانما حذف  
 لدلالة السباق والسباق  
 عليه كما في المعطوف  
 عليه بالغاء الفصيحة  
 ( فاصبح يقرب كفيه )  
 ظهر البطن وهو كناية  
 عن الندم كأنه قيل فاصبح  
 بندم ( على ما أنفق فيها )  
 أي في عمارتها من المال  
 وأهل تخصيص الندم  
 به دون ما هلك الآن  
 من الجنة لما أنه إنما يكون  
 على الأفعال الاختيارية  
 ولأن ما أنفق في عمارتها  
 كان مما يمكن صيانته عن  
 طوارق الحدثان وقد  
 صرفه إلى مصالحها

نقلا بالهمزة وتثقيلا الحشو ومنه قوله \* فعد عمارتي إذا لارتجأ له \* والمقصود من الآية  
 انه تعالى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يزدري فقراء المؤمنين وان تنبوعيناه  
 عنهم لاجل رغبته في مجالسة الأغنياء وحسن صورتهم وقوله تريديزينة الحياة الدنيا نصب  
 في موضع الحال يعني انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا رغبتك في زينة الحياة  
 الدنيا ولما بالغ في أمره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات إلى اقوال  
 الأغنياء والتكبرين فقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتم هواه وكان أمره فرطا  
 وفيه مسائل ( المسئلة الأولى ) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل  
 والغفلة في قلوب الجهال لان قوله أغفلنا يدل على هذا المعنى قالت المعتزلة المراد بقوله  
 تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا انا وجدنا قلبه غافلا وليس المراد خلق الغفلة فيه والدليل  
 عليه ما روى عن عمرو بن معد يكرب الزبيدي انه قال لبني سليم قاتلناكم فإأجبنناكم  
 وسلناكم فإأجبنناكم وهجوناكم فإأجبنناكم أي ما وجدناكم جنبا ولا بخلاء  
 ولا مفحمين ثم نقول جعل اللفظ على هذا المعنى أولى ويبدل عليه وجوه ( الأول ) انه لو كان  
 كذلك لما استحقوا الندم ( الثاني ) انه تعالى قال بعد هذه الآية فممن شاء فليؤثم ومن شاء  
 فليكفر ولو كان تعالى خلق الغفلة في قلبه لما صح ذلك ( الثالث ) لو كان المراد هو انه تعالى  
 جعل قلبه غافلا لوجب أن يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه لان على  
 هذا التقدير يكون ذلك من أفعال المطاوعة وهي انما تعطف بالغاء لابانواووي يقال كسرته  
 فانكسر ودفعته فاندفع ولا يقال وانكسروا ندفع ( الرابع ) قوله تعالى واتبع هواه ولو كان  
 تعالى أغفل في الحقيقة قلبه لم يجز أن يضاق ذلك إلى اتباعه هواه والجواب قوله المراد من  
 قوله أغفلنا أي وجدنا غافلا وليس المراد تحصيل الغفلة فيه قلنا الجواب عنه من وجهين  
 ( الأول ) أن الاشتراك خلاف الاصل فوجب أن يعتقد أن وزن الأفعال حقيقة في  
 أحدهما مجاز في الآخر وجعله حقيقة في التكوين مجاز في الوجدان أولى من العكس  
 وبيانه من وجوه ( أحدها ) ان مجيئ بناء الأفعال بمعنى التكوين أكثر من مجيئ بمعنى  
 الوجدان والكثرة دليل الرجحان ( وثانيها ) ان مبادرة الفهم من هذا البناء إلى التكوين  
 أكثر من مبادرته إلى الوجدان ومبادرة الفهم دليل الرجحان ( وثالثها ) ان ان جعلناه  
 حقيقة في التكوين امكن جعله مجازا في الوجدان لان العلم بالشيء تابع لحصول المعلوم  
 فيجعل اللفظ حقيقة في المتبوع ومجازا في التسبع موافق للعقول أما لو جعلناه حقيقة في  
 الوجدان مجازا في اليجاد لزم جعله حقيقة في التسبع مجازا في الاصل وانه عكس العقول  
 فثبت أن الاصل جعل هذا البناء حقيقة في اليجاد لا في الوجدان ( الوجه الثاني ) في  
 الجواب عن السؤال انا نسلم كون اللفظ مشتركا بالنسبة إلى اليجاد وإلى الوجدان الا  
 أنا نقول يجب جعل قوله أغفلنا على ايجاد الغفلة وذلك لان الدليل العقلي دل على انه يمتنع  
 كون العبد موجد الغفلة في نفسه والدليل عليه انه اذا حاول ايجاد الغفلة فاما أن يحاول

رجاء أن يتبع بها أكثر مما يتبع به وكان يرى انه لا تتأهلها أي يدي الردي ولذلك قال ما أظن أن تبدي هذه بدأفا لما ظهر له \* ايجاد \*  
 انها مما يعتز به الهلاك تدم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع  
 الزوال ( وهي ) أي الجنة

من الاغلب المحفوفة بنخل ( خاوية ) ساقطة ( على عروشها ) أي دعائمها المصنوعة للكرؤم لسقوطها قبل سقوطها  
وتخصيص حالها بالذ كر دون النخل والزرع اما لانها العمد وهما من ممتاتها واما لان ذ كر هلاكها مغن عن ذ كر  
هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها  
اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها ﴿ ٧١١ ﴾ وفارماؤها ( ويقون ) عطف على يقبل او حال

من ضميره أي وهو يقول  
( يا ليتني لم أشرك بربي  
أحدا ) كانه تذكر  
موعظة أخيه وعلم أنه  
انما أتى من قبل شركه  
فتمنى اولم يكن مشركا  
فلم يصبه ما أصابه قيل  
ويحتمل أن يكون ذلك  
توبة من الشرك وتدا  
على ما فرط منه ( ولم تكن  
له ) وقرى بالياء التحتية  
( فته ينصرونه ) يقدرون  
على نصره بدفع الاهلاك  
او على رد المهلك او  
الاتيان بمثله وجمع الضمير  
باعتبار المعنى كما في قوله  
عز وجل يرونهم مثليهم  
( من دون الله ) فانه  
القادر على ذلك وحده  
( وما كان ) في نفسه  
( منتصرا ) متمسقا بقوته  
عن انتقامه سبحانه  
( هنالك ) في ذلك المقام  
وفي تلك الحال ( الولاية  
لله الحق ) أي النصر له  
وحده لا يقدر عليها  
أحد فهو تفرير لما قبله  
أو ينصر فيها أوليائه  
المؤمنين على الكفرة كما  
نصر بما فعل بالكافر

ايجاد مطلق الغفلة أو يحاول ايجاد الغفلة عن شيء معين والاول باطل والا لم يكن بان  
تحصل له الغفلة عن هذا الشيء أول بان تحصل له الغفلة عن شيء آخر لان الطيعة المشتركة  
فيها بين الانواع الكثيرة تكون نسبتها الى كل تلك الانواع على السوية أما الثاني فهو أيضا  
باطل لان الغفلة عن كذا عبارة عن غفلة لا تمتاز عن سائر أقسام الغفلات الا بكونها  
منسبة الى ذلك الشيء المعين بعينه فعلى هذا لا يمكنه أن يقصد الى ايجاد الغفلة عن كذا  
الا اذا تصور أن تلك الغفلة غفلة عن كذا ولا يمكنه ان يتصور كون تلك الغفلة غفلة عن  
كذا الا اذا تصور كذا لان العلم بنسبة أمر الى أمر آخر مشروط بتصور كل واحد من المتسبين  
فثبت انه لا يمكنه القصد الى ايجاد الغفلة عن كذا الامع الشعور بكذا لكن الغفلة عن كذا  
ضد الشعور بكذا فثبت ان العبد لا يمكنه ايجاد هذه الغفلة الا عند اجتماع الضدين وذلك  
محال والموقوف على المحال محال فثبت ان العبد غير قادر على ايجاد الغفلة فوجب أن  
يكون خالق الغفلات وموجدتها في السادة هو الله وهذه نكتة قاطعة في اثبات هذا المطلوب  
وعند هذا يظهر ان المراد بقوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه هو ايجاد الغفلة لا وجدانها  
أما حديث المدح والذم فقد عارضناه مرارا وأطوارا بالعلم والداعي أما قوله تعالى بعد  
هذه الآية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فليحذر فليبحث عنه سيأتي ان شاء الله تعالى أما قوله  
ولا تطع من أغفلنا قلبه لو كان المراد ايجاد الغفلة لوجب ذ كر الغاء لاذ كر الواو فنقول هذا  
انما يلزم لو كان خلق الغفلة في القلب من لوازمه حصول اتباع الهوى كما ان الكسر من  
لوازمه حصول الانكسار وليس الامر كذلك لانه لا يلزم من حصول الغفلة عن الله حصول  
متابعة الهوى لاحتمال أن يصير غافلا عن ذ كر الله ومع ذلك فلا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا  
لابتداء في مقام الحيرة والدهشة والظوف من الكل فسقط هذا السؤال وذ كر التفتال في  
تأويل الآية على مذهب المعتزلة وجوها أخرى ( فأحدها ) انه تعالى لما صب عليهم  
الدينا صبا وادى ذلك الى رسوخ الغفلة في قلوبهم صح على هذا التأويل انه تعالى حصل  
الغفلة في قلوبهم كما في قوله تعالى فلم يزدهم دعائى الا فرارا ( والوجه الثاني ) أن معنى قوله  
أغفلنا أي تركناه غافلا فلم نسمه بسمة أهل الطهارة والتقوى وهو من قولهم بغير غفل أي  
لا سمه عليه ( وثالثها ) ان المراد من قوله أغفلنا قلبه أي خلاه مع الشيطان ولم يمنع الشيطان  
منه فيقال في الوجه الاول ان فتح باب لذات الدنيا عليه هل يؤثر في حصول الغفلة في قلبه أولا  
يؤثر فان أثر كان أثر اربصال لذات اليه سببا لحصول الغفلة في قلبه وذلك عين القول بانه تعالى  
فعل ما يوجب حصول الغفلة في قلبه وان كان لا تأثير له في حصول هذه الغفلة بطل اسناده  
اليه وقد يقال في الوجه الثاني ان قوله أغفلنا قلبه بمنزلة قوله سودنا قلبه وبيضا وجهه  
ولا يفيد الاما ذ كرناه ويقال في الوجه الثالث ان كان لتلك التخلية أثر في حصول تلك  
الغفلة فقد صح قولنا وابطل استناد تلك الغفلة الى الله تعالى ( المسئلة الثانية ) قوله تعالى  
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذ كرنا واتبع هواه بدل على أن شرأحوال الانسان أن يكون

أحاه المؤمن وبعضه قوله تعالى ( هو خير ثوابا وخير عقبا ) أي لاوليائه وقرى الولاية بكسر الواو ومعناها الملك  
والسلطان أي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يفيد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك  
دعوا الله مخلصين له الدين

فيكون تبيينها على أن قوله بالتي لم أشرك الخ كان عن اضطرار وجمع عاداتها على أسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ: برقع الحق على أنه صفة للولاية وينصبه على أنه مصدر مؤكد وقرئ عقبها بضم القاف وعقبى كرجي والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أي واذا كرلهم ما يشبهها ﴿ ٧١٢ ﴾ في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها

قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملواً من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق وتحقيق القول إن ذكر الله نور وذكراً غيره ظلمة لأن الوجود طبيعة النور والعدم منبم الظلمة والحق تعالى واحب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله وما سوى الله فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية فكان منبم الظلمة فالقلب اذا أشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق واذا توجه القلب إلى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب اذا أعرض القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه (المسئلة الثالثة) قيل فرطاً أي مجاوزاً الحد من قولهم فرس فرط اذا كان متقدماً للخيل قال الليث الفرط الامر الذي يفرط فيه يقال كل أمر فلان فرط وأنشد شعراً لقد كلتني شططاً \* وأمر أخاً بفرطاً أي مضيقاً فقوله وكان أمره فرطاً معناه ان الامر الذي يلزمه الحفظ له والاهتمام به وهو أمر دينه يكون مخصوصاً بإيقاع التفريط والتقصير فيه وهذه الحالة صفة من لا ينظر لدينه وتمامه لدينه فبين تعالى من حال الغافلين عن ذكر الله التائبين لهواهم انهم مقصرون في مهماتهم معرضون عما يجب عليهم من التدبير في الآيات والتخفيف بمهمات الدنيا والآخرة والحاصل انه تعالى وصف أولئك الفقراء بالهواضية على ذكر الله والاعراض عن غير ذكر الله فقال مع الدين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ووصف هؤلاء الاغنياء بالاعراض عن ذكر الله تعالى والاقبال على غير الله وهو قوله أغفلنا قلبه واتبع هواه ثم أمر رسوله بمجالسة أولئك والمباعدة عن هؤلاء روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت جالساً في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضهم من العري وقارئ يقرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت إلى أن أصبر بنفسى معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا صالحيك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار نحسين ألف سنة \* قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء آمننا بك قال بسده وقل الحق من ربكم أي قل لهؤلاء ان هذا الدين الحق انما أتى من عند الله فان قبلتموه طردنا نفع اليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والحمول والشهرة (الوجه الثاني) في تقرير النظم يمكن أن يكون المراد ان الحق ما جاء من عند الله والحق الذي جاءني من عنده أن

لثلايطمئنتوا بهما ولا يكفوا وعليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بلرة أو بين لهم صفحتها المحببة التي هي في الغرابة كالمثل (كأه) استناق لبيان المثل أي هي كآه (أزناه من السماء) ويجوز كونه مفعولاً ثانياً لا ضرب على انه بمعنى صير (فاختلط به) اشتبك بسببه (نبات الارض) فالتف وخاطب بعضه بعضاً من كثرته وتكاثره أو يجمع الماء في النبات حتى روى ورفق قضى الظاهر حينئذ فاختلط نبات الارض وابتار ما عليه النظم الكريم طليفة للباغية في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه (فاصبح) ذلك النبات المتفائر بهجتها ورفقيها (هشياً) مهشوماً مكسوراً (تذروه الريح) تفرقه وقرئ تذره من أدراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشياً تطيره الريح كان لم يبق بالامس (وكان الله على كل شيء) من الاشياء التي من جعلتها الانشاء والافناء (مقدراً) قادراً على الكمال

﴿ أصبه ﴾

(المال والبون من زينة الحيوان الدنيا) بيان لشان ما كانوا يصحرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واكثر نفرا اتريلان شان نفسها بملء من المثل وتقدم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آتفا وقوله تعالى وأمددناكم بامواله وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة امر اقرته فيما ينبت به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاقوات فانه زينة ﴿ ٧١٣ ﴾ وهذا لكل واحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون

فزينتهم و امدا دهم انما يكون بالنسبة الى من يلع مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه أمس من الحاجة اليهم ولانه أقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدوهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما أنها مصدر في الاصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يقفرون به من المال والبنين شئ يترين به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها الى شأنها أن تزول قبل زوالها (والباقيات الصالحات) هي أعمال الخير وويل هي الصلوات الحسنة وقيل سبحان الله والحمد لله

أصبر نفسي مع هؤلاء الفقراء ولا طردهم ولا أنفت الى الرؤساء وأهل الدنيا (والوجه الثالث) في تقرير النظم أن يكون المراد هو ان الحق الذي جاء من عند الله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وان الله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحا لاجل أن يدخل في الايمان جمع من الكفار فان قيل أليس أن العقل يقتضي ترجيح الاهم على المهم فطرأ وثلك الفقراء لا يوجب الاسقوط حرمتهم وهذا ضرر قليل اما عدم طردهم فانه يوجب بقاء الكفار على الكفر وهذا ضرر عظيم قلنا اما عدم طردهم فانه يوجب بقاء الكفار على الكفر فسلم الآن من ترك الايمان لاجل الخذر من مجالسة الفقراء فإيمانه ليس بايمان بل هو نفاق فيجب فوجب على العاقل أن لا يلتفت الى ايمان من هذا حاله وصفته (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة قوله تعالى فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان الامر في الايمان والكفر والطاعة والمصيبة مفوض الى العبد واختياره فن أنكر ذلك فقد خالف صريح القرآن ولقد سألتني بعضهم عن هذه الآية فقلت هذه الآية من أقوى الدلائل على صحة قولنا وذلك لان الآية صريحة في أن حصول الايمان وحصول الكفر موقوف على حصول مشيئة الايمان وحصول مشيئة الكفر وصريح العقل أيضا يدل له فان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليدوي بدون الاختيار له اذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه لزم أن يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر الى غير النهاية وهو محال فوجب انتهاء تلك القصد وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى في العبد على سبيل الضرورة عند حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يوجب الفعل فالإنسان شاء أو لم يشأ ان لم تحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالية عن المعارض لم يترتب الفعل واذا حصلت تلك المشيئة الجازمة شاء أو لم يشأ يجب ترتب الفعل عليه فلا حصول المشيئة مترتب على حصول الفعل ولا حصول الفعل مترتب على المشيئة فالإنسان مضطر في صورة مختار ولقد قرر الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله هذا المعنى في باب التوكل من كتاب احياء علوم الدين فقال فان قلت اني أجذب نفسي وجدانا ضروريا اني ان شئت الفعل قدرت على الفعل وان شئت الترتك قدرت على الترتك فالعقل والترك في لا يغري وأجاب عنه وقال هب أنك تجذب من نفسك هذا المعنى ولكن هل تجذب من نفسك انك ان شئت مشيئة الفعل حصلت تلك المشيئة وان لم تشأ تلك المشيئة لم تحصل بل العقل يشهد بانه يشاء الفعل لا يسبق مشيئة أخرى على تلك المشيئة واذا شاء الفعل وجب حصول الفعل من غير مكنة واختيار في هذا المقام فحصول المشيئة في القلب أمر لازم وترتب الفعل على حصول المشيئة أيضا أمر لازم وهذا يدل على أن الكل من الله تعالى (المسئلة الثالثة) قوله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيه فوائد (القائدة الاولى) الآية تدل على ان صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والماعى محال (القائدة الثانية) ان

ولاله الا الله والله أكبر ﴿ ٩٠ ﴾ خا وقيل كل ما أريد به وحده الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أوليا أما صلاحها فظاهر وأما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) أي ممانعت شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها!

مع أن حتمها أن يكونا متصودى الافادة لاسميا في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقتة قوله تعالى ما عندكم يغد وما عند الله باق للايدان بان بقاها أمر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها (عند ربك) أى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا للافضليتها ﴿ ٧١٤ ﴾ فيها من المال والبنين مع

مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة (ثوابا) عائدة تعود الى صاحبها (وخيرا ملا) حيث يتال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا وأما امر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير الاشعار باختلاف حيثى الخيرية والمباينة فيها (ويوم نسير الجبال) منصوب بمضمر أى اذ ذكر حين نقلها من أماكنها ونسبها فى الجوع على هياتها كما ينبى عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تدرم السحاب أو نسير أجزاءها بعد أن يجعلها هباء منبثا والمراد بتذكير تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقبل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة

صيغة الامر للمعنى الطلب فى كتاب الله كثيرة ثم نقل عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بتخيير (الفائدة الثالثة) انها تدل على انه تعالى لا ينفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود عليهم وضرب الكفر يعود عليهم كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها واعلم انه تعالى لما وصف الكفر والايان والباطل والحق أتبعه بذكر الوعيد على الكفر والاعمال الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والعمل الصالح أما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا للاظالمين نارا يقول اعتدنا لمن ظلم نفسه ووضع العبادة فى غير موضعها والانفة فى غير محلها فخذ ما استحسن بهواه وانف عن قبول الحق لاجل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين فهذا كله ظلم ووضع للشيء فى غير موضعه فأخبر تعالى انه أعد لهم ولأهل الاقوام نارا وهى الجحيم ثم وصف تعالى تلك النار بصفتين (الصفة الاولى) قوله أحاط بهم سرادقها والسرادق هو الحجر التى تكون حول القسطاط فأنبت للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا يخلص لهم منها ولا فرجة تفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محيطة بهم من كل الجوانب وقال بعضهم المراد من هذا السرادق الدخان الذى وصفه الله فى قوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فينشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول القسطاط (والصفة الثانية) انهذه النار قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قيل فى حديث مرفوع انه دردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه دخل بيت المال وأخرج نفائة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلات ثم قال هذا هو المهل قال أبو عبيدة والاختفش كل شئ أذته من ذهب أو نحاس أو فضة فهو المهل وقيل انه الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتل أن تكون هذه الاستغائة لانهم اذا طلبوا ماء للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى تصلى نارا حامية نسفى من عين آتية ويحتمل أن يستغيثوا من حرجهم فيطلبوا ماء يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم أن أفيضوا علينا من الماء وقال فى آية أخرى سراييلهم من قطران وتغنى وجوههم النار فاذا استغاثوا من حرجهم صب عليهم القطران الذى يتم كل أبدانهم كالقميص وقوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على سبيل الاستهزاء كقوله نحية بينهم ضرب وجيع\* ثم قال تعالى بنس الشراب أى ان الماء الذى هو كالمهل بنس الشراب لان المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ فى احتراق الاجسام مبلغا عظيما قال تعالى وساءت مرتفقا قال قائلون ساءت النار منزلا ومحتما للرقعة لان أهل النار يحتمون رفقاء كأهل الجنة قال تعالى فى صفة أهل الجنة وحسن أو لئك رفيقا وأما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين والمعنى بنس الرفقاء هؤلاء وبنس موضع الترافق النار كأنه نم الرفقاء أهل الجنة ونعم موضع الرفقاء الجنة وقال آخرون مرتفقا أى متكا\* وسمى المرفق مرفقا لانه يتكا عليه فالانكاء انما يكون

البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايدانما بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل ﴿ للاستراحة ﴾ لتعينه وقرئ نسير (وترى الارض) أى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولكل احد ممن يتأتى منه الروية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أما يرو زمانحت الجبال فظاهر وأما معاده فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضفى قاعا صغيفا لاترى فيها



عوجا ولا امتا (وحشرناهم) جملناهم الى الموقف من كل اوب وابتار صيغة الماضي بعد نسيب وترى للدلالة على تحقق الحشر المنفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام في عطف عليه منغيا وموجبا وقبل هو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك ( فلم تغادر ) أي لم تنترك ( منهم أحدا ) يقال غادره وأغدره ﴿ ٧١٥ ﴾ اذا تركه ومنه القدر الذي هوترك الوفاء والقدير الذي هو ماء يتركه السيل

في لارض الغائر وقري  
بالياء وبالغواقية على اسناد  
الفعل الى ضمير الارض كما  
في قوله تعالى وألقت ما فيها  
وتخلت ( وعرضوا  
على ربك ) شبهت حالهم  
بحال جنس عرضوا  
على السلطان للأمر فيهم  
بما أمر وفي الالفاظ  
الى الغيبة و بناء الفعل  
للمفعول مع التعرض لعنوان  
الربوبية والاضافة  
الى ضميره عليه السلام  
من تربية المهابة والجرى  
على سنن الكبرياء واطهار  
اللطيف به عليه السلام  
ملا يخفى (صفا) أي غير  
متفرقين ولا مختلطين  
فلا تعرض فيه لوحدة  
الصف وتعدده وقد ورد  
في الحديث الصحيح  
يجمع الله الاولين  
والآخرين في صعيد واحد  
صفا ( لقد جئتمونا )  
على اضممار القول على وجه  
يكون حالهم ضمير عرضوا  
أي مقولا لهم أو وقتنا لهم  
وأما كونه عاملا في يوم نسيب  
كما قيل فبعد من جرالة

للاستراحة والمرتقى موضع الاستراحة والله أعلم \* قوله تعالى ( ان الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات انا لانضيم أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار  
يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها  
على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتقا ) اعلم انه تعالى لما ذكر وعبد المبطلين أردفه  
بوعد المحققين وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
يدل على أن العمل الصالح معيار للايمان لان العطف يوجب المغايرة ( المسئلة الثانية )  
قوله انا لانضيم أجر من أحسن عملا ظاهره يقتضي ان يستوجب المؤمن بحسن عمله على  
الله أجرا وعند أصحابنا ذلك الاستيجاب حصل بحكم الوعد وعند المعتزلة لذات الفعل وهو  
باطل لان نعم الله كثيرة وهي موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبين  
لثواب آخر لان أداء الواجب لا يوجب شيئا آخر ( المسئلة الثالثة ) نظير قوله ان الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات الخ قول الشاعر

ان الخليفة ان الله سر به \* سر بال ملك به ترجى الخواتيم

كران تأكيداً للاعمال والجزاء عليها ( المسئلة الرابعة ) أولئك خبران وانا لانضيم  
اعتراض ولك أن تجعل انا لانضيم وأولئك خبرين معا ولك أن تجعل أولئك كلاما  
مستأنفا بيانا للاجر المبهم واعلم انه تعالى لما أثبت الاجر المبهم أردفه بالتفصيل من وجوه  
( اولها ) صفة مكانهم وهو قوله أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار والعدن  
في اللغة عبارة عن الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه  
دار إقامة ويجوز أن يكون العدن اسما لموضع معين من الجنة وهو وسطها وأسرف  
أما كنها وقد استقصينا فيه فيما تقدم وقوله جنات لفظ جمع فيمكن أن يكون المراد ما قاله  
تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان ويمكن أن يكون المراد ان نصيب كل واحد من المكافين  
جنة على حدة وذكر ان من صفات تلك الجنات ان الانهار تجري من تحتها وذلك لان أفضل  
المساكن في الدنيا البساتين التي تجري فيها الانهار ( وثانيها ) ان لباس اهل الدنيا اما  
لباس الخلى واما لباس التستر أما لباس الخلى فقال تعالى في صفته يحلون فيها من أساور  
من ذهب والمعنى انه يطيبهم الله تعالى ذلك أو يحلبهم الملائكة وقال بعضهم على كل واحد  
منهم ثلاثة أسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا  
أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤ واباسهم فيها حرير أما لباس التستر  
فقوله ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق والمراد من سندس الآخرة واستبرق  
الآخرة والاول هو الديباج الرقيق وهو الخبز والثاني هو الديباج الصفيق وقيل أصله  
فارسي معرب وهو استبره أي غليظ فان قيل ما السبب في انه تعالى قال في الخلى يحلون  
على فعل ما لم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون فاضاف اللبس اليهم قلنا  
يحمل أن يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم وأن يكون الخلى اشارة الى

التزليل الجليل كيف لا يلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق  
بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال و بروز الارض ( كما خلقناكم ) نعمت لصدر مقدر أي محييا كأننا كنجيتكم  
عند خلقناكم ( اول مرة ) أوحال من ضمير جئتمونا أي كأنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة عرلا وأما معكم سي  
بما تفخرون به من

الاموال والاذنصار كقوله تعالى ولقد جشمونا قرادى كما خلقناكم اول مرة ورتكتم ما خلقناكم وراء ظهوركم ( بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) اضربا وانتقال من كلام الى كلام كلاهما التوبيخ والتفريع أى زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم أبدا وقتا تجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وأن محققة من المثلة فصل بحرف التثني بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والطرف امامفعول ﴿ ٧١٦ ﴾ ثان للجمل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا

أحوال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ( ووضع الكتاب) عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي أريد تذكيرها بتدبير وقتهما اورد فقه ما اورد في أمثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر أيضا أى وضع صحائف الاعمال واشار الافراد الاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها ما وضعها في أيدي أصحابها يمينا وسمالا واما في الميزان (فترى المجرمين) فاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دحولا اوليا (مشفقين) حائنين (مما فيه) من الجرائم والدنوب (ويقولون) عند وقوفهم على ما في تضاعيفه تقيروا وطعيرا (باويانا) منادين لهلكتم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول مالا قوة أي يا ويلتنا احضري فهذا أوان حضورك (مال هذا الكتاب) أي أي شيء له

ما تفضل الله عليهم ابتداء من زوائد الكرم ( وثالثها) كيفية جلوسهم فقال في صفتها متكئين فيها على الأرائك قالوا الأرائك جمع أريكة وهي سرير في حجلة أما السرير بوحده فلا يسمى أريكة ولما وصف الله تعالى هذه الاقسام قال نعم الثواب وحسنت مرتقا والمراد أن يكون هذا في مقابلة ما تقدم ذكره من قوله وسأت مرتقا \* قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا لكنا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وجعلنا لهما نهران باطنيتين وكان له نهر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل حنثه وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا وما أظن الساعة تأتيه ولن يرددني الربي لأجدين خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لئلا تكنا هوانا لئلا يذكرك الربي ولا أشرك الربي أحدا ولولا أن دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا ففسر الربي أن يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بمره فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أسرك الربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هناك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) اعلم ان المقصود من هذا ان الكفار اقتضوا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى ان ذلك مما لا يوجب الاقمار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والعنى فقيرا أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصله لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال واضرب لهم مثلا رجلين أي مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخوين في بني اسرائيل أحدهما كافر اسمه راطوس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من أيهما ثمانية آلاف دينار فأخذ كل واحد منهما النصف فاشترى الكافر أرضا فقال المؤمن اللهم اني اشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال المؤمن اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال المؤمن اللهم اني جعلت الفاصداقا للهور العين ثم استرى أخوه خدما وضيحا بألف فقال المؤمن اللهم اني استريت منك الولدان بألف فتصدق به ثم أصابه حاجة فجلس لآخيه على طرفه فربى حنثه فتعرض له فطرده وو بنحه على التصديق بالله وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين فاعلم ان الله تعالى وصف تلك الجنة بصفتان (الصفة الاولى) كودها جنة وسمى البستان جنة لاستنار ما يستتر فيها نخل الأشجار واصل الكلمة من السر والتغطية (والصفة الثانية) قوله وحققناهما بنخل أي وجعلنا النخل محيطة بالجنتين نظيره قوله تعالى وترى

وقوله تعالى ( لا يعاد صغيرة ولا كبيرة الأحصاها) أي حواها وضبطها جملة حالية محققة ﴿ الملائكة ﴾ لما في الجملة الاستفهامية من التعجب أو استنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه قيل لا يعاد صغيرة ولا كبيرة الأحصاها ( ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات او جرد ما عملوا (حاضرا) مسطورا اعتيدا ( ولا يعلم ربك احدا)

فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يز يد في صغابه المستحق فيكون اظهار المعدلة القلم الازلي (واذقلنا للملائكة) اي اذ كر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجدوا تحية وتكريم وقدم تفصيله (فسجدوا) جميعا امتثالاً بالامر (الاي ليس) فانه لم يسجد بل ابي واستكبر وقوله تعالى (كان من الجن) كلام مستأنف سبق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين كما قيل ما لم يسجد ﴿ ٧١٧ ﴾ قيل كان أصله جنياً (ففسق) من أمر ربه (أي خرج عن طاعته

كما ينبغي عنه الغاء أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى

اذلوا له لما أرى والتعرض

لوصف الربوبية

النافية للفسق لبيان

كأن قبح ما فعله والمراد

بئذ كبر قصته تشديد

التكبر على التكبرين

المقهرين بانسابهم

وأموالهم المستنكفين

عن الانتظام في سلك

قراء المؤمنين ببيان

أن ذلك من صنيع

ابليس وأنهم في ذلك

تابعون لتسويله كما ينبغي

عنه قوله تعالى

(افتخذونه) الخفان

الهمزة للانكار

والتعجب والغاء للتعجب

أي أعجب بملككم

بصدور تلك القبائح منه

تخذونه (وذريته) أي

أولاده وأتباعه جعلوا

ذريته مجازاً قال قتادة

يتوالدون كما يتوالد بنو آدم

وقيل يدخل ذنبه في دبره

فبيض فتطلق البيضة

عن جماعة من الشياطين

(أولياء من دوني)

الملائكة حافين من حول العرش اي واقفين حول العرش محيطين به والحفاف جانب الشيء والاحقة جمع فمى قول القائل حف به القوم أي صاروا في أحقته وهي جوانبه قل الشاعر

له لحظات في حفا في سريره \* اذا كرها فيها عقاب ونائل  
قال صاحب الكشاف حفه اذا طافوا به وحققته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولاً ثانياً كقوله غشيتنه وغشيتنه به قال وهذه الصفة مما يؤثرها الدهاقين في كرومهم وهي أن يجعلوها محفوفة بالأشجار المثمرة وهو أيضاً حسن في المنظر (الصفة الثالثة) وجعلنا بينهما زرعاً والمقصود منه أمور (أحدها) أن تكون تلك الارض جامعة للاقوات والقواكه (وثانيها) أن تكون تلك الارض متسعة الاطراف متباعدة الاكثاف ومع ذلك فانها لم يتوسطها ما يقطم بعضها عن بعض وثالثها) ان مثل هذه الارض تأتي في كل وقت بمنفعة أخرى وهي ثمرة أخرى فكانت منافعها دارة متواصلة (الصفة الرابعة) قوله تعالى كلنا الجنين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا كلا اسم مفرد معرفة يؤكد به مذكران معرفتان وكلنا اسم مفرد يؤكد به مؤنثان معرفتان واذا أضيف الى المقطع كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاني كلا أخويك ورأيت كلا أخويك ومررت بكلا أخويك ومررت بكلا أخويك وجاءني كلا أخيتك ورأيت كلا أخيتك ومررت بكلا أخيتك واذا أضيف الى المضمر كانا في الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول مع المضمر بالالف في الاحوال الثلاثة أيضاً وقوله آتت أكلها حل على اللفظ لان كلنا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتنا على المعنى لجاز وقوله ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص والظلم نقصان يقول الرجل ظلمني حتى أي نقصني (الصفة الخامسة) قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرأ أي كان النهر يجري في داخل تلك الجنين وفي قراءة يعقوب وفجرنا مخففة وفي قراءة الباقيين وفجرنا مشددة والتخفيف هو الاصل لانه نهر واحد والتشديد على المبالغة لان النهر يتدفق فيكون كأنهار وخاللها أي وسطها و بينهما ومنه قوله تعالى ولا تضعوا خلالكم ومنه يقال خلات القوم أي دخلت بين القوم (الصفة السادسة) قوله تعالى وكان له عمر قرأصم بفتح التاء الميم في الموضوعين وهو جمع ثمار او ثمرة وقرأ ابو عمرو بضم التاء وسكون الميم في الحرفين والباقيون بضم التاء والميم في الحرفين ذكر اهل اللغة انه بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حل الشجرة قال قطرب كان أبو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولدوا نشد لحرث بن كلدة وقد رأيت معاشرنا \* قد امر واما اولولدا

وقال النابغة

مهلا فدا ذلك الاقوام كلهم \* ما نمره أمن مال ومن ولد  
وقوله وكان له عمر أي انواع من المال من عمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة

فتسبيلونهم بي قطعونهم بدل طاعتني (وهم) أي والحال أن ابليس وذريته (لكم عدو) أي أعداء كما في قوله تعالى فانهم عدوى الارب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فصل به ذلك تشبيهاً بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الانخاذ بالحالة لتأكيد الانكار وتشديد، فان مضمونها مانع من وقوع الانخاذ ومنافيه قطعاً (بئس للظالمين) أي الواضحين لشيء في غير موضعه (بدلاً) من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الانثفات

الى القبية مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايدان يكمال الهمخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى (ما شهدتهم) استثنافى نسوق لبيان عدم استحقاقهم للاخذ بالذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المخذ والفسق والعداوة اى ما حضرت ابليس وذريته (خلق السموات والارض) حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق انفسهم) اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ﴿ ٧١٨ ﴾ ولا تغفلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور

اى كان مع الجنين اشياء من التهود ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات قال بعده فقال له صاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا والمعنى ان المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعاء الى الايمان بالله وبالبعث والمحاورة من اجعة الكلام من قولهم حاور اذا رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور بلى قد كرر تعالى ان عنده هذه المحاورة قال الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا والنفرة شيرة الرجل واصحابه الذين يقومون بالنذ عنه وينفرون معه وحاصل الكلام ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم انه اراد ان يظهر لذلك المسلم كثرة ماله فاخبار الله تعالى عن هذه الحالة فقال ودخل الجنة واراها على الحالة الموجبة للجنة والسرور واخبره بصنوف ما يملكه من المال فان قيل لم افرد الجنة بعد الثنية قلنا المراد انه ليس له الجنة ولا نصيب في الجنة التي وعد المتقون المؤمنون وهذا الذى ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنة ولا واحدا منهما ثم قال تعالى وهو ظالم لنفسه وهو اعتراض وقع في اثناء الكلام والمراد التنبيه على انه لما اعترى بتلك التعم وتوسل بها الى الكفران والمجود لقد رتبته على البعث كان واضعاً تلك التعم في غير موضعها ثم حكى تعالى عن الكافر انه قال وما اظن ان تبديده ابيدا وما اظن الساعة قائمة فجمع بين هذين فالاول قطعه بان تلك الاشياء لا تمهلك ولا تبدي ابيدا مع انها متغيرة متبدلة فان قيل هب انه شك في القيامة فكيف قال ما اظن ان تبديده ابيدا مع ان الحدس يدل على ان احوال الدنيا باسرها ذاهبة باطلة غير باقية قلنا المراد انها لا تبدي مدة حياته ووجوده ثم قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها من قبل اى من جمعا وطاعة وانتصابه على التمييز ونظيره قوله تعالى ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وقوله لا وتبين مالا وولدا والسبب في وقوع هذه الشبهة انه تعالى لما اعطاه المال في الدنيا ظن انه انما اعطاه ذلك لكونه مستحقا له والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء والمقدمة الاولى كاذبة فان فتح باب الدنيا على الانسان يكون في اكثر الامر للاستدراج والتلمية قرأ نافع وابن كثير خيرا منها والمقصود عود الكناية الى الجنتين والباقيون منها والمقصود عود الكناية الى الجنة التي دخلها ثم ذكر تعالى جواب المؤمن فقال جل جلاله قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وفيه بحثنان (البعث الاول) ان الانسان الاول قال وما اظن الساعة قائمة وهذا الثانى كفروه حيث قال اكفرت بالذى خلقك من تراب وهذا يدل على ان الشاك في حصول البعث كافر (البعث الثانى) هذا الاستدلال يحتمل وجهين (الاول) يرجع الى الطريقة المذكورة في القرآن وهوانه تعالى لما قدر على الابتداء وجب ان يقدر على الاعادة فقوله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اشارة الى خلق الانسان في الابتداء (الوجه الثانى) انه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثا وانما خلقك للعبودية واذا خلقك لهذا المعنى وجب ان يحصل للطيم ثواب وللذنب عقاب وتقريره ما ذكرناه في سورة يس ويدل على هذا

حذارا من تعبك الضمير ومحافضة على ظاهر لفظ النفس ولك ان ترجع الضمير الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدبر عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان اذى ما يصحح التولى حضور التولى خلق التولى وحيث لا حضور لا يصحح التولى قطعا واماننى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور فى شىء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالة على كاله باعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو محل يتولى المشهود بناء على قصوره عن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متممضا فى نفي الكمال الصحيح

للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور (وما كنت متخذ المضلين) اى متخذهم وانما وضع الوجه (الوجه) موضعه المظهر فمالهم وتجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا للمسبق من انكار اتخاذهم اولياء (عضدا) اعوانا فى شأن الخلق اوفى شأن من شئى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تمكيم بهم وايدان يكمال ركافة عقولهم

ومضافة ارأئهم حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلي الذي لا يكاد يشبهه على اليه والصبيان فيحتاجون الى التصریح به  
 وايشارنى الاشهاد على نقي سهودهم ونقي اتخاذهم اعوانا على نقي كونهم كذلك للاشعار بانهم مفهرون تحت قدرته  
 تعالى تابعون لبشيتته وارادته فيهم وانهم بعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضاروا اتخاذا وتاما  
 قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكذب ذلك يكون وقيل الضمير

للمسركين والمعنى  
 ما شهدتهم خلق ذلك  
 وما اطلعتم على اسرار  
 التكوين وما خصصتهم  
 بفضائل لا يحويها غيرهم  
 حتى يكونوا قدوة للناس  
 فيؤمنوا بآياتهم كما يزعمون  
 فلا يلتفت الى قولهم  
 طمعا في نصرتهم للدين  
 فانه لا ينبغي لي ان اعتضد  
 بالضالين وبعضده  
 القراءة بفتح التاء خطا يا  
 لرسول الله عليه وسلم  
 والمعنى ما صح لك الا  
 اعتضاد بهم ووصفهم  
 بالاصلال لتليل نبي  
 الاتخاذ وقرى متخذ  
 المضلين على الاصل  
 وقرى عضدا بضم العين  
 وسكون الضاد وفتح  
 وسكون بالتخفيف  
 وضمين بالاتباع وفتحين  
 على انه جمع عاضد كرسد  
 وراسد (و يوم يقول)  
 أي الله عز وجل للكافرين  
 توبها وتعبيرا وقرى  
 بنون العظمة (نادوا  
 شركائ الذين زعمتم)  
 انهم شفعاؤكم لشفعوا

الوجه قوله ثم سواك رجلاى هياك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوزنى العقل مع  
 هذه الحالة اهماله أمرى ثم قال المؤمن لكانها والله ربي وفيه بحثان (البحث الاول)  
 قال أهل اللغة لكاننا أصله لكن انما خذت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت  
 النون فادغمت نون لكن في النون التي بعدها ومثله \* وتليني لكن اياك لا اقلى \*  
 أي لكن اننا اقلبك وهو في قوله هو الله ربي ضمير الشأن وقوله الله ربي جملة من ابتدا  
 والخبر واقعة في معرض الخبر لقوله هو فان قيل قوله لكننا استدرارك لما ذاقنا لقوله  
 اكفرت كأنه قال لا خبسه اكفرت بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن  
 عز وحاضر (والبحث الثاني) قرأ ابن عامر وبقوب الحضرمي ونافع في رواية لكانها والله  
 ربي في الوصل بالالف وفي قراءة الباقرين لكن هو الله ربي غير ألف والمعنى واحد ثم قال  
 المؤمن ولا أشرك ربي أحدا ذكر التقال فيه وجوها (أحدها) اني لأرى الفقرو المعنى  
 الامنة فاجده اذا أهبط واصبرا اذا ابتلى ولا تكبر عند ما يتم على ولا أرى كثرة المسال  
 والاعوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اعتز بكثرته المسال والجاه فكانه قد أثبت لله  
 سرى كما في اعطاء العرو الغنى (وثانيها) لعل ذلك الكافر مع كونه منكر البعث كان طاب  
 صنم فين هذا المؤمن فساد قوله باثبات الشركاء (وثالثها) ان هذا الكافر لما عجز الله عن  
 البعث والحشر فقد جعله مساويا للخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت  
 الشريك ثم قال المؤمن للكافرو لولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله فأمره  
 أن يقول هذين الكلامين الاول قوله ما شاء الله وفيه وجهان (الاول) ان تكون  
 ماسرطية ويكون الجزاء محذوفا والتقدير أي شئ شاء الله كان (والثاني) أن تكون  
 ماموصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف وتقديره الامر ما شاء الله واحجج  
 أصحابنا بهذا على ان كل ما اراده الله وقع وكل ما لم يرد له يقع وهذا يدل على انه ما اراده الله  
 الايمان من الكافرو وهو صريح في ابطال قول المعتزلة اجاب الكعبي عنه بان تاويل قولهم  
 ما شاء مما تولى فعله لا ما هو فعل العباد كما قالوا الامر دل الامر الله لم يرد ما امر به العباد ثم قال  
 لا يتم ان يحصل في سلطانه ما لا يريد كما يحصل فيه ما بهي عنه واعلم ان الذي ذكر الكعبي  
 ليس جوابا عن الاستدلال بل هو التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الارادة على الامر  
 باطل لان هذا النص دال على انه لا يوجد الا ما اراده الله وليس في النصوص ما يدل على  
 انه لا يدخل في الوجود الا ما امر به فظهر الفرق وابواب القفال عنه بان قال هلا اذا دخلت  
 بستانك قلت ما شاء الله كقول الانسان هذه الاشياء الموجودة في هذا البستان ما شاء الله  
 ومثله قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وهم ثلاثة وقوله وقولوا حطة اي قوا واهده حطة  
 واذا كان كذلك كان المراد من هذا الشئ الموجود في البستان شئ شاء الله تكويته وعلى  
 هذا التقدير لم يلزم ان يقال كل ما شاء الله وقع لان هذا الحكم قيد عام في الكل بل يخص  
 بالاشياء المشاهدة في البستان وهذا التأويل الذي ذكره القفال احسن بكثير مما ذكره

لكم والمراد بهم كل ما صيغ من دونه تعالى وقيل بليس وذريته (فدعوهم) أي نادوهم للافانته وفيه بيان لكمال اعتنائهم  
 باعتنائهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم أن لا طريق الى المدافعة (فلم يسجيو الهيم) فليفتوهم اذا امكان لذلك وفي اراده  
 مع ظهوره تهكم بهم وايدان بأنهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصریح به (وجعلنا بينهم) بين الداعين  
 والمدعويين (موبقا)

اسم مكان او مصدر من وبق وبقا كوئيب و نو بالووبنو بقا كخرج فربا اذا هلك ماى مهلكا يشتركون فيه وهو التلوا وعبادة  
 هي في الشدة نفس الهلاك كقول عز رضى الله عنه لا يكن جحك كلفا ولا يفتك تغاوقيل البين الوصل أى وجعلنا توصلهم  
 في الدنيا هلاكاً في الآخرة ويجوز أن يكون المراد بالشر كما للملائكة وعزير او عيسى عليهم السلام ومرعوم وبقو ببق العريخ  
 البعد أى جعلنا بينهم أهدابا يهلك فيه الاشواط لفرط ﴿ ٧٢٠ ﴾ بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان

(و رأى المجرمون النار)  
 وضع المظهر مقام المضمير  
 نصر يحا باجرامهم  
 وذما لهم بذلك (فظنوا)  
 أى فاقنوا (أنهم  
 مواقعوها) محالطوها  
 واقعون فيها وظنوا اذ  
 رأوها من مكان بعيد أنهم  
 مواقعوها الساعة) ولم  
 يجدوا عنها مصرفاً (   
 انصرفا أو معدلا  
 ينصرفون اليه (ولقد  
 صرفنا) أى كرزنا أو  
 ردنا على وجوه كثيرة  
 من النظم (في هذا القرآن  
 للناس) لمخبتهم ومنفتحهم  
 (من كل مثل) من جلته  
 ما من من مثل الرجلين  
 ومثل الحياة الدنيا أو من  
 كل نوع من أنواع المعاني  
 البديعة الداعية الى  
 الايمان التى هي في الثرابة  
 والحسن واستجلاب  
 النفس كالثل ليتلقوه  
 بالقبول فلم يفعلوا (وكان  
 الانسان) بحسب جلته  
 (أكثر شىء جدلاً) أى  
 أكثر الاشياء التى يتأنى منها  
 الجدل وهو هنا شدة

الجبائى والسكبي واقول انه على جوابه لا يدفع الاشكال عن المعتزلة لان عبارة ذلك  
 البستان ربما حصلت بالفصوب والظلم الشديد فلا يصح ايضاً على قول المعتزلة ان يقال  
 هذا واقم بمشئة الله اللهم الآن تقول المراد ان هذه الشار حصلت بمشئة الله تعالى  
 الآن هذا تخصيص انظار النص من غير دليل (والكلام الثانى) الذى أمر المؤمن  
 الكافر بأن يقوله هو قوله لا قوة الا بالله أى لا قوة لاحد على امر من الامور الا باملنة الله  
 واقداره والمقصود انه قال المؤمن للكافر هلا قلت عند دخول جنتك الامر ماشاء الله  
 والكان ما قدره الله اعترافاً بانها وكل خبر فيها بمشئة الله وفضله فان امرها يده ان شاء  
 تركها وان شاء خربها وهلا قلت لا قوة الا بالله اقراراً بان ما قويت به على عارتها وتديير  
 امرها فهو بمعونة الله وتأيدته لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله ثم ان المؤمن  
 للمعلم الكافر الايمان اجابه عن اقتضاره بالمال والتفرق قال ان ترى أنا اقل منك مالا وولدا  
 من قرأ اقل بالنصب فقد جعل أنا مفصلاً وأقل مفعولاً تايلومن قرأ اقل بارفع جعل قوله  
 أنا مبتدأ وقوله اقل خبره وبالجملة مفعولاً تايلونى واعلم ان ذكر الولد ههنا يدل على  
 ان المراد بالتفرق المذكور في قوله وأعرضنفا الاعوان والاولاد كأنه يقول له ان كنت ترى  
 اقل مالا وولداً وانصاراً في الدنيا الغاية فمسي ربي ان يوتين خيراً من جنتك اما في الدنيا  
 واما في الآخرة ويرسل على جنتك حسابنا من السماء أى عذاباً وتخريباً والحسبان  
 مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أى مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم  
 بتخريبها قال الزبيح هذاب حسابن وذلك الحسبان حسابن ما كسبت يدك وقبل  
 حسابنا أى مر اى الواحد منها حسابنة وهى الصواعق فتصبح صعيداً لقأى فتصبح  
 جنتك أرضاً ملساء لا يات فيها والصعيد وجه الارض لقأى تصير بحيث تزلق الرجل  
 عليها لقائم قال أو يصح ماؤها غورا أى يقوص ويسفل في الارض فلن تستطيع له  
 طلباً أى فيصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه قال أهل اللغة في قوله ماؤها غورا أى  
 غاراً وهو نعت على لفظ المصدر كما يقال فلان زور وصوم للواحد والجمع والمذكور والمؤنث  
 ويقال نساء نوح أى نوايح ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال واحيط  
 بثمره وهو عبارة عن اهلا كه بالكتابة وأصله من احاطة العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه  
 واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله الآن يحاط بكم ومثله قولهم أى عليه  
 اذا هلك من أى عليهم العدو اذا جاءهم مستعلياً عليهم ثم قال تعالى فاصبح يقلب كفيه  
 وهو كناية عن الندم والحسرة فان من عظمت حسرته يصفق احدى يديه على الاخرى وقد  
 مسح احدهما على الاخرى واتما فعل هذا لما على ما أنفق في الجنة التى وعظها أخوه فيها  
 وعذله وهى خاوية على عروشها أى ساقطة على عروشها فيمكن أن يكون المراد بالعروش  
 عروش الكرم فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها ويمكن أن يراد من  
 العروش السقوف وهى سقطت على الجدران وحاصل الكلام ان هذه اللفظة كناية عن

الخصومة بالباطل والمراة من الجدل الذى هو القتل والمجادلة الملاواة لان كلام من المجادلين يتوى ﴿ بطلانها ﴾  
 على صاحبه وانتصاه على التمييز والمعنى ان جدله أكثر من جدل كل مجادل (وما منع الناس) أى أهل مكة الذين حكيت  
 أباطيلهم (أن يؤمنوا) من أن يؤمنوا بالله تعالى ويذكروا ما هم فيه من الاشر لك (اذ جاءهم الهدى) أى القرآن العظيم

الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له (ويستغفروا بهم) عفا فرط منهم من أنواع الذنوب التي من جنسها محادتهم للحق بالباطل (الآن تأتيهم سنة الاولين) أي الاطلب اتيان سنتهم أو الا انتظار اتيانها أو الاتقديره تخفف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال (أو يأتيهم العذاب) أي عذاب الآخرة (قبلا) أي أنواعا جمع قبيل أو عيانا كافي قراءة قبلا ﴿ ٧٢١ ﴾ بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحين أي مستقبلا يقال لقيته قبلا

وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالبة من الضمير أو العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان حيث اولم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما منتم الناس من الايمان وان كانوا عمويين على الجدل المفرد (وما رسل المرسلين) الى الامم تمسين حال من الاحوال (ان) حال كونهم (مسررين) المؤمنين بالانوار (ومندرين) بالأكبر والعصاة بالعقاب (ويجادل الذين كفروا بالباطل) بافتراح الآيات بعد ظهور المعجيات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعني (يدحضوا به) أي بالجدال (الحق) أي يريلوه عن حراة ويطلوه من ادحاض القدم وهو ازالادها وهو قواهم للرسول عليهم الصلاة والسلام ما آتاه الايسر مثلنا ولو شاء

بطلانها وهلاكها ثم قال تعالى ويقول باليتني لم أشرك بربى احدا والمعنى ان المؤمن لما قال لكننا هو الله ربى ولا أسرك بربى احدا فهذا الكافر تذكر تلامه وقال باليتني لم أسرك بربى احدا فان قيل هذا الكلام يوهم انه انما هلكت جنته بسؤم شركه وليس الامر كذلك لان أنواع البلاء أكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالمثل وأيضا فلما قال باليتني لم أسرك بربى احدا فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصير مؤمنا فلم قال بعده ولم نكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا والجواب عن السؤال الاول انه لما عظمت حسرته لاجل أنه أنفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في كل عمره عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية نبي الحرمان عن الدنيا والدين عليه ولها السبب عظمت حسرته والجواب عن السؤال الثاني انه انما ندم على الشرك لاعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو انما رغب في التوحيد والرد عن الشرك لاجل طلب الدنيا فلماذا السبب ما صار توحيد من نبوة عند الله ثم قال تعالى ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ حمره والكسائي ولم يكن له فئة بالياتين قوله فئة جمع فاذا تقدم على اكنانة حاز أكبر ولانه رعاية للمعنى والباقون بالياء المقبوطة بالدين من فوق لان اللانابة عائدة الى اللفظة وهي الفئة (البحث الثاني) المراد من قوله ينصرونه من دون الله هو انه ما حصلت له فئة يقدرون على نصرته من دون الله أي هو الله تعالى وحده القادر على نصرته ولا يقدر أحد غيره أن ينصره ثم قال تعالى هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا وفيد مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء في ثلاث مواضع من هذه الآية (أولها) في لفظ الولاية ففي قراءة جرره والكسائي بكسر الواو وفي قراءة الباقين بالقحح وحكي عن أبي عمرو بن العلاء انه قال كسر الواو لحن قال صاحب الكشاف والولاية بالفتح النصره والولى وبالكسر السلطان والملك (وثانيها) قرأ أبو عمرو والكسائي قوله الحق بالرفع والتقدير هنالك الولاية لله وقراء الباقون بالجر صنفه (وثالثها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر عقبا بضم القاف وقرأ عاصم وحزق عقبا بسكينة انفاق (المسئلة الثانية) هنالك الولاية لله فبه وجوه (الاول) انه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ما ذكر علمنا ان النصره والعبادة المحموده كانت للمؤمن على الكافر وعرفنا ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال هنالك الولاية لله الحق أي في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله بوالى أو ليايه فيعلمهم على أعدائه ويفوض أمر الكفار اليهم فقوله هنالك اشارة الى الموضع والوقت الذي يريد الله اظهار كرامة أو آياته واذلال أعدائه (والوجه الثاني) في اسأويل أن يكون المعنى في مثل تلك الحالة

تترن ملائكة ونحوها ﴿ ٩١ ﴾ خا (واتخذوا آيتي) الى تحريمها صم الجبل (وما أدروا) أي أدروهم من القوارع الشاعية عليهم العقاب والعداب أو اندارهم (هزوا) استهزؤ، وقرئ بسكون الزاى وهو ما يستهزأ به (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) وهو القرآن العظيم (فأعرض عنها) ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله

الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لثني المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم و بنا على الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذ هروا خارج عن الحد (ونسي ما قدمت يدها) أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جعلتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها (انما جعلنا على قلوبهم اكنة) أعطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل \* ٧٢٢ \* لا اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع

على قلوبهم (أن يفقهوه) مفعول لما دل عليه الكلام أي متعاهم أن يفقهوا على كنهه أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم) أي جعلنا فيها (وقرا) ثقلا يمنعهم من استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) أي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المداول عليه تكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه الصلاة والسلام مالي لأدعوهم فقبل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الوصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما أن افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه (وربك) مبتدأ وقوله تعالى (الغفور)

الشديدة يتولى الله و يلجئ اليه كل محتاج مضطر يعني ان قوله باليتنى لم أشرك برى أحدا كلمة الجي إليها ذلك الكافر فقالها جزعاً ما ساقه اليه شوتم كفره ولو لا ذلك لم يغلها (والوجه الثالث) المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينقم لهم و يشفي صدورهم من أعدائهم يعني انه تعالى نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله في قوله فمسي ربى أن يؤتى خيراً من جنك و يرسل عليها حسبنا من السماء وبعضه قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لولياؤه (والوجه الرابع) ان قوله هنالك اشارة الى الدار الآخرة أي في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله ثم قال تعالى هو خير ثوابا أي في الآخرة لمن آمن به والتجأ اليه وخير عقبا أي هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقد ذكرنا انه قرئ عقباً بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة \* قوله تعالى ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشياً تذرؤه الريح وكان الله على كل شيء مقتدرا) اعلم ان المقصود اضرب مثلاً آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقاؤها والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على قراء المؤمنين فقال واضرب لهم أي لهؤلاء الذين اقتضروا بأموالهم وأنصارهم على قراء المسلمين مثل الحياة الدنيا ثم ذكر المثل فقال كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض وحينئذ ير بوزن ذلك النبات ويهتز ويحسب منظره كما قال تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ثم اذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات وصار هشياً وهو التفتت فالتفت منه قوله هسماً أنفه وهسماً الثريد وأنشد

عمرو الذي هشم الثريد لاهله \* ورجال مكة مستنون بحاف  
واذا صار النبات كذلك طيرته الريح وذهبت بتلك الاجزاء الى سائر الجوارح فان الله على كل شيء مقتدرا بتكوينه أو لاوتحيته وسطاوا بطلاله آخرها وأحوال الدنيا كماء كذا  
تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً ثم تأخذ في الانحطاط الى ان تنتهي الى الهلاك والقناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يتهمج به وبالباء في قوله فاختلط به نبات الارض فيه وجوه (الاول) التقدير فاختلط بعض أنواع النبات بسائر الأنواع بسبب هذا الماء وذلك لان عند نزول المطر يقوى النبات ويختلط بعضه ببعض ويستبك بعضه ببعض ويصير في المنظر في غاية الحسن والزينة (والثاني) فاختلط ذلك الماء بالنبات واختلط ذلك النبات بالماء حتى روى ورف رقيقاً وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط نبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه \* قوله تعالى ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً) لما بين تعالى ان الدنيا سريرة الانقراض والانقضاء مشرفة على الزوال واليوار والقناء بين تعالى ان المال والبنين زينة الحياة الدنيا والمقصود ادخال هذا الجزء تحت ذلك الكل وسنقدم منه قياس الانتاج وهو ان المال والبنون زينة

خبره وقوله تعالى (ذوالرحمة) أي الموصوف بها خبر بعد خبر ويراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتبني على كثرة الذنوب ولان المغفرة تركها ضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود الاما ينهائى وتقدم الوصف الاول لان التخليقة قبل الخلية اولاته أهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان



تأخير العقوبة عنهم بعد استنجابهم لها كما يبرح عنه قوله عز وجل ( لو يؤاخذهم ) اي لو يريد مؤاخذتهم ( بما كسبوا ) من المعاصي التي من جللتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربه وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات ( ليجل لهم العذاب ) لاستنجاب أعمالهم لذلك و اشارة المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوها للايدان \* ٧٢٣ \* بأن النفي المستفاد من مقدم شرطية متعلق بوصف السرعة

كاييني تحنه تاليها واينار  
 صيغة الاستقبال وان  
 كان المعنى على المضى  
 لافادة أن انتفاء تعجيل  
 العذاب لهم بسبب  
 استمرار عدم ارادة  
 المؤاخذة فان المضارع  
 الواقع موقع الماضي  
 يفيد استمرار انتفاء  
 الفعل فيما مضى كما حقق  
 في موضعه ( بل لهم موعد )  
 اسم زمان هو يوم بدر  
 أو يوم القيامة والجملة  
 معطوفة على مقدر كانه  
 قيل لكنهم ليسوا  
 بمؤاخذين بغنة ( ان  
 يجدوا ) المبتنة ( من دونه  
 مؤثلا ) فنجي أو لمجا يقال  
 وأل أي تجاوز وأل اليه  
 اي جأ اليه ( وتلك القرى )  
 اي قرى عاد وثمود  
 وأضرابها وهي مبتدأ  
 على تقدير المضاف أي  
 وأهل تلك القرى خبره  
 قوله تعالى ( أهلكتناهم )  
 أو مفعول مضمرة مفسر به  
 ( لما ظلموا ) اي وقت ظلمهم  
 كما فعلت قر يش بما حكي  
 عنهم من القبايح وترك  
 المفعول اما لتعميم الظلم

الحياة الدنيا وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض ينتج اتجا  
 يديها ان المال والبنين سريرة الانقضاء والانقراض ومن المقتضى البديهي ان ما كان  
 كذلك فانه يقبح بالعقل أن يقتخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنا فهذا برهان  
 باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الاموال  
 والاولاد ثم ذكر ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الاغنياء فقال  
 والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملاما وتقرير هذا الدليل المشهورات الدنيا  
 منقرضة منقرضة وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقرض  
 وهذا معلوم بالضرورة لاسيما اذا ثبت ان خيرات الدنيا خسيسة خفيفة وان خيرات  
 الآخرة عالية رفيعة لان خيرات الدنيا حسية وخيرات الآخرة عقلية والعقلية أشرف  
 من الحسية بكثير بالدلائل المذكورة في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض  
 في بيان ان الادراكات العقلية أفضل من الحسية واذا كان كذلك كان مجموع  
 السعادات العقلية والحسية هي السعادات الاخرى فوجب أن تكون أفضل من  
 السعادات الحسية الدنيوية والله أعلم والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالا  
 قيل انها قولنا سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله أكبر وللشيخ الغزالي رحمه الله  
 في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل له من الثواب  
 عشر مرات فاذا قال والمجد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين  
 فاذا قال والله أكبر صارت أربعين قال وتحقيق القول فيه ان أعظم مراتب الثواب هو  
 الاستغراق في معرفة الله وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه سبحان منزها عن  
 كل ما لا ينبغي فخصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والمجد لله  
 فقد أقر بان الحق سبحانه مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لأفادة كل ما ينبغي  
 ولا فاضة كل خير وكال فقد تضاعف درجات المعرفة فلا جرم قلنا تضاعف الثواب  
 فاذا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر بان الذي تزه عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لكل  
 ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا الا الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة  
 فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال والله أكبر بمعناه انه أكبر وأعظم من أن  
 يصل العقل الي كنهه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة لا جرم صارت  
 درجات الثواب أربعة ( والقول الثاني ) ان الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس  
 ( والقول الثالث ) انها الطيب من القول كما قال تعالى وهدوا الى الطيب من القول  
 ( والقول الرابع ) ان كل عمل وقول دعاك الى الاشتغال بمعرفة الله وبمحبته وخدمته فهو  
 الباقيات الصالحات وكل عمل وقول دعاك الى الاشتغال باحوال الخلق فهو خارج عن  
 ذلك وذلك ان كل ما سوى الحق سبحانه فهو فان لذاته هالك لذاته فكان الاشتغال به  
 والالتفات اليه عملا باطلا وسعيًا ضائعًا اما الحق لذاته فهو الباقي لا يقبل الزوال لا جرم

أو لتزيله منزلة اللازم أي لما فعلوا الظلم ولما امارحرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعماله لتعليل وليس المراد به الوقت  
 المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان يمتد من ابتداء الظلم الى آخره ( وجعلنا لهم لهلكهم ) اي عيناهللا كهم ( موعدا )  
 اي وقامعينا لا محجد اهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقر يش من تعيين الموعد ايتشبهوا بذلك ولا يفتروا

بتأخر العذاب وقرئ يضم الميم وقع اللام أي اهلاكمهم وبقهههما (واذقل موسى) نصب بصحارهم أي اذكروقت قوله عليه السلام (لقناه) وهو يوشع بن نون ابن افرام بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه و يتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التليذ فتى وان كان شيخنا ولعل المراد بشذ كبره عقيب بيان أن لكل أمة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملائكة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة ﴿ ٧٢٤ ﴾ (لا أبرح) من برح الناقص كزال أي لأزال

أسير فخذ في الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذا كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله (حتى أبلغ) فان ذلك غاية تستدعي اذا غاية يؤدى اليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصل حتى أبلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فيقلب الضمير البارز الجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا بصدد حتى أبلغ (بجمع البحرين) هو ملتي بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افر نيقية وقرئ بكسر الميم كسرق (أو أمضى حقا) أسير زمانا طويلا أتقن معه فوات المطلب والحطب الدهر أو ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة أن موسى

كان الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وطاعته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولا يفتى ثم قال تعالى خير عند ربك ثوابا وخيرا ملاما أي كل عمل أر يديه وجهه الله فلا شك ان ما يتعلق به من الثواب وما يتعلق به من الامل يكون خيرا وأفضل لان صاحب تلك الاعمال يؤمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة \* قوله تعالى (و يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وعرضوا على ربك صفات قد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة يا زعمتم أن ان يجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ر بكا أحدا) اعلم أنه تعالى لما بين حساسة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال القيامة فقال و يوم نسير الجبال والقصود منه الرد على المشركين الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والاعوان واختلفوا في التاصب لقوله و يوم نسير الجبال على وجوه (أحدها) أنه يكون التقدير واذكر لهم يوم نسير الجبال عطف على قوله واخرب لهم مثل الحياة الدنيا (الثاني) أنه يكون التقدير و يوم نسير الجبال حصل كذا وكذا يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة لان القول مضمر في هذا الموضع فكان المعنى انه يقال لهم هذا في هذا الموضع (الثالث) أن يكون التقدير خيرا ملاما في يوم نسير الجبال والاول أظهر اذا عرفت هذا فنقول انه ذكر في الآية من أحوال القيامة أنواعا (التوخي الاول) قوله و يوم نسير الجبال وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسيروا على فعل مالم يسم فاعله الجبال بالرفع باسناد تسيروا اليه اعتبارا بقوله تعالى واذ الجبال سيرت والباقون تسيروا باسناد فعل التسيير الى نفسه الجبال بالتاصب لكونه مفعول تسيروا والمعنى نحن نعمل بها ذلك اعتبارا بقوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والمعنى واحد لانها اذا سيرت فسيرها ليس الا الله سبحانه ونقل صاحب الكشاف قراءة أخرى وهي تسيروا الجبال باسناد تسيروا الى الجبال (البحث الثاني) قوله و يوم نسير الجبال ليس في لفظ الآية ما يدل على انها الى أين تسيروا فيحتمل أن يقال انه تعالى يسيرها الى الموضع الذي يريد ولم يبين ذلك الموضع لخلقها والحق ان المراد انه تعالى يسيرها الى العدم لقوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صافصفا لا ترى فيها عوجا والأمتا ولقوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا (والنوع الثاني) من أحوال القيامة قوله تعالى وترى الارض بارزة وفي تفسيره وجوه (أحدها) انه لم يبق على وجهها شيء من العمارات ولا شيء من الجبال ولا شيء من الاشجار فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها وهو المراد من قوله لا ترى فيها عوجا والأمتا (وثانيها) ان المراد من كونها بارزة انها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموقى المقبورين فيها فهي بارزة الجوف والباطن فحذف ذكر الجوف ودليله قوله تعالى وألق ما فيها ونخلت وقوله وأخرجت الارض أنقالها وقوله و برزوا لله جميعا (وثالثها) ان وجوه الارض كانت مستورة بالجبال والبحار

عليه السلام لما ظهر على مصرم بنى اسراييل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر ﴿ فلما قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بدية رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فغضب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فأوحى اليه بل أعلم

منك عبدل هند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام افر يذون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة  
 ذى القرنين الاكبر بنى الى ايام موسى وقبل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال ان الذى يذكركنى ولا ينسى  
 قال فأى عبادك أفضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع أهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يتبغى علم الناس الى علمه عسى  
 أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ﴿ ٧٢٥ ﴾ ان كان فى عبادك من حو أعلم منى فدلتنى عليه قال أعلم منك

الخضر قال أن أطلبه  
 قال على ساحل البحر  
 عندا الخضره قال يارب  
 كيف لى به قال تأخذ  
 حوتا فى مكنل فحيثما  
 فقدته فهو هناك فأخذ  
 حوتا فجعله فى مكنل فقال  
 لغناه اذا فقدت الحوت  
 فأخبرنى فذهبا عيشيان  
 (فلما بلغنا) الفاء فصيحة  
 كما أشير اليه (مجمع بينهما)  
 أى مجمع البحرين وبينهما  
 طرف أصيف اله اتساعا  
 أو بمعنى الوصل (نسيا  
 حوتها) الذى جعل  
 فقدانه أمانة وجدان  
 المطلوب أى نسيان فقد  
 أمره وما يكون منه وقيل  
 نسى يوشع أن يقدمه  
 وموسى عليه السلام أن  
 يأمره فيه بشئ روى  
 أنهم لما بلغا مجمع البحرين  
 وفيه الصخرة وصين  
 الحياة التى لا يصيب  
 ماؤها ميتا الا حى وضعا  
 رؤسهما على الصخرة  
 فناما فلما أصاب الحوت  
 برد الماء وروحه طاش  
 وقد كانا كلامه وكان

قلما أفنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة  
 ( والنوع الثالث ) من أحوال القيامة قوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والمعنى  
 جحناهم للحساب فلم نغادر منهم أحدا أى لم نترك من الاولين والآخرين أحدا الا  
 وجحناهم لذلك اليوم ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات  
 يوم معلوم ومعنى لم نغادر لم نترك يقال غادره وأضره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفا ومنه  
 الغدير لانه ما تركته السيول ومنه سميت صغيرة المرأة بالغدير لانهما تجعلها خلفها ولما ذكر  
 الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفا وفيه مسئلتان  
 ( المسئلة الاولى ) فى تفسير الصف وجوه ( أحدها ) انه تعرض الخلق كلهم على الله صفا  
 واحدا ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضا قال القفال ويشبه أن يكون الصف  
 راجعا الى الظهور والبروز ومنه اشتق الصف الصف للصحراء ( وثانيها ) لا يبعد أن يكون  
 الخلق صفا فاقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكمية التى يكون بعضها  
 خلف بعض وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفا صفا صفا كقوله بخر جكم طفلا أى  
 أطفالا ( وثالثها ) صفا أى قياما كما قال تعالى فاذكروا اسم الله عليها صوافى قالوا قياما  
 ( المسئلة الثانية ) قالت المشبهة قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انه تعالى  
 يحضر فى ذلك المكان وتعرض عليه أهل القيامة صفا وكذلك قوله تعالى لقد جئتمونا بديل  
 على انه تعالى يحضر فى ذلك المكان وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم فى الموضع الذى  
 يسألهم فيه عن أعمالهم ومحاسبهم عليها عرضا عليه لا على انه تعالى يحضر فى مكان  
 وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم ثم قال تعالى لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة  
 وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه لانهم خلقوا صفا واولا عقل لهم ولا تكليف  
 عليهم بل المراد انه قال للشركين المنكرين للبعث المقنخرين فى الدنيا على فقراء المؤمنين  
 بالاموال والانصار لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان  
 ونظيره قوله تعالى لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتكم ما خوئناكم وراء  
 ظهوركم وقال تعالى أفرايت الذى كفر باياتنا وقال لاؤتينا مالا وولدنا الى قوله وياؤتينا  
 فردا ثم قال تعالى بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أى كنتم مع التعزز على المؤمنين  
 بالاموال والانصار وتكروا بالبعث والقيامة فالآن قد تركتم الاموال والانصار  
 فى الدنيا وشاهدتم ان البعث والقيامة حق ثم قال تعالى ووضع الكتاب والمراد انه يوضع  
 فى هذا اليوم كتاب كل انسان فى يده اما فى اليمين أو فى الشمال والمراد الجنس وهو صحف  
 الاعمال وترى المجرمين مشفقين مما فيه أى خائفين مما فى الكتاب من أعمالهم الخبيثة  
 وخائفين من ظهور ذلك لاهل الموقف فيقتضون وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من  
 الحق وخوف الفضيحة عند الخلق ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التى هلكوا خاصة  
 من بين الهلكات مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهى عبارة عن

ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقبل توضع عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فغاش فوقه فى الماء  
 ( فأتخذ سبيلا فى البحر سريا ) مسلكا كالسرب وهو التفق قبل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوب فصار  
 كالطاق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان

لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق بأخذ ( فلما جاوزا ) أي مجمع البحرين الذي جعل موعد الللاقات قبل أدجاوسارا الالهة والغدالي الظهروا التي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك ( قال لقنائه أتناغداءنا ) أي ما تغدى به وهو الحوت كما ينبي عنه الجواب ( قد لقينا من سفرنا هذا ) إشارة إلى ما سار به مجاوزة الموعد ( نصبا ) تعبوا وعبءوا قبل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك وبالجملة في محل التعليل للأمر ﴿ ٧٢٦ ﴾ بإتياء الغداء إما باعتبار أن النصب إنما يعترى

بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وإما باعتبار ما في أتياء التغدى من استراحة ما ( قال ) أي تناء عليه السلام ( أرأيت إذا وينا إلى الصخرة ) أي أتيأنا إليها وأقمنا عندها وذكر الأواء اليهام أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحائمة إليه وتهدد العذر فإن الأواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كونه شاهداً من العظام التي لا تنكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم

الاحاطة بمعنى لا يترك شيئاً من المعاصي سواء كانت صغيرة أو كبيرة الا وهي مذكورة في هذا الكتاب ونظيره قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون وقوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وادخال تاء التأنيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير ان المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة الا احصاها الاضبطها وحصرها قال بعض العلماء صحوا من الصغار قبل الكبار لان تلك الصغار هي التي جرتهم الى الكبار فاحتزوا من الصغار جدا ووجدوا ما عملوا حاضر في الصحف عتيدا أوجزاء ما عملوا ولا يظلم بك أحدا معناه انه لا يكتب عليه ما لم يفعل ولا يزيد في عقابه المستحق ولا يعذب أحدا بجرم غيره بقى في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال الجبائي هذه الآية تدل على فساد قول المجبرة في مسائل ( أحدها ) انه لو عذب عباده من غير فعل صدر منهم لكان ظلما ( وثانيها ) انه لا يعذب الاطفال بغير ذنب ( وثالثها ) بطلان قولهم أن الله يفعل ما يشاء ويعذب من غير جرم لان الخلق خلقه اذ لو كان كذلك لما كان لئى الظلم عنه معنى لان تقديره انه اذا فعل أى شئ أراد لم يكن ظلما منه لم يكن لقوله انه لا يظلم فأئدة فيقال له ( أما الجواب ) عن الاولين فهو المعارضة بالعلم والداعى وأما الجواب عن هذا الثالث فهو انه تعالى قال ما كان لله أن يتخذ من ولد ولم يدل هذا على أن اتخاذا الولد صحيح عليه فكذا ههنا ( المسئلة الثانية ) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب الناس في القيامة على ثلاثة \* يوسف \* وأيوب \* وسليمان \* فيدعو بالملوك ويقول له ما شغلك عني فيقول جعلتني عبد اللادى فلم تفرغني فيدعو يوسف عليه السلام ويقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك عن عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يدعو بالمبتلى فاذا قال شغلتنى بالبلاء دعا بأيوب عليه السلام فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلائك فلم يمنعه ذلك عن عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يوتى بالملك في الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلتنى الملك عن ذلك فيدعى بسليمان عليه السلام فيقول هذا عبدي سليمان آتيته أكثر ما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويؤمر به الى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان يزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن عمله كيف عمل به ( المسئلة الثالثة ) دلت الآية على اثبات صحار وكبار في الذنوب وهذا متفق عليه بين المسلمين الا أنهم اختلفوا في تفسيره فقالت المعتزلة الكبيرة ما يزيد عقابه على ثواب فاعله والصغيرة ما ينقص عقابه عن ثواب فاعله واعلم أن هذا الحد إنما يصح لو ثبت ان الفعل يوجب ثوابا وعقابا وذلك عندنا باطل لوجوه كثيرة ذكرناها في سورة البقرة في ابطال القول بالاحباط والتكفير بل الحق عندنا ان الطاعات محصورة في نوعين التعظيم لامر الله والشققة على خلق الله فكل ما كان أقوى في كونه جهلا بالله كان أعظم في كونه كبيرة وكل ما كان أقوى في كونه اضرارا بالغير كان أكثر في كونه

اصاحبه اذا نابه خطب رأيت ما ينبي يريد بذلك تمويه وتجبب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه ﴿ ذنبا ﴾ لاستخاره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل ( فان نسيت الحوت ) وفيه تأكيد للتجبب وترية لاستعظام المنسى وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء

مع أنه المأمور بإتيانه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهدته ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالفداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيات مع زيادة أي نسيب أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الامور العجيبة (وما نسيه الا الشيطان) يوسوسه الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ( أن أذكره) بدل اشتمال من الضمير أي ما أنساني ﴿٧٢٧﴾ أن أذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت أو لاو بذكره

ثانيا على طريق الابدال النبي عن تسمية المبدل منه اشارة الى أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكره وايشار أن أذكره على المصدر للمباغة فان مداوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يبعد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألقها قل اهتمامه بالمحافظة عليها (واتخذ سبيله في البحر عجبا) بيان لطرف من أمر الحوت النبي عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه الاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حبي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعبارة ثانيا مفعول اتخذوا الطرف حال من أولهما أو ثانياهما أو هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف أي اتخذوا عجبا وهو كون مسلكه

ذبا ومعصية فهذا هو الضبط \* قوله تعالى ( واذقنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم وبين قومنا المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم أن المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الرد على القوم الذين اقتضوا بأموالهم وأخوانهم على قراء المسلمين وهذه الآية المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لان ابليس انما تكبر على آدم لانه اقتخر بأصله ونسبه وقال خلقني من نار وخلقته من طين فانا أشرف منه في الاصل والنسب فكيف أسجد وكيف أتواضع له وهو لاء المشركون عالموا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا كيف نجلس مع هؤلاء القراء مع اننا من أنساب شريفة وهم من أنساب نازلة ونحن أغنياء وهم فقراء فآله تعالى ذكر هذه القصة ههنا تنبيهها على أن هذه الطريقة هي بعينها طريقة ابليس ثم انه تعالى حذر عنها وعن الاقتداء بها في قوله افتخذونه وذريته أولياء فهذا هو وجه النظم وهو حسن معتبر وذكر القاضى وجهها آخر فقال انه تعالى لما ذكر من قبل أمر القيامة وما يجرى عند الحشر ووضع الكتاب وكان تعالى يريد أن يذكر ههنا انه ينادى المشركين ويقول لهم أين شركائي الذين زعمتم وكان قد علم تعالى ان ابليس هو الذى يحمل الانسان على اتيان هؤلاء الشركاء لاجرم قدم قصته في هذه الآية اتماما لذلك الغرض ثم قال القاضى وهذه القصة وان كان تعالى قد كررها في سور كثيرة الا ان في كل موضع منها فائدة جديدة ( المسئلة الثانية ) انه تعالى بين في هذه الآية ان ابليس كان من الجن والناس في هذه المسئلة ثلاثة أقوال ( الاول ) انه من الملائكة وكونه من الملائكة لا ينافى كونه من الجن ولهم فيه وجوه ( الاول ) ان قبيلة من الملائكة يسمونه بذلك لقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا وجعلوا لله شركاء الجن ( والثاني ) ان الجن سموا جنا للاستتار والملائكة كذلك فهم داخلون في الجن ( الثالث ) انه كان خازن الجنة ونسب الى الجنة لقولهم كوفي و بصرى وعن سعيد بن جبيرة انه كان من الجنان الذين يعملون في الجنان حتى من الملائكة يصوغون حلية أهل الجنة مذ خلقوا رواه القاضى في تفسيره عن هشام بن سعيد بن جبيرة ( والقول الثاني ) انه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقوا من نار وهو أبوهم ( والقول الثالث ) قول من قال كان من الملائكة فسخ وغير هذه المسئلة قد أحكمناها في سورة البقرة وأصل ما يدل على أنه ليس من الملائكة أنه تعالى أثبت له ذرية ونسلا في هذه الآية وهو قوله افتخذونه وذريته أولياء من دوني والملائكة ليس لهم ذرية ولانسل فوجب أن لا يكون ابليس من الملائكة بقى أن يقال ان الله تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن ابليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك

كالطاق والسرب أو مصدر فعل محذوف أي أعجب منه عجبا قد قيل انه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام وليس بذلك (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنتا) وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف أصله نبيه أي نطلبه لكونه أمارا للفوز بالرام (فارتدا) أي رجعا (على آثارهما) طريقهما الذى جآ منه (قصصا)

يقصان قصصهما اي يتبعان آثارهما اتباعاً ومقتضين حتى أتيا الضحرة ( فوجد اعبدا من عبدنا) التكبير للتفخيم والاضافة للشرىف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليان ملكان وقيل اليبع وقيل الياس عليهم الصلاة والسلام ( آتيناه رحمة من عندنا ) هي الوحي والنبوة كما يشعر به تكبير الرحمة واختصاصها بجانب الكبير (اه) وعلمنا من لدنا علما) خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب (قال له موسى) استئناف \* ٧٢٨ \* بنى على سؤال نشأ من السابق كأنه

قيل فاذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى (هل أتبعك على أن تعلمن) استئذنانا منه في اتباعه له على وجد العلم (مما علمت رشدنا) اي علما اذا رشد أو رشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بهتختين وهو مفعول لعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك أو مصدر اياضاً مرفعه ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يعلم من نبي آخر ما لا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية وتقديره في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام (قال) اي الخضر (انك ان تستطيع معي صبرا) نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلا به قوله ( وكيف تصبر على ما لم يحط به خبرا) ايذانا بأنه يتولى

الامر وأيضاً لو لم يكن من الملائكة فكيف يصح استئناؤه منهم وقد أجبتنا عن كل ذلك بالاستقصاء ثم قال تعالى ففسق عن أمر ربه وفي ظاهره اشكال لان الفاسق لا يفسق عن أمر ربه فلماذا السبب ذكره فيه وجوها ( الاول ) قال القراء ففسق عن أمر ربه أي خرج عن طاعته والعرب تقول فسقت الرطبة من قنصرها أي خرجت وسميت القارة فويسقة لخروجها من جحرها من البابين وقال رؤبة

يهون في نجد وغور غاراً \* فواسقا عن قصدها جواراً

( الثاني ) حكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه قال لما أمر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر والمعنى انه لو لا ذلك الامر السابق لما حصل الفسق فلاجل هذا المعنى حسن أن يقال فسق عن أمر ربه ( الثالث ) قال قطرب فسق عن أمر ربه رده كقوله واسئل القرية واسئل العير قال تعالى أفتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) المقصود من هذا الكلام ان ابليس تكبر على آدم وترفع عليه لما ادعى ان اصله أنسرف من أصل آدم فوجب أن يكون هو أسرف من آدم فكانه تعالى قال لاولئك الكافرين الذين اقتضروا على فقراء المسلمين بسرف نسبهم وعلو مناصبهم انكم في هذا القول اقتديتم بابليس في تكبره على آدم فلما علمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به في هذه الطريقة المذمومة هذا هو تقرير الكلام فان قيل ان هذا الكلام لا يتم الا باثبات مقدمات ( فأولها ) اثبات ابليس ( وثانيها ) اثبات ذرية ابليس ( وثالثها ) اثبات عداوه بين ابليس وذريته وبين أولاد آدم ( ورابعها ) ان هذا القول الذي قاله أولئك الكفار اقتدوا فيه بابليس وكل هذه المقدمات الاربعة لا سبيل الى اثباتها الا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فالجاهل بصدق انبي جاهل بها اذا عرفت هذا فقول مخاطبون بهذه الايات هل عرفوا كون محمد نبيا صادقا أو ما عرفوا ذلك فان عرفوا كونه نبيا صادقا قبلوا وقوله في كل ما يقوله فكما نهاهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن قول اتها وعنه وحينئذ فلا حاجة الى قصة ابليس وان لم يعرفوا كونه نبيا جهلوا كل هذه المقدمات الاربعة ولم يعرفوا صحتها فحينئذ لا يكون في ارادها عليهم فائدة والجواب ان المشركين كانوا قد سمعوا قصة ابليس وآدم من أهل الكتاب واعتقدوا صحتها وعلوا ان ابليس انما تكبر على آدم بسبب نسبه فاذا أوردنا عليهم هذه القصة كان ذلك زاجرا لهم عما أظهوره مع فقراء المسلمين من التكبر والرفع ( المسئلة الثانية ) قال الجبائي في هذه الآية دلالة على أنه تعالى لا يريد الكفر ولا يخلفه في العباد لولوا راده وخلقه فيه ثم عاقبه عليه لكان ضرر ابليس أقل من ضرر الله عليهم فكيف يؤنبهم بقوله بس لظالمين بدلاتعالى الله عنه علوا كبير ابل على هذا المذهب لا ضرر البتة من ابليس بل الضرر كله من الله والجواب المعارضة بالداعي والعلم ( المسئلة الثالثة ) انما قال للكفار المتفخرين بأنسابهم وأموالهم على فقراء المسلمين أفتخذون ابليس وذريته أولياء من دون الله لان

أمور اخفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتالك أن يستز عند الداعي \* مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علميه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمه الله لأعلمه وخبراتي من أي لم يحط به خبرك ( قال ) موسى عليه الصلاة والسلام ( سجدني

ان شامه صبارا) جهنم معتزض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيقن وثلاثتهم  
 تعلقه بالصبر (ولأعني لك أمرا) عطف على صابر أي سجدني صابرا وغير خاص وفي وعده هذا الوجدان من المبالغة  
 ما ليس في الوجدان نفس الصبر وتلك العصيان أو على سجدتي فلا محل له من الاعراب والآن هو الأولى لما عرفته ولظهور  
 تعلقه بالاستثناء جنيذ وفيه دليل على أن أفعال ﴿ ٧٢٩ ﴾ العباد بمسئلة الله سبحانه وتعالى (قال فان اتبعني) أذنه

في الاتباع بعد اللبثا  
 والحق والفساء لتفريع  
 الشرطية على ما مر من  
 التزام موسى عليه الصلاة  
 والسلام للصبر والطاعة  
 (فلا تسألني عن شيء)  
 تشهد من أفعال أي  
 لا تفاجني بالسؤال عن  
 حكمه فضلا عن  
 المناقشة والاعتراض  
 (حتى أحدث لك منه  
 ذكرا) أي حتى أبتدي  
 ببيانه وفيه إيذان  
 بأن كل ما صدر عنه فله  
 حكمة وافية جيدة البتة  
 وهذا من أدب المتعلم مع  
 العالم والتابع مع المتوجع  
 وقرئ "فلا تسألني يا تون  
 الثقلة" (فاطلقا) أي  
 موسى والحضر عليهما  
 الصلاة والسلام على  
 الساحل بطلبان السفينة  
 وأما يوشع فقد صرفه  
 موسى عليه الصلاة  
 والسلام إلى بني إسرائيل  
 قيل انها مرام السفينة  
 فكلمها أهلها ففرقوا  
 الحضر فحملوها بعير  
 نول (حتى أذاركيا في  
 السفينة) استعمال  
 الركوب في أمثال هذه

الداعي لهم إلى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الضميمة وأظهار العجب فهنا يدل على  
 ان كل من أقدم على عمل أو قول يتناه على هذا الداعي فهو متع لابليس حتى ان من كان  
 غرضه في اظهار العلم والتفاخر والتكبر والترقم فهو مقتد بابليس وهو مقام  
 صعب غرق فيه أكثر الخلق فتسأل الله الخلاص منه ثم قال تعالى ينس للظالمين بدلا أي  
 ينس البلبل من الله ابليس لمن استبدله به فطاعه بدل طاعته ثم قال ما أشهدتهم خلق  
 السموات والارض ولا خلق أنفسهم وفيه مسألان (المسئلة الأولى) اختلفوا في  
 أن الضمير في قوله ما أشهدتهم الي من يعود فيه وجوه (أحدها) وهو الذي ذهب اليه  
 الاصحكيون ان المعنى ما أشهدت الذين اتخذوهم أولياء خلق السموات والارض  
 ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله اقلوا أنفسكم يعني ما أشهدتهم لا تضمدبهم والدليل  
 عليه قوله وما كنت مفندا للضالين عضدا أي وما كنت مفندا لهم فوضع الظاهر موضع الضمير  
 يانا الاضلالهم وقوله عضدا أي أعوانا (وثانيها) وهو أقرب عندي ان الضمير هاتين  
 الكفار الذين قالوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد من مجلسك هو لا انقرالم نو من  
 بك فكانت تعالى قال ان هؤلاء الذين أتوا بهذا الافتراح الفاسد والتعت الباطل ما كانوا  
 شركا لي في تدبير العالم بلبيل قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق  
 أنفسهم ولا اجتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسارا الخلق فلم أقدموا على  
 هذا الافتراح الفاسد وظنوا انهم اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست  
 بسلطان البلد ولا ذرية الملكة حتى تقبل منك هذه الاقتراحات الهائلة فلم تقدم عليها  
 والذي يؤكدها ان الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات وفيه الآية المذكورة  
 الاقرب هو ذكر أولئك الكفار وهو قوله تعالى ينس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك  
 الكفار (وثالثها) أن يكون المراد من قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق  
 أنفسهم صكون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال السعادة  
 والشقاوة فكانت قبيل لهم المسعدين من حكم الله بسعادته في الازل والشقي من حكم الله  
 بشقاوته في الازل وأنتم خافلون عن أحوال الازل كأنه تعالى قال ما أشهدتهم خلق  
 السموات والارض ولا خلق أنفسهم واذا جهلتم هذه الحلة فكيف يمكنكم أن تحكموا  
 لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال وغيركم بالدناءة والذل بل بربنا ما صار الامر في الدنيا والآخرة  
 على العكس فيما حكتم به في المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف قرئ وما كنت شيئا بالفتح  
 والخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما جرح لك الاعتناء بهم وما ينبغي لك أن  
 تعتز بهم وقرأ على رضوانا الله عليه وهذا المضامين بالتبوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا  
 بسكون الضاد ونقل ضمنها إلى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضم  
 وعضد ابتمتتين جمع عضد كضام وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه وأعانه  
 واعلم انه تعالى لما قرأ ان القول الذي قالوه في الافتراض على القراء اقتداء بابليس عاد

المواقع بكلمة قوم يحمر يده عنها ﴿ ٩٢ ﴾ هنا في مثل قوله عز وجل لتكبوها وزينة علم ما يقتضيه تعدية  
 بنفسه لما أشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لانما قيل من أن في ركوبها معنى الدخول (خرقها)  
 بعدما لججوا حيث أخذها بأقلام من ألواحها يوحين بما يلي الماء فتند ذلك

(قال) موسى عليه السلام (أخرقتها لغيرك أهلها) من الاغراق وقرى بالتشديد من التفرق ولغيرك أهلها من الثلاثي (لقد جنت) أتيت وفعلت (شيثا امرأ) أي عظيمها ثلاثا من أمر الامر اذا عظم قيل الاصل امر اخفف (قال) أي الحضرة عليه السلام (ألم أقل ان تستطيع معي صبرا) تذكر لما قاله مناسبة له ولقوله من قبل وتحقق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده (قال لا تواتوا اخذني بما نسيت) بنسباني أو بالنبي ﴿٧٣٠﴾ نسيت أو بشي نسيت وهو وصيته بأن لا يسأله

بعده الى التهويل باحوال يوم القيامة فقال ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه  
أبحاث (البحث الاول) قرأ حجة نقول بالنون عطف على قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا  
لآدم وأولياء من دونه وما أشهدتهم خلق السموات والارض وما كنت متخذ المضلين  
عبيدا والباقيون قرؤا بالياء (البحث الثاني) واذا كر يوم نقول عطف على قوله واذ قلنا  
للملائكة اسجدوا (البحث الثالث) المعنى واذا ذكر لهم يا محمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم  
القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي أي ادعوا من زعمتم انهم شركاء لي حيث آهلتهم  
للعباداة ادعوهم يشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء الجن فدعوهم ولم يذكر تعالى  
في هذه الآية انهم كيف دعوا الشركاء الا انه تعالى بين ذلك في آية أخرى وهو انهم قالوا انا  
كنالكم فيما فعل انتم مغنون عنا ثم قال تعالى فلم يستجيبوا لهم أي لم يجيبوهم الى مادعوهم  
اليه ولم يدفوعا عنهم ضررا وما وصلوا اليهم نفاعا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه  
وجوه (الاول) قال صاحب الكشاف الموبق المهلك من وبقى يبقى وبوقا وو بقاء اهلك  
وأوبقه غيره فيجوز أن يكون مصدرا كالورد والموعود وتقرر بهذا الوجه أن يقال ان  
هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة كالملائكة وعيسى دعوا هؤلاء فلم  
يستجيبوا لهم ثم حيل بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عيسى  
الجنة وصار الملائكة الى حيث أراد الله من دار الكرامة وحصل بين أولئك الكفار  
وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموبق وهو ذلك الوادي في جهنم (الوجه  
الثاني) قال الحسن موبقا أي عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك ومنه قوله لا يكن  
حك كلفا ولا يفضت تلغا (الوجه الثالث) قال الفراء اليبين المواصلة أي جعلنا مواصلة لهم  
في الدنيا هلاكا في يوم القيامة (الوجه الرابع) الموبق البرزخ البعيد أي جعلنا بين هؤلاء  
الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لفرط بعده لانهم في  
قر جهنم وهم في أعلى الجنان ثم قال تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها  
وفي هذا الظن قولان (الاول) ان الظن ههنا بمعنى العلم واليقين (والثاني) وهو الاقرب  
ان المعنى ان هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون أنهم مواقعوها في  
تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تعذيبها وزفيرها كما قال اذ ارأيتهم  
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله واقعوها أي مخالطوها فان مخالطة الشيء  
لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها واقعة ثم قال تعالى ولم يجدوا عندها مصرا فأبى لم يجدوا  
عن النار معدلا الى غيرها لان الملائكة تسوة بهم اليها ﴿٧٣٠﴾ قوله تعالى ( ولقد صرفنا  
في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا وما منع الناس أن  
يوثنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن أتتهم سنة الاولين أو يأتيتهم العذاب  
قبلا وما ترسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به  
الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) اعلم ان أولئك الكفرة لما اقترخوا على قراء المسلمين

عن حكمة ما صدر  
عنه من الافعال الخفية  
الاسباب قبل بيانه أراد  
أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه  
على الناسي كما ورد في صحيح  
البخارى من أن الاول كان  
من موسى نسياً وأخرج  
الكلام في معرض النهي  
عن المؤاخذه بالنسيان  
يوهمه انه قد نسي  
ليسطعذره في الانكار  
وهو من معار يعرض  
الكلام التي يتق بها  
الكذب مع التوصل الى  
الغرض أو أراد بالنسيان  
الترك أي لا تواتوا اخذني بما  
تركت من وصيتك أول  
مره (ولا ترهقني) أي  
لا تعثنى ولا تحملي (من  
أمرى) وهو اتياعه اياه  
(عسرا) أي لا تعسر  
على متابعتك وبسرهما على  
بالاغضاء وترك المناقشة  
وقرى عسرا بضمتين  
(فادطلقا) الفاء فصحة  
أي قبل عذره فخرجا  
من السفينة فادطلقا  
(حتى اذا القيا غلاما قتله)  
قيل كان الغلام يلعب مع  
الغلمان فقتل عنقه وقيل

ضرب برأسه الحائط وقيل أصبح قد بجمه بالسكين (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام (أقتلت نفسا ﴿٧٣٠﴾ بكثرة ﴿٧٣٠﴾  
زكية) طاهرة من الذنوب وقرى زكية (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين  
سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحسان لانه الاقرب الى الوقوع



نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم يجعل ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام ههنا من جله الشرط  
وابراز ما صدر عن موسى عليه الصلاة والسلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع أن الحقيق بذلك انما هو ما صدر  
عن الخضر عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراق النفس الى مزيد خبرها لثقل وقوعها في نفس  
الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك ﴿ ٧٣١ ﴾ روعيت تلك التكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور

الخوارق منه عليه الصلاة  
والسلام خرج بوقوعه  
مرة تخرج العادة فانصرف  
النفس عن ترقبه الى ترقب  
أحوال موسى عليه الصلاة  
والسلام هل يحافظ  
على مراعاة شرطه بموجب  
وعده الاكيد عند مشاهدة  
خارق آخر أو يسارع  
الى المناقسة كما مر في المرة  
الاولى فكان المقصود  
افادة ما صدر عنه  
عليه الصلاة والسلام  
ففضل ما فعل والله درسان  
التزليل وأما ما قيل  
من أن القتل أقبح  
والاعتراض عليه أدخل  
فكان جديرا بأن يجعل عدة  
في الكلام فليس من دغم  
الشبهة في سئ بل هو  
مؤيد لها فان كون القتل  
أقبح من مبادئ فله  
صدوره عن المؤمن العاقل  
وندره وصول خبره الى  
الاسماع وذلك مما يندى  
جعله متصوفا بالذات  
وكون الاعتراض عليه  
ادخل من موجبات كثرة  
صدوره عن كل عاقل  
وذلك مما لا يقتضى جعله

بكثره أموالهم واتباعهم وبين تعالى بالوجوه الكثيرة ان قولهم فاسد وشبهتهم باطله وذكر  
فيه المثليين المتقدمين قال بعده ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وهو اشارة  
الى ما سبق والتصريف يقتضى التكرير والامر كذلك لانه تعالى أجاب عن شبهتهم التي  
ذكروها من وجوه كثيرة ومع تلك الجوابات الشافية والامثلة المطابقة فهو لاء الكفار  
لا يتركون المجادلة الباطلة فقال وكان الانسان أكثر شئ جدلا أي أكثر الاشياء التي يتأتى  
منها الجدل واتصاف قوله جدلا على التمييز قال بعض المتحققين والآية دالة على ان الانبياء  
عليهم السلام جادلوه في الدين حتى صاروا هم مجادلين لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين  
وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ثم قال وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى  
ويستغفروا منهم وفيه **البحث الاول** قالت المعتزة الآية دالة على انه لم يوجد  
ما يمنع من تقدم على الايمان وذلك يدل على فساد قول من يقول انه حصل المانع قال  
أصحاب العلم بانه لا يؤمن من مضاد لو جود الايمان فاذا كان ذلك العلم قائما كان المانع  
قائما وأيضا حصول الداعي الى الكفر قائم والا لما وجب لان الفعل الاختياري بدون  
الداعي محال ووجود الداعي الى الكفر مانع من حصول الايمان واذا ثبت هذا ظهر ان  
المراد مقدار الموانع المحسوسة (البحث الثاني) المعنى انه لما جاءهم الهدى وهو الدليل  
الدال على صحة الاسلام وثبت انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية  
حاصلة والاعتذار زائلة فلم يقدموا على الايمان ثم قال تعالى الا أن تأتيهم سنة الاولين  
وهو عذاب الاستئصال أو يأتيهم العذاب قبلا قرأ حزة وطاصم والكسائي قبلا  
بضم القاف والياء جيبا وهو جمع قبيل بمعنى ضروب من العذاب تتواصل مع كورهم  
أحباء وقيل مقابلة وعيانا والياقون قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا أيضا وروي  
صاحب الكشاف قبلا بفتحين أي مستقبلا والمعنى انهم لا يقدمون على الايمان الا  
عند نزول عذاب الاستئصال فيهلكوا أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال  
بئسائهم في الحياة الدنيا واعلم انهم لا يقدمون على الايمان الاعلى هذين الشرطين  
لان العاقل لا يرضى بحصول هذين الامرين الا ان حالهم شبه بحال من وقف العمل  
على هذين الشرطين ثم بين تعالى انه انما ارسل الرسل مبشرين بالشواب على الطاعة  
ومنذرين بالعقاب على العصية لكي يؤمنوا طوعا وبين مع هذه الاحوال انه يوجد من  
الكفار المجادلة بالباطل لغرض دحض الحق وهذا يدل على ان الانبياء كانوا يجادلونهم  
لما ينالون المجادلة انما تحصل من الجانبين وبين تعالى أيضا انهم اتخذوا آيات الله وهي  
القرآن وانذارات الانبياء هزا وكل ذلك يدل على استيلاء الجهل والقسوة قال الصوريون  
ما في قوله وما أنذروا يجوز ان تكون موصولة ويكون السائد من الصلة محذوفا ويجوز  
أن تكون مصدرية بمعنى انذارهم **قوله تعالى** (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض  
عنها ونسى ما قدمت يدها انما جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان

كذلك (انما جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) قيل معناه أنكروا من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل  
الامر أظلم من التكر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة (قال ألم أهلك انك لن تستطيع معي  
صبرا) زيد لك زيادة المكابحة بالعقاب على رفض الوصية وقلة الثبوت والصبر لما تكرر منه الاشمزاز والاستنكار  
ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد

في التكبير في المرة الثانية ( قال ) أي موسى عليه الصلاة والسلام ( أن سألتك عن شيء بعدها ) أي بعد هذه المرة ( فلانصاحيني ) وقرئ من الافعال أي لا تجعلني صاحبك ( قد بلغت من لدني عذرا ) أي قد أهدرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات \* عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استخيا فقال ذلك لوليت مع صاحبه لا يبصر أعجب الا عجيب وقرئ \* ٧٣٢ \* ادنى بتخفيف التثنية وقرئ بسكون الدال

كعضد في عضد (فانطلقا)  
حتى اذا أتيا أهل قرية  
هي انطاكية وقيل أيلة  
وهي أبعد أرض الله  
من السماء وقيل هي برقة  
وقيل بلدة بأندلس \*  
عن النبي صلى الله عليه وسلم  
كانوا أهل قرية لثاما  
وقيل شر القرى التي  
لا يضاف فيها الضيف  
ولا يعرف لابن السبيل حقه  
وقوله تعالى ( استطعما  
أهلها ) في محل الجر على انه  
صفة تقرر بقوله العدول  
عن استطعما هم على  
أن يكون صفة للاهل لزيادة  
تشبيهمهم على سوء صنيعهم  
فان الاباء من الضيافة وهم  
أهلها فاطنون بها أفصح  
وأشنع روى السهلباطا  
في القرية فاستطعما هم  
فلم استطعموها واستضافهم  
( فابوا أن يضيفوهما )  
بالتشديد وقرئ بالتخفيف  
من الاضافة يقال ضافه  
اذا كان له ضيفا وأضافه  
وضيفه أنزله وجعله ضيفاه  
وحقيقة ضاف مال اليد من  
ضاق السهم عن الغرض  
ونظيره زاره من الأزوار

تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا بدا ورك الغفور ذوارجة لو يؤاخذهم بما كسبوا  
لجعل لهم العذاب بل لهم موعدان يجدوا من دونه موثلا وتلك القرى أهلكتناهم لماطلوا  
وجعلنا لهملكهم موعدا اعلم انه تعالى حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده  
بالصفات الموجبة للخرى والخذلان (الصفة الأولى) قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه  
أي لاظم اعظم من كره من ترد عليه الآيات والبيئات فيعرض عنها ونسي ما قدمت بده  
أي مع اعراضه عن التأمل في الدلائل والبيئات يتناسى ما قدمت بده من الاعمال المنكرة  
والمذاهب الباطلة والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم (الصفة  
الثانية) انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراوان تدعهم الى الهدى  
فلن يهتدوا اذا بدا وقد مر تفسير هذه الآية على الاستقصاء في سورة الانعام والمجب أن  
قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت بده متمسك بالتدوية وقوله  
انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الى آخر الآية متمسك بالجبرية وقلنا نجد في القرآن  
آية لاحد هذين الفريقين الاومعها آية للفريق الآخر والتجربة تكشف عن صدق قولنا  
وما ذلك الا امتحان شديد من الله تعالى أقاءه على عباده ليميز العلماء الراسخون من المقلدين  
ثم قال تعالى ورك الغفور ذوارجة الغفور البليغ المغفرة وهو اشارة الى دفع المضار  
ذوارجة الموصوف بالرحمة وانما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لافي الرحمة لان المغفرة ترك  
الاضرار وهو تعالى قد ترك مضارا لانهاية لها مع كونه قادر اعليها افاضل الرحمة فهو مشاه  
لان ترك المانهاية له ممكن اما فعل المانهاية له محال ويمكن أن يقال المراد انه يغفر كثيرا  
لانه ذوارجة ولا حاجة به اليها فيهم من المحتاجين كثيرا ثم اشتبهه بترك مواخذة أهل  
مكة عاجلا من غير ايمان مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل لهم  
موعد وهو ايام يوم القيامة واما في الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح لن يجدوا من دونه  
موثلا منجوا ولا ملجأ قال وأل اذا جأ ووال اليه اذا جأ اليه ثم قال تعالى وتلك القرى يريد  
قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان  
أسماء الاشارة توسف باصناف الاجناس وأهلكتناهم خبر والمعنى وتلك اصحاب القرى  
أهلكتناهم لماطلوا مثل ظلم أهل مكة وجعلنا لهملكهم موعدا أي وضربنا لاهلاكهم  
وقتامعلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الالهلاك او وقته وقرئ  
لهملكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد  
وقت أو مصدر والمراد انا جعلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان يضرب له وقتا ليكونوا الى  
التوبة أقرب قوله تعالى (واذ قال موسى لقتله لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو امضي  
حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لقتله آتينا  
عداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرايت اذا آوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت  
وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتد على

( فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض ) أي يداني أن يسقط فاستعيرت الارادة للمشاركة \* آثارهما \*  
للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من النقض يقال قضضته فانقض ومنه  
انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو فملال من النقض كاحر من الحجرة وقرئ أن ينقض  
من النقض وأن ينقض

من انقضت السن اذا انشقت طولاً ( فأقامه ) قيل مسحه يدم مقام وقيل نفضه و بناه وقيل أقامه بعمود عمده به قيل كان معكم مائة زراع ( قل لو شئت لاتخذت عليه أجرا ) تحر يضاله على أخذ الجمل لينتشابه أوتعرب يضاباً به فصول للمنفق من النبي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يملك الصبر واتخذ الفعل من اتخذ بمعنى خذ كاتب من تبع وليس من اخذ عند البصر بين ﴿ ٧٣٣ ﴾ وقرئ لاتخذت أي لاتخذت وقرئ بادغام الفال في التاء ( قاه )

أي الخضر عليه الصلاة والسلام ( هذا قرأ )  
 بينو بينك ( على اصفا المصدر الى الظرف اتساعاً وقد قرئ على الاصل والمشار اليه امانفس الفراق كما في هذا أخوك أو الوقت الحاضر أي هذا الوقت وقت فراق بينو بينك أو السؤال الثالث أي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود ( سأنبئك ) السين للتأكيد عدم تراخي التنبئة ( بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ) التأويل يرجع الشيء الى مآله والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المتبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية و خلاص ابوي القلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج البتيمين للكثرة وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون

آثارهما قصصاً ) اعلم ان هذا ابتداء قصة الثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي ان موسى عليه السلام ذهب الى الخضر عليهما السلام ليتعلم منه العلم وهذا وان كان كلاماً مستقلاً في نفسه الا انه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين امانتم هذه القصة في الرد على الكفار الذين اقتضروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والاذصار فهو ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على ان التواضع خبير من التكبر واما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا للكفار مكة ان اخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي والافلا وهذا ليس بشيء لانه لا يلزم من كونه نبياً من عند الله تعالى أن يكون طالما بجميع القصص والوقائع كما ان كون موسى عليه السلام نبياً صادقاً من عند الله لم يمنع من امر الله اياه بان يذهب الى الخضر ليتعلم منه فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين ( المسئلة الثانية ) أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن سعيد بن جبيرة انه قال لابن عباس ان نوحاً ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس صاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشاب بن يوسف بن يعقوب وقيل هو كان نبياً قبل موسى بن عمران قال ابن عباس كذب عدو الله واعلم انه كان ليوسف عليه السلام ولدان افرائيم وميشافولدا فرائيم نون وولد نون يوشع بن نون وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته واما ولد ميشافيل انه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران ويزعم أهل التوراة انه هو الذي طلب هذا العلم ليتعلم والخضر هو الذي خرق السفينة وقتل القلام وأقام الجدار وموسى بن ميشامعه هذا هو قول جمهور اليهود واهج القفال على صحة قولنا ان موسى لهذا هو صاحب التوراة قال ان الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه الا وأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة الشبهة كما انه لما كان المشهور في العرف من أي حنيقة رحمة الله هو الرجل المعين فلوزد كرنا هذا الاسم وارادناه رجلاً سواه لقبدها مثل أن تقول قال أبو حنيفة الدينوري \* ووجه الذين قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه تعالى بعد ان أنزل التوراة عليه وكله بلا واسطة وحج خصمه بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكثر كابر الانبياء بعد أن بعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة وأجيب عنه بأنه لا يبعد ان العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من دونه وهذا امر متعارف معلوم ( المسئلة الثالثة ) اختلفوا في فتي موسى فلا كثرون على انه يوشع بن نون وروي القفال عن سفبان بن عينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي هريرة عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول قناه يوشع بن نون والقول

أن يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعرب يض به عليه الصلاة والسلام وعتاب ( اما السفينة ) التي خرقتها ( فكانت لساكين ) الضعفاء لا يقدررون على مدافعة الغلظة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمني وخسة ( يملون في البحر ) واسناد العمل الى الكل حيثذا انما هو بطريق التغليب أو لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين ( فأردت أن أعيبها )

اي اجلها ذات حبيب ( وكان وراءهم ملك ) اى امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لامحالة واسعة  
يطلب بن كركرو قيل من ثوب بن جلد بن الازدي ( ياخذ كل سفينة ) اى صالحه وقد قرئ كذلك ( غصبا ) من اصحابها  
وانتهابه على انه مصدر ميم لتويع الاخذ ولعل تفرغ ارادة تسيب السفينة على مسكنها اصحابها قبل بيان خوف النصب  
مع اومدارها كلالا امرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التأويل ﴿ ٧٣٤ ﴾ والايذان بان الاقوي في المدارية

الثاني ان فني موسى اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى عليه السلام في هذا السفر ( والقول  
الثالث ) روى عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله واذا قتل موسى لقتله لا ابرح قال يعني عبده  
قال القفال واللغة تحمل ذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم  
عبدى وامتى ويلقل فتاى وقتاى وهذا يدل على انهم كانوا يسمون الصدق والامة فتاة  
( المسئلة الرابعة ) قيل ان موسى عليه السلام لما اعطى الألواح وكلمه الله تعالى قال من  
الذى افضل منى واعلم قيل عبد الله يسكن جزائر البحر وهو الخضر وفي رواية اخرى ان  
موسى عليه السلام لما اوتي من العلم ما اوتي ظن انه لا أحد مثله فاتاه جبريل عليه السلام  
وهو يساحل البحر قال يا موسى انظر الى هذا الطير الصغير يهوى الى البحر يضرب  
بنقاره فيه ثم يرتفع فانت فيما اوتيت من العلم دون قدر ما يحمل هذا الطير بنقاره من البحر  
قال الاصوليون هذه الرواية ضعيفة لان الانبياء يجب ان يعلموا ان معلومات الله لانها  
لها وان يعلموا ان معلومات الخلق يجب كونها متناهية وكل قدر متناه فان الزائد عليه  
يمكن فلا مرتبة من مراتب العلم الا فوقها مرتبة ولهذا قال تعالى وفوق كل ذي علم  
عليم واذا كانت هذه المقدمات معلومة فمن المستبعد جدا ان تقطع العاقل بانه لا أحد  
اعلم منى لاسيما موسى عليه السلام مع علمه الوافر بمقتضى الاشياء وشدة برأته عن  
الاخلاق الذميمة كالعجب والتب والصلف ( والرواية الثالثة ) قيل ان موسى عليه السلام  
سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكركنى ولا ينساني قال فآى عبادك افضى  
قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فآى عبادك اعلم قال الذى يتغنى علم الناس  
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال موسى عليه السلام  
ان كان في عبادك من هو اعلم منى فاد لنى عليه فقال اعلم منك الخضر قال فآين اطلبه قال  
على الساحل عند الصخرة قال بارب كيف لي به قال تاخذ حوتنا في مكث فحيث فقدته فهو  
هناك فقال لقتله اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا بمشيان ورقدموسى واضطرب  
الحوت وطفر الى البحر فلما جاء وقت الغذاء طلب موسى الحوت فاخبره قتله بوقوعه  
في البحر فرجع من ذلك الموضع الى الموضع الذى طفر الحوت فيه الى البحر فاذا رجل مسبح  
يشوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال واى بارضك السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى  
انا على علم علمنى الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء  
عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما يقص على وعلمك من علم الله مقدار  
ما اخذ هذا العصفور من البحر اقول نسبة ذلك القدر القليل الذى اخذه ذلك العصفور  
من ذلك الماء الى كلية ماء البحر نسبة متناه الى متناه ونسبة معلوم جميع المخلوقات الى  
معلومات الله تعالى نسبة متناه الى غير متناه فآين احدى النسبتين من الاخرى والله العالم  
بمقتضى الامور وزجع الى التفسير اما قوله تعالى لا ابرح قال الزجاج قوله لا ابرح ليس  
معناه لا ازول لانه لو كان كذلك لم تقطع ارضا اقول يمكن ان يجاب عنه بان الزوال

هو الامر الاول ولذلك  
لا يلى بتخليص سفر  
سل الناس مع تحقق  
خوف النصب في حقهم  
أهنا ولان في الأخير  
فسلامين السفينة  
تخبرها مع توهم  
بجوعه الى الاقرب  
او اما الفلام الذى  
لله ( فكان ابواه  
مذنبين ) لم يصح بكفرانه  
او بكفره اشعار بعدم  
الحاجة الى الذكر  
لظهوره ( فحسبنا ان  
رهنهما فحسبنا ان يغشى  
الوالدين المؤمنين  
اطمئنانا ) عليهما  
وكفرا ( نعمتهما  
بعقوبه وسوء صنيعه  
ويحقق بهما شرو بلاه  
او يقصرن بآيانهما  
اطمئنانه وكفره فيجتمع  
في بيت واحد مؤثمان  
وطاغ كافر او يعديهما  
بدانه ويضلمها بضلاله  
فيرتد بسببه وانما خشى  
الخضر عليه الصلاة  
والسلام منه ذلك لان الله  
سبحانه اعلمه بحاله  
وأطلع على سر أمره

وقرئ فيخاف ربك اى كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون ﴿ عن ﴾  
القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرتها كقوله تعالى لا هبلك ( فاردنا ان يبدلها ربهما خيرا ) منه بان  
يرزقهما بدله ولدا خيرا ( منه ) وفي العرض اعوان الرب بوياسة والاضافة اليهما مالا ينفى من الدلالة على ارادة  
وصول الخير اليهما ( زكوة ) طهارة من الذنوب

والاخلاق الرديئة (وأقرب رحا) أي رخصة وعظما قبل ولدت لها جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل ابدلها بالثمن وقيل ابدلها بالثمن وقيل ابدلها بالثمن وقيل ابدلها بالثمن وقيل ابدلها بالثمن  
 الخاء أيضاً واتصافه على التمييز مثل زكوة (وأما الجدار) المهود (فكان لفلان يمين في المدينة) هي القرية المذكورة  
 فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة ﴿ ٧٣٥ ﴾ لاظهار نوع اعتدادها باصداقها من التيمين وأيهما الصالح قبل

اسماهما اصرم وصريم  
 واسم المقتول جيسور  
 ( وكان تحته كزلهما )  
 من فضة وذهب كما روى  
 مرفوعاً والدم على  
 كزهما في قوله عز وجل  
 والذين يكتزون الذهب  
 والفضة لمن لا يؤدى  
 زكاتها وسائر حقوقها  
 وقيل كان لوحاً من ذهب  
 مكتوباً فيه عجبت لمن  
 يؤمن بالقدر كيف يحزن  
 وعجبت لمن يؤمن بالرزق  
 كيف يتعب وعجبت  
 لمن يؤمن بالموت كيف  
 يفرح وعجبت لمن يؤمن  
 بالحساب كيف يفعل  
 وعجبت لمن يعرف الدنيا  
 وتقلبها باهلها كيف  
 يطمن اليها لا اله الا الله  
 محمد رسول الله وقيل صحف  
 فيها علم ( وكان أبوهما  
 صالحاً ) تنبيه على أن  
 سميه في ذلك كان  
 اصلاحه قيل كان بينهما  
 وبين الاب الذي حفظنا  
 فيه سبعة آيات ( فارادريك )  
 أي ما لكك ومدبر  
 امورك في اضافة الرب  
 الى ضمير موسى عليه

عن الشيء عبارة عن تركه والاعراض عنه يقال زال فلان عن طريقته في الجود أي تركها  
 قوله لأبرح بمعنى لأزول عن السير والذهاب بمعنى لا أترك هذا العمل وهذا الفعل  
 وأقول المشهور عند الجمهور ان قوله لأبرح معناه لأزول والعرب تقول لأبرح  
 ولا أزال ولا أنفك ولا أفتأ بمعنى واحد قل القفال وقالوا أصل قولهم لأبرح من البراح  
 كما أن أصل لأزال من الزوال يقال زال يزاو ويذول كما يقال دام يدام ويدوم ومات  
 يمات ويموت الا ان المستعمل في هذه اللفظة يزال فقوله لأبرح أي أقيم لان البراح هو  
 العدم فقوله لأبرح يكون عدماً لعدم فيكون ثبوتاً فقوله لأزال ولا أبرح يفيد الدوام  
 والثبات على العمل فان قيل اذا كان قوله لأبرح بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلنا حذف  
 الخبر لان الحال والكلام يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفر وأما الكلام فلان  
 قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي سيأهي غاية له فيكون المعنى لأبرح  
 أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ويحتمل أن يكون المعنى لأبرح مما أنا عليه يعني أزم المسير  
 والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لأبرح المكان وأما مجمع البحرين فهو  
 المكان الذي وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم  
 مما يلي المشرق وقيل غيره وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح بالخبر  
 الصحيح شيء فذاك والاولى السكوت عنه ومن الناس من قال البحران موسى والخضر  
 لانهما كانا بحرى العلم وقرى مجمع يكسر الميم ثم قال أو أمضى حبياً أي أسير زماناً طويلاً  
 وقيل الحقب ثمانون سنة وقد تكلمنا في هذا اللفظ في قوله تعالى لا بين فيها أحقاباً وحاصل  
 الكلام ان الله عز وجل كان أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال  
 موسى عليه السلام لا أزال أمضى حتى يجتمع البحران فيصير البحر واحداً وأمضى دهرًا  
 طويلاً حتى أجده هذا العالم وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب  
 الشديد والعناء العظيم في السفر لاجل طلب العلم وذلك تنبيه على ان المتعلم لو سافر من  
 المشرق الى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك ثم قال تعالى فلما بلغا مجمع بينهما  
 والمعنى فانطلقا الى ان بلغا مجمع بينهما والضمير في قوله بينهما الى ماذا يعود فيه قولان  
 ( الاول ) مجمع بينهما أي مجمع البحرين وهو كما أنه إشارة الى قول موسى لأبرح حتى أبلغ  
 مجمع البحرين أي خفق مقاله ( والقول الثاني ) ان المعنى فلما بلغ الموضع الذي يجتمع  
 موسى وصاحبه الذي كان يقصده لان ذلك الموضع الذي وقع فيه نسيان الحوت هو  
 الموضع الذي كان يسكنه الخضر أو يسكن بقر به ولاجل هذا المعنى لما رجع موسى  
 وفناه بعد أن ذكر الحوت صار إليه وهو معنى حسن والمفسرون على القول الاول ثم قال  
 تعالى نسيان حوتها وفيه ما بحث ( البحث الاول ) الروايات تدل على انه تعالى بين لموسى  
 عليه السلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين الا أنه تعالى جعل انقلاب الحوت حياً  
 علامة على مسكنه المعين كمن يطلب انساناً يقال له ان موضعه محلة كذا من الرى فاذا

الصلاة والسلام دون ضميرها تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الاتقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب  
 الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ( أن يلعا أشدهما ) أي حلهما وكال رأيهما ( ويستخرجها  
 كزهما ) من تحت الجدار ولولا أني أفقه لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتبئته  
 وضاع بالكلية

جلت بن كركم) مصدر في موقع الحال أي من جو من منظر وجعل أو شعول له أو مصدره وكذا لا رادفان أراذلة الخيرة الخفة  
 وانتطابها على بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رجحة من ريلتو بعضه إضافة الرب إلى صيغ  
 مع أمدا حتى بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رجحة من ريلتو بعضه إضافة الرب إلى صيغ  
 مع أمدا حتى بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رجحة من ريلتو بعضه إضافة الرب إلى صيغ  
 أشارت إلى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى للبعد لا يذان ﴿ ٧٣٦ ﴾ بعد درجتها في القحامة

( تأويل ما لم تستطع )  
 أي لم تستطع فحذف التاء  
 للتخفيف ( عليه صبرا )  
 من الأمور التي رآته  
 أي ماله وما قبله فيكون  
 إنجازا للنبذة الموعودة  
 أو إلى البيان نفسه  
 فيكون التأويل بمعنى  
 وعلى كل حال فهو  
 فذلك لما تقدم وفي جعل  
 الصلة عين ما مكرر  
 للكبر وتشديد العتاب  
 ( تنبيه ) \* اختلفوا  
 في حياة الخضر عليه  
 الصلاة والسلام قبيل  
 انه حي وسببه انه كان  
 على مقدمة ذى القرنين  
 فلما دخل الطلمات أصاب  
 الخضر عين الحياة  
 فنزل واغتسل منها  
 وشرب من مائها وأخطأ  
 ذوا القرنين الطريق  
 فعاد قالوا والياس أيضا  
 في الحياة يلتقيان كل  
 سنة بالموسم وقيل انه  
 ميت لما روى أن النبي  
 عليه الصلاة والسلام  
 صلى العشاء ذات ليلة  
 ثم قال أرايتكم ليلتكم  
 هذه فان رأس مائة

انتهت إلى المحلة فسل فلان عن داره وأين ما ذهب بك فاتبعه فالتك تصل إليه فكذا ههنا  
 قيل له ان موضعه مجمع البحرين فاذا وصلت إليه رأيت الحوت انقلب حيا وطفرت إلى البحر  
 فيصعد إلى قيل له فهناك موضعه ويحتمل انه قيل له فاذهب على موافقة ذهاب ذلك  
 الحوت فانك تجده اذا عرفت هذا فنقول ان موسى وفتاه لما بلغا مجمع بينهما طفرت السمكة  
 إلى البحر وسارت وفي كيفية طفرها روايات أيضا قيل ان الفتى كان يفصل السمكة لانها  
 كانت مغطاة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توصل في ذلك المكان فانتضخ الماء على الحوت  
 المالح ففأش ووثب في الماء وقيل ان العجيز هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين  
 إلى السمكة فحييت وطفرت إلى البحر فهذا هو الكلام في صفة الحوت ( البحث الثاني ) المراد  
 من قوله نسيان حوتها انهما نسيانيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول  
 إلى المطلوب فان قيل انقلب السمكة المألحة حيث حاله عجيبة فلما جعل الله حصول هذه  
 الحالة العجيبة دليلا على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذه المعنى  
 أحاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات القاهرة من موسى عليه السلام كثيرا فلم  
 يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان وعندى فيه جواب آخر وهو ان  
 موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري  
 تنبيه موسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على القلب والخطر  
 \* أما قوله فاتخذ سبيله في البحر سرى بآفته وجوه ( الاول ) أن يكون التقدير سرب في البحر  
 سرى بالانه أقيم قوله فاتخذ مقام قوله سرب والسرب هو الذهاب ومنه قوله وسارب  
 بالنيار ( الثاني ) ان الله تعالى أمسك اجراء الماء على البحر وجعله كالطاق والكوه حتى  
 سرى الحوت فيه فلما جاوز أي موسى وفتاه الموعد العين وهو الوصول إلى الصخرة بسبب  
 النسيان المذكور وذهبا كثيرا وتعبا وجاها قال موسى لفتاه أتناغدا نألفد لقينا من سفرنا  
 هذا نصبا قال الفتى أرايت اذ أو ينال الصخرة الهمة في أرايت همزة الاستفهام ورايت  
 على معناه الأصلي وقد جاء هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس فانه اذا حدث  
 لاحدهم أمر عجب قال لصاحبه أرايت ما حدث لي كذلك ههنا كأنه قال أرايت ما وقع  
 لي منه اذ أو ينال الصخرة فحذف مفعول أرايت لان قوله فاني نسيت الحوت يدل عليه ثم  
 قال وما أنسانيه الا الشيطان أن اذكره وفيه مباحث ( البحث الاول ) انه اعتراض وقم بين  
 المعطوف والمعطوف عليه والتقدير فاني نسيت الحوت واتخذ سبيله في البحر عجب والسبب  
 في وقوع هذا الاعتراض ما يجري مجرى العذر والطة لوقوع ذلك النسيان ( البحث  
 الثاني ) قال الكعبى وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره يدل على انه تعالى ما خلق ذلك  
 النسيان وما أراد به الا كانت اضافته إلى الله تعالى أوجب من اضافته إلى الشيطان لانه  
 تعالى اذا خلقه فيه لم يكن لسعي الشيطان في وجوده ولا في عده أثر قال القاضي والمراد  
 بالنسيان أن يشغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد

سنة منها لا يبقى من هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيث نجا لما عاش بعد مائة عام روى ( الذكر )  
 أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يغارقه قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحديث به واطلبه لتعمل به ( ويسألونك  
 عن ذى القرنين ) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سألوه قریش يتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم  
 على ذلك الى ورود الجواب

وهو ذو القرنين الأكبر وأسمه الاسكندر بن فيلفوس اليوناني وقال ان اسمي اسمه من زبان من مردويه من ولد  
 نافتس نوح عليه الصلاة والسلام وكان اسود وقيل اسمه عبدالله بن اذنيك وقيل مصعب بن عبدالله بن قسان بن  
 منصور بن عبدالله بن الازر بن عون بن ٦٣٧ زبدي كهلا بن سنان بن عرب بن حار وقيل السهلي قيل ان اسمه

مردمان مدركة ذكره  
 ابن هشام وهو اول  
 سبابة وقيل انه افريدون  
 بن انعمان بن قيس  
 اصح كذا في ربيع  
 الموت في سنة  
 اثاره في سنة  
 احواله في سنة  
 هو ابو كرب بن  
 بن ابي يقين  
 الحميري وان ملكه  
 مشارق بخرم ومعار  
 ها هو والدي اشتره  
 الشيخ في سنة  
 كان في القرنين  
 سبابة ما كانا في  
 المرض سنة  
 المشارق والمعارب يدعي  
 اسباب امر من حكيم  
 من سنة و جعل هذا البول  
 اور لان ادوا كانوا  
 من ايران المشارقي  
 نوس وذي النور وذي  
 رعس وذي بن وذي  
 بن قال انه ام راري  
 وادول هو اظهر من  
 من اعلم من السنة  
 واتوه الى العلية الى  
 نطقها الى بل الجبل  
 انها هو لاسكندر اليوناني  
 في شهيدية اسوارخ  
 يروي انها مات ابو جمع

الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الامم قبل الله تعالى (البحث الثالث) فواله ان ذكره بدل  
 من لهاء في اسانيه اي ما انساني ذكره ام السيطان ثم قال واتخذ سدله في بحر عجاوويه  
 وجوه (الاول) ان قوله عجاوويه مصدر محذوف كأنه قيل واتخذ سدله في البحر اتخذ اذا  
 عجاوويه كونه عجاوويه من الماكل وصيرورة حيا وانهاء منه في البحر على عمله  
 منها (وانني) ان يكون المراد منه ما ذكرنا انه تعالى جعل الماء عجاوويه كذا في  
 (الثالث) قيل انه تم الكلام عند قوله واتخذ سدله في البحر ثم قال بعد عجاوويه  
 تعبته من تلك العجبة التي رآها ومن سببها لها وقيل ان قوله عجاوويه حكاية لحيات موسى  
 وهو اس بقوله ثم قال تعالى قال ذلك ما كنا نبع أي قال موسى ذلك الذي ادى كذا اطلعه  
 أماره انظر ما مطلوب وهو انما لضرر قوله مع سله في حديثنا يا اظفر اللئيم ف دلالة  
 الكسرة عليه وكان القياس ان لا يحدف لانهم انما يحدفون في الاصل وهذا فعل  
 الا انه قد تجرور على ضعف القياس حدوها بها تحذف مع اسما كن الذي يكون بعدها  
 كقواك ما سعي اليوم فلما حدفت مع السالك حدث انصاع سيرا س كن ثم قال فارتدا  
 على آراهما أي فرحا وقوية قصصا ويدر (جها) نه مصدر في موضع الحال  
 أي رحما على آثارهما مرة صين ابارهم (وانني) أي يكون مصدرنا قوله فارتدا على  
 آراهما لان معناه فاصصا على ثرهم وحصل الكلام ارحما لما عرنا ارحما تجاورا  
 عن الموضع الذي يسكن فيه ذلك المرحم رحما وعاد انه والله أحم قوله تعالى  
 ووجدنا عبادا مرنين اننا رحمة من عندنا وحننا من دنا فلما قال له موسى هن  
 اتمت على ان تعين بما سمعت سدا قال ان من يدعي معي من اهل بيتي من اهل بيتي  
 حصبه حبرا قال سمعتني ان الله سارا وما أعصى بك أمرا قال فان اتبعني فلانسا  
 عن شيء حتى أجد لك منه ذكرا في الآية مسال (المسئلة الاول) قوله فوجدنا عبادا  
 من سادنا فيه بخنان (البحث الاول) قال اذا نثرون ان ذمت العبد كان دنا واحصوا  
 عدد بوجوه (الاول) انه تعالى قال آيينه رحمة من عندنا والرحمة هي اسمة بدليل قوله  
 تعالى أهم يسعون رحمة بك وقال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك كتاب الرحمة من ربك  
 والمراد من هذه الرحمة اسوة ولقائل أن يقول نسلم ان السوء رحمة اما لا يلزم أن يكون  
 كل رحمة نبوه (الحجة الثانية) قوله تعالى وهما من دنا فلما وهذا يصدق انه تعالى  
 علمه لا بواسطة تعبير معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة اسروحت أن  
 يكون دنا يعلم الامور بالوحى من الله وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم احصورت  
 تحصل اتراء من عبدالله وذلك يدل على اسوة (الحجة ثالثة) ان موسى علمه السلام  
 قال هل أتبعك على أن تعلني وانني لا يسع غير اس في اعلم وهذا انصاف ضعيف لان  
 اس لا يتبع غير اني في العلوم الى باعتبارها صار بيا أماني غير انك العلوم ولا (الحجة  
 الرابعة) ان ذلك العبد اظهر الترفع على موسى حيث قال له و كيف تصبر على ما لم تحط به حبرا

ملك الروم بعد ان ٩٣ حكا كان طوائف ثم وصدم ملك العرب وقهرهم ثم آمن حتى ادهى الى البحر الاحمر ثم  
 عاد الى مصر فبنى الاسكندرية

وسماها لاسمته ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية ونياب ابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دار ابن دارا وهرزه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وقبضه و بنى مدينة \* ٧٣٨ \* سرديب وغيرها من المدن العظلم ثم قصد الصين

وأما موسى فانه اظهر التواضع له حيث قال لأعصى لك أمر او كل ذلك يدل على ان ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها فلم قلتم ان ذلك لا يجوز فان قالوا لانه يوجب التنفير قلنا فارسال موسى الى التعلم منه بعد انزل الله عليه التوراة ونكليه بغير واسطة يوجب التنفير فان قالوا ان هذا لا يوجب التنفير فكذا القول فيما ذكروه (الحجة الخامسة) احتج الاصم على نبوته بقوله في أثناء القصة وما فطنته عن أمرى ومعناه فعله بوحى الله وهو يدل على النبوة وهذا أيضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر (الحجة السادسة) ماروى ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا بنى اسرائيل فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا قال الذى بعثك الى قالوا وهذا يدل على انه انما عرف ذلك بالوحى والوحى لا يكون الامع النبوة واقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات (البحث الثانى) قال الاكثرون ان ذلك العبد هو الخضر وقالوا انما سمى بالخضر لانه كان لا يتقف موقفا الا اخضر ذلك الموضع قال الجبائى قد ظهرت الرواية ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بنى اسرائيل فان صح ذلك لم يجز ان يكون هذا العبد هو الخضر أو يضاف تقدير أن يكون هذا العبد هو الخضر وقد ثبت انه يجب أن يكون نبيا فهذا يقتضى أن يكون الخضر أعلى شأننا من موسى صاحب التوراة لانا قد بينا ان الالفاظ المذكورة في هذه الآيات تدل على ان ذلك كان يترفع على موسى وكان موسى يظهر التواضع له الا أن كون الخضر أعلى شأننا من موسى غير جائز لان الخضر اما أن يقال انه كان من بنى اسرائيل أو ما كان من بنى اسرائيل فان قلنا انه كان من بنى اسرائيل كان من أمة موسى لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون أرسل معنا بنى اسرائيل والامة لا تكون اعلى حال من النبي وان قلنا انه ما كان من بنى اسرائيل لم يجز أن يكون أفضل من موسى لقوله تعالى لبنى اسرائيل واتى فضلتكم على العالمين وهذه الكلمات تفوى قول من يقول ان موسى هذا غير موسى صاحب التوراة (المسئلة الثانية) قوله وعلمناه من لدنا علما يفيد ان تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم الدنية وللشيخ أبى حامد الفزائى رسالة في اثبات العلوم الدنية وأقول بتحقيق الكلام في هذا الباب ان نقول اذا أدركنا أمر من الامور وتصورنا حقيقة من الحقائق فاما ان نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لانه حكم وهو الصور وكل واحد من هذين القسمين فاما أن يكون نظرا باحصال من غير كسب وطلب واما أن يكون كسبيا أما العلوم النظرية فهى تحصل في النفس والعقل من غير كسب وطلب مثل تصور نالأم واللذة والوجود العدم ومثل تصديقنا بنى النبي والانبسات لا يجتمعا ولا يرتفعا وان الواحد نصف الاثنين وأما العلوم الكسبية فهى التى لا تكون

وغير الامم البعيدة ورجع الى خراسان و بنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زورومات انتهى كلام الامام وروى أن أهل التجوم قالوا له انك لاتموت الا على أرض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كذلك بلدة فيها يكتب ذلك بصفته وموضعه فيبلغ بابل فرحف وسطه عن دابته فبسط له دروع فنام عليها فاذا ذنه الشمس فاطلوه بتهس فنظر فقال هذه أرض من حديد و سماء من خشب فأيقن بلوت فات وهو ابن ألف وستائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساکر من انه بلغنى انه عاش سنا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا يتطبق الا على ذى القرنين الثانى كما سنده قلت وكذا ما ذكره الامام من قصدي بنى اسرائيل

وورد بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبه الى الاول واختلف في نبوته بعد \* حاصلة \* الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انما مكناه فى الارض وظهر انه متناول للممكنين فى الدين



وكاله بالنبوة وقوله تعالى وآتينا من كل شيء سببا ومن جهة الاشياء النبوة وقوله تعالى فلنا ما اذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لا خير ياذا القرنين فقال اللهم اغفر أمارضيتم أن تسموا باسماء الإنبياء حتى تسميتهم باسماء الملائكة قال ابن كثير ﴿ ٧٣٩ ﴾ والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وإنما كان ملكا صالحا

عاد لا ملك الا قائم  
وقهر أهلها من الملوك  
وغيرهم ودانت له البلاد  
وانه كان داعيا الى الله  
تعالى سائرا في الخلق  
بالمعدلة التامة والسلطان  
المؤيد المنصور وكان  
الخضر على مقدمة  
جيشه بمنزلة المستشار  
الذي هو من الملائكة بمنزلة  
الوزير وقد ذكر الازرق  
وغيره انه أسلم على يد  
ابراهيم الخليل عليه  
الصلاة والسلام فطاف  
معه بالكعبة هو واسمه  
عليهم السلام وروى  
انه حج ماشيا فلما سمع  
ابراهيم عليه الصلاة  
والسلام بقدمه تلقاه  
ودعاه وأوصاه بوصايا  
ويقال انه أتى بفرس  
ليركب فقال لا أركب  
في بلد فيه الخليل فعند  
ذلك سخر له السحاب  
وطوى له الاسباب وبشرة  
ابراهيم عليه الصلاة  
والسلام بذلك فكانت  
السحاب تحمله وعساكره  
وجميع آياتهم اذا أرادوا  
غزوة قوم وقال أبو  
الطيب سئل عنده على  
كرم الله وجهه أكان

حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يتوصل الى اكتساب تلك العلوم وهذا الطريق على قسمين (أحدهما) ان يتكلف الانسان تركيب تلك العلوم البدئية النظرية حتى يتوصل بتركيبها الى استسلام المجهولات وهذا الطريق هو المسمى بالنظر والتفكير والتدبر والتأمل والتزوي والاستدلال وهذا النوع من تحصيل العلوم هو الطريق الذي لا يتم الا بالجهد والطلب (والنوع الثاني) ان يسعى الانسان بواسطة الرياضات والمجاهدات في أن تصير القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قوى القوة العقلية واشترقت الانوار الالهية في جوهر العقل وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعى وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم الدنية اذا عرفت هذا فنقول جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد تكون النفس نفسا مشرقة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية فلا جرم كانت ابدashedيدة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والانوار الالهية فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال والتمام وهذا هو المراد بالعلم اللدني وهو المراد من قوله آتينا رحمة من عندنا وعلناه من لدنا علما وأما النفس التي ما بلغت في صفاء الجوهر واشراق العنصر فهي النفس الناقصة البليدة التي لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم الا بتوسط بشري يتخلل في تعليمه وتعلمه والقسم الاول بالنسبة الى القسم الثاني كالشمس بالنسبة الى الاضواء الجزئية وكالبحر بالنسبة الى الجداول الجزئية وكالروح الاعظم بالنسبة الى الارواح الجزئية فهذا تشبيه قليل على هذا المأخذ ورواه اسرار لا يمكن ذكرها في هذا الكتاب ثم قال تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء والشين وعن ابن عباس رضي الله عنهما بضم الراء والشين والياقون بضم الراء وتسكين الشين قال القفال وهي لغات في معنى واحد يقال رشدا ورشدة مثل نكرو ونكر كما يقال سقم وسقم وشغل وشغل وبخل وبخل وعدم وعدم وقوله رشداى علما ذار رشدا قال القفال قوله رشدا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الرشدا راجعا الى الخضر أى مما علمك الله وارشداك به (والثاني) ان يرجع ذلك الى موسى ويكون المعنى على أن تعلمني وترشدني مما علمت (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الادب والالطف عندما أراد يتعلم من الخضر (فاحدها) انه جعل نفسه تبعاله لانه قال هل اتبعك (وثانيها) ان استأذن في اثبات هذا التبعية فانه قال هل تأذن لي أن اجعل نفسي تبعالك وهذا مباينة عظيمة في التواضع (وثالثها) انه قال على أن تعلمني وهذا اقراره على نفسه بالجهد وعلى استاذة بالعلم (ورابعها) انه قال مما علمت وصيغة من للتبعض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله وهذا أيضا مشعر بالتواضع كانه يقول له لا اطلب منك أن تعلمني مساويا في العلمك بل اطلب منك ان تعطيني جزءا من اجزاء

نبيا ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا أحب الله فأحبه وناصح الله فأنصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بنى القرنين قيل لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك

الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه أوقى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذواتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فأتى ثم بشه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فأتى ثم بشه الله تعالى وقيل ﴿ ٧٤٠ ﴾ لانه رأى في منامه أنه سعد الفلك فأخذ بقرني

الشمس وقيل لانه انقرض في عهد قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه ويحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال بن كثير انه الاسكندر بن فيليس بن مصر يم بن هرمس بن ميطن بن رومي بن ابيلى بن يونان بن يافت بن تونه بن سرخون بن رومية بن تونطين نوفيل بن رومي بن الاصغر بن العزبن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسبه ابن عساکر المقتدوني اليوناني المصري باي الاسكندرية السدي يورخ بايامه الروم وكان متأخر عن الاول بدهر طويل اكثر من ألف سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بخمسة من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارابن دارا وأذل ملوك الفرس ووطى أرضهم ثم قال

عليك كما يطلب الفقير من القوي أن يدفع اليه جزءاً من اجزاء ماله (وخامسها) ان قوله مما علمت اعترافى بأن الله علمه ذلك العلم (وسادسها) ان قوله رشداً طلب منه الارشاد والهداية والارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال (وسابعها) ان قوله تعلمنى مما علمت معناه انه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه اشعار بأنه يكون انعامك على عند هذا التعليم شيهاً بانعام الله تعالى عليك في هذا التعليم ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفاً (وثامنها) ان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلاً لذلك الغير فانما اذا قلنا لا اله الا الله فاليهود الذين كانوا قبلنا كانوا يذكرون هذه الكلمة فلا يجب كوننا متبعين لهم في ذكر هذه الكلمة لانا لانقول هذه الكلمة لاجل انهم قالوا هابل انما نقولها لقيام الدليل على انه يجب ذكرها أما اذا أتينا بهذه الصلوات الخمس على موافقة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما أتينا بها لاجل انه عليه السلام أتى بها لاجرم كنا متابعين في فعل هذه الصلوات لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ثبت هذا فتقول قوله هل أتبعك يدل على انه يأتي بمثل افعال ذلك الاستاذ لاجل ان يكون ذلك الاستاذ آتياً بها وهذا يدل على ان المتعلم يجب عليه في اول الامر التسليم وترك المنازعة والاعتراض (وتاسعها) ان قوله أتبعك يدل على طلب متابعته مطلقاً في جميع الامور غير مقيد بشئ دون شئ (وطاشرها) انه ثبت بالاخبار ان الخضر عرف أولادنه نبي بنى اسرائيل وانه هو موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي كلمه الله عز وجل من غير واسطة وخصه بالمجرات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على كونه عليه السلام آتياً في طلب العلم باعظم أنواع المبالغة وهذا هو اللائق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر فكان طلبه لها أشد وكان تعظيمه لارباب العلم أكمل وأشد (والحادى عشر) انه قال هل أتبعك على ان تعلمنى فأثبت كونه تبعاً له وأولام طلب ثابيان أن يعلمه وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم (والثاني عشر) انه قال هل أتبعك على ان تعلمنى فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً كأنه قال لا اطلب منك على هذه المتابعة المال والجاء ولا غرض لى الا طلب العلم ثم انه تعالى حكى عن الخضر أنه قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المتعلم على قسمين متعلم ليس عنده شئ من العلم ولم يمارس القيل والقال ولم يتعود التقرير والاعتراض ومتعلم حصل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض ثم انه يريد ان يخاطبنا سائلاً انما كل منه ليلعب درجة التمام والكمال والتعلم في هذا القسم الثاني شاق شديد وذلك لانه اذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فر بما كان ذلك بحسب الظاهر منكراً الا انه كان في الحقيقة حقا صواباً فهذا المتعلم لاجل أنه ألف القيل والقال وتعود الكلام والجدال

ابن كثير وانما ينادى هذا لان كثير من الناس يعتقدون انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر ﴿ ينتر ﴾ فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبداً صالحاً مؤمناً

وملكا عاد لا يوزيره الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ويزيره ارسطاطا ليس  
 الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من اثنى ستة فآين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد  
 الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشهورة بالمشار الدينية بينما من المسافة مسيرة خمسة عشر  
 يوما ومحوظك عند مدنيته سيروز اسمها بلغة اليونانيين ﴿ ٧٤١ ﴾ مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي

اليوم يقع لا يقيم بها احد  
 ولكن فيها اعلام تحكي  
 كمال عظمتها في عهد  
 عمراتها ونهاية شوكة  
 واليهما وسلطانها ولقد  
 مررت بها عند القبول  
 من بعض المغازي  
 السلطانية فعاينت فيها  
 من تعجيب الآثار ما فيه  
 عبرة لاولي الابصار  
 (قل) لهم في الجواب  
 (سأتلو عليكم) أي  
 سأذركم (منه) أي  
 من ذي القرنين (ذكرا)  
 أي نبأ مذكورا وحيث  
 كان ذلك بطريق الوحي  
 المتلوح حكاية عن جهة الله  
 عز وجل قيل سأتلوا  
 سأتلو في شأنه من جهته  
 تعالى ذكرا أي قرآنا  
 والسين للأكبر والدلالة  
 على التحقق المناسب  
 لمقام تأييد عليه الصلاة  
 والسلام وتصديقه  
 بانجاز وعده أي لا ترك  
 التلاوة البتة كما في قول  
 من قال \* سأشكر عمران  
 تراخت مني \* أي ادى له  
 تمن وان هي جلت \* لا  
 للدلالة على أن التلاوة

يغتر بظاهرة ولاجل عدم كماله لا يقف على سره وحقيقته وحينئذ يقدم على النزاع  
 والاعتراض والمجادلة وذلك مما يشغل سماعه على الاستاذ الكامل المتبحر فاذا اتفق بمثل  
 هذه الواقعة مرتين أو ثلاثة حصلت الثغرة التامة والكرهية الشديدة وهذا هو الذي  
 اشار اليه الخضر بقوله انك لن تستطيع معي صبرا اشارة الى أنه ألف الكلام وتعود  
 الاثبات والابطال والاستدلال والاعتراض وقوله وكيف تصير على ما لم تحط به خيرا اشارة  
 الى كونه غير طام بمخافتة الاشياء كما هي وقد ذكرنا انه متى حصل الامر ان يصعب السكوت  
 وعسر التعليم وانتهى الامر بالآخرة الى الثغرة والكرهية وحصول التقاطع والتنافر  
 (المسئلة الثانية) احيج أصحابنا بقوله انك لن تستطيع معي صبرا على ان الاستطاعة  
 لا تحصل قبل الفعل قالوا لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعل لكانت  
 الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم أن يصير قوله انك  
 لن تستطيع معي صبرا كذا ولما بطل ذلك علمنا أن الاستطاعة لا توجد قبل الفعل اجاب  
 الجبائي عنه ان المراد من هذا القول انه يشغل عليه الصبر لأنه لا يستطيعه يقال  
 في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسها اذا كان يشغل عليه ذلك ونظيره  
 قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع أي كان يشغل عليهم الاستماع فيقال له هذا عدول عن  
 الظاهر من غير دليل وانه لا يجوز وأقول بما يوجب كدهذا الاستدلال الذي ذكره الاصحاب  
 قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا استبعد حصول الصبر على ما لم يقف الانسان  
 على حقيقته ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة على العلم حاصلة قبل  
 حصول ذلك العلم ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند عدم ذلك العلم مستبعدا  
 لان القادر على الفعل لا يبعد منه اقدمه على ذلك الفعل ولما حكم الله باستيعاده علمنا  
 أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل ثم حكى الله تعالى عن موسى انه قال سجدني ان شاء  
 الله صابرا ولا أعصى لك أمرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احيج الطاعنون في عصمة  
 الله الانبياء بهذه الآية فقالوا ان الخضر قال لموسى انك ان تستطيع معي صبرا وقال  
 موسى سجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا وكل واحد من هذين القولين يكذب  
 الآخر فيلزم الحاق الكذب بأحدهما وعلى التقدير بن فيلزم صدور الكذب عن  
 الانبياء عليهم السلام والجواب أن يحمل قوله انك لن تستطيع معي صبرا على الأكثر  
 الاغلب وعلى هذا التقدير فلا يلزم ما ذكره (المسئلة الثانية) لفظة ان كان كذا تعيد  
 الشك فقوله سجدني ان شاء الله صابرا معناه سجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا  
 وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله هل يريد كونه صابرا أم لا ولا شك ان الصبر في مقام  
 التوقف واجب فهذا يقتضي ان الله تعالى قد لا يريد من العبد ما أو جبه عليه وهذا يدل  
 على صحة قولنا ان الله تعالى قد يأمر بالشيء مع أنه لا يريد به فالتعريف هذه الكلمة انما  
 تنحصر بطيعة للانسان فيما يريد الانسان أن يفعله في المستقبل فيقال لهم هذا الادب ان

ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصبة بل موصولة بما بعدها مما يمسأ لوجه عليه الصلاة  
 والسلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم عليه الصلاة والسلام انوني غدا أخبركم فأبطأ عليه الوحي  
 خمسة عشر يوما أو أربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل (انا مكناله في الارض) شروع في تلاوة الذكرك  
 المعهود حسبا هو المعهود التمكن

هنا اعداد وعهدا لاسباب اعماله ومكن له ومعنى الاول جملة قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتعارفهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما قوله عز وجل لا يمكنكم في الارض ما لم يمكن في المال والاستظهار بالهدى والاسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم يجعله لكم من القوة والسعة

صحيح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأى أدب في ذكر هذا الكلام الباطل (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ولا عصي لك أمر ابدل على ان ظاهر الامر يفيد الوجوب لان تارك المأمور به خاص بدلالة هذه الآية والعامي يستحق العقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وهذا يدل على ان ظاهر الامر يفيد الوجوب (المسئلة الرابعة) قول الخضر لموسى عليه السلام وكيف تصبر على ما لم يحط به خبر ان نسبة الى قلة العلم والخبر وقول موسى له سبحدني ان شاء الله صاروا ولا عصي لك أمر اتواضع شديدواظهار للتخمل التام والتواضع الشديد وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع باقصى الغايات وأما المعلم فان رأى ان في التخليط على المتعلم ما يفيد نفعاً وارشاداً الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم في القصور والخذلة وذلك يمنع من التعلم ثم قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً أى لا تستخبرني عما تراه مني مما لا تعلم وجهه حتى أكون انا المبتدئ لتعليك اياه واخبارك به وفي قراءة ابن عامر فلا تسألن بحركة اللام مشددة النون بغير ياء وروى عنه لا تسألني مثقلة مع الياء وهي قراءة نافع وفي قراءة الباقرين لا تسألن خفيفة والمعنى واحد قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبنا في السفينة خرقتها قال اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امر اقال ألم اقل انك ان تسطيع معي صبوا قال لا توأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عسرا اعلم ان موسى وذلك العالم لما تشارطا على الشرط المذكور وسارا فأنتهيا الى موضع احتاجا فيه الى ركوب السفينة فركبهاوا وأقدم ذلك العالم على خرق السفينة وأقول له ألم أقدم على خرق جدار السفينة لتصبير السفينة بسبب ذلك الخرق مصيبة ظاهرة العيب فلا ينسارع الفرق الى أهلها فعند ذلك قال موسى له اخرقتها لتغرق أهلها وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ حزة والكسائي ليغرق أهلها بفتح الياء على اسناد الفرق الى الاهل والباقرين تغرق أهلها على الخطاب والتقدير لتغرق أنت أهل هذه السفينة (البحث الثاني) ان موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الامر المنكر بحسب الظاهر نسي الشرط المتقدم فلهذا المعنى قال ما قال واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين (الاول) انه ثبت بالدليل ان ذلك العالم كان من الانبياء ثم قال موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق أهلها فان صدق موسى في هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي وان كذب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام (الثاني) انه القزم ان لا يعترض على ذلك العالم وجرت اليهود المؤكدة لذلك ثم انه خالف تلك اليهود وذلك ذنب (والجواب عن الاول) انه لما شاهد موسى عليه السلام منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لا لأجل انه اعتقد فيه انه فعل قبيحاً بل لانه أحب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه انه امر يقال أمر الامر اذا

فيها أو مكنها في الارض ما لم يمكن لكم وهكذا اذا كان التمكن مأخوذاً من المكان بناء على توهم مية اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى ان اجعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأى والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طرقها (وآيتناه من كل شئ) أراد من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه (سبياً) أى طريقاً يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة (وألة فاتبع) باقطع أى فأراد بلوغ المغرب فاتبع (سبياً) يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافعال والفرق

أن الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى منتهى الارض من عظيم جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالداتى هي مبدأ الاطوال على أحد القولين (وجدها) أى الشمس (تغرب في عين حنة) أى ذات حاة وهي الطين الاسود من حث البر اذا كثرت

نجاتها وقرى حاندي حارة روى أن معاوية رضي الله عنه فراحامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال نخبة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجهه إلى كعب الأخبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطنين وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما مائة قطعة لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة عن الهجزة ﴿٧٤٣﴾ لانكسار ما قبلها وأما رجوع معاوية إلى قول ابن عباس

رضي الله عنهم بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضا مسبوحة قطعاً فلكون قراءة ابن عباس رضي الله عنهما قطعياً في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك إذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدوها تغرب (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفار فغضبهم الله جل ذكره بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين أما أنت تعجب) بالقتل من أول الأمر (وأما أن تعذبهم حسناً) أي امر إذا حسن على حذق المضاف أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة إلى الإسلام والارشاد إلى الشرائع ومحل أن مع صلته أما الرفع على

عظيم وقال الشاعر \* داهية دهباء (وعن الثاني) انه فعل بناء على النسيان ثم انه تعالى حكى عن ذلك العالم انه لما خالف الشرط لم يزد على أن قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله لا تؤاخذني بما نسيت اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي بشئ ولا ترهقني من أمرى عسرا يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تشغني من أمرى عسرا وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك و يسرها علي بالأعضاء وترك المناقشة وقرى عسرا بضمين \* قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سأنتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) اعلم ان لفظ الغلام قد يتناول الشاب البالغ بدليل انه يقال رأى الشيخ خيراً من شهد الغلام جعل الشيخ نقيضاً للغلام وذلك يدل على أن الغلام هو الشاب واصله من الاغلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشباب وأما تناول هذا اللفظ للصبي الصغير فظاهر وليس في القرآن كيف لقيه هل كان يلعب مع جمع من الغلمان الصبيان أو كان منفرداً وهل كان مسلماً أو كان كافراً وهل كان منزهلاً وهل كان بالفاء أو كان صغيراً وكان اسم الغلام بالصغير أليق وان احتمل التكبير الآن قوله بغير نفس أليق بالبالغ منه بالصبي لان الصبي لا يقتل وان قتل وأيضاً فهل قتله بأن حزر رأسه أو بان ضرب رأسه بالجدار أو بطريق آخر فليس في لفظ القرآن ما يدل على شي من هذه الاقسام فعند هذا قال موسى عليه السلام أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً وفيه مباحث (البحث الاول) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو زكية بالالف والباقون زكية بغير الف قال الكسائي الزكية والزكية لغنان ومعناها الطاهرة وقال أبو عمرو والزكية التي لم تذب والزكية التي اذ نبت ثم ثابت (البحث الثاني) ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن يقتل النفس الا لاجل القصاص بالنفس وليس الامر كذلك لانه قد يحل دمه بسبب من الاسباب وجوابه ان السبب الاقوى هو ذلك (البحث الثالث) النكر أعظم من الامر في التصحیح وهذا اشارة الى ان قتل الغلام اقبح من خرق السفينة لان ذلك ما كان اتلافاً للنفس لانه كان يمكن ان لا يحصل الضرر في ما ههنا حصل الاتلاف قطعاً فكان أنكر وقيل ان قوله لقد جئت شيئاً امرأى عجيباً والنكر أعظم من العجب وقيل انكر ما انكرته العقول ونفرت عنه النفوس فهو أبلغ في تصحیح الشئ من الامر ومنهم من قال الامر أعظم قال لان خرق السفينة يؤدي الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الا اتلاف شخص واحد وأيضاً الامر هو الداهية العظيمة فهو أبلغ من النكر وانه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه ما زاد على ان ذكره ما طأهده عليه فقال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا وهذا عين ما ذكره في المسئلة الاولى الا أنه زاد ههنا لفظة لك لان هذه اللفظة تؤكد

الابتداء والخبرية وأما النصب على المفعولية أي اما تعذيبك واقع أو اما امرك تعذيبك أو اما فعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك الهاماً لاوحياً بعد أن كان ذلك التخبير واقفاً ثم بعد ذلك النبي (قال) أي ذوا القرنين لذلك النبي أول من عنده من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختاراً للشق الاخير (أما من ظلم) أي نفسه ولم يقبل دعوتي

وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك (فسوف نعبده) بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفرة في القدور ومن امن أعطاه وكساه (ثم يراد الى ربه) في الآخرة (فعبده) فيها (عداها نكرا) أي منكرا فظيما وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن يطريق الوحي اليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته (وأما من آمن) بموجب دعوتي (وعمل) عملا (صالحا) حسبما يقتضيه ﴿٧٤٤﴾ الايمان (فله) في الدارين (جزاء

التوبيح فعند هذا قال موسى ان ستأنتك عن شي بعد هذا فلا تصاحبني مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم سيد الندامة ثم قال قد بلغت من لدني عذرا والمراد منه انه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أو ثلاثا مع قرب المدة وبي بما يتعلق بالقراءة في هذه الآية ثلاثة مواضع (الاول) قرأنا فم برواية ورش وقالون وابن عامر وأبو بكر عن عاصم نكرا بضم الكاف في جميع القرآن ولما قون سا كنة الكاف حيث كان وهما لغتان (الثاني) الكل قرؤا والانصاحني بالالف الا يعقوب فانه قرأ لا تصحبي من صحب والمعنى واحد (الثالث) في لدني قرأت (الاولى) قراءة نافع وأبي بكر في بعض الروايات عن عاصم من لدني بتحقيق النون وضم الدال (الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحزرة ووالكسائي وحقق عن عاصم لدني مشددة النون وضم الدال (الثالثة) قرأ أبو بكر عن عاصم بالاشمام وغير اشباع (الرابعة) لدني بضم اللام وسكون الدال في بعض الروايات عن عاصم وهذه القراءات كلها لغات في هذه اللفظة قوله تعالى ( فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريدان ينقض فاقامه قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا قال هدا فراق بيني وبينك سؤنئك يتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) اعلم ان تلك القرية هي انطاكية وقيل هي اليلة وههنا سؤالات (الاول) ان الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه موسى وذلك العالم لان موسى كان من عادته عرض الحاجة وطلب الطعام ألا ترى انه تعالى حكى عنه انه قال في قصة موسى عند ورود ما مدين رباني لما أنزلت الي من خير فقير (الجواب) ان اقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل السرايع بل ربما وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد (السؤال الثاني) لم قال حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها وكان من الواجب أن يقال استطعما منهم والجواب ان التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

أيت الغراب غداة يتعب دائما \* كان الغراب مقطع الاوداج

(السؤال الثالث) ان الضيافة من المندوبات فتركها ترك للتدوب وذلك أمر غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه انه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله ان سالتك عن شي بعد هذا فلا تصاحبني وأيضاً مثل هذا الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بادون الناس فضلا عن كليم الله (الجواب) أما قوله الضيافة من المندوبات قلنا قد تكون من المندوبات وقد تكون من الواجبات بان كان الضيف قد بلغ في الجوع الى حيث لو لم يأكل لهلك واذا كان التقدير ما ذكرناه لم يكن الغضب الشديد لاجل ترك الاكل يوما فان قالوا ما بلغ في الجوع الى حد الهلاك بدليل انه قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا وكان يطلب على اصلاص ذلك الجدار أجره ولو كان قد بلغ في الجوع الى حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل فكيف

الحسنى) أي فله المثوبة الحسنى أو القلة الحسنى أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤن كالمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به أو منصوب بمضمر أي تجزى بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدا والخبر المقدم عليه أو حال أي محزبها أو تعبير وقرئ منصرف يا غير ممنون على أنه سقط توينه لالتقاء الساكنين أو مرفوعا متونا على انه المبتدأ والحسنى بدلها والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فبرأى في حقه قوة الاسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز أن تكون اما واما للتوزيع دون التخير أي وليكن شأنك اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثاني لمن مات (وستقول له من أمرنا)

أي ما أمر به (يسرا) أي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذاب سرا وأطلق عليه المصدر بالغة وقرئ بضمتين ﴿ويصح﴾ (ثم أتبع سيبيا) أي طر يقاراجه من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس أو لامن معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف أي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قبل لئه في اثنتي عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه هجر له بالسحاب وطوى له الاسباب



وأصر على ما كان عليه من الظلم إلى نوجة الأولى وما على الوجوه الباقية فالمراد بالديه ما يتناول ماجرى عليه وما صدر عنه وما لا  
ومن امن أعطاه وكساها أي طر يقا نالنا حيزنا ﴿ ٧٤٦ ﴾ بين المشرق والمغرب أخذنا من الجنوب إلى الشمال (حتى  
وفيه دلالة ظاهرة على دين)

سواء الآخر يحصل الفراق حيث قال ان سأنتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فلما ذكر هذا  
السؤال فارقه ذلك العالم وقال هذا فراق بيني وبينك أي هذا الفراق الموعود (الثاني)  
أن يكون قوله هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض هو سبب الفراق  
(السؤال الثاني) ما معنى قوله هذا فراق بيني وبينك (الجواب) معناه هذا فراق حصل  
بينني وبينك فأضيف المصدر إلى الطرف حتى القفال عن بعض أهل العربية ان البن  
هو الوصل لقوله لقد تقطع بينكم فكان المعنى هذا فراق بيننا أي اتصالنا كقول القائل  
أخري الله الكاذب مني ومنك أي أحدنا هكذا قاله الزجاج ثم قال العالم لوسى عليه  
السلام سأنتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أي سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاثة  
وأصل التأويل راجع إلى قواهم آل الأمر إلى كذا أي صار إليه فاذا قبل ما تأويله  
فالمعنى ما نصيره ﴿ قوله تعالى ﴾ (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت  
أن أعيرها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين  
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما  
وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا  
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك  
تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) اعلم ان هذه المسائل  
الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو ان أحكام الانبياء صلوات الله عليهم مبنية على  
الظواهر كما قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهذا العالم  
ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية  
الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر انه يحرم التصرف في أموال الناس وفي  
أرواحهم في المسئلة الأولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان  
تخريق السفينة تنقيص ملك الانسان من غير سبب ظاهر وقتل الغلام تفويت لنفس  
معصومة من غير سبب ظاهر والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة  
تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم  
فيها مبنيا عن الاسباب الظاهرة المعلومة بل كان ذلك الحكم مبنيا على اسباب معتبرة في  
نفس الامر وهذا يدل على ان ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية قدر بها ان يشرف  
على بواطن الامور ويطلم بها على حقائق الاشياء فكانت مرتبة موسى عليه السلام في  
معرفة الشرائع والاحكام بناء الامر على الظواهر وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف  
على بواطن الاشياء وحقائق الامور والاطلاع على أسرارها الكامنة فيهنها الطريق  
ظهر ان مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام اذ اذرفت هذا فنقول  
المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو ان عند تعارض الضررين يجب تحمل  
الادنى لدفع الاعلى فهذا هو الاصل المعبر في المسائل الثلاثة (أما المسئلة الأولى) فلان

(وأما) بين الذين  
الحمد وهو منقطع الأرض  
الترك بما يلي المشرق  
لاجبلا رمنية واخر يجاز  
كأثومهم وقرى بالضم  
قبل ما كان من خلق الله  
تعالى فهو مضموم وما  
كان من عمل الخلق فهو  
مستوح وانصاب بين  
على المفعولية لانه مبلوغ  
وهو من الظروف التي  
تستعمل أسماء أيضا كما  
ارتفع في قوله تعالى اقد  
تقطع بينكم وانجرف  
قوله تعالى هذا فراق  
بينني وبينك (وجد من  
دونهما) أي من ورأئها  
مجازا عنهما (قوما)  
أي أمة من الناس (لا  
يكادون يفقهون قولا)  
لغرابة لغتهم وقلة فطنهم  
وفرى من باب الافعال  
أي لا يفهمون السامع  
كلامهم واختلافوا في أنهم  
من أي الاقوام فقال  
الضحك هم جيل من  
التك وقال السدي  
الترك سرية من بأجوج  
وما جوج خرجت فضرب  
ذو القرنين السد فبقت  
خارجة لجميع الترك  
منهم وعن فتادة أنهم

اثنان وعشرون قبيلة سد ذوالقرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك ﴿ ذلك ﴾  
لانهم تركوا خارجين قال أهل التارخ وألاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب والعجم



والروم وحام ابوالجبهة والزنج والنوبة وبافت ابوالترك والخرز والصقالبة وياجوج وماجوج (قالوا) أي بواسطة مترجمهم أو بلذات على أن يكون فهم في القرنين ٧٤٧ هـ كلامهم وافه ام كلامه اياهم من جلة ما آتاه الله

تعالى من الاسباب  
(ياذا القرنين ان ياجوج  
وماجوج) قد ذكرنا  
اسما من اولاد يافث بن  
نوح عليه السلام وقيل  
ياجوج من الترك وماجوج  
من الجبل واختلف  
في صفاتهم فقيل في غاية  
صغرا الجنة وقصر القامة  
لا يزيد قدمهم على شبر  
واحد وقيل في نهاية  
عظم الجسم وطول القامة  
تبلغ قدودهم نحو مائة  
وعشرين ذراعا وفيهم  
من عرضه كذلك وقيل لهم  
مخالب وأضراس كالسباع  
وهما سما عجميان بدليل  
منع الصرف وقيل عربان  
من أح الطليم اذا أسرع  
وأصلهما الهمره  
كأقرا عاصم وقد قرئ  
بغير همره ومنهم صرفهما  
للتعريف والتأنيث  
(مفسدون في الارض)  
أي في أرضنا بالنقل  
والخريب واللاف  
الزورع وقيل كانوا يخرجون  
ايام الربيع فلا يتركون  
أخضر الاأكلوه ولا يابسوا  
الا حقلوه وقيل كانوا  
يأكلون الناس أيضا  
(فهل نجعل لك خرجا)

ذلك العالم علم انه لولم يعب تلك السفينة بالخرق لنعصها ذلك الملك وفانت منافعهما عن ملاكها بالكلية فوقع التعارض بين أن يخرقها ويعيبها فتبقى مع ذلك على ملاكها وبين أن لا يخرقها فينصبها الملك فتفوت منافعها بالكلية على ملاكها ولا شك ان الضرر الاول أقل هو جوب تحمله لدفع الضرر الثاني الذي هو أعظمهما (وأما المسئلة الثانية) فكذلك لان بقاء ذلك الغلام حيا كان مفسدة للوالدين في دينهم وفي دنياهم ولعله علم بانوحى ان المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام أقل من المضار الناشئة بسبب حصول تلك المفسد للابوين فلهذا السبب أقدم على قتله (والمسئلة الثالثة) أيضا كذلك لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار ضررها أقل من سقوطه لأنه لو سقط لضاع مال تلك اليتام وفيه ضرر شديد فالحاصل ان ذلك العالم كان مخصوصا بالوقوف على بواطن الاشياء وبالاطلاع على حقائقها كما هي عليها في أنفسها وكان مخصوصا ببناء الاحكام الحقيقية على تلك الاحوال الباطنة وأما موسى عليه السلام فما كان كذلك بل كانت أحكامه مبنية على ظواهر الامور فلا جرم ظهر التفاوت بينهما في العلم فان قال قائل فخالص الكلام انه تعالى أطلعه على بواطن الاشياء وحقا نقها في نفسها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وموسى عليه السلام انما ذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب على ذلك العالم أن يظهر له علميا يمكن له تعلمه وهذه المسائل الثلاثة علوم لا يمكن تعلمها فانما في ذكرها واطهارها والجواب ان العلم بظواهر الاشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة وأما العلم ببواطن الاشياء فانما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجر يد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية ولهذا المعنى قال تعالى في **سورة المؤمنون** **وعلما من ربنا علما** ثم ان موسى عليه السلام لما كلمت مرتبته في علم الشريعة بشه الله الى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام ان كان الدرجة في أن يتفكر الانسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم الباطن المبنية على الاسراف على البواطن والتطلع على حقائق الامور (المسئلة الثانية) اعلم ان ذلك العالم أجاب عن المسئلة الاولى بقوله أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفيه فوائد (الفائدة الاولى) ان تلك السفينة كانت لا قوام محتاجين متعسبين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين واعلم ان الشافعي رحمه الله احتج بهذه الآية على أن حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا ياءكون تلك السفينة (الفائدة الثانية) ان مراد ذلك العالم من هذا الكلام انه ما كان مقصودى من تخريب تلك السفينة تفريق أهلها بل مقصودى ان ذلك الملك الظالم كان يغصب السفن الحالية عن العيوب فجعلت هذه السفينة معيبة لثلاث غصبا ذلك الظالم فان ضرر هذا التخريق أسهل من الضرر الحاصل من ذلك الغصب فان قيل وهل يجوز للاجنبي أن يتصرف في ملك الغير

أي جملا من أموالنا والفاء لغرض المرض على افسادهم في الارض وقرئ حراجا وكلاهما واحد كالقول والتوال وقيل الحراج ما على الارض والدمه والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والحراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به

والخراج ما زلتك أداؤه (على أن نجعل بيتنا وبيتهم سدا) وقرئ بالضم (قال ماكنى) بالأولم وقرئ بالفتح  
 أي ماكنى (فيه ربي) وجعلني فيه مكيئا قادرا ﴿٧٤٨﴾ من الملك والمال وسائر الاستعجاب (خير)

لمثل هذا الفرض قلنا هذا مما يختلف أحواله بحسب اختلاف الشرائع فاعلم هذا المعنى  
 كان جائزا في تلك النسبة وأما في شرعنا فمثل هذا الحكم غير بعيد فانا إذا علمنا ان  
 الذين يقطعون الطريق يأخذون جسيم ملك الانسان فان دفعنا الى قاطع الطريق  
 بعض ذلك المال سلم الباقي فحينئذ يحسن من أن ندفع بعض مال ذلك الانسان الى قاطع  
 الطريق ليسلم الباقي وكان هذا من ابعاد احساننا الى ذلك المالك (الفائدة الثالثة) ان ذلك  
 التفريق واجب أن يكون واقعا على وجه لا تبطل به تلك السفينة بالكلية اذ لو كان كذلك  
 لم يكن الضرر الحاصل من غصبها أبلغ من الضرر الحاصل من تخريبها وحينئذ لم يكن  
 تخريبها جائزا (الفائدة الرابعة) لفظ الورد في قوله وكان وراهم فيه قولان (الاول)  
 ان المراد منه وكان امامهم ملك يأخذ هكذا قاله الفراء وظهره قوله تعالى من وراهم  
 جهنم أي امامهم وكذلك قوله تعالى ويدررون وراهم يوما ثقيلا وتحقيقه ان كل ما غاب  
 منك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه فكل ما غاب عنك فهو وراءك وامام الشيء  
 وقدامه اذا كان غائبا عنه متواريا عنه فلم يعد اطلاق لفظ وراء عليه (والقول الثاني)  
 يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع  
 السفينة عليه (وأما المسئلة الثانية) وهي قتل الغلام فقد أجاب العالم عنها بقوله وأما  
 الغلام فكان أبواه مؤمنين قيل ان ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع الطريق ويقدم على  
 الافعال المنكرة وكان أبواه يحتاجان الى دفع سرائس عنه والتعصب له وتكذيب  
 من يرميه بشيء من المنكرات وكان يصير ذلك سببا لوقوعهما في الفسق وربما أدى ذلك  
 الفسق الى الكفر وقيل انه كان صبيا الا أن الله تعالى علم منه انه لو صار بالغاً لحصلت منه  
 هذه المفاسد وقوله فخشينا أن يرهقنا طغيانا وكفرا الخشية بمعنى الخوف وغلبت  
 والله تعالى قد أباح له قتل من غلب على ظنه تولد مثل هذا الفساد منه وقوله أن يرهقنا  
 طغيانا فيه قولان (الاول) أن يكون المراد ان ذلك الغلام يحمل أبويه على الطغيان  
 والكفر كقوله ولا ترهقني من أمري عدسرا أي لا تحماني على عسر وضيق وذلك لان أبويه  
 لاجل حب ذلك الولد يوجبان الى الذنب عنه وربما احتاجا الى موافقته في تلك الافعال  
 المنكرة (والثاني) أن يكون المعنى ان ذلك الولد كان يعاسرهما معاشرته الطغاة الكفار  
 فان قيل هل يجوز الاقدام على قتل الانسان لمثل هذا الظن قلنا اذا تأكد ذلك الظن  
 بوحى الله جازم قال تعالى فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه ذكاة أي أردنا أن يرزقهما  
 الله تعالى ولدا خيرا من هذا الغلام ذكاة أي دينا وصلاحا وقيل ان ذكره الزكاة ههنا على  
 مقابلة قول موسى عليه السلام اقلنت نفسا زكية بغير نفس فقال العالم أردنا أن يرزق  
 الله هذين الابوين خيرا بدلا عن ابنتهما هذا ولدا يكون خيرا منه كما ذكرته من الزكاة  
 ويكون المراد من الزكاة الطهار فكان موسى عليه السلام قال اقلنت نفسا طاهرة لانها  
 ما وصلت الى حد البلوغ فكانت زكية طاهرة عن المعاصي فقال العالم ان تلك النفس

أي مما تريدون أن تبدلوه  
 الى من الخرج فلا حاجة بي  
 اليه (فأصينوني بقوة)  
 أي بفضله وصناعتهم يحسنون  
 البناء والعمل وبالآلات  
 لا بد منها في البناء والغناء  
 لتفريع الامر بالاعانة  
 على خير بقره ما مكنته الله  
 تعالى فيه من مالهم أو على  
 عدم قبول خرجهم  
 (أجعل) جواب الامر  
 (بينكم وبينهم) تقديم  
 اضافة الظرف الى ضمير  
 المخاطبين على اضافته  
 الى ضمير بأجوح وأجوح  
 لاطهار كمال العناية  
 بمصالحهم كإراعوه  
 في قوالهم يتناو بينهم  
 (ردما) أي حازرا حصينا  
 وبرزحا متينا وهو أكبر  
 من السد وأودق يقال  
 ثوب مردم أي فيه رفاع  
 فوق رفاع وهذا سماع  
 بمرامهم فوق ما يرجونه  
 (أتوني ر بالحديد)  
 جمع زبرة كعرف في غرفة  
 وهي القطعة الكبيرة وهذا  
 لاينا في رد خراجهم  
 لان الأمور به الايتا بانين  
 أو المنهولة كما ينبغي عنه  
 القراءة بوصول الهمة  
 أي جيئوني بزبر الحديد

على حذف الباء كما في أمرتك الخير ولان آيتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ﴿٧٤٩﴾ وان  
 واعل تخصيص الامر بالآيتاء بهادون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة اليها أمس اذهى  
 الركن في السد

ووجودها أعز قيل جهر للأسس حتى يبلغ الماء وجعل الأسس من الصخر والحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها  
الخطيب بالفهم حتى سد ما بين الجبلين إلى ﴿ ٧٤٩ ﴾ اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عرفانلا (حتى اذا ساوى

بين الصدفين) أي  
آتوه اياها فأخذ بيني  
شيشافيتا حتى اذا جعل  
ما بين ناخيتي الجبلين من  
البنيان مساويا لهما  
في السمك على التهجيم  
المحكي قيل كان ارتفاعه  
مائتي ذراع وعرضه  
خمس مائة ذراعا وقرى  
سوى من التسوية  
وسوى على البناء  
للجهول (قال) للعلة  
(انفتحوا) أي بالكيران  
في الحديد المبني ففعلوا  
(حتى اذا جعله) أي  
المفوخ في (نارا)  
أي كالنار في الحرارة  
والهيئة واسناد الجمل  
المدكور إلى ذي القرنين  
مع انه فعل العلة للنبية  
على انه العدة في ذلك  
وهم بمنزلة الآلة (قال)  
الذين يتولون أمر الحاس  
من الاذابة ونحوها  
(آتوني أفرغ عليه  
قطرا) أي آتوني قطرا  
أي نحاسا مذابا أفرغ  
عليه قطرا الخذف الاول  
لدلالة الثاني عليه وقرى  
بالوصل أي جيتوني  
كأنه يستدعيهم للاعانة  
باليد عند الافراغ واسناد

وان كانت زاكية ماهرة في الحمال الا انه تعالى علم منها انها اذا بلغت اقدمت على  
الطنيان والكفر فأردنا أن يجعل لهما ولدا أعظم زكاة وطهارة منه وهو الذي يعلم الله  
منه انه عند البلوغ لا يقدم على شيء من هذه المحظورات ومن قال ان ذلك الغلام كان  
بالنقل المراد من صفة نفسه بكونها زاكية انه لم يظهر عليه ما يوجب قتله ثم قال وأقرب  
رحا أي يكون هذا البديل أقرب عطفا ورجة بأبويه بأن يكون أبويهما وأشفق عليهما  
والرحم الرحمة والعطف روي انه ولدت لهما جارية تزوجها في فولدت نبياهدى الله على  
يديه أمة عظيمة بقي من مباحث هذه الآية موضعان في القراءة (الاول) قرأ نافع وأبو  
عمرو يبذلها مفتوح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يبذله أزواجا وفي القمعي  
رنا أن يبذلنا والباقون ساكنة الباء خفيفة الدال وهما لغتان أبدل يبذل و بديل  
(الثاني) قراءة ابن عامر في احدي الروايتين عن أبي عمرو رحا بضم الحاء والباقون  
بسكونها وهما لغتان مثل نكر ونكرو شغل وشغل) وأما المسئلة الثالثة) وهي اقامة  
الجدار فعدأجاب العالم عنها بان الداعي له اليها انه كان تحت ذلك الجدار كنز وكان ذلك  
لبنيين في تلك المدينة وكان أبوهما صالحا ولما كان ذلك الجدار مشرفا على السقوط  
ولو سقط لصاح ذلك الكنز فأراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذينك البنيين رعاية لحقهما  
ورعاية لحق صلاح أيهما فأمرني باقامة ذلك الجدار رعاية لهذه المصالح وفي الآية  
قوائد (القائدة الاولى) انه تعالى سمي ذلك الموضع قرية حيث قال اذا أتيا أهل قرية  
وسماه أيضا مدينة حيث قال وأما الجدار فكان اعلامين يتبين في المدينة (القائدة  
الثانية) اختلفوا في هذا الكنز قيل انه كان مالا وهذا هو الصحيح او جهين (الاول) ان  
المفهوم من لفظ الكنز هو المال (والثاني) ان قولهم يستخرجوا كنزهم ليدل على ان ذلك  
الكنز هو المال وقيل انه كان عملا بديل أنه قال وكان أبوهما صالحا والرجل الصالح  
يكون كنزه العلم لا المال اذ كنز المال لا يليق بالصلاح بديل قوله تعالى والدين يكنزون  
الذهب والفضة ولا يتفقهونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم وقيل كان لوجا من ذهب  
مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالذوق كيف يتعب  
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن  
يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (القائدة  
الثالثة) قوله وكان أبوهما صالحا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الابناء  
وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء وعن الحسن بن علي انه  
قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أيهما  
قال فأبي وجدى خير منه قال قد أتانا الله انكم قوم خصمون وذكروا أيضا ان ذلك  
الاب الصالح كان الناس يضعون الودائع اليه فيردها اليهم بالسلامة فان قيل البنيان  
هل عرف أحدهما حصول الكنز تحت ذلك الجدار أو ما عرف أحدهما فان كان

الافراغ الى نفسه للسر الذي وقت عليه آتفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل (فما استطاعوا)  
بمخني تاه الا فتعال تخفيفا وحذرا عن تلافى التنازع بين وقرى بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرى  
بقلب السين صاد

والفداء فصيحة أي فملوا ما أمروا به من إتياء القطر أو الإتيان فأفرغه عليه فاختلط والتصيق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء بأجوج وما جوج فقصدوا أن يعلموه وينقبوا استطاعوا ﴿ ٧٥٠ ﴾ ( أن يظهره ) أي يعلموه ويرقوا

الأول امتثم أن يتركو سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكثر والانتفاع به ( الجواب ) لعل اليتيمين كانوا جاهلين به الآن وصحبا كان عالما به ثم ذلك الوصي غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما قرر العالم هذه الجوابات قل رجة من ربك يعني انما فعلت هذه الفعالة لترض أن تظهر رجة الله تعالى لانها بأسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى كما قررناه ثم قال وما فعلته عن أمري يعني ما فعلت ما رأيت من هذه الاحوال عن أمري واجتهادي ورأيي وانما فعلته يا امر الله ووجهه لان الاقدام على تنقيص أموال الناس وارقاة دماهم لا يجوز الا بالوصي والنص القاطع بقى في الآية سؤال وهو انه قال فأردت أن أعيها وقال فأردنا أن يدلها ربهما خيرا منه زكاة وقال فأردت بك أن يلغا أشدهما كيف اختلفت الاضافة في هذه الارادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة وفعل واحد ( والجواب ) انه لما ذكر العيب أضافه الى ارادة نفسه فقال أردت أن أعيها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تبيينها على انه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل الا للحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لاجل صلاح أيهما أضافه الى الله تعالى لان المنكفل بمصالح اليتيم رعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى ﴿ قوله تعالى ﴾ ( ويستلونك عن ذي القرنين قل سألوا عليكم منه ذكرا انا مكناله في الارض وآتيناه من كل شيء سيبا فاتبع سببا ) اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيها مسائل ( المسئلة الأولى ) قد ذكرنا في أول هذه السورة ان اليهود أمروا المشركين أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويستلونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال ( المسئلة الثانية ) اختلف الناس في ان ذي القرنين من هو وذكروا فيه أقوالا ( الاول ) انه هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بن ذي القرنين بلغ ملكه الى أقصى المغرب بدليل قوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تعرب في عين حثمة وأبضا بلغ ملكه أقصى المشرق بدليل قوله حتى اذا بلغ مطلع الشمس وأبضا بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل ان بأجوج وما جوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال وبدليل ان السد المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ انه مبني في أقصى الشمال فهذا الانسان المسمى بن ذي القرنين في القرآن قد دل القرآن على ان ملكه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا هو تمام القدر المعثور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف العبادات وما كان كذلك وجب أن يبق ذكره مخلدا على وجه الدهر وأن لا يبق محققا مستترا والملاك الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك لانه لما مات أبوه جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع

فيه لارتفاعه وملاسته ( وما استطاعوا له نقبا ) لصلابته ونخاتته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثرة اذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على أن يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى أن تكون كالنار أو صن افراخ القطر عليها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المياسرين للامعالي فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناء من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس منداب في تجاور بعضها بحيث لا يبق هناك فرجة أصلا ( قال ) أي ذو القرنين لم عنده من أهل تلك الديار وغيرهم ( هذا ) اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للتقدم أي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بما سرق من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال ( رجة ) أي أثر رجة عظيمة عبر عنه بها مبالغة ( من ربي ) على كافة العباد لاسيما على مجاوريه وفيه ايدان بانه ليس ﴿ ملوك ﴾ من قبيل الآسمار الحاصلة مباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بباشرتي والتعرض واصف الربوبية لترية معنى الرجة ( فاذا جاء

﴿ ملوك ﴾ من قبيل الآسمار الحاصلة مباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بباشرتي والتعرض واصف الربوبية لترية معنى الرجة ( فاذا جاء

وغيره في (مصدر بمعنى المشغول وهو يوم القيامة لا يخرج باجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بحجته ما ينظم بحجته ويحكي مبادئه من خروجهم ﴿٧٥١﴾ وخروج النبالوزوا حيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك لادنو وقوعه فقط

كاقيل فان بعض الامور التي ستحكي يقع بعد حجته حتما (جعلها) أى السد المشار اليه مع متاته ورسائته وفيه من الجلالة ما ليس في توجيهه الاشارة السابقة الى التمكن المذكور (دكاه) أى أرضا مستوية وقرى دكاى مدكوكا مسوى بالارض وكل ما ينسبط بعد ارتفاع فقد ادك ومنه الجمل الادك أى المنسبط السنام وهذا الجمل وقت محيى الوعد بحجتي بعد مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عروجل بعد بيان سعة رحته (وكان مصدرى) أى وعده اليهود أو كل ما وعده فيدخل فيه ذلك دخولا ويا (حقا) ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تدبيل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكدا لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل (وتركنا بعضهم) كلام مسوق

ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصرفى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية و باب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجد نحو دارابن دارا وهرمه مرات الى أن قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زورومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بنى القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس اليونانى ثم ذكروا في سبب تسميته بهذا الاسم وجوها (الاول) انه لقب بهذا اللقب لاجل بلوغه قرنى الشمس أى مطلعها ومقر بها كما لقب اذ شبر بن بهمن بطويل اليدى لتفوذ أمره حيث أراد (والثانى) ان الفرس قالوا ان دارا الاكبر كان قد تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردها على أيها فيلقوس وكانت قد حلت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر بعد عودها الى أيها فبنى الاسكندر عند فيلقوس وأظهر فيلقوس انه ابنه وهو فى الحقيقة ابن دارا الاكبر قالوا والدليل عليه ان الاسكندر لما أدرك دارابن دارا به رمق وضع رأسه فى حجره وقال ادارا يا بنى اخبرنى عن فعل هذا انتقم لك منه فهذا ما قاله الفرس قالوا وعلى هذا التقدير فالاسكندر أبود دارا الاكبر وأمه بنت فيلقوس فهوا تاملت ولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا الذى قاله انرس انما ذكروه لانهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم حتى لا يكون ملك مثله من نسب غير نسب ملوك العجم وهو فى الحقيقة كذب وانما قال الاسكندر ادارا يا بنى على سبيل التواضع واكرم دارا بذلك الخطاب (والقول الثانى) قال أبو اليمان الهروى المنجم فى كتابه الذى سماه بالآثار الباقية عن القرون الخالية قيل ان ذا القرنين هو أبو كرب شمس بن عيبر بن افريقش الحميرى فانه بلغ ملكه مشارق الارض ومغار بها وهو الذى افتخر به أحد الشعراء من حير حيث قال

قد كان ذوالقرنين قبلى مسلما \* ملكا علفا فى الارض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يتبغى \* أسباب ملك من كريم سيد

ثم قال أبو اليمان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوا ساميهم من ذى كذا كنى النادوذى نواس وذى التون وغير ذلك (والقول الثالث) انه كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وان كنا لانعرف انه من هو ثم ذكروا فى تسميته بنى القرنين وجوها (الاول) سال ابن الكواهلى رضى الله عنه عن ذى القرنين وقال املاك هو أم نبي فقال لاملاك ولا نبي كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طائفة الله فغات ثم بعثه الله فضرب على

من جنباه تعالى معظوف على قوله تعالى جعله دكاه ومحقق لمضمونه أى جعلنا بعض الخلائق (يومئذ) أى يوم اذ جاء الوعد بحجتي بعض مبادئه (بموج فى بعض) آخر منهم يضطر بون اضطراب أمواج البصر ويختلط انفسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى أو تركنا بعض



غليظة مخاطة بذلك من جميع الجوانب (عن ذكرى) عن الآيات المؤدية لاولى الانصار المتدبرين فيها الاذكري  
 بالتوحيد والتوحيد أو كانت أعين بصائرهم ﴿ ٧٥٣ ﴾ في غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأنه أو عن الله أن

الذكريم (وكانوا) مع ذلك  
 (لا يستطيعون) مرض  
 تصامهم عن الحق وكان  
 عدوتهم الرسول عليه  
 الصلاة والسلام (عنه)  
 استعان ذكرى والامام  
 الحق يدى لا يسه  
 الباطل من بين يديه  
 ولا من - مع وهدهدات شيل  
 لاخر انهم من الادلة  
 انهم بان انهم  
 تصور ما مهم عن  
 الآيات المشاهدة  
 بالانصار والموصون  
 بعن الكافرين أو يدان  
 مداورا حتى لا يلهوهم  
 بانى - اصله والاشعار  
 بعلمه لاصابه ما نصيبهم  
 من عرس - بهم لهم  
 فان ذلك اما هو عدم  
 استعمال مشاهدتهم  
 فيما مضى لهم في الدنيا  
 من الآيات واعراضهم  
 عنها مع كونها أسبابا محجبة  
 عما هو في الآخرة  
 (أفحس الدين كسر) أو  
 أى كسر وانى لا يعرب  
 سدا قوله تعالى عنمادى  
 والحسان بمعنى الطين  
 وقد قرئ أفطن والاشارة  
 الاسكار والوايخ على  
 معنى انكار الواقع

والذين أنكروا كونه نبيا قالوا المراد به وآيناه من كل سبى يحاح اليد في اصلاح مآكله  
 سبالا أن لقائل أن يقول ان تخصيص العموم خلاف الظاهر ولا انصارا به الاندليل  
 بمقال فاتبع سببا ومعناه انه تعالى لما أعطاه من كل سبى سببه فذا أراد شئنا ليع سببا  
 يوصله اليه ويقر به منه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فاتبع بتشديدا شاء وكذلك ثم اتبع  
 أى سلك وسار والباقيون فاتبع بقطع الالف وسكون اسم مخففة - قوله (حتى  
 اذا بلغ معرب الشمس وحدها تعرب في عين حثة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين  
 اما ان تعذب واما ان نخذهم حسنا قال اما من ظم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه ويعده  
 عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا سرا) اعلم ان  
 المعنى انه أراد بلوغ المعرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى يسه أما قوله وجدها تعرب  
 في عين حثة ففيه مباحث (الاول) قرأ ابن عامر وجره والكسائي وأبو بكر بن عاصم  
 في عين حامية بالالف من غيرهمزة أى حاره وعن أى ذرقا كنت رديف رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم على حمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى بأبأ ذراين تعرب هذه قلب  
 الله ورسوله أعلم قال فابها تعرب في عين حامية وهى قرأه ابن مسعود وطلحة وان عامر  
 والباقيون حثه وهى قرأه ابن عباس واتفق ان ابن عباس كان عندما معاوية فقرأ معاوية  
 حامية بالف فقال ابن عباس حثة فقال معاوية عند الله بن عمركف بقرأ قال كما يقرأ  
 أمير المؤمنين ثم وجهه الى كعب الاحبار فكشف تجدي الشمس تعرب قلب في ماء وطين  
 كذلك تجده في اوقاة والخمئة ما يدماء وجمأة سوداء واعلم انه لا تسبق بين الجنة والحامية  
 فمأثر أن يكون العين جامعة للوصفين جميعا (المبحث الثاني) انه ثبت بالدليل ان الارض  
 كره وان استقامت طبة بها ولا شئت ان الشمس في الفلك وأيضاً قال ووجد عندها قوما  
 ومعلوم ان جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود وأيضاً الشمس أكثر من الارض  
 بمرات كثيرة فكيف يعقل دحوها في عين من عيون الارض اذا شئت هذا فنقول أو يلى  
 قوله تعرب في عين حثة من وجوه (الاول) ان دار القرنين لسابع موضعها في المعرب  
 ولم يبق بعده سبى من العمارات وجد الشمس كما بها تعرب في عين وهذه مصلحة وان لم تكن  
 كذلك في الحقيقة كما أن رايك البحر يرى الشمس كأنها تعرب في البحر اذا لم يراها  
 وهى في الحقيقة تعرب وراء البحر هذا هو التأويل الذى ذكره أبو على الجاني في تفسيره  
 (الثاني) ان للعاب العربي من الارض مساكن تحيط بالبحر بها فانناظر الى الشمس  
 يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ولا سائر البحار قريبة قوية السخونة فهى حامية  
 وهى أيضا حثة لكثرة ما فيها من الجمأة السوداء والماء فقوله تعرب في عين حثة اشارة  
 الى أن الجباب العربي من الارض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة (الثالث)  
 قال أهل الاحبار ان الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والجمأة وهذا في غاية البعد وذلك  
 لانا اذا أرصدنا كسوفها فإذا اعتبرنا ورأينا ان العربيين قالوا حصل هذا

واستفاحه كما في قولك أصربت أبك ﴿ ٩٥ ﴾ خا لانكار الوقوع كما في قوله أضررت أبى وانما للعطف على مقدر  
 يفصح عنه الصلة على توجب الانكار والتويج الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى اقلا تعلمون  
 منقيا أى الانسعون فلا تعلمون لالى المعطوف

قط كما اذا قدر مثبتاى انسمون فلا تغفلون والمعنى اكفر واى مع جلالة شأى فحسبوا ( أن يتخذوا عبادى من دونى )  
من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت ﴿ ٧٥٤ ﴾ سلطانى وملكوتى ( أولياء ) معبودين ينصرونهم

الكسوف فى أول الليل ورأينا المشرقين قالوا حصل فى أول النهار فعلنا ان أول الليل  
عند أهل المغرب هو أول النهار الثانى عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذى هو أول الليل  
عندنا فهو وقت العصر فى بلد ووقت الظهر فى بلد آخر ووقت الضحوة فى بلد ثالث ووقت  
طلوع الشمس فى بلد رابع ونصف الليل فى بلد خامس واذا كانت هذه الاحوال معلومة  
بعد الاستقراء والاعتبار وعلمنا ان الشمس طالعة ظاهرة فى كل هذه الاوقات كان الذى  
يقال انها تغيب فى الطين والحماة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه  
التهمة فلم يبق الا أن يصار الى التأويل الذى ذكرناه ثم قال تعالى ووجد عندنا قوما  
الضيم فى قوله عندنا الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) انه تأدى الى الشمس ويكون  
التأنيث للشمس لان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع  
كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس ( والقول الثانى ) أن يكون الضمير تأندا الى العين  
الحامية وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه ثم قال تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب  
واما ان تتخذ فيهم حسنا وفيه مباحث (الاول) ان قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان  
تعذب واما تتخذ فيهم حسنا يدل على انه تعالى تكلم معه من غير واسطة وذلك يدل على انه  
كان نبيا وحل هذا اللفظ على ان المراد أنه خاطبه على السنة بعض الانبياء فهو عدول  
عن الظاهر ( البحث الثانى ) قال أهل الاخبار فى صفة ذلك الموضع أشياء عجيبية قال ابن  
جريح هناك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجبة الشمس  
حين تغيب ( البحث الثالث ) قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم  
حسنا يدل على ان سكان آخر المغرب كانوا كفارا فغير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب  
لهم ان أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم وهذا التخيير على معنى الاجتهاد  
فى أصلح الامر ين كاخير نيديه عليه السلام بين المن على المشركين وبين قتلهم وقال  
الاكثر من هذا التعذيب هو القتل واما اتخاذ الحسنى فيهم فهو تر كهم أحياء ثم قال  
ذو القرنين اما من ظلم أى ظلم نفسه بالاقامة على الكفر والدليل على ان هذا هو المراد انه  
ذكر فى مقابلته واما من آمن وعمل صالحا ثم قال فسوف نعذبه أى بالقتل فى الدنيا ثم يرد  
الى ربه فيعذبه عذابا نكرا أى منكرا فظيحا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى  
قرأ حرة والكسائى وحقق عن عاصم جزاء الحسنى بالنصب والتوين والباقون  
بالرفع والاضافة فعلى القراءة الاولى يكون التقدير فله جزاء كما تقول لك هذا  
الثوب هبة واما على القراءة الثانية فى تفسير وجهان (الاول) فله جزاء الفعلة الحسنى  
والفعلة الحسنى هى الايمان والعمل الصالح ( والثانى ) أن يكون التقدير فله جزاء المثوبة  
الحسنى و يكون المعنى فله ذا الجزاء الذى هو المثوبة الحسنى والجزاء موصوف بالمثوبة  
الحسنى واضافة الموصوف الى الصفة مشهورة كقوله ولدار الآخرة وحق اليقين ثم قال  
وستقول له من أمرنا يسرا أى لان أمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المبصر من الزكاة

من بأسى وما قيل انها  
للعطف على ما قبلها  
من قوله تعالى كانت  
الح وكأنا الخ ذلاله على  
أن الحسبان ناشى من  
التعاضد والتصام وأدخل  
عليها همزة الانكار  
ذما على ذم وقطعاه عن  
المعطوف عليهما لفظا  
لامعنى للابذان بالاستقلال  
المؤكد للذم ياباه ترك  
الاضمار والتعرض  
لوصف آخر غير التعاضد  
والتصام على أنها  
أخرجها مخرج الاحوال  
الجبالية لهم ولم يذكر من  
حيث انها من أفعالهم  
الاختيارية بالحادثة  
كحسبانهم ليحسن تفريمه  
عليهما وأيضاً فانه  
دين قديم لهم لا يمكن  
جعله ناشئا عن تصامهم  
عن كلام الله عز وجل  
وتخصيص الانكار  
بحسبانهم التأخر عن  
ذلك تعسف لا يخفى  
وما فى حيز صلة ان  
ساد مسد مفعولى حسب  
كأنى قوله تعالى وحسبوا  
أن لا تكون فتنة أى  
أفحسبوا انهم يتخذونهم  
أولياء على معنى أن

ذلك ايسر من الاتخاذ فى شئ لما انما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلاة والسلام منزهون عن ﴿ والحراج ﴾  
ولايتهم بالمره لقولهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثانى محذوف أى أفحسبوا اتخاذهم نافعاً لهم والوجه  
هو الاول لان فى هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا



أى أفحسبهم وكافهم أن يتخذ وهم أولياء على الابتداء والخير أو الفعل والفاعل فان التعت اذا اعتد الهمة ساوى  
الفعل في العمل فالهمة حينئذ بمعنى انكار الوقوع ﴿ ٧٥٥ ﴾ (انا اعتدنا جهنم) أى هياها (للكافرين) المعهودين

عدل عن الاضمار ذما  
لهم واشعارا بأن ذلك  
الاعتاد بسبب كفرهم  
المتضمن لحسبانهم  
الباطل (نزلا) أى شيئا  
يتعمون به عند ورودهم  
وهو ما يقام للنزول أى  
الضيف مما حضر من  
الطعام وفيه تحطية

لهم في حساباتهم وتهكم  
بهم حيث كان اتخاذهم  
اياهم أولياء من قبيل اعتاد

العتاد واعداد الزاد  
ليوم المعتاد فكانه قيل  
انا اعتدنا لهم مكان  
ما أعدوا لانفسهم من  
العدة والذخر جهنم  
عدة وفي ايراد النزول  
ايماء الى أن لهم وراء  
جهنم من العذاب ما هو  
انموذج له وقيل النزول  
موضع النزول ولذلك  
فسره ابن عباس رضى  
الله عنهما بالثوى (قل  
هل ننبئكم) الخطاب

الثانى للكفرة على وجه  
التوبيخ والجمع فى صيغة  
المنكلم لتعيينه من أول  
الامر وللإيدان بمعلومية  
النبا للمؤمنين أيضا  
(بالاخمرين أعمالا)  
نصب على التمييز والجمع  
للإيدان بتوحيها وهذا

والخراج وغيرهما وتقديره ذابسر كقوله قولاً ميسورا وقرى يسرا! ضميتين \* قوله تعالى  
(ثم أتبع سباحتي اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا  
كذلك وقد أحطنا بالديه خيرا) اعلم انه تعالى لما بين أولا انه قصد أقرب الاماكن  
المسكونة من مغرب الشمس أتبعه ببيان انه قصد أقرب الاماكن المسكونة من مطلع  
الشمس فبين الله تعالى انه وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دنها سترا وفيه  
قولان (الاول) انه ليس هناك شجر ولا جبل ولا بنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم  
فلهذا السبب اذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب واغلة فى الارض أو غاصوا فى الماء  
فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف فى المعاش وعند غروبها يشتغلون  
بتحصيل مهمات المعاش حالهم بالضد من أحوال سائر الخلق (والقول الثانى) ان معناه  
انه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبدأ ويقال فى كتب الهيئة ان حال أكثر  
الزنج كذلك وحال كل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك وذكر فى كتب  
التفسير ان بعضهم قال سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك  
و بينهم مسيرة يوم وإيلة فباعتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ولما قرب  
طالع الشمس سمعت كهية الصلصلة فتشى على ثم أقفت وهم مسحونى بالدهن فلما  
طلعت الشمس اذاهى فوق الماء كهية الزيت فادخلونا سرى بهم فلما ارتفع النهار  
جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج ثم قال تعالى كذلك وقد أحطنا  
بالديه خيرا وفيه وجوه (الاول) أى كذلك فعل ذوالقرنين اتبم هذه الاسباب حتى  
بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به  
(والثانى) كذلك جعل الله أمر هؤلاء القوم على ما قد علم رسوله عليه السلام فى هذا  
الذكر (والثالث) كذلك كانت حاله مع أهل المطالع كما كانت مع أهل المغرب قضى  
فى هؤلاء كما قضى فى أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين (والرابع) انه تم  
الكلام عند قوله كذلك والمعنى انه تعالى قال أمر هؤلاء القوم كما وجدهم عليه  
ذوالقرنين ثم قال بعده وقد أحطنا بالديه خيرا أى كنا عاقلين بأن الامر كذلك \* قوله  
تعالى (ثم أتبع سباحتي اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون  
قولا قالوا يا ذوالقرنين ان بأجوج وأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا  
على أن نجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم  
وبينهم ردا) اعلم ان ذوالقرنين لما بلغ المشرق والمغرب أتبع سببا آخر وسلك الطريق  
حتى بلغ بين السدين وقد آتاه الله من العلم والقدرة ما يقوم بهذه الامور وهما باحث  
(الاول) قرأ حرة والكسائى السدين يضم السين وسدا بفحها حيث كان وقرأ حفص  
عن عاصم بالفتح فيها فى كل القرآن وقرأ نافع وابن طامر وأبو بكر عن عاصم بالضم فيها  
فى كل القرآن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والسدين وسدا ههنا بفتح السين فيها وضمة فى يس

بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة فى انفسها وفى حساباتهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واثقين  
بذيل ثوابها ومشاهدة آثارها غيب بان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة فى انفسها مع كونها حسنة فى حساباتهم (الذين  
ضل سببهم) فى إقامة تلك الاعمال أى ضاع و بطل

بالكلية (في الحياة الدنيا) متعلق بالسعي لا بالضلال لان يطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين  
قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص ومجاهد رضي الله عنهم ٧٥٦ \* عنهم ويدخل في الاعمال حيثما عملوه من

في الموضوعين قال الكسائي هما لغتان وقيل ماكان من صنعة بني آدم فهو السد بفتح  
السين وماكان من صنع الله فهو السد بضم السين والجمع سدود وهو قول أبي عبيدة وابن  
الانباري قال صاحب الكشاف السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو بما فعله الله  
وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس (البحث الثاني) الاظهر ان موضع  
السد في ناحية الشمال وقيل جلان بين أرمنية وبين أذر بيجان وقيل هذا المكان في  
مقطع أرض الترك وحكي محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذر بيجان أيام  
قدهما وجه انسانا اليه من ناحية الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق  
عميق وثيق منيع وذكر ابن خرداد في كتاب المسالك والممالك ان الواثق بالله رأى في المنام  
كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ايعا ينوه فخرجوا من باب الابواب حتى  
وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود بالحاس المذاب وعليه  
باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل على البقا المحاذية  
لسر قندقال أبواب الريحان مقتضى هذا أن موضعه في الربع الشمالي الغربي من المعمورة  
والله أعلم بحقيقة الحال (البحث الثالث) ان ذا القرنين لما بلغ ما بين السدين وجد من  
دونهما أي من ورأئهما مجاوزا عنهما قوما أي أمة من الناس لا يكادون يفقهون قولا  
قرأ حرة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يمكنهم تفهيم غيرهم  
والباقون بفتح الياء والقاف والمعنى انهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم وما كانوا يفهمون  
اللسان الذي يتكلم به ذوا القرنين ثم قال تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج  
مفسدون في الارض فان قيل كيف فهم ذوا القرنين منهم هذا الكلام بعد ان وصفهم الله  
بقوله لا يكادون يفقهون قولا والجواب ان نقول كاد فيه قولان (الاول) ان اثباته نفي  
ونفيه اثبات فقوله لا يكادون يفقهون قولا لا يدل على انهم لا يفهمون شيئا بل يدل على  
انهم قد يفهمون على مشقة وصعوبة (والقول الثاني) ان كاد معناه المقاربة وعلى هذا  
القول فقوله لا يكادون يفقهون قولا أي لا يعلمون وليس لهم قرب من أن يفقهوا وعلى  
هذا القول فلا بد من اضرار وهو أن يقال لا يكادون يفهمونه الا بعد تقريب ومشقة  
من اشارة ونحوها وهذه الآية تصلح أن يفتح بها على صحة القول الاول في تفسير كاد  
(البحث الرابع) في يا جوج وما جوج قولان (الاول) انهما اسمان أعجميان  
موضوعان بدائل منع الصرف (والقول الثاني) انهما مشتقان وقرأ عاصم يا جوج  
وما جوج بالهمز وقرأ الباقون باجوج وماجوج وقرئ في رواية آجوج وماجوج  
والقائلون يكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها (الاول) قال الكسائي  
يا جوج مأخوذ من تأجج النار وتلهبها فليسر عنهم في الحركة سما بذلك وماجوج من  
موج البحر (الثاني) ان يا جوج مأخوذ من تأجج الملح وهو شدة ملوحته فليسر عنهم في  
الحركة سما بذلك (الثالث) قال القتيبي هو مأخوذ من قولهم أج الظليم في مشيه يشج أج

الاحكام المنسوخة  
المتعلقة بالعبادات وقيل  
الرهابة الذين يجسبون  
أنفسهم في الصوامع  
ويحملونها على  
الرياضات الشاقة وامه  
مايعمهم وغيرهم من  
الكفرة ومحل الوصول  
الرفع على انه خبر مبتدا  
محذوف لانه جواب  
للسؤال كأنه قيل من هم  
فقيل الذين الخ وجعله  
مجرورا على انه نعمت  
للاخيرين أو بدل منه  
أو منصوبا على الذم على  
أن الجواب ماسيأتي  
من قوله تعالى أولئك  
الآية ياباه أن صدره  
ليس منبثا عن خسران  
الاعمال وضلال السعي  
كما يستدعيه مقام الجواب  
والترجيع الاول وان دل  
على حبو طها لكنه  
سأكت عن أنباء ما هو  
العمدة في تحقيق معنى  
الخسران من الوثوق  
بترتب الريح واعتقاد  
النفع فيما صنعوا على أن  
الفرح الثاني بما يقطع  
ذلك الاحتمال رأسا إذ  
لا مجال لادراجته تحت  
امر بقضية نون العظمة  
( وهم يحسبون أنهم

يحسبون صنعا) الاحسان الايمان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها إذا هزل \*  
الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لا يجابهم بأعمالهم التي سموا في اقامتها وكتابتها  
في تحصيلها وبالجملة حال من فاعل

صل أى بطل سعيهم المذكور والخال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك ويتنصرون بآثاره أو المضاف اليه لكونه في محل  
الرض نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا أى بطل ﴿٧٧﴾ سعيهم والخال انهم الخ وآله رقى يشتمان أن المقارن لخال حسابانهم

المذكور في الاول ضلال  
سعيهم وفي الثاني نفس  
سعيهم والاول أدخل  
في بيان خطئهم (أولئك)  
كلام مستأنف من جنابه  
تعالى مسوق لتكامل  
تعريف الأخرى  
وتبيين سبب خسارتهم  
وضلال سعيهم وتعيينهم  
بموجب تطبيق التعريف  
على المخاطبين غير داخل  
تحت الأمر أى أولئك  
المنعوتون بما ذكر من  
من ضلال السعي مع  
الحسان المزبور (الذين  
كفروا بآيات ربهم)  
بدلالة الداعية الى  
التوحيد عقلا ونقلا  
والتعرض لمنوان  
الربوبية لزيادة تقييح  
حالههم في الكفر المذكور  
(ولقائه) بالبعث وما  
يتبعه من أمور الآخرة  
علم ما هي عليه (فحبطت)  
لذلك (أعمالهم) المعهودة  
حبوطا كايا (فلا نقيم لهم)  
أى لأولئك الموصوفين  
بما مر من حبوط الأعمال  
وقرى بالياء (يوم القيامة  
وزنا) أى فتردر بهم  
ولا تجعل لهم مقدارا  
واعتبارا لان مداره

إذا هزلول وسمعت حفيقه في عدوه (الرابع) قال الخليل الأجد حب كالسدس والمجج  
الرىق فيحتمل أن يكونا مأخوذين منهما واختلفوا في أنهما من أى الأقسام ثقيل انهما  
من الترك وقيل يأجوج من الترك وماجوج من الجبل والديلم ثم من الناس من وصفهم  
بقصر القامة وصقرا الجئة يكون طول أحدهم شبرا ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر  
الجئة وأثبتوا لهم محاليب في الاظفار وأضراسا كأضراس السباع واختلفوا في كيفية  
افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا يأكلون لحوم الناس وقيل  
كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم شيئا أخضر وبالجملة فلفظ الفساد محتمل  
لكل هذه الاقسام والله أعلم بمراده ثم انه تعالى حكى عن أهل ما بين السدين انهم قالوا  
لدى القرنين فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فقرأ حرة والكسائي  
خراجا والباقون خرجا قيل الخراج والخرج واحد وقيل هما أمران متغايران وعلى  
هذا القول اختلفوا قيل الخرج بغير ألف هو الجعل لان الناس يخرج كل واحد منهم  
شيئا منه فيخرج هذا أشياء وهذا أشياء والخراج هو الذى يجبيه السلطان كل سنة وقال  
القراء الخراج هو الاسم الاصل والخرج كالصدر وقال قطرب الخرج الجزية والخراج  
في الارض قتال ذوا القرنين ما مكنتى فيه ربي خير فأعينونى أى ما جعلنى مكيما من المال  
الكثير والبسار الواسع خير مما يتبدلون من الخرج فلا حاجة بي اليه وهو كما قال سليمان  
عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاناكم قرأ ابن كثير ما مكنتى بنونين على الاظهار  
والباقون بنون واحدة مشددة على الادغام ثم قال ذوا القرنين فأعينونى بقوة أجعل  
بينكم وبينهم رد ما أى لا حاجتلى في ما لكم ولكن أعينونى برجال وآله ابني بها السد  
وقيل المعنى أعينونى بمال أصرفه الى هذا المهم ولا أطلب المال لأخذه لنفسى والردم  
هو السد يقال ردمت الباب أى سدته ورددت الثوب رفته لانه يسد الخرق بالرقعة  
والردم أكثر من السد من قولهم ثوب مردوم أى وضعت عليه رقاع قوله تعالى  
(آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفضوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى  
أفرغ عليه فطرا فا اسطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي  
فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) اعلم ان زبر الحديد قطعة الخليل  
الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قراءة الجميع آتونى بمد الالف الاحرزة فانه قرأ آتونى  
من الاتيان وقد روى ذلك عن عاصم والتقدير آتونى بزبر الحديد ثم حذف الباء كقوله  
شكرته وشكرت له وكفرته وكفرت له وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين فيه اضمار  
أى قاتوه بها فوضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين  
الى اعلاهما ثم وضع المنافع عليها حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على  
الحديد المحمي فالتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلدا واعلم ان هذا مجزأ قاهر لان هذه  
الزبر الكثيرة اذا نفض عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفض

الأعمال الصالحة وقد حبطت بالرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التبريم وأما  
ما هو من أجزية الكفر فسيجي بعد ذلك أو لانضع لاجل وزن أعمالهم ميرانا لاله انما يوضع لاهل الحسنة

والسبب من الموحدين لتبزيه مفاد الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير وعدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فاحباطه للسنة بحسب الكيفية ﴿ ٧٥٨ ﴾ دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا (ذلك)

عليها لا يمكن الا مع القرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها قال صاحب الكشاف قيل بعدما بين السدين مائة فرسخ والصدفان يقطنان جانبا للجلين لأههما يتصادفان أي يتقابلان وقرى الصدفين بعثتين والصدفين بضمة وسكون والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقوله قطرا منصوب بقوله أفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ثم قال فما استطاعوا فحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرى فما استطاعوا بقلب السين صاد أن يظهره أن يعلوه أي ما قدروا على الصعود عليه لاجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقيه لاجل صلابته وتخشائه ثم قال ذوالقرنين هذا رجة من ربي قوله هذا اشارة الى السد أي هذا السد نعمة من الله ورجة على عباده أو هذا الاقتدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا ادنا بجي القيامة جعل السد كأي مدكوكا مسوي بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد انك وقرى دكا بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا وههنا آخر حكاية ذى القرنين \* قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وتفخ في الصور فجهنمهم جماعا وعرسنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا) اعلم ان الضمير في قوله بعضهم تأدالي بأجوج وما جوج وقوله يومئذ فيه وجوه (الاول) ان يوم السدماج بعضهم في بعض خلفه لما منعوا من الخروج (الثاني) ان عند الخروج يموج بعضهم في بعض قبل انهم حين يخرجون من وراء السد يموجون من دحين في البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون لحوم الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يعث الله عليهم حيوانات فتدخل آذانهم فيموتون (والقول الثالث) ان المراد من قوله يومئذ يوم القيامة وكل ذلك محتمل الا أن الاقرب ان المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكا فعنده ما ج بعضهم في بعض وبعده تفخ في الصور وصار ذلك من آيات القيامة والكلام في الصور قد تقدم وسيجي من بعد وأما عرض جهنم وبراذه حتى يصير مكثوثا فإياه هو الاله فذلك يجري مجرى عقاب الكفار لما يتداخلهم من الغم العظيم وبين تعالى أنه يكشفه للكافرين الذين عموا وصموا أما العمى فهو المراد من قوله كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى والمراد منه شدة انصرافهم عن قبول الحق وأما الصمم فهو المراد من قوله وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني ان حالتهم أعظم من الصمم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صبح به وهو لا يزال عنهم تلك الاستطاعة واحتج الاصحاب بقوله وكانوا لا يستطيعون سمعا على ان الاستطاعة مع الفعل وذلك لانهم لما لم يسموا لم يستطيعوا طل القاضى المراد منه نفرتهم عن سماع ذلك الكلام واستقبالهم اياه كقوله الرجل لا أستطيع النظر الى فلان \* قوله تعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دون أوليائنا أعدنا جهنم للكافرين نزلا

بيان مال كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مال أعمالهم المحبطة بذلك أي الامر ذلك وقوله عز وجل ( جزاؤهم جهنم ) جلة مينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به وجزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطوف بيان للخبر ( بما كفروا ) نصرح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها قوله تعالى ( واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ) أي هزوا وبها فأنهم لم يفتعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضا ( ان الدين آمنوا ) بيان بطريق الوعد لما لك الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعد أي آمنوا بالآيات ربهم ولقائه ( وعملوا الصالحات ) من الاعمال ( كانت لهم ) فيماسبق من حكم الله تعالى ووعدده وفيه ايماء الى أن أثر

الرجة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث ﴿ قل ﴾ من سوء اختيارهم (جنات الفردوس) عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بار وميقه وقال عكرمة هو الجنة بالحشية وقال الضحاك

هو الجنة الملتمة الاشجار وقيل هي الجنة التي تثبت خسروا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه  
كرما وقال المبرد هو قيس سمعت من العرب الشجر ﴿ ٧٥٩ ﴾ اللثف والاغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه

ليس في الجنان أعلى من  
جنة الفردوس وفيها  
الأمرون بالمعروف  
والناهون عن المنكر وعن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في الجنة مائة درجة  
ما بين كل درجتين مسيرة  
مائة عام والفردوس  
اعلاها وفيها الانهار  
الاربعة فاذا سألتهم الله  
تعالى فاسألوه الفردوس  
فان فوقه عرش الرحمن  
ومنه تنجر أنهار الجنة  
(نزلا) خبر كانت والجار  
والجبرور متعلق بمحذوف  
على انه حال من نزلا أو  
على انه بيان أحوال من  
جنت الفردوس والخبير  
هو الجار والجبرور فان  
جعل النزلا بمعنى ما يبها  
للنازل فالمعنى كانت لهم  
ثمار جنت الفردوس  
نزلا أو جعلت نفس  
الجنات نزلا مبالغة في  
الاکرام وفيه ايدان بأنها  
عندما أعد الله لهم على  
ما جرى على لسان النبوة  
من قوله أعددت لعبادي  
الصالحين ما لا عين رأت  
ولا أذن سمعت ولا خطر  
على قلب بشر بمنزلة  
التل بالنسبة الى الضيافة

قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم  
يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم  
يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) وفيه  
مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى للمبين من حال الكافرين انهم أعرضوا عن الذك  
وعن استماع ماجاء به الرسول أتبعه بقوله أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من  
دوني أولياء والمراد أفطنوا انهم يتنفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر الآيات  
وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وهو استفهام على سبيل التوبيخ (المسئلة الثانية)  
قرأ أبو بكر ولم يرفعه الى طاصم أفحسب الذين كفروا بسكون السين ورفع الباء وهي من  
الاحرف التي خالف فيها طاصم ما ذكره قراءة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وعلى هذا  
التقدير قوله حسب مبتدأ أن يتخذوا خبره والمعنى أفحسب فيهم وحسبهم أن يتخذوا كذا  
وكذا وأما الباقون فقروا أحسب على لفظ الماضي وعلى هذا التقدير فحبط  
والمعنى أحسب الذين كفروا اتخذوا عبادي أولياء ناهما (المسئلة الثالثة) في العباد  
أقوال قيل أراد عيسى والملائكة وقيل هم الشياطين والوثنهم ويطعونهم وقيل هي  
الاصنام سماهم عبادا كقوله عبادا مثلكم ثم قال تعالى انا أعبدنا جهنم للكافرين نزلا  
وفي النزلا قولان (الاول) قال الزجاج انه المأوى والمنزل (والثاني) انه الذي يقام  
للزبل وهو الضيف ونظيره قوله فبشرهم بعذاب أليم ثم ذكر تعالى ما نبه به على جهل القوم  
فقال قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قيل انهم هم  
الرهبان كقوله تعالى عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي أن ابن الكواء سأله  
عنهم فقال هم أهل حروراء والاصل أن يقال هو الذي يأتي بالأعمال بظنها طاعات وهي  
في أنفسها معاصي وان كانت طاعات لكنها لا تقبل منهم لاجل كفرهم فأولئك انما أتوا  
بتلك الاعمال لرجاء الثواب وانما أتبعوا أنفسهم فيها لطلب الاجر والفوز يوم القيامة  
فاذا لم يفوزوا بمطالبتهم بين انهم كانوا ضالين ثم انه تعالى بين صنعهم فقال أولئك الذين  
كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) لقاء الله  
عبارة عن رؤيته بدليل انه يقال لقيت فلانا أي رأيته فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول  
قال تعالى فالتقى الماء على امر قد قدر وذلك في حق الله تعالى محال فوجب حله على لقاء  
ثواب الله والجواب ان لفظ اللقاء وان كان في الاصل عبارة عن الوصول والملاقة الا أن  
استعماله في الرواية مجاز ظاهر مشهور والذي يقولونه من ان المراد منه لقاء ثواب الله  
فهو لا يتم الا بالاضمار ومن المعلوم ان حل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور أولى من  
حله على ما يحتاج معه الى الاضمار (المسئلة الثانية) استدلت المعتزلة بقوله تعالى  
فحبطت أعمالهم على أن القول بالاجساد والتكبير حق وهذه المسئلة قد ذكرناها  
بالاستقصاء في سورة البقرة فلانعبدها ثم قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفيه

وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر (خالدين فيها) نصب على الحالية (لا يبلغون منها حولا) مصدر كالعوج والصغر أي  
لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم وتطمع نحوه أبصارهم  
ويجوز أن يراد نفي التحول

وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره فيه فيكون حال المتداخلة (قل لو كان البحر) أي جنس البحر (مدادا) وهو ما تمده بالدواة من الخبر (لكلمات ربى) لتعريف كلمات ﴿ ٧٦٠ ﴾ عليه وحكمته التي من جعلتها ما ذكر

وجوه (الاول) ان ازدرى هم وليس لهم عندنا وزن ومقدار (الثاني) لان تقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدن لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات (الثالث) قال القاضي ان من غلبت معاصيه صار ما في قلبه من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعته وهذا التفسير بناء على قوله بالايجاب والتكفير ثم قال تعالى ذلك جزاؤهم جهنم فقولهم ذلك أي ذلك الذي ذكرناه وفصلناه من أنواع الوعيد هو جزاؤهم على أعمالهم الباطلة وقوله جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ثم بين تعالى ان ذلك الجزاء جزاء على مجموع أمرين (أحدهما) كفرهم (الثاني) انهم أضافوا الى الكفر ان اتخذوا آيات الله واتخذوا رسله هزوا فلم يقتصر و اعلى الرذعليهم وتكديهم حتى استهزؤا بهم \* قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدن فيها لا يبغون عنها حولا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ولما ذكر في الكفار ان جهنم تزلمهم اتبعه بذكر ما يرغب في الايمان والعمل الصالح فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (المسئلة الثانية) عطف عمل الصالحات على الايمان والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وذلك يدل على ان الاعمال الصالحة مغايرة للايمان (المسئلة الثالثة) عن فتادة الفردوس وسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس من فوقها فاذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنها تنفجر أنهار الجنة (المسئلة الرابعة) قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكلية نزل للمؤمنين والكرام اذا أعطى النزل أولا فلا بد أن يتبعه بالخلعة وليس بعد الجنة بكلية نزل الا روية الله فان قالوا أليس انه تعالى جعل في الآية الاولى جنة جهنم نزلا للكافرين ولم يبق بعد جنة جهنم عذاب آخر فكذلك ههنا جعل جنة الجنة نزلا للمؤمنين مع انه ليس له شيء آخر بعد الجنة والجواب قلنا للكافر بعد حصول جهنم مرتبة أعلى منها وهو كونه محجوبا عن رؤية الله كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ محجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فجعل الصلاة بالنار متأخرا في المرتبة عن كونه محجوبا عن الله ثم قال تعالى لا يبغون عنها حولا الحول الحول يقال حال من مكانه حولا كقوله طاد في حبها عودا يعني لا من يد على سادات الجنة وخيراتهما حتى يريد أشياء غيرها وهذا الوصف يدل على غاية الكمال لان الانسان في الدنيا اذا وصل الى أي درجة كانت في السعادات فهو طامع الطرف الى ما هو أعلى منه \* قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جنتا بمنه مدادا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما

من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك (لنفد البحر) مع كثرة ولم يبق منه شيء لتناهيه (قبل أن تنفد) وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد (كلمات ربي) لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على تقادها بمدنفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضوعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير (ولو جنتا) كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن بحى به لتعيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأکید والواو له طغف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المد كورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجي بمنه مدادا ولو جنتا بقدرتنا الباهرة (بمنه مدادا)

عننا وازيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الامتاهيا ﴿ الهكم ﴾ لقيام الادلة الناطقة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي ما يستمد الكاتب وقرئ مدادا (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى

(انما نابشر مثلكم) لأدعى الاحاطة بكلماته التامة (يوحى الى) من تلك الكلمات (انما الهكم الواحد) لاشريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت ﴿ ٧٦١ ﴾ عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاءه) الرجاء توفيق وصول

الخيري للمستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العريضة (علا صالحا) في نفسه لا ثقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به اجرا او يثار و يضع المظهر موضع المضمير في الموضوعين مع التعرض لعنوان الربوبية زيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتكرار يوحى ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطاع عليه سرني فقال عليه الصلاة

الهكم الواحد فمن كان يرجو لقاءه به فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفي الآيات مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبيانات وشرح فيها أفاضل الاولين نبه على كمال حال القرآن فقال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي والمداد اسم لما تمده الدواة من الخبر وما يمد به السراج من السايط والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لتنفذ قبل أن تنفذ الكلمات وتقرير الكلام ان البحار كيفما فرضت في الاتساع والعظمة فهي متناهية ومعلومات الله غير متناهية والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي قرأ حرة والكسائي ينفذ بالياء لتقدم الفعل على الجمع والباقيون بالياء لتأنيث كلمات وروى ان حبي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتن من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (المسئلة الثانية) احتج المخالفون على الطعن في قول أصحابنا ان كلام الله تعالى واحد بهذه الآية وقالوا انها صريحة في اثبات كلمات الله تعالى وأصحابنا حملوا الكلمات على متعلقات علم الله تعالى قال الجبائي وأيضا قوله قبل أن تنفذ كلمات ربي يدل على ان كلمات الله تعالى قد تنفذ في الجملة ومائت عدمه امتنع قدمه وأيضا قال ولو جئتكم بمداد وهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يجيئ بمثل كلامه والذي يجاهبه يكون محدثا والذي يكون المحدث مثاله فهو وأيضا محدث وجواب أصحابنا ان المراد منه الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية واعلم انه تعالى لما بين كمال كلام الله أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقا للتواضع فقال قل انما نابشر مثلكم يوحى الى أي لامتياز بيني وبينكم في شيء من الصفات الا ان الله تعالى أوحى الى انه لا اله الا الله الواحد الاحد الصمد والآية تدل على مطلوب بين (الاول) ان كلمة انما تنفيدا لخصر وهي قوله انما الهكم الواحد (والثاني) ان كون الاله تعالى الها واحدا يمكن اثباته بالدلائل السمعية وقد قررنا هذين المطلوبين في سائر السور بالوجوه والقوية ثم قال فمن كان يرجو لقاءه به والرجاء هو ظن المنافع الواصلة اليه والخوف ظن المضار الواصلة اليه وأصحابنا حملوا لقاء الرب على رؤيته والمعتزلة حملوه على لقاء ثواب الله وهذه المناظرة قد تقدمت والعجب انه تعالى أورد في آخر هذه السورة ما يدل على حصول رؤية الله في ثلاث آيات (اولها) قوله أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه (وثانيها) قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا (وثالثها) قوله فمن كان يرجو لقاءه به ولا يمان أقوى من ذلك ثم قال فليعمل عملا صالحا أي من حصل له رجاء لقاء الله فليستغل بالعمل الصالح ولما كان العمل الصالح قديوتني به الله وقديوتني به للرياء والسمعة لاجرم اعتبر فيه قيدان أن يوتى به الله وأن يكون مبرأ عن جهات الشرك فقال ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴿ قبل نزول هذه الآية في جندب بن زهير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعلم العمل لله تعالى

والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه ﴿ ٩٦ ﴾ خا فنزلت تصديقه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لآجران أجر السور وأجر العلية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصفر قيل وما الشرك الاصفر قال ربه ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت نوراً من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء وحده صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه ﴿٧٦٢﴾ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الخ كان له من مضجعه نوراً يثلاً

فاذا اطلع عليه أحد سرتي فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أيضاً انه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية فالر اية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والر اية الثانية محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام الكاملين والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجدهم قال المصنف رضی الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة اثنين وستمئة في بلدة غزني ونسأل الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أن يخصنا بالمغفرة والفضل في يوم الدين انه ذو الفضل العظيم

\*( سورة مريم رضی الله عنها ثمان وتسعون آية مكية ) \*

\*( بسم الله الرحمن الرحيم ) \*

( كهيعص ) قبل الخوض في القراءات لابد من مقدمات ثلاثة ( المقدمة الاولى ) ان حروف المعجم على نوعين ثنائي وثلاثي وقد جرت عادة العرب أن ينطقوا بالثنائيات مقطوعة مماله فيقولوا باتاناو كذلك امثالها وان ينطقوا بالثلاثيات التي في وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولوا ذال ذال صاد صا ذك ذلك اشكالها اما الزاي وحده من بين حروف المعجم فمتاد فيه الامر ان فان من أظهر ياءه في النطق حتى يصير ثلاثياً لم يله ومن لم يظهر ياءه في النطق حتى يشبه الثنائي يله ( أما المقدمة الثانية ) ينبغي أن يعلم ان اشباع القححة في جميع المواضع أصل والامالة فرع عليه ولهذا يجوز اشباع كل عمال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات ( المقدمة الثالثة ) للقراء في القراءات المخصوصة بهذا الموضوع ثلاثة طرق ( أحدها ) ان يتمسكوا بالاصل وهو اشباع قححة الهاء والياء ( وثانيها ) أن يميلوا الى الهاء والياء ( وثالثها ) ان يجمعوا بين الاصل والفرع فيقع الاختلاف بين الهاء والياء فيفتحوا احدهما ايها كان ويكسروا الآخر ولهم في السبب الموجب لهذا الاختلاف قولان ( الاول ) ان القححة المشبعة اصل والامالة فرع مشهور كثير الاستعمال فاسم احدهما وأميل الآخر ليكون جامعاً لمراعاة الاصل والفرع وهو احسن من مراعاة احدهما وتضميم الآخر ( القول الثاني ) ان الثنائية من حروف المعجم اذا كانت مقطوعة كانت بالامالة واذا كانت موصولة كانت بالاشباع وهاوياً في قوله تعالى كهيعص مقطوعان في اللفظ موصولان في الخط فأميل أحدهما واشبع الآخر ليكون كلا الجانبين مرصياً جانب القطع اللفظي وجانب الوصل الخطي اذا عرفت هذا فنقول في قراءات ( احدهما ) وهي القراءة المعروفة في قححة الهاء والياء جيما ( وثانيا ) كسر الهاء وقحح الياء وهي قراءة أبي عمرو وابن مبادر والقطعي عن أيوب وانما كسر الهاء دون الياء ليكون فرقاً بينه وبين الهاء الذي للتشبيه فانه لا يكسر قط ( وثالثها ) قحح الهاء وكسر الياء وهو قراءة حنزة والاعمش وطلحة والضحاك عن طاسم وانما كسروا الياء دون الهاء لان الياء أخت الكسرة واعطاء الكسرة اختها أولى من اعطائها الى

الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلاؤه من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة

يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمة العظام \* (سورة مريم عليها السلام مكية الآية السجدة وهي ثمان أو تسع وتسعون آية) \* \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \* (كهيعص) بامالة

الهاء والياء واظهار الدال وقرى بفتح الهاء وامالة الياء وبفتحهما وباخفاء التون قبل الصاد لتقاربهما وقد ساف أن مالا يكون من هذه الفوائج مفردة ولا موازنة لمفرد وفطريق التلغظ بها الحكاية قطعاً ساكنة الا بحجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور او مسرودة على نمط التعديوان لزمها التقاء الساكنين لكونه مفتعراً في باب الوقف قطعاً

فحق هذه القاطحة الكريمة أن يوقف عليها جريا على الاصل وقرى بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج ﴿أجنبية﴾ فان جعلت اسم السورة على ما عليه اطلاق الاكثر فله الرفع اما على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر



صار في حكم حاضر الشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره (ذكر رحمة بك) المسمى به ذكر رحمة الخ فلن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ﴿ ٧٦٣ ﴾ ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها

والاول هو الاول لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانسحاب اليه عند مخاطب واذا علم بالتسمية من قبل فحتمها الاخبار بها كافي الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر مبتدأ محذوف هو ما يبيد عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مراد به السورة ذكر رحمة الخ أو اسم إشارة أشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أي هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبر أي فيما يلي عليك ذكره وقرئ ذكر رحمة بك على صيغة الماضي من التذكير أي هذا التلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبثة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايدان بأن تنزيل العلسورقيه

أجنبية مفتوحة للناسبة (ورابعها) اماتهما جميعا وهو قراءة الكسائي والمفضل ويحيى عن عاصم والوليد بن أسلم عن ابن عامر والزهرى وابن جرير وانما مالوهما للوجهين المذكورين في امالة الهاء وامالة الياء (وخامسها) قراءة الحسن وهي ضم الهاء وقح الياء وعنه أيضا قح الهاء وضم الياء وروى صاحب الكشاف عن الحسن بضمهما فقبله لم تثبت هذه الرواية عن الحسن لانه أورد ابن جنى في كتاب المكتسب ان قراءة الحسن ضم أحدهما وقح الآخر لاعلى التعيين وقال بعضهم انما أقدم الحسن على ضم أحدهما لاعلى التعيين لانه تصور أن عين الفعل في الهاء والياء ألف منقلب عن الواو كادار والمال وذلك لان هذه الالفاظ وان كانت مجهولة لانها لا اشتقاق لها فانها تحمل على ما هو مشابه لها في اللفظ والالف اذا وقع عينا فالواجب أن يعتقد انه منقلب عن الواو لان الغالب في اللغة ذلك فلما تصور الحسن ان ألف الهاء والياء منقلب عن الواو جعله في حكم الواو وضم ما قبله لان الواو أخت الضمة (وسادسها) هاء ياء شامهما شيئا من الضمة (المسئلة الثالثة) قرأ أبو جعفر كهيعص بفصل الحروف ببعضها من بعض بأدنى سكتة مع اظهار نون العين وبقى القراءة يصلون الحروف ببعضها ببعض ويخفون النون (المسئلة الثالثة) القراءة المعروفة صاد ذكر بالادغام وعن عاصم ويعقوب بالظهار (البحث الثاني) المذاهب المذكورة في هذه الفواتح قد تقدمت لكن الذي يخص بهذا الموضوع ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى كهيعص ثناء من الله على نفسه فن الكاف وصفه بانه كاف ومن الهاء هاد ومن العين عالم ومن الصاد صادق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا انه حمل الكاف على الكبير والكريم ويحيى أيضا عنه انه حمل الياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى وعن الربيع بن أنس في الياء انه من مجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في العين أنه من عزيز ومن عدل وهذه الاقوال ليست قوية لما بينا أنه لا يجوز من الله تعالى أن يودع كتابه ما لا يتدل عليه اللغة بالحقيقة ولا بالجاز لانان يجوزنا ذلك قح علينا قول من يزعم ان لكل ظاهر باطنا واللغة لا تتدل على ما ذكره فانه ليست دلالة الكاف على الكافي أولى من دلالة على الكريم أو الكبير أو على اسم آخر من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم أو الملائكة أو الجنة أو النار فيكون حله على بعضها دون البعض تحكما لا تتدل عليه اللغة أصلا قوله تعالى (ذكر رحمة بك عبده زكريا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في لفظة ذكر أربع قراءات صيغة المصدر أو الماضي مخففة أو مشددة أو الامر أما صيغة المصدر فلا بد فيها من كسر رحمة بك على الاضافة ثم فيها ثلاثة أوجه (أحدها) نصب الدال من عبده والهجزة من زكريا وهو المشهور (وثانيها) برفعهما والمعنى وتلك الرحمة هي عبده زكريا عن ابن عامر (وثالثها) نصب الاول و برفع الثاني والمعنى رحمة بك عبده وهو زكريا وأما صيغة الماضي بالتشديد فلا بد فيها من نصب رحمة وأما صيغة الماضي بالتخفيف ففيها وجهان (أحدهما) رفع الياء من ربك

عليه الصلاة والسلام تكميله عليه السلام وقوله تعالى (عبده) مفعول رحمة بك على أنها مفعول لما ضيف اليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابها كما يقال ذكرني معروف فلان أي بلغني وقوله عز وجل ( زكريا ) بلفظ منه أو عطف بيان له

(اذنادى ربه نداء خفيا) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف الى فاعله اتساما لاصلي الوجه الاول للفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر ﴿ ٧٦٤ ﴾ في الكتاب مريرم اذا تبننت ولقد راعى

والمعنى ذكر ربك عبده زكريا (وثانيها) نصب الباء من ربك والرفع في عبده زكريا وذلك بتقديم المفعول على الفاعل وهاتان القراءتان للكلبي وأما صيغة الامر فلا بد من نصب رجة وهي قراءة ابن عباس واعلم أن على تقدير جعله صيغة المصدر والماضى يكون التقدير هذا التلو من القرآن ذكر رجة ربك (المسئلة الثانية) يحتمل أن يكون المراد من قوله رجة ربك أعنى عبده زكريا ثم في كونه رجة وجهان (أحدهما) أن يكون رجة على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعات (والآخر) أن يكون رجة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته محمد لان الله تعالى لما شرح لمحمد صلى الله عليه وسلم طريقه في الاخلاص والابتغال في جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لفظا داعيا له ولا مته الى تلك الطريقة فكان زكريا رجة ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي رحم بها عبده زكريا \* قوله تعالى (اذنادى ربه نداء خفيا) راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص (وثانيها) اخفاء لتلايلام على طلب الولد في زمان الشيوخة (وثالثها) اسره من مواليه الذين خافهم (ورابعها) خفي صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات فان قيل من شرط النداء الجهر فكيف اجتمع بين كونه نداء وخفيا والجواب من وجهين (الاول) انه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان الصوت كان ضعيفا لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان نداء نظرا الى قصده وخفيا نظرا الى الواقع (الثاني) انه دعا في الصلاة لان الله تعالى اجابه في الصلاة لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فكون الاجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفيا \* قوله تعالى (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعاك رب شقيا وانى خفت المولى من ورأتى وكانت امرأتى عاقرا فهبلى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) القراءة فيها مسائل (المسئلة الاولى) قرئ \* وهن بالحركات الثلاث (المسئلة الثانية) ادغام السين في الشين عن أبي عمرو (المسئلة الثالثة) وانى خفت المولى بفتح الياء وعن الزهرى باسكان الياء من المولى وقرأ عثمان وعلى بن الحسين ومحمد بن على وسعيد بن جبيرة زيد بن نابت وابن عباس خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر التاء وهذا يدل على معنيين (أحدهما) أن يكون ورأتى بمعنى بعدى والمعنى انهم قتلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعده فسأل ربه تقويتهم بولى يرزقه (والثاني) أن يكون بمعنى قدامى والمعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق من به تقوا واعتضاد (المسئلة الرابعة) القراءة المعروفة من ورأتى بجمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن جريد بن مقسم كذلك لكن بفتح الياء وقرأ ابن كثير ورأى كعصاى (المسئلة الخامسة) في يرثنى ويرث وجوه (أحدها) القراءة المعروفة بالرفع فيهما صفة (وثانيها) وهي قراءة أبي عمرو

عليه الصلاة والسلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لائمة اناس على طلب الولد انوقفه على مباد لا يلبق به تعاطيا في أو ان الكبر والشيوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنة حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران (قال) جملة مفسرة لتنادى لاجل لها من الاعراب (رب انى وهن العظم منى) اسناد الوهن الى العظم لما أنه عماد البدن ودعام لجسد فاذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله ولانه اشد اجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا من العليل فاذا وهن كان ماوراءه أو وهن وافراده للقصدا الى الجنس المتبني

عن شمول الوهن لكل فرد من أفرادها ومعنى متعلق بمحذوف هو حال من العظام وقرئ \* وهز ﴿ والكاتبى ﴾ يكسر الهاء ويضمها أيضا وتأكيدها لاجل لابرز كمال الاجتهاد بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيبا) شبه عليه الصلاة والسلام الشيب في البياض والابارة بشواهد الظهور وانتيشاره

في الشعر وفتوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجها مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومثبه  
وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاءه ٧٦٥ بماقيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكالجزالة ما لا يخفى

حيث كان الاصل اشتعل  
شيب رأسي فاستند الاشتعال  
الى الرأس كما ذكر لافادة  
شموله لكلمها فان وزانه  
بالنسبة الى الاصل وزان  
اشتعل بيته نارا بالنسبة  
الى اشتعل النار في بيته  
ولزيادة تقريره بالاجال  
أولا والتفصيل ثانيا  
ولزيد تقضيمه بالتكبير  
وقرى بادغام السين  
في السين ( ولم أكن  
بدعائك رب شقيا ) أى  
ولم أكن بدعائى اياك  
حائبا في وقت من أوقات  
هدا العمر الطويل  
بل كما دعوتك استجبت لى  
والجملة معطوفة على  
ما قبلها أو حال من ضمير  
المتكلم اذا المعنى واشتعل  
رأسى شيئا وهذا توسل  
منه عليه السلام بما سلف  
منه من الاستجابة عند  
كل دعوة اثر تمهيد  
ما يستدعى الرحمة  
ويستجلب الرأفة من  
كبر السن وضعف الحال  
فانه تعالى بعد ما عود  
عبيده بالاجابة دهرا  
طويلا لا يكاد يخيبه  
أبدالاسيما عند اضطراره  
وشدة افتقاره والتعرض

والكسائي والزهرى والاعمش وطلحة بالجزم فيهما جوابا للدعاء ( وثائها ) عن علي بن أبي  
طالب وابن عباس و جعفر بن محمد والحسن وقناة يرثى جزم وارث بوزن فاعل  
( ورابعها ) عن ابن عباس يرثى وارث من آل يعقوب ( وخامسها ) عن الجحدري أو يرث  
تصغير وارث على وزن أفعل ( اللغة ) الوهن ضعف القوة قال في الكشاف شبه الشيب  
بشواظ النار في بيضه وانارته وانتشاره في الشعر وفتوه فيه وأخذه كل ماخذ كاشتعال  
النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومثبه وهو الرأس  
وأخرج الشيب بميزا ولم يصف الرأس اكتفاءه يعلم المخاطب انه رأس ذكر ياقن ثم فصحت هذه  
الجملة وأما الدعاء فطلب الفعل ومقابله الاجابة كما ان مقابل الامر الطاعة وأما اصل  
التركيب في ولى فيدل على معنى القرب والدنو يقال وليته أليه ولياى دنوت وأوليته  
أذنيته منه وتباعدا مبعده وولى ومنه قول ساعدة \* وعدت عواد دونك تشغب \*  
وكل مما يليك وجلست مما يليه ومنه الولي وهو المطر الذي يلي الوسمي والولية البرذعة  
لانها تلي ظهر الدابة وولى اليتيم والقليل وولى البلد لان من تولى أمر ا فقد قرب منه  
وقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه بر كنهه اى جعله مما  
يليه واما ولى عنى اذا بر فهو من باب تنقيح الحشو والسلب وقولهم فلان اولى من فلان  
اى احق افعل التفصيل من الوالى او الولي كالادنى والاقرب من الدانى والقريب وفيه  
معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشئ كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي  
كالرمي والمبني اسم لموضع الرمي والبناء واما العاقر فهي التى لاتلد والعقر في اللغة  
الجرح ومنه اخذ العاقر لانه نقص اصل الخلفة وعقرت الفرس بالسيف اذا صربت  
قوائمه واما الآل فهم خاصة الرجل الذى يؤل امرهم اليه ثم قد يؤل امرهم اليه  
للقراية تارة وللحبيبة اخرى كآل فرعون وللمواقفة في الدين كما ك النبي صلى الله عليه وسلم  
واعلم ان ذكر يله عليه السلام قدم على السؤال امور ثلاثة ( احدها ) كونه ضعيفا  
( والثاني ) ان الله تعالى مارد دعاه اليه ( والثالث ) كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة  
في الدين ثم بعد تقرير هذه الامور الثلاثة صرح بالسؤال ( اما المقام الاول ) وهو كونه  
ضعيفا فاطر الضعف اما ان يظهر في الباطن او في الظاهر والضعف الذى يظهر في الباطن  
يكون أقوى مما يظهر في الظاهر فلهذا السبب ابتدا بيان الضعف الذى في الباطن  
وهو قوله وهن العظم منى وتقريره هو ان العظام أصلب الاعضاء التى في البدن وجعلت  
كذلك لمنفعتين ( احدهما ) لاتكون أساسا وعمدا يعتمد عليها سائر الاعضاء  
الآخر اذا كانت الاعضاء كلها موضوعة على العظام والحامل يجب أن يكون أقوى من  
المحمول ( والثانيه ) انه احتجج اليها في بعض المواضع لان تكون جنة يقوى بها ما سواها  
من الاعضاء بمنزلة قحف الرأس وعظام الصدر وما كان كذلك فيجب أن يكون صلبا  
ليكون صبورا على ملاقة الآفات بعيدا من القبول لها اذا ثبت هذا فنقول اذا كان

في الموضوعين لوصف الربوبية المنبثه عن اضافة ما فيه صلاح الربوب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام  
لاسيما توسطه بين كان وخبرها ليعر يك سلسلة الاجابة بالبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له  
دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته ( واتى خفت الموالى )

عطف على قوله تعالى اني وهن العظم مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوفه عليه السلام من بلى أمره بعد موته ومواليه بنوعه وكانوا ﴿ ٧٦٦ ﴾ أشرار بني اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا

العظم أصلب الاعضاء فتي وصل الامر الى ضعفها كان ضعف ما عداها مع رخاوتها أول ولان العظم اذا كان حاملا لسائر الاعضاء كان تطرق الضعف الى الحامل موجبا لتطرقه الى المحمول فلهذا السبب خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء وأما أثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس فثبت ان هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف على الباطن والظاهر وذلك بما يزيد الداء توكيدا لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الاسباب الظاهرة (المقام الثاني) انه ما كان مردود الداء البتة ووجه التوسل به من وجهين (أحدهما) ما روي أن محتاجا سال واحدا من الاكابر وقال أنا الذي أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توصل بنا الينا ثم قضى حاجته وذلك انه اذا قبله او افلوانه رده ثانيا لكان الرد محبطا للانعام الاول والمنعم لا يسعي في احباط انعامه (والثاني) وهو ان مخالفة العادة شاقة على النفس فاذا تعود الانسان اجابة الداء فلوصار مردودا بعد ذلك لكان في غاية المشقة ولان الجفاء من يتوقم منه الانعام يكون اشق فقال زكرياء عليه السلام انك ما رددتني في أول الامر مع اني ما تعودت اطفك وكنت قوى البدن قوى القلب فلورددتني الآن بعد ما تعودتني القبول مع نهاية ضعفي لكان ذلك بالغالى الغاية القصوى في ألم القلب واعلم ان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم يئلهما ومعنى يدطأك أى يدعاني اياك فان الفعل قد يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول أخرى (المقام الثالث) بيان كون المطلوب منتعابه في الدين وهو قوله واني خفت الموالى من ورأى وفيه اباحت (الاول) قال ابن عباس والحسن اني خفت الموالى أى الورثة من بعدى وعن مجاهد العصبية وعن أبي صالح الكلاله وعن الاصم بنوالم وهم الذين بلونه في النسب وعن أبي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بميراثه مقام الولد والمختار ان المراد من الموالى الذين يخلفون بعده اما في السياسة أوفى المال الذى كان له أوفى القيام بأمر الدين فقد كانت العادة جارية ان كل من كان الى صاحب الشرع أقرب فانه كان متعينا في الحياة (الثاني) اختلفوا في خوفه من الموالى فقال بعضهم خافهم على أفساد الدين وقال بعضهم بل خاف ان يتهنى أمره اليهم بعد موته في مال وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم في العلم والقدرة عن القيام بذلك المنصب وفيه قول ثالث وهو انه يحتمل أن يكون الله تعالى قد أعلمه انه لم يبق من أنبياء بني اسرائيل نبي له أب الا واحد فخاف أن يكون ذلك من نبي عمه اذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى أن يهب له ولدا يكون هو ذلك النبي وذلك يقتضى أن يكون خائفا من أمرهم بمشله الانبياء وان لم يدل على تفصيل ذلك ولا يمتنع أن زكرياء كان اليه مع النبوة السياسة من جهة الملك وما يتصل بالامامة فخاف منهم بعدة على أحدهما أو عليهما أما قوله واني خفت فهو وان خرج على لفظ الماضى لكنه يفيد انه في المستقبل أيضا كذلك يقول الرجل قد خفت أن

خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من ورأى) أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الدهن أى فعل الموالى من بعدى أو جور الموالى وقد قرئ كذلك أو بما في الموالى من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الامر من ورأى لا يخفت لفساد المعنى وقرئ ورأى بالقصر وقبح الياء وقرئ خفت الموالى من ورأى أى قلوا وعجزوا عن القيام بأمر الدين بعدى أو خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خفت اليوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فانظر كيف متعلق بخفت) وكانت امرأتى طاقرا) أى لا تلد من حين شيا بها (فهب لى من لدك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا يتدأه الغاية مجازا وتقديم الاول

لكون مدلوله أهم عنده ويموز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف ﴿ يكون ﴾ بمعنى أول غيبة زمان أو مكان أو غيرهما من القنوت وقدم تفصيله في أوائل سورة آل عمران أى أعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع

لا بواسطة الأسباب العادية (وليا) أي ولد من صلبى وأخيرة عن الجارين لظهار كمال الاعتناء بكون الهبة على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق ﴿ ٧٦٧ ﴾ إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إنما أخر حتى النفس مستشرفته

فمتدورده لها يمكن  
عندها فضل تمكن  
ولان فيه نوع طول  
بما بعده من الوصف  
فأخيرا عن الكل  
أوتو سيطهما بين  
الموصوف والصفة  
ما لا يلقى بجزالة النظم  
الكريم والغاء لترتيب  
ما بعدها على ما قبلها  
فان ما ذكره عليه الصلاة  
والسلام من كبر السن  
وضعف القوى وعقر  
المرأة موجب لانقطاع  
رجائه عليه السلام  
عن حصول الولد بتوسط  
الاسباب العادية  
واستيهابه على الوجه  
الخارق للعادة ولا يفتح  
في ذلك أن يكون هناك  
داع آخر إلى الاقبال  
على الدماء المذكور من  
شاهدته عليه السلام  
للخوارق الظاهرة في حق  
مريم كما يعرب عنه  
قوله تعالى هناك دعا  
ذكر يارب الآيات وعدم  
ذكره ههنا للتعويل على  
ذكره هناك كما أن عدم  
ذكر مقدمه الدماء هناك  
للاكتفاء بذكره ههنا  
فان الاكتفاء بما ذكر

يكون كذا وخشيت أن يكون كذا أي أنا خائف لا يريدانه قد زال الخوف عنه وهكذا  
قوله وكانت امرأتى عاقرا أي انها عاقرة في الحال وذلك لان العاقرة لا تحول ولو دافى العادة  
في الاخبار عنه بلفظ الماضي اعلام بتقدم العهد في ذلك وغرض ذكر ياء من هذا الكلام  
بيان استبعاد حصول الولد فكان إيراد بلفظ الماضي أقوى وإلى هذا يرجع الامر في  
قوله وإني خفت الموالى من ورائى لانه انما قصد به الاخبار وعن تقدم الخوف ثم استغنى  
بدلالة الحال وما يوجب مسألة الوارث واطهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في  
الحال وايضا فقد يوضع الماضي مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى واذا قال الله  
يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس والله اعلم واما قوله من ورائى ففيه قولان (الاول)  
قال ابو عبيدة اى قدامى وبين يدي وقال آخرون اى بعد موتى وكلاهما محتمل فان قيل  
كيف خافهم من بعده وكيف علم انهم يتقون بعده فضلا من ان يخاف سهرهم فلان ذلك  
قد يعرف بالامارات والظن وذلك كاف في حصول الخوف فر بما عرف ببعض الامارات  
استرارهم على عادتهم في الفساد والشر واختلف في تفسير قوله فهبلى من لدنك وليا  
فلا كثرون على انه طلب الولد وقال آخرون بل طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره  
والاقرب هو الاول ثلاثة اوجه (الاول) قوله تعالى في سورة آل عمران حكايته عنه قال  
رب هبلى من لدنك ذرية طيبة (والثاني) قوله في هذه السورة هبلى من لدنك وليا  
يرثنى ويرث من آل يعقوب (والثالث) قوله تعالى في سورة الانبياء وذكرا ياء اذا نادى ربه  
رب لا تذرنى فردا وهذا يدل على انه سأل الولد لانه قد اخبر في سورة مريم انه له موالى وانه  
غير منفرد عن الورثة وهذا وان امكن حمله على وارث يصلح ان يقوم مقامه لكن حمله على  
الولد اظهر واحتج اصحاب القول الثالث بأنه لما بشر بالولد استعظم على سبيل التعجب  
فقال أنى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد لما استعظم ذلك (الجواب) انه  
عليه السلام سأل عما يوهبه له أو يهب له وهو وامرأته على هيتهما أو يوهب بأن يحولا  
شابين يكون لثلهما ولد هذا يحكى عن الحسن وقال غيره ان قول ذكر ياء عليه السلام في  
الدعاء وكانت امرأتى عاقرا انما هو على معنى مسئلته ولدا من غيرها ومنها أن يصلحها الله  
للولد فكانه عليه السلام قال انى آيست ان يكون لى منها ولد فهبلى من لدنك وليا  
كيف شئت اما بان تصلحها فيكون الولد منها أو بأن تهبلى من غيرها فلما بشر بالغلام  
سأل أن يرزق منها أو من غيرها فأخبر بأنه يرزق منها واختلفوا في المراد بالميراث على وجوه  
(أحدها) ان المراد بالميراث في الموضعين هو وراثته المال وهذا قول ابن عباس والحسن  
والضحاك (وثانيها) ان المراد به في الموضعين وراثته النبوة وهو قول أبي صالح (وثالثها)  
يرثنى المال ويرث من آل يعقوب النبوة وهو قول السدى ومجاهد والشعبي وروى  
أيضا عن ابن عباس والحسن والضحاك (ورابعها) يرثنى العلم ويرث من آل يعقوب  
النبوة وهو مروي عن مجاهد واعلم ان هذه الروايات ترجع إلى أحد أمور خمسة وهي

في موطن عمارك في موطن آخر من النكت التزييلية وقوله تعالى (يرثنى) صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجرم  
جواب للدعاء أي يرثنى من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال قال صلى الله  
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركنا صدقة وقيل يرثنى الجبورة وكان عليه السلام حبرا

(ويرث من آل يعقوب) يقال ورثته وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه أمرهم للقرابة أو المحبة أو المواقفة في الدين وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم أي ويرث ﴿٨٦٨﴾ منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن

المال ومنصب الجبورة والعلم والنبوة والسيرة الحسنة ولغظ الارث مستعمل في كلهما أما في المال فلقوله تعالى أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأما في العلم فلقوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم وقال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وهذا محتمل وراثته الملك ووراثته النبوة وقد يقال أورثني هذا فخا وحرنا وقد ثبت ان اللفظ محتمل لتلك الوجوه واخرج من حل اللفظ على وراثته المال بالخبر والمعقول أما الخبر فقوله عليه السلام رحم الله زكريا ما كان له من يرثه وظاهره يدل على ان المراد ارث المال وأما المعقول فمن وجهين (الاول) ان العلم والسيرة والنبوة لا تورث بل لا تحصل الا بالاكتماب فوجب حمله على المال (الثاني) انه قال واجعله رب رضيا ولو كان المراد من الارث ارث النبوة لكان قد سأل جعل النبي صلى الله عليه وسلم رضيا وهو غير جائز لان النبي لا يكون الارضيا معصوما وأما قوله عليه السلام انما معشر الانبياء لا تورث ما تركناه صدقة فهذا لا يمنع أن يكون خاصا به واخرج من حمله على العلم أو المنصب والنبوة بما علم من حال الانبياء ان اهتمامهم لا يشتد بأمر المال كما يشتد بأمر الدين وقيل لعله أوثى من الدنيا ما كان عظيم النفع في الدين فلهذا كان مهتما به أما قوله النبوة كيف تورث قلنا المال انما يقال ورثته الابن بمعنى قام فيه مقام أبيه وحصل من فائدة التصرف فيه ما حصل لآبيه والافلتك المال من قبل الله لان قبل المورث فكذلك اذا كان المعلوم في الابن أن يصير نبي بعده فيقوم بأمر الدين بعده جاز أن يقال ورثته أما قوله عليه السلام انما معشر الانبياء فهذا وان جاز حمله على الواحد كما في قوله تعالى انما نحن زنتنا لذكر لكنه مجاز وحقيقته الجمع والعدول عن الحقيقة من غير موجب لا يجوز لاسيما وقد روى قوله انما معشر الانبياء لا تورث والاول أن يحمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح فان كل هذه الامور مما يجوز توفر الدواعي على بقائها ليكون ذلك النفع دائما مستمرا (السابع) اتفق أكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا هي اخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وأما زكريا عليه السلام فهو من ولد هرون أخي موسى عليه السلام وهرون وموسى عليهما السلام من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرائيل صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام بل يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد أن يرثه ولده جبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرى أو يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايماء الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صفه وقرى وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني على طريقة الجريد أي يرثني به وارث وقيل من التبويض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجعله رب رضيا) مرضيا عندك قولا فعلا وتوسيط رب بين مفعولي اجعل

للبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (يا زكريا) على ارادة القول أي قال تعالى يا زكريا اننا نبشرك بغلام ﴿فاراد﴾ اسمه يحيى) لكن لا بان يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحيى له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة منه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وقدمر تحققة في سورة آل عمران

وهذا جذاب لندائه عليه الصلاة والسلام ووعده باجابة دعاته لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له  
ووهبنا له يحيى الخ نزل بعضا حسبا تقتضيه المشيئة ﴿ ٧٦٩ ﴾ الالهية المبنية على احكام البالغة فان الانبياء عليهم

الصلاة والسلام وان  
كانوا مستجابي الدعوة  
لكنهم ليسوا كذلك في  
جميع الدعوات ألا يرى  
الى دعوة ابراهيم عليه  
الصلاة والسلام في حق  
أبيه والى دعوة النبي  
عليه الصلاة والسلام  
حيث قال وسأله أن  
لا يذيق بعضهم بأس  
بعض فذعننها وقد كان  
من قضائه عز وعلان  
يهبه يحيى نبي امرضا  
ولا يرثه فاستجيب دعاؤه  
في الاول دون الثاني  
حيث قتل قبل موت أبيه  
عليهما الصلاة والسلام  
على ما هو المشهور  
وقيل بقي بعده برهة  
فلا شك حينئذ وفي  
تعيين اسمه عليه الصلاة  
والسلام تأكيلا لوعده  
وتشريفه عليه الصلاة  
والسلام وفي تخصيصه  
به عليه السلام حسبا  
يعرب عنه قوله تعالى  
(لم يجعل له من قبل  
سميا) أي شر يكاله في  
الاسم حيث لم يسم أحد  
قبله يحيى من يد تشريف  
وتفخيم له عليه الصلاة  
والسلام فان التسمية  
بالاسمى البديعة الممتازة  
عن اسماء سائر الناس

فاراد أن يرثه ولده جهورته ويرث بنى مائة ملكهم واعلم انهم ذكر وافى تفسير الرضى  
وجوها (أحدها) ان المراد واجعله رضى من الانبياء وذلك لان كلهم مرضيون فالرضى  
منهم مفضل على جعلتهم فائق لهم في كثير من أمورهم فاستجاب الله تعالى له ذلك فوهب  
له سيادا وحصورا ونبيانا من الصالحين لم يعص ولم يهجم بمعصية وهذا غاية ما يكون به المرء رضى  
(وثانيها) المراد بالرضى أن يكون رضى في أمته لا يتلقى بالكذب ولا يواجه بالرد (وثالثها)  
المراد بالرضى أن لا يكون متهما في شيء ولا يوجد فيه مطعن ولا ينسب اليه شيء من المعاصي  
(ورابعها) ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قال في الدعاء ربنا واجعلنا مسلمين لك  
وكان في ذلك الوقت مسلمين وكان المراد هناك ثبتنا على هذا أو المراد اجعلنا فاضلين من  
أنبيائك المسلمين فكذا همنا واحتج أصحابنا في مسألة خلق الافعال بهذه الآية لانه انما  
يكون رضى بفضله فلما سأل الله تعالى جعله رضى على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان  
قبل المراد منه ان ياطف له بضروب الاطاف فيختار ما يصير رضى فينسب ذلك الى الله  
تعالى والجواب من وجهين (الاول) ان جعله رضىا ورجلنا على جعل الاطاف وعندها  
يصير المرء باختياره رضىا لكان ذلك مجازا وهو خلاف الاصل (والثاني) أن جعل تلك  
الاطاف واجبة على الله تعالى لا يجوز الاخلال به وما كان واجبا لا يجوز طلبه بالدعاء  
والتضرع ﴿ قوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) فيه  
مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في من المادى بقوله يا زكريا يا فالأكثر على انه هو الله  
تعالى وذلك لان ما قبل هذه الآية يدل على ان زكريا عليه السلام انما كان يخاطب الله  
تعالى ويسأله وهو قوله رب انى وهن العظم منى وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا وقوله  
فهبلى وما بعدها يدل على انه كان يخاطب الله تعالى وهو يقول رب أنى يكون لى غلام  
واذا كان ما قبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب أن يكون النداء  
من الله تعالى والالفسد النظم ومنهم من قال هذا نداء الملك واحتج عليه بوجهين (الاول)  
قوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك  
بمحمدي (الثاني) ان زكريا عليه السلام لما قال أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد  
بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وهذا لا يجوز أن يكون كلام الله  
فوجب أن يكون كلام الملك (والجواب) عن الاول انه يحتمل أن يقال حصل النداء ان  
نداء الله ونداء الملائكة (وعن الثاني) ان انبين ان شاء الله تعالى ان قوله قال كذلك قال  
ربك هو على هين يمكن أن يكون كلام الله (المسئلة الثانية) فان قيل ان كان الدعاء بان  
غامنى البشارة وان كان بغيران فلماذا أقدم عليه والجواب هذا أمر يخصه فيجوز أن  
يسأل بغيران ويحتمل انه اذن له فيه ولم يعلم وقته فبشربه (المسئلة الثالثة) اختلف  
المفسرون في قوله لم نجعل له من قبل سميا على وجهين (أحدهما) وهو قول ابن عباس  
والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقنادة انه لم يسم أحد قبله بهذا الاسم (الثاني) ان المراد

تتويبه ﴿ ٩٧ ﴾ خا بالسمى لا بحاله وقبل سمي شيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلمه سميا فان المتشاركين  
في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهجم بمعصية  
قط وأنه ولد من شيخ فان وعجز عاقر وأنه كان حصورا فيكون هذا اجالا للمنازل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة

من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين والاطهر أنه اسم أعجمي وان كان غير نيا فهو منقول عن الفعل كعمر  
ويعيش قيل سمي به لانه حي به رحمه اوحى به لانه حي به رحمه اوحى دين الله تعالى ﴿ ٧٧٠ ﴾ بدعوته (قل) استئناف مبنى على السؤال

بالسرى النظر كما في قوله هل تعلمه سمي واختلغوا في ذلك على وجوه (أحدها) انه سمي  
وحضور لم يعص ولم يهيم بمعبية كانه جواب لقوله واجعله رب رضى لقبيل له انا بنشره  
بغلام لم يجعل له من قبل شبيهها في الدين ومن كان هكذا فهو في غاية الرضا وهذا الوجه  
ضعيف لانه يقتضى تفضيله على الانبياء الذين كانوا قبله كادم ونوح و ابراهيم وموسى  
وذلك باطل بالاتفاق (وثانيها) ان كل الناس انما يسميهم اباؤهم وأمهاتهم بعد دخولهم  
في الوجود وأما يحيى عليه السلام فان الله تعالى هو الذى سماه قبل دخوله في الوجود  
فكان ذلك من خواصه فلم يكن له مثل وشبيه في هذه الخاصية (وثالثها) انه ولد بين شيخ  
فان وعجزوا فاعلم ان الوجه الاول أولى وذلك لان حل السرى على النظر وان كان  
يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وانه لا يجوز وأما قول الله  
تعالى هل تعلمه سمي فهناك انما عدلنا عن الظاهر لانه قال فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلمه  
سمايا ومعلوم ان مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضى وجوب عبادته فلهذه العلة  
عدلنا عن الظاهر اما ههنا لا ضرورة في العدول عن الظاهر فوجب اجراؤه عليه ولان  
في تفرده بذلك الاسم ضربا من التعظيم لاننا شهد ان الملك اذا كان له لقب مشهور فان  
حاشيته لا يتلقبون به بل يتركونه تعظيما له فكذلك ههنا (المسئلة الرابعة) في انه عليه  
السلام سمي يحيى روى الثعلبي فيه وجوها (أحدها) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان  
الله تعالى احيا به عقر أمه (وثانيها) عن قتادة ان الله تعالى احيا قلبه بالايان والطاعة  
والله تعالى سمي المطيع حيا والعامى ميتا بقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال اذا  
دعاهم ليحييكم (وثالثها) احياؤه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهيم بمعبية لما روى عكرمة  
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وقد  
عصى أو هم الا يحيى بن زكريا فانه لم يهيم ولم يعملها (ورابعها) عن أبي القاسم بن حبيب انه  
استشهد وأن الشهداء احيا عند ربهم بقوله تعالى بل احيا عند ربهم (وخامسها) ما قاله  
عمرو بن عبد الله المقدسى اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ان قل ليسارة وكان  
اسمها كذلك بانى مخرج منها عبد الابهم بمعبية اسمه يحيى فقال هي له من اسمك حرفا  
فوهيته حرفا من اسمها ففسار يحيى وكان اسمها ليسارة فصار اسمها يسارة (وسادسها) ان  
يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك الايمان وذلك ان أم يحيى كانت  
حامل به فاستقبلته مريم وقد حلت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت  
لماذا تقولين فقالت انى ارى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك (وسابعها) ان الدين يحيى به لانه انما  
سأله زكريا بالاجل الدين واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة لان اسماء الاقارب لا يطلب فيها وجه  
الاشتقاق ولهذا قال أهل التحقيق أسماء الاقارب قائمة مقام الاشارات وهى لا تفيدنى  
المسمى صفة البتة قوله تعالى (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت  
من الكبر عتيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائى عتيا وصليا وجشا

كانه قيل فاذا قال عليه  
الصلاة والسلام حينئذ  
فقيل قال (رب) ناداه  
تعالى بالذات مع وصول  
خطابه تعالى اليه بتوسط  
الملك للمبالغة في التضرع  
والمناجاة والجد في التبتل  
اليه تعالى والاحتراس  
عما عسى يوهى خطابه  
للملك من توههم أن عمله  
تعالى بما يصدر عنه  
متوقف على توسطه كما  
أن علم البشر بما يصدر  
عنه سبحانه متوقف  
على ذلك في عامة الاوقات  
(أنى يكون لى غلام) كلمة  
أنى بمعنى كيف أو من  
أين وكان امانامة وأنى  
واللام متعلقتان بها  
وتقديم الجار على الفاعل  
لما مرر ارامن الاعتناء  
بما قدم وانتشويق الى  
ما أخرى كيف أو من  
أين يحدث لى غلام  
ويجوز أن تعلق اللام  
بمخدوف وقع حال من  
غلام اذ لو تأخر لكان  
صفة له أى أنى يحدث  
كأنالى غلام أو ناقصة  
اسمها ظاهر وخبرها  
اما أنى ول متعلق بمخدوف  
كأمر أو هو الخبر وأنى

نصب على الظرفية وقوله تعالى (وكانت امرأتى عاقرا) حال من ضمير التكلم بتقدير قدو كذا قوله تعالى ﴿ وبكى ﴾  
(وقد بلغت من الكبر عتيا) حال منه مؤكدة للاستبعاد اثرنا كيد أى كانت امرأتى عاقرا لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف  
وهى الآن عجوز وقد بلغت انا من أجل كبر السن جساوة وجولا فى المفاصل والعظام أو بلغت من مدارج الكبر



ومرآته ما يسمى عتيان عتبتوا أصله عتوتوا كعتود فاستقل توالى العتتين والواو ين فكسرت التاء فانقلبت الاولى  
بالسكون وانكسار ما قبلها م قلبت الثانية ايضا ﴿ ٧٧١ ﴾ لاجتماع الواو والياء سبق احدهما بالسكون وكسرت

العين اتباعا لها لما بعدها  
وقرى بعضها وعل  
البداة ههنا بذكر حال  
امرآته على عكس ما في  
سورة آل عمران لما انه  
قد ذكر حاله في تضاعيف  
دعائه وانما المذكور ههنا  
بلوغه اقصى مراتب  
الكبرية لما ذكر قبل  
وأما هنالك فلم يسبق  
في الدعاء ذكر حاله فلذلك  
قدمه على ذكر حال  
امرآته لما ان المسارعة  
الى بيان قصور شأنه  
أنسب وانما قاله عليه  
الصلاة والسلام مع  
سبق دعائه بذلك وقوة  
يقينه بقدره الله لا سيما  
بعد مشاهدته للشواهد  
المذكورة في سورة آل  
عمران استعظاما لقدرة  
الله تعالى وتعجيبا منها  
واعتمادا بنعمته تعالى  
عليه في ذلك باظهار أنه  
من محض لطف الله  
عز وجل وفضله مع كونه  
في نفسه من الامور  
المستحيلة عادة لا استبعادا له  
وقيل انما قاله ليجاب بها  
أجيب به فيزداد المؤمنون  
ايقانا ويرتدع المبطلون  
وقيل كان ذلك منه عليه  
الصلاة والسلام استفهاما

وبكيا بكسر العين والصاد والجيم والياء وقرأ حفص عن طاصم بكيا بالضم والباقي بالكسر  
والباقون جيجا بالضم وقرأ ابن مسعود بفتح العين والصاد من عتيا وصليا وقرأ أبي بن  
كعب وابن عباس عتيا بالسين غير المعجمة والله أعلم (المسئلة الثانية) في الالفاظ وهي  
ثلاثة (الاول) الغلام الانسان الذكر في ابتداء شهوته للجماع ومنه اغتم اذا اشتدت  
شهوته للجماع ثم يستعمل في التليذ يقال غلام ثعلب (الثاني) العتي والعسي واحد تقول  
عتا يتعتوتوا وعتيا فهو عات وعسياء عسو وعساو وعسياء فهو عاس والعاسي هو الذي غيره  
طول الزمان الى حال البؤس وليل عات طويل وقيل شديد الظلمة (الثالث) لم يقل عاقرة  
لان ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للمذكر فانه لا تدخل فيه الهاء نحو امرأة  
عاقرة وحائض قال الخليل هذه صفات مذكرة ووصف بها المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث  
حين قالوا رجل ملحة وربعة وغلام نفعة (المسئلة الثالثة) في هذه الآية سو الان (الاول)  
ان زكريا عليه السلام لم تعجب بقوله أنى يكون لى غلام مع أنه هو الذي طلب الغلام  
(السؤال الثاني) ان قوله أنى يكون لى غلام لم يكن هذا مذكورا بين أمته لانه كان يخفى  
هذه الامور عن أمة فدل على انه ذكره في نفسه وهذا التعجب يدل على كونه شاك في قدرة  
الله تعالى على ذلك وذلك كفر وهو غير جائز على الانبياء عليهم السلام (والجواب) عن  
السؤال الاول أما على قول من قال انه لم يطلب خصوص الولد فالسؤال زائل وأما على  
قول من قال انه طلب الولد فالجواب عنه أن المقصود من قوله انى يكون لى غلام هو  
التعجب من انه تعالى يجعلها شابا ثم يرزقها الولد أو يتركها شيخا ويرزقها الولد مع  
الشيخوخة بطريق الاستعلام لا بطريق التعجب والدليل عليه قوله تعالى و ذكر يا ذنادى  
ر به رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحناله زوجه  
وما هذا الاصلاح الا أنه اعاد قوة الولادة وقد تقدم تقرير هذا الكلام وذكر السدى في  
الجواب وجه آخر فقال انه لما سمع النداء بالشارة جاءه الشيطان فقال ان هذا الصوت  
ليس من الله تعالى بل هو من الشيطان يسخر منك فلما شك زكريا قال أنى يكون لى غلام  
واعلم ان غرض السدى من هذا أن زكريا عليه السلام لو علم ان الم بشر بذلك هو الله تعالى  
لما جازله أن يقول ذلك فارتكب هذا وقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعاً إذ لو جوز  
الانبياء في بعض ما يرد عن الله تعالى انه من الشيطان لجوزوا في سائرته وزالت الثقة عنهم  
في الوحي وعتافيا يوردونه النيا ويمكن أن يجاب عنه بان هذا الاحتمال قائم في أول الامر  
وانما يزول بالمعجزة فلعل المعجزة لم تكن جالبة في هذا الصورة فحصل الشك فيها دون ما عداها  
والله أعلم والجواب عن السؤال الثاني من وجوه (الاول) ان قوله انما يشرك بغلام اسمه  
يحيى ليس نصافي كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام راعى الادب ولم  
يقبل هذا الغلام هل يكون لى ولداً لم لا بل ذكر اسباب تعذر حصول الولد في العادة حتى ان  
تلك البشارة ان كانت بالولد فانه تعالى يزيل الابهام ويجعل الكلام صريحاً فلما ذكر ذلك  
صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لأنه كان شاكاً

عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه  
وهو بعيد (قال) استئنافاً كما مر مبنياً على سؤال نشأ مما سلف والكافي في قوله تعالى (كذلك قال ربك) مقحمة كما في مثلك  
لا يخل محالها اما الزعم به على انه صدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة

عن الوعد السابق لاني قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى (هو على هين) جملة مفررة للوعد المذكور دال على \* ٧٧٢ ﴿ انجازه داخله في حيز قال الاول كانه قيل قال الله

في قدرة الله تعالى عليه (الثاني) انه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرة وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه قد وهب الكثير الخطير فيقول أنى سمحت نفسك باخراج مثل هذا من ملكك تعظيما وتجبيا (الثالث) ان من شأن من بشر بما يتناهى ان يتولده فرط السرور به عند أول ما يرد عليه استبابت ذلك الكلام اما لان شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امرأة ابراهيم عليه السلام بعد ان بشرت باسمحق قالت ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيئا ان هذا الشيء عجيب فاذيل تعجبها بقوله أتعبين من أمر الله واما طلبا للا لتناذ بسماع ذلك الكلام مرة أخرى واما مبالغة في تأكيد التفسير \* قوله تعالى ( قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله قال كذلك قال ربك هو على هين وجوه (أحدها) ان الكافي رفع أى الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ قال ربك (وثانيها) نصب يقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره هو على هين وهو قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن داره هؤلاء مقطوع مصحين (وثالثها) ان المراد لا تعجب فانه كذلك قال ربك لا خلف في قوله ولا غلط ثم قال بعده هو على هين بدليل خلقتك من قبل ولم تك شيئا (ورابعها) انا ذكرنا ان قوله أنى يكون لى غلام معناه تعطينى الغلام بان تجعلنى وزوجتى شابين أو بان تتركنا على الشيخوخة ومم ذلك تعطينا الولد وقوله كذلك قال ربك أى نهب الولد مع بقائك و بقاء زوجتك على الحالة الحاصلة في الحال (المسئلة الثانية) قرأ الحسن وهو على هين وهذا لا يخرج الاعلى الوجه الاول أى الامر كما قلت ولكن قال ربك هو مع ذلك على هين (المسئلة الثالثة) اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لان ذلك انما يجوز في حق من يجوز أن يصعب عليه شئ ولكن المراد انه اذا أراد شيئا كان (المسئلة الرابعة) في وجه الاستدلال بقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فنقول انه لما خلقه من عدم الصرف والتنى المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات والاعمار وأما الآن فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه الا الى تبديل الصفات والقادر على خلق الذوات والصفات والاعمار معا أولى ان يكون قادرا على تبديل الصفات واذا أوجده عن عدم فكذا يرزقه الولد بان يعيد اليه والى صاحبه القوة التى عنها يتولد المان اللذان من اجتماعهما يخلق الولد ولذلك قال فاستجب له ووهبنا له يحيى وأصلحنه زوجته فهذا وجه الاستدلال (المسئلة الخامسة) الجمهور على ان قوله قال كذلك قال ربك يقتضى ان القائل لذلك ملك مع الاعتراف بان قوله يا ذكر يا انا نبشرك قول الله تعالى وقوله هو على هين قول الله تعالى وهذا يعيدلانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى فكيف يصح ادراج هذه الالفاظ فيما بين هذين القولين والاولى أن يقال قائل هذا القول أيضا هو الله تعالى كما أن الملك العظيم اذا وعد عبده شيئا عظيما فيقول العبد من أين يحصل لي هذا فيقول ان سلطانك ضمن لك ذلك كأنه يئبه بذلك على أن كونه سلطانا ما يوجب عليه

عروجل مثل ذلك القول البديع قلت أى مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو على خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقري وهو على هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومفررة لما قبلها ثم أخرج القول الثانى مخرج الالفاظ جريا على سنن الكبرياء لترتبة المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعله الحكيم فان تكبير جريان أحكام ربو بيته تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من ايجاده من عدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال الى حال شيئا نشيئا الى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقبل أساس استعباده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعد و يورثه عليه الصلاة والسلام

الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذنا بان مدار كونه ﴿ الوفاء ﴿ هين عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لار بو بيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وممهيدا لما يقببه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقه قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن داره هؤلاء

مطلوع مصعبين ولا يخرج هذا الوعد على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خير مبتدا محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى ﴿ ٧٧٣ ﴾ اي قال عز وجل لا امر كاره حدث وهو واقع لامحالة وقوله

تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور واما ما كان فتوسط قال بينهما شعر بمن يدا لاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الانتم الى الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما احكامه من الحالة المبينة للولادة في نفسه وفي امره وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة الاستبعاد به تدفيره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه على حين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على أن الواو للعطف واما جعلها للحال فتخل بسداد المعنى لان ما له تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه

الوفاء بالوعد فكذا ههنا ﴿ قوله تعالى ﴾ قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال بعضهم طلب الآية لتحقيق البشارة وهذا بعيد لان بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون اظهار الآية أقوى في ذلك من صريح القول وقال آخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع وهذا هو الحق ( المسئلة الثانية ) اتفقوا على ان تلك الآية هي تمدد الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزة ثم اختلفوا على قولين ( أحدهما ) انه اعتقل لسانه أصلا ( والثاني ) انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله ومن قراءة التوراة وهذا القول عندي أصح لان اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله فلا يعرف زكريا عليه السلام ان ذلك الاعتقال معجز الا اذا عرف انه ليس لمرض بل لمحض فعل الله تعالى مع سلامة الآلات وهذا مما لا تعرف الا بدليل آخر فتفتقر تلك الدلالة الى دلالة أخرى أما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى وقراءة التوراة علم بالضرورة ان ذلك الاعتقال ليس لعلة ومرض بل هو لمحض فعل الله فيتحقق كونه آية معجزة ومما يقوى ذلك قوله تعالى آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا خص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم انه كان قادرا على التكلم مع غير الناس ( المسئلة الثالثة ) اختلفوا في معنى سويا فقال بعضهم هو صفة لليالي الثلاث وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى آيتك ان لا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك سويا لم يحدث بك مرض ﴿ قوله تعالى ﴾ فخرج علي قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله تعالى فخرج علي قومه من المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه بالصلاة والعبادة ثم ينقل الى قومه فعند ذلك أوحى اليهم وقيل كان موضع ما يصلي فيه هو وغيره الا أنهم كانوا لا يدخلونه للصلاة الا باذنه وانهم اجتمعوا ينتظرون خروجه لاذن فخرج اليهم وهو لا يتكلم فأوحى اليهم ( المسئلة الثانية ) لا يجوز أن يكون المراد من قوله أوحى اليهم الكلام لان الكلام كان ممتعا عليه فكان المراد غير الكلام وهو أن يعرفهم ذلك اما بالاشارة أو برمز مخصوص أو بكتابة لان كل ذلك يفهم منه المراد فعلوا انه قد كان ما بشر به فكما حصل السرور له حصل لهم فظهر لهم اكرام الله تعالى له بالاجابة واعلم ان الاشبه بالآية هو الاشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران ثلاثة اياما الارمز والرمز لا يكون كناية للكلام ( المسئلة الثالثة ) اتفق المفسرون على انه أراد بالتسبيح الصلاة وهو جائز في اللغة يقال سبحه الضحى أي صلاة الضحى وعن عائشة رضي الله عنها في صلاة الضحى اني لا سبحها أي لأصلها اذ ثبت هذا فقوله روى عن أبي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشى صلاة العصر ويحتمل أن يكون انما كانوا يصلون معه في محرابهاتين الصلاتين فكان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل

وقوله تعالى ( وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئا ) جله مستأنفة مقرر لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقم اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالي المتداد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك أو آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد

بقياس حال ما يشر به على حاله عليه الصلاة والسلام لنا كيدا لا حجاب وتوضيح منها ج الفيلس حيث شبه على أن كل فرد من أفراد البشرية حظه من انشاء عليه الصلاة والسلام ﴿ ٧٧٤ ﴾ من عدم اقله تكن فطرته البديعة مقصورة على

لسانه خرج اليهم كعادته فأذن لهم بغير كلام والله اعلم ﴿ قوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) اعلم انه تعالى وصف يحيى في هذه الآية بصفتين (الصفة الاولى) كونه مخاطبا من الله تعالى بقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان قوله يا يحيى خذ الكتاب يدل على ان الله تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه (المسئلة الثانية) الكتاب المذكور يحتمل أن يكون هو التوراة التي هي نعمة الله على نبي اسرائيل لقوله تعالى وقد آتينا نبي اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ويحتمل أن يكون كتابا خص الله به يحيى كما خص الله تعالى الكثير من الانبياء بذلك والاول اول لان حل الكلام ههنا على اليهود السابق اولى ولا مشهود ههنا الا التوراة (المسئلة الثالثة) قوله بقوة ليس المراد منه القدرة على الاخذ لان ذلك معلوم لكل أحد فيجب حله على معنى يفيد المدح وهو الجهد والصبر على القيام بأمر النبوة وحاصلها يرجع الى حصول ملكة تقضي سهولة الاقدام على الأمور به والاجرام عن المنتهى عنه (الصفة الثانية) قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اعلم ان في الحكم أقوال (الاول) انه الحكمة ومنه قول الشاعر  
واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت \* الى حمام سراع واردا الحمد  
وهو الفهم في التوراة والفقه في الدين (والثاني) وهو قول معمر انه العقل روى انه قال ما لعب خلقنا (والثالث) انه النبوة فان الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى اليه وذلك لان الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمد عليهما السلام وقد بلغا الاشد والاقرب حله على النبوة لوجهين (الاول) ان الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومقبته ومعلوم ان النبوة أشرف صفات الانسان فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها فوجب أن تكون نبوته منذ كورته في هذه الآية ولا يلفظ يصلح للدلالة على النبوة الا هذه اللفظة فوجب حلها عليها (الثاني) ان الحكم هو ما يصلح لان يحكم به على غيره ولغيره على الاطلاق وذلك لا يكون الا بالنبوة فان قيل كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلنا هذا السائل اما ان ينم من خرق العادة أولا ينم منه فان منع منه فقد سد باب النبوات لان بناء الامر فيها على المجرى والامعنى اما الاخرى العادات وان لم ينم فقد زال هذا الاستبعاد فانه ليس استبعاد صيرورة الصبي صافلا اشد من استبعاد اشتقاق القمر وانفلاق البحر (الصفة الثالثة) قوله تعالى وحنانا من لدنا اعلم ان الحنان أصله من الحنين وهو الارتياح والجزع للفراق كما يقال حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها فذكر الخليل ذلك وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلى الى جذع في المهد فلما اتخذه المنبر تحول اليه حنت تلك الخشبة حتى سمع حنينها فهذا هو الاصل ثم قيل منه يظن على فلان اذا تعطف عليه ووجد وقد اختلف الناس

نفسه بل كانت اعوذ بها منطوي اعلى فطرة سائر آحاد الجنس اذ طواه اجالها مستتب الجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه ابداعا لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط السارى الى جميع أفراد ذريته ابداع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المقهور من نسبة الخلق المذكور اليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم ذكره يا حيثن أظهر عنده وأجلى وكان حاله أوليا بان يكون معيارا لحال ما يشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتثال حقه فكان قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تكن اذ ذلك شيئا أصلا بل هدمنا وبنينا

صرفا هذا أو ما حل الشيء على المقدم به أى ولم تكن شيئا معتادا به فيأبله المقام ويرد نظم الكلام وقرئ خلقناك ﴿ في ﴿ لا مثال رب اجعل لي آية ﴾ أى علامة تدلني على تحقق المسؤل ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لنا كيدا البشارة وتخصيها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة واما كان ذلك

لم يبق وقت الملوقة حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد أن يطلعه الله تعالى عليه  
ليلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ﴿٧٧٥﴾ ولا يوثق له أن تظهر ظن ورامتاد او قد حرت الاشارة

في تفسير سورة آل عمران  
الى أن هذا السؤال ينبغي  
أن يكون بعد ما مضى بعد  
البشارة برهة من الزمان  
لما روى أن يحيى كان أكبر  
من عيسى عليهما الصلاة  
والسلام بستة أشهر أو  
بثلاث سنين ولا ريب  
في أن دعاء ذكر ياعليه  
الصلاة والسلام كان  
في صغر مريم اقوله تعالى  
هناك دعاء ذكر يارب  
وهي انما ولدت عيسى  
عليه الصلاة والسلام  
وهي بنت عشر سنين  
أو بنت ثلاث عشرة  
سنة والجعل ابداعي  
واللام متعلقة به وتقديمها  
على المفعول به لما مر  
مر ارامن الاعتناء بالقدم  
والتشويق الى المؤخر  
أو بمحذوف وقع حالا  
من آية اذ لو تاخر لكان  
صفة لها وقبل بمعنى  
التصوير المستدعي لمفعولين  
أولهما آية وثانيهما  
الظرف وتقديمه لانه  
لامسوخ لكون آية  
مبتدأ عند انحلال الجملة  
الى مبتدأ وخبر سوى  
تقديم الظرف فلا يتغير  
حاله ما به دور ودالناح

في وصف الله بالحنان فأجازه بعضهم وجعله بمعنى الرؤف الرحيم ومنهم من أباه لما يرجع اليه  
أصل الكلمة قالوا لم يصح الخبر بهذه اللفظة في أسماء الله تعالى اذا عرفت هذا فنقول  
الحنان هنا فيه وجهان (أحدهما) أن يجعل صفة لله (وثانيهما) أن يجعل صفة ليحيى  
أما اذا جعلناه صفة لله تعالى فنقول التقدير وآتينا الحكم حنانا أي رحمة منا ثم ههنا  
احتمالات (الاول) أن يكون الحنان من الله ليحيى المعنى آتينا الحكم صبيا ثم قال وحنانا  
من لدنا أي انما آتينا الحكم صبيا حنانا من لدنا عليه أي رحمة عليه وزكاة أي وتزكية له  
وتشريفه (الثاني) أن يكون الحنان من الله تعالى لذكر ياعليه السلام فكأنه تعالى قال  
انما استجبنا لذكر يادعوتيه بأن أعطيناه ولدا ثم آتينا الحكم صبيا وحنانا من لدنا عليه أي  
على ذكر ياه فلنأخذك بمسألة رافة أي وتزكية له عن أن يصبر مر دو والدطا (والثالث) أن يكون  
الحنان من الله تعالى لأمة يحيى عليه السلام كأنه تعالى قال وآتينا الحكم صبيا وحنانا  
مناعلى أمة لهظيم انتفاعهم بهديته وارشاده أما اذا جعلناه صفة ليحيى عليه السلام  
فيه وجوه (الاول) آتينا الحكم والحنان على عبادنا أي التعطف عليهم وحسن النظر  
على كافتهم فيما أوليه من الحكم عليهم كما وصف نبيه فقال فجارحة من الله لتسلمهم وقال  
حريص عليكم بالموثمين رؤف رحيم ثم أخبر تعالى أنه آتاه زكاة ومعناه أن لا تكون شفقتك  
داعية له الى الاخلال بالواجب لان الرافة واللينر بما أورتا ترك الواجب الأتري الى قوله  
تعالى ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله وقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا  
فيكم غلظة وقال اذلة على المؤمنين أعرزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون  
لومة لأثم فالعنى انما جعلناه التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات  
ويحتمل آتينا التعطف على الخلق والطهارة عن المعاصي فلم يعص ولم يهجم بمعصية وفي الآية  
وجه آخر وهو المنقول عن عطاء بن أن رباح وحنانا من لدنا والمعنى آتينا الحكم صبيا تعظيما  
اذ جعلناه نبيا وهو وصي ولا تعظيم أكثر من هذا والدليل عليه ما روى انه مر ورقة بن نوفل  
على بلال وهو يعذب قد الصق ظهره برمضاء البطحاء ويقول أحد أحد قتال والذي  
نفسى يده لئن قتلتموه لا تخذنه حنانا أي معظما (الصفة الرابعة) قوله وزكاة وفيه وجوه  
(أحدها) المراد وآتينا زكاة أي عملا صالحا زكاة عن ابن عباس وقادة والضحاك وابن  
جرير (وثانيها) زكاة لمن قبل منه حتى يكونوا أزكيا عن الحسن (وثالثها) زكياه  
بحسن الثناء كما تركزى الشهود الانسان (ورابعها) صدقة تصدق الله بها على أبيه عن  
الكلي (وخامسها) بركة ونماء وهو الذى قال عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلنى مباركا  
أيما كنت واعلم ان هذا يدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى لانه جعل طهارته وزكاته  
من الله تعالى وحله على الانطاف بعيد لانه صدور عن الظاهر (الصفة الخامسة) قوله  
وكلن تقيا وقد عرفت معناه وبالجملة فانه يتضمن غاية المدائيم لانه هو الذى يتقى نهى الله  
في حبه ويتقى أمره فلا يهمله وأولى ائناس بهذا الوصف من لم يعص الله ولا يهجم بمعصية

(قال آيتك أن لا تكلم الناس) أي أن لا تقدر على تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح (ثلاث ليال) مع  
أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران (سويا) حاله من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون  
الاختيار أي تمنع الكلام فلا تطبق به حال كونك سوى الخلق

سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس (فخرج على قومهم من المحراب) أي من المصلى أو من الرفقة وكانوا من وراء المحراب  
يتنظرونه أن يتفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم ﴿٧٧٦﴾ متغيرا لونه فانكروه وقالوا مالك (فاوحى

وكان يحيى عليه الصلاة والسلام كذلك فان قيل مامعنى وكان تقيا وهذا حين اجتهاد  
نكليفه قلنا انما خاطب الله تعالى بذلك الرسول وأخبر عن حاله حيث كان كما أخبر عن نعم  
الله عليه (الصفة السادسة) قوله وبرا بوالديه وذلك لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى  
مثل تعظيم الوالدين ولهذا السبب قال وقضى ربك ان لاتعبدا الاياه وبالوالدين احسانا  
(الصفة السابعة) قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك  
من صفات المؤمنين كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا  
غليظ القلب لانفضوا من حولك ولان رأس العبادات معرفة الانسان نفسه بالذل  
ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به  
الترفع والتجبر ولذلك فان ابليس لما تجبر وترد صار بعدا عن رحمة الله تعالى وعن الدين  
وقيل الجبار هو الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من العظم والذهب بنفسه عن أن  
يلزمه قضاء حق أحد وقال سفيان في قوله جبار عصيانه الذي يقبل على الغضب والدليل  
عليه قوله تعالى اتر يد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا  
في الارض وقيل كل من طاقب على غضب نفسه من غير حق فهو جبار لقوله تعالى واذا  
بطشتم بطشتم جبارين (الصفة الثامنة) قوله عصيا وهو أبلغ من العاصي كما أن العليم  
أبلغ من العالم (الصفة التاسعة) قوله وسلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا  
وفيه أقوال (أحدها) قال محمد بن جرير الطبري وسلام عليه أي أمان من الله يوم ولد من  
أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم و يوم يموت أي وأمان عليه من عذاب القبر و يوم يبعث  
حيا أي ومن عذاب القيامة (وثانيها) قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة  
مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه و يوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط و يوم  
يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فأكرم الله يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلام عليه  
في هذه المواطن الثلاثة (وثالثها) قال عبد الله بن نفعويه وسلام عليه يوم ولد أي أول  
ما يرى الدنيا و يوم يموت أي أول يوم يرى فيه أول أمر الآخرة و يوم يبعث حيا أي أول  
يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حياتيها على كونه من الشهداء  
لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (فروع) الاول هذا السلام يمكن أن يكون من الله  
تعالى وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فدلالة شرفه وفضله لا تختلف لان الملائكة  
لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى (الثاني) يحيى منزلة في هذا السلام على ما سائر الانبياء  
عليهم السلام كقوله سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم لانه قال و يوم ولد وليس  
ذلك لسائر الانبياء عليهم (الثالث) روى ان عيسى عليه السلام قال يحيى عليه السلام  
أنت أفضل مني لان الله تعالى سلم عليك واناسلت على نفسي وهذا ليس بقوى لان سلام  
عيسى على نفسه مجرى مجرى سلام الله على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما أمره الله  
به (الرابع) السلام عليه يوم ولد لا بد وأن يكون تغضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه

اليهم) أي أو ما اليهم  
لقوله تعالى الارض او قيل  
كتب على الارض وأن  
في قوله تعالى (أن سبحوا)  
اما مفسرة لاوحى أو  
مصدرية والمعنى أي  
صلوا أو بان صلوا  
(بكرة وعشيا) هما طرفا  
زمان للنسيخ عن ابي  
العالية أن المراد بها  
صلاة الفجر وصلاة  
العصر أو زهوار بكم  
طرفي النهار ولعله كان  
مأمورا بان يسبح شكرا  
ويأمر قومهم بذلك  
(يا يحيى) استئناف طوي  
قبله جعل كثيرة مسارعة  
الى الانباء بانجاز الوعد  
الكريم أي قلنا يا يحيى  
(خذ الكتاب) أي  
التوراة (بقوه) أي مجد  
واستظهار بالتوفيق  
(وآتيناه الحكم صبيا)  
قال ابن عباس رضي الله  
عنهما الحكم النبوة  
استنبأ وهو ابن ثلاث  
سنين وقيل الحكم الحكمة  
وفهم التوراة والفقهاء في  
الدين روى انه دعاه  
الصبيان الى اللعب فقال  
ما لعب خلقنا (وحنانا  
من لدنا) عطف على

الحكم وتوحيده للتخفيف وهو التحنن والاشفاق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين ﴿ما يكون﴾  
من الغمامة الذاتية بالغمامة الاضافية أي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كأنه من جنابنا أو رحمة في قلبه وشققة على أبيه  
وغيرهما (وزكوة) أي طهارة من الذنوب أو صدقة تصدقنا به على ابيه أو وقتناه للتصديق على الناس

( وكان تقيا ) مطيحا متجنباً عن المعاصي ( ورايا والده ) ضطف على تقيا أي بارأبها بالطيبا بهما محسنا اليهما ( ولم يكن جبارا عصيا ) متكبرا عاقلاهما أو طاصيلا به ﴿ ٧٧ ﴾ ( وسلام عليه ) من الله عز وجل : ( يوم ولد ) من أنبأه

الشیطان بما ينال به بني آدم ( و يوم يموت ) من عذاب القبر ( و يوم يبعث حيا ) من هول القيامة وعذاب النار ( و اذكر في الكتاب ) كلام مستأنف خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام وأمر بذكر قصة مريم اثر قصة ذكرها بالما بينهما من كمال اشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة ذكرها بالمستبعدة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها أي و اذكر للناس ( مريم ) أي نبيا هان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى ( اذا نبتذت ) ظرف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور به ذكر نبيا عند انبائها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على أن المراد بها نبيا هان فالظروف مشتبهة على ما فيها وقبل بدل الكل على أن المراد

ما يكون ذلك جزاء له وأما السلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث في المحشر فقد يجوز أن يكون ثوابا كالدح والتعظيم والله تعالى اعلم القول في فوائد هذه القصة ( الفائدة الاولى ) تعليم آداب الدعاء وهي من جهات ( أحدها ) قوله نداء خفيا وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله و يؤكده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة واخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى واحسانه ( وثانيها ) أن المسئب ان يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس وضعفها كما في قوله تعالى عنه وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ثم يذكر كثرة نعم الله على ما في قوله ولم أكن بدعا لك رب شقيا ( وثالثها ) أن يكون الدعاء لاجل شيء متعلق بالدين لا محض الدنيا كما قال واني خفت الموالي من ورائي ( ورابعها ) أن يكون الدعاء بلفظ يارب على ما في هذا الموضع ( الفائدة الثانية ) ظهور درجات ذكرها ويوحى عليهما السلام أما ذكرها فأمور ( أحدها ) نهاية تضرعه في نفسه وانقطاعه الى الله تعالى بالكلية ( وثانيها ) اجابة الله تعالى دعاه ( وثالثها ) ان الله تعالى ناداه وبشره أو الملائكة أو حصل الامر ان معا ( ورابعها ) اعتقال لسانه عن الكلام دون التسبيح ( وخامسها ) انه يجوز للانبياء عليهم السلام طلب الآيات لقوله رب اجعل لي آية ( الفائدة الثالثة ) كونه تعالى قادرا على خلق الولد وان كان الابوان في نهاية الشيخوخة رداعلى أهل الطبايع ( للفائدة الرابعة ) صحة الاستدلال في الدين لقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ( الفائدة الخامسة ) ان المعدوم ليس بشيء والآية نص في ذلك فان قيل المراد اولئك شيئا مذكورا كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قلنا الاضمار بخلاف الاصل وللخصم أن يقول الآية تدل على ان الانسان لم يكن شيئا ونحن نقول به لان الانسان عبارة عن جواهر متألفة قامت بها اعراض مخصوصة والجواهر المتألفة الموصوفة بالاعراض المخصوصة غير ثابتة في العدم انما الثابت هو اعيان تلك الجواهر مفردة غير مركبة وهي ليست بانسان فظهر ان الآية لادلالة فيها على المطلوب ( الفائدة السادسة ) ان الله تعالى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران وذكرها في هذا الموضع فلنعتبر حالها في الموضعين فنقول ( الاول ) انه تعالى بين في هذه السورة انه دعا ربه ولم يبين الوقت وبينه في آل عمران بقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عند رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة والمعنى ان زكريا عليه السلام لما رأى خرق العادة في حق مريم عليها السلام طمع فيه في حق نفسه فدعا ( الثاني ) وهو ان الله تعالى صرح في آل عمران بأن المنسأدى هو الملائكة لقوله فتادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب وفي هذه السورة الاظهر أن المنادى بقوله يا زكريا اننا نبشرك هو الله تعالى وقد بينا أنه لا منافاة بين الامرين ( الثالث ) انه قال في آل عمران أنى يكون لى غلام وقد بلغتني الكبر وما مرنى عافى فذكر اولادك

بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ﴿ ٩٨ ﴾ خا أن المصدرية كافي قولك أكرمك اذلم تكرم منى أي لان لم تكرم منى فهو يدل الاشتمال لاجل حاله وقوله تعالى ( من أهلها ) متعلق بانبتذت وقوله ( مكانا شرقيا ) مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الابيان المترتب وجودا واعتبارا على أصل

معناه العامل في الجازو المحرور وهو السرفى تاخيرة عنده أى اعتراضات وانفردت منهم واتت مكا ناشرقيل من بيت المقدس أو من دارها تخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرفة لتغسل ﴿ ٧٧٨ ﴾ من الحيض محببة بحائط أو بشى يسترها

وذلك قوله تعالى (فاتخذت من دونهم حجابا) وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خاتها واذا ظهرت عادت الى المسجد فينهاى في مفلسها أنها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمى شاب أمره وضى الوجه جمع الشعر وذلك قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا) أى جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفيقه للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سبيلا فيه روح العباد الذى هو عدة المقر بين في قوله تعالى فأما ان كان من المقرين فروح وريحان (فتمثل لها بنسرا سويا) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك استأنس بكلامه وتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدالها على الصورة الملكية لتفرت منه ولم تبسط معاوضته وأملها

نفسه ثم عقر المرأة وهو في هذه السورة قال أى يكون لى غلام وكانت امرأتى طاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا تقتضى الترتيب (الرابع) قال فى آل عمران وقد بلغنى الكبر وقال ههنا وقد بلغت من الكبر وجوابه ان ما ياتك قد بلغت (الخامس) قال فى آل عمران آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وقال ههنا ثلاث ليال سويا وجوابه دلالت آيتان على ان المراد ثلاثة أيام بلياليهن والله أعلم (القصة الثانية) قصة مريم وكيفية ولادة عيسى عليه السلام اعلم انه تعالى انما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام لان خلق الولد من شيخين فابن اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد لا من الاب البتة وأحسن الطرق فى التعليم والتفهيم الاخذ من الاقرب فالاقرب منزقا الى الاصعب فالاصعب \* قوله تعالى (واذكر فى الكتاب مريم اذا تبذرت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بنسرا سويا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذ يدل من مريم يدل اشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقت هذا الوقوع لهذه القصة العجيبة فيه (المسئلة الثانية) التبدل اصله الطرح والاقام والانتباد افعال منه ومنه فنبدوه وراء ظهورهم وانتبذت نهت يقال جلس نبذة من الناس ونبذة بضم التون وقحها أى ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيئا وصل اليه ونبذت الشئ رميته ومنه التبدل لانه ي طرح فى الاناء واصله منبذ فصرف الى فعيل ومنه قيل للقيط منبذ لانه يرمى به ومنه النهى عن المنابذة فى البيع وهو ان يقول اذا نبذت اليك هذا الثوب أو الحصاة فقد وجب البيع اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى اذا تبذرت من أهلها مكانا شرقيا معناه تباعدت وانفردت على سرعة الى مكان بلى ناحية الشرق ثم بين تعالى انها مع ذلك اتخذت من دون أهلها حجابا مستورا وظاهر ذلك انها لم تقتصر على ان انفردت الى موضع بل جعلت بينها وبينهم حائل من حائط وغيره ويحتمل انها جعلت بين نفسها وبينهم ستر وهذا الوجه الثانى أظهر من الاول ثم لا بد فى احتجابها من أن يكون لغرض صحيح وليس مذكورا واختلف المفسرون فيه على وجوه (الاولى) انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنظر الطهر فتغسل وتعود فلما ظهرت جاءها جبريل عليه السلام (والثانى) انها طلبت الخلوة لثلاثين من العباد (والثالث) قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محببة يشى يسترها (الرابع) انها كان لها فى منزل زوج أختها زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمت أن تجدد خلوة فى الجبل لعل رأسها فانفجر السقف لها فخرجت الى المغارة وجلست فى المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك (وخامسها) عطشت فخرجت الى المغارة لتسقى واعلم ان كل هذه الوجوه محتمل وليس فى اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها (المسئلة الثالثة) المكان الشرقى هو الذى بلى شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها وعن ابن جليس رضى الله عنهما

قيل من أن ذلك لتيسر شهورها فنهضت ونطقتها الى رحمتها فمخالفة لمقام بيان آثار القدرة الحارقة للعادة \* انى \* يكذبه قوله تعالى (قالت انى أهو قبلى منى) فانه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شابة ميل ماله فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة ثم كان تشبهه على



فك الحسن الفائق والجمال الرائق لا يتلائها وسبعتهما ولقد ظهر منها من الزرع والعتاف ملاغاية وراهه وذكره تعالى بعنوان الرحانية للمبالغة في العياذ به تعالى ﴿ ٧٧٩ ﴾ واستجلاب آياتها لراحة الخاصة التي هي العصمة

مادهمها وقوله تعالى (ان كنت تقيا) أى تتق الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه أى فاقى عائذة به أو فتعوذ بتعوذى أو فلا تتعرض لى (قال انما أنا رسول ربك) يريد عليه الصلاة والسلام انى لست بمن يتوقع منه ما توهمت من الشروا انما أنا رسول ربك الذى استعدت به (لا هبلك غلاما) أى لا كون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى وبؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشير فيها وتسليتها والاشعار بطله الحكم فان هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفى بعض المصاحف أمرنى أن أهبلك غلاما (زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخبز أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أى يكون لى غلام) كما وصفت (ولم يمسنى بشر) أى والحال أنه

انى لا علم خلق الله لأى شىء انمخت انتصارى المشرق قبله لقوله تعالى مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد صبي قبله (المسئلة الرابعة) انها لما جلست فى ذلك المكان أرسل الله اليها الروح واختلف المفسرون فى هذا الروح فقال الاكثرون انه جبريل عليه السلام وقل أبو مسلم انه الروح الذى تصور فى بطنها بشرا والاوّل أقرب لان جبريل عليه السلام يسمى روحا قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وسمى روحا لانه روحانى وقيل خلق من الروح وقيل لان الدين بحيايه أو سماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له وتقرىبا كما تقول لحبيك روحى وقرأ أبو حيوية روحنا بالنفخ لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذى هو عدة المتقين فى قوله فاما ان كان من المقرين فروح وريحان وجنة نعيم أو لانه من المقرين وهم الموعودون بالروح أى مقر بنا وذا روحنا واذا ثبت انه يسمى روحا فهو هنا يجب أن يكون المراد به هو لانه قال انما أنا رسول ربك لا هبلك غلاما زكيا ولا يلى ذلك الاجبريل عليه السلام واختلفوا فى أنه كيف ظهر لها (فالاول) انه ظهر لها على صورة شاب أمر د حسن الوجه سوى الخلق (والثانى) انه ظهر لها على صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وكل ذلك محتمل ولادلالة فى اللفظ على التعيين ثم قال وانما تمثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تتفرغه فلوظهر لها فى صورة الملائكة لتفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ثم ههنا اشكالان (أحدها) وهو انه لو جاز أن يظهر الملك فى صورة انسان معين فحينئذ لا يمكن القطع بأن هذا الشخص الذى أراه فى الحال هو الذى رأته بالامس لاحتمال أن الملك أو الجنى تمثل فى صورته وفتح هذا الباب يؤدى الى السفسطة لا يقال هذا انما يجوز فى زمان جواز البهشة فاما فى زماننا هذا فلا يجوز لاننا نقول هذا الفرق انما يعلم بالدليل فالجاهل بذلك الدليل يجب أن لا يقطع بأن هذا الشخص الذى أراه الآن هو الشخص الذى رأته بالامس (وثانىها) انه جاء فى الاخبار أن جبريل عليه السلام شخص عظيم جدا فذلك الشخص العظيم كيف صار بدنه فى مقدار جثة الانسان أبأن تساقطت أجزاؤه وتفرقت بنيته فحينئذ لا يبقى جبريل أو بأن تداخلت أجزاؤه وذلك يوجب تداخل الاجزاء وهو محال (وثالثها) وهو انما يجوزنا أن يمثل جبريل عليه السلام فى صورة الأدمى فلم لا يجوز تمثله فى صورة جسم أصغر من الأدمى حتى الذباب والبق والبعض ومعلوم ان كل مد هب جر الى ذلك فهو باطل (ورابعها) ان تجويزه يفضى الى القدرح فى خبر التواتر فلم الشخص الذى حارب يوم بدر لم يكن محمدا بل كان شخصا آخر تشببه وكذا القول فى الكل (والجواب) عن الاول ان ذلك التجويز لازم على الكل لان من اعترف بافتقار العالم الى الصانع المختار فقد قطع بكونه تعالى قادرا على أن يخلق شخصا آخر مثل زيد فى خلقه وتخطيطه واذا جوزنا ذلك فقد لازم الكسب فى ان زيد والشاهد بان هو الذى شاهدناه بالامس أم لا ومن أنكسر الصانع المختار واستند الحوادث الى اتصالات الكواكب وتشكلات الغلك لزمه تجويز ان يحدث

لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تزهها من مبادئ الولادة (ولم التبغيا) عطف على لم يمسنى داخل معه فى حكم الحالية مفسح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح أى ولم أكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى القاعل أصلها بغوى فأدغمت الواو بعد قلبها

في الباء وكسرت الغين لياء وقيل هي فعل بمعنى الفاعل والاقيل بفوق كما يقال فلان فهو عن المنكر وانما لم تلحق  
انه لانه من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول ﴿ ٧٨٠ ﴾ أي يغيبها الرجال للنجور بها (قل) أي الملك

اتصال غريب في الافلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور وحينئذ يعود  
النجور المذكور (وعن الثاني) انه لا يمنع أن يكون جبريل عليه السلام له أجره أصلية  
وأجزاء فاضلة والأجزاء الأصلية قليلة جدا حينئذ يكون متمكنا من التشبه بصورة  
الانسان هذا اذا جعلناه جسمانيا أما اذا جعلناه روحانيا فأي استبعاد في ان يتدرج  
تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير (وعن الثالث) ان أصل النجور قائم في  
العقل وانما عرف فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن السؤال الرابع والله أعلم بقوله  
تعالى (قلت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) وفيه وجوه (أحدها) أرادت ان كان  
يرجى منك أن تتق الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فاني عائدة به منك وهذا في نهاية الحسن  
لانها علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا في التقى وهو كقوله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم  
مؤمنين أي ان شرط الايمان يوجب هذا لأن الله تعالى يخشى في حال دون حال (وثانيها)  
ان معناه ما كنت تقيا حيث استعملت الطر الى وخلوت بي (وثالثها) انه كان في ذلك  
الزمان انسان فاجرا سمع تقى يتبع النساء فطنت مريم عليها السلام ان ذلك الشخص  
المشاهد هو ذلك التقى والاول هو الوجه (قوله تعالى) قال انما انار رسول ربك لاهب لك  
غلاما زكيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم جبريل خوفها قال انما انار رسول ربك  
ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول بل لا بد من دلالة تدل  
على انه كان جبريل عليه السلام وما كان من الناس فهنا يحتمل أن يكون قد ظهر معجز  
عرفت به جبريل عليه السلام ويحتمل انها من جهة ذكره عليه السلام عرفت صفة  
الملائكة فلما قالها انما انار رسول ربك أطهر لها من باطن جسده ما عرفت انه ملك فيكون  
ذلك هو العلم وسأل القاضي عبد الجبار في تفسيره نفسه فقال اذا لم تكن نية عندكم وكان  
من قولكم ان الله تعالى امر رسول الى خلقه الارجالا فكيف يصح ذلك وأجاب ان ذلك انما  
وقع في زمان زكريا عليه السلام وكان رسولا وكل ذلك كان عالما به وهذا ضعيف لان  
المعجز اذا كان مفعولا للشي فاقبل ما فيه أن يكون عليه السلام عالما به وذكرها ما كان  
عنده علم بهذه الوقائع فكيف يجوز جعله معجزا له بل الحق ان ذلك اما ان يكون كرامة لمريم  
أوارها صا لعيسى عليه السلام (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر ونافع ليهب بياض مفتوحة  
بعد اللام أي ايهب الله الملك والباقون بمهزة مفتوحة بعدها أما قوله لاهب لك ففي مجازة  
وجهار (الاول) ان الهبة لما جرت على يده بان كان هو الذي نفع في جيبها بأمر الله تعالى  
جعل نفعه كأنه هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى ما هو سببه مستعمل قال تعالى  
في الاصنام انهن اضلن كثيرا من الناس (الثاني) ان جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك  
كانت تلك البشارة الصادقة جارية بحرى الهبة فان قال القائل ما الدليل على ان جبريل  
عليه السلام لا يقدر على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها والذي يقال  
فيه ان جبريل عليه السلام جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء اما انه جسم فلانه  
محدث وكل محدث اما متخير أو قائم بالتحيز وأما ان الجسم لا يقدر على هذه الاشياء فلانه

تقرير المقائمه وتحققها  
(كذلك) أي الامر كما قلت  
لك وقوله تعالى (قال ربك)  
الح استثناف مقرر له أي قال  
ربك الذي أرسلني اليك  
(هو) أي ما ذكرت لك  
من هبة الغلام من غير  
أن يمسك بشر أصلا  
(على) خاصة (هين)  
وان كان مستحيلا عادة  
لما أتى لأحتاج الى الاسباب  
والوسايط وقوله تعالى  
(ولجعل آية للناس)  
اما علمه لعل محذوف  
أي ولجعل وهب الغلام  
آية لهم وبرها ما يستدلون به  
على كمال قدرتنا فنعمل ذلك  
أو معطوف على علة  
أخرى مضمرة أي لنبين به  
عظيم قدرتنا وتجعله  
آية الخ والواو على الاول  
اعتراضية والالتفات  
الى نون العظمة لاظهار  
كمال الجلالة (ورحة)  
عظيمة كأنه (منا) عليهم  
يهدون به دياتهم ويستتر  
شدون بارشاده (وكان)  
ذلك (أمر) مقضيا  
محكما قد تعلق به قضاؤنا  
الازل أو قدر وسطر  
في اللوح لا بد من جريانه  
عليك البتة أو كان أمرا

حقيقا بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة (خملته) بأن نفع جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ لو ﴾  
في درعها فدخلت الثغمة في جوفها قبل انه عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفع في جيبه خملت وقيل نفع  
من بعد فوصل الريح اليها خملت في الخيال وقيل ان الثغمة كانت

فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع الثلثية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كاحلت وضمت وسنها ﴿ ٧٨١ ﴾ حيثئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشرين وقد ضمنت حيزتين

( فانتبذت به ) أي  
فاعتزلت وهو في بطنها  
كما في قوله \* تدوس بنا  
الجاجم والتريسا \*  
فالجار والمجرور في حيز  
النصب على الحالية أي  
فانتبذت ملتبسة به  
( مكانا قصيا ) بعيدا  
من أهلها وراء الجبل  
وقيل أقصى الدار وهو  
الانصب بقصر مدة  
الحمل ( فاجامها الخاض )  
أي فالجاءها وهو في  
الأصل مقول من جاء  
لكنه لم يستعمل في غيره  
كأني في أعطي وقرى  
الخاض بكسر الميم  
وكلاهما مصدر مخضت  
المرأة إذا تحرك الولد  
في بطنها للخروج ( إلى  
جنح الخلة ) لتستره  
وتعتمده عند الولادة  
وهو ما بين العرق  
والخصن وكانت نخلة  
يابسة لأرأس لها  
ولا خضرة وكان الوقت  
شدها والتعريف أما  
الجنس أول العهد فلم يكن  
تمة غيرها وكانت كالتعالم  
عند الناس ولله تعالى  
ألهمها ذلك ليربها  
من آيات ما يسكن روحها

لو قدر جسم على ذلك لتقدر عليه كل جسم لان الاجسام متماثلة وهو ضعيف لان الخضم  
ان يقول لانسلم ان كل محدث امامتصير أوقانم به بل ههنا موجودات قائمة بانفسها  
لامتصيرة ولا قائمة بالتحيز ولا يلزم من كونها كذلك كونها أمثالا لذات الله تعالى لان  
الاشترك في الصفات الثبوتية لا يقتضي التماثل فكيف في الصفات السلبية سلنا كونه  
جسما فلم قلت الجسم لا يقدر عليه قوله الاجسام متماثلة قلنا نعتي به انها متماثلة في  
كونها حاصلة في الاحياز ذاهبة في الجهات أو نعتي به انها متماثلة في تمام ماهياتها  
والاول مسلم لكن حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشترك في الصفات  
لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلنا ان الاجسام متماثلة فلم لا يجوز أن  
يقال ان الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض حتى انه يصح منها ذلك ولا  
يصح من البشر ذلك والجواب الحق أن المعتمد في دفع هذا الاحتمال اجماع الامة فقط  
والله أعلم ( المسئلة الثالثة ) الزكي يفيد أمورا ثلاثة ( الاول ) انه الطاهر من الذنوب  
( والثاني ) انه يتو على التزكية لانه يقال فيمن لا ذنب له زكى وفي الزيدع النامي زكى  
( والثالث ) الزهامة والطهارة فيما يجب أن يكون عليه ليصح أن يبعث نبيا وقال بعض  
المتكلمين الاول أن يحمل على الكل وهو ضعيف لما عرفت في أصول الفقه ان اللفظ  
الواحد لا يجوز حمله على المعنيين سواء كان حقيقة فيهما أو في أحدهما مجازا وفي الآخر  
حقيقة ( المسئلة الرابعة ) سماه وكيا مع انه لم يكن له شيء من الدنيا وأنت اذا نظرت في  
سوقك فمن لم يملك شيئا فهو سقى عندك وانما الزكى من يملك المال والله يقول كان زكيا لان  
سيرته الفقر وغناه الحكمة والكتاب وأنت فانما تسمى بالزكى من كانت سيرته الجهل  
وطريقته المال \* قوله تعالى ( قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال  
كذلك قال ربك هو على هين ولجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ) وفيه  
مسائل ( المسئلة الاولى ) أنها انما تجتبه مما بشرها جبريل عليه السلام لانها عرفت  
بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادات عند أهل المعرفة معتبرة في الامور  
وان جوزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها لم تعلم انه تعالى  
قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبا البشر على هذا الحد  
ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لا بد من أن يعرف قدرة الله تعالى على  
ذلك ( المسئلة الثانية ) لقائل أن يقول قولها ولم يمسسني بشر يدخل تحته قولها ولم أك  
بغيا فلماذا أعادتها وما يؤكد هذا السؤال ان في سورة آل عمران قالت رب أني يكون لي  
ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء فلم تذكر البغاء والجواب من وجوه  
( أحدها ) انها جعلت المس عبارة عن التكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل أن  
تمسوهن والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها أو ما أشبه ذلك ولا يليق به رعاية الكنابات  
( وثانيها ) ان عاداتها لتعظيم حالها كقولها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله  
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ههنا ان من لم تعرف من النساء بزواج فاغفظ

ويطعمهم الرطب الذي هو خرساء التفسد الواقعة لها ( قالت يا ليتني مت ) بكسر الميم من مات يمات كقفت وقرى بعضها  
من مات يموت ( قبل هذا ) أي هذا الوقت الذي تقيت فيه ما تقيت وانما قائله منع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين  
جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استجابة من الناس وخوفا من لاعنهم أو هذمان

في العصية بما تكلموا فيها وجر يلهي سنن البصالحين ضد اشتداد الامر عليهم كما روى عن عمر رضي الله عنه انه أجاب  
تينة من الارض فقال يا ليتني هذه التينة ولم أك شيئا ومن بلال انه قال آيت ﴿ ٧٨٢ ﴾ بلا لالم تلهه أمه ( وكن تنسبا )

أحوالها اذا أنت بولد أن تكون زانية فافرذ ذكر البغاه بعد دخوله في الكلام الاول لانه  
أعظم ما في بابيه ( المسئلة الثالثة ) قال صاحب الكشاف البني الفاجرة التي تبني الرجال  
وهو فصول عند المبرد بنوى فادغمت الواو في الياء وقال ابن جنى في كتاب التمام هو فصيل  
ولو كان فعولا ل قيل بنوا كما قيل نهوا عن المنكر ( المسئلة الرابعة ) ان جبريل عليه  
السلام أجابها بقوله قال كذلك قال ربك هو على هين وهو قوله في آل عمران كذلك الله  
يخلق ما يشاء اذا قضى امره فانما يقوله ~~م~~ مكن فيكون لا يمتنع عليه فعل ما يريد خلقه  
ولا يحتاج في انشائه الى الآلات والمواد ( المسئلة الخامسة ) الكناية في هو على هين  
وفي قوله ولتجمله آية للناس تحتل وجهين ( الاول ) أن تكون راجعة الى الخلق أي ان  
خلقته على هين ولتجمله خلقه آية للناس افولد من غير ذكر ورجحة منا يرحم عبادنا بانطهار  
هذه الآيات حتى تكون دلائل صدقه أبهر فيكون قبول قوله أقرب ( الثاني ) ان ترجع  
الكنايات الى الغلام وذلك لانها لما تجبعت من كيفية وقوع هذا الامر على خلاف العادة  
اعلمت ان الله تعالى جاعل ولده آية على وقوع ذلك الامر الغريب فاما قوله تعالى ورجحة  
منا فيحتمل أن يكون معطوفا على ولتجمله آية للناس أي فعلنا ذلك ورجحة منا فعلنا ذلك  
ويحتمل أن يكون معطوفا على الآية أي ولتجمله آية ورجحة فعلنا ذلك ( المسئلة السادسة )  
قوله وكان أمر امقضي المراد منه انه معلوم لعلم الله تعالى فيمتنع وقوع خلافه لانه لو لم يقع  
لا تقلب علم الله جهلا وهو محال والمقضي الى المحال محال فخلافه محال فوقوعه واجب  
وأبضا فلان جميع الممكنات منتبهة في سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود  
والمتهي الى الواجب انتهاء واجبا يكون واجب الوجود واذا كان واجب الوجود فلا  
فائدة في الحرث والاسف وهذا هو سر قوله عليه السلام من عرف سر الله في القدر هانت  
عليه المصائب \* قوله تعالى ( فملائته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها الخاض الى جذع  
النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر الله  
تعالى أمر النخح في آيات فقال فنحننا فيه من روحنا أي في عيسى عليه السلام كما قال  
لآدم عليه السلام ونفخت فيه من روحي وقال فنحننا فيها لان عيسى عليه السلام كان  
في بطنها واختلفوا في النافع فقال بعضهم كان النفع من الله تعالى لقوله فنحننا فيه من  
روحنا وظاهره يفيد ان النافع هو الله تعالى لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم  
خلقته من تراب ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفي حق آدم  
النافع هو الله تعالى لقوله تعالى ونفخت فيه من روحي فكنا ههنا وقال آخرون النافع  
هو جبريل عليه السلام لان الظاهر من قول جبريل عليه السلام لآله ان الله أمر أن يكون  
من قبله حتى يحصل الحمل لريم عليها السلام فلا بد من احواله النفع اليه ثم اختلفوا في كيفية  
ذلك النفع على قولين ( الاول ) قوله وهب انه نفع جبريل في جيبها حتى وصلت الى الرحم  
( الثاني ) في ذنبها فوصلت الى الفرج ( الثالث ) قوله السدي أخذ بيكها فنفع في جنب

أي شيئا فانها شأنه أن  
ينسى ولا يعتد به أصلا  
وقرى بالكسر قيل هما  
لنتان في ذلك كالوتر  
والوتر وقيل هو الكسر  
اسم لما ينسى كالنقض  
اسم لما ينقض وبالفتح  
مصدر سمي به المفعول  
مبالغة وقرى بهما موزا  
من نسأت اللبن اذا صببت  
عليه الماء فصار مستهلكا  
فيه وقرى نسا كعصا  
( منسيا ) لا يخطر ببال  
أحد من الناس وهو نعت  
للبالغة وقرى بكسر الميم  
اتباعه بالسين ( فناداها )  
أي جبريل عليه السلام  
( من تحتها ) قيل انه  
كان يقبل الولد وقيل من  
تحتها أي من مكان أسفل  
منها نحت الا كذا وقيل  
من تحت النخلة وقيل  
ناداها عيسى عليه السلام  
وقرى فنحط بها من  
تحتها بفتح الميم ( أن  
لا تحزني ) أي لا تحزني  
على أن ان مفسرة أو بان  
لا تحزني على أنها  
مصدرية قد حلف  
عنها الجار ( قد جعل  
ربك تحنك ) أي بمكان  
أسفل منك وقيل تحت

أمرك ان أمرت بالجزري جرى وان أمرت بالامساك أمسك ( ستريا ) أي نهر اضيقا حسيما روى من فوفا درعها ﴿  
قال ابن عباس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام ضرب برجعه الارض فظهرت عين ماء هذب فيجرى جدولا وقيل  
فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه

الما تحيئذ كما فعل منه بالخلعة فتمت كانت نخله يبيسة لأرأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فبطل الله لها اذذاك  
رأسا وخوصا وثمر او قبل كان هناك ما جارا والاول ﴿ ٧٨٣ ﴾ هو الموافق لتمام بيان ظهور الخوارق والتبادر من النظم

الكريم وقيل سر يا  
أى سيدا نبلا رفيع  
الشان جليلا وهو عيسى  
عليه السلام فالتنوين  
للتغظيم والجملة تعليل  
لانتفاء الحزن المفهوم  
من التهي عنه والتعرض  
لعنوان الربوبية مع  
الاضافة الى ضميرها  
لتشير فيها وتأكيد  
التعليل وتكميل اتسالية  
( وهزي ) من الشيء  
تحرى به الى الجهات  
المتقابلة تحريك عينا  
متداركا والمراد ههنا  
ما كان منه بطريق  
الجذب والدفع لقوله  
تعالى ( اليك ) أى الى  
جهتك والباء في قوله  
عز وعلا ( يجذع الخلة )  
صلة التأكيدي كما في قوله  
تعالى ولا تلقوا بأيديكم  
الخ قال القراء تقول  
العرب هزه وهزبه  
وأخذ الخطاب وأخذ  
بالخطاب أو لالصاق  
الفعل بمدخولها أى  
افعلى الهمز يجذعها  
أوهزي الثمرة بهزه وقيل  
هى متعلة بمجدوف  
وقع حالا من مفعول  
الهز أى هزى اليك

درصها فدخلت النفثة صدرها فحملت فجاءتها اختها امرأة ذكر يله تزورها فالتزمتها فلما  
التزمتها علمت انها حبل وذ كرت مريم حالها فقالت امرأة ذكر ياتى وجدت ما فى بطنى  
يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله ( الرابع ) ان النفثة كانت فى  
فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال اذا عرفت هذا ظهر ان فى الكلام حذف وهو وكان  
أمر امقضا فنفع فيها فحملته ( المسئلة الثانية ) قبل حملته وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل  
بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وليس فى القرآن ما يدل على شئ  
من هذه الاحوال ( المسئلة الثانية ) فانتبذت به أى اعترلت وهو فى بطنها كقوله تنبت  
بالدهن أى تنبت والدهن فيها واختلفوا فى طهارة الانتباض على وجوه ( أحدها ) مارواه  
التعليق فى العرائس عن وهب قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عم  
لها يقال له يوسف الجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف  
ومريم يتحلمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحدا شدا اجتهدا ولا عبادة منهما  
وأول من عرف حمل مريم يوسف فقهر فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها فخر صلاحها  
وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فأول  
ما تكلم ان قال انه وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانها فظنيت ذلك فترأيت  
ان الكلام فيه أشقى لصدري فقالت قل قولاجيلا قال أخبر بنى يامريم هل ينبت زرع  
بغير بذروهل تنبت شجرة من غير نبت وهل يكون ولد من غير ذكرك قلت نعم ألم تعلم ان الله  
أنبت الزرع من غير بذرو هذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبت من غير  
بذرو لم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجرة من غير نبت وبالقدرة جعل الفيت حياة الشجر  
بعدهما خلق كل واحد منهما على حدة وتقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة  
حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لأقول هذا ولكنى أقول ان  
الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم أولم تعلم ان الله خلق آدم  
وامرأته من غير ذكرو لا أنشئ فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان يتوب عنها فى خدمة  
المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن  
اخرجى من أرض قومك لتلايقتا واولدك فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حماره فلما  
بلغت تلك البلاد أدركها الناس فألقاها الى أصل نخله وذلك فى زمان برد فاحتضنتها  
فوضعت عندها ( وثانيها ) انها استجبت من ذكر يافذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها ذكرى  
( وثالثها ) انها كانت مشهورة فى بنى اسرائيل بالزهد لندرا مها وتساخ الانبياء فى تربيتها  
وتكفل ذكر بابها ولان الرزق كان يأتىها من عند الله تعالى فلما كانت فى نهاية الشهرة  
استجبت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها ذكرى ( ورابعها ) انها خافت  
على ولدها لو ولدته فيما بين أظهرهم واعلم ان هذه الوجوه محتملة وليس فى القرآن ما يدل على  
شئ منها ( المسئلة الرابعة ) اختلفوا فى مدة حملها على وجوه ( الاول ) قول ابن عباس رضى  
الله عنهما انها كانت تسعة أشهر كما فى سائر النساء بدليل ان الله تعالى ذكر مداتها فى هذا

الرب كالتا يجدها ( تساقط ) أى تسقط الخلة ( عليك ) اسقاطا متواترا حسب تواتر الهزى وقرى تسقط ويسقط  
من الاسقاط بالياء وتساقط بالظهار التدين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء  
كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن تالثه

في الكل للخلة والياء للجدع وقوله تعالى ( رطباً ) على الترات الثلاث الاول مفعول وعلى الست للبواقي تمييز وقوله تعالى ( جنياً ) صفة له وهو ما قطع قبل يسه فيل بمعنى مفعول ﴿ ٧٨٤ ﴾ أي رطباً مجنياً أي صالحاً للاجتماع

الموضع فلو كانت طادتها في مدة حملها بخلاف طادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر (الثاني) انها كانت ثمانية أشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى بن مريم عليه السلام (الثالث) وهو قول عطاء وأبي العالبة والضحاك سبعة أشهر (الرابع) انها كانت ستة أشهر (الخامس) ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة (السادس) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً كانت مدة الحمل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال عليه من وجهين ( الاول ) قوله تعالى فحملته فانتبذت به فأجاهها الخاض فناداها من تحتها والفاء للتغيب فذات هذه الفئات على ان كل واحد من هذه الاحوال حصل عقب الآخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال انباذها مكاناً قاصياً كيف يحصل في ساعة واحدة لاننا نقول السدى فسرنا بأنها ذهبت الى أقصى موضع في جانب محرابها (الثاني) ان الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى له كن فيكون وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وانما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة (المسئلة الخامسة) قاصياً أي بعيداً من أهلها يقال مكان قاص وقصى بمعنى واحد مثل عاص وعصى ثم اختلفوا فقيل أقصى الدار وقيل وراء الجبل وقيل سافرت مع ابن عمها يوسف وقد تقدمت هذه الحكاية ( المسئلة السادسة ) قال صاحب الكشاف آجاء منقول من جاء الأ أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالاء فانك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد كما تقول بلغني وأبلغته والمعنى ان يطلقها إليها الى جذع الخلة ثم يحتمل انها انما ذهبت الى الخلة طلباً للسهولة الولادة للتشبه بها او يحتمل للتوقيف والاستناد اليها ويحتمل للتستر بها من يخشى منه الغالة اذا رآها ولذلك حكى الله عنها انها منت الموت (المسئلة السابعة) قال في الكشاف قرأ ابن كثير في رواية الخاض بالكسر يقال منحضت الحامل مخاضاً ومخاضاً وهو منحض الولد في بطنها (المسئلة الثامنة) قال في الكشاف كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاءً والتعريف اما أن يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف التجم والصمق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سائرهم واما أن يكون تعريف الجنس اي الى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله أرشدها الى الخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو أشد الاشياء موائمة للنساء ولان الخلة أقل الاشياء صبراً على البرد ولا ثمر الا عند اللقاح واذا قطعت رأسها لم تثر فكأنه تعالى قال كما ان الانثى لاتلد الا مع الذكر فكذا الخلة لاتثر الا عند اللقاح ثم اني أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر ( المسئلة التاسعة ) لم قالت يا ليتني مت قبل هذا مع انها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل اليها وخلق ولدها من نوح جبريل عليه السلام ووعداها بأن يجعلها وابتها آية للعالمين والجواب من وجهين (الاول) قال وهب

وقيل بمعنى فاعل أي طرباً طيباً وقرى جنياً بكسر الجيم للابجاع (فكلى واشترى) أي ذلك الرطب وماه السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيب نفساً ورفض ضهاها حزك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدين بالاحكام العادية بأن أظهر لهم من البساط العنصرية والمركبات النباتية ما يحرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة أمرك وقرى وقرى بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القرخان دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة ولذلك يقال قره العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه ( فاما ترين من البشر أحدا ) أي آدمياً كائناً من كان

وقرى ترين على لغة من يقول لبان بالحج لمابين الهمة والياء من التآخي (قولي) له ان استنطقك ﴿ انساها ﴾ ( اني نذرت للرحن صوما ) أي صمتاً وقد قرى كذلك أو صياماً لو كان صيامهم بالسكوت ( فلن أكلهم اليوم انسا ) أي بعد أن أخبرتكم بنذري واما أكلهم الملائكة وانا جى ربي وقيل أمرت بلن تخبر

بندرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل الى الانسان كلاما بى ط بى وحيل ظالم ويؤكد بالمصدر  
فاذا كسب يمكن الاحقية الكلام وانما امرت ﴿ ٧٨٥ ﴾ بذلك لكرهه مجازة السفها ومناقضتهم والاكتفاء بكلام

عيسى عليه السلام فانه  
نص قاطع في قطع الطعن  
(فانت به قومها) اى  
جاءتهم مع والدها راجعة  
اليهم عند ما طهرت من  
نفسها تحمله اى  
حامله (قالوا) مؤنين  
لها (يا مريم لقد جئت  
اى فعلت) شيئا فر يا  
اى عظيميا بدعا منكرا من  
فري الجلد اى قطعه  
أوجئت محينا عجيبا عبر  
عنه باشى تحقيقا  
الاستعراب ( يا أخت  
هرون) استثناف لتجديد  
التعبير وتأكيده التوبيخ  
عنوا به هرون النسبى  
عليه السلام وكانت من  
أصقاب من كان معه  
في طبقة الاخوة وقيل  
كانت من نسله وكان  
بينهما ألف سنة وقيل  
هو رجل صالح أو طالح  
كان في زمانهم شهوهابه  
أى كنت عندنا مثله في  
الصلاح أو ستموها به  
(ما كان أبوك أمرا سوء  
وما كانت أمك بغيا)  
تفري لكون ما جاءت به  
فريانكرا وتنبه على  
أن ارتكاب الفواحش  
من أولاد الصالحين

أنسها كرية الثرية وما سمعت من الناس بشارة الملائكة بعيسى عليه السلام (الثاني)  
ان طدة الصالحين اذا وقعوا في بلاد أن بقوا واذلك وروى عن أبي بكر انه نظر الى طائر على  
شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقم على الشجر وتأكل من الثمر وددت أئى ثمرة يتقها الطائر  
وعن عمر انه أخذ تبنسة من الارض وقال ليتنى هذه التبنسة ياليتنى لم أك شيئا وقال على  
يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلال لم تلده أمه  
ثبت أن هذ الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم (الثالث) لعلها قالت  
ذلك لكي لاتقع المصيبة من يتكلم فيها والافهى راضية بما بشرت به (المسئلة العاشرة)  
قال صاحب الكشاف النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطمث ونحوها  
كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح ككفوله وفديناه بذبح عظيم نمت لو كانت شيئا نأفها  
لايوثبه به ومن حقه أن ينسى في العادة وقرأ ابن وثاب والاعمش وجرزة نسيا بالفتح  
والباقون نسيا بالكسر قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر وقرأ محمد بن  
كعب القرظى نسيا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأ أهله لتنته وقرأ الاعمش  
نسيا بالكسر على الاتباع كالغبر والنخر والله أعلم ﴿ قوله تعالى ( فناداها من تحتها  
أن أنخرنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بمجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا  
فكلى واشربى وقرى عينا فاما يرين من البشر أهدا فقول انى نذرت للرحن صوما  
فلن أكل اليوم انيسا) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) فناداها من تحتها القراءة  
المشهورة فناداها وقرأ زر وعلقمة فخطبها وفي الميم فيها قراءتان فتح الميم وهو المشهور  
وكسره وهو قراءة نافع وجرزة والكسائى وحفص وفي المنادى ثلاثا أو وجه ( الاول ) انه  
عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ( والثاني ) انه جبريل عليه السلام  
وانه كان كالقابلة للولد ( والثالث ) ان المنادى على القراءة بالكسر هو الملك وعلى  
القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام وهو مروى عن ابن عينة وعاصم والاول أقرب  
لوجه ( الاول ) ان قوله فناداها من تحتها بالفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك  
ان تحتها أحدا والذى علم كونه حاصلا تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ  
عليه وأما القراءة بكسر الميم فهى لاتقتضى كون المنادى جبريل عليه السلام فقد صح  
قولنا (الثاني) ان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العوره وذلك لا يليق بالملائكة  
(الثالث) ان قوله فناداها فعل ولا بد وأن يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه  
الآية ذكر جبريل وذكر عيسى عليهما السلام الآن ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى حملته  
فانبتت به والصغير ههنا عائد الى المسيح فكان حله عليه أولى ( والرابع ) وهو دليل  
الحسن بن على رضى الله عنه أن عيسى عليه السلام لولم يكن كلها لما علمت انه ينطق  
فكانت تشير الى عيسى عليه السلام بالكلام فأما من قال المنادى هو عيسى عليه  
السلام فالعنى انه تعالى أنطقه لها حين وضعته تطيبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى

أفحش (فاشارت اليه) أى الى عيسى ﴿ ٩٩ ﴾ خا عليه السلام أن كلوه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها  
يعزل من محاورة الانس حسبا أمرت فقيه دلالة على أن الأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما  
لا عهد به ( قالوا ) منكرين

الجوابها (كيف نكلم من كان في المهدي صبيبا) ولنه عهد فيما سلف صبيبا كلمة ما قبل وقبل كان لا يتباع مضمون الجملة في زمان  
ماض مبهم صالح لقرينه وبميدته وهو ههنا لقرينه \* ٧٨٦ \* خاصة بدليل انه مسوق للتجب وقيل هي زائدة

تشاهد في أول الامر ما بشرها به جبريل عليه السلام من علوشان ذلك الولد ومن قل  
النادي جبريل عليه السلام قل انه أرسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها  
في أول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من أصناف البشارات وأما قوله من تحتها  
فان جلنا على الولد فلا سؤال وان حدثنا على الملك فقيه وجهان (الاول) أن يكونا معا  
في مكان مستور ويكون هناك مبدأ معين كذلك النحلة ههنا فكل من كان أقرب منها كان  
فوق وكل من كان أبعد منها كان تحت وفسر الكلبي قوله تعالى انجاؤكم من فوقكم ومن  
أسفل منكم بذلك وعلى هذا الوجه قل بعضهم انه ناداها من أقصى الوادي (والثاني)  
أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب  
السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة أنها كانت حين ولدت على مثل راية وفيه وجه  
ثالث يحكى عن عكرمة وهو أن جبريل عليه السلام ناداها من تحت النحلة ثم على  
التقديرات الثلاثة يحتمل أن تكون مريم قد رأته وانما أماراته وليس في اللفظ ما يدل على  
شيء من ذلك (المسئلة الثانية) اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيدان السري  
هو النهر والجدول سمى بذلك لان الماء يسرى فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلوا السرى  
هيسى والسرى هو الثبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أى من أشرفهم وروى  
ان الحسن رجع عنه وروى عن قتادة وغيره ان الحسن تلا هذه الآية وبجنبه جدي بن  
عبد الرحمن الجبيري قد جعل ريك تحتك سرى يقال ان كان اسريا وان كان لكرى كما قاله  
حمديا بأبي سعيد انما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا بحالناك واحتج من حله على  
النهر بوجهين (أحدهما) انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول  
(والثاني) ان قوله فكلى واشري يدل على انه نهر حتى يتضاف الماء الى الرطب فأكل  
وتشرب واحتج من حله على عيسى بوجهين (الاول) ان النهر لا يكون تحتها بل الى جانبها  
ولا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه انه جعل النهر تحت أمرها يجرى بأمرها ويقف  
بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا حل للفظ على مجازة ولو جلنا  
على عيسى عليه السلام لم يحتج الى هذا المجاز (الثاني) انه موافق لقوله تعالى وطلنا ابن  
مريم وأمه آية وآويناها الى ربة ذات قرار ومعين والجواب عنه ما تقدم ان المكان  
المستوى اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه  
كان تحت فرطان (الاول) ان جلنا السرى على النهر فقيه وجهان (أحدهما) أن جبريل  
عليه السلام ضرب برجله فظهر ما عذب (والثاني) انه كان هناك ماء جار (والاول)  
أقرب لان قوله قد جعل ريك تحتك سرى يشعر بالحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى  
ذكره تعظيما لسانها وذلك لا يثبت الا على الوجه الذى قلناه (الثاني) اختلفوا في أن  
السرى هو النهر مطلقا وهو قول أبي عبيدة والقراء أو النهر الصغير على ما هو قول الاخفش  
(المسئلة الثالثة) قال انتقال الجدع من النحلة هو الاسفل وما دون الرأس الذى عليه

والظرف صلة من  
وصييا حال من المستكن  
فيه أو هي تامة أو دامة  
كما في قوله تعالى وكان الله  
عليا حكيم (قال) استئناف  
مبنى على سؤال نشامن  
سياق النظم الكريم  
كانه قيل فاذا كان بعد  
ذلك فقيل قال عيسى  
عليه السلام (انى عبد الله)  
أنطقه الله عز وجل  
بذلك أتردى أتبرتحقيقا  
الحق ورد اعلى من يزعم  
ر بوبته قيل كان  
المستنطق لعيسى زكريا  
عليهما الصلاة والسلام  
وعن السدى رضى الله  
عنه لما أشارت اليه  
غضبوا وقالوا لغيرتها  
بنا أشد علينا ما  
فعلت وروى أنه عليه  
السلام كان يرضع فلما سمع  
ذلك ترك الرضاع وأقبل  
عليهم بوجهه وانكأ على  
يساره وأشار اليهم  
بسببته فقال ما قال الخ  
وقيل كلهم بذلك ثم لم  
يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم  
فيه الصبيان (آنانى  
الكتاب) اى الأنجيل  
(وجعلنى نبيا وجعلنى)  
مع ذلك (مباركا) نفاطا

معنا الخبير والتعبير بلفظ الماضى في الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو يجعل ما في شرف الثمرة  
الوقوع لا بحالة واقعا وقيل أكله الله عتلا واستبأه طفلا (أيما كنت) اى حيثما كنت (وأوصانى بالصلوة) اى أمرنى  
بها أمر مؤكدا



(والزكاة) زكاة المال ان ملكته أو يتطهر النفس عن الرذائل (مادت خيا) في الدنيا (و برابو الدق) صطفى  
على مباركا أي جعلني بارا بها وقرى بالكسر ﴿ ٧٨٧ ﴾ على أنه مصدر وجهف به مبالغة أو منصوب بضمير

دل عليه أو صاني  
أي وكافني برأو يوبده  
الغراءة بالكسر والجر  
صطفى على الصلاة والزكاة  
والشكر للتخيم (ولم يجعلني  
جبارا شقيا) عنيد الله تعالى  
لغرض تكبره (والسلام  
على يوم ولدت ويوموت  
ويوم أبعث حيا) كما هو  
على محبي على أن التعريف  
العهد والظاهر أنه للجنس  
والتعريف بالعلم على أعد  
انه فان اثبات جنس السلام  
لنفسه تعريض بأثبات  
ضده لاضداده كما في قوله  
تعالى والسلام على  
من اتبع الهدى  
فانه تعريض بأن العذاب  
على من كذب وتولى  
(ذلك) اشارة الى من فصلت  
نوعه الجليلة وما فيه  
من معنى البعد للدلالة  
على علو مرتبته وبعد  
مزلته وامتيازه بتلك  
المناقب الجميدة عن غيره  
وزوله منزلة المشاهد  
المحسوس (هيسي  
ابن مريم) لا ما يصفه  
التصاري وهو تكذيب لهم  
فيما يرتجونه على الوجه  
الابلق والمنهاج البرهاني  
حيث جعله موصوفا

الثمره وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع وأما الباء في قوله بجذع الخلة  
فرائدة والمعنى هزى اليك أي حرى جذع الخلة قال الفراء العرب تقول هزه وهزبه  
وخذا الخطام وخذا الخطام وزوجتك فلانة وبفلافة وقال الاخفش يجوز أن يكون على  
معنى هزى اليك رطبا بجذع الخلة أي على جذعها اذا عرفت هذا فتقول قد تدوم أن  
الوقت كان شتاء وان الخلة كانت يابسة واختلغا في أنه هل أمر الرطب وهو على حاله أو  
تغير وهل أمر مع الرطب غيره والظاهر يقتضي انه صار نخلة لقوله بجذع الخلة وانه ما أمر  
الالرطب (المسئلة الرابعة) قال صاحب الكشاف تساقط فيه تسع قرآت تساقط بادغام  
التاء وتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط  
وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للخلة والياء للجذع (المسئلة الخامسة) رطبا تميز  
أو مفعول على حسب القراءة الجني المأخوذ طريا وعن طلحة بن سليمان جنيابكسر الجيم  
للاتباع والمعنى جنس لك في السرى والرطب فأنتين (احدهما) الاكل والشرب  
(والثانية) سلوة الصدر بكونهما معجزتين فان قال قائل فذلك الافعال الخارقة للعادات  
لمن قلنا قالت المعتزلة انها كانت معجزة لذكر يا وغيره من الانبياء وهذا باطل لان زكرياه  
عليه السلام ما كان له علم بحالها ومكانها فكيف بتلك المعجزات بل الحق انها كانت  
كرامات لمريم أوارها صا لعيسى عليه السلام (المسئلة السادسة) فكلى واشرب  
وقرى عينا قرى بكسر القاف لفة نحمد ونقول قدم الاكل على الشرب لان احتياج  
النفس الى اكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال منها من الدماء  
ثم قال وقرى عينا وهما سؤال وهو أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش  
والدليل عليه أمران (أحدهما) ان الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح  
أقوى من ألم البدن (والثاني) ما روى انه أجمعت شاة ثم قدم العلف اليها وربط عندها  
ذئب فبقيت الشاة مدة مديدة لاتتناول العلف مع جوعها الشديد خوفا من الذئب ثم  
كسرت رجلها ووقدم العلف اليها فتناولت العلف مع ألم البدن فدلت هذه الحكاية على  
ان ألم الخوف أشد من ألم البدن اذا ثبت هذا فنقول فلم قدم الله تعالى في الحكاية دفع  
ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف والجواب ان هذا الخوف كان قليلا لان  
بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج الى التذكير مرة أخرى  
(المسئلة السابعة) قال صاحب الكشاف قرأ ثرثن بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا  
من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتأخ بين الهمز وحرف اللين  
في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبدالله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما  
الأنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى هذا كان ذكر الصوم والاعلى الصمت وهذا  
النوع من النذر كان جائزا في شرعهم وهل يجوز مثل هذا النذر في شرعنا قال القفال  
لعلة يجوز لان الاحتراز عن كلام الادميين وتجريد الفكر لذكرا لله تعالى قرينة ولعله

بإضداد ما يصفونه (قول الحق) بالانصب على أنه مصدر مؤكد لقول اني عبدالله الخ وقوله تعالى ذلك هيسي  
ابن مريم اعتراض مقرر بضمون ما قبله وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه  
والاضافة للبيان والتعريف للكلام السابق

أو إقامتها لصفة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبرتان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق **ع** في القول والقول والقول  
في معنى واحد (الذي فيه يمترون) أي يشكون ﴿ ٧٨٨ ﴾ أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والتصاريح ابن الله

لا يجوز لما فيه من التصديق وتعذيب النفس كتنذر القيام في الشمس وروى أنه دخل  
أبو بكر على امرأة قد نذرت أنها لا تكلم فقال أبو بكر إن الإسلام هدم هذا فتكلمى  
والله أعلم (المسئلة الثامنة) أمرها الله تعالى بأن تنذر الصوم ثلاث شرايع مع من أتبعها  
في الكلام لمعنيين (أحدهما) أن كلام عيسى عليه السلام أقوى في إزالة التهمة من  
كلامها وفيه دلالة على أن تغويض الأمر إلى الأفضل أولى (والثاني) كراهة مجاداة  
السفهاء وفيه أن السكوت عن السفه واجب ومن أذل الناس سفه لم يجد مسافها  
(المسئلة التاسعة) اختلفوا في أنها هل قالت معهم أي نذرت للرحن صوما فقال قوم  
إنها ما تكلمت معهم بذلك لأنها كانت مأمورة بأن تأتي بهذا النذر عند رؤيتهم فإذا  
أتت بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها أمسكت وأومات  
برأسها وقال آخرون إنها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتتها القوم فذكرت لهم أي  
نذرت للرحن صوما فليس أكلم اليوم أنسبا وهذه الصيغة وإن كانت عامة إلا أنها صارت  
بالقرينة مخصوصة في حق هذا الكلام \* قوله تعالى (فانت به قومها بحمله قالوا يا مريم  
لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت  
إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اختلفوا  
في أنها كيف أتت بالولد هل هي أقوال (الأول) ماروى عن وهب قال أنساها كرب الولادة  
وما سمعته من الناس ما كان من كلام الملائكة من البشارة بعيسى عليه السلام فلما كلمها  
جاءها مصداق ذلك فاحتملته وأقبلت به إلى قومها (الثاني) ماروى عن ابن عباس رضى  
الله عنهما أن يوسف انتهى بريم إلى غار فأدخلها فيه أربعين يوما حتى طهرت من النفاس  
ثم أتت به قومها تحمله فكلها عيسى في الطريق فقال يأماه أبشرى فأتى عبدالله  
ومسيحه وهذان الوجهان محتملان وليس في القران ما يدل على التعيين (المسئلة الثانية)  
الفرى البديع وهو من فرى الجلد يروى أنهم لما رأوها ومعها عيسى عليه السلام قالوا  
لها لقد جئت شيئا فريا فيحتمل أن يكون المراد شيئا عجيبا خارجا عن المادة من غير تعبير ودم  
ويحتمل أن يكون مرادهم شيئا عظيما منكرافيكون ذلك منهم على وجه الدم هذا أظهر  
لقولهم بعده يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا لأن هذا القول  
ظاهره التوبيخ وأما هرون ففيه أربعة أقوال (الأول) أنه رجل صالح من بني إسرائيل  
ينسب إليه كل من عرف بالصلاح والمراد أنك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا  
وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته  
أربعين ألفا كلهم يسمون هرون تبركابه وباسمه (الثاني) أنه أخو موسى عليه السلام  
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إننا عنوا هرون النبي وكانت من أعقابها وإنما قيل أخت  
هرون كما يقال يا أبا همدان أي يا واحد منهم (والثالث) كان رجلا مغلنا بالفسق فسببت  
إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة (الرابع) مكان لها أخ يسمى هرون من صلحاء

وقرئ بناء الخطاب  
(ما كان لله) أي ماصح  
وما استقام له تعالى  
(أن يهخذ من ولد سبحانه)  
تكذيب للنصارى وتزيينه له  
تعالى عما يمتنون وقوله تعالى  
(إذا قضى أمرا فإنما يقول  
له كن فيكون) تبيكت لهم  
يدين أن شأنه تعالى  
إذا قضى أمرا من الأمور  
أن يعلق به إرادته فيكون  
حينئذ بلا تأخير فن هذا  
شأنه كيف يشوم  
أن يكون له ولد وقرئ  
فيكون بالانصب على الجواب  
وقوله تعالى (وان الله ربى  
وربكم فاعبدوه) من تمام  
كلام عيسى عليه السلام  
قيل هو عطف على قوله  
أنى عبد الله داخل تحت  
القول وقد قرئ بغير  
واو وقرئ بفتح المهيرة  
على حذف اللام أى ولان  
تعالى ربى وربكم فاعبدوه  
كقوله تعالى وأن المساجد لله  
فلا تدعوا مع الله أحدا  
وقيل معطوف على الصلاة  
(هذا) أى الذى ذكرته  
من التوحيد (صراط  
مستقيم) لا يضل به الكه  
والفساد في قوله تعالى  
(فاختلف الأحزاب

من بينهم) لترتيب ما يهدى على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم يجعلهم ما يوجب الاتفاق ﴿ بنى ﴾  
منها للاختلاف فأنما يحكى من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها تصوصا قاطنة في كونه حبه تعالى

ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتربط والافراط او فرق النصارى فقالت التسطورة هو ابن الله وقالت  
المتوية هو الله جبط الى الارض ثم صعد ﴿ ٧٨٩ ﴾ الى السموات عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله

ونبيه ( فويل للذين  
كفروا ) وهم المختلفون  
عبر عنهم بالوصول  
ايذانا بكفرهم جميعا  
واشعارا بعلة الحكم  
( من شهيد يوم عظيم )  
اي من شهود يوم عظيم  
المهل والحساب والجزاء  
وهو يوم القيامة أو من  
وقت شهوده أو من مكان  
الشهود فيه أو من  
شهادة ذلك اليوم عليهم  
وهو أن يشهد عليهم  
الملائكة والانبيا عليهم  
السلام وأستهم  
وأذانهم وأيديهم  
وأرجلهم وسائر أربابهم  
بالكفر والفسوق أو من  
وقت الشهادة أو من  
مكانها وقيل هو  
ما شهدوا به في حق عيسى  
وأمه عليهم السلام  
( أسمع بهم وأبصر )  
تعجب من حدة سمعهم  
وأبصارهم يومئذ ومعناه  
أن أسماءهم وأبصارهم  
( يوم يأتوننا ) للحساب  
والجزاء اي بوالقيامة  
جدير بان يتعجب منها  
بعد أن كانوا في الدنيا  
صامعا أو تهديد بما  
سيسمعون ويصرون

بنى اسرائيل فعبرت به وهذا هو الاقرب لوجهين ( الاول ) ان الاصل في الكلام الحقيقة  
وانما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها لو كان لها أخ مسمى بهارون ( الثاني ) انها  
أضيفت اليه ووصف أبواها بالصلاح وحيث يصير انو يخ أشد لان من كان حال أبويه  
وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أخش ( المسئلة الثالثة ) القراءة المشهورة  
ما كان أبوك امرأ سوء قرأ عمرو بن رجا التميمي ما كان أباك امرأ سوء ( المسئلة الرابعة )  
انهم لما بلغوا في تويعها سكتت وأشارت اليه أي الى عيسى عليه السلام أي هو الذي  
يجيبكم اذا ناطقتموه وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا غضبا شديدا وقالوا لسخر يتها  
بنأشد من زناها روى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ  
على يساره وأشار بسبائه وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان  
وقيل ان زكريا عليه السلام أنها عند مناظرة اليهود اياها فقال لعيسى عليه السلام  
انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عيسى عليه السلام عند ذلك اني عبد الله فان قيل  
كيف عرفت مریم من حال عيسى عليه السلام أنه يتكلم قلنا ان جبريل عليه السلام  
أو عيسى عليه السلام ناداها من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت  
فصار ذلك كالتنبيه لها على أن المجيب هو عيسى عليه السلام أو امها عرفت ذلك بالوحي  
الى زكريا وألطفها عرفت بالوحي اليها على سبيل الكرامة ( بقى ههنا بحثان الاول ) قوله  
كيف نكلم من كان في المهد صبيا أي حصل في المهد فكان ههنا بمعنى حصل ووجد وهذا  
هو الاقرب في تأويل هذا اللفظ وان كان الناس قد ذكروا وجوها آخر ( الثاني ) اختلفوا  
في المهد فقيل هو حجرها لما روى انها أخذته في خرقة فأنت به قومها فلما رأوها قالوا لها  
ما قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل معد حتى يعد لها المهد أو المعنى كيف  
نكلم صبيا سبيله أي ينام في المهد \* قوله تعالى ( قال اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا

وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ورا بوالدتي ولم يجعلني  
جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ) اعلم أنه وصف نفسه  
بصفات تسع ( الصفة الاولى ) قوله اني عبد الله وفيه فوائد ( الفائدة الاولى ) أن الكلام  
منه في ذلك الوقت كان سببا للوهم الذي ذهب اليه النصارى فلا جرم أول ماتكم  
انما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال اني عبد الله وكان ذلك الكلام وان كان موهاما من  
حيث انه صدر عنه في تلك الحالة ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث انه تنصيص  
على العبودية ( الفائدة الثانية ) انه لما أقر بالعبودية فان كان صادقا في مقاله فقد حصل  
العرض وان كان كاذبا لم تكن القوة قوة الهبة بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل  
كونه الها ( الفائدة الثالثة ) ان الذي اشتدت الحاجة اليه في ذلك الوقت انما هو نبي  
تحمته الزنا عن مریم عليها السلام ثم ان عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وانما نص  
على اثبات عبودية نفسه كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أول من ازالة التهمة عن

يومئذ وقيل أمر بان يسمعهم ويصبرهم موايد ذلك اليوم وما يحقق بينهم قيد والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع  
وعلى الثاني في حيز النصب ( لكن الظالمون اليوم ) اي في الدنيا ( في ضلال بين ) لا تدرى كتابه حيث أهملوا الاجتماع  
والنظر بالكتابة ووضع الظالمين موضع الضمير

للإيدان بأنهم في ذلك ظالمون لانفسهم ( وأنذرهم يوم الحسرة ) اي يوم ينصرون الناس قاطبة أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فله أحسانه ( اذ قضى الامر ) اي فرغ من الحساب ﴿ ٧٩٠ ﴾ ونصارى الفريقان الى الجنة والنار

الام فلهذا أول ماتكم ايمانكم بها ( الفائدة الرابعة ) وهي أن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الام لان الله سبحانه لا يخص القاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة وأما التكلم بإزالة التهمة عن الام لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى فهذا مجموع ما في هذا اللفظ من الفوائد واعلم أن مذهب النصارى متخبط جدا وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم ولا متخيز ومع ذلك فإننا نذكر تقسيما حاصرا يبطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول اما أن يعتقدوا كونه متخيزا أو لا فإن اعتقدوا كونه متخيزا أبطلنا قولهم بإقامة الدلالة على حدوث الاجسام وحينئذ يبطل كل ما فرغوا عليه وان اعتقدوا أنه ليس بمتخيز فيثبت بطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمير وامتزاج النار بالفحم لان ذلك لا يتصل الا بالاجسام فاذا لم يكن جسما استحال ذلك ثم نقول للناس قولان في الانسان منهم من قال انه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها ومنهم من يقول انه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الاجسام فنقول هو لا النصارى اما أن يعتقدوا ان الله أو صفة من صفاته متحد بين المسيح أو بنفسه أو يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه أو يقولوا لانقول بالاتحاد والبالحلول ولكن نقول انه تعالى أعطاه القدرة على خلق الاجسام والحياة والقدرة وكان لهذا السبب الها أولادهم ولو بشئ من ذلك ولكن قالوا انه على سبيل التشرىف اتخذها ابنا كما اتخذ ابراهيم على سبيل التشرىف خليفا فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب والكل باطل أما القول الاول بالاتحاد فهو باطل قطعا لان الشيتين اذا اتحدتا فهما حال الاتحاد اما أن يكونا موجودين لهم معدومين أو يكون أحدهما موجودا والآخر معدوما فان كانا موجودين فهما اشبه لا واحد فالإتحاد باطل وان عدما وحصل ثالث فهو أيضا لا يكون اتحادا بل يكون قولنا بهم ذينك الشيتين وحصول شئ ثالث وان بقي أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لانه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد محال ( وأما الحلول ) فلنا فيه مقامان ( الاول ) ان التصديق مسبوق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا أن نعلم أنه هل يصح على الله تعالى أو لا يصح وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة ( أحدها ) كون الشئ في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم واعلم أن هذا باطل لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم واقفون على أنه ليس بجسم ( وثانيها ) حصوله في الشئ على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الخبز تبعا لحصول محله فيه وهذا أيضا انما يمتل في حق الاجسام لان حق الله تعالى ( وثالثها ) حصوله في الشئ على مثال حصول الصفات الاضافية للدوات فنقول هذا أيضا باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجلم الموت على صورة كبش أملح فندبح والفريقان ينظرون فينادى المنادى بأهل الجنة خلود فلاموت وبأهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف ( وهم في غفلة ) أي غما يفعل بهم في الآخرة ( وهم لا يؤمنون ) وهما جلتان حالتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستترون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم فافلين غير مؤمنين فيكون حال المتضمنة لعنى التعليل ( انا نحن ) زرت الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك

أوتوني الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه ( واليتا يرجعون ) اي يردون الجزاء ﴿ الله ﴾ لالي غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً ( واذكر ) عطفت على أنذرهم ( في الكتاب ) اي في السورة أو في القرآن ( ابراهيم ) اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله

تعالى وائل عليهم بأبراهيم فانهم ينتون اليه عليه السلام فسلهم يستمع فسته يقلعون عماهم فيه من القبايح (انه  
كان صديقا) ملازم للصدق ﴿ ٧٩١ ﴾ في كل ما يأتي ويذرا وكثير التصديق لخدمته ما صدق به من غيوب الله

تعالى وآياته وكتبه  
ورسله وبالجملة استئناف  
مستوفى لتعليل موجب  
الامر فان وصفه عليه  
السلام بذلك من دواعي  
ذكره (نبيا) خير آخر  
لكان مقيد للاول  
مخصص له كإني عنه  
قوله تعالى من النبيين  
والصدق يقين الآية  
اي كان جا مصابين  
الصديقية والنبوة  
ولعل هذا الترتيب  
للبالغة في الاحتراز  
عن توهم تخصيص  
الصديقية بالنبوة فان  
كل نبي صديق (اذقال)  
بل اشتغال من ابراهيم  
وما بينهما اعتراض  
مقرر لما قبله أو متعلق  
بكان أو نبيا وتعليق  
الذكر بالاوقات مع  
أن المقصود تذكير  
ما وقع فيها من الحوادث  
قدم سره مرارا أي  
كان جامع بين الاثرين  
حين قال (لايه) آزر  
مطلقا في الدعوة  
مستبلا له (يا أبت)  
أي يأتي فان التامعوض  
عن ياء الاضافة ولذلك  
لا يجتمعان وقد قل

الله تعالى في شيء بهذا المعنى ليكن محتاجا فكان ممكنا فكان مقترا الى المؤثر وذلك محال  
واذا ثبت أنه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع  
اثباته (المقام الثاني) احتج الاصحاب على نفي الحلول مطلقا بان قالوا لو حل محل امامع  
وجوب ان يحل أومع جواز أن يحل والقسمان يتطلبان فاقول بل الحلول باطل وانما قلنا  
انه لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لان ذلك يقتضي املا حدوث الله تعالى أو قدم المحل  
وكلاهما باطلان لان ادلتنا على ان الله قديم وعلى أن الجسم محدث ولا يملو حل مع وجوب  
أن يحل لكان محتاجا الى المحل والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجبا  
لذاته وانما قلنا انه لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل لانه لما كانت ذاته واجبة الوجود  
لذاتها وحلوله والمحل أمر جائز والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز فيلزم  
أن يكون حلوله في المحل أمرا زائدا على ذاته وذلك محال لوجهين (أحدهما) ان حلوله  
في المحل لو كان زائدا على ذاته لكان حلول ذلك الزائد في محله زائدا على ذاته ولزم  
التسلسل وهو محال (والثاني) ان حلوله في ذلك المحل لما كان زائدا على ذاته فاذا حل  
في محل وجب أن يحل فيه صفة محدثة وذلك محال لانه لو كان قابلا للحوادث لكانت تلك  
القابلية من لوازم ذاته وكانت حاصلة أزلا وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل  
محال فحصول قابليتها وجب أن يكون ممنوع الحصول فان قيل لم لا يجوز أن يحل مع  
وجوب أن يحل لانه يلزم اما حدوث الحال أو قدم المحل قلنا لانسلم وجوب أحد الأمرين  
ولم لا يجوز أن يقال ان ذاته تقتضي الحلول بشرط وجود المحل في الازل ما وجد المحل  
فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم لم يجب الحلول وفيما لا يزال حصل هذا الشرط  
فلا جرم وجب سلنا انه يلزم اما حدوث الحال أو قدم المحل فلم لا يجوز قوله ان ادلتنا على  
حدوث الاجسام قلنا لم لا يجوز أن يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلا أو نفسا  
أو هوبلى على ما يشتهر بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يقبل حدوث  
هذه الاشياء قوله ثانيا لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجا الى المحل قلنا لانسلم وجوب  
أحد الأمرين بل ههنا احتمالان آخران (أحدهما) أن العلة وان امتنع انفكاكها عن  
المعلول لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول فلم لا يجوز أن يقال ان ذاته غنية عن ذلك  
المحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل  
من معلولات ذاته وقد ثبت ان العلة وان استحال انفكاكها عن المعلول لكن ذلك  
لا يقتضي احتياجها الى المعلول (الثاني) أن يقال انه في ذاته يكون غنيا عن المحل وعن  
الحلول الأأن المحل يوجب لذاته صفة الحلول فالمقتضى الى المحل صفة من صفاته وهي حلوله  
في ذلك المحل فما ذاته فلا ولا يلزم من افتقار صفة من صفاته الاضافية الى الغير افتقار  
ذاته الى الغير وذلك لان جميع الصفات الاضافية الحاصلة له مثل كونه أولا وآخرا  
ومقارنا ومؤثرا ومعلوما ومدكورا مما لا يتحقق الا عند حصول التعيز وكيف لا

يا بالتكون الالف بدلا من الياء (لم تمبدا لا يسم) ثناء عليه عند عبادتك له وجوارك ايه (ولا يبصر) خضوعك  
وخشوعك بين يديه أولا يسمع ولا يبصر شيئا من السموات والبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا  
(ولا ينفى) أي لا يقدر على أن ينفى (عنك شيئا) في جلب نفع أو دفع ضرر وقد سلك عليه السلام

في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل وأحج عليه ابداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لتلايرك متن الكابرة والعاذ  
ولايتك بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه هبة عبادته ﴿ ٧٩٢ ﴾ لما يستخف به عقل كل قائل من عالم

والاضافات لا بدني تحتها من أمرين سلبنا ذلك فلم لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل قوله  
يلزم أن يكون حلوه فيه زائدا عليه ويلزم التسلسل قلنا حلوه في المحل لما كان جائزا كان  
حلوه في المحل زائدا عليه أما كون ذلك الحلول حلالا في المحل أمر واجب فلا يلزم أن يكون  
حلول الحلول زائدا عليه فلا يلزم التسلسل قوله ثانيا يلزم أن يصير محل الحوادث قلنا  
لم لا يجوز ذلك قوله يلزم أن يكون قابلا للحوادث في الأزل قلنا لا شك أن تمكنه من الإيجاد  
ثابت له أمالذاته أولا أمر ينتهي إلى ذاته وكيف كان فيلزم صحة كونه مؤثرا في الأزل  
فكل ما ذكرتموه في المؤثرية فمخن نذكره في القابلية والجواب اننا نقرر هذه الدلالة على وجه  
آخر بحيث تسقط عنها هذه الاسئلة فنقول ذاته إما أن تكون كافية في اقتضاء هذا  
الحلول أو لا تكون كافية في ذلك فإن كان الأول استحالة توقف ذلك الاقتضاء على حصول  
شرط فيعود ما قلنا انه يلزم اما قدم المحل أو حدوث الحال وان كان الثاني كان كونه  
مقتضيا لذلك الحلول أمر ازيدا على ذاته حادثا فيه فعلى التقديرات كلها يلزم من حدوث  
حلوه في محل حدوث شيء فيه لكن يستحيل أن يكون قابلا للحوادث والازم أن يكون  
في الأزل قابلا لها وهو محال على ما بيناه وأما المعارضة بالقدرة فغير وارده لانه تعالى لذاته  
قادر على الإيجاد في الأزل فهو قادر على الإيجاد فيما لا يزال فهنا أيضا لو كانت ذاته قابلة  
للحوادث لكانت في الأزل قابلة لها فيحتد يلزم المحال المذكور هذا تمام القول في هذه  
الأدلة ولنا في ابطال قول التصاري وجوه آخر (أحدها) انهم وافقونا على ان ذاته سبحانه  
وتعالى لم يحل في ناسوت عيسى عليه السلام بل قالوا الكلمة حلت فيه والمراد من الكلمة  
العلم فنقول العلم لما حل في عيسى فحق تلك الحالة اما أن يقال انه بقي في ذات الله تعالى  
أو ما بقي فيها فان كان الأول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير معقول ولانه  
لوجاز أن يقال العلم الحاصل في ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل في ذات الله  
تعالى بعينه فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم  
الحاصل لذات الله تعالى وان كان الثاني لزم أن يقال ان الله تعالى لم يبق علما بعد حلول  
علمه في عيسى عليه السلام وذلك مما لا يقوله طافل (وثانيها) مناظرة جرت بيني وبين بعض  
الصارى فقلت له هل تسلم ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول أم لا فان أنكرت لزمك  
أن لا يكون الله تعالى قديما لان دليل وجوده هو العالم فاذا لزم من عدم الدليل عدم  
المدلول لزم من عدم العالم في الأزل عدم الصانم في الأزل وان سلمت انه لا يلزم من عدم  
الدليل عدم المدلول فنقول اذا جوزت اتحاد كلمة الله تعالى بعيسى أو حلولها فيه فكيف  
عرفت ان كلمة الله تعالى ما دخلت في زيد وعمرو بل كيف عرفت انها ما حلت في هذه  
الهرة وفي هذا الكلب فقال لي ان هذا السؤال لا يليق بك لاننا ما ثبتنا ذلك الاتحاد  
أو الحلول بناء على ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من احياء الموتى وإبراء الأكمه  
والأبرص فانما نجد شيئا من ذلك على يد غيره فكيف نثبت الاتحاد أو الحلول

وجاهل ويأبى الركون  
إليه فضلا عن عبادته  
التي هي الغاية القاصية  
من التعظيم مع أنها  
لا تحق الا لمن له الاستثناء  
التمام والانعام العام  
الخالق الرازق المحيي  
الميت المثيب المعاقب  
ونبه على أن العاقل  
يجب أن يفعل كل  
ما يفعل لداعية صحيحة  
وفرض صحيح والشئ  
لو كان حيا مبراسيما  
بصيرا قادرا على النفع  
والضرر مطبقا بإيصال  
الخبر والشئ لكن كان  
ممكنا لاستنكف العقل  
السليم عن عبادته  
وان كان أسرف الخلائق  
لم يراه مثله في الحاجة  
والانقياد للقدرة القاهرة  
الواجبة فاطنك بجماد  
مصنوع من حجر ونجر  
ليس له من أوصاف  
الاحياء عين ولا أثر ثم دعاه  
إلى أن ينبسه ليهديه  
إلى الحق المبين لما انه  
لم يكن مخلوقا من العلم  
الالهى مستقلا بالنظر  
السوى مصدرا لدعوته  
بما سر من الاستمالة  
والاستعطاف في حيث

قال (يا ليتني قد جئني من العلم ما لم يأتك) ولم يسم آية بل جعل الشرط وان كان في اقتضائه ولا تقصد بالعلم ﴿ قلت ﴾  
القائل وان كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أشرف بأحوال فاعلمت من الطريق فاستمالة برقت حيث  
قال (فاتبعني أهلك صراطا سويا) أي مستقيما جو صلا

المسمى الجليل منبعض الضلال المؤدى الى مهاوى الرذى والمعاطب ثم شبطه فما كان عليه بتصورة بصورة يستكرها كل عاقل بيان انه مع عرأته عن النفع بالرة ﴿ ٧٩٣ ﴾ مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه

الامر به فقال (ياأبت لاتعبد الشيطان) فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يسولها لك وبغيرك عليها وقوله ( ان الشيطان كان للرجن عصيا) تعليلا لموجب النهى وتاكيد له بيان انه مستعص على ربك الذى أتم عليك بفنون النعم ولا ريب فى أن المطيم للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينقم منه والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة القرب والاقصار على ذكر عصيانه من بين سائر جنائمه لانه ملاكها اولانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وفريته فتذكيره داع لايه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لامتنان الرحانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله (ياأبت انى أخاف أن يمك عذاب من الرحمن) تحذير من سوء عاقبة ما كان عاياه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بالاتبلى به معبود

فقلتله انى عرفت من هذا الكلام انك ما عرفت أول الكلام لانك سلمتلى ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فاذا كان هذا الحلول غير متمتع فى الجملة فأكثر مانى الباب انه وجد ما يدل على حصوله فى حق عيسى عليه السلام ولم يوجد ذلك الدليل فى حق زيد وعمرو ولا يمكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم من عدم ظهور هذه الخوارق على زيد وعمرو وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول فثبت انك مهما جاوزت القول بالاتحاد والحلول لزمك تجوز حصول ذلك الاتحاد وذلك الحلول فى حق كل واحد بل فى حق كل حيوان ونبات ولا شك ان المذهب الذى يسوق قائله الى مثل هذا القول الركيك يكون باطلا قطعاً ثم قلتله وكيف دل احياء الموتى و ابراء الاكده والايصر على ما قلت أليس ان انقلاب العصا ثعباناً أبعد من انقلاب الميت حيا فاذا ظهر ذلك على يد موسى عليه السلام ولم يدل على الهيته فبان لا يدل هذا على الهيته عيسى أولى (وثالثها) اننا نقول دلالة أحوال عيسى على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية لانه كان محتهدا فى العبادة والعبادة لاتليق الا بالعبيد فانه كان فى نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصرارى ان اليهود قتلوه ومن كان فى الضعف هكذا فكيف تليق به الربوبية (ورابعها) المسيح اما أن يكون قديماً ومحدثاً والقول بقدمه باطل لاننا علم بالضرورة انه ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر وان كان محدثاً كان مخلوقاً ولا معنى للعبودية الا ذلك فلن قيل المعنى بالهيته انه حلت صفة الالهية فيه قلنا هب انه كان كذلك لكن الحال هو صفة الاله والمسيح هو المحل والمحل محدث مخلوق فاهو المسيح عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية (وخامسها) ان الولد لا بد وأن يكون من جنس والوالد فان كان له ولد فلا بد وأن يكون من جنسه فاذا قد اشتركا من بعض الوجوه فان لم يتميز أحدهما عن الآخر بأمر ما فكل واحد منهما هو الآخر وان حصل الامتياز فانه الامتياز غير مابه الاستراك فيلزم وقوع التركيب فى ذات الله وكل مركب ممكن فالواجب يمكن هذا خلف محال هذا كله على الاتحاد والحلول (أما الاحتمال الثالث) وهو أن يقال معنى كونه الهائه سبحانه خص نفسه أو بدنه بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف فى هذا العالم فهنا أيضاً باطل لان النصرارى حكوا عنه الضعف والعجز وان اليهود قتلوه ولو كان قادراً على خلق الاجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكر ائديون عنه (وأما الاحتمال الرابع) وهو انه اتخذ ابنه لنفسه على سبيل التشريف فهنا قد قال به قوم من النصرارى يقال لهم الارميسية وليس فيه كثير خطأ الا فى اللفظ فهذا جملة الكلام على النصرارى وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه انه قال انى عبداً له (الصفة الثانية) قوله تعالى آتانى الكتاب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف الناس فيه فالجمهور على أنه قال هذا الكلام حال صفه وقال أبو القاسم

من العذاب القاطع وجملة من ﴿ ١٠٠ ﴾ حاشاً متعلقة بمضمون وصفه للعذاب مؤكداً أفاده التكرار من القضاة الثانية بالخصامة الاضافية والظهار الرجح للاشعار بأن وصف الرحمانية لا يندفع حلول العذاب كما فى قوله عز وجل ما عرك ربك

الكريم (فتكون للشيطان ولها) أي قريناه في اللعن المخلد وذكر الخوف للجماعة وباراز الاعتناء بامرء (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه ﴿ ٧٩٤ ﴾ قيل فإذا قل أبوہ عندما سمع منه عليه السلام هذه

الصالح الواجبة القبول  
فقيل قال مصرا على  
عناده (أراغب أنت  
عن آلهي يا ابراهيم)  
أي أعرض ومنصرف  
أنت عنها بتوجيه  
الانكار الى نفس الرغبة  
مع ضرب من التعجب  
كان الرغبة عنها مما  
لا يصدر عن العاقل  
فضلا عن ترغيب الغير  
عنها وقوله (أئن لم تنته  
لارجنك) تهديد وتحذير  
عما كان عليه من العظيمة  
والتكبر أي والله لئن لم  
تذنه عما كنت عليه من  
التهمي عن عبادتها  
لارجنك بالحجارة وقيل  
باللسان (واهجرتي)  
أي فاحذرتي واتركني  
(مليا) أي زمانا طويلا  
أو مليا بالذهب مطبقا به  
(قال) استئناف كما سلف  
(سلام عليك) توديم  
ومباركة على طريقة  
مقابلة السببة بالحسنة  
أي لا أصغيك بمكروه  
بعد ولما قلت عليك بما  
يؤذيك ولما لم يكن  
(فاستغفره) أي  
أي استدعيه أن يغفر  
لك بأن يوفقك للتوبة

البلخي انه انما قال ذلك حين كان كالمراهق الذي يفهم وان لم يبلغ حد التكليف أما  
الاولون فلهم قولان (أحدهما) أنه كان في ذلك العصر نبيا (الثاني) روى عن عكرمة عن  
ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال المراد بان حكم وقضى بأنه سيبعثني من بعد ولما تكلم  
بذلك سكت وعاد الى حال الصغر ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا واحتج من نص على فساد  
القول الاول بأمور (أحدها) ان النبي لا يكون الا كاملا والصغير ناقص الخلقة بحيث  
بعدها التحدي من الصغير متغرا بل هو في التقدير أعظم من أن يكون امرأة (وثانيها)  
أنه لو كان نبيا في هذا العصر لكان كمال عقله مقدما على ادعائه للنبوته اذ النبي لا بد وأن  
يكون كامل العقل لكن كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما  
على التحدي وأنه غير جائز (وثالثها) انه لو كان نبيا في ذلك الوقت لوجب ان يشتمل ببيان  
الاحكام وتعر يف الشرائع ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه  
ما كان نبيا في ذلك الوقت أجاب الاولون عن الكلام الاول بأن كون الصبي ناقصا ليس  
لذاته بل لامر يرجع الى صغر جسمه ونقصان فهمه فاذا أزال الله تعالى هذه الاشياء  
لم تحصل النفرة بل تكون الرغبة الى استماع قوله وهو على هذه الصفة أمم وأكل وعن  
الكلام الثاني لم لا يجوز أن يقال اكمل عقله وان حصل مقدما على دعواه الا أنه معجزة  
لذكرها عليه السلام أو يقال انه ارهاص لنبوته أو كرامة لمريم عليها السلام وعندنا  
الارهاص والكرامات جائزة وعن الكلام الثالث لم لا يجوز أن يقال مجرد بعثته اليهم من  
غير بيان شيء من الشرائع والاحكام جائزة ثم بعد البلوغ أخذ في شرح تلك الاحكام  
فثبت بهذا أنه لا امتناع في كونه نبيا في ذلك الوقت وقوله آتاني الكتاب يدل على كونه  
نبيا في ذلك الوقت فوجب اجراءه على ظاهره بخلاف ما قاله عكرمة اما قول أبي القاسم  
البلخي فبعيد وذلك لان الحاجة الى كلام عيسى عليه السلام انما كانت عند وقوع  
التهمة على مريم عليها السلام (المسئلة الثانية) اختلفوا في ذلك الكتاب فقال بعضهم  
هو التوراة لان الالف واللام في الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو  
التوراة وقال أبو مسلم المراد هو الانجيل لان الالف واللام ههنا للجنس أي آتاني من هذا  
الجنس وقال قوم المراد هو التوراة والانجيل لان الالف واللام تعيد الاستغراق  
(المسئلة الثالثة) اختلفوا في انه متى آتاه الكتاب ومتى جعله نبيا لان قوله آتاني الكتاب  
وجعلني نبيا يدل على أن ذلك كان قد حصل من قبل اما ملاصقا لتلك الكلام أو متقدما  
عليه بأزمان والظاهر أنه من قبل ان كلمهم آتاه الله الكتاب وجعله نبيا وأمره بالصلاة  
والزكاة والهدى عوالم الله تعالى والى دينه والى ما خص به من الشريعة فقيل هذا الوحي  
نزل عليه وهو في وطن أمه وقيل لما انفصل من الام آتاه الله الكتاب والنبوة وان تكلم مع  
أمه وأخبرها بحاله وأخبرها بأنه يكلمهم بما يدل على برامة حالها فهذا أشارت اليه  
بالكلام (الصفحة الثالثة) قوله وجعلني نبيا قال بعضهم أخبر أنه نبى ولكنه ما كان

وهديك الى الايمان كما يلوح به تلميح قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار ﴿ رسولاً ﴾  
بهذا المعنى لكافر قبل تبين انه مومن على الكفر بما لا يرب في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر  
فانه بما لا مسأله ضللا ولا تضلا واما الاستغفار به



موتته على بكر فلا تلبه قضية العقل وإنما الذي يمنه السم الا يرى الى انه عليه السلام قل لعمه ابي طالب لا زال  
استغفرك ملماً أنه صفة فزل قوله تعالى ما كان ﴿٧٩٥﴾ التي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية والاشتباه

في أن هذا الوعد من  
ابراهيم عليه السلام  
وكذا قوله لاستغفرنك  
وما ترتب عليهما من  
قوله واغفر لابي الآيه  
انما كان قبل انقطاع  
رجائه عن ايمانه لعدم  
تبين أمره لقوله تعالى  
فلما تبين له انه عدو لله  
تبرأ منه كما مر في تفسير  
سورة التوبة واستثناؤه  
عما يؤتسى به في قوله تعالى  
الاقول ابراهيم لا يبه  
لاستغفرنك لا يقدح  
في جوازه لكن لا لان  
ذلك كان قبل ورود  
النهي أو لوعده وهداها  
ايه كما قيل لما أن النهي  
انما ورد في شأن الاستغفار  
بعد تبين الامر وقد كان  
استغفاره عليه السلام  
قبل التبين فلم يتناوله  
النهي أصلاً وأن الوعد  
بالمحذور لا يرفع حظره  
بل لان المراد بما يؤتسى به  
ما يجب الانسباء به حتماً  
لورود الوعيد على  
الاعراض عنه بقوله  
تعالى لقد كان لكم فيهم  
اسوة حسنة لمن كان  
يرجو الله واليوم الآخر  
ومن يتول فان الله هو  
الغني الحميد فاستثناؤه

رسولاً في ذلك الوقت ما جاء بالشرية ومعنى كونه نبياً انه رفيع القدرة على الدرجة  
وهذا ضعيف لان النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة وبالرسالة خصوصاً  
اذا قرن اليه ذكر الشرع وهو قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة (الصفة الرابعة) قوله  
وجعلني مباركا أينما كنت فلما قل أن يقول كيف جعله مباركا والناس كانوا قبله على  
الملة الصحيحة فلما جاء صار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى قائلين بالتثليث ولم يبق على  
الحق الا القليل والجواب ذكره في تفسير المبارك وجوها (أحدها) أن البركة في اللغة هي  
الثبات وأصله من بروك البعير فضاء جعلني ثابتاً على دين الله مستقراً عليه (وثانيها) انه  
انما كان مباركا لانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فز قبل  
أنفسهم لان قبله وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلت أم عيسى عليها  
السلام عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أذعه اليك على أن لاتضر به فقال له المعلم اكتب  
فقال أي شيء اكتب فقال اكتب أيجد فرجع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري  
ما أيجد فعلاه بالدرة ليضر به فقال يا مؤذنب لاتضر بي ان كنت لا تدري فاستلني  
فأنا أحلك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جلال الله والداد من أداء  
الحق الى الله (وثالثها) البركة الزيادة والعلو فكانه قال جعلني في جميع الاحوال غالياً  
منها منجها لاني مادمت أبقى في الدنيا كون على الغير مستعلياً بالجملة فاذا جاء الوقت  
المعلوم بكرمني الله تعالى بالرفع الى السماء (ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل  
بسبب دعائي احياء الموتى وبراء الاكهم والابصص عن قتادة انه رأى امرأة وهو يحيى  
الموتى ويبرئ الاكهم والابصص فقالت طوبى لبطن حملك وثدى أرضعت به فقال  
عيسى عليه السلام مجيباً لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقيماً  
قوله أينما كنت فهو يدل على ان حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال  
التكليف (الصفة الخامسة) قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً فان قيل كيف  
أمر بالصلاة والزكاة مع انه كان طفلاً صغيراً والقلم مرفوع عنه على ما قال صلى الله  
عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ الحديث وجوابه من وجهين (الاول)  
أن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد  
البلوغ فلعل المراد انه تعالى أوصاه بهما وبادائهما في الوقت المعين له وهو وقت البلوغ  
(الثاني) لعل الله تعالى لما انفصل عيسى عن أمه صبره بالقاطعاً تمام الاعضاء والخليفة  
وتحقيقه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملاً  
دفعه فكذا القول في عيسى عليه السلام وهذا القول الثاني أقرب الى الظاهر لقوله  
مادمت حياً فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ولكن لقائل  
أن يقول لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه قد رأوه شخصاً كامل الاعضاء  
تام الخليفة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون صحيحاً فكان ينبغي أن لا يجيبوا  
فلعل الاول أن يقال انه تعالى جعله مع صغر جنته قوى التركيب كامل العقل بحيث

عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استثناء الايمان للكافر المرجو ايمانه لاسيما وقد ناطق ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما  
لا يتردد فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً وتوجيه الاستثناء الى  
العدة بالاستغفار لا الى

نفس الاستغفار بقوله واغفر لاني الآيَةَ لانهما كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك الصفة بالذكر چون  
ما وقع ههنا لورودها على نصح المالك كيد القسي ﴿ ٧٩٦ ﴾ وأما جعل الاستغفار ذاراً عليها وترتيب التبرؤ على تبيين

كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض  
و حين رفع الى السماء وحين ينزل مرة أخرى (الصفة السادسة) قوله تعالى وبرا بوالدتي  
أى جعلني برا بوالدتي وهذا يدل على قولنا ان فضل المبدخلوق لله تعالى لان الآية تدل  
على ان كونه برا بما حصل يجعل الله وخلقه وحله على الاطلاق عدول عن الظاهر  
ثم قوله وبرا بوالدتي اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول  
المعصوم مأمورا بتعظيمها قال صاحب الكشاف جعل ذاته برا لفرطه ونصبه به فعل  
في معنى أوصاني وهو كلفني لان أوصاني بالصلاة وكلفني بها واحد (الصفة السابعة) قوله  
ولم يجعلني جبارا شقيا وهذا أيضا يدل على قولنا لانه لما بين انه جعله برا وما جعله جبارا  
فهذا انما يحسن لو أن الله تعالى جعل غيره جبارا وغير بار بأمه فان الله تعالى لو فعل ذلك  
بكل أحد لم يكن لعيسى عليه السلام من يتخصيص بذلك ومعلوم أنه عليه السلام انما ذكر  
ذلك في معرض التخصيص وقوله ولم يجعلني جبارا أى ما جعلني متكبرا بل أنا خاضع لاني  
متواضع لها ولو كنت جبارا لكنت عاصيا شقيا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبي  
لين وأنا صغير في نفسي وعن بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا وبرا بوالدتي  
ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سبي الملكة الامتحنا لافخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان  
الله لا يحب من كان مختالا فخورا (الصفة الثامنة) هي قوله والسلام على يوم ولدت ويوم  
أموت ويوم أبعث حيا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم لام التعريف في السلام  
منصرف الى ما تقدم في قصتي يحى عليه السلام من قوله وسلام عليه أى السلام الموجه  
اليه في المواطن الثلاثة موجه الى أيضا وقال صاحب الكشاف الصحيح أن يكون هذا  
التعريف تعريضا بالاعتناء على من اتهم مريم بالزنا وتحقيقه ان اللام للاستغراق فاذا قل  
والسلام على فكأنه قال وكل السلام على وعلى اتبعى فلم يبق للاعداد الا الاعتناء ونظيره  
قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى ان العذاب على من كذب  
وتولى وكان المقام مقام اللجاج والعتاد ويليق به مثل هذا التعريف (المسئلة الثانية)  
روى بعضهم عن عيسى عليه السلام انه قال ليحيى أنت خير مني سئل الله عليك وسلمت على  
نفسى وأجاب الحسن فقال ان تسلمه على نفسه بتسليم الله عليه (المسئلة الثالثة) قال  
القاضي السلام عبارة عما يحصل به الامان ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات  
فكأنه سأل ربه وطلب منه ما أخبر الله تعالى انه فعله يحيى ولا بد في الانبياء من أن  
يكونوا مستجابي الدعوة وأعظم أحوال الانسان احتياجا الى السلامة هي هذه الاحوال  
الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجميع الاحوال التي يحتاج فيها الى  
السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصونا عن الآفات والمخافات  
في كل الاحوال واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه تكلم في زمان  
الطفولية واحتجوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوفر الدواعى على نقلها فلو

الامر فقد مر تحقيقه  
في تفسير سورة التوبة  
وقوله (انه كان بي حقيقا)  
أى بليغاني البر والاطراف  
تعليل لمضمون ما قبله  
(وأعتر لكم) أى أتباعك  
عنك وعن قومك  
(وما تدعون من دون  
الله) بالمهاجرة بدينى  
حيث لم تؤثر فيكم  
نصائحي (وأدعور بي)  
أعبده وحده وقد جوز  
أن يرا بده دعاؤه المذكور  
في تفسير سورة الشعراء  
ولا يعد أن يرا بده استدعاء  
الولد أيضا بقوله رب  
هبل من الصالحين  
حسبا يساعده السباق  
والسياق (عسى ألا أكون  
بدها ربى شقيا) أى  
خائبا ضائع السعى وفيه  
تعريف بعض بشقائهم في  
عبادة آلهتهم وفي  
تصدير الكلام بعسى  
من اظهار التواضع  
ومراعاة حسن الادب  
والتنبيه على حقيقة الحق  
من أن الاجابة والاثابة  
بطريق التفضل منه  
هو وجعل لا بطريق  
الوجوب وأن العبارة  
بالخاتمة وذلك من الغيوب

المختصة بالعلم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتر لهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة الى الشام (وهنا له ﴿ وجدت ﴾  
اسحق ويعقوب) يدل من فارقهم من أقر بانه الكفرة لكن لا هقيب المهاجرة فان المشهور أن الموهوب حيثذا سمع  
عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بسلام

حليم اثر عظمه بنو هبيل من الصالحين واصل ترتيبه بنو هبيل اعترافهم بنو هبيل انهم كانوا من اهل النعم التي اعطاهم الله تعالى اياه بمقالة من اصرت لهم من الامل والاقر به ﴿ ٧٩٧ ﴾ فانها شجرة تالاييد لها اولادوا وحفاد اولوشان

ووجدت لثقت بلقواته ولو كان ذلك امره النصرى لاسيا وهم من اشد الناس بمخاض  
أحواله واشد الناس قلوا فيه حتى زعموا كونه الها ولا شك ان الكلام في الطفولية من  
الغالب الطفولة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصرى مع شدة الحب وكالبحث عن  
أحواله علمنا انه لم يوجد لان اليهود اظهروا عداوته سال ما اظهر ادعاء النبوة فلما انه  
عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة فكانت عداوتهم معه أشد ولو كان  
قصدهم قتله أعظم فيصير لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم أما الصالحون فقد احتجوا من  
جهة العمل على أنه تكلم فانه لولا كلامه الذي ملهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا  
اقامة الحد على الزنا عليها فني تركهم لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد  
وأجابوا عن الشبهة الاولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر  
وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله  
﴿ قوله تعالى ( فلنك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان الله أن يقره فخذ من  
ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ  
عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن  
قول الحق بضم التثنية وكنك في الانملم قوله الحق والقول والقول والقول في معنى  
واحد كل رهب والرهب والرهب أما ارتفاعه فعلى انه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف  
وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله أو على انه مصدر مؤكّد لمضمون الجملة  
كقولك هو عند الله الحق لا الباطل والله أعلم ( المسئلة الثانية ) لاشبهة ان المراد بقوله  
ذلك عيسى ابن مريم الاشارة الى ما تقدم وهو قوله اني عبدا لله اتاني الكتاب أي ذلك  
الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم في قوله عيسى ابن مريم اشارة الى أنه ولد  
هذه المرأة وابنها لأنه ابن الله وأما قوله الحق فغيره وجوه (أحدها) وهو ان نفس عيسى  
عليه السلام هو قول الحق وذلك لان الحق هو اسم الله فلا فرق بين أن تقول عيسى كلمة  
الله وبين أن تقول عيسى قول الحق (وثانيها) أن يكون المراد ذلك عيسى ابن مريم المقول  
الحق الا انك أضفت الموصوف الى الصفة فهو كقوله ان هذا هو الحق اليقين وفائدة  
قولك المقول الحق تأكيد ما ذكرت أولا من كون عيسى عليه السلام ابنا لمريم (وثالثها)  
أن يكون قول الحق خبر المبتدأ محذوف كأنه قيل ذلك عيسى ابن مريم وصفناه هو قول  
الحق فكأنه تعالى وصفه أولا ثم ذكر ان هذا الموصوف هو عيسى بن مريم ثم ذكر ان هذا  
الموصوف أجمع هو قول الحق على معنى انه ثابت لا يجوز أن يطل كما يطل ما يقع منهم من  
المرية ويكون في معنى ان هذا هو الحق اليقين فاما امتزاجهم في عيسى عليه السلام  
فللذاهب التي حكيناها من قول اليهود والنصارى وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران  
روى ان عيسى عليه السلام لما رفع حضر أربعة من أكابرهم وعلماهم فقيل للاول  
ما تقول في عيسى فقال هو الله والله هو الله وأمه الله فتابه على ذلك ناس وهم الاسرائيلية وقيل

خطير وهو وعد كثير  
هذا وقد روى انه عليه  
السلام لما قصد الشام  
أتى أولا خمران وزوج  
بسارة وولدت له اسحق  
وولد لاسحق يعقوب  
والاول هو الاقرب  
الاظهر (وكلا) أي كل  
واحد منهما أو منهما  
وهو مفعول أول لقوله  
تعالى (جعلنا نبيا) قدم  
عليه للتخصيص لكن  
لابالنسبة الى من عداهم  
يل بالنسبة الى بعضهم  
أي كل واحد منهم  
جعلنا نبيا لبعضهم دون  
بعض (وهو بنو هبيل من  
رحمتنا) هي النبوة  
وذكرها بعد ذلك ليعلم  
نبيا للايدان بانها من  
باب الرحمة وقيل هي المال  
والاولاد وما بسط لهم  
من سعة الرزق وقيل هو  
الكتاب والاظهر انها  
عامة لكل خير ديني  
ودنوي أو توه بمالم يوته  
أحد من العالمين (وجعلنا  
لهم لسان صدق عليا)  
يقض بهم الناس ويفنون  
عليهم استجابة لدعوته  
بقوله واجعل لسان  
صدق في الاخرين

والمراد باللسان ما يوجب من الكلام ولسان العرب انهم وواضحة الى الصدق ووصفه بالولد لانه على انهم احقاد بما  
يتنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الاضمار وتبديل الدول وتحول الملل والاهل (واذ كر في الكتاب  
موسى) قسم ذكره على ذكر اسمعيل

ثلاثا ينصل عن ذكر يعقوب عليهما السلام (انه كان مختلصا) موخدا أخلص عبادهم عن الشرك واليه واسلم وجهه  
 لله تعالى وأخلص نفسه عساواه وقرى مختلصا على ان الله ٧٩٨ ﴿ تعالى أخلصه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله تعالى

لرابع ما تقول قتال هو عبدا لله ورسوله وهو المؤمن المسلم وقال أما تعلمون ان عيسى  
 كان يطعم وينام وأنا الله تعالى لا يجوز عليه ذلك فخصمهم أما قوله ما كان الله أن يتخذ  
 من ولد فهو محتمل أمرين (أحدهما) ان ثبوت الولد له محال فقولنا ما كان الله أن يتخذ  
 من ولد كقوله ما كان الله ان يقول لاحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق  
 بحكمة الله تعالى وكلامه فقوله ما كان الله أن يتخذ من ولد كقولنا ما كان الله أن يظلم أي  
 لا يليق ذلك بحكمته وكلام الهيته واحتج الجبائي بالآية بناء على هذا التفسير انه ليس لله  
 أن يفعل كل شيء لانه تعالى صرح بأنه ليس له هذا اليجاد أي ليس له هذا الاختيار  
 وأجاب أصحابنا عنه بأن الكذب محال على الله تعالى فلا جرم قال ما كان الله أن يتخذ من  
 ولد أما قوله سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ففيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) انه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقبيه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون  
 كان كالجملة على تنزيهه عن الولد و بيان ذلك ان الذي يجعل ولد الله اما أن يكون قديما  
 أزليا أو يكون محدثا فان كان أزليا فهو محال لانه لو كان واجبا لذاته لكان واجب  
 الوجود أكثر من واحد هذا خلف وان كان ممكنا لذاته كان مفترقا وجوده الى  
 الواجب لذاته غنيا لذاته فيكون الممكن محتاجا لذاته فيكون عبدا لانه لا معنى للعبودية  
 الا ذلك واما ان كان الذي يجعل ولدا فيكون محدثا فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك  
 القديم ويجادوه وهو المراد من قوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فيكون  
 عبدا له لا ولدا له فثبت أنه يستحيل أن يكون لله ولد (المسئلة الثانية) احتج الاصحاح بقوله  
 اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون على قدم كلام الله تعالى قالوا لان الآية تدل  
 على انه تعالى اذا أراد احداث شيء قال له كن فيكون فلو كان قوله كن محدثا لاقتصر  
 حدوثه الى قول آخر ولزم التسلسل وهو محال فثبت ان قول الله قديم لا يحدث واحتج  
 المعتزلة بالآية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (أحدها) انه تعالى أدخل عليه  
 كلمة اذا وهذه الكلمة دالة على الاستقبال فوجب أن لا يحصل القول الا في الاستقبال  
 (وثانيها) ان حرف الفاء للتعقيب والفاء في قوله فانما يقول له يدل على تأخر ذلك القول  
 عن ذلك القضاء والتأخر عن غيره محدث (وثالثها) الفاء في قوله فيكون يدل على حصول  
 ذلك الشيء عقب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله متقدما على حدوث الحادث  
 تقدما بلا فصل والتقدم على المحدث تقدما بلا فصل يكون محدثا قول الله محدثا واعلم  
 ان استدلال الفريقين ضعيف أما استدلال الاصحاح فلانه يقتضي أن يكون قوله كن  
 قديما وذلك باطل بالاتفاق وأما استدلال المعتزلة فلانه يقتضي أن يكون قول الله تعالى  
 هو المركب من الحروف والاصوات وهو محدث وذلك لا نزاع فيه انما الذي قدم شيء  
 آخر (المسئلة الثالثة) من الناس من أجرى الآية على ظاهرها فرجم انه تعالى اذا  
 أحدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه اما أن يقول له كن قبل حدوثه أو حال

الى الخلق فانما هم منه  
 ولذلك قدم رسول الله  
 كونه أخص وأعلى  
 وناديتاه من جانب الطور  
 الايمن (الطور جبل  
 بين مصر ومدين  
 والايمن صفة للجانب أي  
 ناديتاه من ناحيته اليميني  
 من اليمين وهي التي تلي  
 بين موسى عليه السلام  
 أو من جانبه الميمون من  
 اليمين ومعنى ناديتاه منه  
 انه تمثل له الكلام من  
 تلك الجهة (وقر بناء  
 نجبا) تفر يب نشر يف  
 مثل حاله عليه السلام  
 بحال من قر به الملك  
 منساجاته واصطفاه  
 لصاحبه ونجيا أي  
 مناجيا حال من أحد  
 الضميرين في ناديتاه أو  
 قر بناء وقيل مرتفعا  
 لما روي أنه عليه السلام  
 رفع فوق السموات حتى  
 سمع صريف القلم  
 (ووهبنا له من رحمتنا)  
 أي من أجل رحمتنا  
 ورأيتاه أو بمعنى رحمتنا  
 (أخاه) أي معاضدة أخيه  
 وموازنته اجابة لدعوته  
 بقوله واجعل لي وزيرا  
 من أهلي هر ون أخى

لانفسه لانه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مضول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى ﴿ هو حدوثه ﴿  
 (هر ون) عطف بيان له وقوله تعالى (نبيا) حال منه (واذ كرفي الكتاب اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر آية  
 وأخيه لابرز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلا وقوله تعالى (انه كان صادق

الوعد) لتليل لوجوب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله  
ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان ٧٩٩) رسولانيا) فيه دلالة على ان رسول لا يجب ان يكون صاحب

شريعة فان اولاد  
ابراهيم عليه السلام  
كانوا على شريسته  
(وكان يامر أهله بالصلوة  
والزكاة) اشتغالا بالاهم  
وهو ان يقبل الرجل  
بالتكبير على نفسه ومن  
هو اقرب الناس اليه قال  
تعالى واذر عشيرتك  
الاقربين وامر اهلك  
بالصلوة قوا انفسكم  
واهلكم نارا وقصدا  
الى تكميل الكل تكميلهم  
لانهم قدوة يؤتسى بهم  
وقيل أهله أمته فان  
الانبياء عليهم السلام  
آباء الامم (وكان عند ربه  
مرضا) لاتصافه  
بالنعوت الجليلة التي من  
جلتها ما ذكر من خصاله  
الجيدة ( واذكر في  
الكتاب ادر يس) وهو  
سبط شيث وجد ابي نوح  
فانه نوح بن لك بن  
متوشخ بن اخنوخ  
وهو ادر يس عليه  
السلام واشتقاقه من  
الدرس يرد منه صرفه  
نعم لا بعد ان يكون معناه  
في تلك اللغة قري يامن  
ذلك فلنقب به لكثرة  
دراسته روى انه تعالى

حدوته فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعلوم وهو صيغ وان كان الثاني فهو حال  
حدوته قد وجد بالقدرة والارادة فأي تأثير لقوله كن فيه ومن الناس من زعم ان المراد  
من قوله كن هو التخليق والتكوين وذلك لان القدرة على الشيء غير وتكوين الشيء غير  
فان الله سبحانه قادر في الازل وغير ممكن في الازل ولانه الآن قادر على هوالمسوى هذا  
العالم وغير ممكن لها والقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لانا نقول  
المكون انما حدث لان الله تعالى كونه فوجوده فلو كان التكوين نفس المكون  
لكان قولنا المكون انما وجد بتكوين الله تعالى نازلا منزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه  
وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون فقوله كن إشارة الى الصفة المسماة بالتكوين  
وقال آخرون قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته الله تعالى ومشيئته في الممكنات فان وقوعها  
بتلك القدرة والارادة من غير امتناع واندفاع يجرى مجرى العبد المطيع المسخر المتقاد  
لاوامر مولاه فعبارة الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الابهتة \* قوله  
تعالى ( وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم  
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون  
اليوم في ضلال مبين واذنهم يوم الحسرة افقضى الامر وهم في غفلة وهم لا يوثقون  
انما نحن نرث الارض ومن عليها والينسا يرجعون) اعلم ان قوله وان الله ربي وربكم  
فاعبدوه فيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ الدينون وأبو عمرو يفتح ان ومعناه ولانه  
ربي وربكم فاعبدوه وقرأ الكوفيون وأبو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان  
الله بالكسر من غير واوى بسبب ذلك فاعبدوه ( المسئلة الثانية ) انه لا يصح ان يقول الله  
وان الله ربي وربكم فاعبدوه فلا بد وأن يكون قائل هذا غير الله تعالى وفيه قولان  
( الاول ) التقدير قتل يا محمد ان الله ربي وربكم بعد اظهار البراهين الباهرة في ان عيسى  
هو صيد الله ( الثاني ) قال ابو مسلم الاصفهاني الواو في وان الله عطف على قول عيسى  
عليه السلام اني صيد الله آتاني الكتاب كانه قال اني صيد الله وانه ربي وربكم فاعبدوه  
وقال وهب بن منبه عهد اليهم حين أخبرهم عن بعثه ومولده ونسبه ان الله ربي وربكم  
أي كلنا صيد الله تعالى ( المسئلة الثالثة ) قوله وان الله ربي وربكم يدل على ان مدبر  
الناس ومصالح أمورهم هو الله تعالى خلاف قول المنجمين ان مدبر الناس ومصالح أمورهم  
في السعادة والشقاوة هي الكواكب ويدل أيضا على أن الاله واحد لان لفظ الله اسم  
علم له سبحانه فلما قل ان الله ربي وربكم أي لرب المخلوقات سوى الله تعالى وذلك يدل  
على التوحيد اما قوله فاعبدوه فقد ثبت في أصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف  
المناسب مشعر بالعلية فهنا الامر بالعبادة وقع مرتبا على ذكر وصف الربوبية فدل  
على أنه انما نزلنا عبادته سبحانه لكونه ربا لنا وذلك يدل على أنه تعالى انما يجب عبادته  
لكونه منعا على الخلائق بأصول التعم وفروعها وان ذلك فان ابراهيم عليه السلام لما منع

انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ( انه كان صديقا ) ملازما للصدق في جميع  
أحواله ( نبي ) خيرا آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ( ورفضه مكانا عليا ) هو شرف النبوة والزني  
عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكرا الجليل

في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعتك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سئل ذات يوم في حلبة فأصابه وهج الشمس ﴿ ٨٠٠ ﴾ فقلل يارب اني قد مشيت فيها يوما

أباه من عبادة الاوثان قل لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا يعني انها لما لم تكن منعمة على العباد لم تجز عبادتها وهذه الآية ثبت ان الله تعالى لما كان ربا ومريا لعباده وجبت عبادته فقد ثبت طردا وعكسا تعلق العبادة بكون المعبود منما أما قوله هذا صراط مستقيم يعني القول بالتوحيد ونفي الولد والمصاحبة صراط مستقيم وانه سمي هذا القول بالصراط المستقيم تشبيها بالطريق لانه المؤدى الى الجنة أما قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم في الاحزاب أقوال ( الاول ) المراد فرق النصرارى على ما بينا أقسامهم ( الثاني ) المراد النصرارى واليهود فجعله بعضهم ولداو بعضهم كذايا ( الثالث ) المراد الكفار الداخل فيهم اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم واذا قلنا المراد بقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه أى قل يا محمد ان الله ربي وربكم فهذا القول أظهر لانه لا تخصيص فيه وكذا قوله فويل للذين كفروا مؤكدا لهذا الاحتمال وأما قوله من مشهد يوم عظيم فالشهادة ان يكون هو الشهود وما يتعلق به أو الشهادة وما يتعلق بها ( أما الاول ) فيحتمل أن يكون المراد من المشهد نفس شهودهم هول الحساب والجزاء في القيامة أو مكان الشهود فيه وهو الموقف أو وقت الشهود وأما الشهادة فيحتمل أن يكون المراد شهادة الملائكة والانبياء وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال وأن يكون مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه وانما وصف ذلك المشهد بأنه عظيم لانه لاشئ أعظم مما يشاهد في ذلك اليوم من محاسبة ومسائلة ولاشئ من المنافع أعظم مما هنالك من الثواب ولا من المضار أعظم مما هنالك من العقاب اما قوله تعالى أسمم بهم وأبصر يوم يأتوننا فيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قالوا التعجب هو استعظام الشئ مما الجهل بسبب عظمه ثم يجوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير أن يكون للعظم سبب حصول قل القراء قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت و يشهرون فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم الخفي فقال ان شريحا شاعر يعجب علمه وعبدالله أعلم بذلك منه قرأها بل عجبت و يشهرون ومعناه انه صدر من الله تعالى فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وبهذا التأويل يضاق المكر والاستهزاء الى الله تعالى واذا عرفت هذا فنقول للتعجب صيغتان ( احدهما ) ما أفعله ( والثانية ) أفضل به كقوله تعالى أسمع بهم وأبصر والتصويرون ذكره في ناولات ( الاول ) قالوا أكرم بزيد أصله أكرم زيد أى صار ذا كرم كقوله البعير أى صار ذا خدة الأخرج على لفظ الامر ومعناه الخبز كما خرج على لفظ الخبز ما معناه الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن والوالدات يرضعن أولادهن قل من كان في الضلالة فليمدده الرحمن مدا أى يمد له الرحمن مدا وكنا قولهم رحمة الله خير وان كان معناه النطاء والباه زائدة ( الثاني ) أن يقال انه أمر لكل أحد بأن يحصل زيدا

وقد أصابني منها ما أصابني فكيف من يحطها سيرتها حسنة طام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها فلما لا يعرف قتل يارب ما الذي قضيت في قال ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فاجبت له فرفعه الى السماء ( أولئك ) اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبهم وبعدهم رتبهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ( الذين أنعم الله عليهم ) صفة أي أنعم عليهم بنون انعم الدينية والدنيوية حسبا أشبه اليه مجلا وقوله تعالى ( من التبيين ) بيان للموصول وقوله تعالى ( من ذرية آدم ) بدل منه باعادة الجسار ويجوز أن تكون كلمة من فيه للتبيين لان النعم عليهم أهم من الانبياء وأخص من الذرية ( ومن حملنا مع نوح ) اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا ﴿ كريما ﴾ وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سلام بن نوح ( ومن ذرية ابراهيم ) وهم الباقون ( واسرائيل ) عطف على ابراهيم أي ومن ذرية

عليهم أهم من الانبياء وأخص من الذرية ( ومن حملنا مع نوح ) اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا ﴿ كريما ﴾ وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سلام بن نوح ( ومن ذرية ابراهيم ) وهم الباقون ( واسرائيل ) عطف على ابراهيم أي ومن ذرية

اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكرا يوحنا وعيسى ﴿ ٨٠١ ﴾ عليهم السلام وفيه - نيل على أن أولاد البنات

من الذرية (ومن هدينا  
واجتينا) أي ومن جلة  
من هديناهم إلى الحق  
واجتيناهم للنبوة  
والكرامة وقوله تعالى  
(اذتلى عليهم آيات  
الرحمن خروا سجدا  
ويكبا) خبر لا وثك ويجوز  
أن يكون الخبر هو الموصول  
وهذا استنفا موقالبيان  
خشيتهم من الله تعالى .  
واخبارهم له مع ما لهم  
من علو الرتبة وسمو  
الطبقة في شرف النسب  
وكمال النفس والزلفى من  
الله عز سلطانه وسجدا  
ويكبا حالان من ضمير  
خروا أي ساجدين  
باكين عن النبي صلى الله  
عليه وسلم اتلوا القرآن  
وايكوا فان لم تيكوا فتابوا  
واليكى جم بك كالسجد  
جمع ساجد وأصله  
يكوى فاجتمعت الواو والياء  
وسبقت احداها بالساكوم  
فقلت الواو والياء وأدغمت  
الياء في الياء وحركت  
الكاف بالكسر المجانس  
الياء وقرئ يتلى بالياء  
التحتانية لان التانيث  
غير حقيقى وقرئ بكيا  
بكسر الباء للاتباع فالوا

كرى ما أى بأن يصفه بالكرم والباء زائدة مثل قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقد  
سمعت لبعض الأدباء فيه تاويلاتا وهو ان قولك أكرم بز يدفبد أن زيد بلغ في الكرم  
إلى حيث كأنه في ذاته صار كرم حتى لو أردت جعل غيره كرم يافهو الذى يلصقك  
بمقصودك ويحصل لك غرضك كما أن من قال أكتب بالقلم فغناه أن القلم هو الذى يلصقك  
بمقصودك ويحصل لك غرضك (المسئلة الثانية) قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا فيه  
ثلاثة أوجه (أحدها) وهو المشهور الأقوى ان معناه ما أسمعهم وما أبصرهم والتعجب  
على الله تعالى محال كما تقدم وإنما المراد ان سماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب  
منهما بعدما كانوا صما وعميان في الدنيا وقيل معناه التهديد مما سيسمعون وسيبصرون مما  
يسؤبصرهم ويصدع قلوبهم (وثانيها) قال القاضى ويحتمل أن يكون المراد أسمع هؤلاء  
وأبصرهم أى عرفهم حال القوم الذين يأتوننا ليعتبروا ويترجروا (وثالثها) قال الجبائى  
ويجوز أسمع الناس هؤلاء وأبصرهم بهم ليعرفوا أمرهم وسوء عاقبتهم فيترجروا عن  
الآيات بمثل فعلهم أما قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقيه قولان (الاول)  
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق (والثاني) لكن الظالمون  
اليوم في ضلال مبين وهم في الآخرة في ضلال عن الجنة بخلاف المؤمنين وأما قوله تعالى  
وأندرهم فلا شبهة في انه أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن ينذر من في زمانه فيصلح بأن  
يجعل هذا كالدلالة على أن قوله فاختلف الأحزاب أرا دبه اختلاف جميعهم في زمن  
الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الاشارة فهو التحذير من العذاب لى يحذروا من ترك  
عبادة الله تعالى وأما يوم الحسرة فلا شبهة في أنه يوم القيامة من حيث يكثر الكسر من أهل  
النار وقيل يتحسر أيضا في الجنة اذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية  
والاول هو الصحيح لان الحسرة غم وذلك لا يلىق باهل الثواب أما قوله تعالى اذ قضى  
الامر فقيه وجوه (أحدها) اذ قضى الامر بيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب  
(وثانيها) اذ قضى الامر يوم الحسرة بقاء الدنيا وزوال التكليف والاول أقرب لقوله  
وهم لا يؤمنون فكانه تعالى بين أنه ظهرت الحج والبيئات وهم في غفلة وهم لا يؤمنون  
(وثالثها) روى انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله قضى الامر فقال حين يجاء  
بالموت في صورة كبش ألمح فيذبح والغريبان ينظران فيرداد أهل الجنة فرحا على فرح  
وأهل النار غمها على غم واعلم أن الموت عرض فلا يجوز أن يبصر جسمًا حيوانيًا بل المراد  
أنه لا موت البتة بعد ذلك وأما قوله وهم في غفلة أى عن ذلك اليوم وعن كيفية حسراته  
وهم لا يؤمنون أى بذلك اليوم ثم قال بعده ان نحن نرت الارض ومن عليها أى هذه الامور  
توكل إلى أن لا يملك الضر والنفع الا الله تعالى والينا يرجعون أى إلى محل حكمتنا وقضائنا  
لانه تعالى منزله عن المكان حتى يكون الرجوع اليه وهذا نحو يف عظيم وزجر يبلغ للعصاة  
القصة الثالثة قصة ابراهيم عليه السلام وقوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان

يبنى أن يدعو الساجدين في سجدته ﴿ ١٠١ ﴾ خا بما يلىق بآيتها فهنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم  
عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك

الخاشعين لك وفي آية تنزيل المسجدة يقول اللهم اجعلني ﴿ ٨٠٢ ﴾ من الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك

صديقاً نبياً اذا قل لا يه يا أيتم تعبد ما لا يسم ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئاً يا أيتم قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً يا أيتم لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحن عصياً يا أيتم اني أخاف أن يمك حذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر والمنكرون للتوحيدهم الذين أئبوا معبوداً سوى الله تعالى وهو لا فرقان يقان منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً قافلاً فاهماً وهم النصراني ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جاداً ليس بحي ولا مائل ولا فاهم وهم عبدة الاوثان والقر يقان وان اشترك في الضلال الا أن ضلال الفريق الثاني أعظم فلما بين تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال واذكري الكتاب والواو في قوله واذكري عطف على قوله ذكر رجة ربك عبده ذكر يا كأنه لما انتهت قصة عيسى وذكرا عليهما السلام قال قد ذكرت حال ذكر يا فاذكري حال ابراهيم وانما أمر بذكره لانه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشغولين بالعلم ومطالعة الكتب فاذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخباراً عن الغيب ومعجزاً قاهراد الاعلى نبوته وانما نسرع في قصة ابراهيم عليه السلام لوجوه (أحدها) ان ابراهيم عليه السلام كان أب العرل وكانوا مقرين بعلوشأه ووطهاره دينه على ما قال تعالى ملة ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لا بآئكم على ما هو قولكم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آئناهم مقتدون ومعلوم أن أشرف آباءكم وأجلهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم اما تقليداً واما استدلالاً (وثانها) ان كثيراً من الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين آباءنا وأجدادنا فقد كره الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وبين انه ترك دين آبيه وأبطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة آبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الاب على جانب الدليل رد على الاب الاشرف الاكبر الذي هو ابراهيم عليه السلام (وثالثها) ان كثيراً من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما قال الله تعالى قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وقالوا وجدنا آباءنا عليها ثابتة فحكي الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام التمسك بطريقة الاستدلال تنبيهها لهؤلاء على سقوط هذه الطريقة ثم قال تعالى في وصف ابراهيم عليه السلام انه كان صديقاً نبياً وفي الصديق قولان (أحدهما) انه مبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون صادق لان هذا البناء ينفي عن ذلك يقال رجل خبير وسكبه للمولع بهذه الافعال (والثاني) انه الذي يكون كثيراً التصديق بالحق حتى يصير مشهوراً به والاول أولى وذلك لان المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صديقاً الا اذا كان صادقاً في ذلك

وأعوذ بك من أنا أكون من المستكبرين عن أمرك (فخلف من بعدهم خلف) يقال لعقب الخبير خلف بفتح اللام ولعقب انشر خلف بالسكون اي فتبهم وجاء بعدهم عقب سواهم (أضاعوا الصلوات) وقري الصلوات اي تركوها وأخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) من شرب الخمر واستحلل نكاح الاخت من الاب والانهمالك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من نبي المشيدور كعب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غياً) اي سرافان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله \* فن يلق خبيراً يحمد الناس أمره \* ومن يقول بعدم علي الغي لأنما \* وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق أناماً اي جزاء أنام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها وقوله تعالى (الامن تاب

وآمن وعمل صالحاً) يدل على أن الآي في حق الكفرة (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه ﴿ التصديق ﴾ اي في حيز الصلوة وما فيه من معنى البسلام مراراً أي فأولئك المتعوتون بالتوبة والايان والعمل الصالح (يدخلون الجنة)



بموجب الوعد المحتوم وقرئ: يدخلون على البناء ﴿ ٨٠٣ ﴾ للمغبول (ولا يظلمون فيها) اي لا يتقصون من جزاء

أعمالهم شيئا ولا يتقصون شيئا من التقص وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليهما وما بينهما اعتراض أو نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أولئك جنات الخ ومبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورضا وعدن علم معني العدن هو الاقامة كما أن فينة وسحر وأمس فيمن لم يصر فيها أعمالا لعاقب الفينة وهي الساعة التي أنت فيها والسحر والامس تجرى لذلك مجرى العدن أو هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما أضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصر بين ولا وصفه بقوله تعالى (التي وعد الرحمن عباده) وجعله بدلائمه خلاف الظاهر فان الوصول في حكم المشتق وقد نصوا على أن البديل بالمشتق ضعيف

التصديق فيعود الامر الى الاول فان قيل أليس قد قال تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أو ائنت هم الصديقون والشهداء قلنا المؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق واعلم أن النبي يجب أن يكون صادقا في كل ما أخبر عنه لان الله تعالى صدقه ومصداق الله صادق والازم الكتب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل ما يقول ولان الرسل شهداء الله على الناس على ما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل فاقولكم في ابراهيم عليه السلام في قوله بل فعله كبيرهم هذا وانى ستقيم قلنا قد شرحنا في تأويل هذه الآيات بالدلائل الظاهرة ان شيئا من ذلك ليس يكذب فلما ثبت ان كل نبي يجب أن يكون صديقا ولا يجب في كل صديق أن يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا وأما النبي فعناء كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وأي رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله كان صديقا قيل انه صار وقيل ان معناه وجد صديقا نبيا أي كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق والصيانة قال صاحب الكشاف هذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبده أعني ابراهيم واذ قل ونظيره قولك رأيت زيدا ونم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقان أي كان جامعاً لخاصات الصديقين والانبيا حين خاطب أباه بتلك المخاطبات أما قوله يا أيت فالتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أيتي لتلا جمع بين العوض والم عوض عنه وقد يقال يا أيتا لكون الالف بدلا من الياء واعلم انه تعالى حكى أن ابراهيم عليه السلام تكلم مع أبيه بأربعة أنواع من الكلام ( النوع الاول ) قوله لم تعبد ما لا يسم ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ووصف الاوثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها فادحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه ( أحدها ) ان العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه أصول النعم وفروعها على ما قررناه في تفسير قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه وقال كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية وكما يعلم بالضرورة انه لا يجوز الاشتغال بشكرها ما لم تكن منعمة ووجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها ( وثانيها ) أنها اذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميز من يطعمها عن يعصمها فأى فائدة في عبادتها وهذا ينهك على ان الاله يجب أن يكون طالما بكل المعلومات حتى يكون العبد آمنا من وقوع الغلط للمعبود ( وثالثها ) ان الدماء من العبادة فالوثن اذا لم يسمع دماء الداعي فأى منفعة في عبادته واذا كانت لا تبصر بقرب من يتقرب اليها فأى منفعة في ذلك التقرب ( ورابعها ) ان السامم المبصر الضار النافع أفضل ممن كان عاريا عن كل ذلك والانسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل عبادة الاخص ( وخامسها ) اذا كانت لا تتفقد ولا تضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضررها فأى فائدة

والتعرض لعنوان الرحمة للايدان بأن وعدا وانجازه لكمال سمة رجنه تعالى والياء في قوله تعالى (بالغيب) متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات أو من عباده أي وعدا ايهاهم ملتبسة أو ملتبسين بالغيب أي فائبة عنهم غير حاضرة

في عبادتها (وسادسها) إذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكسر والافساد على ما حكي الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها وجعلها جذا إذا قأى رجاء للفر فيها واعلم أنه طاب الوثن من ثلاثة أوجه (أحدها) لا يسم (وثانيها) لا يصر (وثالثها) لا يفي عنك شيئا كأنه قال له بل الالهية ليست الال في فانه يسمع ويحجب دعوة الداعي ويضر كما قال انبي معكما أسمع وأرى ويقضى الحوائج أمن يجب المضطر إذا داهه واعلم أن قوله ههنا لم تعبد محمول على نفس العبادة وأما قوله في المقام الثالث لا تعبد الشيطان لا يقال ذلك بل المراد الطاعة لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان فوجب حله على الطاعة ولا نقول ليس اذا تركنا الظاهر ههنا الدليل وجب ترك الظاهر في المقام الاول بغير دليل فان قيل اما ان يقال ان أبا إبراهيم كان يعتقد في تلك الاوثان انها آلهة بمعنى انها قادرة مختارة موجودة للناس والحيوانات أو يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد انها تماثيل الكواكب والكواكب هي الآلهة المدبرة لهذا العالم فتعظيم تماثيل الكواكب بموجب تعظيم الكواكب أو كان يعتقد ان هذه الاوثان تماثيل أشخاص معظمة عند الله تعالى من البشر فتعظيمها يقتضى كون أولئك الأشخاص شفعاء لهم عند الله تعالى أو كان يعتقد ان تلك الاوثان طلسمات ركبت بحسب اتصالات مخصوصة للكواكب فلما يتفق مثلها وأنها شفع بها أو غير ذلك من الاعتذار المنقولة عن عبدة الاوثان فان كان أبو إبراهيم من القسم الاول كان في نهاية الجنون لان العلم بأن هذا الخشب المنصوت في هذه الساعة ليس خالقا للسماوات والارض من أجلى العلوم الضرورية فالشاك فيه يكون فاقدًا لأجلى العلوم الضرورية فكان مجنونًا والمجنون لا يجوز إيراد الحجمة عليه والمناظرة معه وان كان من القسم الثاني فهذه الدلائل لا تقدر في شيء من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل باقامة الدلالة على ان الكواكب ليست احياء ولا قادرة على خلق الاجسام وخلق الحياة ومعلوم ان الدليل المذكور ههنا لا يفيد ذلك المطلوب فقلنا ان هذه الدلالة عديمة الفائدة على كل التقديرات قلنا لانزاع انه لا يخفى على العاقل ان الخشبة المصوتة لا تصلح لخلق العالم وانما مذهبهم هذا على الوجه الثاني وانما ورد إبراهيم عليه السلام هذه الدلالة عليهم لانهم كانوا يعتقدون ان عبادتها تعبد نفعًا اما على سبيل الخاصية الحاصلة من الطلسمات أو على سبيل أن الكواكب تنفع وتضر فبين إبراهيم عليه السلام انه لا منفعة في طاعتها ولا مضرة في الاعراض عنها فوجب أن لا تحسن عبادتها (الثاني) قوله يا بئس انى قد جاني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهلك صراطا سويا ومعناه ظاهر وطمع في التمسك به أهل التعليم وأهل التقليد أما أهل التعليم فقالوا انه أمره بالاتباع في الدين ومأموره بالتمسك بدليل لا يستفاد الا من الاتباع وأما أهل التقليد فقد تمسكوا به ايضا من هذا الوجه ومن الناس من طعن انه أمره بالاتباع تحصل الهداية فاذن لا تحصل الهداية بالاتباعه ولا تبعية الا اذا اهتدى لقولنا انه لا بد من

إيمانهم (انه كان وعده) أي موعوده كأنما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولاً أولياً ولا كانت هي مثابة يرجع اليها قيل (مأثبا) أي يأتيه من وعده له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأثبا أي مفعولا منجزا من أي اليه احسانا أي فعله (لا يسمعون فيها لغوا) أي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجنب عنه في هذه الدار ما أمكن (الاسلاما) استثناء منقطع أي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض أو متصل بطريق التعليل بالحال أي لا يسمعون لغوا ما لا سلاما في حال استفعال كون السلام لغوا استفعال سماعهم له بالكيفية كما في قوله \* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* من قول من قراع الكتاب \* أو على أن معناه الدعاء بالسلامة

وهم أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهر وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) ﴿ اتباعه ﴾ وارد على عادة المتعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودورهم والافليس فيها بكرة ولا عشى (تلك الجنة)

مبتداً وخبر بجيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها فان ﴿ ٨٠٥ ﴾ ماقى اسم الاشارة من معنى البعد لا يذنان بعيد

اتباعه فيقع الدور وانه باطل (والجواب) عن الاول ان المراد بالهداية بيان الدليل وشرحه وايضاحه فعند هذا عاد السائل فقال انا لا أنكر انه لا بد من الدلالة والقول لكنني أقول الوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد الا من له نفس كاملة بعيدة عن النقص والخطا وهي نفس النبي المعصوم أو الامام المعصوم فاذا سلمت انه لا بد من النبي في هذا المقصود قد سلمت حصول القرض أجب المجيب وقال انما سلمت انه لا بد من الوقوف على الدلائل من هداية النبي ولكنني أقول هذا الطريق أسهل وان ابراهيم عليه السلام دعا الى الاسهل والجواب عن سؤال الدور أن قوله فأتبعني ليس أمر ايجاب بل أمر ارشاد ( والنوع الثالث ) قوله بآيت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحن عصياً لا تطعه لانه عاص لله ففره بهذه الصفة عن القبول منه لانه أعظم الخصال المنفرة واعلم أن ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنائيات الشيطان الا كونه عاصياً لله ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه وأيضاً فان معصية الله تعالى لا تصدر الا عن ضعيف الرأي ومن كان كذلك كان حقيقاً أن لا يلتفت الى رأيه ولا يجعل لقوله وزن فان قيل ان هذا القول يتوقف على اثبات أمور (أحدها) اثبات الصانع (وثانيهما) اثبات الشيطان (وثالثهما) اثبات ان الشيطان عاص لله (ورابعهما) انه لما كان عاصياً لم يجز طاعته في شيء من الاشياء ( وخامسها ) ان الاعتقاد الذي كان عليه ذلك الانسان كان مستفاداً من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التي تورد على الخصم أن تكون مركبة من مقدمات معلومة مسلمة ولعل أبا ابراهيم كان منازعاً في كل هذه المقدمات وكيف والمحكى عنه انهما كان يشبه الهاسوي نمرود فكيف يسلم وجود الاله الرحمن واذ لم يسلم وجوده فكيف يمكنه تسليم أن الشيطان كان عاصياً للرحن ثم ان على تسليم ذلك فكيف يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعلمه يقاب ذلك على خصمه قلنا الجحمة المعول عليها في ابطال مذهب آزر هو الذي ذكره أولاً من قوله لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئاً فاما هذا الكلام فيجري مجرى التحويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة وعلى هذا التقدير يسقط السؤال (النوع الرابع) قوله بآيت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً قال القراءه في أخاف أعلم والا كثرون علم انه محمول على ظاهره والقول الاول انما يصح لو كان ابراهيم عليه السلام طالباً بانباه سيوت على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراءه على ظاهره فانه كان يجوز أن يؤمن فيصبر من أهل الثواب ويجوز أن يصر فيموت على الكفر فيكون من أهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفاً لا طامعاً واعلم أن من يظن وصول الضرر الى غيره فانه لا يسمى خائفاً الا اذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر اليه تألم قلبه كما يقال أنا خائف على ولدي أما قوله فتكون للشيطان ولياً فذ كر وافي الولي

منزلها وعلو رتبته  
( التي نورث ) اي نورثها  
( من عبادنا من كان  
تقياً ) اي نبيها عليهم  
بتقواهم ويمنحهم بها كما  
نقى على الكوارث مال  
مورثه وتمنعه به والوراثه  
أقوى ما يستعمل في التملك  
والاستحقاق من اللفاظ  
من حيث انها لا تعقب  
بفسخ ولا استرجاع  
ولا ابطال وقيل يورث  
المقنون من الجنة المساكين  
التي كانت لاهل النار لو  
آمنوا وأطاعوا زيادة  
في كرامتهم وقرى  
نورث بالتشديد (وما  
تنزل الا بأمر ربك )  
حكاية لقول جبريل  
حين استبطأ رسول الله  
عليهما الصلاة والسلام  
لما سئل عن أصحاب  
الكهف وذى القرنين  
والروح فلم يدركيف  
يجيب ورجا أن يوحى  
اليه فيه فأبطأ عليه  
أربعين يوماً أو خمسة  
عشر فشق ذلك عليه  
مشقة شديدة وقال  
المشركون ودعه به  
وقلاه ثم نزل ببيان ذلك  
وأزل الله عز وجل هذه

الآية وسورة والضحي والتزل التزل على مهل لانه مطاوع للتزليل وقد يطلق على مطلق التزل كما يطلق التزليل على الاتزال والمعنى وما تنزل وقتناغب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرى وما تنزل بالياء والضمير

لوحى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما ﴿ ٨٠٦ ﴾ نحن فيه من الأماكن والأزمنة ولا تنتقل من مكان إلى

مكان ولا تنتقل في زمان  
دون زمان الأيام  
ومشيئته (وما كان ربك  
نسيا) أي تاركك يعني أن  
عدم النزول لم يكن الأقدم  
الامر به لحكمة بالغة  
فيه ولم يكن لتركة تعالى  
لك وتوديعه إياك كما زعمت  
الكفرة وفي إعادة اسم  
الرب المعرب عن التبليغ  
إلى الكمال اللائق مضافا  
إلى ضميره عليه السلام  
من تشريفه والاشعار  
بعلية الحكم ما لا ينبغي  
وقيل أول الآية حكاية  
قول المتقين حين يدخلون  
الجنة مخاطبا بعضهم بعضا  
بظريق التبرج والابتهاج  
والعنى وما تنزل الجنة  
إلى الأمر الله تعالى ولطفه  
وهو مالك الأمور كلها  
سالفها ومتربها  
وحاضرهما وجاهها  
وما يجده من لطفه وفضله  
وقوله تعالى وما كان ربك  
نسيا تقرير لقولهم  
من جهة الله تعالى أي  
وما كان ناسيا لأعمال  
العاملين وما وعدهم  
من الثواب عليها وقوله  
تعالى (رب السموات  
والارض وما بينهما)

بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من يده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور أن ﴿ ابو ﴾  
يحموم حول ساحة سبحاته العظيمة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله تعالى

(قاعدة واصطبر لعبادته) لترتيب ما بعدها ﴿٨٠٧﴾ من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات

والارض وما بينهما  
وقيل من كونه تعالى غير  
تارك له عليه السلام أو  
غير ناس لأعمال العاملين  
والعنى تخين عرفته تعالى  
بما ذكر من الربوبية  
الكاملة فاعبده الخ فان  
ايجاب معرفته تعالى  
كذلك لعبادته بما لا ريب  
فيه أوجين عرفته  
تعالى لا ينسك أو لا ينسى  
اعمال العاملين كأنما من  
كان فأقبل على عبادته  
واصطبر على مشاقها  
ولا تخزن بأبطاء الوحي  
وهذه الكفرة فانه يراقبك  
ويراعيك ويطغ بك  
في الدنيا والآخرة  
وتعددية الاصطبار  
باللام لا بحرف الاستعلاء  
كأن في قوله تعالى واصطبر  
عليها لتعنيته معنى  
الثبات للعبادة فيما ورد  
عليه من الشدائد والمشاق  
كقولك للبارز اصطبر  
لترتك أي اثبت له فيما يورد  
عليك من شدائده (هل  
تعلمه سميا) الشبي هو  
الشريك في الاسم  
والظاهر أن راد به هنا  
الشريك في اسم خاص  
قد عبر عنه تعالى بذلك

أبوه بجواب يضاد ذلك فتأبل حجه بالتقليد فانه لم يدكر في مقابلة حجه الا قوله أراغب  
أنت عن آلهتى يا ابراهيم فاصبر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة  
حيث هدده بالضرب والشم وظل رفته في قوله يا أبت بالعنف حيث لم يقل له يا بنى بل قال  
يا ابراهيم وانما حكي الله تعالى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصل  
اليه من أذى المشركين فيعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة اما قوله  
أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فان كان ذلك على وجه الاستفهام فهو خذلان لانه قد  
عرف منه ما نكر منه من وعظه وتنبهه على الدلالة وهو يفيد أنه راغب عن ذلك أشد  
رغبة خافذة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فأى تعجب في الاعراض عن  
حجة لا فائدة فيها وانما التعجب ككلمة من الاقدام على عبادتها فان الدليل الذي ذكره  
ابراهيم عليه السلام كأنه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من أن العاقل كيف  
يرضى بعبادتها فكان أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فاسد غير  
مبنى على دليل وشبهة ولا شك ان هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه أما قوله لئن لم تنته  
لأرجنك واهجرنى مليا ففيه مسائل (المسئلة الأولى) في الرجم ههنا قولان (الأول) انه  
الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين يرمون المحصنات اى بلأشتم ومنه  
الرجم اى المرمى باللعن قال مجاهد الرجم في القرآن كله بمعنى الشتم (والثانى) انه الرجم  
باليد وعلى هذا التقدير ذكره وأوجوها (أحدها) لأرجنك باظهار أمر لك للناس ليرجوك  
ويقتلوك (وثانيها) لأرجنك بالحجارة لتباعد عنى (وثالثها) عن المؤرج لاقتلك بلاغة  
قريش (ورابعها) قال أبو مسلم لأرجنك المراد منه الرجم بالحجارة الا أنه قد يقال ذلك  
في معنى الطرد والابعاد اتساعا ويدل على انه أراد الطرد قوله تعالى واهجرنى مليا واعلم  
ان أصل الرجم هو الرمي بالرجام فحمله عليه أولى فان قيل فأي دل قوله تعالى واهجرنى مليا  
على ان المراد به الرجم بالشتم قلنا لا وذلك لانه هدده بالرجم ان أتى على قر به منه وأمره  
أن يعدهر با من ذلك فهو في معنى قوله واهجرنى مليا (المسئلة الثانية) في قوله تعالى  
واهجرنى مليا قولان (أحدهما) المراد واهجرنى بالقول (والثانى) بالمفارقة في الدار  
والبلد وهى هجرة الرسول والمؤمنين اى تباعد عنى لكى لأراك وهذا الثانى أقرب الى  
الظاهر (المسئلة الثالثة) في قوله مليا قولان (الأول) مليا اى مدة بعيدة مأخوذة من  
قولهم أنى على فلان ملاوة من الدهر اى زمان بعيد (والثانى) مليا بالذهاب عنى  
والهجران قبل أن أتحنك بالضرب حتى لاتقدر أن تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان  
مطيقا له مضطعا به (المسئلة الرابعة) صطف اهجرنى على معطوف عليه محذوف يدل  
عليه لأرجنك أى فاحذرنى واهجرنى لثلاث أرجنك ثم انا ابراهيم عليه السلام لما سمع من  
أبيه ذلك أجاب بأمرين (أحدهما) أمه وعده التباعده وذلك لان أباه لما أمره بالتباعد  
أظهر الانقياد لذلك الامر وقوله سلام عليك توادع ومشاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا

وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار العلوم ونفيه على أبلغ وجه وأكده فالجمله تقرير لما  
أفاده الفاء من عليه ر بوبية العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى بيان استقلاله عن وجل

بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير الكلية حقاً أو بطلا وقيل المراد ﴿٨٠٨﴾ هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين

ولكم أعمالكم سلام عليكم لا يتبني الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مناركة التصوح اذا ظهر منه الججاج وعلى أنه تحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز أن يكون قد عماله بالسلامة استماله له ألا ترى أنه وعده بالاستغفار ثم انه لما ودع بقوله سلام عليك ضم الى ذلك ما دل به على انه وان بعد عنه فاشفاقه باق عليه كما كان وهو قوله سأستغفرك ربي واحتج بهذه الآية من طعن في عصمة الانبياء وتقريره ان ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز لانه استغفر لايه وهو كافر والاستغفار للكافر لا يجوز فثبت بمجموع هذه القدمات أن ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز انما قلنا انه استغفر لايه لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم سلام عليك سأستغفرك ربي وقوله واغفر لابي انه كان من الضالين وأما أنباءه كان كافرا فذلك بنص القرآن وبالاجماع وأما أن الاستغفار للكافر لا يجوز فلوجهين (الاول) قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (الثاني) قوله في سورة الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله لا تستغفرك وأمر الناس الا في هذا الفعل فوجب أن يكون ذلك معصية منه والجواب لاتزاح الا في قولكم الاستغفار للكافر لا يجوز فان الكلام عليه من وجوه (أحدها) ان اقطع على أن الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالسمع فلعل ابراهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على اقطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لايه (وثانيها) ان الاستغفار قد يكون بمعنى الاستماعة كما في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربي أن لا يخزيك بكفرك ما كنت حيا بعذاب الدنيا المجهل (وثالثها) انه عليه السلام انما استغفر لايه لانه كان يرجو منه الايمان فلما أسس من ذلك ترك الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجو منه الايمان والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فيين أن المنع من الاستغفار انما يحصل بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم ثم قال بعد ذلك وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه صدوقه تبرأ منه فدللت الآية على أنه وعده بالاستغفار لو آمن فلما لم يستغفر له بل تبرأ منه فان قيل فاذا كان الامر كذلك فلمنعنا من التأسى به في قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لايه لا تستغفرك قلنا الآية تدل على أنه لا يجوز لنا التأسى به في ذلك لكن المنع من التأسى به في ذلك لا يدل على أن ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا التأسى به مع أنها كانت مباحة له عليه السلام (ورابعها) لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الاولى وحسنات الاربابيات المقرين أما قوله انه كان في حفا اي لطيفا رفيقا يقال أحنى فلان في المسئلة بفلان اذا لطف به وبارع في الرفق ومنه قوله تعالى ان بسألكموها

مع غلوهم في الكفارة لم يسعوا الصنم بالجلالة أصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الهاو أو أما التسمية على الباطل فهي كالتسمية فتقرر الجملة لوجوب العبادة حيثد باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشارة باستحقاق العبادة فتدبر (ويقول الانسان) المراد به اما الجنس باسمه واستناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقفه الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا واما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة أو ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية فقتها وقال يزعم محمد أنانيمت بعد ما موت ونصير الى هذه الحال أي يقول بطريق الانكار والاستبعاد (أندامات لسوف أخرج حبا) أي أبعث من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وابلأوه حرف الانكار

لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة واتصا به بفعل دل عليه أخرج لابه فان ما بعد اللام ﴿ فيصنمكم ﴾ لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصه

للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت ﴿ ٨٠٩ ﴾ الهمة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقتزاتها بحرف الاستقبال

وقرى اذا ماتت بجمرة  
واحدة مكسورة على  
الخبية (أو لا يذكر الانسان)  
من الذكر الذي يراد به  
التفكر والاضهار في  
موقع الاضمار زيادة  
التقرير والاشعار بان  
الانسانية من دواعي  
التفكر فيما جرى عليه  
من شؤون التكوين المنجية  
بالقلع عن القول المذكور  
وهو السر في اسناده الى  
الجنس أو الالفرد بذلك  
العنوان والهمة للانكار  
التوبيخى والاول لعطف  
الجملة المنفية على مقدر  
يدل عليه بقول أى يقول  
ذلك ولا يذكر (أنا خلقناه  
من قبل) أى من قبل  
الحالة التي هو فيها وهي  
حالة بقائه (ولم يك شيئا)  
أى والحال انه لم يكن  
حينئذ شيئا أصلا فحيث  
خلقناه وهو في تلك الحالة  
النافية للخلق بالكليّة  
مع كونه أبعد من الوقوع  
فلأن بعثه بجمع المواد  
المنفرقة وإيجاده مثل  
ما كان فيها من الاعراض  
أولى وأظهر فخاله لا يذكر  
فيقع فيما يقع فيه من  
التكبير وقرى يذكر

فيهنكم تبخلوا أى وان لم تطغى المستله والمراد أنه سبحانه لا يطغى وانعامه على عودنى  
الاجابة فاذا أنا استغفرت لك حصل المراد فكانه جعله بذلك على يقين ان هوناب ان  
يحصل له النفران (الجواب الثاني) من الجوابين قوله وأعتزلكم وماتدعون من دون  
الله الاعتزال للشيء هو التباعد عنه والمراد أى أفا رقتكم في المكان وأفا رقتكم  
في طريقكم أيضا وأبعدتكم وأتشاغل بعبادة ربي الذى ينفع وبضر والذى خلقنى  
وأنتم على فانكم بعبادة الاصنام سالكون طريقه الهلاك فواجب على بجانبكم  
ومعنى قوله صسى أن لا أكون بدطارى شقيا رجوان لا أكون كذلك وإنما ذكر ذلك  
على سبيل التواضع كقوله والذى أطعم أن يفقرلى خطيئتي يوم الدين وأما قوله شقيامع  
مافيه من التواضع لله فغيبه تعريض بشقاوتهم في دعاء الهتهم على ما قرره أولا في قوله  
لم تعبدوا لاسمع ولا يبصر ولا يفتنى عنك شيئا قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون  
الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان  
صدق عليا) اعلم انه ما خسر على الله أحد فان ابراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم  
وفي بلدهم واختار الهجرة الى ربه الى حيث أمره لم يضره ذلك ديناً وديناً بل نفعه  
فوضه أولادا أنبياء ولا حالة في الدين والدينا للبشر أرفع من أن يجعل الله رسولا  
الى خلقه ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة  
فصار جملة تعالى اياهم أنبياء من أعظم النعم في الدنيا والآخرة ثم بين تعالى أنه مع  
ذلك وهب لهم من رحمة أى وهب لهم مع النبوة ما وهب ويدخل فيه المال والجاه  
والاتباع والتسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا ولسان  
الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يعطى باليد وهو  
العطية واستجاب الله دعوته في قوله واجمل لى لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة  
حتى ادعاه أهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة أيكم ابراهيم ثم أوحينا اليك أن اتبع  
ملة ابراهيم حينما قال بعضهم ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال وأعتزلكم وما  
تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله في أولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا  
جعلنا نبيا (وثانيها) انه تبرأ من أيده في الله تعالى على ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه  
ان ابراهيم لاواه حلیم لاجرم ان الله سماه أباً للمسلمين فقال ملة أيكم ابراهيم (وثالثها)  
تل ولده للجبين ليذبحه على ما قال فلما أسلم وتله للجبين لاجرم فداء الله تعالى على ما قال  
وقديناه بنج عظيم (ورابعها) أسلم نفسه فقال أسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار  
عليه بردا وسلاما فقال قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (وخامسها) أشفق على هذه  
الامة فقال ر بنا وابتعث فيهم رسولا منهم لاجرم أشرك الله تعالى في الصلوات الخمس كما  
صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم (وسادسها) في حق سارة في قوله و ابراهيم  
الذى وفي لاجرم جعل موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى (وسابعها)

ويتذكر على الاصل (فوربك) ﴿ ١٠٢ ﴾ اقسامه باسمه عزت أسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتصحيح الامر  
بالاشارة بعليته وتخصيم شأنه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته (لحشرهم) لخص من القائلين بالسوق الى

المحشر بعدما اخرجناهم من الارض ﴿ ٨١٠ ﴾ أحياه ففيه اثبات البعث بطريق البرهاني على أبلغ وجهه وأكده

طدى كل الخلق في الله فقال فانهم عدوى الارب العالمين لاجرم اتخذ الله خليلا على ما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا يعلم صحة قولنا انه ما خسر على الله أحد ( القصة الرابعة ) قصة موسى عليه السلام \* قوله تعالى ( واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقر بناه نجيا و هبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ) اعلم انه تعالى وصف موسى عليه السلام بأمر (أحدها) انه كان مخلصا فاذا قرئ بفصح اللام فهو من الاصطفاء والاجتهاد كان الله تعالى اصطفاه واستخلصه واذ قرئ بالكسر فعناه أخلص لله في التوحيد في العباد والاخلاص هو القصد في العباداة الى أن يعبد المعبود بها وحده ومتى ورد القرآن بقراءتين فكل واحدة منهما ثابت مقطوع به فيجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين ( وثانيها ) كونه رسولا نبيا ولا شك انها وصفان مختلفان لكن المعتزلة زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول ومن الناس من أنكرك ذلك وقد بينا الكلام فيه في سورة الحج في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ( وثالثها ) قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن من اليمين أي من ناحية اليمين والأيمن صفة الطور أو الجانب ( ورابعها ) قوله وقر بناه نجيا ولما ذكر كونه رسولا قال وقر بناه نجيا وفي قوله قر بناه قولان ( أحدهما ) المراد قرب المكان عن أبي العالية قر به حتى سمع صرير التل حيث كتبت التوراة في الألواح ( والثاني ) قرب المنزلة أي رفعا قدره وشرفاء بالنسبة قال القاضي وهذا أقرب لان استعمال القرب في الله قد صار بالعارف لا يراد به الا المنزلة وعلى هذا الوجه يقال في العباداة تقرب ويقال في الملائكة عليهم السلام انهم مقربون وأما نجيا فقبل فيه آتينا من أعدائه وقيل هو من النجاة في المخاطبة وهو أولى ( وخامسها ) قوله و هبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان هرون عليه السلام أكبر من موسى عليهما السلام وانما وهب الله نبوته لاشخصه واخوته وذلك اجابة لدعائه في قوله واجعل لي ووزي را من أهلي هرون أخي اشد ذبه أزرى فأجابه الله تعالى اليه بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وقوله سنشد عضدك بأخيك ( القصة الخامسة ) قصة اسمعيل عليه السلام \* قوله تعالى ( واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عنده به مرضيا ) اعلم ان اسمعيل هذا هو اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام واعلم ان الله تعالى وصف اسمعيل عليه السلام بأشياء ( أولها ) قوله انه كان صادقا الوعد وهذا الوعد يمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الله تعالى ويمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الناس ( أما الاول ) فهو أن يكون المراد أنه كان لا يخالف شيئا مما يؤمر به من طاعة ربه وذلك لان الله تعالى اذا أرسل الملك الى الانبياء وأمرهم بتأدية الشرع فلا بد من ظهور وعدمهم يقتضي القيام بذلك وبدل على القيام بسائر

كأنه أمر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الأحوال ( والشياطين ) معطوف على الضمير المنصوب أو مفعول معه روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تنو بهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختص بهم لكن ساغ نسبتها الى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض أفرادهم ( ثم لحضرتهم حول جهنم جثيا ) ليري السعداء ما نجحهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما أذخروا المعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثى جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبته وأصله جثو وبواوين فليتنقل اجتماعها به يد

ضمتين فكسرت الاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو ياء \* ما يخصه \* وسبق احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباطا بعد ما وقرئ بعضها



ونصبه على الخالية من الضمير البارز أي لمضمرهم ﴿ ٨١١ ﴾ حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم

من هول المطلاع أولانه  
من توابع التواقف للحساب  
قبل التواصل الى الثواب  
والعقاب فان أهل الموقف  
جاثون كما ينطق به قوله  
تعالى وترى كل أمة جاثية  
على ما هو المعتاد في مواقف  
التقاويل وان كان المراد  
بالانسان الكفرة فلعلمهم  
يساقون من الموقف  
الى شاطئ جهنم جثاة  
اهانة بهم أولعجزهم  
عن القيام لما اعتراهم  
من الشدة (ثم لنترعن  
من كل شيعة) أي من كل  
أمة تشاعت دينها من الاديان  
(أيهم أشد على الرحمن  
عتيا) أي من كان منهم  
أعصى وأعتى فطرحتهم  
فيها وفي ذكر الاشد تنبيهه على  
انه تعالى يعفون عن بعض من  
أهل العصيان وعلى تقدير  
تفسير الانسان بالكفرة  
فالعنى اننا نعتبر من كل طائفة  
منهم أعصاهم فأعصاهم  
وأعتاهم فأعتاهم  
فطرحتهم في النار  
على الترتيب أو تدخل  
كلانهم طبقتهما اللائقة به  
وأيهم مئني على الضم  
عند سبويه لان حقه  
أن يبنى كسائر الموصولات

ما يخصه من العبادة (وأما الثاني) فهو أنه عليه السلام كان اذا وعد الناس بشيء أنجز وعده فافقه تعالى وصفه بهذا الخلق الشريف وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وعد صاحبه أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وأيضاً وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به حيث قال سبحانه ان شاء الله من الصابرين وروى ان عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرنى حتى آتيك فقال عيسى عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد فجاء الحاجة الى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هنالك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلاً ونسى ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل النبي عن الرجل يعد ميعادا الى أى وقت ينتظره فقال ان واعدته نهارا فكل النهار وان واعدته ليلا فكل الليل وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى (وثانيها) قوله وكان رسولانيا وقدم تفسيره (وثالثها) قوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة والاقرب في الاله ان المراد به من يلزمه أن يؤدي اليه الشرع فيدخل فيه كل امته من حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة هذا اذا حل الامر على المفروض من الصلاة والزكاة فان حل على التدب فيهما كان المراد انه كما كان يتعبد بالليل يأمر أهله أى من كان في داره في ذلك الوقت بذلك وكان نظره لهم في الدين يلقب على شفقته عليهم في الدنيا بخلاف ما عليه أكثر الناس وقيل كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاة والعبادة ليحفظهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وأندر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وإيضافهم أحق أن يتصدق عليهم فوجب أن يكونوا بالاحسان الديني أولى فأما الزكاة فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها طاعة الله تعالى والاخلاص فكانه تأوله على ما يزكو به الفاعل عند ربه والظاهر انه اذا قرنت الزكاة الى الصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة وكان يعرف من خاصة أهله أن يلزمهم الزكاة فإمرهم بذلك أو يأمرهم أن يتبرعوا بالصدقات على الفقراء (ورابعها) قوله وكان عند ربه مرضيا وهو في نهاية المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته باعلى الدرجات (القصة السادسة) قصة ادريس عليه السلام \* قوله تعالى (واذ كرفى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) اعلم ان ادريس عليه السلام هو جد أبي نوح عليه السلام وهو نوح بن لملك متوشلخ بن أخنوخ قيل سمي ادريس لكثرة دراسته واسمه أخنوخ ووصفه الله تعالى بأمور (أحدها) انه كان صديقا (وثانيها) انه كان نبيا وقد تقدم القول فيهما (وثالثها) قوله ورفعناه مكانا عليا وفيه قولان (أحدهما) أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم ورفعناك ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم الجحوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود (الثاني) أن المراد به الرفعة في المكان الى موضع عال وهذا أولى لان الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة

لكنه أعرب جلا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلتها زاد نقصه فماد الى حقه ومنصوب  
الحل ينتر عن ولتلك قري منصوبا ومرفوع عند خبره بالابتداء على انه استفهامي وخبره أشد والجملة

بحكمة والتقدير لتترن من كل شعبة الذين يقال لهم أيهم أشد ﴿ ٨١٢ ﴾ أو مطلق عنها لتترن عن تشعبه معنى

في المكان لافي الدرجة ثم اختلفوا فقال بعضهم ان الله رفعه الى السماء الى الجنة وهو حي لم يميت وقال آخرون بل رفع الى السماء وقبض روحه سأل ابن عباس رضي الله عنهما كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا قال جاءه خليل له من الملائكة فسأله حتى يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به الى السماء فلما كان في السما الرابعة فاذا ملك الموت يقول بعثت وقيل لي قبض روح ادريس في السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فراه ملك الموت فقبض روحه هناك واعلم ان الله تعالى انما مدحه بأن رفعه الى السماء لانه جرت العادة أن لا يرفع اليها الا من كان عظيم القدر والمزلة ولذلك قال في حق الملائكة ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وههنا آخر القصص ﴿ قوله تعالى ( أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حلنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبيينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ) اعلم انه تعالى أتى على كل واحد من تقدم ذكره من الانبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخر افعال أولئك الذين أنعم الله عليهم أي بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه وأولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن ذكر يالى ادريس ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بأنه من ذرية من حل مع نوح والذي يخص بأنه من ذرية آدم دون من حل مع نوح هو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على نوح على ما ثبت في الاخبار والذين هم من ذرية من حل مع نوح هو ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح واسماعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بأنهم من ولد اسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهرون وذكرا يا ويحيى وعيسى من قبل الام فرتب الله سبحانه وتعالى أحوال الانبياء عليهم السلام الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبهًا بذلك على انهم كما فضلوا بأعمالهم فلمهم مزيد في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم بمن هدينا واجتبيينا منبهًا بذلك على انهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم ولانه اختارهم للرسالة ثم قال اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا تتلى عليهم أي على هؤلاء الانبياء فيبين تعالى انهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آيات الله يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وحقرا وخوفا والمراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم وقال ابو مسلم المراد بالآيات التي فيها ذكر العذاب المنزل بالكفار وهو بعيد لان سائر الآيات التي فيها ذكر الجنة والنار الى غير ذلك أولى أن يسجدوا عنده ويكفوا فيجب حله على كل آية تتلى مما يتضمن الوعد والوعيد والتزهيب والتزهيب لان كل ذلك اذا فكر فيه المتفكر صح أن يسجد عنده وأن يبكي واختلفوا فقال بعضهم في السجود انما الصلاة وقال بعضهم المراد بسجود التلاوة على حسب ما تعبدنا به وقيل المراد بالخضوع والخشوع والظاهر يقتضي سجودا مخصوصا عند التلاوة ثم يحتمل أن يكون المراد بسجود التلاوة

التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شعبة على زيادة من أو على معنى لتترن عن بعض كل شعبة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان في تعلق بمخدوف كان سائلا قال على من عتوا قيل على الرحمن أو متعلق في بافضل وكذا الباء في قوله تعالى ( ثم آتحن أهل بالذين هم أولى بها صلوا ) اي هم أولى بصلتها أو صلبيها أولى بالنار وهم المستقرعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتوا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لاضلالهم واضلالهم والصلبي كالعتي صيغة واعلا لا وقرئ بضم الصاد ( وان منكم ) الثقات لاطهار مزيد الاعتناء بضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير الثقات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم أي ما منكم أيها الانسان ( الاواردها ) اي واصلها وحاضر دونها يربها المؤمنون وهي خادمة وتنهار بنهرهم

وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم اسئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض ليس قد وعدنا ﴿ للقرآن ﴾ ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وما قوله تعالى أولئك جنهم معدون فالمراد به الابداد عن هذا بها

وقيل وزودها الجواز على الصراط المدود ﴿ ٨١٣ ﴾ عليها ( كان ) أو رودهم إياها ( على ر بك حتما مقضيا ) أي أمراً .

محتوما أو وجه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا يبدن وقوصه البتة وقيل أقسم عليه ( ثم تهيى الذين اتقوا ) الكفر والمعاصي بما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرئ تهيى بالتخفيف ويهيى ويهيى على البناء للمفعول وقرئ تمة تهيى بفتح التاء أي أي هناك تهييمهم ( ونذرا للظالمين ) بالكفر والمعاصي ( فيها جثيا ) منهارا بهم كما كانوا قبل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجايزهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هياتهم وقوله تعالى ( وأذاتلى عليهم ) الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة ما لهم أي وإذا تتلى على الشركين ( آياتنا ) التي من جلاتها تيك الآيات الناطقة بحسن حال

للقرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيصلون ذلك للأجل ذكر السجود في الآية قال الزجاج في بكيا جمع بك مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ثم قال الإنسان في حال خروجه لا يكون ساجدا فالمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا أنه مصدر فقد أخطأ لأن سجدا جمع ساجدو بكيا معطوف عليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتابوا كواو عن صالح المري قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابكوا فابكوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تجلجوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن نزل بحزن فاقروه بحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضرورقت عين به بقاء الاحرم الله على النار جسدها وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يبلغ النار من بكى من خشية الله وقال العلماء يدعو في سجود التلاوة بما يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه السجدة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آيات كتابك \* قوله تعالى ( فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ) واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الامن تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ) اعلم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا للناسي بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالصد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف وظاهر الكلام ان المراد من بعدهم هؤلاء الانبياء خلف من أولادهم يقال خلفه اذا أعقبه ثم قيل في عقب الخية خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعد في ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر للبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم \* و بقيت في خلف كجلد الجرب

ثم وصفهم بأضاعة الصلاة واتباع الشهوات فأضاعة الصلاة في مقابلة قوله خروا سجدا واتباع الشهوات في مقابلة قوله وبصكيا لان بكاهم يدل على خوفهم واتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم الخوف لهم وظاهر قوله أضاعوا الصلاة تركوها لكن تركها قد يكون بأن لاتفعل أصلا وقد يكون بأن لاتفعل في وقتها وان كان الاظهر هو الاول وأما اتباع الشهوات فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب واحتج بعضهم بقوله الامن تاب وآمن على أن تارك الصلاة كافروا احتج أصحابنا بها في أن الايمان غير العمل لانه تعالى قال وآمن وعمل صالحا فمطف العمل على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه أجاب الكعبى عنه بأنه تعالى فرق بين التوبة والايمان والتوبة من الايمان فكذلك العمل الصالح يكون

المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى ( يتات ) أي مرتلات الالفاظ مبنية المعاني بنفسها أو بيان الرسول عليه الصلوة والسلام أو يتات الاعجاز حال موثقة من آياتنا ( قال الذين كفروا ) أي قالوا

ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا ﴿ ٨١٤ ﴾ كافرين بما يلى عليهم رادين له او قال الدين

من الايمان وان فرق بينهما وهذا الجواب ضعيف لان عطف الايمان على التوبة يقتضى وقوع المناورة بينهما لان التوبة عزم على التزك والايان اقرار بالله تعالى وهما متضاران فكذا في هذه الصورة ثم بين تعالى ان من هذه صفة بلقون غيا وذكروا في التي وجوها (أحدها) ان كل شر عند العربى وكل خير رشاد قال الشاعر

فمن يلقى خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يقول لا يصدم على التي لا ثما  
(وثانيها) قل الزجاج يلقون غيا أى يلقون جزاء التي كقوله تعالى يلقى أناما أى مجازاة الآثام (وثالثها) فباعن طريق الجنة (ورابعها) التي وادق جهنم يستعيد منه أوديتها والوجهان الاوان اقرب فان كان في جهنم موضع يسمى بذلك جاز ولا يخرج من أن يكون المراد ما قدمنا لانه المعقول في اللغة ثم بين سبحانه ان هذا الوعيد فيمن لم ينسب وأما من تاب وآمن وعمل صالحا فهم الجنة لا يلحتمهم ظلم وهم تاسؤلات (الاول) الاستثناء دل على انه لا بد من التوبة والايان والعمل الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليها الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فمهننا لومات في ذلك الوقت كان من أهل التجارة مع انه لم يصدر عنه عمل فلم يجز توقف الاجر على العمل الصالح والجواب ان هذه الصورة نادرة والمراد منه الغالب (السؤال الثاني) قوله ولا يظلمون شيئا هذا التاميم لو كان الثواب مستحقا على العمل لانه لو كان الكل بالتفضل لاستحال حصول الظلم لكن من مذهبكم انه لا استحقاق للعبد بعمله الا بالوعد الجواب انه لما أشبهه أجرى على حكمه \* قوله تعالى (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا

الاسلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) اعلم انه تعالى لما ذكر في التائب انه يدخل الجنة وصف الجنة بأمور (أحدها) قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب والعدن الإقامة وصفها بالدوام على خلاف حال الجنان في الدنيا التي لا تدوم ولذلك فان حالها لا يتغير في مناظرها فليست كجنان الدنيا التي حالها يختلف في خضرة الورق وظهور النور والتمرو بين تعالى انها وعد الرحمن لعباده وأما قوله بالغيب فقيه وجهان (أحدهما) انه تعالى وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (والثاني) ان المراد وعد الرحمن للذين يكونون عبادا بالغيب أى الذين يعبدونه في السر بخلاف المنافقين فانهم يعبدونه في الظاهر ولا يعبدونه في السر وهو قول أبي مسلم (والوجه الاول) أقوى لانه تعالى بين ان الوعد منه تعالى وان كان بأمر غائب فهو كأنه مشاهد حاصل فلذلك قل بعه انه كان وعده مأتيا أى مقبلا فقيل انه مضمول بمعنى حاصل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها قال الزجاج كل ما وصل اليك قد وصل اليه وماتلك قد أتيتك والمقصود من قوله انه كان وعده مأتيا بيان أن الموعد منه تعالى وان كان بأمر غائب فهو كأنه مشاهد حاصل والمراد تفر بذلك

مردوا منهم على الكفر ومر نوا على التوا العناد وهم التضربن الحرث واتباعه العجزة واللام في قوله تعالى (الذين آمنوا) للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبينهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقل الذين كفروا والذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أى قالوا الاجلهم وفي حقهم والاول هو الاول لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى (أى الفريقين) أى المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا (خير) نحن أو أنتم (مقاما) أى مكانا وقرى بضم الميم أى موضع إقامة ومد لا (وأحسن نديا) أى مجلسا ومحتمما يروى انهم كانوا يجلسون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم جالا وأحسنتهم مثلا لما لا يقبل الانكار وأن ذلك لكرامتهم على الله

سجنتهم وزلفاهم عنده اذ هو النيار على الفضل والتفضل والرفعة والفضة وأن من ضرورته ﴿ في ﴾ هو ان المؤمنين عليه تعالى تصور جملهم الطحل وما هذا

من العلم فرد عليهم  
فلك من جهته تعالى  
بقوله ( وكم أهلكنا  
قبلهم من قرن هم  
أحسن أناثا ورثا )  
أى كثيرا من القرون  
التي كانت أفضل منهم  
فيما يقضون به  
من الحظوظ الدنيوية  
كما دودهم واضرابهم  
من الامم العاتية قبل  
هؤلاء أهلكناهم  
بضون العذاب ولو كان  
ما آتيناهم لكرامتهم  
علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا  
وفيه من التهديد  
والوعيد ما لا يخفى  
كأنه قيل فليتظر  
هؤلاء أيضا مثل ذلك  
فكم مفعول أهلكنا  
ومن قرن يان لايها ما  
وأهل كل عصر قرن  
لمن بعدهم لانهم  
يتقدمونهم ما خوذ  
من قرن الداية وهو  
مقدمها وقوله تعالى  
هم أحسن أناثا في حيز  
النصب على انه صفة  
لكم وأناثا تمييز النسبة  
وهو تاع البيت وقيل  
هو ما جدمنه والخرثي  
مالبس منه ورث والرفي

في القلوب (وثانيها) قوله لا يسمعون فيها لتوا الاسلاما والنفوس الكلام ما سبيله ان يلغى  
ويطرح وهو النكر من القول ونظيره قوله لا تسمع فيها لافية وفيه تبيين ظاهر على  
وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله  
واذا مررنا بالغو مررنا كراما واذا سمعوا اللغو أصر ضسوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم  
أعمالكم سلام عليكم لا يتبني الجاهلين أما قوله الاسلاما فقيه بحثان (الاول) ان فيه  
اشكالا وهو ان السلام ليس من جنس اللغو فكيف استثنى السلام من اللغو والجواب  
عنه من وجوه (أحدها) ان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وأهل الجنة لا حاجة بهم  
الى هذا الدعاء فكان ظاهره من بلب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الأكرام  
( وثانيها ) ان يحمل ذلك على الاستثناء المنقطع ( وثالثها ) أن يكون هذا من جنس  
قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتائب

(البحث الثاني) ان ذلك السلام يحتمل أن يكون من سلام بعضهم على بعض أو من تسليم  
الملائكة أو من تسليم الله تعالى على ما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب  
سلام عليكم بما صبرتم فتم عبي الدار وقوله سلام قول من رب رحيم (ورابعها) قوله تعالى  
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفيه سوء لان (السؤال الاول) ان المقصود من هذه الآيات  
وصف الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور  
المتعظمة والجواب من وجهين (الاول) قال الحسن أراد الله تعالى ان يرغب كل قوم  
بما أحبوه في الدنيا ولذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة  
العجم والارائك التي هي الجمال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف العرب  
في اليمن ولاشيء كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك (الثاني) ان  
المراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يد الدوام  
ولا تقصد الوقتين المعلومين (السؤال الثاني) قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهرا  
وقال عليه السلام لاصباح عند ربك ولا مساء والبكرة والعشي لا يوجدان الا عند  
وجود الصباح والمساء (والجواب) المراد انهم يأكلون عند مقدار الغداة والعشي الا أنه  
ليس في الجنة غدوة وعشي اذ لا ليل فيها ويحتمل ما قيل انه تعالى جعل لغدوة اليوم علامة  
يعرفون بها مقدار الغداة والعشي ويحتمل أن يكون المراد لهم رزقهم متى شاؤا كما جرت  
العادة في الغداة والعشي (وخامسها) قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا  
وفيه اباحت (الاول) قوله تلك الجنة هذه الاشارة بما صحت لان الجنة غائبة (وثانيها)  
ذ كروا في نورث وجوها (الاول) نورث استعارة أى نبت عليه الجنة كما نبت على الوارث  
مال المورث (الثاني) ان المراد اننا ننقل تلك المنازل من لو أطاع لكنته الى عبادنا الذين  
اتقوا ربهم فبمثل هذا النقل ارتقا لهم الحسن (الثالث) ان الاتقياء يلقون ربهم

المنظر قبل من الرؤية لما يرى كالمسحون لما يلمسون وقري ر ياحلى قلب الهمزة ياد وانظامها أو على يات من الرى وهو التهمة  
والتفدوقى ر ياحلى القيسور ياحضق الهمزة يوا يارأى الجسم من الرى وهو الخلق فانه عبارة عن الحسن المجموعة

قل من كان في الضلالة فلبيدده الرحمن ﴿٨١٦﴾ المهلكة مع ما كلز لهم من التمتع

يوم القيامة وقد انقضت اعمالهم وثمراتها باقية وهي الجنة فاذا دخلهم الجنة قد أوردتهم من تقواهم كإيرث الوارث المأل من التوفى (ورابعها) معنى من كان تقياً من ممسك باتقاء معاصيه وجمه عاداته واتفق ترك الواجبات قال القاضي فيه دلالة على ان الجنة يخص بدخولها من كان متقياً والفاسق المرتكب للكبائر لا يوصف بذلك والجواب الآية تدل على أن التقي يدخلها وليس فيها دلالة على أن غير التقي لا يدخلها وأيضاً فصاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه انه متق عن الكفر فقد صدق عليه انه متق لان التقي جزء من مفهوم قولنا التقي عن الكفر واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق وجب أن يدخل تحته فالآية بان تدل على ان صاحب الكبيرة يدخل الجنة أولى من أن تدل على أن لا يدخلها \* قوله تعالى (وما ننزل إلا ممرر بك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياب السمووات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلمه سمياً) اعلم ان في الآية اشكالا وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً كلام الله وقوله وما ننزل إلا ممرر بك كلام خير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل والجواب انه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقع كما أن قوله سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون هو كلام الله وقوله وان الله ربكم كلام خير الله وأحدهما معطوف على الآخر واعلم ان ظاهر قوله تعالى وما ننزل إلا ممرر بك خطاب جماعة لواحد وذلك لا يليق إلا باللائكة الذين يتلون على الرسول ويحتمل في سببه ما روى ان قر يشابعت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم فسألوا النصراني فرجعوا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجد في كتابنا وهذا زمانه وقد سألتنا نحن الخيامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسئلوه عنهن فان أخبركم بمحصلتين منهما فاتبعوه فاسئلوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح قال فيما وفسألوه عن ذلك فلم يدرك كيف يجيب فوعدهم ان يجيبهم بعد ذلك ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً وقيل خمسة عشر يوماً فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فترز جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت عني حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت أشوق ولكنني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى هذه الآية وأنزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى ثم اكدوا ذلك بقولهم له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وما بينهما أو الدنيا والآخرة وما بينهما فانه يعلم اصلاح التدبير مستقبلاً وماضياً وما بينهما والغرض ان أمرنا موكول الى الله تعالى يتصرف فيما يحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه فيه وقال أبو مسلم قوله وما ننزل إلا ممرر بك يجوز أن يكون قول أهل الجنة والمراد وما ننزل الجنة إلا ممرر بك له ما بين أيدينا أي في الجنة مستقبلاً وما خلفنا

يقنون الحظوظ العاجلة  
أمر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بان يجيب  
هو الولد المتعز بن بمالهم  
من الحظوظ ببيان مال  
أمر الفريقين اما على  
وجه كلى تناول لهم  
ولغيرهم من المتهمكين  
في اللذة الغانية المتهمجين  
بها على أن من على عمومها  
واما على وجه خاص  
بهم على أنها عبارة  
عنهم ووصفهم بالتمكن  
لذمهم والاشعار ببلطة  
الحكم أي من كان مستقراً  
في الضلالة مغروراً بالجهل  
والفضلة عن حواقب  
الامور فلبيدده الرحمن  
أي يبدلوه ويمهله بطول  
العمر واصطاء المال والتمكين  
من التصرفات واخراجهم  
على صيغة الامر للايدان  
بان ذلك مما ينبغي أن يفعل  
بموجب الحكمة لا تطع  
المعاذير كما ينبغي منه قوله  
عز وجل أولم نعمركم  
ما يتذكرفيه من تذكر  
أو للاستدراج كما ينطق  
به قوله تعالى انما على لهم  
ليزدادوا انما وقيل المراد  
به الدعاة بالمذو والتفيس  
واعتبار الاستقرار

في الضلالة لما أن المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان ﴿٨١٦﴾  
الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى (حتى اذا رآوا ما يوعدون) غاية للدالمتد لا تقول

المقترين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب اللغات ﴿ ٨١٧ ﴾ وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في خبر

جواب اذا وجمع الضمير في  
الفاعل باعتبار معنى من  
كأن الافراد في الضمير  
الاولين باعتبار لفظها  
وقوله تعالى (اما العذاب  
واما الساعة) تفصيل  
للوعود بدل منه على سبيل  
البديل فانه اما العذاب  
الذي يوقى بغلبة المسلمين  
واستيلائهم عليهم  
وتعد بينهم اياهم قتل  
واسر او اياموم القيامة  
وما نالههم فيه من الخزي  
والنكال على طريقة منع  
الخلو دون منع الجمع  
فان العذاب الاخرى  
لا ينفك عنهم بحال  
وقوله تعالى (فسيعلمون)  
جواب الشرط والجملة  
محمكة بعد حتى أى حتى  
اذا عاينوا ما يوعدون  
من العذاب الذي يوقى  
والاخرى فقط فسيعلمون  
حينئذ (من هو شرمكنا)  
من القريتين بان يشاهدوا  
الامر على عكس ما كانوا  
يقدرونه فيعلمون انهم  
شرمكنا لا خير مقاما  
(واضعف جندا) أى  
قوة وانصار الاحسن  
نديا كما كانوا يدعون وليس  
المراد أن له ثمة جندا  
ضعفاء كلا ولم تكن له

بما كان في الدنيا وما بين ذلك أى ما بين الوقتين وما كان ربك نسيالشيء مما خلق فيترك  
اعادته لانه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله وما كان ربك نسيا ابتداء كلام منه  
تعالى في مخاطبة الرسول صلى الله وسلم ويتصل به رب السموات والارض أى بل هو  
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده قل القاضي وهذا مخالف للظاهر من وجوه  
(أحدها) ان ظاهر التزل نزول الملائكة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله بأمر ربك  
وظاهر الامر بحال التكليف أليق (وثانيتها) انه خطاب من جاعة لواحد وذلك لا يليق  
بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة (وثالثها) ان ما في سياق من قوله وما كان ربك نسيار  
السموات والارض وما بينهما لا يليق الاجمال التكليف ولا يوصف به الرسول صلى الله  
عليه وسلم فكأنهم قالوا الرسول وما كان ربك يا محمد نسيا يجوز عليه السهو حتى يضرك  
ابطاؤنا بالتزل عليك الى مثل ذلك ثم ههنا أبحاث (البحث الاول) قال صاحب الكشاف  
التزل على معنيين (أحدهما) النزول على مهل ( والثاني ) بمعنى النزول على الاطلاق  
والدليل عليه انه مطاوع زل ونزل يسكون بمعنى أنزل وبمعنى التدرج واللائق  
بمثل هذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحياء وقتا بعد وقت ليس الا  
بأمر الله تعالى (البحث الثاني) ذكر وافي قوله ما بين أيدينا وما خلقنا وما بين ذلك وجوها  
(أحدها) له ما قد انما و ما خلقنا من الجهات وما نحن فيه فلا نتالك أن ننقل من جهة  
الى جهة ومن مكان الى مكان الأبا مره ومشبهته فليس لنا أن نقلب من السماء الى  
الارض الأبا مره (وثانيتها) له ما بين أيدينا ما سلف من أمر الدنيا وما خلقنا ما يستقبل  
من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين التفتحين وهو أر بعون سنة ( وثالثها ) ماضى  
من أعمارنا وما غير من ذلك والحال التي نحن فيها (ورابعها) ما قبل وجودنا وما  
بعد فئاتنا (خامسها) الارض التي بين أيدينا اذ انزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء  
والارض وعلى كل التقديرات فالقصود انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب  
عنه مثقال ذرة فكيف تقدم على فعل الأبا مره وحكمه (البحث الثالث) قوله وما كان  
ربك نسيا أى تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أى ما كان امتناع النزول الا  
لامتناع الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك أما قوله رب السموات  
والارض وما بينهما فالمراد أن من يكون ربها أجمع لا يجوز عليه النسيان اذ لا بد من  
أن يمسكها حالها بعد حال والابطال الامر فيهما وفيما يتصرف فيهما واحتج أصحابنا بهذه  
الآية على ان فعل العبد خلق الله تعالى لان فعل العبد حاصل بين السماء والارض والآية  
دالة على انه رب لكل شيء حصل بينهما قال صاحب الكشاف رب السموات والارض  
بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هورب السموات والارض فاعبده  
واصطبر لعبادته فهو أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالعبادة والمصابرة على مشاق  
التكاليف في الاداء والابلاغ وفيما يخصه من العبادة فان قيل لم لم يقل واصطبر على عبادته

قوة ينصرونه من دون الله وما كان ﴿ ١٠٣ ﴾ خا منتصرا وانما ذكر ذلك ردالما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من  
الاعيان وانصارا من الاخير

ويتفخرون بذلك في الاندية والمحافل (وزيد الله الذين ﴿ ٨١٨ ﴾ اهتدوا هدى) كلام مستأنف سبق لبيان

بل قال واصطبر لعبادته قلنا لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قوتك للجوارب اصطبر  
لترك أي اثبت له فيما يورد عليك من شدته والمعنى ان العبادة تورد عليك شدة  
ومشاق فاثبت لها ولا تمن ولا يضيض صدرك من لقاء أهل الكتاب اليك الاضابط عن  
احتباس الوحي عنك مدة وشماتة المشركين بك أما قوله تعالى هل تعلم له سيما فالظاهر يدل  
على انه تعالى جعل علة الامر بالعبادة والامر بالمصابرة عليها انه لاسمى له والا قرب هو كونه  
منصفا بأصول النعم وفر وعها وهي خالق الاجسام والحياة والعقل وغير هاتان لا يقدر  
على ذلك أحد سواه سبحانه فاذا كان هو قد أنعم عليك بغاية الانعام وجب ان تعظمه  
بغاية التعظيم وهي العبادة ومن الناس من قال المراد انه سبحانه ليس له شريك في اسمه  
وبينوا ذلك من وجهين (الاول) انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن فما أطلقوا  
لفظ الله على تى سواه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحمن غيره (الثاني)  
هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير  
معتد بها كالتسمية والقول الاول هو الصواب والله أعلم ﴿ قوله تعالى (و يقول  
الانسان ان اذا مات لسوف أخرج حيا) ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا  
فور يك لمحشرنهم والشياطين ثم لمحضرنهم حول جهنم حيثما كنت عن من كل شيعة أيهم  
أشد على الرحمن عتيا ثم لعن أهل بالذين هم أولي بها صلوا اعلم انه تعالى لما أمر بالعبادة  
والمصابرة عليها فكأن سائلا سؤال وقال هذه العبادات لا منقعة فيهما في الدنيا وأما في  
الآخرة فقد أنكرا قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان الاشتغال  
بالعبادة مفيد فلماذا حكى الله تعالى قول منكرى الحشر فقال و يقول الانسان أن اذا  
مات لسوف أخرج حيا واما قالوا ذلك على وجه الانتكار والاستبعاد وذكرنا  
في الانسان وجهين (أحدهما) أن يكون المراد الجنس بأسره فان قيل كلهم غير قائلين  
بذلك فكيف يصح هذا القول قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان هذه المقالة لما كانت  
موجودة فيما هو من جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا واما  
القائل رجل منهم ( والثاني) ان هذا الاستبعاد موجود ابتداء في طبع كل أحد الآن  
بعضهم ترك ذلك الاستبعاد المبني على محض العطب بالدلالة القاطعة التي قامت على صحة  
القول به (الثاني) ان المراد بالانسان شخص معين فقبل هو أوجهل وقيل هو أبي بن خلف  
وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى أقام الدلالة على صحة  
البعث بقوله أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا والقراء كلهم على يذكر  
بالتشديد الانافعا وابن عامر وطاسما قد خففوا أي أو لا يتذكر الانسان أنا خلقناه من قبل  
واذا قرئ أو لا يذكر فهو أقرب الى المراد اذا تعرض التفكير والنظر في انه اذا خلق من  
قبل لا من شئ فبما أن يعادنا يقال بهض العطاوا اجتماع كل الخلائق على ارادة جهة في  
البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها اذ لا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الابداد

حال المهتدين اريان  
حال الضالين وقيل  
عطف على فليد  
لانه في معنى الخبر حسبا  
عرفته كأنه قيل من كان  
في الضلالة يمد الله وزيد  
المهتدين هداية كقوله  
تعالى والذين اهتدوا  
زادهم هدى وقيل  
عطف على الشرطية  
المحكية بعد القول كأنه  
لما بين أن امهال الكافر  
وتمتيعه بالحياة ليس لفضله  
صعب ذلك ببيان أن  
قصور حظ المؤمن  
منها ليس لتقصه بل  
لانه تعالى أراد به ما هو  
خير من ذلك وقوله  
تعالى (والباقيات  
الصالحات خير) على  
تقديرى الاستئناف  
والعطف كلام مستأنف  
وارد من جهته تعالى  
ليبين فضل اعمال  
المهتدين غير داخل  
في حيز الكلام الملقن  
لقوله تعالى (صنبر بك)  
أي الطاعات التي تقي  
فوائدها وتدوم صوابها  
ومن جاتها ما قيل  
من الصلوات الخمس  
وما قيل من قول سبحانه الله

والجدة ولا اله الا الله والله أكبر خير صدق الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتسريته ﴿ اولا ﴾  
عليه السلام (توبا) أي عاتدة بما يتم به الكفرة من النعم المخدجة الغاية التي يتفخرون بها لاسيما وما لها



التعجب للقيم وما لهند الحسرة السرمد بقول الغتاب (٨١٩) الاليم كأشعرايه بقوله تعالى (وخير مراد) أي مرجعا وفاقبة

وتكرر الخبيرين يد الاعتناء  
بين الخيرية وتأكيد لها  
وفي التفضيل مع أن  
مال الكفرة بعزل من أن  
يكون له خيرية في العاقبة  
تمكم بهم (أفرايت  
الذي كفر بآياتنا) أي  
بآياتنا التي من جلتها  
آيات البعث نزلت في العاص  
بن وائل كان نجاب بن  
بن الارت عليه مال  
فاقتضاه فقال لاحتي  
تكفر بمحمد قال لا والله  
لا أكفر به حيا ولا ميتا  
ولا حين بعثت قال فاذا  
بعثت جئني فيكون لي  
ثم مال وولد فاعطيك  
وفي رواية قال لا أكفر به  
حتى يميتك ثم تبعث  
فقال اني ليت ثم مبعوث  
قال نعم قال دعني حتى  
أموت وأبعث فساوتني  
مالا وولدا فافضيك فنزلت  
فالهجرة للتعجب من حاله  
والإيدان بانها من العراية  
والشناعة بحيث يجب  
أن ترى ويقضى منها  
العجب ومن فرق بين  
المترور رأيت بعد بيان  
اشترآكهما في الاستعمال  
لقصد التعجب بان الاول  
يلحق بنفس المتعجب منه

أولا ونظيره قوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو  
أهون عليه واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان المعدوم ليس بشئ وهو ضعيف لان  
الانسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة قامت بها اعراض وهذا المجموع ما كان شيئا  
ولكن لم قلت ان كل واحد من تلك الاجزاء ما كان شيئا قبل كونه موجودا فان قيل كيف  
أمر تعالى الانسان بالذكر مع ان الذكر هو العلم بما قد علمه من قبل ثم تخلها ما سهو قلنا  
المراد ألا يتفكر فيعلم خصوصا اذا قرى أو لا يذكر الانسان بالتشديد أما اذا قرى أو لا  
يذكر بالتخفيف فالمراد أو لا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا  
ثم صار حيا ثم انه سبحانه لما قرر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من وجوه (أحدها) قوله  
فوق بك تحشرنهم والشياطين وقائدة القسم أمران (أحدهما) ان العادة جارية بتأكيد  
الخبر باليمين (والثاني) ان في اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى اسم رسوله صلى الله عليه  
وسلم تفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ورفع منه كإرفع من شأن السماء والارض في قوله  
فوق ب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وأن  
تكون بمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرانهم من الشياطين  
الذين أغووهم بقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (وثانيها) قوله ثم تحضرنهم حول  
جهنم جثيا وهذا الاحضار يكون قبل ادخالهم جهنم ثم انه تعالى يحضرهم على أقل  
صورة لقوله تعالى جثيا لان البارك على ركبته صورته صورة الذليل أو صورته صورة  
العاجز فان قيل هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وتري كل أمة جاثية والسبب فيه  
جرى ان العادة ان الناس في مواقف المطالبات من الملوك يجاثون على ركبهم لما في ذلك  
من الاستنظار والقلق أو لما يدهمهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معه القيام على  
أرجلهم واذ كان هذا عاما للكل فكيف يدل على مزيد ذلك الكفار قلنا العمل المراد أنهم  
يكونون من وقت الحشر الى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد  
القل في حشهم (وثالثها) قوله ثم لتتر عن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا والمراد  
بالشيعة وهي فظة كفرقة وقفة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويامن العواة قال تعالى  
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا والمراد انه تعالى يحضرهم أو لاحول جهنم جثيا ثم يميز  
البعض من البعض فن كان أشدهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم لان عذاب الضال  
المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره وليس عذاب من يتردد ويحير  
كعذاب المقلد وليس عذاب من يوزد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدى به مع العقلة  
قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا  
يفسدون وقال ولحملمن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فبين تعالى انه يزرع من كل فرقة  
من كان أشد عتوا وأشد تمردا ليعلم ان عذابه أشد فائدة هذا التميز التخصيص بشدة  
العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم أعلم بالذين هم أولى بها

فيقال ألم ترالى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال رأيت مثل الذي  
صنع كذا بمعنى انه من العراية بحيث

لا يرى له مثل فقد حفظ ثنا وغابت عنه أشباهه وكانه ذهب (٨٢٠) عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين والقاء

صليا ولا يقال أولى الامع اشتراك القوم في العذاب واختلوا في اعراب أيهم فمن الخليل انه من نفع على الحكاية تقديره لنتز عن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيو به على انه مبنى على الضم استعوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جئ به لأحرب وقيل أيهم هو أشد \* قوله تعالى (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) واعلم انه تعالى لما قل من قبل فور بك لعشرتهم والشياطين ثم قال ثم لعشرتهم حول جهنم أردفه بقوله وان منكم الاواردها يعني جهنم واختلوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكفى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا انه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور (أحدها) قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون والمبعد عنها لا يوصف بانها واردها (والثاني) قوله لا يسمعون حسيبها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيبها (وثالثها) قوله وهم من فزع يومئذ آمنون وقال الا كثرون انه علم في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى وان منكم الاواردها فلم يخص وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الاول ويدل عليه قوله ثم نجى الذين اتقوا أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا الا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورد فقال بعضهم الورد الدنوم من جهنم وأن يصبروا حولها وهو موضع المحاسبة واحتجوا على ان الورد قد يراد به القرب بقوله تعالى فأرسلوا واردهم ومعلوم ان ذلك الوارد داخل الماء وقال تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسعون واراد به القرب ويقال وردت القافلة البلدة وان لم تدخلها فلي هذا معنى الآية ان الجن والانس يحضرون حول جهنم كان على ربك حتما مقضيا أي واجبا مفروضا منه بحكم الوعيد ثم نجى أي بعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى أولئك عنها مبعدون ومما يؤكد هذا القول ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الاواردها فقال عليه السلام فقه ثم نجى الذين اتقوا ولو كان الورد عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما (القول الثاني) ان الورد هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر (أما الآية) فقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اتم لها واردون وقال فأوردتهم النار وبئس الورد المورود ويدل عليه قوله تعالى أولئك عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التباعد لكان قريبا فهذا انما يحصل لو كانوا في النار ثم انه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على أنهم يتقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم انما يتقون في النار فلا بدوا أن يكونوا قد دخلوا النار (وأما الخبر) فهو أن عبدا لله بن رواحة قال أخبر الله عن الورد ولم يخبر بالصدر فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرأ ما بعد هاتم نجى الذين اتقوا وذلك يدل على ان ابن رواحة فهم من الورد الدخول والتي صلى الله

لله لطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حثها أن يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله (لاونين) في الآخرة (مالا وولدا) أي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان رأيت بمعنى أخبروا القاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقام الآيات وأنت خير بان المشهور استعمال رأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جار باعلى أصله أو مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع أسد أو على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى (أطعم الغيب) رد لكلمته الشعاء وظهار لطلانها اثر ما أشير اليه بالتعجب

منها أي أقبلت من عظمت الشأن الى أن ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العظيم الخبير حتى ادعى عليه أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه

الرحمانية للأشعار بعلية  
الرجة لا يناء ما يدعيه  
وقبل العهد كلمة الشهادة  
وقيل العمل الصالح  
فإن وعده تعالى بالشواب  
عليهما كالمهد وهذا  
بمجاراة مع العين بحسب  
منطوق مقاله كأن كلامه  
مع خباب كان كذلك  
وقوله تعالى (كلا) ردع  
له عن التفوه بتلك العظيمة  
وتنبيه على خطئه  
(سكنب ما يقول) أي  
سظهراً أنا كتبنا قوله  
كقوله \* إذا ما أنسبنا لم  
تلدني لثيمة \* أي يبين أي  
لم تلدني لثيمة \* أو سننتم  
منه انتقام من كتب  
جريرة الجاني وحفظها  
عليه فإن نفس الكعبة  
لا تكاد تناخر عن القول  
لقوله عز وعلاما يلفظ  
من قول الالديه رقيب  
عندي غيبي الأول تنزيل  
أظهار الشيء الخفي منزلة  
أحداث الأمر المعلوم  
بجامع أن كلا منهما  
أخراج من الكمون إلى  
البروز فيكون استعارة  
تجعية مبنية على تشبيه  
أظهار الكتابة على  
رؤس الأشهاد بأحداثها

عليه وسلم ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر أنه سئل عن هذا الآية فقال سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول الوردود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون  
على المؤمنين برداً وسلاماً حتى إن للناس ضيغاً من بردها والقائلون بهذا القول  
يقولون المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور  
وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يحزنونهم الفزع الأكبر ولأن الآخرة دار الجزاء  
لدار التكليف وابتصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف ولأنه صحت الرواية عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة تبشر في القبر من كل من أهل الثواب  
بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه وكذلك القول في حال المعايضة فكيف يجوز  
أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم  
لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب ثم اختلفوا في أنه كيف يدفع عنهم ضرر النار  
فقال بعضهم البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها نار فيه ويكون من  
المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في  
جهنم فالؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار يكونون في وسط  
النار (وثانيها) إن الله تعالى يحمد النار فيعبرها المؤمنون وتتهار بغيرهم قال ابن عباس  
رضي الله عنهما يردونها كأنها أهالة وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد  
النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة (وثالثها) إن حرارة النار ليس بطبعها  
فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يحطها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة  
لأبدان المؤمنين يحطها الله برداً وسلاماً عليهم كما في حق إبراهيم عليه السلام وكان  
الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فكان بصير دماً وبشر به الأسراييلي فكان  
يصبر ماء عذبا واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى  
يكونوا في النار مع المعاقبين فإن قيل إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما  
الثابتة في ذلك الدخول قلنا فيه وجوه (أحدها) إن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا  
الخلاص منه (وثانيها) إن فيه من يدغم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم  
أعداؤهم يخلصون منها وهم يتفنون فيها (وثالثها) إن فيه من يدغم على أهل النار من  
حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الأولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما  
كانوا يلتفتون إليه (ورابعها) إن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبتكونهم فزاد ذلك  
غماً للكفار وسروراً للمؤمنين (وخامسها) إن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر  
ويقيمون عليهم حجة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا  
لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوا وإن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين (وسادسها)  
إنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سبباً لمزيد التذاهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر

ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمته ما تجرم سبب لعقوبته قطعاً (ونقله من العذاب مدا) مكان ما يدعيه  
لنفسه من الامداد بالمال والولد أي تطول له من العذاب ما يستغفه

دلالة على طرف الغضب  
(وزنه) بموته (ما يقول)  
أي مسمى ما يقول  
ومصدقه وهو ما أوتيه  
في الدنيا من الملك والولد  
وفيه ائذان بأنه ليس لما  
يقوله صدق مؤجود  
سوى ما كراي نزع  
عنه ما آتيناها (ويأتينا)  
يوم القيامة (فردا) لا  
يصحبه مال ولا ولد كان  
له في الدنيا فضلا أن  
يؤتى ثمة زائدا وقيل  
زوى عنه ما زعم انه يناله  
في الآخرة ونعطيه من  
يستحقه وياه معنى الارث  
وقيل المراد بما يقول  
نفس القول المذكور  
لاسماعه والمعنى انما يقول  
هذا القول مادام حيا  
فاذا قبضناه حلثنا بينه  
وبين ان يقوله ويأتينا  
رافضا له منفردا عنه  
وأنت خبير بان ذلك مبنى  
على أن صدور القول  
المذكور عنه بطريق  
الاعتقاد وأنه مستمر على  
التفوية به راج لوقوع  
مضمونه ولا ريب في أن  
ذلك مستحيل بمن كفو  
بالبهت وانما قال بما قال  
بطريق الاستهزاء وتطبيق

ويضدها تبين الاشياء • فاما الذين تحمكوا بقوله تعالى أولئك ضما بمجدون فقد بينا له  
أحد ما يدل على الدخول في جهنم وأيضا فالمراد من عذابها وكذا قوله لا يسعون  
حسبها فان قيل هل ثبت بالاختبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها الى الجنة  
قلنا ثبت بالاختبار ان المحاسبة تكون في الارض أو حيث كانت الارض ويدل عليه أيضا  
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجن في السماء في  
موضع المحاسبة يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم رفع الله أهل  
الجنة فيهبهم ويدفع أهل النار فيهبها أما قوله كان على ربك حتما مقضيا فالحتم مصدر حتم  
الآخر اذاه أو جبد قسمي المحتوم بالحتم كقولهم خلق الله وضرب الامير واحتج من  
أوجب العذاب عقلا فقال ان قوله كان على ربك حتما مقضيا يدل على وجوب ما جاء من  
جهة الوعيد والاختبار لان كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد الاختبار لا يسمى واجبا  
والجواب ان وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف اليه جرى ويجرى الواجب أما قوله  
ثم نهي الذين اتقوا ونذر الظالمين فرى تنجي ونجى ونجى على ما لم يسم فاعله قال القاضي  
الآية دالة على قولنا في الوعيد لان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين صفته من يهوا  
وهم المتعون والفاسق لا يكون متقيا ثم بين تعالى ان من عاد المتقين يذره في ما جشيا  
ثبت ان الفاسق يبق في النار أبدا قال ابن عباس المتقى هو الذي اتقى الشرك بقول  
لا اله الا الله واعلم أن الذي قاله ابن عباس هو الحق الذي يشهد بالدليل بحسنه وذلك لان  
من آمن بالله وبرسله صح أن يقال انه متق عن الشرك ومن صدق عليه انه متق عن  
الشرك صدق عليه انه متق لان المتقى جزم من المتقى عن الشرك ومن صدق عليه المركب  
صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من  
النار لعموم قوله ثم تنجي الذين اتقوا فصارت هذه الآية التي توهمها دليلا من أقوى  
الدلائل على فساد قولهم قال القاضي وتدل الآية على فساد قول من يقول ان من  
المكلفين من لا يكون في الجنة ولا في النار قلنا هذا ضعيف لان الآية تدل على انه تعالى  
ينهي الذين اتقوا وليس فيها ما يدل على انه ينهيهم الى الجنة ثم هب أنها تدل على ذلك  
ولكن الآية تدل على ان المتقين يكونون في الجنة والظالمين يبقون في النار فيبقى ههنا  
قسم ثالث خارج عن القسمين وهو الذي استوت طاعته ومعصيته فتسقط كل واحدة  
منها بالآخرى فيبقى لا مطيعا ولا طامعا فهذا القسم ان يطل فانما يطل بشئ سوى هذه  
الآية فلا تكون هذه الآية دالة على الحصر الذي ادله ومن المعتزلة من تمسك في الوعيد  
بقوله ونذر الظالمين فيها جشيا ولفظ الظالمين لفظ جمع دخل عليه حرف التعريف فيفيد  
العموم والكلام على التمسك بصنع العموم قد تقدم مرارا كثيرة في هذا الكتاب  
أما قوله جشيا قال صاحب الكشاف قوله ونذر الظالمين فيها جشيا دليل على ان المراد  
بالورود الجمل حوالها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد نجاتهم وتيق

أداء دينه بالصلوة (واتخذوا من دون الله آلهة) حكاية لجناية طامة لكل مستبعدة لضد ما يرجون ترتيبه ﴿ الكفرة ﴾  
عليها اثر حكاية مقالة الكافر المهود واستباحتها لتقبض مضمونها أي اتخذوا

الاسلام آلهة تبارزين الباطل ( يكونوا لهم حرد ) ٨٢٤ أي ليمروا بهم بل يكونوا لهم حردية اليه من وجلا

وشفاء عنده ( كلا )  
ردع لهم عن فلك  
الاعتقاد الباطل وانكار  
لوقوع ما علقوا به  
أطباهم الفارقة  
( سيكفرون بعبادتهم )  
أي سيجحد الالهة  
بعبادتهم لها بان ينطقها  
الله تعالى وتقول ما  
عبدتمونا وأسينكر الكفرة  
حين شاهدوا سوء عاقبة  
كفرهم بعبادتهم لها  
كافي قوله تعالى والله ربنا  
ما كنا مشركين ومعنى  
قوله تعالى ( و يكونون  
عليهم ضدا ) على الاول  
تكون الالهة التي كانوا  
يرجون أن تكون لهم  
عزا ضدا للغز أي ذلا  
وهوانا أو تكون ناعليهم  
واللهذا بهم حيث يجعل  
وقود النار وحصب  
جهنم أو حيث كانت  
عبادتهم لها سيدي العذابهم  
والطلاق الضد على العون  
لأن عون الرجل يضاد  
عدوه وينافيه باطنه له  
عليه وعلى الثاني يكون  
الكفرة ضدا وأعداء  
للآلهة كافرين بها  
بمدان كانوا يحبونها  
كعب الله ويمدونها  
وتوحيد الضد لوحدة

الكفرة في مكانهم جاثين قوله تعالى ( وإذا نلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مما ملوا أحسن نبيا ) اعلم انه تعالى لما أقام الحججة على مشركي قريش المنكرين للبعث اتبعه بالوحيد على ما تقدم ذكره عنهم انهم عارضوا حججة الله بكلام قتلوا لو كنتم أتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن وأطيب من حالنا لان الحكيم لا يلبق به أن يوقم أولياءه المخلصين في العذاب والنل واهداه المراضين عن خدمته في العز والراحة ولما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في العزة والراحة والاستلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والذل دل على ان الحق ليس مع المؤمنين هذا حاصل شبهتهم في هذا الباب ونظيره قوله تعالى لو سلكنا خيرا ما سبقونا اليه ويروي انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بلزينة الفاخرة ثم يدهون مقهقرين على قراء المسلمين انهم أكرم على الله منهم بقى بحشان ( الاول ) قوله آياتنا بينات محتمل وجوها ( أحدها ) انها مر ثلاث الالفاظ مبنات المعاني اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فضلا ( وثانيها ) انها ظاهرات الاعجاز تحدى بها فاقد رواعلى معارضتها ( وثالثها ) المراد يكونها آيات بينات أي دلائل ظاهرة واضحة لا يتوجه عليها سؤال ولا اعتراض مثل قوله تعالى في اثبات صحة الحشر أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ( البحث الثاني ) قرأ ابن كبر مقالة ما بالضم وهو موضع الإقامة والمزل والباقون بالقح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس يقال ندى ونادى والجمع الندية ومنه قوله وتأتون في ناديك المنكر وقال فليدع ناديه وقال ندوت القوم اندوهم اذا جمعتم في المجلس ومنه دار الندوة بمكة وكانت مجتمع القوم ثم أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ( وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أنا وريا ) وتقر بهذا الجواب أن يقال ان من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وبادهم فلودل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حيبا لله تعالى لوجب في حيب الله أن لا يوصل اليه غما في الدنيا ووجب عليه أن لا يهلك أحدا من المتعمين في دار الدنيا وحيث أهلكهم دل اما على فساد المقدمة الاولى وهي أن من وجد الدنيا كان حيبا لله تعالى أو على فساد المقدمة الثانية وهي أن حيب الله لا يوصل الله اليه غما وعلى كلال التقديرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبهة بقى البحث عن تفسير الالفاظ فتقول أهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألتري انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية والاثبت متاع البيت أماريا قري على خسة أوجه لانها اما أن تقرأ بأزاء التي ليس فوقها نقطة أو بلزاي التي فوقها نقطة فاما الاول فاما أن يجمع بين الهمة والبهأ ويكتفى بالبهأ أما اذا جمع بين الهمة والبهأ فقيه وجهان ( أحدهما ) بهمة ساكنة بعدها يه وهو النظر والهيئة فعل بمعنى مقبول من رأيت ريثا ( والثاني ) ريثا

المعنى التي عليه تنور مضادتهم فانهم بذلك كثر واحد كافي قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرى كلا بفتح الكاف والتونين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الالف الاطلاق

في قوله اقل اليوم طافوا العنان \* وقول ان اصبحت قد اصابني \* (Ar) او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرى كلا على

اضمار فعل يفسره ما بعده أي سيصدقون كلا سيكفرون الخ (المتر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما نطق به الآيات الكريمة السالفة وحكمته عن هؤلاء الكفرة الفجرة والمردة العتاة من فنون القبايح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في النفي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلو بهم ولا ططف يتنهم والاجماع على مدافعة الحق بعد انضاحه واتفاء الشك عنه بالكلية وتنبه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغواءهم لان له مسوفا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم وامتنيذضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تطبيق الرواية به بل بما ذكر من احوال

على القلب قولهم راء في رأي أمان اكتفينا بالياء فتارة بالياء المشددة على القلب الهمزة ياء والادغام أو من الرى الذي هو التعمية والترفة من قولهم رين من التعميم والثاني لياء على حنف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف القلوب وهو رينا بخفف الهمزة واقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وأما لازى المنقطة من فوق زيافاشتقاقه من الرى وهو اطلع لان الرى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء والله أعلم \* قوله تعالى ( قل من كان في الضلالة فليجده الرحن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما

الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مرادا ) اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة وتقريره لفرض ان هذا الضلال المتم في الدنيا قدمه الله في أجله وأمهله مدة مديدة حتى ينضم الى النعمة العظيمة المدة الطويلة فلا بد وان ينهي الى عذاب في الدنيا أو عذاب في الآخرة بعد ذلك سيعلون ان نعم الدنيا ما تغدوهم من ذلك العذاب قوله فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور في مقابلة قولهم خير مقاما وأضعف جندا في مقابلة قولهم أحسن نديا فيبين تعالى انهم وان ظنوا في الحال ان منزلتهم أفضل من حيث فضلهم الله تعالى بالمقام والندى فسيعلمون من بعد ان الامر بالضد من ذلك وانهم ترمكانا فانه لا مكان شر من النار والمنافسة في الحساب واضعف جندا فقد كانوا يظنون وهم في الدنيا ان اجتماعهم ينفع فاذا رأوا أن لا ناصر لهم في الآخرة صرفوا عند ذلك انهم كانوا في الدنيا مبطلين فيما ادعوه \* بقى البحث عن الالفاظ وهو من وجوه (أحدها) مدله الرحن أي أمهله وأملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور الممثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نمر كم ما تشذكر فيه من تذكر وكقولهم انما على لهم ليردادوا انما (وثانيها) ان قوله اما العذاب واما الساعة يدل على ان المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيامة لان قوله واما الساعة المراد منه يوم القيامة ثم العذاب الذي يحصل قبل يوم القيامة يمكن أن يكون هو عذاب القبر ويمكن أن يكون هو العذاب الذي سيكون عند المعايضة لانهم عند ذلك يعلمون ما يستحقون ويمكن أيضا أن يكون المراد تغيرا حوالهم في الدنيا من العز الى النذل ومن النقي الى الفقر ومن الصحة الى المرض ومن الأمن الى الخوف ويمكن أن يكون المراد تسليط المؤمنين عليهم ويمكن أيضا أن يكون المراد ما نالهم يوم بدر وكل هذه الوجوه مذكورة واعلم انه تعالى بين بعد ذلك انه كما يعامل الكفار بما ذكره فكذلك يزيد المؤمنين المهتدين هدى واعلم اننا بين امكان ذلك بحسب العقل فقوله انه لا يبطل ان يكون بعض أنواع الاهتداء مشروطا ببعض فان حاصل الاهتداء يرجع الى العلم ولا امتناع في كون بعض العلم مشروطا ببعض فن اهتدى بالهداية التي هي الشرط صار بحيث لا يتبع أن يعطى الهداية التي هي المشروط فصح قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى مثاله الايمان

الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما بيني عند قوله تعالى ( توهم أزا ) فانه اما حال هدى هدى مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين

بهم حيث ذقيل تو زهم أي نغر بهم على وتجههم ﴿ ٨٢٥ ﴾ المعاصي تهبها شديد ابانواع الوسواس والتسويلات فان الاز

والهز والاستفزاز أخوات  
معناها شدة الازعاج  
(فلا تجمل عليهم) أي  
بأن يهلكوا حسبا تقتضيه  
جناياتهم ويبدوا عن  
آخرهم وتطهر الارض  
من فساداتهم والقضاء  
للالشمار بكون ما قبلها  
مظنة لوقوع المنهي  
عنه محوجة الى النهي  
كقافي قوله تعالى ان هذا  
عدواك ولزوجك فلا  
يخرجنكما من الجنة  
وقوله تعالى (انما نعد لهم أ  
عدا) تعليل لموجب النهي  
بيان اقتراب هلاكهم  
أي لا تستعجل بهلاكهم  
فانه لم يبق لهم الايام  
وأفئس نعدا عدا  
(يوم نحشر المتقين)  
منصوب على الظرفية  
بفعل مؤخر قد حذف  
للالشعار بضيق العبارة  
عن حصره وشرحه  
لكمال فظاعة ما يقع  
فيه من الطامة التامة  
والدواهي العامة كأنه  
قيل يوم نحشر المتقين  
أي نجمهم (الى الرحمن)  
الى ربهم الذي يضمهم  
برحته الواسعة (وفدا)  
واقدين عليه كما يفد  
الوفود على الملوك متظرفين ﴿ ١٠٤ ﴾ خا لكرامتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما تنساق اليهائم  
(الى جهنم وردا) صلتا فان من رد الماء لا يورده الا العطش أو كالدواب

هدى والاخلاص في الايمان زيادة هدى ولا يمكن تحصيل الاخلاص الا بعد تحصيل  
الايمان فمن اهتدى بالايمان زاده الله الهداية بالاخلاص هذا اذا جرى بالفظ الهداية  
على ظاهره ومن التامن من حل الزيادة في الهدى على الثواب اي ويزيد الله الذين  
اهتدوا ثوابا على ذلك الاهتداء ومنهم من فسر هذه الزيادة بالعبادات المترتبة على الايمان  
قال صاحب الكشاف يزيد معطوف على موضع فليمد دلالة واقف موقع الخبر تقديره من  
كان في الضلالة يمدله الرحمن مداو يزيد أي يزيد في ضلال الضلال بخذلانه بذلك المد  
ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه ثم انه تعالى بين ان ما عليه المهتدون هو الذي ينفع في  
العاقبة فقال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وذلك لان ما عليه المهتدون ضرر  
قليل متناه يعقبه نفع عظيم غير متناه والذي عليه الضالون نفع قليل متناه يعقبه ضرر عظيم  
غير متناه وكل أحد يعلم بالضرورة ان الاول أولى وبهذا الطريق تسقط الشبهة التي حولوا  
عليها واختلفوا في المراد بالباقيات الصالحات فقال المحققون انها الايمان والاعمال  
الصالحة بماها باقية لان نفعها يدوم ولا يبطل ومنهم من قال المراد بها بعض العبادات  
واعلمهم ذكر واما هو أعظم ثوابا في بعضهم ذكر الصلوات وبعضهم ذكر النسيح وروى عن  
أبي الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عودا يابساً فأزال  
الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله يحيط الخطايا حطا كما يحيط  
ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا بالدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن من الباقيات  
الصالحات وهن من كنوز الجنة وكان أبو الدرداء يقول لا علمن ذلك ولا كثرن منه حتى  
ان رأيت جاهل حسب اني مجنون والقول الاول أولى لانه تعالى انما وصفها بالباقيات  
الصالحات من حيث يدوم ثوابها ولا يتقطع فبعض العبادات وان كان أنقص ثوابا من  
البعض فهي مشتركة في الدوام فهي بأسرها باقية صالحة نظرا الى آثارها التي هي  
الثواب ثم انه تعالى أخبر انها خير عند ربك ثوابا وخير مردا ولا يجوز أن يقال هذا خيرا  
والمراد انه خير من غيره فالمراد انهم أنها خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مما ما وأحسن  
ندياته قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا مالاً وولدنا أطلع القريب أم  
أخذ عند الرحمن عهدا كلاسك كتب ما يقول ويمدله من العذاب مدا وزنه ما يقول  
ويأتينا فردا) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل أو لاعلى صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين  
وأجاب عنها وأورد عنهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالحشر فقال  
أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا مالاً وولدنا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا  
ولدكاً سدى أسداً أو بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولد بالكسر وعن  
الحسن نزلت الآية في الوليد بن المغيرة والمشهور رأيتها في العاص بن وائل قال خباب بن  
الارت كان لي عليه دين فاقترضته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر  
بمحمد صلى الله عليه وسلم لاحيا ولا ميتا ولا حين تبعث فقال فاني اذا مت بعثت قلت نعم

الوفود على الملوك متظرفين ﴿ ١٠٤ ﴾ خا لكرامتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما تنساق اليهائم  
(الى جهنم وردا) صلتا فان من رد الماء لا يورده الا العطش أو كالدواب

التي ترد الماء فنعمل بالفر يقين من الافعال ما لا يفي بيانه ﴿ ٨٢٦ ﴾ نطق المقال وقيل منصوب على المشوذة بمضمر

قال اني اذا بعثت وجئتني فسيكون لي ثم مال و ولد فأعطيك وقيل صاغ خيلبه حليا  
فانقضاء فطلب الاجرة فقال انكم تزعمون انكم تبشون وأن في الجنة ذهب وفضة  
وحريرا فانا قضيت ثم فاني أوتي ما لا وولد حيث ندم أجاب الله تعالى عن كلامه بقوله  
أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال صاحب الكشاف أطلع الغيب من قولهم  
اطلع الجبل أي ارتقى الى أعلاه ويقال مر مطلقا لذلك الامر أي غالبه مال كاله  
والاختيار في هذه الكلمة أن تقول أو قد بلغ من عظم شأنه أنه ارتقى الى صل الغيب الذي  
توحيد به الواحد القهار والمعنى ان الذي ادعى انه يكون حاصلا له لا يتوصل اليه الا بأحد  
هذين الامرين اما علم الغيب واما عهد من علم الغيب فأبهما توصل اليه وقيل في العهد  
كلمة الشهادة عن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ثم انه سبحانه بين  
من حاله ضد ما ادعا فقال كلا وهي كلمة ردع وتنبية على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقوله  
ويعتاه فان قيل لم قال سنكتب ما يقول بسين التسوية وهو كما قاله كتب من غير تاخير  
قال تعالى ما يلفظ من قول الا ليه رقيب عتيد قلنا فيه وجهان (أحدهما) سيظهره  
ويعلم اننا كتبنا (الثاني) ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك وان كان في الحال في  
الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكنا ههنا ما قوله تعالى ونعده  
من العذاب مدا أي نطوله من العذاب ما يستأمله وزيده من العذاب ونضاعفه  
من المدد ويقال مده وأمه بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه  
بالضم أما قوله وزنه ما يقول أي يزول عنه ما وعده من مال وولد فلا يعود كما لا يعود الارث  
الى من خلفه واذا سلب ذلك في الآخرة يبقى فردا فلذلك قال و يأتينا فردا فلا يصح أن  
ينفرد في الآخرة بمال و ولد وقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة والله أعلم ﴿ قوله ﴾

تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كاسيكونون بعبادتهم ويكونون  
عليهم ضد آلهم ترانا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزافا لنجعل عليهم انما نعدهم  
عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم ورد الا يعلمون  
الشفاعة الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) اعلم انه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والفحش  
تكلم الآن في الرد على عباد الاصنام فحكي عنهم انهم انما اتخذوا آلهة لانفسهم  
ليكونوا لهم عزا حيث يكونون لهم عبدالله شفعا وأنصارا يتخذونهم من الهلاك ثم  
أجاب الله تعالى بقوله كلا وهو دع لهم وانكار لتعزهم بالآلهة وقرأ ابن نبيك كلا  
سيكفرون بعبادتهم أي كلهم سيكفرون بعبادة هذه الاوثان وفي محاسب ابن جني كلا يفتح  
الكاف والتوين وزعم ان معناه كل هذا الاعتقاد والراي كلا قال صاحب الكشاف  
ان صحت هذه الرواية فهي كلالتي هي للردع قلب الواقف عليها الغها نونا كما في قواريرا  
واختلفوا في ان الضمير في قوله سيكفرون يعود الى المعبود أو الى العابد ففهم من قال انه  
يعود الى المعبود ثم قال بعضهم أراد بذلك الملائكة لانهم في الآخرة يكفرون بعبادتهم

مقدم خوطب به النبي  
صلى الله عليه وسلم أي  
أذكر لهم بطريق الترضيب  
والترهيب يوم نحشر الخ  
وقيل على الظرفية قوله  
تعالى ( لا يعلمون  
الشفاعة ) والذي  
يقضيه مقام التهويل  
وتستدعيه جزالة التزويل  
أن يتعصب بأحد الوجهين  
الاولين ويكون هذا  
استثناء فامينا لبعض ما فيه  
من الامور الدالة على  
هوله وضميره ما تدالي العباد  
المدلول عليهم بذكر  
الفر يقين لانحصارهم  
فيهما وقيل الى المتقين  
خاصة وقيل الى المجرمين  
من الكفرة وأهل  
الاسلام والشفاعة على  
الاولين مصدر من المبني  
للفاعل وعلى الثالث  
ينبغي أن تكون مصدرا  
من المبني للمفعول وقوله  
تعالى (الامن اتخذ عند  
الرحمن عهدا) على  
الاول استثناء متصل من  
لا يعلمون ومحل المستثنى  
اما الرفع على البدل أو  
النصب على أصل الا  
ستثناء والمعنى لا يعلم  
المعبود أن يشفعوا غيرهم

الامن استعدله بالتعالي بالايان والتوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا ﴿ ويتبعون ﴾  
أمره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان



ويتبرهن منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله أهولاء اياكم كانوا يعبدون وقال آخرون ان الله تعالى يحى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبروا منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ومن الناس من قال الضمير يرجع الى العباد أى ان هولاء المشركين يوم القيامة يتكبرون انهم عبدوا الاصنام ثم قال تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أما قوله ويكونون عليهم ضدا فذلك في مقابلة قوله لهم عزا والمراد ضد العزوه والنل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلالهم لاعرا أو يكونون عليهم عونا والصد العون يقال من أصدادكم أى من أعوانكم وكان العون يسمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانتك عليه فان قبل ولم يوحده قلنا وحدث توحيد قوله عليه السلام وهم يدعى من سواهم لاتفاق كتابهم فانهم كشيء واحد لفرط انتظامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحب جهنم ولانهم عبدوا بسبب عبادتها واعلم انه تعالى للذكري حال هولاء الكفار مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا فانهم يستلونهم وينقادون لهم فقال انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اجنب الاصحاب بهذه الآية على ان الله تعالى مر يد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل أرسلت فلانا على فلان موضوع فى اللغة لافادة انه سلطه عليه لارادة أن يستولى عليه قال عليه السلام سم الله وأرسل كلبك عليه اذا ثبت هذا فقوله انا أرسلنا الشياطين على الكافرين يفيد انه تعالى سلطهم عليهم لارادة أن يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ثم يتأكد هذا بقوله تؤزهم أزا فان معناه انا أرسلنا الشياطين على الكافرين لتؤزهم أزاو يتأكد بقوله واستفرز من استطعت منهم قال القاضى حقيقة اللفظ توجب انه تعالى أرسل الشياطين الى الكفار كما أرسل الانبياء بأن جعلهم رسالة يؤدونها اليهم فلا يجوز فى تلك الرسالة الا ما أرسل عليه الشياطين من الاغواء فكان يجب فى الكفار أن يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين وذلك كفر من قائله ولان من العجب تعلق المحبة بذلك لان عندهم ان ضلال الكفار من قبله تعالى بأن خلق فيهم الكفر وقدر الكفر فلان تأثير لما يكون من الشيطان واذا بطل حل اللفظ على ظاهره فلا بد من التأويل فحمله على انه تعالى خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منهم من اغواهم وهذه التخلية تسمى ارسالا فى سعة اللغة كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال أرسل كلبه عليه وان لم يرد أذى الناس وهذه التخلية وان كان فيها تشديد للمحبة عليهم فهم ممكنون من أن لا يقبلوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم والدايل عليه قوله تعالى وما كانلى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتملى فلا تلمونى واوهموا أنفسكم هذا تمام كلامه ونقول لانسل انه لا يمكن حله على ظاهره فان قوله الشياطين لو أرسلهم الله الى الكفار لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين قلنا الله تعالى

منصوب على البدل أو على أصل الاستثناء أى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون أيضا والمستثنى مرفوع على البدل أو منصوب على الأصل والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم الا من كان منهم مسلما (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اترحكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى (لقد جتم شيئا اذا) رد لمقاتلهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنجى عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتعجب وتسجيل عليهم بنهاية الوفاحة والجهل

والجراءة والادبال كسر والفتح العظيم المنكر والاداة الشدة وأدى الامر وأدى أثقلنى وعظم على أى فعلتم أمر منكرا شديدا لا يقدر قدره فان جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعبدان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) الخ صفة لاداء أو

استثناف بيان عظيم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد ﴿٢٢٨﴾ بالتذكير (يتفطر عنه) يشقن مر بعد

ما أرسل الشياطين الى الكفار بل أرسلها عليهم والارسال عليهم هو التسليط لارادة أن يصير مستوليا عليه فأين هذا من الارسال اليهم قوله ضلال الكافر من قبل الله تعالى فأى تأثير للشيطان فيه قلنا لم لا يجوز أن يقال ان اسماح الشيطان اياه تلك الوسوسة يوجب في قلبه ذلك الضلال بشرط سلامة فهم السامع لان كلام الشيطان من خلق الله تعالى فيكون ذلك الضلال الحاصل في قلب الكافر منسبا الى الشيطان والى الله تعالى من هذين الوجهين قوله لم لا يجوز أن يكون المراد بالارسال التولية قلنا كما خلى بين الشيطان والكفرة فقد خلى بينهم وبين الانبياء ثم انه تعالى خص الكافر بأنه أرسل الشيطان عليه فلا بد من فائدة زائدة ههنا ولان قوله توؤزهم أزاى تحر كههم تحريك شديدا كالفرض من ذلك الارسال فوجب أن يكون ذلك الأزمرا اذ الله تعالى ويحصل المقصود منه فهذا ما في هذا الموضع والله أعلم (المسئلة الثانية) قال ابن عباس توؤزهم أزاى تزجهم في المعاصي ازاها جازلت في المستهزئين بالقرآن وهم خمسة رهط قال صاحب الكشاف الأزوا الهزوا الاستفزاز اخوات في معنى التسيب وشدة الازعاج أى تغريمهم على المعاصي وتحشهم وتخيجهم لها بالواسوس والتسويلات أما قوله تعالى فلا تعجل عليهم انما عدلهم عدا يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجلته به أى لا تعجل عليهم بان يهلكوا أو يبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس ينك و بين ما تطلب من هلاكهم الايام محصورة وأنفاس معدودة ونظيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم كما أنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ عن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد دخول قبلك آخر العدد فراق أهلك وعن ابن السماك رحمه الله انه كان عند المأمون قرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها عدد فأسرع ما تنفد وذكروا في قوله عدلهم عدا وجهين آخرين (الاول) نعدنا قسهم وأعمالهم قجازيمهم على قليلها وكثيرها (والثاني) نعد الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الا زيادة والتقصان ثم بين سبحانه ما سيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين وبين المجرمين في كيفية الحشر فقال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وقد اقل صاحب الكشاف نضب يوم بمضمر أى يوم نحشرون سوق نفعل بالفر يقين مالا يحيط به الوصف أو ذكر يوم نحشر ويجوز أن ينصب بلائلكون عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ان المتقين اذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق يعرض لها أجحمة عليها رحل الذهب ثم تلا هذه الآية وفيها مسائل (المسئلة الاولى) قال القاضى هذه الآية أحد ما يدل على ان أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فهم آمنون من الخوف فكيف يجوز أن تنالهم الأهوال (المسئلة الثانية) المشبهما تحبوا بالآية وقالوا قوله الى الرحمن يفيد ان انتهاء حركتهم يكون عند الرحمن وأهل التوحيد يقولون

أخرى من عظيم ذلك الامر وقرئ يتفطرن والاول أبلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان أصل الفعل التكلف (وتنشق الارض) أى وتكاد تنشق الارض (وتخر الجبال) أى تسقط وتتهدم وقوله تعالى ( هذا ) مصدر مؤكد لمخوف هو حال من الجبال أى تهدها أو مصدر من المبني للمفعول مؤكد تخر على غير الصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخروج كأنه قيل وتخر الجبال خرورا أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أى مهدودة أو مفعول له أى لانها تهد وهذا تقرر لكونه اذا والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تنطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتنت من شدتها وان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لو لاحله تعالى لخرب العالم

وبددت قوائمه غضبا على من تقوه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) منصوب على حذف اللام المتخلقة بكذا المعنى ﴿ المعنى ﴾ أو مجرور بإضمارها أى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تحر لأن دعوها

سبانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهذا وقيل الجملة ﴿ ٨٢٩ ﴾ بدل من الضمير المجرور في منه كافي قوله \* على جودة

لضن بالماء حاتم \* وقيل  
خبر مبتدأ محذوف أى  
الموجب لذلك أن دعوا  
الخ وقيل فاعل هذا  
أى هدها دعاء الولد  
والاول هو الاول ودعوا  
من دعا بمعنى سعى المتعدى  
الى مفعولين وقد اقتصر  
على تأنيها ليتناول  
كل مادعى له ولدا أو من دعا  
بمعنى نسب الذى مطاوعه  
ادعى الى فلان أى انتسب  
اليه وقوله تعالى (وما ينبئني  
للرحن أن يتخذ ولدا)  
حال من فاعل قالوا  
اودعوا مقرررة لبطلان  
مقاتهم واستهالة تحقق  
مضمونها أى قالوا اتخذ  
الرحن ولدا أو أن دعوا  
للرحن ولدا والحال  
أنه ما يليق به تعالى اتخذ  
الولد ولا يتطلب له لو طلب

مثلا لاستحالة في نفسه  
ووضع الرحن موضع  
الضمير للاشعار بعله

الحكم بالتبني على أن كل  
ماسواه تعالى امانعة  
أو منم عليه فكيف ينسب  
أن يجانس من هو مبتدأ  
التمويل أصولها

المعنى يوم نحشر المتقين الى محل كرامة الرحمن ( المسئلة الثالثة ) طعن المحدث فيه فقال  
قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وقد اهدانا بما يستقيم أن لو كان الحاشر غير الرحمن أما  
إذا كان الحاشر هو الرحمن فهذا الكلام لا ينظم أجاب المسلمون بأن التقدير يوم نحشر  
المتقين الى كرامة الرحمن أما قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقوله نسوق يدل على  
انهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نهم عطاش تساق الى الماء والورد اسم  
للعطاش لان من يرد الماء لا يرد الا العطش وحقبة الورد السير الى الماء فسمى به  
الواردون أما قوله لا يملكون الشفاعة أى فليس لهم والظاهر ان المراد شفاعتهم لغيرهم  
أو شفاعة غيرهم لهم فلذلك اختلفوا وقال بعضهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك  
المؤمنون وقال بعضهم بل المراد لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم وهذا الثاني أولى لان حل  
الآية على الاول مجرى مجرى ايضاح الواضحات واذا ثبت ذلك دللت الآية على حصول  
الشفاعة لاهل الكبار لانه قال عقيب الامن اتخذ عند الرحمن عهدا والتقدير ان هؤلاء  
لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهدا التوحيد  
والنبوة فوجب أن يكون داخلا تحته وبما يؤكده قولنا ما روى ابن مسعود انه عليه  
السلام قال لا صحابه ذات يوم أيحجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا  
وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض علم القيب  
والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا  
عبدك ورسولك فانك ان تكلفنى الى نفسى تقربى من الشر وتبعدنى من الخير وانى  
لا أتق الا برحمتك فاجعلنى عهدا توفينى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قل ذلك  
طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى نادى أين الذين  
لهم عند الرحمن عهد فدخلون الجنة فظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة  
الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على الشفاعة لاهل الكبار وقال القاضي الآية

دالة على مذهبه وقد ظهر ان الآية قوية في الدلالة على قولنا والله أعلم قوله تعالى

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا لدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض

وتخر الجبال هذا ان دعوا للرحن ولدا وما ينبئني للرحن أن يتخذ ولدا ان كل من في

السموات والارض الا أنى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتبه يوم

القيامة فردا) اعلم انه تعالى لما رد على عبدة الاوثان طادالى الرد على من أثبت له ولدا قالت

اليهود عزير بن الله وقالت النصرارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله

والكل داخلون في هذه الآية ومنهم من خصها بالعرب الذين أثبتوا أن الملائكة بنات

الله قالوا لان الرد على النصرارى تقدم في أول السورة أما الآن فانه لما رد على العرب

الذين قالوا بعبادة الاوثان تكلم في انفساد قول الذين قالوا بعبادة الملائكة لكونهم بنات

الله أما قوله قد جئتم شيئا لدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال

قوله عز قائل ( ان كل من في السموات والارض الا أنى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتبه يوم

القيامة فردا) اعلم انه تعالى لما رد على عبدة الاوثان طادالى الرد على من أثبت له ولدا قالت

الرحن على الاصل ( لقد أحصاهم ) أي حصرهم ﴿ ٨٣٠ ﴾ وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد

وقيل المنكر العظيم والادة الشدة وأدنى الامر وأدنى اتقلق قرى يتفطرن بالثناء بعد الياء أضي المجهمة من هنتها واختلجوا في يكاد قرأ بعضهم بالياء المجهمة من تحتها وبعضهم بالثناء من فوق والانتفطار من فطر ماذا شقته والتفطر من فطره اذا شقته وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود يتصد عن وقوله وتخر الجبل هدا أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لانها تهد والمعنى أنها تنساقط أشد ما يكون تحاقط البعض على البعض فان قيل من أين يؤثر القول بابيات الولد لله تعالى في انقطاع السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال قلنا فيه وجوه (أحدها) ان الله سبحانه وتعالى يقول أفضل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من فخر بها لولا حلي واني لأعجل بالصوبة كما قال ان الله يمك السموات والأرض أن تتولا ولئن زلتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما فقورا (وثانيها) أن يكون استعظاما للكلمة وهو يلا من فطاعتها وتصويرا لآثرها في الدين وهدمها لآركانها وقواعدها (وثالثها) ان السموات والأرض والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وهذا تأويل أبي مسلم (ورابعها) ان السموات والأرض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها أما قوله أن دعوا للرحن ولدا فيه مسائل (المسئلة الاولى) في اعرابه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه أو منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هذا لان دعوا أو مز فوطا بانه فاعل هدا أي هدا دعاء الولد للرحن والحاصل انه تعالى بين ان سبب تلك الامور العظيمة هذا القول (المسئلة الثانية) انما كرر لفظ الرحن مرات تنبيها على انه سبحانه وتعالى هو الرحن وحده من قبل ان أصول النعم وفروعها ليست الا منه (المسئلة الثالثة) قوله دعوا للرحن هو من دعا بمعنى سعى المتعدي الى مفعولين فاقصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل من ادعى له ولدا ومن دعا بمعنى نسب الذي هو مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه قال الشاعر \* انا بني نهشل لاندعى لاب الهأى لا تنسب اليه ثم قال تعالى وما ينسب للرحن أن يخذ ولدا أي هو محال أما الولادة المعروفة فلا مقال في امتناعها وأما التثنية فلان الولد لا بد وأن يكون شيئا بالوالد ولا شبهة لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله من سروره به واستعانت به وذكر جليل وكل فلك لا يليق به ثم قال ان كل من في السموات والأرض الآتي الرحن عبدا والمراد انه ما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة والناس الا وهو يأتي الرحن أي باوى اليه ويلجئ الى ربوبيته عبدا متقادا طيما خاشعا راجيا كما يفعل العبيد منهم من حله على يوم القيامة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص فيه وقوله لقد أحصاهم وعدهم عدا أي كلهم تحت أمره وتديره وفهره وقدرته فهو سبحانه محببهم ويعلم بحمل أمورهم وتفصيلها لا يفوته شيء من

من حيطه عليه وقبضه قدرته وملكوته (وعدهم عدا) أي عد اشخاصهم وأنفاسهم وأفاهلهم وكل شيء عنده بمقدار ( وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم أت اليه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لوقيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال أن يتخذ شيئا منهم ولدا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن أحوال المؤمنين (سيجعل لهم الرحن ودا) أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحانية لما أن الموحود من آثارها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذ حسب الله عبدا يقول لغير بل عليه السلام أي أحب فلانا

فأحبه فيهم جبريل ثم نادى في أهل السماء ان الله أحب فلانا فأحبوه فيجيبه أهل السماء ﴿ احوالهم ﴾

ثم يوضع المحبة في الأرض والسين لان السورة مكية وكانوا الخائفين بين الكفرة فوعدهم ذلك

ثم انجزه حين ر بالاسلام اولان الموصود ﴿ ٨٣١ ﴾ في القيامة حين تعرض حسنتهم على زوس الاشهاد فيترج

ما في صدورهم من الغل  
الذي كان في الدنيا  
ولعل افراد هذا الوعد  
من بين ماسيو تون يوم  
القيامة من الكرامات  
السنية لما أن الكفرة  
سجع بينهم يومئذ  
تباعض وتضاد  
وتقاطع وتلاطم (فانما  
يسرناه) أي انزل  
(بلسانك) بأن انزل  
على لفتك والباء بمن  
على وقيل ضمن التيسير  
معنى الانزال أي يسرنا  
القرآن منزلين له بلغتك  
والفاء لتعليل أمر  
ينساق اليه النظم  
الكريم كأنه قيل بعد  
ايحاء السورة الكريمة  
يلغ هذا المنزل أو بشر به  
وأندر فانما يسرناه  
بلسانك العربي المبين  
(تبشر به المتقين) أي  
الصارين الى التقوى  
بامثال ما فيه من الخير  
وانتهى (وتستذرب  
قومالدا) لا يؤمنون بها  
لجبا وعنادا والاد جمع  
الاد وهو الشديد  
الخصومة اللجوج المعاند  
وقوله تعالى (وكم  
أهلكنا قبلهم من قرن)

أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد  
وهم يرآء منهم ﴿ قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا  
فانما يسرناه بلسانك تبشر به المتقين وتذبر به قومالداوكم اهلكنا قبلهم من قرن هل  
تحس منهم من أحد أو نسمع لهم ركزا ) اعلم انه تعالى للمارد على أصناف الكفرة وبالغ في  
شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال ان الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداوالمفسرين في قوله وداقولان(الاول)  
وهو قول الجمهور انه تعالى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد  
منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة أو صداقة  
أو اصطناع معروف أو غير ذلك وانما هو اختراع منه تعالى وابتداء تخصيصا لاوليائه  
بهذه الكرامة كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبه اعظاما لهم واجلالا لمكانتهم  
والسين في سيحل امال ان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ بمقوتين بين الكفرة  
فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه  
بما تعرض من حسنتهم وينشر من ديوان أعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه  
الآية اذا أحب الله عبدا نادى جبريل قد أحيت فلانا فأجابه فينادى جبريل عليه  
السلام بملك في السماء والارض، واذا أبغض عبدا فخل ذلك وعن كعب قال مكتوب في  
التوراة والانجيل لاحبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداء وها من الله تعالى ينزلها على  
أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا  
( القول الثاني) وهو اختيار أبي مسلم معنى سيجعل لهم الرحمن ودا أي يهب لهم ما يحبون  
والود والمحبة سواء يقال آتيت فلانا محبته وجعل لهم ما يحبون وجعلت له وده ومن  
كلامهم يودلو كان كذا ووددت أن لو كان كذا أي أحيت ومعناه سيعطيهم الرحمن  
ودهم أي محبوبهم في الجنة ( والقول الاول ) أولى لان حل المحبة على المحبوب مجاز  
ولاناذ كرنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وفسرها بذلك فكان ذلك أولى  
وقال أبو مسلم بل القول الثاني أولى لوجوه ( أحدها ) كيف يصح القول الاول مع علمنا  
بأن المسلم الذي يبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين (وثانيها) ان مثل هذه المحبة  
قد تحصل للكفار والفساق أكثر فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين (وثالثها) ان  
محبتهم في قلوبهم من فعلهم لأن الله تعالى فعله فكان حل الآية على اعطاء النافع  
الآخر وية أولى والجواب عن الاول ان المراد يجعل لهم الرحمن محبة عند الملائكة  
والانبياء وروى عنه عليه السلام انه حكى عن ربه عز وجل انه قال اذا ذكرني عبدي  
المؤمن في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاذكرته في ملاطيب منهم وأفضل وهذا  
هو الجواب عن الكلام الثاني لان الكافر والفساق ليس كذلك والجواب عن الثالث  
انه محمول على فعل الاطراف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم أما قوله تعالى فانما يسرناه

وعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحثه عليه الصلاة والسلام على الانذار أي قرنا كثيرا  
أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى (هل تحس منهم من أحد) استئناف مقرر للمضمون ما قبله أي هل تشعر بأحد

بلسانك لتبشر به المتقين فهو كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من التوحيد والنبوة والحشر والنشر والرد على فرق المضلين المبطلين فيبين تعالى انه يسر ذلك بلسانه ليشتر به ويندرو لولا انه تعالى نقل قصصهم الى اللغة العربية لما يسر ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فاما ان القرآن يتضمن تبشير المتقين وانذار من خرج منهم فيبين لكنه تعالى لما ذكر انه يبشر به المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى ابلغ وأبلغهم الالذ الذي يتمك بالباطل ويجادل فيه وينسده وهو معنى لدائم انه تعالى ختم السورة بموعظة بليغة فقال وكم أهلكنا قبلهم من قرن لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا والانتهاى الى الموت خافوا ذلك وخافوا أيضا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا فيها الى الخذر من المعاصي أقرب ثم أكد تعالى ذلك فقال هل تحس منهم من أحد لان الرسول عليه السلام اذا لم يحس منهم أحدا بروية أو ادراك أو وجدان ولا يسمع لهم ركزا وهو الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية والا قرب في قوله أهلكنا ان المراد به

الانقراض بالموت وان كان من المفسرين من حمله على العذاب

المجمل في الدنيا والله أعلم بالصواب واليه المرجع

والمآب والحمد لله رب العالمين وصلى الله

على سيدنا محمد النبي الأسمى

وعلى آله وصحبه

وسلم

تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس أوله سورة طه عليه السلام

منهم وترى ( أو تسمع لهم ركزا ) أى صوتا خفيا وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون الخفى والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفى \* عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى